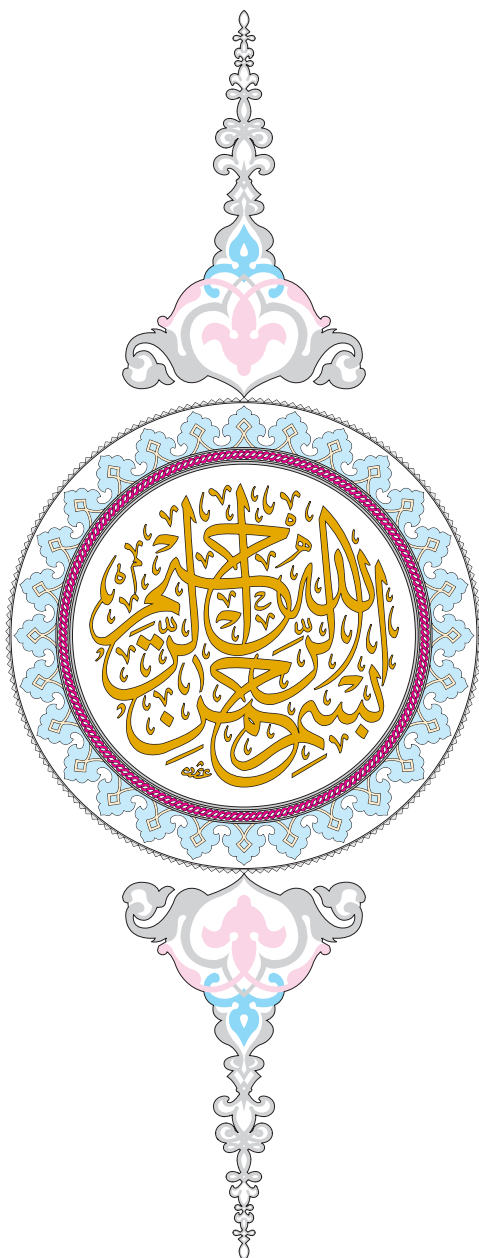
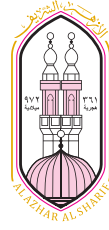






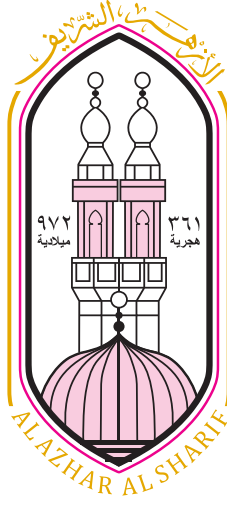
مَجْلَّةُ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ

مَجْلَّةُ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ جَامِعَةُ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ رَفِيعِ الْأُولَى كُلِّ شَيْءٍ عَرَبِيٍّ

٥٨

المجلد الحادي والخمسون - القسم الثاني
السنة ١٣٩٩ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org



القاهرة
إدارة الأهرام
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ }
٩٠٥٩١٤ } ت
٩٠٥٥٠٦ }

الأنهرام

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأهرام
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
ورئيس التحرير

الدكتور
عبد الواد عبد الباقى

الجزء الخامس - السنة الحادية والخمسون - رجب ١٣٩٩ هـ - يونية ١٩٧٩ م

١٤
٢٠٠٠
دوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دراسات قرآنية

آيات اسد في الأنعام

كيف يخرج اللبن من بين فرث ودم

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

والبصائر ، فأنت يا مولاي وان
احتجبت عن العيون والأحاسيس
الظاهرة ، فقد تجليت ببراھينك
للأرواح الطاهرة والبصائر النيرة ،
فمتى غبت يا بارئ النسم عن القطر
السليمة ، والعقول المستقيمة ، كيف
يحتاج الفكر الرشيد فى التعرف
عليك الى جهد جهيد ، ألسنت حاضرا
يا مولاي فى خفقان القلوب ،

قال الله تعالى « وان لكم فى
الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه
من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين » الآية ٦٦ من سورة
النحل

مناجاة

سبحانك اللهم وبحمدك : عرفناك
فى آياتك بالعقول والضمائر ،
ورأيناك فى شواهدك بالقلوب

قدروا الله حق قدره والأرض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات يمينه » فلهذا تفضلت
بكرمك وعظيم رحمتك فنبت في
كتابك الغافلين الى آياتك ،
وأيقظت النائمين ليحسوا بوجودك
فليس كل الناس سواء في سلامة
الوجدان ، ودرجة العرفان وها أنت
ذا يا مولاي تدلهم في هذه الآيات
على بعض شواهدك التي ينعمون
بها وهم لا يشعرون ، وتذكرهم
بمواضع العبرة فيها وهم عنها
غافلون ، اذ تقول جل ثناؤك وعظم
بهاؤك ، وتعالى أسماؤك « وان لكم
في الأنعام لعبرة »

والأنعام هي : الابل والبقر والغنم
والمعز ، كما قال تعالى في سورة
الأنعام تفسيرا لها : « ثمانية أزواج
من الضأن اثنين ومن المعز اثنين »
ثم قال : « ومن الابل اثنين ومن
البقر اثنين (١) » فهي أربعة
بأنواعها ثمانية بذكورها واناثها .

والعبرة العظة ، وهي في الأنعام ،

وخواطر العقول ، وخلجات العيون ،
ألست ظاهرا يا الهى في رفيف الندى
ورفرقة الأطيار ، وتفتح النوار
وعبير الأزهار ، وأهازيج الحمام :
ألست شاهدا ومشهودا فى الليل
اذا يغشى والنهار اذا تجلى ، ألست
أنت الذى تكثور الليل على النهار
وتكثور النهار على الليل ، ألست
أنت الذى خلقت الهواء والماء ،
والنجم والشجر ، والوهاد والنجاد .
من الذى رفع سمك السماء
فسواها ، وأغطش ليها وأخرج
ضحاها ، والأرض بعد ذلك دجاها ،
أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال
أرساها ، أليس كل ذلك يا مولاي
بأمرك ، وصادرا عن مشيئتك ،
ونافذا بقدرتك ، ومدبر بحكمتك ؟
فكيف يجحدك الجاحدون ويشكك
فيك المارقون ، ويتحير فى الايمان
بك الحائررون ، ويففل عن ذكرك
الغافلون ؟! ان هؤلاء وأولئك لو
عرفوا قدرك لخبلوا من سلوكهم ،
وندموا على انحرافهم ، ولكنهم كما
قلت فى أمثالهم يا أعز قائل : « وما

(١ -) انظر الآيتين ١٤٣ - ١٤٤ من سورة الأنعام عقب قوله تعالى
« ومن الأنعام حمولة وفرثا .. » الآية ١٤٢ منها .

أنها تذكرنا وتدلنا على قدرة الله تعالى وخالقيته ووحدانيته وحكمته فى أمرها كله ، ومن العبرة فيها ما حكاه الله بقوله جل شأنه :

« نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » قرئت (نسقيكم) بضم النون وفتحها ، وهما لغتان عربيتان فصيحتان (١) .

والفرث ما يكون فى الكرش (٢) الى أن ينزل فى الأمعاء ليأخذ سبيله الى الخارج ، فاذا خرج لا يسمى فرثا .

وقد يتوهم قارئ أن اللبن فى اناث الأنعام يكون فى كرشها بين الفرث والدم كما هو ظاهر العبارة الكريمة « نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » ولكن هذا الوهم غير صحيح لأنه مخالف للواقع الذى يعرفه العربى ويدرك المراد من لغة

القرآن وأسلوبه الأدبى الرفيع ، انه حين يذبح الاناث المرضعات من الأنعام ، لا يجد فى كرشها شيئا من اللبن ولا من الدم ، فلا بد أن يعرف أن المراد من خروجه من بين الفرث والدم أنه مستخلص منهما وناشئ عنهما ، وسنين للقارئ الكريم فيما يلى كيف يخرج اللبن من بينهما ان الأنعام اذا مضغت الطعام وابتلعتها نزل الى الكرش لتقوم بهضمه ، فاذا تم هضمه فيها فان خلاصته تنجذب الى الكبد عن طريق الأنايب الدقيقة المنبثة فى جدار الكرش وسائر جهازها الهضمى ، التى أعدها الله لامتناس خلاصة الغذاء وايصاله الى الكبد ، وما يبقى بعد ذلك من كثيفه فانه ينزل الى الأمعاء لتتخلص منه عند اللزوم وبعد أن تصل خلاصة الغذاء الى الكبد تتحول فيها الى دم مخلوط بالصفراء والسوداء ، والماء الزائد

(١) فالأولى من أسقاه - وهى لغة حمير - والثانية من سقاه - وهى لغة قریش - وقيل هما لغة واحدة وتستعمل أسقاه بمعنى اعد له ما يشربه ، وسقاه بمعنى أوصل الشراب الى فمه .

(٢) الكرش بكسر الكاف وسكون الراء أو بوزن كتف ، وهى للماشية كالمعدة للانسان ، وهى مؤنثة : ١ هـ قاموس .

العناصر الأساسية في تكوين
الانسان والحيوان ، وبث الحرارة
والدفء في جسده ، بما حواه من
البروتينات والمواد الدهنية
والسكرية

ونظرا الى أن الدم هو الأصل
في تكوينه ، فان الحالب اذا بالغ
في حلب اللبن لاستخراج كمية
كبيرة منه ، فربما لا يسعفه الضرع
بتحويل الدم الى مطلوبه الكثير من
اللبن ، فلهذا ينزل الدم دون أن
يتحول الى لبن ، فينبغي للحالب
التوسط وعدم اجهاد الضرع .

ويعتبر اللبن غذاء كاملا ، فلو
اقتصر عليه أحد وشرب منه ما يكفي
لم تسقط قوته ، وقدامى الأطباء
يعتبرونه الغذاء الثالث بعد اللحم
فالبيض ، ومن كان مريضا
بالروماتيزم واقتصر على تناوله
صباح مساء ، فانه يبرأ من مرضه ،
وقد جرب ذلك صديق لى فشفاه
الله ولم يعاوده هذا المرض حتى الآن

الضرع هي البطون التي يخرج منها اللبن

قد علمت مما سبق عمل الضرع
في صنع اللبن بما أودعه فيها الحكيم

عن حاجة الجسم المشتمل على
أخلاط ضارة به لو بقيت فيه ، فأما
الصفراء فتذهب الى المرارة ، وأما
السوداء فتذهب الى الطحال ، وأما
الماء فيذهب الى الكليتين ، ليتحول
فيهما الى بول ينزل منهما الى المثانة
عن طريق الحالبين ، ثم يخرج من
المثانة الى الخارج من مخارجه عند
ارادة التخلص منه

عمل الكبد بعد صنع الدم وتنقيته
وبعد أن حولت الكبد خلاصة
الغذاء الى دم ، وقتت منه ما يضر
بالجسد ، وبعثت به الى مخارجه
تدفع الدم النقي الى القلب ،
ليدفعه بدوره في الشرايين الى
أنحاء الجسم المختلفة ومنها الضرع

ضرع الماشية وعمله

والضرع لحم غددى اسفنجى
أبيض ، أعدته العناية الالهية بحكمة
وتدبير عجيب ، ليكون مصنعا
لتحويل الدم الى لبن نقي خالص
سائق للشاربين ، فلا تجد فيه
شائبة من رائحة الفرث ولا لون
الدم بل هو شراب شهى هنىء
لذيذ الطعم ، مشتمل على كل

الأغذية الى كروشها ، سكبت
الأوعية الهاضمة عليها عصاراتها ،
فاذا استحالت الى طعام هضيم ،
امتصت خلاصته أوعية خاصة أودعها
الله جهازها الهضمى ، وذهبت بها
الى الكبد ، حيث تستخلص منها
الدم الشريانى ، وتبعث به الى القلب
وترسل ما فيها من الصفراء الى
المرارة ، وما فيها من السوداء الى
الطحال ، وما فيها من الماء الزائد
والنفايات الضارة الى الكليتين

فأما الدم الشريانى الذى يذهب
الى القلب ، فانه يدفعه الى أنحاء
الجسم المختلفة ، لتغذية وتعويض
ما تلف منه ، وامداد أجهزته بما
يجعلها تؤدي وظائفها ، وفى جملتها
ضروع المروضات من الأنعام ، فانه
يدفع اليها حاجتها من الدم آنا بعد
آن ، فتقوم تلك الضروع بتحويل
الدم الذى يصل اليها، الى لبن نقى،
لا أثر فيه من ريج الفرث ولا من
لون الدم ، ولا من أى شئ استكره

الخير من الخصائص والافرازات
التي تحدث هذا التحول البديع ،
وهذه الضروع هى البطون التي
قال الله فى شأنها « نسقيكم مما فى
بطونه من بين فرث ودم لبنا »^١ الخ
فان فى باطنها الجهاز الذى أعده
الله لصنع اللبن ، فاذا خرج اللبن من
هذه الضروع ، فقد خرج من أجهزة
باطنية مستورة عن العيون ،
والمقصود من سقيهم اياه منها من
بين فرث ودم أن تكوينه مر بهما
على النحو الذى سبق بيانه ، ولم
يتأثر بهما فى طعم أو لون أو ريج ،
بل جاء على هذا النحو العجيب من
النظافة والرائحة المحببة ، والطعم
اللذيذ ، فتبارك الله أحسن الخالقين

المعنى الاجمالى للآية

وان لكم أيها المكلفون لعظة
كبيرة فى الابل والبقر والغنم والمعز،
حيث انها تأكل الحب والنوى
والعشب ، وغير ذلك من طعامها
رطباً أو يابساً ، حتى اذا وصلت

(١) ضمير بطونه عائد على الأنعام باعتبار الجنس فهو والنعم شئ واحد
كما قال الكسائى ، وذكر هنا فانت فى سورة المؤمنون ، لأن التذكير
يرجع الى معنى الجمع والتأنيث يرجع الى معنى الجماعة كما
قاله ابن العربى - ولهم تأويلات اخرى وحسب القارىء ما ذكر .

والحيوان يعتبر أعظم معمل كيموى فى العالم - كما ذكره الدكتور موريسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك (سابقا) فى كتابه (العلم يدعو الى الايمان) ترجمة محمود صالح الفلكى وكيل وزارة المالية والاقتصاد (سابقا)

نعم أخرى فى لبن الانعام

ولقد عرضت الآية فى العبرة فى الأنعام الى نعمة اللبن مشروبا لأنه أساس ما عداه مما يستخرج من اللبن ، ولأنه أول ما يخرج منها من بين فرث ودم ، وتركت التحدث فى بقية نعم الله فيه الى تجارب الانسان وابتكاراته فى استعماله ، فكم فيه من نعم ومتعة فى غير شربه ، فمنه نصنع الجبن المختلف الأنواع والطعوم ، ونستخلص الزبد الشهى ونحوه الى سمن صالح للتخزين والاستعمال فترة طويلة ، وبه نصنع أصناف الحلوى الرفيعة على اختلاف أنواعها وطعومها اللذيذة ، فلا تجد نوعا منها الا مخلوطا باللبن ، أو ممزوجا بزبد أو سمنه .

وبالجملة فمن تدبر فى بدائع

منهما ، بل تراه خالسا من شوائبهما الكريهة ، سائغا هنيئا للشاربين ، لا يغص به شاربه ، ولا يمله متناوله فما أعظم قدرة الله ، وما أغزر رحمته ، وما أبلغ حكمته ، وما أحكم تدبيره ! لقد تم ذلك كله دون علم ولا ارادة من الحيوان ، ولا تدبير من الانسان ، بل هو تدبير من (أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) أليس فى ذلك عظة لأولى الأبصار ، وعبرة لمن يريد الاعتبار ؟ أليس ذلك برهانا على وجود اله حكيم وقادر عليم ورحمان رحيم ؟ فسبحانك يا أرحم الراحمين .

ألا وان الابداع فى اعداد الأغذية للجسم لا يقتصر على هذا القدر المجل ، بل هو شىء لا يتصوره العقل ، ولا يفى بعظمته البيان ، فقد أعد الله فى الجسم بلايين الخلايا لتحويل الأغذية الى عظام وأظافر ولحم وشحم وأسنان، فتعد لكل نوع ولكل جزء من الغذاء ما يناسب بناءه وتكوينه دون خلل أو خطأ ، وبالجملة فان الجهاز الهضمى فى الانسان

به حيث تحفظ لنا حرارة أجسامنا ،
وتدفع البرد عنا فى فصل الشتاء ،
حين نصنع من أصوافها وأوبارها ثيابا
وأغطية وفرشا ، وكل ذلك له أثره
البليغ فى توفير الحرارة فى الاجساد
والدفء فى البيوت ، كما خلق
فيها منافع كثيرة غير ذلك ، كالحرث
وإدارة النواضح ، ودرس الحاصلات
الزراعية ، وكصناعة الحقائب
والخيام من أصوافها وأوبارها
وأشعارها وصناعة الأحذية والفراء
من جلودها

ومن الأنعام نأكل اما بتناول
لحومها طبخا أو شواء ، واما
بتأجيرها والتعيش من أجورها ،
واما يبيع تتاجها أو يبيعها بعد
تسمينها ، ثم ذكر الله نوعا آخر من
منافعها فقال :

« ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون (٦) » أى وكما
خلقها لمنافعنا المادية ، فقد جعل لنا
فيها جمالا تتمتع به النفوس وتسريح
له القلوب ، حيث نرى فيها جمال
التركيب ، وتناسب الأعضاء وتعدد
الألوان أو اتحادها ، وسلاسة
القياد ، وسرعة الامتثال ، والعدو

صنع الله فى الألبان ، حيث بدأ
مسيرة تكوينها بخلق الأغذية
اللائقة بالأنعام واعداد مقارها
والأجهزة الهاضمة لها ، وخلق
الضروع التى تصنعها بعد وصول
الدم اليها ، وأعانها على أداء وظيفتها
وهداها الى وقت قيامها بها والفراغ
من درها وإفرازها - من تدبر كل
ذلك بعقل رشيد وقلب شهيد ،
اعترف بكمال قدرة الله وحكمته ،
وتناهى رأفته ورحمته ، وأن يردد
نحو ما يقوله الشاعر :

حكم حارت البرية فيها
وجدير بأنها تحتار
وصدق الله تعالى اذ يقول « ان
فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »

تعدد ذكر الانعام فى سورة النحل

وقد ذكرت الأنعام فى سورة
النحل عدة مرات ، ايدانا بجليل
نعم الله فيها وتعدد منافعها ، ومن
ذلك قوله تعالى فى أوائلها « والأنعام
خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تأكلون » °

أى أنه تعالى خلق هذه الأنعام
التي تقدم بيانها فيها ما نستدفع

« وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم (٧) »

أى وخلق الأنعام لتحمل أثقالكم من متاع وطعام وكل ما يثقل على الانسان حمله ، تحملها الى بلد لم تكونوا قادرين على بلوغه الا بمشقة الأنفس وتعبها وتهافت قوتها ، وحمل بعضهم الأثقال على ما يعم الأبدان والأولاد والأحمال ، وشمولها للانسان مأخوذ من قوله تعالى « وأخرجت الأرض أثقالها » وهو رأى طيب موافق للواقع ، وهذه المزية خاصة بالابل ، وبالجمله فان فى الأنعام مزايا مشتركة كاللبن والدفء والأكل وكثير من المنافع ، وتختص البقر بالحرث والابل بحمل الأثقال غالبا ، ويصنع من جلودهما بيوت متنقلة ، كما يشير اليه قوله تعالى فى سورة النحل « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها

السريع رغبة فى مطلب أو هربا من مهرب ، ونحو ذلك من أصناف الجمال الذاتى أو الخلقى

وحمل بعضهم الجمال فيها على التزين بها فى أعين الناس والوجاهة لديهم (١) ، والمعنى الأول أولى من الثانى فان الاول هو اللائق بتواضع المؤمنين المومنين ، أما الثانى فانه قد يحمل على الخيلاء وينتهى الى الكبرياء

وتقييد الجمال بقوله « حين تريحون وحين تسرحون » ليس الغرض منه أن جمالها مقصور على وقت الراحة آخر النهار - حيث يردها أصحابها من مراعيها الى مرايحها - ووقت الروح أول النهار - حين يخرجون بها من حظائرها الى مسارحها ومراعيها ، بل لأنه يكون أكثر ظهورا فى هذين الوقتين منه حين عودتها من رحلة مكدودة فيها ، أو من عمل أجهدت فيه . ثم ذكر فضلها فى الأسفار البعيدة فقال عز من قائل :

(١) ويقول اصحاب هذا الراى : ان هذا الجمال والتزين وان كان من متاع الدنيا ، فقد أذن الله فيه لعباده بهذا النص ، كما قال صلى الله عليه وسلم « الابل عز لاهلها ، والغنم بركة والخيل فى نواصيها الخير » خرجه ابن ماجه فى السنن .

بزواجره ، واحذر شهواتك فانها
سفينة الردى ، واحذر أصدقاء
السوء فانهم شؤم عليك ، واعلم أن
أجلك مستور عليك وأملك خادع
لك ، والشيطان لاصق بك ، يزين
لك المعصية لترتكبها ، ويعينك التوبة
لتسوفها ، حتى تهجم منيتك عليك
أغفل ما تكون عنها فيالها من حسرة ،
على ذى غفلة ، أن يكون عمرك
عليك حجة ، وأن تؤدبك أيامك الى
شقوة • وأسأل الله لى ولك برد
اليقين ، ولذة المتقين وطمأنينة
الصالحين ، ورضوان رب العالمين

مصطفى محمد الطير

يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن
أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا
ومتاعا الى حين » ٨٠

وبعد فقد علمت مما تقدم أصنافا
من نعم الله وآياته ، ومن حقه تعالى
أن تشكره على هذه النعم بكمال
الايان به ودوام الطاعة له ، وتقواه
فى السر والجهر ، واليسر والعسر ،
وأن تتوب اليه من ذنوبك انه كان
توابا ، وتستغفره من أوزارك انه
كان غفارا ، وعليك بدوام قراءة
القرآن والاتعاظ بعظاته ، والادكار

« وصية اعرابية لابنها اراد سفرا »

أى بنى ! اياك والنميمة ، فانها تزرع الضغينة ، وتفرق بين
المحبين ، واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وخليق الا يشب
الفرض على كثرة السهام ، وقلما اعتورت السهام غرضا الا
كلمنه ، حتى يعى ما اشتد من قوته ، واياك والجود بدينك ،
والبخل بمالك ، واذا هزرت فاهزر كريما يلن لهزتك ولا تهز اللئيم
فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ومثل بنفسك مثال غيرك ، فما
استحسننت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك
فاجتنبه .

لاخمور ولا فجور ولا ربا

بل جو إسلامي طاهر مطهر

للأستاذ أحمد حسين

ان أشد ما غرق فيه المسلمون من
"وهم" وخطأ ، هو تصورهم ان
الحياة العصرية والتقدم ، تعنى الخمر
والفجور والربا ، ولم يتصوروا أبدا
أن ذلك كله لا يعنى تقدما ، بل ردة
الى الوراء ، وانسلاخ من المدنية
والحضارة ، فانتشار الخمر
والفجور وعلى رأسها الزنى والتعامل
بالربا ، كان من أخص خصائص
الجاهلية ، ولو نظرنا الى القرآن
نظرة مادية بحتة لكنا أمام وثيقة
تاريخية... تحدثنا عن أحوال سيطرت
على الجزيرة العربية منذ ألف
واربعمائة سنة ، ولم تكن هذه
الأحوال السائدة الا انتشار الخمر
والفجور والربا ، فكان الزنى على
سبيل المثال ، نظاما اجتماعيا معترفا
به ، فكانت الزواني يعلقن راية على
خيامهن ، ليعلم من لم يكن يعلم

ذلك عنوان يبدو انه باحدى
الصحف السيارة ، أليق ، ذلك أن
مجلة الأزهر ، قد ارتقت فى ظل
رياسة تحريرها الجديدة ، الى ذروة
لم تصل اليها من قبل ، فأصبحت
عامرة بالابحاث والدراسات المتعمقة
بما لا يوجد فى أى مجلة علمية
أخرى متخصصة أو غير متخصصة،
وسوف أكتب بالفعل ان شاء الله
فى هذا الموضوع فى الصحف
اليومية ومع ذلك ، فقد أردت أن
أبدأ من الأزهر حامى حمى الاسلام ،
لا فى مصر وحدها ولكن فى كل
العالم الاسلامى ، فقد استقر رأى
أخيرا على وجوب سيادة التشريع
الاسلامى فى مصر ، وأرى أنه
يجب ، أن يصاحب هذا أو يسبقه
جو اسلامى عطر طاهر مطهر ، من
الأرجاس الذى غرقت فيها الانسانية ،

وبالتالى امريكا تعرف فى هذه الفترة الفجور ، واذا كانت تعرف الخمور ففى دائرة محدودة يهيمن عليها ضبط النفس ، وكان الشكر يعتبر خطيئة وجريمة ، وفى ظل ما اعتبروه حضارة أوروبية ، وهو ليس فى حقيقته الا الأخذ ببعض التعاليم الاسلامية ، وقد حققت أوروبا كل ما حقته فى هذه الفترة، غير انهم سمحوا لليهود بأن يتغلغلوا فى حياتهم الفكرية والثقافية والمالية ، فكان أن تفذوا فيهم مخططاتهم ، التى تهدف الى تفكيك شعوب العالم ودفعهم نحو الانحلال والتدهور ، لبقى اليهود وحدهم هم المترابطون والمتكاتفون ، فيسهل عليهم السيطرة على العالم ، فكانت الثورات والحروب ، وفرض النظام الرأسمالى ، ونقيضه الشيوعى ، وكلا النظامين يهدفان لغرض واحد وهو هدم الوشائج الانسانية ، واحلال الكراهية والصراع بين الطبقات ، بدلا من الحب والتعاطف والتعاون ، ومن خلال ذلك زحف الصهيونيون على فلسطين فاحتلوها وشرعوا يغيرون

انهم بغايا وبائعات هوى ، وكان الكافة لا يرون حرجا فضلا عن اثم، فى ممارسة الزنى ، وكل ما يهمننا ان نقرره ، ان الفجور والخمور والربا ليست بالأمر العصرية ، ولا هى آية التقدم والتمدن ، وانما هى قديمة قدم الزمان ، وهى قد سبقت الحضارات والمدنيات ، فغير صحيح اذن الزعم بأن الفجور والخمور والربا هى آية التقدم فضلا عن الحضارة .

زوال الحضارة الاوربية والامريكية !

ويتصور أقوام أنه ما دامت هذه الآفات الثلاث « الفجور والخمور والربا » سائدة فى أوروبا وأمريكا، فهذا هو الدليل على أنها من مقتضيات المدنية ، ومهمة هذا المقال أن يبدد هذا الوهم ، فأوروبا لم تنهض الا فى القرون الثلاثة (من السابع عشر الى التاسع عشر) . ففى هذه القرون الثلاثة أحرزت أوروبا ما أحرزته من انتصارات ، وفتحت واستعمرت واكتشفت ، ولم تكن أوروبا

الامريكية من الحرب العالمية الثانية وهى بدورها تتصور نفسها أقوى قوه فى الدنيا ، فاذا بها تنهزم هزيمة مخزية أمام دولة أسيوية صغيرة ، هى فيتنام ثم لا تقوم بعد ذلك للولايات المتحدة قائمة ، ذلك انه متى سلط هذا الثلاث الشيطانى « الخمور والفجور والربا » فذلك يعنى تدهور المجتمع وانحلاله اذ يصبح أفراد عبيد شهواتهم ، عبيداً للمال •

نهوض العالم الاسلامى :

والذين تتبعوا مقالاتى على صفحات مجلة الأزهر يعلمون اننى من المؤمنين بأن التاريخ قد دار دورته بسرعة ، فشرعت شمس الحضارة والمدنية ، تغرب فى الغرب ، لتشرق من جديد فى الشرق، وما العالم الاسلامى الا قلب هذا الشرق ، حقا ان اوربا وامريكا لا تزال لديهما قدرة على عمل الآلات والسلاح، ولكن ذلك هو ثمرة عمل الأمس ، وكذا الأمس فضلا عن تضحيات فالنتيجة محتومة بل ومحقة •

على العرب بمساعدة أوروبا وأمريكا تصوراً منهم جميعاً ان الدنيا قد دانت لهم ، ونسوا ان الدمار كان قد دب اليهم فى ظل ما نشره اليهود فى صفوفهم من خمور وفجور وربا ، وبدأ القرن العشرون يشهد تدهوراً أوروبا وأمريكا ، وطبعا لم يشعر بذلك المسلمون ، ولم يشعر بالأكثر أصحاب الشأن من أوروبيين وأمريكان ، متصورين ، ان خروج البلد أو ذاك ، أو هذه الكتلة من الدول ، منتصرة فى هذه الحرب هو كل شيء ، حيث هو نصر مادي بحت، لا يمثل كبير شيء ، وليس أدل على ذلك ، من أن انجلترا التى خرجت من الحرب العالمية الأولى أقوى قوة عسكرية فى العالم لم تستطع أن تثنى ارادة الشعب المصرى الذى هزم ارادتها ، وأكملت الحرب العالمية الثانية ما بداته الحرب العالمية الأولى ، وانهارت الامبراطوريات الأوروبية ، وكان أكثرها انهياراً أعظمها قوة، وأعنى بها الامبراطورية الانجليزية •

امريكا وفيتنام :

وخرجت الولايات المتحدة

وليس السلاح ، ولا الآلات
بالذين يشكلان حضارة •

الذى يحدث على امتداد العالم
بشتى الصور والأشكال •

وانما تقوم الحضارة على الايمان
بالله والتشريع السماوى الذى يصونه
ضمير الفرد والجماعة ، وعلى
الأخلاق والسلوك وجوهرهما العدل
فى معاملة الآخرين ، وكبح الشهوات
فى مواجهة النفس ، وأكل الربا هو
اهدار للعدل بالنسبة للآخرين
وشيوع الخمر والفجور هو
اطلاق للشهوات والغرائز •

ومن هنا قلنا : ان على العالم
الاسلامى ان يستعد وأول خطوة فى
سبيل الاستعداد هو الكف عن
كل ما يجىء من أوروبا من عادات
وتقاليد وأفكار فى الاجتماع أو
الاقتصاد أو السياسة ، فضلا عن
الأخلاق والسلوكيات التى أصبحت
كلها يهودية تهدف كلها لدمار
المجتمع •

على العالم الاسلامى ان يستعد :

ان فرصة العالم الاسلامى ،
أصبحت سانحة وشكراً لأعداء
الاسلام ، وعلى رأسهم الصهاينة
فقد أحسوا بنهضة العالم الاسلامى
قبادوا يحذرون من يقظة المسلمين،
ولن يستطيعوا ولو تكاتف أعداء
الاسلام جميعا أن يوقفوا هذه
اليقظة ، وغنى عن البيان أن ما دفع
الى هذا التحذير هو أحداث
ايران ، ونحن من ناحيتنا لا نرى
فيها الا نصراً للاسلام والمسلمين ••

وعلى العالم الاسلامى ، أن يلوذ
بقيمه وعاداته وتقاليده التى تكونت
على ضوء تعاليم الاسلام من ذلك
على سبيل المثال •• عدم شرب الخمر
أو تداولها وبيعها وشراؤها ، ويكفى
لكى نظهر عظمة الاسلام وعمق
تأثيره على معتنقيه •• أن نذكر ماذا
فعلت أمريكا لتحريم الخمر فى مطلع
هذا القرن •

امريكا والخمر :

لقد أدرك مفكرو الولايات المتحدة
الامريكية وقادتها فى مستهل هذا
القرن ما فى تعاطى الخمر من أثر
مدمر على المجتمع ، ليس فقط من

فأين ذلك من الاسلام :

وما عليك الا أن تقارن ذلك ،
بما هو عليه الحال بين المسلمين ،
حيث لا تكاد نسبة من يشربون
الخمير تصل الى نصف في الألف
ولم تصل هذه النسبة الى هذا
القدر الذى يمكن اهماله حسابياً
الا فى ظل الاستعمار الأوروبى
للمسلمين .

ومع ذلك ، فقد ظل الأمر
محصوراً فى المدن ، وبين قفر من
الناس تصوروا أن التمدن هو فى
تقليد الأوروبيين ، أما الآن وقد
زال الاستعمار وأوروبا وأمريكا
يتدهوران ، فقد أصبح على المجتمع
الاسلامى أن يلوذ بقيمه التى أثبتت
القرون أنها سر نجاحه وعلى رأسها
« حظر شرب الخمير » .

ولا فجور :

كما يجب أن يتطهر وجه المجتمع
المصرى « لأنه وجه الاسلام » من
كل مظاهر الفجور ، والفجور
باعتباره فساداً وشرّاً ، لا يمكن
استئصاله من أى مجتمع لأنه جزء

حيث تأثيره على الصحة العامة ،
ولكن من حيث تشجيعه على
الجريمة والعنف الذى أصبح سمة
من سمات المجتمع الأمريكى ،
وأصدرت الدولة تشريعاً لحظر
الخمير ، وشحذت الدولة كل
امكانياتها وأجهزتها وأسلحتها
لتطبيق هذا الحظر ، فكانت
النتيجة هى الفشل ، والفشل التام
الساحق الماحق ، اذ ادى حظر الخمير
فى امريكا ، الى عكس المقصود
منه تماماً ، فقد ازداد الخطر على
الصحة العامة ، اذ أصبح الناس
« من شاربى الخمير » يشربون
خمراً مغشوشاً ، أو يصنعونه
بأنفسهم داخل بيوتهم ، أما من
حيث الجرائم واصطناع العنف ،
فقد تضاعف ذلك عشرات المرات ،
وقامت دولة عصابات مهمتها تهريب
الخمور وصنعها ، وقتل كل من
يحول دون ذلك أو رشوته كبيراً
ما كبر شأنه ، وهكذا تضاعفت
المفاسد ، مما اضطر الدولة وأنفها
راغم أن تعيد السماح باطلاق
الخمور تداولاً وشرباً وبيعاً وشراءً
ومُصنعاً .

الرد : فليكن ، ولكن مصر المسلمة
لا يمكن - أبدا - أن تعترف
بالزنى كأمر مشروع •

وهذا هو عين ما يجب ان يقال
اليوم لكل مظاهر الخلاعة
والانحراف والمجون ، ولعب القمار ،
ومزاولة البغاء مما يندرج تحت كلمة
« الفجور » فالقول بأننا اذا منعنا
هذه المظاهر في العلن فسوف
تتضاعف وتصبح أشد خطرا في
السر ، ومرة أخرى •• لا يعيننا هذا
الزعم ، بفرض صحته « وهو غير
صحيح » •

ولنا في ذلك الحديث الشريف :
« اذا بليتيم فاستتروا » •

حكاية السياحة وزيفها :

ومن الامور التي أصبحت تتردد
بكثرة - وهي من الأكاذيب
والمغالطات الشائعة - القول بأن
التشجيع على السياحة يتطلب أن
نوفر للسائح ما اعتاده من حياة
اللهو والفجور والا بحث عن
متعة في مكان آخر ، وليس ذلك
الا أثرا من آثار الماضي ، عندما

من الحياة ، فكما أنها تتألف من
النور والظلام ، فهي تتألف كذلك
من الخير والشر ، فعندما نقول
ان المجتمع يجب أن يتطهر من
الفجور ، فنحن لا نعني بحال
القضاء عليه فذلك مستحيل لأنه
جزء من طبيعة الحياة ، وانما الذي
نعنيه هو أن تكف الدولة والمجتمع
على اعتباره من الأمور التي يمكن
لأى سبب من الأسباب ، ولو في
أضيق الحدود وقصره على أماكن
معينة ، فكل ذلك من قبيل
« المجاهرة بالمعاصي » وهو ما يدمر
المجتمعات تدميرا ، وأبناء الجيل
الجديد قد لا يعرفون مثلا •• أن
ممارسة الزنى في مصر عن طريق
المومسات والبغايا ، كانت تجارة
مشروعة في مصر ، وكانت الحكومة
المصرية « بأوامر الانجليز طبعا »
كانت تعطي رخصة لمزاولة العهارة ،
فعندما قمت واخواني فحارب البغاء
الرسمي ، كانت الحجة التي تشهر
في وجهنا « على الدوام » هي القول
بأننا اذا ألغينا البغاء العلني ،
فسوف يتحول الى سري ، فيتضاعف
خطره ، ولم نكن نتردد لحظة في

الناس ، وقد سارت البشرية بهذا الأسلوب ألو ف السنين ، فباطلة هذه « التركية » التى نجح اليهود فى اقناع البشر بها ، من وجوب الربا ، حيث لم يستفد منه الا اليهود فقط ، فأصبحوا ملوك المال فى العالم ، ولم يصلوا الى ذلك الا من خلال للربا •

وبعد :

فانتى لن أمل ولن أسأم من دعوة العالم الاسلامى الى النهوض ليقود العالم ، ولن يكون ذلك بالسير فى ركاب أوروبا وافكار أوروبا ، ولكن بالعودة الى الشخصية الاسلامية ومقوماتها من التعاليم الاسلامية ، ولما كان من هذه التعاليم اطلاق اللحية ، ونحن هنا فى مصر لم نحلق لحانا الا منذ الاستعمار البريطانى وتقليدا لأوروبا ، فقد هدانى الله « وله الحمد والشكر » لأطلق لحيتى ، وان كنت أدهش لشيء ، فهو تأخرى فى فعل ذلك حتى الآن ، وليس يعزىنى الا أن كل شيء يتم عندما يشاء الله والحمد لله أولا وآخرا •

كان العالم الاسلامى قد انصرف عن حضارته وأصبح تابعا ذليلا لأوروبا • أما اليوم وقد نهض العالم الاسلامى وأصبح من مسؤولياته أن يقود لا أن يقاد ، فيجب أن يظهر بوجهه الحقيقى بكل حضارته الاسلامية البناءة ، حيث لا خمور ولا فجور ولا ربا ، ان السائح الأجنبى ، سوف يأتى اضعافا مضاعفة ليشهد ، ما يتصور استحالاته ، ولكن الاسلام جعله ممكنا ، والسائح يريد تغييراً فى حياته ، وأى تغيير أعظم من أن يتنفس هواء نقيا ويعيش فترة فى مجتمع نظيف طاهر •

ولا ربا :

ولنصل أخيراً الى الركن الثالث من أركان هذه القوة التى تدمر المجتمعات ، والتى نجح اليهود فى اقناع الأوروبيين والأمريكان بها ، وهى أن الحياة العصرية ، لا تستطيع السير - فضلا عن الانطلاق - الا من خلال « الربا » حيث تؤدى المشاركة الى كل النتائج التى تنشط الحياة الاقتصادية والمعاملات ، بين

حقائق سافرة

الأزهر وحرية الفكر

للدكتور محمد رجب البيومي

له ، وقد ثبت له عن يقين أن الأزهر لم يناهضه في شيء ، ولكنه سّود ما سّود وكأن الوهم المتخيل أصبح حقا واقعا ، اذ بلغه - كما ادعى - أن الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى رحمه الله قد اعترض على ما جاء بكتابه (يوميات نائب في الارياف) خاصا برجال القضاء الشرعى ، فاهتبل هذه السانحة دون أن يتأكد من صحتها ثم أدلى بحديث ينعى فيه على الأزهر تدخله المتكرر فيما سماه بشئون الفكر ، وكأننى بالفارس المضطهد وقد سره أن يظهر في صورة المدافع عن الحرية فاندفع الى رد الهجوم المتخيل ليعلم الناس أنه أحد ضحايا رأى الحر ، والفكر الجريء ، وقد شاء أن يقرن الاسلام بالمسيحية ، والأزهر بالكنيسة ، كما

أراد الأستاذ توفيق الحكيم أن يجمع مآلديه من خطابات شخصية وقصاصات صحفية فى كتاب خاص يكون شاهدا على جهاده الأدبى فى عمره الحافل ، فأصدر ما سماه (وثائق من كواليس الأدباء) وللأستاذ أن ينشر ما يشاء ، ولكن ليس له أن يجبر الناس على أن يفهموا الحقائق على غير وجوها الصحيحة ، كما يلوح ذلك فى كثير مما كتب ، اذ شاء أن يجعل نفسه نصيراً للحرية والفكر ، وهو ادعاء سنعرف مقدار حقيقته فى نهاية هذا المقال ، وقد كنت أؤثر أن أغضى عنه لولا أنه تحرّش بالأزهر فى صفحات من كتابه ، تحرشا لا يستند الى واقع قائم ، فندد بما زعم من تدخله المتكرر فى شئون الفكر مستندا الى وهم لا أساس

يفعل أعداء الاسلام ظلما دون عدل ، فقال في حماسة :

« وقد آن الأوان لنواجه الأمر في صراحة فيما يتعلق بتدخل الأزهر المتكرر في شئون الدولة الفكرية ، وأن تتدبر من الآن الخطر الذى يهدد حرية الكتابة ، وخطر التأليف ونهضة العلوم اذا سيطر على الحياة الفكرية فى هذا البلد العصرى بمثل هذه الروح ، فالمعروف عن ظلام القرون الوسطى أن الكنيسة كانت هى التى تتحكم فى عقول المفكرين مما أدى الى شل حركة العلوم والفنون ، فلما جاءت عصور النور ، وتم فصل الكنيسة عن الدولة استطاعت الحضارة أن تزدهر هذا الازدهار الذى يسود العالم اليوم ، فلاشك اذن عندي أن مستقبل مصر متوقف على ضمان حرية العقل والأفكار الضرورية لكل نهضة حقيقية »^١

وقد توالى الصفحات فى كتاب الأستاذ الكبير لتثبت له الحقائق أن الأستاذ الأكبر لم يتدخل فى

شئ يتعلق بكتابه ، وكان عليه بعد ذلك أن يرفع هذه الصفحات الظالمة من الوثائق لأنها بنيت على افتراء باطل ، ولكن الكاتب أثبتها فى اصرار ، ثم نسى أنها دعوى كاذبة فقال فى نهايتها معقبا « هذه الأحاديث والأخبار المنشورة فى صحف ذلك العهد تتعلق بأزمة الحياة الفكرية التى تعرضت لها لما رأيت من خطورتها على نهضتنا العقلية »^٢

وقارىء هذا الكلام يظن أن الأستاذ قد تعرض حقا لأزمة فكرية ، كما يظن أن الحياة الفكرية فى مصر بنوع عام قد تعرضت لهذه الأزمة بسبب تدخل الأزهر !! وكل ذلك خطأ لا يقوم دليل واحد على صحته لدى من يزنون الأشياء بميزانها الصحيح ، ولا نجب أن نمضى بالحديث الى آفاق شاسعة تخرج بنا عن نطاق الأستاذ توفيق الحكيم الى سواء ، بل نجب فى هذا المقال أن نبين أن الأستاذ توفيق الحكيم تحرّش بالأزهر فى

(١) وثائق من كواليس الأدباء للأستاذ توفيق الحكيم ص ١٢٠

(٢) وثائق من كواليس الأدباء للأستاذ توفيق الحكيم ص ١٢٩

مناسبات كثيرة دون أن يكون صاحب حق في هذا التحرش ، كما نحب أن نذكره ببعض ما نسيه من بطولة الأستاذ الأكبر في مواجهة العدوان المحتل بجبروته وطغيانه ، ليعلم من المدافع الحقيقي عن الكرامة الانسانية في ميدانها الأصيل - :

١ - يقول الأستاذ توفيق الحكيم ص ١٢٠ « ان الانتصار الذي تم (للأزهر) في حظر كتاب (جان دارك) قد شجع على الاستمرار في هذه الخطئة » ، ولكي يكون القارئ على بينة من موقف الأزهر الصائب من قصة جان دارك وموقف الأستاذ توفيق الحكيم المخطيء منهما نوجز الحديث عنها فيما يلي :

لقد قررت كلية الآداب منذ أربعين عاما تدريس قصة جان دارك لبرناردشو الكاتب الانجليزى الذائع ، فقرأها الطلاب ورأوا في بعض ما جاء بها من الحوار على لسان أحد الأشخاص طعنا في نبى الاسلام ، فتحمس الطلاب المسلمون

لكرامة نبيهم العظيم ، وطالبوا المسؤولين بعدم تدريس القصة ، وكتبوا عن ذلك في الصحف ، فاهتم وزير المعارف بالأمر ، وتحدث كبار علماء الأزهر يؤيدون الطلاب وفي طليعتهم الامام المراغى والأستاذ عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين ، ولكن الأستاذ توفيق الحكيم شاء أن يدعى الغيرة على الحرية - حيث لا خوف على حريته هو من أحد فكتب ينتقد الطلاب الذين ثاروا لكرامة نبيهم ، والأزهر الذى قام بواجبه في تأييد الطلاب ، وقال فى ادعاء غريب بعد أن تساءل فى دهشة عن فرع الطلاب ١

« ان الكتب التى عالجت المسيحية وتعرضت للمسيح بالظعن والتجريح تطبع وتشر فى أوروبا المسيحية دون أن يخشى أحد على كيان المسيحية ، ذلك أن الجميع يعلمون أن الأوان قد فات للخوف من مثل هذه الصيحات ، وأن المسيحية التى عاشت عشرين قرنا لا يهدمها عشرون كتابا ، كذلك نستطيع أن نقول فى الاسلام أن

هذا الدين المتين الذي عمر نحو أربعة عشر قرناً وثبت لأحداث الزمان وشاهد دولاً تدول وعروشاً تزول ، وشعوباً تولد ، لا يمكن أن يتعرض للخطر أمام كتاب يؤلف ، أو عبارات تقال ، أن هذا الفرع منا لأكبر مسبة لدين عريق عميق ، كذلك يدهشني أن ينشأ الفرع في جامعة عصرية ، يؤمها شباب قد قطع مراحل الطفولة والصبا الأول ، وانغرس في قلبه العقيدة الحارة فلا خوف عليه الآن من مناقشة المسائل العقلية في جو الحرية »

هذا ما قاله الأستاذ توفيق الحكيم ، وهو كلام ظاهر البطلان لدى صغار الطلاب ، فضلاً عن أصحاب الأقلام من المفكرين ، وقد تعرض لدحضه أحد طلبة كلية اللغة العربية بمجلة الرسالة حين كتبه الأستاذ منذ أربعين عاماً وهو صديقي الأديب الغيور أحمد عبد الرحمن عيسى ، فسأل الأستاذ في قوة ١ : أى برنامج من برامج التعليم في أوروبا حُتِرَ فيه كتب تظعن في المسيح ، وتجرح سيرته

ثم حُتِرَ على الطلاب في الجامعة وفرضت عليهم فرضاً لتكون من أسس ثقافتهم الرسمية ؟! أن انجلترا حُتِرَ دراسة نظريات علمية بالجامعات احتراماً لشعور الجماهير حين مَسَّت بعض أصول المسيحية ولكنها لم تحرمها خارج الجامعة ، فللكتاب أن يتحدثوا عنها كما يشاءون ، ولكن ليس لأحد أن يقرر على الطلاب ما يفرس في نفوسهم الشكوك ؟! وسؤال الأستاذ الصديق يدل على أن الكاتب الكبير لا يفرق بين تدريس كتاب يُقَرَّر غصباً على الطلاب ، وكتاب يؤلفه إنسان ليقدمه للقراء دون أن تفرضه الجامعة فرضاً دون اختيار ؟! وأزيد على ما كتب الصديق فأتساءل لماذا تكون أوروبا والمسيحية دائماً وجهة الكاتب الكبير في المقارنة ، كما قارن الآن بين الجامعة المصرية وجامعات أوروبا ، وبين المسيحية والاسلام فيما نقلناه عنه ، وكما قارن بين الأزهر والكنيسة في حديثه بالمقطم ؟! أن هذه المقارنة توحى أن الأستاذ يعتقد أن الاسلام

صحيحة ، وتخلوا قبل كل شيء عن عقيدة وجوب تقليد الغرب ، أما الايمان أولا بوجوب تقليد الغرب في خيره وشره ، ثم الزام القارىء بنتائج ما يسمى (البحث) المبني على هذا الايمان فذلك هو هدم حرية التفكير ، والتحكم الذى هو أقرب الى تحكم الكنيسة في القرون الوسطى »

فاذا تركنا ما كتبه الأستاذان الدكتور البهى ، وأحمد عبد الرحمن ، عيسى الى ما كتبه غير الأزهرين فاننا نجد الكاتب الغيور الأستاذ محمد أحمد الغمراوى يفرد للرد على كلام الأستاذ توفيق الحكيم مقالا ممتازا بالرسالة^٢ تحت عنوان (أما لهذا الليل من آخر) قال فيه : ان الذى يقرأ كلام توفيق الحكيم يظن أن الطلبة قد أكرهوا اكرهاها على ترك القصة المقررة ، ولكنهم لم يكرهوا فى شيء بل دفعتهم غيرتهم الدينية من تلقاء أنفسهم الى رفض هذا التهجم وأبلغوا شكواهم الى العميد ، فلم

كالمسيحية ، وأن رجال الاسلام يملكون من التحكم فى المصائر والعواقب مثل ما كان يملك القساوسة فى الكنيسة ، وهى مقارنة تسيء الى الاسلام ، اذ تحمل عليه أوزاراً لم يقتربها حماه ولا تمت الى أصل من أصوله ، وهذا ما عناه الأستاذ الدكتور محمد البهى حين قال فى الرد على دعوى الأستاذ توفيق الحكيم^١

« ان الأزهر لا يطلب سلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ، ولم يطلبه يوماً مئاً ، وانما يؤدى مهمته الروحية فوق مهمته العلمية وهى المحافظة على الأمة وعلى شبابها المثقفين ، وشيخ الأزهر لا يجد من حرية البحث الجامعى اذا ما حاول أن ينزع الأمة من تحكم فئة تدعى لنفسها من الألقاب الثقافية ما تشاء مستغلة جهل الشعب ، وعدم سمو المستوى العلمى فيه » ثم قال الدكتور البهى : « حددوا الألفاظ قبل استخدامها ، وضعوا المقارنة بين نهضات الأمم على أسس

(١) مجلة الأزهر : المجلد العاشر ص ٢٢١ سنة ١٩٣٩ م .
(٢) مجلة الرسالة العدد ٢٩٩ ٣/٢٧ سنة ١٩٣٩ م .

لهم رأى الاسلام فى تقرير حرية الفكر ، وليرد على من يخافون من تدخل الأزهر فى شئون الكتابة كما وهم الأستاذ الحكيم ، فقال رحمه الله من حديث مستفيض^١

« ان الناس فى مصر يخشون خطر الأزهر على الحياة العامة فهم يقولون ان الأزهر اذا قوى واشتدت عزيمته يدخل فى الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة ، اذ يحظر حرية الفكر ، ويقف حجر عثرة فى طريق الأفكار العلمية الحرة ، هذا ما يقوله الناس ، أما الحياة الفكرية فلا أظن بحال أن الأزهر خطر عليها ، لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء ، ومن الأئمة الذين كان عندهم من سعة الصدر ما احتمل هذه المذاهب المتعددة التى نقرؤها فى علم الكلام ، وقد حمى الاسلام أديانا بخالفه ، وحمى علماء الاسلام مذاهب غير صحيحة واجتهدوا فى أن يردوا عليها بالدليل ، فليس الأزهر من المعاهد التى تكره حرية الرأى ولكن الأزهر يكره شيئاً واحداً هو تعمد الاستهزاء بالدين ،

يفعل شيئاً ، فاهتم بالأمر شيخ الأزهر ووزير المعارف ، فاذا كانت هذه قيامه - كما تصور الحكيم - فمن الذى أقامها ؟! أمّن طلب تغيير الكتاب أم من فرض على الطلاب شيئاً يمس جوهرهم الايمانى فلفظوه ؟! وأزيد على كلام الأستاذ الغمراوى فأتساءل هل تضمنت القصة نقاشاً علمياً وتحليلاً فكرياً فيما تعرضت فيه لنبي الاسلام ، أو هو حوار على لسان بعض الاشخاص لم يعن فيه بتقرير الحقائق ؟! فأين الخوف على التقدم العلمى والحرية الفكرية ليس أباً عُذْرَتِهِ ، بل سبقه كل الالباء ؟!

على أن ما يتباهى به الأستاذ الحكيم من الدعوة الى الحرية الفكرية ليس أباعذرتة ، بل سبقه اليه كل مفكر اسلامى درس أصول هذا الدين الحنيف ، والأستاذ المراغى الذى لم يرض الكاتب موقفه من القصة ، ونسب اليه انتقاداً مُفْتَرى على بعض ما جاء فى «يوميات نائب فى الأرياف» قد خطب أكثر من مرة فى طلاب الأزهر ليعلن

شئون الجامعة ليسوا على شيء من الدراية العلمية تؤهلهم لهذا التدخل، وموجز القصة أن أحد الطلاب تقدم لنيل الدكتوراه برسالة تبحث في (الفن القصصى للقرآن) وقد عرضت الرسالة للفحص فرفضها الأستاذان أحمد أمين ، وأحمد الشايب وقال عنها الأستاذ أحمد أمين في تقريره العلمى « وقد وجدتها رسالة ليست عادية ، بل هى رسالة خطيرة أساسها أن القصص فى القرآن عمل فنى خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار ، من غير التزام لصدق التاريخ ، وأن محمداً فنان بهذا المعنى ، وعلى هذا كتبت الرسالة من أولها الى آخرها »^١

ومن حق الأستاذان الفاحصان أن يرفضاً كلاماً يريان بطلانه، ولكن الأستاذ المشرف على الرسالة قد أيد الطالب، ولم ينتظر الحكيم حتى يقرأ الرسالة ، بل أرسل صيحته المضرة فى احترام حرية الفكر ، وخالف الجامعة فيما اتجهت اليه من رفض الرسالة !؟ ومن البدهى أن الجامعة لا تستطيع أن تمنح الدكتوراه

وتعتمد الاستهزاء بأئمة المسلمين ، يكره هذا ، ويكره أن يشكك العامة فى دينهم ، وأن يشكك النشء فى عقائدهم ، أما الآراء العلمية فى حدود العلم ودائرته فانها تدرس فى المعاهد الكبرى دون أن يخطر للأزهر ببال أن يقاومها * .

فاذا تركنا موقف الأستاذ الحكيم من قصة برناردشو وثورة الطلبة فى كلية الآداب على بعض ما جاء بها خاصة بنبى الاسلام صلى الله عليه وسلم الى موقفه من رسالة (القصص الفنى فى القرآن) فاننا نجد المفكر الكبير يتسرع فى مؤاخذه الأزهر ومن ساروا سيره فى معارضة الرسالة دون أن يعرف حدود المسألة ، وكان له فى تسرعة الأول ما يدعو الى التؤدة فى الاعتراض، فقد ظن المسألة مسألة حرية رأى ، لا مسألة فوضى جامعة ، وكان فى تجربته السابقة عبرة عاصمة ، حتى لا يقع فى خطأ يضطر الأستاذ العقاد الى أن يصححه له ، كما يضطر عميد كلية الآداب أن يوضح للجمهور أن الذين يتدخلون فى

ومعنى أنها جامعة حكومية : أن الزامها لطلابها هو الزام يقوم به القانون وتحميه الدولة وليس فيها للطالب أو ولى أمره خيار فليس لأحد أن يطلب من هذه الجامعة أن تجيز دروسا تحتاج الى احتمال تبعة ، وليس له أن يلقي عليها تبعاته وينتظر منها أن تقرها وتزكيها ، وهو يزعم أنه حر فيما يصنع وأنها هى المقيدة أمامه فلا حرية لها ، فى رفض هذا الصنيع .

وقد سبقتنا الى النظام الجامعى أمم كثيرة ، .. فلم نسمع قط أن أحدا تقدم الى جامعة اكسفورد مثلا يبحث فى ميلاد السيد المسيح هل كان مولدا طبيعيا أو كان مولد خارقة واعجاز ؟! ولم نسمع قط أن أحدا تقدم الى جامعة السوربون يبحث فى تدوين الأناجيل ، هل هى، من كتابة الرسل أو كتابة آخرين معلومين أو مجهولين ؟!

والجامعات الانجليزية تدرس تواريخ الأديان وتدرس المقابلة بينها ، فلم نسمع قط أنها أجازت لصاحب رأى أن يطلب منها اقرار

لطالب مخطيء ، فلها الحرية كل الحرية أن تقول للمخطيء : أخطأت، ولكن هذا البديهى ينكره الأستاذ توفيق الحكيم ويسير فى ركب المندفعين باكيا على حرية رأى حتى يضطر الأستاذ العقاد أن يأتى بعصا موسى فتسكت المعارضين جميعا حين قال ١ :

« حرية رأى مكفولة لكل انسان ، ولكن لا حرية بغير تبعة ، فكل ذى رأى مسئول وحده عن رأيه ، وعليه وحده أن يحمل جميع تبعاته وليس له أن يلقي التبعات على غيره ، لأن حريته تنتهى عند انتهاء التبعة التى يحملها باختياره ، فلا اختيار له فى حريات الآخرين ؟! من حق الباحث أن يبدى ما يشاء فى حدود القانون وليس من حقه أن يحمل غيره (يريد الجامعة) على تزكية رأيه وترويجه أو الاذن باجازته ونشره ولاسيما اذ يكون ذلك الغير هيئة رسمية مفروضة بقوة الدولة على جميع أبناء الأمة كالجامعة المصرية وما جرى مجراها فالجامعة المصرية جامعة حكومة ،

ايضاح الحق ودحض الباطل ،
وسكت الأستاذ الحكيم فلم يستطع
الرد عليه في شيء ! وقد أثبت كلام
العقاد أن الذين ينقدون الجامعة
ويتباكون على الحرية الفكرية !
لا يعرفون مهمة الجامعة من ناحية
ولا يعرفون حدود الحرية الفكرية
من ناحية ثانية ، فأولى بهم
السكوت ؟!

وبعد .. فتظاهر الاستاذ توفيق
الحكيم بالحرص على الحرية والغيرة
عليها وتقرير ذلك عن نفسه في
كثير مما كتب وقال ، لم يكن مما
يعنينا أن نكشفه على وجهه الصحيح
لو لم يحاول أن يتنقص من أعلام
كبار ، هم في الحقيقة أنصار الحرية
الحقيقيون ، فالامام المراغي قد
جاهر على رءوس الأشهاد بحياد
مصر في الحرب العالمية الثانية معلنا
أن مصر لا ناقة لها ولا جمل في
حرب الانجليز والألمان ، وقد قامت
الدنيا وقعدت وأبرق السفير
البريطاني وأرعد في وقت كان هو
الحاكم الفعلي بمصر ، فلم يتراجع
الشيخ الأكرم عن قوله ، وحينما

قول من الأقوال يخالف ما تلتزمه
أمام جميع المتعلمين •

الى أن يقول الكاتب الكبير
الأستاذ العقاد : « ليس بعالم ولا
مستحق لأمانة العلم من لا يقدر
ولا يميز بين ما يقرره باسمه ، وما
يطلب من المشرفين على التعليم أن
يقرروه ، وقلما يعينى هنا أمر
رسالة بعينها وانما يعينى توضيح
الحد الفاصل في مسألة الحرية ،
وهو حد منسى على ما نرى في
حسبان بعض المبتدئين ، بل بعض
الأدباء المعدودين ؟!

ولو لم يكن هذا الحد محتاجا
الى التذكير في مرحلتنا هذه من
الحياة الفكرية لما رأينا رجلا
كصديقنا الأستاذ توفيق الحكيم
ينساه وهو ينقد الجامعة المصرية
لأنها رفضت تبعة تلقى عليها ،
وليس من حقها أن تقبلها باسم
الدولة ، وليس من مقتضى رفضها
أن تحول بين طالب من الطلاب ،
أو مدرس من المدرسين وبين اعلان
ما يراه بغير واسطتها اذا شاء »

بلغ العقاد فصل الخطاب في

كتابه (عودة الوعي) لينتقد من دعا الى اقامة تمثال له ظانا أن من جاء بعده سيحذو حذوه ، حتى اذا انكشف المستور ، صاح صاحبنا : لقد عاد الوعي ! ومضى يجمع قصاصات من الصحف تحمل تعريضا أليما بزعيم من زعماء الكرامة والرجولة والحرية الحقيقية !؟ ولم يسأل نفسه : أين العصا من السيف ؟ وأين المنجل من الحسام ؟؟

د. محمد رجب البيومي

اتصل به رئيس الوزراء في منتصف الليل (حسين سرى) مذعورا من تهديد السفير ، ومحذرا الشيخ أن يعود عما قال ، قال له الامام الأكبر في كبرياء : من أنت ؟ أستطيع أن أقيلك بخطبة واحدة فوق منبر الأزهر أو منبر الحسين ! ولكن الأستاذ توفيق الحكيم اعترف بنفسه أنه عاش عشرين عاما غائب الوعي لا يعنى فظائع الطغيان والكبت والقهر ، وظل يمدح ويقرظ حتى غاب المعتدى وأمن المؤاخذه فأصدر

(١) الشيخ المراغى بأقلام الكتاب ص ١٩٥ - المطبعة المنيرية

وعظ مالك بن دينار عظة مؤثرة ابكت الحاضرين فلما فرغ افتقد مصحفه فلم يجده ، فأقبل عليهم يقول : كلکم تبكون فمن سرق المصحف ؟

الدنيا كالماء المالح ، كلما ازدادت منه شربا ازدادت منه عطشا .

* الايمان قوة الحياة .

* كما انه لا يمكن لانسان أن يحيا بغير قلب ، كذلك لا يمكن لانسان أن يحيا بغير دين .

* دلتنى خبرة عشرين سنة على أن السبب الاساسى لتفشى المجون والفساد - سوء طريقة تلقين التعاليم الدينية .

« تولستوى »

في مواجهة الإلحاد المعاصر

غيبات المادة

للدكتور يحيى هاشم

وعن هذه المادة كتب نيوتن
يقول :

انى أرجح ان الله عندما خلق
الدنيا خلق المادة أجزاء جامدة صلبة
متحركة ، لا ينفذ فيها شيء ، وليس
فى مقدور قوة عادية ان تقسم ماجعله
الله واحدا •

والى ما بعد عهد دالتن الفيزيقي
الكبير ١٧٦٦ - ١٨٤٤ كان الأمير
حيث زعم ان الذرة لا تنقسم ،
وانها تدخل اعنف التفاعلات
الكيموية وتخرج منها ولم يضرها
من ذلك شيء • وكان يرى ان هذه
الذرات أشياء تلمس وتحس •

وفى اثر بحوث بيركورى ومدام
كورى قام السير جوزيف جون
طمسون ١٨٥٦ - ١٩٤٠ فى عام
١٨٩٧ (ففقا عين العقيدة التى تقول

يعنى الحس المشترك عادة بالشىء
المادى أشياء مثل شجرة ، كرسى •
قلم الى آخر هذه الأشياء التى
يصعب حصرها ، فالشئ المادى بهذا
المعنى هو موضوع جامد ذو أبعاد
ثلاثة ، محدد بسطح معين يعزله عن
البيئة ، كما يجعله قابلا للتعرف عليه
على الرغم من تغير هذه البيئة •

وعلى ذلك فيمكننا تعريف الشئ
المادى كما يفهمه الحس المشترك
على أنه كائن يدوم خلال التغيرات ،
أى أنه كائن فعلى يحافظ على نواة
ثابتة خلال تغير الخواص الادراكية
والخارجية ، وباختصار هو كائن
يحتل حيزا محددًا فى المكان وله
دوام معين فى الزمان وله وجود
مستقل عن وجودنا ونكون على
ادراك مباشر به •

الايدروجين الحاملة لشحنة موجبة
كلمة بروتون المشتقة من أصل
لاتيني معناه « الاول »

اما النيوترون فمتعادل أى لا يحمل
اى شحنة كهربية على الاطلاق ،
وهذا نفسه هو معنى الكلمة لغويا
(المتعادل - أو المحايد) •

والالكترن يحمل شحنة سالبة
معادلة للشحنة الموجبة فى البروتون
وباكتشاف النيوترونات فى سنة
١٩٣٢ اكتملت الصورة الأساسية
للذرة • غير ان العلماء شرعوا -بناء
على ما ظهر بعد ذلك من نظريات
حديثه -فى وصف حيبيات لم يلحظ
احد وجودها من قبل وان كانوا
يعتقدون بأنها توجد فى الذرة فعلا •
وهكذا ظهر فى الثلاثينات فرع
جديد فى علم الفيزياء للبحث فيها
اطلق عليه « حيبيات أولية »

وقد علق البعض على غرابة هذا
الاسم اذ ان هناك حقيقتين فقط فى
هذا الميدان اولاهما ان الحيبيات
الاولية ليست أولية بأى حال من
الاحوال بل هى بالغة التعقيد
والحقيقة الثانية ان الحيبيات ليست

ان الذرة هى آخر شىء يقف عنده
تجزؤ (الأجسام)

(وكان على طمسون ان يبحث
تلك المناطق التى تتصل فيها المادة
بالقوة والقوة بالمادة ••• تلك
المناطق التى تقع عند الحد بين
المعلوم والمجهول من هذه الدنيا)
واكتشف طمسون : الالكترن ، أو
« الدقيقة » كما سماه أول مرة ،
وتوصل الى أن المادة والطاقة
الكهربية شىء واحد وانهارت بهذا
حوائط الذرة وواصل العلماء
كشفهم لأسرارها

الذرة :

تتركب المادة من عناصر
وتتركب العناصر من ذرات
وتتركب الذرات من بروتونات
والكترونات ونيوترونات ••• الخ
الفرق الأساسى بين البروتون
والنيوترون يرجع الى ما يحملانه من
شحنة كهربائية فالبروتون يحمل
شحنة موجبة بمعنى انه يجذب الى
شحنة سالبة ويتباعد عن شحنة
أخرى موجبة •
وقد أطلق رذرفورد على ذرة

على الميزون اثناء ابحاثه عن الاشعة الكونية ..

وأظهرت الابحاث اللاحقة أن الميزون نوعان - نوع ثقيل أو « بى ميزون » وآخر خفيف أو موميزون .

وفى عام ١٩٣١ تنبأ فيزيائى استرالى يسمى وولفجانج باولى (١٩٠٠ - ١٩٥٨) بوجود حبيبة أخرى تشع من بعض العناصر وكانت حبيبة بلا كتلة تعمل على التخلص من الطاقة التى كان يبدو انها تختفى اثناء الاشعاع .

ولم تكشف هذه الحبيبة بالفعل الا فى عام ١٩٥٦ ، ناتجة من تفاعلات نووية جبارة . وتعرف الآن باسم نيو ترينوس .

وعندما يتصادم بوزيترون واليكترون يختفى الاثنان معا ولذلك يعرف البوزيترون أيضا باسم « مضاد الاليكترون » .

وقد أدى ذلك الى الظن فى وجود حبيبة مضادة لكل نوع من الحبيبات وثبت أخيرا أن هذا الظن فى موضعه . وأصبح مجموع

حبيبات فقط بل يعمل البعض منها كموجات من الطاقة ليس لها أيّة كتلة .

وكانت اولى الحبيبات التى اكتشفت مماثلة للاليكترون فيما عدا انها تحمل شحنة موجبة وقد اكتشفها سنة ١٩٣٢ كارل اندرسون من المعهد الفنى بكاليفورنيا اثناء قيامه بابحاث فى الاشعة الكونية واطلق عليها اسم بوزيترون وكان قد لاحظ ان بعض الذرات عندما تتعرض لاصطدام الأشعة الكونية بها تخرج حبيبة لها خواص الاليكترون تماما فيما عدا انها تحمل شحنة موجبة والسبب فى انها لم تلاحظ من قبل ان فترة بقائها تبلغ نحو واحد على بليون من الثانية .

وفى عام ١٩٣٥ تنبأ هيدىكى يوكاوا (ولد سنة ١٩٠٧) من جامعة كيوتو فى اليابان بوجود حبيبة أخرى - الميزون - وجاء فيما قاله يوكاوا ان الميزون هى الرباط الطاقى أو الغراء الذى يربط الحبيبات معا داخل النواة .

وقد عثر كارل اندرسون بدوره

ولا يمكن الامساك به أو طرده
بوساطة المجالات الكهربائية
والمغناطيسية لجزيئات أخرى ينطلق
بجوارها •

ومن ثم فإن النيوترون المتولد في
سكة التبانة بل في بعض السدم
وينطلق بسرعة الضوء يمكنه ان
يظل نقيا عبر الجسم الصلب للأرض
وينفذ منه وكأنه ينفذ عبر الفراغ •
ولا سبيل الى ايقاف النيوترون الا
عن طريق صدام مباشر بجزيء أولى
آخر • والجدير بالذكر أن فرص
حدوث مثل هذا الصدام المباشر
اثناء النفاذ عبر الارض كلها تبلغ
حسب التقدير السائد مرة من بين
١٠٠٠٠ مليون • ويشير الكاتب
العلمي مارتن جاردنر الى ذلك
قائلا : « لحسن الحظ انه ثمة
نيوترونات كافية حولنا بحيث
أصبح ممكنا وقوع مثل هذه
الصدمات والا لاستحال علينا
تسجيل النيوترون •

بينما يطالع القارئ هذه الجملة
تنبعث بلايين النيوترونات وتأتى الى
الأرض منطلقا من الشمس والنجوم

الحبيبات والحبيبات المضادة التي
وجدت داخل الذرة أكثر من
الثلاثين •

لا مادة النيوترون :

يقول الكاتب البريطاني آرثر
كوستلر :

من بين كل هذه الجزيئات الأولية
التي تتضمنها قائمة عالم الفيزياء وتثير
حيرة الانسان ، ومن أكثرها شبها
بالاشباح الجزء المسمى النيوترون •
وقد تنبأ بوجوده وولف جانج بولى
عام ١٩٣٠ بناء على أسس نظرية
خالصة • بيد أنه حتى عام ١٩٥٦ ،
اي طوال خمسة وعشرين عاما أو
يزيد كانت النيوترونات الفعلية التي
تنبعث من المجمع النووى الضخم
للجنة الطاقة الذرية من الولايات
المتحدة المقام على شاطئ نهر سافانا
يصطادها داخل المعمل كل من
ف رانيس وك كووان ويرجع
السبب في مضي وقت طويل حتى
تم تسجيلها الى ان النيوترون لا يكاد
يتميز بخصائص فيزيائية : اذ ليست
له كتلة أو شحنة كهربائية ولا مجال
مغناطيسى • ومن المعروف أن ليس
بالامكان جذبها بالمغناطيسية

احتمالات فادى تفسيره هذا الى حدوث تحول غير منتظر فى مشكلة الذرة ، وفى هذا التفسير لا تكون للموجات حقيقة الموضوعات المادية بل تكون لها حقيقة المقادير الرياضية فحسب .

وواصل هيزنبرج السير فى هذا الطريق ، حيث كشف عن مبدأ اللا تحدد

واخيرا جمع بور بين نتائج بورن وتائج هيزنبرج فوضع مبدأ التكامل ، وهو المبدأ القائل بأن تفسير بورن يقدم وجها واحدا للمشكلة ، وان هناك وجها آخر وهو ان ننظر الى الموجات على انها ذات حقيقة فيزيائية وهو رأى لا يكون فيه للجزيئات وجود ، ولا سبيل الى التمييز بين هذين التفسيرين لأن اللاتحدد كما يقول هيزنبرج يجعل من المستحيل القيام بتجربة فاصلة .

ويوضح ريشنباخ المعنى الذى ينطوى عليه مبدأ التكامل الذى تحدث عنه بور فيقول : « عندما يسمى وصف الموجة والجزيء وصفا تكامليا يعنى انه بالنسبة الى المسائل

الأخرى ، بل ربما من سدم أخرى ، وتنفذ عبر جمجمة القارئ ومخه . » يقول آرثر كوستلر :

« ويذهب العقل المحايد الى الاعتقاد بأن النيوترونات ذات نسب بالأشباح وهو العقل الذى لا يرفض وجودها وليس هذا القول مجرد استعارة لفظية »

ليست الذرة شيئا ماديا :

يقول هانز ريشنباخ - وهو ملحد :

بعد ان فسر لويس دى بروجلى الجمع بين النظريتين الجزيئية والموجية بأبسط معانيه وهو ان هناك جزيئات تصحبها موجات تسير مع الجزيء وتتحكم فى حركته ... قدم شرودنجر تفسيره بالاستغناء عن الجزيئات ، وأنه لا توجد الا موجات تتجمع فى بقاع صغيرة معينة فينتج عنها شيء يشبه الجزيء ، فهى اذن حزم موجية تسلك على نحو شبيه بالجزيئات ..

ثم اقترح ماكس بورن الفكرة القائلة بأن الموجات لا تكون أى شيء مادي على الاطلاق وانما تمثل

تنسب لقلب المادة النهائي بشكل
بسيط •)

ويقول :

(لقد منحت الذرة اذن - على
الأقل في خيالنا - كل النواحي
الميكروسكوبية للمادة ، ثم عرف
مع الزمن ، ان اصغر الجسيمات ،
كالالكترونات مثلا ، لا يمكن أن
تمتلك نفسها « الخواص الحسية »
للمادة)

ويقول الدكتور جون كيمنى :

(الذرة - أو اذا اردنا الدقة
« الالكترون » أصغر وحدة في
الفيزيكا الذرية الحديثة - لم تعد
تظهر في ذاتها حتى ابسط الخصائص
الهندسية والميكانيكية)

ويقول :

(لقد وضع كل ما توصلنا اليه
من تفهم للمادة في النهاية في شكل
معادلات رياضية)

ويقول الدكتور هرمان راندال :

(أما ان تكون معادلات الموجات
بالغة التجريد فلأمر واضح • وأكثر

التي يكون احد هذين الوصفين
تفسيرا كافيا لها ، لا يكون الآخر
تفسيرا كافيا والعكس بالعكس ،
مثال ذلك : اننا اذا كنا بصدد
لنموذج التداخل على شاشة فاننا
نأخذ بالتفسير الموجي ، اما اذا كنا
بصدد ملاحظات عدادات جيجر
نستخدم التفسير الجزيئي • وينبغي
ان نلاحظ ان لفظ « التكامل »
لا يفسر او يزيل الصعوبات المنطقية
التي تنطوى عليها لغة ميكانيكا
الكوانتم وانما هو مجرد تسمية لها
فحسب • • ومن الواجب أن نؤكد
ان هذا الموقف المنطقي ليس له نظير
في عالمنا الفعلي الكبير •)

ويقول هيزنبرج عن لا مادية
الذرة :

(ليس الجوهر جسيما ماديا في
الفضاء والزمن وانما هو بشكل
ما مجرد رمز تتخذ قوانين الطبيعة
عند تقديمه شكلا سهلا واضحا •)

ويقول :

(اتضح من تفسير « الخصائص
الحسية » للمادة عن طريق ذراتها
ان مثل هذه الخصائص لا يمكن ان

ويقول :

(ان الخواص المرئية للمادة كشغلها للفراغ وقوة المواد واللون والخصائص الكيميائية ، كلها صفات للمادة فى شكلها المتكامل ، ولكنها لا ترتبط بنفس الطريقة بأصغر « القوالب » التى لا تنقسم للمادة ...)

ومن هنا فقد بدأت طائفة من العلماء تقلع عن وصف المادة بما يفيد ماديتها .

يقول دكتور هرمان راندال :

(هناك ميل لاستعمال مصطلحات جديدة - يصفها الكثيرون بأنها منطق جديد وهى الاستمرار الزمانى المكانى ، والاحداث والمجارى والفاعليات بدلا من الأشياء أو الجواهر ، وقد ذهبت علاقة الموضوع بالمحمول وحل محلها السلاسل الوظيفية والنسب المتبادلة)

كيف امكن ادراك الذرة :

هل ترى الذرة بطريق مباشر أو غير مباشر ؟ كلا لا هذا ولا ذاك . وقد يمكن رؤية نجم غير مرئى

الفيزيائيين يكتفون الان بعدد من المعادلات الرياضية التى تتنبأ عن الحوادث فى حقل الاشعاع .

وقد توقعوا عن التطلع الى نموذج ميكانيكى للذرة يمكن ان ترتسم صورته فى المخيلة ..)
ويبين هيزنبرج أن :

تركيبات الذرة هى التى تحدث خصائص المادة : من اللون والرائحة والزمن وشغل الفراغ اما الذرة فليس لها شىء من ذلك .. يقول :

(اذا قلنا ان حركة الذرات داخل الاجسام هى التى تميز بين الباردة منها والساخنة - اذ تكون حركتها فى الاجسام الساخنة اسرع منها فى الباردة - فان الذرة الواحدة لا يمكن أن تكون باردة أو ساخنة .

وعلى هذا جردت الذرة بالتدريج من كل « الخصائص الحسية » وصارت الخصائص الهندسية هى الوحيدة التى بدا لمدة طويلة انها تحتفظ بها من القول بأنها تشغل الفضاء والمكان والقول بأن لها حركة محددة - غير ان التطور فى الفيزيكا الذرية الحديثة قد ازال حتى هذه الخصائص)

من الوجوه ولكن لأمرين :
الأمر الأول :

الضرورة المنطقية اللازمة لتفسير
الوقائع المشاهدة •

يقول فيرنر هيزنبرج :

(ربما استطعنا ان نوضح بمثال
الصفة الرمزية للمفهوم الحالى عن
الذرة فالذرة من الفيزيكا الحديثة
تظهر تشابها للجزر التربيعى لناقص
واحد $\sqrt{2-1}$ فى الرياضه —
فبالرغم من أن الرياضه الأوليه
تقول انه لا يوجد مثل هذا الجزر
التربيعى بين الأرقام العاديه ، الا اننا
نجد ان أكثر القضايا الرياضيه أهميه
تتخذ ابسط شكل لها اذا ما قدمنا
هذا الجزر التربيعى كرمز جديد •
فالتبرير اذن يكمن فى القضايا
نفسها •

وبنفس الشكل فان خبرات
الفيزيكا الحديثه تبين لنا انه لا وجود
للذرات كأشياء ماديه بسيطه ، الا
ان تقديم مفهوم « الذرة » يمكننا
من الصياغه السهله للقوانين التى
تحكم كل المعطيات الفيزيقيه
والكيميائيه •)

بالميكروسكوب الالكترونى الذى
يكبر الاشياء أكثر من ١٠٠٠٠٠
مره •

ولكن هذا المنظار لا يكفى لرؤيه
الذرة ...

وكما رأينا كبار العلماء التجريبيين
ينكرون فى البدايه : الجاذبيه ثم
ينكرون الكهرباء

وجدناهم أيضا ينكرون النظرية
الذرية •

وهم كانوا فى انكارهم مدفوعين
بارتباطهم بالمنهج العلمى التجريبي
الذى لا يعترف بغير ما يدرك
حسيا •

يقول الدكتور جون كيمنى :

(رفض بعض الاوائل من دعاة
الفلسفه العمليه القول بالنظرية
الذرية لان المفاهيم التى تستند اليها
غير قابله للتحديد بواسطه عمليات
حسيه ، أى بكلمه اخرى ، لان
الذرات غير مرئيه ، غير ان هذه
النظريات تغلبت على كل انتقاد)

ان التسليم بوجود الذرة ،
وبأجزائها ليس ناشئا من كونها
خاضعة للادراك الحسى بأى وجه

ويقول فيرنر هيزنبرج :

(انه يمكن ملاحظة المادة فى ظواهرها عن طريق التقدم الرائع فى الطرق التجريبية الا انها لا تخضع لاحتساساتنا •)

كتلة الجسم تابعة لحركته :

عندما يتحرك جسم ما بسرعة أكثر فأكثر فان كتلته تصبح أكبر فأكثر • ولنفرض جدلا ان رصاصة اطلقت بسرعة ٩٩٩٩٩٩ فى المائة من سرعة الضوء فان كتلتها تصبح عدة اطنان • وليس هناك من وسيلة معروفة للتخلص من ارقام ال « ٩ » وجعل الرصاصة تسير بسرعة تساوى سرعة ١٠٠ فى المائة من سرعة الضوء أما اذا سار الجسم بسرعة الضوء نفسها فان كتلته تصل الى ما لا نهاية •

طول الجسم تابع لحركته :

كلما زادت سرعة الجسم بالنسبة لراصد مَّا ازداد فى القصر • والآن تتساءل :

ماذا يحدث اذا اخذنا فى زيادة السرعة أكثر فأكثر ؟

هل يختفى الجسم ؟

ويقرر الدكتور جون كيمنى ان :

الأجسام الأصغر من الذرة مجرد افتراض يسهل تعليل الوقائع المشاهدة وذلك اذ يقول :

(نحن نعتقد بوجود اجسام اصغر من الذرة لا لأتنا « رأيناها » - ولو بشكل غير مباشر - ولكن لان افتراض وجودها يشكل اسهل فرضية يمكن لها تعليل الوقائع المشاهدة)
الأمر الثانى :

الذى تعرف به الذرة : آثارها •
يقول الأستاذ جيمس • أ • كولمان :
(اتنا لا نستطيع رؤية الذرة • حتى لو استخدمنا اقوى ما نملك من المجاهر وعلاوة على ذلك فان سرعة الالكترتون فى مداره حول النواة تبلغ حوالى ١/١٠٠ من سرعة الضوء وهى درجة لا تمكنا من رؤيته باية طريقة •

ولكن ليس من الضرورى ان نرى الالكترتون فعلا وهو يدور لكى نحدد شكل مساره اذ انه لحسن الحظ ينتج عن مساره اثار معينة يمكن اختبارها تجريبيا)

وتفسير المعادلة هو انه اذا تحولت كتلة اى جسم الى طاقة دون ان يتخلف عن ذلك اية مادة ، فان مقدار الطاقة المنطلقة تحدد هذه المعادلة •

المادة والطاقة :

أظهرت نظرية النسبية الخاصة أن المادة والطاقة ليسا بالامرين المختلفين تمام الاختلاف كما كان الانسان يعتقد قرونا طويلة ، بل الواقع ان فى الامكان تحويل الواحدة الى الاخرى •

ويعبر عن ذلك بالرموز التالية :

$$ط = ك ع^2$$

ومن العجيب انه لو كان فى مقدورنا ان نحول الكتلة بأكملها الى طاقة لكان فى رطل واحد من الفحم الحجري ما يكفى لمدا الولايات المتحدة بأكملها بحاجتها من الكهرباء لمدة شهر كامل •

واذا قارنت بين الطاقة المنطلقة باحتراق رطل من الفحم والطاقة المنطلقة عندما تتحول كتلته كلية الى طاقة فانك تجد ان الطاقة الناتجة فى الحالة الثانية تعادل ثلاثة بلايين مرة قدر الطاقة فى الحالة الاولى •

هذا هو بالضبط ما تقول المعادلة انه سوف يحدث ، اذ يتضح بسهولة أنه كلما اقتربت السرعة ع من سرعة الضوء ح اقترب طول الجسم من الصفر • وعندما تصبح $E=mc^2$ فان الطول يصبح صفرا وهذا يعنى ان الجسم يكون قد اختفى •

طاقة الجسم تابعة لحركته :

لقد وجدنا ان كتلة الجسم تزداد بازدياد سرعته ، وتبعاً لذلك يجب أن تزداد طاقته أيضا • اذ ان الجسم الأثقل تكون له طاقة أكبر من الجسم الأخف اذا كانا يتحركان بنفس السرعة • ويمكن اثبات ان الزيادة فى الطاقة الناتجة عن ازدياد الكتلة تساوى الزيادة فى الكتلة ، يصحبها أو يكافئها طاقة تساوى الكتلة مضروبة فى مربع سرعة الضوء •

وهذه هى النتيجة التى توصل اليها اينشتين • ويعبر عنها رياضيا بالمعادلة •

$$ط = ك ع^2$$

حيث ط الطاقة المكافئة ، ك كتلة الجسم ، ح سرعة الضوء •

الطاقة الأساسية لها القدرة على الوجود فى أشكال مختلفة •

ومن بين الاشكال الأساسية للطاقة هناك ثلاثة أنواع بالذات ثابتة هى الالكترونات والبروتونات والنيوترونات ، وتتركب المادة بمعناها الحقيقى من هذه الاشكال الثلاثة بالاضافة الى طاقة الحركة ، كما ان هناك جسيمات تتحرك دائما بسرعة الضوء تشمل الاشعاع ، وأخيرا هناك اشكال لها فترة حياة قصيرة ، لم نكتشف منها الا القليل

وعلى هذا فان تعدد الظواهر الطبيعية يخلق اذن عن طريق تعدد مظاهر الطاقة)

قانون بقاء الطاقة افتراضى :

يؤكد قانون بقاء الطاقة ان كمية القوة الفاعلة فى الطبيعة بأكملها لا تتغير ولا يمكن ان تزيد أو ان تنقص •

وهذا القانون يدعى بالقانون الاول للحرارة الحركية •

والقانون الثانى قانون تشتيت الطاقة القائل :

فعملية تحويل جزء محسوس من المادة الى طاقة تختلف كلية عن عملية الاحتراق العادى •

تحويل المادة الى طاقة ، والطاقة الى مادة :

يقول الكاتب البريطانى آرثر كوستلر :

(يستطيع عالم الفيزياء ان يلاحظ ما لا يمكن تصوره والتفكير فيه • وهو تحول الكتلة الى طاقة وتحويل الطاقة الى كتلة •)

ويقول فيرنر هيزنبرج :

(ان المادة والاشعاع ليسا سوى ظاهرتين مختلفتين لحدث واحد ، ولقد كانت الخطة الأولى فى هذا السبيل هى اكتشاف ديراك واندرسون انه من الممكن ان تحول المادة الى اشعاع وان يحول الاشعاع الى مادة •)

ويقول :

(لقد وجدنا الان - كما تمنى الأغريق - جوهر واحد أساسيا ، منه يتكون كل الواقع ، واذا كان علينا ان نسمى هذا الجوهر ، فلن نسميه الا « الطاقة » ولكن هذه

وقد افترضوه - وهذا هو المقصود بالاستشهاد - ليحتفظوا بصحة القانون الذى يفرض ثبات المادة والطاقة أو عدم انعدامهما • ونحن نعلم كيف يتشبث العلماء بافتراض معين لعدم توصلهم - أو لعدم رغبتهم فى التوصل - الى افتراض آخر يحل محله • وانظر بحثنا الفائق عن التشبث الارادى بالنظريات •

ما هى الجاذبية :

عندما اقترح كيبلر فرضه القائل أن حركتى المد والجزر ترجعان الى قوى جذب تنبعث من القمر ، شجب جاليليو هذه الفكرة واعتبرها تخيلات سحرية لانها تتضمن « التأثير عن بعد » وهو ما يتناقض مع (قوانين الطبيعة)

بيد أن هذا لم يمنع نيوتن بعد ذلك من وضع نظريته عن الجاذبية • ويعنى قانون الجاذبية عند نيوتن : انه « بين كل دقيقة من دقائق المادة فى الكون ، وكل دقيقة أخرى قوة تجاذب تناسب طرديا مع كتلتها وعكسيا مع مربع المسافة بينهما »

أن مجموع الطاقة الكونية ، ولو أنه ثابت لا يتغير •• الا أن مجموع الطاقة النافعة يتناقص بتحوله النهائى الى حرارة غير نافعة أو مشتته ••

يقول دكتور هرمان راندال عن هذين القانونين :

مما تجب ملاحظته أن هذه التعميمات الكبيرة بالرغم مما لها من قيمة فائقة فى توحيد ظواهر الطبيعة المتنوعة تحت بضعة قوانين اساسية •• انما هى افتراضات اكثر منها نظريات مطلقة ثابتة ، ومع كونها فرضيات ضرورية للعلم ، الا أنها بالرغم من ذلك فرضيات فى الايمان العلمى

وقد هددت الاكتشافات العلمية الحديثة هذا القانون ••

يذكر برنارد جافى : (أن العلماء افترضوا وجود جسيم مضاد للنيوترينو - وهو جسيم افترضوا وجوده ايضا ليفسروا به ما يحدث للميزون عندما ينحل فيعطى الكترونا ونيوترينو -

وسموا الجسم الذى افترضوه اتى نيوترينو •

والشمس يَحْتَمِلَانِ مواقعَ معينة حدّدتهما مواقعهما السابقة ، ولكن أَيْمَكُنْ لَنَا القَوْلُ بِأَنَّ المواقعَ الحاليةَ هِيَ الْمَسَبِّاتُ لِلْمَوَاقِعِ اللاحقة ؟)
بإمكاننا ، طبعاً ، أن نسمي «قوة التجاذب» بالسبب ، إلا أن هذا مفهوم خيالى لا يشكل سبباً يمكن مشاهدته بالنسبة إلى المنهج التجريبي .

ولما كان «الوزن» يعزى إلى «الجاذبية» فإنه يصبح من المسلمات التي لا يدري عنها .

ما هي المغناطيسية .

يقول ادوارد ج هيوى :

(الواقع أن نظرية الجزيئات المغناطيسية لا تفسر تماماً كل ما يتعلق بالمغناطيسية فنحن لا زلنا نعجب ما الذى يجعل كل جزء من هذه مغناطيساً . ولكنها على أى حال مجرد تخمين معقول للمغناطيسية ولكن الحقيقة انه ما من مخلوق يعلم بالضبط كيف تعمل المغناطيسات .

وربما كان هناك دوائر كهربية صغيرة بدلا من المغناطيسات .

يقول سير اسحاق نيوتن :
(لم استطع كشف اسباب خصائص الجاذبية هذه من الظواهر وليس لدى اية فروض عن ذلك) .

وعلى ذلك فإن اكتشاف قوانين الحركة والجاذبية انما قام على عدم امكان تداخل الاجسام بعضها فى بعض وخاصة قبولها للحركة ومالها من قوة دافعة .

وبالنسبة لنا يكفى أن تكون الجاذبية موجودة فعلاً تبعاً للقوانين التي شرحناها والتي عم استخدامها لتفسير كل حركات الاجرام السماوية .

يقول : ادوارد ج. هيوى :
(ان قانون الجاذبية من أهم قوانين الطبيعة رغم أن الجاذبية نفسها ما زالت لغزاً عميقاً مجهولاً)
ويقول الدكتور جون كيمنى :

(ان هذا القانون فى وضعه العملى ، يؤدى الى وصف لكيفية دوران كوكب ما حول الشمس . أو بالاحرى ، لكيفية دوران كل منهما حول الآخر ، ان الكوكب

بالضبط ما هي الكهرباء اننا نستعمل
الكهرباء ، ولكننا لا نستطيع أن
نفهمها تماما •

ماذا « نرى » ؟

ان التموجات الكهربية والضوئية
هما شيء واحد لكن .. انك
لا تستطيع أن ترى التموجات
الكهرومغناطيسية ، ولكنك ترى
الضوء فكيف يمكن أن يكونا اذن
صورتين لشيء واحد ؟ ان التفسير
هو في أطوال الموجة والتموجات •

ويمكننا قياس الاطوال المختلفة
للتموجات الكهرومغناطيسية •
وبعض هذه التموجات ذات أطوال
قصيرة تكون في بعض الأحيان
أقصر من قطر الذرة ، في حين أن
لبعضها اطوالا قد تصل الى الاميال
فهناك تباين بين أطوال الموجات
الكهرومغناطيسية • ولكنها جميعها
تسير بسرعة ١٨٦٣٠٠ ميل في
الثانية في الفراغ ••

ولأعيننا القدرة على رؤية
التموجات الكهرومغناطيسية اذا
كانت ذات طول معين • وهذه هي
التموجات الضوئية •

وبعد كل هذا تأتي النظرية التي
تنادى بأن الارض كلها عبارة عن
مغناطيس • كيف يمكن أن يكون
هذا هو الواقع ؟ لا احد يعرف •

ولهذا فان نظرية الجزيئات
المغناطيسية كما نرى أقرب وأصدق
نظرية يمكن أن تقسر الكثير عن
المغناطيسية رغم انها تعجز عن تفسير
البعض الآخر

قد تكون هذه النظرية خاطئة
تماما •

وعلى أى حال فالمغناطيسية
لا زالت مبهمة يعتورها الكثير من
الغموض

ما هي الكهرباء :

التيار الكهربى لا يخرج عن كونه
سيلا من الاليكترونات ، انها
اليكترونات حرة ، انها تلك
الاليكترونات التى هربت من ذراتها
ولم تعد بعد مقيدة الى أنويتها •

يقول : ادوارد • ج • هيوى :

(اننا نعلم ما الذى تفعله الكهرباء
ونعلم كيف تعمل ذلك ، ولكننا لا
نعلم بالضبط لماذا تعمل الكهرباء
ما تعمله • اننا فى الحقيقة لا نعلم

ولا نرى التموجات الضوئية على شكل تموجات •

ولكننا نرى الضوء فقط • ونحن نعلم أن الضوء يسير فى تموجات ذات طول معين وأن الضوء ما هو الا جزء ضئيل واحد من أنواع مختلفة من التموجات الكهرومغناطيسية وتستطيع آلة التصوير أن تميز عددا من الموجات المختلفة الطول اكثر من العين ، ولذلك تستطيع آلة التصوير أن تلتقط صورا فى الظلام اذا وجدت انواع معينة من التموجات الكهرومغناطيسية • ورغم عدم قدرتنا على رؤيتها فانها تكون صورا على اللوح الحساس

تجريدات العلم :

يقول الدكتور جون كيمنى عن اتجاه العلم الى التجريد :

(ان القول « هذا السائل ازرق اللون » هو تقرير حسى وكلمتا « سائل » و « أزرق » تعيران حسيان ايضا •

وأما القول بأن « الهيدروجين يتحد مع الاوكسجين ليشكل الماء

فهو تجريد من مرتبة دنيا ، ذلك لان كلمة « هيدروجين » لا تشكل تعبيرا حسيا لان المشاهدة وحدها لا تكفى للدلالة عما اذا كان غاز معين هو بالفعل غاز الهيدروجين غير انه ليس من العسير على الرغم من ذلك ، أن تعتمد تعريفا حسيا على شكل اجراء الاختبار الكيميائى العادى لغاز الهيدروجين » •

أما القول بأن « ذرات الهيدروجين تحتوى على كهيرب واحد » فيشكل نظرية أكثر تجريدية من الاقوال السابقة ومن المحال أن تتمكن من التقدم بتعريف حسى لكلمة « ذرة » وكلمة « كهيرب »

وعليه نجد انفسنا نواجه تدرجا فى المفاهيم على قدر متزايد فى التجريد أما تبرير الوجود لكل من هذه المفاهيم فيكمن فى فائدها لتشكيل النظريات البسيطة (

يقول فرينر هيزنبرج :

(هل يستطيع العلم أن يدعى انه يقود الى تفهم للطبيعة ؟

لقد حاولت أن أبين كيف أن الفيزيكا والكيمياء - تدفعهما قوة

فهي تقيم معادلات اساسية ، تتيح لها أن تتناول بناء الحوادث المنطقي ، بينما تدع ماهية الطبيعة الذاتية للحوادث التي تتصف بذلك البناء .. مجهولة كل الجمل *

فنحن لا نعرف طبيعة الحوادث الذاتية الا عندما تحدث لنا . وليس في الفيزياء النظرية على الاطلاق ما يتيح لنا أن نقول أى شئ عن طبيعة الحوادث الذاتية فى غير ذلك المجال *

فهي قد تكون مشابهة لما يقع لنا من حوادث ، وقد تكون مختلفة عنها كل الاختلاف على انحاء لا يمكننا أن نتخيلها مطلقا *

وكل ما تتيحه لنا الفيزياء لا يعدو بعض المعادلات التي تقدم لنا بعض ما تتصف به تغيرات الحوادث من خواص *

أما ما هي هذه التغيرات ، ومن وإلى أى شئ تتغير ، فإن الفيزياء لا تحير جوابا *

وهكذا يتضح لنا التحول العجيب الذى قاده الفيزياء المعاصرة فى مفهوم المادة :

لا نكاد نعرفها - قد تطورتا باستمرار فى اتجاه التحليل الرياضى للطبيعة على هدى مبدأ التوحيد ولقد تناقضت فى نفس الوقت ادعاءات علمنا بتفهم الطبيعة - بالمعنى الاصلى لهذه الكلمة *

ويبين الدكتور هرمان راندال لنا كيف أن العلم لم يعد ماديا فيقول :

(ان الطاقة اصبحت فى هذه الايام أكثر اساسية من « المادة » وعلى ذلك فإن علمنا لم يعد اليوم علما « ماديا » اذا اردنا الدقة فى التعبير وليس لقوانين الحركة الآلية من الشمول مثل مالمسلوك (حقل الاشعاع *)

بل قد لا تكون هذه القوانين سوى مجرد شكل خاص لذلك السلوك * ونتيجة هذا أن علمنا اليوم لم يعد علما (آليا) كعلم نيوتن *)

ويقول برتراند رسل :

(نحن لا ندرك دائما كم هي مسرفة فى التجريد تلك المعلومات التى تقدمها لنا الفيزياء النظرية *

فاللون من الشعاع والشعاع
هزات فى الأثير •

والوزن جاذبية والجاذبية فرض
من الفروض •

والجزم نفسه متوقف على
الشحنة الكهربية وعلى سرعة الجسم
فى الحركة ونصبيه من الحرارة •

والحرارة ما هى ؟ حركة •
والحركة فى أى شىء ؟ فى الأثير •
والأثير ما هو ؟ فضاء ، أو
كالفضاء ، وكل وصف اطلقته على
الفضاء فهو بعد ذلك مطابق لأوصاف
الأثير •

حتى الصلابة التى تصدم الحس
أصبحت درجة من درجات القوة
تقاس بالحساب ويعلم الحاسب أنه
حساب قابل للخطأ والاختلال •

فهذه الصخرة القوة صلبة جامدة
يضربها الضارب بيده فترده فيقول :
نعم هذه هى الحقيقة التى لا مرأى
فيها • فماذا لو كانت يده أقوى
ألف مرة من يد الانسان القوى
بالعضل والعصب ؟

ان حقيقة الصخرة تفقد تحت

يقول الأستاذ عباس العقاد :

(كانت فضيلة المادة عند الماديين
انها تقوم على الحقائق والوقائع
لا على الظنون والأوهام •

فهى عندهم حقيقة الحقائق
الثابتة التى لا يعترىها الشك لأنها
محسوسة ملموسة محصورة فى
مكان محدد : يخطب احدهم على
المائدة بيده أو يضرب الأرض بقدمه
ويقول لمن يجادله : هذه هى الحقيقة
التى ألمسها بيدي وقدمي أو أراها
بعينى •

ثم حدثت فى السنوات الأخيرة
من القرن التاسع عشر حوادث علمية
غيرت كل صورة من صور المادة
عرفها الأقدمون •

فقد عرف الكيميون قبل ذلك أن
عناصر المادة أكثر من اربعة وانها
ليست محصورة فى النار والتراب
والهواء والماء •

ثم تقدمت معرفتهم بالمادة حتى
أفلت من المادة كل شىء ثابت أو
كانوا يحسبونه مضرب المثل فى
الثبوت والحقيقة •

والكتلة والطاقة تتحول كل منهما الى الأخرى •

والجاذبية الصخرة الصماء التى شيدها نيوتن ، قد لا تكون الا مجرد خاصية من خواص الكون والحياة ، كما تتكشف لنا تفاصيلها، تصبح اكثر دقة وتعقيدا ، وتزيد حيرتنا يوما بعد يوم فيما اذا كانت وظائفها المذهلة - قد نشأت بمحض الصدفة أو بحكم الزمن •)

وهكذا أخذ العلم التجريبي يدفع الفكر الانسانى مرة أخرى ناحية الخيال •• وهذا ما جعل أرثر كوستلر يقول :

(أن علماء الفيزياء النظريين يدركون تماما الطبيعة السريالية للعالم الذى خلقوه ولكنه فى الوقت نفسه عالم ينطوى على قدر هائل من الغموض) •
وبالله التوفيق •

د. يحيى هاشم

يده برهانها فلا يحسه ، أو يحسه ولا يتحدث عنه كما يتحدث عن الحقائق ••

وتقدم العلم بالكهرب والذرة مرة اخرى فاذا المادة كلها كهارب وذرات • واذا بالذرات تنفلق فتنتلق شعاعا كشعاع النور • هل هذا الشعاع موجات ؟ أو هذا جزيئات ؟ قل هذا أو قل ذلك فهذا وذلك فى ميزان « التجربة » (سواء) ويقول الأستاذ فانيفار بوش عن تمرد العلم على المحسوسات :

(يذكرنا العلم على الدوام بأننا مازلنا جهلاء ، وأنه مازال امامنا الكثير مما تتعلمه فالزمان والمكان متشابكان بأشكال غريبة وليس هناك زمن مطلق أو مكان مطلق •

وفى داخل الذرة تحدث ظواهر لا يجدى حياها التخيل ، ولا تنفع الحواس التى ترشدنا فى خبراتنا اليومية ، ولكنها تستسلم للمعادلات التى لا معنى لها سوى انها تؤدي عملها على مايرام •

سعيد بن المسيب "القدوة والمثل"

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

والكسب القريب ، فما من أحد
يرتفع عن هذه المعايير - فى وهما
القاصر - الا انسان اختل طبعه أو
انحرف ذوقه •

هل يعتبر ناس هذه الأيام من
يحيى ليله قائما أو مفكرا أو من
يقضى حياته صائما ومن يقرأ القرآن
كله فى يومه ومن يصدق عن باب
الشهرة والسلطة انسانا سويا
عاقلا ؟ انهم يقولون عنه ما يقولون
• ويصفونه بالغفلة والشذوذ
ويصمون به بالتهور والجنون •

ولقد كان جل أسلافنا من
الصالحين من هذا الصنف الذى
ترك الدنيا لأبنائها يتنازعون عليها
ورموا بقصدهم الى الله فتصرفاتهم
تصرفات ملائكة تمشى على الأرض،
ولكنها تصرفات ذلك الزمان الغابر
الذى عاشت فيه المثل وحييت فى

ما زالت قصص الصالحين مددا
زاخرا يفيض بالخير ويمد بالبركة ،
ويتزود منه الناس فى مختلف
عصورهم الزاد الذى يعينهم على
مشقة الحياة وكدر الزمان وغلبة
الهوى وفتنة التسلط •

ومن القصص ما يوحى بعظمة
صاحبه فى ناحية من النواحي ،
ومنه ما يوحى بالعظمة فى جميع
جوانبها ، واننا لنقرأ تاريخ أسلافنا
الصالحين رضوان الله عليهم ،
فنحسب أنهم ليسوا من هذه الطينة
التي خلق منها الخلق ، فهم نماذج
عليا من الكمال الانسانى الذى
يشع منه الخير والفضيلة فى شتى
صورهما • ولو ذهبنا نقيسهم
بمقياس زماننا المادى لرأينا عجا
وربما أساء الكثير منا الحكم عليهم
لأننا نرى الدنيا بمنظار النفعية
والمادية والأنانية والمصلحة الخاصة

كل انسان اسمه سعيد الا سعيد
ابن المسيب ، فانه لم يُرَ منذ أربعين
سنة الا بين بيته والمسجد ، فقامت
وخرجت ، واذا بسعيد بن المسيب ،
فظننت أنه قد بدا له ، فقلت : يا
أبا محمد ، هلا أرسلت الى فآتيك ؟
قال : لا أنت أحق أن تؤتى ؟

قلت : فما تأمرنى ؟ قال : رأيته
رجلا عزبا وتزوجت ، فكرهت أن
تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك ،
فاذا هى قائمة خلفه فى طوله ، ثم
دفعها فى الباب ، ورد الباب ،
فسقطت المرأة من الحياء .

فاستوثقت من الباب ، ثم صعدت
الى السطح فناديت الجيران ،
فجاءونى وقالوا : ما شأنك ؟
فقلت : زوجنى سعيد بن المسيب
ابنته وقد جاء بها على غفلة منى ،
وهاهى فى الدار ؟ فنزلوا اليها ،
وبلغ أُمى الخبر ، فجاءت ، وقالت :
وجهى من وجهك حرام ان مسستها
قبل أن أصلحها ثلاثة أيام .

ثم اذا هى من أجمل الناس وجهها
وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم
بسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأعرفهم بحق الزوج .

وجدان الناس فالمستغرب هو
النقص لا الكمال .

اقرأوا معى هذه القصة واعجبوا
روى ابن خلكان فى تاريخه عن
سيرة سعيد بن المسيب :

قال أبووداعة : كنت أجالس
سعيد بن المسيب ففقدنى أياما .
فلما جئته قال : أين كنت ؟ قلت :
توفيت أهلى فاشتغلت بها . فقال :
هلا أخبرتنا فشهدناها ؟

قال : ثم أردت أن أقوم فقال :
هل أحدثت امرأة غيرها ؟ فقلت :
يرحمك الله ، ومن يزوجنى وما أملك
الا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : ان أنا
فعلت تفعل ؟ قلت : نعم . ثم حمد
الله وصلى على النبى صلى الله عليه
وسلم وزوجنى على درهمين أو
قال على ثلاثة .

قال : فقامت ، وما أدرى ما
أصنع من الفرح ، فصرت الى منزلى
جعلت أتفكر : ممن آخذ وأستدين

وصليت المغرب - وكنت صائما -
فقدمت عشائى لأفطر - وكان خبزا
وزيتا ، واذا بالباب يقرع ، فقلت :
من هذا ؟ قال : سعيد ، فكفرت فى

التهدد ، لقد رأى ببصيرته الثاقبة ،
ما يصلح لدينه ودين ابنته وما هو
خير لهما في عاقبة أمرهما ، فاختار
أبا وداعة على الوليد بن عبد الملك .
ولكن الناس يقولون في عصرنا
الآن بلسان المادة عمن يتأسى بسعيد
بن المسيب ما يقولون !؟

على أنه في القصة جوانب أخرى
لا تغفل ، فلم يكنف سعيد بأن يزوج
ابنته لأبى وداعة الفقير حتى يسرع
بأن يزفها اليه بنفسه ، وابنته هذه
ليست عبثا عليه ولكنها حسيبة
جميلة صالحة حافظة للقرآن عارفة
بالسنة ، وهى ان اتسبت الى
أسرتها فهى قرشية مخزومية ، وان
اتسبت الى أبيها فهو أحد الفقهاء
السبعة بالمدينة ، وأحد علمائها
المعدودين وأئمتها المجتهدين ،
وحسبك في هذا أن عبد الملك بن
مروان كان حريصا على مصاهرته
أولا ، وعلى الظفر بالموافقة على
مبايعة ابنه الوليد وسليمان ثانيا ،
لما يعرفه من منزلته الرفيعة بين عامة
المسلمين وخاصتهم ..

وفي تصرف أبى وداعة مثل عليا ،
فلم يقبل أن تزف عروسه اليه سرا

قال : فمكثت شهراً لا يأتينى ولا
أتية ، ثم أتيته وهو فى حلقته ،
فسلمت عليه فرد على ولم يكلمنى
حتى انقض من فى المسجد ، فلما
لم يبق غيرى قال : ما حال ذلك
الانسان ؟ قلت : هو على ما يجب
الصديق ويكره العدو . قال : ان
رابك شيء فالقضاء ؟

فانصرفت الى منزلى . وكانت
بنت سعيد هذه قد خطبها عبد
الملك بن مروان أمير المؤمنين لابنه
الوليد حين ولاء العهد ، فأبى
سعيد أن يزوجه ، فلم يزل عبد الملك
يحتال على سعيد حتى ضربه فى يوم
بارد وصب عليه الماء .

فانظر ماذا فى هذه القصة من مثل
كريمة ترتفع بأصحابها عن مقياس
عالمنا الذى نعيش فى أرجائه اليوم ؟
فسعيد بن المسيب يرفض مصاهرة
ذوى المال والسلطان والنفوذ
والشهرة ، ويزوج الفقير البائس
المسكين على درهمين أو ثلاثة ،
ولكن لنا أن نقول : انه أحسن
الاختيار فقد اختار الصلاح على
الفساد ، واختار الآخرة على الدنيا
واختار الاستقرار والهدوء على

عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما ،
كما سمع عن عثمان بن عفان وعلى
بن أبى طالب وصهيب ومحمد بن
مسلمة رضى الله عنهم • وجل روايته
المسندة عن أبى هريرة وكان زوج
ابنته •

ولقد شهد له أجلاء التابعين ،
فقال مكحول عنه : سعيد بن
المسيب عالم العلماء ، وكان عمر بن
عبد العزيز لا يقضى بقضاء حتى
يسأل سعيد بن المسيب ، وكان عمر
يجله ، ولقد أرسل اليه انسا نا
يسأله فدعاه فجاءه حتى دخل •
فقال عمر : أخطأ الرسول انسا
أرسلناه يسألك فى مجلسك ،
كان هذا فى أثناء ولاية عمر بن عبد
العزيز على المدينة •

ولئن كان سلوك سعيد بن
المسيب مع أبى وداعة مضرب مثل
فسلوكه مع عامل المدينة حين ضربه
وسجنه لا كراهه على البيعة لابنى
عبد الملك أعجب وأمثل ؟!

ولقد ضرب ستين سوطا قبل
ذلك على يد جابر بن الأسود بن
عوف الزهرى والى المدينة من قبل
عبد الله بن الزبير لأنه رفض البيعة
لابن الزبير حتى يجتمع أمر الناس •

وقد عرف الناس عنه وفاة زوجه ،
بل أعلم جيرانه بأن سعيد بن المسيب
زوجه ابنته وزفها اليه ، درء اللشبهة
وقطعا لألسنة السوء ، وفى ذلك
تطبيق لما رواه الامام مسلم عن
أنس رضى الله عنه ، من أن النبى
صلى الله عليه وسلم كان مع احدى
نساءه ، فمر به رجل فدعاه فجاء ،
فقال : يا فلان ، هذه زوجتى فلانة ،
فقال : يا رسول الله ، ان كنت أظن
به فلم أكن أظن بك ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : ان
الشیطان یجرى فى الانسان مجرى
الدم •

بقى أن نعلم أن سعيد بن المسيب
— كما جاء فى طبقات بن سعد —
كان أعلم أهل زمانه ، وأنه قال :
ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
أبو بكر وعمر منى • قال سعد :
وأحسبه قال : وعثمان ومعاوية •

ولقد أخذ سعيد علمه عن زيد بن
ثابت وسعد بن أبى وقاص وابن
عباس وابن عمر ، وعن بعض أزواج
النبى صلى الله عليه وسلم ومنهن

ابن المسيب كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب .

وفي صبره على آلام سجنه وتعذيبه في سبيل كلمة حق واعتناق مبدأ وحرية رأى مثل وأى مثل ، ولكن المثل الرائع يؤخذ من هذه القصة :

قال رجل من آل عمر : قيل لسعيد بن المسيب : ادع على بنى أمية ، فقال : اللهم أعز دينك وأظهر أولياءك وأخز أعداءك في عافية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد كان في دعائه حريصا على اعزاز الدين ونصر الاسلام وأمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفكر في أن يكون دعاؤه على من ظلمه اقتصاصا لنفسه .

ولقد بلغ من أنفته لله أنه كان يدعى ليأخذ عطائه من بيت المال فيأبى ويقول : لا حاجة لى في ذلك حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان .

وكان سعيد بن المسيب يرى الاعتزاز بالعلم ويأبى أن يهينه أو يدنس به الجرى في ركاب الحكام ، والقصة الآتية تدل على ذلك :

وقد لام ابن الزبير عامله على ذلك فلما جاء عبد الملك وولى هشام ابن اسماعيل المدينة وطلب البيعة لولديه رفض سعيد بن المسيب الاسراع في البيعة وطلب أن ينظر فضربه الوالى ستين سوطا ، ووضعه في السجن ، ولكن ذلك لم يلنه ولم يجعله يغير رأيه .

وفي سجنه صنعت ابنته طعاما له ووسعت فيه . قال أسلم أبو أمية مولى بنى مخزوم : فلما جاءه الطعام دعانى سعيد فقال : اذهب الى ابنتى فقل لها : لا تعودى لمثل هذا أبدا ، فهذه حاجة هشام بن اسماعيل ، يريد أن يذهب مالى فأحتاج الى ما فى أيديهم ، وأنا لا أدري ما أحبس - كم أحبس - فانظري الى القوت الذى كنت آكل فى بيتى فابعثى الى به ، فكانت تبعث اليه بذلك وكان يصوم الدهر ويفطر فى أيام العيدين وأيام التشريق .

انه لم يرض أن يذل نفسه لهؤلاء ولم يرد أن يتعرض لاحتياجه اليهم . قال عمران بن عبد الله الخزاعى : انى أرى أن نفس سعيد

أحدا من حدائي ؟ فقال : انى لست
من حداء أمير المؤمنين وقال لى :
أعلمه • فقال عبد الملك : هذا سعيد
بن المسيب فدعه •

ومن المثل التى نستفيدها من حياة
ابن المسيب حرصه على الجماعة ،
ولقد عذب فى سبيل الجماعة فما
افتتن ، وكان ضربه أيام ابن الزبير
لأنه قال : حتى يجتمع الناس ، وكان
ضربه فى أيام عبد الملك لأنه أراد أن
ينتظر اجتماع الناس على البيعة
حتى لا تنشق كلمة المسلمين !

ولحرصه على الجماعة رفض
مفارقة المدينة ، ورفض مفارقة
المسجد ، قال ميمون بن مهران :
بلغنى ان سعيد بن المسيب عمر
أربعين سنة لم يأت المسجد فيجد
أهله قد استقبلوه خارجين منه قد
قضوا صلاتهم ، ومن أقوال سعيد
فى ذلك : ان الشيطان مع الشاذ
وهو من الاثنين أبعد •

ولقد اشتكى عنه فقيل له :
لو خرجت يا أبا محمد الى العقيق
فنظرت الى الخصرة لوجدت لذلك
خفة ، قال : فكيف بشهود العتمة
والصبح ؟

حدث ابن مهران قائلا : قدم
عبد الملك بن مروان المدينة فامتنعت
منه القائلة واستيقظ فقال لحاجبه :
انظر هل فى المسجد أحد من حدائنا
من أهل المدينة ؟

قال : فخرج فاذا سعيد بن المسيب
فى حلقة له ، فقام حيث ينظر اليه ،
ثم غمزه وأشار اليه باصبعه ثم ولى ،
فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه ، فقال :
أراه فطن ؟ فجاء فدنا منه ثم غمزه
وأشار اليه وقال : ألم ترنى أشير
إليك ؟ قال : وما حاجتك ؟

قال : استيقظ أمير المؤمنين
فقال : انظر فى المسجد أحدا من
حدائي فأجب أمير المؤمنين ؟ فقال
سعيد أرسلك الى ؟ قال : لا ، ولكن
قال : اذهب فانظر بعض حدائنا
من أهل المدينة فلم أر أحدا أهيا
منك • فقال سعيد : اذهب فأعلمه
بأنى لست من حدائه •

فخرج الحاجب وهو يقول : ما
أرى هذا الشيخ الا مجنونا ، فأتى
عبد الملك فقال له : ما وجدت فى
المسجد الا شيخا أشرت اليه فلم
يقم فقلت له : ان أمير المؤمنين
قال : انظر هل ترى فى المسجد

وكان لا يحب الخوض في سيرة أحد ، وينهى من يخوض في ذلك •
حدث على بن زيد قال : قال لى سعيد بن المسيب : قل لقائك يقوم فينظر الى وجه هذا الرجل والى جسده ، قال فانطلق فنظر فاذا رجل أسود الوجه فجاء فقال : رأيت وجه زنجى وجسده أبيض ، فقال : هذا سب هؤلاء الرهط ••
طلحة والزبير وعليا ، فنهيته فأبى ، فدعوت عليه بقولى : ان كنت كاذبا فسود الله وجهك ، فخرجت بوجهه قرحة فاسود وجهه •

وليس غريبا على رجل كسعيد بن المسيب أن ينور الله قلبه وطريقه على الرغم من المرض الذى أصاب عينيه فى آخر حياته ، فقد حدث ابن حرملة قال : أدرك سعيد بن المسيب رجلا من قریش ومعه مصباح فى ليلة مطيرة ، فسلم عليه وقال : كيف أمسيت يا أبا محمد ؟ قال : أحمد الله ، فلما بلغ الرجل منزله دخل وقال : نبعث معك بالمصباح ، قال : لا حاجة لى بنورك ، نور الله أحب الى من نورك •

وفى أيام موقعة الحرة لزم الناس بيوتهم ولم يشهدوا الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة غير سعيد بن المسيب •
قال سعيد : لقد رأيتنى لىالى الحرة وما فى المسجد أحد من خلق الله غيرى ، وان أهل الشام ليدخلون زمراً زمراً يقولون : انظروا الى هذا الشيخ المجنون ، وما يأتى وقت صلاة الا سمعت أذاناً فى القبر -
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تقدمت فأقمت فصليت وما فى المسجد أحد غيرى •

ولزومه المسجد فى موقعة الحرة اعتصام من هذه الفتنة التى لفتح أوارها الناس جميعا ، وكان سببها أن أهل المدينة ثاروا على عامل يزيد بن معاوية وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان وعلى مروان بن الحكم وغيرهما من بنى أمية بعد مقتل الامام الحسين رضى الله عنه وبعد أن شاع كثير من الجور والفساد ، فسئير اليهم يزيد جيشا من الشام على رأسه مسلم بن عقبة فحاصر المدينة ونهبها وقتل كثيرا من أهلها •• والحرة : مكان قريب من المدينة •

ولقد عرف عن ابن المسيب أنه كان يبالغ في ستر عورات الناس - وهذه مروءة نفتقدها اليوم - قال ابن حرملة : خرجت الى الصبح فوجدت سكران فلم أزل أجره حتى أدخلته منزلي ، فلقيت سعيد بن المسيب فقلت : لو أن رجلا وجد سكران أيدفعه الى السلطان فيقيم عليه الحد ؟ فقال لي : ان استطعت أن تستره بثوبك فأفعل . فرجعت اليه فاذا به قد آفاق ، فلما رأيته عرفت فيه الحياء ، فقلت له : أما تستحي ؟ لو أخذت البارحة لحددت فكنت في الناس مثل الميت لا تجوز لك شهادة ، فقال : والله لا أعود أبدا !؟ قال ابن حرملة : فرأيت أنه قد

حسنت حاله بعد . هذه مثل نهديها الى أنفسنا في هذا الزمن الذي نعيش فيه لنذكر من خلالها مدى الهوة العميقة التي تردينا فيها وكيف انتهت بنا الدنيا الى هذا البوار الذي وصلنا اليه ، لاوجه للمقارنة بين حال أولئك الذين يمثلهم سعيد بن المسيب وبين حالنا التي أصبحت مسخا مشوها ، لا وجه للجمال فيه !

ان زينة العلم العمل به ، وزينة المسلم كرامته ، وزينة المؤمن صدقه . اللهم اجعلنا ممن يصدقون في أقوالهم وأفعالهم وممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

عبد الحفيظ فرغلي القرنى

فضل العلم

قال النبی صلی الله علیه وسلم : « ان الله يحب الحليم الحی وبيغض الفاحش البذی »
وقال بعض الشعراء :

أحب مكارم الأخلاق جهلى
وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما
وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه
ومن حقر الرجال قلن يهابا

التوجيه الإسلامى لعلم النفس

للدكتور فؤاد أبو حطب

(٢) بناء علم نفس اسلامى
« صوفى » :

— ٢ —

أما الاتجاه الثانى فيحاول بناء علم نفس اسلامى فى اطار المصطلحات والرموز الصوفية وحدها .. ومن أكثر المؤلفات انتماء الى هذا الاتجاه .. كتاب نقدى حديث ، للدكتور حسن الشرقاوى (١٤) •

وهذا الاتجاه على ارتباط بالاتجاه الأول ، فقد أشار مؤرخو علم النفس الدينى (٦٤) الى أن الصوفيين فى مختلف العصور ، ومن مختلف الديانات هم اسلاف سيكولوجية الدين بالمعنى الحديث •

والتصرف فى جوهره نزعة « روحية » تسعى الى الوصول الى الله ، وفى سبيل ذلك اهتم

المتصوفة المسلمون بتحليل النفس البشرية تحليلًا عميقًا ، وشرحوا آداب المريـد فى علاقته بالشيخ ، وما يجب أن يتحلى به من الخصال السامية (كالصدق والاخلاص والقناعة والزهد) •

ورسموا لهذا المريـد وسائل النجاة (مثل التوبة والندم والتقوى والورع والصمت والتأمل والخلوة والاعتكاف) •

وتحدثوا عن أحوال النفس ومقاماتها مثل : (العشق ، والشوق ، والخوف ، والرجاء ، والغيبة ، والحضور والفناء ، والبقاء ..) •

والواقع أن الاتجاه الصوفى فى الاسلام — كنزعة روحية متطرفة — قد لا يتفق مع خاصية « التوازن » فيه ، والتى تشمل جميع جوانبه ، سواء فى الاعتقاد

— واقدم نماذج هذا الاتجاه ما فعله المتخصصون فى الفلسفة الاسلامية حين حققت مخطوطات فلاسفة المسلمين مع حركة احياء التراث فى العصر الحديث ، ومن ذلك مؤلفات : الكندى ، والفارابى ، وابن سينا وابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد .

— وكان ابن سينا أكثر هؤلاء اهتماما بالمسائل التى تعد «نفسية» بالمعنى الحديث ، ولذلك نجد أحد رواد « الجيل الثانى فى علم النفس فى مصر » وهو الدكتور محمد عثمان نجاتى ، يهتم بمسألة الادراك الحسى عند ابن سينا من منظور سيكولوجى معاصر (٤٧) كما يهتم الأهوانى (٣) ببعض المسائل النفسية عند ابن سينا أيضا ، وخاصة فكرة « الشعور » وموضوع الصلة بين النفس والبدن ، والمسألة الأخيرة خاصة لها تاريخ طويل فى الفلسفة ، واهتم بها الفارابى قبل ابن سينا ، وقد أثرت فى تطور علم النفس ، وسوف نعرض لها فيما بعد .

والتصور ، أو التعبد والتنسك ، أو الأخلاق والآداب ، أو التشريع والنظام ، وحسبنا فيما نتحدث عنه . . أن تشير الى التوازن فى الاسلام ، بين الروحية ، والمادية ، وبين مطالب الدنيا والآخرة ، وفى المؤلفات المتخصصة . . اشارات كثيرة الى ذلك (٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٠) .

(٣) الدراسات النفسية فى تراث العلماء المسلمين :

يوجد اتجاه ثالث بين الكتاب المسلمين فى علم النفس يتمثل فى اعادة قراءة التراث العربى فى فنون التأليف والترجمة المختلفة وخاصة ما يرتبط منها بموضوعات علم النفس الحديث . ونحن نستخدم كلمة « التراث » بمعناها الذى أشار اليه عبد السلام هارون (٣٥ : ٥) أى « كل ما خلفه مؤلف من انتاج فكرى بعد حياته » فالتراث هنا هو انتاج العلماء والمفكرين والمصنفين المسلمين على مر العصور .

— وقد يصدق ما قلناه هنا على الاتجاه « الصوفى » أيضا — الذى قد يعد من فئة هذا الاتجاه التراثى — وخاصة اذا علمنا أنه توجد مؤثرات خارجية عديدة أثرت فى التصرف الاسلامى .. مثل الرهبة المسيحية ، والبرهمية الهندية ، والمناوية الفارسية ، — وكلها تختلف عن خصائص التصور الاسلامى للكون ، والانسان .

— وقد يكون حجة الاسلام الامام الغزالى استثناء من هذا كله ، فقد كان الرجل من أعظم الفقهاء ، والفلاسفة والمتكلمين ، والمعلمين ، والصوفية — الا أنه التزم فى جميع الأحوال باطار نقدى جعله — فى تاريخ الفكر الاسلامى — مؤسس أول نسق اسلامى متكامل لعلم النفس (٣٠ : ٤) ، ولذلك فان الدراسة التى أجراها عبد الكريم عند الغزالى ، لا بد أن تحتل مكانة العثمان .. عن الفكر السيكولوجى خاصة فى أى جهد جديد ، يبذل لاعادة توجيه علم النفس وجهة اسلامية .

أما رسالة حى بن يقظان لابن طفيل فقد اهتم بها : الدكتور عبد الحميد الهاشمى (٢٤) وأعاد قراءتها فى اطار سيكولوجية النمو والتعلم .

ولا زلنا فى حاجة الى اعادة قراءة آراء أهل المدينة الفاضلة « للفارابى » فى حدود علم النفس الاجتماعى ، و « اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان » لابن قيم الجوزية فى اطار علم النفس المرضى والاكلينيكي — و « المقاييسات » لأبى حيان التوحيدى فى ضوء علم النفس التجريبي .

— الا أننا يجب أن ننبه الى أن هذا « التراث الفلسفى » يجب أن نلتزم ازاءه باطار نقدى حين نعيد قراءته سيكولوجيا واسلاميا ، وخاصة اذا علمنا أن كثيرا من هؤلاء الفلاسفة قد تأثر بأرسطو وغيره من فلاسفة اليونان ، ولذلك قد نجد فيما يكتبون أثرا لما يمكن أن يسمى « علم نفس يونانى » يتصل بنظرة فلاسفة اليونان هؤلاء الى الانسان والكون ، والتى لا تمت بصلة الى التصور الاسلامى .

أما المحاولة الثانية : فهي أكثر حداثة وشمولا ، وهي التي قام بها الدكتور سيد أحمد عثمان (١٩) في قراءته السيكلوجية أيضا لكتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » لبرهان الدين الزرنوجي ، والتي سعى بها أن يكشف العناصر التي يتألف منها نسق المتعلم - التعليم عنده في هذا الكتاب ، وربطها بمفاهيم سيكلوجية التعلم الحديثة ، والكشف فيه عن مفاهيم ومبادئ سيكلوجية ذات صبغة اسلامية تحتاج الى مزيد من البحث - ومنها : مفهوم النية ، ومبدأ العلاقة بين الخلق والتكوين الخلقي أو القيمي والتعلم ، وتصنيف الدوافع تصنيفا جديدا ، والاتجاه « الاسلامي الانساني » الذي يجعل المتعلم مركز النشاط التعليمي وغير ذلك من المفاهيم والمبادئ .

- وتوجد محاولات أخرى تنتمي الى هذا الاتجاه التراثي ذات صبغة مختلفة - وتتمثل في إعادة قراءة التراث العربي في فنون الأدب والتربية وغيرهما ، وانتقاء ما يتصل منه بموضوعات علم النفس ، ومجالاته ، والربط بين ما يتضمنه من مصطلحات ومفاهيم ومبادئ من ناحية - وما يهتم به علم النفس الحديث من ناحية أخرى .

- ومن بين هذه المحاولات ..
نشير الى محاولتين مهمتين (*) :
قام بأولاهما : الدكتور محمد خلف الله أحمد عام ١٩٤٠ م (٤٤) في قراءاته السيكلوجية لكتاب الأذكياء لابن الجوزي ، والتي حاول فيها أن يوائم بين تصور الذكاء : عند ابن الجوزي ، ومفهوم الذكاء : عند كل .. من بينيه ، وسبيرمان .

(*) توجد محاولة ثالثة قام بها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني (٤) في تحقيقه ونشره للرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين للقباسي ، ورسالة « آداب المعلمين » لابن سحنون ، الا أن تناول الأهواني لهاتين الرسالتين غلبت عليه المسحة « التربوية » على الرغم من بعض الاشارات المتكررة الى مفاهيم سيكلوجية التعلم .

طويل ، ويمتد ماضيه كغيره من العلوم الطبيعية والاجتماعية - الى حضارة الاسلام ، أى انه ليس وليد حضارة الغرب الحديثة ، وبالتالي : يجب أن يصنف فى قائمة ما يجب أن ينبذ منها ، كما يرى ويلج عليه بعض الكتاب .. صحيح أنه أحرز - كغيره من ميادين المعرفة - تقدما هائلا فى الغرب خلال القرن الذى انقضى منذ نشأته الرسمية ، كعلم تجريبى أكاديمى عام ١٨٧٩م وأعظم انجازاته : هو ما يتم فى وقتنا الحاضر خلال الربع الأخير من القرن الميلادى الحالى ، الا أن ذلك لا يجعله من مبتكرات الغرب ، ومستحدثاته •

- والأزمة الحقيقية التى يواجهها علم النفس الحديث - فى ضوء التشخيص الاسلامى - هى أزمة المعرفة كلها فى حضارة الغرب ، والتى يمكن أن نلخصها فى عدم التوازن المعرفى •

فالتقدم والانجاز يعوزه الترشيده ، حتى صار الخلل سمة العصر سواء من الوجهة الاقتصادية أو السياسية

وبالاضافة الى ذلك اهتم الدكتور سيد أحمد عثمان - خاصة - بسبق الزرنوجى فى آرائه عن التكرار ، والحفظ ، والنسيان ، والتى أعاد «اينجهوس» اكتشافها فى القرن التاسع عشر •

- والجهد الذى يبذله أصحاب هذا الاتجاه ، جهد حميد لا شك ، ففيه الغيرة والحماسة : للفكر العربى والاسلامى ، كما فيه التفتح على اهتمامات علم النفس ، الا اننا نرى : أن هذه الحركة تحتاج الى جهد كبير لتنظيم نتائجها الجزئية فى اطار كلى ، والا تراكت المصطلحات والمفاهيم ، والمبادئ والأفكار : تراكما يصل بنا الى حد العجز عن التنظيم والفهم ، هذا الاطار الكلى ، هو ما نسميه « التوجيه الاسلامى لعلم النفس الحديث » •

نحو توجيه اسلامى لعلم النفس الحديث :

من عرضنا فى القسمين السابقين يتبين لنا أن علم النفس الحديث - كما قال عنه مؤرخوه - له « تاريخ » قصير ، و « ماض »

أو الاجتماعية ، ثم من الوجهة المعرفية ، ولعل من أعظم صور الخلل « المعرفى » - بالرغم من انفجار المعلومات - ما يسميه أوينهايمر (٦٦) صراع العلم والثقافة ، وما يسمى أحيانا في بلادنا الاسلامية صراع العلم والدين ، وما يسمى فى صورة أكثر حداثة « تقدم التكنولوجيا وتخلف »

« الايديولوجيا » •

— والازمة بالطبع — أعم من نطاق علم النفس ، فهى تشمل ميدان المعرفة كله لتصبح أزمة ايستمولوجية •

ومن هنا تأتى حاجتنا الى التوجيه الاسلامى للمعرفة ، ولايتسع المقام لتفصيل هذه المسألة ، وقد يتاح لنا الكتابة فيها فى حدود ما يمكن ان نسميه نحو فلاسفة اسلامية للعلم ، ولذلك سوف نقتصر على تناول هذا الأمر بصورة مجملّة وفى اطار سيكولوجى ما استطعنا تحقيقا لاهداف الندوة الحالية •

— ولا شك فى أن التوجيه الاسلامى لعلم النفس — على ضوء ما بينا : لا يمكن أن يكون جهد

فرد أو عدة أفراد ، كما لا يمكن أن يكون جهدا تطوعيا اختياريا تحكمه المصادفات ، وانما لا بد أن تتوافر عليه العصبية أولو القوة التى يلم افرادها بالموضوعين الماما واسعا • فالتخصص فى علم النفس الذى يتناول هذا الموضوع لا يجب أن يقتصر على ذخيرته من المعرفة فى علم النفس ، وانما عليه أن يلم الماما دقيقا بخصائص الاسلام عقيدة وشريعة ومنهجها ومذهبها ونظامها ، وهو جهد يتطلب منه أن يتوافر عليه لسنوات طويلة للتعرف على بعض جوانبه • ومثل هذا يجب أن يقال على رجال الدين الذين يتناولون المسائل النفسية من وجهة نظر الاسلام — أى ان الأمر يتطلب ما يسميه الدكتور عمر خليف من وجهة نظر علم الاجتماع الحديث « توزيع العمل فى الدراسة العلمية » (٣٢) •

— وفى حدود ما أتيج لنا من الوقت يمكن أن نعرض فيما يلى بعض الأسس العامة لما نسميه التوجيه الاسلامى لعلم النفس ، عارضين بايجاز وعمومية لبعض المسائل

— هذه الدراسة للنفس الانسانية هدفها الأعظم التعرف على آيات الله فى خلق الانسان — كما أن هدف دراسة العلوم الطبيعية التعرف على آيات الله فى خلق الكون • وآيات الله : هى علامات قدرته فى خلقه وبهذا يصبح العلم كله تسييحا لله — وهذا الهدف العظيم واضح بذاته فى الآيات القرآنية التى أشرنا إليها •

(٣) الاعجاز العلمى للقرآن الكريم :

واذا كان الله تعالى قد عبر عن علامات قدرته فى خلق الكون والانسان بأنها « آيات » فانه يصف القرآن الكريم أيضا بأنه « آيات » يقول الله تعالى :

« ولقد أنزلنا اليك آيات بينات ، وما يكفر بها الا الفاسقون » (البقرة : ٩٩) •

— وهكذا تكون علامات قدرته سبحانه « متلوة » فى القرآن الكريم و « مجلوة » فى مخلوقاته ولذا يرى بعض المفسرين (٣١ : ٧٤) أن قوله تعالى « ما ننسخ من

الايستمولوجية التى تحتاج لمزيد من التفصيل ، كما بينا •

(١) دراسة النفس تكليف قرآنى : — اذا كان القرآن الكريم دعوة صريحة لتأمل الكون فانه بنفس القدر دعوة مباشرة لتأمل النفس — وفى ذلك يقول الله تعالى :

« أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى » (الروم : ٨) •

« خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم » (التغابن : ٣) •

« سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » (فصلت : ٥٣) •

« وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسهم ، أفلا تبصرون » • (الذاريات : ٢٠ ، ٢١) •

— وهكذا نجد أن دراسة النفس وتأملها تكليف مباشر فى القرآن الكريم •

(٢) الهدف الأعظم من هذه الدراسة التعرف على آيات الله :

آية أو نسها نأت بخير منها أو
مثلا « (٢ : ١٠٦) يحتمل الآية
فى كتاب الله والآية فى خلقه •

وهذا الربط الوثيق بين «آيات»
الله فى كتابه الخالد وآياته فى
الكون والانسان : دعا أحد الكتاب
المعاصرين (٣١ : ٧) الى القول
بأنه : « لو كان القرآن علما
محسوسا لكان هذا الكون
العجيب ! ولو كان الكون كتابا
متلوا لكان هو هذا القرآن ،
فكلاهما كتاب الله المبين وكلماته
الكريمة » •

— يقول الله تعالى فى وصف
القرآن الكريم :

« ولو أن قرآنا سیرت به الجبال
أو قطعت به الأرض ، أو كلم به
الموتى » (الرعد : ٣١) •

ويقول الرسول الكريم فى
وصفه أيضا ، فى حديث طويل
بأنه :

« كتاب الله

تبارك وتعالى

فيه نبأ من قبلكم

وخبر من بعدكم
وحكم ما بينكم ،
هو الفصل ليس بالهزل ،
من تركه من جبار قصمه الله ،
ومن ابتغى الهدى فى غيره
أضله الله ،
هو جبل الله المتين ، ونوره
المبين ، والذكر الحكيم ،
وهو الصراط المستقيم ،
وهو الذى لا تزىغ به الأهواء ،
ولا تلتبس به الألسنة ،
ولا تشجب معه الآراء ،
ولا يشبع منه العلماء ،
ولا يملأه الأتقياء ،
ولا يخلق على كثرة الرد ،
ولا تنقضى عجائبه » •

— ويقودنا هذا الى القول بأن من
أهداف العلم عامة — ومنه علم
النفس — فى الاطار الاسلامى :
أن يكون وجها من وجوه اعجاز
القرآن ، من بين وجوه اعجازه
المتعددة المتجددة •

الله أقول لكم : سأعطيكم العلم وأريكم آياتى فى الآفاق ، ولكنكم لن تخلقوا ذباباً ولو اجتمع كل علماء الأرض فى كل العصور » •

وذلك تفسيراً لقوله تعالى :

« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » (الحج ٧٣) •

وعن تحدى الغيب •• يقول الله تعالى عن المغيبات الخمس :

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت » (لقمان : ٣٤) •

— ويوجد مظهر آخر من مظاهر الإعجاز العلمى للقرآن الكريم — كهدف للعلم — يتمثل فى فهم الحقائق العلمية — ومنها الحقائق السيكلولوجية — التى يتضمنها كتاب الله ، وهنا يجب أن نشير الى ثلاثة أمور :

— وكان السيد محمد رشيد رضا (٥٥) أول من تنبه الى العلم كأحد جوانب الإعجاز القرآنى ، الى جانب اعجازه فى ميادين الشريعة ، والفقه واللغة ، والأدب •

— ويتوافر — فى عصرنا الراهن — بعض الباحثين على تأمل هذا الإعجاز العلمى للقرآن ، وخاصة فى مجالات الفلك ، والفيزياء ، والأحياء •

ويهتم الشيخ محمد متولى الشعراوى (٥٢) كثيراً بهذه المسألة ، وفى رأيه : أنه اذا كان القرآن الكريم يتحدى العرب باعجازه اللغوى ، فانه يتحدى العالم بالعلم — وحين يصبح العلم سبيل الانسان للتعرف على آيات الله فى مخلوقاته ، فانه من خلال العلم ذاته — يكتشف حدوده التى لا يتعداها — مهما أحرز من تقدم وهذه الحدود تتمثل فى تحديين ، أشار اليهما القرآن الكريم ، وهما : تحدى الخلق ، وتحدى الغيب •

يقول الشيخ الشعراوى (٥٢) حول مسألة تحدى الخلق : « كأن الله سبحانه وتعالى يقول : اننى أنا

وهو بهذا يقود الانسان الى الله ويصله به ، ويصبح العلم بهذا محققا للغاية من خلق الانسان التي حددها سبحانه وتعالى فى قوله :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (الذاريات : ٥٦) •

— ومفهوم العبادة — فى الاسلام — لا يقتصر على الصلة بين الانسان وربّه كما هو الحال فى بعض الأديان الأخرى — وانما تتضمن معانى أوسع نطاقا تمتد الى مختلف جوانب الحياة تحقيقا لوظيفة الانسان ، كخليقة لله فى الأرض •• وهنا تأتى قيمة العلم ، كطريق لتحقيق العبادة بهذا المعنى الشامل •• فالتعرف على آيات الله فى خلقه يؤدى — كما بينا — الى توثيق صلة الانسان بربه — كما يؤدى به أيضا الى معرفة خصائص هذه المخلوقات للارتفاع بها فى عمارة الكون الذى استخلف فيه •

وهكذا يصبح معنى العبادة — فى الاسلام — كما يحددها كاتب معاصر (١ : ٩٣) كما يلى :

— أولها : أن كتاب الله ليس دائرة معارف علمية يتضمن تفاصيل حقائق العلم ، وانما ما يتضمنه منها هو على سبيل تأكيد رسالته ككتاب دعوة ، وهداية ، وارشاد — ولو كانت كل حقائق العلم متضمنة فيما دعانا الله سبحانه وتعالى الى مزيد من الكشف عنها •

— ثانيهما : يجب ألا تحمل كلمات القرآن الكريم ما لا تحتمله من معان وألا نحاول ما يفعله البعض من اقحامه فى التفاصيل الجزئية لنتائج البحوث والمخترعات •

ثالثها : دراسة السيرة النبوية ابتغاء الأسوة الحسنة والقُدوة الصالحة ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا حيا يمشى على قدمين ، وكان خلقه وسلوكه القرآن •

(٤) العلم عبادة :

— العلم عبادة اذن : هو الذى يؤدى بالباحت الى التعرف على آيات الله فى الكون والانسان ، كما يؤدى به الى بيان جوانب متجددة من اعجاز القرآن الكريم ،

« بل هو آيات بينات فى صدور
الذين أوتوا العلم » (العنكبوت :
٤٩) •

« وقال الذين أوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله »
(الروم : ٥٦) •

« ويرى الذين أوتوا العلم الذى
أنزل اليك من ربك هو الحق »
(سبأ : ٦) •

« فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم »
(غافر : ٨٣) •

« يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا العلم درجات »
(المجادلة : ١١) •

كما يتحقق لهم وصف الرسول
الكريم لهم بأنهم ورثة الأنبياء •
(٥) الكشف عن سنن الله :

— اذا كان العلم فى الاسلام عبادة
يتقرب بها العالم الى الله من خلال
التعرف على آياته والتصديق
باعجاز كتابه ، والسعى لعمارة
الأرض ، فان سبيل العلم الى ذلك
هو الكشف عن سنن الله فى

« ان العبادة التى من أجلها
خلق الانسان فى هذه الحياة هى
السير فى الطريق التى تؤدى الى
تحقيق خلافته عن الله فى الأرض ••
ومن لوازم هذا — بعد الايمان
بالله — الضرب على الأرض والتعاون
مع الغير وأداء الواجب ، والمحافظة
على حقوق الآخرين » •

وبهذا تتحقق للعلماء تلك المكانة
الرفيعة التى خصهم بها الله تعالى
فى كتابه الكريم ، حين يقول :

« والراسخون فى العلم يقولون
آمنا به ، كل من عند ربنا » (آل
عمران : ٧) •

« شهد الله أنه لا اله الا هو ،
والملائكة ، وأولو العلم ، قائما
بالقسط » (آل عمران : ١٨) •

« لكن الراسخون فى العلم
منهم المؤمنون يؤمنون بما أنزل
اليك » (النساء : ١٦٢) •

« وليعلم الذين أوتوا العلم أنه
الحق من ربك فيؤمنوا به »
(الحج : ٥٤) •

من ألوان العباداة - يقول الله تعالى :

« والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم : السمع ، والأبصار ، والأفئدة ، لعلكم تشكرون » (النحل : ٧٨) •

« وهو الذى أنشأ لكم : السمع ، والأبصار ، والأفئدة : قليلا ما تشكرون » (المؤمنون : ٢٧٨)

كما اعتبر وسائل المعرفة هذه مسئولية فى قوله تعالى :

« ... ان السمع ، والبصر ، والفؤاد : كل أولئك كان عنه مسئولا » (الاسراء : ٣٦) •

(٦) حدوث وسائل الكشف عن سنن الله :

فى سعى الانسان للكشف عن سنن الله : يستخدم - كما أشرنا - امكاناته البشرية ، وهى بفطرتها محدودة ، ومعرضة للوقوع فى أخطاء الضعف ، أو القصور ، أو النسيان ، أو الخداع - وقد أشرنا

مخلوقاته ، وسنة الله هى ما جرى به نظامه فى خلقه •

وليس من قبيل المصادفة أن أطلق رواد العلم فى الاسلام على بعض العلوم ، مثل علم الفيزياء ، بأنه « علم الكشف عن سنن الله فى الكون » (٢٣) • وفى علم النفس يكون هدفنا أيضا الكشف عن سنن الله فى سلوك الانسان ، ومع كشفنا لكل سنة منها : وجهنا الكشف الى مجهولات أخرى لكشفها •

ويستخدم الانسان فى الكشف عن سنن الله ما زوده - سبحانه وتعالى - به من نعم ، وخاصة الحواس والعقل ، والا يستمولوجيا الاسلامية فى وجهتها المتوازنة لا تحدث تضادا بين الحس والعقل ، كما فعلت نظريات المعرفة على مر العصور ، والتي أدت الى ظهور المدارس الامبريقية فى مقابل المدارس العقلية (أو العقلانية) • ففى الاسلام تتكامل وسائل المعرفة تحقيقا لاحدى غايات العلم ، وهى شكر الله على أنعمه ، والشكر

طيا لمناهج البحث فى العلم عامة ،
أو فى علم النفس خاصة ، نذكر
أهمها فيما يلى :

١ - التجرد من الميول والأهواء
عند البحث العلمى « ومن أضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من
الله (القصص : ٥٥) » .

ويشمل هذا : التعصب لنظرية
أو مذهب أو اتجاه .

٢ - التثبت قبل اصدار الحكم
فى مسألة علمية ، وهذه القاعدة
الذهبية هى التى يستخدمها
الباحثون فى مختلف ميادين المعرفة ،
والتي تسمى : القابلية للاستعادة
أو التكرار

كما تتضمن قاعدة الموضوعية
باعتبارها : الاتفاق النسبى بين
الملاحظين ، وأمر الله صريح بالألا
تبنى الأحكام على مجرد الظنون
« ان يتبعون الا الظن ، وان الظن
لا يغنى من الحق شيئا » (النجم :
٢٨) .

٣ - التعمق فى فهم البواعث
والملازمات ، بحيث لا يقف الباحث
عند المظاهر الشكلية ، أو الظواهر

الى هذه المسألة فى حديثنا عن
اليقين ، والموضوعية ، وجوهرها :
أن الانسان ليس معصوما من
الخطأ .

ومهمة العلم : أن يرشد الى
الصواب فى حدود امكانيات
البشر الحسية ، والمعرفية .

وفى الاسلام : أن من اجتهد
وأصاب : فله أجران ، ومن اجتهد
وأخطأ فله أجر واحد ، بشرط صدق
النية ، وخلوص المقصد .

ومن الأدعية القرآنية الماثورة
« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو
أخطأنا » (البقرة : ٢٨٦) .

ومن الأحاديث المشهورة ...
قول الرسول الكريم : « رفع عن
أمتى : الخطأ ، والنسيان ، وما
استكروها عليه » (٣١ : ٦٩) .

وقد وضع القرآن الكريم
مجموعة من الضوابط لوسائل
المعرفة البشرية : تعين الانسان على
الاقتراب من الصواب .

ولقد لخص على عبد العظيم
(٣١ : ٦٩ - ٨٣) هذه الضوابط
تلخيصا طيبا يمكن أن يعد مدخلا

والتواضع سمة مهمة للعالم المسلم ، لأنه يدرك بحق أن العلم لا يدرك كله - ولذا تخفى على أعظم العلماء بعض جوانب المعرفة يقول الله تعالى في ذلك :

« ... وما أوتيتهم من العلم الا قليلا » (الاسراء : ٨٥) •

« ... وفوق كل ذي علم عليم » (يوسف : ٧٦) •

٦ - التأنى فى الحكم ومقاومة الميل الفطرى عند الانسان للتعجل - وقد أوصى الله سبحانه وتعالى : رسوله بالأناة عند تلقي القرآن الكريم ، فقال : « لا تحرك به لسانك لتعجل به » (القيامة : ١٦) •

كما قال تعالى : « ولا تعجل بانقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما » (طه : ١١٤) •

٧ - الاهتمام بالتفاصيل والدقائق ، واحترام الآخرين ، حتى ولو صدرت عن أشخاص ليسوا

السطحية ، أو الصفات العارضة ، فانها كثيرا ما تخدع الباحث •

وقد أخذ الله تعالى على المدعين أنهم « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » (الروم : ٧) •

٤ - العبرة فى البحث العلمى : بالكيف ، لا بالكم .. وهذا المبدأ مفيد لنا فى العالم الاسلامى ومعظم دوله من فئة المجتمعات النامية ، فى مواجهة ما يسمى : الانفجار المعرفى ، وثورة المعلومات •

والاهتمام بالكيف يكاد يكون خاصية اسلامية متميزة ، يحددها : قول الله فى وصف الناس عامة : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (الحجرات : ١٣) •

٥ - البعد عن الغرور : فان غرور العلماء مزلق خطير قد يحدد بهم عن الطريق السوى •

يقول الله تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم : هو أعلم بمن اتقى » (النجم : ٣٢) •

وأجيال وبعد أن يشترك فيها علماء
من كل جيل » •

ومعنى ذلك : أن العالم المقتدر :
هو الذى لا يتعسف فى تفسير
نتائجه أو يحملها ما لا تحتل ••
وقد ضرب الله سبحانه المثل بقول
عيسى عليه السلام - « ••••• سبحانه
ما يكون لى أن أقول ما ليس لى
بحق » (المائدة : ١١٦) •

٩ - العودة الى الصواب
والاعتراف بالخطأ ، اذا تبين الحق
وقد مدح الله المؤمنين بأنهم اذا
أخطأوا لم يتمادوا فى أخطائهم :
« ••••• ولم يصروا على ما فعلوا
وهم يعلمون » (آل عمران :
١٣٥) •

بذوى شأن كبير ، وتناول مختلف
المواد ، حتى ولو كانت ضئيلة •
وما خلق الله شيئا عبثا :
« ••••• ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك » (آل عمران : ١٩١) •

٨ - الوقوف عند حدود ما
نعلم ، ومن العبارات المهمة التى
كان يرددها كثيرا أقطاب السلف
الصالح « الله أعلم » ؟

يقول على عبد العظيم (٣١ :
٧٩) « الراسخون فى العلم يذلون
جهودهم فى البحث فاذا لم يصلوا
الى نتيجة محددة استعانوا
بغيرهم ، أو تركوا أبحاثهم لستمها
الأجيال القادمة ، وكثيرا ما تختفى
الحقائق ولا تلوح الا بعد أجيال

د. فؤاد أبو حطب

قصة الإسراء والمعراج

عوامل خلودها، الآراء في تكييفها، التشكيكات الموجهة إليها

للدكتور عبد الغنى الراجحي

والدلائل الدالة على كمال قدرة
الله ، وذلك في قوله تعالى :

« لنريه من آياتنا انه هو السميع
البصير » •

وجاء في سورة التجم في
رحلة المعراج به صلى الله عليه
وسلم الى السموات العلى قوله
تعالى :

« ولقد رأى من آيات ربه
الكبرى » •

وفغر أهل مكة أفواههم عجباً
واستغراباً فقالوا نحن نضرب الى
القدس أكباد الابل شهراً ذهاباً
وشهراً اياباً ومحمد يقول انه زارها
وعاد فى جزء ليلة واحدة ؟ ؟

واذا كانت كبريات الحوادث
والوقائع تخلد فى أذهان الناس
وتعيش فى ذاكرتهم أجيالاً وأجيالاً
لما فيها من الأساليب القصصية التى

١ - اذا كانت كبريات الأحداث
والوقائع تخلد فى أذهان الناس
وتحيا فى ذاكرتهم أجيالاً وأجيالاً لما
تنطوى عليه من العجائب والغرائب
والعبر والدروس المستفادة ، فان
حادث الاسراء والمعراج برسول
الله محمد صلى الله عليه وسلم يجب
أن يوضع على رأس قائمة هذا
النوع من كبريات الأحداث ، وقد
صدرت الآية الكريمة المتحدثة عن
الاسراء بكلمة سبحان المفيدة
للتعجب والتنزيه ، فقال تعالى :

« سبحان الذى أسرى بعبده
ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد
الأقصى » •

والانسان عند التعجب يقول
سبحان الله • وجاءت فى نهاية هذه
الآية كلمة الآيات بمعنى العجائب

الملائكة والرسل وسدرة المنتهى ، ورؤية الله أو كلامه ، ثم العودة فى جزء من الليل الى القدس ثم الى مكة ثم ما كان من موقف كفرية مكة وموقف الصديق ، وفريضة الصلاة ونحو ذلك • والأدباء وأرباب الدراسات الأدبية يقولون أن المعرى فى كتابه رسالة الغفران قد اغترف من بحر هذه القصة وحاكاها فى أساليبها وأحداثها ، وكذلك الأديب الايطالى داتى فانه فعل ذلك فى كتابه الكوميديا الالهية وجيم داتى •

واذا كانت كبريات الأحداث تخذل على الزمن وتظل بها عامرة أذهان الناس أجيالا ، بعد أجيال بسبب أن بطولة هذه الأحداث تقوم بها شخصيات مرموقة محبوبة مجيدة ، فان حادث الاسراء والمعراج يجب أن يوضع فى رأس قائمة هذا النوع من الأحداث ، فان شخصيات أحداثها ووقائعها هى محمد صلى الله عليه وسلم سيد المخلوق وحبيب الحق وانسان عين الوجود الذى ما خلق الله شيئا أكرم عليه منه ، وآتاه من الخصائص ما لم يؤته

تسرد الوقائع متتابعة فى حبكة دقيقة ، ومشاهد تأخذ بمسامع الناس ومجامع القلوب وتستقطب الانتباه بما تثيره من المعانى والحوار والمفاجآت والعقد وحلها ، فى أساليب قصصية جميلة ، فان حادث الاسراء والمعراج يجب أن يكون فى رأس قائمة هذا النوع من الأحداث ، فان وقائعها ومشاهدتها وحوادثها وعقدتها وفكها من ألفها الى يائها ، بلغت الذروة فى باب أحسن القصص الذى تكفلت به السنة النبوية الصحيحة ، من مشهد نومه صلى الله عليه وسلم فى بيت أم هانئ ثم بالبيت الحرام ، ثم شق صدره وغسله بماء زمزم ، وجبريل وميكائيل والبراق والرحلة الى بيت المقدس ، وما رآه من المشاهد العجيبة وسؤاله لجبريل واجابته له ، ثم الوصول الى بيت المقدس والصلاة بالمرسلين الذين كانوا فى انتظاره ، وما تبع ذلك من نصب المعراج فوق الصخرة ، ثم العروج الى السموات العلى ، وما رآه من المشاهد والمناظر ، والحديث مع

ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » •

وباسم هذا الحادث سورة من أعظم السور فى القرآن الكريم هى سورة الاسراء • والسنة النبوية الصحيحة المسجلة فى كتب السنة تتكفل بتفصيلات هذا الاسراء ثم بالمعراج وتفصيلاته ، والسنة النبوية وحى له قداسته واحترامه ، وقامت الأمة الاسلامية بالحفاظ عليها وعلى أسانيدها بصورة لم تحصل فى أمة من الأمم ، والمحافظة على الأسانيد حتى تصل الى الرسول خصيصة من خصائص أمة الاسلام •

واذا كانت الأحداث تبقى وتخلد بسبب اتساع أماكن حدوثها وانتشار مسرح وجودها واتساع لمساتها باتساع أماكن وجودها فيكبر حجمها ويتسع دويها ، فان حادث الاسراء والمعراج فى رأس قائمة هذا النوع من الأحداث ، فمن مكة المكرمة وبيت الله الحرام وزمزم والمقام الى بيت المقدس الى

الأحد قبله من المرسلين ، وهو الذى تخفق اليوم بحبه قلوب أكثر من تسعمائة مليون من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتلهج باسمه وذكره ألسنتهم فى اليوم والليلة عشرات المرات ، هذا بالإضافة الى من كانوا معه هذه الليلة فى مزاولة أحداث الرحلة وممارسة أفعالها ، من جبريل وميكائيل وإبراهيم وآدم وموسى والرسول فى المسجد الأقصى وغير ذلك •

واذا كانت كبريات الأحداث تخلد فى أذهان الناس وتبقى على الزمن ذكريات مجيدة لأنها موثقة فى وثائق خالد تحميها من البلى وعوامل النسيان ، فان حادث الاسراء والمعراج ، يجب أن يوضع فى رأس قائمة هذا النوع من الأحداث ، لأنها موثقة ثابتة فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بدرة ، ثابتة فى آى الذكر الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حيث يقول جل من قائل :

« سبحان الذى أسرى بعبده

الهجرة ، فالذين افتروا هذه المقالة على عائشة لم يجيدوا سبكها ولا حبكها ، وخاتهم الذاكرة ولم يعملوا بقول القائل : « اذا كنت كذوبا فكن ذكورا » . وهكذا ينم الكذب عن نفسه ويكشف نفسه بنفسه .

ان كان فى رواية أخرى هى الأخرى مكذوبة انها قالت ما فقدت جسد رسول الله ولكن كان الاسراء بالروح .

ومن رأى آخر يدعى ان الاسراء والمعراج أمر حق لا شك فيه لكنه كان من قبيل الرؤيا المنامية ولم يكن من قبيل الرؤية البصرية ، ولعله قد استدل على ذلك بالآية الكريمة : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » . سورة الاسراء . فان بعض الناس يقولون ان لفظ الرؤيا بالألف انما يستعمل فى الرؤيا المنامية ، أما البصرية فانما تستعمل فيها الرؤية بالتاء ، لكن المحققين يعودون فيقولون ان لفظ الرؤيا يستعمل فى النوعين المنامية والبصرية ، ومما يدل دلالة قاطعة على أن الاسراء لم يكن مناميا انه

السموات العلى سماء سماء الى سدرة المنتهى اذ يغشى السدرة ما يغشى الى مستوى سمع فيه صرير الأقلام فى تصارييف الأقدار الى حيث تأخر جبريل ، وتقدم هو صلى الله عليه وسلم حيث اشتد القرب وحانت ساعة التجلى بالتكلم والرؤية ثم العودة من نفس هذه المعالم ، الى حيث بدأها صلى الله عليه وسلم تحذوه عناية الرحمن وفى ركابه ملائكة الله .

٢ - اشتجرت آراء الناس فى هذا الموضوع الخطير وتفرقوا فى النظر اليه طرائق قددا ، فمن رأى شاذ عجيب غريب لا ندرى كيف تسلل الى الكتب الاسلامية حيث دس فيها دسا وحيث ينسب الى معاوية وعائشة انكار هذه الرحلة ، وأنها رضى الله عنها قالت ما فارق جسده صلى الله عليه وسلم فراشه أو فراشى ، وبقليل من التأمل نجد أن هذه المقالة كالقضية التى تحمل فى طياتها دليل كذبها ، فان الاسراء كان قبل الهجرة بنحو سنتين ، وعائشة لم يدخل النبى بها ولم يكن له معها فراش الا فى المدينة وبعد

ورأى آخر يدعى أن هذه بطريقة وحدة الوجود والوجود الوجودى الذى تم فيه اندماج الرسول بجميع الكائنات ، علويها وسفليها ، روحيا وماديا ، فتسنى له بهذه المرتبة الحصول على معرفة ما حدث عنه أنه رآه ، وهذا كما نرى رأى غريب وغير مفهوم ، لأنه عسر الهضم وهو أشبه بالشطح الصوفى المضمون به على غير أهله ، وفيه من صعوبة التصور والادراك ما يوجب الاعراض عنه وعدم الأخذ به ، والرجوع الى رأى جماهير علماء المسلمين من أن الاسراء والمعراج كان يقظة بالجسد والروح معا ، الأمر الذى تؤكد قرائن الأحوال ، ويقرر القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

٣ - المستشرقون وأعداء الاسلام والفكر الاسلامى أثاروا حول هذه القضية استشكالات ومجادلات لتكذيبها وإبطالها ، فيقولون كيف يعقل ان الجسم البشرى والكائن الحى يستطيع أن يعيش حيا بعيدا عن مادة الأوكسجين التى تنقطع فى الفضاء بعد بعد

لو كان كذلك لما كان هناك تعجب ولا غرابة ولا انكار من كفرة مكة ، ولا تشنيع على رسول الله ولا استبعاد لما ادعاه لأن عالم الرؤى عالم فسيح واسع قابل لأى مقولة تقال فيه دون عجب أو استنكار ، ثم ان القصة صدرت بلفظ السبحان الدال على التعجب ، ولا تعجب فى الامور المنامية ، ويجوز اذا كان ولا بد أن يكون لفظ الرؤيا فى المنامية لا البصرية أن يكون الرسول قد رآها مناما ثم نقضا يقظة ولا مانع من ذلك كما أفادته بعض الروايات وابراهيم الخليل قد رأى قصة الذبح لولده مناما ثم كانت يقظة .

ومن رأى آخر يدعى أن حادث الاسراء والمعراج انما كانت بالروح فقط دون الجسد ، وهو رأى يبطله التصريح بلفظ العبد فى قوله تعالى « أسرى بعبده ليلا » ، لأن العبد لا يطلق الا على مجموع الروح والجسد معا بمعنى الانسان العابد والعبد ، ثم كيف تنفصل الروح عن الجسد وتتركه جثة هامدة لتقوم وحدها بهذه الرحلة البعيدة المدى ؟؟

معين من الأرض تنعدم عنده وبعده مادة الأوكسجين الذى لا يستطيع أن يعيش بدونها الكائن الحى حيث لا تنفس بدونها • والجواب عن ذلك ان الانسان المخلوق الضعيف استطاع مؤخرا أن يتغلب على هذه الصعوبة فيصعد الى طبقات الجو العالية الخالية من مادة الأوكسجين ويتجول طائرا فى الفضاء كيف يشاء لأنه استطاع أن يعبىء الأوكسجين وأن يصطحبه معه فى أنابيب يطلق منها متى يشاء هذه المادة لتتوفر له صلاحية التنفس وصلاحية الحياة مهما ارتفع بمركباته الهوائية وطائراته الجوية الى آفاق الفضاء ، فاذا كان المخلوق قد استطاع التغلب على هذه الصعوبة التى يعانها اذا ارتفع بنفسه فوق مستويات وجود الأوكسجين الطبيعى • أفلا يكون الله العزيز الحكيم أكثر استطاعة أن يفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟ بلى انه على كل شىء قدير •

ثم يقولون • كيف استطاع محمد وهو انسان بشر أن يتحرر بجسده من منطقة جاذبية الأرض

للأجسام ، ويصل الى نقطة انعدام الوزن ، وينطلق منفصلا عن علاقته بالأرض الى أجواز الفضاء والسماء • والجواب عن ذلك أن الانسان البشر قد استطاع مؤخرا التغلب على هذه الصعوبة وانفصل عن منطقة الأرض وجاذبيتها مندفعاً نحو الكواكب من القمر وغيره بمركباته الصاروخية • فهل يستطيع البشر بعلمه واقتداره أن يفعل ذلك ثم يعجز خالق البشر ومعطيه العلم والقدرة أن يفعل ذلك برسوله ؟ كلا • وفاقد الشىء لا يعطيه • وقدرة الله فوق الشك والتهم •

ثم يقولون الكائنات التى تقول القصة ان محمدا رآها فى ليلة الاسراء والمعراج ، كقدح من اللبن وقدر من الخمر ، فشرب اللبن وترك الخمر ، فقال له جبريل هديت الى الفطرة ، والثور الذى خرج من ثقب فى حجر ثم أراد أن يعود اليه فلم يستطع ، وقال جبريل انه مثل الرجل يتكلم الكلمة لا يلقي لها بالا فيندم ويريد الرجوع فيها فلا يستطيع ، والذين رأهم يأكلون جمرا بأفواههم يخرج من أدمعهم

تحدث ويراها تقوم بجميع الأعمال ، ويأخذ عنها العبر والدروس المستفادة ، ويعلق على ما تقوله من أقوال وما تؤديه من أدوار وأفعال ، ثم لا يكون أمامه بعد كل ذلك الا الصور والأشباح والظلال دون حاجة الى ماديات الأجسام اطلاقا •

فاذا كان الناس قد فعلوا ذلك كوسائل ايضاح وتربية وتعليم ، ودراسة حقائق اجتماعية وعلمية وأخلاقية وتربوية ، أفلا تكون القدرة الالهية على ذلك أقدر فتعطى لرسول الله هذه العبر والدروس المستفادة بهذه الطريقة ؟ بلى وقدرة الله فوق الشك والتهم •

ثم يقولون وهذه الأبعاد الشائعة والمسافات الواسعة هل فى مقدور بشر أن يقطعها ذهاباً وإياباً فى جزء ليلة وبهذه السرعة ؟ والجواب عن ذلك فى طريقة التعبير عن الاسراء فى القرآن الكريم حيث يقول تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً » فالاسراء والسرى لم يكن من رسول الله بصفته البشرية والشخصية ، ولكن كان

وكان مثلهم كمثل آكل مال اليتيم ، والذين رآهم تضرب رؤوسهم بالحجارة وكانوا مثلاً مضروباً للمتكاسلين عن الصلاة • والذين رآهم يخمشون جلودهم بأظافرهم وكانوا مثلاً للمغتائين ، والذين رآهم يتركون لحمًا طيباً هنيئاً ليأكلوا لحمًا فاسداً خبيثاً ، وكانوا مثلاً للزناة يتركون الزوجات الطيبات الحلال الى نساء زانيات فاجرات ، والذين رآهم يزرعون فيحصدون كلما حصدوا زرعوا وكلما زرعوا حصدوا ، وكانوا مثلاً للمنفيقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، والذين يسبحون فى نهر من الدماء ، والمرأة المتزينة التى نادته صلى الله عليه وسلم فأعرض عنها •

يقولون من أين جىء بهذه الكائنات والأشخاص ؟ وهل خلقوا الآن ثم اعدموا ؟ وهل كانت هذه أجرام وأجسام حقيقية أو خيالات وأوهام ؟ والجواب عن ذلك ان الشاشة البيضاء الكبيرة والصغيرة قد استطاعت أن تعرض مرئيات ومشاهدات لا يشك من رآها على الشاشة انها هى ، يسمعوها

موسى لما رآه فقال عنه فى لونه
أدمه يعنى سمره ، وفى جسمه
قوى يكاد شعر صدره يخرق
قميصه وكأنه من رجال ارضنوءة

« قبيلة يشتهر رجالها بالقوة
والبطش » • وهكذا كان موسى
فانه كما قال القرآن الكريم وكز
فرعونيا ففضى عليه فى الحال ،
وقالت ابنة شعيب لأبيها : « يا أبت
استأجره ان خير من استأجرت
القوى الأمين » • وقال الفرعوني
لما خافه موسى يا موسى « أن
تريد الا أن تكون جبارا فى الأرض » ،
وهكذا نستطيع أن نقول بمنتهى
الثقة والاطمئنان كما قال القرآن
الكريم فى جديده هذه المرائى « ما
كذب القواد ما رأى أقتمارونه على
ما يرى » وكما قال : « ما زاغ
البصر وما طغى لقد رأى من آيات
ربه الكبرى » سورة النجم •

ويمكن أن يقال فى هذه
الشبهات جميعها انها استبعادات
مجردة عن الدليل والاستبعادات
المجردة عن الدليل لا تعطل الحقيقة
الثابتة بالدليل • والله يقول الحق
وهو يهدى السبيل •

ذلك من منطلق القدرة الالهية
المحركة للرسول فى هذه الليلة كيفما
تشاء بالسرعة التى تشاء وتتخطى
هذه المسافات كيف تشاء ، وقد
ذكر الفخر الرازى فى تفسيره الكبير
من سرعة الأفلاك والكواكب
وأضوائها وأشعتها ما يقرب هذه
السرعة الى الأذهان ، ويقول
صاحب القاموس « السرى كالهدي
سير عامة الليل وأسرى واسترى
وسرى به وأسراه وبه واسرى بعبد
ليلا • • تأكيد » أه •

ثم يقولون ان الرسل والأنبياء
السابقين قد ماتوا وأفضوا الى
رحمة ربهم من أزمان بعيدة قبل
ميلاد محمد خاتمهم فكيف تسنى
له أن يجتمع بهم فى المسجد الأقصى
ليصلوا خلفه ويقابل ويكلم كثيرا
منهم فى السموات واحدة بعد
الأخرى كما تحدثت أحداث
القصة ؟

والجواب عن ذلك انه كان
بالأرواح والأشباح التى لا يشك
من رآها انها هى هم بأنفسهم
وذواتهم وشخصياتهم كما حدث
الرسول فى بعض الروايات عن

الأزهر جامعاً وجامعة

أومصر في ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

وساق لهم صاحب الخطط
التوفيقية سلسلة من النسب بها
(٣٨) اسماً حتى وقت على باشا
مبارك (الخطط طبعت سنة ١٣٠٥ هـ ،
سنة ١٨٨٧ م) وهى تتفق الى
حد كبير مع سلسلة النسب التى
ذكرها الجبرتى (آخر تاريخ الجبرتى
سنة ١٢٣٦ هـ ، سنة ١٨٢٠ م) مع
اختلافات يسيرة فى ترتيب بعض
الاسماء . وهى خلافاً تغتفر نظراً
لتكرر الاسماء . فمثلاً نجد اسم
محمد فى ثلاثة أجيال متعاقبة ،
ولكل منهم كنية ولقب ومن الصعب
ضبط مثل هذه الأمور فى فترة ثلاثة
عشر قرناً . ونميل الى ترجيح
ما ذكره على مبارك فهو على ما يبدو
قد استمد معلوماته من آل البيت
البكرى بما عندهم من مستندات .
كما يبدو أنه أراد مجاملتهم فردد

ترجمنا فى المقال السابق للشيخ
عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع
الأزهر . والآن نترجم باذن الله
لبقية العلماء الخمسة الذين وعدنا
بهم من الذين شاركوا فى عضوية
الديوان الذى أنشأه الفرنسيون فى
أدواره الثلاثة فى أثناء وجودهم فى
مصر . وهم : السيد خليل البكرى
- والشيخ مصطفى الصاوى -
والشيخ سليمان الفيومى - والشيخ
محمد المهدي .

السيد خليل البكرى :

لم يكن السيد خليل من علماء
الأزهر . وإن كان الأرجح أنه تلقى
دراسته بالأزهر مثل عموم المثقفين
فى ذلك العصر . ولكنه كان سليل
البيت البكرى الصديقى . وينتهى
نسبه الى عبد الرحمن بن أبى بكر
الصديق رضى الله عنه .

النبوى الكريم قد تأتى بالتواتر •
كما قد تأتى من طريق النساء •
وقد تولى بعض السادة البكرية
نقابة الأشراف • ولم يكن يجوز
هذا الا اذا كان معاصروهم
يعتبرونهم منهم •

كذلك أرجع على مبارك وجودهم
فى مصر الى ما قبل سنة ٥٨١ هـ
(١١٨٥ م) بناء على حجة موجودة
بخزائهم بالتاريخ المذكور أن المظفر
تقى الدين شاهنشاه بن أيوب (أخا
صلاح الدين) أنشأ مدرسة
للشافعية بالقيوم • وأوقف عليها
أطيانا • وشرط التدريس فيها
(لسيدنا ومولانا شيخ الإسلام
والمسلمين • بقية السلف الصالحين
• سلالة صديق سيد المرسلين •
أبى الاشراف نجم بن مولانا أبى
المكارم عيسى بن مولانا أبى المحامد
شعبان • الصديقى الشافعى • ثم
من بعده لذريته ونسله وعقبه
المقلدين لمذهب الإمام الأعظم محمد
ابن ادریس الشافعى)

ونجم المذكور بهذه الحجة هو
الجد الخامس والعشرون (ابتداء
من السيد عبد الباقي الموجود بزمان

ما نقل اليه من تاريخهم أنهم
ينتسبون الى البيت النبوى الكريم
عن طريق والدته جدهم السادس
عشر (ابتداء من السيد عبد الباقي
الموجود فى زمن على مبارك) •
فهى شريفة من نسل الحسن المثلث
بن الحسن المثنى بن الحسن السبط
بن على بن أبى طالب •

وفى هذا بعض الشك • فقد
ذكر ابن عقبة فى كتاب (عمدة
الطالب فى نسب آل أبى طالب) أن
الحسن المثلث لم يعقب الا من ولده
عبد الله • وفى كتاب الفيروزابادى
(النفحة العنبرية فى أنساب خير
البرية) أن المعقبين من أولاد الحسن
المثنى خمسة • وليس فيهم الحسن
المثلث • وذكر أن الحسن المثلث
مات مسموما فى عهد الوليد بن
عبد الملك بن مروان • وفى النجوم
الزاهرة لابن تغرى بردى (ج ٢
ص ٥٩) أن الحسن المثلث أعقب
عليا الذى أعقب الحسين الذى ثار
وقتل سنة ١٦٩ هـ • فهذه ثلاثة
أقوال متضاربة •

ولكن لا نرى داعيا للتفصيل
والناقشة • فنسبة الشرف للبيت

الغار مع الرسول عليه الصلاة والسلام في أثناء الهجرة الى المدينة .
 وإذا ظهرت هذه العلامة قطع الأمل من شفاء المريض • وهى دليل على صحة النسب عندهم • وتظهر العلامة عند وفاتهم من رجال ونساء وأطفال حتى ولو كان سقطا (الخطط التوفيقية ج ٣ ص ١٢١)

وكان شيخ السجادة البكرية يجمع أحيانا - فضلا عن الخلافة البكرية - نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية والأضرحة والتكايا • وناهيك بما لبعض الأضرحة الكبيرة مثل الامامين الحسين والشافعى وغيرهما من أوقاف ونذور •

ويحسن أن نذكر أن نقابة الأشراف لم تكن وقفا على أسرة معينة • بل تولاهما أشراف من أسر شريفة مختلفة مثل الرفاعى والسادات الوفاية وغيرهما •

وفى سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٥ م) تولى نقابة الأشراف أبو الأمداد أحمد سبط أبى الخير عبد الخالق أبى الوفا • فلما عين سنة ١١٧٦ فى خلافة بيتهم (السادات الوفاية)

على مبارك) بسلسلة النسب التى ساقها صاحب الخطط التوفيقية •
 فلاشك أنه بيت عريق فى المجد • وكانت لهم مساكن متعددة بباب الخلق • وعابدين • وعلى الخليج المصرى تجاه زاوية جلال الدين الشهيرة بالجامع الأبيض (غربى شارع بورسعيد بين باب الشعرية والظاهر) • وبالأزبكية بدرج عبد الحق • والأخير كان مطلا على بركة الأزبكية وكان يعمل فيه المولد النبوى الكريم فى عهد الفرنسيين • كما سنذكر باذن الله

وعند تنظيم منطقة الأزبكية فى عهد اسماعيل أخذ منهم بيت الأزبكية المذكور وعوضهم عنه بسرائى عباس باشا الأول بالخرقش وصار مكان جزء من بيت الأزبكية مبنى صندوق الدين قبل الغائه بين البوستة العمومية وميدان ابراهيم باشا •

وكان لهذه الأسرة علامة مميزة • وهى أنه اذا دنا أجل أحدهم يظهر بعقبه الأثر الشريف - وهو أشبه باللدغة - ويرجعونها الى اللدغة التى أصابت أبا بكر الصديق فى

البكرى الصديقى المذكور فجمع
بين المشيخة ونقابة الأشراف •

ثم تخطوه مرة ثانية لما توفى
السيد محمد البكرى المذكور سنة
١١٩٦ هـ فعينوا ابنه محمد أفندى
البكرى فى المشيخة ونقابة الأشراف
فظل فيهما حتى توفى سنة ١٢٠٨ هـ
(١٧٩٣ م)

وقد أخطأ الجبرتى عندما ذكر أن
خليلاً هو ابن خال محمد أفندى
البكرى المذكور • فالواقع أنه خال
لأنه لا يتصور أن يكون المرء أبناً عم
أو ابن عم والد خال فى نفس
الوقت • ولفظ (ابن) أضيف
سهواً من المؤلف أو خطأ من
الناسخ أو الناشر • وقد ذكر الأستاذ
محمد فريد أبو حديد فى كتابه
(سيرة السيد عمر مكرم ص ٤٤)
أن السيد خليل خال محمد أفندى
البكرى •

وبعد وفاة محمد أفندى البكرى
تولى مشيخة السجادة البكرية خاله
السيد خليل المترجم له • أما نقابة
الأشراف فقد تولاهما السيد عمر
مكرم •

تنازل عن نقابة الأشراف للسيد
محمد البكرى • وهو ابن عم السيد
خليل المترجم له وزوج أخته •
وكانت مشيخة السجادة البكرية
وقتها للسيد أحمد البكرى أخى
السيد خليل •

وأبو الوفا لقب أسرة السادات
الوفائية • وبعد أبى هادى محمد
سلف أبى الأمداد أحمد المذكور
انقطع نسل الأسرة من الذكور •
فتولى أحمد المذكور مشيخة
السجادة الوفاية • ووالدته ووالدة
شمس الدين أبى الأمداد محمد
السادات المعروف فى زمنى الفرنسيين
ومحمد على بنتا عم • وشمس الدين
هو ابن عبد الرحمن عارفين الملقب
بالخواجة لقب كبار التجار فى
البضائع الأجنبية - وهو ليس من
السادات الوفاية •

ولم يكن السيد خليل محل تقدير
من أسرته ومن أولى الأمر • لما فى
سلوكه من رعونة • ولارتكابه
أمورا غير لائقة كتعبير الجبرتى •
فلما توفى أخوه السيد أحمد سنة
١١٩٥ تخطوه فى مشيخة الطريق •
وعينوا ابن عمه السيد محمد

ممالك الأمراء المتغيين يحتمون
• به •

وكان عند خلافه مع ابن عمه
على الخلافة • قد قسم المنزل الذى
بالأزبكية وعمر نصيبه وأنشأ به
بستانا به أصناف الأشجار والفواكه •
فلما استقرت له الأمور فى عهد
الفرنسيين استولى على بقية المنزل
وضمه الى نصيبه وانقرد بسكنه •
وكان يحتفل فى منزله هذا بليلة
المولد النبوى • فيدعو كبار القواد
الفرنسيين للعشاء • ويخلع عليه
صارى عسكر (أى القائد الأكبر)
خلعة فى هذه المناسبة • وهم من
جانبهم يرسلون الى منزله الطبلخاناه
الكبيرة (فرقة من الموسيقى) تدق
الطبول مع الزامير المختلفة
الأصوات • ويطلقون صواريخ
نارية فى الهواء •

والشعب المصرى شديد الحساسية
بسلوك قادته وزعمائه • فلما قامت
ثورة القاهرة الثانية (مارس /
أبريل سنة ١٨٠٠ م) بعد نقض
معاهدة العريش • اتهمه الشعب
بموالاة الفرنسيين • وهجم عليه
طائفة من جنود الأتراك والمماليك

يدلنا هذا على أن السيد خليل
لم يكن محل ثقة أو تقدير من أهله
أو من الأمراء الذين كان ييدهم
الأمر وقتذاك • فقد انتقل مراد
بك فى المرتين السابقتين وألبس
الخليفة الخلعة وقلده المنصبين •
ولما استقر رأى أخيرا على تعيينه
اكتفى بتوليته خلافة بيتهم • أما
نقابة الأشراف فقد أعطيت للسيد
عمر مكرم الذى كان نجمه بدأ فى
الصعود وأخذت شخصيته تظهر فى
مجرى الأحداث •

فلما قدم الفرنسيون • وخرج
السيد عمر مكرم مع من خرجوا
الى الشام • تداخل خليل معهم •
وأفهمهم أن نقابة الأشراف لبيتهم •
وأنها غصبت منه • فقلدوه اياها
فى ربيع الأول سنة ١٢١٣ هـ
(أغسطس سنة ١٧٩٨ م) •
واستولى على وقفها • ونودى فى
المدينة (بأن كل من كان له دعوى
على شريف فليرفعها الى النقيب)
وعظم شأنه بتعيينه فى الديوان
فضلا عن مشيخة الطريق ونقابة
الأشراف • فازدحم بابه بأصحاب
الدعوى والشكاوى • ولجأ لخدمته

استانبول • فعزل • وتقرر بدله
نقيا للأشراف السيد عمر مكرم في
١٨/٤/١٨٠٢ م •

ولما تولى خسرو باشا ولاية مصر
جمع الوالى الجديد المشايخ في
١٩/٣/١٠٨٢ م وتكلم معهم في
عزل السيد خليل البكرى عن
مشيخة البكرية • فوافقوه • وتعين
بدله في المشيخة السيد محمد أبو
السعود البكرى من فرع آخر غير
فرعه من البيت البكرى •
وهكذا نزع منه نقابة الأشراف
ومشيخة البكرية •

وكان قد عقد لابنه أحمد على
بنت المرحوم محمد أفندى البكرى
السابق له في المشيخة • فتصدى
له السيد عمر مكرم والشيخ محمد
السادات وآخرون بعد عزل خليل
من المشيخة والنقابة وأبطلوا العقد
وفسخوا النكاح بيت القاضى •

وقصة أخرى تدل على هوان
خليل البكرى بعد خروج الفرنسيين
— فقد ذكر الجبرتى في ١٢ من ربيع
الأول سنة ١٢١٦ هـ (٢٣/٧/
١٨٠١ م) أى بعد خروج الفرنسيين
من القاهرة بأيام :

مع بعض العامة • فنهبوا داره
بالأزبكية • وسحبوه مع أولاده
وحريمه الى الجمالية ماشيا على
قدميه عارى الرأس • وأهين أشنع
اهانة • فلما وصلوا الجمالية أخذه
أحمد محمود محرم التاجر (أحد
أعضاء الديوان الثانى) الى منزله
فآواه حتى انتهت الثورة •

ولما فرض كبير بعد هذا الغرامة
الفادحة على أهالى القاهرة تأديبا
لهم • أعفاه من هذه الغرامة لما
حصل له • بل وعوضه عما فقد •
وبعد أن تخربت داره بالأزبكية
انتقل الى بيت البارودى بباب الخلق
ثم الى بيت عبد الرحمن كتحدا
القازدوغلى بشارع رحبة عابدين
(شارع مصطفى باشا عبد الرازق
حاليا) •

وبعد خروج الفرنسيين نزع منه
نقابة الأشراف • فقد حضر شخص
من استانبول في ديسمبر سنة ١٨٠١ م
ومعه مرسوم بولايته النقابة • ولم
يكن هذا الشخص محل ثقة من
الأهالى والأشراف • فقد حصل على
هذا المرسوم بطرق مريبة • فراجع
ولاة الأمر في مصر السلطان في

دار السادات الوفاية • فبعد وفاة خليل سنة ١٢٢٣ هـ (سنة ١٨٠٩ م) تعرض الشيخ السادات لابنه أحمد وأخذ بستان هذه الدار بأبخس الأثمان • فأضافه الى بستان السادات • وأقام جدارا سد به شبابيك منزل البكرى وأظلمه

وتوفي خليل البكرى فى أول فبراير سنة ١٨٠٩ فى فقر ودين وخمول •

وقد أغفلنا ذكر بعض المخزيات فى سلوك خليل البكرى التى وردت فى تاريخ الجبرتى تنزيها لمجلة الأزهر عن ترديدها • ولكن نقول أنه جميل من على باشا مبارك أن يحاول ستر عثرات شخص من بيت كريم له مكاتنه الاجتماعية والدينية فى وقته فقد قال فى ختام ترجمة السيد خليل البكرى • بعد أن أغفل ذكر بعض الوقائع التى ذكرها الجبرتى وخفف من ألفاظ البعض الآخر : (ولا التفت لما قاله الجبرتى مما لا يناسب شرف هذا البيت العالى المقدار • سيما والأحوال الجارية فى أوقات الفتن لا يوقف لها على

حضر اليسرجى (تاجر الرقيق الأبيض أما تاجر الرقيق الأسود فكان يسمى الجلاب غالبا) الذى كان جلب مملوكا للشيخ البكرى وأدعى أنه قهره فى أخذ المملوك بالفرنسيس • وأخذه منه دون القيمة • وأنه كان أحضره على ذمة مراد بك • وطال بينهما النزاع • وآل الأمر بينهما الى اقتزاع المملوك من خليل • وكان قد أعتقه وعقد له على ابنته فأبطلوا العتق • وفسخوا الزواج • وأخذ المملوك عثمان بك الطنبورجى الماردى • ودفع للشيخ دراهمه • ولجلابه باقى الثمن) • واشترى خليل لنفسه دارا بحارة القرن (متفرعة من شارع اسماعيل بك خلف حارة السادات بدرب الجماميز) واشترى بيتين بجوارها من بيوت الأمراء الأقدمين ضمهما اليها • وعمر الجميع عمارة متقنة • وباع فى سبيل ذلك حصصه والتزامه • واكتفى بما يخصه فى وقف جده لأمه الشيخ الحفنى (شيخ الأزهر توفى سنة ١١٧١ هـ ١٧٥٧ م • وسيأتى ذكره ضمن شيوخ الأزهر باذن الله) • وكانت هذه الدار كبيرة تصل حدودها الى

قرار • ولا تعلم لها حقيقة ولا يوصل لها الى أصل صحيح)

كما قال في ختام الفذلكة التى ذكرها عن البكرية : (فلا يرين القارىء ما عسى أن يقف عليه فى بعض الكتب مما يخالف ذلك فانه مع قلته لا يعول عليه)

مع أنه لم يذكر فى هذه الفذلكة اسم السيد خليل • حين أنه ذكر فيها جميع ما أمكنه الوصول اليه من تراجم من تولوا المشيخة • بل وتراجم من كان لهم ذكر من فروعهم ولم يتولوا المشيخة •

وهو انكار عاطفى لم يقدم عليه أى دليل • فهو مجرد تقي • ولا يعيب الأسرة أن ينحرف بعض أعضائها • فى فترات أجيال كثيرة العدد • فالناس بشر • ولا عصمة الا لنبي • وليس من حق المؤرخ أن يخفى الوقائع • وان كان يجوز له أن يفسرها أو يوجد لها المبررات • تنتقل بعد هذا الى العضو الثالث من أعضاء الديوان • وهو :

الشيخ مصطفى الصاوى

لا نجد فى تاريخه ما يعيبه • وقد

ترجمه الجبرتى فى وفيات سنة ١٢١٦ هـ (ذو القعدة سنة ١٢١٦ - مارس سنة ١٨٠٢) وقال أنه من مواليد صوة • شرقى بليس - فنسب اليها الصاوى • وهى نسبة على غير القياس •

وهو بهذا من مديرية الشرقية مثل الشيخ عبد الله الشرقاوى • ولم يذكر الجبرتى فى ترجمته غير ما وصفه به من جمال الخلق ورفيع الخلق ورفيع المكانة • وذكر بعض النماذج التى تدل على براعته اللغوية •

ولكن مما سبق ذكره فى المقالات السابقة نعلم أنه قد نafs الشيخ عبد الله الشرقاوى فى مشيخة الجامع الأزهر سنة ١٢٠٨ هـ بعد وفاة الشيخ أحمد العروسى • وهذا يدل على مكاتته بين زملائه •

كما ذكرنا أنه بعد موقعة انبابة أوفد العلماء مندوبين لمفاوضة نابليون • هما الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى الآتى ذكره • وفى هذا دليل على الثقة من ناحية • ومن ناحية أخرى دليل على جرأتهما • فالمقابلة الأولى

بالشيخ أحمد الدردير • وكان
الفيومي جميل الصوت • فاختلط
مع المنشدين في الأذكار • وبهذا
كان يذهب الى بيوت الأعيان فكان

محل اكرامهم • ثم اتصل ببعض
ذرية السلطان يرقوق • وهم نظار
على أوقافه ومن الأعيان وقتذاك •
فراج أمره • واتصل بنساء الأمراء
عن طريق الأغوات • وحاز بتقواه
ولباقة رضاهن • وتوطد مركزه
عندهن وعند أزواجهن • فتحسنت
أحواله المالية • ثم عين شيخا لرواق
الفيمة (أهل الفيوم) • وبنى له
محمد بك المبدول دارا بحارة
عابدين •

ومحمد بك المبدول هذا كان
أسمه أصلا مراد بك • ولما حضر
حسن باشا قبطان سنة ١٢٠٠ هـ من
استانبول لتأديب ابراهيم بك ومراد
بك كما سبق ذكره في مقال سابق •
فلكراهته اسم مراد أبدل أسمه
الى محمد فعرف باسم محمد بك
وعينه أميرا للحج • واليه ينسب
جامع المبدولى بجوار المتحف
الصحى بشارع الشيخ ريحان مقابل
سراى عابدين • والجامع الحالى

مع الفاتح فيها اقدام ومخاطرة • وان
كان في المنشور الذى أذاعه نابليون
عقب نزوله فى الأسكندرية ما يدعو
الى بعض الاطمئنان •

ولما أخذت ثورة القاهرة الثانية
فى ابريل سنة ١٨٠٠ كان الصاوى
ممن وقع عليهم غضب الفرنسيين •
وخصوه بنصيب كبير من الغرامة
التي فرضوها على أهالى القاهرة •
ولم يعيش الصاوى غير شهور
قليلة بعد خروج الفرنسيين

الشيخ سليمان الفيومي

أما الرابع من أعضاء الديوان فهو
الشيخ سليمان الفيومي • من مواليد
الفيوم كما يدل عليه لقبه • ونجد
فى ترجمته وتاريخ حياته صورة
جميلة من حسن الخلق • وكريم
الطباع • وعلو الهمة • وفائق
المروءة • وصادق الوطنية مما
يجب أن يتحلى به العلماء وقادة
الفكر والشعوب •

نشأ الشيخ سليمان الفيومي
فقيرا • وجاور بالأزهر • ودرس
على شيوخ عصره • واتصل بالشيخ
على الصعيدى • وبعد وفاته اتصل

١٢٠١ هـ • وظللن بمنزله حتى سنة ١٢٠٥ حيث توفي اسماعيل بك بالطاعون وعاد ابراهيم بك ومراد بك الى العاصمة • فكان هذا محل تقدير منهم وزيادة في قدره عندهم •

وكذلك لما حضر الفرنسيون وهرب الأمراء • التجأ نساؤهم الى منزله حتى امتلأ بهن هو وما جاوره من الدور • فدافع عنهن وأقمن في كنفه شهورا • وقد ذكرنا أنه والشيخ مصطفى الصاوى كانا المندوبين عن العلماء في المقابلة الأولى مع نابليون •

وكان محل تقدير من الفرنسيين ففضلا عن عضويته بالديوان في أدواره الثلاثة • قد عينوه شيخا لمشايخ البلاد • وله مرتب خاص عن ذلك فضلا عن مرتب عضوية الديوان

ومن مواقفه الوطنية أنه عند ما خرج نابليون الى الشام قرر استصحاب بعض العلماء والقاضى التركى • ومصطفى بك كتخدا الوالى - أى وكيل الوالى العثمانى أبى بكر باشا الطرابلسى الذى كان قد هرب الى الشام عند قدوم

بدلا من مكانه السابق بحارة عابدين عند انشاء سراى عابدين فى عهد الخديو اسماعيل •

ولما توفيت زوجة الشيخ سليمان الفيومى زوجته الست زليخا امرأة ابراهيم بك الكبير بنت عبد الله الرومى • وكانت ثرية فتصرف فى أوقافها وصارت له شهرة فى جميع البلاد •

وكان قليل البضاعة فى العلم كما ذكر الجبرتى • ولكن كان بيته مفتوحا للقاصدين يكرمهم بالمأكل والاقامة • ويبدل ما يستطيع فى قضاء حوائج الناس • فلا يعود الا فى العشاء الآخرة • وهذا دون مقابل أو أجر • واذا قدمت له هدية من أحد أصحاب الحاجات فرق الكثير منها على من يكون بمجلسه من الحاضرين •

ولما حضر حسن باشا قبطان سنة ١٢٠٠ هـ • واضطهد الأمراء فهربوا منه الى الصعيد • وقصد حسن باشا بيع نسائهم كالرقيق - كما سبق ذكره - التجأ الكثيرات منهن الى منزل الفيومى فحماهن حتى خرج حسن باشا سنة

الفرنسيين كما سبق ذكره • وكان نابليون عين مصطفى بك المذكور أميراً للحج •

فلما وصلوا الى القرين اضطر بعضهم للتخلف بسبب أخذ جمالهم للجيش • ومن تخلف بالقرين هم المشايخ الصاوى والفيومى والدواخلى والعريشى (وجميعهم من أعضاء الديوان الأول) ومصطفى بك والقاضى التركى •

واتتهز أمير الحج مصطفى بك هذه الفرصة وأراد مناوشة الفرنسيين • فلم يوافقهم على ذلك غير القاضى التركى والشيخ سليمان الفيومى • وعاد الباقون الى القاهرة

فأخذ مصطفى بك والقاضى التركى والشيخ الفيومى يحضون الأهالى شرقى الدلتا على مقاومة الفرنسيين • وقامت ثورة اتسعت فى الشرقية والدقهلية حتى أمكن للفرنسيين اخمادها • وهرب مصطفى بك وأثبتوا خيائته فعزلوه من إمارة الحج وصادروا ممتلكاته وعزلوا القاضى التركى • وعينوا مكانه بالانتخاب الشيخ أحمد

العريشى كما سبق ذكره • أما الشيخ الفيومى فقد عاد الى القاهرة وظل محل رية الفرنسيين • ولكن هذا لم يمنع من تعيينه فى الديوانين الثانى والثالث •

وفى أواخر عهد الفرنسيين لما شاع أمر هزيمتهم أمام الأنجليز والأتراك فى (أبو قير) • وأتضح زحف الجيش العثمانى من الشرق • احتاط الفرنسيون فى القاهرة من قيام الشعب ضدهم • فاعتقلوا أربعة من العلماء أعضاء الديوان فى القلعة وهم : الشرقاوى والصاوى والفيومى والمهدى • ولكن لم يطل هذا كثيرا • ولم يسيئوا معاملة المعتقلين • فقد كان أعتقالهم لمجرد الاحتياط • وسرعان ما جلا الفرنسيون •

وبعد خروج الفرنسيين ظل الفيومى مقدرًا عند العثمانيين • وفى عهد الاضطرابات التى أعقبت خروج الفرنسيين • ومقتل طاهر باشا قائمقام الوالى كما سنذكر فى المقال التالى بأذن الله • ومقتل خليل أفندى الدفتردار التجأ الى دار الفيومى أخو الدفتردار المقتول وخازن داره

واسمه الأصلي من مقال للأستاذ محمد الهياوي نشر بالعدد ٩٣ من مجلة السياسة الأسبوعية في ١٧/١٢/١٩٢٨ م . ومن كتاب سيرة السيد عمر مكرم للأستاذ محمد فريد أبو حديد . أما تاريخ موالده فهو استنتاج من ترجمة الجبرتي له في وفيات سنة ١٢٣٠ هـ أنه توفي عن خمسة وسبعين عاما . ونها تبعد حوالى الثمانية كيلو متر شمالا من أهرام الجيزة .

وتوسم سليمان كاشف ، الغلام النجابة . فضلا عن خفة الظل ووسامة الوجه . فكفله . وأراد أن يخلطه بمماليكه . ولكن التربية العسكرية للمماليك لم تلائم الغلام . فانقبض عنها . فوجهه الكاشف وجهة أخرى . بأن حفظه القرآن وأسلمه للشيخ الحفنى فتعلم له . ونسب اليه . وأصبح اسمه محمد المهدي الحفنى .

هذه رواية . ورواية أخرى ذكرها الجبرتي أن والده من الأقباط . وأسلم هو صغيرا دون البلوغ على يد الشيخ الحفنى . وحلت عليه

وغيرهما فحماهم وواساهم حتى سافروا الى بلادهم .

وتوفى في ١٥ من ذى الحجة سنة ١٢٢٤ هـ (١/٢٠/١٨١٠ م) . وكانت جنازته حافلة . ولا يقل عدد المشيعات عن عدد المشيعين . وخرجت جنازته من داره المذكورة بحارة عابدين . وصلى عليه بالأزهر في مشهد عظيم جدا مثل مشاهد العلماء الكبار المتقدمين .

وتوفى مدينا بعشرة آلاف ريال . تنازل عنها سماحا أرباب الديون . رحمه الله .

نتقل بعد هذا الى العضو الخامس من أعضاء الديوان في أدواره الثلاثة ولعله ألمعهم شخصية وذكاء . وهو :

الشيخ محمد المهدي

كان أسمه (هبة الله بن أيفانيوس) من بلدة نهيا بمديرية الجيزة . وكان أبوه أيفانيوس كاتباً نصرانيا عند سليمان كاشف . وكان مولده على الأرجح حوالى سنة ١١٥٥ هـ (١٧٤٢ م)

أنظاره • وأشرقت عليه أنواره • وفارق أهله • وتبرأ منهم • وحضنه الشيخ ورباه وأجبه • واستمر بمنزله مع أولاده • واعتنى بشأته • وأحفظه القرآن •

والروايتان متقاربتان وتصلان إلى نتيجة واحدة • وإذا أخذنا برواية الجبرتي نجد أنه اتصل بالشيخ الحفنى ما يقرب من الخمسة عشر عاما • فقد توفي الشيخ الحفنى سنة ١١٨١ هـ • والمهدى من مواليد سنة ١١٥٥ هـ واتصل به وهو صبي دون البلوغ أى كان فى العاشرة من عمره مثلاً •

ولما توفي الشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمهورى سنة ١١٩٣ هـ • وكان من خلفاء الشيخ الحفنى فى الطريقة الخلوتية • جلس المهدى مكانه بالأزهر • واشتغل بالقاء الدروس • ونما أمره • وذاع ذكره • وبعد صيته •

وتزوج المهدى بنت الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية وخطيب وامام مسجد الكخيا • ورزق منها بابنه محمد أمين • ومحمد أمين هو والد الشيخ محمد

المهدى العباسى الذى عين مفتيا فى عهد ابراهيم باشا • وشيخا للأزهر فى عهد اسماعيل وتوفيق وفى عهده بدأت أولى الخطوات فى اصلاح الدراسة بالأزهر وتنظيمه كما سيأتى عند ذكر شيوخ الأزهر باذن الله •

وفى زواج محمد المهدى الحفنى الحنفية وقتذاك • وفى وصول بابنة الشيخ محمد الحريرى مفتى حفيده الشيخ محمد المهدى العباسى الى الاقتاء ومشيخة الجامع الأزهر ما يدل على التسامح الطبيعى فى نفوس المسلمين • وساحة القاعدة ، أن الأسلام يجب ما قبله • فلم تمنع الأول سابقة نصرانيته من مصاهرة شخص ذى مركز دينى ممتاز • كما لم تعق الثانى عن الوصول الى أكبر المناصب الدينية وهى مشيخة الجامع الأزهر

وتداخل الشيخ محمد المهدى الحفنى مع الأمراء • وأصبح بذكائه ولباقة ذا مركز مرموق • ولما خرج حسن باشا قبطان من مصر سنة ١٢٠١ هـ كما ذكرنا ترك كتحداه أى وكيله اسماعيل بك لقبض ما

موازيا لشارع نجيب الريحاني أو وجه البركة سابقا • كما أنه يوجد شارع المهدي الخصوصي عند تقاطع شارع الرويعي مع شارع البواكي في مقابلة موقف الأوتوبيس العمومي في أول شارع ٢٦ يولية من جهة العتبة • وموقع الشارع الأول (المهدي) كان من ضمن بركة الأزبكية عند دخول الفرنسيين • فقد كانت تمتد شمالا حتى شارع نجيب الريحاني أو وجه البركة سابقا • أما موقع الشارع الثاني (المهدي الخصوصي) فقد كان على الحدود الشرقية لبركة الأزبكية • ونرجح أنه المقصود من وصف الجبرتي (أسماء ومسميات من تاريخ وخطط مصر القاهرة لكاتب المقال)

ولما دخل الفرنسيون مصر تداخل المهدي معهم • ولما شكل نابليون الديوان الأول من العلماء كان المهدي عاشرهم • وكان كاتم السر (سكرتيرا) لهذا الديوان •

وحاز المهدي تقدير نابليون حتى وصفه في مذكراته أنه أذكى علماء الأزهر وأفصحهم لسانا وأكثرهم

قرره على الأمراء • فاتصل المهدي بإسماعيل بك وتقرب اليه • فلما عين المذكور واليا على مصر باسم إسماعيل باشا التونسي (١٢٠٣ - ١٢٠٥ هـ) ازداد تقربا اليه • وأكثر من التردد عليه وزيارته بالقلعة والمبيت عنده أغلب الليالي • وأنعم عليه الوالي بالكساوى • وعينه في الضرنخانة (سك النقود) والسلخانة والجوالي (الجزية على غير المسلمين) •

ولما وفد الطاعون في أواخر ولاية المذكور وأطاح بمئات الألوف • ومنهم الكثيرون من ذوى الثراء • فأحله الباشا محل من اختارهم من ذوى الرزق والأقطاعات • فازداد ثراء واتسعت دائرة أطيانه في الجيزة والبحيرة والمنوفية والغربية • وأخذ في الاتجار في كافة المحاصيل من كتان وقطن وأرز وغيرها •

وابتنى له دارا عظيمة في الأزبكية بناحية الرويعي •

ويتفرع الآن من شارع ابراهيم باشا شارع اسمه شارع المهدي عند ميدان قنطرة الدكة • ويسير شرقا

علما وأصغرهم سنا (تاريخ الحركة القومية لعبد الرحمن الرافعي ج ٢ ص ٣٠١)

وكانت أغلب المنشورات التي يذيعها الفرنسيون من انشائه • فبعد انتصار نابليون في يافا بالشام أرسل الأعلام التي كسبها في المعركة لتعلق على مآذن الأزهر • وأرسل معها خطابا فيه : أريد أن تقابلوا المهدي وأعضاء الديوان وتتفقوا معهم على احتفال صغير لمقابلة الأعلام المرسلة إليكم •

واتنفع المهدي من اتصاله بالفرنسيين فعظم شأنه وكبر مقامه • وأصبح عندهم محل الوساطة والشفاعة • وقال الجبرتي : « وزاد إirاده وجمعه • واحتوى بلادا وجهات وأرزاقا • وأقاموه عنهم وكيفا في شؤون كثيرة وبلاد وقرى يجبى إليه خراجها • ويصرف منها ما يصرفه • ويأتيه الفلاحون منها بالأغنام والسمن والعسل • وما جرت به العادة • ويتقدمون إليه بدعائهم وشكاويهم • ويفعل بهم ما كان يفعل أصحاب الألتزامات من الحبس والضرب وأخذ المصالح • وصار له

أتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم • الخ • ثم قال : « وكان هو المشار إليه فيه (أى في الديوان) • وخدمة الديوان الموظفون تحت أمره • وإذا ركب أو مشى يمشون حوله وأمامه وبأيديهم العصي ويوسعون له الطريق » ١ هـ •

ولما ثارت القاهرة ثورتها الثانية في مارس / أبريل سنة ١٨٠٠ • وبالغ الفرنسيون في قمعها في شدة وقسوة • وأرسل كليبر يطلب وفدا من المشايخ للتفاهم معهم • فذهب الوفد مكونا من الشرقاوى والرسى والفيومي والمهدي • فطلب منهم أولا خروج العثمانيين من القاهرة • فلما رجعوا ثار الناس بهم • واعتبروهم خونة • وأهانوهم

وفي أثناء هذه الثورة حرق بيت المهدي المذكور بالأزبكية • فأعفى المهدي • مثل خليل البكرى - من المساهمة في الغرامة التي فرضت على القاهرة • وقال الجبرتي : « وكان المهدي قبل ذلك - أى قبل حريق بيته - قد نقل جميع ما فيه الى داره بالخرتقش • ولم يترك فيه الا بعض الحصر • ولم يكن فيه

الديوان • وكل ذلك من غير مقابلة
أو حلوان •

والدفتر دار أى ممسك الدفتر •
وهى وظيفة أقرب لوزير المالية •
وعزل شريف أفندى آخر سنة
١٢١٦ هـ (١٨٠٤ م) • والحلوان
يساوى رسم التسجيل • وكان يدفع
نظير الأثبات فى دفاتر الدولة لاسم
من استفاد من وظيفة معينة أو
التزام أو غير ذلك •

ولما قتل الدفتر دار خليل أفندى
الرجائى عقب مقتل طاهر باشا سنة
١٢١٨ هـ كما ذكرنا فى ترجمة
الشيخ سليمان الفيومى • وأعقب
هذا فتن واضطرابات كانت نهايتها
مبايعة الشعب بزعامة السيد عمر
مكرم لمحمد على فى صفر سنة
١٢٢٠ هـ (مايو سنة ١٨٠٥ م) كما
سنذكر باذن الله • فيبدو أن المهدي
كان فى هذه الفترة منصرفا الى
شؤونه الخاصة وادارة أملاكه
الواسعة • وكان كثير التغيب عن
القاهرة • أو ربما وجد من الحصافة
عدم الاشتراك فى الأحوال الجارية
لعموضها • وعدم وضوح الجانب
الأقوى •

غير بعض الخدم • وكان يستعمل
المداهنة وينافق الطرفين « ١ هـ •
ولكن من الأنصاف للمهدى أن
نكرر ما ذكره الرافعى من رسالة
من بوسليج مدير الشؤون المالية
الى نابليون : « أن المهدي رجل
يطمع فى الشهرة والتزلف الى
الجماهير • وأنه يضحي بجميع
الفرنسيين فى سبيل ألا يفقد شيئا
من منزلته عند الناس » •

كذلك من الأنصاف للمهدى •
وللجبرتى أيضا • أن نذكر ما قاله
الأخير عنه بصدد علاقته بالفرنسيين
« وبالجمله كان وجوده وتصدره
فى تلك الأيام النفع العام • سد
بعقله ثقوبا • وداوى برأيه فتوقا
وجروحا • لاسيما أيام الهيازع
والخصومات والتنازع • وما يكدر
طباع الفرنسية من مخارق الرعية •
فيتلافاه بمراهم كلماته ويسكن
حدثه بملاطفاته »

ولم يحد خروج الفرنسيين من
نشاطه الاجتماعى • فاتصل
بالعثمانيين وتداخل معهم • وتقرب
الى شريف أفندى الدفتر دار •
فثبت وظائفه والتزاماته وسموحاته
• وأضاف اليها ما ينتقيه من

والأزهر) • وماطل بأعنى أرضها في دفع باقى ثمنها ما يقرب من الخمس سنوات لكثرة تغيبه • ولم يصل البائعون الى حقهم الا بالشكوى الى كتبخدا الباشا • وكانت هذه الدار واسعة • وبها من الجهة الغربية بستان يصل غربا الى المنصورة وكوم الشيخ سلامة (بالقرب من سوق الخضار بالعتبة) • وبني ابنه محمد أمين في هذا البستان دارا له ظلت الى العهد الحديث فأزيلت ودخل جزء منها في توسعة شارع الخليج أو بورسعيد • وتحول الباقي الى مساكن ودكاكين • وكان أمامها قنطرة على الخليج اسمها قنطرة المفتى - نسبة الى الشيخ محمد المهدي العباسي شيخ الأزهر حفيد المهدي الكبير اذ كان تولى الأفتاء قبل مشيخة الجامع الأزهر • وأزيلت هذه القنطرة عند ما ردمت شركة الترام الخليج المصري سنة ١٨٩٨ م لتسير خطوط الترام فيه (أسماء ومسميات لكاتب المقال)

ومن أولاده الذين رزق بهم الشيخ محمد المهدي الحفنى محمد أمين السابق ذكره وكان حنفى

وتزوج الكثيرات بخلاف ابنة الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية السابق ذكره •

ولما توفى الشيخ سليمان الفيومى سنة ١٢٢٤ هـ (١٨١٠/١/٢٠) ترك زوجته المعروفه بالسحراوية • وكانت وافرة الغنى واسعة الثراء • وكانت طاعنة فى السن فاشتريت لزوجها الفيومى جارية بيضاء أعتقتها وزوجتها له لترضيه • ولكن الفيومى مات قبل أن يدخل بها • وترك زوجته المذكورتين • فلما توفيت السحراوية أمكن للمهدى بتدخله أن يضع يده على دارها وأموالها وجوارها • ومالها من عقار والتزام • وزوج الجارية المذكورة لأبنة عبد الهادى •

واشتري دارا بالكحكيين (بجوار حى الباطنية جنوبى الجامع الأزهر) وجدد عمارتها وأسكن فيها زوجة أخرى أصلها من دمياط • وأسكن معها ضرة لها أصلها من شابور (على الشاطىء الغربى لفرع رشيد بالقرب من كفر الزيات)

وبنى دارا عظيمة فى جهة الموسيقى على الشاطىء الغربى للخليج (جنوبى تقاطع شارعى بورسعيد

على للسيد عمر مكرم ونفيه الى
دمياط كما سنعرض له في المقال
التالى باذن الله • وكافأه محمد على
بنظر أوقاف ضريح الأمام الشافعى
ووقف سنان باشا فضلا عن مبلغ
كبير من المال • وكما قال الجبرتى :
نظير اجتهاده فى خيانة السيد عمر
مكرم •

وسنان باشا من أوائل الولاة
العثمانيين • تولى مصر مرتين
(٩٧٥ - ٩٧٦ هـ ، ٩٧٩ - ٩٨٠ هـ)
• وتولى بعد ذلك الصدارة العظمى
(رئاسة الوزارة) فى تركيا • وله
آثار كثيرة فى مصر والشام من
مساجد ورباطات وتكايا • وجدد
حفر خليج الاسكندرية (ترعة
المحمودية الآن) • (تقويم النيل
ج ٢ ص ٢٤)

ولما أوقع محمد على بالمماليك
فى مارس سنة ١٨١١ خرج ابنه
طوسون لحرب الوهابيين فى الحجاز
وتقرر أن يخرج معه أربعة من
الفقهاء على المذاهب الأربعة •
فتعين المهدي عن فقهاء الشافعية
فى سبتمبر سنة ١٨١١ وعاد لمصر فى
فبراير سنة ١٨١٢ م •

المذهب كجده لأمه الشيخ محمد
الحريرى • ومحمد تقى الدين توفى
شابا فى حياة أبيه وكان مالكيا •
والشيخ عبد الهادى وكان شافعيًا
كأبيه • وألقى دروسا فى الأزهر بعد
وفاة أبيه •

وفى توزيع المهدي لأولاده على
المذاهب المختلفة موضع نظر •

وذكر الأستاذ محمد فريد أبو
حديد (سيرة السيد عمر مكرم ص
١٨٩) من المستشرق الفرنسى مارسل
(١٧٧٦ - ١٨٥٤ م) أنه كان
لا يمتنع عن مشاركة الفرنسيين
تعاطى الخمر فى حفلاتهم • ومارسل
المذكور كان عضوا فى المجمع العلوى
الذى أنشأه نابليون بالقاهرة • وكان
مديرا للمطبعة الأهلية التى أنشأها
نابليون • واشترك فى وضع كتاب
وصف مصر وكتاب التاريخ العلمى
والحربى للحملة الفرنسية • وله
رسالتان عن مستشفى قلاوون
ومقياس الروضة (الرافعى ج ١
ص ١٤٠ مع ملاحظة صغر سن
المذكور أثناء الحملة الفرنسية) •
وكان للمهدى سنة ١٨٠٩
(١٢٢٤ هـ) دور فى إبعاد محمد

وقد ألهمته الدنيا فبذل ما أعطاه
الله من ذكاء وطاقه في جمع المال •
ولو بذلهما في النواحي العلمية
والدينية لأفاد كثيرا واستفاد الذكرى
الطيبة الجديرة بالبقاء •

وأخيرا توفي فجأة بداره
بالحكبين مساء في ٢ صفر سنة
١٢٣٠ هـ (فبراير سنة ١٨١٥ م) •
ونقله أولاده الى داره بالموسكى •
ومن هناك شيعت جنازته • وصلى
عليه في الجامع الأزهر • وكان
مشهدا عظيما حافلا • ودفن بجوار
قبر الشيخ الحفنى • فسبحان من
له الدوام •

وقال عنه الجبرتي في ختام
ترجمته : « كان من فحول العلماء •
يدرس الكتب الصعاب في المعقول
والمنقول بالتحقيق والتدقيق •
ويقررها بالحاصل • واتفق عليه
الكثيرون من الطلبة • ومنهم الآن
مدرسون مشهورون ومميزون بين
نظرائهم من أهل العصر • ولو
استمر على طريقة أهل العلم
السابقين • وبعض اللاحقين • ولو
لم يشتغل بالانهماك على الدنيا لكان
نادرة عصره) •

محمد كمال السيد

ولما توفي الشيخ عبد الله
الشرقاوى شيخ الأزهر في شوال
سنة ١٢٢٧ هـ (أكتوبر سنة ١٨١٢
م) طمع المهدي في مشيخة الأزهر
مكانه • وأمر محمد على بأجتماع
المشايع عنده • وأجمع فقهاء
الشافعية الحاضرون على تعيين
المهدي • وقرأوا الفاتحة • وهنأوه •
وانتظروا صدور القرار • ولكن كان
لمحمد على رأى آخر • فلم يأخذ
برأيهم وعين الشيخ محمد الشنواني
كما سنذكر في المقال التالي باذن
الله •

وتجلد المهدي • ولم يظهر
الامتناع • حتى أنه عندما قدم
عليه الشيخ الشنواني لزيارته رحب
به وهنأه • وخلع عليه خلعاً فرو
سمور •

ومع واسع ثروته لم يكن المهدي
منعماً في حياته • وكان يتنقل بين
أملأكه دواما • وذكر الجبرتي أنه
ينام حيثما اتفق ولو على حصير
ويأكل ما يجد من طعام ولو بطارخ
أو فسيخ • ويبدو أن البطارخ
والفسيخ كانا بأرخص الأثمان
وقتذاك ومن مآكل السوق •

أسلوب السخرية في القرآن الكريم

تأليف الدكتور عبد الحليم حفى

عرض ونقري : الأستاذ السيد حسن قرون

والتطبيق عليها ومراجعته التى
استند اليها صرت معه ، وقلت
قوله ، ورضيت هذا العنوان ،
والمؤلف قد شعر شعورك وشعورى
فمهد لقوله وبين غرضه وأفاض
فيه ، وما من شك فى أن كل من قرأ
القرآن وتمعن فى معانيه عرف
مراميهِ . يجد هذا النمط من الكلام
ويجد المفسرين يقولونه ويثبتونه
نوعاً من الأساليب التى تدحض
سخرية أعداء الاسلام على اختلاف
طوائفهم ونحلهم ، وان كان
المفسرون أو غيرهم لم يفرّدوا له
تأليفاً خاصاً ، أو كتاباً يجمع متفرقه ،
ويتبع مسالكه ، لذلك أعلن المؤلف
فى مقدمته :

« وقد كان موضوع هذا البحث
— وهو أسلوب السخرية فى القرآن —
جانبا من الجوانب الواضحة فى
القرآن الكريم ، ومع ذلك فلا أعلم

هذا كتاب جديد يضاف الى
القرآن الكريم ، ويأخذ مكانه فى
المكتبة العربية بجوار أمثاله مما
اتحى ناحيته من القرآن الكريم
ونسب اليه مثل : المرأة فى القرآن
الشيطان فى القرآن . اليهود فى
القرآن . قصص القرآن الى كثير
مما لم أطلع عليه فأبدي رأياً فيه ،
والكتاب الذى أتحدث عنه ، ويلوى
قلمى نحوه هو « أسلوب السخرية
فى القرآن الكريم » لمؤلفه (الدكتور
عبد الحليم حفى)

وقد يضايقك عنوان الكتاب ،
لأننا نقدر القرآن الكريم وهو
كلام الله عما تراه من عمل الانسان
من سخرية أو تهكم أو دعاية أو
نكتة .. ولكنك حين تقرأ الكتاب
مثلى وترى عقيدة المؤلف ورأيه ،
والتصد الذى عمد اليه ، والجهد
الذى بذله فى توضيح نظريته

أن أحدا من الباحثين قد تناوله قط ولو في مقالة ، وإذا كانت الكتابة عن القرآن عامة من الصعوبة .. فإن الكتابة عن جانب منه لم تطرقه البحوث أشد صعوبة وأعقق تهيئا .. ومما يزيد في ثقل هذه المشقة أن تضاف إليها مشقة نفسية تنبع من الشعور بأن الموضوع متصل بقاعدة الاسلام . كتاب الله» وقد بين المؤلف دوافع تأليف الكتاب واتجاهاته في نقاط أثبتتها في المقدمة متخذاً من الطرق العلمية سبيله الى جلاء موضوعه وتقديمه للقارئ على أسس علمية يقبلها العقل ويقرها المنطق ، والمؤلف ليلغ المنشود مما عمد اليه ، والمقصود مما استهدفه لم يعتمد على اللغة والأدب وعلوم اللسان العربي فحسب وإنما حشد ورصد مجموعات من العلوم النفسية والاجتماعية والجغرافية (البيئة) والتاريخية وفي مقدمتها السيرة النبوية في كتبها القديمة والحديثة فكان له من كل هذا معين وروافد ترضى الباحث والمتلقى والناقد على السواء .

والمؤلف في أول عنوان له من كتابه وهو السخرية وضع هذه الآية : « سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » وبدأ كلامه بمفهوم معنى السخرية وأعاد الحديث عن « السخرية في القرآن » لأنه يخشى أن ينظر إليها بعض من ضاقت آفاق تفكيرهم من المؤمنين بالقرآن على أنها قد لا تتفق مع اجلالهم للقرآن من حيث انه كلام الله .. ولكنهم يغفلون عن أن القرآن مع أنه كلام الله الا أنه يعتبر « الناطق بلسان المسلمين » والمثل لحالهم بالنسبة الى أعدائهم ، وإذا كان المسلمون وأعداء الاسلام حزينين متخاصمين أبداً فإن القرآن هو المثل لحزب المسلمين ومن البديهي أن القرآن لا ينطق بلسان المسلمين ولا يدافع عنهم باعتبارهم أشخاصاً أو جماعة، وإنما بوصفهم ممثلين للعقيدة الاسلامية ، ومن هذه الزاوية ليس هناك اختلاف أو تباعد بين عداة القرآن وعداء المسلمين وعداء العقيدة الاسلامية ، لأن القرآن لا يعتبر ممثلاً للمسلمين الا فيما يتعلق بالاسلام بوصفه « عقيدة

ويؤدى معناها عدة ألفاظ أبرزها التهكم والاستهزاء ، وهى سلاح عدائى مهما كانت دوافعها ، ويستعين المؤلف بآراء الباحثين عن السخرية فينقل عن علماء النفس قولهم : « الابتسام والضحك والمرح والفكاهة والمزاح والدعابة والهزل والنكتة والملحة والنادرة والكوميديا ان هى الا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة ، وكلها انما تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة التى سرعان ما تمل حياة الجد والصرامة والعبوس فتلتبس فى اللهو وترويحاً عن نفسها وتبحث فى الفكاهة عن منفذ للتنفيس عن آلامها ، وتسعى عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذى كثيراً ما يثقل كاهلها » وهذه الأنواع المذكورة يجعلون عنوانها الضحك ، لأن الضحك هو النتيجة المباشرة لكل هذه الأنواع ويسترسل المؤلف فى ترسيخ فلسفة الضحك فيذكر أقوال طائفة من الفلاسفة الأقدمين والمعاصرين ، ويوازن بين ضحك البدائى وضحك المتحضر ، وينتهى من كل هذا الى أن الضحك شعور بالانتصار وكذلك

وشريعة » وبهذا الوصف تقبل نسبة السخرية الى الله تعالى ، لأن القرآن بصفته ناطقاً بلسان المسلمين يجعل هذه الصورة كأنها صادرة من المسلمين أو ممثلة لموقفهم والقرآن فى كل اتجاهاته يحشد كل أسلحته وطاقاته ليعزز مركز المسلمين ويدفعهم الى النصر .

ولما كان أعداء الاسلام قد اتخذوا السخرية سلاحاً ليضعفوا من شوكة المسلمين فى مكة أو فى المدينة أو فى كل موطن التقى فيه الايمان بالكفر كان لزاماً أن يستخدم هذا السلاح ، ويؤيد المؤلف موقفه بالنقل عن الزمخشري فيسوق قوله : يقول الزمخشري :

« فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب .. فما معنى استهزائه بهم ؟ قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم ، لأن المستهزىء غرضه طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به » وما السخرية ؟ ولماذا نلجأ اليها وما آثارها ؟ السخرية فى مدلولها العرفى واضحة لا تلتبس بمعنى آخر ،

والسخرية تفيد شعورا بالانتصار والتفوق والتعالى على الخصم ، والمهم عندى ما أثاره المؤلف نتيجة بحوثه عن آثار السخرية ، فيذكر لها آثارا كبارا منها « النقد والاصلاح الاجتماعى » تسلط على الخارجين على كيان الجماعة ، ومنها « طلب التغيير الاجتماعى » ومهما بدت بريئة من كل غرض فلا بد أن تحمل غرضا يكمن وراء هذا المظهر البرىء ، ولها دورها فى تقويم الخلق الاجتماعى ومعالجة اعوجاجه ومن مجالاتها (ميادين الحروب) فانها وسيلة الى اضعاف الروح المعنوية فى الجيش المسخور منه ، وخطورة السخرية بالنسبة للحرب النفسية أو العسكرية أنها تؤدى دورين هامين لصالح الساهر : أحدهما تقوية الروح المعنوية فى صفوف الساهرين ، والآخر هو أنها تضعف الروح المعنوية فى الذين توجه اليهم ، والسخرية تقتضى ذكاء وقدرة على تأليف العبارة الموجزة وبلوغ المفارقات من أقرب طريق ، والساهر لابد أن يتحلى بذكاء ومنطقية ،

وسرعة بديهة ، وحسن تخلص ، وبراعة فى الرد ، وشعور بالتفوق والانتصار والاستعلاء • والامام محمد عبده يوضح هذا المعنى فى قوله : « من شأن القوى المستعز بالقدرة والكثرة أن يضحك ممن يخالفه فى المنزع » •• كذلك كان شأن جماعة من قريش كأبى جهل والوليد ، وهكذا يكون شأن أمثالهم فى كل مكان ، ويحتاج المؤلف لكل موقف فيذكر اعتراضا هو قد ترى الضعفاء يسخرون من الأقوياء ، فيرد مبينا حالة المستهزا به من رئيس أو زعيم ممن لا يسير مع مرءوسيه حسب وظيفته ، فتسقط منزلته من نفوسهم فيرون أنفسهم أنهم فى مركز نفسى أقوى من مركز الذين يسخرون منه مهما يكن ذا قوة مهيمنة ، ويؤيد هذا موقف المصريين من المستعمرين على مدى الأحقاب ، فهم يعتقدون أنهم أذكى وأعلى وأنقى من هؤلاء الذين سطوا وغلبوهم على أمرهم •

وخرج المؤلف من عرضه هذا الى أن « القرآن الكريم لم يختار أسلوب السخرية من أعدائه ليكون

السخرية تفيد شعورا بالانتصار والتفوق والتعالى على الخصم ، والمهم عندى ما أثاره المؤلف نتيجة بحوثه عن آثار السخرية ، فيذكر لها آثارا كبارا منها « النقد والاصلاح الاجتماعى » تسلط على الخارجين على كيان الجماعة ، ومنها « طلب التغيير الاجتماعى » ومهما بدت بريئة من كل غرض فلا بد أن تحمل غرضا يكمن وراء هذا المظهر البرىء ، ولها دورها فى تقويم الخلق الاجتماعى ومعالجة اعوجاجه ومن مجالاتها (ميادين الحروب) فانها وسيلة الى اضعاف الروح المعنوية فى الجيش المسخور منه ، وخطورة السخرية بالنسبة للحرب النفسية أو العسكرية أنها تؤدى دورين هامين لصالح الساهر : أحدهما تقوية الروح المعنوية فى صفوف الساهرين ، والآخر هو أنها تضعف الروح المعنوية فى الذين توجه اليهم ، والسخرية تقتضى ذكاء وقدرة على تأليف العبارة الموجزة وبلوغ المفارقات من أقرب طريق ، والساهر لابد أن يتحلى بذكاء ومنطقية ،

الكتاب ثم المنافقون ، وبحث المؤلف يتناول حسب عنوانه جانباً واحداً من السيرة النبوية ومنها معجزة محمد صلى الله عليه وسلم «القرآن» الا أن البحث يكشف لك السيرة النبوية كشفاً موسعاً لأن حديث السخرية اقتضى التوسع من حيث ان السخرية كانت فى منزل الوحي الأول تعالج نوعاً من العداوة الطاغية التى تعتد بالحسب والنسب والنشب ، والتفاخر بالأجسام والعقول والرياسة ، وما نقوله عن منزل الوحي الأول فى مكة نقوله فى منزل الوحي الثانى فى المدينة فسنرى بجانب العرب ظهور اليهود مناهضين للدعوة ولهم أساليبهم ومكرهم ، وسنرى قوماً من الأوس والخزرج والأعراب حول المدينة جعلوا النفاق سياجاً وملذاً ، ومن كل هذا نجد معارضة بالكلمة كما نجد معارضة بالأسلحة ، فالأعداء كثيرون والمسلمون كانوا قلة على مدى أكثر من خمسة عشر عاماً منها ثلاثة عشر فى مكة ، وفى كل تلك السنوات الطويلة كان القرآن هو السلاح القهار الذى يدفع الأعداء ويدحر المتكبرين ، ويعطى

مجرد تهكم أو استهزاء أو تحقير كما يتراءى لبعض المفسرين ، وانما اختاره لأهداف أبعد ، وأغراض أعمق تبدو فيها الدراسة العلمية ، والتخطيط المنسق الذى يثبت أن القرآن الكريم كان أسبق من علم النفس وباحثيه ادراكاً للسخرية فى معناها العلمى » كما أن القرآن ارتفع بها عن موطن البداوة الى مناط الحضارة ، بل ارتفع بها عن الهجاء الذى كان سلاح الشعراء حين نزول القرآن ويخيل الى أنك مثلى تستعجل الحديث عن أعداء الاسلام ومكانة السخرية بين الطرفين ، وفى يقيننا كما فى يقين المؤلف أن سخرية القرآن أتفذ مسلماً وأكثر براعة وأسمى عبارة وأمس بالبلاغة من سخرية غيره ، لأن الله يعلم طبائع النفوس ولا تخفى عليه خافية ، وسنجد أعداء الاسلام وان سكنوا الجزيرة العربية أن نزول القرآن الا أنهم يمشلون الأعداء فى كل مكان وزمان .. والأعداء هم : العرب واليهود والنصارى أو هما معا كما يسميهما المؤلف « العداوة المزدوجة وامتدادها » ص ٣٣ من

عمارا وبلالا وصهيبا وغيرهم في مكة ، بل امتد العدوان لشخص الرسول في مكة والطائف وهو مركز الدعوة والصورة المثلى التي ان اهتزت كان لاهتزازها الأثر المخيف لحياة المسلمين ودعوتهم الطيبة ، لذلك نجد القرآن يواسى النبی ويسليه بمثل : « ولقد استهزئ برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » (١)

وللمؤلف فن رفيع في عرض سخرية القرآن فهو يذكر ما جاء في الآية أو الآيات موضحا وموازنا ، ثم يعقب بذكر نص القرآن ، فيقول : ويسوق القرآن سخرية أعداء النبی به ، ولكنه يوجه اليهم سخرية بالغة حيث يسخر منهم في عقيدتهم فيجعلهم لا يعبدون شيئا وانما يعبدون مجرد الهوى في النفس ويسخر منهم في عقولهم فيجعلهم في مرتبة الموازنة بينهم وبين الأنعام ، ثم يفضل الأنعام عليهم حيث انها تؤدي في الحياة دورها الطبيعي

الثقة الحققة في نفوس أصحاب محمد ومن باب أولى يعطى الثقة الكاملة لصاحب الرسالة نفسه .

ويجىء في المقام الأول المشركون وهم الذين جعلوا مع الله الها آخر « ويستثنى الاسلام من هذا الوصف أهل الكتاب أى الذين لهم كتاب سماوى وهم اليهود والنصارى ، والمشركون يمثلون الجبهة المضادة للاسلام ، ومنها جماعة معينون من المشركين كانوا بالاضافة الى عداوتهم للاسلام يملكون سلاحا معيننا هو سلاح السخرية ، وهم الذين حددهم القرآن في قوله :

« انا كفيناك المستهزئين » ومنهم قادة المشركين « أئمة الكفر » كما سماهم القرآن نفسه ، وهؤلاء يمسكون زمام الجبهة المضادة للاسلام » .

وينبغى لنا ونحن تعالج أمر السخرية أن نستحضر ما لاقاه المسلمون من اضطهاد تقسى وبدنى لنذكر الى أى مدى كانت السخرية لها وقعها في نفوس الذين يضطهدون

الذى خلقت من أجله ، أما هم فيخالفون الفطرة التى فطر الناس عليها ويحاربون غريزة أولية فى الانسان وهى الشعور بالخالق ، وهى ما يسميها علماء النفس غريزة التدين ، فتفضيل الأنعام عليهم وان بدا فى صورة السخرية البالغة الا أنه معنى حقيقى لا تجوز فيه . يقول القرآن الكريم عن السخريين منهم ومن القرآن : « واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا . ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا . أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » (١)

واذا كانت هذه الآيات تسرية عن نفس النبى لأنها موجهة اليه الا أنها تشعر المسلمين بأنها لهم أيضا ، فتزيل عنهم الهم والضيق وتبعث فيهم الثقة بالنفس ، وفى الوقت نفسه تحطم معنويات العدو،

فوصفهم بالأنعام يسر المسلمين ويدفعهم هم للتفكير فى موقفهم من معنى الاله . ومثل هذا كان له تأثير كبير فى نفوس المشركين ولا سيما أئمة الكفر ، فيجنون جنونا من وقع السخرية عليهم ، ويذكر المؤلف قصة أم جميل زوج أبى لهب حين سمعت ما نزل فيها من سخرية وقد سمته هجاء محمد لها . تقول الرواية : ان أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر وفى يدها فهر - حجر ملء الكف - من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله يبصرها عن رسول الله ، فلا ترى الا أبا بكر . فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟ قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه . أما والله انى لشاعرة ثم قالت :

مذمما عصينا

وأمره أيننا

ودينه قلينا

وحين تتصور مبلغ سخرية القرآن من امرأة في ذروة المجد والشرف ، ثم هي أنثى ككل امرأة يعينها قبل كل شيء صورتها ومظهرها في نفوس الناس وقلوبهم وإذا هي تجد من يمحو عزها وشرفها ، ويقبح صورتها يجعلها مجرد حمالة للحطب ، بل أكثر من ذلك يرسم صورتها وكأنها دابة تقاد بحبل من ليف في عنقها ، حين تتصور امرأة ، وامرأة في هذا الوضع من قومها تبلغ منها سخرية القرآن هذا المبلغ يمكن أن تتصور ما تتركه هذه السخرية في نفسها وهذا التوجيه لسورة « المسد »

يدل على فهم عميق من المؤلف ، وبيان واقعي منه لمعنى السخرية وأثرها ، وكذلك تجده موفقا في كل مثال أتى به مما يدل على دراسة وافية لمعاني القرآن الكريم ، واليك سخرية بالتقاليد يقدم لها المؤلف قائلا :

ومن هنا نفهم جانبا مهما من اهتمام القرآن الكريم بالسخرية

اللاذعة من عاداتهم ومحاكاتهم ، وخاصة ما يتعلق بالآباء ، فإن القرآن يعرض أولا تمسكهم الشديد باتباع آبائهم على أى وضع ، وعلى أية حال ، ثم يسخر من آبائهم ، ومن اتباعهم لآبائهم الذين تصوره هذه السخرية ، وكثيرا ما يسوق القرآن هذه السخرية في استفهام يبرز السخرية المقصودة كقوله : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون (١) »

وهاتان الآيتان اشتشهد بهما المؤلف أيضا حين تعرض « لمبدأ التمسك باتباع الآباء » فبين أنه نزعة مستقلة في نفوسهم وهى أعم من العادات نزعة تسيطر على أفكارهم وتوجه عقيدتهم ، فقد اتخذوا من آبائهم وأجدادهم وخاصة البارزين منهم ما يشبه الآلهة •• ومن أمثلة

ضلال آبائهم وسفه تفكيرهم ،
ويصور القرآن أيضا الغاءهم
عقولهم وتفكيرهم استنادا الى
عقول آبائهم بأنهم أصبحوا حينئذ
كالغنم التى لا تعى من كلام راعيها
الا مجرد الصوت الذى لا يدل على
معنى ، ولا يفهم منه شىء بالنسبة
لهم : « ومثل الذين كفروا كمثل
الذى ينق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء صم بكم عمى فهم
لا يعقلون »

وبذلك صاحب الواقعة بين
النبي وعمه على مقدار كبير من
الذكاء ومكر الحيلة وكذلك كانت
قريش ، وقد وصفهم القرآن بأنهم
قوم خصمون ، ووصف الجاهلية
يطلق على تعاملهم عن دعوة الاسلام،
وهربهم من تقبله ، ولكنهم كانوا
ذوى عقول تدرك وتحاور وفي
قصة الوليد ما يشير الى عقليته
الناضجة ، وبصره بمعانى الأساليب
القرآنية . وأنا لا أريد أن ألخص
لك كتابا يقع فى أربعمئة صفحة
وسبع وأربعين صفحة ، وانما
يعيننى أن أذكر لك بعض طرائفه
مما أتى به من السخرية ، وصنيعه

ذلك قصة أبى لهب عم الرسول
الذى كان يؤازره ويتعصب له (بعد
وفاة أبى طالب) ففكر بعض أعداء
الرسول فى حمله على التخلّى عن
مناصرة ابن أخيه ، فالتمس أهم
نقطة تسيطر عليه وعلى غيره وهى
تقديس الآباء والأجداد ، فقال لأبى
لهب : ان محمدا يزعم أن عبد المطلب
فى النار ، ففرع أبو لهب ، وأرسل
الى النبى يسأله : أين عبد المطلب ؟
فرد النبى بأنه مع قومه ، فطابت

نفس أبى لهب . وقال : نعم المقام
أن يكون مع شيوخ قریش ، ولكن
الذى أراد الواقعة عاد يقول له :
فان محمدا يزعم أن شيوخ قریش
فى النار ، فأرسل أبو لهب الى النبى
يسأله : وأين قومه ؟ فأجاب النبى
بأنهم فى النار . هنالك انقلب أبو
لهب عدوا من أشد أعداء النبى
وألدهم عدا ، وكان تشبثهم هذا
الشديد بكل ما يتعلق بالآباء عقبة
أمام الاسلام ، ويسير المؤلف فى
تأييد رأيه الى أن يقول : ولذلك
تجد القرآن يصور مدى تشبثهم
باتباع آبائهم فى حين لا حجة لهم
ولا منطق فى هذا الاتباع مع وضوح

فى التحليل والتعليل والادراك
الأصيل لبلاغة القرآن ، وظهوره
على أعدائه قاهر أو متحديا ، من
غير حيدة عن منهج المؤلف ورؤيته
لأى المؤلف أن القرآن اتخذ من
البيئة العربية مادة للسخرية ، وهى
بيئة صحراوية قائلا : وتترأى لنا
طبيعة الارض العربية واضحة خلال
سخرية القرآن فمن ذلك
هذه السخرية الشديدة التهكم
بالتكبر المختال الذى ترسمه
سخرية القرآن رسما (كاريكاتيريا)
مضحكا بأنه يمشى مشية عجيبة
لا كما يمشى الناس ، فهو يضرب
الأرض بقدميه كأنه يريد أن
يخرقها ، ويشمخ بأنفه ووجهه الى
السماء كأنه يريد أن يطاول الجبال
فى ارتفاعها ، ولكن سخرية القرآن
تقول له : « ولا تمش فى الأرض
مرحا انك لن تخرق الأرض ولن
تبلغ الجبال طولا • كل ذلك كان
سيئة عند ربك مكروها » والسخرية
الشديدة واضحة فى قوله تعالى :
« انك لن تخرق الارض ولن تبلغ
الجبال طولا » فمن البدهى
أن أحدا لا يظن أنه سيخرق الأرض
مهما تكن مشيته ، وأن أحدا لا

يظن أنه سيبلغ بقامته رعوس الجبال
مهما مد عنقه ، ومهما شمخ بأنفه ،
ومهما تطاول بقامته ورأسه ، ولكنه
كما يقول الزمخشري تهكم بالمختال
•• على أننا نلاحظ دقة التعبير
فى قوله تعالى : « كل ذلك كان
سيئه عند ربك مكروها » فقيده
موضع السيئة بجانب الله سبحانه
بينما أطلق الكراهة اشارة الى أن
هذه المشية وما تدل عليه من خلق
صاحبها ذنب عند الله ، وفوق ذلك
هى مشية مكروهة من الله والناس ،
لأن الناس لا يحبون المتعالى عليهم
وان أظهروا له طاعة أو تقربا ، فان
قلوبهم لا تضر له الا البغض
والكراهية ، والذى يعنى الموضوع
من هذه السخرية ما يوحى به قوله
تعالى : « انك لن تخرق الأرض ولن
تبلغ الجبال طولا » فقد تضمن هذا
التعبير أن هذا الشخص المختال فى
مشيته حوله جبال يحاول أن
يطاولها ، ومعنى ذلك أنه يمشى فى
بيئة تنتشر فيها الجبال وهو واقع
البيئة العربية ، وكذلك التأكيد
لهذا الماشى المختال بأنه لن يخرق
الأرض ، فانه وان كان معلوما أن
المشى لن يخرق أى أرض الا أن

وأغلقوا أبصارهم ، بل نفروا من هذا النور تفاراً شديداً ، وكأنهم جماعة من حمر الوحش فاجأها خطر يهدد حياتها ، فانطلقت مذعورة بأقصى ما أتيح لها من عدو ، لا تلوى على شئ ، ولا تفكر فى شئ ، ومن الواضح أن قرن موقف أعداء الاسلام بهذه الصورة من حمر الوحش ، وتمثلها فى الذهن أى المقارنة بينهما تحمل أقصى سخرية يقوم يتصورون فى أنفسهم العقل والتؤدة والغلبة . » فما لهم عن التذكرة معرضين . كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة (١) »

وهكذا يسير المؤلف فى تفسير ما يختاره من الآيات خاصة ببحثه . فاذا جئنا الى المنافقين ومن وراءهم من اليهود فماذا يقدم لنا من الصور وللمؤلف فلسفة انفرد بها فى بيان معنى النفاق ، والفرق بينه وبين الكفر ، ثم ان له رأياً فى تدين اليهود وموجز ما قال فى هذا الشأن ، ومن المعروف أن النفاق لم يعرف فى مكة ومن حولها ، ذلك أن المسلمين لم يكونوا من القوة يومئذ

التعبير يوحى ضمناً بصلافة الأرض ، لأن المبالغة التى تقتضيها السخرية انما تتحقق اذا تصورنا أن الأرض التى يمشى عليها صلبة جداً لا يخرقها المشى ، ولا ما هو أقوى من المشى ، بخلاف ما لو تصورنا أنها أرض رخوة لينة . . وبهذا توضح لنا هذه السخرية طبيعة الأرض التى يعيش فيها العربى ، وهى الأرض الصخرية الصلبة ، والجبال المنتشرة فيها . وبهذا كله يعطيك المؤلف صورة واضحة للسخرية يسطها بكل دلائلها من جغرافية وبلاغية ونفسية ، وبهذا يعيد للبلاغة العربية شبابها أو يعيد لنا النقد الأدبى فى بهائه ونقائه وحسن ضروبه

واليك صورة أخرى لحيوان البيئة كما جاء فى سخرية القرآن الكريم . يقول المؤلف : وسخرية القرآن تستغل خبرة العرب بحيوان الصحراء ، ومنه حمار الوحش ، فترسم صورة لأولئك الذين ساق الله اليهم الهداية ، وأرسل اليهم النور ، ليستضيئوا به ، وتستدير حياتهم بهائه ، فأصموا آذانهم ،

(١) الآيات (٤٩ - ٥١) سورة المدثر والقسورة الأسد أو جماعة الصائدين

بحيث يخاف منهم الكفار فيظهرون خلاف ما يظنون ، والمسلمين مع قلتهم قابلوا جبهة الكفر بالتحدي ، فهم يطوفون بالكعبة ، ويعلنون القرآن ويصبرون على الأذى أو يهاجر من يهاجر الى الحبشة ، وقد يحاصرون في شعب أبي طالب ويمنع عنهم الطعام وغيره من متطلبات الحياة ولكنهم ثابتون على المبدأ لا يبعون عنه حولا ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة وصارت لهم جماعة من الأنصار تكونت بداية الدولة الاسلامية ، هنا كان لليهود مجالهم الذي طبعوا عليه من حقد على البشرية ، فكانوا أشد الناس عداوة للإسلام ، وقفوا ضده جميعا الا قليلا منهم ليس له خطر ، ومن ثم جعلهم القرآن في الترتيب أول الأعداء : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا .. » فلقى منهم الاسلام والمسلمون أخطر المواقف ، رفضوا الاسلام بصورة جماعية ، وسنوا للعرب النفاق ، فكل روايات التاريخ تؤكد أن الذين نافقوا من العرب انما التفوا حول نفاق اليهود وظاهروه

كقول ابن حزم : « وكفر جمهور اليهود وظاهرهم قوم من الأوس والخزرج منافقون يظهرون الاسلام مداراة لجمهور قومهم » وكم لهم من دعايات واشاعات حول الدين وصاحبه ينفثون السموم ليشككوا ويضللوا ، بل كانوا يعملون على قتل الرسول نفسه ، وهو الذي هادتهم ، وجعل لهم ميزة على أنهم أهل كتاب ، وقد تظن أن موقفهم العدائي راجع الى قوة عقيدتهم وتمسكهم بكتابهم ، ولكن المؤلف يثبت بالأدلة القاطعة ضعف العقيدة عندهم ، بل يحكم عليهم بفقدان مبدأ الاعتقاد وقد يبدو هذا الحكم غريبا لما عرف عنهم من الانطواء على دينهم مهما تفرقوا في أنحاء الأرض ، لكن الحقيقة أن انطواءهم على الانتماء الى دينهم ليس مصدره الاعتقاد بالدين ، وانما مصدره (الأنانية) متغلغلة في أعماقهم لكونها نابعة من طبيعة خاصة بهم ، وصفات مشتركة يحسون بها في سلالتهم فيأنسون اليها ويلتفون حولها ، انها عنصرية بحتة لا تكاد تتصل بالدين بمعناه العقدي ، ويؤكد ذلك كثرة من أرسل من الأنبياء

ويقول هذا الباحث نفسه فى حديثه عن طبيعة العدوان فى نفسه باعتباره المخادع الأكبر الذى اليهود : « وقد لا يقف العدوان عند حدود الخصوم الشريرين ، بل قد يمتد أيضا نحو قوة أخرى غير بشرية ، تتخذ فى نظر اليهود صورة الطاغية الأكبر ، ونعنى بهذه القوة الله نفسه » فاليهود اذن ليس فى طبيعتهم الاستعداد للايمان ومبدأ الاعتقاد ، وهو أوضح تعليل للنفاق ، فان النفاق يقوم أساسا على « فقدان الاعتقاد » فى أى شىء خارج ذات صاحبه ومصحتها ، ولذلك كان من ابرز صفات المنافقين فى القرآن الكريم « مذبيين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء » فهم لا يعتقدون فى الاسلام ، ولا يعتقدون فى الدين الذى يظن الناس أنهم ينتسبون اليه فى الخفاء ، ويستمر المؤلف فى مذهبه هذا متحدثا عن بخلهم وغدرهم وعدوانهم ، وخلو قلوبهم من كل شعور بالايمان والعقيدة قائلا ، ومن (١) تفاهة

اليهم •• وتكرار الرسل فى شعب واحد معناه أن أحدا من هؤلاء الرسل لم ينجح فى أن يغرس فى هذا الشعب الايمان والاعتقاد ، والقرآن الكريم يؤكد هذا المعنى فى كثير من مواضعه ، ومن ذلك قوله تعالى : « •• وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ولئن كان القرآن قد قرر أن نزعة الكفر عند اليهود صفة متوارثة فيهم عبر القرون والأجيال فان بعض الباحثين الغربيين المعاصرين فى بحث خاص عن اليهود يقرر هذه الحقيقة التى توصل اليها فى بحثه وقد سبقه القرآن اليها منذ أمد بعيد •

يقول (ريك) : « ان وراء المظهر السطحي للنقد الذاتى - عند اليهود - تكمن نزعة شكية عدائية تتجه نحو الدين ، بل نحو الله يضلل عباده بالوعود المعسولة التى لن تتحقق يوما »

تفكيرهم ، وضيق أفقهم الذى يتحدث عنه (ريك) وذلك فى قصة تنجية الله سبحانه لهم من عذاب فرعون ، ومن الذل والخسف الشديد الذى كان يخيم على ليلهم ونهارهم ، ولا ينجو منه رجالهم ولا نساؤهم ولا أطفالهم ثم زادهم الله فوق ذلك من نعمه ما لم يكونوا يحلمون به ولا يدور لهم قط فى خيال ، وكان معهم نبي من أعظم الأنبياء هو موسى عليه السلام ، وأحدث الله لهم معجزة ينجون بها من عذاب فرعون قلما يحدث مثلها لقوم على يد نبي من الأنبياء ، حيث شق الله سبحانه لموسى البحر ليجوز فيه قومه بنو اسرائيل ، وكان المنتظر من قوم يسبغ الله عليهم نعمة النجاة أن تمتلىء نفوسهم شكرا لله وإيمانا به ، وكان المنتظر أن تظل صورة هذه المعجزة الكبرى فى انشقاق البحر لهم ماثلة فى ذهن كل فرد منهم لا تبرحه حتى يموت ، ولا يبرحه معها شكر وإيمان بالله لاحد لهما ، ولكن ذلك كله لم يصل الى نفوسهم ، ولم يؤثر قط فى قلوبهم لأن نفوسهم غير مستعدة للإيمان مهما تهيأ لها من دواعى

الإيمان ، ولأن نفوسهم غير مستعدة للشكر والوفاء مهما يسبغ عليها من دواعى الشكر والوفاء ، بل هى متحفزة دائما لكل ما يناقض الخير فى نفوس الناس ، فاذاهم فور خروجهم من البحر ولم تجف أقدامهم بعد ومعهم موسى عليه السلام يرون قوما يعبدون الأصنام ، فينسبون الله وينسبون فضله العظيم عليهم ، وينسبون معجزته التى أجراها لينجيهم بها ، ويقولون لموسى : اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء آلهتهم ، ويصور القرآن هذه القصة مبتدئا اياها بذكر فضله أيضا ، وبين هذه الأفضال يقبع غدر اليهود وكفرهم وحجودهم لكل نعمة :

« وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون • وجاوزنا بنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة

ويشرح رأيه معتمدا على رأى علماء النفس والاجتماع عن ملازمة الدين المجتمعات ، وأقل ما توصف به نزعة التدين والاعتقاد أنها غريزة أساسية فى الأفراد ، وحيث كانت نزعة الاعتقاد والتدين غريزة فهى اذن أمر فطرى فى طبيعة الأفراد يولدون وينشئون به ، وهذه النزعة تتمثل فى شعور الفرد شعورا نفسيا تلقائيا بالاله وسلطانه وهيمنته . دون أن يحتاج الى مرشد الى ذلك ، لأنه شعور مستقر فى النفس ونابع منها ، وتبعا لذلك فانه يكيف سلوكه ويصوغه فى ضوء احساسه بالاله ، والذى يعنى علماء الاجتماع من غريزة التدين هو تأثيرها فى السلوك وفى تكوين الظواهر الاجتماعية ، من حيث انها مجال الدراسة الاجتماعية . أما الذى يعنى علماء النفس فهو وجود غريزة التدين والاعتقاد من حيث هى فى النفس ومن حيث تأثيرها فى نفسية الفرد ومشاعره وعواطفه ، والذى يعنى موضوعنا من ذلك مجرد اتفاق علماء النفس والاجتماع على أن الاعتقاد الدينى غريزة أصلية فى الانسان ، وهذا يؤيده الحديث الشريف :

قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغىكم الها وهو فضلكم على العالمين » وتكفى هذه القصة لبيان ايمانهم ووفائهم نحو خالقهم الذى أنعم عليهم بنعم لا يقدر الناس على شكرها ويجهدون فى أدائه ، فهم كما قال المؤلف « لو آمنوا بالتوراة ما كفروا بالاسلام » تعليقا على سخرية القرآن بهم فى قوله : « واذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتُمون »

وأنتقل مع المؤلف من اليهود الى المنافقين ، والمنافقون العرب جاءهم النفاق من مجاورة اليهود ، فالنفاق نبع من المدينة وما حولها من الأعراب ، كما يقول سبحانه : « ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » والمهم عندى رأى المؤلف فى النفاق وهو رأى له قدره وخطره ، فهو يقرر أن النفاق يقوم أساسا على « فقدان الفرد الاستعداد للعقيدة فى طبعه »

« ما من مولود الا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وينتهي من ذلك الى أن من يعبد غير الله عنده غريزة التدين ولكنه ضل الطريق الى الله، ومن هنا يمكن أن نتحدث عن النفاق بأنه « فقدان هذه الغريزة الفطرية » من باب الشذوذ عن التكوين الطبيعي في الانسان بمعنى أنه على حين يحمل الناس في طبعهم غريزة الشعور بالاله والاعتقاد بوجوده نجد المنافق فاقدا لهذه الغريزة أصلا وتكوينها ، وهو حينئذ شاذ عن الفطرة السوية للبشر ، وإذا كان الشأن في الناس أن يكونوا عقلاء ولكن منهم من يشذون فيولدون مجانين ، وقد يكونون ذوى حواس سليمة ، ولكن منهم من يشذون فيولدون فاقدين لبعض هذه الحواس كالسمع والبصر ، وكذلك الشأن في العقيدة ، فمنهم من يولدون وفيهم غريزة التدين وبعضهم يولدون فاقدين تلك الغريزة . وبناء على ذلك فليس صحيحا أن المنافق يدين بدين آخر

غير الاسلام ، ولكنه يظهر اسلامه اتقاء لضرر أو أى غرض ، وانما الواقع الذى يؤيده القرآن أنهم لا يدينون قط بأى دين ، وليس فى نفوسهم قط الا طلب المنفعة المادية المباشرة لأشخاصهم ، والمنفعة التى لا تكلفهم مشقة أو بذلا أو تعرضا للمخاطرة بالنفس أو المال كما يصور القرآن موقف بعضهم من المشاركة فى القتال مع المسلمين أو حتى السفر للقتال فيقول : « وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (١) » وكان المنافقون منبئين بين المسلمين يتحركون حركات مدمرة يعملون على التفرقة بين الصفوف ، وتشيط الهمم ، والتشكيك فى الدين ، والتهوين من الأعمال العظيمة والقرآن تحدث كثيرا عن المنافقين فى سورة ، وخصهم بسورة كاملة هى سورة (المنافقون) ، والآيات

الكافر ، ويعقد المؤلف فصلا عنوانه « المنافقون والسخرية » ويناقش السخرية عندهم وعند الكفار فيقرر أن سخرية الكفار لا تأتى من الكفار كجماعة ولكن تأتى منهم كأفراد أو الى نفر منهم * هم أئمة الكفر ، اما المنافقون فيبدو من حديث القرآن عن سخريتهم أنها جزء من طبيعتهم جميعا ، وصفة من صفاتهم ، فهى سخرية نابعة من فقدانهم العقيدة فهم لا يرون فى أى دين أو عقيدة شيئا يستحق الاهتمام ، وانما يرونه تهاة أو عبثا أو أى شىء من قبيل الاستهانة وعدم الاهتمام نفوسهم ذاتها تحمل السخرية والاستهزاء بالعقيدة سواء صدر من ألفاظهم ما يدل على ذلك أو لم يصدر ، وهذا يختلف اختلافا شديدا مع سخرية الكافرين الآخرين ، فان هذه لا تنبع من نفوس مستهينة * وانما تمثل مجرد سلاح عدائى يراد به الضرب فى الاسلام والمسلمين بخلاف المنافقين الذين لا يحملون فى نفوسهم الا الاستهزاء النابع من الاستهانة ، ولذلك يجعل العلماء

تحكم على المنافقين بأن عقابهم أشد العقاب ، وأنهم فى أسفل درك من النار * « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » ويسوق المؤلف أقوال المفسرين ، ومنهم من عقد موازنة بين الكافر الأصيل والمنافق ، ومنهم من شرح معنى « مذبذبين بين ذلك » متحدثا عن المنافقين أفرادا وجماعات وسلوكهم فى المجتمع الاسلامى على عهد الرسول ، وهو فى كل مقام يلح على أنهم فقدوا غريزة التدين والايمان ، وهو رأى مقبول ولك أن تأخذ به أو تعارضه ان وجدت دليلا يؤيد معارضتك ، ويضاف الى ذلك اجابته عن سؤاله : النفاق من طبيعة المنافق وهو تكوين فطرى وخالق هذا التكوين هو الله سبحانه فكيف يخلق فيهم هذه النقيصة ثم يحاسبهم عليها (١) ؟ ومع أنه اعتذر عن عدم الاجابة أجاب ولكن الاجابة لا تقنع الانسان اقناعا تاما ، وخير ما يقال أن تترك الأمر لخالقه ، أو نقول مع القائلين : ان الله أعطاه عقلا واختيارا وعليه أن ينتفع بهما ، فما يقال فيه يقال فى

صفة الاستهزاء فارقا بين المنافق والكافر الصريح حيث يرون التصريح بالكفر تحديا وعداء يدلان على الاهتمام ، كما يقول الرازي في سياق تقرير أن النفاق أقبح من الكفر الصريح « ان المنافق ضم الى كفره الاستهزاء بخلاف الكافر »

ويقول الزمخشري : « فان قلت : لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر ؟ قلت : لأنه مثله في الكفر ، وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهليه ومداجاتهم » ثم يتحدث المؤلف عن صفاتهم ، ويذكر قول الله لرسوله عنهم : « ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم » (١) ومن صفاتهم المبالغة في اخفاء أمرهم ، واستشعار الريبة ، والكذب والاعتماد على المظهر ، والجبن الشديد والسلوك النفعي ، وكل صفة من هذه الصفات يمثل لها بآية من القرآن الكريم فيها سخرية بهم .

يقول المؤلف في صورة من صور

الخوف ، يصور القرآن أثر الخوف الشديد الذي يعتريهم حينما يتعرضون لموقف مخيف ، فيلفت النظر الى عضو معين فيهم حينئذ ، هذا العضو متمثل فيه كل مشاعرهم وانفعالاتهم ، وهو « العين » ويضرب القرآن مثلا من أمثلة مواقف الخوف بالنسبة للمنافقين وهو أن ينزل من القرآن ما فيه أمر القتال ، حينئذ يشعر المنافقون بحكم ادعائهم الاسلام أنهم مضطرون لمشاركة المسلمين في القتال ، والمشاركة في القتال تعرض حياتهم للخطر ، وحينئذ ترسم في عيونهم كل مشاعر الرعب والفرع ، ويبحثون عن أى أمل يتعلقون به للنجاة ، أو للتخلص من هذا الموقف الذي يواجههم ، فلا يجدون أملا الا في شخص الرسول ، فتتعلق نظراتهم الفزعة الجازعة به كأنها نظرات من يعالج سكرات الموت ، ضارعة الى الرسول أن يعيشها من هذا الخطر الذي يواجهونه :

« ويقول الذين آمنوا لولا نزلت

(١) الآية ٣٠ سورة محمد

سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم (١) وتعبير « أولى لهم » فى صيغة الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه ويلاحظ فى تعبير الآية أن كل هذا الرعب الذى اعتراهم والذى بدا فى عيونهم ونظراتهم ليس لأنهم أمروا بالقتال ، وانما لمجرد أن السورة التى نزلت « ذكر فيها القتال » ... ويتركز اهتمام المنافقين حين يشاركون المسلمين مواقعهم فى الحرص على الغنائم وينكشف تفاههم لدرجة السخط حينما يحظون منها بما يريدون ، حتى انهم يصلون الى الطعن فى شخص النبى ٠٠ « ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون (٢) »

ولا يفوتنى وأنا أطلع هذا الكتاب أن اشير الى فصل عقده بعنوان « الشعبة فى سخرية القرآن » وقد كان له توفيق فى

عرضه وحسن تأنيه واستثناسه بأراء المفسرين وأساليب البلاغة وفن القول ، ويقصد بالشعبية تنزل أصول القرآن أحيانا الى معان وتعبيرات دارجة يتداولها الناس فيما بينهم ويستخدمون مضمونها أو أسلوبها فى حياتهم العادية ، واذا القرآن يوردها فى كثير من آياته فيصل الى القلوب من أقصر طريق ، وبأقوى طاقة ، ففى هذا النوع من الأساليب معان متداولة لا تحتاج الى كد ذهن أو اطالة فكرة ولا سيما اذا صيغت السخرية بأسلوب الواقع وصورته ، ويؤيد كلامه بأقوال المفسرين وأرباب البلاغة من مثل تفسير الرماني لقوله تعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » حيث يقول : نوالله عز وجل لا يشغله شأن عن شأن ، ولكن هذا أبلغ فى الوعيد ، وحقيقته « سنعمد » الا أنه لما كان الذى يعمد الى شىء قد يقصر فيه لشغله بغيره معه ، وكان الفارغ له هو البالغ فى الغالب مما يجرى به التعارف دللنا بذلك على

(١) الآية ٢٠ سورة محمد

(٢) الآية ٥٨ سورة التوبة

المبالغة من الجهة التي هي أعرف عندنا لما كانت بهذه المنزلة ، ليقع الزجر بالمبالغة التي هي أعرف عند العامة والخاصة موضع الحكمة » فهو يرى أن كون هذا الأسلوب أعرف من غيره عند العامة وغيرهم وأكثر شيوعا من أسباب اِشار القرآن له • ونحن نقول اليوم في دراستنا للبلاغة ان الكلمة التي تستخدم في حياتنا اليومية تحمل شحنة عاطفية مشعة فاذا جاءت في أسلوب كان لها التأثير المطلوب •

وقد مثل المؤلف لاستخدام القرآن لهذا النوع مما يحمل الطابع الشعبي ليقرب دعوته الى أذهان العامة ، وليس معنى هذا أن هذا الأسلوب لا يناسب الخاصة، بل انه من أروع أساليب القرآن وملاءمتها للنفوس على اختلاف مستوياتها روعة وتأثيرا وانجذابا ، وتراه في السخرية يبلغ حدا بعيدا من ذلك ما ساقه المؤلف من وعد الله رسوله بالنصر في الدنيا والآخرة ولكن اعداءه يغيظهم هذا فينكرونها ويكذبونه ، ويرد عليهم القرآن فلا يناقش موضوع نصر الله لرسوله ، لأنه أمر مقضى لا يحتاج

الى جدال أو تأكيد ، وانما يرد عليهم بصورة بالغة السخرية قائلا لهم : من كان يشك في نصر الله ورسوله ، ويغيظه ذلك ، فليرفع جبلا يعلقه في مكان عال ، ثم ليخنق نفسه بهذا الجبل ليموت فيذهب عنه الغيظ ، أو لينظر بعد موته أذهب عنه الغيظ أم لم يذهب • « من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » ؟ وفي الآية أكثر من سخرية بالكافرين ، منها صورة قتل النفس بهذه الطريقة ، فان التصوير نفسه سخرية بهم • ومنها أن الموت ليس مذهباً للغيظ كالأغاية التي تنشأ في اذهاب الغيظ • ومنها وصف قتلهم أنفسهم بأنه كيد ، والكيد ما يعمل المرء ضد غيره ، وقتلهم أنفسهم ليس كيدا ضد الرسول ، وانما هو كيد ضد أنفسهم ، ولكن ذلك كله امعان في السخرية وتنويع في صورها ووجوها ، والمعنى في جملة مما يتداوله الناس بينهم ، فمضمون الآية : من غاظه نصر الله فليقتل نفسه ، ومن هذا الباب نجد أمثالا

يجعل السامع لأول وهلة من سماع لفظ الخزنة ، يتخيل هؤلاء الخزنة قائمين مثلاً حول جهنم ، وحارسين على أبوابها خشية أن يهرب أحد من داخلها ، أو يتسلل أحد من الخارج فيدخلها ، أو تمتد يد الى شئ مما فيها ونحو ذلك ، وهذه الصورة يرسمها فى الذهن المدلول المباشر للفظ الخزنة ، ولكن الصورة الحقيقية التى يؤكدتها العقل ولا يرتاب فيها أن النار لا يناسبها شئ من ذلك ، فليس فيها شئ يطمع فيه فيحتاج الى حراسة ، وليست مغرية حتى يفكر أحد فى الدخول اليها راجباً فتحتاج الى حجاب ، وليس هناك مفر لمن فيها حتى يحتاجوا الى سجان يحول بينهم وبين الهرب ، كما يقول الجاحظ عن ذلك ملمحاً الى ما يحمله لفظ الخزنة من سخرية بأهل جهنم ، والخنزرة الحفظة ، وجهنم لا يضع منها شئ فيحفظ ، ولا يختار دخولها انسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ

عامية ، منها ما مضمونه (من لا يعجبه هذا فليشرب من البحر) ومنها ما مضمونه (من لا يعجبه هذا فلينفلق) ومنها ما مضمونه (من لا يعجبه هذا فليضرب رأسه فى الحائط) ومثل هذه الآية كثير أتى به المؤلف وحلله ووضحه وعلل له مما يغبط عليه ويعد فى حسناته ، وتجلى براعة الكاتب فى « سخرية القرآن ووحى الألفاظ » فقد مثل لها بآيات كثيرة منها قوله تعالى : « وقال الذين فى النار لخنزرة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب »^(١) فجاء كلامه هكذا : لفظ الخزنة يستعمل عادة فى الحراس الذين يقومون بالمحافظة والحراسة على شئ معين ، وهذا الاستعمال حين يضاف الى جهنم يرسم فى ذهن السامع صورة لجهنم وقد وكل بها حراس ينظمون أمر حفظها ، ومراقبة من بداخلها ، وحراسة أبوابها ، ونحو ذلك مما تتصوره فى حفظه وحراس يوكل اليهم حفظ شئ مهم يخشى ضياع شئ منه ، أو امتداد مطامع اليه مما

الخازن سميت به » و يناقش كلام الجاحظ ثم يقول : يكفى أن يقال : ان التعبير مراد به السخرية وحتى السياق كله يبدو فيه القصد الى التذكير والتوبيخ والسخرية حيث تجد الملائكة يجيبون أهل النار على طلبهم السابق بقولهم كما ينسب اليهم القرآن ويحكى عنهم بقوله : « قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات • قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال » فهم يسخرون من أهل جهنم بقولهم لهم « ادعوا » مع اقتران هذا بما يمحو ذلك وهو « وما دعاء الكافرين الا في ضلال » وكثير من حديث القرآن عن جهنم ووصفه لها يؤيد أن لفظ الخزنة لا يراد به الا مجرد السخرية يجعل جهنم كأنها شيء مرغوب فيه أو نحوه مما يحتاج الى حراسة ، كما وصفها القرآن بأنها (نزل) وبأنها (مهاد) في قوله تعالى : « لهم من جهنم مهاد » وكما عبر عن اصطلاء عذابها الشديد (بالدوق) الذى يستعمل

عادة فى الأشياء المقبولة والمرغوب فيها ، وتوارد الصورتين على الذهن : صورة جهنم البشعة ، وصورة جهنم التى تحتاج الى حنطة والمقارنة بينهما كل ذلك موضع للمفارقة والطرافة التى تنبع منها السخرية • وجهد المؤلف فى هذا التحليل أوضح من أن يحتاج الى تنويه :

على أن المؤلف لتدققه وانطلاقه نحو الأهداف التى وضعها نصب عينيه قد يجيء فى عبارته كلمة أو تعبير لا يرضاه المحافظون على اللغة أو الذين نسميهم المتزمتين ، فمثلا كلمة (تعساء) جمع تعيس أو تاعس لا يقبلونها لأن هذا الجمع خاص، بمن تلزمه الصفة مثل كريم وكرماء وعافل وعقلاء جاء ذلك فى قوله عن اليهود « (١) فهم يعرفون فى قرارة نفوسهم ويعتقدون أنهم تعساء » وقد خطأ رواد جيلنا حافظ ابراهيم فى عنوان كتابه « البؤساء » فالتعاسة والبؤس غير لازمين للانسان • وقد استعمل كلمة « قاصر » فى غير محلها فى قوله عن كذب المنافقين :

فى بعض الشخصيات ، أورد المؤلف قول حسان الذى يعرض فيه بالمهاجرين ومنه :

(٤) أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا

وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

وقد فسر البيت بقوله : الجلابيب لقب أصحاب النبى عند مشركى مكة ، وابن الفريعة يعنى صفوان بن المعطل • والصواب أن ابن (الفريعة) حسان ، لأنها أمة ، ومعنى البيت كثر المهاجرون فى المدينة وابن هذه المرأة العظيمة أصبح وحيدا فيها كما اخطأ فى نسب (جهنم بن الصلت) الذى رأى مناما سيئا لجيش قريش وبلغ أبا جهل ، فقال : « وهذا أيضا نبى آخر من بنى عبد المطلب » والصواب أنه من بنى (المطلب بن عبد مناف) وأبو جهل يعادى كل انسان من ذلك البطن • وقد كنت أود ألا يعنى المؤلف نفسه بالفصل الذى عقده بعنوان

« (٢) فهذا القدر ليس قاصرا على المنافقين » والصواب ليس مقصورا ، واستخدم كثيرا فى كتابه التعبير « على ضوء » والفصحاء يقولون « فى ضوء » اتباعا للقرآن فى قوله « كلما أضاء لهم مشوا فيه » ويستخدم (شفاقة) والفعل (شف) لا تأتى منه صيغة المبالغة ، كما استخدم (المساهمة) وقد أنكرها بعضهم والصواب الاسهام والمساهمة تستخدم فى (القرعة) وقد يستخدم حرفى عطف ، وينبغى أن يكتفى بواحد منهما فلا يقبل منه (بل وما) وقد نبه على ذلك العقاد فى بعض كتبه ، وقد يجىء الخطأ فى اسناد الفعل الى الضمير ويسرنى أن يكون خطأ مطبعيا مثل قوله : « (٣) بخلاف تعبير الشعاعين اللذين هجيا خالد بن عبد الله » والفعل هجا يهجو عند اسناده الى ألف الاثنين يرد الى أصله وهو الواو فنقول : هجوا • ومثل ذلك بديا والصواب بدوا وقد جاء خطأ

(٢) السطر الأول تحت العنوان (الكذب)

(٣) سطر ٦ قبل الأخير ص ٣٩١

(٤) ص ٨٦

« السخرية والهجاء » لأن فيه موازنة بين الشعر والقرآن وقد حسم الأمر منذ نزول القرآن بالتحدي وعجز العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر آيات مفتريات ، ومن أسلافنا من قبل ذلك مثل (الباقلاني) وأراه قد خالفه التوفيق ، وكان الأجدد بمؤلف أسلوب السخرية في القرآن أن يعفى نفسه من هذا الصنيع ومع ذلك فالفصل حوى مادة أدبية لها مذاقها الطيب . انى أدعو كل من يجب الثقافة بأجلى مظاهرها أن يقرأ هذا الكتاب ، فقد حوى كل أطراف الآداب .

السيد حسن قرون

فضيلة القصد فى الكلام

قال عليه الصلاة والسلام : رحم الله من قال خيرا ففهم أو سكت فسلم .

وقال لمعاذ : أنت سالم ما سكت ، فاذا تكلمت فعليك أو لك .

وقال على كرم الله وجهه : اللسان معيار أطاشه الجهل ، وارجه العقل .

وقال بعض الحكماء : الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ، ويؤمنك سوء المغبة ، ويلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك مؤونة الاعتذار .

شبهات حول السنة

للدكتور رء وف شلبى

الاسلامى من يجب التشديق والتفيق والجدل فى مصدرية السنة للتشريع الاسلامى مع أن الأدلة سندا وعملا واضحة الدلالة فى حتمية اتخاذ السنة كمصدر أساسى للتشريع الاسلامى ولكن صنفا من الناس يحبون الترف العقلى أو المماحكة أو التفلسف أورد عدة شبهات يمكن تركيزها فى ثلاث :

الشبهة الأولى حول تفسير قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (الأنعام ٣٨) •

ففى القرآن كفاية تامة للتشريع الشبهة الثانية : حول تفسير قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (الحجر ٩)

ففى الآية حصر يفيد أن القرآن وحده دون ما عدا هو المراد بالحفظ

ليس التشديق أو التفيق من سمات الجماعة الاسلامية ان العمل والشورى هما من خصائص هذه الأمة وقد نعى القرآن الكريم كثرة الكلام اذا صدر من الجماعة الاسلامية يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٢ : ٣) •
الصف

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :

• هلك المتنطعون

• هلك المتنطعون

• هلك المتنطعون

ويقول : انما أهلك من كان قبلكم كثرة السؤال •

ومع هذا فقد ظهر فى المحيط

(٣٨ الأنعام :) ومركز الشبهة
انهم فهموا : ان المراد من الكتاب
هنا القرآن الكريم وأنه احتوى
على كل شيء بحيث لا تحتاج الأمة
من بعده الى مصدر آخر فاذا
احتاجت .. كان مفهوم هذا
الاحتياج ان فى القرآن تفریطا وهو
محال لأن الوحي صادق فى أن
القرآن لا تفریط فيه •

الرد عليها

١ - مركز الشبهة فيه تحكم أو
مغالطة لأن مجموع الآيات التى
تسبق وتلحق هذه الآية تفيد أن
المراد من الكتاب هنا اللوح المحفوظ
الذى اشتمل على العمر والرزق
والسعادة والشقاوة لكل
المخلوقات •

قال ابن كثير فى تفسيرها : أى
الجميع علمهم عند الله ولا ينسى
واحدا من جميعها من رزقه وتذبيره
سواء كان برياً أو بحرياً كقوله
تعالى : وما من دابة فى الأرض الا
على الله رزقها ويعلم مستقرها
ومستودعها كل فى كتاب مبين «
أى تفصح بأسمائها واعدادها

فلو كانت السنة مصدرا للتشريع
لتكفل الله بحفظها مثل القرآن •

الشبهة الثالثة :

ان النبى صلى الله عليه وسلم
نهى عن كتابة السنة فى عهده
فقال : « لا تكتبوا عنى غير القرآن،
ومن كتب عنى غير القرآن
فليمحه » •

فلو كانت السنة مصدرا لأمر
بكتابتها مثل ما أمر بكتابة القرآن
الكريم •

توضيح وتفسير

وبالجملة فان :

هذه الشبهات هى : مغالطات
من جانب •

وهى تحكم فى تفسير آيات
القرآن الكريم من جانب ثان •

وهى خلط وعدم تمييز للمواقف
غير المتحدة من جانب ثالث •

وللرد عليها نبدأ بها واحدة
واحدة •

الشبهة الاولى

تتعلق بتفسير قوله تعالى :
« ما فرطنا فى الكتاب من شيء »

ومضائها وحاصر لحركاتها وسكناتها
(ابن كثير ٢ : ١٣١) •

قال الخازن : يعنى فى اللوح
المحفوظ لأنه يشمل جميع أحوال
المخلوقات (خازن ٢ / ١٣٢) •

وصدر الآية يمهد لمثل هذا رأى
من التفسير بقول الله تعالى : « وما
من دابة فى الأرض ولا طائر يطير
بجناحه الا أمم أمثالكم ما
فرطنا فى الكتاب من شئ » •

وعجزها يؤكد هذا المعنى : « ثم
الى ربهم يحشرون » •

فالحديث فى الآية يدور حول
شمول العلم الالهى والتدبير الالهى
لكل أمم المخلوقات من الطير
والدواب جميعا والبشر مثلهم •

والذى اشتمل على كل هذا
انما هو اللوح المحفوظ فقط أما
القرآن فهو مشتمل على نظم حياة
الانسان فقط ولهذه الآية نظائر :
يقول الله تعالى :

« والله خلقكم من تراب ثم من
نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل
من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر

من معمر ولا ينقص من عمره الا
فى كتاب أن ذلك على الله يسير »
(فاطر : ١١) •

« وما تسقط من ورقة الا يعلمها
ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب
ولا يابس الا فى كتاب مبين »
(الأنعام : ٥٩) •

قال ابن كثير فى تفسيرها :
كل ذلك فى كتاب عنده •

٢ - نسلم أن المراد من الكتاب
هو القرآن الكريم ويكون حاويا
لكل شئ غير أن كل شئ فيه على
صفة الكلية محتاج الى قوله تعالى :
« وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين
لهم » (النحل : ٦٤) •

والذى يحملنا على هذا
التخصيص أمران :

الأول : ان القرآن يصدق بعضه
بعضا كما أرشد الى ذلك النبى
صلى الله عليه وسلم : « انما نزل
يصدق بعضه بعضا » •

الثانى : ان كثيرا من الامور
الجزئية المرتبطة بالأحكام الشرعية
غير موجودة فى القرآن وانما

وانما تعرض لتوضيح كل ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم عن
طريق تعاليم الوحي الأمين •

٣ - على أننا نقول ان هذه الآية
جزء من سورة الأنعام وهى سورة
مكية نزلت بجملة على كبرها
وطولها تناقش ادلة التوحيد
وتدحض ترهات المخاصمين للحق،
فالآية : « ما فرطنا فى الكتاب من
شئ » فى معرض الرد على طالبي
المعجزات حتى يؤمنوا بعد مناقشات
فى أول السورة :

« وما تأتئهم من آية من آيات
ربهم الا كانوا عنها معرضين »
(الأنعام : ٤) •

« ولو نزلنا عليك كتابا فى
قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين »
(الأنعام : ٧) •

فالآية هنا فى معرض توضيح أن
الأدلة على الألوهية والوحدانية
وصدق رسالة النبي محمد صلى
الله عليه وسلم مبثوثة فى آى القرآن
الكريم وأن الوحي لم يفرط فى

وضاحتها السنة مستندة الى الأصل
العام الذى لم يفرط القرآن فيه
ولا منه شيئا •

يدل على هذا : ان الصلاة
واجبة لقوله تعالى :

« أقيموا الصلاة » •

ولكن : كم عددها فى اليوم ؟
وكم عدد ركعات الفرض
الواحد ؟

وما الذى يقرأ فيها من القرآن ؟
وما هى الصلاة التى يجهر فيها
والتي يسر فيها ؟

ثم كيف يجمع الناس ؟
ومتى تؤدى الفرائض ؟

لم تتعرض آيات القرآن الكريم
لشئ من هذا مع أنه موصوف :
« ما فرطنا فى الكتاب من شئ »
يعنى من المسائل الكلية العامة التى
تحتاج الى تبين من النبي صلى الله
عليه وسلم كما تنص على ذلك
الآيات الموضحة لوظيفة النبي صلى
الله عليه وسلم فى وكالته عن الله
فى تبين ما أنزله الله الى الناس من
القرآن الكريم •

اثبات هذه الأدلة بكل أنواع الاستدلال : .

الاحتمالات العقلية أن يكون المراد من الذكر القرآن وحده لأمرين :

العقلی

والتاریخی

والوجدانی

الأول : انه لو كان المراد من الذكر القرآن فقط لصرح الله به كما صرح به في كثير من الموضوعات التي تحتاج صراحة الى النص على اسم القرآن مثل :

وعلى هذا فالمعتضون بالآية على عدم حجية السنة ليس لهم سند ولا دليل ، وبقيت السنة مبجلة محتمة كمصدر أساسي من مصادر التشريع الاسلامی .

« ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » (الاسراء : ٩) .

« وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » (الاسراء : ١٠٦) .

الشبهة الثانية

تتعلق هذه الشبهة بتفسير قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر (القمر : ٧)

« بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » (البروج : ٢١ ، ٢٢) .
« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (الزخرف : ٣١) .

ومركز الشبهة : ان الحصر في هذه الآية يفيد أن القرآن وحده كاف في مصدر التشريع لأنه وحده الذي وعد الله بحفظه ، ولو كانت السنة كذلك لوعد الله بحفظها وذلك بناء على تفسيرهم الذكر بالقرآن .

« انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه » (النمل : ٩١ ، ٩٣) .

الرد عليها

١ - ونحن نقول ليس بلازم في

المعتدين على النبوة بأوصاف مفتراة
مبعثها الحقد والحسد :

لقد قالوا له : انك لمجنون •
لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت
من الصادقين وطلبوا منه معجزات
... الحجر •

فرد الله عليهم ووعد بحفظ
الرسالة والشرف الذى اصطفى له
محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهو
تكريم للنبي صلى الله عليه وسلم
ووعد بحفظ رسالته وشرقه •

أما أن القرآن الذى أنزل على
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
أكسبه شرفا فهذا بالنص القرآنى
فيقول الله تعالى : « وانه لذكر لك
ولقومك وسوف تسألون »
(الزخرف : ٤٤) •

فهو شرف للنبي صلى الله عليه
وسلم •
وهو شرف لأمة محمد صلى الله
عليه وسلم •

يدل عليه أن الضمير فى قوله :
« وانه لذكر لك » عائد على القرآن
المصرح به قبل ذلك فى قوله تعالى :

فقد صرح فى هذه الموضوعات
كلها باسم القرآن •

٢ - لو كان المراد من الذكر
القرآن وحده لعبر عنه بالضمير
(انا نحن نزلناه) •

اذ افتتاح السورة فيه نص وذكر
للقرآن « ألر تلك آيات الكتاب
وقرآن مبين » والتعبير بالضمير
فى نظر اللغة العربية أجود لأن
الضمير أعرف المعارف والعلم فى
المرتبة الثانية من الضمير وذلك
يكون متفقا مع ما للقرآن من المنزلة
الرفيعة وتعتمده الصناعة العربية •

واذن فليس من الحتم أن يكون
المراد من لفظ « الذكر » القرآن
ويبقى أن نرشد لتفسير لفظ
الذكر أحد معنيين •

الأول : أن يكون المراد من
الذكر : الرسالة والشرف الذى
استحقه سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم واتصف به بنزول القرآن
والنبوة عليه •

يقوى هذا الاحتمال الآيات
المتقدمة على آيتنا هذه حيث صورت
تلك الآيات مقالات الكافرين

والانبياء يكلفون الامم بالشرائع،
والشريعة كتاب الله وسنة نبيه ،
والذى يستعرض حالات الامم
السالفة مع الانبياء يقف على
مناقشات ومكابرات ومحاجات مع
الرسل تدور كلها حول التكليف
التي يأمرهم بها النبي المرسل
اليهم وعلى هذا تكون الآية التي
معنا « انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون » قد نبهت على أمر
خطير : هو أنه اذا كان الأمر فى
الامم السالفة ينتهى الى الغناء
الشريعة بعد معارك عنيفة بين الرسل
والسما من جانب والكافرين من
جانب آخر ، فان هذه الشريعة
« قرآنا وسنة » قد وعد الله بحفظهما
الى يوم القيامة ولن ينال الكافرون
منها شيئا .

ويقوى هذا المعنى قول الرسول
صلى الله عليه وسلم : « لا تزال
طائفة من أمتي ظاهرين على هذا
الأمر الى قيام الساعة » وعليه
فيكون المراد من الذكر : الشريعة :
قرآنا وسنة .

لكن بقى أن يقال كيف يعود

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريرتين عظيم »
(الزخرف : ٣١) .

أو المصرح به وضعنا :
« فاستمسك بالذى أوحى اليك
انك على صراط مستقيم »
(الزخرف : ٤٣) . « وانه لذكر
لك ولقومك وسوف تسألون »
(الزخرف : ٤٤) وبهذا يقوى
احتمال ان المراد من الذكر هنا
الشرف والرسالة .

الثانى : أن يكون المراد من
الذكر الشريعة مطلقا ويرشح لهذا
الاحتمال ما تناولته السورة بعد
ذلك من تصوير لموقف الأمم السابقة
من رسلهم .

« ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع
الأولين » (الحجر : ١٠) .

« وما يأتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزئون » (الحجر : ١١) .
« كذلك نسلكه فى قلوب
المجرمين » (الحجر : ١٢) .

« لا يؤمنون به وقد خلت سنة
الأولين » (الحجر : ١٣) .

والفحوى هيأت المعنى الذى يصح
أن يعود عليه الضمير مراداً منه
الشمس •

وآتيناً فى سورة الحجر عاد
الضمير فيها على السنة من هذا
القبيل ، واذن فلا مانع من أن يكون
معنى الذكر الشريعة مطلقاً : قرآنا
وسنة ، وتكون السنة داخلة فى
وعد الله سبحانه وتعالى بالحفظ
والصيانة •

٣ - يمكن أن يعود الضمير على
النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن
كثير : « ومنهم من أعاد الضمير
على النبي صلى الله عليه وسلم
كقوله « والله يعصمك من الناس ،
ويكون المعنى : فى مواجهة تحدى
الكافرين ان الله يشهد بأنه أنزل
القرآن على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وأنه سيحفظه من كيدهم
٥٤٧/٢ تفسير ابن كثير •

نعم هذا الاحتمال بعيد فى نظر
ابن كثير غير أنه احتمال يوهى شبه
المتعللين المتعسفين المانعين حجة
السنة لشبهة خيالية ليس عليها
دليل •

الضمير فى قوله تعالى (له) على
السنة مع أنها غير مذكورة فى
القرآن لا بالنص ولا بالصفة ؛ غير
أذ الجواب من نفس استعمالات
القرآن الكريم ، ففى آية الواقعة :
« انا أنشأناهم انشاء فجعلناهم
أبكاراً عرباً أتراباً » فتلك صفات
الحوار العين مع أنه لم يجر لهن ذكر
سابق على هذه الآيات فكيف عاد
الضمير فى (انشأناهم) على الحوار
العين ؛ انه السياق العام والفحوى
التي تعطى المعنى المجوز لعود
الضمير عليه •

وليست تلك الآية فقط فهناك
آية أخرى فى سورة ص يقول الله
تعالى :

« اذ عرض عليه بالعشى
الصافات الجياد » (ص : ٣١) •
« فقال انى أحببت حب الخير
عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب »
(ص ٣٢) •

فالضمير المستتر فى توارت
عائد على الشمس مع أنه لم يرد
لها ذكر فى السورة لا بالنص لا
بالوصف ، ولكن السياق العام

يقول أصحاب الشبهة بناء على ذلك :

إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن تدوين السنة وإذا كان أبو بكر منع الناس أن يحدثوا .. فمدلول هذا عدم الاحتجاج بالسنة ، والاكتفاء بما فى القرآن الكريم كمصدر منفرد للتشريع الاسلامى .

الرد عليها

أولاً : فى الحديث الذى رويتموه أيها المشتبّهون نقطتان الاولى : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة .

الثانية : التحديث عنه دون حرج .

ومفهوم هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بحفظ السنة بطريق واحد وهو طريق الحفظ فى الصدور والتحديث والرواية عنه دون الكتابة والتدوين فى القرطاس . أما بالنسبة للقرآن الكريم فقد أمر عليه الصلاة والسلام بحفظه بالطريقين معا :

على أن حفظ محمد صلى الله عليه وسلم حفظ لذاته ورسالته ودينه وسنته ، فىكون الحفظ شاملاً للسنة كذلك وأذن فلا منفذ من الاستسلام لحجية السنة كمصدر فى التشريع الاسلامى .

الشبهة الثالثة

تتعلق هذه الشبهة بالتحامل والتعصب فى فهم حديث شريف : « لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحاه وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ويدعون أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه جمع الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« انكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله » .

القرآن وحده يدل على هذا
ما يرويه أبو هريرة رضى الله
عنه :

ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأيهم يكتبون الأحاديث
فقال : ما هذا الذى تكتبون ؟
قلنا أحاديث سمعناها منك ..
فقال : أكتبنا غير كتاب الله تريدونه ؟
ما أضل الأمم من قبلكم الا ما كتبوه
من الكتب مع كتاب الله ، فقال
أبو هريرة رضى الله عنه : اتحدث
عنك يا رسول الله ؟ قال : نعم
حدثوا عنى ولا حرج ، فمن كذب
على متعمدا فليتبوأ مقعده من
النار » •

كذلك روى عن عبد الله بن
مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم :

« جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه
شيئا الا كلام الله ففى الحديث علة
نهى الرسول صلى الله عليه وسلم
عن تدوين السنة رسميا بأمر الدولة
فى ظل النبوه وهى نفس العلة التى
جعلت عمر بن الخطاب رضى الله
عنه - وهو أمير دولة الاسلام

١ - طريق الحفظ فى
الصدور •

٢ - طريق الكتابة والتدوين فى
القرطاس •

وعلى ذلك فلا سند للمشتبهين
بالحديث فان عدم كتابة السنة
- فى عهد النبى صلى الله عليه
وسلم - لا ينفى حجيتها غاية ما فى
الأمر أن الحفظ له طريقان ،
ودرجتان :

الطريقان هما : التدوين بالكتابة
والحفظ والرواية •

والدرجتان هما : درجة أولى
وتتحقق بالجمع بين الطريقتين •

ودرجة ثانية وتتحقق بأحدهما
فالقرآن الكريم له درجة عليا
أولى تتحقق بالجمع بين التدوين ،
والرواية •

والسنة لها درجة عليا ثانية تتحقق
بالرواية فقط •

وعلة ذلك وحكمته أن النبى صلى
الله عليه وسلم حرص على أن تبقى
ذاتية القرآن الكريم بعيدة عن أدنى
شبهة فأفرد العصر النبوى لتدوين

بالطريق الرسمي الذي تتوجه إليه الدولة كلها لرعاية كتاب الله .

ثالثا : أما ما يرويه أبو مليكة عن سيدنا أبي بكر فنحن لا ننازع فيه غير أنه لا يقوم دليلا على عدم الاحتجاج بالسنة كمصدر من مصادر التشريع كل ما هنالك أنه يحافظ على السنة من الدخل لكثرة الألسن والقوميات التي دخلت في الاسلام فحرص سيدنا أبو بكر على أن تسلم السنة من التحريف فمنع العامة لا الخاصة عن التحديث حتى لا يحدث اضطراب في ألفاظ الحديث الشريف يدل على هذا أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه أفقذ ميراث الجدة بناء على الحديث الشريف الذي رواه المغيرة : وشهد معه محمد بن مسلمة ، فلم يعد بعد ذلك للمشتبهين من تشدق .

رابعا : على أن الحديث الذي نهى عن تدوين السنة لم يكن النهى فيه على الإطلاق بل هو خاص بأن يكون التدوين عاما شائعا لكل فرد من الأمة بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن بكتابة بعض الأحاديث .

وأشهر الناس بموافقة الوحي له — يتردد في تدوين السنة بعد أن استخار الله شهرا ثم يصبح وقد عزم الله له ولكنه يقول :

انى كنت أردت أن أكتب السنة وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا أشوب كتاب الله بشيء » .

ثانيا : على أن عدم الأمر بالكتابة لا ينفي كون السنة مصدرا من مصادر التشريع الاسلامى اذ مصدريتها غير مرتبطة بالتدوين وعدمه بل هى مرتبطة بالحفظ وحفظ السنة مقرر من النبي صلى الله عليه وسلم بدرجته وطريقه : « حدثوا عنى ولا حرج » فلم يعد لكم أيها المشتبهون علة تتعللون بها غير انكم يلزمكم معرفة الفرق بين درجتى حفظ القرآن والسنة وطريقى هذا الحفظ ، وأن هدف النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلم الوقت الذى نزل فيه القرآن الكريم من كل تدوين الا كتابة القرآن الكريم افرادا للعصر ألا يسع سواه

فجاء رجل من أهل اليمن فقال :
اكتب لى هذا يا رسول الله فقال :
اكتبوا لأبى شاه •

بل ان النبى صلى الله عليه وسلم
ليأمر بكتابة العلم ، والسنة هي
العلم بعد القرآن الكريم يقول صلى
الله عليه وسلم « قِيدُوا العلم
بالكتابة » ويعلق الخطيب البغدادي
على هذا فيقول :

وفى وصف الرسول صلى الله
عليه وسلم الكتاب بأنه قيد للعلم
دليل على اباحة رسمه فى الكتب
لمن خشى على نفسه دخول الوهم
فى حفظه •

فدل ذلك على أن الاذن بالكتابة
كان موجودا لطائفة خاصة وأن
الأمر بالنهى عن التدوين كان للعامة
يؤيد ذلك :

١ - ما يرويه أبو هريرة رضى
الله عنه : ما كان أحد أعلم بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم منى
الا عبد الله بن عمرو ، فانه كان
يكتب ولا أكتب •

٢ - وقد اعترض بعض الصحابة
على تدوين عبد الله بن عمرو

ويجب أن تفهم أن هناك فارقا
كبيرا بين أمر واذن ، وهو أن
الأمر تبعث عليه علة اذا أمنت هذه
العلة كان الاذن •

فأمر النبى صلى الله عليه وسلم
بعدم كتابة السنة كان لعلة هي ألا
يختلط الحديث بالقرآن ، أو أن
يفهم الناس اتحاد الرتبة فى الزمن
والطريق •

فلما وضح للناس هذا ولم تعد
هنا خشية من هذا الاختلاط اذن
النبى صلى الله عليه وسلم لأبى
شاة أن يكتب له حديث خطبة
الوداع •

ان الله جب عن مكة الفيل
وسلط عليهم رسول الله والمؤمنين،
وأنها لم تحل لأحد قبلى ، ولم
تحل لأحد بعدى ألا وانها أحلت
لى ساعة من نهار ، وانها ساعى
هذه حرام لا يختلى شوكتها ولا
يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها
الا لمنشد فمن قتل له قتيل فهو
بخير النظيرين : اما أن يقتل ،
وما أن يقاد أهل القتل •

حفظه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : استعن على حفظك يمينك وبذلك تسقط كل شبه المشتبهين وتبقى السنة الاسلامية مصدرا أساسيا من مصادر التشريع الاسلامي .

لها وظيفتها .

ولها منزلتها .

يؤكد المجال التطبيقي في العبادة والمال والأسرة والحاجات اليومية رغم أنف الجاحدين .

د. رءوف شلبي

للسنة فقالوا له : انك تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يغضب فيقول ما لا يتخذ شرعا عاما ؟ فرجع ابن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : اكتب عنى فوالذى تقسى بيده ما يخرج من فمى الا حق .

٣ - ويروى أبو هريرة رضى الله عنه : أن رجلا كان يشهد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحفظ فيسألنى فأحدثه فشكى قلة

من هدى النبوة

المجتمع الفاضل كما يصوره النبي

صلى الله عليه وسلم

بقلم الأستاذ عبد الحميد الفضالي

.. « وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى » ، « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » ، « وأنزل عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » ، ويقول الله بعد ذلك ، مخاطبا أمة محمد : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .. وفي الختام يقول سيدنا رسول الله : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنتي » ..

ومما روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من هذا التراث الصحيح ، مارواه الصحابي الجليل ، « عبادة بن الصامت »

ان تراثنا الاسلامي الصحيح - الملىء بما يصلح شأننا ، ويقوم اعوجاجنا ، وينير طريقنا ، ويبصرنا بما فيه خيرنا ، في ديننا ودنيانا وآخرتنا .. ويدلنا على ما ينبغي أن نسلكه في علاج أمورنا ، وتطهير قلوبنا ومجتمعاتنا .. سواء عندنا في مصر ، أو في غير مصر ، من البلاد العربية الشقيقة ، والاسلامية الموحدة بالله ...

فهو علاج لم يجيء به بشر يخطئ ويصيب .. ولكن جاء به رسول معصوم من الخطأ ، بعثه الله رحمة للعالمين .. بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بأذنه ، وسراجا منيرا .. هو محمد بن عبد الله ، الذي أرسله الله بالاسلام ، لبناء دولة الاسلام والمسلمين ، على البر والتقوى ، لا على الاثم والعدوان

رضى الله عنه - فقد روى أن رسول الله قال :

« بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ، فعوقب به في الدنيا ، فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ، ثم ستره الله عز وجل ، فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه .. » صدق رسول الله ..

ولقد وقتت حيال هذا الحديث الشريف بعض الوقت .. أتدبر معانيه ، وأتفهم دلالاته .. حتى وجدتني أمام حديث شريف ، بعيد الغور ، عميق المعنى ، غزير الفكرة ، عظيم الدلالة .. وهو يأتي البيوت من أبوابها ، وينفذ إلى الإصلاح والفلاح والعلاج ، من أيسر الطرق ، وأنجع الادوية ، وأخفها تعاطيا .. ذلك ، لأنه نبع الفطرة السوية

النبوية الربانية .. وهو من أجل ذلك كله أكبر من أن يفنى بما يحتويه مقال ، أو يستوعبه حديث .. فأثرت ، فرارا بنفسى ، واعترافا بعجزى .. أن أحاول بقدر المستطاع أن ألم بمضمونه المامة خفيفة ، ليتاح نشرها ، ويذاع من أفكاره ومبادئه ما قد ينفع الناس .. فتصفو نفوس .. وتعمر قلوب .. فيصلح الله من أحوالنا ، فانه سبحانه شاء أن لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .. بيد أنه سبحانه لا يظلم الناس شيئاً ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .. وقد وعد ، وهو لا يخلف وعده : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنجينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ..

هذا ، وإن المعرفة الاجمالية براوى الحديث - لتدل على أنه من الأخيار المختارين الذين ارتضاهم رسول الله ..

فعبادة بن الصامت - رضى الله

وقد اتقاه سيدنا عمر في خلافته ،
ليكون معلما بالشام ، وقاضيا
بفلسطين .. ومات بها قتيلا ، في
خلافة معاوية .. ودفن بيت
المقدس ...

وكذلك كان سائر النقباء ،
أقوياء ، صالحين مصلحين ،
فأصلحوا ، وأحسنوا وتعاونوا ،
وأقاموا دولة على البر والتقوى ،
لا على الاثم والعدوان .. فهيأوا
مجتمعاتهم لبغض المنكر ومطاردته ،
ومحبة المعروف ومتابعته ، والالتزام
بما أنزل الله من كتاب وحكمة ،
فرضى الله عنهم ورضوا عنه ،
أولئك حزب الله ، ألا ان حزب الله
هم المفلحون ..

ومن هنا ، لعل من الخير
للقيادات الرشيدة ، في كل بلد
عربي ، أو إسلامي ، عملا بسنة
نبيها ، وهدى رسولها - أن تعمل
جادة صادقة ، على اعداد الشباب
المؤمن الصادق المتفتح الذي يخشى
الله ، ويفهم الحياة ، ويعمل فيها كما
أرادها واهب الحياة ..

عنه - راوى الحديث ، هو أحد
النقباء الاثنى عشر ، الذين التقى
بهم الرسول - صلى الله عليه
وسلم - في بيعة العقبة ، بمنى ..
وهو من قبيلة الخزرج التي أزال
الرسول ما بينها وبين قبيلة الأوس
.. ووجد بينهما ، وألف بين
قلوبهما ، بمشيئة الله القائل :
« ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله
ألف بينهم .. » ، وسماها الأنصار ،
الذين نصروا الله ورسوله ، وأحبوا
أخوانهم المهاجرين ، وآثروهم على
أنفسهم .. فهم الذين قال الله
فيهم : « والذين تبوأوا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
اليهم ، ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم
المفلحون » ..

وكان عبادة بن الصامت شابا في
الثلاثين من عمره ، حين كان تقيبا
مختارا .. وكان رضى الله عنه ،
ممن آتاهم الله بسطة في العلم ،
والعقل ، والجسم ، والوجاهة ،
ومحبة الخير ، وقوة الايمان ..

.. فنحن نعيش في جاهلية ، دونها
ما كان في الجاهلية الأولى .. !!!

*** فالإشراك بالله .. موجود
بيننا على أوسع نطاق .. وعلى
صور مختلفة وألوان متعددة ..
حتى عند من ينتسبون الى الاسلام،
عن جهل وحماسة .. وبخاصة فيما
يسمى بالشرك الخفى ، الذى قد
يفسد عليهم عقيدتهم وعبادتهم ،
بمخالفتهم الصريحة لنصوص القرآن
وما صح من السنة .. وسأشير
اليهما بمشيئة الله ، اشارة خفيفة ،
في بيان أول نص من نصوص
المعاهدة .. وهو : « أن لا تشركوا
بالله شيئا » ..

*** والسرقة - وهى النص
الثانى ، فى المنكرات - موجودة ،
وقد استفحل أمرها ، عما كانت أيام
أن نهى رسول الله عنها .. فما
أكثر الافتتان فى ارتكابها ، وتنوع
وسائلها .. وقد اتسعت دائرتها ..
فهى منتشرة فى المصالح والمؤسسات
العامة ، والمصانع .. وما أكثر
الحرائق التى ترتكب أيام الجرد ..
لاخفاء معالم السرقة .. ! ومما
يزيد من الأسف انتشارها بين

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه
.. ولا عرض الدنيا عن الدين
شاغله .. ليتخذوا من هذا الشباب
أعوانا وأنصارا وأجنادا .. مبايعين
لهم على الالتزام بما ألزمهم به
دينهم ، والابتعاد عما نهاهم عنه ..
وقمة الأمر فى ذلك ، ماجاء فى
مبايعته صلى الله عليه وسلم ..
فالشباب أقدر على العمل فى سهولة
ويسر .. ونحن فى سباق مع الزمن
.. وأعداؤنا يتربصون بنا ..
والتاريخ يعيد نفسه .. والفساد
يتكرر ، مادام على الأرض كفر
وايمان ، ومادام فيها حق وباطل ،
ومادام فيها صراع قائم ، ولا بد
للحق أن ينتصر ، اذا ما تولاه
المؤمنون به ، والعاملون له ، مابقيت
على الأرض حياة ...

ان كل ما أنكره رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، فى حديثه
الشريف ، فى الايام الأولى لرسالته ،
وبايع على انكاره وازالته .. موجود
بيننا ، وقائم فى أيماننا ، وعلى صورة
أفظع وأشد ، مما كان عليه من قبل

على أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من أصبح آمنا في سربه ، معافى في بدنه عنده قوت يومه ، فقد حيزت له الدنيا بحذاقيرها * »
ويقول :

« ما من نفس تخرج من الدنيا حتى تستوفى رزقها ، وأجلها * . فأتقوا الله ولا تكدوا في الطلب » — وفي رواية : « وأجملوا في الطلب » * . ويؤيده حديث آخر : « اطلبوا الحاجات بعزة الأتفس ، فإن الله قاضياها » * . فهل ما يفعله هؤلاء المقصرون في أداء واجباتهم ، ثم يتحايلون على استغلال المعوزين * . يتفق مع عزة النفس وسمو الرسالة؟! »

وماذا نسمى المحامي الذي يستغل موكله ، لاطالة مدة التقاضي ، ليحصل من وراء ذلك على مضاعفات الاتعاب * . ويستبيح لنفسه أن يأخذ أموالا بغير حق * ؟!

وماذا نسميه اذا ما نجح في احتياله على القاضى ، بتلقين شهود الزور ، وتحفيظهم الاجابة عن كل

العاملين في المؤسسات التعليمية ، والقضائية * .!! وماذا نسمى المعلم الذى لا يخلص فى أداء واجبه ، ولا يتقى الله فيه ، ويضيع على تلاميذه وقتهم ، دون أن يفيدهم؟! ثم يضطرهم بوسائله المنكرة التى يجيدها الى أن يأخذوا منه دروسا خاصة * .! الله أعلم ، كم تكلف الكثيرين من الآباء ما لا طاقة لهم به ، ولا قدرة لهم عليه ، وما هم فى أشد الحاجة اليه ، فى طعامهم ، وفى ضروريات حياتهم * .»

ثم كيف يستحل هذا المعلم راتبه الذى يتقاضاه من الدولة فى أول كل شهر ، وهو لا يقوم بشيء من الواجب فى مقابله ، مع أنه قد ارتضاه يوم قبل العمل رسولا من رسل التربية والتعليم؟! »

وانه ليس الغنى عن كثرة العرض ، وانما الغنى غنى النفس * . ورحم الله من قال :

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تنزع
ومن قال :

ما كل ما فوق البسيطة كافيا
واذا قنعت ، فبعض شيء كاف

على أنه في الجاهلية الأولى ،
يكاد يكون وقفا على « صاحبات
الرايات الحمر » .. وصواحباتها
من الاماء ، لا من الحرائر من
النساء !

ولذا كان من أمثال العرب :
« تموت الحرة ولا تأكل بثدييها » .
وهذا أحد الشعراء العرب
الأحرار ، يقول :

أصون عرضي بمالي ، لا أدنسه
لأبارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال ان أودى فأكسبه
ولست للعرض ان أودى بمحتال
ان الزنا في عصرنا قد استفحل
أمره ، واشتد خطره ..

وان مما يساعد على استفحاله
واتشاره - ما ذاع وشاع ، وملا
الابصار والأسماع ، من ألوان
الخلاعة والمجون والاستهتار ،
والعري الفاضح ، والافتنان في
إبراز المفاتن ، من نساء كاسيات
عاريات ، امتلأت بالكثير منهن
الشوارع ، والمصانع ، والمصالح ،
ومعاهد العلم .. رءوسهن كأسنمة
البخت ، لا يشمن رائحة الجنة ..
فهن حبايل الشيطان !!!

سؤال توجهه اليهم المحكمة .. ؟!
أو بالمساعدة على تلفيق ما يقدم من
المستندات الصورية ، بالمبالغة في
إخفاء معالمها ، والتغطية على من يريد
كشفها ، بشراء ذمته .. لينتزع من
القاضي حكمه لصالح موكله ؟! مع
أن المفروض أن يكون المحامي
نصير القاضي في إظهار الحق ،
والانتصار له .. لا عوناً على نصره
الباطل .. لتحقيق مطامع ذاتية ،
واستلاب أموال الناس بغير حق ؟!
أفليست هذه الأمثلة .. وغيرها
كثير .. من ضروب انسقات ؟!
وكم سمعنا وقرأنا في الصحف ،
عن مستندات في المحاكم قد سرقت
.. أو قد ضاعت .. أو قد أحرقت
مع غيرها من المستندات ، لإخفاء
معالم الجريمة .. ولو استدعى ذلك
أحراق أكثر من حجرة من حجرات
المحكمة ، أو المحكمة كلها !!!

** والزنا - وهو المنكر
الثالث في المبايعه - قائم في بلادنا
على قدم وساق .. وفي معظم
البلاد الاسلامية !

على أن قتل الأولاد في الجاهلية ،
كان خشية الفقر أو العار ، وله
دوافع أخرى .. وحديثه قد يطول
.. وقد أعود اليه في فرصة أخرى
بمشيئة الله ..

وقاتل الله الظالمين .. في هذا
المجال .. وان حكام المسلمين
شركاء في هذا الاثم ، لأنهم لم
يقوموا بواجباتهم التي أوجبها الله
عليهم في رعاية الصغار ومعونة
الكبار .. فلقد وصلنا الى ما لاتحمد
عقباه .. وفيما من يتجر بعرضه
الكثيرون من أرباب الغنى الفاحش
.. ومن يبيع بناته وغلمايه لتجار
الفاحشة وعشاقها .. وفيما
.. من أمثال « قارون » .. الذين
تقدر أموالهم بالآلاف الآلاف ، وآلاف
آلاف الآلاف من الجنيهاً .. ومن
المؤسف والمخجل أن أصحاب هذه
الأموال ، يستخدمونها في سبيل
الشیطان .. وينفقون الكثير منها في
الخمر والشهوات والملذات ،
واتيان الفاحشة مع النساء
والغلمان .. !

وما خبر شراء الفنادق العائمة ،
بملايين الجنيهاً يبيعد .. !

*** و قتل الأولاد - وهو
النص الرابع في المنكرات - موجود
عندنا ، وعند غيرنا .. باهمال تربية
الأولاد تربية اسلامية ، وعدم
اعدادهم لحياة فاضلة ...

كما أن القتل بمعنى ازهاق روح
انسان ظلما بغير نفس - موجود في
كثير من البلاد العربية والاسلامية .
وعندنا في مصر ، يقتلون البريء
بذنب المسيء .. فيما يسمى بقتل
الثأر .. فهم لا يقتلون القاتل
الحقيقي ، وانما يقتلون أكبر
شخصية في الأسرة من أقربائه ،
لتكون الفجيعة أشد ، وقد يكون
هذا المقتول ظلما من أصلح عباد الله ،
وأشدهم بغضا للقاتل من أسرته
وبراءة منه .. ! لكنه الظلم ..
وضعف الايمان .. والجهل بالاسلام
.. وعدم التربية الدينية من الصغر
.. وسمعت أنه في إحدى الدول
العربية ذات الشأن .. تختطف
البكر ، أو الغلام .. وبعد ارتكاب
الفاحشة يقتلون الضحية حتى لاتدل
عليهم وهم من شباب الأسرة المالكة
.. ولاخفاء معالم الجريمة قد
يعمدون الى دفنها بوسائلهم
الخاصة ..

قوله : « فتلک بیوتهم خاویة بما ظلموا » .. !!

*** والبهتان ، الذی هو اختلاق الکذب الفاضح للاطهار الأبرار - وهو المنکر الرابع فی المبايعة - موجود فی بلادنا الاسلامیة والعریة .. وبخاصة فی معظم دول البترول وفیمن یسمون أنفسهم بالرافضین ، أو دول الرفض ، الذین یرفضون الحلول العملية للقضية الفلسطينية .. فمعظم ما یداع عندهم ، أو ینشر فی صحفهم کذب وبهتان .. ولیس هذا من الاسلام فی شیء ، لأن الاسلام أمانة وطهارة ، وصدق وكرامة ، وبعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن .. وقاتل الله الشیوعیین ، وعملاءهم وأعوانهم الذین یسعون أنفسهم للشیطان الرحیم ، ویعیشون فی الأرض فسادا ، بما یحصلون علیه من الأموال .. وما ینتهکون من الأعراض .. وما یسلأون به بطونهم من ألوان الطعام وألوان الشراب .. وما یسفکون من دماء الأبریاء .. ان هم الا کالأنعام بل هم أضل سبیلا .. ورحم الله من قال :

والمشتری للأسف الشدید .. عربی مسلم ، من أثریاء دول البترول ، الذین یکفرون بما أنعم الله به علیهم ، من ثراء فاحش ، بعد فقر مدقع ، کانوا فیہ لا یجدون ما یقتاتون به الا بشق الأنفس .. !! وهكذا یصدق علیهم قول الله : « ان الانسان لیطغی أن رآه استغنی .. »

یضاف الی ذلك قصورهم الفاخرة ، المظلة علی شواطئ بحیرات وبحار ، فی دول لا تعرف معانی الشرف والفضیلة ولا تخشى الله .. وانما تعرف المال وتعبدہ من دون الله .. وان هؤلاء العرب الکافرین بأنعم الله - یودعون الکثیر من أموالهم فی بنوک اليهود .. وانها لتستخدم فی محاربة الاسلام والمسلمین .. فیاسبحان الله الذی یمهل ولا یمهل .. انه سبحانه لیملئ للظالم حتی اذا أخذہ لم یفلته .. وصدق الله العظیم : « سنستدرجهم من حیث لا یعلمون ، وأملی لهم ان کیدی متین » ..

وکم دالت أمم ظالمة من قبلهم .. سجل القرآن الکریم نهايتها فی

فبايعوه عليها هم ومن وراءهم —
مبايعة الصادقين في إيمانهم ، الأوفياء
بالتزاماتهم ، المتخلصين من منكراتهم
•• فكانت حياتهم أمنا وأمانا ،
وعزة وسلاما •• وصلح لهم أمر
الدين والدنيا والآخرة ••

ولمثل هذا ، فليعمل العاملون ،
من قادة المسلمين في جميع البلاد
العربية والإسلامية ، إذا كانوا بحق
يؤمنون بالله واليوم الآخر ،
ويريدون الخير لأنفسهم وأوطانهم
وأمتهم ، وصلاح أمرهم في دينهم
ودنياهم وآخرتهم ، ويحبون أن
يحسن الله عاقبتهم في الأمور كلها ،
وأن يجيرهم من خزي الدنيا وعذاب
الآخرة •• وأن يرد إليهم كرامتهم
المسلوبة وعزتهم المنهوبة وقوتهم
المفقودة وأن يعتبروا بما حل بأمتهم
من هوان ، بعد ما كان لها من منعة
وسلطان •• وحققهم أن يعتبروا بما
هم فيه الآن •• وما كان من قبل ••
وكان •• وكان •• »

يقضى على المرء في أيام محتته
حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن
ومع هذا ، فقد كان البهتان في
الجاهلية ، يكاد يكون وقفا على قلة
من الشعراء الذين كانوا يستأجرون
للهجو ، كما يتكسبون بالمديح •••
وكان منهم في عصور لاحقة — من
يشل في هجوه المقذع دور التخويف
والارهاب •• كهؤلاء الذين يعيشون
في عصرنا على تخويف الناس بالقتل
والاختطاف باسم الفدائية •• وهم
في حقيقة أمرهم قطاع طرق يستغلون
أصحاب الملايين ، من الجبناء ••
ويحيون على الفساد في الأرض ••
ويعيشون على الكسب الحرام ••
عيش البغاة المترفين من الملوك
والأمراء •• ولن ينفعهم ارهابهم
ولا أموالهم •• وسيعلم الذين
ظلموا أى منقلب ينقلبون ••
يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي
المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار •

فهذا شاعر يصور ما كان المسلمون
عليه •• وما صاروا إليه •• فيقول :
إذا نحن سرنا ، سارت الناس حولنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

وأخيرا •• أجد نفسى أمام
نصوص المبايعة التى بايع عليها
الرسول نقباءه المختارين لاقامة
المجتمع الاسلامى النظيف ••

فما العلاج ؟ اننا أمة مريضة
بأمراض كثيرة ذكر الحديث الشريف
أصولها الأصيلة ، فاذا صدقنا في
علاجها ، وتطهير المجتمعات الاسلام
من أدرانها وأوبائها - عادت الحياة
الينا بعد موت .. وتحركنا بعد
شلل ، وصحونا بعد نوم غبنا فيه
مئات السنين .. فهل نحن
فاعلون !!

ان الذين يملكون العلاج هم
القادة في كل أمة مسلمة .. وهم
الذين يقدررون على ازالة المنكر ..
وهم الذين يستطيعون أن يحملوا
الأمة على حفظها بالسيف .. ان لم
تستجب له طوعية واختيارا ..
ورحم الله من قال : « ان الله يزع
بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .. »

وما داموا يعلنون أنهم يجبون
كتاب الله وهدى رسوله ، وأنهما
جماع الخير كله ، فلماذا لا يسعد
الناس جميعا بهذا الخير الذي سعد
به أسلاف لنا من قبلنا ، كانوا
أشراقا الدنيا ، ومصاييح الظلام ،
ودرة في جبين الدهر .. وانه لن
يصلح حال هذه الأمة الا بما صلح
به أولها ..

فبيننا نسوس الناس ، والأمر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة تنتصفو .. !!
ورحم الله زمانا استنجد فيه ملك
الفرس بملك الصين ، على المسلمين
فكان جواب ملك الصين :

« أنا لا قبل لى بقوم ، لو أرادوا
خلع الجبال لخلعوها .. ! »

فهل يستطيع المسلمون جميعا
عربا وغير عرب - فى أيامنا هذه
وبوضعنا الذى نحن عليه - أن
يحرروا اخوانهم المسلمين فى روسيا
من سيطرة الروس عليهم ومن
احتلالها لأرضهم وممتلكاتهم .. ؟!
انهم للأسف الشديد أضعف من أن
يرفعوا حتى أصواتهم فى وجه
روسيا بكلمة الحق .. !!! وان دولا
اسلامية وعربية - لتسير الآن فى
ركب روسيا وتأتمر بأمرها ، وتعمل
على استرضائها ضد اخوان لهم قد
تحرروا من سيطرتها .. !! وسيعلم
الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ..
يوم لا ينفع الندم ولا يجدى
البكاء ..

أتبكى على سعدى وأنت تركتها
فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع ؟!

فهل نعمل جادين على إزالة هذه الموبقات ، التى بدأ رسول الله بمحاربتها ، وتنقية المجتمع من أوزارها ، وبإيع على ذلك الخيرة من أصحابه .. بادئا بغرس بذور العقيدة الصحيحة فى النفوس ، فهى البناء القوى السليم الخالد الذى لا يتزعزع بنيانه أبدا ، وهى نبض القلب وأنفاص الحياة ، وبدونها لا تكون حياة .. ولن يكون تطهير لمعوقات الحياة .. أو غرس نظيف لأشجار الحياة .. أو استمتاع طيب لثمرات هذه الحياة ..

أليس رسول الله قد بدأ معاهدته الشريفة فى حديثه الشريف بقوله : « عاهدونى على أن لا تشركوا بالله شيئا » ، لأنه صلى الله عليه وسلم يحرص أول ما يحرص على أن تكون عقيدة المسلمين عقيدة توحيد خالص لا يشوبه شرك ، بحيث يؤمنون بالله وحده لا شريك له ، خالصا ورازقا ، ومحيا ومميتا ، وعززا حكيما ، وسميعا بصيرا ، ومنتقما جبارا ، وحيا باقيا قيوما ، وعليما قديرا خيرا ، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء

يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، وهو يقضى بالحق ، كل الوجود ملكه ، وهو المتصرف فيه وحده ، « ليس لك من الأمر شيء » ، « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ، وأنه سبحانه المعبود بحق دون سواه ، « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » ، وهو وحده المقصود والمسئول والمستعان به ، « الله الصمد » « واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .. ثم يقول الرسول لابن عمه عبد الله بن العباس .. « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله .. » ويقول لابنته فاطمة : « أنا لا أغنى عنك من الله شيئا .. اعلمى .. » .. هذا ، وكل أنبياء الله ، دعوا الله

وقوله : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله .. »
وقوله : « وقل رب زدني علما »
ان كلمة « أن لا تشركوا بالله شيئا » تستوجب ما أشرت اليه آتفا .. كما تستوجب أن لا يكفر أحد بأنعم الله عليه .. ونعم الله كثيرة لا تعد ولا تحصى ، « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .. ولاشك أن من هذه النعم - كل عضو من أعضاء الانسان .. وكل حاسة من حواسه الخمس .. وأمواله ، وأولاده ، وعقله ، وعلمه وقلمه ، ولسانه ..

وان عدم الكفر بها أو الاشراك بالله فيها - يكون بشكرها ، باستخدام كل نعمة من هذه النعم فيما خلقت له ، وفق تعاليم الاسلام وتوجيهاته بشأنها .. أما استخدامها في مجالات الاثم والبغى والفسوق والعصيان ، ومخالفة أوامر الله بشأنها ، وهو ضرب من الكفر بالمنعم المتفضل بها على عباده .. وهو لاشك اجترأ على الله ، ونسيان له ، واشراك به ..

دعاء مباشرا ، بلا واسطة ، لأن الله سبحانه لا يحتاج الى واسطة ، لأنه أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين .. فأيوب عليه السلام يقول : « رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » .. « وزكريا اذ نادى ربه ، رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين » ..

والوسيلة في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » ، المراد بها العمل الصالح ، ولا شئ غير ذلك ..

وما خلق أحد من الأنبياء وغير الأنبياء الا لعبادة الله وطاعة الله وامثال أمر الله .. « يا موسى اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى » ..

ويحكى الله على لسان عيسى قوله : « قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » ..

وعلى لسان محمد قوله : « قال رب احكم بالحق ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون »

رضوان الله عليهم .. فطابت بهم
الحياة ، وطابت لهم الحياة ..
انها يوم تنغرس في قلوبنا بهذا
المفهوم الصافي .. فنؤمن بالله ظاهرا
وباطنا ، قولا وفعلًا وسلوكًا ،
سيكون هو اليوم الذي تستقيم
فيها أمورنا .. ولا تقف الجبال في
طريقنا .. ولا نرى مستحيلا في
سبيلنا .. ويومئذ نستعيد عزة بادت
وسيادة هلكت ، وتراثا انتهب ،
ومجدا ضاع .. ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء
وهو العزيز الرحيم .. وصدق الله
العظيم ! « ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين » ..

ويل للشيوعين ..

ان الأسوياء من عباد الله ،
بفطرهم السليمة ، يؤمنون بالله ،
ولا ينكرون وجوده ..

فالأعرابية البدوية ، وقد سئلت:
هل لهذا الكون من خالق ؟ تقول :
نعم .. ان البعرة تدل على البعير ،
وان السير ليندل على المسير ..
فسماء ذات أبراج .. وأرض ذات
فجاج .. أفلا تدلان على اللطيف
الخبير .. !!؟

وعدم الاشرار بالله شيئا ،
يقتضى كذلك أن لا نشرك معه في
العبادة أحدا .. « فلا تدعوا مع
الله أحدا » .. ان التوحيد الخالص
لله ، يقتضينا أن تكون عبادتنا له
خالصة .. حتى من الرياء والسمعة،
وابتغاء عرض من أعراض الدنيا ..
فذلك وأمثاله - ضرب من الاشرار
بالله شيئا ..

وان هذه المعاني كلها ..
وأضرابها .. في مفهوم التوحيد
الخالص - لتوحى بها أول عبارة
في حديث المبايعة : « بايعوني على
أن لا تشركوا بالله شيئا » ..

أرايتم كيف تكون العقيدة
الصحيحة !!؟

وأين مكانها بين صفوف
المسلمين .. وجماعاتهم التي لا تعد
ولا تحصى .. !!؟

نحن كثير .. ولكننا غشاء كغشاء
السيل .. !!! ببعدنا عن التوحيد
الخالص لله رب العالمين ..

فمتى تنغرس في قلوبنا عقيدتنا
الصحيحة الموحدة التي لا يشوبها
أدنى شرك .. كما كان عليه اسلافنا

الحكيم الذى يجزىء كل نفس
بما كسبت - لا يمكن أن يكون
له قلب يخشع ، أو نفس تصفو ،
أو هدف كريم نبيل ترقى اليه
مشاعره .. ومن كان كذلك ،
فالحيو ان خير منه ، لأن فيه على
الأقل نفعا للانسان ..

وفى الكلاب نفع وفيها وفاء
لأصحابها ! ولا وفاء عند شيوعى
لا يؤمن بالله .. !

يشهد بذلك سلوك الشيوعيين
فى كل أرض دنستها أقدامهم ..
فهم ينشرون فيها الغدر والخيانة ،
والخسة والنذالة ، وقتل المروءات ،
وسلب الحريات ، واذلال الأحرار ،
وسفك دماء الأبرياء الأطهار .. !

أما المؤمنون بالله حقا ، فهم الذين
إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا
تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ،
وعلى ربهم يتوكلون ..

هم الذين لا يغفلون أبدا عن
ذكر الله ، يذكرونه ولا ينسونه ،
فى جميع أحوالهم ، فى شدتهم
ورخائهم ، فى صحتهم ومرضهم ،
فى قوتهم وضعفهم ، فى غناهم

لكنها لا تعمى الأبصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور !!
لقد كفر بالله ، فى الماضى البعيد -
بعض العرب الجاهلين ، الذين
يحكى القرآن عنهم قولهم :

« وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم
بذلك من علم ، ان هم الا يخرصون »
وقولهم ، « ان هى الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا ، وما نحن بمبعوثين » !
ولقد كفر بالله فى عصرنا ، وفى
أيامنا - الشيوعيون المنحلون
الذين ألغوا عقولهم ، وأنكروا وجود
الله ، فهم لا يؤمنون به ، ولا يخشونه
.. وهم من أجل ذلك لا يحترمون
حقا ، ولا يقيمون عدلا ، ولا يوفون
بعهد .. لأن الحياة كما يقولون :
مادة ، ولا اله ..

فلم يزدوا على ما قاله بعض
الجاهلين من قبل .. بل كانوا
ألعن وأضل سبيلا .. !!

ومن كانوا كذلك ، فلا أمان
لهم ، ولا خير يرجى منهم ..

ان من لم يؤمن بالله الخالق
الرازق المنتقم الجبار ، مالك الملك
ذى الجلال والاکرام ، العادل

واعداد المعلم الصالح .. والمنهج الصالح ، للتربية الدينية .. واعطاء دراستها ما يليق بها ، من الاحترام والجدية والقداسة ، في ساحة الدرس .. وفي جميع المراحل التعليمية : من الكتاب أو المدرسة الأولية .. الى نهاية المرحلة الجامعية .. مع الحرص على أداء الشعائر الدينية في أوقاتها ، داخل جميع المؤسسات التعليمية وغير التعليمية .. في الوزارات ، والمصالح الحكومية ، والمصانع والتجمعات العمالية .. عسى أن يتذكروا الله فيخشوه ، في مجالات أعمالهم ، ومعاملاتهم ، وفي حياتهم داخل بيوتهم وخارج بيوتهم .. ويأخذوا لو توفرت القيادات الصالحة ، والقدوة الحسنة ، في هذه الساحات جميعا .. !!!

عبد الحميد الفضالى

وفقرهم ، في شبعهم وجوعهم ، في رهم وظمئهم ، في حلهم وترحالهم ، في يقظتهم ومنامهم ، في حركتهم وسكونهم ، في راحتهم وأعمالهم ، في سلوكهم ومعاملاتهم ، في عباداتهم ومجاهداتهم ..

يجبون الخير لغيرهم ، كما يجبونه لأنفسهم ، ويكرهون الشر لغيرهم كما يكرهونه لأنفسهم .. فهم آمن وأمان ، ونعمة وسلام ..

العناية بالتربية من الصغر .. وان تصحيح العقيدة ، وتأصيلها ، وتحقيق مفهومها ، كما أراده الله ورسوله - يستوجب العناية التامة بتربية الناس عليها من الصغر .. بدءا بتحفيظ القرآن الكريم ..

رؤية إسلامية

الله .. الإنسان .. الخليفة

للأستاذ زاهر عزب الزعبي

السلام ، وطهراه للطائفين والعاكفين
والركع السجود ، وجعله الله مثابة
للناس وأمنا - قد صار في النهاية
الى أن أصبحت عرصته معرضا
لاوثان الشرك .. حيث تنصب كل
قبيلة وثنها ، واليه في كل عام
تحج : به تتبرك وله تتعهد ، وباسمه
تنحر الذبائح والقرايين ..

وكان هذا الضلال - الذي
ران على عقول الناس وقلوبهم
فمسخ عقيدتهم وشووها - قد
لازمته فوضى في الأخلاق والكيان
الاجتماعي كله .. فالغرائز البدوية
الجامحة كانت على الدوام ماثرا
لاشتباكات لا تنتهي بين القبائل .
وكانت الحرب تندلع حامية مضطربة
الأوار لأوهى الأسباب وأتفهها .

ومجمل القول أن العرب كانوا
يعيشون حياة بدائية ، لا تهديهم

في خضم من ضلال الشرك .
وظلام الوثنية ، وفوضى الجاهلية
... كانت جزيرة العرب تعاني من
جاهلية عمياء عادت بسكانها القهقري
الى وثنية حمقاء كتلك التي جابهها
وحاربها في الماضي السحيق جد
العرب الأول : ابراهيم عليه
السلام .

وكان لكل قبيلة عربية وثنها
الخاص بها ، له تتعبد ، واليه
تبتهل كي يمنحها البركة والخير
ويقضي الضر والشر ، فاللات والعزى
ومناة وهبل كانت أصناما نحتتها
قبائل العرب من صخر جبالهم
وقدسوها ، واتخذوها أربابا
يقدمون لها القرابين ، ويتوجهون
اليها بالعبادة .. وينسجون حولها
الأساطير والترهات والباطيل .

وكان البيت الحرام - الذي رفع
قواعده ابراهيم واسماعيل عليهما

الجاهلية ولم يتدس في حماة
الوثنية • فكان الله قد ادخره لأعظم
وأجل وأسمى مهمة اضطلع بها
— منذ بدء الخليقة — انسان •

وكان هذا الأُمى البدوى هو
محمد بن عبد الله ••

وكانت هذه المهمة هي رسالة
الله ••

وعلى حين غرة من محمد ،
وعلى غير انتظار منه نزل عليه
ملاك السماء يحمل رسالة الله :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ••
خلق الانسان من علق ••
اقرأ وربك الأكرم ••
الذى علم بالقلم ••
علم الانسان ما لم يعلم •• »
(بداية سورة القلم)

وهكذا ولد الاسلام •• عقيدة
تشمل الانسانية كلها •• ورسالة
تدعو — أول ما تدعو — الى
التعريف بالله وتبىء عنه باسمه ،
وتقيم الدليل بينا على وجوده •

وبتوالى الآيات يتحدد معنى
الألوهية كما يقرره الاسلام : فالله

عقيدة ولا تنظم مجتمعهم حضارة •
وانما كانوا يعيشون على الفطرة
تتحكم فيهم مظامع الانسان
واقفالاته وغرائزه الحمقاء • وفيما
عدا بعض الروابط والتقاليد القبلية
الواهية ، كان العربى يعيش حياة
انفرادية قاسية ، يواجه بعبوس
وصرامة — كلما تطلع حواليه —
وجه الصحراء الكالـح البهيم ، وكأنما
اقتبس انـزالـيته (التى تبـعـده كـلية
عن الانـضواء فى كيان اجتماعى
متماسك) من تفكـك رمال الصحراء
التي تحيط به من كل جانب ،
ويجد فى جوانبها الفسيحة المنبسطة
وطقسها المتطرف ما يوائم فطرته
وحياته : سهولة وبساطة فى العيش
وحدة فى الغرائز ، وتطرفا فى
انفعالات النفس ، وتناقضا فى
الطبائع •

وفى هذه الفترة من الزمن شاء
الله أن يتجلى على الانسانية باحدى
معجزاته وأن يتفضل عليها برحمته
وبركاته ، فنزل وحيه على أُمى
من أهل هذه الصحراء كان الله قد
تعده منذ مولده ورعاه ، فلم
يتورط هذا طول حياته فى حمق

الألوهية فى أى من الأديان (١)
السابقة أو فى أى من الفلسفات •
وإذا كان أرسطو الذى كان
أستاذ الفلسفة اليونانية ، والذى
ظل أستاذا لفلاسفة الغرب حتى
اليوم ، قد انتهى الى أن الاله كائن
أزلى أبدى مطلق الكمال لا أول له
ولا آخر ، ولا عمل له ولا ارادة ،
لأنه غنى عن العمل وعن الاختيار ،
ولا يعنيه أن يخلق العالم أو يخلق
الانسان • • وانما تمت الخليفة
بشكل تلقائى • • اذ أن المادة
الأولى التى هى أصل الخليفة
« الهولى » لها خاصية تجعلها فى
شوق الى الوجود • • وهذا الشوق
هو الذى دفعها الى أن توجد • •
وهذه الخاصية - فى اعتبار
أرسطو - ذات طبيعة (ديناميكية)
فهى لا تدفع الهولى الى الوجود
فحسب ، وانما تدعوه أيضا الى أن
يتكامل بنفسه ويتطور من النقص
الى الكمال • • ولتميز الهولى
بهذه الخاصية خرج بذاته الى
الوجود ثم مضى - بما فيه من طابع

واحد لا شريك له ولا مثل فى
ذاته أو صفاته ، متفرد بالخلق
والتدبير • • متفرد باستحقاق
العبادة والتقديس • • لا يستعان
الاله به ولا يخضع الاله • • فلا
خالق غيره ولا متصرف سواه • •
وله وحده العزة والسلطان •

وهو القديم الذى لا أول لوجوده
وهو الباقي الذى لا فناء يعتريه •

وعلى الجملة فالله - كما يتجلى
من خلال الاسلام - ذات أزلية
سرمدية متصفة بكل كمال ومنزهة
عن كل نقص • • هو صانع العالم
وخالق الكون ، لم يلد ولم يولد ،
واحد لا شريك له ولا مثل •

وهكذا جاء الاسلام من جوف
الصحراء العربية بأسمى فكرة عن
الاله الواحد الأحد رب العالمين ،
 ورب المشرق والمغرب ورب الأمم
الانسانية كلها •

والاله فى الاسلام ليس نسخة
محرفة عن المعنى الذى عرفت به

محدود الامكانيات قد توصل الى تصور الكمال المطلق في الله وجعله السبب الأول في الخليقة فهو قد أخطأ في ربطه بين السبب وبين عملية الایجاد نفسها برباط واه هو رباط الافاضة الربانية على الهیولی بخاصية الشوق الى الوجود .. أما عملية الایجاد نفسها فليس لله فيها نصيب ، وانما هي ترجع أولا وأخيرا الى الوجود نفسه (الهیولی) .. فانه بما فيه من خاصية أفاضها عليه الاله ، قد أوجد نفسه ، ومضى أيضا بهذه الخاصية الموهوبة في طريق التطور ولازال .

والبرهان على بطلان هذا الرأي هين بين .. فالهیولی قد تعلقت به هبة الله وهو بعد ليس الا في حالة من العدم لا يقبل تعلقا من أى نوع كان ، فكيف تسنى لهذا العدم أن يتلقى هبة الله .. ثم كيف تسنى لهذا الاله الذى هو عبارة عن كون من الكمال المطلق المجرد عن الفعل والارادة أن يباشر فعلا من أى نوع كان وقد جرده أرسطو عن العمل ، ثم جعله يفيض على الهیولی بخاصية الشوق الى الوجود !!؟

ديناميكى - يسير فى درجات التطور حتى صار كونا . وفى قطاع من هذا الكون - الأرض - أوجد الأحياء ، ثم مضت هذه الأحياء تتطور بدورها حتى كان الانسان بما فيه من عقل مفكر .. والقياس يقتضى أن يتطور الانسان الى ما هو أرقى وأكمل الى صورة لا يمكن التنبؤ بها الآن

ولكى يربط أرسطو بين مادة الخلق الأولى - الهیولی - وبين الاله قال : ان ما فى الهیولی من خاصية هي شوقه الى الوجود قد أفاضها عليه الاله .. وقد وصف الأستاذ العقاد - مفندا مذهب أرسطو فى كتابه : « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » هذه الافاضة الالهية بأنها ليست من عمليات الخليقة فلا يقال عن العالم انه من خلق الله الا أن تكون الخلقة على هذا الاعتبار .

فالله فى نظر أرسطو كمال مطلق لا يعمل ولا يريد .. ومثل هذا الكمال المطلق فى وجوده سلبى كالعدم المطلق على حد سواء . واذا كان أرسطو كعقل بشرى

ما سيوجد وكل معدوم يستحيل أن يوجد أو لم يرد له الوجود . فهو الذى خلق العالم حين أراد ذلك ، وفى وقت أن اختار لهذا العالم أن يكون ، وهو العليم بكل شىء فيه :

« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » (سورة يونس) •

وقد أثرت مناقشة رأى أرسطو وحده لأنه هو الرأى الذى تبتته الفلسفة فيما بعد وآثره الفلاسفة المتأخرون بعد أن كفونا هم أنفسهم عناء استبعاد ودحض آراء فلاسفة آخرين فى الألوهية من أمثال أفلاطون وغيره من الفلاسفة الأقدمين •

والاسلام أيضا قد صحح ما تداولته من قبله الافهام والعقول عن فكرة الوجود فى ذاتها ، فقد أعطى فكرة صحيحة عن الوجود السرمدى الذى لا يتحقق الا فى الله ، ونفى أن يتحقق لشيئين وجود من شأنه الدوام والبقاء • وجود

ولكن أرسطو يشكر على أنه بإمكانياته الفكرية البشرية المحدودة قد توصل الى ادراك وجود الله ، وان كان ادراك وجوده قد سبقته به الأديان السماوية منذ زمان طويل •• ثم أنه تصوره على أنه كمال مطلق غير محدود مستغن عن كل ما عداه • وقد جاء الاسلام فصيح الذهب الفلسفى عن الألوهية ، والذى يعتبر رأى ارسطو فيه قمة وقتت عندها الفلسفة حتى اليوم •

فالله فى الفلسفة يعقل وجوده ولا يعقل ما دون هذا الوجود ، ويتنزه عن الفعل والارادة لأن كليهما طلب وهو مستغن عن طلب شىء خارج وجوده •• ولكن الله فى الاسلام ذات واعية •• هى عبارة عن الكمال المطلق أيضا ولكن هذا الكمال المطلق لا يشينه أن يتفضل الله بالخلق والايجاد لما هو دونه •• ومن دواعى هذا الكمال أن يكون الله عالما ، وليس علمه قاصرا على ذاته ، وانما هو علم مطلق شامل •• يشمل أيضا ما سوى ذاته من كل موجود وكل

لا أول له ولا نهاية.. وان كل ما عدا الله انما هو وجود زمانى .. وجود يبدأ وينتهى فى الزمان .. والله وهو الواحد الأحد الذى لا يشاركه ضريب أو مثيل فى وجوده السرمدى هو الخالق والموجد لكل موجود زمانى .

وعلماء الكلام المسلمون قد قصروا الوجود فى تقسيمهم له على هذين النوعين لا غير .. فوجود الله - فى اعتبارهم - وجود سرمدى أزلى لا أول له ولا انتهاء، وقد أطلقوا لفظ « العالم » اسما على ما سوى الله (ذاته وصفاته) من كل موجود ، والعالم عندهم شامل للسماوات والأفلاك وما فيها من كواكب وأقمار وما فى هذه من هواء وماء ونباتات وجمادات وأحياء .. واتتحوا فى برهنتهم العقلية على حدوث العالم وعدم انفكاكه عن الزمان الذى به تقاس فترة وجوده المحدودة بالبداية والنهاية الحتميتين .. بأن قسموا العالم وكل موجود فيه الى قسمين فالعالم وكل ما فيه اما أن يكون جوهر (وهو القائم بنفسه) واما

أن يكون عرضا (وهو ما قام بغيره) .. ثم مضى هؤلاء فى برهانهم فحكموا بأن الأعراض حادثه لأن بعضها حادث بالمشاهدة كحدوث الصمت بعد الكلام وانتهائه باستئناف الحديث وكذلك الحركة بعد السكون والسكون بعد الحركة وتعاقب الظلمة والنور بتعاقب الليل والنهار .. أما ما لم نشاهد حدوثه من الأعراض كسكون بعض الأجسام الساكنة كالجبال فان مجرد احتمال تحركها دليل على حدوث هذا السكون ، لأن الأجرام كلها متساوية فى الأحكام ، فيجوز على كل منها ما يجوز على الآخر ، وامكانية تحرك حجر من هذا الجبل الساكن يؤكد امكانية تحرك الجبل كله ، وعلى هذا فسكونه طارئ يجوز عليه العدم ، وكل ما يجوز عليه العدم لا يكون قديما أبديا فى قدمه ، لأن القديم اذا كان واجبا لذاته فظاهر أنه لا يجوز عليه العدم ، فان لم يكن واجبا لذاته لم يجز أن يكون صادرا بالاختيار للزوم الحدوث له حينئذ .. فتعين أن يكون صادرا بطريق التعليل من

مطلق الا أنه قد قصر فى تصور أنه الموجد بالفعل للعالم - لم يستطع أن يصل الى مستوى الفكرة الاسلامية وما حققته من اقناع واشباع عقليين فانه من نافلة القول أن تناقش الأشكال الوثنية التى تصورت بها البشرية معنى الألوهية. فان اليونان الأقدمين كانوا يمثلون الألوهية فى مجمع من الأرباب : عدد من الالهة لكل منهم وظيفة خاصة وميزة خاصة .. وقد تلعب بهم الأهواء أو تتضارب الرغبات أو تتداخل الاختصاصات فيشتبكون فى عراك !!

وكذلك الهنود الأقدمون كانوا يتصورون معنى الألوهية فى عدد من الأرباب ، منها ما يرمزون اليه بنوع من الحيوان ، أو يتخيلونه فى عنصر من عناصر الطبيعة ، أو يجسمونه فى وثن من حجر ، وبعض هؤلاء الأرباب ان لم يكن أكثرهم كان يتطلب من كهانه أن يتقربوا اليه بالبغاء المقدس أو سفك الدماء .

ثم قطعت الديانات الهندية شوطا طويلا فى مدارج التطور

واجب لذاته ، فيلزم استمرار وجوده مادامت العلة موجودة فلا يجوز عليه العدم . ولما كان العدم جائزا عليه انتفت علة دوامه فهو حادث .. وعلى هذا فالاعراض حادثة .

أما الجواهر فدليل حدوثها أنها ملازمة للاعراض الحادثة ، لأن الجواهر محل للاعراض .. والاعراض قد قام الدليل على حدوثها والملازم للحادث حادث .. إذن فالجواهر بدورها حادثة .

ولما كان العالم لا يخرج عن كونه اما عرضا أو جوهرًا وكلاهما حادث (محدود فى وجوده .. وموجود بسبب من غيره) إذن فالعالم كله حادث .

قال صاحب الجوهرة :

فانظر الى نفسك ثم انتقل للعالم العلوى ثم السفلى تجد به صنعا بديع الحكم لكن به قام دليل العدم وكل ما جاز عليه العدم عليه قطعاً يستحيل القدم

واذا كان رأى أرسطو فى الاله - وان كان قد تصوره على كمال

التي هي الاله اذا وصل الى حالة من الانجذاب فقد فيها وعيه كلية ، أو اذا تخلص من جسده سواء بالموت أو بالانتحار ، وبدون ذلك لا يمكن أن يعرف الانسان شيئاً عن هذا الاله .

وليت شعري كيف يتأتى للمرء أن يدرك كنه اله يتطلب ادراكه فقدان الوعي .. والوعي هو آلة الادراك؟؟!! ثم لو توصلنا الى هذا الادراك فان النرقانا لا تعدو أن تكون - كما وصفت في البوذية - نوعاً من السعادة .. أو السعادة العليا كما يقولون .. وهذه السعادة العليا هي في نفس الوقت عين الاله .. وعلى هذا فاله البوذية لا يعدو أن يكون معنى مجرداً مرادفاً للنشوة التي يحسها المجذوبون أو بعض مرضى النفوس .. هذا اذا استطعنا أن نتجرد من الوعي أثناء حياتنا بدون حاجة الى التخلص من الجسد كلية بالموت على أية صورة جاء .. وفي هذه الحالة الأخيرة لن تكون النرقانا سوى حالة عامة تنتهي اليها جميع الأرواح حين تفرغ من عناء الوجود .. وهي حينئذ شيء

حتى وصلت الى ذروة لم تتعدها في كل من البرهمية والبوذية .. والبرهمية عقيدة عرفت بأنها دين بغير اله ، ومع ذلك فهي مليئة بأسماء الأرباب ، وعقيدتها ترتكز على ثالوث من براهما وفشنو وسيفا .. وقد وصفت هذه الآلهة بصفات تشخصها وتجعلها أقرب الى الجنس الانساني منها الى الاله ، وقد وصف كل منها بالذكورة وجعل له قرينة من الاناث .

ثم جاءت البوذية وهي تعتمد على البرهمية ولكنها شكل أرقى وأعلى في التطور الديني . فقالت أنه ينبغي أن تتجرد من الوعي ومن لباس الجسد حتى ندخل في النرقانا .. والنرقانا في زعم البوذيين حالة يتجرد فيها الانسان من الآلام ويشعر بسعادة عليا .. وقد أوغل البوذيون أيضاً فرغموا أن النرقانا هذه هي الاله .. والاله في زعمهم ليس ذاتاً وانما هو حالة يمكن للانسان أن يصل اليها اذا تجرد من وعيه واحساسه ، أو اذا أنكر جسده أو تخلص منه كلية ، أو بعبارة أخرى يحس الانسان بالنرقانا

يناسب العدم أكثر مما يناسب الوجود •

واذا نحن ضربنا صفحا عن الأشكال البدائية للتجارب الانسانية فى مجال الدين كعبادة الانسان البدائى لأسلافه أو عبادة الطواطم والأوثان وعبادة الأرواح فأننا نجد فى النهاية محاولات انسانية بحثة قد قاربت ادراك الاله الواحد العظيم •• وعلى رأس هذه المحاولات تقف الاخناتونية التى اعتنقها - قبيل بعثة موسى - فرعون مصر « اخناتون » •

ومجمل القول فى نقد الديانات القديمة أن أقصى مدى وصلت اليه فى ادراك الخالق وتنزيهه أنها صورته أو فهمته على وجه شابه كثير من العيوب التى تعلق بما يجب أن يتصف به الخالق من وحدانية أو من كمال أو بما يجب أن يتنزه عن الاتصاف به من نقص •

والاسلام لم يغض من شأن المحاولات الانسانية فى بحثها عن سبب الخليقة وعن الله •• بل انه

يذكر بالتبجيد محاولة ابراهيم عليه السلام فى الوصول الى ادراك الله حيث جاء فى القرآن الكريم :

« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين •

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين •

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين « (الانعام : ٧٥/٧٩) •

وقد كانت محاولة ابراهيم هذه سابقة على بعثته فى أصح الاقوال وأقوى الاحتمالات •• والاسلام يعترف أيضا بما سبقه من رسالات سماوية أولها رسالة آدم عليه السلام وأخبرنا القرآن بأن الله قد أرسل بعد آدم رسلا وأنبياء كثيرين •

يلفون ، وكانوا اسوة لاقوامهم
فيه ، والى هذا تشير الآيات :

« وما أرسلنا من قبلك الا
رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا أهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون ..
بالبينات والزبر ، وأنزلنا اليك
الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم
ولعلمهم يتفكرون » (النحل :
٤٣ : ٤٤) .

(وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين »
(الأنبياء : ٨) .

ويقول القرآن الكريم ان رسالة
الله على الدوام كانت ذات هدف
واحد هى توجيه الانسان نحو
طريق الهدى ، وان اصول
الرسالات وقواعدها كانت دائما
واحدة لا تختلف فى رسالة عنها
فى رسالة أخرى .. ومن ثم يطلب
القرآن الكريم الايمان بجميع
الرسل وبما انزل عليهم جميعا ..
ويعتبر أن فى الايمان بالبعث دون
البعث خروجاً عن دين الله وكفراً
بهده :

« شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا ، والذي أوحينا اليك ،

» ورسلا قد قصصناهم عليك من
قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم
الله موسى تكليما » (النساء /
١٦٤) .

ولكن القرآن يشدد فى التأكيد
بأن هؤلاء الأنبياء والرسل
لم يكونوا سوى بشر عاديين
اصطفاهم الله ليلفوا رسالته وليهدوا
أقوامهم الى الطريق المستقيم ..
فهؤلاء الأنبياء والرسل فى حقيقتهم
بشر واناس يتفقون مع سائر الناس
فى كل صفات البشرية .. وبهذا
يتيسر لسائر امتهم التلقى عنهم
وتقليدهم فيما يقولون ويفعلون ..
ومع ذلك فان الله خصهم بنوع من
الاصطفاء .. هو فى الحقيقة لا
يعدو أن يكون مقدرة على التزام
المثالية البشرية كما يريد الله ..
وبذلك صاروا اهلا لتلقى وحى
الله - اما مباشرة كموسى عليه
السلام أو بواسطة الملك المكلف
بالوحى كسائر الأنبياء والمرسلين
- وتبلغ ذلك للناس .. وقيادتهم
ايهام فى التطبيق العملى فى سائر
مناحي الحياة ، وكانوا بذلك مبلغين
عن الله معصومين عن الخطأ فيما

أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا ،
وان تولوا فانما عليك البلاغ ،
والله بصير بالعباد » (آل عمران :
١٩ : ٢٠) •

« ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن
يقبل منه وهو فى الآخرة من
الخاسرين » (آل عمران : ٨٥) •

ومن ثم فأننى فى مقال سابق
قد أطلت باستفاضة فى شرح ظروف
تدوين التوراة وما لابس ذلك من
دواعى تحريفها واستشهدت بما
جاء على لسان السيد المسيح عليه
السلام من اتهام كتبة التوراة بتزوير
وصايا الله •• وفى ذلك يقول
القرآن أيضاً :

« واذا أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
تكتُمونه فنبذوه وراء ظهورهم ،
واشترؤا به ثمناً قليلاً فبئس ما
يشترون » (آل عمران : ١٨٩) •
« من الذين هادوا يحرفون الكلم
عن مواضعه » (النساء : ٤٦) •

ومن أجل ذلك تعتبر الصورة
التي رسمتها التوراة لاله موسى
صورة غير صحيحة فان اليهود
— اذا اعتبرنا روايات التوراة —

وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى ، ان أقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه » (الشورى : ١٢) •

واذا كان الاسلام يقر جميع
ما سبقه من رسالات — ومن بينها
اليهودية والمسيحية — فانه يقرها
على وجهها الصحيح لا على
ما آلت اليه فيما بعد — بعد ان
داخلها الكثير من الترهات
والأباطيل •

وقياس الصحة والبطلان فى
المبادئ الدينية التى تضمنتها
اليهودية والمسيحية هى موافقتها
أو عدم موافقتها للمبادئ الاسلامية
نفسها •• لأن هذه المبادئ ليست
الا رسالة الله التى لم تختلف فى
آية رسالة من الرسالات حتى ولا
فى اليهودية أو فى المسيحية عنها فى
الاسلام •

« ان الدين عند الله الاسلام وما
اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن
يكفر بآيات الله فان الله سريع
الحساب •• فان حاجوك فقل
أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل
للذين أوتوا الكتاب والاميين

الى ما بعد وفاة المسيح انما كانت عقيدة شعب مختار من بين الشعوب فى اله مختار من بين الآلهة ، وليس من عقيدتهم توحيد الله ، ولا يمكن أن تعتبر هذه العقيدة مما يتسع لديانة انسانية عامة ، لأنها عقيدة قومية متعصبة •

وحينما ظهر الاسلام كانت العقيدة فى المسيحية قد تطورت الى تلاشى النعرة القومية واتساع نفوذ الله •• ولكن وحدانيته عابها اشراكهم المسيح نفسه معه فى الالهية باعتباره ابنا له •

وقد جاء الاسلام بعقيدة تنزه الاله فيها عن لوثة الشرك ، وعن جهالة العصية وسلالة النسب ، وعن التشبيه الذى تسرب من بقايا الوثنية الى الأديان الكتابية •

« الحمد لله رب العالمين •• الرحمن الرحيم •• مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين » •• (فاتحة الكتاب) •

والاسلام لم يعتن بتنزيه الله واظهار وحدانيته وعظمته وكماله فحسب •• بل انه اعتنى أيضا ببيان

لم يكونوا موحدين ، ولم يكونوا ينكرون وجود الالهة الكثيرين غير الههم •• هذا فضلا عن الصورة المسوخة التى صورت بها التوراة ذلك الاله •

وفى مجال المقارنة لا يمكن أبدا أن يعتبر « يهوه » اله اليهود صورة راقية من صور العقيدة الدينية •• فالعقيدة اليهودية كانت معيبة من جهة توحيد الله •• وكانت معيبة من جهة ما يجب أن يتصف به من كمال •• وكانت معيبة من ناحية ما يجب أن يتنزه عنه من كل نقص •

وفى المسيحية جاء عيسى بن مريم عليه السلام فاخص بدعوته بنى اسرائيل دون من سواهم من العالمين ، وقد اثبتت الأناجيل تفصيل الحوار الذى دار بين السيد المسيح وبين المرأة الكنعانية التى قصده متوسلة أن يشفى ابنتها المريضة فأجابها بأنه لم يرسل الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة • (مرقس : ص ٧ ، متى ص ١٥) •

فالعقيدة الالهية كما دان بها اليهود والمسيحيون وجمدوا عليها

ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ... » (المائدة : ٧٣) •

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون » (المائدة : ٧٥) •

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون » (آل عمران ٥٩) •

« فأتت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم لقد جئت شيئا فريا .. يا اخت هارون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت امك بغيا .. فأشارت اليه ، قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ؟ .. قال : انى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا .. وجعلنى مباركاً اينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا .. وبراً بالدينى ، ولم يجعلنى جباراً شقياً .. والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا .. ذلك عيسى بن مريم : قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى

العقيدة كما أوحى الله بها صحيحة ونقية من كل شائبة الى رسوله الكريمين موسى وعيسى عليهما السلام •

« وقالت اليهود : يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء » (المائدة) •

« يا أهل الكتاب : لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم ، رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا : ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه ، أن يكون له ولد ، له ما فى السموات ، وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلاً » (النساء : ١٧١) •

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الأرض جميعاً ... » (المائدة : ١٧) •

« لقد كفر الذين قالوا ان الله

« قل يأيها الناس انى رسول
الله اليكم جميعا » (الأعراف
١٥٧) •

« وما أرسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا » (سبأ ٢٨) •

والاسلام بما تضمنه من
ارشادات الهية ليس صالحا لهداية
الانسانية وحدها وانما هو صالح
أيضا لهداية وارشاد سائر أجناس
المخلوقات العاقلة الأخرى من غير
الجنس البشرى •

« قل أوحى الى أنه استمع نفر
من الجن فقالوا : انا سمعنا قرآنا
عجيبا •• يهدى الى الرشـد ، فأـمنا
به ، ولن نشرك بربنا أحدا •• وانه
تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبه
ولا ولدا •• وانه كان يقول
سفينها على الله شططا •• وانا ظننا
أن لن نقول الانس والجن على الله
كذبا •• وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فزادوهم
رهقا •• وانهم ظنوا كما ظننتم أن
لن يبعث الله أحدا •• وانا لمسنا
السماء فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا •• وانا كنا نقعد

امرا فانما يقول له : كن فيكون ••
وان الله ربى وربكم فاعبدوه »
(مريم : ٣٥/٢٧) •

والاسلام حين يعترف بماسبقه
من رسالات فانه يطلب الايمان بأن
محمدا عليه السلام خاتم الأنبياء
 والمرسلين ، وبأن رسالته تضمنت
خلاصة الرسالات السابقة وزادت
عليها ما به كمال الانسانية التى
أتاح الله لها هذه المرة - وبشكل
نهائى - الطريق الواسع نحو
التطور الصحيح ، ونحو الرقى
المادى والروحى •

« ما كان محمد أبـا أحد من
رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم
النبيين » (الأحزاب ٤٠) •
« اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم
الاسلام دينا » (المائدة ٣) •

ولهذا كانت هذه الرسالة الالهية
النهائية رسالة عامة موجهة الى
جميع الناس مهما اختلفت ألسنتهم
وألوانهم وأجناسهم فى كل زمان
ومكان ابتداء من وقت بعثة محمد
صلى الله عليه وسلم حتى يوم
القيامة •

الله متلوا بلسان نبيه محمد عليه السلام فوجدوا فيه صلاحهم ورشدهم ، وانهم مكلفون بالبشر بشريعة الله واتباع هداة والايمان به .

« وانا منالمسلمون ومنالمقاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا .. وأما المقاسطون فكانوا لجهنم حطبا.. » (الجن : ١٤/١٥) . وعلى غير العادة فى حديث القرآن عن العالم الغيبى ومطالبتنا بالايمان بوجوده كطوائف الملائكة فانه حينما تحدث عن الجن يبين المادة التى خلق منها الجن بينما لم يتعرض مرة واحدة - على كثرة ما ذكر - للمادة التى خلق منها الملائكة أو الحور العين مثلا : « وخلق الجن من مارج من نار » (الرحمن : ١٥) .

« والجان خلقناه من قبل من نار السموم » (الحجر : ١٧) . والنار مادة معروفة فى كوكبنا الأرضى وهى مصدر الاشعاع والحرارة فى كل نجم ملتهب حى كالشمس .. فاذا كان العلماء يقررون ان الحياة تتشكل حسب

منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا .. وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا .. » (الجن : ١٠/١) .

وفى خريف عام ١٩٦١ سمعت من راديو القاهرة برنامجا اذاعيا حرره أحد العلماء العرب المتخصصين فى علوم الطبيعة وابحث الكون جاء فيه : انه من المحتمل جدا أن يكون الجن نوعا من الأحياء التى تعيش فى أحد الكواكب الأخرى ، وانهم قد فاقوا انسان الأرض فى مناحى العلم بحيث يستطيعون التنقل عبر الكواكب أو على الأقل توصلوا الى مخترعات يمكنهم بها ان يروا - من كوكبهم - كل أحوالنا ويستمعوا لينا ويؤثروا فىنا بشكل أو بآخر .

وسواء أكان هذا حقيقة قد ثبت العلم صحتها فيما بعد أو شطحة من شطحات خيال هذا العالم العربى فان الاسلام يطالبنا بأن تؤمن بأن الجن مخلوقات كائنة فعلا .. وانهم استمعوا الى قرآن

لكل حى عاقل لا تقل قوته العقلية
عن مستوى الانسان العادى .

فلو فرض وأتينا - سكان
الأرض - قد تقدمنا فى ابحاث
الفضاء (التى جندت لها الدول
الكبرى فى الوقت الحاضر كل
الامكانيات) ووصل انسان الارض
الى كوكب آخر فوجد فيه احياء
فى مستوى الانسان العقلى
والفكرى لشملت هذه الدعوة
سكان هذا الكوكب ولأصبحوا
مكلفين بالايمان بمبادئها والعمل
بها .. وأصبح عموم الاسلام
وشموله غير قاصر على سكان
الأرض فحسب بل يشمل غيرهم من
سكان الكون جميعه .. كلما وجد
فى أى من كواكبه سكان هم أهل
للدراك .. أهل للوعى .. أهل
للتكليف .

واذا كانت العقيدة فى الاسلام
هى الأصل والايمان بها هو الأساس
الذى ينبى عليه الجانب العملى من
الدين وهو ما اصطلح على تسميته
بالشريعة فان الله لم يكتف بمجرد
الاعلام حين أراد الافصاح عن كنه
ذاته وصفاته اعتمادا على الثقة

ظروف البيئة فانه ليس من المستبعد
أن تكون نبؤة محرر البرنامج
الاذاعى على حق .

وسورة الرحمن من أولها الى
آخرها وضع الله فيها الانسان مع
الجن فى اطار واحد .. موجهها
الخطاب اليهما معا ومناقشا اياهما
معا ومقيما الحجة عليهما معا فى
عبارات واحدة وبخطاب واحد :
« خلق الانسان من صلصال
كالفخار .. وخلق الجن من مارج
من نار .. فبأى آلاء ربكما تكذبان »
« يا معشر الجن والانسان أن
استطعتم ان تنفذوا من أقطار
السماوات والأرض فانفذوا ،
لا تنفذون الا بسلطان . فبأى
آلاء ربكما تكذبان »

(الرحمن)

وسواء أكان الجن سكانا غير
بشريين لكوكبنا الأرضى أم أحياء
فى كوكب أو نجم آخر فانهم
ما داموا مكلفين ورسالة محمد
صلى الله عليه وسلم قد شملتهم ..
فان الاسلام لا يكون عاما للجنس
البشرى وحده ، وانما هو عام

بالمصدر وصدق النبي • بل انه سبحانه جلت حكمته أقام الحجة وأتى بالبرهان المعقول والبينة المحسوسة المشاهدة المرة تلو المرة والدليل تلو الدليل •

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ، لعلكم تتقون • الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ، وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون • وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين • • فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (البقرة : ٢١/٢٤) •

« كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم إليه ترجعون • • هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم » (البقرة : ٢٨ ٢٩) •

« ألم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » (لقمان ٢٠) • وأمثلة من هذا القبيل فى القرآن كثيرة • • وقد أشرنا فيما سبق الى ما استدل به علماء الكلام من دليل عقلى على حدوث العالم جواهره وأعراضه ، وكل ما فيه من سموات وأرضين وما فى كل منها من جماد وأحياء •

وحدوث العالم اتخذه هؤلاء العلماء مقدمة منطقية فى البرهنة على وجوب وجود الله • • وأجروا البرهان هكذا :

العالم حادث • • وكل حادث لا بد له من محدث • • وهذا المحدث اما أن يكون واجب الوجود أو جائزه فلو كان جائزه لجاز عليه العدم ، فان تحقق عدمه ظل العالم فى حاجة الى محدث ، وان لم يتحقق عدمه لكان حادثا ولاحتاج هو أيضا الى محدث ومحدثه الى محدث فان رجع الى الأول مباشرة أو بالواسطة فدور والا فان تتابع المحدثون الى ما لا نهاية فتسلسل • • وكل من الدور والتسلسل

ومن ثبوت وجوب وجود الله
استدلوا بأن وجوده قديم لا أول
له وبق لا نهاية له .

اذ انه تعالى لو لم يكن قديما
لا أول لوجوده أو لو لم يكن
باقيا لا نهاية لوجوده لكان حادثا ،
ولو كان حادثا لجاز عليه العدم ،
ولو كان كذلك لكان غير واجب
الوجود .. ولكن قد ثبت له وجوب
الوجود ، فاتفق ما أدى الى غير
ما ثبت له من وجوب الوجود وهو
كونه غير قديم أو غير باق ، وثبت
له - سبحانه وتعالى - وجوب
القدم ووجوب البقاء ..

قال صاحب الجوهرة :

فواجب له الوجود والقدم
كذا بقاء لا يشاب بالعدم
وانه لما ينال العدم
مخالف برهان هذا القدم
وفى كتب العقيدة الاسلامية نجد
أن علماء الكلام لم يتركوا صفة من
صفات الكمال نسبت الى الله الا
وبرهنوا على صحة هذه النسبة
الى ذاته سبحانه وتعالى بالدليل
العقلي الذى لا يقبل الشك
وبالبرهان المنطقى الذى لا ينقض .

باطل فبطل ما أدى اليه وهو انه غير
واجب الوجود وثبت انه واجب
الوجود .

ومن مشاهد العالم والطبيعة
أيضا استند علماء الكلام فى
البرهنة بطريق آخر على وجوب
وجود الله فقالوا :

ان الممكنات موجودة بالضرورة
.. وكل موجود ممكن لا بد له من
موجد . وهذا الموجد اما أن يكون
عين الممكنات ، وهذا باطل
لاستلزام تقدم الشئ على نفسه ..
واما أن يكون جزءها ، وهذا محال
لاستلزامه أن يكون الشئ سببا
لنفسه ان كان هو الجزء الأول او
لنفسه ولما سبقه ان لم يكن الأول ،
فلا بد أن يكون الموجد من غير
الممكنات .. وغير الممكن اما أن
يكون مستحيلا أو واجبا ..
والمستحيل معدوم فلا يحقق
الوجود لغيره ، لأن فاقد الشئ
لا يعطيه لغيره ، فتعين أن يكون
هذا الموجد واجب الوجود .

وواجب الوجود ليس سوى الله
تعالى .

الشرك وقطع طريقه ومنع اسبابه حتى لا تؤدي الاباحة في النهاية الى تشويه معنى الالهية أو الحط من عظمة الاله وكماله على نحو ما حصل في كل من اليهودية والمسيحية .

وفي غير ما هو توقيفي من خصائص ذات الاله فان الاسلام قد أتاح للانسان قدرا من الادراك الواعي غير محدود الا بقدرة عقل الانسان ذاته . . والقرآن الكريم ملئ بآيات تحض الانسان وتدفعه دفعا الى استكشاف مغاليق الطبيعة والكون وان يستخدم كل ما سخره الله له في كل ذلك من خيرات اذا أحسن التصرف . . ولكي يخطو الانسان في مسالك هذا الطريق وهو آمن من العثرات والخطأ فقد رسم الله له المنهج القويم للتصرف الصالح . . فالانسان في ظن الاسلام مخلوق نيّطت به أمانة التكليف وهو في نفس الوقت بصير على نفسه لأنه أهل لهذه الأمانة . . وهو على قدر نهوضه بمقتضيات هذه الأمانة لم يحدد مصير نفسه وحسب بل ربما حدد

فهى عقيدة العقل المقتنع والايمان المطمئن المستتير ومع ذلك فالله سبحانه تعالت حكمته قد نبه انه ليس للبشر أن ينسبوا لله صفة لم ينسبها لنفسه في قرآنه أو على لسان نبيه في خبر قطعي وكذلك أن يناجوه باسم غير ما وضعه لنفسه أو دعاه به رسوله :

« والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه . . » (الاعراف : ١٨٠) .
وقد أرشد الله تعالى الى ما وضعه هو من أسماء وصفات تمثل ذاته وقدرته وحكمته وكل ما له من كمال يليق به . . ومن هذه الاسماء والصفات : الواحد ، الأحد ، الصمد ، القدوس ، الحي ، القيوم ، الغنى ، الأول ، الآخر ، السميع ، البصير ، العليم ، الخالق ، البارئ ، المصور ، البديع ، القادر ، القاهر ، الولي ، الحافظ ، رب ، رحمان ، رحيم ، رءوف ، ودود ، لطيف ، حلیم ، رزاق ، وهاب . . . الخ .

وكان هذا التشديد في منع ارتجال الأسماء لله هو غلق باب

أو حاق بهم ظلم ما بل سيحاسبهم
فى محاكمة عادلة •

« كل امرئ بما كسب رهين »
(الطور) •

« وما ربك بظلام للعبيد »
(فصلت) •

والله اذ سوى الانسان وخلقه
على أحسن تقويم وسخر له كل ما
فى الكون من خيرات جعله أيضا
بما حملة من تكليف صاحب عزيمة
وارادة وفكر • فعلى الانسان أن
يتحرى النهج الأقوم فى حياته وفى
الانتفاع بخيرات الله حتى لا يكون
كفرد من فصيلة العجماوات
السائمة • وهذا التحرى يجعل
اختيار الانسان وحرية لا مجرد
انطلاق أعمى ولكن انطلاقا واعيا
مصمما • فالله حين يوجه الانسان
فى الحياة ويبين له سبيل الصواب
انما يساعده على أن يحصل لنفسه
وللجماعة الانسانية أسمى درجة
من الكمال الانسانى فى الروح
والخلق والمادة والعقل ، وينظم
علاقته بربه ، وعلاقته بأخيه الانسان
فى كل مظاهر الحياة ، وكل تكليف
لعمل الانسان حسب منهج الله يعتبر

مصير مجتمعه أيضا • • ولهذا كان
من الخطورة أن يخلى بين الانسان
وأمانة الله تخلية مطلقة لأن الأمانة
ليست أمرا هينا ، وانما هى مجاهدة
دائمة للنفس الأمارة بالسوء • •
فكان لا بد من أن يوضع حد
لضعف الانسان أمام مغريات الهوى
• • والحياة الدنيا قصيرة الأمد ،
وفىها يحيا الانسان بغرائز ملتبهة
وشهوات عارضة • • فهو يعيش دائما
على حافة هاوية الهلاك • • وهو
جدير بأن يورد نفسه مورد التهلكة
إذا استكان لضعفه فى لحظة
طيش واحدة • • فاذا نجح فى التزام
قواعد الله ومنهجه ، وكبح جماح
شهوات نفسه أعانه الله على اجتياز
هذه الحياة الفانية بسلام وأعد
له فى الآخرة خلودا فى نعيم وسعادة
حيث جنات الفردوس قد أعدها
الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات
مقاما ونزلا أبديا • • فاذا لم يتحقق
للانسان فلاح فى حياته الدنيا
فالشقاء الخالد فى حياته الآخرة
حيث يعذب فى جحيم سقر • • ولن
يتصرف الله ازاء الانسان فى الآخرة
تصرفا مستبدا ، ولن يترك للأشقياء
منهم فرصة الظن بأنهم قد غبنوا

عبادة مشروعة • فكل لحظة يقضيها المرء وينفقها في معاملته من أجل الله والانسان ، وكل تأمل وتديير، وكل حركة انبعثت من هدى الله فهي في نظر الخالق تقديس وعبادة وتمجيد له •

واذا كان عمل الانسان هو الذى يحدد فى النهاية مصيره الاخرى فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم • وعلى هذا فقد صحت مسئولية الانسان ، لأنه فاعل مختار ولأن مصيره نتيجة فعله وليس شيئاً لازماً ولا مفروضاً عليه •

» وان ليس للانسان الا ما سعى • وان سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى« (النجم : ٣٩ : ٤١) •

وقد بدا لبعض الناس أن اطلاق الله ليد الانسان فى الحياة ومنحه الحرية فى أفعاله وفى تحديد مصيره يحد من عظمة الله نفسه •• اذ كيف يأذن الله للانسان أن يفاجئ خالقه باختيار لم يسبق بعلمه وأن يعيث بنظم وقوانين نظم الله بها مجرى ملكوته !! ؟؟

ولكن الله خلق الكون ونظمه وقدر لكل شىء فيه قدره •• والانسان - فى دائرة وجوده الضيقة وسط هذا الكون الجبار - سيد نفسه فى تصرفاته •• وعلم الله محيط شامل ولا يخضع للزمان أو المكان فانه دائماً حاضر وبالحاضر •• والله يعلم أولاً كل الحوادث الطبيعية والأفعال الاختيارية التى وجدت فى العالم ، يعلم الاتجاهات التى سوف يتجه اليها كل فرد فى حياته •• يعلم مصير كل فرد لأنه يعلم الطريق الذى سيتخذه فى الحياة • ومهما كان عمل الانسان فانه لا يخرق نظاما استنته الله وقدره للكون لأن نظام الكون هائل وعظيم عظمة الكون نفسه ••• عظمة تستمد حتميتها من ارادة الله التى لا ترد وقدرته التى لا تدفع •

ولقد اعتنى الاسلام - فى محيط الانسانية - بوحدتها وهى الفرد • فعمل على بناء شخصيته وتقويمها، ورسم لها طريق التصرف فى حرية وعزة وكرامة •• لأن هذا الفرد كوحدة يمثل نواة لكل مجتمع انسانى ابتداء من الأسرة الى الأمة

قد وعد بأن يمحى الباطل ويحق الحق وان لا يتخلى عن عباده حين يعرض لهم من بينهم من ينكرون على الانسانية أية قيمة أو عمل يفوق قيمة وعمل اليعاسيب العاملة فى خلية النحل .. فرحمته وسعت كل شيء وعنايته سهرت على الانسان فى كل وقت وحين .

والله هو الذى خلق الانسان حين سواه بشرا من طين ، وجعل منه كائنا قادرا على السلوك العقلى والحكم على الأشياء ، والتقرير الارادى والاختيار الأخلاقى .. والقرآن الكريم اذ يقرر هذه الحقيقة يدعمها بحقيقة رئيسية أخرى .. وهى أن الله خلق الانسان ليكون وكيله أو خليفته فى الأرض، وقد اقيم الانسان فى هذه الأرض لا ليسيطر على سائر مخلوقاتها وانما ليسخرها أيضا وليتنفع بكل كائن فى الأرض وبكل عناصر وقوى الطبيعة فيها .

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض

الى المجتمع الانسانى بأسره .. وتقويم شخصية الفرد وتربيتها على العزة والكرامة والحرية أمر جوهري للنهوض بالبشرية كلها والقرآن الكريم ملئ بالآيات التى تنبئ عن تكريم الله للانسان واعزازه له .

« ولقد كرما بنى آدم وحملناهم فى البحر والبر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (الاسراء : ٧٠) .

ومع ذلك فالانسان كثيرا ما يتخلى عن هذه المرتبة العليا التى وضعه الله فيها فيتخلى عن كرامته ويضع زمام أمره لبعض الجهلاء من جنسه الذين كانوا ولا يزالون يعتبرون الانسان حيوانا راقيا لا أكثر ، ولذلك تراه يعمون عن حكمة الله ولا يتبينون سوى حلول حيوانية لمشكلات البشر . فهم فى ميدان السياسة يريدون أن يجندوا الناس ويعبئوهم كالحشرات .. وهم يفعلون ذلك وسيفعلون دائما اذا أعطاهم الانسان فرصة من نفسه فى أى مكان فى العالم وفى أى وقت سنحت لهم الفرصة .. ولكن الله

بأنجوارح أم مجرد انعقاد بالقلب
كالارادة والاختيار والعزم •

ووجدوا في آيات القرآن الكريم
ما يؤيد رأيهم من امثال آية :

« والله خلقكم وما تعملون » •

والاحتمالات اللغوية في تفسير
هذه الآية سواء كانت (ما) في
قوله وما تعملون : موصولة أم نافية
تنفى عن الانسان كل فعل أو عمل
حتى ارادته وحرته في الاختيار
من حيث انها في واقع الأمر
لا يعدوان أن يكونا فعلا حقيقيا
للانسان •• وقالوا أيضا في مقام
الاحتجاج العقلي على هذا الرأي
بأن الانسان لو كان منشئا
لأفعاله لكان قادرا ولشارك الله في
صفة من صفاته وهي القدرة
ومشاركة الله ومماثلته في ذاته أو
صفاته قد قام الدليل على بطلانها •
وبذلك صور هؤلاء الجبرية
الانسان كدمى مسرح العرائس
يتحرك بلا بصيرة ولا ارادة نحو
مصير مقدر محتوم •

وأما المعتزلة فقد كانوا على
النقيض من ذلك اذ ذهبوا الى أن
أفعال الانسان كلها من مصدر

جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون » (الجاثية : ١٢ : ١٣) •

والذى ينظم للانسان كل هذا
بل ينظم حياته كلها انما هو
هدى الله والطريق الذى رسمه له •
وهذا الهدى الالهى يبنى أيضا بما
فيه من تكليف بالايجاب أو بالمنع
أو بالاباحة في الحياة الانسانية
الاولى الفانية على نظرية البعث في
حياة أخرى خالدة غير فانية تبدأ
بحساب حق يعقبه ثواب أو عقاب
طبقا لما كان عليه الانسان في حياته
الاولى •

ولكن حرية الانسان في اختيار
فعله ومصيره لا تنقض علم الله ولا
قدرته •

وقد احتدم الخلاف بين المدارس
الكلامية الاسلامية في أفعال العباد
وهل هى تابعة أصلا من مصدر
انسانى خالص أم من مصدر الهى
خالص •• وقد قال الجبرية بالمصدر
الالهى الخالص ووقفوا موقفا حريا
أمام بعض النصوص القرآنية التى
تقرر بصراحة أن الله وحده هو مصدر
كل فعل سواء أكان فعلا علاجيا

إنساني خالص واستشهدوا بآيات كثيرة من القرآن الكريم :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » •

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » •

« ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » •

وقالوا فى مقام الاحتجاج العقلى ان الانسان لو لم يكن موجدا لافعاله ومنشئا لها لما صح جزاؤه باثواب أو العقاب ولكان فى عقاب المسيء ظلم له ، والظلم نقيصة والنقائص بطل اسنادها الى الله بالدليل فتعين أن يكون الانسان مصدرا لافعاله كلها وليس من مصدر لها سواه •

أما اهل السنة فقد تخرجوا من أن ينسبوا للانسان أفعاله كلها فيقعوا فى شبهة الشرك التى نبه عليها الجبرية فى حجتهم العقلية ، ومن أن ينفوا عنه القيام بأفعاله فينقضون أسباب الجزاء الأخرى • ومن ثم اتخذوا طريقا وسطا

باختراع ما أسموه بالكسب والاكتساب •• والكسب والاكتساب فى اعتبارهم ليسا الا حرية الانسان فى اختياره للفعل • وهذه الخاصية قد منحها الله له منذ الخليفة •• فاذا ما اختار الانسان فعل الخير كان هذا كسبا أما اذا اختار فعل الشر كان اكتسابا •• واذا ما تم اختيار الانسان للفعل وانعقد عزمه عليه تدخلت قدرة الله وأوجدت الفعل عن طريق الانسان نفسه •

ومن هذا نجد رأى السائد بين الفرق الاسلامية يؤكد استقلال الإرادة الانسانية ولكن من الحق أيضا أن الحكم الأخير لله ، فحرية الانسان تستتبع أن يكون الانسان مسئولا أمام الله ، أما السلطان الالهى المطلق فيظهر نفسه فى التاريخ أو فيما تتكشف عنه أحداثه •

والتاريخ الانسانى متحرك (ديناميكى) وهو - من أحد وجوهه - مجموع اختيارات البشر • انه نتيجة استعمال الانسان لارادته المستقلة بالاضافة الى حكم

من تنفيذه لأن هناك قوة أكبر قد
حالت دون تفيذ هذا الفعل •

ويقول السير محمد اقبال فى
تفسيره للآية القرآنية : « انا كل
شء خلقناه بقدر » (القمر : ٤٩) :
يعنى أن كل مخلوق قد وهب امكانية
محدودة هو حر فى تحقيقها أو
عدم تحقيقها : وفى حدود
محدودة ضيقة يتصرف الانسان • •
ولكن هذه الحدود الممنوحة
للانسان على ضيقها تشمل مصيره
كله •

وعلى هذا فالانسان محدود
وحر معا ، وهو خاضع للضرورة
الا انه يتغلب عليها ببعض الامكانيات
الممنوحة له •

« ولا تمش فى الأرض مرحا
انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ
الجبال طولا » (سورة الاسراء :
٣٧) •

ومن ثم كان التأثير الانسانى فى
التاريخ مجهودا فرديا ولكن النتائج
النهائية للتاريخ الانسانى تكون فى
الأغلب صنعا الهيا • • • اذ الانسان
لا يملك الا ارادته وحرية وفعله ،
وبها يتصرف فى نطاق محدود بينما

الله على هذا الاستعمال • • فالتاريخ
على هذا نسيج مشترك من حرية
الانسان وسلطان الله المطلق • وكثيرا
ما يشير القرآن الكريم الى الماضى
باعتباره شاهدا على ارادة الله
وقدرته النافذتين فى شئون الناس •

« وجعلنا من بين أيديهم سدا
ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم
لا يبصرون » (يس : ٩) •

« قل هو القادر على أن يبعث
عليكم عذابا من فوقكم أو من
تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا
ويذيق بعضكم بأس بعض انظر
كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون »
(الانعام : ٦٥) •

« وكأين من قرية امليت لها وهى
ظالمة ثم أخذتها والى المصير »
(الحج : ٤٨) •

« وكم قصصنا من قرية كانت
ظالمة ، وأنشأنا بعدها قوما آخرين »
(الأنبياء : ١١) •

وأيا ما كان الأمر فالانسان يعلم
عن يقين ان هناك قوة أعظم من
نفسه هو مسئول أمامها • • وقد
علمته التجربة انه كثيرا ما يعقد
العزم على الفعل ولكنه لا يتمكن

للمحافظة على النفس وللتمييز بين الصواب والخطأ ، وهذا الاستكشاف فى نطاق الضرورى لا يمكن أبدا أن يكون عاصما للانسان من أن يضل أو يتخبط فى ظلمات الغواية أو الجهل اذا خلى بين الانسان وبين عقله وحواسه المحدودة دون هداية يتلقاها من الله .. ومن ثم فقد احتيج الى الوحي لتصحيح ضلال عقله وزيف ارادته •

ولكن الخطأ الفردى وثيق الصلة الى حد كبير بالكل الاكبر الذى ينتمى اليه هذا الفرد البشرى .. فكان لا بد أن يكون الوحي الالهى غير قاصر على هداية الفرد وحده بل وجب أن يشمل هداية المجتمع الانسانى جميعه .. ومن أجل ذلك تعين أن يكون للمجموع البشرى قيادة هى الدولة نفسها وكان لا بد أن تكون لهذه الدولة قوة مقومة رادعة حتى تمنع التأثير السيئ للفرد الضال على مصير الجماعة كلها •

والدولة فى رأى الشيخ محمد عبده انما هى تجربة حتمية لوضع مبادئ الله المثالية فى أشكال

مسار التاريخ الانسانى العام يرتبط الى حد كبير بالقوانين والنظم الالهية العامة التى تسير الكون بأجمعه ، ولهذا فالمصير العام للبشرية لا يملك فرد واحد من مجموعة البشر أن يحددها أو يتصرف فيه .. لأن الله ينفذ مشيئته فى الحياة عن طريق دفع الناس بعضهم ببعض •

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين » (البقرة : ٢٥١) •

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع ويبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » (الحج : ٤٠) •

ومع ذلك ففى هذا التدافع التاريخى يستطيع الانسان أن يهتدى بالتجربة الى سبيل الحق والصواب .. فقد وهب له الله الحس والعقل ، وفى هذين الكفاية ليستكشف بهما ما هو ضرورى

مكانية وزمانية .. فى تنظيمات
انسانية محددة .

الى هنا والاسلام لا يحتم دولة
ثيوقراطية فالخليفة أو القائد لا يدعى
هنا بأنه يستمد سلطته المطلقة من
الله ، وانما هو حاكم دنيوى ينفذ
قوانين لها طابعها الدنيوى الصرف
يصرف النظر عن مصدر تشريعها .
وهو - أى الحاكم - فى نفس
الوقت خاضع لرقابة المحكومين
أنفسهم اذا هو حاد عن تنفيذ هذه
القوانين جانحا الى هواه الخالص أو
ارادته المطلقة .. والخليفة عمر
ابن الخطاب قد حث المسلمين فى
خطبه أن يقوموه اذا أخطأ أو حاد .

والقداسة الالهية انما هى للقوانين
لا للحاكم الذى لا يعدو أن يكون
بشرا عاديا لا ميزة له ولا خاصية
سوى امكانياته الشخصية البحتة
التي جعلت منه كفتا لقيادة الجماعة
.. وهذه الامكانيات شخصية
مكتسبة وليست ممنوحة أو
موهوبة .. ولهذا أصر الاسلام على
ألا يجعل صلة من أى نوع بين
المسلم وربه فشعائر العبادات انما
يؤديها الفرد لربه بلا واسطة أو

رقيب أو دافع سوى ضميره ورغبته
الخالصة . والحاكم ليس له حق
التدخل فى افعال الفرد الا ما كان
منها له صلة بعلاقة هذا الفرد
وجماعته ..

والاسلام قدر عنايته بالفرد
الانسانى اعتنى أيضا بالجماعة
الانسانية فارتباط الانسان بجماعته
يهيئ للحيوات الفردية وضعاً
اجتماعيا هو نوع من الاخوة يشعر
معها الفرد بتزايد فى القوة والامن،
ويخلق عنده مجالا للوعى الجماعى
المشترك .. وهذه الاخوة وهذا
الوعى ينتج عنهما نوع من الترابط
الانسانى يتجاوز حدود الوطن
المحلى او الجنس المحدود .

ومن هنا كانت الامة او الجماعة
التي يريد بها الاسلام ذات طابع
متحرك ومن شأن حركتها ان تكون
مثابرة لا تكل نحو خلق مجتمع
عالمى أو حركة نامية لا يقف لها
نمو قبل أن تشمل العالم جميعه
فينتظم فيها سكانه بأجمعهم ينظم
شئون حياتهم قانون دائم الصلاحية
.. قانون لا يعرف حدودا فى
الزمان او المكان .. قانون دولى ..
عام .

منزلة السنة في التشريع ..

والرد على مفتريات ضدها

فضيلة الشيخ حسيني عرابي عطوة

ومنهم من يقول في القرآن
برأيه •

ومنهم من يريد نقض قانون
الله سبحانه في الميراث •

ومن المسلمين المتحمسين من
سائرهم في توجيه اتهامات التقصير
للعلماء •• أمشاج وأخلاط ••
اتحدت أصواتهم في الهدم واختلفت
في العلاج والبناء !

لذلك كان لزاما علينا أن ندافع
عن السنة باعتبارها مصدر التشريع
الثاني بعد القرآن الكريم ، ومن هذا
المنطلق نحصر الكلام عن السنة
— على تعدد مناحيه — في هذه
الاتجاهات :

تعريفها ، وحجيتها في التشريع ،
ومقامها منه ، وعلاقتها بالقرآن
الكريم •

الصراع بين الحق والباطل
قديم ورهيب ، والذي يمثل الحق
هو الاسلام دون سواء ، لذلك
نجد المذاهب الالحادية واللا دينية
تجمعت ضده ، ولما يئست الشيوعية
الآن من مواجهة الاسلام مواجهة
علنية ، لبس الشيوعيون ثوب
المسلمين ، وقالوا : لا مانع من أن
يكون المسلم شيوعيا ، وأخذوا
يثيرون الشبه ضد الاسلام بلسان
المسلمين ، فمنهم من يتباكى على
الدعوة ويحمل رجالها أوزار
الانحرافات الفكرية المتطرفة ، وهم
الذين خلقوها ودبروها وتولوا
كبرها •

ومنهم المشكك في الأخذ بالسنة
والاحتجاج بها •

ومنهم من يتحدى مرويات
أبي هريرة •

سبحانه بقوله : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »
الآية ٤٤ من سورة النحل •

وأمر الأمة بالرضوخ لأمره ،
وعدم التمرد على قيادته ، وحذر
من ذلك فقال : « وما أتاكم الرسول
فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ،
واتقوا الله ان الله شديد العقاب »
الآية ٧ من سورة الحشر •

وجعل طاعته صلى الله عليه وسلم
عينا لطاعة الله عز وجل ، فقال
سبحانه : « من يطع الرسول فقد
أطاع الله » • الآية ٨٠ من سورة
النساء • بل جعل له طاعة على سبيل
الاستقلال فقال : « وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول واحذروا فان
توليتهم فاعلموا أنما على رسولنا
البلاغ المبين » • الآية ٩٢ من سورة
المائدة •

وقال سبحانه : « فليحذر الذين
يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم » • الآية
٦٣ من سورة النور

تعريف السنة : السنة فى اللغة •
الطريقة حسنة كانت أو سيئة ، ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم « من سن
سنة حسنة فله أجرها وأجر من
عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن
سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيامة » •

وقد تطلق على ما يقابل البدعة •
وهو المشروع مطلقا سواء كان ذلك
بكتاب أو أثر •

والمراد بها فى بحثنا هذا ما نسب
الى النبى صلى الله عليه وسلم من
قول أو فعل أو تقرير •

الاحتجاج بها فى التشريع

مما لا شك فيه — ويحمل معه
اليقين كل اليقين — ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، هو المرجع
المعصوم عن الخطأ فى الفقه فى
كتاب الله عز وجل ، والوقوف على
حقائقه ، وبيان مجمله ، وتوضيح
مشكله ، وتخصيص عامه ، وتقييد
مطلقه ، وقد أعطاه الله سبحانه
تلك الصلاحيات بالنبوة والعصمة
وعدم اقراره على الخطأ فى دين الله

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم
وأنتم لا تشعرون » الآية ٢ من
سورة الحجرات •

وأفاضل الأئمة وكبار العلماء
— فى سائر العهود — تمسكوا
بالسنة ، لأنهم عرفوا وآمنوا بأن
التمسك بها هو تمسك بكتاب
الله والعمل بها انما هو عمل بكتاب
الله عز وجل •

قيل لمطرف بن عبد الله : لا
تحدثونا الا بالقرآن ؟

فقال : والله لا نبغى بالقرآن
بدلا ، ولكننا نريد من هو أعلم
منا بالقرآن — يقصد رسول الله
صلى الله عليه وسلم •

ولقد ذكر عبد الله بن مسعود •
حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لعن الله الواشمات
والمستوشحات ، والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق
الله » •

فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد ،

فقد دلت هذه الآيات — وغيرها
فى القرآن كثير — على مقام السنة
فى التشريع ، وحجيتها ، ووجوب
الرجوع اليها واعتبارها ، وأولئك
الفضلاء من أولى العلم • الذين
يحثون على ذلك ، انما يستشعرون
تمسكهم بها كالتمسك بكتاب الله
عز وجل ، ويعتبرون عملهم بها عملا
بكتاب الله سبحانه ، وتعطيهم لها
تعطيلا لكتاب الله جل وعلا •

وقد نبه القرآن الكريم على
أن اتباع السنة مرعاة لبلوغ حب
الله جل جلاله ، ومحقق لمغفرة
الذنب ، فقال : « قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
رحيم » (الآية ٣١ من سورة آل
عمران) •

بل جعل القرآن الكريم رفع
الصوت على صوت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وعلى سبيل
التوسع بما يشمله التمرد على
كتابه وعدم الازعان لأمره •
محبطا للعمل ، موبقا فى الاثم ،
فقال : « يا أيها الذين آمنوا

ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا »
الآية ٣٦ من سورة الأحزاب •

والسنة • هي التي جاءت
مبينة لما أجمل من الأحكام في
الكتاب : كالصلاة ، والزكاة ،
والحج ، والصوم ، والطهارات
والذبائح ، والانكحة • وما يتعلق
بها من الطلاق ، والظهار ،
واللعان ، وغير ذلك •

وهو داخل تحت قوله تعالى :
« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس
ما نزل اليهم » •

وروى الأوزاعي عن حسان بن
عطية قال : كان الوحي ينزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر
ذلك ، فلم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يصدر عنه من
قول ، أو فعل ، أو تقرير • • الا
مبلغا عن الوحي ، خصوصا في
كل أمر يتصل بالدين ، حتى ولو
كان في دائرة الأخلاق ، أو الاجتماع
« وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا
وحي يوحى » الآيتان ٣ ، ٤ من
سورة النجم •

فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، بلغني
أنك لعنت كيت وكيت ؟

فقال : وما لي لا ألعن من لعنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو في كتاب الله ؟

فقلت المرأة : « لقد قرأت ما بين
لوحى المصحف ، فما وجدته » •

فقال : لئن كنت قرأته لقد
وجدته • قال تعالى : « وما
أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم
عنه فاتتهوا » •

وروى أن طاووسا : كان يصلى
ركعتين بعد العصر ، فقال له ابن
عباس : اتركها ؟

فقال : انما نهى عنهما أن تتخذا
سنة •

فقال ابن عباس : قد نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد
العصر ، فلا أدري أتعذب عليهما
أم تؤجر ؟ لأن الله تعالى قال :
« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا
قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم
الخيرة من أمرهم ومن يعص الله

ففى حديث معاذ بن جبل :
بم تحكم ؟

قال : بكتاب الله .

قال : فان لم تجد ؟

قال : بسنة رسول الله .»

وعن عمر بن الخطاب . . أنه
كتب الى شريح القاضى ، « انظر
ما تبين لك من كتاب الله فلا تسأل
عنه أحدا ، وما لم يتبين لك فى
كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم » .

ومثل هذا كثير فى كلام السلف
والعلماء - وما فرق به الأحناف
بين الفرض والواجب فى مذهبهم .
مبنى على تقديم الكتاب على
السنة .

علاقة السنة بالقرآن : تقدم
الصلة بين السنة والقرآن على
أمور :

١ - أنها تأتى موافقة للكتاب
فتكون جارية مجرى التأكيد .

ومن ذلك مثلاً قوله صلى الله
عليه وسلم : « لا يحل مال امرئ
مسلم الا بطيب نفسه » فانه يوافق

بل ان الأوزاعى قال : الكتاب
أحوج الى السنة ، من السنة الى
الكتاب ، وذلك لأنها تبين المراد
منه . . ولكنى أقول بأن قصد
الأوزاعى من حاجة الكتاب الى
السنة انما هو الشرح والبيان
فحسب ، لأن المثل الأعلى لله دون
سواه ، ولولا الكتاب لما كانت
السنة .

وقصارى القول وأحمد أن
حجية السنة من ضروريات الدين
التى أجمع عليها المسلمون ونطق
بها القرآن .

مقام السنة فى التشريع : ومقام
السنة فى التشريع لا يتجاوز أن
يكون فى المرتبة الثانية بعد كتاب
الله عز وجل ، وذلك نظراً لأن ثبوت
الحكم بالكتاب قطعى ، وثبوته
بالسنة فى جملة ظنى ، الا اذا
كانت سنة متواترة ، او ما يبلغ
درجة المتواتر من المشهور على رأى
علماء الأحناف . . ومع ذلك فهى
بعد القرآن دائماً وأبداً ، ويشهد
لذلك الأخبار والآثار .

قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » الآية ١٨٨ من سورة البقرة •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله فى النساء ، فانهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » • • فهو جار مجرى التأكيد لقوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » •

وقوله تعالى : « وأخذن منكم ميثاقا غليظا » •

٢ - أنها مبينة للكتاب فتفصل المجل ، كالأحاديث الواردة فى الطهارة والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والذبايح ، والأنكحة • • وما يتعلق بها من الطلاق • • الخ •

وتوضح المشكل كتفسيره صلى الله عليه وسلم للخيط الأبيض والخيط الأسود فى قوله تعالى : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (الآية ١٨٧ من سورة البقرة) بأنه بياض النهار ، وسواد الليل •

وتخصص العام : وذلك مثل تفسيره صلى الله عليه وسلم للظلم فى قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » الآية ٨٢ من سورة الانعام •

فعمم بعض الصحابة فى مفهوم الظلم ، وقالوا : « وأينا لم يظلم ؟ » •

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس بذاك ، وانما هو الشرك » •

وتقيد المطلق : كبيان المقصود من « اليد » فى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » (الآية ٣٨ من سورة المائدة) حيث بينت السنة بأن المراد : اليد اليمنى ، وأن القطع من الكوع ، وأن المسروق نصاب فأكثر من حرز مثله •

٣ - دلالتها على حكم سكت عنه القرآن : وذلك كحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » •

وبقى بعد ذلك من كان من
العصبة غير هؤلاء المذكورين ،
كالجد ، والعم ، وابن العم ، وابن
الأخ وأشباهم فبينته السنة :
فقال صلى الله عليه وسلم :
« ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى
فلأولى عصبة ذكر » فشمّل هذا
ما بقى مما يحتاج اليه ، بعد
ما نبه القرآن الكريم على
أصله •

٣ - انها ترد ناسخة لحكم
ثبت بالكتاب •• كقوله صلى الله
عليه وسلم : « لا وصية لوارث »
فانه نسخ آية الوصية للوالدين
والأقربين الواردة في سورة البقرة
« كتب عليكم اذا حضر أحدكم
الموت ان تترك خيرا الوصية للوالدين
والأقربين بالمعروف حقا على المتقين »
الآية ١٨٠ من سورة البقرة •

وكقوله صلى الله عليه وسلم :
« البكر بالبكر جلد مائة وتغريب
عام » نسخ آية سورة النساء :
« واللاتى يأتين الفاحشة من
نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة
منكم فان شهدوا فأمسكوهن فى

فان الوارد فى القرآن الكريم
حرمة الأم التى أرضعت ، والأخت
من الرضاعة فحسب ، فجاءت
السنة وألحقت بهما سائر القربات
من الرضاعة ، كالقربات المحرمات
من النسب •• ثم ألحقت بالاناث
الذكور ، لان اللبن للفحل ، فاذا
كانت المرأة بالرضاع أما فالذى له
اللبن أب •

ومثل ذلك بيان السنة لبقية
العصبة التى سكت عنها القرآن فى
الميراث ، فذكر الله الفرائض مقدرة
لأهلها ، ولم يذكر ميراث العصبة
الا فيما أشار اليه بقوله فى الأبوين
« فان لم يكن له ولد وورثه أبواه
فلامه الثلث » •

وبقوله فى الأولاد : « للذكر
مثل حظ الانثيين » •

وبقوله فى آية الكلاله : « وهو
يرثها - أى أخوها - ان لم يكن
لها ولد » •

وبقوله فى سائر الاخوة العصبة
« وان كانوا اخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين » •

للقرآن الكريم ، ومقاصده :
أحكام لم ينص عليها فى القرآن ،
ما كان لنا أن نكتشفها ، لولا نور
الرسالة وهدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما مر فى الأمثلة
السابقة .

وان هؤلاء الذين يتناولون على
السنة اليوم : فهم المقلدون
لاخوانهم الذين ضلوا من قبل ،
وهذا كله لا يحدث الا ابان المحن ،
وانصراف الأمة عن دينها ،
واشتغالها بما يزعم رأى العام ،
ويشيع الفرقة بين المسلمين ، وفى
زمن كهذا تمتحن فيه الأمة بالشدائد ،
يطفو على السطح غشاء الفكر ،
وزبد الرأى ، وأعداء الاسلام فى
كل عصر يستغلون تلك الظروف
القاتلة .

فقد استغلها فى القديم الرافضة ،
والجهمية ، والخوارج ، فى
مخالفة أهل الاجماع ، فالروافض
ردوا حيث « نحن معاشر الأنبياء
لا نورث ، ما تركناه صدقة » بعموم

البيوت حتى يتوفاهن الموت أو
يجعل الله لهن سبيلا » الآية ١٥
من سورة النساء .

وهذا رأى الأحناف الذين
يقولون بأن الزيادة على الكتاب من
قبيل النسخ .

واعترض على ذلك الامام
الشافعى ، كما هو معروف فى
كتب الأصول ولسنا فى حاجة الى
بسطه .

وانه مما ينبغى أن يعلم بأن السنة
ليست مستقلة فى التشريع عن القرآن
الكريم استقلال الشئ المبين
لغيره ، لأن كتاب الله لم يترك
صغيرة ولا كبيرة « اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى »
الآية ٢ من سورة المائدة .

ولكن ارتباطها بالقرآن ارتباط
الشرح بالمشرح ، ومع كل هذا
فلا يغيب عن أذهان العقلاء دورها
الخطير ذو البال فى الاسلام ، اذ
أنه ثبت بها على سبيل الاستقلال
فى التشريع داخل الدائرة العامة

الشيوعية لا تتعارض مع الاسلام ،
وسمحو لأتفسهم باعلان ذلك
الشعار ، ووجدوا وراءهم من النابتة
المسمة للفكر من يتجارب مع
أصدائهم ، ولما رأوا المعقل حصينا
أظهروا الاسلام مع استبطانهم
للكفر شأن اخوانهم في كل زمن ،
وأخذوا يشككون في حقائق
الاسلام .

فأول ما اتجهوا اليه ارادة حصر
الاسلام في القرآن ، ومعنى ذلك
الاطاحة بالجانب العملى للاسلام
الذى بينته السنة ، ولا يخفف من
الخطر احتواء القرآن للسنة ولكنه
احتواء على سبيل الاجمال وقد
بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما بوحى ، أو اجتهد ، لا يقره
الله فيه على الخطأ ، وبهذا الذى
تظاهروا على المضى فيه يتحول
الاسلام الى دين متجمد يفقد
الحركة ولا يقوى على الصمود ،
وكل شيء ثبت بالسنة ينسى بالهجر
والترك .

فمثلا : لا يحرم الزواج بالرضاع ،
الا بما قال القرآن الكريم فقط

قوله تعالى : « يوصيكم الله فى
أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين »
الآية ١١ من سورة النساء .

وأنكر الجهمية أحاديث الصفات
بقوله تعالى : « ليس كمثله شيء »
وهو السميع البصير .

ورد الخوارج أحاديث الشفاعة
بقوله تعالى : « يا أيها الذين
آمنوا أفنقوا مما رزقناكم من قبل
أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة والكافرون هم
الظالمون » الآية ٢٥٤ من سورة
البقرة .

وكذلك ردوا الأحاديث الدالة
على خروج أهل الكبائر من النار
بما فهموا من آيات الوعيد فى
القرآن .

واستغل الشيوعيون واللاحاديون
عزل الشعب عن دينه ، وأنشأوا
لهم مدارس قامت على ما يسمى
بالفكر الاشتراكي ، ولما وجدوا
الشعب حريصا على دينه ، ولن
يقبل التحول عنه ، ادعوا بأن

حوادث مهمة كالأذان ، وتغيير
القبلة ، والصوم ، والفرائض ،
والأحكام - وكلها قائمة على خبر
الرجل الواحد •

والمعول عليه ، فى صاحب الخبر
الواحد: ورعه ، وحفظه ، ودقة
ضبطه ، وأمانته •

وليس كأصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، ومن تبعهم ، ومن
كانوا لهم تبع ، فقد مدحهم الله
سبحانه فى كتابه ، وشهد لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بإلهدى ، والإيمان !

ومن مقولاته فيهم : « الله الله
فى أصحابى ، لا تسبوا أصحابى ،
ولا تتخذوهم غرضا من بعدى ، فلو
أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ
مد أحدهم ولا نصيفه » البخارى •

وفى نفس القصد الخبيث الذى
يحمل الضراوة على السنة •• طعنوا
فى مرويات أبى هريرة رضى الله عنه
متعللين بكثرتها مع تأخر اسلامه ،

- بتحريمه : من الأم ، والأخت ،
وما ثبت بالسنة ينقض ولا يعمل
به ، ويجمع فى الزواج بين البنت
وخالتها وبناتها ، وبين عمتها ، لأن
حرمة ذلك ثبتت بالسنة - فى
رأيهم ولم تثبت بالقرآن ••
وهكذا حتى تفقد معظم أحكام
الاسلام من وراء ذلك الاتجاه
الخطير !!

والليالى من الزمان جبالى
مقلات يلدن كل عجيبه

فلما وجدوا المقاومة عنيفة
والصمود قويا أخذوا يشككون
فى ميراث الامة من السنة النبوية
المطهرة وقالوا : بأن أكثر الاحاديث
أحادية وهم يدورون حول قصدهم
الاول بأسلوب آخر •

وأحادية أكثر الحديث - كما
يقولون - لا تبرر ترك السنة ،
وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكتفى فى امور دينية مهمة برجل
واحد •

وقد عقد البخارى فى أواخر
صحيحة بابا خاصا ذكر فيه بضع

منكرين فضل الله على من يشاء من عباده !

وقد أقنع أبو هريرة بروايته المعاصرين له ، الذين كانت غيرتهم على الدين ، خالصة لله تريد البناء ، والمجد للإسلام ، فقال فيما يرويه البخارى : « انكم تقولون : ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : ما بأل المهاجرين والانصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبى هريرة وان اخوتى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى ، فأشهد اذا غابوا ، واحفظ اذا نسوا ، وكان يشغل اخوتى من الانصار عمل أموالهم ، وكنت امرءا مسكينا من مساكين الصفة أعى حين ينسون !

» وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه : لن ييسط أحد ثوبه حتى أقضى مقالتي ، ثم يجمع اليه ثوبه ، الا وعى ما أقول ، فبسطت ثوبى حتى اذا قضى رسول

الله صلى الله عليه وسلم مقالته جمعتها الى صدرى فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شئ » رواه البخارى - وهو يدل على قوة حفظه ، وتفرغه ، وأن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم شملته بخبر اختص به .

وفى نفس عدواتهم للسنة بأسلوب آخر ، وهو تأخر تدوينها الى عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وأخذوا من نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة فى بدء نزول الوحي حتى لا تختلط بالقرآن ، وتناسوا أنه صرح لهم بالكتابة حال حياته - صلوات الله عليه وسلامه - بعد أن وعى القرآن الكريم صدورهم ، وانطلقت به ألسنتهم ، وتربت عندهم الملكة التى يفرقون بها بين القرآن وغيره !

ولغوا وأكثروا من الهذيان وتمسكوا بما رواه الامام مسلم فى صحيحه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تكتبوا عنى

بمواهب حفظ بها الاسلام بحفظ كتابه ، ورعاية سنة نبيه ، الشارحة له ، ومع ذلك فقد صرح - صلوات الله وسلامه عليه - لهم بالكتابة فى الوقت المناسب ، وحال حياته المباركة فقد روى الامام احمد بقوله :

« حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله ابن الأخنس أخبرنا الوليد بن عبد الله بن يوسف بن ماهك عن عبد الله ابن عمرو قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتنى قريش ، فقالوا : انك تكتب كل شىء تسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله بشرتكلم فى الغضب ، والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتب فوالذى نفسى بيده ماخرج منى الا حق » المسند ج ٢ ص ١٦٢ ورجاله رجال الصحيح عدا الوليد ابن عبد الله ، وقد نقل الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب ص ١٣٩

غير القرآن ، ومن كتب عنى غير القرآن : فليمح ، وحدثوا عنى ولا حرج » •

والتحقيق فى هذا الأمر •• بأن النهى عن كتابة الحديث كان فى أول نزول القرآن خوفا من اختلاط السنة بالقرآن ، وبعد أن ألف الصحابة أسلوب القرآن ووعته صدورهم وترتبت عندهم ملكة التمييز بين القرآن وغيره ، صرح لهم - صلوات الله عليه وسلامه - بكتابة الحديث •

وليس بخاف على أحد أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا فى حفظهم أوعى ممن يكتب ويسجل ، وكم من ضرير لا يبصر ولكنه يسمع ويحفظ ويضبط ويؤمن على الرواية أكثر من مئات المبصرين ، وقد قال تعالى : « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » الآية ٤٦ من سورة الحج •

فوق هذا فقد اختصهم الله

كتبوا لأنفسهم ، أو لبعضهم ..
وكثير من الصحابة كانت لهم
صحائف تضم ما يسمعون من
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الحديث ، كصحيفة جابر بن عبد
الله وسمرة بن جندب ، وكتب ابن
عباس لابن أبي مليكة .

وبذلك يبطل مدعاهم بأن الحديث
لم يدون في القرن الأول ، إذ من
المعلوم بأن ابن عباس توفي
سنة ٦٨ هـ .

وتوفي المغيرة بن شعبة سنة
٥٥ هـ .

وتوفي معاوية سنة ٦٠ هـ .

وتوفيت أم المؤمنين عائشة سنة
٥٧ هـ .

وقد شرح الله سبحانه صدر
عمر بن عبد العزيز لجمع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك على رأس المائة فكتب الى
أبي بكر بن محمد عامله وقاضيه
على المدينة : « انظر ما كان من
حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاكتبه فاني خفت دروس
العلم ، وذهاب العلماء .. » وكذلك

فيه عن ابن معين قال : ثقة ،
وذكره ابن حبان في الثقات .

وقد تكررت الأحاديث في هذا
المعنى في المسند ، والمستدرک على
الصحيحين من طريق ابن وهب .
وقد كان الصحابة - رضوان
الله عليهم - يكتبون لبعضهم بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولأنفسهم فكان للإمام علي صحيفة
يقيدها السنة .

وكذلك لعبد الله بن عمرو بن
العاص وكان يسمى صحيفته :
بالصادقة ، وقد شهد له أبوهريرة :
بأنه من المكثرين في الحفظ
والرواية ، وبأنه كان يكتب
الحديث وهو ما كان يكتب .

وقد كتب المغيرة بن شعبة
حديثا لمعاوية بناء على طلبه .
وكذلك كتبت السيدة عائشة
له بناء على طلبه .

ولولا اجازة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكتابة حديثه بعد
النهي الذي نسخ بالاجازة بعد
زوال العلة التي من أجلها كان
النهي - لولا ذلك لما قيدوا ، ولما

كتب الى عماله فى امهات المدن
الاسلامية •

وهذا العمل كان قاعدة صلبة
ونواة طيبة لجمع احاديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء
أكابر علماء القرن الثانى وبنوا
عليه ، فنبغ منهم امام دار الهجرة
مالك رحمه الله ، وحماة بالبصرة ،
وسفيان بالكوفة ، والأوزاعي
بالشام ومعر باليمن ، وابن المبارك
بخراسان •

ثم جاء القرن الثالث فولد معه
الشيء الجديد ، وهو التخصص
فى فنون الحديث ، والاشتغال
بدراسة رجاله ، وكشف صحيحه
من سقيم ، نبغ منهم : البخارى ،
ومسلم ، وغيرهما ••

وهذا القرن يعتبر أكثر القرون
عطاء لسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففيه ظهر كبار المحدثين
وجهاذة المؤلفين وحذاق النقاد وفيه
أشرقت شمس الكتب الستة التى
جمعت صحيح الحديث ، ولم يفلت
منها الا النزر اليسير ، وهى المصادر

المأمونة للمستنبطين ، لا تقاربها
شبهة ، ولا تلف بها بدعة ، وعلى
ضوءها يؤمن العثار ويتوقى الزلل •

ومن هنا تتهاوى تلك الشبه ،
وتنجاى هذه الغيوم ، ويتضح الحق
فى مقام السنة من التشريع
الاسلامى •

وصدق الله سبحانه اذ يقول :
« بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق » الآية ١٨
من سورة الحج •

وصدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى قوله : « يوشك رجل
منكم وهو متكى على أريكته
يحدث بحديث عنى ، فيقول :
بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا
فيه من حلال استحللناه ، وما
وجدنا فيه من حرام حرمانه ، ألا
وان ما حرمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل الذى حرم الله » •
رواه الحاكم فى المستدرک عن
المقدم بن معد يكرب •

والله يقول الحق وهو يهدى
السبيل •

حسينى عرابى عطوة

أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية

للدكتور توفيق محمد شاهين

الذى انفصل عنه ، يقول : « من الممكن جدا تعيين دلالات هذه الحروف - حروف الجدول الهجائي الذى سبق ذكره - بأصواتها حين كانت لغة ، على شئ من الافتراض المقلوب وسبيل هذا التعيين المعلات مطلقا ، وبالاخص منها اللفيف فى العربية ، سواء أكان لفيفا مقرونا أو مفروقا .

وليس اعتمادها بأخذ معانيها المعجمية على وجه التحديد ، وانما بأن تنتقل منها بالمقارنة الى ما هو الأدخل فى تفكير الساذجين واعتباراتهم » (١) .

واذا لاحظنا العلاقة البينة بين المعتل والمضاعف ، والمضعف الرباعى والمهموز ، فى مثل : (عبي ، عب ،

وقد بدت وجهات نظر حول بعض طرق « الثنائية » من المحدثين المؤيدين لها ، فأحدثت اعتراضات وجدلا :

* فأكثر الألفاظ الثنائية يرجع - عند الشيخ العلايلى - الى المعلات ، اذ يرى المعلات من بقايا العصور السحيقة ، ولذا لم تخضع للوضع النظامى ، فكانت وليدة فوضى الوضع القديم ، قبل الوضع الثابت ، وهى بذلك بداية فى دور النضج اللغوى كما جاء فى (مقدمته) .

ولذا فالشيخ يدعونا الى اتخاذ هذه المعلات المحفوظة فى المعاجم المختلفة عدة لفهم الثلاثى على وجهه الصحيح ، لأنه الأصل التاريخى

ععب ، عبأ) تأكد لنا أيضا صحة ما يراه الشيخ •

والدكتور عبد الصبور شاهين يرى أن « اعتبار المعقل ثنائيا اتجاه سليم من الناحية الصوتية » (٢) •

وحين قال الشيخ العلايلي باتخاذ المعلات المختلفة عدة لفهم الثلاثي على وجهه الصحيح أدخل في اعتباره الثلاثي الصحيح أيضا فاضطره ذلك الى التكلف •

فحين تتأمل وجهته في مادة (عبل) • تجده جعلها متفرغة من (علا) المعتلة ، وأصلها (عل) أما الباء فهي عين الكلمة مكنوفة بالفاء واللام ، كأنهما سياج لها فسلمت من الحذف ، مع أنها الحرف المحشو المزيد ، وبذل الحرف المعتل للعوارض حتى حذف : فكان حرف الباء الصحيح المحشو تعويضا عن حرف العلة الساقط المحذوف • ولو أسقطنا حرف الباء المزيد قياسا على سقوط الحرف المعتل لظهرت لنا الكلمة

الثلاثية على صورتها الثنائية الحقيقية ، فإذا هي (عل) فقط •

فأي جامع يجمعها بعد هذا بهاتين المادتين الى الطريق الطبيعي ، لو أرجعنا (عبث) بحذف الباء وهو الحرف الوسط الى (عث) التي هي الثنائي المضعف والتي يكون معلتها (عثا) • وعلى رسلها تعود (عبد) الى (عد) والتي يكون معلتها (عدا) •

ويلق الدكتور ابراهيم نجا على طريقة الشيخ العلايلي هذه بقوله انها : « مبنية على التكلف لأن تطبيقها لا يتم الا بتجريد الحرف الوسط ، الذي هو الباء في المثالين السابقين ثم تناول المادة وفيها المعلات التي وقع فيها الحرفان على ترتيبهما • مع أن تجريد مادة من حروف الوسط انما يكون بمنزلة الحذف والاسقاط لذلك الحرف المحشو ، فكيف يسلم من بنية المادة جزء لا يتجزأ منها ، ثم تظل هذه

المادة معبرة دونه عن غرضها تعبيراً كاملاً» (١) •

أضف الى ذلك أنه سترتب على قول الشيخ العلايلي هذا : «عكس ما ذهب اليه النحاة والصرفيون القدماء : من أن هذه الأفعال المعتلة ترجع في الأصل الى بنية ثلاثية ، سواء أكانت معتلة العين أو اللام فكلمة (قام) من (قوم) ، وكلمة (باع) من (بيع) ، وكلمة (دعا) من (دعو) وكلمة (سعى) من (سعى) ، كما أن الفعل (وعد) ثلاثي لفظاً وتقديراً ! » •

كما أننا نلاحظ « ما في رأى الشيخ من نظرة وصفية يختلف بها عن منطق النحاة التعليمي المعيار ، فقد أرادوا طرد أوزان الأفعال على وتيرة واحدة : توزن بميزان واحد هو (فعل) فحملوا المعتل على الصحيح ، وبنوا مذهبهم على أساس (الخط العربي) الذى يشير الى الصوت الطويل برمز أصلى

مستقل : دون الصوت القصير • كما يخلط بين صوتي الواو اللينة والمدية ، فيشير اليهما برمز واحد ، فى مثل (وعد ، ويقوم) ، وكذلك الياء فى مثل (يسر ، وقيل) ، فكل رمز فى الخط العربى يمثل عنصراً ذا اعتبار فى الأصالة أو الزيادة » (١) •

ولكن يعذر الشيخ العلايلي فى افتراض التصور ، لأن المرحلة قديمة ، وعز الدليل ونذر الشاهد ، ولذا لا مانع من أن تتجاوز عن الوهم القليل اذا أدى الى تصور مقبول يقوده خيال خصب ، من عالم أريب ، وعقل واع حصيف • ومن يطالع المقدمة للشيخ ، ويرى بصره بالعربية ، وثقافته المتنوعة ، يصدقه فيما يتصوره ويقتنع بما يقرره •

ومحاولته الفذة لوضع (معجم لغوى) بديع فائق ، تدل على أهليته لما يرى وتمكنه وجراءته ، وتشهد

(١) فقه اللغة العربية • ابراهيم نجا ٨٦

(١) فى التطور اللغوى ١٠٣

(قم قش) قمش ، بطريق النحت ،
بالغاء القاف الوسطى بطريق
التخفيف (٢) •

والنحت قديم ، عرفته العرب :
ففتحوا الرباعي مثل : عبشم ،
وبسمل ، ودمعز : من عبد شمس ،
وبسم الله الرحمن الرحيم ، وأدام
الله عزك •

كما نحتوا من الثلاثي (ضبط
وضبر) ضبط ، بمعنى الرجل
الشديد ، وصلدم من (صلد ،
وصدم) ••• ففكرة النحت نجدها
قديمة قدم لغتنا ، فهو مسبوق
بها ، ولا شك •

وقرر ابن فارس في المقاييس :
أن الرباعي والخماسي منحوتان
دائما ، مثل : (بحشرى) بمعنى
بدد ، مأخوذ من أصلين : (بحث)
عن الشيء ، و (البشر) وهو ما يظهر
على البدن • ولكن جورجى زيدان
جعل النحت فى الثلاثي والثنائي
أيضا ، وذلك فضلا عن أنه مجاف
لوجهة نظر الاقدمية ، فانه أيضا

بصحة ما ذهبنا اليه فى براعته ،
وتكفينا أدلته الاحتمالية لذلك •

* وللاستاذ جورجى زيدان ،
وجهة نظر أخرى فى ارجاع الثلاثي
الى ثنائي ، أثارت أيضا اعتراضا :
ذلك أنه اعتبر الثنائي ، هو
الأصل لجميع الكلمات ، كراى
القائلين بذلك ، الا أنه انفرد
بارجاع الثلاثي الى أصلين ثنائيين ،
وأخذ منهما على طريق النحت ،
مثلا : (قطف) وهو مفيد للقطع
وللجمع ترجع الى أصلين هما :
(قط) المفيدة للقطع و (لف)
وهو مفيد للقطع وللجمع ترجع الى
المفيدة للجمع • فولدنا منهما بطريق
النحت (قطف) المفيدة للمعنيين ،
على طريق النحت باغفال اللام فى
(لف) ونقل حركتها الى ما قبلها ،
فصارت قطف •

وكذلك : (قمش) بمعنى جمع
ما على الأرض من فئات ، ترجع
لأصلين هما : (قم) بمعنى كنس ،
و (قش) بمعنى جمع ، وتولد من

وتطبيقا على ذلك ، قالوا : ان كلمة (مال) بمعنى مقتضيات مركبة من (ما) الموصولة ولام الجر ، وحذف المجرور • وأصله : (مالى) أى الذى لى ، أو (مالك) أى الذى لك • وكذلك كلمة (ويل) أصلها (وى) ، و (لى) وبهذا الأسلوب رأى فريق من اللغويين : أن ليس مركبة من (لا) النافية ، و (أيس) الدالة على الكون المطلق فى بعض اللغات السامية^(١)

وما رآه جورجى زيدان فى هذا الصدد ، هو جزء من القضايا الخمس التى صدر بها كتابه • نذكرها لعلاقتها الوثيقة بما نحن بصددده وهى :

- ١ - أن الألفاظ المتقاربة لفظا ومعنى هى تنوعات لفظ واحد •
- ٢ - وأن الألفاظ المانعة الدالة على معنى فى غيرها (يقصد الادوات) انما هى بقايا ألفاظ ذات معنى فى نفسها •
- ٣ - وأن الألفاظ المانعة الدالة على

لا يطرد فى مواد كثيرة ، فحكمه غير مبنى على استقراء واسع ، كما ذكر الدكتور ابراهيم نجا ، حين نقده بقوله :

« وما ذكره جورجى زيدان فى ارجاع الكلمة الى أصلين ثنائيين : ان كان لكل منهما معنى فى نفسه ، واذا لم يتحقق ذلك •• فلا يخلو الأمر من أن يكون لأحد الأصلين معنى فى نفسه أولا : فان كان الأصل الذى له المعنى فى نفسه هو الامر فعلا ، وكان الحرف المضاف الى ذلك الأصل زيد اعتباطا - وغالبا ما يكون أحد هذه الأحرف (ل • م • ن • ر) - وأضيف للمبالغة ، أو تنويع الفعل بما يطابق قصده ، نحو : فض ، رفض ، وهب ، لهب • واذا لم يكن لأحد الأصلين معنى فى نفسه بالأول يكون اسما ولا فعلا ، فلا يخلو من أن يكون حرفا فى غالب الأمر ، وقد يكون اسما مفتقرا الى غيره ، أو كان فعلا فى الأصل ولم يعد مميزا الآن •

يردون النحت فى لغتنا ، أو يقللون
منه الى النذر اليسير والندرة :

فالأب مرمجى لا يوافق على
اتصاف الحروف المنفصلة بمعان
خاصة طبيعية ، ولا بالأحادية ولا
بالنحتية فى العربية ، أى نحت
الثلاثى من ثنائيين ، تبعاً لزمع بعض
الاقدمين بأن الرباعى منحوت من
ثلاثيين (٢) .

والأستاذ أنيس فريحة ، يرى
أن « النحت قليل جداً فى لغتنا ، مثل
(ماهية ، ومال) يقول : والوهم
أن تظن أن (حوقل) وأشباهها
منحوتة ، وإنما هى مختصرات
العبارات وجمل ليست كتاباً بالمعنى
اللغوى . ويعترف بالنحت فى لغات
أخرى ، ويشل بكلمة (بيولوجيا)
المأخوذة من BIOS بمعنى
الحياة ، و LOGOS بمعنى
الكلمة أو العلم .

وكلمة (تلسكوب) المأخوذة
من كلمتى TELE بمعنى البعد

معنى فى نفسها يرد معظمها
بالاستقراء الى أصول ثنائية تحاكي
أصواتاً طبيعية .

٤ - وأن جميع الألفاظ المطلقة
ترد قابلة للرد (بالاستقراء) الى
لفظ واحد أو بضعة ألفاظ .

٥ - وأن ما يستعمل للدلالة
المعنوية من ألفاظ ، وضع أصلاً
للدلالة الحسية ، ثم حمل على المجاز
لتشابه فى الصور الذهنية » .

وهو يرمى من ذلك الى اثبات :
« ان لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول
محصورة عدا أحادية المقطع ،
معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات
الخارجية ، وبعضها عن الأصوات
الطبيعية ، التى ينطق بها الانسان
غريزيا » (١) .

واذا أسرف جورجى زيدان فى
القول بالنحت أى نحت الثلاثى
من ثنائيين على رأى البعض فهو
خير - فى نظرى - من الذين

(١) الفلسفة اللغوية ٢٣

(٢) معجميات عربية سامية ١٠٣

والثانية بالاقحام ، والأخيرة بالتذيل ، مثلاً :

الثنائي (نه) ذيل بالراء ، فنجم عنه (نهر) : بمعنى الزجر •

والثنائي (هر) توج بالنون ، فصدر عنه (نهر) بمدلول جرى •

والثنائي (نر) اقحم فيه الهاء ، فجاء منه (نهر) بفحوى أنار وأضاء •

وكذا القول في الأضداد ، مثلاً (طلع) يدل على الظهور والغياب ، فهو على رأينا - ليس بمنحوت من (طل) و (طع) ، بل ان الثنائي (طل) ذيل بالعين ، فصدر عنه (طلع) بمعنى ظهر •

والثنائي (طع) اقحم فيه اللام ، فنجم عنه (طلع) بمدلول اطمأن ونزل والغياب ضرب من النزول والاطمئنان •

فهو لا يرى النحت في أمثال

والمسافة و SCOPE أى مدى الرؤية •

ويضيف بأن الجذور العريية تأبى النحت ، لأنك اذا حذفت حرفاً من الحروف الاصلية أفسدت المعنى •

واذا وفق بعضهم لنحت (برمائى) للحيوان الذى يعيش فى الماء واليابسة و(مدرحية) لتفسير التاريخ على أسس مادية وروحية • فليس معنى هذا اننا نستطيع أن نستفيد من هذه الخاصية اللغوية « (١) • هذا ما ارتآه الأستاذ أنيس فريجة •

ووجهة نظر الأب مرمجى الدومكى (٢) فى رد النحت أننا اذا قلنا : « ان طائفة من الثلاثيات ممكن صدورها عن ثنائيين أو ثلاثة ، حسب اختلاف مداليلها ، فلا نعى بذلك أنها مركبة من ثنائيين منحوتين ، بل انها نتيجة لزيادتين أو ثلاث : الواحدة جرت بالتتويج،

(١) نظريات فى اللغة ٧١ ، ٧٢

(٢) راجع المعجمية العربية فى ضوء الثنائية والالسنية السامية

لمرمجى ١٣٥ - ١٤١

هذه ، ولكن جاء الاكتناز تابعا
لاختلاف المداليل ، كما رأينا بزيادة
الحروف •

ورأى أن هذا القول على
طلاوته ، يحرم العربية من منفذ من
منافذ تنميتها الذاتية ، إذ أن
النحت أو الاشتقاق الكبار - كما
سماه بعضهم - صنو الاشتقاق
بألوانه ، وهو باب عظيم فى تنمية
اللغة ، و « ديناميكيتها » فى الزيادة
والتوليد والنماء •

والقول بندرة النحت ، أو الغائه
كلية من لغتنا قول فج ، لا يستند
الى أساس علمى مدروس ، بل
اعتبره - أنا بعد بحث ودراسة -
من خواص لغتنا وميزة لها فى
الثروة اللغوية كطريق من طرق
الاشتقاق ، كما سماه بعضهم
بالاشتقاق (الكبار) • ولا تقتصر
أمثلته على الستين أو السبعين لفظة
- وهى مع ذلك ليست بالقليلة -
التي وعثها بعض كتب الأدب
واللغة ، بل هو أكثر من ذلك
وأوسع ، لو عالجتنا بابه معالجة

فهم واستثمار • وقد وضع فيه
الأستاذ (اسماعيل مظهر) رسالة
قيمة ، حاول فيها جعل أسسه
وطرقه معبدة وسلسلة كأنها قواعد
وجداول رياضية •

وليس هذا مجال الافاضة أو
الشرح فى هذا الجانب •

ولكننا نقول : بأن محاولة
الأستاذ جورجى زيدان ورأيه فى
النحت ، أضاف على الأقل - سندا
جديدا ، ورصيда يضاف الى أدلة
وأسانيد « الثنائية » •

وحسبه ما ذكر من أمثلة واجتهاد
توضيح جانبا من جوانب الرس
والأصل اللغوى عند وضعه الأول،
أو عند اشتقاقه بعد ذلك •

* أما مزاوّل الثنائية والألسنية
السامية : الأب مرمرجى الدومنى،
فيسلك فى تثبيت دعائم الثنائية
مسلك الاستشهاد والمقارنة بين
أخوات العربية من السامية الأم ،
لمعرفته للغات عديدة (*) •

(*) يرى الأب مرمرجى - والحق فيما رآه - أن المشتغل باللغات =

فهو على سبيل المثال يذكر مادة: (بر) بتشديد الراء ، ويرينا المعاني التي تؤخذ منها فى الاستعمالات والاشتقاقات ، كما جاء فى العربية وأخواتها من السامية :

فمادة « بر » فى العربية بمعنى : الصدق ، والرحمة ، والطاعة ، والرواج ، والقبول ، والقهر ، والصلح ، والصلة ، والتزكية ، والمضى ، والرفعة ، والكثرة ، والغلبة ، وركوب البر ، والملاطفة ، والطاعة ، والتخرج ، والانفراد ، واسم من أسماء الله الحسنى ، واليابسة ، ومقابل البحر

وفى « السريانية » بر ومن معانيها : بر ، صدق ، سذج ، بله ، غبى ..

وفى « العبرية »

فيطوف بالقارىء فى معانى المادة بين المعاجم العربية ، ويظهر اشتقاقاتها ومعانيها الحسية والمعنوية .. ثم يقارنها بمعانيها فى أخواتها السامية .

ثم ينسق ويعلل على كل ما سبق وذكره ، مبينا الرس الثنائى الذى تضمن الفكرة الأولية من المعانى التى وردت للمادة .

ثم يشير الى كيفية اشتقاق المعانى وقربها أو بعدها ، والحقيقى والمجازى منها .

ثم يأتى بأمثلة لما ثلث المادة التى معه ، ويبين عليها كل المراحل التى سبق ذكرها ، منسقا ومعللا ، ويخلص من كل ذلك الى أن الجذر الثنائى واحد ، تدور حوله المعانى ، ومنه أخذت ، وعليه جاء الحرف الزائد

والمفارقات لابد وأن يكون متضلعا فى لغتين أو أكثر ، مع معرفة فقهها وقواعدها ولهجاتها ، فضلا عن معرفة بعض اللسنة غير السامية التى لها علاقة بالعربية ، أو غيرها من الاخوات السامية . وذكر أن مستسيما (من علماء السامية) المانيا هو (١٦٢٤ - ١٧٠٤) كان اختصاصيا بارعا ، وكان يعرف خمسا وعشرين لغة .

غيره مما كان يملؤه ، والتأفة فارغ من
المحتوى الطيب ، والبلاهة حرمان
من العقل • ومن النقاء المادى ينتقل
الى النقاء الأدبى والروحى فى
الفضائل ... وفى مزيد المادة
واشتقاقاتها ، يرجع المعانى الأخرى
الى الفكرة الأولى : فالبر (القمح)
سمى بذلك لاتفصاله عن تبته •
والقمر يلمع على الدنيا نتيجة
الصقل ، والصقل مكمل لعمل
التنظيف والتنقية ...

وبمناسبة ذكر (فر) مقابل
(بر) ذكر الأب مرمرجى : أن كلمة
(فوريم) فى الأكديّة (الأشورية
والبابلية) بمعنى السهم ، أو القطعة
من الأرض ، ويجوز أن يكون
مشتقا من الرس الثنائى السامى ،
وهو (فر ، أو بر) (١) •

وعلى نسق ما جاء فى (بر)
والفكرة الأولية التى تضمنتها ،
تأتى معانى المواد المكتنزة فى :
(برأ) فى العربية ، و (BRA)
فى السريانية ، و (BARA)

ومن معانيها : نظف ، قسم ،
اختار ، صقل ، فحص •

وفى « الحبشية » (BARARA)
ومن معانيها : طهر ، صدق ،

نذ ، نزع ، سرق ...

وفى « الأكديّة » (BARARU)

ومن معانيها : أضاء ، لمع ، تلاؤلأ ،
فحص ، استفهم ...

وفى « الامهرية » ، و « القطرية »
جاء الثنائى (بر) بمفهوم
(قط ، وقد) كما فى المعجم
الدثنى تأليف • (LANDBERG)

ثم يشير التنسيق والتعليق
فىرى :

أن الفكرة الأولية الحسية
المتضمنة فى الثنائى (بر) كما فى
مجانسه (فر) هى فكرة : الشق
والقطع ، والفصل ، والابعاد ،
وهى كامنة أو ظاهرة فى بقية المعانى
على اختلافها فى العربية وأخواتها :
فمن القطع نظافة وصقل ، واختيار
وفحص ، والفارغ منفصل عن

الصرفيون من مجردتها الرباعية - ترجع بسهولة الى ثلاثيات ، فهي - اذن - ثلاثية مزيدة (٢) .
أضف الى ذلك أن الثلاثيات المجردة الشاملة : (المثال ، والأجوف ، والناقص ، والمهموز ، والمضاعف ومكرره) هي بأجمعها قابلة للرد أيضا الى « الرس الثنائي » فيجدر - من ثم - طرحها من مجموع الأصول الثلاثية ، فيبقى السالم وحده ، وهو كذلك حين رد أغلبته الى الثنائي ، مع استمرار المناسبة المعنوية بينهما ، كما هي باقية بين الثلاثي والرباعي ، وبين الثلاثي ومزيداته .

أما البقية الباقية البائن تعذر ردها من الثلاثي الى الثنائي ، فذلك يمكن عزوه الى ضياع الرساس الثنائية ، أو فقدان فحوايها الأولية ، مثلما ضاعت ، أو لم ترد الأصول الثلاثية لبعض المزايدات ، أو المشتقات التي بلغ عددها الثمانئة أو أكثر ، كما جاء في الاحصائيات .

في العبرية ، و (BARU)
في الأكديّة ، و (هبرا) في الفينيقية ،
و (برا) في السبئية .

ومثل (برا) المواد : (برح)
و (برد) (١) .

وبعد دراسة ومقارنة الاحصاءات والمراجع المتنوعة ، وفي شبه قياس منطقي يرى الأب مرمجي : وفرة الاصول والرساس العربية ، وتفوقها عددا على أصول ورساس بقية الألسن السامية ، بل ولعلها أوفر ثروة من لغات العالم أجمع . وهذا قول يحتاج الى مؤازرة واستعانة ودراسة بالحاسب الالكتروني ، لتبيان الحقيقة .

كما يرى ان الاصول الموسومة بالثلاثية والرباعية المجردة ، هي بالحقيقة توسعات اشتقاقية لرساس الثنائية ، التي بها بدأت نشأة اللغة ، وعنهما صدرت جميع المشتقات على تضارب أنواعها :

فالرباعي - مع ما يدعيه

(١) السابق ١٤٤

(٢) راجع : هل العربية منطقية لمرمجي ١٤٥ - ١٥٠

الذى تنتسب اليه فى فروع السامية،
وأماكن تعاورها فى الاستعمال مما
يدل على ذكاء والمعية ، مكنه منهما
ثقافته الواسعة والواعية .

وفى عجلة نسرده بعض أمثلة
لمواد أشار الى رسها الثنائى (٢) :

مادة (بلد والبلدة) بمعنى أقام،
من بلد ، أو لبد (بالقلب) مشتق
من الثنائى « لب » . ومادة « لحن »
من الثنائى (حن) .

ومادة (ملك والملاك) أصله
(مل) بمعنى تكلم ، من باب
الاطلاق ، وتوسع المعنى فوصل
الكلام من باب التقيد .

أما مادة (ملك وملاك) بتخفيف
(ملأك) من لأك أو ألك ، ومنه
ألوكة وملاكة بمعنى رسول ورسالة
فأصله الثنائى (أل) . بمعنى :
أسرع .

ومادة (أدب) من دأب على
سبيل القلب ، وأصله الثنائى (دب)

فالرد الى « الرس الثنائى » هو
الأصل عند الأب مرمجى ، وإذا
لم يتمكن من ذلك يعزوه الى الفقد
والضياع ، كما ضاعت تصاريف
بعض الأفعال فى مثل (يدع ، يذر ،
عسى ، ليس) ، أو أن الخفاء جاء من
خفاء المعنى الأصلى لسبب من
أسباب الضياع والفقد .

ويرى طريق توسع الثنائيات -
كما أسلفنا - بتكرار الحرف الثانى،
أو بالتكرار والمد معا ، أو بزيادة
التاء فى الآخر ، أو بالثلاثة مجتمعة
.. وكل التوسعات المختلفة متضمنة
منطوق « الرس الثنائى » المشتقة
منه ، وقد أحصى منها ثلاثمائة وسبعة
وعشرين رسا (١) .

وعلى هذا النمط الذكى الواعى
فى الضبط والتخريج ، يرد الأب
مرمجى المواد الكثيرة التى تناولها
بالشرح والتأصيل ، الى رسها
« الثنائى » ويشير الى معانيها التى
تنوع اكتنازها ، وينبه على أصلها

(١) معجمات عربية سامية ٧٢ - ٨٠ بتصرف

(٢) راجع معجمات عربية سامية

هذه أمثلة سقناها ، لمزاول
الثنائية ، تدل على سعة أفقه فيما
ينادى به ، وتمكنه فما ارتآه .
ومن شاء مزيدا ، فليراجع - ان
شاء - تأليفه العديدة في هذا
الجانب .

* ومع أن علماءنا العرب
القدامى ، ومعاجمنا العربية لم
تنص صراحة على القول بالأصول
الثنائية كنظرية ، الا أن صنيعها
في التطبيق يشير الى ذلك ضمنا ،
اذ تبين من تتبع كلامهم - كما
أسلفنا - ومن النظر في معاجمنا
الاصيلة - وجود علاقة بين فحوى
المعنى العام للأصول الثنائية ، وبين
الثلاثي المتفرع عن هذه الأصول ،
مسا يدل على أن « الثنائية » ترددت
في أذهانهم كنظرية ، ولمسناها في
أقوالهم ومعاجمهم كتطبيق .

وقد جمع الدكتور امين فاخر
بتتبع وجهد فائق أمثلة كثيرة لذلك
في كتابه : (ثنائية الألفاظ في
المعاجم العربية ، وعلاقتها بالأصول

ومادة (الشعر) من الرس
الثنائي (شع) اذا برز ، وانتشر ،
وتفرق ، وأضاء .

ومادة (وثب) بمعنى قفز وقعد
- على الضد - من (ثب) .
ومادة (ساعور) بمعنى النار ،
من (سع) دعاء للمعزى وتحريض
لها للاقبال ، وتوسع فيه في تسعير
النار .

و (الأب) أصل سامى ، من
الثنائي (أب) مأخوذة من ميل
الطبيعة للأنبات والايلاذ . ومبدله
(أم) - بين الباء والميم -
وكلاهما يدل على الاندفاع الى
الافراع في المواليذ . و(حواريون)
من (حر أو حار) اذا تحرك
وسار .

و (الكاهن والكهنوت) من
(كه) وكهكه اذا تنفس . و(هيمن)
عبرية من (من) والمنة ، اى
القوة . و (الفاروق) سامية ،
للذى يفصل بين الامور ، وأيضا
الشديد الفرع ، من (فق) الدال
على الانفراج والافتتاح .

الثنائية (فى دراسة معجمية
احصائية ، تؤكد ما ذهبنا اليه .

العلو والارتفاع ، كما جاء فى
الجمهرة (٥) .

وهذه أمثلة قليلة تمثل غيضاً
من فيض ، مما جاء فى كتبهم
وقواميسهم :

وعمرك الله : دعاء بطول العمر .
والعومرة : الصياح ، ومنه الاهلال
بالعمره كما ذكر ابن فارس (٦)
والمعتمر أيضاً : المعتم على رأسه .

فمادة (عم) أصل ثنائى يدل على
العلو والارتفاع . وفى « العين »
للخليل بن أحمد : العميم : الطويل
من النبات ، وبه قال ابن فارس (١)
والجوهري (٢) .

وفى (عمق) بالقاف ، معنى
الطول أحياناً : فقد ذكر ابن
فارس (٣) عن ابن الأعرابي :
العمق اذا كان صفة للطريق فهو
البعد . واذا كان صفة للبئر فهو
طول جرابها

وفى الأصول الثلاثة لهذه المادة
نجد المعنى :

وفى مادة (فص) بالناء
والصاد ، ما يدل على الفصل بين
شيئين ، كما ذكر ابن فارس (٨)
والفصوص : مفاصل العظام ،
قال أبو عبيدة : الا الأصابع .
وفص الجرح : سال . وقال :
الجوهري : فص الأمر : مفصله ..
ومعنى الفصل هذا موجود فى
ثلاثى هذه المادة :

ففى (عمد) بالدال رجل عمدان
وعمدانى أى طويل قال أبو
عبيدة : عمدت الشيء أقمته فهو
معمود ، وقال تعالى : « ارم ذات
العماد » أى الطول ، وجاء عند
الجوهري (٣) وابن فارس (٤)
ما يؤيد ذلك .

وفى (عمر) بالراء ما يدل على

٥ (الجمهرة ٣٨٧/٤)

٦ (المقاييس ١٤١/٤)

٧ (المقاييس ١١٤/١)

٨ (المقاييس ٤٤٠/٤)

١ (المقاييس ١٥/٤)

٢ (الصحاح ١٦٣/٢)

٣ (الصحاح ١٥٦/٢)

٤ (المقاييس ١٣٩/٤)

وفى (فصح) بالميم ، وضوح
معنى الفصل ، كما فى سائر المعاجم ،
فصح الشيء كسره من غير أن يبين
وقال تعالى : « لا انفصام لها » .

وفى (فصى) بحرف العلة ، دلالة
على الانفصال أيضا ، يقال : فصيت
الشيء أفصيه فصيا ، اذ أبنته منه ،
كما ذكر ابن دريد (٥) . وقال
الجوهري (٦) : تفصى الانسان
اذا تخلص من الضيق والبلية ،
وتفصيت من الديون اذا تخلصت
منها ، وقال الجوهري ايضا :
افصم المطر ، أى أقلع (٧) . وأفصى
المطر ، أى أقلع (٨) .

ومن العلماء من لم يرتض
القول « بالثنائية » ، وراح
يعترض على القائلين بها ، ولكل
وجهة .

الحديث موصول

(الحديث موصول)

د. توفيق محمد شاهين

ففى (فصح) بالحاء ، معنى
الانفصال ، يقال : فصح اللبن اذا
أخذت عنه الرغوة ، كما ذكر
الجوهري (١) .

وفى (فصد) بالذال ، معنى
الانفصال ، يقال : فصد العرق
والناقة ، اذا قطع العرق ، فخرج
دمه ، كما ذكره ابن دريد وغيره
(٢) .

وفى (فصع) بالعين ، معنى
خروج شيء عن شيء أيضا (٣) . وقال
الجوهري (٤) : فصعته من كذا
تفصيعا ، أى أخرجه فاتفصع .

وفى (فصل) باللام ، وضوح
معنى الفصل ، كما فى سائر المعاجم ،
ومنه الفصيل اذا انفصل عن الناقة
ومفاصل العظام .

- ٥ () الجمهرة ٨٤/٣
٦ () الصحاح ٢٤٧/٢
٧ () الصحاح و (فصح)
٨ () الصحاح : (فصى)

- ١ () الصحاح ٢٤٤/٢
٢ () الجمهرة ٢٧٣/٢
٣ () المقاييس ٥٠٧/٤
٤ () الصحاح ٢٤٤/٢

المحدث الفقيه

الإمام الطحاوي رضي الله عنه

الشيخ موسى محمد علي

امتازوا بمواهب وعبقريات ، رفعتهم
الى الأوج الأعلى من آفاق هذا
العالم ، وسجلت أسماءهم في قائمة
عظماء التاريخ وجهابذة العلم
وأصبحوا نجوما لامعة ، ومصابيح
ساطعة ، تتلألأ في كبد السماء ،
كتلألؤ الجوزاء وتضيء لأهل هذه
الدنيا فتستفيد من نورها المجموعة
البشرية كل حسب مكاتته وعلى
مقداره وبذلك بنوا لأنفسهم مجدا
لا يطرأ عليه التلاشي والنسيان ،
وخلدوا ذكراهم على مر الزمان
وتعاقب الأيام .

وثمة رجال ارتسمت أسماءهم في
كل أفق من تلك الآفاق ، وهم
قليلون للغاية ، شذت بهم طبيعة
هذا الكون ، فكان لهم من نبوغهم
وعظمتهم ما جعلهم أفضاذا في دنيا
الاسلام ، وشواذا لا يمكن أن
يجعلوا مقياسا لغيرهم ، أو ميزانا

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد
لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين سيدنا محمد
الفتاح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ،
ناصر الحق بالحق والهادي الى
صراطك المستقيم وعلى اله وصحبه
ومن سلك طريقه واتبع سنته الى
يوم الدين وبعد :

فان اسلافنا السابقين في الاسلام
رضوان الله عليهم ، لهم أسبقية
الفضل والولاء لديننا الاسلامي
الحنيف ، ما لم يكن لغيرهم ، مهما
طال الزمن ، وامتدت الايام .

« فخير القرون قرنى ، ثم الذين
يلونهم ، ثم الذين يلونهم »

لهذا سجل التاريخ اسماءهم ،
وخلد ذكراهم ، حتى ارتسمت على
كل أفق من آفاق العالم الاسلامي
اسماء رجال منهم معدودين ،

الحموي ، والامام الحافظ جلال الدين السيوطي يقولان : انه من طحطوط ، ولخفة النطق نسب الى طحا •

وقد تعددت في مصر بلاد تحمل هذا الاسم ، منها طحا بوش ، وطحا اليشا ، وطحا العمودين ، وطحا المرج ، وطحا نوب ، والتي كانت مسقط رأسه ، من بين تلك البلاد هي : طحا العمودين ، أو طحا الأشمونين ، بين البحر الأعظم واليوسفي من أعمال منية ابن خصيب ، ويعرفه النسابون بأنه :

أبو جعفر ، أحمد بن محمد بن سلامه ، الطحاوي الحجري الأزدي •

والحجر : فخذ من أفخاذ قبيلة الأزدي ، باليمن ، هاجر منها أجداده بعد الفتح الاسلامي واستقروا في مصر ، وفي رحابها ولد أبو جعفر الطحاوي ، كما يقول السمعاني في الأنساب :

ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين ، وتوفي في ذي القعدة سنة احدى وعشرين وثلثمائة ، وبهذا يكون قد

توزن به مقادير الرجال ، اذ لا يمكنها ان تنال مراتبهم ، وان اشرأت اليها أعناقهم وحدثهم بها نفوسهم •

واذا حق لأمة من الأمم ، أو شعب من الشعوب ، أن يتيه فخرا واعجابا بالنوايح من أبنائه ، ويشيد بفضلهم ، ويعطر الدنيا بشذا عرفهم ، وأريج ذكركم ، فإن مصر في طليعة الأمم التي سعدت بأبنائها الغر الميامين ، الذين تطامن لهم جبين الدهر وحلقوا فوق مناط النجم •

من بين هؤلاء وأولئك جميعا ، من تعقد الخناصر على فضله ، الامام الكامل ، والعالم الفاضل الجليل زين الفضائل ، وزينة المحافل ، بدر الجامع ، وغرة المجالس ، بين يدى الملوك ، والخلفاء ، والأمراء :

أبو جعفر احمد بن محمد ، بن سلامه ، بن عبد الملك الأزدي الطحاوي ، الفقيه الحنفي ، الذي انتهت اليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بمصر •

والطحاوي نسبة الى طحا ، قرية من صعيد مصر ولكن الامام ياقوت

فائقه ، وفضله على كثير من خلق
تفضيلا •

حياته العلمية رضى الله عنه :

تلقى أبو جعفر الطحاوى العلم
وأخذه ، عن هارون بن سعيد الأيلي
وعبد الغنى بن رفاعه ، ويونس بن
عبد الأعلى ، وعيسى بن مشرود ،
وبحر بن نصر ، ومحمد بن عبد الله
عبد الحكم وطبقتهم •

وتلقى عنه وأخذ : أحمد بن
القاسم الخشاب ، ويوسف الميانجى ،
وأبو الحسن محمد بن أحمد
الأخميمسى وأبو بكر بن المقرئ ،
وعبد العزيز بن محمد الجوهري ،
والامام الطبرانى ، وأحمد بن عبد
الوارث الزجاج ، ومحمد بن بكر بن
مطروح ، وجماعة غيرهم •

وقد عاصره رضى الله عنه ، أحمد
بن طولون ، وكان يتردد ابن طولون
عليه لوعظه المفيد ، وتذكيره البليغ ،
كما عاصره كذلك الجيار أبا منصور
الجزرى ، الذى كان أمير مصر فى
ذاك الوقت •

ودخل الجيار يوما على الامام
الطحاوى - كما ذكر ابن حجر -

عمر اثنين وتسعين سنة ، قضاها فى
خدمة العلم والدين ، حتى كان من
خيار السلف الصالح رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين •

كرس رضى الله عنه حياته طوال
عمره لخدمة الدين والمذهب ،
وبهذا استحق مكاتته السامية من
العالم الاسلامى عامة ، وأهل
الحديث والفقه خاصة ، وباتجاه
الغزير العريق لفظا ومعنى ، أصبح
وأسمى علما من أعظم أعلامه ،
ودعامة من أكبر دعائمه ، يذكر
اسمه مع كل تعظيم واجلال ، واكبار
واعجاب ، حتى انتهت اليه رئاسة
أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنه ،
وصار أماما يسترشد بعلومه
ويقتدى ، وعلما يستضاء بأنواره
ويهتدى ، أعلى الله قدره ودرجاته ،
وأجزل أجره وعطاءه ، فقد شاءت
ارادته سبحانه وتعالى أن يبارك فى
علمه وقلبه ، فتخرج منهما للناس
تاجا علميا من أفضل التاج ، فيه
كل ما يدل على غزارة العلم ، وسعة
الاطلاع ، وقد ميزه الله تعالى
بصفات بارزة ، وخصه بعناية

المحاكمة بين أدلة المسائل الخلافية ،
وقد ساق فيه أبو جعفر سند
الأخبار التي يتمسك بها أهل
الخلاف في تلك المسائل الخلافية •

ثم خرج من بحوثه التي ضمنها
لهذا الكتاب ، بعد تقديمها اسنادا
ومتنا ، رواية ، ونظرا ، بما يقتنع
به الباحث المنصف ، وبهذا كان
كتاب « شرح معاني الآثار » خير
كتاب في التفقيه ، وتنمية ملكة
الفقه - لزيادة ما فيه من بيان وجوه
الاستنباط ، وإظهار وجوه
المعارضة ، وتمييز النسخ من
المنسوخ •

ومن بين كتبه النفيسة ومن
مؤلفاته الخطيرة الذي لا يستغنى
عنه باحث ، ولا يسكت عنه كاتب ،
كتابه العظيم في فنه ، العميق في
دقته وبحثه « مشكل الآثار » الذي
قال هو فيه :

« انى نظرت في الآثار المروية عنه
صلى الله عليه وآله وسلم ،
بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذوو
التثبت فيها ، والأمانة عليها ، وحسن
الأداء لها ، فوجدت فيها أشياء مما
سقطت معرفتها ، والعلم بما فيها ،

ففرع منه ، وملك الرعب قلبه ،
ولكن الجيار لطفه وأكرمه وأحسن
إليه ، ثم قال له :

يا سيدى ، انى أريد أن أزوجه
ابنتى ، فماذا ترى ؟

فقال له الطحاوى : لا أفعل •

فقال : ألك حاجة الى المال ؟
قال : لا •

قال : فهل أقطع لك أرضا ؟ قال :
لا •

قال : فاسألنى ماشئت ؟

قال : وتسمع ؟ قال : نعم •

قال : احفظ دينك لئلا ينفلت ،
واعمل فى فكاك نفسك قبل الموت ،
واياك ومظالم العباد • ثم تركه
ومضى ، فكان ذلك سبب رجوعه
عن ظلمه لأهل مصر •

من مؤلفاته :

صنف الامام أبو جعفر الطحاوى
التصانيف الكثيرة فى أنواع العلوم ،
وبرع فى الفقه والحديث ، وتصانيفه
مفيدة عزيزة الفوائد ، جمة المعنى ،
عميقة المعزى ولا سيما كتابه النفيس
« شرح معاني الآثار » الذى يتضمن

« كان ثقة ثبتا ، فقيها عاقلا ، لم يخلف مثله »

وقال عنه الشيخ أبو اسحاق :

« انتهت اليه رئاسة الحنفية بمصر »

ويقول عنه ابن عبد البر رضى الله عنه :

« كان الطحاوى كوفى المذهب ، كان عالما بجميع مذاهب الفقهاء ، وكان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم ، مع مشاركته فى جميع مذاهب الفقهاء » أه

وقال السمعاني : « كان الطحاوى ثقة ، ثبتا »

ويقول ابن الجوزى :

« كان الطحاوى ثبتا ، فهما ، فقيها عاقلا »

وقال عنه الحافظ شمس الدين الذهبى فى تاريخه الكبير :

« الطحاوى ، الفقيه ، المحدث ، الحافظ ، أحد الأعلام ، كان ثقة ثبتا ، فقيها ، عاقلا ، ويقول الحافظ ابن كثير عنه أيضا :

« هو أحد الثقات الأثبت ، والحفاظ الجهابذة »

عن أكثر الناس ، فمال قلبى الى تأملها ، وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها ، ومن استخراج الأحكام التى فيها ، ومن نقى الاحالات عنها ، وأن أجعل ذلك أبوابا أذكر فى كل باب منها ما يهبه الله عز وجل لى من ذلك فيها حتى أبين ما قدرت عليه منها ، كذلك ملتصقا ثواب الله عز وجل عليه ، والله أسأل التوفيق لذلك ، والمعونة عليه ، فانه جواد كريم ، وهو حسبى ونعم الوكيل » أه .

منزلته بين العلماء :

كان لأبى جعفر الطحاوى رضى الله عنه ، مهابة وجلالة ، لما امتاز به من صفات حميدة ، وما حصله من علوم شتى ، وأصحاب الفضل يعرفون أقدار الناس ، وينزلونهم منازلهم ، فانما يعرف الفضل من الناس ذووه .

قال عنه ابن العماد فى شذرات الذهب :

« شيخ الحنفية ، الثقة الثبت ، صنف التصانيف ، وبرع فى الفقه والحديث »

وقال أبو سعيد بن يونس :

وقال عنه الصلاح الصفدى فى
الوافى :

« كان ثقة ، نبىلا ، ثبتا ، فقيها ،
عاقلا ، لم يخلف بعده مثله »
ويقول عنه ابن أسعد اليافعى
أيضا :

« برع فى الفقه ، والحديث ،
وصنف التصانيف المفيدة » •

وقال الحافظ السيوطى عنه :

« هو الامام العلامة ، الحافظ ،
صاحب التصانيف البديعة ، وكان
ثقة ، ثبتا ، فقيها ، لم يخلف بعده
مثله » أهـ

وأثنى عليه رضوان الله عليه ،
الامام الطبرانى ، وأبو بكر
الخطيب ، وأبو عبد الله الحميدى
والحافظ المزى ، وهذا يدل على
جلالة قدرة وعلو منزلته ، وسمو
مكاته •

ولا يفوتنا أن نذكر ما قاله البدر
العينى عنه فى شأن معاصرتة
لأصحاب الصحاح والسنن لما فى
ذلك من أهمية جليلة تبين بوضوح
واضح ما اشتملت عليه حياة الامام
الطحاوى العلمية :

يقول البدر العينى : رضى الله
عنه :

« كان عمر الطحاوى حين مات
أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
البخارى ، صاحب الصحيح ، سبعا
وعشرين سنة •

لأن البخارى مات سنة ست
وخمسين ومائتين •

وكان عمره حين مات مسلم بن
حجاج ، صاحب الصحيح ، اثنتين
وثلاثين سنة ، لأن مسلما مات
سنة احدى وستين ومائتين •

وشاركه الطحاوى فى روايته عن
بعض شيوخه •

وكان عمره حين مات أبو عيسى
محمد بن عيسى الترمذى صاحب
الجامع خمسين سنة •

لأن الترمذى مات سنة تسع
وسبعين ومائتين •

وكان عمره حين مات أحمد بن
شعيب بن على النسائى ، أربعا
وسبعين سنة •

لأن النسائى مات سنة ثلاث
وثلاثمائة ، وشاركه أيضا فى روايته ،
وروى الطحاوى عنه أيضا •

المنتظم ج ٦ ص ٢٥٠ ، وخامسة :
 فى الجواهر المضية ج ١ ص ١٠٢
 وسادسة : فى تاج التراجم ص ٨ ،
 وسابعة : فى الوافى ج ٨ الورقة
 ٣ ، وثامنة : فى العبر ج ٢ ، ص
 ١٨٦ ، وتسعة : فى الشذرات ج ٢
 ص ٢٨٨ وعاشرة : فى النجوم
 الزاهرة ج ٣ ، ص ٢٣٩ ، والاحدى
 عشر : فى غاية النهاية ج ١ ص
 ١١٦ ، والاثنى عشر فى مرآة الجنان
 ج ٢ ص ٢٨١

ثم ترجم له الحافظ الذهبى
 كذلك فى تاريخه الكبير ، وابن عبد
 البر فى كتاب العلم •

والحديث عن هذا المسند المحقق
 المدقق الامام الطحاوى رضى الله
 عنه لا يجف له قلم ، ولا يطوى
 عنه سجل •

ومهما أوتى الانسان من بلاغة
 جنان ، وحسن تبيان ، لا يسعه الا
 الاعتراف له ولمن سبقه بالفضل ،
 والاقرار لهم بالعلم ، نفعا الله
 بحبهم وعلمهم ، جزاهم الله عما
 قدموا لنا من تراث اسلامى أصيل
 خير الجزاء •

ومن يعتصم بالله فقد هدى الى
 صراط مستقيم •

وكان عمره حين مات محمد بن
 يزيد بن ماجه ، صاحب السنن ،
 أربعاً وأربعين سنة ، لان ابن ماجه
 مات فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين ،
 وشاركه أيضاً فى روايته عن بعض
 شيوخه •

وكان عمره حين مات ابن حنبل
 اثنتى عشرة سنة •

لأن أحمد بن حنبل مات سنة
 احدى وأربعين ومائتين •

وكان عمره حين مات يحيى بن
 معين ، أربع سنين ، لأن يحيى بن
 معين مات سنة ثلاث وثلاثين
 ومائتين « أهـ

وبعد : فان الامام الطحاوى من
 العلماء المبرزين ، واعلام الأئمة
 الذين طبقت شهرتهم الآفاق •

حفلت به كتب التراجم ، وتتبع
 سيرته كثير من المؤلفين ، وسجلوا
 مواقفه الفذة :

فى خدمة الدين ، والدفاع عن
 الحق ونشر العلم •

له ترجمة : فى وفيات الأعيان
 ج ١ ص ٧١ ، وأخرى فى الفهرست
 ٢٠٧ ، وثالثة : فى تهذيب ابن
 عساكر ج ٢ ص ٥٤ ، ورابعة : فى

مذكرة

بشأن شكاوى مبعوثي الأزهر في الخارج من المعاملة المالية الحالية للمعاري على نفقة جمهورية مصر العربية

السادة سفراء جمهورية مصر العربية
التي وردت الى الأزهر في هذا
الشان :

(أ) جاء في كتاب السيد سفير
جمهورية مصر العربية في كندا رقم
١٣ بتاريخ ٢٥/١/١٩٧٨ ما يلي :
« ونود الاحاطة بأن مرتب
السائق أو السفرجي في كندا لا يقل
عن ٧٠٠ (سبعمائة) دولار شهريا
وبناء على ذلك فإن السفارة ترى
أنه لكي يتحقق الهدف من ارسال
مبعوثين للأزهر في هذه البلاد
فلا بد من أن تكون مرتباتهم ضعف
ما يتقاضونه حتى تتناسب مع
أهمية الهدف من ايفادهم وحتى
يتمكنوا من أداء رسالتهم على الوجه
الأكمل .

(ب) وفي الكتاب الموجه الى
فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

وردت الى ادارة البعثوث
الاسلامية شكاوى عديدة من
السادة مبعوثي الأزهر في مختلف
الدول يتضررون فيها من ضالة
مرتبات الاعارة الحالية التي تمنح
لهم وعدم تناسبها مع موجة الغلاء
التي سادت العالم وأوضاع البلاد
الاقتصادية التي يعملون بها .

وقد أيدت السفارة المصرية في
الخارج هذه الشكاوى وطلبت من
الأزهر تعديل هذه المرتبات على نحو
يكفل للمبعوث حياة كريمة حتى
يتمكن من أداء رسالته على خير
وجه ويظهر بالمظهر اللائق به
والمشرف لمعهده وبلده .

ولابرار مدى الضيق المادي
والمعاناة النفسية والظروف الصعبة
التي يعمل تحت وطأتها مبعوثو
الأزهر ننقل فيما يلي بعض آراء

هنا كل ترحيب من المسؤولين الذين عبروا عن تقديرهم الكامل للأزهر لهذه المبادرة التي تدل على روح طيبة وتقهم من الأزهر لأهمية التعاون مع جيوتى فى المجال الدينى والثقافى كما قدرت السفارة بدورها هذه الخطوة من الأزهر ونأمل أن تليها خطوات •

فوجئت السفاة بالضالة الشديدة لمرتبات السادة المبعوثين وهو ما لا يمكن معه توفير أدنى مستوى للمعيشة بالنسبة لهم نظرا لارتفاع مستوى المعيشة هنا ارتفاعا باهظا الأمر الذى يضعهم فى وضع غاية الاحراج بالنسبة لكرامتهم ومستوى حياتهم •

(هـ) ونذكر أخيرا من هذه الشكاوى وكتب السادة السفراء ما جاء فى كتاب السيد سفير جمهورية مصر العربية فى نيجيريا المرفق به المذكرة المقدمة من مبعوثى الأزهر بشأن ضالة مرتباتهم فى مواجهة نفقات المعيشة والسفارة تؤيد ما جاء فى مذكرة السادة أعضاء البعثة ونود الاحاطة بأن

من السيد الوزير المفوض قنصل عام مصر فى زنبار رقم ١ بتاريخ ١٥/٢/١٩٧٨ - أكرر شكرى على جهودكم وجهود رجال الالاهر الشريف فى زنبار وقد رأيت أن أطلعكم على موضوع أرجو أن يحظى برعايتكم وهو خاص بمرتباتهم التى لا تكاد تكفيهم نظرا لغلاء المعيشة واستمرار رفع الأسعار بشكل واضح مما يؤثر على عملهم وقيامهم بالدعوة •

(ج) وفى كتاب السيد سفير سفيرة جمهورية مصر العربية فى موريشيوس رقم ٣٩٦ فى ١٥/١٢/١٩٧٨ بشأن مرتبات مبعوثى الأزهر « هذا المرتب يقل عن المرتب الذى يتقاضاه خدام المنازل فى موريشيوس وعلى ذلك فإن السفارة سوف تستمر فى تغطية نفقاتهما المعيشية الضرورية حفاظا على سمعة وكرامة مصر فى الخارج » •

(د) وفى كتاب السيد سفير جمهورية مصر العربية فى جيوتى رقم ٤٠ فى ٢١/١٢/٧٨ فى شأن بعثة الأزهر - لقد لقي تواجدهم

* ويعامل المعارون على نفقة
الأزهر الى الجمهورية العربية
اليمينية من الناحية المالية بقرار رئيس
الجمهورية رقم ١٢٢٤ لسنة
١٩٦٤ •

* ويعامل المعارون على نفقة
الأزهر لبعض البلاد بقرارات خاصة
صادرة لها مثل : أوغندا
والسودان •

* هذه المعاملة المالية التي قرر
بعضها منذ أكثر من عشرين عاما
وبعضها منذ أكثر من عشر سنوات
أضحت الآن لا تتناسب مطلقا مع
مستوى المعيشة في هذه البلاد ولا
مع موجة الغلاء الفاحش التي
اجتاحت - ولا تزال - دول العالم ،
الأمر الذي ترتب عليه امتناع أغلب
المرشحين الى هذه الدول عن السفر
لضالة مرتباتهم التي يتقاضونها
من الأزهر في الخارج والتي لا تقى
بالتزاماتهم الضرورية ولا تحفظ
لهم كرامتهم ومكانتهم كعلماء
موفدين من الأزهر يعتبرهم الناس
قدوة لهم في سلوكهم وتصرفاتهم
الشخصية بينما تحتم عليهم رسالتهم

نيجيريا تعتبر من أعلى بلاد العالم
نظرا لنسبة التضخم المرتفعة بها
ولاشك أن مرتبات سالتهم لا
تتناسب مطلقا مع مستوى المعيشة
هنا •

لذا نرجو التكرم باعادة النظر في
مرتباتهم مما يحقق لهم مستوى
معيشة كريمة تساعدهم على أداء
مهمتهم في هذه البلاد •

وغير ذلك من الشكاوى الكثيرة
التي ترد الى الأزهر وتأييد السفارات
المصرية لما ورد بها خاصا بمرتبات
الاعارة الحالية وهذا أمر أصبح
عاما يستوعب جميع الدول تقريبا •

التعليق

(أ) يعامل المعارون على نفقة
الأزهر الى دول آسيا من الناحية
المالية بالقانون رقم ٤٠٥ لسنة
١٩٥٥ •

* ويعامل المعارون على نفقة
الأزهر الى دول أفريقيا من الناحية
المالية طبقا لقرار رئيس الجمهورية
رقم ١٤٨٩ لسنة ١٩٦٢ المعدل
بالقرار رقم ٩٣٥ لسنة ١٩٦٩ •

(ب) بجانب ذلك توجد دول كثيرة غير منصوص على معاملتها المالية بالقوانين والقرارات السابقة والازهر مضطر بحكم رسالته وتطلعات المسلمين اليه فى هذه الدول باعتبار أنه المنهل الذى أرادته الله واختاره لهم لينهلوا منه علوم الاسلام واللغة العربية والمنارة التى أقامها الله لهم ليستضيئوا بهديها ونورها - مضطر أن يلبي حاجة المسلمين فى هذه البلاد بإيفاد علمائه اليهم للتدريس والوعظ والارشاد .

ويعامل الأزهر هؤلاء المعارين ماليا معاملة بالمثل لأقرب بلد له معاملة مالية مقررة .

غير أنه توجد بلاد كثيرة ، الأزهر حتى الآن عاجز عن تلبية وتحقيق رغبات المسلمين فيها وخاصة فى أوروبا وأمريكا لعدم وجود معاملة مالية مقررة لأى بلد فيها .

(ج) يضاف الى ما سبق عامل آخر يسبب شكوى المعارين من الأزهر من التفرقة فى المعاملة المالية

ووضعهم الاجتماعى الاختلاط بالمجتمع الذى يعيشون فيه وأن تظن بيوتهم مفتوحة لاستقبال المواطنين الذين يقصدونهم للسؤال فى أمور دينهم ودنياهم . ولا يخفى على أحد ما يترتب على ذلك من أعباء مادية اضافية تحملها مبعوث الأزهر .

فى الوقت الذى يجد فيه المرشح الى هذه الدول زميله المعار الى دول الخليج والدول العربية التى تتحمل مرتباته يتقاضى مرتبا شهريا أضعاف ما يأخذه من الأزهر بجانب المميزات الأخرى التى يتمتع بها باعتبار أنه يعيش فى مجتمع عربى قريب من المجتمع المصرى لا يحس فيه بغربة ولا يواجه مشاكل ومصاعب فى تعليم أولاده ولا يتحمل نفقات مرتفعة فى تكاليف السفر فى حالة عودته كل عام الى مصر لقضاء إجازته السنوية فيحجم عن السفر ويرفضه خاصة وأن بالإمكان الحصول على عقد للعمل فى هذه الدول من غير مشقة تذكر .

الأهمية سواء بالنسبة لتحقيق رسالة الأزهر في نشر دين الله و إعلاء كلمته ، أو بالنسبة لأقامة العلاقات الطيبة وتقوية الروابط الوطنية بين مصر ودول العالم الخارجى •

الأمر الذى يستدعى حلا سريعا لعلاج هذه المشكلة حتى لا تكون ضالة المعاملة المالية الحالية سببا فى اعتذار المرشحين عن عدم السفر ، ونتيجة لذلك يخلو الميدان لغير مبعوثى الأزهر « لا سيما وأن هناك دولا عربية أخذت تغزو هذا الميدان فى الآونة الأخيرة وتنافس مصر فى هذا المجال وتغدق أموالها الطائلة على مرتبات مبعوثيها محاولة انتزاع دور مصر - بلد الأزهر - القيادى والتاريخى فى هذا المجال » وبالتالي يفقد الأزهر دوره الرائد فى توجيه الدعوة الإسلامية وشغل مراكزها الهامة فى أنحاء العالم وفى ذلك خسارة كبيرة لمصر ومساس بدورها الرائد فى هذا المجال •

بينهم وبين زملائهم المعارين من وزارة الاوقاف •

فقد صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٣٦ لسنة ١٩٧٧ فى شأن المعاملة المالية للمعارين من وزارة الاوقاف الى الخارج الذين تتحمل الدولة مرتباتهم يتضمن معاملتهم ماليا معاملة رجال السلك الدبلوماسى •

وبناء على ذلك فان جميع المعارين من وزارة الاوقاف يعاملون ماليا معاملة خاصة بينما زملائهم المعارون من الأزهر ويحملون نفس المؤهل العلمى الذى يحملونه ويعملون معهم فى نفس الحقل ويقومون بعمل واحد مشترك وموفدون من بلد واحد يعاملون ماليا المعاملة العادية - المذكورة سابقا - التى تدفع المرشحين الجدد على الامتناع عن تنفيذ الاعارة ، أو الاعتذار عن عدم اتمام مدتها لمن يخاطر بقبولها فى أول الامر •

الراى

ترى ادارة البعوث الاسلامية أن هذا الموضوع على جانب كبير من

وعلاج هذه المشكلة يستدعى :

١ - تحقيق العدالة بين جميع المعارين وذلك بتوحيد المعاملة المالية

لكى يقبلوا على السفر الى هذه
البلاد مع عدم شعورهم بالغبن
بالنظر الى زملائهم الذين يوفدون
أو يتعاقدون مع البلاد العربية التى
تمنحهم مرتبات وبدلات تحقق
لهم طمأنينة وأملا فى مستقبلهم •

والله ولى التوفيق •

فوزى فاضل الزغراف
مدير ادارة البعوث
الاسلامية

بين جميع الفئات المتماثلة المعارة من
جمهورية مصر العربية على نفقتها
الى الدولة الواحدة •

٢ - ضرورة الاسراع فى
اصدار قرار المعاملة المالية للمعارين
خارج الجمهورية الذى سبق أن
أعدته ووافقت عليه اللجنة التنفيذية
العليا للعلاقات الثقافية والتعاون
الفنى حتى تزول أسباب هذه
الشكاوى وتنتهى الحياة الكريمة
لمبعوثى الأزهر ، ومن جهة أخرى

خطبة نبوية

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف من منى فقال :
نضر الله امرأ سمع مقالتي فادأها كما سمعها : فرب حامل
فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه •
ثلاث لا يغفل عليهن قلب مؤمن : اخلاص العمل لله ، والنصيحة
اولاة المسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فان دعوتهم تحيط من ورائه •

باب الفتاوى

الأستاذ عبدالحميد شاهين

الخاص « سلام على نوح في العالمين » • « سلام على ابراهيم » ، « سلام على موسى وهارون » ، « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ••

السلام على يحيى وعيسى

ولكن يحيى وعيسى عليهما السلام كان لهما شأن خاص في ولادتهما ، فجاء السلام عليهما بنحو خاص لا يشاركهما فيه أحد من الأنبياء والمرسلين ، فيحيى جاء أثرا لدعوة أبيه « زكريا » بعد أن صارت أمه عاقرا ، وبلغ أبوه من الكبر عتيا « رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى

س : يقول الله تعالى على لسان عيسى ابن مريم : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » فما الحكمة في تخصيص عيسى بالسلام على نفسه ؟

ج : وقد أجاب عن هذا السؤال الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله في كتابه الفتاوى بما يلي :

السلام على المؤمنين والمرسلين : للمؤمنين عامة مكانة عند الله ، بها يحفظهم ويرعاهم ، وبها يؤمنهم من كل مكروه ، ومن ذلك نرى القرآن الكريم يذكر تحية الله لهم ، وتكريمه إياهم بالسلام عليهم •

وقد كان للأنبياء والرسل فوق ما للمؤمنين من الحفظ والرعاية والتأمين ، والتحية والتكريم ، سلم عليهم بالوصف العام : « وسلام على المرسلين » وسلم عليهم بالعلم

عيسى له شأن خاص

أما « عيسى » فقد انفرد عن يحيى بشأن لم يشاركه فيه ، فقد أحيطت ولادته من أم فقط - كما تحدث القرآن - من خصوم والدته ، وخصوم فضل الله على عباده ، بما ملأ نفسها ببواعث القلق والاضطراب ، لا لشك في نفسها ، وانما لتقدير ظنون الناس فيها ، حتى قالت حينما جاءها المخاض : « يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » وقد كان ما قدرت من قوتها « قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا »

وما أحوجها في ذلك الوقت الى رحمة خاصة بيرهان محس قاطع ، يبدد على القوم أفكارهم بالنسبة اليها .. وما هو الا أن أشارت اليه بعد وضعه فأجابهم بقدرة الله الذى خلقه من أم فقط ، والذى أنطق كل شيء « قال انى عبد الله . آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا اينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتي

ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » . فأجاب الله دعوته ، وحقق له على غير السنة المألوفة أمنيته ومنحه « يحيى » وجعله رضيا كما طلب ، وصاغه بالخلال الطيبة التى تملأ قلب زكريا فرحا وسرورا ، وساق اليه البشرى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ، وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا » وقد توج تلك الخلال بسلام التكريم والحفظ على يحيى فى العهود الثلاثة التى تمر بالإنسان ، ويكون فيها أشد ما يكون حاجة الى تكريم الله وحفظه : عهد الظهور فى هذه الحياة التى يتعرض فيها للتكاليف والواجبات ، وعهد الانتقال منها الذى يترب فيه المحاسبة على ما قام به من عمل ، وعهد الرجوع الى ربه الذى يرى فيه صحيفة عمله وما أعد له من جزاء « وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا » وكان كل ذلك زيادة فى تطين زكريا باجابة دعوته على أحسن ما تكون الاجابة .

حكمته لظروف عيسى الخاصة أن
تجرى القدرة الإلهية أوصاف
عيسى ومزاياه على لسان نفسه ،
لتكون حجة الحق - في طهارة أمه
وبشريته - نابعة من نفسه وبصوته ،
وعلى مسمع من المفرطين فيه
المغالين ، والمفرطين المقصرين : « ذلك
عيسى بن مريم قول الحق الذى
فيه يمترون » •

س : مواطن كريم يسأل : كثر
الجدل فى قريتنا حول تحية المسجد
« ركعتى دخول المسجد » وهل هى
واجبة أو مندوبة ، وهل هى مشروعة
فى جميع الأحوال •• ؟ الخ ••

ج : وقبل الإجابة نود أن ننصح
الأخ المسلم وغيره من المسلمين
المتدينين أن يتجنبوا الجدل فى
المسائل الفرعية الناشئة عن التعصب
المذهبى وعليهم الاهتمام بالمسائل
الكلية من أداء للفرائض واجتناب
للعاصى وأداء للشعائر الإسلامية
فى جو من الصفاء والأخوة الصادقية
حتى لا يعكر صفوهم مثل هذا
الجدل « فما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه الا أوتوا الجدل » ونحن
أحوج ما نكون الى وحدة الصف

ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام
على يوم ولدت ، ويوم أموت ،
ويوم أبعث حيا » ••

تكريم بدد بهتان المفترين :

وبهذا النطق الإلهى ، الذى
جرى على لسان عيسى وهو فى
المهد ، قر الحق فى نصابه ، وظهر
فضل الله عليه وعلى أمه ، وما كان
لولد يفترى ، ولا لسيدة تفترى أن
يحصلا على هذا الفضل وذلك
التكريم •

وكما تبدد بهذا المنطق بهتان
المفترين ، تسجلت به - على لسان
عيسى - عبوديته لله • وأنه محل
رحمته وبركته ، وأنه قد صاغه على
النحو الذى يريده نبيا ، مباركا ،
برا ، عطوفا رحيفا ، وأنه بعد ذلك
كله فى محل العناية والأمان من ربه
فى عهوده الثلاثة

وبه أيضا تبددت شبهة الذين
سموا به عن رتبة البشرية ، وقالوا
به على الله شيئا اذا

واذا كان الله تحدث لذكريا
بأوصاف ولده يحيى ، فقد اقتضت

لكن الجمهور انما ذهبوا الى حمل الأمر هنا على النذب لمكان التعارض الذى بينه وبين الأحاديث التى تقتضى بظاهرها أو بنصها أن لا صلاة مفروضة الا الصلوات الخمس .. مثل حديث الأعرابى وغيره ، ، وذلك أنه ان حمل الأمر هنا على الوجوب لزم أن تكون المفروضات أكثر من خمس •

ولمن أوجبها : أن الوجوب هنا انما هو متعلق بدخول المسجد لا مطلقا كالامر بالصلوات الخمس .. واختلف العلماء فيمن جاء المسجد وقد ركع ركعتى الفجر فى بيته • هل يركع عند دخوله المسجد أم لا ؟ فقال الشافعى : يركع وهى رواية اشهب عن مالك ، وقال أبو حنيفة : لا يركع وهى رواية ابن القاسم عن مالك •

وسبب اختلافهم عموم معارضة قوله عليه الصلاة والسلام : « اذا جاء أحدكم المسجد فليركع ركعتين » وقوله « لا صلاة بعد ركعتى الفجر الا ركعتى الصبح » فهنا عمومان وخصوصان : أحدهما فى الزمان ،

والهدف متمسكين بحبل الله المتين وكتابه المبين » ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » ثم تقول وبالله التوفيق •

جاء فى كتاب « بداية المجتهد » لابن رشد : الجمهور على أن ركعتى دخول المسجد مندوب اليها من غير ايجاب ، وذهب أهل الظاهر الى وجوبها ، وسبب الخلاف فى ذلك هل الأمر فى قوله عليه الصلاة والسلام « اذا جاء أحدكم المسجد فليركع ركعتين » محمول على النذب أو على الوجوب فان الحديث متفق على صحته — فمن تمسك فى ذلك بما اتفق عليه الجمهور من أن الأصل حمل الأوامر المطلقة على الوجوب حتى يدل الدليل على النذب ، ولم ينقدح عنده دليل ينقل الحكم من الوجوب الى النذب قال : الركعتان واجبتان •

ومن انقدح عنده دليل على حمل الأوامر ههنا على النذب ، أو كان الأصل عنده فى الأوامر أن تحمل على النذب حتى يدل الدليل على الوجوب — فان هذا قال به قوم — قال : الركعتان غير واجبتين

رجل يوم الجمعة والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : صليت ؟ قال لا ، قال : قم فصل ركعتين » متفق عليه ..

والحديث دليل على أن تحية المسجد تصلى حال الخطبة ، وقد ذهب الى هذا طائفة من الآل والفقهاء والمحدثين ويخفف ليفرج لسامع الخطبة .. ذهب جماعة من السلف والخلف الى عدم شرعيتها حال الخطبة والحديث هذا حجة عليهم وقد تأولوه بأحد عشر تأويلا كلها مردودة عليهم •

وأما من دخل الحرم في غير حال الخطبة فانه يشرع له الطواف فانه تحيته ، أو لأنه في الأغلب لا يقعد الا بعد صلاة ركعتي الطواف ، ويرى مالك البدء بها قبل السلام على النبى عليه الصلاة والسلام بمسجده الشريف

ويلاحظ أن وقتها عند الدخول قبل الجلوس قال في كتاب الاقناع « وهى ركعتان قبل الجلوس لكل داخل وتحصل بغرض أو نقل آخر وتكرر بتكرر الدخول ولو على

والآخر فى الصلاة ، وذلك أن حديث الأمر بالصلاة عند دخول المسجد عام فى الزمان خاص فى الصلاة ، والنهى عن الصلاة بعد الفجر الا ركعتى الصبح خاص فى الزمان عام فى الصلاة ، فمن استثنى خاص الصلاة من عامها رأى الركوع بعد ركعتي الفجر ، ومن استثنى خاص الزمان من عامه لم يوجب ذلك واختلفوا فيمن جاء يوم الجمعة والإمام على المنبر هل يركع أم لا ؟ فذهب بعض الى أنه لا يركع وهو مذهب مالك وذهب بعضهم الى أنه يركع .. والسبب فى اختلافهم معارضة القياس لعموم الأثر ، وذلك أن عموم قوله عليه الصلاة والسلام « اذا جاء أحدكم المسجد فليركع ركعتين » يوجب أن يركع الداخل فى المسجد يوم الجمعة وان كان الامام يخطب ، والأمر بالانصات الى الخطيب يوجب دليله ألا يشتغل بشيء مما يشغل الناس عن الانصات وان كان عبادة ..

وجاء فى سبل السلام فى شرح حديث جابر رضى الله عنه : « دخل

قرب ، وتقوت بجلوسه قبل فعلها ،
وان قصر الفصل ، الا ان جلس
سهوا وقصر الفصل ، وتقوت بطول
الوقوف كما افتى به بعض المتأخرين
والبيت بالطواف ، والحرم بالاحرام ،
ومنى بالرمى ، وزيد عليه تحية عرفة
بالوقوف ، وتحية لقاء المسلم
بالسلام » •

فائدة : قال الأسنوى : التحيات
أربع : تحية المسجد بالصلاة ،
والله أعلم
عبد الحميد السيد شاهين

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترمين الناس الا تجميلا
نبابك دهر أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد
عسى تكبات الدهر عنك تزول

× × ×

دع ما يريب وخذ فيما خلقت له
لعل قلبك بالايمن ينتفع
ان الحياة لثوب سوف تخلعه
وكل ثوب اذا مارت ينخلع

محمود سامي البارودي

فى هذا العدد

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| للاستاذ مصطفى محمد الطير | آيات الله فى الانعام : |
| للاستاذ احمد حسين | لا خهور ولا فجور ولا ربا : |
| د . محمد رجب البيومى | حقائق سافرة |
| د. يحيى هاشم . | فى مواجهة الالحاد : |
| للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى | سعيد بن المسيح : |
| د. فؤاد ابو حطب | التوجيه الاسلامى لعلم النفس : |
| د. عبد الغنى الراجحى | قصة الاسراء والمعراج : |
| للاستاذ محمد كمال السيد | الازهر جامعا وجامعة : |
| للاستاذ السيد حسن قرون | اسلوب السخرية فى القرآن الكريم : |
| للدكتور رؤوف شلبى | شبهات حول السنة : |
| للاستاذ عبد الحميد الفضالى | المجتمع الفاضل : |
| للاستاذ زاهر عزب الزغبى | رؤية اسلامية : |
| للاستاذ حسينى عرابى عطوة | منزلة السنة فى التشريع : |
| الدكتور توفيق محمد شاهين | اصول اللغة العربية : |
| للاستاذ موسى محمد على | المحدث الفقيه : |
| للاستاذ فوزى الزفزاف | مذكرة بشأن مبعوثى الازهر : |
| الاستاذ عبد الحميد شاهين | الفتاوى : |

رقم الايداع ١٦٧/١٩٧٩

مطابع شركة الاعلانات الشرقية
القاهرة



المصنوع
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢
ت
٩٠٥٥٠٦

الأنهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
ورئيس التحرير

الدكتور
عبد الواد عبد الباقى

الجزء السادس - السنة الحادية والخمسون - شعبان ١٣٩٩ هـ - يوليه ١٩٧٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دراسات قرآنية

متى شرع الإعلام بالصلاة وكيف شرع الأذان والإقامة؟

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطبري

فكانوا يؤدونها هناك فرادى بلا
أذان وبلا إقامة ، حذرا من المشركين
واتقاء أذاهم ، ولما أذن الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم بالهجرة من
مكة الى المدينة وقرب منها فى
هجرته ، أدركته أول صلاة يجتمع
فيها شمل المسلمين بعد هجرتهم
فى أرض بنى سالم بن عوف ، فقد
خرج المهاجرون والأنصار لاستقبال
الرسول بها ، وكان عدد من صلاها
معه مائة ، وهى أول جمعة فى

قال الله تعالى : « ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »
(النساء : ١٠٣) .

وقال سبحانه : « ومن يهاجر
فى سبيل الله يجد فى الأرض
مزاغما كثيرا وسعة » (النساء :
١٠٠) .

البيان

فرضت الصلاة فى ذروة الاضطهاد
الدينى من قريش للمسلمين بمكة ،

صلى الله عليه وسلم ، وأطلق عليه
بعد « مسجد الجمعة » .

وبعد استقرار النبي صلى الله
عليه وسلم في المدينة ، أوجب الله
الهجرة الى المدينة على من
لم يهاجر اليها بعد ، ليسلموا
من أذى المشركين ويسلم دينهم ،
ولينعموا بجو الايمان والحرية
بالمدينة الى جوار الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ولizardادوا ايماننا مع
ايمانهم ، وحكم الله على المتخلف عن
الهجرة ، وهو قادر عليها ، بالاثم وأن
مأواه جهنم ، واستثنى المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان ، وفي
ذلك يقول الله تعالى في سورة
النساء : « ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين في
الأرض قالوا ألم تكن أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها فأولئك
مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا

المستضعفين من الرجال والنساء
وانولدان لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن
يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا» .

الاسلام ، وقد خلت من الأذان
والاقامة ، لأنها لم يكونا قد
شرعا بعد .

وقد خطيب الرسول صلى الله
عليه وسلم قبل الصلاة خطبة جليلة
قال فيها بعد حمد الله تعالى والثناء
عليه « أما بعد - أيها الناس -
فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله
ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه
ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه
ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه
دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟
وآيتك مالا وأفضلت عليك ، فما
قدمت لنفسك ؟ فايظرون يمينا
وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن
قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن
استطاع ان يقى وجهه من النار ولو
بشق تمره فليفعل ، ومن لم يجد
فبكلمة طيبة ، فانها تجزى الحسنة
عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف ،
والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته » .

هكذا كانت خطبته صلى الله عليه
وسلم لهم يومئذ . وكانت الصلاة
والخطبة بمسجد بناء بنو سالم بن
عوف في أرضهم قبل مقدم النبي

المسلمون وتباعدت دورهم ، واحتاجوا الى ما يعلمهم بمواقيت الصلاة ، ويدعوهم الى الاجتماع عليها بعد أن أصبحوا فى ظل المدينة آمنين على أنفسهم ودينهم •

وكانت مشروعيته على مرحلتين « اولاهما » اعلام الناس ودعائهم الى الصلاة بغير ألفاظه المعهودة ، وفى ذلك يروى الشيخان - البخارى ومسلم - بسنديهما عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما انه قال : « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون ويتحننون الصلاة ليس ينادى بها ، فتكلموا يوما فى ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال • قم فناد بالصلاة » • فأنت ترى فى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يدعو الناس الى الصلاة من غير أن يحدد له عبارات معينة لدعوتهم ، فكان يناديهم بما يجول فى خاطره من عبارات •

ولم يكتف بذلك ، بل جب اليهم الهجرة بما سيجدونه فى المهجر من رغد العيش وسعته . ووعدهم بأن من لم يبلغ دار الهجرة ، بل مات فى الطريق اليها فقد وقع أجره على الله تعالى ، وفى ذلك يقول سبحانه : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » فأقبل المتخلفون عن الهجرة ، ولقوا من أهل المدينة مزيدا من الحب والترحيب والايثار ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » •

مراحل تشريع الأذان

الأذان فى اللغة الاعلام مطلقا ، وفى الشريعة الاسلامية الاعلام بالصلاة بعبارات معينة ، وقد شرع بعد الهجرة الى المدينة حين كثر

أرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فله الحمد •

مذاهب العلماء
فى ألفاظ الأذان

يرى كثير من أهل العلم أن الأذان يكبر فى أوله أربع تكبيرات ومن قال بذلك أبو حنيفة والشافعى والثورى وأحمد واسحق وغيرهم ، وحجتهم فى ذلك حديث عبد الله ابن زيد وحديث أبى محذورة اللذان رواهما أبو داود ، وقد جاء فيهما التكبير أربع مرات فى أول الأذان •

ويرى الامام مالك أن يكبر فى أول الأذان مرتين فقط ، وحجته فى ذلك عمل أهل المدينة فى عهده ، وكان يؤثره على النصوص الفردية ، لأنها سنة عملية نقلها الخلف عن السلف الى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤيده فى ذلك حديث لمسلم عن أبى محذورة جاء فيه التكبير مرتان ، وهى مخالفة لرواية أبى داود لحديث أبى محذورة ، فقد جاء فيها التكبير أربع مرات •

ومنهم من حدد العبارة التى كان ينادى بها بلال ، وهى قوله « الصلاة جامعة » كما أخرجه ابن سعد فى الطبقات •

« المرحلة الثانية » اعلامهم
بالصلاة بالفاظ مخصوصة يرويها عبد الله بن زيد باسناد صحيح قال فى ضمن حديثه : « طافبى وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت : يا عبد الله ، أتبيع الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ فقلت ندعو به الى الصلاة ، فقال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقلت بلى ، فقال : تقول : « الله أكبر الله أكبر » فذكر التكبير أربع مرات ، ومضى فى الأذان على الوجه المعروف حتى بلغ آخره « لا اله الا الله » ثم قال ، بعد أن ذكر أنه علمه الإقامة : « فلما أصبحت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بما رأيت » فقال : « انها رؤيا حق ، ان شاء الله فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج يجر رداءه يقول : والذى بعثك بالحق يا رسول الله : لقد رأيت مثل ما

اخلاصا من أعماق قلبه واحتسابا لوجه الله الكريم ، والأخريان يقولهما جهرا لذلك ، مع الاعلام بميقات الصلاة •

والترجيع سنة عند هؤلاء ، فلا يبطل الأذان بتركه عمدا أو سهوا ، ولكن تقوت تاركه فضيلة الترجيع وثوابه ، وقيل هو ركن يبطل الأذان بتركه ، والرأى الأول أصح ، لأنه قد جاءت عدة أحاديث لم يذكر فيها الترجيع ، ولو كان ركنا لذكر في كل منها ، ومنها حديث عبد الله بن زيد صاحب قصة الأذان ، كما أن حذفه ليس فيه اخلال ظاهر بمتطلبات الأذان ، بخلاف بقية كلماته •

واستدل من رأوا أن الترجيع ركن في الأذان بحديث أبي محذورة ، حيث ثبت فيه بتلقيين النبي صلى الله عليه وسلم اياه ، وبعمل أهل الحرمين ، وبأن فيه زيادة ، وزيادة الثقة مقبولة ، وبأن اسلام أبي محذورة متأخر ، فحديثه ينسخ المتقدم •

وقد استبان مما تقدم أن من يكبر أربع مرات أول الأذان يستند الى أصل صحيح ، ومن يكبر مرتين يستند الى أصل صحيح أيضا ، فلا ينبغي أن يعيب أحد الفريقين الآخر ، كالذى نراه يسن بعض أصحاب المذاهب هنا •

مذاهب العلماء

فى الترجيع فى الشهادتين

أجمع العلماء على أن الأذان لا يصح بغير النطق بالشهادتين مرتين ، واقتصر فريق منهم على ذلك ومنهم الامام أبو حنيفة ، وسفيان الثورى وأحمد فى رواية عنه ، وحجتهم فى ذلك حديث عبد الله ابن زيد ، فقد جاء فيه بعد التكبير أربع مرات «أشهد أن لا اله الا الله» مرتين و «أشهد أن محمدا رسول الله» مرتين كذلك •

وأكثر العلماء ومنهم الشافعى ، يرون ترجيع الشهادتين مرتين فى كل منهما ، بأن يقول المؤذن كلتيهما سرا مرتين، ثم يجهر بكليتهما مرتين فى الأوليان يقولهما سرا

فى أذان الفجر حى على الفلاح
قال : الصلاة خير من النوم •
الصلاة خير من النوم • الله أكبر
الله أكبر لا اله الا الله » وممن قال
بالتشويب عمر بن الخطاب وابنه
وأنس والحسن وابن سيرين
وغيرهم •

مذاهب العلماء فى الاقامة

عندما يتهىء المسلمون لصلاة
الجماعة ، يدعوهم المؤذن أن يقوموا
الى الصلاة بذكر يشبه ذكر الأذان ،
غير انه فرادى فيما عدا التكبير فى
أولها وآخرها ولفظ « قد قامت
الصلاة » فان ذلك يذكر مرتين ،
ودليل ذلك حديث أنس : « أمر
بلال أن يشفع الأذان ويوتر
الاقامة » • (خرجه الشيخان) •

وروى البيهقى باسناد صحيح :
« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر بلالا أن يشفع الأذان ويوتر
الاقامة » •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما
قال : « انما كان الأذان على عهد

ونحن نقول : انه لا يلزم من كل
ذلك أن يكون الترجيع ركنا فى
الأذان يبطل بعده ، فلماذا لا يكون
سنة فقط - كما قال به كثير من
العلماء ، وبالجمله فمن أذن بترجيع
فذلك حق لموافقة لحديث أبى
محدورة ، ومن اذن بغير ترجيع
فذلك صحيح لموافقة رواية عبد الله
ابن يزيد ، فلا ينبغى لفريق أن يلزم
آخر بما يراه ، لأن شرط الالتزام
أن يكون الحكم مجبعا عليه •

التشويب فى الاذان

التشويب أن يقول المؤذن فى
أذان الفجر خاصة بعد « حى على
الفلاح » : « الصلاة خير من
النوم » مأخوذ من ثاب بمعنى
رجع ، كأن المؤذن رجع الى الدعوة
الى الصلاة مرة أخرى بعد « حى
على الصلاة » •

أما الصلوات الأخرى فلا تشويب
فيها ، وقد رواه خاصا بالفجر أبو
داود وغيره باسناد جيد ، كما رواه
ابن جزيمة فى صحيحه ، والدارقطنى
والبيهقى باسناد صحيح عن أنس
قال : « من السنة اذا قال المؤذن

سؤال وجواب

فهنا مما تقدم أن أساس تشريع الأذان والاقامة رؤيا رآها عبد الله ابن زيد وعمر بن الخطاب في المنام، ولم ينزل بها الوحي، فكيف يكون هذا تشريعا من الله تعالى .

والجواب : ان الله تعالى قال نرسوله صلى الله عليه وسلم : « ان أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » فهذا يدل على أن الرسول له أن يجتهد، وقد اجتهد في طريقة الاعلام بالصلاة ثم أقر هذه الرؤيا .

وأیضا قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم على ما جاء في الرؤيا عن الأذان، فيها تبين للصلاة التي أنزلها الله وأوجبها في القرآن الكريم، بنحو قوله تعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

وأیضا ان الله تعالى قد أقر هذا الاجتهاد فلم ينزل ما ينافيه، وبذلك يكون الأذان تشريعا من الله تعالى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرتين، والاقامة مرة مرة، غير انه يقول : قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة « أخرجه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح .

قد يقول قائل : ان التكبير في أول الاقامة شفع وليس وترا، وكذا آخرها، اذ يقول المقيم في كليهما الله أكبر الله أكبر . قلت ان الوترية في أحاديث الاقامة اما محمولة على معظم الذكر، أو محمولة على أن المقيم ينطق التكبير المزدوج في أولها وآخرها في نفس واحد، فهو لهذا كأنه وتر .

وانما نطق التكبير فيها شفعاً لأنه المروى في أحاديثها، ففي حديث عبد الله بن زيد « ثم تقول اذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر . أشهد أن لا اله الا الله . أشهد أن محمدا رسول الله . حتى على الصلاة . حتى على الفلاح . قد قامت الصلاة . قد قامت الصلاة . الله أكبر الله أكبر، لا اله الا الله » .

العجلة ، وهو أولى وأليق بالأذان لأنه للغائبين ، والخدم بالحاء المهملة الاسراع وهو أليق بالاقامة فانها للحاضرين ، والاسراع بها أن يصل بعضها ببعض .

ويكره تمطيط الأذان والتطريب به . روى أن رجلا قال لابن عمر : انى لأحبك فى الله ، قال : وأنا أبغضك فى الله . انك تبغى فى أذانك . قال حماد : يعنى التطريب ، وقال الأزهرى : البغى أن يكون رفع صوته يحكى كلام الجابرة والمتكبرين ، وقال غيره : هو التشاؤم فيه - اه -

والصواب فى الأذان أن يكون صوته بتحزين وترقيق ، ليس فيه جفاء كلام الأعراب ، ولا لين كلام المتماوتين - قاله الشاش فى المعتمد .

ويستحب أن يرفع صوته ، لما فى البخارى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، أن أبى سعيد الخدرى قال له : « انى أراك تحب الغنم والبادية ، فاذا كنت فى

ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا اجتهد ولم يوافق الله على اجتهاده ، فانه سبحانه كان يعلمه بعدم موافقته ، ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم حين وافق على أخذ الفدية من أسارى بدر ، أنزل الله عتابا له على ذلك قوله تعالى « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » من الآية ٦٧ من سورة الانفال .

أما اذا وافق على اجتهاده - كما هو هنا فى موضوع الأذان - فانه يكون تشريعا من الله .

ما يستحب فى الاذان والاقامة

يستحب التأنى فى الأذان ليسمع البعيد عن المسجد فيتيسر له ادراك الجماعة ، أما الاقامة فيستحب فيها الاسراع لأنها لمن حضر الصلاة . روى عن ابن الزبير مؤذن بيت المقدس فى عهد عمر رضى الله عنه أن ابن عمر قال له : « اذا أذنت فترسل ، واذا أقمت فاحزم » والترسل التأنى والترتيل وترك

الاذان افضل من الامامة

الراجح أن الأذان أفضل من الامامة ، لما رواه مسلم عن معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤذن أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » . ولما رواه البخاري عن أبي هريرة قال : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا » .

أما مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء والأئمة على الامامة ولم يؤذنوا ، فمحمول على أنهم كانوا مشغولين بمصالح المسلمين التي تحول بينهم وبين مراعاة أوقات الأذان ، وتحديد أوقات الصلاة بالاجتهاد بنحو القراءة وحركات الشمس ، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقي باسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لو كنت أطيع الأذان مع الخلافة لأذنت .

بعض أحكام الاذان والاقامة

قيل هما سنة في الصلوات الخمس في الحضر والسفر والجماعة

غنمك أو باديتك ، فأذنت للصلاة ، فارفع صوتك في النداء ، فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيامة » . قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويستحب أن لا يبالغ في رفع صوته حتى لا يضر نفسه ، وروى أن عمر سمع أبا محذورة قد رفع صوته فقال له : « أما تخاف أن ينشق مريطاؤك » . والمريطاء - كما قال ابن فارس - من الصدر الى العانة .

ما شرع له الاذان والاقامة

شرعا للصلوات الخمس ولم يشرعا لغيرها بلا خلاف ، وينادى للعيد والكسوف والخسوف والاستسقاء بعبارة (الصلاة جامعة) وكذا التراويح اذا صليت جماعة ، ولا يستحب ذلك في صلاة الجنائز على الأصح ، ويرى الامام الغزالي « استجاب ذلك فيها » والمذهب الأول .

فمن سأل لى الوسيلة حلت له
الشفاعة » •

وأخرج مسلم بسنده عن سعد
ابن أبى وقاص عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال : « من قال
حين يسمع المؤذن أشهد أن لا اله
الا الله وحده لا شريك له ، وأن
محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله
ربا وبمحمد رسولا ، وبالإسلام
دينا غفر له ذنبه » •

وأخرج البخارى بسنده أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « من قال حين يسمع النداء :
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة ، آت محمدًا الوسيلة
والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا
الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم
القيامة » •

والله تعالى هو الموفق للصواب •

مصطفى محمد الطير

والانفراد ، فان تركا صحت
الصلاة ، وبه قال الجمهور ، وقيل
فرض كفاية فى حق الجماعة حضرا
وسفرا ، فى مسجد أو غيره ، وقيل
ذلك فى مسجد الجماعة •
وليس شرط لصحة الصلاة ،
وقيل بل هما شرط لصحتها ، وهو
رأى ضعيف •

ما يستحب من الدعاء والذكر بعد الأذان

يستحب بعد الأذان أن يصلى
على النبى صلى الله عليه وسلم ،
ويدعى له بالوسيلة ، أخرج مسلم
بسنده عن عمرو بن العاص أنه
سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا
علىَّ ، فانه من صلى علىَّ صلاة
صلى الله عليه بها عشرة ، ثم
سلوا لى الوسيلة ، فانها منزلة فى
الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد
الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ،

من هدى النبوة

المجتمع الفاضل كما يصوره النبي

صلى الله عليه وسلم

بقلم الأستاذ عبد الحميد الفضالي

— ٢ —

الرسول أولى المنهيات اهتمامه

ونلاحظ أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى حديث المبايعة — قد أولى المنهيات المراد تركها والتخلص منها ، اهتمامه الشريف ، فنص عليها .. فى حين ذكر المأمورات على طريق اجمال ، فى قوله : «ولا تعصوا فى معروف» فعدم العصيان فى المعروف ، هو تنفيذ الأمر بالمعروف الذى عرف حسنه من الشارع الحكيم .. وذلك لأن التخلّى يسبق التحلى ، فالإنسان يتنظف ويتطهر أولاً ، قبل أن يلبس النظيف من الثياب ويتطيب .

كما أن الترك أيسر من الفعل .. فإذا طلبت من السارق ألا يسرق أموال الناس بالباطل ، كان أيسر عليه الترك ، من مطالبته بأن يحسن الى الناس من ماله الخاص .

ومن هنا ، وجب على الحاكم المسلم الجاد الغيور على دينه وعرضه ووطنه — أن يلبي دعوة رسول الله ، أولاً وقبل كل شيء ، فى تطهير المجتمعات الاسلامية ، من جميع المنكرات والموبقات .. وفى طليعتها ما نص عليه رسول الله فى حديث المبايعة .. حتى لا يكون بيننا ملحد أو مشرك .. ولا يكون بيننا سارق .. ولا زان .. ولا قاتل .. ولا كذاب .

ولهذا قيل : « التخلّى عن الرذائل ، قبل التحلى بالفضائل » .

فالأصل فى بيئات الاسلام والمسلمين — النظافة ، والطهارة ،

والمروءة والانسانية ، والشرف
والحفة .. والنظام •

أما هؤلاء الذين يقعون فى هذه
المنهيات ، أو يرتكبون شيئا من هذه
المنكرات .. فهم خارجون على هذا
الأصل .. أو دخلاء عليه .. قد
تجردوا من المعانى الفاضلة ،
وارتدوا ثياب الخسة والندالة
والقذارة ، والبغى والعدوان ،
والفوضى والطغيان ، وأحدثوا خلا
وفزعا واضطرابا وفسادا وفسادا ،
فى مجتمع الأمن والطهر والاستقرار
والصلاح والاصلاح •

فوجب على الحاكم المسلم ، أن
يعيد البيئة الاسلامية الى أصلها ،
والى ما كانت عليه قبل اعتداء
المعتدين واجرام المجرمين وبغى
الباغين .. وذلك بأن ينفذ فيهم
حدود الله ، التى بينها فى شرعه
الحكيم .. مهما كانت منزلة المجرم
عند الحاكم أو الرئيس الأعلى ،
لقراة أو صداقة ، أو مكانة فى
المجتمع .. لأن حدود الله لاتعرف
المحاباة •

فهذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، يجيئه « أسامة بن زيد »
شفيعا فى المخزومية التى سرت ،
فيغضب منه رسول الله ، ويقول له
قولته المشهورة التى تشع نورا
وضياء ، وعدالة وانصافا ، ومساواة
كاملة فى تنفيذ حدود الله : « أتشفع
فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ •
انما أهلك الذين من قبلكم أنهم
كانوا اذا سرق فيهم الشريف
تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف
أقاموا عليه الحد .. وأيم الله ، لو
سرت فاطمة بنت محمد ، لقطع
محمد يدها » •

وقد استنكر القرآن الكريم ذلك
فى قوله تعالى : « أفحكم الجاهلية
يبيغون ، ومن أحسن من الله حكما
لقوم يوقنون .. » •

فلماذا نبطئ فى تنفيذ حدود
الله !!! كفى ما كان من نهب وسلب
وتخريب وتسيب فى مال الأمة
وحقوق الشعب !!

ولمصلحة من هذا الابطاء فى
اقامة الحدود !!! وقد طفق الكيل

« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير »؟! *

ولذلك ورد في الحديث الشريف
الذي أوقف حياله خاشعا ، محاولا
أن أبين بعض ما فيه - قول
رسول الله :

« فمن أصاب من ذلك شيئا ،
فعوقب به في الدنيا ، فهو كفارة
له » *

والعقوبة في الدنيا - اقامة الحد
الشرعى *

وعبارة الحديث توحى بأن من
أقيم عليه الحد في الدنيا - يكفر
الله ذنبه ويغفره ، فلا يعاقب به مرة
أخرى .. وذلك فضل من الله ونعمة
والله ذو الفضل العظيم *

ما عدا عقوبة الاشراك بالله ، فلا
غفران لها .. بنص كتاب الله :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » *

انتشار حانات الخمر

ومراقص النساء

ومن عجب أن تنتشر في بلاد
المسلمين حانات الخمر .. ودور

.. وبلغ السيل الزبى .. وجاوز
الحزام الطبيين .. وصار الناس
لا يأمنون على أنفسهم وأعراضهم
وأموالهم ، من قطاع الطرق الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الأرض فسادا ، ويختطفون البنات
والزوجات ، ويهتكون الأعراض ،
ويغتصبون الأموال ، ويقتلون من
يدافع عنها جهارا نهارا؟! .. *

بل انها تهز المجتمع من أساسه،
وتقضى على أمنه وأمانه !!

ان القوانين الوضعية يحيط بها
الخطأ من كل جانب ، لأن كل بنى
آدم خطأ .. فهي لا تصلح علاجا
ولا دواء ، ولا تحقق ردعا ولا
زجرا *

انما حدود الله ، هي الرادعة
الزاجرة ، لأنها من عند عالم السر
والنجوى ، من عند خالق الناس
والكون والحياة الذى يعلم الداء
ويعرف الدواء يعلم حقيقة
الاجرام وكنه المجرمين ، يعلم
ما يصلح البشر ، وما لا يصلحهم :

فهى بحق أم الكبائر !! ..

فهل يصح أن نستعين بها ، أو
نقصر فى منعها ، ونحن مسلمون
نؤمن بحرمتها وخبثها وفسادها
وافسادها !!!

أما أماكن اللهو الفاحش الداعر،
المسماة « بالكاريهات » فوجودها
سبة وعار وفضائح مخزية ، نعيم بها
ونساء ، وتتهم بأننا غير مسلمين ..
وبأننا متعاضون عن الفاحشة ..
وترتكب فى أهلينا وأقربائنا !!! ..

وكل من يرضى بذلك ، فهو
مستهتر لا يغار على أهله ، ولن يشم
رائحة الجنة ، كما أشارت بذلك
السنة المطهرة •

وما قيمة الرجل اذا لم يكن
غيورا ؟!

انه أشبه بالخنازير ، فى خستها
وقذارتها ، وانعدام غيرتها •

ومن الخير لنا كمسلمين أن
نصحح أوضاعنا ، وأن يبادر
حاكمنا المؤمن بالغاء التصريحات
التي أعطيت فى عهد الضلال ،

اللهو الفاحش كما فى شارع الهرم .
وهى ظاهرة مؤسفة فى كثير من بلاد
المسلمين .. ففيها الشراب والنساء
واتيان الفاحشة ، ما ظهر منها وما
بطن •

ومن هنا وجب على الحاكم المسلم
أن يبادر بتحريم شرب الخمر ،
كما حرمها الله ، وأن يعاقب شاربيها
بجلده ثمانين جلدة ، على مشهد
من الناس ، ليرتدع الآخرون ..
فالخمر أم الخبائث ، كما سماها
سيدنا رسول الله ، لأن من شربها
سكر واذا سكر هذى ، واذا هذى
افترى ، وارتكب ما لا يليق ..

وقد حكى رسول الله ان رجلا
من بنى اسرائيل ، استدعته امرأة
الى بيتها ، فلما دخل البيت ، حالت
بينه وبين الخروج ، الا أن يرتكب
جريمة من جرائم ثلاث : أن يشرب
الخمر ، أو يقتل غلاما ، أو يزنى
بها .. فاختار أن يشرب الخمر ،
ظنا منه أنها أهون الثلاثة .. لكنه
لما شربها سكر ، فلما سكر قتل
الغلام ، وزنى بها !!!

المخمورين ، وأشباه المخمورين ،
ممن لا عاصم لهم من عقل ، ولا من
دين ، ولا من يقظة ضمير !! •

وعندنا فى بلادنا ، فى مصرنا
العزيزة - بلد الأزهر الشريف -
كتاب لهم غرام بالاثارة الجنسية
فيما يكتبون ، وعليها يعيشون ..
وفى قصصهم التى ينشرونها ، عن
رحلاتهم التى يقومون بها ،
ويتخللون وقوع أحداثها ، على
الصورة التى تحقق أغراضهم ،
ونجاحهم فى ايقاظ الغرائز الحيوانية
الدنيا ، فى الانسان المصرى
والعربى المظلوم .. فتتضاعف
أعداد المنحطين والقارئى لهذا
الأدب الخليع الرخيص المسموم !!

ومن المؤسف أن كثيرا من هذا
القصص نشر ، وينشر فى الصحف
اليومية الكبرى .. وبعض
المجلات !! ..

انه من باب الكرامة الاسلامية،
فى أمة مسلمة ، يقوم دينها أساسا
على معاداة هذه الموبقات ، وعدم
اقرار وجودها ، أو التحريض

لإقامة وبناء هذه الاماكن الداعرة
التي تشيع الدعارة والدياثة بين
الناس ، وبخاصة الشباب المجنى
عليه ، بحرمانه فى عهود الضلال
من تعلم دينه وأداء شعائره ،
والعمل بمقتضاه !! •

اعلامنا فاسد

وشىء آخر أطالب به ولالة الأمر،
خدمة لضعفاء النفوس ، وحماية لهم
من الوقوع فى الآثام ذلك هو
اصلاح الاعلام فى بلاد الاسلام •
فاعلامنا للأسف الشديد - اعلام
هزيل وبيل ، يهدم ولا يبنى ،
ويفسد ولا يصلح .. ان أكثر
ما يعرض فى المسارح ، وعلى
الشاشة الكبيرة .. والشاشة
الصغيرة « السينما والتلفزيون »
من التمثيليات والمسرحيات ،
والأفلام - خليع ماجن مبتذل ،
هدام ، لا يربى خلقا ، ولا يبنى
نفسا ، ولا يقوم اعوجاجا .. بل
هو مثير لأحط الغرائز فى الانسان،
ودافع لارتكاب الفواحش
والموبقات .. وبخاصة فى أولئك

وكفى ما نحن فيه !! •• أليس الله يأمرنا فى محكم كتابه فى قوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » •

ونقول أخيرا ، وليس آخر فى هذا المجال ، للذين يستحبون العمى على الهدى : ان من أراد دعارة وفجورا ، وانسلاخا عن آدميته ، وتجردا من انسانيته ، واشباعا لغرائزه الدنيا •• فليذهب الى غير ديار الاسلام والمسلمين ، ان كان عنده بقية من حياء •• ففيها متسع لأمثاله من الحيوانات الآدمية !! ••

ثم جاء فى الحديث الشريف : « ومن أصاب من ذلك شيئا ، ثم ستره الله ، فهو الى الله ، ان شاء عفا عنه ، وان شاء عاقبه » ••

فاذا ما ضمنا الى هذا القول الكريم ، قولاً كريماً آخر ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر :

« كل أمتى معافى الا المجاهرين » استطعنا أن نفهم أن الذين

عليها - ألا يكون لهذه الموبقات ودوافعها - وجود رسمى مصرح به من الحكام المسلمين فى ديار الاسلام •• ولا يسمح لهؤلاء الرقعاء من الكاتبين ، بأن يكون لهم وجود أو عمل فى هذه الصحف التى تخلق لهم الصفحات ، لنشر الشبهوات واذاعتها بين الناس ، صيانة على الأقل للمراهقين والمراهقات ، من الفتيان والفتيات ، ومن فى حكمهم وعملا على الأقل بمبدأ « اذا بليتيم فاستتروا » •

ثم كيف يبيع الرقيب - ان كان له وجود - نشر هذه السموم الفتاكة ، والأدواء المهلكة لما تبقى من قيم وأخلاقيات الاسلام ؟ !

ان الرقيب هو الله ، الذى يحاسب كل نفس بما كسبت ، وكل أمة بما استحققت •• لكن رحمته سبقت غضبه ، وهو من أجل ذلك لا يعجل بالعقوبة ، لكنه يمهل ولا يهمل •• ولما كانت النعمة تعم ، فالخوف من عمومها وشمولها ، يدفعنى الى التخويف من عواقبها ،

يوم ، ليصلى صلاة الاستسقاء ، فلم ينزل الله المطر .. فنادى موسى ربه قائلاً : يا رب .. لقد صلينا ، فلم تغثنا .. ! فقال الرب لموسى : يا موسى ، لقد كان بينكم رجل عاص ، فمره أن يخرج من بينكم . فقال موسى لمن معه : ان بيننا رجلاً عاصياً ، فليخرج ، حتى يغيثنا الله .. فلم يخرج أحد .. وأعاد موسى صلاة الاستسقاء ، لكن السماء فى هذه المرة أمطرتهم .. فلما انتهى موسى من صلاته ، رجع لمناجاة ربه فأخبره الله بأن العاصى قد تاب اليه سرا ، كما عصاه سرا .. فقبل الله توبته .. فطلب موسى من ربه أن يدلّه عليه .. فقال الله : يا موسى ، لقد سترته وهو عاص ، أفأفضحه وقد تاب !!؟

أما المخطئ المجاهر بعصيانته ، فهو انسان فقد الحياء ، وهو بمجاهرته ، كأنه يتحدى الله ولا يخشاه ، فهو رجل أساء الأدب مع الله .. كما أنه بمجاهرته - يشجع غيره على عصيان الله ، ويحرضه على ارتكاب الخطايا بغير مبالاة ،

لا يجاهرون بعصيانهم - فان باب الأمل والرجاء مفتوح أمامهم .. فقد يعفو الله عنهم ، ان شاء ، أو يعاقبهم ان شاء .. فالأمر كله لله وحده .. غير انه سبحانه لا يظلم الناس شيئاً .. وأنه سبحانه أعدل العادلين وأحكم الحاكمين .. وأنه سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل .. وهو جل شأنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .. ولن يخلف الله وعده .. واذن فهو أعلم بمن تاب ، ومن لم يتب ، وبمن كان صادقاً فى توبته ، ومن كان كاذباً فيها .. فهو يعلم السر وأخفى .. فمن أخلص فى توبته ، شمله الله تعالى بعفوه ورحمته .. وكما ستره فى ارتكاب خطيئته ، بعصيانه سرا ، فهو بفضل جل جلاله ، يقبل توبة الصادق فى توبته فيما بينه وبينه .. فالمهم أن تكون توبة العبد توبة نصوحاً ، ليقبلها الله !! ..

فقد روى فى السنة المطهرة ، أن موسى عليه السلام ، قام ذات

أما النواهي ، فلا تقربها أبدا ،
قولا واحدا ..

عملا بالحديث الشريف : « اذا
أمرتكم بأمر ، فأتوا منه ما استطعتم ،
واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » .
ولأن الترك أيسر من الفعل ،
« ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » ،
وفى ذلك رحمة من الله لنا ، وتخفيف
عنا .. والتخلى مقدم على التحلى .
وفى الامثال خيرا ، وعزنا ،
وأمننا ، فى دنيانا وآخرتنا .. فقد
أخبرنا رسول الله أن من وفى وامتل
ما بايع عليه ومات عليه ، فأجره
مدخر له عند الله .. والله سبحانه
وتعالى لا يخلف وعده ومثوبته
ورحمته ..

هذا ، أما غير المعروف حسنه من
الدين ، كالاضافات التى يضيفها
المبتدعون ، الى دين الله ، اختراعا ،
أو استحسانا ، كما يقولون - فهو
افتراء على الله ، واتهام لدينه
بالنقص ، وأنه دين فى حاجة لمن
يكمل نقصه ، أو يجبر كسره ! ..
مع أن الله سبحانه وتعالى قد

فهو شيطان .. وهو مرتكب لأكثر
من ذنب .. وهو قمين بحرمانه
من غفو الله .. وقد ورد فى حديث
المجاهرين بالمعاصي : « زان من
المجاهرة أن يعمل الرجل عملا بالليل
ثم يصبح ، وقد ستره الله ، فيقول
يا فلان عملت البارحة كذا ، وكذا ،
وقد بات يستره ربه ، ويصبح
يكشف ستر الله عنه » .. فهل مثل
هذا الذى فقد حيائه ، وبالغ فى
عصيانه ، وحارب الله ورسوله ،
وجاوز قدره مع الله .. هل مثل
هذا يستأهل عقو الله !!؟

وجاء فى الحديث الشريف :

« ولا تعصوا فى معروف » ..

والمعروف - كما أشرت اليه من
قبل - هو ما عرف حسنه من
الشارع الحكيم أمرا ، ونهيا ..
فالواجب علينا جميعا : رؤساء ،
ومرءوسين ، حكاما ومحكومين ،
قادة ومقودين - أن نلتزم بأوامر
الله ، نأتى منها ما استطعنا .

والسنة لم يتركها في سبيل الهداية
قولا لقائل... وان كل من خالفهما ،
أو ادعى نقصانهما أو عدم
صلاحيتهما ، فهو الناقص ، وهو
الضال المضل الذي لا يريد للناس
صلاحا .. لما جاش في نفسه
الأمارة بالسوء !! ..

ان أحد فلاسفة الغرب .. ولعله
« برنارد شو » يقرر أن صلاح
العالم بالاسلام .. ويقول : مخاطبا
قومه : « اذا لم تتخذوا الاسلام
دينا .. فاتخذوه شريعة ودستورا ..
ان شريعته لكفيلة بسعادة البشر » ..
قد تنكر العين ضوء الشمس من
رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم
ان الله تعالى يقول :

« ما فرطنا في الكتاب من
شيء » ..

ويقول : « وان هذا صراطى
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله » ..

ويقول : وما آتاكم الرسول

أكمل دينه ، وأتم نعمته ، ورضى لنا
الاسلام الذى جاءنا من عنده -
دينا نتعبد به ، ونسترشد به فى
كل ما نأتى وما ندع .. ونسير
على هداة ..

فقد كانت آخر آية نزلت من
عند الله على رسوله المبعوث رحمة
للعالمين - هى قوله تعالى : « اليوم
أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم
نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام
دينا » ..

فهل بعد اكمال الله الخالق المعبود
لدينه ، واتمامه له ، ورضاه عنه ،
واختياره لشرعه - يكون هذا
الدين ، فى حاجة الى مخلوق خطاء
من بنى آدم ، ليس نبيا مرسلا -
لاكماله واتمامه !!؟ ..

ان الدين مصدره الله ، ولا مصدر
له سواه .. وهو سبحانه الحكيم
العليم بما يصلح مخلوقاته من
الشر ، اذا ما التزموا فى تعبدهم ،
وتعاملهم ، بما جاءهم فى كتاب الله
وسنة رسوله .. من غير زيادة
عليهما ، أو انقاص منهما .. فالكتاب

لظلمات الشك ، والمطفئة ليران
النزاع والخلاف ، والجامعة لوحدة
الأمة الاسلامية ، التى هى خير أمة
أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى
عن المنكر وتؤمن بالله !!!

لقد أنزل الله على رسوله الكتاب
والحكمة .. والحكمة هى السنة .
وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « ... ألا وانى قد
أوتيت الكتاب ، ومثله معه .. » .

فليس لأحد أن يقول : بيننا
وبينكم كتاب الله ، ما وجدنا فيه
من شيء اتبعناه !! .

وقد حكى الشافعى (رضى الله
عنه) ان اجماع الصحابة والتابعين
ومن بعدهم على أن من استبانت
له سنة الرسول (صلى الله عليه
وسلم) ، لم يكن له أن يدعها
لقول أحد ! .

وقد حذرنا الرسول فى حديث
يقول فيه : « .. وإياكم ومحدثات
الامور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل
بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى
النار » .

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ،
واتقوا الله ان الله شديد العقاب» .
ويقول : « فان تنازعتم فى شيء
فردوه الى الله والرسول .. » .

فهو سبحانه ينهى التفريط
والتقصير فيما شرع ، عن كتابه
الكريم الذى هو متن السنة ..
وهو يأمر باتباع سبيله ، والتزام
ما شرع فيه من الدين القويم ..
فصراطه مستقيم .. كما ينهى عن
اتباع السبل المخالفة لمنهجه ، عند
أهل البدع والأهواء .

وهو يوجب الأخذ بالأوامر التى
جاءنا بها رسول الله من عند الله .
والاتتهاء عما نهى عنه .. والا
فالعقاب الشديد والعذاب الأليم
لمن لم يتق الله فى أوامره
ونواهيه !! .

ثم هو يأمر المختلفين على أمر
أو المتنازعين فى شيء - أن يردوه
الى الله ورسوله ، أى يعرضوه على
ما جاء فى الكتاب والسنة بشأنه ،
ففيهما الحق الواضح ، والبيان
الشافى ، والحجة القاطعة المبددة

والاختراع فى أمور الدنيا والافتتان فيها ، أليس الرسول يقول : « اتم أعلم بشئون دنياكم » •

فمن حقنا أن نبتدع ونخترع فى الامور المعيشية ، والاجتماعية ، والعمرانية ، والصناعية • بحيث تلتئم مع أصول الدين ومقاصده • وأن يكون أساس هذا الاختراع درء المفسد ، وجلب المصالح ، واقامة العدل ، واماطة الظلم ، ورد المظالم الى ذويها • كالمستشفيات ، والجامعات ، ودور القضاء ، واقامة المصانع ، وايجاد الطرق المسهلة لرقى الصناعة والتجارة ، ووسائل المواصلات البرية والجوية والبحرية ، وبناء الجيوش وتسليحها بأحدث المعدات • ومعرفة العلوم والتجارب الموصلة للكشف عن المخبوء من كنوز الكون • ومعرفة ما يمكن معرفته من أسرار الطبيعة ، وأسرار الحياة ، فى ملكوت الله • واعداد كل ما يقوينا ، ويعلى من شأننا ، ويرفع من أقدارنا فى جميع مناحى الحياة ، لاحقاق الحق وابطال الباطل ، وردع البغاة وقهر

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » •

ومما جاء فى تعريف البدعة ، انها طريقة فى الدين مخترعة ، ابتدعت على غير مثال سبقها من الشارع •

ويقرر المحققون من العلماء أن الدين ينهى عن الاختراع فيما حدده ورسمه على وجه مخصوص كالعبادات •• فلا يصح لأحد أن يغير فيها شيئاً بزيادة أو نقص ، أو تبديل هيئة بهيئة أو كيفية بكيفية • « صلوا كما رأيتمونى أصلى » •

كما يقررون بأن ما أحدثه عمر رضى الله عنه - فى صلاة التراويح - أو ما أحدثه عثمان رضوان الله عليه فى الأذان يوم الجمعة - انه داخل فى السنة ، وليس من البدعة استنادا الى قول رسول الله « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » •

وكما يقررون فى اجماع ، بأن الدين لا يمنع من الابتداع ،

المعتدين ، وارهاب الظالمين ..
« وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ... » .

كل ذلك وأمثاله مطلوب منا ،
ويؤجر عليه صاحبه ، ويثاب فاعله .

واذن فالعمل للدين والدنيا ،
واجب على كل مسلم ومسلمة ، في
حدود ما حدده الله ورسوله
للمسلمين .. فليس خيرا من ترك
الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ،
ولكن خيرا من أخذ من هذه وأخذ
من هذه ، كما يقول سيدنا رسول
الله .. وان اليد العليا خير من اليد
السفلى ، واليد العليا هي التي
تعطى ، واليد السفلى هي التي
تأخذ .. فالعمل واجب ، والعمل
عبادة وطاعة .. وفي عهد عمر بن
عبد العزيز ، رضى الله عنه - لم
يكن أحد يمد يده لسؤال الناس ،
لأنهم كانوا جميعا يعملون ويكسبون
رزقا حلالا ، ولا تقعدون عن طلب
الرزق انتظارا لما يقدم اليهم من
صدقة او زكاة .. ان الفقراء
والمساكين لم يكن لهم وجود في
خلافة عمر بن عبد العزيز !!

أما بعد ، فهل يصح أن يكون
في مجتمعاتنا الاسلامية ، وبين
المنتسبين الى الاسلام - من
يعيشون على هامش الحياة .. أو
من يغيرون في دين الله .. باسم
البدعة الحسنة ، او تحت ستار
« التصوف » أو ستار « الذكر
والعبادة » ، مع المخالفة الصريحة
لنصوص الكتاب والسنة .. ولما
كان عليه سلفنا الصالح ، عليهم
رضوان الله .. في اذكارهم ،
وعبادتهم ، وأعمالهم ، ومعاملاتهم ..
ان كثيرين منهم لا يذكرون الله ،
ولا يتأدبون معه ، ولا يخشون في
ذكرهم له ، ولا يسلكون سبيل
الذاكرين من المؤمنين .. وانما
يذكرون أنفسهم وما يشعرون ..

انهم لا يكادون يفهمون من
مدلول الذكر ، الا هذا اللون
الضيق الذي يجسسون أنفسهم فيه ،
مع المخالفات الكثيرة التي يرتكبونها
في أدائه .

وينسون أن مجالس العلم من
ألوان الذكر .. ولذلك لا يلقون

والا ، لشوشوا على حلقة العلم
... ولنهامهم الرسول الذي
لا يسكت عن قول الحق والخير
والهدى والرشاد !! •

كما ينسى هؤلاء ، أن خير
ألوان الذكر قراءة القرآن ،
والصلاة •

فقد كان رسول الله اذا أراد
مناجاة الله فزع الى الصلاة... واذا
أراد أن ينجيه الله تلا كتاب الله •

الى غير ذلك من ألوان الذكر
النافع • كذكر التفكير الصامت
الذي يستعرض الانسان فيه حياته
من يوم ولادته الى يوم موته ،
ودخول قبره ، وسؤاله ومحاسبته ،
وأنة لا ينفعه ماله ولا أولاده من
الله شيئا ، فيتوب الى الله من أعماقه
ويستأنف حياة سالحة قبل فوات
الأوان • وكذكره الله ، بقيامه
للصلاة فى جوف الليل والناس
نيام !! •

انه قد بلغ الأمر بالمخالفين فى
حلقات أذكارهم - انهم اذا سمعوا
اسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم - لا يصلون عليه ولا

لها بالا ، ولا تنال منهم اهتماما
... ويحرمون أنفسهم ، من العلم
النافع لهم •

لقد دخل رسول الله ذات يوم
المسجد ، فرأى حلقة ذكر ، وحلقة
علم • فقال : أما هؤلاء (وأشار
الى حلقة الذكر) ، فيدعون الله •
ان شاء أعطاهم ، وان شاء منعهم •
وأما هؤلاء (وأشار الى حلقة العلم)
فيتذكرون العلم ويتدارسونه •
وانما بعثت معلما ، وجلس فى
حلقة العلم •

ومن هنا تفهم أن حلقة العلم
(وهى ذكر وعلم) - أفضل من
حلقة الذكر وحده •

كما أننا تفهم أن الذاكرين فى
حلقتهم لم يكونوا يحدثون صراخا
ولا ضجيجا ، ولا جلبة ولا ضوضاء ،
وانما كانوا ملتزمين فى دعائهم
وذكرهم لأدب القرآن والسنة :
« ادعوا ربكم تضرعا وخفية • • »
« واذكر ربك فى نفسك تضرعا
وخفية » • • « لأنكم لا تنادون
أصم ولا نائيا ولكنكم تنادون
سميعا قريبا » •

ولا تبطلوها ، بمآربكم الفانية
فى الحياة الدنيا !

ولا تبطلوها ، بمعصية الله
ورسوله !

ولا تبطلوها ، بالشك والنفاق !

ولا تبطلوها ، بالعجب
والاستعلاء على الحق .. فان
العجب يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب !

ولا تبطلوها بالمن والأذى .. ولا
تبطلوها بالرياء والسمة !

ورحم الله عبدا لم يجبط عمله
الصالح بعمله السيئ !

وحسبكم أن تعلموا أخيرا قول
رسول الله : « من أحدث فى ديننا
ما ليس منه ، فهو رد » أى مردود
مرفوض .

وقوله : « تركت فيكم ما ان
تمسكتم به لن تضلوا أبدا ، كتاب
الله وسنتى » .

وفقنا الله وإياكم لما فيه رضاه .
انه سبحانه نعم المولى ونعم
النصير .

عبد الحميد الفضالى

يخفلون به .. فى حين اذا سمعوا
اسم شيخ من أشياخهم يصابون
بالارتعاش والتشنج ، أو الانجذاب
.. ويطلبون من حضرته الصفح
والمغفرة .. ويستغيثون به ، ويطلبون
المدد منه ، لأنهم يعتقدون خطأ ،
أنه يضر وينفع ، ويغيث ويشفع ..
مع أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم - يخاطبه ربه بقوله :

« قل لا أملك لنفسى نقما ولا
ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم
الغيب لاستكثرت من الخير ، وما
مسنى السوء ، ان أنا الا نذير
وبشير لقوم يؤمنون » .

فكيف يملك شيوخهم ما لا يملكه
رسول الله ؟ !!

كل ذلك وغيره ، قد أوحى به
النهى الشريف فى قول رسول الله
فى حديث المبايعه :

« ولا تعصون فى معروف » .

« فيا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله ، وأطيعوا الرسول ، ولا تبطلوا
أعمالكم » ..

لا تبطلوها ، بالبدع والأهواء !

صورة من حكمة الله

النسخ ... والتدريج

في الحكم الشرعى

بقلم الأستاذ أحمد حسين

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً الا عابري سبيل حتى تفتسلوا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الفائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان عفوا غفورا » .

قضية الناسخ والمنسوخ

والمنسوخ أن القدامى كانوا يسلمون في غير تحفظ بوجود الناسخ والمنسوخ حتى جعلوا منه فرعاً أساسياً من فروع العلم وحظروا على كل من يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن لا يكون محيطاً بهذا العلم .

تحدثت في هذا التفسير أكثر من مرة عن قضية الناسخ والمنسوخ وما كان لنا أن نعيد القول بمناسبة هذه الآية التى تساق دائماً للتدليل على وجود الناسخ والمنسوخ فى آيات القرآن حيث لا تصلح الآية الا لاثبات التدرج فى التشريع وليس لاثبات معارضة بعض الآيات لبعضها الآخر .

على أن ذلك لم يمنع القدامى من الاختلاف حول ما هو منسوخ وما هو محكم فما من آية قال عنها البعض انها منسوخة الا وقال بعض آخر عنها انها ليست كذلك ولكن وجود الناسخ والمنسوخ ظلت قضية مقررة واتفق على أن المتأخر من

« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » (النساء : ٨٢) .

القدامى والمحدثون :

ومجمل ما يقال فى قضية الناسخ

اضطر الشيخ محمد عبده الى القول بأن « الآية » تعنى فى هذا الموضع « الآية الكونية » ولم تقتنع برأى الشيخ محمد عبده ولكننا رضينا كل الرضا عن قول المرحوم الدكتور احمد غلوش أن المقصود بالآية هنا هو الكتب السماوية من أمثال التوراة والانجيل فقد كانت كل دعوى اليهود ضد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : ألسنت تعترف يا محمد ان هذه التوراة من عند الله ؟ فيكون الجواب « نعم » فيسرع اليهود الى القول : فهل من المعقول أن يغير الله كلامه ؟!

فكانت هذه الآية ترد عليهم بأن الله يفعل ذلك تبعا للتطور البشرى وأن الجديد اذا لم يكن أحسن من القديم فهو على أقل تقدير يساويه « نأت بخير منها أو مثلها » ويدعم هذا النظر ويقويه أن الآية وردت فى سياق الجدل مع اليهود ومعلوم أن هذه كانت حجتهم فكان لا مناص من ذكرها وذكر الرد عليها .
أو ننسها :

وذلك كله فضلا عن اشتماله الآية على وصف يستحيل وصف

القرآن يلغى المتقدم واتفق كذلك على ان القرآن ينسخ السنة ثم جرى الخلاف حول ما اذا كانت السنة تنسخ القرآن وانحصر الخلاف بطبيعة الحال حول مدى ثبوت السنة الناسخة فاذا ثبتت السنة الناسخة فلا جدال انها تنسخ القرآن فالمصدر فى كليهما واحد « وما ينطق عن الهوى » .

والمهم الجدير بالتسجيل والتقرير ان كل هذه الابحاث كانت تدور من الناحية العامة أى النظرية أما من الناحية التطبيقية فكما قدمنا ما من آية قال البعض انها منسوخة الا ووجد من يقول أنها محكمة ثم يعمل على التوفيق بينها وبين الآية التى وصفت بأنها ناسخة أما المحدثون ابتداء من الشيخ محمد عبده وتلامذته فقد نفوا أن يكون فى القرآن نسخ ، ولما كان القرآن الكريم يتضمن آية صريحة وقاطعة فى حدوث النسخ بمعنى التفسير والاستبدال : « وما ننسخ من آية أو ننسها نأتى بخير منها أو مثلها » .

وازاء هذه الصراحة فى النص

ولذلك كان من رأينا أن آية
« ما نسخ من آية ... » الآية
لا علاقة لها بموضوع النسخ
والمسوخ الذي هو حقيقة مؤكدة
فى الشريعة الإسلامية وانما الآية
تشير الى الأديان السابقة •

الآية الوحيدة التي تتصل بالنسخ

فى رأينا أن الآية الوحيدة التي
يمكن ان يوصف بها ما يجرى
لبعض آيات القرآن هو ما قرره
القرآن الكريم نفسه بصدد القضية
موضوع البحث •

وهو قوله تعالى فى سورة النحل :
« واذا بدلنا آية مكان آية والله
أعلم بما ينزل قالوا انما أنت
مفتر » •

فليس هناك نسخ فى القرآن
بمعنى أن تلغى آية حكم آية وانما
هناك استبدال مكانى بوضع آية
مكان آية على أن تظل الآيتان
عاملتان كلما تهيأت الظروف لتحقيق
أى منهما •

وفى رأينا أن لا تغنى آية عن
تطبيق آية أخرى أبدا وكل ما فى

آيات القرآن به وهو كلمة «نسها»
وسبب الاستحالة هو وعد الله
سبحانه وتعالى بعدم حدوث ذلك
— انا نحن نزلنا الذكر وانما له
ليحفظون —

ولما خشى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من امكان حدوث ذلك
بمعنى أن ينسى بعض الآيات طمأنه
الله سبحانه أن ذلك لن يحدث
— لا تحرك به لسانك لتعجل به •
ان علينا جمعه وقرآنه — فنسيان
الرسول لبعض آيات القرآن فضلا
عن أنه مناف لطبيعة الرسالة (التي
تقوم على العصمة) فثمة وعد من
الله عز وجل بأن ذلك لن يحدث •

نسيان الكثير من الرسائل

وحيث نرى أنفسنا أمام وعد
صريح لسيدنا محمد أن الله سيحفظ
كل آياته التي أنزلها عليه نرى
عديدا من الرسائل التي أنزلها
الله يوما ما قد نسيت تماما ولم
يبق لها ذكر أو أثر وقد أشار القرآن
الكريم الى أسماء بعض هؤلاء
الرسل ولم يشر الى البعض الآخر
وبالتالى الى فحوى رسالتهم •

بيت المقدس ولم يكن ذلك يسبب له أى ضيق أو حرج ما بقى فى مكة فقد كان يصلّى الى حائط الكعبة الجنوبي بحيث تكون قبلته

فيما وراء ذلك هو بيت المقدس وظل الحال على هذا المنوال حتى بعد أن هاجر الى المدينة فأصبح يتجه فى صلاته صوب الشمال حيث بيت المقدس واستمر المسلمون يتوجهون فى صلاتهم الى بيت المقدس حتى هبط الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بأن تكون الكعبة وليست بيت المقدس هى قبلته فى الصلاة فتحوّل القبلة من الشمال الى الجنوب وهذا نسخ لحكم (أى الغاء حكم وازالته) واتباع حكم جديد ، ولكنك لن ترى فى القرآن الكريم آية واحدة تدعو لاتخاذ بيت المقدس قبلة وانما الذى حدث أن نزلت آية قرآنية تبطل ما جرى عليه العمل بالفعل ولكنها لا تناقض آية سابقة أبداً ، كان هذا رأينا من أكثر من عشر سنوات سجلناه فى كتابنا « الاسلام بلغة العصر » واليوم وبعد معايشتنا

الأمر أن تقدم عليها فى التطبيق آية أخرى لتبقى الأولى عاملة فى مجالات خاصة كما سوف نرى فى هذه الآية التى نحن بصدددها •

النسخ فى الاحكام الشرعية وليس لايات القرآن

ونبادر فنقول أن وجود النسخ فى الأحكام الشرعية مسألة مقررة لا جدال فيها وقد أشار اليها القرآن الكريم أكثر من مرة وهذا هو ما يحدث اللبس عند الكثيرين ناسين - أن للشريعة الاسلامية مصدران وهما القرآن والسنة وقد سبقت السنة دائماً بأعمال سار عليها المسلمون ردحا من الزمان ثم نزل القرآن الكريم بحكم يغير أو يعدل بالتشديد أو التخفيف فيبادر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتخاذ الحكم الجديد والغاء ما جرى عليه العمل قبل نزول أمر القرآن الصريح •

ولعل أوضح مثال على ذلك تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة • فقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى فى اتجاه

« مخمور » خطيئة أعظم ، وهكذا يظل تحريم الصلاة على السكران ، قائما الى جوار تحريم الخمر نفسها فيكون المقدم عليه كمن يقدم على ارتكاب جريمة مضاعفه .

يبقى من يقول أن حظر الآية للصلاة في حالة السكر معناه اباحة السكر في غير الصلاة . وعندنا ان هذه مجرد تعلات لا تنتهى ومن يريد أن يشرب الخمر فسيظل يجد من أبواب الجدل الشئ الكثير ، فحتى آية التحريم القاطعة التى وصفت الخمر بأنها :

- تماثل الانصاب والأزلام .
- أنها رجس من عمل الشيطان .
- الأمر باجتنابها .
- الزجر لعدم الكف عنها .

ومع هذا التحريم المغلظ ، وكون شارب الخمر يجد ، فستجد من يقول لك أن الآية خلت من لفظ « التحريم » ومن هنا قلنا أن من يريد الجدل فباب الجدل مفتوح دائما فالقول بأن النهى عن الصلاة فى حالة السكر هو اباحة للسكر فى غير الصلاة ، هو لون من ألوان

للقرآن ونحن نشغل بتفسيره زادت هذه القضية وضوحا فى تفكيرنا وسنرى كيف تدعم الآية الكريمة التى نحن بصدها هذا النظر .

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »

هنا ويتنادى القائلون بالنسخ ، أنظروا لقد كان السكر مباحا الا فى الصلاة . ولقد أصبح ذلك منسوخا بتحريم الخمر عندما اعتبرها القرآن « رجسا من عمل الشيطان » وأمر باجتنابها ومن هنا يطلون العمل بحكم هذه الآية ، ونحن لا نرى هذا رأى فضلا عن أن نأخذ به ، وعندنا أن محكمة عاملة الى يوم الدين لم تنسخها الآية الأخرى لقد حرم الله الخمر فيما حرم ومع ذلك فما أكثر ما يرتكب المسلمون المؤمنون المحرمات ، ووقوع الانسان فى خطيئة بارتكابه أحد المحرمات فان هذا لا يعنى بحال أن يرتكب المزيد من الخطايا والآثام ، فان يشرب المؤمن الخمر خطيئة ، ولكن أن يقرب الصلاة وهو

الاجدل (المذموم) وتبقى الآية
الكريمة فصحية ناطقة الى يوم
القيامة تحذر السكارى والمخمورين
من الاقتراب من الصلاة •

حتى تعلموا ما تقولون :

ونريد أن نؤكد لأنه حقيقة أن
تحريم الخمر قد تدرج فى التشديد
والتعليظ على شرب الخمر فبدأ
بإيحاء « تتخذون منها سكرًا ورزقا
حسنا » أى أن الخمر لا تعد من
ضروب الرزق الحسن ولا شك أن
المؤمن الصادق قد فهم من هذا
الايحاء كراهية الخمر ولكن نظرا
لأن التركيز كان فى بادئ الأمر
على التوحيد وهجر عبادة الأصنام
من ناحية ولأن تعاطى الخمر كان
قد أصبح فى قريش عادة متأصلة
فقد ظل فريق ممن أسلموا يشربون
الخمر وراحوا يسألون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن حكم
الاسلام فى الخمر وهنا تدرج معهم
الشارع الحكيم فأفصح لهم عما
فى شربها من اثم كبير •

وكان ذلك كافيا لدى جماعة
المؤمنين للكف عن شربها ولكن الآية

التي نحن بصددتها تكشف عن أن
نقرا ظلوا (بحكم العادة القاهرة)
يشربون ، فأمرهم القرآن الكريم
أن لا يقربوا أماكن الصلاة فضلا
عن الصلاة نفسها وهم سكارى حتى
يعلموا ما يقولون •

ولما كانت الخمر هى آفة تصيب
العقل فما كان لمخمور أن يتأكد انه
لن يخلط غى الكلام ويكون معنى
ذلك ، هو تحريم الخمر التى تمنع
الانسان من الصلاة • ومع ذلك فقد
احتاج الامر لاستئصال عادة شرب
الخمر الى آية جديدة تجعل شرب
الخمر كالميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فهناك تدرج
فى التشديد والتعليظ ولكن ليس
هناك نسخ فالآيات كلها محكمة يكمل
بعضها بعضا ويفسره ولا يلغيه •

اخترنا كلام ابن كثير

وقد قيل فى بعض التفاسير
القديمة تخليط كثير فى أسباب
نزول هذه الآية وذكرت أسماء
لبعض أجلاء الصحابة مثل : (على
ابن أبى طالب وعبد الرحمن بن
عوف) ولما كنا لا نرتاح لمثل هذه

والأزلام. رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون » الى
قوله تعالى : « فهل أأنتم منتهون »
فقال عمر : اتهمنا • • اتهمنا •

ونكتفى بهذا القدر مما جاء فى
تفسير ابن كثير الذى مضى بعد ذلك
يسرد كل ما ورد فى هذا الباب :
ويكفينا أنه استهل بحثه بإيراد هذا
الحديث عن سيدنا عمر والذى يدل
على أن التدرج فى حظر الخمر
وتحريمها ليس قائما على الغاء آية ،
فالآيات كلها يكمل بعضها بعضا بعد
أن كانت كل آية متأخرة تزيد ما
سبقها شرحا •

وحاول بعض المفسرين أن يقول
أن المقصود بالسكر هنا هو سكر
النوم ولكن ذلك ليس برأى
والاتفاق على أن السكر فى هذه
الآية هو سكر الخمر •

يقول ابن كثير : « وقوله
تعالى : حتى تعلموا ما تقولون هو
أحسن ما يقال فى حد السكران انه
الذى لا يدرى ما يقول فان المخمور

الأقويل ومن ناحية أخرى فنحن
نقف عند حد المأثور فقد رأينا
أن نختار لك ما قاله العلامة ابن
كثير فى تفسيره وقد كان شديد
الحرص على معرفة الأحاديث النبوية
الشريفة ومقارنتها والتحقق منها
قال :

« ينهى تبارك وتعالى عباده
المؤمنين عن فعل الصلاة فى حالة
السكر الذى لا يدرى معه المصلى
ما يقول وعن قربان محالها التى هى
المساجد للجنب الا أن يكون
مجتازا من باب الى باب من غير
مكث وقد كان هذا قبل تحريم (١)
الخمر ونزلت آية : « يسألونك عن
الخمر والميسر • • • الآية • فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلاها على عمر فقال : اللهم بين لنا
فى الخمر بيانا شافيا ، فلما نزلت
هذه الآية تلاها عليه فقال : « اللهم
بين لنا فى الخمر بيانا شاملا » فكانوا
لا يشربون الخمر فى أوقات الصلاة
حتى نزلت : « يا أيها الذين آمنوا
انما الخمر والميسر والأنصاب

(١) لم ننقل جملة اعتراضية •

على كل حال من الكلمات الشائعة
التي يعرف الكافة معناها : العامة
قبل الخاصة •
حتى تغتسلوا :

هنا ويظهر القارق العظيم بين
نظرة القرآن الى السكر (أى
شرب الخمر) الذى هو اثم ومعصية
وبين الجنابة التى هى حالة طبيعية
تعرض لكل انسان طائعا كان أو
عاصيا ، بارا كان، أو شقيا فقد حرم
على السكران الاقتراب من الصلاة
(حتى يعلم ما يقول) وهى مسألة
معنوية لا يتيقن منها المؤمن بما
يهدىء باله الا أن يتعد عن شرب
الخمر من أساسه أما دون ذلك
فمن أدراه أن لا يقع فى المحذور •
أما مع الجنابة فليس سوى اجراء
مادى بسيط يكفى أن يقوم به المؤمن
لكى تنتفى عنه صفة الجنابة ويصبح
طاهرا يقرب الصلاة والمصلى معا
وهذا الاجراء هو الاغتسال «حتى
تغتسلوا» وكما ان لفظ «الجنابة»
مشهور وشائع ومعروف للكافة
فكذلك « الاغتسال » الذى هو
السييل للتطهر من الجنابة • وفى
كتب الفقه (كما فى تفسير القرطبي)

فيه تخليط فى القراءة وعدم تدبره
وخشوعه فيها •

ولا جنبا الا عابرى سبيل :

وكما حرم القرآن على السكرانى
الاقتراب من الصلاة سواء من
العبادة أو مكانها « المسجد »
فكذلك حرمهما على من كان
« جنبا الا عابرى سبيل » وقد
قالت كثرة المفسرين أن عابرى سبيل
تعنى السفر حيث قال بعض آخر
أن المقصود بها ، هو عدم تواجد
« الجنب » فى المسجد الا أن يكون
عابر سبيل ولا مانع عندنا من
العمل بكلا الرأيين أى أن لا يقرب
الجنب الصلاة (بمعنى العبادة)
حتى يتطهر على الكيفية التى سوف
تشير لها الآية ، الا اذا كان مسافرا
او الا اذا كان يعبر المسجد (مجرد
عبور) •
الجنب :

يقال جنب الرجل وأجنب من
الجنب ، والجنب مخالطة الرجل
المرأة •

وفى كتب الفقه تحديد لما يحكم
به على المرء أنه أصبح جنبا ، وهى

« قربته » التى تكفى مع الجهد والمشقة لشربه ومع ذلك فإن المتبع لعبادات الاسلام يرى أغلبها يبدأ بالطهارة التى يؤلف الغسل بالماء عنصرها الاساسى ذلك أن القرآن لم يتأثر بالبيئة المحلية ولم ينزل ليكون ديناً للعرب وانما هو لبنى البشر كافة فى كل زمان ومكان .

وان كنتم مرضى او على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم .

ولكن الله لا يكلف بما لا يطيقه الإنسان

فالطهارة المادية هى النظافة والنظافة لا تكون بغير الماء ومن هنا جعل القرآن الكريم الماء هو الأصل فى الوضوء وفى الاغتسال، ولكن الله سبحانه وتعالى وهو خالق الانسان ويعرف كل الظروف التى تتصل وتحيط به فهو يعلم أن استعمال الماء قد يؤذيه فى بعض الأحوال وقد يكون منعهدا فى أحيانا أخرى ولما كان الله سبحانه

كل ما يتعلق بالاغتسال وكيفيته وحدوده .

القرآن تشريع للبشرية كافة

على أن الذى يعيننا دائما هو ابراز كيف أن القرآن لكريم ليس من صنع بشر ولا هو خاص بمكان وزمان معينين ، بل هو تشريع عام خالد فيها هو ذا يأمر المؤمنين كلما أجنبوا أن يغتسلوا ، مع أن القرآن نزل أول ما نزل يخاطب عربا فى صحراء العرب حيث لا يجدون الماء الا بشق النفس ويجدوا منه ما يكفى لشربهم وشرب دوابهم فان الاسلام يقوم أول ما يقوم على النظافة والطهارة عن طريق الماء أولا فلا صلاة الا بعد غسل من الجنابة وبعد وضوء قبل أى صلاة وذلك أمر بعيد كل البعد عن البيئة التى نزل فيها القرآن ، فلم يكن فى مكة كلها الا بئر زمزم ليرتوى منه الناس وكذلك الحال فى المدينة بزيادة بئرين أو ثلاثة . أما خارج مكة والمدينة فقد يسير الانسان اياما وأياما لا يجد ماء الا ما يحمله فى

حاجة الى تشريع جديد على المؤمن الصادق أن يؤمن بأن الله يعلم هذا الذى يقوله وهو عندما يشرع فهو يشرع لكل زمان ومكان فهو يعرف كل الظروف ، وعلى الانسان أن لا يتصور انه يعلم ما لا يعلمه الله ويجب عليه متى تحقق الوصف الذى يصفه به القرآن من انه مسافر .. الى آخر الأحوال التى عدتها الآية ، واشترط عدم وجود الماء لا يعنى انعدامه بالكلية بل ان وجود بعض الماء فى القافلة بما يكفى الشرب لا يلزم المسافر باستعمال الماء ، كما أن توفر الماء بأى كمية لا يلزم المريض باستعمال الماء متى قال له المختصون ان استعمال الماء يؤذيه ، وفى كتب الفقه تفصيل ذلك كله وسيجد فيها مختلف الآراء فليأخذ بأى منها •

أو جاء أحد منكم من الغائط :

أى اذا أحدث • والأصل فى كلمة الغائط المنخفض من الأرض والجمع الغيطان والأغواط وبه سميت غوطة دمشق •

وتعالى لا يكلف الانسان بما لا يطيق (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فقد أعفاه من استعمال الماء فى أربع أحوال :

المرض : وكفى أن يصف المختص الانسان بأنه مريض يؤذيه استعمال الماء كى يسقط عنه التكليف باستعماله •

السفر : ثم تأتى حالة السفر ويكفى أن يصدق على الانسان وصف المسافر حتى يكون فى حكم الحالة السابقة • أى يسقط عنه التكليف باستعمال الماء وطالما سمعت كثيرا من المتدينين يقولون بحسنة : ان ذلك ينطبق على السفر فى الزمن القديم حيث كان السفر قطعة من العذاب اما اليوم وقد أصبح السفر مريحا والماء متوفرا حتى فى حالة السفر ، فهم

يرون أنفسهم مكلفين باستعمال الماء ولا يدرك هؤلاء المسلمون الطيبون انهم من حيث لا يشعرون يكررون قول من لا يؤمنون بالقرآن ويرون فيه تشريعا قديما وان الدنيا قد تطورت فأصبحت فى

وكانت العرب تستخدم هذا الصنف من المواضع لقضاء حاجتها تسترا عن اعين الناس ثم سمي الحدث الخارج من الانسان « غائطا » •

وفي هذه الحالة رد على من قالوا بأن التيمم لا يجوز في الحضر فالسخط هو عدم وجود الماء اللازم للوضوء •

أو لامستم النساء :

وملامسة النساء كناية عن المباشرة الجنسية وقد رأى البعض أن مجرد اللبس بمعناه الظاهري المتعارف عليه ولكننا لا تأخذ بهذا الرأي فليرجع الى كتب الفقه من يشاء • ققيموا صعيدا طيبا :

المعنى اللغوي للكلمة «تيمموا» أى اقصدا ولكن « التيمم » هو اصطلاح تعبدى اسلامى وهو مسح الوجه واليدين « صعيدا طيبا » والصعيد هو الأرض المرتفعة ولكن اللفظ هنا يعنى اصطلاحا ما تشرحه كتب الفقه تفصيلا من ضرب الكفين على التراب النظيف أو على الصخر الذى يعلوه غبار أو على كذا وكيت

من معادن الارض مما لا نخوض فى شرحه أو تفصيله فالمرجع دائما هو لكتب الفقه وليس من رأينا فى كل الاحوال من يتصور أن التيمم لا يكون الا بتلويت الانسان بتراب أو بغيره فالنظافة أصل من أصول الاسلام « النظافة من الايمان » • وليس التيمم « فى تصورنا » الا عملية رمزية يراد بها تذكير المسلم الذى لا يجد الماء الى نقصان أخذ التعبديات «الوضوء والغسل» فليس الهدف من تيمم هو أن يلوث الانسان نفسه بالتراب أو بالرماد أو بالطين ... الخ • وذلك يبين من كلمة « طيبا » وليست الوساخة والقذارة بالتى يمكن أن تنشأ فعلا عن أن توصف بالطيب ويبين كذلك من كيفية التيمم •

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم :

جاء فى معجم ألفاظ القرآن مسح الشيء يمسحه مسحاً ، أجرى عليه يده وأزال الأثر الذى عليه ، تقول مسحت اللوح المكتوب • (انتهى) •

طريق امرار الكفين بالوجه واليدين
الى أن هناك امرا غائبا (وهو
الماء) *

ان الله كان عفوا غفورا :

وتختتم الآية بما يشعر اننا
بازاء نقص فى العبادة لعدم
استخدام الماء (للأسباب القاهرة)
ولكن الله يقبل من عباده البديل
الذى أجاز له ويعفو ويعفر انه
البر الرحيم الذى لا يريد أن يشق
على عباده *

احمد حسين

أى أن الأصل فى المسح هو
ازالة الأثر لا اضافة أثر *

على أن المعجم يعود فيقول لنا :
ويقال مسحت الشئ اذا أمررت
يدك عليه لا لتزيل عنه شيئا ،
تقول : مسحت رأس اليتيم اظهارا
للعطف عليه *

ومن هنا فعلى الرغم من أننا
نجعل العبرة فى كل الامور التعبدية
والتشريعية على ما يجيء فى كتب
الفقه فنحن عند رأينا من أن
التيمم عملية رمزية يقصد بها عن

فضيلة القصد فى الكلام

قال عليه الصلاة والسلام : رحم الله من قال خيرا ففهم أو
سكت فسلم *

وقال لمعاذ : أنت سالم ما سكت ، فاذا تكلمت فعليك أو لك .

وقال على كرم الله وجهه : اللسان معيار أطاشه الجهل ،
وارجحه العقل .

وقال بعض الحكماء : الزم الصمت فانه يكسبك صفو
الحبة ، ويؤمنك سوء المغيبة ، ويلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك
مئونة الاعتذار .

المذهب الشيعي في شعر السيد الحميري

الأستاذ السيد حسن قرون

والسائل والمسئول كانا ذكيين ، فلم ينحدر السيد الحميري من أبوين شيعيين ، بل كانا خارجيين من فرقة (الاباضية) لذلك كان السؤال وكان الجواب ، ويقتضيني البحث أن أتحدث عن أسرته ، فأما أمه فهي امرأة من الأزد ، والأزد يمانيون سكنوا جنوب الجزيرة العربية ثم تفرقوا في الجزيرة ، فأقاموا في أنحاء متباعدة ، منهم في الشام العساسة ، ومنهم في الحجاز الأوس والخزرج ، وفي الجنوب ازد شنوءة ، وأما أبوه فهو محمد بن يزيد بن مفرغ الحميري ، ومحمد هذا لا يعرف التاريخ عنه الا أنه وزوجه كانا اباضيين ، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بنى ضبة ، فكان ابنهما السيد يقول طالما سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه الغرفة ، واسم السيد

في سنة ١٠٥ هـ ولد الشاعر (السيد الحميري) وهي السنة التي مات فيها (كثير عزة) ليكون امتدادا له في عقيدته ومقالاته في حب آل البيت ، وكان مولده في (نعمان) ، قال ياقوت : « واد قريب من الفرات على أرض الشام » ، وقد انتقل به أبواه الى البصرة حيث نشأ بها ، ولما شب عن الطوق عرف أن الكميث بن زيد الأسدي شاعر بنى هاشم والشيعة قد صار الى أمية والأمور لها مصاير ، فأكد في نفسه أنه لن يصير الى أمية مهما تعنتت الأيام وجاءت بما لا تشتهي الأنفس ، وكان من حظه أنه لم يقع تحت طائلة التنكيل من ولادة بنى أمية ، لأن الأمور كانت في سبيل التغيير ، والتغيير في صالحه . وقد سئل عن التشيع من أين له ؟ فقال : « غاصت على الرحمة غوصا »

ألا ليت اللحي كانت حشيشا
فنعلفها خيول المسلمينا
نحفظ هذا ونحفظ قوله حين خرج
من سجن عباد :

عدس مالعباد عليك اماره
نجوت وهذا تحمليين طليق
والشاهد في (عدس) صوت
لزجر الدابة ، (وهذا) بمعنى
الذي ، واذا كنا نحفظ هذين
البيتين من شعره فان الحسين رضى
الله عنه تمثل بشعره حين رفض
خلافة يزيد بن معاوية ، فمن أين
جاء التشيع ؟ هل غاص عليه
الرحمة غوصا كما يقول ؟ أبواه
كانا من الخوارج ، وجده كان
شاعرا يمدح معاوية وله حلف في
قريش ونسب في اليمانية ، يكره
بنى زياد ولكنه لا يذكر بنى هاشم ،
ولم يعرف عنه أنه ذهب اليهم ، أو
أشار الى حقهم ، وينبغي أن ننظر
الى احداث عصره ، وما كان يقال
فى ذلك الزمان .

حين ترعرع السيد نظر فرأى
حوله أحزابا قائمة ، ولكل
حزب شعراؤه ، وأشهر الأحزاب
كانت شيعة بنى أمية وشيعة بنى
هاشم ، والخوارج ، وبقايا من

(اسماعيل) ، وأغلب الظن أنه لقب
نفسه بهذا اللقب « السيد » واشتهر
به ، وزاده وضوحا فكنى نفسه « أبا
هاشم » اعلانا لهواه ووجهة نظره ،
وقد هم أبواه بقتله لما علما بمذهبه ،
ولم ينقذه من برائتهما الا (عقبة بن
سلم الهنائي) فقد آواه فوهب له
منزلا فكان فيه حتى ماتا فورثهما .
واذا كان أبوه محمد هذا ليس ذائع
الصيت فان جده (يزيد بن ربيعة)
كان ذائع الصيت وربيعة هو مفرغ
لقب بمفرغ لأنه راهن أن يفرغ
عسا من لبن فشربه حتى فرغه ،
فلقب مفرغا ، وكان شهابا سيالة ،
صناعته اصلاح الآنية المصدوعة ،
وابنه يزيد هو المشهور لموقفه
بشعره الناضج من آل زياد ، وقد
كتب عنه الدكتور طه حسين فصلا
فى كتابه « ألوان » وجعل عنوان
مقاله « شاعر الحب والبغض
والحرية » ويزيد بن مفرغ الحميرى
جد الشاعر له صلة بالدراسة
الأزهرية ، فنحن نحفظ قوله فى
(عباد بن زياد) حين صجبه الى
سجستان فلم يحظ منه بطائل وكان
عباد له لحية عظيمة ، فاتخذ منها
مجالا لهجائه فقال :

أنصار الزيريين ، وكثر الحديث
حول الامامة ، ومن أحق الناس بها،
وكان الكميت قد فتح باب الاحتجاج
للشيعة بقوله :

فان هى لم تصلح لحنى سواهم
فان ذوى القربى أحق وأوجب
يقولون : لم يورث ولولا تراثه
لقد شركت فيه بجيل وأرحب

فبالخلافة لا تصلح لغير قريش
لأنها قبيلة صاحب الرسالة ، وعلى
هذا فيجب أن يكون الخليفة
أقربهم اليه ، وأقربهم هم بنو هاشم
وان قالوا : ان الرسول لا يورث
فلم يتولاها بنو أمية ، بل يجب أن
تشرکهم القبائل الأخرى ومنها
بجيل وارحب ، ولا بد أن السيد
أعجب بذلك المنطق ، فولج
المجتمعات ودخل (المربد) (١) حيث
الأدباء والشعراء وعلماء الأخبار
واللغة والأدب واستمع الى ما يقال،
وقامت ثورات من العلويين ، ورأى
التنكيل بهم ، فعطف على المغلوبيين
أصحاب الحق فى الرياسة والحكم ،
وتنقل بين الكوفة والبصرة فازداد
معرفة وازداد تعمقا ، وحن حين

النيب الى التغيير ، وأن يصل الحق
الى اصحابه ، ورأى الامامة من حق
على وبنيه ، على أن مذهبه هذا لم
يمنعه من حب الهاشميين جميعا ،
أليسوا من شجرة واحدة ؟ لكن
هذه الشجرة لها فروع وأغصان
وثمار فأياها يختار ؟ لنترك المذاهب
السياسية جانبا ولننظر فى الفرق
التي ظهرت فى عهده .

أول فرقة تألفت واهتز
عرش أمية من سطوتها
هى فرقة الزيدية ، أتباع زيد بن
على زين العابدين حفيد الحسين
رضى الله عنه ، فقد كان أتباعه
يجمعون فى على بن أبى طالب كل
الفضائل ، فهو أول من أسلم وهو
شجاع وذو عن الاسلام بسيفه ،
وهو عالم وهو زاهد ، شاركه
بعض الصحابة كل فى واحدة منها
لكنه هو الذى جمع الخير من جميع
أطرافه ، ولم يشأ أن يخرج على
الجماعة حين خلافة أبى بكر رضى
الله عنه خوفا على الاسلام ، فالأنصار
يطالبون بالخلافة أو على الأقل منهم
أمير ومن قريش أمير ، والنفاق فى

(١) المربد فى البصرة يشبه سوق عكاظ فى الجاهلية .

كثير عزة قبله بأعوام ، لكن العباسيين ارتضوا هذا المذهب في سياقه واتتهوا به الى أن محمد بن الحنفية أوصى من بعده الى ابنه أبي هاشم ، ثم أوصى أبو هاشم بعد رجوعه من دمشق وشعر بالموت لسم وضع له في طريقه من الخليفة أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ومحمد أوصى الى ابنه ابراهيم الامام ، و ابراهيم أوصى بها الى أخيه (أبي العباس السفاح) لم ينكر السيد علي بنى العباس مقاليتهم فحين تغلبوا على بنى أمية ، وتولى الخلافة السفاح كان السيد ممن قد حضر خطبته ، فحين نزل من المنبر أنشده وهو في بهجة غامرة ، وآمال فساح :

دونكموها يا بنى هاشم
فجددوا من عهدا الدارسا

دونكموها فلا علا كعب من
كان عليكم ملكها نافسا

دونكموها فالبسوا تاجها
لا تعدموا منكم له لابساً

قد سامها قبلكم ساسة
لم يتركوا رطباً ولا يابساً

المدينة يتربص بالمسلمين الدوائر ، والجزيرة العربية ارتدت ومنعت الزكاة ، عرف على ذلك فآثر الخمول وهذا يضاف الى فضائله ، ومن هنا قال زيد وأتباعه يجوز امامة المفضل مع وجود الأفضل ، ومن حججهم أن طالوت كان ملك بنى اسرائيل وفي جيشه نبي هو (داود) عليه السلام ، وهذا المذهب رفضه بعض أتباعه فأنكروا خلافة أبي بكر وعمر قسموا « الرافضة » واتجهوا الى ابن أخى زيد وهو (جعفر بن محمد) فاعترفوا بامامته ، وقالوا الأئمة نص عليهم صاحب الشرع بالتعيين ، كل امام يوصى لمن بعده ، فعلى وصى الرسول ، وأوصى على الى الحسن ، والحسن الى الحسين ثم الى زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم جعفر الصادق ، لم يأخذ السيد الحميرى بمذهب الزيدية ولا بمذهب الرافضة ، اتجه الى أن الأئمة على الثلاثة من بنيه : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وعند محمد بن الحنفية توقف ، وقال : انه لم يمت ، وسيرجع فيملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً ، وهو ما ذهب اليه

اسماعيل بالنص عن أبيه جعفر ،
 وفائدة النص عليه عندهم - وان
 كان قد مات قبل أبيه - انما هو
 بقاء الامامة في عقبه كقصة هارون مع
 موسى عليهما السلام . قالوا : ثم
 انتقلت الامامة من اسماعيل الى
 ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة
 المستورين ، لأن الامام عندهم قد
 لا تكون له شوكة فيستتر ، ويكون
 دعائه ظاهرين اقامة للحجة على
 الخلق ، واذا كانت له شوكة ظهر ،
 وأظهر دعوته ويسلسلون الأئمة الى
 محمد الحبيب وهو آخر المستورين ،
 وبعده ابنه (عبد الله المهدي) الذي
 أقام دولة الفاطميين في المغرب
 ومصر ، ويسمون أيضا (بالباطنية)
 نسبة الى قولهم بالامام الباطن أي
 المستور .

فأما الاثنا عشرية فربما خصوا
 باسم (الامامية) عند المتأخرين منهم
 فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر
 الصادق لوفاة أخيه الأكبر اسماعيل
 الامام في حياة أبيهما جعفر فنص
 على امامة موسى هذا ، ثم ابنه على
 الرضا الذي عهد اليه المأمون ومات
 قبله فلم يتم له أمر ، ثم ابنه محمد

لو خير المنبر فرسانه
 ما اختار الا منكم فارسا
 فلست من أن تملكوها الى
 مهبط عيسى فيكم آيسا
 فسر أبو العباس ، وقال : أحسنت
 يا اسماعيل سلني حوائجك ، وكانت
 حوائجه طلب الولاية لأحد أحبابه .
 قلت : انه توقف عند ابن الحنيفة ،
 وجعل الأمر اليه حين يرجع ، وكان
 جعفر الصادق لا يرى رأيه ، والشيعية
 جعلت من جعفر الصادق مفترق
 الطرق في أمر الشيعة بعده ، ولا
 بأس أن نذكر هذا بايجاز ، فكيف
 كان ذلك ؟ ذهب المؤرخون ومنهم
 صاحب الملل والنحل وابن خلدون
 الى أن جعفر الصادق أنجب ولدين :
 اسماعيل ، وموسى الكاظم ومات
 اسماعيل قبله ، وبقي له موسى ،
 يقول ابن خلدون : ومن هنا افترقوا
 فرقتين : فرقة ساقوها الى ولده
 اسماعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم
 الاسماعيلية ، وفرقة ساقوها الى ابنه
 موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية
 لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة
 وقولهم بغيبته الى آخر الزمان .
 فأما الاسماعيلية فقالوا بامامة

كبكاء معولة أتت
يوما لواحدھا المنية
فبكى جعفر وسالت الدموع على
خديه ولحيته ، وارتفع الصراخ
والبكاء من داره حتى أمره بالامساك
وقد تظن أنه شعره هذا كان متشيعا
له أو متبعا لآثاره ، انه لا يجيد عن
مذهبه ، ان مذهبه كما قدمت أن
الامامة صارت بعد الحسين الى أخيه
محمد بن الحنفية ، وأنه حى منتظر
لا يموت ، وهو المهدي المنتظر .
يقول أبو الفرج الأصفهاني في
(الأغاني) روى بعض من لا تصح
روايته أنه رجع عن مذهبه ، وأنه
لقى جعفر بن محمد ، فقال بامامته ،
ورجع عن مذهب الكيسانية (أصحاب
المختار بن أبي عبيد الثقفي) ورووا
في ذلك شعرا منه :

« تجعفرت باسم الله والله أكبر
وأيقنت أن الله يعفو ويغفر » قال أبو
الفرج : ولم نجد ذلك في رواية
صحيحة ولا قولاً محصلاً ، وان
القصاصد التي نقلت لا تناسب في
جزالتها أشعاره التي فيها الكيسانية .
وقد ذهب بعض الرواة الى أن
السيد حين نعى الى جعفر الصادق

التقى ، ثم ابنه على الهادي ، ثم
محمد الحسن العسكري وهو
(المهدي المنتظر) وهو الذي دخل
في سرداب بدارهم بالحلة . . وهو
يخرج آخر الزمان فيملا الأرض
عدلاً بعد أن ملئت جوراً وهذا
المذهب يتيح للأتباع أن يقوموا
ويظهروا الحق ويحكموا باسم
الامام الغائب حتى لا يائسوا بترك
اقامة الحجة للخلق والسيد الحميري
لم يشاهد ما تحدث عنه ابن خلدون ،
ولكنه شاهد وعاصر جعفر الصادق ،
وكانت له صلة به ، وتردد عليه .
قالوا : استأذن السيد في الدخول
الى جعفر الصادق فأمر بإيصاله
وأقعد حرمه خلف ستر ، ودخل
فسلم وجلس فاستنشد فأنشده
قوله :

امرر على جدث الحسين
وقل لأعظمه الزكيه
يا أعظمي لا زلت من
وطفاء ساكبة رويه
واذا مررت بقبره
فأطل به وقف المطيه
وابك المطهر للمطهر
والمطهرة التقيه

الى وقت ، ومدة كل وقت
- وان طالت عليه - لها انقضاء

كأنا بابن (خولة) (٢) عن قريب
ورب العرش يفعل ما يشاء

يهز دوين الشمس سيفاً
كلمع البرق أخلصه الجلاء

تشبه وجهه قمراً منيراً
يضيء له - اذا طلع السناء

فلا يخفى على أحد بصير
وهل بالشمس ضاحية خفاء ؟

هنالك تعلم الأحزاب أنا
ليوث لا ينهنها لقاء

فندرك بالذحول (١) بنى أمى
وفى ذاك الذحول لهم فناء

وأكبر الظن ان هذا الشعر قيل قبل
أن تزول دولة بنى أمية ، ويفتك بهم

العباسيون فتكا ذريعاً ، فقد أدركت
الذحول وحل بهم ما تقشعر منه

الأبدان ، ولا أراه يرمز به الى
العهد القائم فقد هش له وبش ،

واستقبله فرحاً به ، راضياً عنه آملاً
فيه البقاء الى مهبط عيسى الا اذا كان

يرمى الى مطلق عمل المهدي المنتظر ،

ترحم عليه ودعا له ، فقال له رجل :
يا بن رسول الله تدعو له وهو يشرب
الخمر ويؤمن بالرجعة ! فقال :
حدثني أبي عن جدي أن محبى آل
محمد لا يموتون الا تائبين وقد
تاب ، ورفع مصلى كان تحته فأخرج
كتاباً من السيد يعرفه أنه قد تاب
ويسأله الدعاء له ، وأنا أعتقد حسب
دراسة شعره أنه لم يفارق مذهبه ،
ولم ينتحل غيره ، فاذا كتب الى
جعفر طالبا دعاءه فهو كانشاده
الشعر في رثاء الحسين يبين عن حب
وولاء لهذا البيت ، وان كانت
عقيدته تتمثل في قوله والحديث عن
ابن الحنفية واسمه محمد وكنيته أبو
القاسم :

سمى نبينا لم يبق منهم
سواه فعنده حصل الرجاء

تغيب غيبة من « غير موت »
ولا قتل وسار به القضاء

وبين الوحش يرعى في رياض
من الآفاق مرتعها خلاء

فحل فما بها بشر سواه
بعقوته له غسل وماء

(١) خولة أمه وهى من بنى حنيفة واليه ينسب .
(١) المفرد : ذحل وهو الحق والعداوة ، يقال طلب بذخله أى يثأره

والبيت الأخير هو الشاهد عند من يصمه ويدينه ، والذين دونوا تاريخه لا ينسون له تلك النادرة التي تدعو الى الابتسام ، وان كانوا بها يؤيدون ما ذهبوا اليه ، قالوا : كان السيد يدين بالرجعة ، فجاء رجل اليه ، فقال : بلغني أنك تدين بالرجعة ، فقال : صدق الذي أخبرك ، وهذا ديني . قال : فتعطيني ديناراً بمائة دينار الى الرجعة ؟ قال السيد : نعم ، وأكثر من ذلك ان وثقت لى بأنك ترجع انساناً . قال : وأى شيء أرجع ؟ قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالى . فأفحمه .

والذى أوشك أن أتيقنه أن السيد الحميرى دفعه حبه لعلى وبنيه الى تلك العقائد التي هتف بها ، وأبانت عن ولائه فجعلته يتمنى رجعة على لأنه يراه مظلوماً ، وران على خلدته أنه أمر يمكن أن يقع ، ثم تملكه شعوره فغطى على عقله فكانت الرجعة وكان الرجاء فى محمد بن الحنفية بعد الحسين ، وقد بشر بدولة بنى هاشم ، فلما مات أنكر

وهو القضاء على الجور ، وأحياء العدل ، وبعض الرواة يصمه بأنه يؤمن بالرجعة ، ويعنى الرجعة أن الامام الذى خلى مكانه ، وقضى نجبته يرجع الى حياته الدنيا ، ولهم براهين منها قصة اهل الكهف ، والذى مر على قرية ، وقتل بنى اسرائيل ، وهى خوارق الانبياء فتطبيقها على غيرهم خروج على معنى المعجزة والغاية منها ، ويذكرون له شعراً منه :

إذا ما المرء شاب له قذال
وعلله المواصل بالخصاب

فقد ذهبت بشاشته وأودى
فقم يا صاح نبك على الشباب

الى يوم تثوب الناس فيه
الى دنياهم قبل الحساب

قليس بعائد ما فات منه
الى أحد الى يوم الاياب

أدين بأن ذلك دين حق
وما أنا فى النشور بذى ارتياب

كذلك الله أخبر عن أناس
حيوا من بعد درس فى التراب

يقترب الكبار ولا الصغار ، فمن
والاه نظر اليه الله فأعطاه حسن
الثواب . وهذا الحب المكين هو
الذى دفعه الى جمع أخباره وآثاره ،
فكان يأتى (الأعمش) فيكتب عنه
فضائل على بن أبى طالب ، فخرج
من عند أحد أمراء الكوفة ذات
يوم ، وقد حمله على فرس ، وخلع
عليه خلعة ، فوقف بالكناسة (موضع
بالكوفة) ثم قال :

يا معشر الكوفيين ، من جاءنى
منكم بفضيلة لعلى بن أبى طالب
رضى الله عنه لم أقل فيها شعرا فله
فرسى هذا وما على

فجعلوا يحدثونه وينشدهم حتى
أتاه رجل فقال : ان أمير المؤمنين
على بن أبى طالب رضى الله عنه عزم
على الركوب ، فلبس ثيابه ، وأراد
لبس الخف ، فلبس أحد خفيه ،
ثم أهوى الى الآخر ليأخذه ،
فانقض عقاب من السماء فحلق به
ثم ألقاه فسقط منه أسود (ثعبان)
فانساب فدخل جحرا ، فلبس على
رضى الله عنه الخف - ولم يكن
قال السيد فى ذلك شيئا - ففكر
هنية ثم قال : قد قلت :

كثير عزة موته . وتبعه السيد
فكثير يقول فى ابن الحنفية :

تغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده غسل وماء

وهذا ما قاله السيد بل ينسبون
ما قاله كثير اليه ، وقد تجلى حب
على منه فى شعر كثير يفيض بمشاعر
متقدة ، اقرأ معى قوله

انى أدين بما دان الوصى به
وشاركت كفه كفى بصفينا

فى سفك ماسفكت منها اذا اختضروا
وابرز الله للقسط الموازين

تلك الدماء معا يارب فى عنقى

ثم اسقنى منها أمين أمينا
أمين من مثلهم من مثل حالهم

فى فتية هاجروا لله ساريننا
ليسوا يريدون غير الله ربهم

نعم المراد توخاه المريدونا

فأنت تراه لا يقنع بالحب والولاء ،
ويأبى الا أن يشاركه فى الدماء ،

يضعها فى عنقه ليلقى الله بها يوم
الجزاء ، وهو معتقد أنه ناج له ثواب

ما نواه ورجاه . ولم يخش العذاب
وهو يشارك الوصى ؟ والوصى لا

ألا يا قوم للعجب العجائب
لخف أبى الحسين وللجباب^(١)

أتى خفا له فانساب فيه
لينهش رجله منه بناب

فخر من السماء له عقاب
من العقبان أو شبه العقاب

فطار به فخلق ثم أهوى
به للأرض من دون السحاب

الى جحر له وانساب فيه
بعيد القعر لم يرتج بيباب

كرهه الوجه أسود ذو بصيص
حديد الناب أزرق ذو لعاب

ودو فعن أبى حسن على
نقيع سماه بعد انسياب

والارتجال واضح على هذه
الآيات ، والقصة حدثت للنبي
صلى الله عليه وسلم كما رواها ابن
عباس ، ولكن الرجل أراد امتحان
السيد - كما يخیل الى - ، والسيد
ينجح دائما فى المضايق لذكائه
وقدرته على افحام مناوئه !

من ذلك أنه سمع محدثا يحدث

(١) الجباب = الثعبان .

أن النبى صلى الله عليه وسلم كان
ساجدا ، فركب الحسن والحسين
ظهره عليه السلام ، فقال عمر رضى
الله عنه : نعم المطى مطيكما : فقال
النبى صلى الله عليه وسلم : نعم
الراكبان هما ! فانصرف السيد من
فوره فقال :

أتى حسنا والحسين النبى
وقد جلسنا حجرة (٢) يلعبان
فقد اهما ثم حياهما

وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه

فنعم المطية والراكبان
وليبدان أهمها برة

حصان مطهرة للحصان
وشيخهما ابن أبى طالب

فنعم الوليدان والوالدان
ولو كان ممن يحب هونا ما لاكتفى
بما سمع ، ولأعفى نفسه من ذكر
الوالدين ، فعلى أولا وعلى آخرها ،
ومنه مبدأ الأئمة ، وبه تتابعوا
بالنص ، لأن صاحب الشرع لا بد
أن يفعل ذلك ؟ لأن الامامة ركن
من أركان الدين ، وليست تترك للأمة

(٢) نامية .

حنقا ، ويدلك احدى يديه بالأخرى ، فقال له المنصور : مالك أرابك شىء؟ فقال : نعم ، هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس فى قلبه ، والله يا أمير المؤمنين ما صدقك عما فى نفسه ، ان الذين يواليهم غيركم . فقال له المنصور : مهلا ، هذا شاعرنا وولينا ، وما أعرف عنه الا الصدق والمحبة والاخلاص فى الطاعة ، وهذه التهمة خليقة أن ترمى بالسيد الى التهلكة ، لأن المنصور لا يتغاضى أبدا عن ملكه ، ولذا فزع السيد اليه قائلا : يا أمير المؤمنين ما زلت والله مشهورا بموالاةكم فى أيام عدوكم ، ولكن هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديما والذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات (يعنى وفد بنى تميم وبنو العنبر منهم) فنزل فيهم القرآن « ان أكثرهم لا يعقلون » وانقض المجلس ولم تنفض العداوة ، وعداوة الشعراء بئس المقتنى كما يقول المتنبي ، فهجا السيد القاضى ، وبدأ بقصيدة ذكر فيها عيوب القاضى وأجداده فرماه بكل منكر ورمى جده بأنه سرق غزاة النبى وهى

أو الشعب ليكون الانتخاب والاختيار ، فلا بد من التنويه فى كل شعر بهذه القضية ، وكانت الحواضر الاسلامية على اختلاف مناهجها تسمع له ، ولا تنكر لما يقول ، وكان المترمتون يرفضون رواية شعره ، لكن خلفاء بنى العباس ممن عاصروهم بدءا بالسفاح الى الرشيد كانوا يعاملونه على أنه شاعرهم والمشييد بفضلهم ، ولم يتعرض للوقعة بينه وبينهم الا مرة واحدة ، كانت من القاضى (سوار ابن عبد الله العنبرى) ولم أتبين الدافع لسوار ، أهو الاخلاص لبنى العباس أم بغضه لمذهب الشاعر ؟ جلس المنصور بالجسر الأكبر حين عقد له على دجلة البصرة وسوار بن عبد الله قاضى البصرة جالس عنده والسيد الحميرى بين يديه ينشده شعرا منه : ان الا له الذى لا شىء يشبهه

أعطاكم الملك للدنيا وللدن

والمنصور يضحك مسرورا بما ينشده ، فحانت منه التفاتة فرأى وجه سوار يتربد غيظا ، ويسود

الحد ، لكن السيد الحميري عد
رفض عذره اهانة له ، فوجه اليه
هجاءه

أتيت دعي بنى العنبر
أروم اعتذارا فلم يعذر
فقلت لنفسي وعاتبته
مع القوم في فعلها أقصرى

أيعتذر الحر مما أتى
الى رجل من بنى العنبر؟

أبولك ابن سارق عز النبي
وأملك بنت أبي جحدر
ونحن على رغمتك الرافضو
ن لأهل الضلالة والمنكر

وجزاه القاضى اساءة باساءة ،
فرد شهادته فى مجلس القضاء ،
فأرسل اليه السيد شعرا فيه هجاء ،
وعرف السيد أنه بصدد الشكوى
فأسرع الى المنصور فسبق خصمه
وأخذ ينشد المنصور شعرا منه :
قل للامام الذى تنجى بطاعته

يوم القيامة بحبوحة النار
لا تستعين - جزاك الله صالحة

عصاه التى توضع فى مصلاه ، وكرر
قصة النداء من وراء الحجرات
وولاءهم لعثمان من تلك القصيدة
قوله :

يا أمين الله يا منصو
رى يا خير الولاة
ان سوار بن عبد الله من شر القضاة

نعثلى (١) جملى
لكم غير منواتى

جده سارق عنز
فجرة من فجرات
لرسول الله والقا
ذفه بالمنكرات

وابن من كان ينادى
من وراء الحجرات
فاكفينيه لا كفاه الله

شر الفاقرات (٢)
فشكاه سوار الى المنصور ،
فلم يغضب على الشاعر ، ولم يهمل
القاضى ، فأمر الشاعر أن يعتذر الى
القاضى ، ولكنه رفض عذره ، وكان
من الممكن أن ينتهى الأمر عند هذا

(١) نعثلى : نسبة الى نعثل رجل طويل اللحية كان يشبه به عثمان اذ أنيل
منه :

وجملى : نسبة الى واقعة الجمل (٢) المصائب . (٣) لم يقبل العذر .

ياخير من دب في حكم-بسوار
ودخل سوار ، فلما رآه المنصور
تبسم وقال : أما بلغك خبر اياس
ابن معاوية حين قبل شهادة الفرزدق
واستزاد من الشهود فما أحوجك
الى التعرض الى السيد ولسانه ؟
ثم أمر السيد بمصالحته ، ولقد
صدق الشاعر باختياره وصف
القرآن لمثل القاضي « ان أكثرهم لا
يعقلون » وأين سوار من اياس
الذي يضرب بذكائه المثل ؟

ولم يحدث للشاعر بعد هذا
موقف يخافه ، وبقي على مذهبه
في التنويه بأئمته ، ويشارك الناس
في حياتهم ، ولا ينكر عليهم اتجاهاتهم
والسيد الحميري شاعر من قمة
رأسه الى أخمص قدمه ، ولو تفرغ
لأجناس أدبية غير ما كان يلهج به
لأننى بالعجب العجائب ولتترك لنا
فنا خصبا تتمتع به ، ولا غروفي ذلك
فهو ينزع الى عرق شاعر له أصالة
واجادة ، وهو جده يزيد بن مفرغ
وفيه منه التمسك بالرأى ، والبعد
عن التلون ، فاذا أحب أحب الى
غير نهاية ، واذا أبغض أبغض الى
مالا نهاية ولو كلفه العذاب ومرارة

السجن والاعنات ، وهكذا كان
حفيده السيد ، فهو قد أحب بنى
هاشم ، ورأى في على كل الفضائل
والشمائل ، وآمن بامامته وتوقف
عند ابنه محمد بن الحنفية ، فقال
فيه ما جعله موضع المؤاخذة من
معاصريه ، وكاد يجمع نقاد عصره على
فحولته في الشعر وتقوقه فيه ، يقول
صاحب الأغاني : وكان شاعرا
مطبوعا مكثرا ، ويقال : ان أكثر
الناس شعرا في الجاهلية والاسلام
بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد :
فانه لا يعلم أن أحدا قدر على جمع
شعر واحد منهم حتى يستوعبه
كله ، وانما مات شعره وهجر الناس
ذكره لافراطه في سب أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبعض
أزواجه . وقد اعترف الأصمعي
بعلو مقامه في فنه ، فقد حكى
النهدى قال : رأى معى الأصمعي
دفتره فيه شعر السيد الحميري
فقال : ما هذا ؟ فسترته عنه لعلنى
بما عنده ، فأقسم على أن اخبره
فأخبرته ، فقال : أشدنى قصيدة
منه ، فأنشدته قصيدة ثم أخرى
وهو يستزيدنى ثم قال : ما أسلكه

واذا كان السيد شغل بمذهبه ،
والحديث عنه ، والدعوة له لم يترك
نصيه من الغزل والقول فيه
واحسان قوافيه ، وقد غنى من شعره
هذه الأبيات :

ما جرت خطرة على القلب منى
فيك الا استترت عن أصحابي

من دموع تجرى فان كنت وحدى
خاليا أسعدت دموعى اتحابى
ان حبى اياك قد سل جسمى

ورمانى بالشيب قبل الشباب
ارحمى اليوم هائما بك صبا

هائم القلب قد ثوى فى التراب
وهو شعر قد قيل مثله من العشاق
ولكنه يحوى ملامح السيد من
وضوح وانسياب وتمكن من
الأداء ، وطابعه النفسى من المروءة
التي ترتفع بصاحبها عن افشاء سر
الهوى مهما لاقى من الوجد ،
وكفاه أنه شاب قبل الشباب ، وأنه
قد ثوى فى التراب •

على أن من أهم ما يميز السيد
أنه شاعر ملتزم وظف شعره لغاية ،
فلم يك كمعاصريه من الشعراء من
أمثال بشار وأبى العتاهية وأبى

لطريق الفحول لولا مذهبه ولولا
ما فى شعره ما قدمت عليه أحدا من
طبقته ، وحكى أن العتبى قال يوما
ليس فى عصرنا هذا أحسن مذهبا فى
شعره ولا أنقى ألفاظا من السيد ،
وشهادة العتبى لها قيمتها ، لأنه
رجل من بنى أمية والسيد من
الثائرين على بنى أمية ، والمشهر
بفساد حكمهم ، ومن الغريب أن
القصيدا التي أعجبتة وقال عنها
أحسن والله ما شاء ، هذا والله
الشعر الذى يهجم على القلوب بلا
حجاب تنتهى بهذين البيتين :

أقسم بالله وآلائه
والمرء عما قال مسئول

ان على بن أبى طالب
على التقى والبر مجبول
مما يعطى انطبعا بالنظرة
الموضوعية لنقد الشعر بميزان
الذوق والمعرفة ، ولو استمع الى
الشعر من قائله لآزداد اعجابا وعليه
اقبالا ، فقد ذكروا أن السيد كان
أسمر تام القامة ، أشنب ، ذا وفرة ،
حسن الألفاظ ، جميل الخطاب ،
اذا تحدث فى مجلس قوم أعطى كل
رجل فى المجلس نصيبه من حديثه ،

شبيهة بما قاله السيد الحميري بيد
أن الامامية حسب التطور أوضح
مسلكا ، وأكثر نفعا ، فالامام غائب
فمن يحل محله لاقامة الحجة حتى
يظهر ؟ الجواب هم الاتباع ، ومن
ثم بقيت الدعوة وبقي المذهب ،
فاذا انتصر الاتباع حكموا باسم
الامام الغائب وهذا يحصنهم من
دعوة علوي يطالبهم بامامته ،
لأنهم بصدد انتظار الامام الغائب ،
وليس له أن يغير ما سلكوه وساروا
عليه ، وتسأل نفسك اليوم وقد
ظهرت الشيعة في ايران وغلبت
وأقامت حكومة فلم لا ينصبون
علويا عليهم ؟ والجواب ما ذكرت
آنفا •

لم يوص السيد الحميري حين
وفاته أحدا بمذهبه كما أوصى كثير
عزة ، فعندما احتضر دعا ابنة أخ له
فقال : يا بنة أخي ، ان عمك كان
يجب هذا الرجل فأحبيه يعني علي بن
أبي طالب - فقالت : نصيحتك يا عم
مردودة عليك ، أحبه والله خلاف
الحب الذي أحبيته أنت ، فقال لها
برئت منك وأنشد :

نواس أساس الأمر عندهم هو
المدح ونيل الجوائز ، ثم التهاجي
واللعب بعقول الناس ولذلك تجدهم
يصفونه بأنه من أهل التصوف مع
أن التصوف كان في بواكيره الأولى
على يد الفضيل بن عياض ومريديه ،
وأكبر الظن أن تصوفه كان في عفته
واعترازه بنفسه ، وبعده عن مجتمع
الخلاعة والمجون ، هل لما ذهب اليه
السيد أثر في الفرق التي ظهرت بعد
وفاته ؟ لم يسأل أحد هذا السؤال ،
ولكنه خطر ببالي وأنا أقرأ مذهب
الامامية ، فالسيد توقف عند ابن
الحنفية ، وجعله « المهدي المنتظر »
وكذلك الامامية ، وهم الاثنا عشرية
توقفوا عند الامام الثاني عشر وهو
المهدي المنتظر ، فهذه العقيدة جاءت
اليهم من نظرتهم الى المهدي المنتظر ،
وفيه أحاديث مروية يداخلني الشك
فيها ، فلم أجد تواترا يؤيدها ،
فالامام الثاني عشر هو (محمد
الحسن العسكري) اختفى في
سرداب وقد كان أتباعه في العصور
البعيدة ينتظرون خروجه ليملا
الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ،
هذه العقيدة ملامحها وأهدافها

أفاق افاقة ، وفتح عينيه ، ونظر الى ناحية القبلة وقال : يا أمير المؤمنين - على بن أبي طالب - أتفعل هذا بوليك ؟ قالها ثلاث مرات ، مرة بعد أخرى ، فتجلى والله في وجهه عرق بياض ، فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبدر ، وتوفي ، وقمنا فأخذنا في جهازه ، فدفناه في الجنية ببغداد ، وذلك في خلافة الرشيد .

والذي يعني من هذا الخبر مكانة السيد في قلوب الناس ، واهتمامهم بمرضه ووفاته وتكفينه ودفنه . أما الكرامة وما حدث له من سواد ثم بياض فذلك عهدة الراوى ، ويكفى أن السيد لم يفعل فعل كثير عزة فيوصى بما يسوءه ويحسب عليه ، وكفاه ما عاناه وما قاساه في سبيل ما ذهب اليه وكلفه من أمره عسرا ، والله رحيم بعباده .

السيد حسن قرون

برئت الى الاله من ابن أروى
ومن قول الخوارج أجمعين
ومن عمر برئت ومن عتيق
غداة دعى أمير المؤمنين
وابنة أخيه أسلم عقيدة منه ،
فهى لا تبرأ من ابن أروى عثمان بن
عفان ولا من عمر ولا من أبى بكر
الصديق وهو عتيق . وانما حكوا
عن السيد لما حضرته الوفاة الخبر
التالى :

قال بشار بن عمار وهو من رواة الأخبار : حضرت وفاة السيد فى الرميّة ببغداد ، فوجه رسولا الى صف الخرازين الكوفيين ، يعلمهم بحاله ووفاته ، فغلط الرسول فذهب الى صف السنوسيين ، فشتموه ولعنوه ، فعلم أنه غلط : فعاد الى الكوفيين ، فوافاه سبعون رجلا معهم سبعون كفنا ، قال : وحضرناه جميعا ، وانه ليتحسر تحسرا شديدا ، وان وجهه لأسود وما يتكلم الى أن

رحلة مع كتاب "الرسول" صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الكاتب الإسلامي الشيخ سعيد حوى
أعدها الأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرني

- ١ -

مقدمة

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال رضيت بالله تعالى - ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم - رسولا وجبت له الجنة » أخرجه أبوداود .

ومن الخير أن أصدر رحلتى مع هذا الكتاب - الثانى فى سلسلة أعدها الكاتب السورى العظيم الشيخ سعيد حوى تتناول أربعة موضوعات مهمة فى الإسلام . هى : الله - الرسول - الإسلام - حبكذا لله ثقافة وإسلاما . بهذا الحديث الشريف الذى اختتم المؤلف به بحثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم . ولعلنا فى

هذه الأيام المباركة التى نستقبل فيها نسمات رمضان المبارك نسهم بهذه الرحلة فى احياء هذا الشهر العظيم ، الذى نرجو من الله أن يبعث من شذاه فى المسلمين روحا من روح النبى - عليه أفضل الصلاة والسلام - فيعيدوا سنته ويحيوا رسالته ، ويقيموا شريعته ويحققوا قولته : « الخير فى وفى أمتى الى يوم القيامة » .

ولننطلق معا فى رحلتنا مع هذا السفر الجليل الذى يذكر المسلمين بنبيهم الكريم « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

لقد تناول الكاتب فى مقدمته الانسان الذى ميزه الله عن بقية المخلوقات فى خلقته وعلمه وارادته وتصرفاته وامكاناته ومكاته وبيانه وعقله وادراكه وخياله وتصوره

ويقومون بأضحهم مهمة في الوجود
وهي مهمة ارشاد الانسان الى طريقه
الصحيح • ولكن كيف يتسنى لنا
نحن البشر معرفة الرسل حتى نهتدى
وننجو ؟

لقد وضع الله علامات يعرفون
بها •• تظهر فيما يلي :

— فى صفاتهم الشخصية التى
هى خلاصة الأخلاق العالية •

— فى معجزاتهم التى هى علامة
على رسالتهم •

— فى النبوءات التى يتنبأون
بها ويصدقها المستقبل •

— فى الثمرات التى تدل على
انسجام دعوة النبى مع قواعد
الفطرة •

— فى البشارات التى يقوم بها
الأنبياء السابقون للأنبياء اللاحقين •

وهذه العلامات الخمس •• هى
موضوع هذا الكتاب الذى يعتبر
مقدمة للكتاب الثالث فى السلسلة
التى أشرت إليها آنفا ، والذى
أرجو أن أوفق فى عرضه فى بحث
آخر •• ان شاء الله تعالى •

واستعداداه الأخلاقى ، وبناء على
ذلك فقد أصبح هو المسئول
الوحيد أمام الله من بين هذه
المخلوقات جميعا ، وهو الخليفة ،
والاستخلاف يعنى :

أن المستخلف فى الملك ليس
مالكا أصيلا ، وأن عليه أن يتصرف
حسب أمر المستخلف لا أمره هو ،
وآلا يشق عصا الطاعة ويتعدى
الحدود المقررة له ، وأن يفعل
ما يريده المستخلف لا ما يريده
هو •

وهذا يعنى : أن الانسان ليس حرا
بل هو عبد الله ، فسيادته على الكون
فى مقابل عبوديته لله ، والا أصبح
فى حكم الجماد أو الحيوان •

ولا يقوم الانسان بأمر الله الا
اذا عرفه حق معرفته ولا يتم ذلك
الا بمعرفة الرسول الذى يصطفيه •

ذلك أن الاتصال بعالم الغيب
يحتاج لأهلية خاصة ، فالله أعلم
حيث يجعل رسالته ، والرسل
يمثلون ذروة الكمال البشرى لأنهم
يمثلون ذروة العبودية لله ،

الصفات المثلى فى الرسول

صلى الله عليه وسلم :

لقد بلغ النبى صلى الله عليه وسلم
الغاية فى كمال الصفات الحسية
والمعنوية ، وقد تواترت الأخبار على
جماله وحسن مرآه ، فمن ذلك
ما روى عن جابر بن سمرة قال :
رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى
ليلة أضحيان ، فجعلت أنظر اليه
والى القمر ، فلم هو كان أحسن فى
عينى من القمر . وأخرج مسلم فى
صحيحه عن جابر أيضا : مسح
رسول الله صلى الله عليه وسلم
خدى فوجدت ليده بردا وريحانا
كأنما أخرجهما من جوة عطار ،
وأخرج الشيخان عن أنس :
ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين
من كف رسول الله ، ولا شممت
مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان منظره يوحى لمن يراه بأنه أمام
نبى . . وخلاصة ذلك ما قاله عبد الله
ابن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مبينة

لكان منظره ينبئك بالخبر

على أن هناك صفات أساسية
أجمع عليها علماء الكلام لتكون
متوفرة فى الرسول . . هذه
الصفات هى :

الصدق ، والأمانة ، والتبليغ ،
والفطنة :

فمن حيث الصدق فقد شهد على
صدق النبى صلى الله عليه وسلم
خصومة قتل أتباعه ، كما شهد على
ذلك الواقع الذى تمثل فى أخباره
ووعوده وعهوده ونبوءاته ، كما
تمثل أيضا فى مداعباته .

أما شهادة الخصوم له فيقصها
لنا التاريخ فى رواياته الكثيرة ،
ونستشهد على ذلك بهذه الرواية :
أخرج البيهقى عن المغيرة بن شعبة
قال : ان أول يوم عرفت فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنى أمشى
وأبو جهل فى بعض أزقة مكة اذ
لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأبى جهل : يا أبا الحكم هلم
الى الله ورسوله أدعوك الى الله ،
فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت

بل لم يكتف هؤلاء وغيرهم
بمجرد الايمان ، بل أخلصوا له
أصدق الاخلاص •

أما شهادة أتباعه على صدقه فلم
تكن على صدقها الا نتيجة تجربة
كاملة جعلتهم يؤمنون به ويشهدون
له ، وكلما ازداد اختلاطهم به ازداد
تصديقهم له واذعانهم لرسالته
وتفانيهم في حبه وإيثارهم له على
كل شيء ، يشهد لذلك ما لاقوه من
أذى في سبيل هذه الدعوة التي
جاءهم بها وتحملهم هذا الأذى
الشديد ، وعدم تضعع إيمانهم
ازاءه ، وتسابقهم في الاستشهاد
تحت لوائه •

أما شهادة الواقع فهي أعلى
الشهادات لأنه لا يسع الانسان
أمامها الا التصديق والايمان وقد
دلت الأحداث التاريخية التالية على
مطابقتها لما أخبر به •

لقد كان النبي صلى الله عليه
وسلم صادقا في كل ما يتحدث به
حتى في مداعباته ، جاء رجل اليه
يستحمله فقال له : انا حاملوك على
ولد ناقة ، فقال : يا رسول الله ،

منته عن سب آلہتنا ؟ هل تريد
الا أن تشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن
نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أنى
أعلم أن ما تقول حق لا تبعثك ،
فانصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأقبل على فقال : والله انى
لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعنى
شيء ، ان بنى قصى قالوا : فينا
السقاية ، قلنا : نعم ، قالوا : فينا
الحجابه ، علنا : نعم ، قالوا : فينا
اللواء ، قلنا : نعم ، ثم أطعموا
وأطعمنا حتى اذا تحاكت الركب ،
قالوا : منا نبى • • والله لا أفعل •

وأخرج الترمذى عن على ، أن
أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه
وسلم : انا لا نكذبك ولكن نكذب
ما جئت به ، فأنزل الله تعالى :
« فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون »

والذى يؤيد هذه الشهادة له من
قبل خصومه اقبال هؤلاء الخصوم
على الايمان به بعد محاربتهم اياه ،
من أمثال خالد بن الوليد ، وعمرو
ابن العاص ومن قبلهما عمر بن
الخطاب وغيرهم •

فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم
الثالث وهو فى مكانه ، فقال : يا فتى
لقد شققت على أنا هنا منذ ثلاث
انتظرك ، والامثلة على ذلك كثيرة
وبخاصة فيما يتصل بحروبه وعهوده
مع اعدائه فيها ، وهم يشهدون
بذلك

روى البخارى أن هرقل سأل
أبا سفيان عن محمد هل يغدر ؟
أجابه أبو سفيان : لا ، فقال هرقل
بعد ذلك : وسألتك هل يغدر ؟
فرعمت أنه لا يغدر ، كذلك الرسل
لا تغدر •

ولقد صدقت العلوم العصرية
ما حدث به النبى صلى الله عليه
وسلم من نبوءات وأحاديث ، فمن
ذلك قوله لفاطمة بنت أبى حبيش
حين سألته عن دم الاستحاضة الذى
لا يكاد ينقطع ، فهل تترك الصلاة من
أجله ؟ فأجابها : لا ان ذلك دم
عرق ، ولكن دعى الصلاة قدر
الأيام التى كنت تحيضين فيها
ثم اغتسلى وصلى •

فقد صدق العلماء المختصون
المعاصرون هذا القول حين قرروا

ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : هل تلد
الابل الا النوق ؟

وجاءته عجوز فقالت : يا رسول
الله ، ادع الله أن يدخلنى الجنة ،
فقال : يا أم فلان ان الجنة لا تدخلها
عجوز ، فولت تبكى ، فقال :
أخبروها أنها لا تدخلها وهى
عجوز ، ان الله تعالى يقول : « انا
أنشأناهم انشاء فجعلناهم أبكارا » •
أخرج الترمذى عن أبى هريرة
قال : قالوا يا رسول الله انك
تداعبنا ، قال : انى لا أقول الا
حقا •

انها نبوة وما كان للنبوة أن
يكون للباطل عندها أو معها نصيب
واذا كانت مداعباته صادقة فأولنى به
أن يكون صادقا كل الصدق فى كل
موضع •

فمن أمثلة صدقه فى عهوده
ووعوده أن عبد الله بن ابى الخنساء
يقول - فيما أخرجه أبو داود - :
بايعت النبى صلى الله عليه وسلم
قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية
فواعده أن آتية بها فى مكانه ذلك ،

عليه وسلم الا وكان الحق والصدق
ملاها •

وكلام الرسول ينقسم الى
قسمين : ما له علاقة بالغيب وما له
علاقة بالمشهود والمحسوس •

فالنوع الثانى فقط هو الذى
يستطيع الانسان أن يختبره فاذا
ما ثبت صدقه فيه كان ذلك آية
صدقه على الأول ، ولكن لابد من
ملاحظات :

١ - أن معرفة صحة الحديث
وتأكد ثبوته عن رسول الله ينبغي
أن يسبق دراسة المضمون لأن كثيرا
من الكلام دس عليه ، حتى يكون
تحليل المضمون قائما على أساس
سليم ، ولابد أن تتوفر ذلك فى كل
دراسة لها علاقة برسول الله صلى
الله عليه وسلم •

٢ - ان بعض الألفاظ فى اللغة
العربية نقلت من مدلولاتها اللغوية
الى مدلولات شرعية فصارت تطلق
على كلا المدلولين ، وقد تستعمل
فى القرآن والحديث تارة
بالاستعمال الأول وتارة بالاستعمال

أن الدم الوحيد الذى يخرج من
الرحم هو دم الحيض والنفاس ،
أما الدم الآخر الذى يكون فى غير
هذا فمرجعه الى نزيف يحدث
فى بعض الأغشية مما لا علاقة له
بالرحم •

وحين سأله طارق الجعفى عن
الخمير للدواء ، قال : انه ليس
بدواء ولكنه داء • فقد قرر الأطباء
أن الخمير ولو كانت قليلة جدا فهى
ضارة بالخميرات فى طول القناة
الهضمية ، وهذه الخميرات ضرورية
لسير حركة الهضم سيرا طبيعيا ،
والخمير لها تأثير فى الوراثة فقد
شوهه أن أولاد السكيرين ينشأون
غير صحيحى الجسم ضعفاء البنية
ناقصى العقول ويكون لديهم ميل
الى الاجرام ودافع الى الشر ، وأن
من يبحث كتب الطب يتولاه العجب
عند من يقرأ مسببات الأمراض
المختلفة اذ يجد للخمر نصيب الأسد
فى ذلك •

والامثلة على ذلك كثيرة ، فما
من كلمة قالها رسول الله صلى الله

متقفا مع ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه القضية التى يتحدثون عنها •

٥ - هناك ظواهر غيبية أخذت محلها الآن فى معرض الحقائق وكل منها يدعم قضية الايمان بعالم الغيب من زاوية من الزوايا ، ذلك مثل ظاهرة الأحلام والتنويم المغناطيسى وتحضير الأرواح والاتصال بعالم الجن وظاهرة التلباثى ، وهذه الظواهر لا تصح أن تكون وسيلة من وسائل المعرفة ولكنها تؤكد أن الرسول هو الطريق الوحيد المأمون لمعرفة عالم الغيب •

٦ - مراعاة أن الله هو الذى أمرنا بتصدق رسوله واتباعه •

أمانة الرسول

صلى الله عليه وسلم

أما الأمانة فقد شهدت البشرية فى تاريخها الطويل انفصالا بين المثل والواقع ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت حياته يظهر فيها التطابق الكامل بين قوله وفعله، لقد كان هنا التزام تام فى تطبيق

الثانى ، فلا بد من التأكد أولا من نوعية استعمال اللفظ فى النص الذى يدرسه ، فكلمة السماء قد تطلق على كل ما علا وقد تطلق على سكن الملائكة ،وقد أخطأ كثيرون فى فهم النصوص نتيجة لعدم وضوح هذا عندهم ، فعرضوا قضايا على أنها حقائق وهى ليست كذلك ، وأنكروا قضايا هى من باب الحقائق ، وهم فى كلا الحالين متوهمون وجعلوا توهمهم من الاسلام فحملوا الاسلام ما ليس فيه جهلا •

٣ - ان بعض الامور تكون نتيجة لعوامل كثيرة ، كل منها يكون سببا من عدة أسباب مؤثرة ، فلو ذكر انسان سببا واحدا فقط لا يعنى أن ينفى الأسباب الأخرى •

٤ - ما يحدث من اخبار بعض الناس من افكشاف الغيبات ممكن، فقد أشار النبی صلى الله عليه وسلم الى امكان حدوث ذلك ، ولكن لا يقبل ذلك الا بضوابط ومن قوم مشهود لهم بالصالح ملتزمين بالشرع وان يكون ما يخبرون به

صلى الله عليه وسلم هو ما قالتها
السيدة عائشة رضى الله عنها « كان
خلقه القرآن » •

صفة التبليغ

لقد سلك رسول الله كل طريق
سليم فى تبليغ دعوته على الوجه
الأكمل ، وسلك الناس فى المقابل
كل طريق يخطر على البال ليشنوه
عن القيام بأمر الله فلم يفعل •

هناك فرق بين الرسل وغيرهم من
أصحاب المذاهب والمبادئ ، فغير
الرسل يدعون الناس الى شىء تألفه
نفوسهم وهذا لا يحتاج الى تضحية ،
وأحيانا يضجون ولكن فى انتظار
كسب مادية يفوق تضحيتهم ،
ودائما يلاحظون السلامة الا اذا
أنامهم ما لم يكن فى الحساب ،
والحياة عزيزة عليهم فما أسهل
ما ينسون دعوتهم اذا يسوا من
الكسب او النصر ، ولا نغنى بالطبع
اتباع الرسل فان هؤلاء يعملون
بروح الاقتداء بالرسل •

ولكن رسالة الرسل فى التبليغ
صعبة لتعارضها مع أهواء النفوس
وشهواتها ومظامعها ، وكما يعانون

ما يدعوا اليه - يقول الجلندى ملك
عمان مجيبا عن دعوة النبى له
للاسلام : والله لقد دلنى على هذا
النبى الأمى انه لا يأمر بخير الا كان
أول آخذ به ، ولا ينهى عن شر
الا كان أول تارك له ، وأنه يغلب
فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى
بالعهد وينجز الموعد ، وأشهد
أنه نبى •

وقد بلغ منتهى الكمال فى صفاته
وأخلاقه باجماع الرواة وتواتر
الأخبار ، ويكفى ذلك ما قاله الله
عن رحمته : « وما أرسلناك الا
رحمة للعالمين » وقد وسعت رحمته
الناس جميعا حتى قال الله له :
« فلعلك ياخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
أسفا » •

وكانت حياته الحرية تنفيذا
لقوله تعالى : « ياأيها النبى جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم »
وكان أمينا فى تطبيق حدود الله لا
يخشى فى الحق لومة لائم ، وغضب
حين كلمه اسامة فى اسقاط الحد
عن امرأة سرقت ، وخلاصة أوصافه

الجزيرة العربية بل تجاوزها الى خارجها ، ورسله ورسائله الى النجاشي في الحبشة والمقوقس في مصر وهرقل في الروم وكسرى في فارس وغيرهم فيها مبلغ الدلالة على تبليغه ونصحه وصدقه في تبليغ رسالته ، وحماس أتباعه من بعده انما هو صدى لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من أعلى حالات الصدق وأداء الواجب والشعور بالمسئولية امام الله ، ولم يفارق الرسول الدنيا الا وكانت رسالته قد عمت الآفاق وسمع بها القاصي والداني ، وحفظ أتباعه القرآن والحديث وحافظوا عليه حرفيا دون أدنى تغيير .

فطائنته صلى الله عليه وسلم

وهي صفة ملازمة للتبليغ ، فالرسول معرض للمناقشة والتساؤل والاعتراض من المتشككين والمنتقدين ، فلا بد له من الذكاء وقوة البيان وحدة العارضة حتى يستطيع أن يبهت الآخرين فلا تقوم لهم حجة ، وهذا وحده يحتم أن تكون دعوته حقا كلها ، فغير الحق

صعوبة من أعدائهم يعانون مثلها في تربية أتباعهم ، وصبر الرسول على ما يلاقه في ذلك دليل على حرارة صدقه وإخلاصه للدعوة لله . وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم نماذج رائعة في صبره وكفاحه ومعاناته من مواقف الكافرين منه ، ونماذج رائعة لطرقه التي سلكها للقيام بعملية التبليغ ، مما يشهد بحق أنه رسول الله حقا ، فقد سلك أعداؤه معه سبيل الإيذاء العنيف وصبر ، وحاولوا اغراءه فرفض ، وضغطوا عليه عائليا فلم يفلحوا ، وسلكوا طريق الاستهزاء والسخرية والاعراض والالتمامات والمقاطعة ، ولقد هموا بقتله حتى نجاه الله بهجرته ، وكانوا قبل ذلك يلاحقونه في دعوته ويشبطون عنه من يميل قلبه الى الاسلام .

وهو على الرغم من كل هذه العوائق ماض في تبليغ دعوته جاد في اتمام رسالته بكل ما أوتى من قوة ، ولم يدع سبيلا واحدا مشروعا الا سلكه ولا وسيلة سليمة الا اتبعها ، ولم يقصر ابلاغه على حدود

ليست له حجة واضحة ، ولا بد للرسول أن يواجه الناس جميعا على اختلاف تخصصاتهم حتى يمكن أن يدحض حجة كل في تخصصه ، ولا بد للرسول من أن يخاطب الناس على قدر عقولهم •

لقد اكتملت الصفات الأساسية للرسول في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي خلقه الله على أكمل صورة وأنتم حال وأرفع مقام ، ووفقه لأعظم الأعمال مما ينوء بحمله أعظم الرجال مجتمعين فسار في طريق لم تضطرب بدايته فيه ولم تتحول مسيرته عنه ، حتى وصل الى نهايته على استقامة تامة •

القُدوة العليا

تفرد الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات لم يشركه فيها كل الرسل وان شاركه بعضهم في بعضها وبذلك اجتمع له الكمال ، لأن الله جعل الاسلام نظاما شاملا لحركة الدنيا هاديا الى نعيم الآخرة ، فلا بد أن يكون رسوله قدوة للناس في كل شيء ، ولا أدل على ذلك - مثلا - من خلق الصبر الذي استوعبت حياته جميع المواقف

التي يحتاج الناس فيها الى الصبر • فما من بلاء يتلى به الناس الا ويجدون الرسول قد ابتلى بمثله وصبر عليه فيقتدون به ، لقد عرض الكاتب لنماذج أربعة في حياة المصطفى كأمثلة تشهد بأنه هو صاحب القدوة الكاملة والانسانية العليا ، وانه لا كمال لأحد بعده الا باتباع هذا النبي واقتفاء أثره ، واليك هذه النماذج :

النموذج الاول : أنه صلى الله

عليه وسلم الأخلاقى الأول ، وقد زكاه القرآن الكريم في ذلك بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » • وهو المثل الأعلى لجميع الفضلاء في العالم ولجميع المتخلقين بالاخلاق العالية ، فهو في صبره وفي حلمه وفي رحمته وفي صدقه وفي أماته وفي كرمه وفي تواضعه وفي جميع الأخلاق الفاضلة مثل أعلى ، يشهد بذلك الصديق والعدو فمامن أحد في زمانه أو بعد زمانه درس سيرته العطرة الا وأيقن أن الخلق المحمدي لا يرقى اليه مطعن •

النموذج الثانى : انه كان رجل

الاسرة الأول أبا وزوجا ، ولم يغب

«اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم» ، ومن حيث سياستهن وتأديبهن ومداداة قلوبهن حتى تصفو والوفاء لهن ، وقد استطاع أن يرفعهن الى مقام النبوة فى الاخلاق ، وقد ظهر ذلك واضحا حين نزلت آية التخيير فكلهن اخترن الله ورسوله على زهرة الدنيا .

هذا هو المثل الكامل فى الزواج وابتناء الاسرة الذى يدل على سواء الفطرة والحياة ، فحب المرأة - كما يقول العقاد - لا معابة فيه وانما المعابة أن يطغى هذا الحب حتى يخرج عن سوائه وحتى يشغل المرء عن غرضه وحتى يكلفه شططا فى طلابه ، فهو عند ذلك مسخ للفطرة المستقيمة يعاب كما يعاب الجور فى الطباع ، ولم تشغل الزوجات النبى صلى الله عليه وسلم عن عمل صغير أو كبير ، فمن من بناء التاريخ قد بنى فى حياته وبعد مماته تاريخا أعظم من تاريخ الدعوة المحمدية

وجه الحكمة فى زواجه المتعدد ، ولقد تناولته أقلام كثيرة مغرضة فى قلوب أصحابها مرض لا يعرفون ان هذا التعدد دليل على النبوة والرسالة لما فيه من الحكم والمصالح المتعددة ، ويكفى فى ذلك أنه استل بهذا الزواج سخائم قفوس وحل به مشكلات وألف به قلوبا ونشر به الدين .

ولقد كان فى زواجه مثاليا راعى العدل الكامل بين زوجاته من حيث السكن والنفقة والاصطحاب فى السفر والمبيت والزيارات والوقت ، ومن حيث المعاملة الانسانية الكريمة حتى كان يستشيرهن أحيانا ، فى الوقت الذى لم تجرؤ امرأة فى العصر الذهبى للفروسية فى أوربا أن تقدم مشورة لزوجها ، بل كان اللطم على وجهها عقوبة لها ان جرأت على ذلك ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكتفى بسماع المشورة ، ولكنه كان فى حاجة أهله - ومن أقواله المأثورة « خدمتك زوجتك صدقة » ، ومن حيث تجمله لزوجاته ولطفه معهن وإيناسه لهن ، ومن كلماته المأثورة

ورباه على أدائها ورسم لهم الطريق وقادهم فترة ثم تركهم ماضيا الى ربه فانطلقوا بعده لم يغيروا ولم يبدلوا فكان ما كان .

وكمال المربي يظهر فى النواحي الآتية : فى قدرته على الانتقال بالانسان من حالة دنيا الى حالة عليا وفى قدرته على الانتقال بأكبر عدد ممكن فى هذه الحالة ، وبصلاحية تعاليمه وتربيته وحاجة الناس اليها على مدار الزمان ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك حتى قال « بوزورث اسمث » : ان محمدا بلا نزاع أعظم المصلحين على الإطلاق وكما قال « هيل » فى كلام عن النبي « لا نعرف فى التاريخ دعوة كان صاحبها سيدا مكالزمانه ولقومه كما كان محمد » .

وعلى كل فتلاميذ النبي الذين تركهم بعده أكبر دليل على كمال استاذهم ومربيهم ، هؤلاء التلاميذ من أمثال ابى بكر وعمر وعبد الله ابن مسعود وسعد بن أبى وقاص وأبى عبيدة بن الجراح وغيرهم كثير ، لقد غير طاقات هؤلاء

وبمدولة الاسلامية ، ومن ذا الذى يقول ان هذا عمل رجل مشغول ؟ وكما كان مثاليا فى زواجه كان

مثاليا فى أبوته ، كان نعم الأب لا لأولاده فقط بل لكل الأولاد .

النموذج الثالث : النبي هو المعلم والمربي الأول ، ولقد أوضح القرآن مهمة النبي بقوله : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » . وكان الجانب الأعظم من حياته صلى الله عليه وسلم مستغرقا بهذا الجانب : التعليم والتربية ، وبهذا الجانب تستقيم كل جوانب الحياة ، فالأمة بلا علم يوضح لها جوانب سلوكها وبلا تربية يعرف بها كل فرد واجبه تصبغ أمة فوضوية .

والظاهرة فى حياة الرسول انه بدأ تشكيل أمة جديدة لها كل مقوماتها الفكرية والسلوكية والأخلاقية والتشريعية والدستورية واللسانية ، وصهر أفرادها صهرا تاما ، ثم أطلق هذه الأمة فى اتجاه وحيد وحدد فيه لكل فرد مهمته

وملكاتهم ووجهها الوجهة الصحيحة •

كان يعلم ويحضر على التعليم ويطلب من المتعلم أن يعلم الجاهل ويأخذ بيده إلى الطريق السليم في كل أوجه الحياة وهو البصير بأدواء النفوس وعلاقتها يداويها على بصيرة ورفق ، وكان القرآن حفظا وفهما وتطبيقا وسلوكا هو أداة هذه التربية العظيمة والعجب فالقرآن هو الذى « يهدى للتى هى أقوم » وبذلك كان منهاج النبى فى التربية أوفى منهج ، حينما تمسك به المسلمون ارتقوا وحين تركوه ضعفوا كما هو حالهم الآن •

النموذج الرابع : هو رجل

الدولة الاول سياسيا وعسكريا ، فلقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم مقومات النجاح فى القيادة السياسية العليا كما جمع مقومات النجاح فى القيادة العسكرية ، وقد استوعبت قيادته الدعوة ووثقت بها وبأحقيتها ووثقت فى انتصارها ولم يتناقض سلوكها مع ما تدعو اليه ، بل كانت موافقها كلها موجهة لصالح الدعوة،

وقادرة على استيعاب المستجيبين لها تربية وتنظيما وتسييرا ، مع القدرة على حل كافة المشاكل الطارئة بأقل قدر ممكن من الجهد ، وجمعت الى جانب ذلك بعدا فى النظر واستيعابا لكل الواقع وتحقيق النصر والاستفادة منه وتطبيق مبادئ الدعوة واحكام أمر بناء الدولة ، ويكفى فى الاستدلال على كمال ذلك فى شخصيته صلى الله عليه وسلم التعرض لجانب واحد من هذه الجوانب وهو قدرته على استيعاب أتباعه تربية وتنظيما وتسييرا ورعاية •

فالدعوة العقيدية السياسية تصاب من قبل أتباعها بسبب قيادتها من نواح ثلاث :

— ألا تقدر على تربية أتباعها تربية نموذجية فيؤدى ذلك الى نفور الناس ويصبح الاتباع حجة على الدعوة لا حجة لها •

— ألا تستطيع الدعوة تسخير طاقات المنضمين اليها فى سبيلها وتصبح للقيادة وحدها المسئولية كلها •

تلك الخطط فى جميع تفصيلاتها ، وكان لا يبدأ بعدوان ولكنه اذا علم بعزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم ولو كان فى عسرة كما حدث فى موقعة تبوك ، وكان عليه السلام يعتمد الى القوة العسكرية فيقضى على عزائم أعدائه بالقضاء عليها ولا يضيع الوقت فى انتظار ما يختاره أولئك الأعداء ولا يترك زمام الحركة بأيدي المهاجمين الا أن يكون الهجوم وبالا على المتقدمين كما حدث فى موقعة الخندق ، وكان يعتمد على القوة المعنوية التى هى فى الحقيقة قوة الايمان •

بل ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخطئ فى حساباته العسكرية الدقيقة كما أخطأ من جاء بعده من كبار القواد العسكريين الذين حاولوا أن يطبقوا الخطط التى كان يطبقها من أمثال نابليون وهتلر ، ولا تعليل لذلك الا أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت تمده الى جوار عبقريته الفريدة عناية الله التى تنصره وتحميه ، فمزيا الرسول العسكرية أجل من أن تحصر وقد لمسها الكتاب

— أن يفتقد الأتباع الرعاية الدائمة بحيث يصبحون منسيين أو فى حكم المنسيين •

وأنت عندما ترى قيادة الرسول لأتباعه تجدها قد تجنبت هذه النواحي الثلاث ، بحيث أثمرت الدعوة ونجحت نجاحا منقطع النظير ، فقد واسى أتباعه ولا حظهم بعين مودته ورعاهم وحافظ عليهم ومن وسائله فى ذلك دعوتهم الى الهجرة ، وتقده أحوالهم حين استقر بهم المقام فى المدينة وتأمينه الحياة لهم ورسمه السياسة التى كفلت لهم الاطمئنان ومن ذلك وضع معاهدة سديدة مكنت من ايجاد صيغة ملائمة يتعايش فيها الناس جميعا •

أما قيادته العسكرية فكلها مثل عليا يتعلم منها القواد نناذج الفن العسكرى العبرى ، ولقد قرر ذلك العقاد حين بين كيف أن نابليون كان يطبق خطط النبى صلى الله عليه وسلم فى معاركه ، من حيث اختياره الموقع الملائم والفرصة الملائمة ومعالجة العدو قبل اتمام استعداداته ، وكان النبى سابقا فى

لمسا خفيها ، وعرض المؤلف وغيره من المفكرين فى غير استقصاء لأنها أكبر من الاستقصاء ، ولعل من أبرع ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم كقائد عسكرى هو تأمينه لجيشه ودولته بتحقيق الهيئة العسكرية التى تجعل الآخرين دائما فى حالة رعب •

وقد عبر نفسه عن ذلك بقوله : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ، وقد كان لذلك أثره الكبير فى أن يستطيع ثلاثة آلاف جندى فى مؤنة التصدى لجيش قوامه مائتا ألف جندى •

معجزات الرسول

— المعجزة القرآنية :

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ما من نبى الا وأوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحى الى فأننا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة •• والوحى باق تعهد الله بحفظه حيث قال : « انا نحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون » فالمعجزة باقية ببقاء القرآن •

الترابط فى القرآن : والذى يلاحظ فى القرآن التماسك والتآلف وليس التفكك كما يتصور البعض تصورا فاسدا ، والدليل على وجود الترابط ما نسوقه من مثال واحد على ذلك وله نظائره المتعددة فى القرآن الكريم • تأمل سورة « ق » تجدها تتحدث عن الكافرين وتعجبهم من بعثة من ينذرهم بالبعث بعد الموت ، فيرد الله على امكانية ذلك بلفت انظارهم الى الكون ليتعرفوا فيه قدرة الله ، ويحذرهم من المصير الذى لقيه من كذب مثلهم كقوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، ثم تصف السورة أحوال هؤلاء الشاكين وتذكرهم بما سيلقونه عند الموت وبعده والمصير الذى ينتظرهم فى الآخرة ويقارن بينه وبين المصير الذى ينتظره المسلمون الاتقياء ، ثم تدعو السورة الناس الى التذكر والتدبر وأن خلق السموات والأرض وهو أكبر من خلق الانسان لم يتعب الله منه ، فكيف اذن يعجز عن اعادة الموتى الى الحياة يوم البعث يوم تشقق الأرض

الامثلة على ذلك قوله تعالى :
 « وأرسلنا الرياح لواقح »
 « والجبال أوتادا » « يجعل
 صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد
 فى السماء » « من بين فرث ودم
 لبنا خالصا سائغا للشاربين » ..
 وغير ذلك من مختلف الآيات التى
 تلفت الأنظار الى الحقائق العلمية
 التى لم يعرفها العالم الا فيما تلا
 عصر القرآن من عصور مما يشهد
 بأن القرآن من عند الله السميع
 العليم ألا يعلم من خلق وهو
 اللطيف الخبير •

كما أن من خصائصه التى تشير
 الى ربانية مصدره ما أشار اليه
 بقوله : « وانه لكتاب عزيز ، لا يأتية
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه
 تنزيل من حكيم حميد » فقد ثبت
 بالدليل القاطع صدق ما أخبر به فى
 الماضى والمستقبل ، كما ظهر ذلك فى
 الكشوفات والتنقيبات الأثرية التى
 أيدت الحديث عن القدامى كعاد
 وثمود وأصحاب الفيل وغيرهم ،
 وأما حديثه عن المستقبل وتصدق
 المستقبل لحديثه فان ذلك أدل فى

عنهم سراحا ذلك حشر عاينا يسير
 - وما على الرسول الا أن يصبر
 على هؤلاء وأن يذكرهم بواسطة
 القرآن بيوم الوعيد •

فمعانى هذه السورة مترابطة
 متكاملة ، وهكذا الشأن فى جميع
 سور القرآن ، بل ان هناك ترابطا
 بين القرآن كله فهو يشكل وحدة
 منتظمة تشهد بوحدانية منزله
 جل وعلا •

من خصائص القرآن

ومن خصائص القرآن غير
 ما ذكر ما أشار اليه الله بقوله : « قل
 أنزله الذى يعلم السر فى السموات
 والأرض » ، « سنريهم آياتنا فى
 الآفاق وفى أنفسهم » فقد أخبر
 الله أنه سيكشف للناس خفايا هذا
 الوجود بما يشهد أن القرآن حق ،
 فما سيعرفه الانسان سيكون مطابقا
 لما فى القرآن ، ولن يكون هذا الا
 اذا كان منزله يعلم أسرار السموات
 والأرض ، والأدلة على ذلك فى
 القرآن كثيرة أشار اليها الكتاب
 كما أشار اليها أولو العلم فى كتب
 أخرى خصص بعضها لذلك ، ومن

وقد نزل في ثلاثة وعشرين عاماً لا يختلف أسلوبه ، بل هو على وتيرة واحدة في القوة وشدة الأخذ والبلاغة والفصاحة والانسجام لا تختلف أجزاؤه ولا تضطرب معانيه ولا تتناقض آياته •

— كما أن من تمام اعجازه مع هذه القوة الآخذة التيسير « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » •

المعجزات الأخرى : هذا طرف

من الحديث عن المعجزة القرآنية ، أما المعجزات المادية الأخرى فسا أكثرها بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرها الثقات ، وليس بغريب أن تظهر على يديه خوارق لعادات وقوانين وأسباب هذا الكون فان ذلك هو آثار قدرة الله لتقوم حجة الله على خلقه ، ولم يوجد رسول أبدا في تاريخ العالم كانت له معجزات كثيرة ثابتة تتحدى أدق معايير النقد التاريخي مثل ما كان لخاتم رسل الله ، ومن أمثلة هذا الاعجاز انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين يديه ، وتسييح الطعام

بابه على أنه من عند الله ، فما من كلمة قالها القرآن نقضتها الوقائع على مر الأيام حتى هذا الزمان وآخر الزمان ، سواء في ذلك ما جاء من تشريع أو أخبار أو بيان •

— ومن خصائصه أيضا أننا نجد الحقيقة فيه أبدا واضحة ، ففيه تصحيح لكل الاختلافات السابقة « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » •

— على أن لغة القرآن وأسلوبه يفوقان طاقة البشر ويخالفان ما درج عليه البلغاء والشعراء في عصره وبعد عصره ، بالإضافة الى صورته التي تتأبى أن يكون القرآن وليد البيئة العربية من أمثال قوله تعالى « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده ما لم يكدرها » •

— وقد جرت عادة البلغاء أن تختلف أساليبهم على حسب أحوالهم وظروفهم وحياتهم ، ولكن القرآن

من الله الذى يقول فى حق النبى :
« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
أحدا ، الا من ارتضى من رسول »
فليس ذلك من قبيل التوقعات أو
التكهنات أو المقدمات التى تؤدى
الى نتائج • وقد حدث النبى صلى
الله عليه وسلم عن نبوءات تجعلك
على مثل الشمس المبصرة من أنه
رسول الله ولا ينطق عن الهوى •

فمن ذلك ما حدث به حين رجف
به أحد وكان معه أبو بكر وعمر
وعثمان ، فقال : أثبت أحد فانما
عليك نبى وصديق وشهيدان -
وقد أثبتت الأيام شهادة عمر
وعثمان - ومن ذلك قوله عن عمر
لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم •
يعنى عمر ، وقوله عن الحسن بن
على : ان ابنى هذا سيد ولعل
الله يصلح به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين ، وقوله لعمار بن
ياسر : تقتلك الفئة الباغية ، فكان
كما قال •

والحصى فى يديه ، وحنين الجذع
اليه ، وامطار السماء لدعائه وائتمار
الاشجار بأمره ، والاسراء
والمعراج •

ان معجزات النبى صلى الله عليه
وسلم كثيرة متواترة موزونة بأدق
موازين النقد بما يشهد بصحتها ،
وان انسانا يرى معجزة المعجزات
بين يديه (القرآن) ثم لا يؤمن
بأن محمدا رسول الله فهو انسان
أعمى القلب والعقل ، وان انسانا
تؤكد له أصدق الوثائق التاريخية
كثرة معجزات النبى ثم لا يؤمن به
لهو مظلم الوجدان والضمير ، وان
انسانا مثل هذين ليقولن فى يوم
مع أمثاله من القائلين : « لو كنا
نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب
السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا
لأصحاب السعير » •

مع نبوءات النبى صلى الله عليه وسلم

أما النبوءات التى تنطبق على
حاضرنا فما أكثرها ، ومن ذلك قوله
عليه الصلاة والسلام : « لا تقوم

والمقصود بالنبوءات الاخبار عن
المستقبل المجهول بما يتحقق تحققا
تاملا لا يخرم منه شىء لأنه مستمد

واستشهدنا ببعضه منا الا رأيت
واقفا على الأرض يشهد شهادة
صادقة بأن هذا الرسول لا يقول
الا حقا ولا ينطق الا صدقا •

الساعة حتى يفيض المال فيضا
ويفيض الكرم غيضا ويجتريء
الصغير على الكبير واللئيم على
الكريم » •

الثمرات : لعله من ثمرات
الرسول عليهم السلام الالتزام بالحق
والفضيلة والعمل على الاستجابة
للفطرة السليمة التي تفرق بين الخير
والشر وتعرف الحلو من المر ، وأول
ثمرة لدعوة المصطفى صلى الله عليه
وسلم هي التوحيد وما أجمله
وأعظمه ، فالوثنية وبال على
على أصحابها ومسوخ للحقيقة الناصعة
في قلب الانسان ، ويمكن ادراك
ذلك من واقع الهند التي تبلغ ٢٠٠
مليون بقرة وتترك هذا العدد الهائل
الذي يمكن أن يساهم في حل مجاعة
العالم يرعى على حساب حاجة
الانسان وراحته وأمنه ووقته
وسعادته ، فهل يعقل أن يسخر
الانسان لرفاهية الحيوان في الوقت
الذي خلقه الله ليكون في خدمة
الانسان ؟ ولكنها الوثنية التي
شوهت الحقائق ومسخت حقائق
الأشياء • هذا مثل من الحاضر

« سيأتي على الناس زمان تمات
فيه الصلوات ويشرف فيه البنيان
ويكثر فيه الحلف والتلاعن، ويفشو
فيه الرشا والزنى وتباع الآخرة
بالدنيا فاذا رأيت ذلك فالنجا النجا.
قيل وكيف النجا ؟ قال : كن حلسا
من أحلاس بيتك وكف لسانك
ويدك » •

« ليأتين على الناس زمان يؤمنون
بالله ولا يشركون به شيئا ويصومون
رمضان ويصلون الخمس وقد
سلبوا دينهم لأنهم رأوا الحق
فتركوه » •

« سيظهر شرار أمتي على خيارهم
حتى يستخفى فيهم المؤمن كما
يستخفى بينكم المنافق اليوم » •

هذه بعض نبوءات ، وهي
ليست في حاجة الى توثيق لأن
وقوعها الآن يوثقها ، وانك اذا
ما تأملت أى حديث مما أورده الكتاب

الرغم مما فتح الله عليهم فيها من كنوز كسرى وقيصر بل اجتازوها دون أن يتلوثوا بها ، ومن أجل ذلك كانوا يتسابقون في الشهادة اغتناما لأجرها عند الله ، وكم منهم من عذب دون أن يتزحزح عن دينه رجاء ما عند الله • لقد أيقظ النبي صلى الله عليه وسلم الضمير في نفوس المسلمين فعلا سلطانه على كل سلطان • وداء الناس اليوم هو فقدان هذا الضمير الذى مات فى نفوسهم فضاعت القيم وانعدمت المثل •

ومن ثمراتها احياء الانسانية الواحدة الكريمة ، فقد جعل الاسلام الناس أمة واحدة لا فضل لأحد فيها الا بالتقوى ، وكانت العصبية والجاهلية تعمى على الناس فى مشارق الأرض ومغاربها الطريق وتصنع بينهم فروقا لا أساس لها وانما صنعها الكفر والشقاق والنفاق •

لقد أعلن الاسلام انسانية الانسان ووحدة الانسانية ، فالرجل انسان والمرأة انسان والعبد انسان والناس كلهم سواء فى هذه

يقاس عليه أمثلة عديدة فى القديم والحديث فى مختلف البلاد والقارات ، فسيدنا محمد عليه السلام بعقيدة التوحيد وضع الانسان فى محله الصحيح حيث علمه أن الكون كله لله وأن الله جعله فى خدمة الانسان وأن الله خالق هذا الكون له الكمال المطلق والمستحق وحده بالعبادة •

ومن ثمرات الدعوة الايمان باليوم الآخر الذى يطلب فيه الانسان النجاة فيصبح محور سلوك الانسان ، فمن أجل هذا اليوم يدخر الناس الصالحات ويتسابقون فى الخيرات ويزهدون فى الدنيا ايثارا للآخرة عليها ، وبذلك تقوم الاخلاق مقام القانون ولقد وضع أصحاب الرسول خلق النبي صلى الله عليه وسلم قدوة لهم ، وتعلموا من هذه الآية الكريمة مثلاً علياً وهى : « أذهبتم طياتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » تعلموا أن يجوعوا فى الدنيا ليشبعوا فى الآخرة ويشقوا فى الدنيا لينعموا فى الآخرة ، ولم تفتنهم الدنيا على

أما الاسلام فقد عمل على استقامة سلوك الانسان بتحميله تبعة ما يصنع وأنه وحده المسئول عن عمله فلا تواكل ولا كسل ولا اعتماد على الآخرين ولا استغلال لقدرات الغير

ولا يخفى أن العدل وهو ثمرات من ثمرات نبي الاسلام يصاحب ذلك الخلق الكريم ، وقد نادى القرآن الكريم بالعدل : « واذا حكمتهم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم العادلين بقوله « هم خيار الناس » ومن العجيب أن يأتى هذا العدل العظيم الذى وسع الناس جميعا فى أمة كانت تؤمن بسياسة « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » ولقد استوعب المسلمون بسرعة وبعمق هذا الخلق الجميل حتى غلبوا به الأمم وساسوها فدخلوا بسببه فى دين الله أفواجا .

وكان من ثمرات رسالة المصطفى الطاعة البصيرة التى يظهر الفرق واضحا بينها وبين الطاعة العمياء التى كانت لدى الامم الأخرى للملوك والأمراء . كانت طاعة

الانسانية فلا شعب أعلى من شعب ولا جنس أعظم من جنس ، والانسان فى نظر الاسلام هو سيد المخلوقات وكل ما فى الكون مسخر له ، ولقد أطلق الإسلام المد التحررى فى أنحاء الأرض حتى أنسى القبطى سياط الرومان وذلها ، وحتى أصبح الخادم والمخدوم يأكلان من طعام واحد ويلبسان من قماش واحد تحقيقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم « هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم عليه » .

ومن ثمرات الرسالة الاحساس بالمسئولية الفردية ، فقد أيقظت فى النفوس الشعور بالتبعية ، وكل انسان مسئول عن نفسه فلا تزر وازرة وزر أخرى ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وفى ذلك تحطيم لنظرية كانت سائدة وما زالت فى أديان أخرى تدين الانسان بسلوك غيره .

الفرق بين هذه الدولة وغيرها من الدول التي لا هم لها الا الابتزاز والاستنزاف ، كما اصبحت دولة جهاد وحرية بعد أن كفلت جميع أنواع الحريات للمواطنين وفي مقدمة ذلك الحرية الدينية « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » وهنأفرق كبير بين دولة الاسلام وغيرها من الدول ، يظهر فى اسبانيا التى لا يوجد فيها الآن مسلم واحد بعد أن كان بها ثلاثون مليون مسلم ، فى الوقت الذى يوجد فيه نصارى آمنون على دياتهم فى كافة الأقطار العربية والاسلامية ، وما زالت معاهدة عمر بن الخطاب مع أهل ايليا مضرب المثل فى كفالة الحرية الدينية الكاملة للناس أجمعين لقد قتل الصليبيون عندما فتحوا بيت المقدس أكثر من سبعين ألفا من المسلمين ، وحين استرده المسلمون لم يقتلوا نصرايا واحدا .

البشارات : مما يشهد على صدق رسالة النبى صلى الله عليه وسلم تبشير الكتب السماوية السابقة برسالاته ، وقد جاء فى القرآن الخبر

المسلمين لنبيهم وخلفائهم طاعة فى الحق والعدل لا ظلم فيها ولا طغيان ، هذه الطاعة تتمثل فى كف الناس عن شرب الخمر فور نزول الأمر باجتنابها ، وفى الالتزام بهذه الطاعة أيا كانت الظروف حتى قالت عجوز كان عمر قد نهاها عن شئ قبل أن يستشهد : ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا - وقد وضع النبى صلى الله عليه وسلم ضابطا لهذه الطاعة فقال : لا طاعة لأحد فى معصية الله تبارك وتعالى •

ولقد تنج عن الاسلام أجيال خيرة جريئة بالحق، تعرف ما هو الخير وما هو الشر فتقوى الحق وتقوض الباطل وهذا هو الذى جعل الصالحين من أمة النبى صلى الله عليه وسلم يتعرضون للحكام بالوعظ والارشاد والتوجيه دون خوف منهم ، وكثير من هؤلاء الحكام كان يستجيب لهذه النصائح والتوجيهات •

لقد أصبحت دولة الاسلام دولة هداية لا جباية ومن هنا يتضح

ومع وجود تحريفات الآن فى العهدين القديم والجديد الا أنه مع هذه التحريفات يوجد فيها ما يشير الى مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن التواء الفهم وسوء النية عند من صده الله عن طريق الهدى يفهم هذه النصوص على غير وجهها الصحيح .

وبقى كتاب واحد أثار ثائرة العالم الغربى هو « انجيل برنابا » الذى أعطى قولاً فصلاً فى المسائل الثلاث وهى رسالة عيسى ورسالة محمد وعدم صلب المسيح ، وقد أصدر البابا جيلاسيوس الأول الذى جلس على الأريكة البابوية عام ٤٩٢ م أى قبل مولد المصطفى بقرن من الزمان تقريباً أمراً بعدم مطالعة هذا الكتاب الذى ما يطالعه منصف منهم الا ويشهر اسلامه ، ذلك لأن الكتاب متماسك يشكل وحدة متكاملة غير متناقضة مما لا مثيل له فى العهد القديم والعهد الجديد . الى ما فيه من براعة الحجة ووضوح المسلك ودقة الخطاب وتوضيح الخفايا فى حياة المسيح كما أن فيه

بذلك فعلى لسان عيسى عليه السلام « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وفى التوراة ما يقصه القرآن الكريم : « يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة » وقد تواترت الأخبار قبل بعثة النبى بمشرة به ، وقصة اسلام سلمان الفارس وعبد الله بن سلام ومحاورة حبي بن أخطب وأخيه أبى ياسر خير دليل على ذلك .

وقد أثبتت الدراسات الحديثة بمختلف اللغات بما لا يدع مجالاً للشك أن الكتب الديانية السابقة بما فيها ما هو منسوب الى الفرس وما هو منسوب الى البراهمة وما هو منسوب الى اليهود أو النصارى قد بشرت بهذا النبى الأسمى الذى يبعثه الله فى أمة العرب ويتلقى الحكمة عن ربه وأنه موصوف بأنه رحمة للعالمين . ولكن الحسد والبغى حالاً بين كثير من هؤلاء الدارسين وبين الايمان الحق فحاولوا أن يلتوا ويتعسفوا فى فهم النصوص الواردة فى تلك الكتب ليصرفوها عن وجه الحق .

وسيكون من يؤمن بكلامه
مباركا » •

وبعد ، فهذا عرض موجز لهذا
السفر الجليل الذى ختمه مؤلفه
الكبير بسؤال وجهه الشيخ عبد
الوهاب النجار مؤلف قصص الأنبياء
للدكتور كارلو ملىنو المستشرق
الايطالى عن كلمة « بيركليتوس
الواردة فى الانجيل فأجاب بقوله :
ان القسس يقولون ان معناها
المعزى ، فقال له ولكنى أسأل
الدكتور كارلو ملىنو الحاصل على
الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية
القديمة ولست أسأل قسيسا •
فقال : ان معناها الذى له حمد
كثير ، فسأله أيضا هل ذلك يوافق
أفعل التفضيل من حمد فقال :
نعم •

وهذا ما جاء فى القرآن على
لسان المسيح : لأ ومبشرا برسول
يأتى من بعدى اسمه احمد » صلى
الله عليه وسلم •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

صولة فى تهذيب النفس وصدقا
فى العبارة يشهدان بما له من قوة
روحية خفية ، ونستشهد من هذا
الانجيل بفقرة فيها تبشير بالنبي
صلى الله عليه وسلم ، فى الفصل
السادس والتسعين : أجاى يسوع :
« لعمر الله الذى تقف بحضرته نفسى
انى لست « مسيا » الذى تنتظره
كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا
ابراهيم قائلا : بنسلك أبارك كل
قبائل الأرض ، ولكن عندما يأخذنى
الله من العالم سيثير الشيطان مرة
أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن
يحتمل عادم التقوى على الاعتقاد
بأنى الله وابن الله فينجس بسبب
هذا كلامى وتعليمى ، حتى لا يكاد
يبقى ثلاثون مؤمنا ، حينئذ يرحم
الله العالم ويرسل رسوله الذى خلق
كل الأشياء لأجله ، الذى سيأتى من
الجنوب بقوة وسيد الأصنام وعبدة
الأصنام وسينزع من الشيطان
سلطته على البشر ، وسيأتى رحمة
الله خلاص الذين يؤمنون به •

احتياج العالم إلى الله

طبقاً لقوانين الفيزياء الحديثة

بقلم: الدكتور يحيى هاشم

وقد امتحن هذا المبدأ من كبار العلماء ، مثل أينشتين ، الذي حاول اكتشاف المتناقضات فيه ولكن مجهوداته أدت الى تقويته بدلاً من دحضه ..

وعندما عجز اينشتين عن ذلك سلم بأن فكرة هيزنبرج خالية من المتناقضات الا أنه حتى آخر ايام حياته ظل يأمل أن تعود الفيزياء مرة أخرى الى وجهة نظر امكان التحديد في يوم من الأيام (٢)

ولكن هذا لم يحدث وظل مبدأ عدم التحدد يمثل ركناً في الفيزياء الحديثة ، ويناقش الدكتور ايزنك موضوع حرية الارادة في ضوء مبدأ عدم التحدد لهيزنبرج — وهذه

من المعروف الآن في علم الفيزياء الحديثة أن قوانين الميكانيكا التي تسرى على حركات الأجسام الكبيرة لا تنطبق على الذرات المفردة فضلاً عن الالكترونات والبروتونات ، والنيوترونات ، وغيرها من مكونات الذرة ..

أما حركة هذه الصغيرات فلها احوال غير محددة ، ولا تتدخل حالة منها في أخرى ، وقد تقفز الصغيرة من حالة من هذه الحالات الى أخرى دون وجود قوانين تحدد أى هذه القفزات هو ما سيحدث في أى ظرف من الظروف . وهذا هو ما يسمى في الفيزياء الحديثة بمبدأ عدم التحدد (١)

(١) أعلن فريز هيزنبرج هذا المبدأ عام ١٩٢٧ ، انظر بواتق وانابيق ص ٤٠٠ وقصة الفيزياء ص ٢٤٨ وغيرهما من المصادر .

(٢) قصة الفيزياء ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

وهل تساوى القول بأن الصدفة العمية قد تتدخل في السلوك الانساني بصرف النظر عن الوراثة أو ضغط البيئة ؟

ليس من المستحيل بالطبع أن يكون مثل هذا الزعم صحيحا .
فقانون عدم التحديد لهيزنبرج على سلوك مادون الذرة من أدق الجزيئات يمنعنا من القيام بتنبؤات دقيقة حول سلوك هذه الجزيئات .
وبالنظر الى أن اجسادنا مكونة من عدد كبير من الذرات والجزيئات المكونة بدورها من جزيئات دون الذرة فليس من غير المعقول أن الصدفة قد تتدخل بالتأكد في تحديد السلوك ، وهى الى هذا الحد تقلل من الحتمية المتضمنة في تأكيدنا على الوراثة والبيئة كعلل كافية للسلوك .

الا أن هذا بعيد كل البعد عن فكرة « حرية الارادة » التى اذا كانت تعنى شيئا على الاطلاق فهى تعنى بالتأكد شيئا مختلفا تماما عن تدخل احداث الصدفة العمية على المستوى دون الذرى فى التعبير عن

المناقشة ، وان كان ايزنك يجريها على صعيد الارادة الانسانية لكنها تقيدها فى الدخول الى موضوع الارادة الالهية الذى نقصد اليه . .

يقول ايزنك :

(ان قضية حرية الارادة هى قضية فلسفية لا يجب أن تعنينا كثيرا . . ومن المشكوك فيه أن يكون لعبارة حرية الارادة أى معنى . . فالسلوك بالنسبة للبيولوجى هو نتيجة الوراثة والبيئة اذ يتحد الاثنان لانتاج حالة معينة من الدافعية وتشكيلة معينة من العادات . .)

فالسلوك الناتج هو حصيلة ذلك الاتحاد ، وباعتباره كذلك يجب أن يكون محتوما .

ومن الصعب أن ترى فى هذا السياق ماذا يمكن أن تعنى « حرية الارادة » .

فهل هى تعنى أن السلوك لا تختمه اطلاقا الدوافع أو العادات أو الخبرة السابقة أو أى شىء آخر ؟

الدوافع والرغبات والمخاوف
الانسانية (١)

كل وجوهه أم ان سلوك هذه
الذرات سلوك عشوائى فى ناحية
من نواحيه ؟

وهناك من يظن أن الذرة لاتخضع
لأى قوانين على الاطلاق فى هذا
الصدد وانما لها ما يمكن أن يسمى
« ارادة حرة » ويقرر أصحاب هذا
الرأى أن العقل يستطيع أن يقرر
ما تقوم به ذرات المخ من انتقالات
فى لحظة ما ، وهكذا يحدث ما يشاء
من نتائج على نطاق واسع ،
بواسطة بضعة أفعال ، كفعل
الزناد (٢) .

ثم يقول برتراندراسل :

(انى لأكرر اعرابى عن دهشتى
لأن يلجأ البعض الى هذه النظرية
فيما يتعلق بموضوع حرية الارادة .
لأن المبدأ لا يقدم أى دليل على أن
سير الطبيعة غير محدد . انما هو
يثبت أن الجهاز الزمانى المكانى
القديم ليس وافيا تماما بمطالب علم
الطبيعة الحديث . فالمكان والزمان

وأقول : ان كون هذا التحليل
بعيدا كل البعد عن اثبات حرية
الارادة ناشئ من مغالطة ارتكبتها
المؤلف حين افترض أنه اذا لم تسر
حركة الجزيئات وفقا لقانون محدد
فانها تكون حينئذ نهبا للصدفة ،
وبالطبع فالصدفة ليست هى الحرية ،
لكن ليس هذا هو التفسير الوحيد
ومبدأ هيزنبرج حين اكتشف عدم
التحدد فى حركة الجزيئات لم
يفترض الصدفة ، والأمر يحتمل فى
هذه الحالة افتراض (ارادة) غير
خاضعة للتحديد ، أى ارادة حرة .

يقول برتراندراسل ، معلقا على
مبدأ هيزنبرج :

(انه لا يعرف حتى الآن على وجه
يقارب التأكيد : هل هناك قوانين
تتحكم فى سلوك الذرات المفردة من

(١) الحقيقة والوهم فى علم النفس د. هـ. ج. ايزنك ترجمة قدرى حنفى

ودكتور رءوف نظمى ، منشورات جماعة علم النفس التكاملى

دار المعارف عام ١٩٦٩ ص ٢٨٤ .

(٢) مجموعة نظمى لوقا (عالمنا المجنون) ص ٥١ : ٥٤ .

الصغيرات والذي يعجز عن كشفه الآن بمقاييسه الحالية القائمة على الزمان والمكان أو على «الزمان» .
ويصور لويس دي بروجلي الاعتقاد بوجود حتمية يحتمل الكشف عنها فيما بعد فيقول :

(ان أنصار الحتمية سوف يقولون : ان هذا - يعنى مبدأ عدم التحدد لهيزنبرج - لا يثبت أنه ليس هناك حتمية كاملة للظواهر الطبيعية وأنه يثبت فقط أننا لا نعرف كل العناصر التي يعتمد عليها في كشف الظواهر الطبيعية ، وأن بعضاً من هذه العناصر تغيب عنا ، ومعرفتنا لها ينبغي أن تقدم دليلاً على الحتمية ، وإذا تقدمت الفيزياء التجريبية خطوات تقدمية كاشفة عن هذه العناصر المجهولة عند ذلك سوف يكون ممكناً أن نقيم الحتمية من جديد (..) ويستمر بروجلي قائلاً :

(هنا نسمع همساً عن « المتغيرات الخفية » التي قابلتنا في الفيزياء الكلاسيكية خصوصاً في الديناميكا الحرارية ، اذ كان وصفها يبدو ناقصاً ، ولجأنا الى وجود «المتغيرات

قد اخترعهما اليونان ، وقد كانا عظيمى النفع لاغراضهما حتى كان القرن الحالى فأحل اينشتين محلها نوعاً من التسمية المزجية يقال له (الزمان) ولكن الميكانيكا الكمية قد أوضحت ضرورة تغيير أشمل لأساس البناء ، وأن نظرية عدم التحدد من أمثلة هذه الضرورة وليست مثالا على فشل القوانين الطبيعية في تعيين سير الطبيعة)

ثم يقتبس من ترنر قواه : (ان مبدأ عدم التحدد يتعلق بالقياس لا بالعلية) يعنى أنه ناشئ عن عجز أدوات القياس المتاحة لنا ، وليس ناشئاً عن عدم العلة

ثم يقول : (لا يوجد مطلقاً فى مبدأ عدم التحدد ما يثبت أن أى حدث طبيعى غير معلول) ..

ونحن نناقش برتراندراسل فى أربع نقاط :

١ - الأولى اعتقاده أنه بالرغم من مبدأ « عدم التحدد » فالعلم الطبيعى سوف يكشف فى المستقبل عن القانون الذى يحكم حركة

جديدة بين الوجهين الديناميكي والهندسي للكون تحرم كل معرفة مضبوطة للوجهين ، وبهذا الشكل تجعل مستحيلاً وضع قوانين حاسمة للتتابع بين الظواهر التي يمكن مشاهدتها » (١) •

ويقول لويس دي بروجلي في رده على الاعتقاد باكتشاف الحتمية فيما بعد :

(ان الفكرة التي تنطوى على أنه من الضروري الاحتفاظ من حيث المبدأ بصحة الحتمية والسببية حتى على المقياس الأولى - أى الميكروفيزيائي - لا تبدو على الإطلاق مقبولة لدى فيزيائيين كثيرين على الأخص من بين الأجيال الأصغر سناً ، والبرهان على ذلك قائم في الشروح العميقة التي كتبها يوهان فون نيومان •

ولقد وجه هذا الفيزيائي الرياضي الكبير في كتاب نشره عام ١٩٣٢ في برلين قبل رحيله الى الولايات المتحدة •• اتهاماً قاسياً ضد الحتمية الظاهرية للظواهر الماكروية •

الخفية » التي كانت تفلت من إبحاثنا التجريبية ، وهى متغيرات كانت معرفتها ضرورية للوصول الى وصف كامل للمجموعة •• الا نستطيع اذن أن نفرض أن نظريات الكم الحالية نفسها تتغاضى هى الاخرى عن وجود متغيرات خفية « معينة » لو توصلنا الى معرفتها لأتاحت لنا اكمال وصف الظواهر الميكروفيزيائية واخضاعها للحتمية ؟ ••)

ويرد لويس دي بروجلي على هذه التساؤلات قائلاً :

(لا يبدو أن الأمر على هذا النحو فى الحقيقة ان ذات شكل قوانين الاحتمال التي تظهر فى فيزياء الكم كما أمكن توضيح ذلك ليس الشكل الذى يناظر وجود «المتغيرات الخفية» ، وهكذا يعلق أمامنا باب كان من الممكن أن تستعيد الفيزياء الحتمية من خلاله ، فهل هناك طريق آخر ؟

يبدو هذا الأمر بعيد الاحتمال اذا تأملنا ملياً الطريقة التي يتدخل بها كم الفعل ، اذ يدخل علاقة

(نتيجة لفزياء الكم من المستحيل أن نسلم بأنه توجد وراء لا حتمية قوانين فزياء الكم الحالية حتمية متخفية يمكن أن تظهر لنا كما لو كنا قادرين على فهم تطور متغيرات خفية معينة ..) (٢)

ويقول لويس دي بروجلي ضد توقع ظهور الحتمية مرة أخرى في علم الطبيعة :

(ان بعض العلماء يعتبرون الاحتمية - التي أظهرتها فزياء الكم - مما لا يمكن قبوله لأنه يبدو لهم متعارضا مع مبدأ السبب الكافي . وربما لم يكن هذا - آخر الأمر - الا نتيجة لعادات فكرية متأصلة . ومن الغريب في هذا الأمر أن الفزيائيين الشباب الذين تعودوا منذ بداية دراساتهم النظر الى الأشياء بمنظار الفزياء الجديدة يبدو أنهم لا يقابلون من الضعاب قدر ما يقابل الأكبر سنا منهم .) (٤)

لأن الترتيب السببي الظاهري ليس له أصل سوى قانون الأعداد الكبيرة وهذا مستقل تماما عن كون العمليات الأولية - التي هي العمليات الفزيائية الحقيقية - تتبع أولا تتبع القوانين السببية) ثم يقول :

(وهكذا تكون حتمية الظواهر الماكروية بالنسبة الى نيومان والى معظم الفزيائيين الكسنيين في الوقت الحاضر وهما راجعا الى تأثير المتوسطات ، ومظهرا احصائيا بسيطا .) (١) ويقول لويس دي بروجلي كاشفا زيف الحتمية في الطبيعة :

(فقوانين الميكانيكا بحسبها الظاهري ليست أكثر من خداع ووهم راجع الى تعقد الأجسام التي تتناولها تجربتنا المباشرة ، والى نقص الدقة في قياساتنا .) (٢) ثم يقول جازما بالاحتمية في الطبيعة :

- (١) الفزياء والمكروفيزياء ص ٢٢٥ : ٢٢٦ .
- (٢) الفزياء والمكروفيزياء ص ٢٢٤ .
- (٣) الفزياء والمكروفيزياء ص ٢٣٠ .
- (٤) الفزياء والمكروفيزياء ص ٢٣٠ : ٢٣١ .

واذا نزع عنها وصف « الطبيعية »
فماذا تكون ؟

ماذا عند راسل خارج هذه الدائرة؟
لا شيء .

في حين أن ضرورة السببية -
المقررة عقليا ، والتي يتمنى راسل
أن لو عادت فيزيقا . - الجأتنا
الى شيء خارج .

الجأتنا الى عالم الأمر .

وهو لا شيء الا أن يكون أمر
الله .

وهذا ما ينبغي أن نسميه دليل
القانون « غير الطبيعي » على وجود
الأمر الالهي ، أي على وجود الله .

٢ - أنه وان كان مبدأ عدم
التحديد يتعلق كما يقول راسل
وترنر بالقياس لا بالعلية فان هذا
في الحقيقة ينسحب على جميع
القوانين الطبيعية ، بمعنى أنها
جميعا تتعلق بالقياس لا بالعلية (٣) .

هكذا يقرر هؤلاء العلماء أنه
لا مبرر من الناحية الفيزيكية لاحتمال
التراجع عن الاحتمية ، وعلى كل
فنحن نرى أنه لا مسوغ على
الأطلاق للقول بأن تلك القوانين
التي يحتمل أن يكشف عنها
الانسان في المستقبل توصف بأنها
طبيعية ، وقد تجردت تماما من
الزمان المكان .

انه ماذا يبقى لها بعد هذا التجريد
لتوصف بالطبيعية ، وراسل هو الذي
يقرر أن ثنائية العقل والمادة أصبحت
أمام الحقائق العلمية الحديثة في
خبر كان وأنه لم يعد أيهما غير
سلسلة أحداث ترتبط بقوانين ، وأنا
لا تعرف شيئا عن هذه الاحداث
الا في كيانها الزماني المكاني (١)

ماذا يصح من وصف هذه القوانين
بأنها طبيعية ، في عالم يقول عنه
راسل (ان العقل والروح والمادة
ليست سوى رموز لأشياء غير
معروفة) (٢)

(١) العقل والمادة ص ٢٠٣ : ص ٢٠٩ .

(٢) مجموعة عالمنا المجنون ص ٩٧ .

(٣) أعني أن القوانين الطبيعية مهمتها الوصف والقياس ، لا التفسير ،
ولا تبيان العلة .

تقديم القياس والعلة معا في صلب حقيقة الظاهرة الطبيعية ••

اذن يكون القياس العلمى بعد ذلك مجرد قوانين احصائية توسطة للمجموع الكبير لا يدري مصدر انضباطها بعد أن زال هذا الانضباط من الوحدات الصغيرة التى يتألف منها هذا المجموع •

وليس لأحد أن يظن أن حساب الاحتمالات يضمن تحقق شيء بالفعل الا كما يجوز للمقامر - فى مغالطة شهيرة - أن يعتقد أنه اذا خسر مرات عديدة متوالية فان المرات التى سيربح فيها ربها متواليا آتية لا مهرب لها • ظنا منه أن « قانون المتوسطات يجعل المعدل يتساوى فى النهاية » حيث - فى الحقيقة - لا يوجد - فى الواقع - مثل هذا القانون الذى يجعل الأشياء تحدث على نحو أو آخر •

وهو أشبه برجل احترق مصنعه الذى يعمل فيه فقال « عشرة الاف مصنع فى هذه البلاد ولكن يبدو أنها الفت قانون المتوسطات وفسخته لانها اختارت مصنعا واحدا بالذات

ومن هنا يبقى تطلع العقل الدائم الى اكتشاف العلية ، وهنا لا غنى عن الدين أو الميتافيزيقا - وتصبح الأسباب الطبيعية قياسات غير محددة مفتقرة الى تفسيرها بالعلة ، وهى أى العلة لا محالة غير هذه القوانين •

٣ - أنه وان كان صحيحا ما يقوله رسل (لا يوجد فى مبدأ عدم التحديد ما يثبت أن أى حدث طبيعى غير معلول •) لكنه على أى حال يضعنا - أى مبدأ عدم التحدد - أمام حالات لا يمكن أن نثبت فيها ما اذا كان الحدث الطبيعى معلولا لعلة طبيعية ؟

وهذا كاف لكى ينهدم المنطق الإلحاذى القائم على أن العلم قدم التعليل الكافى للظواهر الطبيعية وازاح من الطريق الحاجة الى التعليل بالارادة الالهية •

هنا يعترف العلم بأنه لا يقدم العلة الطبيعية •

بل هنا يعترف العلم بأنه عاجز عن

منذ البداية ثم لا تعود ثانية على
الاطلاق (٠) (٣) •

هو الذى أعمل فيه •• ومن العجيب
أن ذلك لا يحدث عندما اراهن في
السباق « (١) •• !!!!

أما وقد تحقق هذا الانضباط
بالفعل في حالات معروفة في الطبيعة
في انضباط المجموع الاحصائي
للصغيرات ، وانضباط نسبة الوفيات
في بيئة معينة ، وانضباط نسبة
الذكور الى الاناث في المواليد ••
الخ ••

أنه لا يصح القول بأن مصدر
الانضباط هو حساب الاحتمالات
الذى يقرر حتمية ظهور حالة معينة
بنسبة معينة كلما تكررت احتمالات
الظهور مرات معينة - رسنزيد
هذه المسألة وضوحا في بحثنا في

فان الأمر يرجع اذن الى غير
قانون الاحتمالات النظرى ••

عجز العلم عن تجنب القول بالمصادفة
- وذلك لأن من المقرر أيضا عند
العلماء أن هذه الحتمية (ليست
ألا تصورا رياضيا ، يتصف بما
تتصف به الرياضة من ضبط و يقين
طالما لم يطبق ولكنه عند التطبيق
ينشأ عدم اليقين ••) (٢) هذا ما
يقوله برتراند راسل نفسه - وهو
ماحد - ويقول الدكتور ليكونت

وهنا أيضا تسقط دعوى العلم في
الاستغناء بالاسباب : مهما يكن
تفسيره لهذه الأسباب ، عن الارادة
ويعود للارادة حقها في تفسير
الظواهر •

دى نوى - وهو مؤمن - (لا
يمكننا أن نثبت أن الفرص الضئيلة
سوف تتحقق حتى في نهاية بليون
بليون قرن ، فقد تتحقق مرة واحدة

بل هنا ينبغي أن نستنبط ما
نسميه :

« دليل الانضباط الاحصائي الواقعي
للصغيرات على وجود الله

ومحتوى هذا الدليل هو أن

(١) فن الاقناع للدكتور ليونيل روبي ص ٢٥٦ •

(٢) فلسفتى لبرتراند رسل ص ٢٣٥ •

(٣) مصير البشرية ص ٣٣ : ٣٤ •

وهو يبنى هذا الهجوم على
مغالطة :

فيدعى أنهم يحاولون اسقاط
مبدأ العلية (١)

ثم يقول : (وان مبدأ العلية قد
يكون صحيحا ، كما أنه من الممكن
أن يكون غير صحيح ، بيد أن
الإنسان الذى يبتهج بعدم صحته
لا يدرك تماما معنى عدم صحة هذا
المبدأ ، انه فى العادة يستبقى
التسليم بكل ما يرغب فيه من
قوانين العلية ، من مثل ان الطعام
يغذى ، والبنك سيدفع له رصيда
مقابل شيكاته مادام له رصيد ،
بينما يرفض من قوانين العلة مالا
يلائمه ، وأى سذاجة أكثر سذاجة
من هذا الموقف الطفلة (٢) .

وهكذا يسلط راسل سخريته
على رجال الدين ، وهى مردودة عليه
لأنه ما أظن أنه يغيب عنه أن رجال
الدين اذ يبتهجون بمبدأ عدم التحدد
لا يرون فيه اسقاطا للعية مطلقا ،
وانما يرون فيه دلالة على أن العلية

الصغيرات التى تتكون منها المادة
لا تحتوى على قوانين تحكم سيرها،
ومع ذلك فانه عندما تكثر هذه
الصغيرات وتكون المجموع الكبير
(الجسم) يدخل هذا المجموع تحت
قوانين الميكانيكا المعروفة ، وهذه
القوانين التى تتحكم فى سلوك
الاجسام مجرد قوانين احصائية
تعطى النتيجة المتوسطة لعدد كبير
من الحركات دون حتمية تطبيقية
ترجع اليها ودون حتمية ترجع الى
الأصل المادى ، فهى اذن - أى هذه
الحتمية أو هذا الانضباط الواقعى -
تأتى من خارج الوضع النظرى لهذه
القوانين ومن خارج الأصل المادى
للمادة ، فهى اذن تحتاج فى تفسيرها
الى ارادة الله سبحانه وتعالى .

٤ - ان برتراند راسل يهاجم
رجال الدين فى محاولتهم الاستفادة
بمبدأ عدم التحدد : من أجل اثبات
وجود الارادة الالهية وراء الظواهر
الطبيعية .

(١) والحقيقة انهم لا يفعلون ذلك .

(٢) مجموعة عالمنا المجنون نظمى لوقا ص ٥٧ : ٥٨ .

خلال مبدأ عدم التحدد يعودون فيحاولون أن يثبتوا (صحة الدين عن طريق الذرات التي تطيع قوانين الطبيعة ، وهو الرأي الذي يؤمن به السيرجيميس جينز *)

ثم يقول ساخرا (والغريب - أو لعله من المضحك - أن نرى رجال الدين يستوون في حماسهم لكل من الرأيين ، وكأننا بات همهم كله استنقاذ العقيدة بأى ثمن وبأى وسيلة *) (٢)

هكذا يلجأ راسل الى هذا الأسلوب الساخر ، في مقام جليل كهذا لنكشف مغالطته ، على رجال الدين ، الذين هم كما رأينا لا يسقطون مبدأ العلية مطلقا وانما يثبتونه راجعين به الى ما خلف الظواهر : الى الارادة الالهية ، ومن ثم يستشفون هذه الارادة في كلتا الحالتين ، حالة التحدد ، وحالة عدم التحدد بل هم يرون في التراوح بين الحالتين دليلا جديدا على « علية » ، « الارادة الالهية » انه

كامنة وراء سلسلة الظواهر الطبيعية لا فيها ، ويرجعون بها الى أمر خارج عنها ، هي الارادة الالهية * ان رجال الدين أشد تمسكا بمبدأ العلية على النحو الذي يقررونه ، (وكما وجدناه عند الامام الغزالي) لأنهم يرون فيه دليلا من أدلتهم على وجود الله ، وهذه السخرية التي ساقها راسل هو أحق بها ومن تابعه من منكرى وجود الله ، فهم الذين يستعملون مبدأ العلية فيما يروق لهم ، ويرفضونه حيث لا يروق ، انهم يرفضونه عند ما يكون طريقا للاستدلال على وجود الله ، بينما يقبلونه فى الاستدلال به على علية الظواهر ، بل انهم ليوغلون في ذلك اذ يؤمنون بوجوده فى الظواهر ايمانا أعمى غير مستند الى البحث التجريبي الذي يعتمدون عليه (١) .

واذا تبين ذلك يصبح لا مجال لايفال راسل فى السخرية من رجال الدين اذ يسجل عليهم أنهم مع محاولتهم اثبات صحة الدين من

(١) وذلك عندما يصرون على وجوده بينما الفيزياء الحديثة تدل على عدم وجوده (مبدأ عدم التحدد

(٢) مجموعة عالمنا المجنون ص ٥٩

لمتوسط كثافة المادة في الكون يكون التقدير الحالي لنصف قطر الكون هو ٣٢ ميلا ، وترتبا على ذلك يقول العلماء : انه اذا تمكن أحد الفلكيين يوما ما من بناء تلسكوب كبير بعيد المدى فاننا نستطيع أن نتخيل ما يمكن أن يحدث عندما ينظر أحدنا من خلاله :

(ربما يرى جسما لامعا مضيئا يشبه القمر ، وينمو على سطحه شجرة منحنية غريبة المنظر . وقد تمضى ساعات طويلة من البحث والتدقيق قبل أن تشرق عليه الفكرة بأنه ينظر الى صلته اللامعة وقد اتم الضوء الصادر عنها دورته حول الكون وعاد ثانية) (١)

يقول سير آرثر ادنجتون

(وبطبيعة الحال فان هذه الفكرة التي تتضمن فراغا كرويا مقلدا قد يصعب هضمها الى حد كبير ولكن من الحق انها ليست اسوأ من تلك الفكرة الأقدم المتعلقة بالفضاء اللانهائي المفتوح الذي لا يمكن أن

لحق مشروع - منطقيا - للفكر الدينى أن يثبت مبدأ « الارادة الالهية » سواء ثبت مبدأ (عدم التحدد) أو ثبت مبدأ « الحتمية » لأنه في كلا الحالين يقوم الدين على أن العلة الحقيقية كامنة وراء الظواهر .

ان افتراض حتمية القانون لا يلغى الارادة الالهية كما لا يلغى القول بعدم الحتمية .

حدوث العالم وفناؤه

أولا : الكون متناه حتما :
هذا ما يقرره العلم الحديث

فلقد تمكن أينشتين من ايجاد نصف قطر الكون ، وأنه يتوقف على متوسط كثافة المادة في الكون .

« وبالتعبير الرياضى : وجد اينشتين أن نصف قطر الكون يتناسب عكسيا مع الجذر التربيعى للكثافة . »

وباستعمال أحسن التقديرات

فيه والثاني غريب سالب : وهو مالا سبيل له سوى تحدى واعتراض سبيل تصوراتنا وأحلامنا •

وكتلة الاجسام في هذا العالم السالب هي بدورها سالبة كذلك • ومعنى ذلك أنها عندما تدفع في اتجاه معين تتحرك في الاتجاه المضاد • وبطريقة التشابه أو المقارنة نستطيع أن نطلق على الكهارب التي لها كتل سالبة اسم الكهارب البليدة •• (٢) • ثم يقول :

(ونظرا لامكان وجود البروتونات والنيوترونات والكهارب التي تتكون منها ذرات المادة العادية وظهورها جميعا في الحالات المضادة ، فان ذلك يعنى امكان وجود المادة المكونة من هذه الجسيمات) •

ومن اللازم أن تكون جميع

يتصوره أحد فليس ثمة من يستطيع أن يتصور اللانهاية (١) •

ثانيا : الكون متناه زمنيا :

يستدل العلم الحديث على أن للكون بداية من عدد من النتائج التي توصل اليها أخيرا :

١ - فهو متناه في المستقبل ••

وذلك يستدل عليه من قابلية المادة للفناء كما تقرره الفيزياء الحديثة خلافا لما يعتقد المخدوعون من تلاميذ المدارس الثانوية واضرابهم (!!!)

يقول الدكتور جورج جاموف من مشاهير رجال الفيزياء النووية المعاصرين :

(ان ميكانيكا النسبية تؤدي الى احتمال وجود عالمين مختلفين : أحدهما موجب وهو الذى نعيش

(١) العلم اسراره وخفاياه ح ١ ص ٩٦ ، ولا يطعن في استدلالنا بهذه النتيجة التي توصل اليها اينشتين ما ثبت بعد ذلك من أن الكون في حالة اتساع مستمر ، فهذا من حيث الاستدلال على نهاية الكون حجما مجرد تعديل جزئى وليس الغاء •

(٢) قصة الفيزياء ص ٣٥٤ ، وقد جاء أخيرا في الانباء العلمية ان فريقا من علماء المنظمة الاوربية للبحوث النووية « سيرن » توصلت تجريبيا الى تخليق هذه المادة المضادة . انظر مجلة « أكتوبر » العدد ١١٤ في ١٩٧٨/١٢/٣١ •

الفضاء تتكون كلها من نفس النوع
من المادة أم هي خليط مكون من
٥٠٪ من كل من المادتين ؟

واذا كانت جميع مادة الكون من
نوع واحد فلماذا يكون الأمر
هكذا .. ؟

واذا كان بعضها من المادة العادية
.. وبعضها الآخر من المادة المضادة
.. فكيف تم فصل هذه الأجزاء
المميزة بعضها عن بعض ..

اننا لا نملك الإجابة عن أى من
هذه الأسئلة (٢)

ولكننا نحن نتصدى للإجابة :

اذ هنا ينبغي ان نستنبط دليلا
على وجود الله يمكن ان نسميه :

**دليل الإمساك : أو دليل
أمسك المادة من الفناء ..**

فحوى هذا الدليل : أنه مادام
أن الفيزيا الحديثة تقرر أن المادة
لها قابلية مستمرة للفناء وان هذا
الفناء يحدث عندما تلتقى بمادة

الصفات الكيومية والطبيعية للمادة
المضادة هي عينها صفات المادة
العادية ، والسبيل الوحيد الذى
تستطيع به أن تقرر أن حجرين
يتكونان من مادتين متضادتين فيما
بينهما هو ضمهما معا فاذا لم يحدث
شئ كانا من نفس النوع المادى ،
أما اذا حدثت بينهما عملية افناء (١)
ذريعة فهما من مادتين متضادتين ..

فهل مادة الكون بأسره من نفس
النوع أى أن هناك أرجاء من نوع
مادتنا وأخرى من المادة المضادة
موزعة هكذا حسبما اتفق عبر
الفضاء اللانهائى ؟

هناك رأى قوى بأن المادة المنتشرة
فى مجموعتنا الشمسية والتي تدخل
فى نطاق الطريق اللبنى « طريق
التبانة » هى من نوع واحد متجانس

ولكن السؤال هو : هل اقرب
المجرات لنا فى الفضاء مثل سديم
اندروميذا العظيم وهل مئات ملايين
مجرات النجوم الأخرى المتناثرة فى

(١) بينا فى موضع آخر ان قانون بقاء الطاقة قانون افتراضى ، لا بد منه
للمنهج العلمى ، وليس معبرا عن حقيقة خارجية تجريبية .

(٢) قصة الفيزيكا ص ٣٦١ .

أخرى تماثلها تماما في جميع الصفات وان شيئا ما يحدث آنذاك لا يعرفه العلم الا عند حدوثه فيسمى بعض هذه المادة (مادة عادية) وبعضها الآخر (مادة مناقضة) ..

فهذا يدل على أن عامل الحفظ وارد من خارج المادة ، كما يدل على أن عامل الافناء وارد من خارجها كذلك : وهو الله سبحانه وتعالى . وهو مصداق قوله تعالى : (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده ..) صدق الله العظيم .

٢ - وهو متناه من جهة الماضي : ويقول جورج جاموف عن تولد المادة من لا شيء وذهابها الى لا شيء وفنائها بالاشعاع :

(ذهب نيل بور .. الى أن قانون بقاء الطاقة لا ينطبق في حالة تحللات بيتا ذات النشاط الاشعاعي ، وأنه في حالة انبعاث جسيم بطنى من جسيمات بيتا تختفى كمية معينة من الطاقة ..

أما في حالة انبعاث جسيم سريع من جسيمات بيتا فيكون من الممكن تولد كمية اضافية من الطاقة من لا شيء ..

وتبعا لهذه النظرية فان قانون بقاء الطاقة في العمليات النووية الأولى ينطبق على المتوسط فقط (١) .

وهذا الذى يقرره العلم الحديث من فناء المادة، يذهب - في تقديرى - الى أبعد مما ذهب اليه شيخ الاسلام الشيخ مصطفى صبرى عندما استدل على فناء المادة بما اثبتته العلم الحديث من تحولها الى مالىس بمادة (٢)

٣ - بل هناك دلالات علمية أقوى على أن للعالم بداية ، تستنتج مما توصلت اليه الفيزياء الحديثة عن تمدد الكون اذا أضيف ذلك .. الى ما تقرر عن تناهى الكون حجما: يقول السير آرثر رادنجتون عالم الفلك الانجليزى الكبير :

(من الاستنتاجات التى اخذناها عن النظرية النسبية أنه يجب أن

(١) قصة الفيزياء ص ٣٨١ .

(٢) موقف العقل والعلم ح ١ ص ٢٣٧ : ٢٣٨ .

فيه عنا اذا بها تتباعد بعضها عن بعض كذلك .. وهذا التمدد لا يتجه بعيدا عن مركز بالذات ولكن يسبب تشتتا عاما ..

ويسير الاتساع بالمعدل الحالى الى المدى الذى معه سوف تصل السدم الى ضعف ابعادها الحالية فى مدى ١٣٠٠ مليون سنة .. ونحن نعتقد أنه جنبا الى جنب مع تمدد اتساع الكون المادى يتمدد الفضاء نفسه ، وتتلخص الفكرة فى أن المجرات التى تمثل الجزر تتناثر عبر فضاء كروى يتمدد .. (٢) .

يقول سير ارثر أدنجتون :

(ان فترة ١٣٠٠ مليون سنة تعتبر زمنا قصيرا فى تاريخ الكون) .
فاذا أضفنا ذلك كله الى ما تقرر عن تناهى الكون حجما كان لابد أن نستنتج أن الكون متناه أيضا زمنيا وهذا ما عبر عنه ارثر أدنجتون بقوله :

توجد قوة تعرف باسم « التنافر الكونى » تعمل على نشوء هذا النوع من التشتت الذى معه يتباعد كل جرم عن أى جرم آخر (١) .

ولم تكن قوة التنافر الكونى هذه مجرد استنتاج من النظرية النسبية ولكنها من المسائل التى اسفرت عنها الملاحظة والرصد الفلكى فيما تم كشفه اخيرا من التباعد بين الاجرام ، يقول ادنجتون :

(والشئ الملحوظ الذى تم اكتشافه فيما يتعلق بالمجرات هو انها تجرى متباعدة عن مجرتنا ، وانها كلما ازداد بعدها عنا ازدادت سرعتها . وتنطلق المجرات بسرعات عالية جدا) ..

ولماذا تجرى كلها متباعدة عنا ؟ اذا ما فكرنا قليلا فسوف نرى ان النفور لا يوجه مباشرة ضدنا ، فانها فى نفس الوقت الذى تتباعد

(١) العلم اسراره وخفاياه : ح ١ ص ٩٧ .

(٢) انظر العلم اسراره وخفاياه للدكتور هارلو شابلي ح ١ ص ٩٥ : ٩٧ والنصوص المأخوذة من السير ارثر ادنجتون نشرها فى مقال له عام ١٩٣٧ .

المسافة فان هاتين الحقيقتين تشيران الى كون خلق دفعة واحدة وراح يتطور ، وتقفان ضد نظريات النشوء المستمر) •

٤ - وتستنتج حقيقة أن للكون بداية - أيضا من القانون الثانى لديناميكا الحرارية ••

فحوى هذا القانون أن الحرارة تسرى دائما من الاجسام الساخنة الى الاجسام الباردة ولا يحدث العكس بتاتا ••

وأنة ليس فى الامكان تحويل الحرارة الى طاقة ميكانيكية من غير أن يكون لدينا فائض أو مزيد من الحرارة الهابطة من مكان ساخن الى آخر بارد (٣) •

وبالرغم من السيد برتراند راسل - فأننا نجد فى هذا القانون ما يدل على حدوث العالم ، واحتياجه لمحدث •

وسنترك السيد برتراند راسل

() ويعنى ذلك بالتالى أننا لا نستطيع أن نرجع القهقري فى الزمن الى مالا نهاية (١)

ويقول الدكتور هارلو شابللى مدير مرصد هارفارد (من عام ١٩٢١ - ١٩٥٢) : (ان الارصاد الحديثة التى أخذت باستخدام منظار هيل تشير الى أن معدل تمدد الكون آخذ فى التباطؤ) • (٢)

ثم يشير الى النظريتين السائدتين الآن الخاصتين بأصل العالم : النظرية التى تنادى بأن الكون نشأ أول ما نشأ فى لحظة واحدة عارمة •

والنظرية التى ينادى بها مجموعة من العلماء الانجليز وتذهب الى أن الكون نتيجة عملية نشوء مستمر من غير ابتداء أو انتهاء معين ؟

ويتساءل : أى هاتين النظريتين ترجحه الحقائق العلمية ؟

يقول :

() انه لما كان معدل التمدد يتباطأ فعلا ، وأن كثافة المادة تزداد بازدياد

(١) العلم اسراره وخفاياه ح ١ ص ٩٦ •

(٢) العلم اسراره وخفاياه ح ١ ص ٩٩ •

(٣) قصة الفيزياء ص ١٥٦ : ١٥٨ •

الانتقال من الحيز الأول الى الثانى
حتى يتم التساوى ..

وهذه العملية لا رجوع فيها
ويقول راسل :

(لعل من أعوص المسائل التى
تعترض طريق العلم فى هذه الآونة
الاخيرة تلك المشكلة التى تتجت
عما يبدو لنا من انهيار العالم •

ذلك أن العالم مثلاً به من العناصر
الاشعاعية ما ينحل باستمرار الى
عنصر أقل تركيباً ، ولا نعرف
الوسيلة التى تتمكن بها من إعادة
تجميع وتركيب هذه العناصر ••)

ونظراً لأن الكون المادى يعتبر
الآن فى نظر الفيزيكا متناهما ويتكون
من عدد محدود وان كان غير معروف
من الالكترونات والبروتونات
فهناك حد نظرى للتجميع الممكن
للطاقة فى بعض الاماكن دون الاخرى
فاذا رجعنا بالبصر الى الماضى وجدنا
بعد ايعالنا فيه •• أننا وصلنا الى
حالة للعالم لا يمكن أنها سبقت
بحالة أخرى وهذه الحالة الأولى هى

نفسه يقدم لنا هذا القانون ودلالته •
يقول راسل :

انه اذا كان هناك فرق فى درجة
الحرارة بين جسمين متجاورين فان
الأشد حرارة منهما يبرد ، والأشد
برودة تأخذ درجة حرارته فى
الارتفاع حتى يتساويا فى درجة
الحرارة •

ولكن سرعان ما وجد أن للقانون
معنى أهم من هذا بكثير ••

فالدقائق المادية فى الاجسام
الشديدة الحرارة تتحرك فى سرعة
كبيرة جداً بينما تلك التى فى الاجسام
الباردة تتحرك بسرعة أقل •

وفى آخر الأمر يجد عدد من
الدقائق السريعة الحركة وعدد من
الدقائق البطيئة الحركة انهما فى
حيز واحد فان الدقائق السريعة
ترتطم بالبطيئة حتى تصل المجموعتان
الى سرعة متوسطة مشتركة •

وتصدق الحقيقة المماثلة على كل
صور الطاقة فحيثما وجد قدر كبير
من الطاقة فى حيز ما وقدر ضئيل
فى حيز مجاور مالت الطاقة الى

التي كانت فيها الطاقة موزعة توزيعاً
أبعد ما يكون عن المساواة (١)
ويشرح ادنجتون هذه النقطة
فيقول :

« وكلما توغلنا في ماضى الزمن
وجدنا أن العالم يزداد تمايزاً بالتدريج
الى ان نصل الى لحظة كانت فيها
قوى العالم متميزة تمايزاً كاملاً ،
ومن المستحيل ان تتجاوز هذه
اللحظة ايغالا في الماضى فالتمايز
الذى تتكلم عنه يبلغ مرتبه الكمال،
ولا توجد سلسلة لا متناهية من
حالات التمايز الاعلى والاكثر علواً،
وهذا التنظيم نقيض الصدفة ، فهو
شئ لا يمكن حدوثه عرضاً و اتفاقاً»
ويلقى راسل على أدنجتون فيقول:
(ويلاحظ أن ادنجتون في هذه
الفقرة لم يستنتج حدثاً محدداً
للخلق بيد الخالق وليس من سبب
يمنعه من ذلك الا عدم حبه لهذه
الفكرة ، مع ان الحجج العلمية
المؤدية الى النتيجة التى يرفضها
أقوى بكثير من الحجج التى
تعارضها ..

ثم يقول : (انى أعتقد أنه يجب
التسليم بأن ما يمكن أن يقال
اثباتاً لفكرة ان الكون له بداية
في الزمان في عصر ليس باللامتناهى
في قدمه يرجح كثيراً ما يمكن أن
يقال اثباتاً لاي استنتاج آخر) ..
وبالرغم من أن راسل يشكك في
سريان هذا القانون في كل الأزمان
على أساس غيبي متعنت قائلاً : (قد
لا يسرى القانون الثانى للديناميكا
الحرارية على كل زمان ومكان)
فانه يضطر الى أن يقول : (ينبغي
علينا أن نقبل مؤقتاً افتراض أن
العالم له بداية ترجع الى وقت محدد
وان كان غير معروف) (٢) .

وقد كان من البدهى ان يخضع
راسل لهذه النتيجة وما تؤدي اليه
من ان العالم من صنع خالق ..

ولكنه وقد وصل الى هذه النقطة
يبدو وكأن قد اصابه مس .. فيذهب
يرتكب حماقات عجيبة ..

انه يرفض التسليم بالخالق ،
مفضلاً عليه القول : (بأن الكون قد

(١) مجموعة عالمنا المجنون ص ٦٥ : ٦٧ .

(٢) مجموعة عالمنا المجنون ص ٩٦ : ٧٠ .

ما أعجب هذا الحضيض الذى وصل اليه عقل الفيلسوف •• ما أصدق أن يقال عن راسل ما قاله هو عن ادنجتون (انه لم يستنتج حدثا محددا للخلق بيد الخالق ، وليس من شطب يمنع من ذلك الا عدم حبه لهذه الفكرة) وما أصدق بسكال حين أخذ يعلل لاصرار الملحد على الحاده وهو ينطبق أعظم الانطباق على راسل فى هذا الموقف وفى غيره من المواقف التى تتابعها :

يقول بسكال : (ان ما يجعل الملحد متصلبا فى الحاده ليس ضعف الشواهد الموجودة فى العالم المنظور بل قرار اتخذه الارادة والعواطف • والعيب الرئيسى فى مذهب للالوهية مبنى على الاعتبار الرياضى والفزيائية وحدها هو انه لا يلتفت الى المشكلات والدوافع الانسانية التى تشكل فى نهاية الامر موقف الانسان من الله) • (٣)

د. يحيى هاشم حسن

بدأ تلقائيا) فاذا بدا له ان هذا قول عجيب ، قال شيئا اعجب ، قال : (انه ليس من قانون فى الطبيعة يقول ان ما يبدو عجيبا لا يمكن ان يحدث) !!!

وهو يفضل ان يرتكب هذه حماقة العجيبة ، على القول بخلق الله للعالم ويرى ان قانون الطبيعة لا يقبل القول بالخالق (لان استنتاج « خالق » للعالم هو استنتاج علتة ، ولا يسلم بالاستنتاجات العلية فى العلم الا حين تبدأ من قوانين محسوسة والخلق من العدم لم يره أحد) (١) •

هكذا : « الخلق من عدم على يد خالق » لا يسلم به العلم ، ولكن العلم يسلم بالخلق من عدم اذا كان لاعلى يد خالق ••

هكذا : « الخلق من عدم لم يره أحد » على يد خالق لا يسلم به العلم ولكن العلم يسلم بالخلق من عدم لم يره أحد اذا لم يكن على يد خالق

(١) مجموعة عالمنا المجنون ص ٧٠ •

(٢) الله فى الفلسفة الحديثة تأليف جيمس كولينز ترجمة فؤاد كامل نشر مكتبة غريب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين عام ١٩٧٣ ص ٤٦١ •

الإسلام : شريعة عالمية

للأستاذ زاهر عزب الزغبى

١

بنصوص القوانين وروحها ومقاصد
مشروعها .. ولكن تبقى لعادات
الجماعة وتقاليدها فعاليتها حيث
يعسر على الشارع أن يستقصى
بالنصوص القانونية كافة التفاصيل
الجزئية فى الحقوق والالتزامات
المتقابلة .. وهكذا نجد أن القوانين
لا تبطل كلية التقاليد والعادات
والأعراف الانسانية ، وإنما تهذبها
فتبطل وتنسخ منها ما كان غير
صالح لنظام الجماعة ، وتعترف ببقاء
الصالح منها حيث تظل تؤدي مهمة
تنظيمية ولكنها فى هذه المرة تقوم
بوظيفة المساعد للقانون بدلا من
أنها فى - ميدانها الأول - كانت
هى القانون ذاته .

ومؤرخو التشريع جميعا يشتمون
نظرية متفقا عليها : وهى أن القانون

لا بد للمجتمعات البشرية من
ضوابط تنظم العلاقات التى تربط
على الأقل بين أفرادها .. ومهما
كانت هذه المجتمعات فلا بد من هذه
الضوابط والا فسدت أحوال
المجتمع وآلت حاله الى انحلال
وزوال .. وحتى فى أشد المجتمعات
بدائية نجد هذه الضوابط على شكل
عادات وأعراف اصطلاح الأفراد على
احترامها واتباعها .. فإذا ما
ارتقت المجتمعات وأصبحت أمة
ذات سيادة وسلطة حاكمية فإن
الضوابط هنا تتخذ شكل القوانين
الآمرة الملزمة .. وهذه القوانين
تحل محل العادات والتقاليد فى
تنظيم أمور الناس ومعاملاتهم
وعلاقاتهم .. وهنا لا يكون ثمة
اعتبار للعرف أو التقليد اذا تعارض
مع القانون ، وإنما تصبح العبرة

نصوصها ، والى جانب نصوص القوانين نجد فقه التشريع (أى نظريات قانونية) وشروح لهذه النصوص مما يعين القاضى حين تطبيقه للقانون على الاجتهاد برأيه فى فهم النصوص والقياس عليها بصورة توسع استيعاب تلك النصوص المحدودة الى آفاق غير محدودة بمراعاة العلل التى راعاها الشارع ، وتحكيم علل ودلائل هذه النصوص •

• ومن ثم يمكن القول أن القانون بوجه عام فى أية أمة من الأمم ليس الا صورة صحيحة لحياتها الاجتماعية واقتصادية ، والهدف منه اقامة العدل وحفظ حقوق الفرد والجماعة بقواعد قانونية ملزمة • وهذه القواعد تكون وقتية ومحلية اذا كانت قد سنت لتعمل فى مجال له أوضاعه الخاصة ذات الطابع العرفى الاقليمى • ولكنها تكون صالحة للدوام وللتعامل بها على نطاق دولى اذا كانت تعبر عن مفاهيم وحقائق ثابتة مسلم بها على نطاق انسانى عام ، او اشتملت على

لم ينشأ دفعة واحدة ، وانما بدأ بالاعتراف ببعض العادات والأعراف وجعل لها الاحترام الملزم • ثم ارتقى القانون شيئا فشيئا فوضع الأسس الحقوقية والقواعد القانونية العامة • ولكن أهم مراحل الرقى التشريعى كانت هى تلك المرحلة التى تجسدت فيها الحرية الحقيقية فيما يسمى بالعقود ، ونظمت واحترمت نتائجها على نحو لا يجعل من حرية التعاقد ذات مساس أو اضرار أو حيف بحقوق وحرىات غير المتعاقدين أو بالنظام العام للجماعة أو بأدابها المرعية •

والتطور التشريعى لم يكن أبدا منفصلا عن سير التطور العام للجماعات البشرية وتدرجها فى مدارج الرقى وأطوار التقدم المدنى • ففى الجماعات البشرية التى تحيا حياة ذات آفاق محدودة نجد قوانينها بسيطة محدودة ولكنها تفى بحاجة الجماعة فى تنظيم شئونها وأمور حياتها • أما فى الأمم التى سجلت تقدما مدنيا راقيا نجد قوانينها كثيرة متشعبة ودقيقة فى

وعابوا عليها أيضا أن بعض الجنايات كان يضع قصاصها اذا أدى الجانى مالا للمهكل وغنا عنه الكهنة .

وكانت الشريعة الرومانية أيضا معيبة من حيث أنها كانت تقنن للنبلاء الرومان حقوقا معينة وليس لسواد الشعب نظيرها .. وكذلك كانت الشريعة الرومانية تحتوى على تشريعات خاصة لا تسرى الا على سكان الأراضى الرومانية نفسها بينما كانت تحتوى على تشريعات مخالفة لتطبق فى المستعمرات والأراضى الخاضعة .

ووظيفة القانون فى حياة الأمة جلية وخطيرة .. وللقانون فى حياة الأمة ثلاث وظائف كبرى هى : العلاج ، والوقاية ، والتوجيه .. وحتى يتمكن القانون من أن يؤدى وظيفته يجب أن يكون ملزما obligatory .. والقانون اما أوامر أو نواهى ، ولكى تتوفر للقانون الطاعة والالتزام فى العمل به يحتاج الى

قواعد عدلية عالمية كقاعدة منع الضرر والعقاب عليه وإيجاب التعويض عنه ، وكقاعدة عدم سرعان حكم العقد الا على عاقيه وعدم تأثيره فى حقوق الغير .

ومن المسلم به بين فقهاء القانون أن العدالة لا تتعدد وجوها أو صور الحقوق أمامها . ولذلك كان تعدد أوجه العدالة فى شريعة ما مما يعيبها ويجعلها غير صالحة للتعامل فى مجتمع متمدين يحترم العدالة ويجلها .. ومن العيوب التى طعنت بها الشريعة اليهودية أنها فى بعض صور التعامل كانت تبيح لليهودى أن يغبن عميله اذا كان أجنبيا بينما كانت تحرم هذا الغبن نفسه اذا كان الطرف الآخر فى التعامل يهوديا .

« لا تقرض أخاك بربا : ربا قضة أو ربا طعام أو ربا شئ مما يقرض بربا . للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب الهك » (تثنية :

والاسلام كدين قد كفل صلاح
البشر أفرادا وجماعات بالتربية
والتنظيم .. وقد اعتنى الاسلام
أول ما اعتنى بمخاطبة عقل الانسان
وضميره ووجدانه فأتاح للضمير أن
يعتبر المثل الأخلاقية حين يتعامل فى
نطاق الشريعة ..

والشريعة الاسلامية : اسم للنظم
والأحكام التى شرعها الله أو شرع
أصولها ، وكلف المسلمين اياها
ليأخذوا أنفسهم بها فى علاقتهم
بالله وعلاقتهم بالناس * وهى على
هذا ذات شقين متميزين .. الأول
منهما عبارة عما ينظم ناحية العمل
الذى يتقرب به المسلمون الى ربهم
ويستحضرون به عظمته ويكون
عنوانا على صدقهم فى الايمان به
وطاعته والتودد اليه ، وهذه تسمى
بالعبادات *

أما الشق الثانى فهو مجموع
القواعد التى تنظم حياة الناس *
فتحفظ لهم المصالح ، وتدفع عنهم
المضار سواء كان ذلك فيما بينهم
وبين أنفسهم أم فيما بينهم وبين

نوع اضافى من الأحكام التشريعية
يسمى بالمؤيدات : وهذه ما زواج
مدنية كبطلان العقود المخالفة
للقانون ، واما عقوبات تأديبية
كالسجن والغرامات المالية لكى
يضطر المكلف الى التزام حدود
القانون وطاعته *

ومن ثم يمكن تقسيم أحكام
التشريع الى نوعين : (١) أحكام
محمية وهى القانون الأصلى ،
(٢) وأحكام حامية ، وهى المؤيدات
ولكن الشرع كضوابط ملزمة
يجد فيه دائما الأذكياء ثغرات
يخالقونه منها وهم آمنون من
العقاب ، فما لم تكن نصوصه
مقدسة ومحترمة فى نفوس الناس
لاستطاعوا أن يحققوا منافعهم
ومظامعهم غير المشروعة اذا أمنوا
العقاب بالمغالطة الذكية فى تأويل
نصوصه ، أو بالتخلص من الدليل
الذى يدينهم أمام من وكل اليهم
أمر تطبيقه وتنفيذه .. ولهذا
كان التشريع شيئا قاصرا اذا لم
تسندة عوامل أخرى ذات صلة وثيقة
بضمير الانسان ونفسيته وأخلاقه ..

للانسان قد استهدف ثلاثة أهداف
أساسية كل منها نتيجة لما قبله
وأساس لما بعده •

أولا - تحرير العقل البشرى
من رق التقليد والخرافات ، وذلك
عن طريق العقيدة والايمان بالله ،
وتوجيه العقل نحو معنى الألوهية
بالدليل والبرهان والتفكير العلمى
الحر •

ثانيا - تربية ضمير الفرد
واصلاح نفسيته ، وذلك عن طريق
تعريفه بالمثل الأخلاقية واشباع
نفسه منها ، وتوجيهه نحو الخير
والاحسان وكل ما هو واجب أو
أصلح ، ومنع شهواته ومطامعه
الغريزية من أن تتغلب على عقله
ومسئوليته ، وتذكيره دائما بالله
الجدير بالعبادة ، وبما ينتظره من
ثواب وعقاب فى الآخرة لكى يظل
المؤمن فى مراجعة دائمة لأعماله
وفى يقظة دائمة كى لا يقصر فى
واجباته •

ثالثا - تحقيق العدالة والامن
والحريات فى مجتمع صالح •

الغير على وجه تمتنع معه المظالم
ويسود العدل والامن والاطمئنان •
وهذه أطلق عليها الفقهاء المسلمون
اسم المعاملات •

والشريعة الاسلامية تبني على
أساس متين من عقيدة قوامها الله
الواحد الذى لا مثيل له ولا شريك ،
الخالق القادر العليم ، الذى خلق
الناس واليه معادهم حيث سيعثون
- بعد انقضاء حياة الدنيا الفانية
هذه بالموت - فى حياة أخرى شاء
الله لها أن تكون خالدة ، وفيها
سيحاسب الانسان عما قدم من
أعمال فى دنياه ليلقى عليها جزاء عادلا
فى أخراه : فاما ثوابا بالنعيم
الخالد واما عقابا بالعذاب المقيم ••
ولهذا كانت الشريعة الاسلامية على
خلاف غيرها من التشريعات
والتقنيات الوضعية التى تستمد
قوتها من يقظة رجل البوليس وحنكة
القاضى ••••• فهى تعتمد أساسا على
الايمان بالله الذى لا يغيب عن علمه
مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء
والذى لا تخفى عنه خافية •

والاسلام فى معالجته الاصلاحية

والجانب التعبدى من الشريعة الإسلامية قد استهدف منه أساسا أن يكون طهارة للقلب وتركيزاً للنفس وتقوية للإيمان بالله وتدعيماً للصلة بين المؤمن وربّه وباعثاً على امتثال أوامره والمحافظة على شريعته إلا أن الله جلت حكمته قد رسم شعائرها وصاغها مراسم تقيّد الإنسان فى حسه وفى جسمه ، فى عقله وفى بدنه .. فبالإضافة الى المعنى التهجدى فى العبادات نجد فيها أيضاً مصلحة الإنسان واضحة جلية .

وفى المرة الثانية التى نزل فيها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبلغه قوله تعالى :

«يأيتها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر » (بداية المدثر) .

فالاسلام اذ يبدأ الدعوة بالتعريف بالله والحض على النظافة والطهارة البدنية والروحية فانما يضع مصلحة الانسان وصحته موضع الاعتبار والرعاية .

ومن أجل الهدف الأول كانت أصول العقيدة والايمان .. ومن أجل الثانى كانت العبادات .. ومن أجل الثالث كانت المعاملات .

وهذه المعاملات فى جملتها عبارة عن نظام مدنى شمل جميع الأسس القانونية اللازمة لاقامة حياة اجتماعية مدنية راقية فى دولة من شأنها أن تنظم علاقات الناس مع بعضهم البعض وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة ، وتكفل صيانة الحريات وكافة الحقوق الخاصة بالأفراد وكذلك الحريات والحقوق العامة للمجتمع .. ومن ثم وصف الاسلام بأنه «دين ودولة» ومن الخطأ الفاحش اعتبار جانب الدين فى الاسلام دون الدولة ، أو اعتبار جانب الدولة منه دون الدين . أو بالأحرى اعتبار عقيدته وشعائره التعبدية ومثله الأخلاقية دون اعتبار للجانب المدنى البحت منه . أو العكس .. فالاسلام كل مترابط ، وقد يساء فهم الحقيقة اذا جزأناها فيساء تطبيقها وتظهر بصورة مشوهة أو غير لائقة .

والعبادات هي : الصلاة ،
والصوم ، والحج ، والزكاة ، وهذه
الأربع بعد التصديق بالرسالة
والاقرار بوحدانية الله تمثل أركان
الاسلام وعمده .

قال صلى الله عليه وسلم :

« بنى الاسلام على خمس :
شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله ، وإيقام الصلاة ،
وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ،
وحج البيت لمن استطاع اليه
سيلا » .

والصلاة شعيرة تعبدية فرضها
الله لتصلح روح الانسان وبدنه معا
وتحقق له كثيرا من المصالح
الدنيوية .. فأول شروط صحتها
أن يكون الانسان على طهارة
البدن ، وطهارة البدن لا تتوفر الا
بالاغتسال اذا تحقق موجه أو
بالوضوء .. وكذلك طهارة الثوب
والمكان .. وبذلك ضمن الاسلام
للانسانية نظافة دائمة في البدن
وفى الملابس وفى الوسط الذى
يعيش فيه .. ثم ان الصلاة قد
فرضت فى أوقات محددة خمس

مرات فى اليوم .. وهى تبدأ
بالتوجه الى الله فى النية والاجلال
له بالتكبير ، ثم الخلوص له
بالبسمة ثم حمده على نعمه ،
والافصاح عن الوهيته ووحدانيته
والاقرار له بالعبودية والتماس
الهداية والصلاح منه تعالى فى
الفاتحة .. ثم التهجد له بالقراءة ،
ثم تأكيد الخشوع والخضوع فى
الركوع والسجود .. ثم الانصراف
من وقفة العبادة بالسلام والرحمة .

والصلاة صلة روحية بين الانسان
وربه ، أو رحلة الى الله تتكرر كل
يوم خمس مرات ، وبها يستفتح
الانسان يومه ويختتمه ، وهى تذكرة
دائمة حتى لا يضعف ايمان المرء أو
تهن عقيدته ، أو تضعف روحه فتغلب
عليه شهواته ، أو يغفل حسه فيقل
تقديره للمثل الأخلاقية أو يقل
اهتمامه لأحكام الله الشرعية ..

وهى فوق ذلك رياضة بدنية
تقوى أعضاء الجسم وتنشط
وظائفها الفسيولوجية .

ومن تمام فائدة الصلاة أن تكون
فى جماعة حيث يستزيد المؤمن بوعيه

الاسترسال فى التوقان الى الحصول على المتع والملذات ، وان الصوم أيضا لتجربة يجتازها المسلم فيشعر بألم الحرمان وقسوة الحاجة ومضض الجوع •

وهذه التجربة تجعله - ان لم يكن قد ابتلى بمحنة الفقر - بمعزل عن واقع الحياة فلا يقدر باتزان الظروف العvisية التى بنوء بها كاهل الفقراء •• فضلا عن ذلك فان هذه التجربة تجعله ايضا - ان كان

على قدر من الغنى - يقدر باتزان القيم الحقيقية فى الانسان والمال ، فلا يترك للمال أن يطغى على انسانيته فيصاب بالغرور وبالبطر استعلاء وتكبرا ، أو يعتريه الجبن خشية الفقر فيصاب بالشح والبخل •• وكثيرا ما نرى من بين الأغنياء من تجبروا وطفوا وسعوا فى الأرض فسادا بسبب ما يمتلكونه من مال ، ونرى من بينهم أيضا من كانت أموالهم سببا فى انهم قد امتهنوا كرامتهم واستذلوا أنفسهم وعاشوا وهم فى خشية من الفقر عيشة

الاجتماعى عزة ، وحيث تنتفى بها الفوارق أمام الله فيزيد فى الانسان الشعور بالكرامة •

وفى كل اسبوع ينعقد بها مؤتمر محلى فى صلاة الجمعة حيث تزيد مراسمها موعظة يلقيها خطيب هو فى العادة أفقه الحاضرين وأكثرهم علما وأوسعهم اطلاعا فيعالج بها احدى المشاكل ويلتمس لها حولا أو يشرح فيها حقيقة تتعلق بأمور الدين أو الدنيا ويوضح غوامضها ويبين عن مغاليقها •

أما الصوم فهو امساك عن أهم شهوات النفس وأهم ضرورات البدن فرضه الله ليكون تعبدا له وتقربا اليه ، برهانا على الخضوع والاستسلام لسلطان الله ، وتمجيда لعظمته ، ولكنه أيضا رياضة تقيد الانسان فى روحه وحسه وبدنه • انه استسلام وخضوع لأوامر الله بالطاعة ، واختبار لارادة المسلم فى مجاهدة النفس وحملها على الطاعة والاستسلام ، وتعويد للمؤمن على الصبر ، ورياضة له على كبح جماح الشهوات وعلى منع النفس من

العلاقات وتتلمع الأخوة فى الله
تحت راية الاسلام وفى كنف الأمان
والاطمئنان .. واذا كانت المؤتمرات
المحلية قد كفلتها الصلاة فى الجماعة
والجمعة والعديد فان الحج مؤتمر
عالمى عام فرضه الله على القادر مرة
فى العمر وأجزل الثواب لمن لم
يكتف بالمرة الواحدة كلما استطاع
الى ذلك سبيلا .

وعلى هذا النحو درج الاسلام
فى أن يتيح للمسلم أن يستفيد من
شعائر العبادة التوقيفية فى شئون
دنياه .

وقد امتازت عبادات الاسلام على
غيرها من عبادات الأديان السابقة
من حيث أن الاسلام قد راعى أن
تكون العبادات كلها تكليفا يخاطب
ضمير الانسان وحده ويترك لهذا
الضمير حرية الاقامة وحرية الأداء
فلا وسيط من كهانة ولا من ضرورة
لتدخل أى عنصر غريب يسيطر على
هذا الضمير أو يكون شرطا لقبول
العبادة ولو نيابة عن الله ، فلا ضرورة
للهيكل أو للسدنة حتى تصح
الصلاة .

أحسن منها وأكرم عيشة الفقراء .
فالصوم فضلا عن أنه عبادة دينية
يعتبر أنجع علاج نفسى ضد بسطة
الغنى وعوز الفقر ، وهو أيضا علاج
بدنى ووقاية من أدواء التخمّة وراحة
للجهاز الهضمى بصفة خاصة وللجسم
كله بصفة عامة .

وقد شاءت حكمة الله وعدالته
أن يكون الصوم كسائر العبادات
اجراء محتملا يطيقه أواسط الناس
بلا جهد شاق ، ولكنه فى نفس
الوقت على قدر كاف للغرض منه
ومحصل للفائدة المرجوة فيه ..
تقدير الهى حكيم بلا اسراف أو
تقتير .

والاسلام لم يغفل ابدا عن المعالجة
فى المجتمع الذى خطط مشروع
تكوينه .. فالحج فضلا عن أنه
عبادة وطاعة يستلهم فيها المؤمن
جلال الله وعظمته فى موطن الوحي
ومنبع الرسالة فهو أيضا مؤتمر
عالمى يلتقى فيه المسلمون على صعيد
واحد من شتى أنحاء الأرض
فيتدارسون ويتشاورون فتمتزج
المعارف وتتوالد التجارب وتتوطد

الانسانى كلما التجأ اليه فى طلب
للعدل والامن والاستقرار •

والنظام القانونى القضائى فى
الشريعة الاسلامية قد تضمن قواعد
وأحكاما أساسية فى كل من ميدان
الحقوق الخاصة بفرعيها المدنى
والجنائى وميدان الحقوق العامة
بفرعيها الداخلى والخارجى ، أى
الادارى والدولى •

وفى جميع هذه قد أتت الشريعة
الاسلامية بنصوص تتضمن مبادئ
أساسية ، وتركت - فيما عدا بعض
الفروع الضرورية كضريبة الزكاة ،
ونظام التوريث - التفصيلات
الفرعية للاجتهاد فى التطبيق ،
بحسب المصالح والمقتضيات الزمانية
والمكانية •

ولقد تكاملت تفاصيل الشريعة
الاسلامية عند تطبيق مبادئها الكلية
فى جنبات الامبراطورية الاسلامية
الواسعة التى شملت أجناسا وأقواما
من البشر عديدين لهم ظروفهم
المتباينة كل التباين وثقافتهم
وحضاراتهم المختلفة كل الاختلاف •

فالاسلام قد حرر الانسان فى
عقيدته وحرره فى عبادته • • فلا
اله الا الله ولا سلطان على الانسان
لأحد سواء • • والانسان فى نظر
الاسلام مخلوق حر مسئول • • ومن
شأن الحر أن يترك لضميره ، وأن
يخلى بينه وبين مسئوليته ، فاذا لم
يرع واجبات هذه المسئولية لم
يكن منصفاً لنفسه ، والله به كفى ،
فاليه المعاد ، وعنده سيلقى كل
امرىء عادل الجزاء •

واذا كنا قد أتينا على ذكر
الجانب التعبدى من الشريعة
الاسلامية ملمحين بإيجاز الى بعض
ما يمكن أن تلمحه العقول من
حكمة التشريع فيه ، والله سبحانه
وتعالى هو أحكم الحاكمين ،
وسيطر العقل البشرى على الدوام
قاصرا عن تلمس كمال حكمته
ومدى جلاله وعظمته ، فان الجانب
القانونى القضائى منها على كثرة
ما تعرض له من النقد قد وقف
صامدا أمام التجارب ليثبت أنه
التشريع الكامل الصالح الذى
لا يخذل الانسان ولا المجتمع

وقد اختلفت هذه المذاهب فى كثير من القضايا ولكنه كان اختلافا فى التفسير القانونى للنصوص التشريعية ، وليس على أية حال اختلافا دينيا .. وبهذا الاختلاف المذهبى فى تفسير النصوص أهدى الاسلام الى البشرية ثروة تشريعية عظمى سواء فى نظرياتها القانونية أم فى تطبيقاتها القضائية ..

واذا نحن استعرضنا بإيجاز النظام القانونى فى الشريعة الاسلامية أمكنا أن نكون فكرة صحيحة عن مدى دقة هذه الشريعة وصلاحيتهما الدائمة فى تنظيم الحياة الانسانية .

والقسم القانونى القضائى من الشريعة الاسلامية نظام قانونى كامل .. وككل قانون كامل ينقسم الى قسمين رئيسيين : الأول الحقوق الخاصة ، والثانى الحقوق العامة .

أما القسم الأول فينقسم بالتالى الى قسمين : الأول منهما هو القانون المدنى وثانيهما هو القانون الجنائى .

وكنتيجة لهذا التطبيق فى هذه الظروف المختلفة نشأ أيضا فقه تفسيرى وتفصيلى حول النصوص الأصلية فى الشريعة ، فقد ضبطت طرق استنباط المبادئ والأحكام الكلية من النصوص ومن غيرها من مصادر التشريع كفتاوى الرسول واجماع المسلمين ووضحت بأحكام طرق استعمال القياس عند دوران العلل مع أحكامها وجودا وعدما .

وكانت هذه القواعد الاصولية (أو ما أطلق عليها علم أصول الفقه) نبراسا وهديا سار عليه الفقهاء فى فتاويهم (و القضاة فى أحكامهم) .. ومن مجموع هذه الفتاوى والأقضية مع حيثياتها تكون علم الفقه ذاته الذى يعد حتى الآن على الأقل أعظم وأوسع تراث قانونى عرفته الانسانية وقد نشأت فيه مذاهب فقهية قانونية كثيرة أشهرها أربعة مذاهب وهى : مذهب الأحناف ومذهب الشافعية ومذهب المالكية ومذهب الحنابلة .

وتبدأ الأهلية المدنية في نظر الشريعة الإسلامية بولادة الانسان وتنتهى بوفاته ، ولكنه لا يستطيع أن يزاوُل موجبات هذه الأهلية الا ببلوغه سن النضوج الانساني . يستوى في ذلك الرجل والمرأة .. وبشرط أن يكون هذا الانسان في درجة كافية من القوة العقلية ، والا ظل كالطفل ناقص الأهلية ، وتنتقل حقوقه والتزاماته الى الولي أو الوصي أو القيم يابشرها نيابة عنه بما فيه مصلحته .

ب - المعاملات والحقوق المدنية :

شملت الشريعة الإسلامية كافة أنواع المعاملات المدنية فرسمت القواعد المضبوطة التي يمكن على أساسها التفريع والقياس لاستنباط الحكم العادل في أية قضية من أى نوع من أنواع التعامل المدني .. فالبيوع والمزارعات والمقايضات وطرق استغلال الأموال في الأعمال التجارية ، والاجراءات القضائية في رفع الدعاوى واستدعاء الخصوم وسماع الشهود ، وانهاء الخصومات

والحقوق العامة تنقسم ايضا الى قسمين رئيسيين : أولهما القانون الادارى والثانى القانون الدولى . وسنبداً في شرح هذه الفروع الأربعة كل على حدة :

أولاً : القانون المدني :

أ - الشخصية القانونية :

حصرت الشريعة الإسلامية الشخصية القانونية في الانسان وخاطبت بالتكليف كل فرد من أفراد .. فالفرد الانساني هو الشخصية القانونية الطبيعية في نظر الشريعة الإسلامية .. ولكننا في نفس الوقت نلمح في بعض الأحكام الشرعية اعترافاً ضمناً بمبدأ الشخصية القانونية الاعتبارية .. وذلك في كل ما هو كفرض الكفاية فالمطالب به جماعة المسلمين وكدية المقتول التي تلتزم بها العاقلة .

والتعريف الفقهي للشخصية القانونية هو : صلاحية الشخص لاكتساب الحقوق والالتزام بالواجبات .. أو بعبارة أوضح كون الشخص أهلاً للخطاب والتكليف .

١ - قانون الاجراءات القضائية

وفى قانون الاجراءات القضائية
اعتبرت الشريعة الاسلامية أن جميع
الالتزامات مضمونة بتأييد القاضى،
وجعلت للقاضى سلطات واسعة غير
محدودة فى اجبار كل انسان
- ولو كان الخليفة - على تنفيذ
التزامه . وحوادث قضاء القضاة
على الخلفاء والملوك معروفة وكثيرة
فى التاريخ الاسلامى .

وقد أوجبت الشريعة الاسلامية
مواصفات خاصة يتعين أن تتوفر
فى القاضى : وأهم هذه المواصفات
أن يكون متفقه فى أمور الدين
والشريعة ، وأن يكون سليم
الحواس ، وأن يكون فوق مستوى
الشبهات مشهودا له بالنزاهة
والتجرد عن الأطماع والتعصب ..
ويتحتم على القاضى أن ينزل
المتخاصمين منزلا متكافئا فى مجلس
القضاء فلا فضل لأحدهما على
الآخر مهما كان مركزه الاجتماعى
بل الكل أمام العدل سواء ..

وتسمع دعوى صلح الحق أو
وكيله ، والبيئة على المدعى « سواء

بالعجز عن اقامة البيئة أو
بالمصالحات أو بالتنازل ، وسقوط
بعض الدعاوى لبعض الأسباب
كموت الخصم أو عدم جواز
سماعها للتقادم أو للتراخى فى رفعها
كما فى الشفعة .

وعلى الجملة فان القانون المدنى
فى الشريعة الاسلامية يحتوى على
كل الأنواع والفروع التى تشملها
القوانين الحديثة ولكن بصورة
أكثر دقة فى تحقيق العدالة .

واذا جارينا التبويب الحديث
للقوانين المعمول بها فى الأمم
المتحضرة .. أمكن تقسيم القانون
المدنى فى الشريعة الاسلامية
- بصورة تقريبية - الى الأبواب
التالية :

١ - قانون الاجراءات القضائية .

٢ - الالتزامات .

٣ - العقود .

٤ - الأحوال الشخصية .

فان لم تسعف القاضى خبراته
الخاصة فى هذا المجال وجب عليه
أن يستعين بأهل الخبرة •

وقد نبه الاسلام الى أهمية الصك
الكتابى كوثيقة مثبتة للحقوق فى
المعاملات والمبادلات المالية حيث
جاء فى القرآن الكريم وصف لأدق
ما ينبغى أن تكون عليه الصكوك
المستندية :

« يا أيها الذين آمنوا اذا
تداينتم بدين الى أجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب
بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب
كما علمه الله ، فليكتب ، وليملل
الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا
يبخس منه شيئاً ، فان كان الذى
عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا
يستطيع أن يمل هو فليمل وليه
بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من
رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون من الشهداء
أن تضل احدهما فتذكر احدهما
الأخرى ، ولا يأب الشهداء اذا ما
دعوا ، ولا تساموا أن تكتبوه

فى الدعوى الأصلية أم فى الدفع
الفرعية » ، واليمين على من أنكر •
فان رفض المدعى عليه حلف اليمين
ألزمه القاضى بحلفها والا قامت
الحجة عليه ولزمته الدعوى •

وأول الأدلة الاقرار •• واقرار
الشخص لا يسرى الا على نفسه
وحقوقه •• ويجب أن لا يعيب هذا
الاقرار أى شائبة من الضغط أو
الاكراه على أى نوع كان هذا
الضغط أو الاكراه •• ثم يلى
الاقرار فى الترتيب من أنواع البيئة
الشهادة •• ونصابها فى سائر
الحقوق المدنية رجلاً أو رجلاً
وامرأتان ، ولا تنعقد بالنساء
وحدهن الا فيما تحتمه طبيعة
الجنس بأن كانت أموراً لا يطلع
على وقائعها سواهن ، كالمسائل
المتعلقة بالحيز والولادة وغيرها
من الأمور النسائية الخاصة ،
وبعضها يكفى فيه شهادة المرأة
الواحدة •• ويلي الشهادة من أنواع
البيئة الظروف والوقائع المادية ،
وهذه يترك لضمير القاضى وخبرته
تقدير قيمتها فى اثبات الدعوى ،

وهذه الشروط والقواعد التى تضمنتها الآية من حيث اثبات التعامل بالصكوك المحررة ليست من قبيل الشروط اللازمة بحيث يضيع الحق باهمالها ولا تسمع الدعوى فى الدين اذا لم يكن بصك كتابى .. ولكنها من قبيل الأولى ، وتركها ليس الا تركا للاولى وانما العبرة بالاشهاد أو بأى نوع آخر من طرق البينة .. ولذلك ركزت الآية على الاشهاد واهتمت به أكثر مما اهتمت بكتابة الصك .. كما اهابت بضمير الذى أوّمن على دين أو وديعه — شغلت ذمته بأيهما دون احتياط ثبوتى سواء بالكتابة أو بالاشهاد — أن يتقى الله ويؤدى الأمانة ولو لم تلزمه البينة .

وفى الحقوق المدنية كما فى القانون الجنائى أجازت الشريعة

الاسلامية لغير صاحب الحق أن يرفع الدعوى حسبة لصالح الجماعة فى تحقيق العدالة .. والحسبة نظام يقابل نظام النيابة العمومية فى العصر الحديث .. وقد أجازته

صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ، واشهدوا اذا تباعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شىء عليم . وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى أوّمن امانته . وليتق الله ربّه ، ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتسبها فانه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم » (البقرة : ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

وهكذا راعت الشريعة الاسلامية أصولا دقيقة فى ضبط المعاملات وثبوتها لا نجد خيرا منها فى أى من القوانين الأخرى .

وقد راعت الشريعة أيضا التسهيل فى المعاملات التجارية الدائرة أو ما يسمى فى الاصطلاحات الحديثة بالحسابات المفتوحة فلم تجر عليها أحكام الديون الثابتة ..

الشريعة الاسلامية فى بعض الحقوق المدنية كما أوجبه فى الدعاوى الجنائية •

٢ - الالتزامات :

اعتبرت الشريعة الاسلامية كل فعل ضار بالغير موجبا مسئولية الفاعل أو المتسبب والتزامه بالتعويض عن الضرر ولو كان عن خطأ •• فان كان عن عمد وجب أيضا عقوبة الفاعل أو المتسبب •• ويقابل هذا فى القوانين الحديثة نظرية « سوء استعمال الحق » •• والشريعة الاسلامية لا تؤسس هذه النظرية على المعيار الشخصى وحده - كما فعلت كثير من التشريعات الحديثة - بل تضيف الى ذلك معيارا ماديا •• فهى تذهب الى حد تقييد استعمال الحق بالغرض الاجتماعى والاقتصادى الذى تقرر الحق من أجله •• والفقه الاسلامى ملئ بتطبيقات متعددة لهذه النظرية •• ومنها تحريم الاحتكار فى السلعة الضرورية مراعاة لحق الجماعة •• ومنها تحريم استعمال

المال فى أغراض تضر بالغير كإغراق الرأسمالية الصناعية الأسواق بمنتجاتها وبأسعار فيها خسارة كبيرة للقضاء على المؤسسات الصناعية المنافسة ، ثم احتكار الاسواق بعد ذلك ، واسترداد هذه الخسارة فيما بعد أضعافا مضاعفة •• ومنها تحريم اكتناز المال أو استغلاله فى غير وظائفه الاجتماعية والاقتصادية المشروعة •• ومنها حقوق الجوار •• فليس للجار أن يستعمل حقه بحيث يترتب على هذا الاستعمال حدوث ضرر لجاره •• فلا يجوز له مثلا تعليه حائطه اذا كان يترتب على ذلك حجب الضوء أو مسارب الهواء عن جاره كما لا يجوز له فتح نوافذ على جاره اذا كان ذلك يؤذى هذا الجار •

ومن هذا القيسيل أيضا ضرورة الفرق بالمدين عند التنفيذ على أمواله ••

ويقرر صاحب مرشد الحيران أنه : « اذا كان المالك مديونا ديننا ثابتا عليه شرعا يجوز نزع ملكية الزائد عن حوائجه الضرورية

التي نشأت بسبب الحرب ، وفى القضاء الدستورى الأمريكى فى نظرية الحوادث المفاجئة » •

وقد طبقت الشريعة الاسلامية هذه النظرية كلما وجد العذر الطارئ الذى لم يكن فى الحسبان وقت التعاقد ومن أمثال ذلك : هلاك

الزرع بأفة فى العين المؤجرة يسقط كل أو بعض القيمة الايجارية ، وفسخ عقد الايجار بالعذر ، وقد يكون العذر راجعا للعين المؤجرة كمن استأجر حماما فى قرية ثم هجر الناس هذه القرية ، وقد يرجع العذر الى المؤجر كمن يضطر لبيع عين مؤجرة لوفاء دين فى ذمته وليس من وسيلة سوى بيعها للوفاء بهذا الدين ، وقد يرجع العذر الى المستأجر كاتقاعه بسبب خارج عن ارادته من حرفة الى أخرى أو افلاسه أو اصابته بعاهة •

وملخص هذه النظرية اجمالا كما طبقتها الشريعة الاسلامية •• أنه فى حالة حدوث عارض عام أو خاص لم يكن متوقع الحصول فى العادة وقت التعاقد وترتب على

المحتاج اليها فى الحال ومنها مسكنه الضرورى •• اذا لم يكن له مال من جنس ما عليه من الدين الشرعى، ويبيع قضاء - اذا امتنع عن بيعه بنفسه - لقضاء دينه من ثمنه • ويبدأ فى البيع بالأسر فالأسر بقدر الدين » •

وكما أخذت الشريعة الاسلامية بنظرية عدم استعمال الحق استعمالا سيئا فانها أيضا أخذت فى باب الالتزامات بنظرية الضرورة أو ما يسمى فى التشريعات الحديثة بنظرية الأحوال الطارئة •• وقد وصفها الفقيه الفرنسى لامبير L'ampère بقوله : « تعتبر نظرية الضرورة فى الفقه الاسلامى أشد جزما وشمولا من فكرة يوجد أساسها فى القانون الدولى العام فى نظرية الظروف المتغيرة (شرط بقاء الحال على ما هو عليه) ••

وفى القضاء الادارى الفرنسى فى نظرية الظروف الطارئة ، وفى القضاء الانجليزى فيما أدخله من المرونة على نظرية استعماله تنفيذ الالتزام تحت ضغط الظروف الاقتصادية

(أ) العقد المشروع ملزم لعاقده دون غيره ، والتزام العاقد ينتقل الى من يخلفه فى ماله كالوارث أو الموصى له : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (أول المائدة) •

(ب) الشروط العقدية حرة وملزمة للعاقدين ، الا ما يخالف النظام العام والآداب العامة •

«المؤمنون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا» (حديث نبوى شريف) •

(ج) العقود كلها رضائية لاتعقد الا بالتراضى الحر •

(د) العقود تصبح صحيحة كاملة وسارية المفعول بمجرد الاتفاق بين طرفيها أو أطرافها دون اشتراط شئ من المراسم الشكلية الا فى عقد الزواج حيث اشترط الاشهاد، ومع ذلك فقد اعتبر وقوع التراضى وحده كافيا لدفع حد الزنا عن المتعاقدين اذا لم يستكمل هذا العقد شروط صحته من الاشهاد وتسمية المهر •

حصوله جعل تنفيذ الالتزام - سواء أكان التزاما بدين أو بعقد - مرهقا ، جاز للملتزم طلب تخفيف التزامه الى الحد المعقول •

وتعتمد هذه النظرية على كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقد عبر عنها الفقهاء بتعبيرات مختلفة منها ، لا ضرر ولا ضرار ، الضرورات تبيح المحظورات ، فظرة الى ميسرة ، الضرر يدفع بقدر الامكان ، أهون الضررين يدفع أشدهما ... الخ •

وعد اعتبرت الشريعة الاسلامية نوعين من الالتزامات •• التزامات شخصية تتعلق بذمة الانسان نتيجة لفعله •• والتزامات شرعية أوجبها الشارع كنفقة الأقارب وزكاة المال ••• ونصيب الفرد فى المساهمة العامة فى حالة النفرة أو التعبئة العامة لملاقاة عدو أو مجابهة خطر داهم كالمجاعات ونحوها •

٣ - العقود :

وفى العقود أقرت الشريعة الاسلامية الأسس التالية :

(هـ) أوجبت الشريعة الاسلامية ،
فى انشاء العقود وتنفيذها أن تخضع
للقواعد الأخلاقية العامة وأن يسودها
حسن النية •• فالتراضى الذى يتم
بين اثنين أو جماعة على غش أو
تدليس أو الاتفاق الذى يجمع بين
اثنين من أجل معصية انما هو تأمر
وليس بعقد مشروع ولا يستتبع
أى أثر ملزم •

وكذلك جعلت الشريعة الاسلامية
كل غش أو تدليس أو غلط أو
تغريز من أحد العقدين موجبا خيار
الآخر ومسوقا له فسخ العقد
لا خلاله بالتراضى •

(و) اعتبرت الشريعة الاسلامية
العرف والعادة أساسا لتحديد
حدود الالتزامات والحقوق العقدية
فى كل ما سكت عنه نص العقد ••
فطريقة استعمال المأجور وكيفية دفع
الأجرة يتبع فيه عرف الناس ••

وللعرف اعتبار قضائى واسع المدى
فى كل وجه من أوجه الشريعة
الاسلامية ما لم يصطدم أو يعارض
بنص شرعى سلبى ومحدد فى
موضوعه • كالتعارف على الالتزام
بدين القمار فانه لا عبرة له •

وعلى الجملة فان الشريعة
الاسلامية لم تحدد أنواعا معينة من
العقود وانما ألتحت للارادات الحرة
أن تزاوّل حقها العقدى فى كل
ما هو مباح وكل ما هو مشروع ،
غير مشترطة أى قيد سوى أن
يسود العقد الحرية فى التراضى
وحسن النية فى تنفيذه •• وكل
ما يعطل حرية التراضى أو ييبس
حسن النية فى التنفيذ انما يبطل
العقد ويبطل آثاره فيما عدا الاضرار
التي تحيق بأحد المتعاقدين فانه
يكون مستوجبا عنها تعويضا •

(يتبع)

زاهر عزب الزغبى

أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية

للدكتور توفيق محمد شاهين

٦

نظرية الثلاثية :

العرب وغيرهم • وعلماء الصرف والنحو قديما من المؤيدين لها ، يقولون : بأن أقل الأبنية ثلاثة : حرف يبدأ به ، وحرف يوقف عليه وحرف يكون واسطة بين المبدوء به والموقوف عليه ، لتنافي أحكامها •

بل وذهب بعضهم الى أن صيغة الكلمة مطلقا - في الساميات عموما - ثلاثية ، وذلك هو القياس في الاشتقاق ، ابتداء من البابلية القديمة حتى اللغات الحية الآن ••

وعلى أساس ذلك كان عمل اللغويين واعتباراتهم في أصول الجذر الثلاثي للغة ، وقياس ما وجد وما يجد من مفردات اللغة • وهذا تعميم لا يجوز علميا ، الا اذا ثبت على أسس منهجية •

واضطربهم ذلك الى عد الثنائي ثلاثيا ، ليوافق ميزانهم (فعل)

وجدنا أن مؤيدى نظرية « الثنائية » يرون أن المواد اللغوية نشأت أول أمرها ثنائية ، يتركب كل منها من مقطع واحد مغلق : أى من حرفين أولهما متحرك ، حركته قصيرة ، وثانيهما ساكن • وأن سنة التطور والنمو كانت هى العامل الفعال فى اكتناز المادة الثنائية وجعلها مركبة من ثلاثة أحرف فأكثر •

وكثير من المتقدمين والمحدثين من علمائنا العرب ومن غيرهم ، قال بذلك ، وأشارت كتبهم اليه فى أبحاثهم ، وإن لم ينصوا عليه صراحة •

وقد عاصرت نظرية الثنائية نظرية الثلاثية ، وناوأتها فترة طويلة ، وكان لها أنصارها ومؤيدوها من العلماء

وليس أدنى من ثلاثي يرى
قابل تصنيف لما قد غيرا
وعلى كل لعل القول بالثلاثية
تأثر كما تأثر تقعيد النحو في العربية
بالمناطق الصوري الاغريقي .

فضلا عن أن العقل لا يقر القول
بالثلاثية ، الا اذا بلغ الأمر مرحلة
نضج وتفلسف ، واحتياج لتنويع
وتصنيف يواكب ماجد وما يجد ،
لأن اللغة ظاهرة ترافق المجتمع في
نشوئه ونموه وتطوره ، ولم تصنع
مسبقا وفق مقاييس موضوعة ، بل
العكس هو الصحيح

كما أن الثلاثية وما فوقها تمثل
مرحلة حضارية في معاني مفرداتها ،
والانتقال من مرحلة العفوية في
الوضع الى القصد والتفكير فيه .
وذكر بعضهم : أن الثلاثي أكثر
وأخف ، بل وأفصح من غيره :

يقول ابن جنى : « ان الأصول
ثلاثة : ثلاثي ، ورباعي ، وخماسي .
فأكثرها استعمالا ، وأعدلها تركيبا ،
هو الثلاثي . وذلك لأنه حرف
يتبدأ به ، وحرف يحشى به وحرف
يوقف عليه .

ويقبل التصريف على مذهبهم ، ولو
كان متكلفا . يقول الخليل : « وقد
تجىء أسماء لفظها على حرفين ،
وتماها ومعناها على ثلاثة أحرف ،
مثل (يد) ، وانما ذهب الثالث لعله
أنها جاءت سواكن وخلفها السكون ،
مثل : (بأيد) في آخر الكلمة ، فلما
جاء التنوين ساكنا اجتمع ساكنان ،
فثبت التنوين لأنه اعراب ، وذهب
الحرف الساكن فاذا أردت معرفتها
فاطلبها في الجمع والتصغير ،
كقولهم : (أيديهم ، ويديه) (١)

وتعسف النحاة في اعتبار كل
ثنائي ثلاثي الأصل سقط ثلثه لعله
حتى صار عندهم قاعدة ، مع أن
العله لا علاقة لها بأصل البناء ، بل
بالوظيفة النحوية داخل العبارة .
فالقول بأن الثنائي جاء وفق صيغة
قياسية ، ثابتة ، وأنه أصيب بعله
ذهبت بعجزه ، أمر أقرب الى
الصناعة منه الى السليقة والطبيعة
اللغوية .

ولكن ظلت القاعدة مرعية
يتوارثها الخلف عن السلف ، يقول
ابن مالك :

(١) العين ، للخليل بن احمد - تحقيق د. عبد الله درويش ص ٥٥ .

بعيدة عن العقل والمنطق •

ولسنا نرى تعاديا بين متحرك وساكن • وحسبنا أن ابن جني أشار الى الثنائي والأحادي •

والدكتور محمد حلمي موسى في كتابه : (احصاء جذور الصحاح بالكومبيوتر) ذكر : أن الجذور الثلاثية جاءت في العربية بنسبة ٨٥٣٧٪ الى جميع الجذور التي تبلغ ٥٦٣٩ جذرا • والجذور الرباعية جاءت بنسبة ١٣٥٨٤٪ الى جميع الجذور وجاءت الجذور الخماسية بنسبة ٦٧٤٪ • وجاءت الجذور الثنائية بنسبة ٣٧٪ الى كل الجذور » • وسنقرب على ذلك بعد قليل ، بكثرة الثنائي •

ولعل قلة الثنائي في نظر القدامى والمحدثين ترجع الى عد الثنائي بدون تضعيف للحرف الثاني ، مع أن مضاعفات الثنائي في العربية يقابلها في الساميات الثنائي بدون تضعيف : أى أن كل المضاعفات في العربية هي بالحقيقة ثنائيات ، والثنائي وارد في كل الساميات متصفا بمعنى حقيقى

وليس اعتدال الثلاثى لقلة حروفه فحسب ، ولو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه اعتدالا ، لأنه أقل حروفا ، وليس كذلك : ألا ترى أن ما جاء من ذوات الحرفين جزء لا قدر له فيما جاء من ذوات الثلاثة ، وأقل منه ما جاء على حرف واحد • فتمكن الثلاثى اذن انما هو لقلة حروفه ، ولشئ آخر : وهو حجز الحشو الذى هو عينه بين فائه ولامه ، وذلك لتباينهما وتعادى حالتهما : الا ترى أن المبتدأ به لا يكون الا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون الا ساكنا • فلما تنافرت حالاهما وسطوا العين حاجزا بينهما ، لئلا يفجأوا الحسن بضد ما كان آخذا فيه ، ومنصبا اليه ، فقد وضع بذلك خفة الثلاثى » (١)

فابن جني يعتد بالكثرة في استعمال الثلاثى وصوره ، مع أننا نعدّه ثنائيا نوعه الحرف الثالث •

وكلامه عن اعتدال تركيب الثلاثى يشبه كلام الفلاسفة ، وتفكير المناطقة ، واللغة قامت أول ما قامت

وتام • وقد ورد بهذه الطريقة كثيرا من الثنائيات كما ذكر الأب مرمجى الدومنى (١)

والمجمع اللغوى المصرى يعتبر الأخ لغة فى الأخ ، وأصله : أخو ، فحذفت الواو ، أى أن الثنائى المضعف فيه لغتان : التضعيف وغيره • فإذا ساوينا الثنائى المضعف بما أصله ثلاثى ، فأولى أن تكون المساواة فيما لم يظهر فيه أصل ثلاثى •

وحكى السيوطى فى المزهرة قول بهاء الدين السبكى فى عروس الأفراح بأن : « الثلاثى أحسن من الثنائى والخماسى ••• وأن من شروط الفصاحة توسط الكلمة بين قلة الحروف وكثرتها ، والمتوسطة ثلاثة أحرف » • وهذا كلام فى الجمال ، ونحن فى الكمال قبل الجمال •

وعلى كل لم تسلم هذه نظرية (الثلاثية) من النقد والأخذ والرد ، وتطرق إليها المغامز والاحتمالات ،

حتى من بين مؤيديها ، والقائلين بها ، وهالك طرفا من ذلك :

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : ان نظام الصرف العربى هو نظام صوتى بالدرجة الأولى ، وان أخطأ القدماء فربطوا بينه وبين الشكل الكتابى ، وقد تسنح لنا فرصة •• لتقديم بعض شواهد هذا الخلط ، بين الظواهر المتباعدة ، داخل نظام علمى ملفق ، قام على احكامه ذكاء القدماء ، وقلدتهم فيه الأجيال حتى يومنا هذا •• « (٢) •

ومعنى هذا أنه لا بد من إعادة النظر فى قواعد العريية ، وفق نظريات علم اللغة الحديثة • اذ مع احترامنا لعلمائنا القدامى ، والقول بفضلهم وسبقهم ، الا أن قلة امكاناتهم وقتذاك ، وما جد الآن من تقنيات ، جعل مسافة الخلف فى الأصوات واسعة •

ومن علمائنا من يرى - بعد عرض النظريتين - أن نساير «وجهة نظر القائلين بأن أصول الألفاظ

(١) المعجم الوسيط (ج ١) أخ - أخو ، والمعجمية للأب مرمجى •
وراجع ما كتبناه فى هذه السلسلة فى مجلة الأزهر •

(٢) فى التطور اللغوى ٢٠ •

تاريخها ، ومدى التطور الذى أصابها ، والنمو الذى بلغته .

والاستاذ ريمون طحان ، يرى أن الأمر وإن انحدر فى اصول العربية من الثنائية إلا أنه يعترف بواقع الثلاثية الآن ، يقول : « ومن استعراض حقل المفاهيم العربية نجد أن هذه - أمثلة الثنائية - وإن جاءت من حرفين أصليين خصهما بمعنى واضح حرف ثالث - تتألف الآن من ثلاثة حروف صامتة ، تؤدي بتجمعها فكرة عامة . ولئن عرفت العربية عبر تاريخها الحافل مفاهيم تعود الى اصول غير ثلاثية ، تعدل ما هو غير ثلاثى ، وتدخله فى صميم التركيب العربى : أى تنطلق معظم الكلمات العربية من مرتكز بنيانى أساسى ، هو الأصل الثلاثى » (٢) .

فهو يشير الى الثنائى ، ويعترف بالثلاثى لكثرة استعماله ، وكان أولى به أن يشير الى أن الثنائية من هذا المنطلق : من مدخرات النشأة الأولى للغة ، أى عهد ما قبل

ثلاثة ، كما هو موجود فى الاستعمال فعلاً ، لأن مرحلة الاشتراك فى الحرفين مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيها مجدياً إلا ضمن بحث تاريخى ، ولأن الأمثلة التى ذكرها « الثنائىون » لا تكفى لإثبات نظريتهم على استقرار واسع ، ولأنه لا بد من اشتراك الساميات كلها - كأخوات للعربية - فى بحث واسع عن تلك المرحلة التاريخية ... ثم يذكر : أن البحث فى ظاهرة الثنائية لم يجىء غفو الخاطر ، بل لا بد وأن فى العربية من إسرارها وروابطها ، ما هو جدير بالبحث والتحرى والامعان .. ويدعو المهتمين باللغة الى متابعة البحث ، للوصول الى رأى القاطع فى المشكلة . » (١)

وهو بذلك يساند الثلاثية كواقع كثير فعلى ، ويشير إليها كحدث وقع فى مرحلة تاريخية ، يعوزه البحث الواسع العميق ، والمقارنة الواجبة الواعية . وكان الأولى - فى نظرنا اعتبار الثنائية من مدخرات النشأة الأولى للغة ، الدال على قدم

(١) فقه اللغة العربية د. ابراهيم نجا ، ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) اللسنية العربية ٨٦ .

القياس ، قبل أن تستقيم على قياس وقواعد •

نسميها جذورا ، تفرعت منها جذوع ثلاثية وفوق الثلاثية • (١)

لا أن يحكم بأن الثنائية تشكل مرحلة تاريخية من مراحل التطور ، وتحولت الى أصول ثلاثية ، بفعل تحولات داخلية بحتة ، كالمدة والتضعيف والزيادة •

ونجد من أيد « الثلاثية » من المستشرقين ، يشير الى احتمالات تؤيد « الثنائية » في اللغات السامية — بعامه — أكثر من الثلاثية :

يقول العلامة الألماني (جرينس) :
ان ثلاثية الأصول اللغوية في الفعل والاسم تلتزم بدقة واطراد في اللغات السامية ، لدرجة ان اللغة في بعض الحالات تصطنع طرائق معينة للاحتفاظ بثلاثية الأصول ذات المقطعين ، ولو بصفة ظاهرة ، كما في : (عدة وثقة) وكما في الأسماء الستة العربية •

وفي نفس الاتجاه ، يقول العلامة ، (رينان) الفرنسي : « ان من بين الأصول الثلاثية أنواعا من الأفعال ، تعد ثنائية ولا تعد ثلاثية ، الا لاعتبارات صرفية ، تلك هي الأفعال المضعفة والمعتلة التي لا يكون فيها لتكرار الحرف الثاني ، أو لاضافة حرف العلة تأثير يذكر في تغيير المعنى الأساسي الذي يفيد الأصل « الثنائي » ، ومثل لذلك بمادة : (ند) وناد ، وتندد ، وندا ، بمعنى تمايل وتفرق ••• ثم يعود (رينان) فيقول : « وان الأفعال الثلاثية المركبة من حروف صحيحة نجد في جميع الحالات تقريبا أن أحد أحرفها الثلاثية أضعف من الآخرين ، وانه لا يحدث في المعنى الأساسي الا تعديلا طفيفا » (٢)

فهو يعد من الأفعال الثلاثية أفعالا ثنائية الأصل ، وان كانت ثلاثية الصورة لاعتبارات صرفية ، ويجعل

غير أن كثيرا من الأصول الثلاثية يمكن ردها الى أصول ثنائية ،

(١) مجلة كلية الاداب الليبية ج ٤ ص ٣٠٨ •

(٢) السابق ٣٠٩ •

يقدم على احصائيات عددية ، نظن
أن لغتنا لا تتحملة عمليا ، يقول :
« ويمكن احصاء المفردات العربية
التي تتألف من صوت واحد بالطريقة
التالية : تتألف أصوات اللغة العربية
الصامتة من ٢٩ حرفا - باعتبار
الهمزة - تدخل عليها الحركات
الخفيفة والممدودة ، (أى الفتح
والضم والكسر ، في حالتها
الحركتين : الخفيفة والممدودة)
فيكون ما يتألف من حرف واحد
هو $٦ \times ٢٩ = ١٧٤$ مثل : (فم =
فا ، في ، فو ، ذا ، ذو ، ذى ...
وبعض حروف العطف ، والاستفهام ،
والجر ، والقسم ، والندبة ، والنداء ،
وبعض الضمائر المتصلة المرفوعة ،
والم منصوبة ، والمجرورة ، وفي أمر
اللفيف المفروق ، مثل : ق ، ف ،
ش ... من : وقى ، وفى ، وشى .
وأشبع العرب وهن الصوت المنهوك
بهاء السكت ، فقالوا : قه ، وفه ،
وشه (٢) .

ويذكر أن العربية اعتمدت في
وضع مفردات تتألف من حرفين

أخذ الأحرف الثلاثية ضعيفا ، ولو
كان صحيحا . وهذه ظاهرة تستوقف
النظر وتواكب ما ارتآه الشيخ
العلايلي حين جعل (عبل) من (علا)
المعتلة ، وأصلها (عل) (١) .

ونجد من الباحثين من يضع
مفردات العربية في نظام رياضى ،
قوامه الهيكل الثلاثى ، وكأنه بذلك
يضعنا امام الأمر الواقع ، كما صنع
الاستاذ ريمون طحان ، الذى يرى :
أن العربية لغة الأحرف التى تخضع
في وضع مفرداتها لنظام رياضى
متكامل ، يتألف الهيكل عادة من
ثلاثة حروف صامتة ، ترتبط به ،
أو تتجمع حروفه لتؤدى فكرة عامة
حسية قد تعمل بها عوامل التجريد ،
والتصعيد ، والتعميم ، والتخصيص ،
والانتقال بالمعنى (MU TATION)
ويتخذ الهيكل الأصلى أجسادا
وأشكالا وصيغا تعود رغم تنوع
معناها الى الفكرة الأساسية
المشتركة . »

والطريف أن النظام الرياضى
المتكامل - الذى اعتقده - جعله

(١) فقه اللغة العربية للدكتور نجاة ٨٦ .

(٢) اللسانية العربية ٧٦ ، ٧٧ .

صامتين ، تضاف اليهما الحركات الخفيفة والثقيلة ، ويتم ذلك نظريا بالعملية الحسابية التالية : ٢٩ حرفا ، أو ٢٨ (باسقاط الهمزة التي تتلاشى أحيانا في حركات المد) فتكون $28 \times 29 = 812$ ، ولا نجد عمليا في العربية الا عشرات من الكلمات فقط ، وردت في بعض كتب اللغة ، مثل (أب ، أم ، أخ ، أخت ، حم ، دم ، يد ، بن ، بنت ، اسم ، شفة ، رئة ...) وقد ألحقت ببعض هذه الثنائيات أحرف اضافية ثلثت لفظها ، وأدخلتها في الشكل العربي السائد والشائع » (١) .

صامتتين ، تضاف اليهما الحركات الخفيفة والثقيلة ، ويتم ذلك نظريا بالعملية الحسابية التالية : ٢٩ حرفا ، أو ٢٨ (باسقاط الهمزة التي تتلاشى أحيانا في حركات المد) فتكون $28 \times 29 = 812$ ، ولا نجد عمليا في العربية الا عشرات من الكلمات فقط ، وردت في بعض كتب اللغة ، مثل (أب ، أم ، أخ ، أخت ، حم ، دم ، يد ، بن ، بنت ، اسم ، شفة ، رئة ...) وقد ألحقت ببعض هذه الثنائيات أحرف اضافية ثلثت لفظها ، وأدخلتها في الشكل العربي السائد والشائع » (١) .

وبالتنظيم الرياضي اللغوى ، يرى أننا لو استثمرنا الأصول الرباعية ، لأفضى الأمر الى لغة رمزية ، تفوق فيها وسائل التعبير المفاهيم التي قد يستوعبها الفكر البشرى ، اذ ينشأ عن الاستثمار : $28 \times 29 \times 27 \times 26 = 491400$ ، ويضاف الى هذا العدد المربع من الجذور مشتقات الرباعى (٢) .

ولانه يرى أن معظم الكلمات في العربية ينشأ عن اصول ثلاثية (ثلاثة حروف صامته وغير مصوطة) ، هى جهر الزاوية فى اقامة صرح التنظيم الرياضى اللغوى المتكامل ، يقول : ان الثلاثى هو الذى يؤدى الى اكتناز العربية ، ويحدث ذلك نظريا على الشكل التالى :

فالاستاذ ريمون يشير الى أن اللغة العربية قد تكتفى بعدد صغير من الجذور ، يمكن أن تكون (٣٠٠٠) ، وفى ذلك رد على من يدعى ان الاحصاء اللغوى للثنائيات فى لغتنا أقل من أن تفى بحاجة الانسان ، وبخاصة اذا رددنا كثيرا

(١) السابق ٧٨ .

(٢) السابق ٨٦ .

(٣) السابق ٨٨ .

وهذا الكلام بما نحن فيه أليق
وأنسب ، ويتمشى مع طبيعة اللغة
التي قدمنا انها لم تكن فى أول امرها
منطقية ، لأنها حينئذ لم تعرف
المنطق ، ولكنها واكبت الطبيعة
والحياة فى تدرجها ، سنة الحياة
والأحياء •



الثنائية فى الميزان :

القائلون بنظرية « الثنائية »
منطقيون ، ولم يبدأوا من فراغ ،
ولم يكونوا أسارى الوهم
والخداع ، كما لم يدفعهم التحرض
والجراءة على قول ما قالوا ، وما أثير
فى وجههم من اعتراضات لم تثبت
عند التنفيذ :

❖ فقد استنتج (جورجى
زيدان) : أن لغتنا مؤلفة أصلا من
أصول محصورة عدا ، أحادية
المقطع ، معظمها مأخوذ عن محاكاة
الأصوات الخارجية ، وبعضها عن
الأصوات الطبيعية التى ينطق بها
اللسان غزيا • وبنى استنتاجه على
مرتكزين يؤيدهما الواقع ،

من أصول الثلاثيات الى ثنائيات ،
وأیضا اذا اسعفنا قدر من جذور
الرباعى الرياضى اللغوى •

اما احصائياته اللغوية بعامة فان
لغتنا - عمليا - لا تتحملها ، لان
اللغة - أى لغة - تنشأ طبيعياً
متدرجة ، تلاحق المضامين الاجتماعية
التي تسبق المداليل اللغوية ، قلة
وكثرة وضيقا وسعة تبعا للتطور
والحضارة • يقول الأب مرمجى :

« اللغة تابعة السنة الطبيعية ،
فهى خاصة لأحوال الانسان
المختلفة ، ولأعضاء نطقه ، وللتطورات
الاجتماعية وغيرها من المؤثرات •
وهى فى بعض أجزائها : قياسية ،
منتظمة ، محكمة • وفى البعض
الآخر : سماعية لا ضابط ولا قيد
لها • وقواعدها ليست قواعد
حسابية رياضية • ولا هى شبه
الكتب المعدة للطبع التى تنضد
حروفها ، وتضغط صفائجها بالآلة
الطابعة فيمكن الطباع ان يستخرج
منها عددا من النسخ غير المحصاة ،
واحدتها ضمنية أختها ، دون
اختلاف » (١) •

الخليل بن احمد ، وسيبويه ،
والفارسي ، وابن جنى ، وابن
فارس ***

ووصف بعضهم هذا الاتجاه
بالمغالاة ، واحلام اليقظة والتخيلات
يقول : « لقد غالى ابن جنى في
هذا ، ومعه الثعالبي صاحب (فقه
اللغة) : اذ جعل مجرد الاشتراك
في أصلين فقط من الأصول الثلاثة
دليلا على الاشتراك في عام لبعض
الكلمات ، فيقرر : ان المعنى العام
(للترقة) يكون بصوتى (الفاء
والراء) ، والمعنى العام (للقطع)
يكون (بالقاف والطاء) ، الى غير
ذلك من تخيلات وتأملات تشبه
احلام اليقظة ، عند رجل ، اشتد
ولعه واعجابه باللغة العربية ، فيتصور
فيها ما ليس منها ، وأضفى عليها من
مظاهر السحر ما لا يصح في الأذهان
ولا تتصف به لغات من لغات
البشر » (٢)

وفي قول الدكتور أنيس الغاء
سريع للمسألة برمتها ، واهمال لما

وتسندهما الشواهد ويخدمان قضية
الثنائية ، وهما - كما اسفلنا -

أن الألفاظ المانعة الدالة على معنى
في غيرها - ويقصد بها الأدوات -
انما هى بقايا ألفاظ ذات معنى فى
نفسها •

وأن الألفاظ المانعة الدالة على
معنى فى نفسها يرد معظمها بالاستقراء
الى أصول ثنائية تحاكي أصواتا
طبيعية ، وتضم الأسماء والأفعال
وما يشتق منها •

وحين قرر ذلك جورجى زيدان
لاحظ ان الألفاظ المتحدة تتقارب
لفظا عند اشتراكها فى حرفين هما
حامل المعنى الأصلى ، ثم يأتى
الحرف الثالث - على الجذور
الثنائية التى هى حوامل المعانى -
لتنوع المادة اللغوية ، وتطوير
الاستعمال الدلالى فقط ، عن طريق
الاشتقاق الكبير ، والأكبر ، (١)
والكبار (النحت) •

وهو بتقريره ليس بدعائين
اللغويين ، فقد أشار الى ذلك :

(١) مجلة الأزهر ، عدد المحرم ١٣٩٩ ص ١٥٧ •

(٢) من اسرار اللغة ٦٧ •

بصورة كاملة مذاهبهم ، ليتم تحقيق التكامل بين آرائنا وآراء الأقدمين • (٢) وهى دعوة حرية بالقبول ، لخدمة لغة الضاد •

* ويتفق أصل الوضع اللغوى عند العلماء القائلين بالثنائية ، مع الواقع والطبيعة فى تدرج الأشياء : فقد نطق الانسان أولا مقاطع واحدة ، أو (هجاء واحدا) - كما يرى الأب انستاس الكرملى - أى بناء مكونا من صامت ومصوت (سواء أكان المصوت فتحة أم كسرة أم ضمة) وربما اتبعه بصامت ، فتتكون الصورة المقطعية ، وهى بذلك فى اجمالها اشارة الى مصطلح الهجاء الواحد ، وتلك نظرة تساير الواقع ، ولا تختلف نظرة الأب مرجى عن هذه النظرية الا بمصطلح شكلى ، هو الثنائية ، لان الكلمات بين يديه تتكون من رمزين مكتوبين ، بصرف النظر عما بها من مصوتات هى فى الحقيقة عناصر صوتية أساسية •

قرره الاقدمون فى هذا الصدد ، وما حوته بطون المعاجم وقبله العقل وأيده الاستعمال ، والتذوق الراقى • ومن يطلع على ما كتبه الدكتور أمين فاخر فى بحثه التطبيقي عن « ثنائية الألفاظ فى المعاجم العربية وعلاقتها بالأصول الثلاثية » ، ويتابع ما بدأه بتأن وروية ، يجد صدق وثبات وصحة ما قرره السلف من علمائنا •

والشيخ العلايلى يمتدح جورجى تريدان بأنه : تنبه الى أن الثلاثى متفرع عن ثنائى سابق لا فى الاشتقاق فقط ، كما فهمه الأقدمون حين ذهبوا يطبقونه فى الابدال وتعاقب الحروف ، بل فى النشوء اللغوى أيضا • ويضيف الشيخ العلايلى : بأننا اذا حاولنا انصافا ، فلم تكن أفكاره فى فحواها بأكثر من أفكار كتاب « العين » التى بثها الخليل ابن احمد ، وأرسلها ارسالا (١) • ولذا يدعونا الدكتور عبد الصبور شاهين ، الى ان نحسن تتبع آراء الأقدمين فى مظانها ، وأن نستقصى

(١) مقدمة العلايلى ١٣٦ •

(٢) فى التطور اللغوى ٩٠ •

بالعكس إلا من باب الاختزال ، وهو نادر ، ولا يحدث في طور التكوين النشوء ، بل في عصر الكهولة والهرم ... والعلاقة الأساسية الثابت - غالباً - وجودها بين المشتق والمشتق منه هي اللحمة المعنوية ، مع توسع الدلالة وتطورها : بالانتقال من حيز المعاني المادية الحسية ، الى حيز المداليل المجردة والمجازية ، ثم العقلية والروحية » .

هذا ما ذكره الأب مرمجى ، تأييداً لسنة الترقى الطبيعية في اللغة ، شأن أى شئ يتدرج ولا بأس به من طريق - معقول - لتوسيع اللغة ، وتكثير مفرداتها ، لتغطية الأحداث والمتطلبات حقيقة وعقلاً وخيالاً ، وكمالاً وجمالاً .

والأب مرمجى يؤكد ، ويصر - في موضوعية وخبرة - على أن الزيادة - التي تمت بها التوسعات - لم تكن اعتباطاً ولا عشوائية ، : « دون ضبط الحرف المطلوب ، ودون تخصيص الدور القائم به في ميدان الزيادة » ، وبملاحظة : أنه « في طور التكون اللغوى تبدأ

ورأينا كيف جعل الشيخ العلايلي أدوار اللغة متدرجة شبه طبيعية تترقى في أدوارها بترقى الانسان ومتطلبات حاجياته . فسلك الانسان لذلك سلوك « الاحادية » ، ثم « الثنائية » في اختراع اللغة ، ثم كان اكتنازها بعدئذ لتكون أكثر خصوبة وأسخرى عطاء ، فتتمكن من العطاء الواسع ، والوفاء بما تتطلبه الحياة والأحياء .

فكان الدور الأول ، للمقطع الاحادى البسيط للانسان البدائى . والثانى للمقطعين ، حين ترقى الانسان بعض الشئ ، فحاكى أصوات الطبيعة .

وكان الدور الثالث للجمع بين الدورين السابقين ، فألف منهما دلالة مركبة ، تفى بتغطية متطلباته والمداليل الاجتماعية التى تدرجت فى خمس حلقات طالت حتى بلغ الانسان رقيه ، والحضارة ذروتها .

وذلك لأن : « طريقة الاشتقاق والتوسع فى الساميات قائمة على الارتقاء من الأقل والأنقص الى الأكثر والأكمل ، اى حسب السنة الطبيعية : سنة الرقى ، وليس

التدرج وعدم الاستقرار اللغوى
التام .

ولذلك يقول الشيخ العلايلي :
أن العطاء الواسع والاحكام
اللغوى ، انما حصل حين صار
الثلاثى وحدة الكلمة ، فتوسع
بالاشتقاق والتصريف ، أما حين
كانت الاضافة للبناء ، كانت الاضافة
للثنائى ، وعلى ذلك :

فقد كانت الزيادة للبناء ، وهى
ما تضاف للثنائى ، لصوغ الثلاثى ،
وموضعها الوسط .

وحين كانت للاشتقاق ، وتضاف
الى الثلاثى لتحصيل الرباعى وغيره ،
وموضعها الآخر .

وحين كانت للتصريف ، كتفعل ،
واستفعل ... كان موضعها الأول
غالبا .

وواقع اللغة يثبت ما قاله الشيخ
العلايلى فى البناء والاشتقاق
والزيادة ، والعربى يملك لغته ،
وهى شغله الشاغل ، تترقى معه ،
وينمى حين تضطره الحاجة بوعى
وسهولة ، والحاجة أم الاختراع
والتطوير .

د . توفيق محمد شاهين

الزيادة بالحروف عن طريق السماع
دون القياس ، فتنشأ بضرب من
القوضى ، ثم تسير رويدا رويدا فى
سبيل التكامل والاستقرار ، فمنها
ما يبلغ درجة القاعدة والقياس
المطلق أو النسبى ، ومنها ما يتخلف
فيبقى دون نظام ... وقد تجرى
هذه الزيادة بالحروف ، بعض الأحيان
لمقاصد تلوح متضاربة ، لا بل
متضادة : « كياء المضارعة التى
تستعمل « للغائب ، والمثنى ،
وللجمع : المذكر والمؤنث ... والتاء
التي تدل على المخاطب المذكر
والمؤنث ، وعلى المثنى والجمع
المذكر والمؤنث »

هذا ما ذكره الأب مرمجى ردا
على اعتراض (J. A. D. M.)
فى مجلة (arientia.)

الصادرة فى رومة ج ٢ مجلد ١٩
ص ٢٠٧ - بأن الزيادة التى تذكر
تنويفا أو اقحاما او تذيلا - انما
هى اعتباطية وغير منضبطة .

وهذا الرد منطقى يتمشى مع
طبيعة اللغة واقعا ، وتاريخا محفوظا
- يؤيده السماع والقياس
والاستعمال ، وبخاصة فى فترة

الصوفية ووحدة الوجود

لفضيلة الشيخ موسى محمد على

وما ينبغي لمؤمن منصف أن يرميهم بهذا الاتهام جزافا دون تمحيص أو تثبيت ، ومن غير أن يفهم مرادهم ، ويطلع على عقائدهم الحققة التي ذكروها صريحة واضحة فى أمهات كتبهم ، كالفتوحات المكية ، وحياء علوم الدين ، والرسالة القشيرية وغيرها ...

ولعل بعض المغرضين المتحاملين على الصوفية يقولون : ان هذا القول بتبرئة السادة الصوفية من فكرة الحلول والاتحاد ، انما هو تهريب من الواقع أو دفاع مغرض عن الصوفية بدافع التعصب والهوى .

ولبيان الحقيقة الواضحة نذكر نماذج من كلام السادة الصوفية تثبت براءتهم مما اتهموا به من القول بالحلول والاتحاد ، وثبت

ان من أهم ما يتحامل به المغرضون على السادة الصوفية اتهمهم زورا بأنهم يقولون بالحلول والاتحاد ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد حل فى جميع أجزاء الكون : فى البحار ، والجبال ، والصخور ، والأشجار والانسان والحيوان ... الخ .

أو بمعنى أن المخلوق عين الخالق ، فكل الموجودات المحسوسة والمشاهدة فى هذا الكون هى ذات الله تعالى وعينه . وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ولا شك أن هذا القول يخالف عقائد الأمة ، بل انه يخالف عقائد الايمان الصحيح .

وما كان للصوفية وهم المتحققون بالاسلام والايمان والاحسان أن ينزلقوا الى هذا الدرك من الضلال

ان كان حلول عرض في جوهر ،
 فالله تعالى ليس عرضا ، وان كان
 حلول جوهر في جوهر فليس الله
 تعالى جوهرًا ، وبما ان الحلول
 والاتحاد بين المخلوقات محال اذ لا
 يمكن أن يصير رجلان رجلا واحدا
 لتباينهما في الذات ، فالتباين بين
 الخالق والمخلوق وبين الصانع
 والصنعة ، وبين الواجب الوجود
 والممكن الحادث أعظم وأولى لتباين
 الحقيقتين .

وما زال العلماء ، ومحققو
 الصوفية يبينون بطلان القول
 بالحلول والاتحاد ، وينبهون على
 فساد ، ويحذرون من ضلاله .

يقول الشيخ محيي الدين بن
 عربي رحمه الله تعالى في عقيدته
 الصغرى :

« تعالى الحق أن تحله الحوادث
 أو يحلها » .

وقال في عقيدته الوسطى :

« اعلم أن الله تعالى واحد
 بالاجماع ، ومقام الواحد يتعالى أن
 يحل فيه شيء ، أو يحل هو في شيء ،
 أو يتحد في شيء » .

كذلك تحذيرهم الناس من الوقوع
 في هذه العقيدة الزائفة ، وتظهر
 بوضوح واضح أن ما نسب اليهم
 مما يفيد الحلول أو الاتحاد : اما
 مدسوس عليهم ، أو مؤول بما يلائم
 هذه النصوص الصريحة التالية
 الموافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة
 يقول الامام الشعراني رحمه الله
 تعالى :

« ولعمري اذا كان عبّاد الأوثان
 لم يتجرءوا على أن يجعلوا آلهتهم
 عين الله ، بل قالوا : ما نعبدهم الا
 ليقربونا الى الله زلفى ، فكيف يظن
 بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد
 بالحق على حد ما تتعقله العقول
 الضعيفة ؟ هذا كالمحال في حقهم رضى
 الله تعالى عنهم ، اذ ما من ولى الا
 وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة
 لسائر الحقائق ، وأنها خارجة عن
 جميع معلومات الخلائق ، لأن الله
 بكل شيء محيط » .

والحلول والاتحاد لا يكون الا
 بالأجناس ، والله تعالى ليس بجنس
 حتى يحل بالأجناس ، وكيف يحل
 القديم في الحادث ، والخالق في
 المخلوق ؟

وقال في باب الأسرار :

« لا يجوز لعارف أن يقول :
أنا الله ، ولو بلغ أقصى درجات
القرب ، وحاشا العارف من هذا
القول حاشاه ، إنما يقول : أنا العبد
الدليل في المسير والمقييل » •

وقال في الباب التاسع والستين
ومائة :

« القديم لا يكون قط محلا
للحوادث ، ولا يكون حالا في
المحدث » •

وقال أيضا في باب الأسرار :

« من قال بالحلول فهو معلول ،
فإن القول بالحلول مرض لا يزول ،
وما قال بالاتحاد إلا أهل الالحاد ،
كما أن القائل بالحلول من أهل
الجهل والفضول »

ثم استطرد يقول :

« الحادث لا يخلو عن الحوادث،
ولو حل بالحدوث القديم لصح قول
أهل التجسيم ، فالقديم لا يحل ولا
يكون محلا » •

وقال في الباب التاسع والخمسين
وخمسمائة بعد كلام طويل :

وهذا يدل على أن العالم ما هو
عين الحق ، ولا حل فيه الحق ، إذ
لو كان عين الحق ، أو حل فيه لما
كان تعالى قديما ولا بديعا •

وقال في الباب الرابع عشر
وثلاثمائة :

لو صح أن يرقى الانسان عن
انسانيته ، والمالك عن ملكيته ، ويتحد
بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق
وخرج الاله عن كونه الها ، وصار
الحق خلقا ، والخلق حقا ، وما وثق
أحد بعلم ، وصار المحال واجبا ،
فلا سبيل الى قلب الحقائق أبدا •

وقال في الباب الثاني والتسعين
ومائتين :

من أعظم دليل على نفى الحلول
والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن
تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من
نور الشمس شيء ، وأن الشمس
ما انتقلت اليه بذاتها ، وإنما كان
القمر محلا لها ، فكذلك العبد ليس
فيه من خالقه شيء ولا حل فيه •

أما ماورد من كلام الصوفية في
كتبهم مما يفيد ظاهره الحلول
والاتحاد فهو اما مدسوس عليهم ،

فاذن أصل الاتحاد باطل محال ،
مردود شرعا وعقلا وعرفا باجماع
الأنبياء ومشايخ الصوفية وسائر
العلماء والمسلمين •

وليس هذا مذهب الصوفية ،
وانما قاله طائفة غلاة لقلّة علمهم
وسوء حظهم من الله تعالى ،
فشابهوا بهذا القول النصارى
الذين قالوا فى عيسى عليه السلام :
اتحد ناسوته بلاهوته • وأما من
حفظه الله تعالى بالعناية ، فانهم لم
يعتقدوا اتحادا ولا حلولا ، وان
وقع منهم لفظ الاتحاد فانما يريدون
به محو أنفسهم ، واثبات الحق
سبحانه •

وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء
المخالفات ، وبقاء الموافقات ، وفناء
حظوظ النفس من الدنيا ، وبقاء
الرغبة فى الآخرة ، وفناء الأوصاف
الذميمة ، وبقاء الأوصاف الحميدة
وفناء الشك ، وبقاء اليقين ، وفناء
الغفلة وبقاء الذكر •

ثم قال : وأما قول أبى يزيد
البسطامى رحمه الله تعالى : (سبحانى،
ما أعظم شأنى) فهو فى معرض
الحكاية عن الله ، وكذلك قول من

بدليل ما سبق من صريح كلامهم فى
تقى هذه العقيدة الضالة ، واما أنهم
لم يقصدوا به القول بهذه الفكرة
الخبیثة والنحلة الدخيلة ، ولكن
المعرضين حملوا المتشابه من كلامهم
على هذا الفهم الخطىء ورموهم
بالزندقة والكفر •

أما الراسخون فى العلم والمدققون
المنصفون من العلماء فقد فهموا
كلامهم على معناه الصحيح الموافق
لعقيدة أهل السنة والجماعة ،
وأدركوا تأويله بما يناسب ما عرف
عن الصوفية من ايمان وتقوى •

يقول جلال الدين السيوطى رضى
الله عنه فى كتابه الحاوى للفتاوى :

واعلم أنه وقع فى عبارة بعض
المحققين لفظ الاتحاد ، اشارة منهم
الى حقيقة التوحيد ، فان الاتحاد
عندهم هو المبالغة فى التوحيد ،
والتوحيد معرفة الواحد الأحد ،
فاشتبه ذلك على من لا يفهم
اشاراتهم فحملوه على غير محمله ،
فغلطوا وهلكوا بذلك •• الى أن
قال :

قال : (أنا الحق) محمول على الحكاية ، ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد ، لأن ذلك غير مpton بعقل ، فضلا عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات ، ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجع والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع ، الغلط بالحلول والاتحاد ، كما غلط النصارى في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام وانما حدث ذلك في الاسلام واقعات جهلة المتصوفة ، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك .. ثم استطرذ يقول :

والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك ، فيطلق على المعنى المذموم الذى هو أخو الحلول ، وهو كفر ، ويطلق على مقام الفناء اصطلاحاً .. كما اصطلاح عليه الصوفية ولا غضاضة فى الاصطلاح ، اذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ فى معنى صحيح لا محذور فيه شرعا ، ولو كان ذلك ممنوعا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد ، وأنت تقول : بينى وبين صاحبى زيد اتحاد .

وكم استعمل المحدثون والفقهاء والنحاة وغيرهم لفظ الاتحاد فى معان حديثة وفقهية ونحوية .

كقول المحدثين : اتحد مخرج الحديث

وقول الفقهاء : اتحد نوع الماشية

وقول النحاة : اتحد العامل لفظا أو معنى

وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققى الصوفية ، فانما يريدون به معنى الفناء الذى هو محو النفس واثبات الأمر كله لله سبحانه ، لا ذلك المعنى المذموم الذى يقشعر له الجلد .

فالمعنى الذى يريدونه بالاتحاد اذا أطلقوه انما هو تسليم الأمر كله لله ، وترك الارادة معه والاختيار ، والجري على مواقع أقداره من غير اعتراض ، وترك نسبة شىء ما الى غيره سبحانه وتعالى .

يقول الشيخ على وفا رضى الله عنه :

« المراد بالاتحاد حيث جاء فى كلام القوم فناء العبد فى مراد الحق

تعالى كما يقال : بين فلان وفلان اتحاد ، اذا عمل كل منهما بمراد صاحبه » •

ويقول ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين شرح منازل السائرين :

الدرجة الثالثة من درجات الفناء: فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين، وهو الفناء عن ارادة السوى ، شائما برق الفناء عن ارادة ما سواه، سالكا سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه ، فانيا بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه ، فضلا عن ارادة غيره ، قد اتحد مراده بمراد محبوبه ، فصار المرادان واحدا •• ثم قال :

وليس في العقل اتحاد صحيح الا هذا ، والاتحاد في العلم والخير، فيكون المرادان والمعلومان والمذكوران واحدا مع تباين الارادتين والعلمين والخبرين ، فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب ، وفناء ارادة المحب في مراد المحبوب ، فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفنائهم ، قد فنوا بعبادة محبوبهم عن عبادة

ما سواه ، وبجبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه ، أيضا •

ومن تحقق بهذا الفناء لا يجب الا في الله ، ولا يبغض الا في الله ، ولا يوالى الا في الله ، ولا يعادى الا في الله ، ولا يعطى الا الله ، ولا يمنع الا الله ، ولا يرجو الا اياه ، ولا يستعين الا بالله ، فيكون دينه كله ظاهرا وباطنا لله ، ويكون الله ورسوله أحب اليه مما سواه ، فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق اليه •

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو اخوانهم ، أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون »

والجامع لهذا كله : تحقيق شهادة أن لا اله الا الله علما ومعرفة وعملا وحالا وقصدا ، وحقيقة •

هذا النفي والاثبات الذى تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء ، فيغنى عن تأله ما سواه علما وارقارا وتعبدًا ، ويبقى بتأله وحده ، فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذى اتفق عليه المرسلون صلوات الله عليهم وأنزلت به الكتب ، وخلقنا لأجله الخليقة ، وشرعت له الشرائع ، وقامت عليه سوق الجنة ، وأسس عليه الخلق والأمر •• الى أن قال :

وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الارادة • والمعصوم من عصمة الله ، وبالله المستعان والتوفيق والعصمة •

وقال فى موضع آخر : وان كان مشمرا للفناء العالى ، وهو الفناء عن ارادة السوى ، لم يبق فى قلبه مراد يزاحم مراده الدينى الشرعى النبوى القرآنى ، بل يتحد المرادان ، فيصير عين مراد الله تعالى هو عين مراد العبد ، وهذا حقيقة المحبة الخالصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح ، وهو الاتحاد فى المراد ، لا فى المريد ولا فى الارادة •

ورغم أن ابن تيمية قيل فى نزعه بالنسبة للصوفية ما قيل ، فانه يرى ساحتهم من تهمة القول بالاتحاد ، ويؤول كلامهم تأويلا صحيحا سليما •

أما تبرئته لساحتهم فقد قال فى فتاويه :

ليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات ، ولا اتحاده به ، وان سمع شىء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب اختلفه الأفاكون من الاتحادية المباحية الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية •

ثم استطرذ يقول :

كل المشايخ الذين يقتدى بهم فى الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الخالق سبحانه مبين للمخلوقات ، وليس فى مخلوقاته شىء من ذاته ، ولا فى ذاته شىء من مخلوقاته ، وأنه يجب افراد القديم عن الحادث وتمييز الخالق عن المخلوق ، وهذا فى كلامهم اكثر من أن يمكن ذكره هنا •

وأما تأويله كلامهم فقد قال في
مجموعة رسائله : « وأما قول
الشاعر في شعره » :

أنا من أهوى

ومن أهوى أنا

فهذا إنما اراد به الشاعر الاتحاد
المعنوي ، كاتحاد احد المحبين بالآخر
الذي يجب احدهما ما يجب الآخر ،
ويغض ما يغضه ، ويقول مثل ما
يقول ، ويفعل مثل ما يفعل ، وهذا
تشابه وتمائل لا اتحاد العين بالعين ،
اذا كان قد استغرق في محبوبه ،
حتى فنى به عن رؤية نفسه ، كقول
الآخر :

غبت بك عنى

فظننت أنك أنى

فهذه الموافقة هي الاتحاد السائع
من هذه النصوص المتعددة تبين
لنا أن كل ماورد في كلام الصوفية
من كلمة (اتحاد) إنما يراد بها هذا
الفهم السليم الذي يوافق عقيدة
أهل السنة والجماعة ، ولا يصح
أن نحمل كلامهم على معان تخالف
ما صرحوا به من تبنيهم لعقيدة أهل
السنة والجماعة ، وما على هذا

المنصف الا أن يحسن الظن بالمؤمنين
ويؤول كلامهم على معنى شرعى
مستقيم •

أما وحدة الوجود فقد اختلف
علماء النظر في موقفهم من العارفين
المحققين القائلين بوحدة الوجود ،
فمنهم من تسرع باتهامهم بالكفر
والضلال ، وفهم كلامهم على غير
المراد ، ومنهم من لم يتورط بالتهجم
عليهم فتثبت في الأمر ورجع اليهم
ليعرف مرادهم ، لأن هؤلاء العارفين
مع توسعهم في هذه المسألة لم
يبحثوا فيها بحثا يزيل اشكال علماء
النظر ، لأنهم تكلموا في ذلك ودونوا
لأنفسهم وتلاميذهم لا لمن لم يشهد
تلك الوحدة من غيرهم • لذلك
احتاج الأمر للايضاح لتطمين به
قلوب أهل التسليم من علماء النظر
ومن العلماء الذين حققوا في
هذه المسألة الشيخ محمد الشريف
رضى الله عنه ، فقال :

« الوجود واحد لأنه صفة ذاتية
للحق سبحانه وتعالى ، وهو واجب
فلا يصح تعدده ، والوجود هو
الممكن وهو العالم فصح تعدده
باعتبار حقائقه ، وقيامه إنما هو

فى الأمور دون أن يتسرعوا بتكفير أحد من المؤمنين ، ويرجعوا فى فهم كل حقيقة الى أهل الاختصاص بها .

ونظرا لأن مسألة وحدة الوجود أخذت حظا كبيرا من اهتمام بعض العلماء وشغلت اذهان الكثير نقول :

ان الوجود نوعان : وجود قديم أزلى ، وهو واجب ، وهو الحق سبحانه وتعالى ، قال تعالى : (ذلك بأن الله هو الحق) أى الثابت الوجود ، المحقق .

ووجود جائز عرضى ممكن ، وهو وجود من عده من المحدثات .

وان القول بوحدة الوجود ، وأن الوجود واحد هو الحق تعالى يحتمل معنيين :

أحدهما حق ، والثانى كفر ، ولهذا فالقائلون بوحدة الوجود فريقان :

١ - الفريق الأول : أرادوا به اتحاد الحق بالخلق ، وأنه لا شىء فى هذا الوجود سوى الحق ، وأن الكل هو ، وأنه هو الكل ، وأنه عين الاشياء ، وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد .

بذلك الوجود الواجب لذاته ، فاذا زال بقى الوجود كما هو ، فالموجود غير الوجود فلا يصح أن يقال الوجود اثنان : وجود قديم ووجود حادث ، الا أن يراد بالوجود الثانى الموجود من اطلاق المصدر على المفعول ، فعلى هذا لا يترتب شىء من المحاذير التى ذكرها أهل النظر على وحدة الوجود القائل بها أهل التحقيق الى أن قال :

الحس لا يرى الا الهياكل أى الموجود ، والروح لا تشهد الا الوجود ، واذا شهدت الموجود فلا تشهده الا ثانيا ، على حد من قال : ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله .

وأراد بهذه الرؤية الشهود لا رؤية البصر ، لان الرؤية من خصائص البصر ، والشهود من خصائص البصيرة ، لذلك ورد : أشهد أن لا اله الا الله ، ولم يرد أرى ، بل ولا يصح أن يقال : أرى » .

وهكذا شأن العلماء المنصفين يغارون على الشريعة الغراء ، ويتشبثون

فقوله : هذا كفر وزندقة ، وأشد ضلالة من أباطيل عبدة الأثان .

وقد شدد الصوفية النكير على قائله ، وأفتوا بكفره ، وحذروا الناس من مجالسته . قال أبو بكر محمد بناني رحمه الله تعالى :

فأحذر يا أخى كل الحذر من الجلوس مع من يقول : ما ثم الا الله ويسترسل مع الهوى فان ذلك هو الزندقة المحضة ، اذ العارف المحقق اذا صح قدمه فى الشريعة ، ورسخ فى الحقيقة ، وتقوه بقوله : ما ثم الا الله ، لم يكن قصده من هذه العبارة اسقاط الشرائع واهمال التكليف حاشا لله أن يكون هذا قصده .

٢ - الفريق الثانى : قالوا ببطلان وكفر ما ذكر ، من أن الخالق عين المخلوق ، وانما أرادوا بوحدة الوجود وحدة الوجود القديم الازلى وهو الحق سبحانه فهو لاشك واحد منزه عن التعدد . ولم يقصدوا بكلامهم الوجود العرضى المتعدد وهو الكون الحادث نظرا لأن وجوده مجازى ، وفى أصل عدمه لا يضر ولا ينفع . فالكون معدوم فى نفسه ، هالك فان فى كل لحظة ،

قال تعالى : « كل شىء هالك الا وجهه » وانما يظهره الایجاد ، ويشته الامداد الكائنات ثابتة باثباته ، وممحوة بأحدية ذاته ، وانما يسكه سر القيومية فيه وهؤلاء قسمان :

١ - قسم أخذ هذا الفهم بالاعتقاد والبرهان ، ثم بالذوق والعيان ، وغلب عليه الشهود ، فاستغرق فى فجع بحار التوحيد ، ففنى عنه نفسه فضلا عن شهود غيره ، مع استقامته على شرع الله تعالى وهذا حق .

٢ - وقسم ظن ان ذلك لفظى ، فتوغل فى تلاوة عباراته ، وتمسك بظواهر اشاراته ، وغاب فى شهودها عن شهود الحق ، فربما هانت الشريعة فى عينيه لما يلتذ به من حلاوة تلك الألفاظ ، فيقع على أم رأسه ويتكلم بما ظاهره ان الشريعة فى جهة يختص بها اهل الغفلة ، والحقيقة فى جهة أخرى يختص بها أهل العرفان ، ولعمري ان هذا لهو عين الزور والبهتان ، وما ثم الا شريعة ومقام احسان »

وعلى كل فالأولى بالصوفى فى هذا الزمان ان يتعد عن الألفاظ

والتعابير التى فيها إيهام أو غموض أو اشتباه لئلا يوقع الناس بسوء الظن به ، أو تأويل كلامه على غير ما يقصده ، ولأن كثيرا من الزنادقة والدخلاء على الصوفية قد تكلموا بمثل هذه العبارات الموهمة والألفاظ المتشابهة ، ليظهروا ما يكونونه فى قلوبهم من عقائد فاسدة وليصلوا بذلك الى إباحة المحرمات ، وليبرروا ما يقعون فيه من المنكرات والفواحش فاختلط الحق بالباطل ، وأخذ المؤمن الصادق بجريرة المنحرف الفاسق .

لهذا جمل الصوفية بواطنهم وظواهرهم بالشريعة الغراء ، وأوصوا تلاميذهم بالتمسك بها قولاً وعملاً وحالاً ، فهى عندهم باب الدخول وسلم الوصول ، ومن حاد عنها كان من الهالكين .

وبعد : فهذه النصوص التى ذكرناها عن ساداتنا العلماء ، وعن

الصوفية الأخيار ، تكشف للقارىء الكريم أن الصوفية مبرؤون مما نسب اليهم من القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وإن كلامهم مؤول على وجه شرعى ، وموافق لما عليه أهل السنة والجماعة من العقيدة الصحيحة السليمة ، وأنهم ما نالوا هذه المواهب العرفانية إلا بالتمسك بالكتاب والسنة ، وأنهم حقيقة رجال السلف الصالح الذين تمسكوا بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واقتدوا به فأفلحوا وتحققوا بالاتباع الكامل له عليه الصلاة والسلام فنالوا الرضى من الله تعالى وفازوا بسعادة الدارين .

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

موسى محمد على

« كلمات فى التصوف »

للحسين بن على بن دينار : (إياك أن تطمع فى الأنس بالله ، وإنت تحب الأنس بالناس وإياك أن تطمع فى المنزلة عند الله وإنت تحب المنزلة عند الناس)

شبهات حول السنة

للدكتور رءوف شلبى

- ٣ -

د - وظيفة السنة ومرتبها
في التشريع الاسلامى

١ - وظيفة السنة :

* قال عبد الله بن مسعود رضى
الله عنه •

« لعن الله الواشمات
والمستوشمات والمتنصصات
والمتفلجات للحسن المغيرات خلق
الله •

فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد
فقالت :

« يا أبا عبد الرحمن بلغنى أنك
لعنت كيت وكيت ؟

فقال : ومالى لا ألعن من لعنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو فى كتاب الله ، فقالت المرأة :
لقد قرأت ما بين لوحى المصحف
فما وجدته ؟

فقال : لئن كنت قرأته وجدته
قال تعالى :

« ما أتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا » •

* والامام الشافعى رضى الله
عنه يشرح وظيفة السنة بقوله :
« وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع كتاب الله وجهان :

أحدهما : ما أنزل الله فيه نص
كتاب فبينه رسول الله مثل ما نص
الكتاب •

والآخر : ما أنزل الله فيه جملة
كتاب فبين رسول الله معنى ما
أراد •

من المقرر أن القرآن الكريم
ممتلىء بالقواعد العامة لأنه دستور
سرمدى خالد أبدا للأمة الاسلامية
والقواعد العامة تحتاج دائما الى

وكيف عمل الحج والعمرة •

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالقرآن كما يقول مطرف بن عبد الله الشخير عندما قيل له : لا تحدثونا الا بالقرآن فقال : « والله ما نريد القرآن بدلا ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن » •

ومعنى هذا

ان القواعد الكلية العامة فى القرآن الكريم تحتاج الى عالم بالقرآن ليربط الجزئيات المستحدثة بهذه الكليات العامة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم هو أعلم الناس بالقرآن •

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه فسر كثيرا من أركان الاسلام مثل الصلاة والزكاة وأعمال الحج •

يقول الأوزاعى : « الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب » ويشرح هذا النص ابن عبد البر فيقول : يريد أنها تقضى عليه وتبين المراد منه •

تفسير للاحاق الجزئيات باحدى القواعد العامة وذلك ما وكل فيه النبى صلى الله عليه وسلم من قبل ربه •

وأزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم • وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم بسلوكه وأقواله وموافقاته للأمة ما تحتاج اليه • يقول عليه الصلاة والسلام : « ما شيئا مما أمركم الله به الا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه الا وقد نهيتكم عنه » •

يقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

قال تبارك وتعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » • وقال : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » •

وقال : « أتموا الحج والعمرة لله » •

ثم بين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلاة ومواقيتها وسننها وعدد ركعاتها والزكاة ومواقيتها •

الله الظاهر أربعا لا تجهر فيها
بالقراءة •• ثم عدد عليه الصلاة
والزكاة ونحو هذا ثم قال : اتجد
هذا فى كتاب الله مفسرا ؟ ان كتاب
الله ابهم هذا ، والسنة تفسر
ذلك » •

٢ - لما نزل قول الله تعالى :
« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم أولئك لهم الأمن وهم
مehتدون » أشكل أمر الآية على
الصحابة رضوان الله عليهم اذ فهموا
المراء من الظلم : مجاوزة الحد
والخروج عن القصد فى كل
شئ • فقالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم : أينأ لا يظلم يارسول الله ؟
فوضح لهم عليه الصلاة والسلام :
أن المراء من الظلم الشرك وقرأ :
« يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم » •

ثانيا - فى مجال المال

١ - لما نزل قول الله تعالى :
« الذين يكتزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
بعذاب أليم » •

يقول الامام أحمد بن حنبل
رضى الله عنه :

« ان السنة تفسر الكتاب
وتبينه » •

وتتضح لنا هذه الوظيفة
للسنة من خلال التطبيقات العملية
التي اتخذها المسلمون عن نبهم
عليه الصلاة والسلام •

أولا : فى مجال العبادة :

١ - فرض القرآن الصلاة
والزكاة •

« أقيموا الصلاة •

وآتوا الزكاة •

ولكن السنة هى التى توضح
ذلك : « صلوا كما رأيتمونى
أصلى » •

« ليس فيما دون خمس أوسق
صدقة ولا فيما دون خمس ذود
صدقة ولا فيما دون خمس أواق
صدقة » •

وفى هذا المقام يروون عن سيدنا
عمران بن حصين انه قال لرجل :
« انك امرؤ أحمق ، أتجد فى كتاب

ثالثا - فى مجال الخيانة

١ - نظم القرآن الكريم حدود القصاص :

« كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد ، والاثنى بالاثنى » •

وهذه القواعد العامة تفيد عموم وجوب القصاص من كل من ثبتت عليه جريمة القتل العمد ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يخص هذا العموم بقوله : ألا لا يقتل مسلم بكافر •

٢ - وعندما حددت سورة المائدة ان السارق والسارقة تقطع أيديهما ، لم تحدد مكان القطع ولا نوع اليد

من الكوع أو المرفق •

اليمنى أو اليسرى

ولكن السنة هى التى حددت اليمنى من الرسغ

رابعا - فى مجال الاسرة

١ - ذكر القرآن الكريم المحرمات من النساء •

فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن مدلول ينفقون بذل كل مايصل الى أيديهم ، ففسر النبى صلى الله عليه وسلم هذا المدلول بقوله :

« انما فرض الله الزكاة ليظهر بها ما بقى من أموالكم » •

٢ - وعندما تحدثت آية الفرائض عن الموارث لم تتعرض لتوريث الكافر من المؤمن ولا العبد من الحر ولا القاتل لأبيه ، وأن الوصية لا تكون فى أكثر من الثلث وأن الدين يقدم على الوصية •• ولكن السنة هى التى وضحت كل هذا •

يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« لا يرث المسلم الكافر •

ولا يرث الكافر المسلم » • ويقول :

« الثلث ، والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس » •

تحيض ثم تطهر ثم ان شاء أمسك
بعد وان شاء طلق قبل أن يمس ،
فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق
لها النساء » •

فكان ذلك تفسيراً من السنة لما
أوجزه القرآن الكريم من الأحكام .
٣ - وعدة المتوفى عنها زوجها
أربعة أشهر وعشراً بنص القرآن
الكريم •

« والذين يتوفون منكم ويذرون
(زواجا يتربصن بأنفسهن أربعة
أشهر وعشراً » •

وعدة الحامل المطلقة وضع
الحمل بنص القرآن الكريم :
« وأولات الأحمال أجلهن أن
يضعن حملهن » •

ولكن ما حكم عدة الحامل المتوفى
عنها زوجها ؟

سابقة الأسلمية توفى عنها زوجها
وهي حامل ثم وضعت بعد نصف
شهر من وفاة زوجها فأخبرها النبي
صلى الله عليه وسلم أن قد حلت
واتته عدتها فبينت السنة بذلك
أن عدة الحامل مطلقاً وضع الحمل

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم
وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم
وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم
اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من
الرضاعة ، وأمهات نسائكم ،
وربائبكم اللاتى فى حجوركم من
نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم
تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ،
وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد
سلف ان الله كان غفورا رحيماً » •

وبقى حكم الجمع بين المرأة
وعمتها والمرأة وخالتها فبينت السنة
يقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا تنكح المرأة على عمتها ولا على
خالتها » •

٢ - أمر الله نبيه صلى الله عليه
وسلم أن يكون الطلاق للعدة فى
قوله تعالى : « يا أيها النبي اذا طلقتم
النساء فطلقوهن لعدتهن » •

وكان ابن عمر قد طلق زوجته
وهي حائض فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لعمر بن الخطاب : « مره
فليراجها ثم يتركها حتى تطهر ثم

ذى ناب من السباع ، ومخلب من الطير ونهى عن أكل لحم الحمر الأهلية وقال : انها رجس •

٢ - والله سبحانه وتعالى أحل صيد البحر وحرم الميتة وبين هذين مسائل تتعلق بأحد الحكمين فوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان السمك الميت من البحر حلال وقال : هو الطهور ماؤه الحل ميتته •

بهذا يتأكد للواقفين من دينهم وعقولهم ومستوى البحث العلمى النظيف أن السنة الاسلامية طبقت عمليا كمصدر أساسى للتشريع الاسلامى يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة » • • فأكد بذلك انها مصدر أساسى للتشريع الاسلامى •

هـ - مرتبة السنة فى التشريع

١ - روى أبو داود والترمذى وابن ماجة عن المقدم بن معديكرب قال :

٤ - جاءت الجدة الى أبى بكر رضى الله عنه تلتمس ميراثها فقال : « ما أجد لك فى كتاب الله شيئا وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس ، فقام المغيرة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس فقال له هل معك أحد ؟ فشهد معه محمد بن مسلمة بمثل ذلك فانفذه سيدنا أبوبكر » •

لقد حددت آية المواريث الفرائض وأصحابها ، ولكن الجدة لأم ألحققتها السنة الاسلامية بأصحاب هذه الفروض •

خامسا - الحاجات اليومية

١ - أحل الله الطيبات

• وحرم الخبائث •

• وبين هذين الأصلين •

• الطيب الحلال •

• والخبيث الحرام •

أشياء لم يوضحها القرآن الكريم وتركها للسنة الشريفة ، فمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل كل

يجيب الحديث النبوى الشريف
على هذا : « ألا وان ما حرم
رسول الله كما حرم الله » •

ومغزى هذا أن مرتبة السنة فى
قيمة الحكم هى مثل القرآن الكريم
فما حمله رسول الله صلى الله عليه
وسلم له قيمة الدرجة لما حمله الله
تبارك وتعالى ، وما حرمه رسول
الله صلى الله عليه وسلم له قيمة
الدرجة لما حرمه الله تعالى فى كتابه
المجيد •

غير انه عند استنباط الحكم من
المجتهد فى عملية الاجتهاد تكون
السنة المصدر الثانى بعد البحث فى
القرآن الكريم على حد المنهاج الذى
رسمه سيدنا معاذ بن جبل رضى
الله عنه عندما سأل النبي صلى
الله عليه وسلم :

« كيف تقضى اذا عرض لك
قضاء ؟

قال : أقتضى بكتاب الله •

قال : فان لم يكن فى كتاب
الله ؟

قال : فبسنة رسول الله ؟

قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « ألا انى أوتيت القرآن ومثله
معه ، ألا يوشك رجل شبعان على
أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن
فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه
وما وجدتم فيه من حرام فحرموه
ألا وان ما حرم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما حرم الله » •

٢ - والقرآن الكريم يأمرنا
بنص صريح : « ما أتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » •

٣ - وقد ألحق رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحكاما بقواعدها
الكلية •

لقد حرم نكاح المرأة على عمتها
مثل ما حرم الله الجمع بين الاختين •

وحلل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ميتة البحر مثلما أحل الله
صيده •

فهل الأحكام بالحل والحرمة
من النبي صلى الله عليه وسلم
تختلف فى درجتها عن الأحكام
بالعمل والحرمة فى القرآن
الكريم ؟

قال : فان لم يكن فى سنة
رسول الله ؟
النظر فى الأدلة لاستنباط حكم
شرعى •

قال : أجتهد ولا آلو •
فضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على صدره وقال : الحمد لله
الذى وفق رسول رسول الله لما
يرضى الله ورسوله •
أما قيمة الحكم المستنبط من
السنة فهو مثل الحكم المستنبط من
القرآن الكريم فى وجوب الأخذ
به والايمان بأحقيقته وقد حكم الله
جل شأنه •

فحدد سيدنا معاذ أن النظر عند
الاجتهاد لاستنباط الحكم يكون
أولا فى القرآن الكريم فان وجد
كفى ، وان لم يوجد يثنى بالنظر فى
السنة الشريفة •
« من يطع الرسول فقد أطاع
الله » •
« وما ينطق عن الهوى • ان
هو الا وحى يوحى » •

وبهذا الاعتبار تأخذ السنة المرتبة
الثانية بعد القرآن الكريم عند
دكتور رءوف شلبى

« من نعم الله على عباده الصابرين »

السعة بعد الضيق والعافية بعد البلاء ، والرخاء بعد الشدة
واليسر بعد العسر •

وسائل الإعلام في عصر النبوة

للككتور محمد سيد محمد

الرغبة ، كما يختلف أيضا تعبيرهم عنها وتحديد زواياها .

ولقد تمثلت هذه الرغبة التي شعرت بها وأنا أبدأ بحثي عن « وسائل الاعلام في عصر النبوة » في فئنة مسميات العصر ومصطلحات العلم الذي أمارسه ، وهو الاعلام ، فأفصل منها أثوابا لبعض أحداث عصر النبوة فتبدو أثوابي سخيفة ومضحكة .

الأمر الثاني : الخوف من أن يشدني المضمون في عصر النبوة فاستحي - أولا أستطيع - الوقوف حيث يوجب البحث ، وبذلك أصبح مجرد راوية لأطراف من السيرة دون أن أصل بحثي الى غايته .

وبوضع هذين الأمرين أمام ناظري ، وبالتزام قواعد البحث العلمي ، تتبعت وسائل الاعلام في عصر النبوة ، منذ وقفته صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا يبدأ الطور العلني للدعوة الى وقفته

لاشك أن الباحث تأخذه الرغبة وهو يتجول بفكره في الثلاثة والعشرين عاما قمريا التي بدأت بنزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم وفاته . لأن ما حدث فيها شامخ وعميق ومتعدد الأبعاد ، ومرتبط بالأزل ومربوط بالأبد . كما أن تلك الفترة - التي اصطلح على تسميتها بعصر النبوة - زودت العقل والتفكير والتدبر بالغيب ، وزودت غرائز الناس في الأرض وما ينفعهم فيها ، ومختلف أوجه حياتهم بقواعد يوحى بها من السماء ، وتكفل لهم غنم الآخرة .

ان ذلك لا بد وأن يسلى على الباحث - بغض النظر عن عقيدته - رهبة وحيرة أشبه بحيرة الصائغ أمام صندوق كبير من المجوهرات عليه أن يختار جوهرة منه ويجلوها ليعرضها ويبرز فيها فنه وصنعتة .
ويختلف احساس الباحثين بهذه

سرا ، ولكن معنى السرية هنا - فيما أرى - معنى نسبي ، لأن الدعوة كانت حديث الناس بمكة منذ أيامها الأولى . كما ذاع أمر الدعوة وهي في طورها السري الى خارج مكة ، التي كانت في ذلك الوقت ملتقى القادمين للتجارة أو لزيارة الكعبة .

ومعنى السرية في الدعوة نسبي أيضا ، لأن العلن هو منهج الوحي وأسلوبه في خطاب الناس ونشر الحقائق ، فالوحي هو النبأ العظيم كما يقول تعالى : « عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون » ..

والنبأ لا يكون خفية ولا سرا .. لأن طبيعته الظهور والعلانية .

ومعنى السرية في الدعوة نسبي أيضا لسبب ثالث ، وهو أن الاعلام بكلام الله هي وظيفة الأنبياء والرسل بصفة عامة .

ولا يعني ذلك أن مؤلفي السيرة على خطأ حين ذهبوا الى القول بأن الدعوة ظلت سرا حتى نزل قول الله تعالى : وأنذر عشيرتكم الاقربين .

ص - على جبل عرفات في حجة الوداع مؤكدا تأديته للبلاغ ، مشهدا الله على ذلك بقوله : « الا هل بلغت اللهم فاشهد » ومختتما بخطبة الوداع ببيان الحقوق والواجبات للفرد والجماعة . ومحددا للأفراد مسؤولياتهم .

حلقات الاعلام بالدعوة

إذا ألقيت حجرا في بركة ماء هادئة نجم عن ذلك تكون حلقات من الماء تبدأ صغيرة ثم تتسع شيئا فشيئا . وهكذا . شأن الدعوة .. انها حلقات بدأت صغيرة ثم اتسعت .. انها جهد متتابع ومتواصل . ومنذ نزول الوحي بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - مسؤوليته في ابلاغ الدعوة .

لقد أعلم زوجته السيدة خديجة ، وأعلم صاحبه أبا بكر الصديق ، وأعلم ابن عمه عليا بن أبي طالب ، أعلمهم جميعا بأمر الدعوة فصدقوه وآمنوا بدعوته . ثم بدأت الدائرة تتسع بعد ذلك . وكانت وسيلته في الاعلام بدعوته هي الاتصال الشخصي المباشر .

ولقد ظلت الدعوة في أول أمرها

في الكتابة ، ووراء ذلك القدر المذهل من الموضوعية الذي تزرخ به مؤلفاتهم ، اعتبارهم التاريخ المظهر الخارجى لارادة الله فى عالمنا هذا ، واعتقادهم أنه بالامكان التوصل الى كنه هذه الارادة باستقراء ظواهرها » (١) •

وبناء على ذلك يمكن القول بأن الاتصال المباشر أو الاتصال الشخصى بلغة الاعلام اليوم - كان وسيلة الاعلام بالدعوة التى اتخذها الرسول - صلى الله عليه وسلم - منذ بداية نزول الوحي ، وأن الاعلام بالدعوة كان أشبه بالحلقات المتوالية الاتساع •

ثم بدأ الطور الثانى من أطوار الاعلام بالدعوة بعد ثلاث سنوات من نزول الوحي فيما يروى بعض كتاب السيرة • ومع هذا الطور بدأت صفحة جديدة من وسائل الاعلام بالدعوة فى عصر النبوة •

ولكن ما يؤكد التمهيد الدقيق لقراءة كتب السيرة هو أن اعلام النبى صلى الله عليه وسلم للناس بالدعوة - سواء كانوا أقرب الناس اليه كزوجته ، وأقرب أصدقائه اليه وأقرب أبناء عمومته اليه ، أو من يليهم فى القرب - كان عمل الرسول اليومى ، بل ان الاعلام بالدعوة كان حياته • وأن سرية الدعوة لم تكن بالمعنى المغلق لمفهوم السرية وانما كانت بمعنى السير - المتأنى والمتعقل بالدعوة الى غايتها •

لقد شجعنا كتاب السيرة الاوائل على النظر فى سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعين فاحصة ، وعلى الربط بين أحداث مختلفه لاجلاء حقيقة تاريخية أو حقيقة علمية لأنهم سردوا الأحداث دون غنابة بالتعليق عليها ، وأقدموا على تسجيلها دون وجهة نظر مسبقة •

« ولقد كان وراء منهاجهم هذا

(١) حسين أحمد أمين : « تأملات فى تطور كتابة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى الشرق والغرب » .. مجلة العربى « العدد ٢١٥ ، اكتوبر ١٩٧٦ »

الطور العلنى للدعوة

يبدأ هذا الطور من أطوار الاعلام بالدعوة بنزول الآية الكريمة : « وأنذر عشيرتك الأقربين » .. وتشير وقائع التاريخ الى بداية ملفقة للنظر في وسائل الاعلام بالدعوة .

فقد صعد النبي صلى الله عليه وسلم « على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا . فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش . فقال النبي : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك الا صدقا . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا . فنزلت « تبأ يدا أبا لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب » .

وفي رواية أخرى أخرجهما أحمد وجماعة عن أبي هريرة ، تقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا قريشا وعم وخص فقال : يا معشر

قريش انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا معشر بنى كعب بن لؤى انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا معشر بنى عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا معشر بنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا فاطمة بنت محمد انقذى نفسك من النار فاني لا أملك لك ضرا ولا نفعا ألا ان لكم رحما وسأب لها يبالها . وجاء في بعض الروايات أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت الآية « وأنذر عشيرتك الأقربين » جمع عليه الصلاة والسلام بنى هاشم فأجلسهم على الباب ، وجمع نساء وأهله فأجلسهم فى البيت ثم طلع عليهم فأنذرهم .

وجاء في روايات أخرى أنه عليه الصلاة والسلام أمر عليا كرم الله وجهه أن يصنع طعاما ويجمع له بنى عبد المطلب ففعل ، وجمعهم وهم يومئذ أربعون رجلا فبعد أن أكلوا، أراد صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم

بالدعوة • وأن الروايات لا تتناقض
— فى نظرى — بل تتكامل • وقد
يكون بعضها وقع بعد فترة زمنية
أخرى من الرواية الأولى • فإن
الرواية التى تذكر أنه صلى الله عليه
وسلم جمع نساء وأهله فى البيت ،
— ان كانت قد وقعت — فالأرجح
أنها وقعت بعد وفاة خديجة لأن
الرسول — صلى الله عليه وسلم —
لم يجمع معها زوجة أخرى • وكان
موت خديجة قبل الهجرة بثلاث
سنوات •

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه
الروايات تؤكد ظهور وسيلة جديدة
من وسائل الاعلام بالدعوة هى ما
يمكن أن نسميه بلغة العصر الاتصال
بالجماهير • فالرسول صلى الله عليه
وسلم يستخدم الخطبة فى جمهور من
الناس كوسيلة لعلامهم بالدعوة •
وبذلك تصبح الخطبة وسيلة ثانية
من وسائل الاعلام بالدعوة الى جانب
الاتصال الشخصى الذى لم يكن
قاصراً على أهل بيته أو أصدقائه ،
بل كان صلوات الله وسلامه عليه لا

بدره أبو لهب الى الكلام • فقال :
لقد سحركم صاحبكم فتفرقوا ثم
دعاهم فى الغد الى مثل ذلك • ثم
بدرهم بالكلام فقال : يا بنى عبد
المطلب انى أنا النذير اليكم من الله
تعالى والبشير ، قد جئتكم بمالم
يجىء به أحد ، جئتكم بالدنيا
والآخرة ، فأسلموا تسلموا ،
وأطيعوا تهتدوا • ويعلق الامام
الألوسى على هذه الروايات بقوله :
« اذا صح الكل فطريق الجمع أن
يقال بتعدد الانذار » • (١)

ان أشهر الروايات هى ارتقاء
الرسول صلى الله عليه وسلم الصفا ،
وهى أكثرهم جذباً للأنظار • ولكن
الموضوعية التى جعلت الامام
الألوسى يقول : « ان صح الكل
فطريق الجمع أن يقال بتعدد الانذار »
تدفعنى الى القول بأن ما تؤكد
وقائع التاريخ من مباشرة الرسول
صلى الله عليه وسلم —
فى سلوك سبل عديدة فى
الاعلام بالدعوة يجعلنى أكثر ميلاً
الى ترجيح تعدد طرق الاعلام

(١) أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسى : روح المعانى فى تفسير
القرآن العظيم والسبع المثانى ، القاهرة : ادارة الطباعة المنيرية ، الجزء
التاسع عشر ، ص ١٢١ ، ١٢٢ •

يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم أو شرف أو ثقل أو تأثير الا تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده .

الفعل ورد الفعل

برغم أن حديثنا خاص بوسائل الاعلام في عصر النبوة ، الا أن رد الفعل لدى المشركين لم يكن مرتبطا بالمضمون فقط بل وبالوسيلة أيضا . وكان رد الفعل لدى المشركين في جملته ما يمكن أن نطلق عليه بلغة العصر « التشويش » على اعلام الرسول بالدعوة بشتى السبل .

ولقد تواكبت طرق التشويش مع تطور وسائل الاعلام بالدعوة بشكل سافر منذ بداية الطور العلني للدعوة حتى فتح مكة .

في البداية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا الصلاة ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم حتى تقاتلوا .

ولما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة بذكر آلهة المشركين وتسفيه هذه الآلهة ، وتسفيه عقول من يعبدونها من دون الله . كان رد الفعل أن ذهب رجال من أشراف قريش الى أبي طالب قائلين :

يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا ، واما أن تخلق بيننا وبينه فلما اشتدت الدعوة اشتد أسلوب زعماء قريش مع أبي طالب ، ولجأ الكافرون الى وسائل المقاطعة الاقتصادية وتسليط سفهاءهم بإيذاء الرسول وتكذيبه ، ورميه بالشعر والكهانة والجنون .

وقد حاول مشركو مكة وكفارها أن يمنعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الاتصال بالناس لخوفهم من تأثيره عليهم . ولخوف الكفار من التأثير القوي للقرآن فقد حاولوا التشويش عليه أيضا ، ويتحدث القرآن عن محاولتهم « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن

نذير من قبله وهم العرب قاطبة ،
الخامسة : انذار جميع من بلغته
دعوته من الجن والانس الى آخر
الدهر . (١) وهو قول يمس
وسائل الاعلام في عصر النبوة
مسا مباشرا .

وفي مرحلة توجيه الدعوة الى
الدائرة الثالثة من دوائر جمهور
الدعوة نرى أن وسائل الاعلام
أخذت شكل عرض الرسول
— صلى الله عليه وسلم —
للدعوة على القبائل ، والاستفادة
من المواسم للاعلام بالدعوة . وفي
هذا الطور من أطوار الدعوة تمت
الهجرة الى الحبشة ، ثم كانت
الهجرة الى المدينة نتيجة للقاءه
صلى الله عليه وسلم للوفود
واعلامهم بالدعوة . وبنجاح الهجرة
الى المدينة بدأت دولة الاسلام .
وهنا سنجد أن الاعلام المضاد
من الكفار بشتى وسائله لم يكف
عن ملاحقة الاعلام بالدعوة حتى
أن هجرة الحبشة (٢) تشهد جوارا
مصريا ودقيقا بين المهاجرين

والغوا فيه لعلكم تغلبون » .
كما لجأ الكفار الى استخدام
وسائل أخرى للتأثير في الناس
لتكون مضادة لتأثير القرآن عليهم
ينجحون في جذب الناس اليهم ،
فلجأوا الى الشعراء الذين قاموا
بانشاء القصائد الشعرية وسير
الأبطال . الخ . بل انهم ذهبوا
الى أكثر من ذلك فحاولوا تقليد
القرآن نفسه ، وأنزى لهم هذا ! « ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا » . كما
كان لشعراء الكفار دور في هجاء
الرسول والمسلمين والدعوة . لقد
برز دور الشعر الذي أخذ شكل
الدعاية . وكان حسان بن ثابت
شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم
يرد على شعراء الكفار .

الدائرة الثالثة ووسائلها

يقول الامام الحافظ
ابن القيم الجوزية : أن مراتب
الدعوة : المرتبة الأولى :
النبوة ، الثانية : انذار عشيرته
الاقربين ، الثالثة : انذار قومه ،
الرابعة : انذار قوم ما أتاهم من

(١) الامام الحافظ عبد الله بن القيم الجوزية ، زاد المعاد في هدى خير
العباد ، الطبعة الاولى ، القاهرة : مطبعة محمد على صبيح ، ١٣٥٣ هـ
— ١٩٣٤ م ، ص ٢٧ .

(٢) كانت الهجرة الاولى الى الحبشة تضم اثنا عشر رجلا واربع نسوة ثم

يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول : يا بنى فلان ، انى رسول الله اليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بى ، وتصدقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أئين عن الله ما بعثنى به . قال : وخالفه رجل أحول وضىء ، له غديرتان ، عليه حلة عدنية . فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه ، قال ذلك الرجل : يا بنى فلان ، ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلكوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه » .

قال : فقلت لأبى : يا أبت من

المسلمين وبين كفار مكة امام ملك الحبشة ، حاول فيه الكفار ان يوقعوا بين الاسلام والمسيحية ، ولكن صدق المسلمين وصلابتهم وحسن تصرفهم نجاهم من الوقعة ومن وسائل الاعلام في هذه الحلقة أو الدائرة الثالثة من دوائر الاعلام بالدعوة الاستفادة من المواسم ليعرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل (١) أفكان صلوات الله وسلامه عليه يعرض نفسه في المواسم - اذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم الى الله ، ويخبرهم انه نبي مرسل ، ويسألهم ان يصدقوه ويتبعوه .

وتروى كتب السيرة رواية عبد الله بن عبيد الله بن عباس اذ يقول : « انى لغلام شاب مع أبى بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

بلغهم أن قريشا قد اسلمت - وكان هذا الخبر كاذبا - فرجعوا الى مكة فلما بلغهم أن الامر اشد مما كان رجع منهم من رجوع ودخل جماعة فلقوا من قريش اذى شديدا . ثم أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم في الهجرة ثانية الى الحبشة ، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا ، ومن النساء ثمان عشرة امرأة فاقاموا عند النجاشي على احسن حال فبلغ ذلك قريشا فارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير المخزومي في جماعة ليكبدوا لهم عند النجاشي ففشلوا في ذلك .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، الجزء الثانى ، القاهرة : مصطفى البابى الحلبي واولاده ، ١٩٣٦ ، ص ٦٣ .

ابن اسحاق أنه قال : حدثني
الحصين ابن عبد الرحمن بن عمرو
بن سعد بن معاذ عن محمود بن
ليبيد قال : لما قدم أبو الحسير ،
أنس بن رافع ، مكة ومعه فتية من
بنى عبد الأشهل ، فيهم اياس بن
معاذ ، يلتصقون الحلف من قريش
على قومهم من الخزرج ، سمع
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأتاهم فجلس اليهم ، فقال لهم :
هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا
له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله
بعثني الى العباد أدعوهم الى أن
يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ،
وأنزل على الكتاب . قال : ثم ذكر
لهم الاسلام . وتلا عليهم القرآن .
قال : فقال اياس بن معاذ ، وكان
غلاما حدثا : أى قوم هذا والله خير
مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو
الحسير ؟ أنس بن رافع حفنة من
تراب البطحاء ، فضرب بها وجه
اياس بن معاذ وقال : دعنا منك
فلعمري لقد جئنا لغير هذا .

قال : فصمت اياس ، وقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهم ، وانصرفوا الى المدينة ،

هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول؟
قال : هذا عمه عبد العزى بن
عبد المطلب ، أبو لهب .
والى جانب التشويش كرد فعل
مستمر كان رفض بعض الكفار
للدعوة رفضا مردولا . فعندما أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى
حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم الى الله ،
وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد
من العرب أقبح رداً عليه منهم .

وكما كان الرفض كانت المساومة
طريقا فى الرد على اعلام الرسول
صلى الله عليه وسلم بالدعوة . فهذا
بن صعصعة يرد على رسول الله
- صلى الله عليه وسلم -
- ص - بقوله : أرأيت ان نحن
بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله
على من خالفك ، أ يكون لنا الأمر
من بعدك ؟ قال الرسول
- صلى الله عليه وسلم -
الأمر لله يضعه حيث يشاء . فقال
له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك ،
فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ،
لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه .
ويروى ابن هشام فى سيرته عن

وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج •

ولم يكن رسول الله - ص - يعرف اليأس في ابلاغ الدعوة • وكان تكرار الوسيلة في العام التالي فيه خير كثير •

تروى لنا سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم • فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً •

قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : من ائتكم ؟ قالوا : نفر من الخزرج • قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى • فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن • قال : وكان مما صنع الله بهم في الاسلام ،

أن يهودا كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب اوثان ، وكانوا قد غزوههم ببلادهم ، فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا لهم : ان نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه تتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم • فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ، ودعاهم الى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلموا والله انه النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه •

فاجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا : انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فنسندم عليهم ، فندعوهم الى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبتك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا •

ثم كانت بيعة العقبة الثانية وكانت الهجرة ، وكانت بداية

قدم أبو عامر بن مالك (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فعرض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام ودعاه اليه ، فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلا من أصحابك الى أهل نجد ، فدعوه الى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس فى أمرك : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من أصحابه ، من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بيثر معونة (وهى أرض بين بنى عامر وحررة بنى سليم) فلما نزلوها بعثوا واحدا منهم هو حرام بن ملحان بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا ان يجيبوه الى مادعاهم

الدولة الاسلامية فى المدينة • ومن ثم اتخذ الاعلام بالدعوة وسائل جديدة • فأصبحت صورة الاعلام اليومى بالدعوة تتم بتعليم المسلمين الجدد • وأقيم المسجد النبوى حيث بركت ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم • وبدأت وسيلة أخرى من وسائل الاعلام بالدعوة ، هى بعث الوفود •

الاعلاميون الشهداء

قد يرى المتتبع لكل ما سقناه من وسائل الاعلام بالدعوة أن شيئا من الراحة لابد وأن يصيب الداعية والدعاة ببناء الدولة الاسلامية فى المدينة • ولكن تاريخ الدعوة يؤكد أن دعائها لاقوا الشهادة كما لاقاها زملاؤهم فى الغزوات • لقد بدأت وسيلة اعلام جديدة بعد الهجرة هى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وفق تربييات معينة - بعض أصحابه لابلأغ الدعوة • ومستبين هنا ظاهرة الفعل ورد الفعل على مستوى الدائرة الثالثة - وهم جمهور العرب - كما لمسناها على مستوى الدائرة الثانية وهم كفار مكة •

صلاتهم من استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة • حتى أطلق كفار مكة دعايتهم السوداء بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد عاد الى قبه لمتهم وانه سوف يعود الى دينهم •

وكان المنافقون يستغلون ظروف غزوة الخندق ليطلقوا دعايتهم السوداء بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعدهم بملك كسرى وقيصر وها هم لا يستطيعون الخروج من المدينة •

وظل اعلام الدعوة يواجه اساليب الحرب النفسية والدعاية السوداء من اليهود والمنافقين وكفار مكة والعرب ، ويفند ضلالهم حتى كافت الجولة الحاسمة بفتح مكة • وتمثل الفترة من الهجرة الى الفتح أقصى فترات الحرب النفسية والاعلام المضاد • والقرآن الكريم يحوى الكثير من الآيات التى ترد على تساؤلات اليهود الخبيثة وعلى المنافقين والكفار فى هذا الصدد •

وقيل الفتح وتوقيع صلح الحديبية مع كفار مكة بدأت حلقة جديدة من حلقات الاعلام بالدعوة

اليه ، وقالوا : لن نحقر أبا براء ، وقد عقد لهم عقدا وجوارا ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه الى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فاحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى استشهد يوم الخندق •

اعلام الدولة النواة

بنجاح الهجرة الى المدينة بدأت نواة الدولة الاسلامية • وبدأ الاعلام اليومى وبدأ اعلام ارسال واستقبال الوفود أو الافراد •

وبنجاح الهجرة انتقل الصراع بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه المؤمنون من المهاجرين والانصار ، وبين كفار مكة ومن آزرهم من اليهود والكفار والمنافقين الى الصدام المسلح فى صورة الغزوات المتتابعة •

وبنفس القدر أخذ الاعلام المضاد للدعوة صور الحرب النفسية والدعاية السوداء • فما أن نزلت الآية الكريمة بتحول المسلمين فى

يسكن أن نطلق عليها الحلقة العالمية

الرسائل الى الملوك وسيلة أعلام دولي

تبيين مما ترويه كتب السيرة أن صلح الحديبية (١) لم يكن يلقي قبولاً أو حماساً من عامة المسلمين . وأن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم كانت أبعد مما رأى كثير من المسلمين ، بل يمكن القول بعامة المسلمين ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولكن هذا الصلح كان مفتاح تصفية الجيوب اليهودية التي كادت تقتل كل من بقى في المدينة من المسلمين ، عندما تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم متجها الى الحديبية . وكان هذا الصلح أو الاتفاق هو الطريق الى

فتح مكة بغير دمار أو قتال .

يروى الامام الحافظ الجوزية في كتابه زاد المعاد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية كتب الى ملوك الأرض وأرسل اليهم رسله ، فكتب الى ملك الروم ، فقبل له انهم لا يقرؤون كتابا الا اذا كان مختوما . فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر : «مجد» سطر ، و«رسول» سطر ، و « الله » سطر . و ختم به الكتب الى الملوك . وبعث ستة نفر فى يوم واحد من المحرم سنة سبع من الهجرة .

✽ الرسالة الى النجاشى ملك الحبشة حملها عمرو بن أمية الضمري

(١) صلح الحديبية : كان هذا الصلح برغم ما فيه غزوا نفسيا لكفار مكة . وترجع القصة الى خروج النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة من السنة السادسة من الهجرة بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار . فأحرموا بالعمرة من ذى الحليفة فلما وصلوا الحديبية بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه الى مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد زيارة بيت الله الحرام ، ولم يكن قاصدا حربا . فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم . وظن المسلمون انهم قتلوه فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على أن يدخلوا مكة حربا ، فلما بلغ المشركين ذلك اطلقوا سراح سيدنا عثمان . وبدأت مفاوضات الصلح التى كان أبرزها جورا أن من يرجع من المسلمين الى المشركين لا يردوه ، وأن من يأتى الى النبى مسلما يرد الى المشركين . وفى العالم التالى دخل الرسول صلى الله عليه وسلم معتمرا .

والاسلام • ونص الرسالة التي حملها دحية الى هرقل يعبر عن هذا المضمون •

« بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم • »

السلام على من اتبع الهدى •
أما بعد • أسلم تسلم : واسلم
يؤتك الله أجرًا مرتين • وان تقول
فان اثم الأكارين (١) عليك • ويا
أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا
بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا
فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

أما أثر الرسائل فقد كان النجاح
في الاعلام بالدعوة ، بل والحوار
حول الدعوة ذاتها • ولم تكن
الرسائل للملوك رسائل شخصية
وانما كانت موجهة الى رعايا الملوك
من خلال حكاهم •

أما رد الفعل فقد اختلف ممن
وجهت اليهم الرسائل ومن حاشيتهم
لقد كان رد هرقل على دحية قوله

* الرسالة الى قيصر ملك الروم
وأسمه « هرقل » حملها دحية بن
خليفة الكلبي

* الرسالة الى « كسرى » ملك
الفرس حملها عبد الله بن حذافة

* الرسالة الى المقوقس حاكم
مصر واسمه « جريج بن مينا » ملك
الابسكندرية عظيم القبط حملها
حاطب بن أبى بلتعه

* الرسالة الى الحارث بن أبى
الغسانى ملك البلقاء حملها شجاع
بن وهب الأسدي

* الرسالة الى هوزة بن على
الحنفى باليمامة حملها سليط بن
عمرو

هؤلاء السفراء من أصحاب
رسول الله تم اختيارهم لجزء من
المهمة ، فدحية الكلبي الذى حمل
مسئولية لقاء هرقل قيصر الروم
فى ظروف انتصاره على كسرى كان
يتميز بحسن المظهر تميزه بحسن
الايان وحسن الادراك •

أما محتوى الرسائل فكان الدعوة
المباشرة بالايان بالله وحده

(١) « الأكارين » هم الزراع والحراث والمقصود بهم رعية هرقل •

لترجمانه مخاطبا أبا سفيان : قل له
انى سألته كيف نسبه فيكم فزعمت
أنه محض فى أوسطكم نسبا •
وكذلك يأخذ الله النبى إذا أخذه
لا يأخذه الا من أوسط قومه
نسبا • وسألتك هل كان أحد من
أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به
فزعمت أن لا • وسألتك هل كان له
فيكم ملك فاستلبه اياه فجاء بهذا
الحديث يطلب به ملكه ، فزعمت
أن لا • وسألتك عن أتباعه فزعمت
أنهم من الضعفاء والمساكين
والأحداث والنساء • وكذلك أتباع
الأنبياء فى كل زمان • وسألتك
أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم
يزيدون • وكذلك أمر الايمان •
وسألتك عن يتبعه أيجبه ويلزمه
أم يقلبه ويفارقه ، فزعمت أنه لا
يتبعه أحد فيفارقه • وكذلك حلاوة
الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه •
وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا •
وكذلك الرسل لا يغدرون ،

وسألتك بما يأمركم ، فذكرت
أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا
به وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم
بالصلاة وبالصدق والعفاف والصلة

انى أعلم أن صاحبك نبى مرسل ،
وأنه الذى كنا ننتظره ونجده فى
كتابنا ، ولكنى أخاف الروم على
نفسى •

ولقد عاصر أبو سفيان قبل
اسلامه سفارة دحية ، وكان فى
تجارة لقريش الى الشام • وبينما
هو فى غزه اقتاده رجال هرقل
ليقابل ملكهم هو ومن معه لسمع
منهم أخبار النبى •

ويروى أبو سفيان الحادثة وقد
مثلوا أمام هرقل ومعه المترجم
فسألهم من أقربهم نسبا للرجل
الذى يزعم أنه نبى ؟ ، فكان أبو
سفيان • فقال هرقل لحاشيته :
أدنوه • وأقعده بين يديه ، وأقعده
من كانوا معه خلفه • ثم قال انى
سأسأله فان كذب فردوا عليه •
يقول أبو سفيان أنه لو كذب ماردوا
عليه ولكنه تكرم عن الكذب حتى
لا يحفظوا عليه الكذب فيحدثوا به
عنه • ويقول أبو سفيان أنه حاول

أن يقلل فى اجاباته على هرقل من
أمر الرسول ، ولكن هرقل لا يكتفى
بالسؤال تلو السؤال وانما يعيد
الحديث كله ليستوثق ، ويقول

وسطا أو بين بين ، فقد رد المقوقس ردا حسنا ، وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مارية القبطية التي انجبت له ابراهيم وبعض الهدايا الأخرى التي وزعها الرسول على بعض صحابته . أما ملك اليمامة فقد أكرم رسول الرسول برغم أنه لم يسلم - فيما تقول بعض الروايات لم يكن هؤلاء السفراء الستة الذين خرجوا في يوم واحد الى المجتمع الدولي آنذاك هم آخر السفراء من حملة الرسائل للاعلام بالدعوة . فقد حمل رجال آخرون رسائل الى حكام اليمن والبحرين وعمان . وكان من سفراء النبي للاعلام بدعوته أفذاذ من أمثال علي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل

بيان الحقوق والواجبات في خطبة الوداع

وعلى جبل عرفات كانت خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بيانا للحقوق والواجبات في علاقة الفرد بنفسه (أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسكم على طاعته) . وفي علاقته بأسرته (ان

فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبني على ما تحت قدمي هاتين ، وهو نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظن أنه منكم . ولو أني أعلم أني أخلص اليه لتجشمت لقاءه . ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك .

يقول أبو سفيان فلما قال ما قال كثر عنده الصخب ، وارتفعت أصوات الذين حوله من عظماء الروم ، وكثر لغظهم فلا أدري ماذا قالوا . وأمر بنا فأخرجنا . ويقول أبو سفيان أنه خرج يضرب كفا يكف . وهو اذ ذاك على الكفر لم يسلم بعد - على ما صار اليه أمر محمد صلى الله عليه وسلم حتى أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام !

وجملة الروايات في رد فعل هرقل أنه لم يستطع اعلان اسلامه خوفا ممن حوله

وكان رد الفعل عند كسرى هو تمزيق رسالة النبي . وعلى العكس تماما أسلم النجاشي ملك الحبشة على اثر الرسالة - كما تقول بعض الروايات - وكان رد الفعل المصري

علاقة الفرد بالعالم بقوله : « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد كلکم لآدم و آدم من تراب ، ان أكرمکم عند الله أتقاکم ، ان الله علیهم خبیر ، لیس لعربی على عجمی فضل الا بالتقوى ، ألاهل بلغت ؟ اللهم فاشهد .. فليعلم الشاهد الغائب »

وهكذا أصبح الشاهد مسئولاً عن الاعلام بالدعوة ، الشاهد بالمعاصرة ، والشاهد من الأجيال التالية : بالمعرفة والايمان ، كل اليه البلاغ وعليه البلاغ .. والاعلام بالدعوة حركة دائمة متجددة ومعين في نفس الوقت لا ينضب ، وسمع الانسان وبصره وفؤاده عنه مسئول ومسئول .

د. محمد سيد محمد

لنساءکم علیکم حقاً ، ولکم علیهن حق . لکم علیهن ألا یوطئن فرشکم غیرکم ، ولا یدخلن أحداً تکرهونه بیوتکم الا باذنکم ، ولا یأتین بفاحشة مبينة .. الخ) ثم يقول صلى الله عليه وسلم « انما النساء عندکم عوان لا یملکن لأنفسهن شیئاً ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فی النساء واستوصوا بهن خیراً » .

ويحدد علاقة الولد بوالده ، ويحدد الميراث والوصية . وفي علاقة الفرد بالمجتمع (ان دماءکم وأموالکم علیکم حرام) . ثم يعلن أن ربا الجاهلية موضوع ، وأن دماء الجاهلية موضوعة . ثم يحدد

من شاء عيشاً رزقاً يستفيد به

في دينه ثم في دنياه اقبالا

فليظرن الى من فوقه ادبا

وليظرن الى من دونه حالا

في عباب النور

للأستاذ محمد عادل سليمان

وماتت خير النساء « خديجة » ،
وما سمي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا العام « عام الحزن » الا لأنه يعلم ما وراء ذلك من محاولات الكيد والتربص من رؤوس الكفر بدعوة الحق ، ومواقف العناد الصلف أمام مد النور الزاحف الجديد .

وما كان « أبو طالب » ، و « خديجة » رفرفين للنبي .. بل كانا رفرفين للدعوة .. فما كان وما يكون للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتكئ على الخلق ومعه ربه .. « والله يعصمك من الناس » عهد الهى بالعصمة والمنعة ، والحفظ والحماية .

وتوهم أهل الكفر ذلك الجبلين الشامخين .. وأن المسافة بينهم وبين النبي فضاء بلا حراسة ، فبيتوا

في العيون رفرقان .. تكأثان .. على راحتيهما تستريح أثقال الدعوة فلا يتملآن رهقا ، ولا يسأمان ضغوطا .. بل يسعان كل الأعباء صبرا ورحابة .

فهما للدعوة جيلان اشمان يذودان رعونة رياح الكفر أن تحاول اطفاء النور .. وعلى صخراتهما تتكسر كل الأقواس والسهام فشلا وخيبة دون تصويب واصماء .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - بهما قرير العين على دعوة الحق ، فعمه « أبو طالب » سيد بنى هاشم حجاب الشموخ يبين نوح الكفار وشخص النبي . وأم المؤمنين « خديجة » رضى الله عنها سيدة النساء .. شارة الاباء في وجه الرجال .

وفى عام واحد مات « أبو طالب »

آدم عليه السلام .. يصطفون فى
شرف استقبال سيدنا محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم •

ويصل الحبيب المحبوب فى
موكب الملائكة ، وتمتلىء عيون
الرسل والأنبياء من نوره ، وتستقى
أرواحهم من فيضه .. ويؤذن
للصلاة .. ويقف حرس الشرف
جميعا لينالوا شرف المأمومية خلف
امامة الامام الأعظم صلى الله عليه
وسلم ، فيقدمه « جبريل » عليه
السلام ليصلى بالأنبياء والرسل
اماما •

وفى هذا الموقف المهيبة بين يدي
الجليل سبحانه وتعالى .. أكثر من
فقه .. امامة الرسول اقرار
بالفضل .. واذا كان يؤم القوم
أعلمهم .. فامامة الرسول اعتراف
من الأنبياء والمرسلين بأنه صلى الله
عليه وسلم أعلمهم بالله .. واذا كان
الموقف موقف القرب من الله
والمناجاة والصلة فى الصلاة ..
فامامة رسول الله شرف للأنبياء
والرسل به لأنه امامهم فى القرب
ووسيلتهم جميعا الى الله فى المناجاة
والصلة .. وفى هذا دليل على

كل ليلة غدرا » والله يكتب ما
يبتون » •

وكان الله تعالى أراد أن يعلن
حراسته لنيبه ، ويرفع راية الاعجاز
والقهر فى وجه الرفض .. فكانت
ليلة « الاسراء والمعراج » •

ماذا - اذن - فى الاسراء ؟ ..
وماذا - اذن - فى المعراج ؟

رحلة اللمحة بين المسجدين فيها
تلاشى المسافة .. وفى المسجد
الأقصى اعلان الامامة فى هذا
المشهد •

المسجد خاشع فى ذوب النور
المالىء كل فضاء .. أبهاء المسجد
ترقص تحت غلالات النور الأبيض
.. همس الهمس السريانى بذكر
الله .. حركات صلاة جليلة بين
ركوع وسجود •

فجأة .. يصمت الهمس ،
وتسكن الحركة .. يقف الكل ..
يصطف الكل حرس شرف ..
تترقب كل عيون الحرس قدوم
السيد •

فى المسجد الأقصى .. حرس
الشرف جميع الأنبياء والرسل منذ

وتنتهى رحلة اللوحة بين
المسجدين فى تلاشى المكان لتبدأ
رحلة العروج من الأرض الى ما بعد
سدره المنتهى فوق السموات فى
تلاشى الزمان والمكان معا .

وفى كل سماء ترحيب الى
ترحيب سماء .. حتى تجاوز
سموات السموات العلا .. « عند
سدره المنتهى .. عندها جنة
المأوى .. اذ يغشى السدره ما يغشى
.. ما زاغ البصر وما طغى .. لقد
رأى من آيات ربه الكبرى » .

وماذا فى رحلة العروج اذن ؟
جبريل عند مقامه يقف .. « وما منا
الا له مقام معلوم » .. ويمضى
سيدنا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم .. يمضى فوق مقام
جبريل .. يمضى فى عباب النور
الالهى تغشاه سحابات الرحمة
والرضوان .. بلا أين ، ولا بين ،
ولا زمان ، ولا مكان .. بين يدي
ربه خالق الزمان والمكان .. وعاد
النور الثانى الى سجرة الذوب فى
مقام النور الأول « كان الله ولا
شىء معه » .. والتقى المحب

أنهم جميعا لم يدخلوا حضرة
القرب الا عن طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وامامة الرسول للأنبياء
والمرسلين اعلان الهى بالغاء الشرائع
كلها واقرار شريعة الاسلام ،
واشارة الى نسخ جميع النبوات
والرسالات ، وتبعية الرسل والأنبياء
جميعا لسيدنا رسول الله .

وامامة الرسول صلى الله عليه
وسلم للأنبياء والمرسلين فى المسجد
الأقصى اشارة الى تقدمه عليهم
جميعا فى الخلق وان جاء بعدهم
فى الختام .

ففى المرسلين آباؤه وأجداده ..
« اسماعيل وابراهيم » عليهما
السلام ، وفيهم « نوح » أطول
الأنبياء عمرا عليه السلام ، ورسول
الله صلى الله عليه وسلم لما يزل بعد
فى الخمسين .. اذن .. فامامته
لهم اشارة الى سبق الخلق عليهم ،
ووقوفهم جميعا فى مقام المأمومية
خلفه اشارة الى سريان سره صلى
الله عليه وسلم فيهم .. فبه كانوا
رسلا وأنبياء .

وإذا كان الاسراء « لنريه من آياتنا » فى أماكن الأرض المقدسة .. فان المعراج سر الرحلة وروحها، ونقطة الدائرة الحقيقية « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » •

وفى الاسراء شاهد أماكن الأعمال فى الأرض .. فى مدين وسيناء وبيت لحم .. والمسجد الأقصى • لكنه - فى المعراج - شاهد حقائق الأعمال ونتائجها .. اقوام يزرعون ويحصدون .. وأقوام ترضخ رؤوسهم بالحجارة .. وأقوام .. وأقوام .. فى الملأ الأعلى ملكوت كل شيء .. « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء » •

اللهم صل على الجامع المجموع بك عليك .. والداك بك اليك .. من أسريت به فأرى من آياتك .. وعرجت به « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » صلاة وسلاما تليقان بجلالك وجمالك خليه .. وبمقامه العظيم لديك حق قدره العظيم وجاهه العظيم .. آمين •

محمد عادل سليمان

بالمحبوب والطالب بالمطلوب .. « التحيات لله .. والصلوات والطيبات » فيجيبه ربه « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله الله وبركاته » .. وفى هذا الموقف الجمعى يذكر النبى الصالحين .. « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » •

ويودع الله رسوله من الاسرار والأنوار ما لا طمعية فيه لنبى ولا رسول .. اذ رأى ربه بعينى رأسه بلا احاطة ولا حصر ، ولا كيف ولا كم ، ولا فوق ولا تحت ، ولا زمان ولا مكان .. تعالى الله عن الاحاطة والحصر والادراك ، والكيف والكم ، والفوق والتحت والزمان والمكان •

وفرض الله الصلاة فى المعراج اشارة الى فقه العروج فيها من أرض البشرية الى سماء المناجاة الفوقية .. وما كان تردد الرسول بين موسى عليه السلام وربّه تنقلا من مكان الى مكان .. بل هو بين موسى عليه السلام الى مقام التجلى الالهى عليه صلى الله عليه وسلم فى عباب النور •

الشرعية الإسلامية والقانون الإنجليزى

المستشار حسن حسب الله

أن يكون للمسلمين فى أنحاء الارض
امام أو رئيس واحد والبيعة هم قوم
من المؤمنين يخرجون عن سلطان
هذا الامام ويخالفونه الرأى بقوة
السلاح ويسعون لقتاله ولذلك
فرض الله على باقى المؤمنين معاونة
الامام فى قتالهم لأنهم لو تركوا
وشأنهم لعمت الفوضى وساد
الفساد واضطربت أمور المسلمين •
وأركان جريمة البغى ثلاثة :
أولها : أن يكون الحاكم عدلا •

وثانيها : أن يستند الخارجون
عليه الى تأويل معين يسيغ لهم من
وجهة نظرهم هذا الخروج كأن
يدعوا بأن انتخابه لم يكن صحيحا
أو أنه لا يحكم بكتاب الله وسنة
رسوله أو أنه لم يفعل أمرا كان يجب
عليه فعله وهكذا يكون لهم سند
من أصول الحكم الاسلامى وان لم
يكن قويا •

انتهينا فى المقال السابق من
الكلام عن حد شرب الخمر •

وتتكملى فى هذا المقال عن بقية
جرائم الحدود وهى جرائم البغى
والحرابة والردة •

أولا : حد البغى

حد البغى فى الاصطلاح الشرعى
يمكن أن يقابله ما هو معروف حاليا
بالثورة المسلحة ضد الحاكم المسلم
أو الحرب بين دولتين اسلاميتين •

وحد البغى من الحدود الثابتة
بالكتاب لقوله تعالى « وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما
فان بغت احدهما على الأخرى
فقاتلوا التى تبغى حتى تفتى الى أمر
الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل
وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » -
الحجرات ٩

والأصل فى نظام الحكم الاسلامى

أن تكون احداهما باغية على الاخرى
ولذلك أمر المؤمنين بقتال البغاة
وقتلهم وهو ما حدث فعلا بعد ذلك
عندما قاتل الامام على البغاة في وقعة
الجمل وفي وقعة صفين وقام بقتالهم
معه أجلاء الصحابة رضوان الله
عليهم *

ولا يمنع تفرق المسلمين اليوم
الى عدة دول وممالك بكل منها امام
أو رئيس من تطبيق حد البغى
فواجب الدول الاسلامية أن تجتمع
لتقاتل البغاة أينما كانوا وفي أية
صورة كانوا فلو أخذت احدى
الدول الاسلامية مثلاً بالنظام
الشيوعي لوجب على باقى الدول
الاسلامية قتالها وقتل البغاة فيها اذا
لم يعودوا الى حكم الاسلام *

ثانيا : حد الحرابة او قطع الطريق

وحد الحرابة في الاصطلاح
الشرعى يقابله ما هو معروف حاليا
في قوانين العقوبات بالاتفاق
الجنائى *

وحد الحرابة ثابت بالكتاب
لقوله تعالى « انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا

وثالثها : أن تكون لهم قوة
يجتمعون عليها فان لم تكن لهم قوة
أو كانت لهم قوة ولكن حاولوا
الاعتداء فرادى غير مجتمعين فانهم
لا يعتبرون بغاة ويحاسب كل منهم
على ما صدر منه من أفعال *

ويرى بعض الفقهاء اضافة ركن
رابع هو أن يبدأوا بالقتال والاعتداء
فان لم يبدأوا بالقتال فلا يعتبرون
من البغاة ولكن جمهور الفقهاء
يرون أنهم متى خرجوا للقتال
واعتموه فلا ينتظر الامام حتى
يقاتلوه وعليه أن يبدأ هو بقتالهم
وقتلهم وهو ما نرى الاخذ به *

فمتى توافرت هذه الشروط فان
الجريمة تكون تامة ويعاقب
مرتكبوها بالقتل *

وهذا الحد القصد منه العمل على
صيانة المجتمع الاسلامى من التفكك
والخصام والاندفاع تحت أية نزوات
أو آراء تصدر نتيجة التعصب
والحماس قبل الثبوت والتيقن
فالقرآن الكريم في هذا التشريع
افترض امكان وقوع القتال بين
حائقتين من المؤمنين مع احتفاظ كلتا
الطائفتين بصفة الايمان ومع احتمال

أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » - المائدة ٣٣ •

ان الشريعة الإسلامية مليئة بالأحكام المتعلقة بحماية النفس وحماية المال وصيانة النظام وكل ما يكفل تحقيق الاستقرار والطمأنينة والعدالة ولذلك فرضت العقوبات الرادعة لمنع أى اعتداء على النفس أو المال أو نظام الحكم الإسلامى ومن أقوى الحدود للمحافظة على ذلك حد الحراية •

وقد أخذ اسم الحراية من وصف الله تعالى لهؤلاء المعتدين بأنهم يحاربون الله ورسوله ، وذلك باعتدائهم على شريعة الله وعلى أمن المسلمين •

وقد اختلف الفقهاء في تعريف الحراية •

فذهب الحنفية الى أن الحراية أو قطع الطريق هى الخروج على المارة لأخذ المال على سبيل المغالبة على وجه يمنع المارة من المرور ويقطع الطريق سواء كان من جماعة أم من واحد وسواء أكان القطع بسلاح

أم بغيره من العصا والحجر ونحوها وسواء أكان بمباشرة الكل أم بمباشرة البعض واعانة البعض الآخر (مثلا البعض يراقب الطريق والبعض يياشر العدوان وهكذا) ويشترط الامام أبو حنيفة فى المكان الذى تقع فيه الجريمة أن يكون خارج العمران بعيدا عن الناس ولا تأخذ هذه الجريمة هذا الوصف اذا وقعت داخل القرية أو المدينة وشاركه فى ذلك أكثر فقهاء الشيعة وخالفه فى ذلك تلميذه أبو يوسف فقرر أن العبرة بإمكان طلب الغوث ولذلك ذهب الى أن قطع الطريق يتحقق فى القرية والمدينة اذا كان المعتدون فى مكان لا يمكن فيه أجابة المستغيث •

وقد أخذ الامام الشافعى برأى أبى يوسف فنظر الى قرب الغوث فقط بصرف النظر عن المكان وقضى بإمكان وقوع قطع الطريق فى القرية والمدينة •

وأخذ الامام أحمد بقول أبى حنيفة •

أما الامام مالك فقد توسع فى معنى الحراية حتى يشمل المعنى كل

لمعاقبة جميع أفرادها بحد الحرابة ولو لم تبدأ نشاطها الاجرامى •

ويشترط لاقامة الحد على المحارب أن يكون بالغاً وعاقلاً لأن ذلك شرط لاقامة الحدود وقد تفرع عن ذلك خلاف بين الفقهاء فيما اذا كان بين المحاربين صبية أو مجانين هل يسقط حد الحرابة عن جميع المحاربين تبعاً لذلك أم يقتصر العفو عن الصبية والمجانين وحدهم ؟

ذهب الحنفية الى سقوط حد الحرابة عن الجميع لأن هذه الجريمة هى تعاون على الاثم فاذا سقط الحد عن بعض المتعاونين سقط عن باقيهم لان العفو يسرى الى كل أجزاء الجريمة •

أما الامام مالك فقد ذهب الى منع سقوط الحد عن غير الصبية والمجانين فلا يستفيد باقى المحاربين من ذلك لأن هذه الجريمة اعتداء مباشر على الله وعلى جماعة المسلمين وحتى يتوافر الأمن للأمة الاسلامية •

ونرى الأخذ برأى الامام مالك والا استطاع المحاربون الافلات من العقاب باصطحابهم بعض الصبية أو المجانين معهم •

الجرائم وكل الاماكن حتى المنازل نفسها فى القرى والمدن فاذا دخل السارق الدار مسلحاً أو قتل القاتل ضحيته غيلة فان هذا السارق وهذا القاتل يدخلان فى المحاربين فيعاقب هذا السارق المسلح بحد الحرابة وليس بحد السرقة فقط فالامام مالك ينظر الى معنى العنف والغلبة الشخصية بالنسبة للجاني على المجنى عليه فان كان المجنى عليه لا يستطيع دفع الجاني كان الجاني محارباً •

ونرى الأخذ برأى الامام مالك خاصة بعد أن تفشت ظاهرة السرقة بالاكراه وخطف الفتيات فى رابعة النهار وفى عواصم الدول ونشطت عصابات اللصوص والمنظمات الارهابية فى ارتكاب جرائمها فى كل مكان •

ولا يشترط لتوافر أركان حد الحرابة أن تتم جرائم الاعتداء على النفس أو المال أو العرض فعلاً وانما يكفى فى ذلك أن يجتمع نفر من الناس لهم منعة وقوة ويتفقوا فيما بينهم على ارتكاب هذه الجرائم ليتعاقبوا بحد الحرابة وبذلك يكفى تكوين أية عصابة أو منظمة ارهابية

ونرى الأخذ بمذهب امام مالك الذى يعتبر كل من يخرج على النظام العام لارتكاب الجرائم محاربا لله ورسوله مادامت عنده قدرة على الارهاب والتخويف أيا كان نوع هذه القدرة وأيا كانت الجرائم المرتكبة فلا يقتصر الأمر على جريمة دون جريمة حيث لم يذكر فى النص القرآنى جريمتى القتل والسرقة بالنص •

وقد اختلف الفقهاء كذلك فى تعريف عقوبة النفى من الأرض فذهب البعض الى أن النفى هو الابعاد من البلاد الاسلامية حتى يلتحقوا بدار الحرب •

وذهب مالك والشافعية والحنابلة الى أن النفى يتم بابعاده عن البلد الذى ارتكب فيه الجريمة وحسبه فى المكان الذى أبعد اليه • أما أبو حنيفة فقد ذهب الى أن النفى يتم بالحبس ولو فى البلد الذى ارتكب حوله جرائمه • ونرى الأخذ برأى الامام مالك حيث ان فى الاخذ به ابعاد للمحارب عن أعوانه فى بلدة وتحقيق للطمأنينة للمجنى عليهم بمعرفتهم بابعاد الجانى من بلدهم •

وعقوبة المحاربين كما وردت فى النص القرآنى « • • أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » صارت محل خلاف نتيجة التعبير بحرف « أو » ونتيجة هذا التنويع فى العقاب •

فذهب ابن عباس وبعض الصحابة الى أنهم اذا قتلوا فقط قتلوا واذا سرقوا فقط قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف واذا أفرعوا الناس فقط عوقبوا بالنفى واذا قتلوا وسرقوا قتلوا وصلبوا وبهذا أخذ أبو حنيفة والشافعى وأحمد رضى الله عنهم •

وذهب الامام مالك الى أن الامام حر فى اختيار العقوبة الملائمة وأن « أو » فى النص القرآنى للتخيير وأن الله تعالى جعل هذا العقاب على جريمة الحراية فى ذاتها بصرف النظر عن نوع الجرائم التى تقع من المحاربين فسبب العقوبة واحد وهو ذات الحراية التى هى التخويف والارهاب وليست الجرائم التى ارتكبوها فعلا والتى قد يكون من بينها الزنى •

أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » — البقرة ٢١٧ •

والجبوط مأخوذ من حبطت الناقة أى أكلت من مرعى خبيث فاتفخت ثم ماتت (نفقت) •

وأثبتت السنة عقوبة هذه الجريمة وهى القتل ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه » وقوله « لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفى رواية أخرى « لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير نفس » — كذلك قاتل أبو بكر الصديق المرتدين وقتل منهم من قتل وعاونه فى القتال كل الصحابة فكان ذلك اجماعا منهم على قتل المرتد •

والمرتد هو المسلم الذى يخرج من دين الاسلام سواء دخل فى دين سماوى آخر كاليهودية أو النصرانية أو دخل فى دين غير سماوى كالבודהية مثلا أو لم يدخل فى أى دين على

وتبعاً لمذهب الامام مالك فالى جانب العقاب بحد الحرابة يعاقب المحاربون بالحدود المقررة لكل جريمة ارتكبوها على حدة وذلك لأن جريمة الحرابة جريمة مستقلة عن هذه الجرائم وهو ما نرى الأخذ به •

وقد استثنى النص القرآنى من اقامة الحد بالعقوبات المنصوص عليها فيه من يتوبون قبل القبض عليهم وذلك لقوله تعالى « الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » — المائدة ٣٤ •

ويشترط فى التوبة المسقطه لاقامة حد الحرابة أن تتم قبل ارتكاب أية جريمة غير جريمة الحرابة فلم يقتلوا ولم يسرقوا ولم يزنا بل عادوا الى رشدهم وألقوا بسلاحهم ونقضوا اتفاقهم قبل أن يتغلب ولى الامر عليهم •

ثالثا : حد الردة

حد الردة ثبت بالكتاب والسنة • فالقرآن الكريم أثبت الجريمة لقوله تعالى « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت

الاطلاق واكتفى بخروجه من دين الاسلام فجريمة الردة تتوافر بمجرد الخروج عن الاسلام •

وحتى يحكم بالردة فلا بد من مظاهر تدل على ذلك ولا بد أن تكون هذه المظاهر قاطعة في خروج المرتد من الاسلام لأن عقوبة الردة شديدة وقاسية ولا يمكن تداركها بعد تنفيذها •

ولذلك اتفق العلماء على أنه لا يعتبر المسلم مرتدا اذا فعل فعلا أو قال قولا يحتمل الكفر ويحتمل غيره وروى عن الامام على - كرم الله وجهه - أنه قال « اذا قال كلمة تحتمل الكفر من مائة وجه وتحتمل الايمان من وجه فانه لا يحكم بالكفر » •

وقد عدد العلماء من الأعمال والاقوال التي تدل على الكفر ما يلي :

١ - سب النبي صلى الله عليه وسلم •

٢ - انكار المحرمات الثابتة بدليل قطعى لا شبهة فيه كمن ينكر تحريم الخنزير أو تحريم الربا

أو تحريم الزنى - وهناك فرق بين انكار تحريم هذه المحرمات واتيانها • فانه اذا أنكر التحريم اعتبر مرتدا وكافرا أما ان سلم بالتحريم ولكن أتاها فانه يكون مسلما عاصيا فقط •

٣ - انكار العبادات الأربع وهى الصلاة والزكاة والصوم والحج أو أية عبادة منها أو انكار ما هو معروف منها بالضرورة كانكار أن الصلوات خمس أو انكار عدد ركعات الصلاة •

٤ - انكار أمر من أمور العقيدة الاسلامية متى كان ثابتا بدليل قطعى لا شبهة فيه كانكار أن القرآن الكريم من عند الله أو الاشراف بالله تعالى أو انكار ربوبيته ووحدانيته أو صفة من صفاته •

وقد اختلف الفقهاء فى أمر من يترك الصلاة تركا تاما فذهب الامام أحمد رضى الله عنه الى أنه يعتبر مرتدا سواء كان منكرا أو جاحدا لها أو غير منكر لفرضها لأن الصلاة

تخرج في الحرب ضد المسلمين فأولى ألا تقتل إذا ارتدت بعد اسلامها خاصة وأن المرأة لا حول لها ولا قوة وأنه يمكن دفع ضررها بحبسها •

وخالف الامام أبو حنيفة باقى الأئمة مالك والشافعى وأحمد فقالوا يقتل المرتد سواء كان رجلا أو امرأة وروى ذلك عن أبى بكر وعلى رضى الله عنهما وحجتهم فى ذلك أن المرأة مكلفة وتدخل فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه » كما أنها داخله فى عموم الحديث المتفق عليه من أن التارك لدينه يقتل وأنه لا يصح الاحتجاج بعدم اباحة قتلها فى الحرب لأن قتال النساء لم يكن معتادا عند العرب والاسلام لا يبيح القتل فى الميدان الا فى أضيق الحدود وليست المرأة هى المستثناة فقط من القتل فى الميدان وانما يستثنى أيضا الشيوخ والعمال الذين لا يقاتلون ومع ذلك فاذا ارتد أحد هؤلاء بعد اسلامه فانه يقام عليه حد الردة ويقتل • ونرى أن هذا رأى هو الأرجح وأن ردة

عماد الدين وتركه لها دليل على الاستهانة بأحكامه وذلك يعتبر بابا من أبواب الجحود والانكار •

أما باقى الأئمة فلم يأخذوا بهذا رأى الذى انفرد به الامام أحمد واشتروطوا أن يكون تارك الصلاة فى هذه الحالة منكرا لها جاحدا لفرضها فلا يكفى مجرد الترك التام تكاسلا للحكم بالردة والكفر •

ويشترط فى المرتد ليقام عليه حد الردة أن يكون بالغواعقلا فلا يكفى أن يكون صبييا مميذا وان كان الصبى المميز يقبل اسلامه الا أنه لا يحسب عليه كفره بعد ذلك مادام لم يصل الى سن البلوغ •

وقد اختلف الفقهاء أيضا فى عقوبة المرأة المرتدة بينما أجمعوا على وجوب قتل الرجل المرتد • فذهب الامام أبو حنيفة وأصحابه الى أن المرأة المرتدة لا تقتل وانما تحمل على التوبة وان اقتضى الامر اكرامها بالحبس حتى تتوب واستندوا فى ذلك الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل المرأة فى الحرب فاذا كانت لا تقتل وهى كافرة أصلا عندما

اليأس من الاستجابة لها فحينئذ
يجب اقامة الحد بالقتل •

والذى نراه هو الأخذ بما روى
عن عمر رضى الله عنه من أنه قال ان
تاب ففى الحال والا قتل •

كذلك اختلف الفقهاء فى تكرار
الردة وتكرار التوبة فذهب الامام
مالك الى أنه لا يستتاب من تكررت
ردته لأنه بذلك يكون قد اتخذ دين
الله هزوا وأثبت أن توبته الأولى
كانت عن نفاق ولم تكن عن صلاح
وايمان •

أما الامام الشافعى فيرى أن
المرتد يستتاب دائما لأن الأمر
بالاستتابة عام فى كل الاحوال
لا فرق بين مرتد عائد ومرتد مبتدىء
وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان
يعلم أمر المنافقين ولكنه لم يقتلهم
وهذا هو الرأى الراجح •

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام
عن جرائم الحدود ونبدأ الكلام عن
جرائم القصاص وجرائم التعزير فى
أعداد قادمة ان شاء الله •

حسن حسب الله

المرأة كردة الرجل سواء بسواء
فكلاهما عبث بأحكام الدين وكلاهما
له نفس الأثر من الفساد •

وقد اختلف الفقهاء أيضا فى وقت
تنفيذ العقوبة •

فذهب البعض الى أنه متى ثبتت
الردة وجب القتل على المرتد حتى
أنه لو قتله شخص قبل اقامة الحد
عليه لا يقتل به لأنه بالردة أصبح
دمه غير معصوم اذ الردة جعلت دمه
حلالا •

وذهب الامام مالك والأمام أبو
حنيفة الى أنه لا يقام عليه الحد
ولا يقتل الا بعد أن تعرض عليه
التوبة واختلفوا فى المهلة التى تمنح
له فى هذه الحالة فحددها مالك وأبو
حنيفة بثلاث ليال وذهب الزهرى
الى أن المرتد يدعى للتوبة ثلاث
مرات من غير التزام أن تكون فى
ثلاثة أيام وذهب ابراهيم النخعى
الى أن التوبة لا تحدد بمرة أو ثلاث
مرات ولا بيوم أو ثلاثة وانما
يجب تكرار التوبة حتى اذا ما كان

شوقي ديوان العربية

للدكتور سعد ظلام

وأقبل عليه وقرأ فيه بشغف ،
وتأثر بالبارودي الذي كان يهز
الدنيا من حوله هزاً عنيفاً ، ثم
أرسل في بعثة الى « باريس »
لدراسة الحقوق فنهل من الثقافة
العربية المتنوعة ما شاء له أن ينهل .
ولما عاد التحق بوظيفة في القصر .

قال الشعر في بواكير حياته ،
ولكن احسان الخديوى اليه قيده
بقيود حريرية ، ومن وجد الاحسان
قيداً تقيداً كما يقولون ، فكان
شاعر الامير وشاعر القصر ، وكان
يقول :

« أنا فيه القريض والشعراء » (٢)

أحمد شوقي فخر مصر
والشرق (١) ، أمير الشعراء ،
وديوان العربية ، وسفرها الخالد ،
وحادى العروبة في مواكبها الزاحفة
الى الحرية والاستقلال

ولد شوقي في السادس عشر من
اكتوبر سنة ١٨٧٠ على أرجح
الآراء ، وتوفي في الرابع عشر من
شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ فيكون قد
عاش اثنين وستين عاماً الا يومين
اثنين (٣) .

كان شوقي موهبة فذة ،
تربى في قصر الخديوى ، وتعلم
بالمدارس المصرية ، أحب الأدب

(١) الدكتور زكى مبارك زهر الاداب مقدمة الجزء الاول ، مطبعة
السعادة سنة ١٩٥٣ القاهرة ص ٨ (٢) احمد شوقي شاعر الوطنية
للاستاذ احمد زكى عبد الحليم طبعة اولى سنة ١٩٥٨ المطبعة
التجارية ببغروت ص ٨ (٣) من قصيدة شوقي « همت الفلك
واحتواها الماء » .

وعارض أبا اسحاق الحصري
 في قصيدته « يا ليل الصب متى
 غده » بقصيدته :
 مضناك جفاه مرقده
 وبكاه ورحم عوده
 وعارض المتنبي في قصيدته
 البائية التي مدح فيها كافورا
 الأخشيدي والتي مطلعها :
 اغالب فيك الشوق والشوق اغلب
 واعجب من ذا البحر والبحر اعجب
 وتمثل روح البارودي في
 شعره .

ولكن محاكاته للأقدمين كانت
 تعنى أمرا واحدا هو لفت الأنظار
 اليه واطهار قدرته وتفوقه ، وكان
 يقصد الى معارضة القصائد
 المشهورة للشعراء الفحول .
 ثم استقل فنيا بعد أن عطف
 الأذهان اليه بشخصيته المتميزة
 وقاموسه اللغوي . وقد قال شوقي
 في مختلف الفنون والأغراض
 الشعرية .

ومن شعره في الغزل قوله في
 مثيبيه :

لم تبق منى يا فؤاد بقية
 لفتوة أو فضلة لعراك
 كنا اذا صفقت نستبق الخطى
 ونشد شد العصبة الفتاك
 واليوم توقظ في حين تهزنى
 ما يوقظ الناقوس فى النسك

وقد حدث أن الخديوى أراد
 فى مغامرة أن يجمع القوى الوطنية
 من حوله ليرهب الانجليز ، ولكن
 خاب أمله فتهاوى عن العرش ،
 وعزل ، ولكون شوقي يحارب
 الانجليز سرا قرروا تقيفه الى
 « الاندلس » اسبانيا فى اغسطس
 سنة ١٩١٥ وعاد فى فبراير سنة
 ١٩٢٠ وهو شاعر الشعب بعد أن
 تخلص من قيود القصر .

حاكى شوقي الأقدمين فى مراحل
 الشعرية المبكرة ، تفوق عليهم ،
 وامتاز بصوره الشعرية الأنيقة التى
 تحمل شفافية حسه الرهيف .

وقد عارض البوصيرى فى
 « نهج البردة » ووقف أمام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ليناجيه فيقول فى أدب وخشوع :

يا أحمد الخير لى جاه بتسميتى
 وكيف لا يتسامى بالرسول سمي
 المادحون وأرباب الهوى تبع
 لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
 مديحهم فيك حب خالص وهوى
 وصادق الحب يملأ صادق الكلم

الله يشهد انى لا اعارضه
 من ذا يعارض صوب العارض الفرم
 وانما انا بعض الفباطين له
 ومن يبطى وليك لا يذم ولا يلم
 هذا مقام من الرحمن مقتبس
 ترمى فصاحته سحبان بالبيكم

وقد صفى « بردى » للريح فابتدرت
لدى ستور حواشيهن افئنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال .. ولا
جفت من الماء اذ يبال و اردان
خلفت « لبنان » جنات النعيم .. وما
نبئت أن طريق الخلد « لبنان »

ومن أروع قصائده الواصفة ،
قصيدة « النيل » :

وقد اخترع ميدانا فى الوصف
لم يسبق اليه ، وهو وصف
الحضارة الانسانية فكتب فيها
قصائده « توت عنخ آمون »
و « أبو الهول » و « أنس
الوجود » و « فى سفح الهرم »
و « الى النيل » .

ومن أروع قصائد الشعر العربى
فى الحضارة الانسانية « السينية »
التي عارض فيها « سينية البحرى »
فى وصف « ايوان كسرى » فقد
زار شوقى وهو فى « الأندلس »
آثار الاسلام فى أشبيلية «
و « غرناطة » و « قرطبة »
و « طليطلة » و وصف ثراءها
الحضارى والانسانى وجمالها
وروعتها من خلال نظرة حزينة
وشعور ذاتى أسيف ، وصور
فيها غربته وحنينه الى الوطن .

وقد كان دائم التردد لهذه
الآيات • التي يحس فيها بأسفه
على الشباب الضائع بعد أن أشرف
على الستين •

وقوله من قصيدة « لبنان » :

دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل
فأتيت دون طريقه فزحمته
فازور غضبانا وأعرض نافرا
حال من الفيد الملاح عرفته
فصرفت تلعبى الى اترا به
وزعمتهن لبانتى فاغرته
فمشى الى .. وليس أول جـؤذر
وقعت عليه حبائلى فقنصته
قد جاء من سحر الجفون فصادنى
واتيت من سحر البيان فصدته

وان كان غزله فى أغلب
الأحيان مصنوعا ، لا يمثل عاطفة
مشتعلة بقدر ما يمثل غنائية
جميلة •

وقال فى الوصف :

وشعره الوصفى يمتاز بصورة
الجميلة التي يؤلفها خياله الرشيق،
فتجىء مليئة بالظلال والأضواء
والألوان ، فيها حيوية الحركة ،
ونبض الحياة ، يقول فى « زحلة »

وربوة الواد فى جلاب راقصة
الساق كاسية والنحر عريان
واقبلت بالنبات الارض مختلفا
افوافه فهو اصباغ والوان
والطير تصدح من خلف العيون بها
وللعيون كما للطير الحان

ولذلك كان شعره الوطني صادقا
مؤثرا .

يقول من سينيته :

يا ابنة اليم ما أبوك بخيل
ما لك مولعا بمنع وجس
احرام على بلبله الدو
ح .. حلال للطير من كل جنس
وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعنى اليه فى الخلد نفسى
وهفا بالفؤاد فى سلسبيل
ظمأ للسواد من « عين شمس »
شهد الله لم يقب عن جفونى
لحظة ساعة ولم يخب حسى

وقال فى الفخر مخاطبا الخديوى :

كرهت الذى قى راحتك وشاقنى
جوائز عند الله مبتقيات
ومن يك مثلى « أحمد الوقت » لم تجز
عليه ولو من مثلك الصدقات
ولى درر الاخلاق فى المدح والهوى
« وللمتنبى » درة .. وحصاة

وقال فى الوطنية :

وشعره الوطنى هتاف البعث
واليقظة ، وقيارة الكفاح والنضال
يقول فى حب مصر :

احبك مصر من اعماق قلبى
وجبك فى صميم القلب نام
سيجمنى بك التاريخ يوما
اذا ظهر الكرام على اللثام
لاجلك رحت بالدينا شقيقا
اصد الوجه والدينا امامى
وانظر جنحة فارى ذئابا
فيصرفنى الابهاء عن الزحام
وهبتك غير هباب يراعى
اشد على العدو من الحسام

يقول شوقي فى وصف جامع
قرطبة :

وكان الآيات فى جانبيه
يتنزلن من معارج قدس
منبر تحت « منذر » من جلال
لم يزل يكتسيه أو تحت « قس »
ومكان الكتاب يفيريك ربا
ورده غائبا .. فتدندنو للمس
وقال فى الدين :

وقصائده فى هذا الجانب تمتاز
بصدق الاحساس وصدق التعبير ،
فعاطفته الدينية قوية صادقة ، وهو
فى هذه القصائد يدافع عن الدين
دفاعا حارا ويتخذ من موهبته
فى المحاماة وسيلة للدفاع عن
الاسلام ، فهو يرد على من قال ان
الاسلام انتشر بالسيف :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل .. وتضليل احلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لا اتى لك عفوا كل ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعمم (١)
والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرا .. وان تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية القراء كم شربت
بالصاب .. من شهوات الظالم القلم (٢)

وقال فى الحنين الى الوطن :

واحساسه الوطنى صادق قوى ،

(١) العمم اسم جمع للعامة (٢) القلم الهائج الشائر .

ويقول مخاطبا اللورد كرومر :

فرعون قبلك كان أعظم سطوة
واعز بين المالين قبلا
اليوم أخلفت الوعود حكومة
كنا نظن عهدا الانجيلا
دخلت على حكم الوداد وشرعه
مصر .. فكانت كالسلال دخولا (١)
هدمت معالمها وهدت ركنها
واضاعت استقلالها المامولا

هاجم شوقى الاحتلال والمعتمد
البريطانى وأعوان الاحتلال * يقول
مهاجما « رياض باشا » الذى ردد
أقوال كرومر فى أن الاحتلال نعمة
على مصر والمصريين *

غمرت القوم اطراء وحمدا
وهم غمروك بالنعم الجسام
داوا بالاس انفسك بالثريا
فكيف اليوم اصبح فى الرغام
لهجت بالاحتلال .. وما أتاه
وجرحك منه - لو احسست - دام

ويخاطب « دنشواى » فى
ذكرها الأولى للحادثة المشؤمة :
كيف الارامل فيك بعد رجالها
وبأى حال اصبح الاتهام
عشرون بيتا افقرت .. وانتابها
بعد البشاشة وحشة وظلام
« نيرون » لو ادرت عهد « كرومر »
لعرفت كيف تنفذ الاحكام

وحمل على « فتحى زغلول »
أحد أعضاء المحاكمة ، ولم تمنعه
مكاته الأدبية والعلمية ولا مكاته
من سعد زغلول أن يكتب اليه

بمناسبة ترقيته وكيلا للحقانية
يقول :

اذا ما جمعتم أمركم وهممتم
بتقديم شئ للوكيل ثمين
خذوا جبل مشنوق بغير جريرة
وسروال مجلود وقيد سجين

ويسمع بأنباء ثورة سنة ١٩١٩
وهو فى المنفى ، فيثب فرحا ،
ويباركها بقصيدة من أجل عيون
الشعر العربى كله يقول :

يوم البطولة لو شهدت نهاره
لنظمت للاجيال ما لم ينظم
لولا عوادى النفى أو عقباته
والنفى حال من عذاب جهنم
لجمعت الوان الحوادث صورة
مثلت فيها صورة المستسلم
وحكى فيها النيل كاظم غيظه
وحكىته متفيظا لم ينظم

وعاد شوقى من المنفى فى فبراير
سنة ١٩٢٠ ليعطى روحه وكيانه كله
للوطن ، عاد وهو شاعر الشعب
يشاركه فى كل معاركه الاقتصادية
والاجتماعية والوطنية ، فهتف
للدستور ، ولدار النيابة والبرلمان ،
ونظم لمشروع ملنر ، وذكرى ١٢
فبراير ، ومناصرة الوفد ، وتثال
نهضة مصر ، واشترك فى توجيه
الحركة الوطنية كلها بقصائده
الفصاح ، ورثى زعماءها : مصطفى

وقد ابتكر شوقى فنونا شعرية
لا عهد للعربية بها •

فقد حاكى « لافونتين » فأجرى
الشعر على لسان الحيوان ، وقدم
لنا المسرحية الشعرية بتقاليدها
ومقوماتها الفنية فى شعر نظيم ،
وقد كانت قبله تتعثر فى ذبول
العامية والزجل والشعر ، ففتح بذلك
صفحة جديدة للشعر العربى ،
وقدم سفرا جديدا فى ديوان
العربية الخالد •

وقدم المنظومة التاريخية الطويلة
فى قصيدته :

همت الفلك واحتواها الماء
وحداها بمن تقل الرجاء
والتي مثل بهامصر فى المؤتمر
الشرقى فى جنيف فى سبتمبر
سنة ١٨٩٤ • ويذهب البعض الى
تسميتها بالملحمة لطولها •

وكتب للأطفال شعرا كثيرا ومن
ذلك قصائده التى كتبها الى ابنته
أمنية •

لقد خدم شوقى بشعره الأدب
والتاريخ والوطن والعروبة
والاسلام ، وأهدى الى اللغة العربية
والى المسرح العربى روايات كان

كامل ، ومحمد فريد ، وسعد
زغلول • ومجسد دورهم البطولى
العظيم ، وقال فى نهضة الأزهر
قصيدة جميلة وفى المسال •
يقول فى الدستور :

الامر شورى لا بيعت مسلط
فيه .. ولا يطفى به جيل
عهد من الشورى الظليلة نضرت
أصاله واخضلت الاسحار
نجنى البلاد به ثمار جهودها
ولكل جهد فى الحياة ثم
ويقول فى مجلس النواب :

بنان اقوام مشوا بسلاحهم
وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من التل الخضب حائط
ومن الشائق والسجون جدار
وفى الجانب القومى شارك
شوقى العروبة كلها يقظتها وتطلعها
الى الحرية ، وهتف معها بكل
جوارحه • قال فى السودان
وسورية ، وعمر المختار قائد
الكفاح الليبى الذى صلبه
الاستعمار الايطالى •

يقول للسودان :

ولن نرتضى أن تقيد القناة
وبتير من مصر سودانها
وحجتنا فيهما كالصباح
وليس بمعيك تبيانها
فمصر الرياض وسودانها
عيون الرياض وخلصانها
تتم مصر يتابعها
كما تم العين انسانها

شرفت مصر بالشموس من الشر
ق نجوم البيان من أعيانه
لست أنسى يدا لأخوان صدق
منحونى جزاء ما لم اعانه
رب سامى البيان نبه شانى
انا اسمو الى نباهة شأنه
كان بالسبق والميادين اولى
لو جرى الحظ فى سواء عنانه
وتر فى اللهسة ما للمفنى
من يد فى صفائه وليانه

وفى ٢١ يوليو سنة ١٩٣٢ مات
حافظ ابراهيم فرثاه شوقى بقوله :

قد كنت اوتر ان تقول رئائى
يا منصف الموتى من الاحياء
لكن سبقت وكل طول سلامة
قدر .. وكل منية بقضاء

وبعد أن فرغ شوقى من القاء
قصيدته تمثل بقول جرير فى رثاء
الفرزدق ، فقال :

« والله ان بقائى بعده لقليل » •

وفى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٢
صمت هذا الكمان الساحر صمته
الأبدية ، وهذا القيثارة هداة الموت
واستسلم وأسلم روحه الى السماء •

د. سعد ظلام

فيها المبتكر الأول لهذا النوع فى
الشرق ، وبرهن بمجهوده على أن
اللغة العربية - كما عرفت فى
مختلف العصور - لغة العلم والأدب
والفلسفة والفن الرفيع ولغة التمدن
ولغة الحضارة على مدى الأجيال •

وقد بايعه شعراء العربية بامارة
الشعر فى مؤتمر عقد فى ٢٩ ابريل
سنة ١٩٢٧ ، وتوجوه أميرا للشعراء،
ووقف حافظ ابراهيم صديقه
ومنافسه الأول يقول فى هذا
الحفل :

امير القوافى قد آتيت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

ووقف محمد توفيق دياب لينشد
قصيدة شوقى التى يشكر فيها
للشعراء وفاءهم وجبهم له •
يقول فى تواضع عظيم :

الحرب في الإسلام

عقبـسـرطة / عبد الحكيم عباس خالد

تمهيد :

الانسان منذ نشأة الحياة ، وتاريخ البشرية حافل بالصراعات والحروب لأسباب مختلفة : اجتماعية أو اقتصادية أو قومية أو نفسية أو عقائدية أو سياسية ، حتى أصبحت الحرب صفة لازمة للتاريخ الانساني .

وتركت أهوال الحروب عبر التاريخ آثارها واضحة جلية ، نثـنـ من ضراوتها حقب ذلك التاريخ ، وتتلطخ صفحاته بدماء الضحايا الأبرياء .

كما اكتسبت الحرب زيادة في الأهمية ، مع ظهور الجماعات السياسية وتباين اتجاهاتها ومآربها ، وتعارض مصالحها ، وكثرة وقوع التصادم بينها ، فكانت الحرب وسيلة لقهر الارادة المعادية ، وكبح جماح القوى المضادة ، وبغية النصر

نحاول في هذا المقال أن نعرض لفكرة الحرب عبر مراحل التاريخ المختلفة ، مع التركيز على مفهوم شريعة الاسلام الحنيف للحرب ، ونرجو أن يكون في هذا المقال الرد على بعض اقتراءات مؤرخي الغرب على دين الاسلام ، ولعله أيضا أن يكون من المناسب تناول هذا الموضوع في هذه الفترة التي يركز فيها السيد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، كل جهوده لانهاء حالة الحرب في منطقة الشرق الأوسط واحلال السلام في ربوعها - ولا نشك أن الدافع الأول وراء ذلك ، هو تشبع سيادته بروح الاسلام ، دين السلام والحب والوئام .

نبذة تاريخية عن ظاهرة الحرب :
الحرب ظاهرة بشرية عرفها

وقد ذهب فريق من المفكرين في العصور القديمة الى اعتبار الحرب وظيفة دائمة من وظائف الحياة الانسانية ، بل ادعى بعضهم ان الحرب ضرورية ونافعة أيضا كما ذهب فريق ثالث أبعد من ذلك « فاعتبر الحرب نظاما لها ، اذ هي تجربة سامية تمر بها مختلف الأمم والشعوب » .

وقد ولد تعاقب الحروب وآثارها الحزينة في النفوس الخيرة مشاعر الحنين الى استتباب السلم ، وقد ناهض الحرب ، ونادى بنبذها كثير من الفلاسفة مثل : « أورليوس وبلاطو وشيشرون » وطالبوا بضرورة استقرار السلام بين الشعوب ، ولكن دعوة أولئك الفلاسفة كانت على أسس انسانية وأدبية فقط ، ومع نزول الأديان السماوية ، تهيأ للبشرية وجود النواة الأولى لقانون الحرب - ففى ظل هذه الأديان - رغم اختلاف نظرتها للحرب ، نمت الجذور الأولى لقانون الحرب وازدهرت ، كما شيد الفقه الاسلامي

على الخصوم - ذلك النصر الذي تعصف نشوته بالعقول ، فيتغنى به الشعراء الأقدمون في مختلف الأمم .

ولا يمكن جبر الدوافع على الحروب ، فهي متعددة ومتنوعة ومتجددة ومعقدة ، فدوافع السيطرة والانتقام والاستحواز والطموح والتوسع ، أكثر أهمية في بعض الأحيان من دافع الطعام .

ودوافع الحرب تتعدد أو تتعقد بازدياد العلوم ونموها ، وبتقدم التكنولوجيا وازدياد فاعليتها . وبميل أداة الحكم الى التركيز . و بازدياد قوة الدول وتعدد حاجياتها (١) .

وقبل ظهور الأديان السماوية اتسمت الحروب والصراعات بالوحشية وجنون الرغبة في سفك الدماء والتخريب والدمار ، وقد صدم ذلك مشاعر الفلاسفة والحكماء ، فانصرف تفكيرهم الى دراسة مشروعية الحرب ، وبحث كيفية حصرها في أضيق الحدود .

(١) الأستاذ الدكتور / حامد سلطان - أحكام القانون الدولي في الشريعة الاسلامية نمرة ٩٧٤ دار النهضة العربية ص ٢٤٦

أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم ،
لعلهم ينتهون » •

٤ - درء الفتنة التى يحاول أعداء
الدين اشعالها بين صفوف
المسلمين :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة،
ويكون الدين لله ، فان انتهوا ، فلا
عدوان الا على الظالمين » •

كما نظمت شريعة الاسلام أيضا
أسلوب اعلان الحرب ، فلا يجوز
لقائد الجيش أن يبدأ قتال العدو
قبل ابلاغه •

« واما تخافن من قوم خيانة ،
فانذ اليهم على سواء ، ان الله لا
يجب الخائنين » •

وقال الرسول عليه الصلاة
والسلام : « لا تتمنوا لقاء العدو ،
وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم
فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا » •
والحرب أمر مكروه فى الاسلام ،
ولا يجوز أن يبادر المسلمون
أعداءهم حتى يدعوهم الى ثلاث :
أولا : اما العهد ، يعاهدونهم
عليه - على أن يكون سلمهم
سلم المسلمين •

نظرية كاملة فى قانون الحرب •
ومن أبرز فقهاء الاسلام الحنيف فى
هذا المضمار محمد بن الحسن
الشييبانى المؤسس الأول لقانون
الحرب •

احكام الحرب فى الشريعة الاسلامية :

نظمت الشريعة الاسلامية
موضوع الحرب على أسس لم
يتوصل اليها القانون الدولى
الانسانى حتى الآن • فالاسلام لم
يجز الحرب الا لأسباب محددة
هى :

١ - رد العدوان والدفاع عن
النفس والوطن والمال •

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم » •

٢ - الدفاع عن الدعوة الاسلامية
وتأمين حرية الدين والاعتقاد •

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى
يردوكم عن دينكم ان استطاعوا »

٣ - تأديب ناكثى العهد •

« وان نكثوا أيمانهم من بعد
عهدهم ، ووطعنوا فى دينكم ، فقاتلوا

١ - الاعتداء على النساء
والشيوخ والأطفال والرهبان •

٢ - النهب والسلب ، الذى
كان سائدا فى الحروب الجاهلية •

٣ - التمثيل بالقتلى ، والاحراق
بالنار •

٤ - نقض العهود والمواثيق •

ونظمت الشريعة الغراء ، كيفية
معاملة العدو المهزوم وأسراه ،
فأوجبت على المسلمين عدم التفاخر
بالنصر ، والزهو به وذلك حفاظا
على مشاعر جند الأعداء ، وكسبا
لقلوبهم ، لما يلمسون من حسن
معاملة المسلمين لهم • ووضح مافى
ذلك من نبل وشهامة • وبالنسبة
لمعاملة الأسرى فقد بين القرآن
الكريم حكم الأسرى ، فقال تعالى :

« حتى اذا أئخنتموهم فشدوا
الوثاق ، فاما منا بعد ، واما فداء
حتى تضع الحرب أوزارها » •

اثر مبادئ الاسلام فى
القوانين الدولية :

لقد ساهمت المبادئ الاسلامية
على مر الزمان فى تدوين أحكام
قانون الحرب فى نطاق القانون

ثانيا : واما الاسلام يرتضونه
دينا ، فيكونون معهم •

ثالثا : واما الحرب •

وواضح عدم وجود أى اكراه
فى نشر الدعوة الاسلامية ، كما
ذهب أعداء الاسلام ، فالتخيير بين
أمر ثلاثة لا يعد اكرها - وقال
الله عز وجل : « لا اكره فى الدين
قد تبين الرشد من الغى » • فاذا
ما انتهى الأمر الى وجوب الحرب،
فان الاسلام يورد بشأنها أربعة
قيود هى :

١ - ألا يقاتل غير المقاتل ،
ويحرم قتال غير المشتركين فعلا
فيه •

٢ - تحريم اتلاف الأموال ،
الا اذا كان لها تأثير مباشر فى
الحرب •

٣ - وجوب احترام المبادئ
الانسانية والفضائل أثناء الحرب •

٤ - اجابة طلب الأمان فى
ميدان القتال •

وبالنسبة لمعاملة العدو ، فقد
حرمت الشريعة الاسلامية :

التجارية الى سفن حربية ، وتلك الخاصة بوضع الالغام البحرية • وقد بلغ عدد اتفاقيات لاهاي فى خصوص الحرب ، والتي انعقدت كلها سنة ١٩٠٧ • حوالى ١٥ اتفاقية (١) •

وقد ظل التنظيم الدولى للحرب، منطلقا من مبدأ حق الدولة المطلق فى شن الحرب ، على أساس سيادة الدولة ، والمساواة الكاملة بين الدول وأعضاء الجماعة الدولية، وترتب على ذلك النظر للحرب بوصفها مؤدية لوظيفة حيوية فى مجال العلاقات الدولية هى حسم الخلافات التى تنشأ بين الدول ، وكان ينظر الى هذا الحق من حقوق الدولة بوصفه حقاً مطلقاً ولصيقة الى أبعد الحدود بمبدأ السيادة (٢) • ولكن عندما اكتوت البشرية بنار الحريق العالميتين الأولى والثانية ، وتبينت الأبعاد الرهيبة لظاهرة الحرب الشاملة ، بدأ البحث الجاد عن

الدولى فى بعض المعاهدات العامة، لعل أهمها ما يأتى :

١ - اتفاقية باريس المنعقدة فى ١٦ ابريل سنة ١٩٥٦ التى وضعت قواعد معاملة المحاربين فى الحروب البحرية •

٢ - اتفاقية جنيف المنعقدة فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٤ فى تحسين حال الذين يجرحون فى ميدان القتال ، وقد أعقبتها اتفاقية أخرى فى ٦ يوليو سنة ١٩

٣ - اتفاقية أحكام الحرب البرية التى انعقدت فى جنيف سنة ١٨٩٩ •

٤ - اتفاقية لاهاي - التى تحرم استعمال الطلقات المعروفة باسم « دم دم » وتحرم استعمال الغازات السامة ، واتفاقية لاهاي سنة ١٩٠٧ الخاصة بتحديد المركز القانونى للسفن التجارية عند اعلان الحرب ، واتفاقية لاهاي سنة ١٩٠٧ الخاصة بتحويل السفن

(١) دكتور / حامد سلطان - المرجع السابق « ص ٢٥٢ : ص ٢٥٣ »

(٢) دكتور / صلاح الدين عامر - مقدمة لدراسة قانون النزاعات

المسلحة - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦ دار الفكر العربى ص ٦

وبعد •••

فهل هناك شك الآن فى سماحة
الاسلام ، وفى نبذه للعداوة
والبغضاء والحرب ، وفى دعوته
الحثيثة لنشر السلام على هذا
الكوكب الأرضى •

وقد قال الله تعالى : موجهها
الخطاب لرسوله الكريم : « وان
جنحوا للسلم ، فاجنح لها وتوكل
على الله » • صدق الله العظيم •

عبد الحكيم عباس خالد

الوسائل التى تكفل القضاء على
الحق المطلق للدولة فى شن الحرب،
وآخر هذه المحاولات ما تضمنه
ميثاق الأمم المتحدة ، حيث نصت
ديباخته على الرغبة الأكيدة فى
القضاء على حق الدولة فى شن
الحرب بقولها : « نحن شعوب
الأمم المتحدة ، قد آلىنا على أنفسنا
أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات
الحرب ، التى فى خلال جيل واحد
جلبت على الانسانية مرتين أحزانا
يعجز عنها الوصف » •

من تعاليم أستاذ الحياة
عليه السلام

- الكلمة الطيبة صدقة .
- ما عال من اقتصد .
- اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة .
- احترسوا من الناس بسوء الظن .
- ليس الفنى عن كثرة العرض، وانما الفنى غنى النفس .

أخطاء شائعة

للدأستاذ عباس أبو السعود

٤٦٧ ويصفون من كان كثير الشعر
طويله ، بأنه مشعر على صيغة
اسم الفاعل ، وهذا خطأ ،
لأن المشعر حقا هو الجنين
الذى نبت على جسده
الشعر .

ويقول : أشعر الرجل خفه
إذا بطنه بشعر أشعر .
بالتضعيف ، * شَعَرَهُ
بالتخفيف فهو خف
مُسْتَشَعَرٌ ومُسَعَّرٌ ،
ومشعور بصيغ اسم المفعول .

والشعر بفتح الشين
وسكون العين ويحرك هونبة
الجسم مما ليس بصوف ولا
وبر جمعه أشعار ، وشعور ،
وشعار بكسر الشين ، الواحدة
شعرة .

تقول : أشعر الجنين فهو
مشعر ، وفى الحديث « ذكاة
الجنين ذكاة أمه إذا أشعر »
وتقول أيضا : شعّر الجنين
تشعيرا فهو مُشَعَّرٌ وزان
مُنَجَّمٌ ، استشعر تشعرا
فهو مُسْتَشَعِرٌ وتشعر
شعرا فهو متشعر وزان
متكلم . كل أولئك بمعنى
واحد .

ولتأدية الوصف الذى
يريدونه ينبغى أن يقال : رجل
أشعر ، ولذا لقب نبت ابن
أُمُورَ بأنه أشعر ، لأنه ولد

« ما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون » *

وتقول : استشعرت البقرة
اذا صوتت الى ولدها تطلب
الشعور بحاله ، قال الجعدى :
فاستشعرت وأبى أن يستجيب لها
فأيقنت أنه قد مات أو أكلا

٤٦٨ وهم يخطئون حين يجمعون
المصير على مصائر بالهمز ،
والصواب أن يقال فى جمعه
مصاير بالياء ،

مصايرهم ، كما فى قول
مضرس بن ربعى *

تقول : خرج القوم الى
مضرس السابق *

وما الوحش هاجتني ولكن ظعائن
دعاهن رواد الكلا ومصايره
وللمصير معنيان : أحدهما
المرجع كما فى قوله تعالى :
« ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير » وقوله : « قل
تمتعوا فان مصيركم الى
النار » والآخر الموضع تصوير
اليه المياه كما فى قول

والشعار بالكسر هو العلامة
فى الحرب ، وكذا هومات تحت
الدثار من الثياب وهو يلى
شعر الجسد ويفتح ، جمعه
أشعرة ، وشعر كشراع ،
وأشركة ، وشرع *

ويقال : أشعر القوم اذا
نادوا بشعارهم ، أو جعلوا
لأنفسهم شعارا *

والشعيرة البدنة المهداة ،
جمعها شعائر كما فى قوله
تعالى : « والبدن جعلناها لكم
من شعائر الله لكم فيها خير »
وشعائر الحج مناسكه
وعلاماته كما فى قوله سبحانه
« ان الصفا والمروة من شعائر
الله » *

والمشعر الحرام وتكسر
ميمه جبل بآخر مزدلفة ،
قال تعالى : « فاذا أفضتم
من عرفات فاذكروا الله عند
المشعر الحرام » *

والمشاعر الحراس ، ومنها
يقال : ما يشعركم أى
ما يدریکم ، وفى التنزيل :

٤٦٩ وينكرون أن توصف المرأة
بأنها مفضالة كما يوصف
الرجل ، محتجين بقول ابن
مالك :

ولا تلى فارقة فعولا
أصلا ولا المفعال والمفعيلا
أى أن التاء الفارقة بين
الذكر والمؤنث لا تلى ما كان
على وزن فعول ، وقيد الناظم
بالأصل يريد به اسم الفاعل
فانه أصل لاسم المفعول ،
تقول هذه امرأة صبور
وشكور ، وخجول ، ولا
يجوز أن يقال صبورة ، ولا
شكورة ، ولا خجولة .

وكذلك ما كان على وزن
مفعال ، تقول : امرأة معطاء ،
ومزواج ولا يجوز أن تلحقها
التاء ، بيد أن بعض هذه
الأوزان لحقته التاء شذوذا
ولذلك قال ابن مالك :

وما تليه تالفـرق
من ذى فشذوذ فيه
فكلمة مفضالة عربية سليمة

بدليل ما ورد فى مراجع
اللغة .

ففى المختار : امرأة مفضالة
على قومها اذا كانت ذات
فضل سمحة ، وفى القاموس
رجل مفضال على قومه اذا
كان ذا فضل ، وهى بهاء .

والمفضل من يدعى الفضل
على أقرانه ومنه قوله تعالى :
« يريد أن يتفضل عليكم » .

٤٧٠ ويقول الواحد منهم لصديقه :
بين بلدنا وبلدكم بون عظيم ،
يعنى مسافة طويلة وبعدا
عظيما ، وهو التعبير خطأ ،
لأن البون بفتح الباء وسكون
الواو لا صلة له بالبعد ولا
بالمسافة ، وانما معناه الفضل
والمزية ، وهو مصدر قولك
بانه ييونه بونا اذا فضله ،
وقولك : بينهما بون لا يقال
الا عن اثنين من الأناس ،
ومعناه يبين درجتيهما فى
الفضل ، أو بين اعتبارهما فى
الشرف .

ولهذا يقال على سبيل
المجاز : لا خير فى رأى
الفطير أى لا خير فى رأى لم
يكن دقيقا ولا متسما
بالحكمة والحدق ، ويقال
أيضا : رأى الأحق فطير
ولبه مستطير •

أما الفطيرة فهى شاة تذبح
فى يوم الفطر ، ومثلها الفطورة
بضم الفاء •

٤٧٢ ولقد فشا على ألسنة كثير من
الخاصة وأسلات أقلامهم
قولهم : هؤلاء تعساء أى
هلكى ساقطون ، وهذا خطأ ،
لأن فعلاء بضم ففتح ممدود
يطرد فى وصف مذكر عاقل
بزنة فعيل بمعنى فاعل غير
مضعف كحليم وحلماء ،
وحكيم وحكماء وظريف
وظرفاء •

وكلمة تعيس لم ترد فى
اللغة ، لأن الفعل من التعس
له بابان أحدهما باب تفع
تقول تعس فلان يتعس تعسا

والصواب أن يقول القائل :
بين بلدنا وبلدكم بين عظيم
بالياء لا غير •

ولك أن تقول : بين بلدنا
وبلدكم بين كبير بكسر الباء ،
والبين بهذا الضبط هو
الأرض قدر مد البصر ،
ويقال : عليك بذاك البين
فانزله •

والانسان البين وزان هين
هو الفصيح ذو البيان ،
والجمع أئيناء ، وقول العرب :
هذا الشئ بين بين معناه بين
الجيد والردى ، وهما اسمان
جعلوا واحدا وبنوا على الفتح
كخمسة عشر •

٤٧١ ويقولون : تناولنا اليوم فى
غدائنا فطيرا ، وأكل كُنْ
واحد منا فطيرة ، يعنون خبزا
مخلوطا بالسمن ، والحق أن
الفطير ضد الخمير وهو
العجين الذى لم يختمر ، وكل
شئ أعجلته عن ادراكه فهو
فطير •

اضماره سماعا ، والجملـة
خبر الذين كفروا •

٤٧٣ هناك تركيب شاع في الصحف
ولا كتبه ألسنة كثير من المثقفين
هو قولهم : فعلنا ذلك رغم
فلان ، وهذا التعبير فاسد ،
لأن الرغم معناه الكره والذل ،
يقال رغم أنفى لله بكسر الغين
رغما بالحركات الثلاث في
راء المصدر ، أى ذل وانقاد
لأنه أمس به الرغام وهو
التراب •

فعلى هذا يكون معنى
التركيب الشائع فعلنا ذلك
كره فلان وذله وهذا مما لا
يسوغه عقل والصواب أن
يقال : فعلنا ذلك على رغم
فلان أو على رغم أنفه أى
على كره منه وذل وذكر الأتف
فى التركيب الأخير من الأمثال
التي جرت فى كلام العرب
بأسماء الأعضاء ولا يريدون
أعيانها ، ومنها قولهم كلامه

إذا أكب على وجهه فهو
ناعس ، وعلى هذا فالجمع
ناعسون •

والباب الآخر باب تعب ،
تقول : تعس فلان تعسا فهو
تعس وعلى هذا فالجمع
تعسون •

وهذا الفعل يتعدى
بالحركة وبالهزمة فيقال تعسه
الله ، وأتعسه الله اتعاسا قال :
غداة هزمتنا جمعهم متالع (١)
فآبوا باتعاس على شر طائر
ويقال فى الدعاء : أضرع (٢)
الله خده ، وأتعس جده ، وهو
متعوس منحوس ، ومن المجاز
قولهم جد ناعس ناعس ،
وقولهم تعسا لفلان أى هلاكا
له وخسرانا •

قال تعالى : « والذين
كفروا فتعسا لهم »
أى فعثورا وانحطاطا لهم ،
واتنصابه بفعله الواجب

(١) متالع بضم الميم : جبل بالبادية فى سفحه ماء يقال له عين تتالع .

(٢) أضرع الله خده : أذله .

تحت قدمي ، وصاحبه خلف
ظهري يريدون الاهمال وعدم
الاحتفال .

ويقال أيضا : فعلنا ذلك
برغم فلان أو برغم أنه أي
تستعمل في هذا التركيب اما
على واما الباء كما في قول
عمر بن أبي ربيعة :

قال ساروا فأمعنوا واستقلوا
وبرغمي لو أستطيع سبيلا
وكما في قول مطيع بن اياس
وهو من شعراء الدولة
الأموية :

وبرغمي أن أصبحت لآتراها الـ
عين منى وأصبحت لا تراني
وكما في قول المتنبي
برغم شبيب فارق السيف كفه

وكافا على العلات يصطحبان
ولنا أن نقول فعلنا هذا الشيء
رغما أي كرها أو كارهين كما
في قوله تعالى : « فقال لها
وللأرض اثريا طوعا أو كرها
أي شئتما ذلك أو أيتما »

٤٧٤ ويقولون : استقل القوم

القطار يجعل القوم فاعلا
والقطار مفعولا به ، يعنون
أنهم ركبوه ، وهذا خطأ .
لأن استقل معناه حمل ، ولا
يقول أن يحمل القوم القطار ،
والصواب أن يقال : استقل
القطار القوم بجعل القطار
فاعلا والقوم مفعولا به
أو يقال : أقلهم القطار ،
أو أقلهم القطار بالفعلين الرباعي
والثلاثي .

والفعل استقل قد يكون متعديا
كما في قولك : استقل فلان
نصيبه اذا عده قليلا كتقاله ،
وقولهم هو يستقل الكثير
ويتقاله خلاف يستكره
ويتكاثره .

وقد يكون لازما وذئذ
اذا كان بمعنى الارتحال ،
تقول : استقل القوم عن
ديارهم اذا ارتحلوا عنها
ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :
قال ساروا فأمعنوا واستقلوا
وبرغمي لو أستطيع سبيلا
ويكون لازما أيضا اذا كان

بمعنى الارتفاع والانافة كما
في قولك : استقل البناء اذا
أناف فهو بناء مستقل منيف،
واستقل الطائر في طيرانه ،
واستقل عمود الفجر •

ومن هذا قول عمر بن أبى
ربيعه :

يا طيب طعم ثناياها وريقها
اذا استقل عمود الصبح فاعتدلا

٤٧٥ ويقولون : نأكل في اليوم
ثلاث وجبات : وجبة الصبح ،
وجبة الظهر ووجبة العشى
وهذا فاسد ، لأن الوجبة هى
الأكلة فى اليوم والليلة ،
أو أكلة فى اليوم الى مثله من
الغد •

تقول : وجب الرجل عياله
وفرسه توجيباً اذا عودهم
أكلة واحدة فى اليوم والليلة
ووجب ناقته توجيباً اذا لم
يجلبها فى اليوم والليلة الا
مرة واحدة ، ومثل الوجبة فى
الوزن والمعنى كلمة الوزمة ،
ولتأدية المعنى الذى

يريدونه ينبغى أن يقال : نأكل
فى اليوم والليلة ثلاث مرات
أو ثلاث أكالات :

أولاهها : الغداء بالفتح وهو
طعام الغدوة ، جمعه أغذية ،
تقول تصدى فلان اذا أكل
أول النهار ويسميه الناس
خطأً بالفطور ، والحق أن
الفطور بفتح الفاء هو ما
يفطر عليه الصائم عقب غروب
الشمس ، ومثله فى الوزن
السحور وهو ما يتسحر به
الصائم فى وقت السحر •
وثانيتهما : الكرزمة بفتح الحاء
بينهما سكون وهى طعام نصف
النهار ويسميتها الناس خطأً
بالغداء •

وثالثتها : العشاء بالفتح
وهى طعام العشى وجمعه
أعشية •

٤٧٦ حرم بعض الأدباء استعمال
كلمة حوائج بمعنى حاجات ،
والواقع أنها عربية سليمة •
قال رسول الله صلى الله عليه

الياء على الجيم وقلبت همزة
فصارت حوائج ..

ومن الأدلة على أن حوجاء
معناها حاجة قول الشاعر :

من كان فى نفسه حوجاء يطلبها

عندى فان له رهنا باصهار
وعن ابن عمر قال : « ان
الله عبادا خلقهم لحوائج الناس
يفزع الناس اليهم فى
حوائجهم أولئك الآمنون يوم
القيامة .

تنبيه : مثل حاجة وحاج :
هامة وهام ، وراحة وراح
بمعنى كف الانسان ، وعادة
وعاد ، وغابة وغاب ، وساعة
وساع ، ومن هذا قول
القطامي :

وكنا كالحرقيق أصاب غابا
فيخبو ساعة ويشب ساعا

٤٧٧ ينكر المدرسون على طلابهم أن
يستعملوا كلمة مطار اسم
مكان اعتمادا منهم على
القاعدة المعروفة التى تقول :
يصاغ اسم المكان من الثلاثي
على وزن مفعول بكسر العين

وسلم : « استعينوا على قضاء
حوائجكم بالكتمان » وقال :
« اطلبوا الحوائج عند
حسان الوجوه » . وقال
أعشى قيس :

الناس حول فئائه
أهل الحوائج والمسائل
وقال لفرزدق :

ولى ببلاد السند عند أميرها
حوائج جمات «وعندى ثوابها
وقال أبو سعد بن هبة الله
ابن الوزير :

فسيان بيت العنكبوت وجوسق
رفيع اذالم تقض فيه الحوائج
وقال غير هؤلاء :

لتقم أنت يا ابن خير قرش
فلتقض حوائج المسلمينا
وقال ابن السكيت فى
كتاب الألفاظ : ان حاجة
تجمع على حاجات ، وحاج ،
وحوج ، وحوائج .

رذهب قوم الى أن حوائج
جمع لحوجاء كصحارى
وصحراء . أى أن حوجاء
جمعت على حواجى ثم قدمت

وعلى هذا يكون الجو هو المطير
لأنه مكان الطيران •

مما تقدم يتضح أن المطار
لمعنى المكان المعروف أدق من
المطير ، اذ يقال : انتظرنا
العائدين من السفر فى المطار،
ولا يقال فى المطير الا على
سبيل المجاز •

٤٧٨ شاع على السنة كثير من
المتعلمين وأسلات أقلامهم
جمع الصفة التى على وزن
فعلاء جمع مؤنث سالما ، فقالوا
فى جمع شقراء ، وسوداء ،
وبيضاء وزرقاء ، وصماء ،
شقراوات ، وسوداوات ،
وبيضاوات ، وزرقاوات ،
وصماوات •

وهذا خطأ صراح ، لأن
الصفة اذا كانت على وزن
أفعل للمذكر وفعلاء للمؤنث
جمعت لهما جمع تكسير فقط
على وزن فعل بضم فسكون،
فيقال : هم وهن شقر ،
وسود ، وبيض ، وزرق ،

اذا كان صحيح الآخر مكسور
العين فى المضارع ويلزمونهم
أن يستبدلوا بها كلمة مطير
لأنها من طار يطير •

والحق أن كلا من اللفظين
اسم مكان مسائر للقاعدة ،
فمطار اسم مكان من طار
الطائر يطور طورا وطيرانا اذا
حام حول الشئ ودار ، وفى
حديث على « والله لا أطور به
ما سمر سمير » أى لا أقربه
أبدا •

وفى أساس البلاغة ، وأنا
لا أطور بفلان أى لا أحوم
حوله ولا أدنو منه ، ولا أطور
طواره بفتح الطاء وكسرهما من
طوار الدار وهو ما يمتد معها
من فنائها •

فالمطار اذن اسم للمكان
المعروف الذى تجتمع فيه
الطائرات تحوم حوله وتدور
ومنه تطير واليه تعود • أما
المطير فاسم مكان من طار
الطائر يطير طيرانا وطيرورة
اذا ارتفع فى الهواء وحرك جناحيه،

انفردت من بين أخواتها بأن
لها حالتين :

أحدهما : أن تكون صفة
فيقال في جمعها خضر بضم
فسكون ، ومن هذا قوله عز
شأنه : « أفنتا في سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر » •

وقوله : « ويلبسون ثيابا
خضرا من سندس واستبرق »
والحالة الأخرى : ألا
تكون صفة ، وانما هي اسم،
وذلك فيما يأتي :

١ - أن تكون بمعنى
السماء ، فيقال : ما
تحت الخضراء أصدق

وضم ، قال ابن مالك في
ألفيته •

فعل لنحو أحمر وحمرا
فِعْلَةٌ (١) جمعا بنقل يدرى
ومما يؤيد هذا قوله تعالى في
محكم آياته : « ومن الجبال
جدد بيض وحممر مختلف
ألوانها وغرايب سود » •
وقوله : « ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا » وقوله :
« صم بكم عمى » •

وقول شاعر الحماسة عمرو
ابن كلثوم :

بأنا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمرا قد روينا
بيد أن كلمة خضراء هي التي

(١) فعلة بكسر الفاء وسكون العين لم يطرد في شيء ، بل هو محفوظ في
سنة أبنية : فعيل : يقال صبي وصبية ، وفعل بفتحتين يقال :
فتى وفتية ، وفعل بفتح فسكون يقال : شيخ وشيخة ، وفعل
بالفتح يقال : غزال وغزالة ، وفعل بالضم يقال غلام وغلمة ، وينقل
وزان الى : يقال : ثنى وثنية ، والثنى هو التالى في السيادة كالوزير
بالنسبة للسلطان ، وقد جمع ابن غازي رحمه الله ما يجمع على
فعلة فعال :

فصبة وشيخة وفتية وغلمة وغزلة وثنية
خذا جموعا نسبت لفعله فاحفظ ولا تقس وقيت الملة

٤ - وتطلق اسما للدلو
الواسعة العظيمة ،
ويقال في جمعها : تسقى
الأرض والأشجار
بالخضراوات •

٤٧٩ ويصفون الأكل الذي
يحرص على كثرة الأكل
فيقولون : انه بطنى ، بكسر
قففتح فياء مشددة ، وكان
عليهم أن يصفوه باحدى
الصفات الآتية فيقولوا :

١ - انه بطين بفتح فكسر
وزان تطير ، وهو من
لا يهमे الا بطنه ، أو
مبطان بالكسر وهو من
لا يزال عظيم البطن
من كثرة الأكل •

٢ - انه منهوم بالطعام أى
مولع به ، تقول : نهيم
ينهم نهما من باب ضرب
إذا كثر أكله ، ونهم
بالأكل بالبناء للمفعول
إذا أولع به فهو منهوم •

ولا أكرم من محمد
صلى الله عليه وسلم ،
ولذا تجمع جمع الاسم
فيقال : خلق الله سبع
خضراوات كما يقال فى
جمع صحراء صحراوات •

٢ - لقد سمت العرب
خضر البقول بالخضراء ،
ومن ذلك قوله عليه
السلام : « تجنبوا من
الخضراء ما له رائحة »
يقصد الثوم والبصل
والكراث ، وعلى هذا
يقال فى جمعها
خضراوات كحلكاء وهى
دوية تغوص فى الرمل
وحلكاوات •

٣ - وتطلق اسما للمرأة
الحسنة فى منبت السوء ،
ومنه الحديث : « اياكم
وخضراء الدمن » والدمن
جمع دمنة بالكسر وهى
آثار الناس وما سودوا ،
فيقال : « هؤلاء
خضراوات الدمن » •

ما قدر عليه مما على
الخوان كقشش *

٦ - هو جردبان بفتح الجيم
وضمها ، أو هو جردبى
بفتح الجيم مع ياء
النسب ، أو مجردب
بصيغة اسم الفاعل *
تقول : جردب فلان اذا
أكل ونهم ، ووضع يده
على الطعام لئلا يتناوله
غيره ، أو أكل يمينه
ومنعه غيره بشماله ،
وقيل ان جردبان معرب
كرده بأن أى حافظ
الرغيف ، أو الجردبان
والجردبى الطفيلى *

٧ - هو قرون بفتح القاف
وزان صبور ، وهو من
يجمع بين لقمتين أو
تمرتين فى الأكل *

٨ - هو جراف بضم الجيم
وزان غراب أى أنه أكل
جدا كجاروف ،

وفى الحديث «منهومان
لا يشبعان : منهوم بالمال
ومنهوم بالعلم» *
أو يقال : انه نهم من
باب فرح وهو من تفرط
شهوته فى الطعام ، وقد
نهم ينهم فهو نهم *

٣ - انه شره على الطعام ،
تقول : شره فلان على
الطعام شرها من باب
طرب اذا حرص عليه
أشد الحرص فهو شره
كطرب *

٤ - انه فيئ بفتح فاء مشددة
مكسورة وزان كيس
أى نهم شديد الأكل ،
واستفاه استفاهة
واستفاها أى اشتد أكله
فهو مستفيه *

٥ - انه قشاش بصيغة المبالغة
تقول : قش الرجل
يقش قشوشا من باب
دخل اذا أكل من
هنا وما هنا ، ثم لف

والجاروف هو المشنوم
والنهم •

٩ - هو تلقام وتلقامة بكسر
التاء فيهما ، أى عظيم
اللحم واللقمة ، وتشدد
قافهما •

١٠ - هو ترهوط بضم التاء ،
مأخوذ من الرهط
والترهيط ومعناهما
عظم اللحم وشدة الأكل •
أما من حرص على شدة
الشرب أو الاكثار منه فيقال
له : شربة وزان همزة ،
وشريب بكسر الشين والراء
المشددة وزان سكيت •

والقحف والقحاف بكسرهما
شدة الشرب ، والقحف بفتح
القاف شرب جميع ما فى الاناء
كالإقحاف وفى المثل « اليوم
قحاف وغدا نقاف » بكسرهما
أى شرب ، وحرب •

ويقال : أمفد الرجل اذا
أكثر من الشرب ، وقعر
فلان الاناء اذا شرب كل

ما فيه حتى انتهى الى قعره ،
وكرع الولد فى الماء أو فى
الاناء كمنع وسمع كرعاً
وكروعا اذا تناوله بفيه من
موضعه من غير أن يشرب
بكفيه أو باناء والكريع وزان
أمير هو من يشرب من النهر
بيديه اذا فقد الاناء •

وجرجر الخادم الشراب
اذا جرعه جرعا متداركا حتى
يسمع صوت جرعه ، والجرعة
بالضم ما يجرع مرة واحدة
جمعها جرع كغرفة وغرف ،
وتجرع فلان الغصص مستعار
منه ، وفى التنزيل « يتجرعه
ولا يكاد يسيغه » •

٤٨٠ ويقولون : عند هذا التاجر
قماش ثمين تصنع منه أجود
الثياب للرجال والنساء
والأطفال ، هذا التعيير
يشوبه الفساد البين ، لأن
القماش ليس بشمين ، كما أنه
لا تصنع منه ثياب ، وانما
هو ما على وجه الأرض من
فتات الأشياء ، حتى يقال

قال ابن مالك :

لاسم مذكر رباعى بمد
ثالث أفعله عنهم اطرده
وقد جمعه ابن منظور فى
لسان العرب على أنداء جمعا
شاذا أيضا ، لأن أنداء جمع
للندى بمعنى البلل والمطر ،
كسبب وأسباب ، ورحى
وأرخاء ، وقفا وأقفاء •

وفى حديث أبى سعيد
« كنا أنداء فخرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم »
فالأنداء فى هذا الحديث جمع
النادى ، وهم القوم
المجتمعون •

وقيل أراد كنا أهل أنداء
فحذف المضاف

والنادى المجلس يندو اليه
من حواليه ، ولا يسمى ناديا
حتى يكون فيه أهله ، فاذا
تفرقوا لم يكن ناديا ، ولذا يقع
على المجلس وأهله •

وقد ورد فى الشعر ما يدل
على أنهم جمعوا أندية على
أنديات كما فى قول كثير :

لرذالة الناس قماش • تقول :
طلبت من فلان معونة فما
أعطانى الا قماشاً أى أردأ
ما وجده ، وقمش الرجل
الشيء يقمشه من باب ضرب
قمشا اذا جمعه من هنا
وهناك ، وهذا الذى جمعه
الرجل يسمى قماشاً •

كما أنهم يقولون : تقمش
فلان تقمشا فهو متقمش ،
يعنون أنه لبس أحسن الثياب
وأغلاها ، وهذا غير سليم ،
والصواب أن معنى هذه
العبارة أن هذا الرجل أكل
ما وجد وان كان دوناً •

والقميشة طعام يتخذ من
اللبن وحب الحنظل ونحوه •

٤٨٢ وينكر كثير من الخاصة
أن يجمع النادى على نواد
ويقولون ان جمعه أندية كما
قال صاحب المصباح ، وهذا
الجمع شاذ ، لأن أفعله جمع
للاسم المذكر الرباعى الممدود
ثالثه ككساء وأكسية ، ورغيف
وأرغفة ، وعمود وأعمدة ،

لهم أنديات بالعشى وبالضحى
بهاليل (١) يرجو الراغبون
وأنشد بعضهم :

رزان (٢) اذا شهدوا الأنديا
ت لم يستخفوا ولم يخزروا
والحق أن النوادي جمع
صحيح للنادي ، وانما لم
تذكره المعاجم اعتمادا على أنه
قياس مطرد ، اذ أن فواعل
يطرد في كل اسم لغير عاقل
بزنة فاعل ككاهل وكواهل ،
وحافر وحوافر ، وعاتق
وعواتق ، وشارب
وشوارب قال ابن مالك :

١ - محاسن ، فهو جمع حسن
بضم فسكون ، ومعناه الجمال ،
تقول : انظر الى محاسن
وجهه . قالت العرب : رجل
حسن وامرأة حسنة ، وقالت :
امرأة حسناء ولم تقل رجل
أحسن وهو اسم أنث من غير
تذكير ، كما قالت غلام أمرد
ولم تقل جارية مرداء فذكرت
من غير تأنيث .

٢ - ملامح ، تقول : في فلان لمحة
من أيه أى شبه ، وتجمع
اللمحة على ملامح وهي ما بدا
من محاسن الوجه أو مساويه ،

فواعل لفعل وفاعل
وفاعلاء مع نحو كاهل
مما عرضنا من النصوص
وأقوال اللغويين استبان أنه
يجوز أن يجمع النادي على
أنداء وعلى أندية جميعين
شاذين سماعيين ، وانه يجمع

-
- (١) البهاليل : جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع لصفات الخير
(٢) الابل التي شربت الشرب الاول مفردها ناهلة
(٣) رزان بالكسر : جمع رزين وهو الرجل الوقور
(٤) لم يخزروا : لم يقعوا في بلية تذللهم وتهينهم

٥ - طوائج ، تقول طوحه تطويحا
إذا توهه في الأرض ، وطوحته
الحمى إذا أتعبته وأذلته فهي
مطوحة ، والحميات طوائج ،
ولا تقل مطوحات قال ،
لييك يزيد ضارع (١) لخصومة

ومختب (٢) مما تطيح الطوائج
ويقال : طوحته الطوائج أى
قذفته القواذف .

٦ ، ٧ - حرائر ، ومرائر ، يقال :
امرأة حرة ونسوة حرائر ،
وثمررة مرة وثمرات مرائر ،
قال السهيلي ولا نظير لهما ،
لأن فعلة بضم فسكون يطرد
جمعه على فعل بضم ففتح
كغرفة وغرف ، ومديّة ومدى ،
وفرصة وفرص ، وانما جمعت
حرة على حرائر لأنها بمعنى
كريمة وعقيلة فجمعت مثلها
على فعائل ، وجمعت مرة على
مرائر لأنها بمعنى خيشة
فجمعت جمعها .

فيقال : فى فلان ملامح من
أخيه .

٣ - مشابه ، تقول : فى فلان
شبه من أخيه بفتح كل من
الشين والباء ، ويجمع الشبه
نادرا على مشابه فيقال : فى
محمد مشابه من ابنه .

٤ - لواقح ، تقول ألقح الفحل
الناقة فهو ملقح ، وألقحت
الريح السحاب فهي ملقحة
والجمع لواقح فيقال : الفحول
لواقح ، والرياح لواقح ،
ومن هذا قوله تعالى :
« وأرسلنا الرياح لواقح »
ولا تقل ملاقح ، لأن الملاقح
هى الاناث التى فى بطونها
أولادها ، ومفردها ملقحة
بصيغة اسم المفعول .

والملاقيح ما فى بطن النوق
من الاجنة الواحدة ملقوحة
من قولهم لقحت بالبناء
للمفعول كالمحمومة من حمت ،
والمجنونة من جنت .

(١) الضارع : المتدلل المستكين

(٢) المختب بـصيغة اسم المفعول : من ضرب ووطىء شديدا

وهذا اعتقاد خاطيء ، لأن لغتنا العربية فيها أفعال ثلاثية مجردة يستعمل كل منها لمعنى، ويستعمل مزيدة بالهمز ل ضد هذا المعنى ، منها :

١ - قسط : تقول : قسط الحاكم اذا جار وحاد عن الحق فهو قاسط . وهم قاسطون . ومن هذا قوله تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » وأقسط القاضى اذا عدل بين المتخاصمين فهو مقسط ، ومنه قوله سبحانه : « ان الله يحب المقسطين » ، ويقال : فلان قاسط غير مقسط أى جائر غير عادل ، والله يقبض ويبسط ، وَيَقْسِطُ ولا يَتَقَسَّطُ .

٢ - ضاف : تقول : ضفت الوزير ضيفاً بالفتح وضيافة بالكسر اذا نزلت عنده ضيفاً كتضيفته وأضفته اذا أنزلته عندك ضيفاً ، وأضفته أيضاً اضافة اذا لجأ اليك من خوف فأجرتة .

٨ - وجمع ابن عرس ، وابن مخاض ، وابن لبون ، وابن آوى على بنات عرس ، وبنات مخاض ، وبنات لبون، وبنات آوى، وحكى الاخفش بنات عرس وبنو عرس ، وبنات مخاض وبنو مخاض ، وبنات آوى وبنو آوى ، والأفصح بنات فى كل منها .

٩ - وجمع ذكر بمعنى القرف جمعاً غير قياس على مذاكير ، وقال الاخفش : هو من الجمع الذى ليس له واحد مثل العبايد والأبايل .

١٠ - جمعت النفساء وهى المرأة التى وضعت ولدها حديثاً على خمسة جموع كلها غير قياسى، هى نفاس بالكسر ، ونفاس بالضم ، ونفس بضميتين ، ونفس بضم فسكون ، ونوافس ، وجمعت جمع مؤنث سالماً على نفساوات .

٨٣٤ : يعتقد كثير من الخاصة أن كل فعل ثلاثى لا بد أن يتفق فى المعنى مع مزيدة بالهمز ،

شدة فقره ، وأترب أخوه اذا
استغنى وأصبح ذا ثروة عظيمة
كأنه صار له من المال قدر
التراب •

٥ - فرى : تقول : فريت الجلد
فريا من باب رمى اذا قطعته
على وجه الاصلاح ، قال
الكسائي يقال أفرى فلان
الأديم اذا قطعه على جهة
الافساد ، وفراه اذا قطعه على
جهة الاصلاح ، ولذا يقال :
لقد أفريت وما فريت ، أى
أفسدت وما أصلحت •

٦ - خفى بفتحين : تقول : خفيت
الشيء خفيا من باب رمى
اذا أظهرته وأبنته ومنه قول
الشاعر :

خفاهن من أئفاقهن (٢) كأنما
خفاهن ودق (٣) من سحاب مركب
فالشاعر هنا يصف فرسا
يستخرج الفئران من ججورهن
بشدة وطئه ، حتى كأن سيلا

ويقال : تضيفنى فضيفته أى
طلب القرى (١) فقريته فهو
متضيف ، قال الفرزدق :

ومنا خطيب لا يعاب وقائل
ومن هو يرجو فضله المتضيف

٣ - نشط : تقول : نشطت
الأنشطة نشطا من باب
ضرب اذا شدتها وعقدتها ،
وأنشطتها اذا حللتها ،
والأنشطة بالضم ربطة سهل
انحلالها ، وأنشطت العقال
حللتها ، وأنشطت البعير من
عقاله أطلقته ، ويقال : بئر
أنشاط اذا كانت قريبة العمق
تخرج منها للدلو بجذبة
واحدة ، وبئر نشوط بالفتح
اذا كانت تحتاج الى نشط
كثير لبعدها •

٤ - ترب : تقول : ترب الرجل
من باب طرب تربا اذا اقتقر
واحتاج لصق بالتراب من

(١) القرى بالكسر : ما يقدم للضيف من الطعام

(٢) الانفاق : جمع نفق وهو سرب له مخلص

(٣) الودق : المطر

التعبيران يتسمان بالفساد
من جهة اللفظ ومن جهة
المعنى ، أما من جهة اللفظ
فان كلمة مناخ يجب ضم
ميمها ولا يجوز فتحها لأنها
اسم مكان من أناخ الرباعي ،
واسم المكان والزمان
والمصدر الميمي من أفعل يجب
أن يكون على وزن مفعّل
بضم الميم وفتح العين على
صيغة اسم المفعول * .

وأما من جهة المعنى فلا
صلة للمناخ بالحرارة ولا
بالاعتدال ، وانما هو اسم
للموضع الذى تبرك فيه
الابل تقول انخت الابل
ونوختها ولا يقال فى المطاوع
فناخت وانما الفصيح أن
يقال فبركت أو فاستناخت ،
وفى الحديث « وان أنيخ على
صخرة استناخ » * .

ويقال : تنوخ الجمل الناقة
إذا أبركها للسفاد كأناخها
فاستناخت وتنوخت * .

عباس أبو السعود

دخل عليهم فأخرجهم
وأظهرهم ، ولكننا اذا قلنا
أخفينا الشيء كان المعنى أننا
سترناه وغطيناه * .

٧ - خفر : تقول خفرت فلانا
وخفرته تخفيرا اذا حميته
من طالبه وكنت له مجيرا
وخفيرا يمنعه * قال :

(يخفرننى سيفى اذا لم أخفر)
ويقال : خفرت بعهدده اذا
وفيت به ، وأخفرته اذا نقضت
عهده وغدرت به * .

٨ - دلا : : تقول : أدليت دلوى
اذا أرسلتها فى البئر لتستقى
بها ، ودلوتها اذا نزعتها
وأخرجتها * .

ويقال : سقى الفلاح أرضه
بالدالية والدوالى أى
بالنواعير * .

٤٨٤ ويقول علماء الجغرافيا
وتلاميذهم : مناخ هذا البلد
شديد الحرارة ومناخ هذه
الدولة معتدل بفتح الميم فى
المناخين ، يعنون جو البلد
وجو الدولة ، وهذان

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

السلام على همدان • السلام على
همدان ... الخ •

وفي المسند من حديث عبد الرحمن
ابن عوف « أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سجد شكرا لما جاءه
البشرى من ربه أن من صلى عليك
صليت عليه ، ومن سلم عليك
سلمت عليه .. وفي سنن أبي
داود من حديث سعد بن أبي وقاص
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رفع يديه فسأل الله ساعة ثم خر
ساجدا ثلاث مرات ثم قال : انى
سألت ربى وشفعت لأمتى فأعطانى
ثلث أمتى ، ثم رفعت رأسى فسألت
ربى لأمتى فأعطانى الثلث الثانى •
فخررت ساجدا شكرا لربى ثم
رفعت رأسى فسألت ربى لأمتى
فأعطانى الثلث الآخر فخررت
ساجدا لربى •

س : نسمع عن صلاة الشكر ..
فما هو دليل شرعيتها وما كيفيتها ؟

ج : ذكر ابن قيسم الجوزية رحمه
الله فى كتابه زاد المعاد : « وكان من
هديه صلى الله عليه وسلم وهدى
أصحابه « سجود الشكر » عند تجدد
نعمة تسر أو اندفاع نقمة كما فى
المسند عن أبى بكر « أن النبى
صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه
أمر يسره خر لله ساجدا شكرا لله » •

وذكر ابن ماجه عن أنس أن النبى
صلى الله عليه وسلم بشر بحاجة
فخر لله ساجدا • وذكر البيهقى
باسناد على شرط البخارى أن عليا
رضى الله عنه لما كتب الى النبى صلى
الله عليه وسلم باسلام همدان خر
ساجدا ، ثم رفع رأسه فقال :

وسجد كعب بن مالك لما جاءته
البشرى بتوبة الله عليه ، ذكره
البخارى •

وذكر أحمد عن علي عليه السلام أنه
سجد حين وجد ذا الندية في قتلى
الخوارج ، وذكر سعيد بن منصور
أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه
سجد حين جاءه قتل مسيلمة • اهـ
وجاء فى سيل السلام بعد ذكر
حديث أبى بكره السابق ••
« وهو دليل شرعيته ، وذهب الى
شرعيته الهادوية والشافعية وأحمد
خلافًا لمالك • ورواية لأبى حنيفة
بأنه لا كراهة فيه ولا ندب
والحديث دليل للأولين •• ثم قال :

واعلم أنه قد اختلف هل يشترط
لها الطهارة أم لا ؟ فقيل : يشترط
قياسا على الصلاة ، وقيل : لا يشترط
لأنها ليست بصلاة وهو الأقرب
كما قدمناه ، وقال المهدي : انه يكبر
لسجود الشكر ، وقال أبو طالب
ويستقبل القبلة ، وقال الامام يحيى
ولا يسجد للشكر فى الصلاة قولاً

واحدا ، اذ ليس من توابعها • وقيل ،
ومقتضى شرعيته حدوث نعمة
أو اندفاع مكروه فيفعل ذلك فى
الصلاة ويكون كسجود
التلاوة » • اهـ

وجاء فى كتاب الاقتناع فى فقه
الشافعية : « وسجدة الشكر
لا تدخل صلاة ، وتسبب لهجوم نعمة
أو اندفاع نقمة أو رؤية مبتلى
أو فاسق معلى ، ويظهرها للفاسق
ان لم يخف ضرره لا للمبتلى لئلا
يتأذى ، وهى كسجدة التلاوة ••
وأركان سجدة التلاوة عندهم لغير
مصل : تحريم وسجود وسلام •
وشرطها كصلاة وألا يطول
فصل عرق بينها وبين قراءة
الآية وتكرر بتكرر الآية ، ويسن
مع سجدة الشكر - كما فى
المجموع - الصدقة ، ولو تقرب
الى الله بسجدة من غير سبب
حرم » • اهـ

س : يذكر الناس فضائل كثيرة

انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم » •

هذه احدى آيات ثلاث تتحدث عن انزاله وعن الزمن الذى أنزل فيه ، والآية الثانية هى قوله تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة القدر » والآية الثالثة قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » •

وهدف الآيات الثلاث تأكيد أن القرآن لم يكن - كما كان يزعم منكرو الرسالة - من صنع محمد ، وانما هو من عند الله ، أنزله بعلمه وحكمته هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان •

وقد وصفت الآية الأولى الليلة التى أنزل فيها بأنها « ليلة مباركة » وهى الصفة التى وصف بها القرآن فى قوله تعالى : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، مصدق الذى بين يديه ، ولتنذر أم القرى ومن حولها » •

وسميت فى الآية الثانية « بليلة

لليلة النصف من شهر شعبان ويؤدون فيها صلاة بنية خاصة ، ويدعون بدعاء مشهور ، ويقولون : ان هذه الليلة هى الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم ، نرجو بيان الخطأ والصواب فى هذه لاعتقادات والأعمال !

ج : رغم أن العلماء المحققين يسلطون الأضواء على كثير من البدع الشائعة ويوضحون جانب الحق ، فما زال هناك كثير من العوام وأشباههم يتمسكون بهذه البدع وما زلنا نرى ونسمع هؤلاء الصبية الذين يروجون لدعاء النصف من شعبان فى الشوارع وشتى التجمعات ووسائل المواصلات واقبال البسطاء من الناس على هذه السلعة التى لا أصل لها فى الدين • وللامام الراحل الشيخ محمود شلتوت رحمه الله فتوى فى هذا المقام أحاطت بالموضوع من جميع جوانبه نوردتها فيما يلى :

الليلة المباركة فى القرآن

قال الله تعالى فى أول سورة الدخان : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة

التى يقدرها الله ، ثم يظهر ما يقع منها فى العام للمنفذين من الملائكة الكرام !!! ويمتد الكلام الى التفرقة بين التقدير الذى يحصل فى تلك الليلة ، والتقدير الذى يروى أيضا عن ليلة القدر ثم الى الفرق بين كل من هذين التقديرين اللذين يحصلان فى هاتين الليلتين « ليلة النصف وليلة القدر » وبين التقدير الأزلى لهذه الأحداث ، يمتد الكلام بين هذه التقديرات الثلاث بما أعتقد ويعتقد كل مؤمن أنه خوض فى أمر محجوب ، وهجوم على غيوب استأثر الله بعلمها ، ولم يرد بها نص قاطع من قبله .

الناس فى ليلة النصف

وكان منه أيضا ، اعتقاد العامة وأشباههم ، أن ليلة النصف من شعبان ليلة ذات مكانة خاصة عند الله ، وأن الاجتماع لحيائها بالذكر والعبادة والدعاء ، والقراءة مشروع ومطلوب ، وتبع ذلك أن وضع لهم فى أحيائها نظام خاص يجتمعون فى المسجد عقب صلاة المغرب ، ويصلون صلاة خاصة باسم « صلاة

القدر » وهو الشرف وعلو المكانة وبينت الآية الثالثة أن شهر تلك الليلة هو شهر رمضان ، الذى فرض الله على المؤمنين صومه تذكيرا بنعمة انزال القرآن وشكرا لله عليها .

الروايات والآراء

ومع وضوح الاتساق بين هذه الآيات هكذا وتساندها ، وشد بعضها أزر بعض فى تقرير أن القرآن أنزله الله على الناس فى ليلة مباركة ، ذات قدر وشرف ، وأن رمضان هو شهر تلك الليلة ، مع وضوح هذا نرى الروايات والآراء خلقت فى كتب التفسير جواً اضطرت فيه اضطراعا أثار على الناظرين فى القرآن غبارا طمس عليهم محورها الذى تدور عليه ، وباعدت بينها فى الهدى الذى ترمى اليه .

وكان من ذلك ما قيل وذاع بين الناس أن « الليلة المباركة » فى الآية الأولى هى « ليلة النصف من شعبان » وأن الأمور الحكيمة التى تفرق فيها هى الأرزاق والأعمار وسائر الأحداث الكونية

والاقتار وتبديله غنى ، ويذكرون في تبرير هذا الطلب وحديثاته أن الله قال في كتابه : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » وهو تحريف واضح للكتاب عن مواضعه ، فان هذه الآية سيقت لتقرير أن الله ينسخ من أحكام الشرائع السابقة ما لا يتفق واستعداد الامم اللاحقة وأن الاصول التي تحتاجها الانسانية العامة - كالتوحيد والبعث والرسالة ، وتحريم الفواحش - دائمة ثابتة ، وهي « أم الكتاب » الالهى الذى لا تغيير فيه ولا تبديل ، واذاً لا علاقة لآية المحو والاثبات بالأحداث الكونية حتى تحشر فى الدعاء وتذكر حيثيته .

شهر شعبان

والذى صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وحفظت روايته عن أصحابه ، وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول ، انما هو فقط فضل شهر شعبان كله ، لا فرق بين ليلة وليلة وقد طلب فيه على وجه عام الاكثار من

النصف من شعبان » ثم يقرءون بصوت مرتفع سورة معينة هي « سورة يس » ، ثم يتهلون كذلك بدعاء يعرف « بدعاء النصف من شعبان » يتلقنه بعضهم من بعض ويحفظونه على خلل فى التلقين ، وفساد فى المعنى . ويكررونه ثلاث مرات : احداها بنية طول العمر ، والثانية بنية دفع البلاء ، والثالثة بنية الاغناء عن الناس ، ويعتقد العامة أن التخلف عن المشاركة فى هذا الاجتماع نذير بقصر العمر وكثرة البلاء والحاجة الى الناس . ويتهز بعض تجار الكتب ليلة النصف فرصة ، يطبعون فيها سورة يس مع الدعاء ، ويكلفون الصبية توزيعها فى الطرقات والمركبات والمجتمعات .. منادين على سلعتهم « سورة يس ودعاءها ب .. » ..

دعاء نصف شعبان

واذا كنت ممن لم يوفقوا الى قراءة هذا الدعاء أو سماعه ، فاعلم أنهم يطلبون فيه من الله محو ما كتبه فى أم الكتاب من الشقاوة وتبديلها سعادة ، والحرمان وتبديله عطاء ،

العبادة ، وعمل الخير ، وطلب فيه
الاكثار من الصوم على وجه خاص
تدريباً للنفس على الصوم واعداداً
لاستقبال رمضان ، حتى لا يفاجأ
الناس فيه بتغيير ما ألفوه فيشق
عليهم .. وقد سئل النبي صلى الله
عليه وسلم : « أى الصوم أفضل
بعد رمضان ؟ فقال : شعبان لتعظيم
رمضان » وتعظيم رمضان انما
يكون بحسن استقباله والاطمئنان
اليه بالتدريب عليه وعدم البرم
به .. أما بخصوص ليلة النصف
.. والاجتماع لحيائها ، وصلاتها
ودعاؤها ، فانه لم يرد فيها شيء
صحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، ولم يعرفها أحد من أهل
الصدر الأول .

رأى الشيخ محمد عبده

ويجدر أن أسوق هنا
ما كتبه الشيخ الامام عن « الليلة
المباركة » في تفسيره « جزء عم »
قال أجزل الله ثوابه : « أما ما يقوله
الكثير من الناس - من أن الليلة
المباركة التى يفرق فيها كل أمر
حكيم هى ليلة النصف من شعبان ،

وأن الأمور التى تفرق فيها هى
الأرزاق والأعمار ، وكذلك
ما يقولونه من مثل ذلك فى ليلة
القدر - فهو من الجرأة على
الكلام فى الغيب بغير حجة قاطعة ،
وليس من الجائز لنا أن نعتقد
بشيء من ذلك ما لم يرد فيه خبر
متواتر عن المعصوم صلى الله عليه
وسلم ، ومثل ذلك لم يرد ،
لاضطراب الروايات وضعف أغلبها ،
وكذب الكثير منها ، ومثلها لا يصح
الأخذ به فى باب العقائد ، ومثل
ذلك يقال فى بيت العزة ، ونزول
القرآن فيه جملة واحدة فى تلك
الليلة ، فانه لا يجوز أن يدخل فى
عقائد الدين ، لعدم تواتر خبره عن
النبي صلى الله عليه وسلم ،
ولا يجوز لنا الأخذ بالظن فى عقيدة
مثل هذه ، والا كنا من الذين قيل
فيهم : « ان يتبعون الا الظن »
نعوذ بالله ، وقد وقع المسلمون فى
هذه المصيبة ، مصيبة الخلط بين
ما يصح الاعتقاد به من غيب الله
ويُعدّ من عقائد الدين ، وبين
ما يظن به العمل على فضيلة من

الفضائل ، فاحذر أن تقع فيه
مثلهم « اهـ .

يخدرنا الأستاذ الامام أن ننزل في
عقائدنا على حكم الظن ، فان الظن
لا ينبع من اليقين ، وان الظن
لا يغنى عن الحق شيئا ، وان
الاعتقاد بالظن قول على الله بغير
علم ، والقول على الله بغير علم
صنو الاثم والبغى عند الله .

وقد كان هذا هو منهج الامام
في العقائد ، ومنهجه في تفسير
كتاب الله : سير في المحجة الواضحة
واعتماد بالحجة القاطعة ، وبُعْدُ
بكتاب الله عن الظنون والأوهام .
ورحمة الله على الامام .
والسلام على من اتبع الهدى .

والله أعلم

عبد الحميد السيد شاهين

من خطبة لسيدنا الحسن بن علي بالكوفة

« ان الحلم زينة ، والوقار مروءة ، والعجلة سفه ، والسفه
ضعف ، ومجالسة أهل الدناءة شين ، ومخالطة أهل الفساق
ريبة » .

من تعاليم أستاذ الحياة
عليه السلام

كتاب الشر

مفهوم الموافقة والمخالفة
بين الإعمال والإهمال

د. محمد سعد جلال

نكاح الفتيات غير المؤمنات وهو
المسكوت عنه •• وفى كل
الموضوعين يجرى الخلاف بين
الحنفية والشافعية •

٢ - شروط العمل بمفهوم المخالفة

وللعمل بمفهوم المخالفة جملة
شروط :

أولها : ألا يكون الحكم فى
المسكوت عنه أولى بالثبوت منه فى
المنطوق به وألا يكون مساويا له •

ومثاله فى الصورة الأولى : قوله
تعالى : « ولا تقل لهما أف »
فالحكم فى المنطوق به هنا - وهو
لفظ « أف » - هو التحريم ،
لاشتماله على أذية الوالدين
فيثبت الحكم فى المسكوت عنه
كالقتل والتحريق بعلّة « الأذى »
من باب أولى • ويسمى ثبوت
الحكم فى المسكوت عنه على هذا
الوجه « دلالة نص » « وفحوى
الخطاب » •

ومثاله فى الصورة الثانية :
أثبت النص وجوب الكفارة على

قال الحنفية : لا يصح العمل
بمفهوم المخالفة •• وقال الشافعية :
يتعين العمل به • ويتعلق بذلك
قواعد •• ويتعين قبل أن ندخل فى
التفصيل أن نبين مفهوم المخالفة ،
وهو « أن يثبت الحكم فى
المسكوت عنه على خلاف ما ثبت
فى المنطوق به » •

ومثاله قوله تعالى : « ومن
لم يستطع منكم طولا أن ينكح
المحصنات المؤمنات فمما ملكت
أيما نكم من فتياتكم المؤمنات » •
فيه شاهدان مما يسمى بمفهوم
المخالفة :

الأول : فى قوله « ومن لم
يستطع منكم طولا » - الآية - :
علق جواز نكاح الأمة على عدم طول
الحرّة ، ومفهومه عدم جواز نكاحها
عند طول الحرّة وهو المسكوت
عنه •

والثانى فى قوله : « من فتياتكم
المؤمنات » أى الاماء المؤمنات :
أباح المنطوق نكاح الاماء الموصوفات
بالإيمان ، ومفهومه عدم جواز

ثالثها ورابعها وخامسها :

ألا يقع المنطوق جوابا لسؤال معين ، أو لحادثة معينة • أو يقع بناء على علم المتكلم بأن السامع يجهل هذا الحكم المخصوص •

مثال الثالث : أن يسأل صاحب البيان : « هل فى الابل السائمة زكاة ؟ » ، فيجيب : « ليس فى الابل السائمة زكاة » •

ومثال الرابع أن تقع حادثة معينة بين يدى صاحب البيان تتطلب منه بيان الحكم فى الابل السائمة : فيقول : « ليس فى الابل السائمة زكاة » •

فوصف الابل بالسوم فى هذين المثالين لا يدل على نفى الزكاة عند انتفاء وصف السوم •

ومثال الخامس اذا كان صاحب البيان يعلم من أمر السامع جهله بخصوص حكم زكاة الابل السائمة •• فابتدأه بهذا القول : « ليس فى الابل السائمة زكاة » • فانه لا يدل على نفى الحكم بانتفاء وصف السوم وذلك لأن مقتضى

المفطر عمدا فى نهار رمضان بالوقاع فى حديث الأعرابى ، فوقف الشافعية عند أداء النص وقالوا : لا كفارة فى فطر نهار رمضان بغير سبب الوقاع • وألحق الحنفية الأكل والشرب عمدا بالوقاع باعتبار مساواتهما له فى تقض الصوم فقالوا بثبوت الكفارة فيهما •

ثانيها : ألا يخرج الوصف الموهوم للتفرقة فى الحكم بين المنطوق والمسكوت مخرج الغالب والعادة كقوله « • وربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن » • هذه الجملة تقع جزءا من آية النص على النساء المحرمات ، ومفادها الظاهر اثبات أن بنت الزوجة - وتسمى ربيبة - محرمة على زوج أمها ما دامت فى حجره ، ومفهومه أن نكاحها جائز له ما لم تكن فى حجره ، لكن هذا المفهوم ملغى ، لأن القيد - وهو قوله : اللاتي فى حجوركم - خرج مخرج العادة ، فلا يدل على الاحتراز •

الدليل الثانى :

قال : ان العرف يشهد لنا ، فانه لو قال قائل : « الانسان الطويل لا يطير » • يتبادر منه للفهم أن الانسان غير الطويل يطير وهو أمر مستقبح ولهذا يستقبحه العقلاء : وليس مرجح استقبحهم له نفى الطيران عن الانسان الطويل ، فانه لو قال : الانسان الطويل وغير الطويل لا يطير لا يستقبح منه ذلك ، فلم يكن استقبحهم له الا من حيث كان قول ذلك المتكلم يثبت بمفهومه فى الضد حكما مستحيلا ، وهو أن الانسان القصير يطير فقد خرج قوله مخرج العبث •

الدليل الثالث :

قالوا : ان اثبات مفهوم المخالفة فى الكلام يقتضى تكثير الفائدة منه من حيث تقول أن تخصيص الشئ بالوصف يدل على اثبات الحكم فى المنطوق به كما يدل على نفى الحكم فيما عدا الموصوف بهذا الوصف فى المسكوت عنه ، فيكون ذكر الوصف فى المنطوق به بغير

الراهن عند المتكلم بهذا القول من مطابقة الجواب للسؤال أو الحادثة أو ارادة التعليم ، قد استغرق فائدة القيد فلم يعد له عمل فى المسكوت عنه •

٣ - القواعد التى تشمل عليها مفهوم المخالفة

ويشتمل مفهوم المخالفة على عدة قواعد •

القاعدة الاولى :

وهى : « ان تخصيص الشئ بالوصف يدل على نفى الحكم عما عداه عند الشافعى ، خلافا للحنفية »
احتج الشافعى بالأدلة الآتية :
الدليل الأول :

قال : ان مقتضيات ذكر الوصف فى المنطوق منحصرة فى الأمور الأربعة التى ذكرناها • فاذا انتهى احتمال وجود أى واحد من تلك الأمور الأربعة تبريرا لذكر الوصف فى المنطوق تعين أن يكون فائدة ذكر الوصف فى المنطوق هى نفى الحكم عما عداه - أى فى المسكوت عنه •

المخالفة ، التي هي - كما قلنا من قبل - عدم خروج الوصف مخرج العادة ، أو عدم كونه جوابا عن سؤال أو حادثة • أو علم المتكلم بأن السائل يجهل هذا الحكم •

وثانى الشئيين - الواقع الحصر بينهما هو ارادة نفي الحكم عما عدا الموصوف به ، فاذا انتفت هذه الأمور الأربعة واحدا بعد واحد فى اظهار فائدة ذكر الوصف فى المنطوق به لم يكن له من فائدة الا نفي الحكم فيما عدا الموصوف به • هكذا قال • ولكن بناء الحصر على الأمور الأربعة المذكورة ، والقول بأن انعدامها بخصوصها كان لاثبات خلاف حكم الأصل فى المسكوت عنه - باطل ، لأن مبررات ذكر الوصف فى الكلام غير منحصرة فى الأربعة المشار إليها - بل يوجد فى مقتضى أحوال الكلام ، وأساليب اللغة دواع أخرى لذكر الوصف مكفوفا عن العمل فى المسكوت عنه ، كقولهم : « أمس الدابر لا يعود » فهذا الوصف للتوكيد ولا يراد به نفي الحكم عما

افادة نفي فى الحكم المسكوت عنه غير مفيد • • ويعد ترجيحا لوجوده فى الكلام من غير مرجح ، لأن عدم وجوده مساو حينئذ لوجوده ، اذ لم يكن لوجوده فائدة أصلا ، وقد فرضنا أن ذكر الوصف هنا تعرى عن القصد به ، لواحد من الأمور الأربعة المبررات لذكره •

الدليل الرابع :

قال : ولأن مثل هذا الكلام يدل على « على » الوصف مثل قوله : « فى الابل السائمة زكاة » فعدم الوصف يدل على عدم الحكم فى المسكوت عنه • لعدم « العلة » •

جواب الحنفية على ادلة الشافعى

وأجاب الحنفية عن هذه الحجج فقالوا :

أما عن الحجة الأولى فان معنى كلام الشافعى قائم على أن فائدة الوصف الموجود فى الكلام منحصرة فى شيئين اثنين •

أحدهما : الأمور الأربعة المشتركة عدم ارادتها لصحة وجود مفهوم

ففى جميع الأمثلة المذكورة ينهض الدليل على أن مقتضيات ذكر الوصف فى المنطوق غير منحصرة فى عدد معين كما يقول الشافعية. وأنها تفيض عن الأربعة المذكورة ، فحصرها فى الأربعة المذكورة أو ارادة نفى الحكم عما عدا المذكور الموصوف باطل •

وأما عن الحجة الثانية فقالوا : ان العقلاء لا يستقبحون قول القائل « الانسان الطويل لا يطير » من حيث أن الوصف اثبت فى الضد حكما مخالفا هو الانسان القصير يطير ، وانما يحمل استقباحهم على أن هذا الوصف ليس له فائدة أصلا • وهو ناب عن استعمالات العرب لأنه لو قال : « الانسان الطويل ، وغير الطويل لا يطير » لم يكن ذلك مستقبحا •

قال صدر الشريعة فى التوضيح : « على أن القاعدة لا تثبت بالمثال الواحد » •

وأما عن الحجة الثالثة : فقالوا : لا سبيل الى القطع بأن ذكر الوصف

عداه ، وكقوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه » ، فان المراد بقوله فى « الأرض » وقوله « يطير بجناحيه » القصد لزيادة التعميم والاحاطة ولا يراد به نفى الحكم عما عداه • لأنه لا يتصور أن تكون الدابة فى غير الأرض ، ولا أن يكون الطائر بغير جناحين •

وكقولهم : « الجسم الطويل العريض العميق متحيز ، ومع ذلك لا يراد منه نفى الحكم عما عداه ، ولو أريد منه ذلك لزم أن يكون الجسم غير الطويل العريض العميق غير متحيز وهو مستحيل لأن الجسم لا يوجد بغير هذه الصفة أصلا ، وانما وصف كذلك تعريفا للجسم ، وليبان أن علة التحيز هى هذا الوصف •

وكاستعمال ذكر الوصف فى المدح أو الذم كقوله : « ابو حنيفة التقي ، وابن حنبل الزاهد » اذ لا يراد بهما نفى الفقه والزهد عن غيرهما •

وجدانى .. وكذلك كانت لغة العرب
والقرآن : ولكن الأصوليين والفقهاء
ربما نسوا هذه الحقيقة الواضحة
المؤكدّة : فنظروا الى لغة العرب
والقرآن - التى هى أساس
استشهادهم على تأسيس
قواعدهم - على أنها عملية
عقلية محضة تصاغ وتستعمل على
مثال الأرقام الرياضية فى الدلالة
الصلبة على المعانى المقصودة
باستعمالها ، وكأنهم أرادوا أن
يجروا لغة العرب، بما فيها من توسع
ووجدان على منهج الأساليب العلمية
التي يكتبون بها كتبهم .. ولغة
العرب وأسلوب القرآن عن ذلك
بمناى بعيد .

وبناء عليه فلا يتعين القول بأن
ذكر الوصف - اذا لم يفد نقى الحكم
عما عدا الموصوف - يكون ذكره
ترجيحا بغير مرجح لانعدام
فائدته - لأنه لا يخلو قط من
فائدته .. لأنه لا يخلو قط من
وجعلته من كلامها .. حتى ومع
العجز عن معرفة الفائدة فان لكلام
العرب وللقرآن فى المستوى الأعلى

معدوم الفائدة أصلا لى يكون
وجود ذكره مساويا لعدم وجود
ذكره فى الكلام . بل لا بد له من
فائدة تعنيها العرب فى لسانها ،
لا يتعين أن تكون نقى الحكم فيما
عدا الموصوف .

قلت وأقل من ذلك فائدة -
كما لاحظنا من مقاصد بلاغة أهل
اللسان - القصد الى توضيح
صورة الشئ المعبر عنه لذهن
المخاطب بما يطابق اعتياده لرؤيته
فى الواقع ، فان مطابقة هذا
الاعتياد يضع فى النفس اقتناعا
وارتياحا لصورة التعبير ، وأظهر
أمثله ماسبق من قوله : « وما من
دابة فى الارض ولا طائر يطير
بجناحه » : فقد تعود المخاطب
بعادة متمكنة أن يرى الدابة فى
الأرض ، وأن يرى الطائر بجناحه،
فاذا ورد الخطاب على سمعه
بالصورة التي ألفها بصره - غير
ناقصة ولا مبتورة - كان ذلك
أروح لنفسه وأرضى لوجدانه .

وليست اللغة والبلاغة نداء عقليا
فقط ، ولكنها - أيضا - نداء

المذكور فى المنطوق اقتضى عندهم
حكيمين : اثبات الحكم فى
الموصوف به ، ونفى الحكم عما
عداه : فانعدام الوصف يعد عندهم
علة شرعية اقتضت عدم الحكم فكان
عدمه حكما شرعيا لا عدما أصليا
وهو ما يمنعه الحنفية •

القاعدة الثانية : « التعليق
بالشرط يدل على عدم الحكم عند
عدم الشرط عند الشافعى •

وقال الحنفية : التعليق بالشرط
لا يدل على ذلك •

احتج الشافعى بأن موجب
التعليق بالشرط عدم حصول الحكم
عند عدم الشرط ، اعمالا لشرطيته
لأن الشرط ما يتوقف عليه غيره •
وذلك كشرطية الوضوء للصلاة ،
والثمن للبيع فانتفاء الشرط دال على
عدم الحكم •

وقال الحنفية : ان الشرط يقال
على أمرين : يقال على ما يتوقف
عليه الشئ ، ولا يترتب عليه
كالوضوء للصلاة : وقد يقال للمعلق

من أسرار البلاغة وبعد الأغراض
ما يمنع القطع بنفى الفائدة عن
ترجيح اثبات الوصف المذكور •

وأما عن الحجة الرابعة : وهى
قولهم ان الوصف بمنزلة العلة
للحكم فانعدام الوصف يستلزم
انعدام الحكم - الى آخره - فقد
أجاب عنه الحنفية بجوابين •

أحدهما : ان أقصى درجات
الوصف فى التأثير أن يكون «علة»
وكونه كذلك لا يدل على أن عدمه
يقتضى نفي الحكم فى الموصوف •
لأن الحكم يثبت بعلة شتى •

وثانيهما : انا نوافق على أن
انعدام الوصف يدل على عدم
الحكم - وذلك بوجهة نظر تختلف
عن وجهة نظر الشافعية • فانا
نقول : ان مرجع عدم الحكم هو
عدم علة له أصلا كانت تقتضى
وجوده ، فهو عدم أصلى • كعدم
أى شئ لأنه لم يحدث له فى
الوجود سبب يقتضى وجوده •

ووجهة الشافعية ان عدم الحكم
هنا حكم شرعى : لأن الوصف

المؤمنات فمما ملكت إيمانكم من
فتياتكم المؤمنات « علق الشارع
جواز نكاح الامة على شرط - هو
العجز عن القدرة على نكاح الحرة
- فاذا انتفى هذا الشرط ، لزم
انتفاء المشروط : وهو جواز نكاح
الامة ، فلا يجوز نكاح الامة للقادر
على نكاح الحرة وهو مذهب
الشافعي - وقد جعل هذا المفهوم
مخصصا للعموم الوارد في قوله :
« وأحل لكم ما وراء ذلك » .

ومذهب الحنفية جواز نكاح
الامة مع طول الحرة . لأنهم
كما بينا - لا يرون ان التعليق
بالشرط يستلزم نفي الحكم عند
عدمه ، فلا يصح هذا المفهوم
مخصصا ولا ناسخا عندهم .

القاعدة الثالثة :

قال الشافعي : « المشروط يوجب
حكمه بدون الشرط فيجب الحكم
بالمشروط على جميع التقارير
والشرط يقيده بتقدير معين . ويعدم
غيره من سائر التقارير عند الشافعي

به ، وهو ما يترتب عليه الحكم
ولا يتوقف عليه .

فالشرط بالمعنى الأول هو الذي
يوجب عدم الحكم عند عدم
الشرط ، لا بالمعنى الثاني : فينتفى
المشروط عند انتفاء الشرط كاتقاء
صحة الصلاة لعدم وجود الوضوء
وليس انتفاء صحة الصلاة لعدم
وجود الوضوء حكما شرعيا ، اذ لا
شك في كونه عدما أصليا لكنه مع
ذلك يكون دالا على عدم صحة
الصلاة لتوقفها عليه .

وأما الشرط بالمعنى الثاني ، فانه
لا دلالة لاتفائه على انتفاء المشروط
فقد ينتفى الشرط ولا ينتفى
المشروط . نحو ان دخلت الدار
فأنت طالق « فانه قد ينتفى
الشرط - وهو دخولها الدار ، ولا
يلزم منه انتفاء الحكم وهو عدم
طلاقها ، بل قد يوجد طلاقها بسبب
آخر غير دخولها الدار كغضبه
عليها . أو رغبته في زواج غيرها .
ومثال ذلك من أغراض الفقه :
قوله تعالى : « ومن لم يستطع
منكم طولا أن ينكح المحصنات

والتعليق يؤخر وقوع الحكم الى
زمان حصول الشرط •

ففى قولك : « انت طالق ان
دخلت الدار » انعقد المعلق سببا
لوجود الطلاق على سائر التقادير •
والتعليق آخر الحكم بعد انعقاد
المعلق سببا الى زمان وقوع الشرط
الذى يقيد المعلق بتقدير واحد هو
دخول الدار ويعدم غيره من سائر
التقادير •

وعند الحنفية لا ينعقد المعلق
سببا للحكم قبل زمان الشرط •
لأن السبب ما يكون طريقا الى
الحكم • وقبل وجوب الشرط ،
لا يعد المشروط سببا للحكم •

ففى المثال السابق يثبت موجب
الشرط مع المشروط وهو السبب
المنشئ للطلاق وقت حصول
الشرط - لا قبله - دفعة واحدة على
التقدير الذى أفاده الشرط •

وبناء على هذا المبدأ تختلف
أحكام بعض المسائل الفقهية بين
المذهبين :

وقال الحنفية : « المشروط
والشرط كلام واحد يوجب حكما
واحدا على تقدير واحد » •

توضيحه : فى مثل قولك :
« أنت طالق ان دخلت الدار » •
فعلى قول الشافعى : أفاد « أنت
طالق » اثبات الطلاق فى الحال على
جميع التقادير ، لكن قولك : « ان
دخلت الدار » شرط قيد المشروط
بتقدير معين ، وهو دخول الدار ،
اعدام اعتبار ما سواه من التقادير
الأخرى فالشرط أثر فى اعدام
الحكم بالنسبة للتقادير الأخرى •

وعند الحنفية ، المشروط ليس له
دلالة على معناه بدون تزكية مع
الشرط بحيث يعتبر أن كلاما واحدا
يوجب الحكم على تقدير واحد •
وهو ساكت عما عداه من سائر
التقادير •

وينبنى على هذه القاعدة عند
الطرفين مبدأ فرعى : هو :

ان المعلق بالشرط ينعقد سببا
للحكم عند الشافعية من حيث انه
يثبت حكمه بنفسه بمجرد حصوله
بغير توقف على وجود الشرط •

لا يقيد حكمه بدون الشرط فزمن حصول الشرط هو زمن حصول المعلق ، وزمن حصول الشرط في المعلق بالملكية هو زمن الملكية .
فوقوع المعلق « اذا وقع يكون في حيز الملك - وهو الشرط المطلوب لصحة التعليق - فصح التعليق » .
المسألة الثانية : يجتوزا لشافعي التعجيل بالنذر المعلق بالشرط : لأن صيغة النذر توجب الحكم بغير انتظار الى زمان وجود الشرط عنده كما قدمنا وتعجيل الحكم على الشرط عند انعقاد السبب جائز اجماعا كتعجيل الزكاة قبل انتهاء الحول بعد وجود السبب وهو النصاب .

ومنع ذلك الحنفية بناء على قاعدتهم المذكورة : وهي أن المشروط لا ينعقد سببا قبل وجود الشرط لأن المشروط جزء من السبب كما أن المشروط مع الشرط كلام واجب ولا يكون جزء السبب سببا ، ولأن السبب ما كان طريقا للحكم مفصيا اليه ، وقد حال انعدام الشرط للحال دون وصول السبب

المسألة الأولى : قال الشافعي : يتمتع التعليق بالملك : نحو قوله لامرأة أجنبية : « ان تزوجته فأنت طالق » وقوله لعبد غيره ان ملكتك فأنت حر ، فان قال مثل ذلك . فانطلاق لغو ، والاعتاق لغو : قال لأن المشروط وهو التطبيق والاعتاق لا ينعقد سببا ، للطلاق والعق ، الا في حيز الملك . لأن الملك شرط لانعقاده سببا للحكم - وهو محل اتفاق بين الحنفية والشافعية - وفي هذه الصور عندما حصل المعلق - أعنى ايجاب الطلاق والعق - كان ذلك قبل زمان الشرط . فلم يكون الملك موجودا . فبطل التعليق لعدم تحقق شرطه ، وهو سبق الملك على التعليق .

والحنفية يجيزون التعليق بالملك . فيصححون الأمثلة المتقدمة : يحكمون بوقوع الطلاق وبعق العبد .

قالوا : نعم لا بد من كون الملك شرطا لانعقاد المعلق سببا للحكم . ونحن لا نوقعه الا في الملك . لكن مذهبنا - كما بينا - ان المعلق

وجود الشرط الذي هو مذهبهم •
 وثانيهما : ان اليمين ليست سببا
 للحنث • لأن اليمين موضوعة
 للبر ، لا ، للحنث ، والكفارة انما
 تجب على تقدير الحنث : فيكون
 الحنث هو سبب الكفارة ، واليمين
 شرط لها ، فاذا أصبح الحنث
 سببا في الكفارة ، امتنع جواز
 تقديم الكفارة عليه — لأنه لا يجوز
 تقديم الحكم على السبب •

ودعوى الشافعى ثبوت التفرقة
 بين الحقوق المالية ، والبدنية بكون
 المالية ينفصل فيها الوجوب عن
 وجوب الأداء فينقصد السبب وهو
 اليمين وان لم يستوجب الأداء
 بخلاف الحقوق البدنية غير القابلة
 لهذا الانفصال غير صحيح في هذا
 الموضوع لأن الحق الواجب لله
 تعالى على العباد انما هو العبادة
 التي هي فعل يباشره العبد على
 مضادة هوى نفسه ابتغاء رضوان
 الله عليه : فالمال لا يتصور أن يكون
 عين العبادة التي هي الواجب • بل
 يكون أداة لتحقيق هذا الواجب
 بمنزلة أعضاء البدن، فتصير الحقوق

للحكم فلا يعدسببا — لأن الأسباب
 الشرعية موضوعة شرعا لبلوغ
 محالها فاذا لم تبلغ محالها لم تعتبر
 أسبابا كاملة •

المسألة الثالثة : جوز الشافعى
 فى الحنث فى اليمين تعجيل الكفارة
 المالية على الحنث : قال : لأن
 الواجب المالى ينفصل فيه الوجوب
 عن وجوب الأداء : وذلك كالثمن
 فان نفس الوجوب يثبت فى
 الذمة بالشراء ، واما وجوب الأداء
 فانه يثبت بالمطالبة بخلاف الواجب
 البدنى فلا ينفصل فيه نفس الوجوب
 عن اداء الوجوب قال : ثم أن
 اليمين سبب فى الكفارة وشرطها
 الحنث فاذا انعقدت اقتضت نفس
 الوجوب — لا وجوب الاداء المعلق
 على الحنث ، وهو الشرط — فجاز
 تقديم الكفارة المالية كتحرير الرقبة
 مثلا على الشرط وهو الحنث
 كتقديم الزكاة قبل نهاية الحول •

ورد الحنفية صحة هذه المسألة
 على الشافعى بطريقين :

أولاهما : ماتقرر من أن المشروط
 لا ينعقد سببا للحكم قبل زمان

أما الأجل فانه داخل على الثمن ، فيقتضى تأخير المطالبة به ، وليس داخلا على الحكم فيقتضى تأخير الحكم ، ولا هو داخل على السبب فيمنع انعقاد السبب ، ومن حيث لم يدخل على واحد منهما . ولا يكون من شأنه التأثير فى غير محل دخوله . فلا يؤثر فيهما ، لأن الشيء المؤثر لا يؤثر الا فى محل دخوله .

وأما شرط الخيار فانه قد ثبت فى البيع على غير القياس لأن البيع لا يقبل الخطر . وهو الشرط فانه بالشرط ينقلب قمارا فشرط الخيار فى البيع شرط ينافى عقد البيع ، وانما جاز شرط الخيار من أجل دفع ضرورة احتمال دخول الغبن على المشتري اذا كان لا يأمن الغبن على نفسه ، والضرورة تقدر بقدرها وقدرة الضرورة أن نكتفى بإدخال شرط الخيار على الحكم فى البيع ، ولا ندخله على السبب لتقليل المخالفة الأصل بالتقدير الممكن .

وأما فى التطليق والاعتاق حيث يدخل الشرط على السبب فيمنع

المالية الثابتة لله حينئذ كالحقوق البدنية فى أن المقصود بالوجوب فيها هو وجوب الاداء سواء بسواء ، وتعليق وجوب الاداء يمنع تمام السببية فى كل من الكفارات البدنية والمالية .

٤ - استدراك من جهة الحنفية لتصحیح بعض مسائلهم

وحيث استمر الحنفية على القول بأن الشرط يدخل على السبب ويمنع انعقاده اعترض عليهم الشافعى : بأن العلاقة بين الشرط والمشروط كالعلاقة بين خيار الشرط فى البيع وعقد البيع ، والعلاقة بين تأجيل الثمن فى البيع ، والبيع : وفى هذين الموضعين لم يجعلوا خيار الشرط ، ولا تأجيل الثمن مانعا من انعقاد السبب . « قال : فلزمكم أن تقولوا بمثل ذلك فى العلاقة بين الشرط والمشروط وتحكموا بأن دخول الشرط على المشروط لا يمنع انعقاده سببا .

وأجاب الحنفية باثبات الفرق بين هذه الحالات الثلاث :

انعقاده فيهما فذلك جائز لأنهما من قبيل الاسقاطات التي لا ينافيهما الخطر • ويتعين فيهما أن يدخل الشرط على السبب ، لأن دخوله على السبب هو لأصل لفصل الحكم عن سببه وهو خلاف القاعدة :

فلزم ادخاله على السبب بحكم الأصل لعدم الفصل ما لم يعترضه المانع » • كما في خيار الشرط • وبالله التوفيق •

دكتور
محمد سعاد جلال

كلمات في التصوف

١ - من كلام محمد بن اسماعيل المغربي ، أعظم الناس ذلاً ، فقير داهن غنياً أو تواضع له ، وأعظم الخلق عزاً : غنى تذلل لفقير ، وحفظ عرضه .

بقدر لفات المرء يكثر نفعه
فتلك له عند الشدائد أعوان
تهافت على حفظ اللغات مجاهداً
فكل لسان في الحقيقة انسان
« صفي الدين الحلي »

فهرس العدد

صفحة

متى شرع الاعلام بالصلاة وكيف شرع الاذان

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير ... ١٣٥١

المجتمع الفاضل كما يصوره النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ عبد الحميد الفضالي ... ١٣٦١

صورة من حكمة الله ، النسخ والتدرج في الحكم الشرعى

للأستاذ أحمد حسين ... ١٣٧٥

المذهب الشيعى فى شعر الحميرى

للأستاذ سيد حسن قرون ... ١٣٨٧

رحلة مع كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى ... ١٤٠٣

احتياج العالم الى الله طبقا لقوانين الفيزياء الحديثة

للدكتور يحيى هاشم ... ١٤٢٧

الاسلام شريعة عالمية

للأستاذ زاهر عزب الزغبى ... ١٤٤٧

أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية

للدكتور توفيق محمد شاهين ... ١٤٦٦

الصوفية ووحدة الوجود

للشيخ موسى محمد على ... ١٤٧٩

شبهات حول السنة

للدكتور رءوف شلبى ... ١٤٩٠

وسائل الاعلام في عصر النبوة

١٤٩٨ ... للدكتور محمد سيد محمد

في عباب النور

١٥١٥ ... للأستاذ محمد عادل سليمان

الشريعة الاسلامية والقانون الانجليزى

١٥١٩ ... المستشار حسن حسب الله

شوقى ديوان العربية

١٥٢٨ ... للدكتور سعد ظلام

الحرب في الاسلام

١٥٣٥ ... عقيد شرطة عبد الحكيم عباس خالد

أخطاء شائعة

١٥٤١ ... للأستاذ عباس أبو السعود

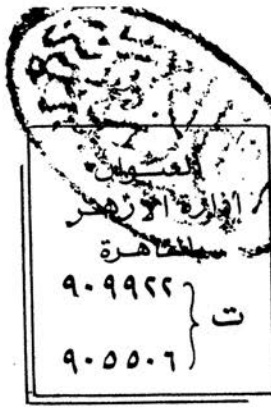
الفتاوى

١٥٦٠ ... للأستاذ عبد الحميد شاهين

كتاب الشهر . مفهوم الموافقة والمخالفة

بين الاعمال والاهمال

١٥٦٧ ... للدكتور محمد سعاد جلال



الأنهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
ورئيس التحرير

الدكتور
عبد الورود شلبي

الجزء السابع - السنة الحادية والخمسون - رمضان ١٣٩٩ هـ - أغسطس ١٩٧٩ م

١٢٥
٢٩٩٩٦
دوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية

للدكتور رء وف شلبي

والفوضى والطبقية والاحتكار
والظلم • لقد كانت حياتها صورة
قيحة لحياة الجنس البشري ،
بينما كانت الحياة الإسلامية في
الأندلس تعيش حياة العلم الذي
ارتفعت مناراته في قرطبة وغرناطة
وأشبيلية ، ومع العلم الأمن والعدل
والرخاء والاحترام ، والمجتمع

المرضى بالأعصاب يحفظ لهم
الطب السيكلوجي تصرفات خاصة
واقفعالات ذات طابع معين منحرف
عن السلوك السواء والمستشرقون
هم أول المرضى بالأعصاب •

فقد كانت أوروبا الى جوار
الأندلس المسلم صورة قاتمة من
الفقر والجهل والمرض والعبودية

الصلبية وكان خروج الاسلام من
الأندلس التى صارت دولة اسبانيا
المسيحية اليوم •• ولم يكتف
المسيحيون الأوربيون بذلك بل
نظموا حملات حربية من نوع خاص
تتمثل فى :

١ - التبشير •

٢ - الاستشراق •

والتبشير : يعنى التوجه الى
الجماعة الاسلامية كأفراد ليحيلها
الى أفراد مسيحيين •

والاستشراق : يتوجه الى الأفكار
فى المجتمع الاسلامى ليشككها فى
تاريخها وثقافتها ليوهى الفكرة
الاسلامية حتى لا يجد المجتمع
الاسلامى له قيادة تبصره فتسهل
عملية التبشير الهادفة الى تحويل
المجتمع الاسلامى الى مجتمع مظلم
كافر •

وكان من أول المجالات التى
يهاجمها مرضى الأعصاب
المستشرقون : السنة الاسلامية ،
وشيخ هؤلاء المرضى هو : جولد

الفاضل الذى يعلم الناس أصول
التعاشر الرفيع كأفضل ما تكون
الحياة رفقا وعدلا وحنانا وإخاء
وإيماناً •

كانت هذه الصورة لجارتين
متجاورتين : أوروبا الكافرة الجاهلة
المنحطة ، والأندلس الاسلامى العالم
المجيد •

لقد كان الأندلس مركز البعث
الانسانى لأنه مسلم ، وكانت أوروبا
مركز الظلم والظلمات لأنها كافرة •
ولهذا لم يكن الأندلس الاسلامى
أنانيا فلم يضيق مساحات جامعاته
ولم يقصرها على بنيه وأهله بل فتح
جامعاته الاسلامية للعاشقين من
شباب فرنسا وأوروبا فى الثقافة
والمعرفة فخرج الزمامون للعلم
والحرية الى الأندلس ونهلوا من
جامعات الأندلس الاسلامى علما
غزيرا ولكنهم كانوا يحملون صفات
خسيسة صفات المجتمع الرقيق
فلم يحفظوا للاسلام جميلا بل
قابلوا حسناته بجحافل من الكراهية
والسيئات فكافت الحروب

- ٣ - الامام الزهري من أمثلة العلماء الذين استغلهم العهد الاموي في وضع الحديث •
- ٤ - يروي نصوصا تؤيد آراءه •

- ٥ - ادعاء أن الموطأ كتاب فقه •

مناقشة هذه النقاط

النقطة الاولى :

يدعى جولد زهير أن السنة وضعت بعد نضوج المسلمين وكلمة نضوج هذه كلمة براقعة تخدع المسلمين كثيرا في العصر الحاضر ، ويتغنى بها الأوروبيون لأنهم عاشوا الحياة في ذل وفقر •

واذا سألنا عن أسس النضوج وجدنا الأجابة كاملة في ظل الدولة الاسلامية الأولى فوسائل النضوج هي :

- دستور للدولة
- وقانون يضبط السلوك
- وجيش يحمى الذمار
- وحكومة تقيم العدل

زهير ، ولقد اعتمدت الحركة الصهيونية واليهودية من المال ما مكنه من نشر كل أحقادهم وخبثه وتضليلاته وتشكيكاته وسمومه عن الاسلام والمسلمين •

وقد استطاع بخبثه ودهائه أن ينشر في المجتمع المثقف أنه باحث نزيه وتلك واحدة من مقتريات المستشرقين عامة ومن شيخهم خاصة •

ان جولد زهير يهودى مسيحي فهو من سلالة خبيثة الأصل ، ويتحلل دينا باطلا ، ولا تقتر جهوده لحظة عن تحطيم الاسلام ، وقد ركز هجومه على السنة في نقاط أربع :

١ - القسم الأكبر من الحديث انما هو أثر من آثار المسلمين وضعوه في عصر النضوج •

٢ - الدولة الأموية تدخلت في وضع الحديث لتأييد وجهة نظرها السياسية وأنهم اضطهدوا العلماء وزادوا في درجات المنبر على الثالث •

وجدير بالذكر أن نستشهد برأى رجل متعصب ضد الاسلام فيما يتعلق بنضوج الأمة الاسلامية : يقول (جون جلوب) وقد أقامت معظم الدول الاسلامية منذ القرن السابع وفى مختلف العهود أنظمة قضائية فعالة ونظمت فرق الشرطة ٦٦٢ الفتوحات العربية •

ففى أقل من خمسين عاما تمكن بدو الجزيرة العربية من أن يقيموا أعظم امبراطورية عرفها العالم آنذاك ومن أعظم الامبراطوريات التى عرفها التاريخ ، ولم يسبق لأية امبراطورية بمثل هذه الضخامة وذلك الاتساع أن أقيمت فى مثل هذا الوقت القصير - ٦٥٥ الفتوحات العربية •

النقطة الثانية

يدعى شيخ المرضى بالأعصاب جولد زهير أن الدولة الأموية تدخلت فى وضع الحديث لتأييد وجهة نظرها السياسية وأن الدولة الأموية فى سبيل هذا اضطهدت العلماء وأنه زاد فى درجات المنبر على ثلاث • • وهذا جهل فاضح

ومجتمع تقوم الروابط فيه على المحبة والاخوة والتعاون ولقد كان القرآن دستور الأمة وكانت القوانين تشرعها السنة والعلماء فى ظل الخلافة الراشدة من بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان الجيش الإسلامى قد أنهى دولة الفرس فى معركة القادسية ودولة الروم فى معارك اليرموك وفتح مصر والاسكندرية وبرقة وتونس • وكانت الحكومة الاسلامية تقيم العدل لغير المسلمين بينما كان المجتمع فى أوروبا يقوم على الذل والفقر والطبقية والجبروت والجهل والفحش والمرض •

وفى ظلال تلك الدولة التى تملك وسائل النضوج كانت السنة مدونة فى صحائف عبد الله بن عمرو، وأبو بكر وعلى ، وجلة من كبار رجال الفكر الإسلامى حتى كان الزهرى فى عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز فجمع ما شاء الله من السنة ليهدبها من شوائب الفتنة التى حلت بالأمة الاسلامية بعد معارك الخلافة فيما بعد •

« ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم
البيئات وأولئك لهم عذاب عظيم »
(آل عمران ١٠٥) •

« منيين اليه واتقوه وأقيموا
الصلاة ولا تكونوا من المشركين ،
من الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا كل حزب بما لديهم فرحون »
(الروم ٣١ : ٣٢) •

فالشيعة والخوارج أحزاب
سياسية ولا تمثل جبهة العلماء التي
يدعى جولد زهير انهم اضطهدوا
فى عهد بنى أمية •

أما ما يدعيه من أن بنى أمية
زادوا فى درجات المنبر على ثلاث
كدليل على ما يدعيه أنهم وضعوا
أحاديث لنصرة مذهبهم فتلك واحدة
من العقليات اللاهوتية المسيحية
اذ الزيادة أو النقص فى درجات
المنبر لا ترتبط بمبدأ اسلامى
فليست حوائط المسجد وأبنيته جزءا
من الصلاة أو شرطا لها كما هو فى
المسيحية اذ تجعل الصلاة فى غير
كنيستهم غير صحيحة فالكنييسة
جزء من صلاة المسيحية •

بحقائق التاريخ لأن معاوية بن أبى
سفيان هو أول وال فى ظل خلافة
سيدنا عثمان الذى نظم اسطولا
بحريا لفتح بلاد شمال افريقيا
والجزر الشرقية فى البحر الأبيض
المتوسط واستولى على مدينة قبرص
وعاهد أهلها ثم عاد اليها عام
٦٥٣ م •

لقد كان رجال بنى أمية مشغولين
بالتفوحات فأرسلوا الجيوش الى
أفريقيا وأوربا ليفتحوها للاسلام
ورحلات الجيش الاسلامى فى عهد
معاوية مدونة ، وفى عهد عبد الملك
ابن مروان الى الأندلس وغرب
أفريقيا وكان رجال بنى أمية على
رأس هذه الحملات فلم يكن عندهم
فراغ لمثل ما يدعيه جولد زهير •

أما الحرب التى شنها الأمويون
على الشيعة والخوارج فليس ذلك
من قبل اضطهاد العلماء فليس فى
الاسلام تحزب ولا فرق •

« ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم فى شىء انما أمرهم
الى الله ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون » (الأنعام) •

٥ - حدثني أبي قال : الزهرى
مدنى تابعى ثقة (صالح بن أحمد
ابن حنبل) •

وتلك فاضحة لعقلية جولد
وواحدة من أدلة جهله بالفكرة
الاسلامية •

النقطة الثالثة

ومع هذا فالزهرى أمر بجمع
السنة من أصلح خلفاء التابعين وهو
عمر بن عبدالعزيز ، ولا يشك واحد
من المؤرخين المتعصبين أو المتسامحين
فى أن عمر بن عبد العزيز
كان من أعدل الخلفاء وكان عهده
سلاما وأمانا ورخاء : لقد خرجت
الصدقات فيه ثم عادت الى خزائن
الدولة لأنها لم تجد فقيرا ، فلأى
سبب ولأية غاية يضع الزهرى لبنى
أمية أحاديث وقد استقرت دولتهم
بعد مقتل الحسين فى كربلاء ؟

يدعى جولد أن الدولة الأموية
استغلت الزهرى فى وضع
الحديث •

أما علماء الاسلام فقد كفونا
الرد على هذا الافك •

يقول علماء الجرح والتعديل :

١ - كان الزهرى ثقة كثير
العلم والحديث والرواية فقيها
جامعا (الطبقات الكبرى لابن
سعد) •

٢ - الزهرى أحسن الناس
حديثا وأجودهم اسنادا (ابن
حنبل) •

٣ - أصح الأسانيد أربعة : أولها
الزهرى عن سالم عن أبيه
(أبو زرعة) •

٤ - كان الزهرى من أحفظ أهل
زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار
وكان فقيها فاضلا (ابن حبان فى
كتابه : الثقات) •

ومع هذا فلم يحفظ التاريخ
لبنى أمية نشاطا مطلقا فى جمع
الحديث حتى الصحائف التى جمعها
الزهرى لم تصل الى عمر بن عبد
العزيز لأنه مات قبل أن ينتهى
الزهرى منها فليست هناك فرصة
ولا مندوحة يمكن أن يتأتى منها
اتهام أن الدولة الأموية استغلت
الزهرى فى وضع الحديث •

النقطة الرابعة

النصوص التي رواها جولد

تؤكد جهله وكذبه

يدعى جولد : ان وكيعا يطعن
فى زياد بن عبد الله ويرميه بالكذب
فينقل نصا ويحرفه عمدا ليصل الى
كذبه وافتراه فيقول :

من قول وكيع عن زياد بن عبد
الله من أنه كان مع شرفه فى الحديث
كذابا .

ومع أن النص العربى يأباه فان
نص العبارة كما وردت فى التاريخ
للإمام البخارى ص ٣٢٩ ج ٢
القسم الأول .

وقال ابن عقبة الدوسى عن وكيع
هو : أى زياد بن عبد الله أشرف
من أن يكذب .

ولكن المستشرق اليهودى بما
فيه من صفات الكذب والخسة
يحرف النص ليصل الى هواه
الدنىء .

وللأسف فان ثلة من مفكرى
المسلمين يثقون فى علم المستشرقين
المبنى على :

١ - النص المحرف .

٢ - الفهم الخطأ .

٣ - التخریب العمد لثقافة
الاسلام .

٤ - الكراهية للمسلمين .

النقطة الخامسة

يدعى المستشرقون أن الموطأ
كتاب فقه لا كتاب حديث وتلك
واحدة أخرى من جهلهم مناهج
التدوين للسنة فتدوين السنة له
عدة مناهج :

١ - منهج الاسناد ، وهو
المعروف اصطلاحيا بالمسانيد مثل
مسند الامام احمد بن حنبل .

وهو أن يدون كل ما رواه راو
واحد فى مسند واحد .

٢ - منهج التبويب ، حسب
الموضوعات ، مثل كتاب الطهارة
وكتاب الصلاة .

وهذا ما فعله مالك ثم تبعه بعد
ذلك البخارى ومسلم .

غير أن هذا المنهج يتبع شخصية
المدون . فان كان فقيها علق على كل
حديث فيه حكم فقهى وذلك
ما فعله مالك رضى الله عنه وأشغله

وهكذا ترون جهل المستشرقين
وغباءهم وكذبهم ليوهوا ثقة
المسلمين بثقاتهم وآراء علمائهم
وصدق الله العلي العظيم •

« ود كثير من أهل الكتاب لو
يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً
حسداً من عند أنفسهم من بعد ما
تبين لهم الحق » (البقرة ١٠٩) •
« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا
فريقاً من الذين أوتوا الكتاب
يردوكم بعد إيمانكم كافرين »
(آل عمران ١٠٠) •

« ما يود الذين كفروا من أهل
الكتاب ولا المشركين أن ينزل
عليكم من خير من ربكم والله
يختص برحمته من يشاء والله ذو
الفضل العظيم » (البقرة ١٠٥) •

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً
ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من
أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر
قد بينا لكم الآيات إن كنتم
تعقلون » (آل عمران ١١٨) •

وبالله التوفيق •

دكتور رءوف شلبي

بالنص على عمل أهل المدينة في
أحاديث الأحاد ، وشروحه لبعض
المفردات ولقد كان مالك محدثاً
وفقيهاً وكان الموطأ كتاب حديث
لا كتاب فقه بدليل أن فيه اسناداً
لأبي حنيفة ومحمد بن الحسن
وأبو يوسف وهؤلاء أئمة مجتهدون
والمجتهد لا ينقل عن مثله رأياً
وانما ينقل حديثاً •

والأوزاعي يروى عن مالك :
والأوزاعي فقيه ومالك فقيه ،
والرواية لا تكون في الفقه انما
تكون في الحديث •

يقول الامام الشافعي : ما أعلم
في الأرض كتاباً في العلم أكثر
صواباً من كتاب مالك •

يقول ابن الصلاح : مقالة
الشافعي قبل أن يظهر البخاري •
فالمقابلة دليل على أن الموطأ
كتاب حديث لا كتاب فقه •

يقول سفيان بن عيينة : كان
مالك لا يبلغ من الحديث الا صحيحاً
ولا يحدث الا عن ثقات الناس •

وقال يحيى بن سعيد : كان
مالك اماماً في الحديث •

الإلحاد المادى .. والعبادة

بقلم: الدكتور يحيى هاشم

والتعبد للمادة ليس سنة الماديين
المحدثين فحسب بل هو سمة
اسلافهم أيضا . انظر ما يقوله
الامبراطور مارك اويل انطونين
أحد أعلام الرواقيين ، وهم ماديون :
(اننى انما أتكون من صورة
ومادة ، كلاهما لا يمكن أن يعدم
الى شيء أو يكون قد حدث من
لا شيء .

كل ما يلائمك أيها الكون
الفسيح يلائمنى .

وكل ما تنتجه أسبابك أيتها
الطبيعة العظمى ثمرة شهية عندى .
منك كل شيء .

وفيك كل شيء .
واليك يعود كل شيء) (١) .

(٢) أما مادية هولباخ
الدجماطيقية (القطعية) فتقوم على

يقول الاستاذ اسماعيل مظهر :
لماذا حمل دكتور شبلى شميل
على الأديان ؟

« حمل عليها متابعة لرأيه المادى
جريا وراء غاية محدودة ، غاية تسعى
إليها كثير من ماديى القرن الثامن
عشر .

وتنحصر تلك الغاية فى أن
يتبدل الناس بدينهم دينا آخر .

وما هو ذلك الدين ؟

هو عبادة المادة .

أرادوا أن ينظروا إليها على أنها
المصدر الأول للإنسان والعلّة الأولى
التي فطرته وانها التي تحبوه بأسلوب
الحياة التي ينعم بها فوق هذه
الأرض .

ناهيك بأن إليها مرده ومعاده ..»

« المعلومه » أولى من الايمان بغيرها
من القوى المجهولة يقول :

« انه لأقرب الى الطبيعى والمعقول
أن ننسب الى المادة كل شئ
موجود ، لأن كل حاسة من
حواسنا تبرهن على وجودها ...
من أن نعزو تكون الأشياء لقوة
مجهولة » (١) •

وقد بينا فى مبحث « غيبات
المادة » سداجة هذا الاعتقاد ، حيث
آلت المادة الى شئ مجهول وسنين
فى عجز العلم عن ادراك حقيقة
الأشياء أن الادراكات الحسية
لا تشبه حقيقة المادة المدركة فى
شئ •

ح - وتقوم مادية هولباخ على
الاعتقاد بأن « العلم النيوتونى »
يتضمن تفسيراً كاملاً للكون ، ولا
يحتاج لاضافة من أى نوع (٢) •
وقد تبين سداجة هذا الاعتقاد
حيث تداعى التصور النيوتونى
للعالم ، وجاءت الفيزيقيا الحديثة ،

تأليه المادة ، أو وصفها ببعض
الأوصاف التى يختص بها الله وهى
تقوم على الأسس التالية :

١ - تقوم مادية هولباخ على
الاعتقاد بأن المادة موجودة بذاتها
ومن ثم فلا حاجة الى البحث عن قوة
صانعة لها ، أو مدبرة لحركتها •

وسوف نبين فى خاتمة هذا
البحث فى مناقشتنا لحقيقة الخلاف
بين الماديين والمؤمنين حول المعبود
ما تقع فيه المادية من قصور وتقصير،
وتناقض لا يمكن تجنبه الا
بالاعتقاد بوجود الله •

كما سنبين فى « نقائص العلم »
عجزه بحسب طبيعته عن الامتداد
فى الماضى الى حد يدرك فيه أصل
الوجود ، وعن الامتداد فى المستقبل
الى حد يدرك فيه غايته ، ومن هنا
تصبح المادية فى حكمها على أصل
الوجود ، بغير سند من العلم •

ب - وتقوم مادية هولباخ :
على ادعاء أن الايمان بالمادة

(١) تكوين العقل الحديث ج ١ ص ٤٣٩

(٢) انظر تكوين العقل الحديث ج ١ ص ٤٣٦

هـ - وتقوم مادية هولباخ على انكار القول بأن الكائنات الذكية تستمد ذكاءها من غير المادة ، فمن ثم تدل على علة ذكية قائمة وراء المادة •

ينكر هولباخ ذلك ويرد الذكاء أو العقل أو الوعي الى المادة باعتباره ظاهرة من ظواهرها (٢) •

وقد بينا فساد هذا الاعتقاد • وعلى فرض صحته ، فانه يجعل المادية تؤول حتما الى الدخول فى حظيرة اللاأدرية وذلك لأن هذا الاعتقاد يجعل « الوعي » اسما لحالة توافقية من حالات تشكل المادة •

وهنا تصبح المعرفة الناتجة عن هذه الحالة التوافقية - حالة عرضية مفتقرة الى أى مبرر يدعونا الى اتخاذها حكما على حقيقة الوجود وكونه وجودا ماديا • ومن ثم تصبح المادية بالرغم من أصحابها نوعا من اللاأدرية •

والنظرية التطورية بما يقلب هذا التصور رأسا على عقب ، كما تبين ما استقر عليه رأى من أن العلم التجريبي انما يقدم وصفا للوقائع ، ولا يقدم تفسيراً عنها ، الأمر الذى يحتم أن تكون هناك اضافة ، اضافة أساسية ، ترضى حاجة العقل الى التفسير •

ولن تأتى هذه الاضافة الا من مصدر له علم بما وراء المادة ، وظواهرها ، اى من الوحي •

د - وتقوم مادية هولباخ على الاعتقاد بحتمية القوانين الطبيعية وأن هذا يبطل الاحتجاج بوجود النظام فى الكون على وجود الله (١) •

وقد بينا بطلان هذا الاعتقاد فى مبحثنا عن لا حتمية القوانين الطبيعية ، وأن هذه الحتمية - على فرض ثبوتها - لا تلغى القول بالارادة الالهية •

(١) المصدر السابق ص ٤٣٩

(٢) المصدر السابق ص ٤٤١

يرتادها الخيال من جميع أطرافها
تحتوى دائما على مناطق مجهولة
لا حد لها بالاضافة الى الأجزاء
التي ارتادها العقل • أن تمثل مكان
يرد فيه نظامنا النجمى الهائل الى
نقطة فى بحر لأمر رهيب يشق على
العقل • وكلما تقدمت بى السن
أحدث الشعور - الذى لا أعرف
له أصلا ولا علة - بأن المكان
اللانهاى قد أوجد - (!!) وينبغى
أن يوجد دائما ، أحدث فى نفسى
انفعالا يجعلنى أرتعد فرقا (٢) •

وهنا يدافع هربرت سبنسر عن
نفسه ضد من يرى أن هذه اللاأدرية
تؤول الى « اللادينية » مقررًا انها
(على التحقيق هى عند العقل
البشرى الاتجاه الدينى نفسه) •
يقول :

« أولئك الذين يذهبون الى
أن اللاأدرية ترادف اللادينية انما
يقعون فى هذا الخطأ لاعتقادهم أن
الاختيار هو بين القول بالشخصية،
وبين صورة من الوجود أقل منها ،

(٣) أما هربرت سبنسر فانه اذا
كان قد ابتعد عن الديانة المسيحية
فقد أخذ يتعبد لماسماه « المطلق » •

واذا كان المطلق عنده لا يمكن
معرفته « فانه يصف هذه اللاأدرية
بأنها : هى على التحقيق عند العقل
البشرى الاتجاه الدينى نفسه » •

ويصف المطلق - مع ذلك - بأن
له وجودا (يبلغ من سموه على
العقل والارادة مبلغ سمو العقل
والارادة على الحركة الميكانيكية) •

وهو يرتعد فرقا عندما يخلو الى
نفسه ليتأمل هذا المطلق الذى هو
كما يصرح هنا « المكان اللانهاى » •

يقول : « الأصل الكلى لفكرة سابقة
على كل خلق وكل تطور ، ويسمو
عليهما الى غير نهاية » امتدادا

وزمانا ، لأن كلا منهما - لكى
يكون معقولا - يجب أن تكون له
بداية ولا بدء للمكان (! !) •

ان فكرة هذه الصورة العارية
عن الوجود (١) (! !) والتي

(١) انظر قوله قبل ثلاثة سطور « ان له وجودا »

(٢) انظر العلم والدين ص ٨٩

« للمطلق » الى أعلى الدرجات
« فانه لا يسعنا أن نرى فى نظرتة
اليه هنا على انه « المكان اللانهائى »
الذى يرتاد الخيال أجزاء منه الا
ارتكاسا فى المادية » •
وهنا نسجل عليه كما يقول أميل
بوترو :

« الحق - كما يقول كثير من
الفلاسفة المعاصرين - ليس الما
لا يعرف عند هربرت سبنسر مبدأ
علميا » (٢) •
لأن العلم عنده انما يقوم على
الوقائع • •

(فالوقائع هى الأصل الوحيد
للمعرفة ، ولا ينبغى أن نسمى الوقائع
وقائع الا ما ندركه او ما يمكن
ادراكه كآشياء خارجية توضع فى
مقابل الشخص المدرك) •

كما نسجل من ناحية أخرى أن
هذا المالا يعرف لا يصلح أن يكون
دينا على أى وجه من الوجوه •

وكما يقول أميل بوتور « لن
نستطيع مع مذهب سبنسر أن نضع

فاذا قلنا بالمطلق باعتبار انه ليس
شخصا فهذا بحسب رأيهم اثبات
انه أقل من شخص •
لكن الحقيقة ليست كذلك •

ان الاختيار انما يقع بين
« الشخصية » وبين المطلق الذى
هو أسمى منها •

اذ أليس من الممكن وجود نوع
من الوجود يبلغ من سموه على
العقل والارادة والشخصية مبلغ
سمو العقل والارادة والشخصية على
الحركة الميكانيكية » •

ويلق أميل بوترو على هذا
فيقول :

« ألا يحق لنا القول بأن مذهب
الفيلسوف اللاأدرى يفصح فى
هذا الموضع عن اتجاه روحى
صوفى » (١) •

ونقول : زائف ••

وبعد : ••

فاذا كان من المفروض أن
سبنسر يذهب فى نظرتة التجريدية

(١) العلم والدين ص ٨٨

(٢) العلم والدين ص ٩٣

يبدأ فى تأسيس نظم « دين
الوضعية » •

المعبد : شقتها الخاصة التى
عاشت فيها •

قدس الأقداس : المقعد المكسو
بالقطيفة الحمراء الذى جلست عليه
عندما زارته لأول مرة وآخر مرة
فى بيته •

رفات « ام البشرية » : خصلات
من شعرها ، مناديلها ، رسائلها ،
وشاحها قفازها ، صورتها الخ •

انجيل الوضعية : مجلد ضخيم
مكون من ٥٦٠ صفحة ويحتوى
على الألف رسالة حب التى كتبها
لها خلال سنتين ابتداء من أول لقاءه
بها الى وفاتها •• وبعض رسائلها
القليلة •

وها هى بعض طقوس « دين
الوضعية » كما عرفها أوجست كونت
فى مؤلفه « الوصية » •

صلاح الصبح : فيها « الكاهن »
أوجست كونت واتباعه من تلاميذه
أمام محراب كلوتيلد •

الناس فى حضرة الموجد الذى
يصدر عنه كل شئ لكى نقول لهم
بعد ذلك : انهم لن يتمكنوا من
معرفة شئ عن هذا الموجد أو
توقع شئ منه « (١) •

وكما نقول نحن : يصبح الدين
مسخا اذا خلا من الوحي •

(٤) وفى الفلسفة الوضعية التى
قامت على استبعاد الدين
والميتافيزيقا انتهى زعيمها الفيلسوف
أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٧٥)
الى اختراع ما سماه « دين
الانسانية » وفيه تكون « الانسانية »
هى المعبود ، وابطالها هم موضع
التعظيم والتكريم ، بل ذهب الى
أبعد من ذلك ، حيث وضع لهذا
الدين الجديد معبدا حقيقيا ، تنصب
فيه التماثيل ويصاغ فيه تمثال المعبود
« الانسانية » على هيئة انثى ،
وتقام بجواره تماثيل نصفية لأبطال
التاريخ •

انه فى يوم الجمعة ١٠ ابريل
١٨٤٦ •• أى بعد وفاة معشوقته
بخمسة أيام فقط •• نجد كونت ••

وأعجب العجب أن علم البرازيل يحمل شعار ديانة الوضعية كما تصوره (كونت) •

أما عن الفيلسوف العاشق فرغم حبه... فقد ظل محتفظا بكامل قواه العقلية الفلسفية والعلمية • فقد عاش بعد كلوتيلد أحد عشر عاما • وكان يلقي فيها محاضراته فى الجامعة كما ألف ثلاثة كتب أخرى عن الوضعية أهمها : « السياسة الوضعية » (١)

وإذا كان البعض قد يحلوه أن يدافع عن وضعية كونت باستبعاد هذا الدين بدعوى انه - أى هذا الدين - انما يعبر عن هلوسة عاشق •••

فاننا نجد من المؤرخين من يجد لهذا الدين مكانه فى البناء المنطقى للمذهب الوضعى عند كونت ، بالرغم من علاقة الحب تلك •

يقول أميل بوترو بعد أن يتساءل :

كيف تم ادماج هذا الدين فى المذهب الوضعى بأسره ؟

وتستهل الصلاة بهذه الكلمات : « من الأفضل أن يجب الانسان على أن يكون » محبوبا « أما آخر دعاء فيقال أمام الرفات : وداعا يا شريكة حياتى الدائمة •• وداعا يا زوجتى وابنتى وداعا يا أم البشرية » •

معابد أم البشرية :

والشئ العجيب أن ديانة الوضعية ما زالت لها معابدها حتى اليوم فى فرنسا •• أى فى عام ١٩٧٩ بعد الميلاد •• وما زال يحج إليها الوثنيون من اتباع الوضعية المتطرفة •• وأشهر هذه المعابد فى شارع « بايين » فى باريس حيث الشقة التى عاشت فيها كلوتيلد •

وفى شارع « مسيولى برنس » حيث الشقة التى عاش فيها اوجست كونت •• هذا غير عشرات المعابد الأخرى فى باريس •

والأعجب من هذا أن أكبر معبد لكلوتيلد « ام البشرية » مقام الآن فى ريو دى جانيرو فى البرازيل •

بين الوضعية من حيث هي احتجاج
على الالهية ، والميتافيزيقية معا .
والانسانية من حيث هي كيان
ميتافيزيقي غيبي *

يقول أميل بوترو :

« لئن اتخذنا الانسانية مقياسا
للأشياء فلن نغلق باب عصر المباحث
الميتافيزيقية والدينية الى الأبد،
ولكننا نفتحه من جديد » (٢) *

ويقول وليم جيمس عن الديانة
الوضعية :

« لقد أصبحت قوانين الطبيعة
المادية فى هذه الايام أيام الفلسفة
الوضعية موضوعات مستحقة
للتمجيد الذى لا يكون الا لله » (٣) *

ويقول عن جناح من أجنحة
الوضعية المتشددة فى وضعيتها :

« لا يزال بعض رجال المذهب
الوضعي ينادى اليوم قائلا :

هناك اله واحد مقدس ، يقف فى

يقول : « حصل ذلك على أثر
هوى كونت لكلوتيد دى فو وهذه
واقعة لا سبيل الى الشك فيها ،
ولكنها لا تنطوى بالضرورة على
الدلالة التى ينسبها اليها الكثيرون .

ان ضالة المحبوب ، بالاضافة
الى مزاج كونت العاطفى يجعلان
من هذه الحادثة سببا عارضا » (١) *
ثم يقول أميل بوترو : « لا تتجه
عبادة المذهب الوضعي الى ذكرى
أبطال الانسانية فقط ، بل
موضوعاتها الأساسية :

- الموجود الاعظم أو الانسانية
- والمعبود الأعظم أو الأرض
- والبيئة العظمى أو المكان

هذه الأقاليم الثلاثة تكون ثالوث
المذهب الوضعي » (٢) *

واذن فان من حق النقاد أن
يوجهوا سهامهم الى هذه الديانة
الوضعية • ويبدو التناقض صارخا

(١) العلم والدين ص ٦٢

(٢) العلم والدين ص ٥٣

(٣) العلم والدين ص ٦٧

(٤) العلم والدين ص ٨٩

(٥) وفى الفلسفة الماركسية التى قامت على المادية الديالكتيكية (الجدلية) انتهى التفكير الى اضافة صفات الالهية على «المادة» فهى تتصف بأنها « أصل الوجود» وانها « باقية » لا تفنى ، وانها « لا نهائية » ، وان قانونها

« الديالكتيك » يفرض نفسه على كل الأشياء ثم ذهبت هذه الماركسية أيضا خطوة أعمق فى طريقها الى جعل هذه الفلسفة « دينا » ، حيث رأت ضرورة ادخالها فى عقول العمال وقلوبهم ، باعتبارها فلسفة « الشغيلة » التى يعتمد عليها وعليهم فى تغيير المجتمع وتثويره ، ومن أجل ذلك ادخل زعماءهم فى اطار القداسة التى تضافى على الأنبياء ، وكان لهم أصنام ومزارات يحج اليها الناس من أرجاء البلاد .

بل أن عبيد المادة هؤلاء عندما يجدون صعوبة فى التعبير عن الهمم يعتذرون بمثل ما يعتذر به المؤمنون من ضيق وعاء اللغة البشرية عن استيعاب حقائق الالهية .

جلاله وعظمته بين انقاض كل اله غيره وكل وثن (!!) - وهو الحقيقة العلمية - وليس له الا أمر واحد ، وقول واحد وهو أن ليس لكم أن تؤمنوا باله لأن الايمان بالآلهة ارضاء للميول الذاتية » .

وهم فى ذلك مخدوعون ، انهم لم يفعلوا شيئا الا أنهم قد اختاروا من بين ميولهم المتعددة ، الميول التى تنتج أبخس النتائج وأحطها قدرا ، بل وأكثرها اقحالا ، وأعنى بذلك : مجرد عالم ذرى ، وضحوا بكل ما عدا ذلك من الميول .

انهم يقولون : «دع العالم يفنى ليحيا العلم . كما قال أشباه لهم دع العدل يتم ولو أفنى العالم » فهل تجدون وثنا صنع فى كهف أجمل من هذا الوثن ؟ واذا أردنا أن نقول بتطهير العالم من الخرافات فلندع الوثن من الالتزام الصارم نحو العلم يذهب مع بقية الخرافات وسيجد الناس فرصة طيبة ليفهم بعضهم بعضا « (١) .

أولاً : ان هذا القول يقوم على الاعتقاد بقدم المادة والحركة معا وانه لا مادة بغير حركة ولا حركة بغير مادة • وقدام المادة يعنى قدم الحركة فى نفس الوقت •

ونحن نناقش فى قدم الحركة فنقول :

ان قدم الحركة لا يستقيم الا بانقول بالحركة الكاملة • ولو كانت الحركة كاملة لما كان سكون •

لأن السكون نقص فى الحركة •

لكن السكون حاصل بالفعل •

لأن الحركة منها بطيئة ، ومنها سريعة •

— وهذا ثابت بالمشاهدة —
والحركة البطيئة لا تكون كذلك الا لما يتخللها من سكونات ، واذن فقد ثبت أن السكون حاصل بالفعل •

فبطل القول بالحركة الكاملة •
وثبتت الحركة الناقصة •

وهذا ما يعبر عنه مقال ديمترى ب. جورسكى عن « التمثيل العلمى للحقيقة وصعوباته » •

وهذا ما قاله لينين عن « الحركة » وصعوبة وصفها أو التعبير عنها • يقول : « نحن لا نستطيع أن نحقق الحركات أو أن نعبر عنها ، أو أن نمثلها بدون ان نعطل التيار المتصل ، وبدون أن نعمد الى تقسيمها وقتل الحساسية فيها .. » (١) • الخ •

وهذا يؤكد ما نقوله عن حلول المادة محل الاله فى الفكر المادى بما يكتنف هذا المحل من غيبية وتآب عن احاطة الفكر البشرى •

والماديون الملحدون يتناقضون مع أنفسهم هنا عندما يرفضون هذه الصعوبة فى مجال اللاهوت ويتقبلونها فى مجال المادة •

وهنا يبدو لنا واضحا بطلان الماركسية فى ذهابها الى أن جدلية المادة كافية فى تفسير حركتها وتطورها •

ونقصان الحركة يتنافى مع
قدمها •

لأن الحركة الناقصة تعنى تخلل
السكون لها كما قدمنا •

واذا تخلل السكون الحركة لم
يكن أيهما ذاتيا للمادة ، - لقبولها
كلا منهما • فلم يكن أيهما أولى
بالأسبقية من صاحبه ، فاحتاج فى
أسبقيته الى مرجح ، فكان لا بد أن
يكون مسبوقا بالمرجح فلم يكن
قدىما •

واذن فقد ثبت أن الحركة التى
للمادة لا تكون قديمة •

فثبت حدوث الحركة •

واذا أثبتنا حدوث الحركة •

فاما أن ثبت حدوث المادة ، على
فرض تلازمها كما هو مذهب
المادية الجدلية وفى هذا نقض لها •
واما أن ثبت انها - أى
الحركة - ليست ذاتية للمادة •

فاحتاجت المادة فى حركتها الى
محرك قديم •

وهو الله •

(ب) ولا يفيد الخصم فى هذا
المقام الاعتماد على قانون بقاء
الطاقة •

أولا : لما ثبت من أنه قانون
افتراضى يجرى حاليا ترقيعه
بافتراضات أيضا كلما ظهر ما
ينقضه من كشف الذرة •

ثانيا : لأنه يتضمن التسليم بانتقال
الحركة وتوزعها ، وتخلل السكون
لها ، وهنا يأتى ما ذكرناه •

(ج) وقد يفيدنا نحن الاشارة
الى نسبية الحركة كما ثبتت أخيرا
فى النظرية النسبية • يذكر العلماء أن
نيوتن كان قد (أقام برهانا يثبت
به أن الحركة حول محور لا بد أن
تكون مطلقة وليست نسبية ، وانه
على الرغم من أن خصوم هذا رأى
لم يستطيعوا أن يجدوا عليه ردا
الا أنه كان لديهم البرهان على
صحة رأى المضاد • أى على أن
كل حركة لا بد أن تكون نسبية ،
وكان برهانهم يبدو على أقل تقدير
مساويا للرأى الأول فى درجة
الاقناع •

تحفظ أجزاء النواة بعضها ببعض
بالطاقة الضامة •

وهذا الاسم يبين ما تفعله هذه
الطاقة ولكنه لا يوضح طريقة
عملها (٢) •

وهذا فى رأى له دلالة هامة،
اذ يعنى أن جدلية الجزيئات
(سالبة وموجبة) لا يكفى لتفسير
تركيبها أو العلاقة بينها أو
تطورها •

وهذا فى حد ذاته يكفى لنقض
المادية الجدلية عند ماركس •

ثالثا : أما قدم المادة وهو من
أسس المادية الجدلية ، فسوف
تعرض له بابطاله فى مقام لا
يختص فيه الكلام بالمادية الجدلية
لأنه من ركائز المذاهب المادية
عموما •

وذلك فى البحث الخاص بمزاعم
العلم ، عند الكلام عن « ان حتمية
القوانين الطبيعية لا تلغى الارادة
الالهية » • وعند الكلام فى اثبات

وظل هذا التضارب قائما بغير
حل حتى أثبت اينشتين نسبية الحركة
فى نظريته عن النسبية (١) •

ثانيا : ويقدم العلم الحديث
الدليل على أن جدلية المادة لا تكفى
فى تفسير حركتها التطورية وذلك
باكتشاف ما يسمى « الطاقة
الضامة » •

ويقول العلماء عن هذه الطاقة :
أنه لما كانت النيوترونات عديمة
الشحنة فانه يجب ألا تجذب
البروتونات أو النيوترونات
الأخرى ولكنها تجذبها فعلا ؟

ولما كانت الشحنات التى من
نوع واحد تتنافر ، فان البروتونات
الموجبة يجب أن يتتعد بعضها عن
بعض ، ولكنها لا تفعل ذلك ، وبدلا
من هذا يحدث العكس اذ يحتاج
الأمر الى كمية هائلة من الذخيرة
لفصل الجسيمات من النواة بعضها
عن بعض أكثر مما يلزم لفصل
الالكترونات عن البروتونات •
وتسمى القوة الشديدة التى

(١) فلسفتى لبرتراند رسل ص ٤٥

(٢) العالم من حولنا ص ٥٩ - ٦٠ وانظر بواتق وانايق ص ٥١٦

وفى مقال نشرته المجلة الاسبوعية الانجليزية ناتشر فى مايو ١٩٥٠ جاءت هذه الكلمة لعضو من معهد علم الوراثة التابع لأكاديمية العلوم بموسكو يقول : (اتنا أعلننا مرارا ولا نزال نعلن أن العلم – وكذا العلم السوفيتى – انما هو علم حزبى طبقى . ان الطبقات المتوسطة ومن يصوغون لها مذاهبها – سواء كانوا بيولوجيين أو غير بيولوجيين – كانوا دائما فى خوف من أن يقرأوا صفة العلم الحزبية .

ويقول الدكتور جيمس كوانت معلقا على ذلك :

(ان معتقنى المادية الجدلية فى كل الأرض يضعون العلوم الفيزيائية من التقدير فى الموضع العالى ، ويتحدثون فى ذلاقة وفى ثقة عن المنهج العلمى .

ولكن عندما يؤخذ نص خاص من نصوص هذا المذهب الفلسفى فيحول الى مبدأ رسمى من مبادئ الحزب لا يأذن لذى رأى مخالف أن يقوم الى جانبه وعندئذ لا يمكن

الحاجة الى العلة الأولى ، أو الارادة القديمة ، وفى كلامنا السابق عن احتياج العالم الى الله طبقا لقوانين الفيزياء الحديثة .
رابعا : انه فى البناء الماركسى يقوم الجانب العلمى على الجانب الاعتقادى ، لا كما يدعى أصحاب شعار « الاشتراكية العلمية » .
ففى مقال نشرته البرافدا فى عام ١٩٤٩ يقول رئيس أكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى س . ا . فاينلوف تحت عنوان « لينين والمسائل الفلسفية التى بالفيزياء الحديثة » :

(ان الفيزياء السوفيتية تبنى عملها على ما اعتنق العالم من المادية الديالكتيكية (وليس العكس . . .) تلك التى رفع من أمرها تأليف لينين وستالين . . . ولكننا لا يمكن أن نفعل حقيقة واقعة تلك أن بعضا من فيزيائيينا ما زال عندهم بقايا من آراء من المذهب التصورى .
ان من أخطر الواجبات علينا أن نحارب هذه البقايا من ذلك المذهب المنقرض بالنقد الذى لا يرحم . . .)

علمية أو تأويل عقلى لنتائج العلم —
تعالج فيها المسائل التى تركت من
قبل للدين والميتافيزيقا •

وعنده أن الفلسفة المستخلصة
من العلم تتلخص فى كلمتين
الواحدية والتطورية ، فمن جهة
الموجود واحد ، وجميع الموجودات
ذات طبيعة واحدة ، وليس الخلاف
بينها الا فى الدرجة ، أى كميًا •

ومن جهة أخرى هذا الموجود
ليس لا متحركا ، بل فيه مبدأ
التغير ، وهذا التغير يعد فى ذاته
ميكانيكيا بحثا خاضعا لقوانين
ثابتة •

ولكى يتخلص أرنست هيكل
من النقد الموجه الى المادية التى
تفترض فيها المادة — فى أصلها —
شيئا عديم الحركة ليست له هيئة
معينة ، اذ يقال فى هذا النقد كيف
أمكن أن يخرج من هذا العدم

أن يكون للعلم استقلال (١) •
فهل نجد أدنى فرق بين موقف
الماركسية هذا وبين موقف الكنيسة
فى العصور الوسطى من العلم كما
يصوره الاستاذ اسماعيل مظهر فى
قوله :

(قامت لدى اللاهوتيين فكرة
ثابتة فى أن العلم لا يصح أن يشير
فيه بأقل مخالفة لما جاءت به الاسفار
المقدسة والمتون ورسائل الحواريين
... وزاد الطين بلة أن اللاهوتيين
ومن ورائهم الكنيسة وعلى رأسها
البابوات المعصومون من الخطأ كانت
قد زكت المذاهب اللاهوتية التى
ذاعت فى تفسير الانجيل والتوراة
باجازتها حيناً بعد حين فأصبحت
تلك التفاسير فى الواقع مقدسة
كأصل المتون نفسها) (٢) •

(٤) أما أرنست هيكل
(١٨٨٤ — ١٩١٩) فى محاربته
للدين فهو يدعو الى وضع فلسفة

(١) مواقف حاسمة فى تاريخ العلم لجيمس ب كوانت ترجمة
أحمد زكى ص ٤٨٩ ، ٤٩٠

(٢) الاستاذ اسماعيل مظهر فى مقدمة ترجمة لكتاب بين الدين والعلم
لاندروديكسون وايت ص ١٩ ، ص ٢٠

(بل هى - أى المادة - الله نفسه ، اله داخل الطبيعة متطابق معها) (٢) •

وهنا يصبح لهيكل دين خاص به ، واله يدعى انه استنبطه بالعلم ، وانه يرفضه اذا جاء من الوحي ، يقول :

(الأديان تقوم على الوحي ، والعلم لا يعرف الا التجربة ولا يمكن لصاحب عقل مستنير أن ينتمى لكليهما فى آن واحد ، بل يضطر الى الاختيار واليوم لا يملك الشخص الغريب عن الثقافة الحديثة - يقصد الفلسفة العلمية - من العقل الا مقدار ما كان يملكه أقاربنا من الثدييات كالقردة ، أو الكلاب أو الفيلة) (٣) •

والخلاصة ان هذا المتعالى على الدين ، الداعى الى ما يسميه الفلسفة العلمية او الواحدة ليست الواحدة عنده - فى حقيقتها -

امكانيات مثل القوة والحركة والاحساس ؟

ولكى يتخلص من النقد الموجه الى التطورية ككلمة سحرية ، بمقتضاها تتسلسل الكائنات بالطبع بعضها من بعض ، بفعل الميكانيكية المنتظمة البسيط ، اذ يقال فى هذا النقد : ما أصل التطور نفسه وما غايته ، وهل يمكن تصوره بغير أن ننسبه لفعل فائق على الطبيعة ؟ لكى يتخلص هيكل من هذا كله قال :

(نحن نرى ان المادة لا يمكن أن توجد وتعمل بغير العقل) (١) • حسن ، لقد اضطر هيكل الى الرجوع - مؤقتا - الى قاعدة التأليه التى يقول بها الدين •

وهو يقول أيضا « المادة التى فرضناها لا تتنافى مع الله » •

لكنه ما لبث أن زاغ ، اذ يقول :

(١) العلم والدين ص ١٠٨

(٢) العلم والدين ص ١١٠

(٣) العلم والدين ص ١١٦

كنائس المسيحيين ، الى جماعات
الواحديين (٢) •

وهنا نسجل أن هذه الفلسفة
العلمية التي يدعو اليها هيكل على
انها « سلب للاديان ، وبديل
عنها » تتنكر للمفهوم العلمى ، بل
تتنكر للفلسفة العلمية ذاتها التي
من المفروض عنده أن (تقوم خارج
أى ميتافيزيقا) •

كما نسجل أن هذه الفلسفة تحول
الصيغ التي يقرها العلم الى عقائد
مفروضة علينا الى الأبد فهو - أى
هيكل - يريد أن يكون لهذه
القضايا المنتزعة من العلم يقين أكثر
من اليقين العلمى (٣) •

انه اليقين الميتافيزيقى
الخالص (٤) •

انه ينسب لمادته الواحدة ما
لا يملك العلم أن ينسبه اليها :
الأزلية ، والشمولية •

الا نوعا من وحدة الوجود على
أساس مادى •

ومع ذلك يقول أميل بوترو :
(نحن اذا مضينا مع النتائج
العلمية لهذه الفلسفة أفضت بنا الى
العبادة الثلاثية للحق والخير
والجمال ، وهو ثالث واقعى يحل
مكان الثالث الوهمى
للمسيحية ••) (١) •

وهكذا يستبدل هيكل ديننا
بدين •

بدين ، يستبدل الذى هو أدنى
وهو يعتقد ان الدين لم يتدع
لزهو رجال الدين ، بل لانه يهدف
الى اشباع حاجات جوهرية عند
الانسان ، ومن ثم فهو يبحث لثالوثه
عن معبد • واذا كان يرى - مؤقتا -
أن الكون بأسره هو معبد هذا
الثالوث ، فهو لا يستبعد أن يحدث
فى القريب (أن ينتقل عدد كبير من

(١) المصدر السابق ص ١١٣

(٢) العلم والدين ص ١١٥

(٣) ولا يقين علمى هناك انظر مبحثنا عن لا حتمية القوانين •

(٤) انظر العلم والدين ص ١٢٠

وتندق رقبة هيكل مرة ثانية فى قاع الوهم ، اذ ينصب لنا هذه القيم الثلاثة - الحق والخير والجمال - آلهة تعبد ، دون أن يكون لها أى مبرر من العلم : العلم بعجزه المقرر عن ارساء القيم (١) .

والخلاصة : ان هيكل أقام من العلم فلسفة ليطرد الأديان ، ثم أقام من فلسفته دينا لكى تحل محلها .

لكن هل يمكن أن تفوز بشيء من النجاح ؟
يقول وليم جيمس :

(اذا ما تمكن « الدين العلمى » المحض ، من خنق كل الرغبات الأخرى وازالتها من نفوس جماعة من الجماعات ، وتمكن من اقناع افرادها بأن القوانين المنطقية تقتضى تطهير الذهن من كل فكرة لا تمت الى التركيب العلمى بصلة - اذا ما تمكن العلم من ذلك ، فان تلك الجماعة ستسقط حتما الى الرغام ، وتصبح طعمة لجيرانها ، الذين هم

وهو ينسب لقانونه عن التطور ما لا يملك العلم أن ينسبه اليه أيضا : الميكانيكية البحتة ، والتقدم الدائم .

يقول اميل بوترو : من المستحيل اذن اعتبار فلسفته مجرد امتداد للعلم .

ولقد كان هيكل واهما عندما اعتقد انه بوحدانيته هذه يهدم الاديان لثنائيتها ، ذلك أن الاديان تقوم أيضا على مذهب الوحدة ، وهو لم يفعل الا أن اقترح دينا زائفا يقوم على مذهب ميتافيزيقى - لا علمى - فى وحدة الوجود .
ان هيكل هذا (يختتم تعاليمه من الواحدية بالابتهال الى « الله » : المبدأ المشترك للخير والجمال والحق . ويقول : ان الحق والجمال والخير هى الآلهة الثلاثة السامية التى نركع أمامها فى اخلاص .
ولتمجيد هذا المثل الأعلى الله الواحد والثلاثة حقا (!!!) سيرفع القرن العشرون الهياكل) .

أكثر منها ثروة عقلية ، كما غدت
فصيلة الحيوانات طعمة
للإنسان (١) •

مقارنة المعبود : بين الإلحاد المادى
والإيمان بالله ...

تعقيب على أوثنان العلم ..

وأخيراً :

فى اعتقادنا أن الجانبين متفقان
على أصل معبود ، مختلفان على
الصفات التى يوصف بها « الأصل
المعبود » •

يقول هربرت سبنسر فى ترجمته
الذاتية : (ان الدائرة التى تشغلها
الاعتقادات الدينية من النفس لا
تبقى خالية أبدا بل تشغلها المسائل
الكبرى المتصلة بأنفسنا
وبالعلم) (٢) •

الفريقان متفقان على أن :
ظواهر العالم متغيرة •
وكل متغير له أصل تغير عنه •
وظواهر العالم لها أصل تتغير
عنه •

ومن هنا نقول :

انه ليس بلازم أن تجرى
المناقشة بين الإلحاد والدين ، على
أساس سوق الادلة على وجود
الله •

هذا محل اجماع •
والكلام فى هذا الأصل ••
هل وجوده لغيره أو لذاته ؟
الاجماع منعقد على أن وجوده
لذاته ••
هل له نهاية ينتهى اليها أو هو
لا نهائى ؟

وانما على أساس اجراء المقارنة
بين المعبود هنا والمعبود هناك ،
والمعتقدات هنا ، والمعتقدات
هناك •

(١) انظر العقل والدين ص ٩٩

(٢) انظر العلم والدين ص ٩٠

الاجماع منعقد على أنه يتصف باللانهاية واللامحدودية ، بالأبدية والأزلية والخلود •
هل هذا الأصل من جنس العالم المادى الذى نعرفه أو ليس من جنسه ؟

والاجماع منعقد — أو يكاد — أيضا على كونه :
يقول الماديون : انه المادة فهو من جنس هذا العالم المادى •

محدثا للحياة •
ويقول الالهيون : انه ليس من جنس هذا العالم مطلقا •
محدثا للعقل (١) •

والاجماع منعقد على كونه ذا سلطان حتمى تخضع له حركة الأشياء •
وهنا ينبغى أن تجرى المقارنة بين الاعتقادين •

والاجماع منعقد على كونه محدثا للتطور والتقدم فى حركة الأشياء •
انه على قول الماديين يحصل التناقض •
وينشأ التناقض من وصفهم اياه بما يناقض كونه أصلا •

والاجماع منعقد على كونه ساعيا بحركة الأشياء نحو غاية أو غايات عليها •
وبما يناقض الصفات التى اقتضاها كونه أصلا :

أولا : لكن السؤال الذى يظهر عنده افتراق المذاهب ما بين مادى ملحد ومؤله مؤمن هو :
١ — ذلك لأن القول بأنه من جنس هذا العالم المادى الذى نعرفه يقتضى كونه جزءا منه والقول بأنه

(١) يقول الدكتور توفيق الطويل (يذهب اتباع الواقعية المادية الى أن سبق المادة على العقل انما يكون فى الوجود وفى المرتبة معا . بمعنى ان المادة هى التى تملك وجودا مستقلا اما العقل أو الذات المدركة فليست الا مجرد مظهر من مظاهر المادة . انظر كتاب أسس الفلسفة ص ٢٦٤

أصل للعالم يقتضى كونه غيره ، له نهاية ، فكيف السبيل الى معرفة
وهذا تناقض . المادة المطلقة التى وصفتكم ؟

٢ - ولأن القول بأنه من جنس هذا العالم المادى الذى نعرفه يقتضى كونه ذا أول لأن ما هو من هذا العالم له أول وقد قالوا بأبديته .

٣ - ولأن القول بأنه من جنس هذا العالم المادى الذى نعرفه يقتضى كونه فانياً (١) لأن ما هو من هذا العالم يفنى ، وقد قالوا بخلوده .

لا يقال : اننا نريد بالأصل الذى هو من جنس هذا العالم « المادة » من حيث هى مادة ، والمادة من حيث هى مادة هى عندنا واجبة الوجود لا نهائية ، أبدية أزلية ، خالدة ، فلم تقع فى التناقض .

لأننا نقول : ما تقولونه عن المادة المتصفة بما تقدم يخرجها عن كونها من جنس هذا العالم المادى الذى نعرفه لأن ما نعرفه من هذا العالم المادى ، انما هو أفراد ، فنعرفه ممكن الوجود ، منتها ، له أول ،

وما هو الوجه الذى عرفتم منها وهو ليس للعالم المادى الذى عرفناه ؟

فان لم يكن هذا الوجه فاتتم تقولون بشئ ليس من جنس هذا العالم وان دل عليه هذا العالم ، وتسميتكم اياه مادة لا يدل على شئ .

ثانيا : والسؤال الثانى الذى تفرق عنده المذاهب هو : هل هذا الأصل من جنس هذا العالم فى حالته الراهنة بعد أن حدثت الحياة ، والعقل ؟

ام قبل أن تحدث الحياة والعقل ؟

يقول الماديون : انه من جنس هذا العالم قبل أن تحدث الحياة والعقل لأنه هو محدث الحياة والعقل ، أو لأن الحياة والعقل ظواهر حدثت من بعد .

(١) انظر مبحثنا فيما قرره العلم التجريبي الحديث من أن للعالم بداية ، ونهاية .

وهذا تناقض أيضا :

لأنه يعنى انه يعطى الحياة من
يفتقد الحياة •

ويعطى العقل من يفتقد العقل •

انه يعنى أن يعطى المفضل
(من لا يملك الحياة والعقل)
للفاضل : ما به الفضل (الحياة
والعقل) •

يقول شلنج فى كتابه ماهية
الحرية البشرية ١٨٠٩ م :

(ان الله ليس موجودا قط بل
هو فى طور الصيرورة) •

ويقول أوكن تلميذه فى شرحه
لهذه النقطة •• ان الله هو بالقوة
فحسب انه عبارة عن الصفر أو
العدم (١) ؟ ؟ ؟

وقد رد عليهما ف • ه • ياكوبى
فيسا كتبه عام ١٨١٢ فى مقالة فى
الأشياء وتجليها سجل فيها :

(ان فى المسألة التى طرحها
شلنج - وتلميذه - أبعد تناقض

فى فلسفة الدين بأسرها اذ انه لا
يصدر شىء عن لا شىء ، ولا يولد
الأدنى الأعلى ، ان فلسفة من طراز
فلسفة شلنج هى نقض صريح
لقوانين المنطق) •

(١) واذا كان شلنج يرد على
ياكوبى بالاحتكام الى مشاهداتنا
اليومية التى نجد فيها ظهور الاعلى
من الأدنى :

(فالولد ينمو حتى يصبح رجلا،
والجاهل حتى يصبح عالما) (٢) •

فهو قد وقع بذلك بلا شك فى
سذاجة تصويرية ما أغرب صدورها
عن عقل فيلسوف يتصدى لهذه
التحديات ، اذ ليس من العسير أن
تعرف أن ظهور الأعلى فى هذه
الأمثلة ليس باستمداد من الأدنى ،
وانما الأدنى أعطى شيئا مساويا أو
أقل ، وما صار به الأعلى أعلى انما
هو بانضمام عناصر أخرى ليست فى
الأدنى ، وقد احتاج هذا الانضمام
الى وجودات سابقة ، والى تنسيق ،

(١) سلسلة الوجود الكبرى ص ٤٦٧ - ٤٦٩

(٢) سلسلة الوجود ص ٤٧٠ - ٤٧٢

الاستحالة التي قدمها الفيلسوف تحت وشاح رقيق لا يمكن أن يخفيها ، وهذه الاستحالة - في تناقضها الداخلى من ناحية ، وتناقضها مع الواقع من ناحية لا تحل الا باستنتاج ضرورى : هو استنتاج وجود الله المتصف بوجوب الوجود ، وما يقتضيه ذلك من صفات الكمال ، ومنها العلم والقدرة والارادة •

(ح) واذا يحس شلنج بصدق الاتهام الموجه اليه بارتكاب تناقض منطقي نجده يتراجع الى حائطورقى يستند اليه ، وذلك اذ يلجأ الى الاتهام التقليدى الموجه الى مبدأ الذاتية ، المنطقى (٢) من أنه مبدأ تحليلى ، أو تحصيل حاصل (٣) وهو هنا يجهل أو يتجاهل ، وينسى أو يتناسى أن القول بأن هذا المبدأ « تحليلى » لا يعنى عدم صحته ، أو انكاره - فهو صحيح طالما كنا نستعمل عقولنا - ولكنه يعنى عدم

وعناية ليس عند الأدنى منها شيء ، فما أخرى هذا المثل بأن يدل على صدق القول بأنه « لا يصدر شيء عن لا شيء » وأنه « لا يولد الأدنى الأعلى » وما أحراه بأن يدل على وجود الله سبحانه وتعالى ، الذى تستمد منه هذه الوجودات كلها ، وهذا التنسيق كله ، وهذه الرعاية كلها •

(ب) واذا كان شلنج يرد بتعميم أكبر بقوله (ان الطبيعة نفسها كما يعلم كل من له المام كاف بالموضوع قد ارتقت تدريجيا من توليد المخلوقات الأضعف •• الى توليد الأرقى والأدق تكوينا منها) (١) • فانه ما كان له أن يسخر وهو فى موضع السخرية ، اذ يرتكب مصادرة على المطلوب ، ذلك لأن ما يصفه من فعل الطبيعة - دون أن يفسره - هو القضية نفسها المحتوية على نفس الاستحالة المنطقية « وجود شيء من لا شيء » وهى

(١) سلسلة الوجود ص ٤٧٢

(٢) هو أحد مبدئين يقوم عليهما المنطق مبدأ عدم التناقض ، ومبدأ

الذاتية الذى يعنى (ان الشيء هو هو وليس هو غيره)

(٣) سلسلة الوجود الكبرى ص ٤٧٤

كفايته لتقدم العلم التجريبي ، وهذا شيء آخر ، لا نصدق أن الفيلسوف يجله .

فكيف يقع الفيلسوف فى مثل ما ارتكبه هذا من مغالطة تارة ومصادرة على المطلوب تارة ، وتناقض تارة أخرى ؟

انها ارادة الاحاد لا غير ..

ثالثا : والماديون لا يقعون بهذا فى التناقض فيما يصفون به هذا الأصل فحسب ، ولكنهم يقعون فى التقصير .

فهم يكتفون بوصف أصلهم بالأوصاف الآتية :

كونه علة لذاته ، لا نهائيا ، أبديا ، أزليا ، خالدا ، محدثا للحركة ، محدثا للحياة ، محدثا للعقل ، ذا قانون حتمى ، ونظام ، وغاية .

ولا يصفونه ببقية الصفات التى يقتضيهما ما تقدم .

فهم لا يصفونه بكونه مريدا وذلك يقتضيه كونه ذا نظام وغاية

وهم لا يصفونه بكونه خالقا وذلك يقتضيه كونه محدثا للحياة ، أو للعقل .

وهم لا يصفونه بكونه عالما ، وذلك يقتضيه كونه مريدا ، خالقا ، محدثا للعقل .

وهم لا يصفونه بكونه قديرا ، وذلك يقتضيه كونه خالقا ، عالما ، مريدا ، محدثا للحياة والعقل ..

وهم لا يصفونه بكونه مدبرا وذلك يقتضيه كونه محدثا للتطور والتقدم فى الأشياء .

وهم لا يصفونه بكونه حيا ، وذلك يقتضيه صحة وصفه بما تقدم (١) .

والنتيجة أن الماديين يقولون بأصل للعالم يتصف بالوجوب والقدم والخلود والسلطان ، واحداث الحياة والعقل ، والتقدم .

وهذا محل اتفاق .

ولكنهم يقعون فى تصورهم لهذا الأصل فى التناقض والقصور .

(١) ليس هذا نوعا من التشبيه كما يدعى الملاحدة ، انظر مناقشتنا

لهذه النقطة فى موضع لاحق .

(أ) متناقضة مع كونه أصلا ،
من ناحية •

(ب) ومتناقضة مع الأوصاف
التي يقتضيها كونه أصلا من ناحية
ثانية •

(حـ) ويمنع عنه أوصافا يقتضيها
كونه أصلا من ناحية ثالثة •

فالخلاف في حقيقته يرجع الى
« صفات » هذا « الأصل المعبود »
لا الى « وجوده » •

ومن هنا فالماديون ليسوا في
جوهرهم منكرين لوجود أصل
معبود ، ولكنهم مشركون يصنعون
آلهة من عندهم ، وينحطون بأصل
الوجود وبعبودتهم الى أحط
الدرجات •

وصدق الله العظيم القائل :
« ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » •
(سبحان ربك رب العزة عما
يصفون) • صدق الله العظيم •

وبالله التوفيق

د • يحيى هاشم حسن فرغل

وهذا موضع المفاضلة بين الماديين
والالهيين •

فالالهيون الذين يقولون بأصل
للعالم يتصف بالوجوب ، والقدم ،
والسلطان واحداث الحياة ،
والعقل ، والتقدم •• يصفونه
بكونه ، مريدا عالما ، خالقا ، مدبرا
حيا ، قديرا ، سميعا ، بصيرا ••

والخلاصة انه لا مجال لطرح
موضوع الخلاف حول المعبود
على أنه بين من يثبت للعالم أصلا
معبودا يرجع اليه يتصف بوجوب
الوجود ، والخلود ، والأبدية
والأزلية والالانهائية، محدثا للحركة
والحياة ، والعقل ، والتطور ،
والتقدم •• وبين من ينكر ذلك •
ولكنه بين من يعتقد أن معبوده
« الله » يتصف بصفاته الواجبة له •
ويراه من غير جنس هذا العالم
متعاليا عليه •

وبين من يعتقد أنه « مادة » ويراه
من جنس هذا العالم المادى فى أحط
درجات وجوده •

وهو بين من يصف معبوده
بأوصاف يقتضيها كونه أصلا وبين
من يصفه بأوصاف :

دراسات قرآنية

ذو القرنين وفتوحاته في المشارق والمغارب

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى :

((ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا (٨٣)
انا مكننا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا (٨٤) فاتبع
سببا (٨٥) (الآيات من سورة الكهف) .

البيان

بنى ، فسالوه فبين لهم قصتى
ذى القرنين وأصحاب الكهف ،
وأبهم الروح محيلا العلم بأمره على
علام الغيوب سبحانه وتعالى .

والآية صريحة فى أنه صلى الله
عليه وسلم سئل عن ذى القرنين
فأجاب عن بعض أمره ، ولم تحدد
الآية من سأل ، ولهذا نرى من
الحكمة عدم الالتزام بطائفة معينة
سأله صلى الله عليه وسلم عن
أمره ، ولا سيما أن العبرة لا تؤخذ
من شخص السائلين وأعيانهم ،
وانما تؤخذ من القصة العجيبة
المسئول عنها ، يرويهما للسائلين
— أيا كانوا — نبى أمى لم يقرأ
ولم يكتب «وما كنت تتلو من قبله

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن
قريشا بعثوا الى أحبار اليهود
بالمدينة ، يطلبون منهم ما يمتحنون
به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا : سلوه عن رجل طواف فى
الأرض ، وعن فتية ذهبوا فى
الدهر لا يدري ما صنعوا فنزلت
سورة الكهف .

وروى أن أحبار اليهود قالوا
لقريش : سلوا محمدا عن ثلاثة
عن ذى القرنين وأصحاب الكهف
والروح فان أجاب عن الأولين
وأبهم الثالث فهو نبى ، لأن الروح
مبهم فى التوراة ، وان أجاب عن
الكل أو سكت عن الكل فليس

والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع
الى خراسان ، وبنى المدن الكثيرة
ورجع الى العراق ، ومرض
بشهرزور ، ومات بها .

وقال الآلوسى : قيل مات برومية
المدائن ، ووضعوه فى تابوت من
ذهب وحملوه الى الاسكندرية التى
بناها بعد استيلائه على مصر ،
تبعها لاستيلائه على الفرس ، لأنها
كانت وقتئذ تحت حكم الفرس .

وقال الفخر الرازى : لما ثبت
بالقرآن أن ذا القرنين كان
رجلا ملك الأرض كلها
أو ما يقرب منها ،
وثبت فى التاريخ أن من هذا شأنه
لم يكن الا الاسكندر ، وجب القطع
بأن ذا القرنين هو الاسكندر
ثم قال : وفيه اشكال لأنه كان
تلميذا لأرسططاليس الحكيم - أى
الفيلسوف - وكان على مذهبه ،
فتعظيم الله له يوجب الحكم بأن
مذهب أرسطو وفلسفته حق ،
وذلك مما لا سبيل اليه ، قلت
ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة
باطلا ، فلعله أخذ منه ما حسن ،

من كتاب ولا تخطه يمينك اذن
لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات
بينات فى صدور الذين أوتوا العلم
وما يجحد بآياتنا الا الظالمون «
(٤٩) من سورة العنكبوت .

من هو ذو القرنين ؟

أصح الأقوال فيه - كما قال
النيسابورى - أنه هو الاسكندر
ابن فيلقوس الرومى ، اذ لو كان
غيره لاتشر خبره ولم يخف
مكانه .

والاسكندر المذكور من أهل
مقدونيا ، واجمال تاريخه أنه لما
مات أبوه جمع ملوك الروم على
ملك واحد ، ثم قصد ملوك الغرب
وقهرهم وأمعن حتى انتهى الى
المحيط الغربى (الاطلانطى) ثم عاد
الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها
باسمه ، ثم دخل الشام وقصد
بيت المقدس ، وذبح فى مذبحه ،
ثم اتجه الى أرمينية وباب الأبواب ،
ودان له العبرانيون والقبط
والبربر ، ثم توجه نحو دارا ملك
الفرس وهزمه وقتله ، واستولى
على ممالك الفرس ، ثم قصد الهند

وترك منه ما لم يحسن ، انتهى كلام
الرازى بتصرف يسير •

وأبو كرب هذا هو الذى أفتخر
به ثبّع اليمانى حيث قال ملقباً
إياه بذى القرنين •

أقول : ويؤيد هذا الاستنتاج
أن الحكماء تشاوروا فى أن
يسجدوا له اجلالاً وتعظيماً فقال :
لا يجوز السجود لغير مبدىء
الكل سبحانه وتعالى - نقله
الشهرستانى - ويلاحظ أن
الاسكندر كان موجوداً قبل مبعث
عيسى بثلاثمائة سنة كما قاله
الآلوسى •

قد كان ذو القرنين جدى مسلماً (١)
ملكاً علا فى الأرض غير مفند

بلغ المغارب والمشارق يبتغى
أسباب ملك من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها
فى عين ذى خلد وتأطئة حرم (٢)

ثم قال أبو الريحان : ويشبه أن
يكون هذا القول أقرب ، لأن
الملقيين بكلمة (ذى) كانوا من
اليمن ، كذى المنار وذى ثواس
وذى يزن ، واختار هذا القول
كاتب جلبى ، وذكر أنه كان يعاصر
ابراهيم عليه السلام وأنه اجتمع به
فى مكة المكرمة وتعانقا ، وأن شهرة
بلوغ الاسكندر اليونانى الغاية
القصى فى غزو الدنيا وملكها
دون أبى كرب الحميرى ، انما هى

وذكر أبو الريحان البيرونى
المنجم فى كتابه المسمى (بالآثار
الباقية عن القرون الخالية) أن
ذا القرنين هو أبو كرب بن عمير بن
أفريقش الحميرى ، الذى رحل
بجيوشه الى ساحل البحر
الأبيض ، حيث المغرب العربى الآن
وسميت القارة باسمه ، ذكره
صاحب تفسير الجواهر :

(١) يقصد من كونه مسلماً أنه مؤمن بربه مستسلم له ، لا أنه على
دين محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان قبل مبعثه •

(٢) عن ذى خلب : أى عين ماء ذى طين أسود ، والتأطئة الحماة وهى
الطين ، وكذا الحرم •

والضفائر قرون الرأس ، ومنه قول
الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

فلثمت فاهها آخذا بقرونها
شرب النزيف يبرد ماء الحشرج^(١)

والوجه الأول في علة التسمية
أولى بالقبول ، فان وصف ذي
القرنين ذكر على أنه علامة
مميزة لهذا الفاتح العظيم ، وكونه
ذا ضفيرتين من الشعر ، لا يصلح
أن يكون علامة مميزة له ، لأن
ارسال الشعر وتضفيره من العادات
القديمة للرجال والنساء جميعا .

ولقد أجمل الله سيرة هذا الفاتح
قبل أن يفصلها فقال تعالى وتقدس :

« انا مكننا له في الأرض وآتيناه
من كل شيء سببا فاتبع سببا » .
وتمكنه في الأرض معناه اعطاؤه
القدرة على التصرف فيها ، من
حيث التدبير والرأى والسلطان
وكثرة الجنود والهيبة .

لقرب زمان اليوناني - أي
الاسكندر - بالنسبة الى أبي
كرب الحميري . اليمنى ، فان بينهما
نحو ألفى سنة ، وتواريخ هاتيك
الأعصار لم يبق منها ما يعول
عليه ويرجع في حل المشكلات اليه ،
ولعل اليهود انما طلبوا سؤال
الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ،
ليكون الامتحان أعظم ، لخفاء
تاريخه . انتهى بتصرف يسير .

وقد ضربنا صفحا عن الخلافات
العديدة في اسمه وأمه وعصره ،
واخترنا أرجح الأقوال والله أعلم .

لماذا لقب بذى القرنين ؟

سمى هذا الملك بذى القرنين ،
لأنه بلغ ناحيتي مشرق الشمس
ومغربها من الأرض - كما نص
عليه القرآن الكريم - مأخوذ من
قرن الشمس بمعنى ناصيتها ،
وقيل كانت له ضفيرتان من شعره ،
فسمى بهما ، ذكره الثعلبي وغيره ،

(١) النزيف المحموم أو السكران ويطلق على من جف لسانه من
العطش ، والحشرج النقرة في الجبل ، يجتمع فيها الماء فيصفو ،
والكوز الصغير اللطيف أيضا .

أى أنه افتتح الممالك غربا حتى اذا وصل الى منتهى الأرض من جهة مغرب الشمس ، وقف على شاطئ المحيط عند غروبها ، فترأى له أنها تغرب فى عين ذات حمأة وهى الطين الأسود ، وقرئ « تغرب فى عين حامية » ومعناها أنه ترأى له أنها تغرب فى عين متقدمة نارية ، وكلا الأمرين يحدث فى رأى العين ، فان المحيط لا تظهر له نهاية لمن وقف على شاطئه ، فيبدو له كأن الشمس تغرب فى عين طين أسود بسبب زرقة الماء الشديدة فى المدى البعيد •

لكنه اذا أخذ فى فكره حمرة الشمس وتوهجها وهى مرسله أشعتها الحمراء على الماء عند غروبها ، ترأى له أنها تغرب فى عين متقدمة ملتهبه ، ولما كان كلا الأمرين لا حقيقة له ، بل هو خيال خادع ، لهذا قال الله سبحانه « وجدها تغرب فى عين حمئة » أو « فى عين حامية » ولم يخبر أنها تغرب فى العين المذكورة فعلا

وايتأوه من كل شئ سببا معناه اعطاؤه من أجل كل شئ واراده سببا وطريقا يوصله اليه ، بحيث لا يعوقه عن مراده عائق • العلم والقدرة والجند والآلات وطريقه الى تحقيق ما يريد هو المختلفة ، ومعنى فأتبع سببا (١) اقتضى طريقا يوصله الى نجاح رحلاته الثلاث التى تحدث القرآن عنها ، والقرآن العظيم يشير بذلك الى وجوب الأخذ بالأسباب لتحقيق المراد ، فان الغايات لا تنال بالعود ولا بحلو التمنى فى جنة الأحلام •

رحلة ذى القرنين الى المغرب

لعل ذا القرنين بدأ برحلة المغرب لأنه كان أقرب اليه من المشرق ، أو لأن الأسباب المؤدية الى انتصاره على ملوكه وحكامه كانت وقتئذ أكثر منها بالنسبة الى حكام المشرق ، وعن هذه الرحلة يقول الله تعالى : « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة » •

(١) اتبع واتبع قراءتان معناهما واحد كما قال الاخفش •

دائرة حول محورها ، لما غابت الشمس عنها ، ولكان وقتها نهارا دائما •

أما الشمس فانها لا تدور حول الأرض - كما يبدو للنظر - بل تدور حول نفسها وحول شيء لم يعرف الى الآن ، واذا كان أمر الشمس كذلك ، وجب حمل الآية الكريمة على ما بيناه ، اذ لا يعقل أنها وهى أضعاف الأرض تغيب فى عين حمئة منها •

سياسة ذى القرنين لأهل المغرب

يقول الله تعالى « ووجد عندها قوما » أى وجد شعبا وأمة عند العين الحمئة التى تراءى وخيل له أن الشمس تغرب فيها •

والمقصود أنه وجد هذه الأمة فى الجهة الغربية من الأرض عند المحيط ، حيث تراءت له الشمس غاربة فى العين المذكورة ، وقد فوض الله لهذا الملك أن يتخذ السياسة التى يراها مشرة فيهم ، فاما أن يقتلهم لظلمهم ورفضهم دعوة الايمان ، واما أن يمهلهم

وحقيقة ، ومن خداع الخيال للنظر أن الشمس تبدو لمن هو على مسطح من الأرض بعيد المدى ، كأنها تطلع من الأرض حين تطلع ، وتغرب فى الأرض حين تغرب ، فتكون على الضد بالنسبة لمن بجوار البحر •

والحقيقة أن الشمس أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة ، وأن الأرض تدور تحت أشعتها ، فتعم الشمس بعضها بضوئها - لأنها على شكل الكرة ، فيكون النهار فى القسم الذى استضاء بنورها ، والليل فى القسم الآخر ، وكلما دارت الأرض اختفت أشعة الشمس عن بعضها فحل فيه الليل محل النهار ، وظهرت أشعتها فى بعض آخر تكشف للشمس ، فحل فيه النهار محل الليل •

والذى يججب ضوء الشمس عن بعض الأرض ، هو البروز الكروى للأرض ، فهو الذى يمنع أشعة الشمس عما انخفض منها ، بسبب حركتها الدائرية ، ولو كانت مسطحة تماما وغير

« قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا »
 أى فأما من ظلم نفسه بتماديه فى الكفر فسوف نعذبه بالقتل ، ثم يعيده الله اليه فى الآخرة ، فيعذبه فيها عذابا منكرا فظيعا فى نار جهنم •

« وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سبيا » • أى وأما من آمن بالله تعالى ، وعمل عملا صالحا بأداء حق ربه وحق عباده ، فله جزاء المثوبة الحسنى فى الدارين ، وسنقول له من أمرنا الذى تأمر به الناس من الزكاة والخراج قولا ذا يسر ليس فيه صعوبة ومشقة •

ثم حكى الله تعالى سفر ذى القرنين الى المشرق فقال : « ثم أتبع سبيا » أى هيا أسبابا تليق بسفر المشرق واقتفاها وأخذ بها بعد أن وطئ أمره بالمغرب ، وللكلام بقية ، والله تعالى هو الموفق •

مصطفى محمد الحديدى الطير

ويدعوهم الى الايمان ويرشدهم حتى يستجيبوا ، فيفعل من الأمرين ما يتفق مع الحكمة والسداد ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا » •

واستدل بالآية من يقول بنبوة ذى القرنين ، فقد خاطبه الله بهذا التكليف كما يخاطب الأنبياء ، وأصحاب هذا رأى يقولون ان خطاب الله له كان عن طريق ملك من ملائكته ، كشأنه تعالى مع الأنبياء •

أمّا من لم يقل بنبوته فانه يقول : ان خطاب الله كان عن طريق نبي فى ذلك العصر ، أو كان الهاما ، وقد ظهرت حكمة ذى القرنين فى فهم خطاب الله له وتكليفه اياه ، فقد قسم أهل المغرب فى المعاملة الى قسمين حسب موقفهم من دعوة الحق ، فمن ظلم نفسه بتماديه فى الظلم والكفر قتله ، ومن قبل دعوة الحق أحسن اليه ، ويحكى الله ذلك بقوله سبحانه

أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية

للدكتور توفيق محمد شاهين

— ٧ —

المعاني : مثل : أز ، وهز .. بمعنى التحريك • وقد تنشأ مشاكل من اختلاف دلالة الثلاثي أحيانا ، مثل : (نهر) ، التي وردت في جميع الساميات عدا الحبشية ، بمعنى : (الجرى أو السيلان ، وبمعنى : الزجر في العريضة ، وبمعنى النور والضياء) • فالمعاني كما تبدو متباعدة ، لا يربطها رابط • وهنا تختلف النظرة لحل المشكل :

فالحل من منطلق أصحاب نظرية « الثلاثية » يدخل في نطاق الفرض والتخمين والاحتمال •

فالدكتور عبد الصبور شاهين (١) يشيد بمحاولة الأستاذ

* أصحاب نظرية الثنائية ، يحلون المشاكل اللغوية ، دونما عناء ولا تعسف :

من المسلم في أصول اللغة ، أن هناك مناسبة بين اللفظ والمعنى تظهر للمتأمل الحصيف •

وأن المادة تدور حول معنى واحد ، مثل : حذق ، وأحذق ، والحديقة ... بمعنى الاحاطة •

وأن معاني البناء الواحد تتلاقى مهما اختلفت أوضاع حروفه ، مثل : ركب ، وكرب وبرك ، وربك ، وبكر ، وكبر .. بمعنى عظم واشتد وأجهد •

وأن الألفاظ تتقارب لتقارب

مع صورة صوتية أخرى ذات معنى مستقل ، كدلالة (التغب) بالتاء ، على معنيين هما : الوسخ والدرن ، والقحط والجوع • ويظهر أن دلالتها الأصلية هي (الوسخ والدرن) أما دلالتها على (الجوع) فناشئة عن تطور لفظة (السغب) في بعض البيئات التي تقلب السين تاء ، كما يقول بعض أهل اليمن (النات) بدلا من (الناس) ، ثم جاء جامعو اللغة ونسبوا معنيين مختلفين لكلمة (التغب) وعدوها من المشترك اللفظي • ويرى الدكتور أنيس بأن المعاجم فيها الكثير من ذلك •

أما أصحاب « الثنائية » فهم يرون : ان الثلاثي (نهر) ليس أصلا لهذه المعاني على نسق واحد ، بل كل واحد منها آت من مصدر خاص به ، وما الثلاثي الا بمثابة الحوض الذي تصب فيه مياه منبجسة من ثلاثة ينابيع ، فتتلاقى فيه ، فينشأ من ذلك لفظ واحد ذو ثلاثة معان •

الدكتور ابراهيم أنيس (١) حين لخص العوامل التي تسبب تغير المعنى عند تعدد دلالات اللفظ ، فهي :

قد تكون بسبب الانتقال من الحقيقة الى المجاز •

أو بسبب سوء فهم المعنى ، كما يحدث للاطفال أحيانا في البيئات المنعزلة •

أو بسبب استعارة اللغة لكلمة تماثل صورة لكلمة فيها ، مثل استعارة « البرج » بمعنى الحصن من (اليونانية) على حين ان مادة (برج) تقيّد في العربية : التزين أو صفة خاصة في العين •

أو بسبب نسيان معنى الكلمة الأصلية القديم ، ثم استعمالها في معنى جديد بمرور الزمن ، مثل : (الهجرس) بمعنى (القرد) في الحجاز ، وبمعنى (الثعلب) عند بنى تميم •

أو بسبب تطور الصورة الصوتية في لفظة ، حتى توافقت

(١) في اللهجات العربية ١٩٩ وما بعدها

وأين هذا مما ذكره الدكتور
أنيس من احتمالات وتقديرات
وتأويلات ؟

وقس على هذا النمط فى
الأضداد (طلع) بمعنى ظهر
وغاب ، من الثنائى (طل) وذيل
بالعين ، فصدر عنه طلع بمعنى
ظهر • والثنائى (طع) اقحم فيه
اللام ، فنجم عنه طلع ، بمدلول
اطمأن ونزل ، وهو منحوت من
(طل) و (طع) على طريقة
(جورجى زيدان) ، وإن كان
لا يرضى هذه الطريقة الأب
مرمرجى •

عقس على ذلك أيضا (أمر)
من (أم) و (حمر وخمر) من
(حم وخم) ••• (٢)

وتلك طريقة فيها من السهولة
ما حل المشكل ، وأرضى الباحث ،
وأوصله الى راحة فى خط يتسم
بالدقة والطرافة ، وتعرزه
الشواهد •

وعلى حسب معرفة موقع
الحرف الذى ثلث المادة « الثنائية »
- تنويجا ، أو اقحاما أو تذليلا -
نجد المعنى المناسب ، لأن المادة
الثلاثية صادرة نسبة الى كل معنى
من معانيها عن ثنائى خاص ، بينه
وبين الثلاثى المشتق منه صلة
معنوية ثابتة « كما يقرر الأب
مرمرجى (١) ، مثلا :

الثنائى : (نه ذيل بالراء ،
فنجم عنه (نهر) بمعنى الزجر ،
وقد وردت صورة الثنائى فى
المضاعف (نهنه) •

(والثنائى : (هر) توج بالنون
••• فصدر عنه (نهر) ، بمعنى
الجرى أو السيلان ويشهد له
(هرهر) لصوت الماء الكثير •
(والثنائى : (نر) أقحم فيه
الهاء ، فجاء منه (نهر) بفحوى
أنار وأضاء • وجاء من الثلاثى
الأجوف (نار) بمعنى أضاء ،
ومنه لفظ (النار) للاشتعال ،
و (النور) وهو الضياء) •

(١) المعجمية ١٣٥ - ١٤١ ، ومعجميات عربية ٢٠٠

(٢) السابق.

تصير (يقول Yaqoolo) •
وبهذا دخلت في نظام الفعل
الثلاثي •

بينما يؤيد الأب (هنرى
فليش) انها كانت منذ البدائية
ثلاثية ، اذ يلاحظ هذا الوضع
الثلاثي لها في الجغرية والتجربة
من اللغات الحبشية ، ولأن
المصوتات الطويلة انما هي نتيجة
القلب أو الحذف « (١) •
ولكن اذا علمنا :

(أن الأب فليش يقرر أن في
العربية وفي أخواتها الساميات
أصولا ثنائية •

وأن المستشرق (رينان الفرنسى)
يقول - كما ذكرنا من قبل -
بثنائية المعتل من الأفعال ، لأن
إضافة حرف العلة ليس له تأثير
يذكر في تغيير المعنى الأساسى
الذى يفيد الأصل الثنائى ، بل
ويمتد عدم التأثير السابق الى
الفعل الصحيح غالبا ، لأن أحد
حروفه أضعف من الآخرين •

* معتل الأفعال في العربية
والساميات عموما ثنائى لا ثلاثى ،
وبخاصة في حالته الأولى :

فقد امتد خلاف العلماء في ثنائية
الأفعال المعتلة ، من العربية الى
أخواتها في السامية على نحو
ما يروى عن (الأب هنرى
فليش) في دراسته للنحو
السامى : فالبعض يفترض ثنائيتها
منذ بدايتها ، وآخرون يقررون
أنها نشأت ثلاثية •

ويقول المستشرق (ف. ر. بلاك)
أن الموقف الأول - ونحن معه في
ذلك - طبعى ، لأن المصوت
الطويل في الأفعال التى يكون
الصامت الثانى من أصلها واوا
أو ياء ، انما يأتى من إطالة المصوت
القصير الداخلى في الثنائى :

(قَلَّ Qala) فتصير

(قال Qaala) وكذلك

(قِلَّ Qila) تصير

(قيل Qiila) •

و (يَقِلُّ Yaqolo)

فتضعيف الحرف — كما قلنا —
طريق من طرق الاكتناز ، وصورة
المضعف كان في الأصل ثنائى
المقطع ، نظرا الى الصورة المفقوظ
بها ، دون التفات الى الحرف
المكرر بمثابة حرفين ، يقول
ابن دريد : « والثنائى الصحيح
لا يكون حرفين البتة الا والثانى
ثقیل (أى مضعف) حتى يصير على
ثلاثة أحرف : اللفظ ثنائى ،
والمعنى ثلاثى ... » (١) •

ويعلق الدكتور ابراهيم نجا ،
على ذلك بقوله : « واعتبار
المضعف الثلاثى من باب الثنائى
ليس غريبا عن علماء اللغة قديما
وحديثا ، خاصة وانهم ينظرون
الى اللغات السامية بمنظار واحد
— كما فعل الأب مرمجى — فقد
عقد موازنات بين المضعف الثلاثى
في العربية ، وبين ما يقابله في
السريانية ، فتبين انه لا يقابله في
السريانية الا حرفان ، مثل (مص)
بتشديد الصاد ، فيقابلها في

واذا تذكرنا أن الشيخ العلايلى
قال : ان المعتل من بقايا العهود
السحيقة ، وأنها أثرية وجدت قبل
انتظام الوضع اللغوى ، وان اعتبار
المعتل ثنائى هو اتجاه سليم من
الناحية الصوتية ، كما جاء (فى
التطور اللغوى) •

اذا اعتبرنا ما سبق امكنا أن
نقرر وجهة نظر القائلين بأن معتل
الأفعال — ولا سيما معتل العين —
وضع ثنائى ، فى واقعه واستعماله ،
وفى حالته الأولى .. فالمعتل ثنائى
الحق بالثلاثيات وهو ثنائى لفظا ،
وان بدا ثلاثيا خطأ فى العربية •

أما حين تشير بعض تصاريف
الكلمة الى الثلاثية ، فنبادر
بالقول : بأن ذلك طريق من طرق
اكتناز البنية « الثنائية » — كما
أسلفنا — فى العربية •

والمضعف أصله ثنائى ،
ولم يبد ثلاثيا الا فى الصورة ،
ولم تكن ثنائية خداع :

أواخر الدور الثاني فى رأى الشيخ
العليلى •

يضاف الى ذلك أن الثلاثى حين
تفرع عن ثنائى سابق ، انما كان
ذلك فى النشوء اللغوى قبل أن
يكون فى الاشتقاق فقط • فاذا
احتفظت وحفلت قواميسنا العربية
— وفى مقدمتها معجم مقاييس اللغة
لابن فارس — بالتضعيف ، وبدا
الثنائى فى صورة الثلاثى ، فان مرد
ذلك الى الانتقال من مرحلة الى
أخرى •

* * *

الثنائى ليس بالقليل فى
اللغة العربية :

فقد كانت الأحادية فى التعبير
كافية فى المرحلة الأولى لانسان
لا يرتفع عن النوع وليس له من
مطالب حياته المعيشية سوى
الضروريات التى يحتاج للتعبير
عنها •

السريانية (مص) باسكان
الصاد ... » (١) •

ولكن الدكتور رمضان
عبد التواب ، يرى أن الأب
مرمرجى ، قد « خدعه ما آل اليه
المضعف الثلاثى فى بعض اللغات
السامية ، بعد أن سكنت أواخر
كلماتها ، لسقوط الحركات
الاعرابية وغيرها ، فضاع التضعيف
منها وصارت على حرفين ، فظن
هذا هو الأصل فيها ... ونسى
الأب مرمرجى : انه عند اسناد
المضاعف الى الضمائر فى العبرية
والسريانية ، يظهر التضعيف » (٢)

وأقول : ان الأمر ليس فيه
خداع ، فالثنائية باقية للمادة وان
ضعفت ، كما أن المضعف لا يفقد
ثنائيته اذا ارتد الى معتل العين ،
مثل : (كاع ، ذام ، زير ، مير)
من (كع ، ذم ، زر ، مر) • (٣)
فالتضعيف حقق للكلمة العربية
الانتقال من الثنائية الى الثلاثية فى

(١) فقه اللغة العربية ٨٤ ، ٨٥

(٢) فصول فى فقه اللغة ٢٦٦

(٣) مقدمة العليلى ١٣٢

ضرب من التوازن على هذا
الرأى •

وليست نشأة اللغة فى أوليتها
منطقية ، حتى تخضع للتقدير
الكمى ، وقياس (الكومبيوتر) ،
حتى تقبل بعض موادها ، ويرفض
البعض الآخر ، اذ لم يكن هناك
منطق ولا قياس ، وانما هناك
تعبير يواكب فى تدرجه وتطوره
تطور الكائن الحى الذى ينطق •
فالقدر الضئيل من الثنائى - فى
نظر بعض الباحثين المعاصرين -
كان كافيا فى الفهم والافهام
والتعبير والتغطية والاشباع
والامتناع فى اعتبارات السذج
وقتذاك •

فالثنائية ليست قليلة ، باعتبار
معايشتها لفترة الانسان البدائى ،
بل تذكر المعاجم طائفة كبيرة من
المفردات ذات الصوتين الصحيحين ،
من الأسماء ، مثل : (عم ، فم ،
هم ، دم -) ، ومثل : (مال ،

وحين دعت الحاجة للتعبير سلك
طريق الثنائية ، وذلك أمر مسلم به
فى اختراع اللغة وتدرج الأشياء ،
وله آثار فى كل لغة انسانية
احتفظت بأصواتها القديمة
السحيقة • واذا بدت قليلة فهى
- عند البدائيين - كافية •

وقد أتى من الأسماء والأدوات
والحروف تشيئ الكثير أيضا ،
مثل : أب ، أخ ، حم ، ابن ، يد ،
دم ، شفة ، لثة ، رئة ... ومثل :
كم ، وما (الموصولة) ... ومثل :
لو ، لا ، بل ، ما (النافية) •

واذا اعتبرنا الثلاثى وما فوقه
مخصبا من الثنائية ، كان عدد
الأصول الثنائية كثيرا ويقرر
الدكتور محمود حجازى : ان أكثر
الكلمات الثنائية : « قد تطورت
فى اتجاه الثلاثى لاحداث ضرب من
التوازن ، ولكى تصبح مماثلة
لأكثر الكلمات العربية ، وهى
الكلمات الثلاثية » (١) • فمنها
ثنائى ، ومنها ثلاثى ، ولعل فى هذا

(١) علم اللغة العربية ٢٠٦

والتي تكون الجذر أو النواة التي تدل على المعنى المطلق في الأصل ، ثم تتطور من حيث الشكل بالتغيير الحركي الداخلي ، أو بالاضافة اليها ، لتدل على معاني جديدة ، تشترك مع الوحدة الأولى في المعنى الكلي ، وتتميز عنها . بمعنى جزئي خاص . (١) . واللغة ترافق الانسان ، والانسان في تغير دائم .

وذلك كله يدل على اتفاق لغات الجزيرة في كثير من السمات ، وكثرة وجود الأبنية الثنائية المفردات ، ذات العلاقة الوثيقة المباشرة بالحياة الاجتماعية البدائية والوثيقة الصلة بشئون الحياة اليومية .

كما يؤكد الدلالة على أن المفردات الأولى للغة كانت ببساطة شئون الحياة ذاتها ، وتتعلق بالانسان وأعضاء جسمه ، مثل : (يد ، فم ، رأس ، سن ، كف ، دم . . .) أو تتعلق بذوى قرباه ، مثل : (أب ، أم ، أخ ،

قال ، دعا ، سعى . . .) من الأفعال .

وأيضا وجود طائفة أكبر من بنات الصحيحين المضعفة الثاني ، نحو : (أب ، أد ، مج ، حج ، مد ، شد ، هد ، من ، كف ، نم . . .) وهي كلها ثنائيات جرى عليها بعض التغيير الصوتي عند الاسناد أو الاضافة ، لأسباب صوتية محضة .

وهناك بحث حديث قيم ، أثبت أن ما كتب بالخط المسماري ، منذ أربعة آلاف سنة ، قبل الميلاد ، دلل على وجود صلات لغوية بينه - ما كتب بالخط المسماري - وبين لغات الجزيرة الحية ، ولا سيما العربية .

وأن اللغة الأكديّة (السامية) أول وأقدم لغة مدونة بقواعدها . . . يغلب عليها البناء (الثنائي) المقطعي للكلمة ، ويعد هذا البناء الصورة الأولى لتشكيل الوحدات الدالة على المعاني ،

(١) د. باكره رفيق حلمي ، مجلة المجمع اللغوي الأردني عدد ٢

مجلد ١/ ص ٦٠ وما بعدها ، بتصرف .

بأصل البناء ، بل هي تغييرات صوتية محضة تطرأ عند الاسناد أو الاضافة لتغيير الدلالة الوضعية النحوية •

والميزان الصرفي ، انما هو وسيلة للكشف عن خفايا اللغة ، وأسرارها ، وتمييز أصناف مفرداتها ، وليس لتصنيع الأصول ، واخضاع جميع المفردات له •

وفي دراسة قيمة وجادة للدكتورة باكرة رفيق حلمي ، تشير - أيضا - الى أن الثنائية ليست قليلة في الأصول اللغوية ، وانما هي كثيرة في العريية وشقيقاتها (الساميات) بل وأكثر من ذلك في جميع اللغات بعامة ، حين تنقل عن (Blood Field)

« ولو أجرينا دراسة دقيقة للمفردات وأبنيتها في اللغة العربية ، وفي لغات الجزيرة العربية الأخرى لوجدنا أن بالامكان ارجاع معظم مفردات هذه اللغات الى البناء الثنائي ، وهو أبسط صورة لبناء

عم ، بن ابن ، بنت ...) • أو تتعلق بأحداث الحياة البدائية ، مثل : (قام ، نام ، صال ، راح ، جاء شدد ، يد ، عد ، هد ، كل ، خذ ...) • ثم جاءت الأبنية (الثلاثية) تحمل معاني حضارية ، تدل على الاستقرار واتساع الحياة والتأق في الصياغة ، والقصد الى الانتقاء •

فاذا جاء من أسلافنا على أن : « كلام العرب مبنى على أربعة أصناف : على الثلاثي ، والرباعي والخماسي » • ثم يحكم بأن : « بنات الحرفين في الكلام قليل » (١) .. قلنا : لا يمنعنا ذلك - كما لم يمنعهم - من الاعتراف بوجود البناء (الثنائي) مستقلا عن (الثلاثي) وليس منه ، وأنه نشأ في المرحلة البدائية لنشوء اللغة •

كما سبق أن رددنا اعتبارهم الثنائي المعتل ثلاثيا سقط ثالثه لعله ، لأن العلة لا علاقة لها

النظر فيها وفق أسس علمية ، ساعدت الوسائل العلمية الحديثة على اكتشافها • وعذر الأقدمين في ذلك أنهم لم يكونوا يملكون من وسائل الاختبار سوى الفكر والتجربة الذاتية في نطق الحروف ، وتحديد مواقعها في جهاز النطق ، وعلى الرغم من ذلك : فقد أصابوا في الكثير من نتائج أبحاثهم •• الى أن وصلت الى قول الخليل ابن أحمد بأن « كلام العرب مبنى على أربعة أصناف : على الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي » وقالت :

« وأصاب في ذكر الثنائي بأنه البناء الذي يتألف من صوتين صحيحين ، وذكر لذلك الأمثلة (قد ، هل ، لو ، بل) • ولكنه لم يصب ، اذ حدد هذه ، بأنها تكون في حروف المعاني فقط •

أما الاسم والفعل فلا يردان على أقل من ثلاثة • وفاته أن الكلمات الاسمية : (أب ، أم ، أخ ، عم ، فم) لا تختلف من حيث البناء

الكلمة ، ليس في لغات الجزيرة العربية فقط ، بل في جميع اللغات ، فالوحدات اللغوية الوحيدة المقطع (Monosyllagic)

ربما كانت هي الأصول الأولى التي نشأت منها وتطورت الوحدات المتعددة المقاطع : اما بتغيير الحركات الداخلية ، واما باضافة مقاطع خارجية الى صدرها ، أو أحشائها أو اعجازها •• « (٢) •

وذكرت الدكتور باكزة جهود علماء النحو واللغة العرب ، في استقصاء أصول الكلمة ، ومايجري عليها من تغيير، ومايعتريها من تطور بالاعلال والابدال والقلب والحذف والادغام ••• حتى توصلوا الى نتائج طيبة ومذهلة في أبواب التصريف والاشتقاق ، ساعد عليها سعة العربية ودقتها ومرونتها •

وذكرت - بحق - أن بعض نتائج علمائنا ، بحاجة الى اعادة

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني عدد ٢ م / ١ ص ٧٠

وما بعدها بتصرف .

الصلة بالعربية - تلتزم بالاعراب
فى جميع الحالات ، ونهايات
الاسم ، تحمل علامات الاعراب
بأصوات المد (و ، ي) وليس
بالحركات كما فى العربية وضمت
علامات الاعراب فى الأكديّة عند
الكتابة ، ومع ضم فهى ثنائية فى

مثل : (طيب = Tabu

بعيد = Raku

رب = Rabu) ..

وعادت الدكتورّة باكرة الى
لغات الجزيرة العربية بعامة ،
والعربية بخاصة ، وذكرت أن
المقارنات أثبتت أنها تتفق جميعا
فى أن الصيغة الثنائية فيها
- الاسمية والفعليّة - تشمل
طائفة كبيرة جدا من المفردات
تكاد تفوق الثلاثيات عدا .

وأنها تنظم الفئات الآتية :

١ - الأفعال الناقصة من حيث
التصريف والوظيفة النحوية ،
وعدها - كما ذكر النحاة -
سبعة عشر ، منها أحد عشر فعلا
ثنائيا ، هى : كان ، صار ، ظل ،

وعدد الأصوات الصحيحة عن بناء
الأمثلة التى ذكرها ، وأساس
البناء كما حدد هو الصوت
الصحيح ، وربما كان السبب فى
ذلك : هو خضوع المفردات
الاسمية والفعليّة للاعراب
والاشتقاق والتصريف ، وجمود
أبنية حروف المعانى فى حالة لا تقبل
التغير » .

فالخليل - فى نظر الدكتورّة -
مال الى الصناعة لا الى السليقة
والطبيعة اللغوية ، التى يقضيها
عهد الثنائية فى مفرداتها التى هى
من مدخرات النشأة الأولى للغة ،
فى عهد ما قبل التنبه للقياس ،
ولذا يجب أن تعالج معالجة
خاصة ، وفق منطق الواقع ،
والتراث القديم . وقد كان
الخليل - رحمه الله - يعتمد
على ذواقه للأصوات : فقد كان
يفتح فاه بالف ، ثم يظهر الحرف ،
نحو : (أب ، أت ... الخ) .

وأشارت الدكتورّة باكره ، الى
أن (الأكديّة) - وهى من أقدم
صور لغات الجزيرة العربية وقوية

في اللغات الثلاث (الأكديّة ،
والعربية ، والعبرية) : أى انها
تتألف من صوت صحيح واحد
وحركة مد طويلة • وفى الأكديّة
والعبرية عدد وفير من هذه
الكلمات الأحادية •

٣ - الأسماء الثنائية ، عدا
الأسماء الستة ، الوحيدة المقطع ،
وهى كثيرة فى جميع اللغات
العربية •

وهى اما أن تكون وحيدة
المقطع قصيرة الحركة ، وتكون
على أصناف ، فمنها :

أ - ما يكون مفتوح الأول ،
وهو الغالب ، نحو : (قد ، يم ،
يد ، دم ، غم ، هم ، كف ، دف ،
رف ، خد ، جد ، صف ، بط ،
رب ، حج ، طب) •

ب - وما يكون مضموم الأول ،
نحو : (أم ، دب ، جب ، خف ،
در ، مر ، حق ، بر) •

بات ، آض ، عاد ، خدا ، راح ،
ما (برح) ، ما (دام) ، ما (زال)
وليس (١) وفى الأكديّة ما يماثل
ذلك ، مثل (Kano) ، وكذا
فى العبرية •

٢ - والأسماء المعروفة بالأسماء
الستة ، من النحاة من يعربها
بالحركات ، ومنهم من يعربها
بالحروف ، وهى فى الحقيقة
لا تخضع لأحكام الاعراب
المعروفة ، لأنها من ذوات المقطع
الواحد القصير ، ويتطلب الصاق
اللواحق بها من مد حركاتها
النهائية ، كما فى نحو : (أبوك
وأخوك وفوك) •

وعند الافراد أن تعرب كما تعرب
الأسماء الأخرى ، (جاء الأب ،
ورأيت الأخ) • (٢) وفى الأكديّة
ما يقابلها ، نحو :

(Hamu, Anu, Abu)

وكذلك فى العبرية • ويلاحظ هنا
أن بعض هذه الأسماء أحادية البناء

(١) الكافية (شرح الاسترأبادى) ٢٩٠/٢

(٢) همع الهوامع السيوطى ٣٨/١

هو ظاهرة حضارية ثبتت في اللغة
الكتابية فقط وتفتت في لهجات
الكلام ، فنحن نقول : (يوعده) ،
ويوهب) • وهو بذلك ثلاثي
صحيح •

أما المثالان الثانيان - في
الأجوف والناقص - فهما ثنائيان ،
وحرفا المد فيهما حركتان
طويلتان •

وخلصت الدكتوراة تاذرة من
كل ما سبق - وأنا معها -
الى أن :

« المفردات الثنائية تفوق في
العدد الثلاثيات ، وأن معظم
الثلاثيات تطور من أصول
ثنائية (١) •

وفي ختام دراستها القيمة ،
تدعو الباحث الى ملاحظة
الأحاديات في لغات أخرى ،
كالانجليزية ، في نحو :
(Zoo, See, Do, Too, You, We
He, Se, Tea)

ج - وما يكون مكسور الأول ،
نحو : (قط ، هر ، زق ، رق ،
شخص ، دن ، كن) •
وفي اللغات الأكديّة ما يقابلها
تماما •

د - الأسماء الثنائية ، ذات
النهايات الحركية الممدودة ،
نحو : (فتى ، صبا ، هوى ،
نوى ، جوى ، عصا ، قفا ، مها ،
علا ، سها ، ربا) •

هـ - الأفعال المعتلة ، وذكر
النحاة ثلاثة أصناف منها : المثال ،
نحو : وعد ، وهب • والأجوف ،
نحو : قال ، مال • والناقص ،
نحو : سعى وجرى ودعا •

ولو أمعنا النظر ، لوجدنا أن
المثال الأول سالم وليس معتلا :
فالواو في (وعد) ليس صوتا
حركيا أو حرف علة ، بل هو
صوت صحيح ، مخرجه من بين
الشفيتين كالياء والميم ، واختفاؤها
عند تغيير البناء ليس واجبا ، وإنما

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ج ١ عدد ٢ ص ٧٠
وما بعدها بتصريف •

أحوج ، والى نوع آخر من الغذاء
الاصلاحي أنجع وأنضج » • (١)

وهذا فى رأى الغاء فج
للمسألة من أساسها ، وغلق لباب
بحث تحتاجه العربية للتأصيل
والوصول الى الحقيقة فى مسائل
طال بحثها فى غير ما تكاتف
وامعان ، فبقى الخلاف معلقا لها ،
والضباب مخيما حولها •

ولذا يرد الأب مرمى على
الأستاذ المغربى فى موضوعية
مشوبة بالقسوة ، حين يصفه بأنه
« من المتسكين بالقديم ، وغير
الواقفين على كنه (الثنائية
والألسنية السامية) ، لجهله
— ما عدا العربية — بقية الألسن
السامية وقواعدياتها وأسرارها
وتاريخها ، وما تفترض مقارنتها
من المعلومات والأساليب التقنية ،
وهذا مما يؤسف عليه ، فان
الأستاذ — مع كونه اماما فى
العربية — يعسر عليه المناقشة فى
ذات الموضوع » •

وفى الفارسية ، نحو : (دو =
اثنان ، شا = الملك العظيم ، مو =
شعر ، سى = ثلاثون ، رو =
وجه ، دو = غاية ، خو = عادة ،
تا = صفحة ، با = قدم) •

وفى اللغة الكردية ، نحو :
(دو = اثنان ، مو = شعر ، رو =
وجه ، شو = زوج ، جو = شعير ،
خو = عادة ، رى = طريق ، دى =
قرية) •

وقد أطلنا فى هذا المقام ولنا
عذرنا ، لأن الكثرة من الباحثين ،
دأبت على القول السريع ، بأن
الثنائية فى لغتنا قليلة •

✽ والبحث فى نظرية « الثنائية »
ليس ترفا عقليا ، ولا أمرا هامشيا ،
ولا يتوقع فى دقة تخصصية :

فمن الاعتراضات الشكلية على
بحث مشكلة « الثنائية » ما أثاره
الأستاذ عبد القادر المغربى معترضا
على آراء الأب مرمى — بقوله :
« واللغة العربية الى غير هذا
— من الخدمات المتواضعة —

كثيرا من نظرياتهم ، واعتنقوا المذاهب المستحدثة - على أن ما تعذر على القدماء عمله ، من الهين اليوم على شيوخ اللغة اجراؤه في معاهدهم ، ولا سيما في وسط المجامع اللغوية ، وبنوع أخص بين أعضاء لجان وضع المعاجم الحديثة » (١) •

ومن النقد الشكلي أيضا لنظرية « الثنائية » ، في نقد كتاب « هل العربية منطقية » للأب مرمجى • ما ذكره الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، اذ وصف مثل هذا البحث بأنه « بحث خاص ، يهم المشتغلين باللغة وأصولها واشتقاقها ، ويهم المجمع اللغوى (المصرى) بشكل خاص •

ويتساءل : هل اطلع المجمع اللغوى على البحث ؟ واتخذ قرارا بشأنه أم لا ؟

كما يصف الثنائية بأنها هدامة للثلاثية والرباعية ، ومقوضة لأركان المعاجم (٢) •

ثم يسوق الكلام الى كل معارض للثنائية ، بقوله : « فكأنى بحضرات أئمتنا الأجلاء ، يؤثرون بقاء المعجمية على ما هى عليه من الاضطراب ، والتضارب ، والتنافر ، والتناقض فى اشتقاق الألفاظ وتطور معانيها ، على أن تنسق ويعمل سياقها ، فيتجلى فيها الانسجام والتساقق والمنطقية » •

ثم يعود الى الحدة ، والثورة على المؤلف ، ويلتمس العذر للأقدمين بقوله :

« وذلك لأن الوسيلة المقترح استخدامها ، لبلوغ هذا الأرب ، هى : (الثنائية ، والألسنية) وهو ما لم يلقوه ، فلا تستمرئه ذهنيتهم التقليدية • ولا أغالى اذا جزمت بأن نفس اللغويين الأقدمين - الذين تفردوا بالذكاء والعبقرية - لو عاشوا فى زماننا ، وأتقنوا معرفة اللغات السامية ، ووقفوا على تقدم العلوم الألسنية فى الأصقاع الغربية ، لجحدوا

(١) السابق •

(٢) مجلة الثقافة المصرية عدد ٥٣١

ينجم عنه ان الثلاثى ليس بدء
الاشتقاق ، بل الثنائى •

ويرى عمليا أن فى هذه النظرية
للمعجمية فوائد جمة ، منها تجلى
الانسجام والتساقق والمنطقية
فى تشعب الألفاظ بعضها عن
بعض ، وتوسع المعانى وتطورها ،
مما هو واضح الفقدان فى الحالة
الثلاثية الحاضرة • فمن ثم لا خشية
على المعاجم من الثنائية ، لأنها
بالعكس تنشئ فيها تنظيما معقولا
منطقيا ، كما أن ترتيب المعاجم
الحديثة مثل : محيط المحيط ،
وأقرب الموارد ، والبستان ، لم يضر
بالمعجمية ، بل نفعها ، وإن خالف
بالواقع تنظيم (القاموس المحيط
واللسان ، والتاج) ، أو بالأحرى :
قلة التنسيق فيها (١) •

غير أنى أبادر فأقول : ان بحث
الثنائية ، سيضيف الى الأبحاث
اللغوية فى العربة أعباء كبيرة ،
تتطلب منا تضافر الجهود :

ويرد الأب مرمجى على شق
الاعتراض الأول ، بأن المجمع جند
عمله وأثنى عليه ، وأنه تلقى
رسالتى استحسان من صاحب
السعادة المرحوم محمد توفيق
رفعت باشا ، رئيس المجمع ، ومن
صاحب المعالى عبد العزيز فهمى
باشا • كما يتمنى المؤلف أن تتبنى
المجامع اللغوية نظريته ، لتوافر
الوسائل العلمية والتقنية والمادية ،
ومؤازرة المخلصين •

ويرد على الشق الثانى بأن
« الثنائية فى أعيننا غير هدامة
الثلاثية ولا الرباعية ، ولا هى
مقوضة أركان المعاجم ، إنما هى
وسيلة التأصيل السابق طور
« التصريف » • فالقائل بالثنائية
يدع التصريف على ما هو للثلاثى
والرباعى ويحصر عمله فى المعجمية
• وفى هذا الحقل عينه لا يتوخى
محق الثلاثية والرباعية من اللغة ،
لكنه يرتئى بأنه : كما أن الرباعى
يسوغ رده الى الثلاثى كذلك
يمكن رد الثلاثى الى ثنائى ، مما

وحين تقف العربية بكفاء بلهاء
أمام هذا الطوفان ، سيرميها
أبناءؤها - قبل أعدائها - بالعقم ،
وليست العربية عقيمة ، وانما هي
ولود مرنة مطواع •

وسنراجع النظرية من جديد في
الأصول الثلاثية غير السالبة (أى
المضعفة والمضاعفة والمهموزة والمعتلة
بأقسامها : المثال ، والأجوف ،
والناقص ، واللفيف المفروق
والمقرون) وكذلك مشتقاتها ،
ومعالجتها فى ضوء المبادئ
الحديثة (للفونولوجيا :
(Phonologie)

وسيلاقى وزن (فعل) تحفظات
جديدة ، اذ لا يصلح بشكله
الحاضر لقياس الأصول الرباعية
خاصة ومشتقاتها عامة ، بل اننا
سنضطر الى أن نزن الرباعى
المضعف ، مثل : وسوس ، على
ففعن ، لا على فعلل ، اذ أنه مكر
من ثنائيين •

ولن تبقى حروف الزيادة
محصورة فى حروف (سألتمونيها)

فسيوجب علينا ذلك من جديد
دراسة تاريخ العربية ووصفها
وتطورها •

وسيوجب علينا : أن نعيد النظر
فيما قعده اللغويون فى بابى الاعلال
والادغام ، وما أرسوه من نظريات ،
وما تخیلوه من تعليلات ، وما سلموا
به من أوزان :

فوزان قطعً بالتشديد (فع)
لأنها عين الكلمة لا فعل كما ذكروا
على أنها لام الكلمة ، اذا قلنا :
قطع بالتشديد على وزان فعل
بالتشديد •

وسنعيد النظر فى سلاسل
الاشتقاق ، وخاصة غير القياسية
منها ، لبعثها وبحثها والانتفاع بها ،
للإثراء والتنمية اللغوية ، وجعلها
مطرده - ولو على رأى الكوفيين -
للاستفادة من مادتها فيما تمطرنا
به محدثات العصر الحديث صباح
مساء ، من مدلولات اجتماعية
تحتاج لألفاظ لغوية ، ويكاد هذا
الجديد يصل كل يوم الى خمسين
كلمة (كما ذكر المكتب الدائم
لتنسيق التعريب فى العالم العربى) ،

•• اذ أمكن تشديد كل الحروف
الأبجدية في العربية •

وستحتاج الثنائيات التي
انتقلت الى ثلاثيات - وكذلك
مشتقاتها بالشد والمد - الى أوزان
خاصة بها ، وليست على وزان
(فعل) •

ولا يخيف ذلك وغيره سدة
العربية وحماها : فمتى صحت
العزائم ، وعلت الهمم ، وقوى
الدفع ، وخلص الاخلاص ،
فستخدام لغتنا وفخرنا ، وسنبقى
كما بنت أجدادنا ، ونفعل فوق
ما فعلوا •

••••

وبعد :

فتاريخ اللغات السامية في أكثر
نواحيه غامض ، ورمال الجزيرة
العربية - وهى موطن الساميين -
لا تفصح عما يصف هذا التاريخ
البعيد •

ولذلك سيظل الاختلاف بين
الثنائيين والثلاثيين قائما بين أبناء
العربية وغيرهم ، وسيجد كل
فريق ما يبرر به القبول أو الرفض
لهذه النظرية أو تلك • وسيبقى
الأمر كما قال الأب (هنرى
فليش) : « ان التحليل الداخلى
لل كلمة العربية أو السامية ، لتمييز
الأصول الثنائية لما ينته الى نتيجة
مرضية ، ولعله من المحال أن
يحدث هذا • وخلاصة القول : أن
مشكلة الثنائية لما تلق حلا » (١)

واذا كان علماء التاريخ ، وعلماء
« الأنثروبولوجيا » يتنازعون الرأى
فيما بينهم أشد الاختلاف ، مع
خبر يروى ، أو أثر يذكر ، أو
شاهد يرجح ، أو حفريات تهدى ••
فان باحثى اللغات أشد حيرة ،
وأكثر اختلافا ، وأوسع متاهة ••
حين يصمت التاريخ ، ويندر
الشاهد ، ويعز الأثر ، ويفتقد
الدليل ، وتضيع الوثائق ••

وأن الجذور الثنائية أصيلة
وثابتة في لغتنا ، وغير قليلة •

ولعلنى بذلك الجهد المتواضع
أكون قد قدمت شمعة على طريق
البحث ، تهدى السائرين ، وتحفز
الباحثين على التنقيب عن الحقيقة ،
حتى يرى الضوء من جوانب
العربية ، بقى زمتنا فى حجاب
مستور ، والله يقول الحق وهو
يهدى السبيل •

د • توفيق محمد شاهين

غير أن قياس الغائب على
الحاضر ، وأعمال العقل فى المأثور
على قلبه باعتبار أن الظاهرة
تشيع ••

وتقليب الفكر فيما سبق من
سلسلة هذه المقالات ، يجعلنى
أقرر وأنا مطمئن :

الى أن عددا كبيرا جدا من
الأصول الثلاثية يرد الى أصول
ثنائية الأصل •

دعاء

اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم أعلم •

وأسألك الجنة ما قرب اليها من قول وعمل •
وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل •
وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك صلى الله
عليه وسلم •

أم المؤمنين عائشة

الإمامة و الشيعة

لأستاذ السيد حسن قرون

(محمد الحسن العسكري) وهو المهدي دخل في سرداب بدارهم في (الحلة) وتغيب حين اعتقل مع أمه ، وغاب هنالك ، وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا ٠٠ » وكان اختفاؤه سنة ٢٦٠ هـ أي بعد وفاة الجاحظ بخمس سنوات . فمن الاثنا عشر من الأئمة الذين عناهم الرافضة ويفترقون عن الاسماعيلية أو الباطنية ؟ هم على الترتيب على بن أبي طالب ثم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ، ثم على زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم على الرضا (ولي عهد المأمون) ثم محمد التقي ، ثم على الهادي ثم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري امام الزمان عند شيعة ايران وهو المهدي المنتظر ويقتضينا هذا أن نوضح رأى

للجاحظ رسالة سماها « كتاب الترتيب والتدوير » يقول فيها مداعبا (أحمد بن عبد الوهاب) « لو قتلت لهلكت الأمة ، لأنك رجل لا عقب لك . والامامة اليوم لا تصلح في الاخوة ، ولو صلحت في الاخوة كانت تصلح في ابن العم ، ثم انها دنت في الأرحام بعد ذلك فصارت لا تصلح الا في الولد وفي هذا القياس أنها بعد أعوام لا تصلح الا ببقاء الامام نفسه الى آخر الأبد ، وهذا هو علة المناسخة » والغريب من أمر الجاحظ أنه تنبأ بالأمر قبل حدوثه بناء على نظرة ثابتة استنبطها من مجرى الأحداث في زمانه ، فما قاله عن الامامة حصل بعد موته بعدة سنوات . مات الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ ، وقالت الشيعة : ان الامام الثاني عشر

الجاحظ ونسب القول فيه حتى يتبين لنا كيف صار الأمر كما ذكرت ؟ تاريخ طويل ، وجهاد مرير يجب أن تنفضه بين يديك ، وأحب أن أتناوله دون تعسف أو تفريعات لنبلغ المراد من أقصر طريق وأوضح دليل .

ما أشك في أن زعامة الشيعة قد انتقلت بعد مقتل الحسين رضى الله عنه الى أخيه محمد بن الحنفية وإن كان عبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن جعفر يشاركانه فى تلك الزعامة ، ومن ثم كان عبد الله بن الزبير يشن الغارة عليه قولاً وفعلاً ، فقد أنزل ابن الزبير من مكانة ابن الحنفية بقوله : « عذرت بنى الفواطم فما بال بنى حنيفة ؟ » لأن ابن الحنفية يخدش نسبه فى نظر خصمه أنه ليس من أبناء فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يسكت ابن الحنفية فقال له : « يا بن رومان ، ومالى لا أتكلم ؟ أليست فاطمة بنت محمد حليمة

أبى وأم اخوتى ؟ أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتى ؟ أو ليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبى ؟ (١) أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت فى بنى أسد عظماً الا هشمته ، وإن نالتنى فيه المصائب صبرت » فمحمد زعيم بنى هاشم ينافج عن حقه فى الامامة ولكن ابن الزبير قبض عليه وعلى خمسة عشر رجلاً من قومه وأودعهم سجن (عارم) وانتهى الأمر بثورة الشيعة والافراج عن محمد وقومه من بنى هاشم ، وقد يكون عبد الله ابن عباس أصرح منه رأياً ، وأشد منه شكيمة فى عداوته لبنى أمية ، فلم يقبل مهادنة يزيد بن معاوية واتهمه بقتل الحسين على حين نفى ابن الحنفية أن يكون ليزيد علم بمصرع الحسين ، ولم يكن موقفه من ابن الزبير تأييداً لمروان وابنه فى الشام انما كان ينظر الى حق بنى هاشم فى الخلافة ، ولكن ابن عباس وافاه أجله بالطائف

(١) مخزومية انجبت عبد الله والد الرسول وأبا طالب والزبير وخمس بنات لعبد المطلب .

سنة ٦٨ هـ وصلى عليه ابن الحنفية الذى بقى قائما بأمر أهله وأمر الشيعة •• ثم توفى بالمدينة وترك أمر الشيعة لابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد وكان رجلا قوى الجسم عالما بشئون السياسة ، ولم يكن ينظر الى الأمر على أنه لبنى على دون بنى هاشم ، بل يرى بنى عبد المطلب أمرة واحدة يتولى أمرها الصالح للعمل ، ولم يتوان حين أحس بدنو أجله من أن يجتمع بابن عمه من فرع العباس وهو محمد بن على بن عبد الله بن عباس ليسند إليه أمر الشيعة وأسرار الدعوة وقال له : ان الأمر صائر اليكم ، فاضطلع محمد العباس بالأمر ، واتجه بسياسته ، وأظن أنها من تعاليم أبى هاشم - الى خراسان • وقد بين سياسته لدعاته بقوله : « أما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا الا القليل • وأما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها على وشيعته وليس بها من شيعتنا الا القليل • وأما الشام فشيعة مروان وآل أبى سفيان

•• أما الجزيرة فحرورية شادة وخارجة مارقة ، ولكن عليكم بهذا الشرق فان هناك صدورا سليمة وقلوبا باسلة لم تفسدها الأهواء ، ولم تخامرها الأدواء ، ولم تعتقها البدع وهم مغيظون موتورون ، وهناك العدد والعدة والعتاد والنجدة » فرقة الشيعة العباسية هاشمية نسبة الى أبى هاشم بن محمد بن الحنفية ، ومعنى هذا اننا الآن فى بدء القرن الثانى الهجرى ، والشيعة بعضهم مع بنى العباس وبعضهم مع أبناء على ، وأغلب الظن أن محمدا الامام العباسى كان رجلا داهية يعرف ما يدور فى العالم الاسلامى ويكتفم أمره عن أقرب الناس اليه ، والدليل على ذلك أنه حدثت ثورات من العلويين كان اخوته وأبناءؤه يشاركون فيها ويندمجون فى تياراتها ، ولو كانوا على علم بما يجرى بينه وبين أهل خراسان ما شاركوا فى تلك الثورات العلوية ، مات محمد هذا سنة ١٢٥ هـ فى العام الذى مات فيه هشام بن عبد الملك الخليفة

الأموى ، وانتقلت الامامة الى ابنه (ابراهيم) الملقب بالامام وهو أخو السفاح وأبى جعفر المنصور ، وكان كأييه أرييا لييا حازما وبه انتقلت الدعوة من الكلام الى امتشاق الحسام ، وكان مولاه أبو مسلم الخراساني كفاء لتلك المسئولية ، وصار عند الشيعة مقدسا ينفذ أمره وتجبى اليه أموال الخراج في مستقره في (الحيمة) من أرض الأردن .

وفي عهده ثار عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وامتلك أجزاء من الامبراطورية الاسلامية ، وعمل له أبو جعفر المنصور في احدى مقاطعاته ، ويظهر لك مركز (ابراهيم الامام) من تلك الحادثة : قال الرواة (١) : ان عبد الله بن معاوية الطالبى تزوج بالكوفة من بنى رياح أثناء زيارته لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فالتف اليه نفر من أهل الكوفة وقالوا له : أخرج فأنت أحق بهذا الأمر من بنى أمية فاستجاب

لهم ، ودعا الناس الى بيعته على الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم فبايعوه ، ولم يجتمع أهل المصر كلهم عليه وقالوا له : ما فينا بقية ، فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصد فارس من نواحي الشرق . ومعنى هذا أن أهل الكوفة ضععتهم الحروب في سبيل آل البيت على عهد الحسين وحفيده زيد ، وقد تراخت أعصابهم عن تحمل المسئولية ، تركهم وجعل وجهته الشرق فاستولى على ماء الكوفة وماء البصرة وهمدان وقم وقومس والرى وأصبهان وفارس ، وأقام بأصبهان ، وأخذ له البيعة (محارب ابن موسى مولى بنى يشكر) وولى اخوته على الأقاليم ، وقصدته بنو هاشم منهم السفاح والمنصور وعيسى بن على وعبد الله بن على ، وقصدته وجوه قریش من بنى أمية وغيرهم ، فمن قصده من بنى أمية سليمان بن هشام ، وعمر بن سهيل بن عبد العزيز

(١) الأغاني - أخبار عبد الله بن معاوية

بدعوتهم في خراسان ، وأنها من القوة بحيث تجتاح الحكم الأموي لما تجشموا المشاق في ظل عبد الله بن معاوية ، ولم يمتض الا قليل حتى كان الأمر خالصا للسفاح بعد القبض على ابراهيم الامام الذي أوصى أن يكون الامام بعده (السفاح) وفضله على المنصور مع صغر سنه لأن أمه عربية .

في هذا الوقت كان أبناء فاطمة فرقتين : فرقة تقول بامامة زيد ابن علي زين العابدين ، وفرقة ترفضه لأنه لم يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويتشيعون لجعفر الصادق بن محمد ابن علي زين العابدين . وكان جعفر الصادق كأبيه (محمد الباقر) رجلا صواما قواما يعنى بآخرته أكثر بكثير من النظر الى دنياه ، ولم يعجبه ما يقوله الشيعة ، وكان يتبرأ مما يقولون ، ولكنها ماضية في سبيلها ، ترفض من ترفض وتؤيد من تؤيد ، يغلب عليها الكلام ، وظهر في سنة ١٤٥ هـ الأخوان : محمد (النفس الزكية) وابراهيم

ابن مردان ، وقلدهم الأعمال .. ثم جاءته جيوش مروان بن محمد ابن مروان (آخر خلفاء بني أمية) فوجد نفسه لا قبل له بها فهرب الى خراسان ، وقد ظهر بها أبو مسلم - صاحب دعوة بني العباس - ونفى عنها واليها (نصر بن سيار) فلما صار عبد الله بن معاوية في بعض طريقه نزل على رجل ذي نعمة ومروءة وجاه - على حد تعبير الأغاني - فسأله معوته . فقال له ذلك الرجل : أنت من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . قال : فأنت ابراهيم الامام الذي يدعى له بخراسان ؟ قال : لا . قال الرجل : لا حاجة لى في نصرتك . ثم وقع في يد أبي مسلم الخراساني فحبسه عنده الى أن مات . ويتبين لنا من تلك الحادثة أن خراسان اتجهت الى ابراهيم الامام (العباسي) ولها ميول الى أبناء فاطمة رضى الله عنها ، وأبناء العباس بن عبد المطلب بما فيهم السفاح والمنصور لو كان عندهم علم

(موسى الكاظم) الذي ورث أباه ، ومن موسى الكاظم تناسل عدد من أولاده كانوا أئمة بالتعيين واحدا بعد الآخر حتى كان (محمد الحسن العسكري) الذي وقف عنده الشيعة ولم يتعدوه وجعلوه متغيا وسيظهر آخر الزمان .
أرأيت الى كاتبنا الجاحظ كيف هدته بصيرته الى أن يقول في شأن تطور الامامة أنها في الولد وغيره ثم « انها بعد أعوام لاتصلح الا ببقاء الامام نفسه الى آخر الأبد » .

وفرق كبير بين ما وصلت اليه الامامة وما كانت عليه أيام على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، انظر الى شاعر الشيعة في أيامه يقول والخطاب لبني أمية ، والشاعر هو (الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب) :

مهلا بني عمنا مهلا موالينا
لا تنتشوا بيننا ما كان مدفونا
لا تطعمو أن تهينونا ونكرمكم
وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا
مهلا بني عمنا عن نحت أثلتنا
سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا

ابن عبد الله من آل الحسن بن علي ابن أبي طالب على مذهب الزيدية القائلين بأن الامامة تختار من أهل العقد والحل وليست وصية من الرسول الى أحد ، وانهت ثورتها بمصرعها وفرار أخيها ادريس الى المغرب ليؤسس مملكة عرفت في تاريخ المغرب (بالادريسية) وفر الأخ الرابع الى الديلم وهو يحيى ابن عبد الله .

ومن كل ما تقدم ترى أن الشيعة كانت لبني هاشم جميعا ، ثم أخذت تضيق وتضيق ، فلم يكن أبناء العباس منها ولا أبناء جعفر ابن أبي طالب منها ، ولا أبناء على من غير فاطمة ، بل حصرت في أبناء فاطمة ثم حصروها في أبناء الحسين ، ثم حصروها في أبناء محمد الباقر ، ثم حصروها في ابنه جعفر الصادق وحده مع أن له اخوة كثيرين . ولعبت الشيعة لعبتها في أبناء جعفر الصادق فصيروها فرقتين : فرقة في أبناء اسماعيل الذي مات في عهد والده فرفضه بعض الشيعة وقالوا بامامة أخيه

الله يعلم انا لا نجيبكم
ولا نلومكم ان لا تحبونا

كل له نعمة في بغض صاحبه
بنعمة الله تقليكم وتقلونا

وبين ما صارت اليه منذ القرن
الثاني الهجرى ، فقد توزعت
وتنوعت كما بينت سابقا من
هاشمية وزيدية وطالبيه واسماعيليه
واثنا عشرية ، وفي أثناء كل عهد
تظهر مقولات ما أنزل الله بها من
سلطان ، وما من شك في أن أصل
كل ذلك وأساسه هو الخلافة
وشهوة الحكم ، والتطلع الى زهرة
الحياة الدنيا ، فاذا بلغت احدى
هذه الفرق وأقبلت عليها الدنيا
لاذت الأخرى الى العبادة والتقشف
والنعى على الولاة ، والاغراق فى
تصورات لا يعرفها الدين الاسلامى
ولا نهجه الحميد .

والأصل فى الخلافة أنها تقوم
على الشورى ومبدأ الانتخاب ،
ولكن السنة التى سنّها معاوية
هى التى مالت بالعقول الى الحزبية
المقيسة ، والتفكير السقيم ،
والأساطير المضللة ، والروايات
المفتعلة ، والمعروف لكل مسلم أن

محمدا صلى الله عليه وسلم لم يأت
بالدين الحنيف ليقم عرشا لبني
هاشم ، أو ليكون لقريش مزية على
العرب ، أو يكون للعرب فضيلة
على سائر المسلمين فى مشارق
الأرض ومغاربها ، انما هو دين
حنيف أرسل به الله رسوله للناس
جميعا ، لكن أمية وهاشم وهما
لعبد مناف اتخذوا من قرابتهم
للسلطان وسيلة الى السيادة وتولى
أمور المسلمين ، كان بنو هاشم
ينكرون على بنى أمية أن يجعلوها
ورثة ويفارقوا منهج الخلفاء
الراشدين ، فلما جاءتهم تجرر
أذيالها قالوا : نحن ورثة محمد
صلى الله عليه وسلم ، وكان بنو
العباس يشعرون فى أنفسهم أنهم
انفردوا بالسلطان دون بنى عمومته
من آل أبى طالب ، وموقف المأمون
الخليفة العباسى من (على الرضا)
يشف عما فى خلجات نفوسهم ،
فقد جعله ولى العهد من بعده ،
ولو عاش على الرضا لثم الأمر ،
وان كان ابن خلدون لا يرى رأى
فعنده أن العصية للبيت العباسى
تمنع أن تكون الخلافة فى غيرهم ،

وكم دافع شعراء بنى العباس عن
حقهم في الخلافة ، بأن العباس
جدهم هو العم الوحيد الذي عاش
بعد وفاة رسول الله فهو أحق
بالخلافة ، وجعلوا أبناء على
محبوبين بالعم الى آخر ما سطوروا
واختلفوا ، وكان رد الشيعة أن فيء
الرسول يجب أن يكون في أبنائه ،
وأن بنى أمية وبنى العباس
معتصبون .

ويجىء دعل الخزاعي الشاعر ،
فيقول في تائيته كلاما موجعا ينبع
من قلب حزين ، ونفس مكلومة ،
وحيرة بالغة من مثل :

أرى فيئهم في غيرهم متقسما
وأيدئهم من فيئهم صفرات

فالرسول الله نحف جسومهم
وآل زياد حفل القصرات

بنات زياد في القصور مصونة
وآل رسول الله في الفلوات

إذا وتروا مدوا الى واتريهم
أكفا من الاوتار منقبضات

وهو كلام لا يرجع الى كتاب
ولاسنة ، ولم يجىء رسول الله
بالدين القويم من أجل الفئ ،
وسيادة بنى بنته على سائر

الناس ، فالناس سواسية كأسنان
المشط ، وان أكرمكم عند الله
أتقاكم ، ولو كان الأمر راجعا الى
سلطان أو ولاية لولى عمه العباس
احدى الولايات ولكنه لم يفعل مما
يهديك الى سبيل الرشاد ، فقد
كان يولى القادر على العمل دون
نظر الى سابقة في الاسلام أو فداء
في نشر الدعوة ، ومن الغريب أن
(دعل) حين أنشد هذه القصيدة
لجعفر الصادق تأثر تأثرا بالغا ،
فقد أغمى عليه حين سماعها ثلاث
مرات في كل مرة يبدأ الشاعر من
أول القصيدة :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر العرصات

فاذا بلغ في انشاده الى :

إذا وتروا مدوا الى واتريهم
أكفا من الاوتار منقبضات

بكى حتى يغمى عليه . وأغرب
من ذلك أنه يؤمن بالامام المنتظر
يقول :

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد
لقطع قلبى اثرهم حشرات

خروج امام لا محالة خارج
يقوم مع اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل
ويجزى على النعماء والنقمات
وقد كان الخلفاء العباسيون من
تلك الفرق المتشعبة في هم ناصب ،
وقلق متواكب يسمعون ما يقال
فيهم وما يقال في أعدائهم من بنى
عمومتهم فيتحيرون ، فتارة
يقسون ، وتارة يرقون فيكون ،
وكل ذلك يفت في عضو الدولة ،
ويؤخر النظر في شئونها ومصالحها
.. وكم غضب الرشيد من هجوم
الشعراء على العلويين ، أنشده
الشاعر (منصور النمرى) قصيدة
مدحه بها وهجا آل على بن أبى
طالب ، فضجر الرشيد ثم قال :
يا بن اللخاء ، أظن أنك تتقرب
الى بهجاء قوم أبوهم أبى ، ونسبهم
نسبى ، وأصلهم أصلى ، وفرعهم
فرعى ؟ فقال : ما شهدنا الا بما
علمنا فازداد غضب الرشيد ، وأمر
مسرورا فوجاً فى عنقه ،
وأخرج (١) .
ثم أدخل اليه يوماً آخر ،
فأنشده :

بنى حسن ورهط بنى حسين
عليكم بالسداد من الأمور
فقد ذقتم قراع بنى أبيكم
غداة الروع بالبيض الذكور
أحين شفقكم من كل وتر
وضموكم الى كنف وثير ؟
وجاءكم على ظمأ شديد
سما من نوالهم الفزير
فما كان العقوق لهم جزاء
بفعلهم وادراك الثور (٢)
وأنك حين تبلغهم اذاة
وان ظلموا لمحزون الضمير
فقال له : صدقت . والا فعلى
وعلى ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .
وأنا أذكر ذلك لأبين الحياة المضطربة
ولواعج الأسى فيما صار اليه أمر
الشيعة وأمر الحكومة القائمة ،
ومع كثرة الثورات وخروج
الخارجين من العلويين على
العباسيين ارتاح الناس أوجلهم
الى الحكومة القائمة ، فاذا ظهر فى
الأفق اتفاق بين المتخاصمين فرح
الشعب وعبر الشعر عن هذا
الاتفاق .

سد الثغور ورد ألفة هاشم
بعد الشتات فشعبها متوان
عصمت حكومته جماعة هاشم
من أن يجرد بينها سيفان

تلك الحكومة لا التى عن لبسها
عظم النبا ، وتفرق الحكمان

والبيت الأخير يشير الى التحكيم
الذى جرى بين على ومعاوية ،
وانتهى بأمر (عظم خطبه ، وتفرق
الحكمان من غير أن ينيرا الطريق
أو يحسما الأمر .. أما الفضل
ابن يحيى البرمكى فقد رد ألفة
بنى هاشم ، وحل السلام محل
الخصام ، ولكن الأمور لم تجر
كما أراد المخلصون فقد وشى
الوشاة بيحيى العلوى فسجنه
الرشيذ ، وأمعن فى العداة حتى
تخلص من البرامكة . ويؤس
الشيعة من العراق وفارس
وخراسان فاتجهوا الى شمال
افريقية فأسسوا خلافة فاطمية ،
أما من يؤس منهم فقدوقف عند
المهدى المنتظر آملا فى رجعتة ليملا
الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا .
وقد تظن أن آل أبى طالب هم
الذين قالوا ذلك أو أوحوا به ،

فى سنة ١٧٦ هـ ظهر يحيى
ابن عبد الله العلوى فى الديلم
وقويت شوكتة فاغتتم الرشيد
ونذب اليه (الفضل بن يحيى
البرمكى) فى خمسين ألف مقاتل
ومعه صناديد القواد ، ولم يشأ
الفضل أن يحارب فكاتب يحيى
العلوى واستماله ، وصاله على
أمان يقدمه الرشيد عليه مشهود
الفقهاء والقضاة وجلة بنى هاشم
— كما يقول الطبرى — وتم الصلح
وقدم يحيى العلوى مع الفضل
البرمكى الى بغداد فكانت فرحة
عامة استقبل فيها الشاعر مروان
ابن أبى حفصة الفضل يخاطبه بشعر
جميل منه :

ظفرت فلا شلت يد برمكية
رتقت بها الفتق الذى بين هاشم

على حين اعيى الراقين التمامة
فكفوا وقالوا : ليس بالتلائم
وأئشد أبو ثمامة الخوليب
لنفسه فيه :

للفضل يوم الطالقان وقبله
يوم أناخ به على خاقان
مامثل يوميه اللذين تواليسا
فى غزوتين تولتا يومان

انهم أبرياء من تلك المذاهب
الا الذين نالوا ملكا وأقاموا دولاً ،
فقد تكون السياسة لونت مبادئهم
بما يستقيم مع حكمهم •

تعال معي ننظر فيما قاله أبناء
الحسين في الشيعة وأبناء الحسن،
من أبناء الحسن (حسن بن حسن)
ينقل عنه ابن سعد في الطبقات عن
الفضيل بن مرزوق • قال : سمعت
الحسن بن الحسن يقول لرجل
ممن يغلو فيهم : ويحكم ، أحبونا
لله فان أطلعنا الله فأحبونا وان
عصينا الله فأبغضونا • فقال له

رجل : انكم قرابة رسول الله وأهل
بيته • فقال : ويحك ، لو كان الله
مانعاً بقرابة من رسول الله أحداً
بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو
أقرب اليه منا أبا وأماً ••••• ويلكم
اتقوا الله وقولوا فينا الحق فانه
أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به
منكم • ثم قال : لقد أساء بنا
آباؤنا ان كان هذا الذي تقولون
من دون الله ثم لم يطلعونا عليه ،
ولم يرغبونا فيه • فقال له
الرافضي : ألم يقل رسول الله عليه

السلام لعلي : من كنت مولاه فعلى
مولاه ؟ فقال الحسن : أما والله
أن لو يعنى بذلك الامرة والسلطان
لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم
بالصلاة والزكاة وصيام رمضان
وحج البيت ولقال لهم أيها الناس
هذا وليكم من بعدي ، فان أنصح
الناس كان للناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولو كان
الأمر كما تقولون ان الله ورسوله
اختار علياً لهذا الأمر والقيام بعد
النبي عليه السلام ان كان لأعظم
الناس في ذلك خطيئة وجراً ، اذ
ترك ما أمره به رسل الله أن يقوم
فيه كما أمره أو يعذر فيه الى الناس •
وأبو جعفر محمد بن علي حفيد
الحسين يقول في أسئلة وجهت
اليه : السائل أكان منكم - أهل
البيت - أحد يزعم أن ذنباً من
الذنوب شرك ؟ أجاب محمد
بالنفي • قال : أكان منكم أهل
البيت أحد يسب أبا بكر وعمر ؟
قال أبو جعفر محمد : لا • فأجبهما
وتولهما واستغفر لهما • وكان
لأبي جعفر أخ غير زيد بن علي

قال : نعم المولى بن خنيس ، والله
لفكرت على فراشى طويلا أتعجب
من قوم لبس الله عقولهم حين
أضلهم المولى بن خنيس • فأبناء
الحسن وأبناء الحسين يتبرءون
من الصق بهم تلك المقولات ،
ولكنها مضت سافرة تجوب
البلدان ، وتنتشر فى كل مكان ،
ويتبعها بشر من غير بصر ولا نظر
•• ثم أصبحت عقائد تقوم بها
دول وتسقط دول ، ويرتفع بها
عرش ويهوى بها عرش ، فعلى كل
مسلم أن يراجع نفسه فى عقيدته
وأمامه كتاب الله وسنة نبيه
الصحيحة فلينظر وليقطع فى أمر
الدين وأوامره ونواهيه ، وليقرأ
كتب التاريخ ببصيرته لا ببصره
وبعقله لا بعاطفته هنالك يجد
السييل الواضح والنور المبين ،
والله الهادى الى سواء السبيل •

السيد حسن قرون

اسمه عمر بن على سألته الفضيل
ابن مرزوق • قال : سألت عمر
ابن على وحسين بن على عمى جعفر
ابن محمد (جعفر الصادق) قلت :
هل فيكم - أهل البيت - انسان
مفترضة طاعته تعرفون له ذلك ومن
لم يعرف له ذلك فمات مات ميتة
جاهلية ؟ فقالا : لا والله ما هذا
فينا ، ومن قال هذا فينا فهو
كذاب ، قال : فقلت لعمر : رحمك
الله ، ان هذه منزلة تزعمون أنها
كانت لمولى ، ان النبى صلى الله
عليه وسلم أوصى اليه ، ثم كانت
للحسن ، ان عليا أوصى اليه ،
ثم كانت للحسين ان الحسن أوصى
اليه ، ثم كانت لمولى ابن الحسين
ان الحسين أوصى اليه ثم كانت
لمحمد بن على ان عليا أوصى اليه •
فقال : والله لمات أبى فما أوصى
بحرفين • قاتلهم الله ، والله ان
هؤلاء متأكلون بنا ، هذا خنيس
•• قلت : المولى بن خنيس •

حول إثبات أوائل الشهور العربية بالحساب الفلكي

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد

عابدين : لا عبرة بقول المنجمين
ولو كانوا عدولا بالاجماع •

ومن الشافعية :

النوى ، وابن حجر ،
والباجوري ، وابن قاسم الغزي
والرملي الذي وضع رسالة في
الرد على السبكي ، وان أجاز
الرملي للحاسب وحده أن يعمل
بحسابه ، كما أجاز القسطلاني
للحاسب أيضا أن يعمل بحسابه
كالصلاة مستدلا بظاهر قوله تعالى :
« وعلامات بالنجم هم يهتدون » •

ومن المالكية :

الامام القرافي وفرق بين اثبات
الأهلة وبين أوقات الصلاة حيث
منع في الأولى وأجاز في الثانية •
وقال ابن عرفة :

اختلف فقهاء الشريعة في ذلك ،
فمنهم من أوجب الاعتماد
في اثبات الرؤية لهلال شهر
رمضان ، والافطار ، وأهلة الشهور
الأخرى على الرؤية البصرية فقط ،
دون سواها من وسائل الاثبات ،
ومنهم من أجاز الاعتماد على قول
علماء النجوم والحساب عند الغيم ،
للحاسب نفسه ، أو له ومن بلغه
أو قلده ، ومنهم من أوجب الاعتماد
على قولهم ، وقد ذهب أكثر فقهاء
المذاهب الأربعة الى وجوب الاعتماد
في ذلك على الرؤية البصرية دون
الاعتماد على الحساب الفلكي •

فمن الحنفية :

الكمال بن الهمام ، وأصحاب
الفتاوى الهندية ، وبدائع الصنائع،
والشرنبلالية، والسرخسي، وقال ابن

معنى اقدروا له : اكمل عدته
ثلاثين • قالوا :

ويؤكد هذا المعنى حديث «فإن
غم عليكم فأكملوا عدة شعبان
ثلاثين» قالوا : ولا يجوز أن
يكون المراد حساب المنجمين لأن
فيه تضيقا على الناس إذ لا يعرفه
الا أفراد ، أما الرؤية البصرية
فيستطيعها كل انسان •
وذهب الامام أحمد :

الى أن معنى : اقدروا له :
ضيّقوا له العدد بدليل قوله تعالى :
(ومن قدر عليه رزقه) أى ضيق ،
والتضييق هنا جعل شعبان تسعة
وعشرين يوما •

أما ابن عمر :

فقد فسره بفعله فقد كان يصوم
يوم الشك ، وقال :
معنى الحديث : ضيقوا للهلال
عدد لياليه •

٢ - وبما روى ابن عمر أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« انا أمة أمية لا نكتب ولا
نحسب ، الشهر هكذا وهكذا

لا أعرف للمالك اعتبار قول
المنجم وكذلك الشيخ عlish فى
كتابه :

« فتح العلى المالك » •

ومن الحنابلة :

ابن قدامة فى كتابه المغنى حيث
يقول : من بنى على قول المنجمين
والحساب لم يصح صومه وإن كثرت
اصابتهم لأنه ليس بدليل شرعى
انما الدليل : قوله عليه الصلاة
والسلام : (صوموا لرؤيته
وأفطروا لرؤيته) • وقوله :
(لا تصوموا حتى تروه ،
ولا تفطروا حتى تروه) أى الهلال •

أدلة المانعين من الإتيان بالحساب
الفلكى :

استدلوا :

١ - بما روى نافع عن ابن عمر
رضى الله عنهما أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « الشهر تسع
وعشرون فلا تصوموا حتى تروه
ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم
فاقدروا له » •

أخرجه أبو داود والدارقطنى ،
قال جمهور الفقهاء :

واشترط بعضهم لجواز الاعتماد عليه شرطان : (١) بعد القمر عن مكان غروب الشمس • (٢) أن يكون بالأفق غيم بحيث لو زال المانع أمكن رؤية الهلال بالبصر • وأجازه بعضهم مطلقا :

فأجاز ربطه بالحساب الفلكي سواء أكان القمر قريبا من مكان غروب الشمس أم بعيدا عنه ، وسواء أكان الأفق غائما أم صافيا • ومن أجاز من علماء الحنفية : « صاحب الهداية » :

في « مختارات النوازل » حيث قال : ان علم النجوم في نفسه حسن غير مذموم ، وهو قسمان : حسابي ، وهو حسن نطق به القرآن وقال الله تعالى :

« والشمس والقمر بحسبان » (الرحمن ٥) - أي سيرهما بحسبان •

والاستدلال بسير النجوم ، وحركة الأفلاك على الحوادث جائز كاستدلال الطبيب بالنبض على الصحة والمرض الخ •

وهكذا وعقد الابهام في الثالثة أي تسعة وعشرون ، والشهر هكذا وهكذا يعني تمام الثلاثين » أخرجه أحمد والشيخان •

٣ - حديث « من صدق كاهنا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد » •

قالوا : والمراد بالحساب هنا : حساب النجوم وتسييرها ، وأقل ما في النهي : الزجر عن العمل بالحساب والتنجيم واتخاذهما أساسا لحكم شرعي •

القاتلون بالاعتماد على الحساب الفلكي واتخاذهم أساسا للأحكام الشرعية •

قال بذلك فريق من فقهاء الحنفية والشافعية ، غير أنهم اختلفوا •

فقال بعضهم :

يجوز العمل بالحساب الفلكي لمن عرفه ولمن قلده •

وقال بعضهم :

يجب العمل به لمن عرفه ولمن قلده •

« صاحب القنية » :

روى فى هذا الحكم ثلاثة آراء :

(أ) القاضى عبد الجبار :

يرى أنه لا بأس بالاعتماد على قولهم ، وظاهره أن ذلك على الإطلاق لنفسه ولمن قلده ، وسواء أكان القمر قريباً أم بعيداً من مغرب الشمس .

(ب) ابن مقاتل الرازى - من أصحاب محمد بن الحسن :

نقل عنه أنه كان يسألهم ، ويعتمد على قولهم وقد اتفق عليه جماعة منهم .

(ج) السرخسى :

وقد تقدم رأيه : بصدر هذا البحث .

(د) القشيرى : ويرى أنه إذا دل الحساب على أن الهلال قد طلع من الأفق على وجه يرى لولا وجود المانع كالغيوم مثلاً فهذا يقتضى الوجوب لوجود السبب الشرعى .

وليست حقيقة الرؤية مشروطة فى اللزوم ، فإن الاتفاق معقود

على أن المحبوس إذا علم بكمال العدد - أو الاجتهاد - أن اليوم من رمضان وجب عليه الصوم ، وإن لم ير الهلال ، ولا أخبره من رآه .

وقد رأى المؤتمر الأخذ بهذا رأى مع عدم الاعتداد باختلاف المطالع .

ومن علماء الشافعية :

« الامام السبكى » :

• ذهب الى اعتماد الحساب فى اثبات الأهلة ومواقيت الصلاة بناء على أن الحساب قطعى الثبوت نظرا الى ما وصل اليه علم الحساب والفلك من الدقة والثوق فى نتائجهما .

وقرر الامام السبكى : انه لو شهدت بينة برؤية الهلال ليلة الثلاثين من الشهر • وقال الحساب بعدم امكان الرؤية تلك الليلة عمل بقول أهل الحساب لأن الحساب قطعى والشهادة ظنية •

والسبكى يرى جواز الاعتماد على الحساب الفلكى لا وجوبه ، وربط الحكم الشرعى به إذا كان

غيرهما من غير الشافعية القول
بوجوب العمل بالحساب الفلكي
لمن عرفه ولمن قلده .

وذهب طاووس ، وجماعة من
الشيعة الامامية الى أن علم
الحساب والفلك من علوم الأنبياء .

فمن علمت اصابته منهم ، وعدم
خطئه : أفاد قوله غلبة الظن وعمل
بمقتضاه لأن الأحكام تبني على غلبة
الظن .

أدلة القائلين بالأخذ بالحساب
الفلكي :

استدل القائلون بجواز الأخذ
بالحساب الفلكي أو بوجوبه بأدلة
بعضها عقلية وبعضها علمية ، وبعضها
شرعية .

١ - قالوا : ان الرؤية البصرية
تتوقف على أمور متغيرة غير ثابتة
كحالة الجو من صفاء واكتمهار ،
ودقة الهلال وكبره ومقدار ضوءه ،
وسلامة بصر الناظر ومرضه أو
ضعفه ، وارتفاع مكانه وانخفاضه
وغير ذلك مما يكون له أثر
كبير في وضوح الرؤية وخفائها

القمر بعيدا عن مغرب الشمس
بحيث يمكن رؤيته بصريا لولا
الغيمة وهو في هذا تابع لامام سابق
من أئمة الشافعية وهو ابن
سريج .

ونقل السبكي عن فريق من أئمة
الشافعية :

منهم : الرافعي ، والماوردي ،
والرويانى أن الفقهاء قد اختلفوا في
جواز الاعتماد على الحساب وربط
الحكم به مطلقا أى سواء أكان
القمر قريبا من مغرب الشمس ولا -
يمكن رؤيته - أم بعيدا عنه بحيث
يمكن رؤيته لولا المانع من غيم
أو نحوه .

ورجح السبكي أن خلاف الفقهاء
فيما اذا كان القمر بعيدا عن مغرب
الشمس ويمكن رؤيته لولا
المانع ، بخلاف ما اذا كان القمر
قريبا من الشمس ، أو كان بعيدا
يمكن رؤيته .

القائلون بوجوب العمل : ثم نقل
السبكي من القفال ، والقاضى أبى
الطيب من أئمة الشافعية وعن

ولهذا كانت وسيلة طيبة فى اثبات ما تعلق به من أحكام •
الهلال حتى مع الظروف المناسبة فى السماء الصافية •

أما الحساب الفلكى ، فإذا كان قديما يقوم على الحدس والتخمين وكان بهذا خليقا أن يكون وسيلة ظنية ، وموضعا لاختلاف الفقهاء فى ربط الحكم الشرعى به لضعف آلاته الفلكية والحسابية ، فانه الآن موضع الثقة بعد أن أصبح علما يقوم على أساس من القوانين والبراهين التى لا تخطئ النتائج •

وإذا فالحساب العلمى الفلكى فى مثل هذه الحال يثبت مولد الهلال وابتداء الشهر العربى بما لا يدع مجالا للشك ، بينما الرؤية لا تثبت لدقة الهلال ، وقربه من مكان غروب الشمس وضوء انشقق •

٢ - رجوع الفقهاء الى أهل الخبرة امتثالا لقول الله تعالى :
« فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ٢١ : ٧ » •

وأصبح يقوم بتحديد أوائل الشهور العربية على أساس ثابت وهو اجتماع الشمس بالقمر ، فإذا اجتمعا كانت أول ليلة يظهر فيها القمر بعد غروب الشمس هى أول الشهر العربى ولو كانت مدة مكثه فى الأفق بعد غروب الشمس دقيقة واحدة •

ولكن نظرا لبقاء ضوء شفق الشمس بعد غروبها حوالى سبع دقائق مما يحول دون رؤية الهلال اذا كان قريبا من مغرب الشمس ، فانه لا يمكن للعين السليمة رؤية

فياخذ الفقهاء بقول الطبيب فى مدى المرض الذى يسوغ للمريض الافطار فى رمضان ، وبقول القومسيون الطبى ، وتسجيل الأصوات والوقائع وغير ذلك من وسائل الاثبات مما يكسب القاضى أو المفتى علما جازما أو ظنا راجحا يبنى عليه حكمه •

٣ - مقدمات حسابات الفلك قطعية يدل على ذلك حساب الفلكيين فى الكسوف والخسوف ، ومطابقة

معانيه معناه : حسابه بالفلك حيث
لا تمكن الرؤية •

وعليه :

فمن علم بوجود هلال شهر
رمضان بعد غروب شمس آخر يوم
من شعبان بأى طريق من طرق
الاثبات المؤدية الى القطع بوجوده ،
أو الى الظن الغالب بوجوده ،
سواء أعلم ذلك برؤية نفسه ، أم
باخبار من يثق به ، أم بأمر القاضى ،
أم بحساب فلكى معتمد : وجب عليه
الصوم لأن الاسلام لا يرد حجة
قطعية ، ولا يخص بالقبول نوعا
من البيانات على نوع آخر مساو
له أو أقوى منه • حتى ولو خالف
ذلك ظاهر النص : فقد نقل
« ابن عابدين ج ٤ ص ١٨٧ »
اعتبار العرف مطلقا وان
خالف النص عند أبى يوسف
ورجحه وعلل لذلك بقوله : لأن
النص ما كان فى ذلك الوقت الا
لأن العادة اذ ذاك كذلك ، وقد
تبدلت فتبدل الحكم •

هذا الحساب للواقع بدقة مع عدم
التخلف •

٤ - بناءؤه على أمور محسوسة
ومشاهدة بمعرفة الأرصاد ، والآلات
الفلكية الدقيقة •

٥ - من الأدلة الشرعية قول الله
تعالى : « فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ٢ : ١٨٥ » •

فسرّ شهود الشهر بمعنيين :

أحدهما : الحضور فيه ، وعدم
السفر ، فيجب على من حضر ولم
يسافر الصوم •

المعنى الآخر : العلم بوجوده ،
وهو الظاهر ، والمعنى عليه : كل
من علم منكم بوجود الشهر وجب
عليه صومه ، ووجود الشهر
شرعا يكون بوجود هلاله بعد غروب
الشمس بأى طريق من طرق العلم ،
وانما نص على الرؤية باعتبارها
أحدى وسائل العلم بوجود الهلال •

كذلك استدلوا بحديث « فان
غم عليكم فاقدروا له » •

حيث قالوا : ان التقدير له من

اختلاف المطالع

ج ٢ فتح القدير ص ٥٣

•• وإذا ثبت الهلال في مصر لزم سائر الناس ، فيلزم الصوم أهل المشرق برؤية أهل المغرب في ظاهر المذهب •

وقيل يختلف الصوم باختلاف المطالع لأن سبب الصوم حضور الشهر • وانعقاد الصوم في حق قوم بسبب الرؤية لا يستلزم انعقاده في حق آخرين - مع اختلاف المطالع - وصار كما لو زالت الشمس أو غربت على قوم دون آخرين وجب على الأولين الظهر والمغرب دون أولئك الآخرين •

ودليل الأول ووجهه : عموم الخطاب في قوله عليه السلام : « صوموا » فقد علق طلب الصيام على مطلق الرؤية في قوله : « لرؤيته » ، وبرؤية أي قوم في الشرق أو الغرب يثبت وجوب الصوم •

بخلاف الزوال والغروب فإنه لم يثبت تعلق عموم الوجوب بمطلق مسماه في خطاب الشارع كما في الرؤية •

ونقل « الدين الخالص ج ٨

ص ٢٦١ » •

•• أن هذا رأى جمهور الحنفية ومالك وأحمد والليث وروى عن الشافعي واستدل بحديث أبي هريرة (صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته) أخرجه الشيخان لأنه خطاب عام لا يختص بأهل ناحية لأنه إذا رآه أهل بلد فقد رآه المسلمون فيلزم غيرهم ما لزمهم إذا ثبتت عند الغير رؤية من رأى بطريق شرعى موجب للصيام وبما روى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصوموا حتى تروه ثم صوموا حتى تروه » - أي لا تصوموا رمضان حتى تروا هلاله ثم صوموا حتى تروا هلال شوال - فإن حال دونه غمامة فأتوا العدة ثلاثين ثم أفطروا » أخرجه الثلاثة وقال الترمذي حسن صحيح •

وهو خطاب لكل من يصلح له من المسلمين •

وإذا كان ابن عباس لم يعمل باختلاف المطالع فذلك منه اجتهاد

- دولة الكويت •
- السودان •
- العراق •
- قبرص •
- لبنان •
- ماليزيا •
- المملكة الأردنية الهاشمية •
- المملكة العربية السعودية •
- المملكة المغربية •

ومندوب عن كل من :

- رابطة العالم الاسلامى •
- المركز الاسلامى فى باريس •
- المركز الاسلامى فى بروكسل •
- وقد جاء هذا المؤتمر على نسق المؤتمرات المشهورة السابقة التى انعقدت لنفس الغرض ، فكانت أشغاله مكتملة لما وقع التوصل اليه بمؤتمر كوالالمبور بماليزيا ومؤتمر وزراء الأوقاف بالكويت •

وتناولت الوفود — المشاركة فى بحوثها المقدمة — الحالة المؤسفة التى يظهر بها المسلمون فى ابتداء

واجتهاده ليس حجة مع النص وان كان قد تابعه فى ذلك الشافعى فى المشهور عنه ، وصاحب التجريد وغيره من الحنفية •

وقد عدت توالاً من مؤتمرات اسلامى عالمى انعقد فى استانبول لهذا الغرض فى الفترة من ٢٦ ذى الحجة الى ٢٩ ذى الحجة ١٣٩٨ هجرية وقد مثلت مصر فيه ضمن مندوبين عن الأقطار الاسلامية التالية :

— آسيا الوسطى وقازاقستان (الاتحاد السوفيتى) •

- أفغانستان •
- اندونيسيا •
- الباكستان •
- البحرين •
- بنغلادش •
- تركيا •
- تونس •
- الجزائر •

— دولة الامارات العربية (أبو ظبى) •

الهلال فى الأفق بالفعل بعد مغيب الشمس بحيث يمكن أن يرى بالعين عند انتفاء الموانع وهذا ما يسمى بالرؤية الحكيمة •

ثالثا - لامكان رؤية الهلال لا بد من توفر شرطين أساسيين هما :

(أ) ألا يقل البعد الزاوى بين الشمس والقمر عن ثمانى درجات بعد الاقتران ، مع العلم بأن بداية الرؤية تحصل بين سبع وثمانى درجات ، وانما اتفق على الأخذ بثمانى درجات على سبيل الاحتياط •

(ب) ألا تقل زاوية ارتفاع القمر عن الأفق عند غروب الشمس عن خمس درجات •

وعلى هذا الأساس وحده يمكن رؤية الهلال بالعين المجردة فى الأحوال العادية •

رابعا - لا يشترط لامكان رؤية الهلال مكان خاص بل يصح الحكم بدخول الشهر اذا أمكنت رؤيته من مكان ما من سطح الأرض

الصيام ونهايته ، وفى المواسم والأعياد من اختلاف •

•• وأجمع أعضاء المؤتمر وجوب معالجة هذه الحالة التى يأبأها الشرع لأن المسلمين أمة واحدة بنص القرآن الكريم « ان هذه امتكم أمة واحدة » ولا يجوز لهم أن يختلفوا فى دينهم • وقد أمر الله تعالى بالوحدة فى قوله جل وعلا : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ٣ : ١٠٣ » •

وقد تشكلت لجنتان : لجنة شرعية ، ولجنة فلكية ، من العلماء الأعضاء كل فى اختصاصه لبحث التقارير المقدمة ودراستها • وبعد المناقشة الشاملة الدقيقة اتخذ المؤتمر فى جلسته الختامية القرارات التالية بالاجماع :

أولا - الأصل هو رؤية الهلال، سواء أتمت بالعين المجردة أم بطرق الرصد الحديثة •

ثانيا - لاعتبار حكم الحاسبين بدخول الشهر القمري شرعيا يجب أن يبنوا حكمهم هذا على وجود

وينبغي أن يكون الاعلان عن الرؤية كما يقررها التقويم الهجرى الموحد المشار اليه فى البند التالى فى جميع أنحاء العالم بواسطة المرصد الفلكى بمكة المكرمة متى تم انجازه : جمعا لكلمة المسلمين وتحقيقا لوحدهم •

خامسا - وجوب وضع تقويم فلكى لكل سنة قمرية من قبل علماء الشريعة والفلك والمرصد استنادا الى المقاييس السابق ذكرها فى القرارات الثانى والثالث والرابع ، وتجتمع دوريا مرة كل سنة ، ويكون الاجتماع الأول باستانبول فى شهر ربيع الثانى من سنة ١٣٩٩ هجرية الموافق مارس سنة ١٩٧٩ ميلادية •

سادسا - تتألف لجنة التقويم المشار اليها فى القرار السابق من الأقطار الآتية :

- أندونيسيا - بنجلاديش - تركيا - تونس - الجزائر - السعودية - العراق - قطر - الكويت - مصر - ولا يلزم لانعقادها حضور جميع الأعضاء •

سابعا - تقوم اللجنة المشار اليها سابقاً بأعداد خرائط توضح عليها المناطق التى يمكن أن يرى فيها الهلال حسب المقاييس المبينة سابقاً وذلك بالنسبة الى شهر : رمضان ، وشوال ، وذى الحجة مما يسمح لكل من أراد أن يتأكد من الاستهلال أن يتحقق الرؤية ويقتنع بصحة الحساب اذا كان فى حالة تمكنه من ذلك عادة ، ويتيح لكل دولة أن ترصد الهلال بواسطة هيئة موثوق بها متخصصة معتمدة •

ثامنا - عرض هذه القرارات والتوصيات على الأمانة العامة لمؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى لتتولى بدورها عرضها فى الدورة القادمة لمؤتمر وزراء الخارجية الذى سينعقد فى الرباط من أجل اقرارها ووضعها موضع التنفيذ •

كما تقدم المؤتمر فى جلسته الختامية بالتوصيات التالية :

أولا - عقد مؤتمر خاص لبحث تحديد أوقات الصلاة والصيام فى المناطق التى يمتد فيها النهار أو

رابعا - دعوة الحكومات
الاسلامية الى العناية بالمراسد
وتعميمها فى البلدان الاسلامية
وتبادل الخبرات والتنسيق بينها •

خامسا - دعوة رابطة العالم
الاسلامى الى انجاز المرصد الفلكى
بمكة الذى اقترحه مؤتمر وزراء
الأوقاف والشئون الدينية بالكويت
وأقرته الرابطة وشرعت فى
تأسيسه •

سادسا - مطالبة رئاسة الشئون
الدينية بالجمهورية التركية بابلاغ
هذه القرارات الى الحكومات
الاسلامية كلها ، والى المنظمات
والهيئات الاسلامية فى جميع
بلدان العالم •

عبدالله المشد

الليل امتداداً يختلف عما هو عليه
فى المناطق المعتدلة •

ثانيا - ادخال مادة الفلك ضمن
مناهج الدراسة فى التعليم العام
وبصفة خاصة فى التعليم الدينى ،
وانشاء أقسام تخصصية فى الفلك
فى التعليم الجامعى •

ثالثا - مناشدة المسؤولين فى
العالم الاسلامى ، من الوزارات
المختصة وادارات الشئون الدينية
والاسلامية والهيئات الرسمية
المهتمة بشئون المسلمين كالأزهر
الشريف ، ورابطة العالم الاسلامى،
أن يعملوا جميعا على وضع مقرراته
موضع التنفيذ توحيدا لمناسباتهم
وأعيادهم الدينية محققين بذلك
وحدتهم التى يصبون اليها •

قال أحد الشعراء فى الزهد :

يا نفس خافى الله واتئدى
واسمى لنفسك سمى مجتهد
من كان جمع المال همته
لم يخل من غم ومن كمد
يا طالب الدنيا ليجمعها
جمحت بك الأموال فاقتصد

الإسلام : شريعة عالمية

للأستاذ زاهر عزب الزغبى

- ٢ -

٤ - قانون الاحوال الشخصية

لقد اعتنى الإسلام بتقويم الفرد الانسانى وتربية شخصيته وارادته تربية صالحة تؤهله لى يكون مواطنا صالحا فى مجتمع صالح باعتبار هذا الفرد الوجدة الحقيقية فى المجتمع الانسانى الواسع ، ولكن هذا الفرد وثيق الصلة بالخلية الاولى فى البنيان الانسانى الضخم وهذه الخلية الاجتماعية الاولى ليست سوى الأسرة ومن ثم كان الاهتمام الكبير الذى أولاه الاسلام للأسرة وتكوينها والعلاقات التى تربط بين أفرادها وأوضحت الشريعة الاسلامية - بتفصيل دقيق - الحقوق والواجبات لكل فرد من أعضائها ، والنظم والقواعد التى تنظم جميع الأوضاع التى

يجب أن تسود حياة الأسرة والعلاقات بين أعضائها ومن مجموع هذه النظم والقواعد يتكون ما يسمى اليوم بقوانين الأحوال الشخصية •

الوضع الاجتماعى للمرأة :

وليس ثمة من شك فى أن الشريعة الاسلامية قد أتت بقواعد جديدة ردت للمرأة - لكونها ركنا أساسيا فى الأسرة - اعتبارها ومنحتها كافة حقوق الانسان باعتبارها عضوا فى المجتمع الانسانى تساهم بدور فعال فى تقدمه ونهضته ، كما أنها تشارك الرجل فى هذا المجتمع بنسبة عديدة قد تزيد أحيانا على النصف •

وقد كانت المرأة قبل الاسلام فى وضع مهضوم - سواء فى

حالة الشيطان والأفضل للانسان تجنبها ، والاكتفاء بالواحدة أخف الشرور لمن لا يقدر على الرهبة والتجرد لطاعة الله ... وطوال العصور الوسطى كانت الأمم المسيحية تكيف مركز المرأة الاجتماعى وفق نظم وقوانين استعيرت فى الأغلب من الشريعة الرومانية القديمة ، فلم يكن للمرأة آنذاك تشخص مدنى محدد كما لم تكن لها أهلية أو ارادة مدنية ، أو حقوق قانونية •

وفى الجزيرة العربية وبعض مناطق الشرق الأوسط كانت المرأة شيئا بغيضا ، فكانوا يتشاءمون بمولدها ، ولا يترددون فى وأدها حية مخافة العار أو تخفيفا بمؤوتتها من أثقال المعيشة وتكاليف الحياة •

وجاءت الشريعة الاسلامية ورفعت مكاتنها وجعلتها قرينة للرجل وندا له فى سائر الحقوق والأهليات ، الا فى القليل الذى تقتضيه العدالة ، اعتبارا لطبيعة الجنس ، وما يستلزمه من تفاوت

أسرتها أو فى مجتمعهما - فقد اعتبرتها الشريعة الرومانية رقيقا أو تابعا ليست له حقوق مستقلة على الاطلاق ، أما الشريعة البرهمية فى الهند فقد اعتبرت المرأة متاعا ليست له قيمة حقيقية الا فى كونها أداة لمتعة الرجل ولانجاب الذرية ، وهى فى كلا الحالتين مرتبطة بحياة الرجل وارادته ، فاذا مات زوجها فانها تحرق حية على حدثه ، لأنها فى نظر البراهمة ليس لها - بدون رجلها - أى تقع أو غناء •

وكان قدماء المصريين يعتبرون المرأة قرين الشيطان وعلة الخطيئة وشرك الغواية والرديلة ، فكانت فى نظرهم شيئا يتعين التعامل معه بحذر اذا لم يكن هناك مناص من تجنبه أو الاستغناء عنه •

أما اليهودية فانها كانت - حسب تشريعات العهد القديم - تبيح تعدد الزوجات بلا قيد أو ضمان وجاءت المسيحية فسمارت على نهج الناموس الموسوى حتى حادت عنه فى زمن متأخر عندما أجمع زعماء الكهنوت المسيحى على أن المرأة

في الكفاءة والقدرة وغير ذلك من
الاعتبارات والملابسات •

وقد كانت المرأة قبل الاسلام
متاعا يورث فمنحها الاسلام حق
الارث ، كما منحها حق الحرية في
الزواج ، واختيار الزوج ، وأهلية
الوصايا على أولادها أو غيرهم ،
وحق ادارة أموالها واستثمارها ،
بل وسائر التصرفات المدنية من غير
ما سيطرة عليها من الرجل سواء
أكان قريبا أو زوجا •

ولكون الرجل أقدر من المرأة
وأقوم تدييرا فقد احتفظت له
الشريعة الاسلامية بالارادة العليا في
تدبير شئون الأسرة • ولكن بدون
مساس بالحقوق الخاصة للزوجة •

وقد نظمت الشريعة الاسلامية
سائر شئون الاسرة تنظيما دقيقا
ووضعت لذلك قواعد جديدة
مفصلة من غير ما تقيد بشيء من
النظم العرفية التي كانت تسود
حياة الأسرة من قبل ، وقد جاء
هذا التنظيم لحقوق الأسرة في
الفقه الاسلامي وفق التبويب
التالي :

أولا - الزواج ، ثانيا - الطلاق
ثالثا - العدة ، رابعا - النفقة ،
خامسا - الحضانة ، سادسا -
الوصاية ، سابعا - الميراث •

وسأعرض لكل من هذه الأبواب
وفق هذا الترتيب بإيجاز غير مخل
بالغرض من هذا الكتاب •
الزواج :

اهتمت الشريعة الاسلامية
بالزواج اهتماما كبيرا باعتباره
أساس بناء الأسرة وبه تكون
وتنمو تلك الأسرة التي ليست
الا اللبنة الأولى في بناء المجتمع ،
كما أن الزواج أيضا في واقعه
اجراء حصيف لتنظيم وتهذيب أعى
غرائز الانسان وأقواها دافعا له
على بقاء النوع واستمرار الحياة ••
وغريزة الجنس تتساوى في قوة
الحاحها بالشهوة الجامحة لدى كل
من الانسان وسائر أنواع
الحيوان •• ولو لم ينظمها الانسان
بالزواج لساوى الحيوان في
بهيمنته ، ولقلت لديه روابط
التكاتف والتعاون والألفة والمودة

المحظور - تحت الحاح الشهوة -
 باقتراف الزنى •

.....

وينعقد الزواج وينتج جميع
 نتائجه بمجرد اتفاق ارادة الطرفين
 بمحضر شاهدين دون توقف على
 تدخل ثالث حتى ولو كان طرفا له
 صبغة دينية •• اذ أنه لا يوجد فى
 الاسلام - كما فى غيره من
 الاديان - طبقة من رجال الدين لهم
 سلطة دينية •• وفى شريعة الاسلام
 لا وساطة بين الله والناس ، حتى ان
 النبى نفسه كانت مهمته الرئيسية
 التبليغ لأحكام الدين وتطبيقها •

وعلى هذا فالزواج فى نظر
 الاسلام عقد مدنى محض كسائر
 العقود لا يتم الا بتسمية جعل مالى
 (هو المهر) يدفعه الرجل فى نظير
 تسليم المرأة نفسها •

(وان أردتم استبدال زوج
 مكان زوج وآتيتهم احداهن قنطارا
 فلا تأخذوا منه شيئا تأخذونه
 بهتانا واثما مبينا ، وكيف تأخذونه
 وقد أفضى بعضكم الى بعض

والرحمة مع كل من قييه فى أسرته
 ورفيقه فى مجتمعه •

(رب انى وهن العظم منى
 واشتعل الرأس شيبا ولم أكن
 بدعائك رب شقيا وانى خفت
 الموالى من ورائى وكانت امرأتى
 عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى
 ويرث من آل يعقوب واجعله رب
 رضيا ••)

(سورة مريم ٤ - ٦)

(والله جعل لكم من أنفسكم
 أزواجا وجعل لكم من أزواجكم
 بنين وحفدة) •

(النحل ٧٢)

(يأيها الناس اتقوا ربكم الذى
 خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
 زوجها وبث منهما رجالا كثيرا
 ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون
 به والأرحام) •

(بداية النساء)

وقد أوجبت الشريعة الاسلامية
 الزواج فى حال القدرة عليه •••
 واعتبرته فرضا يأثم المسلم بتركه
 كالصلاة اذا خيف الوقوع فى

• وأخذن منكم ميثاقا غليظا)

(النساء ٢٠)

وعلى هذا فالزواج عقد مدنى محض ، ولكن له آثاره الخطيرة •• من حيث انه يستلزم عشرة ينبغي أن تسودها وشائج الألفة والمودة والرحمة والحب •

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) •

(الروم ٢١)

ولهذا فان الشريعة الاسلامية قد استحسنت أن يكون كل من الزوجين على معرفة بالآخر الى الحد المعقول قبل العقد ، والا فتتاح لهما فرصة التعارف فى نطاق الحدود المباحة • (قال صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة حين خطب امرأته :) أنظر اليها فانه أخرى أن يؤدم بينكما) ، ويستحسن أيضا أن يكون الاختيار على أساس يقوى من علاقة الألفة والتراحم والمودة بين الزوجين لا على دافع من بهرج زائف

أو مطمع فى مال أو عرض زائل •

(قال عليه السلام : من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلا ، ومن تزوجها لماله لم يزد الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله الا دناءة ، ومن تزوجها لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن نفسه بارك الله له فيها وبارك لها فيه) •

(وقال أيضا : عليك بذات الدين تربت يداك)

وحتى ينتج عقد الزواج آثاره الصالحة المتباعدة أحاطته الشريعة الاسلامية بضمانات تكفل استقرار الحياة الزوجية ودوامها من غير تعرض للقلائل والهزات التى يسببها فى الغالب عدم توفر العوامل والأجواء الطبيعية لحياة الأسرة ، فاشتترط صلاحية كل من الزوجين للزواج عند العقد وقيام الكفاءة بينهما •• ماليا واجتماعيا ••• وأجازت للمرأة التى زوجت قاصرا بمباشرة وليها أو الوصى عليها من غير كفء لها أن تطلب حين بلوغها سن النضج النسائى فسخ العقد

وانقصاص عقدة النكاح لعدم الكفاءة بينها وبين بعلها •• كما أتاحت للمرأة أيضا أن تطلب الطلاق اذا اتضح لها عيب مستور في الزوج يجعله غير قادر بسبب صحى أو بأى سبب آخر على عدم الوفاء بواجباته الزوجية •

والواجبات التى يلتزم بها الرجل ازاء زوجته هى : القيام بأداء جميع حاجاتها من دواعى العصمة وتفقات معيشتها ومعيشة أولادها منه فى حدود المتعارف المألوف وعليها فى مقابل ذلك طاعته وصيانة ماله وعرضه •

(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) •

(البقرة ٢٢٨)

وقد قضى النبى صلى الله عليه وسلم بين ابنته فاطمة وزوجها الامام على رضى الله عنه فالزم ابنته بخدمة البيت ورعايته وألزم زوجها بما كان خارج البيت من عمل ويتعين على كل من الرجل والمرأة أن يحسن عشرة الآخر فان أساءت

المرأة عشرة الرجل جاز له تأديبها بمقتضى ما له من حق القوامة عليها •

(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا) •

(النساء ٣٤)

وقد قال الأستاذ محمد عزة دروزة بهذا الصدد فى كتابه (الدستور القرآنى فى شئون الحياة) انه من الجدير التنبيه على أن مظاهر التأديب المعنية فى الآية ليست ايجابا ، وانما هى على سبيل الاجازة والاباحة وقد احتاطت الآية فى وسيلة الضرب خاصة - وهو الذى يمكن أن يثير الكلام فى هذا الباب - فجعلته آخر الدواء وقدمت عليه العظة والهجران •

الزواج بسبب القرابة بشروط معينة ، أما القرابة المانعة للزواج بالنسبة للرجل فيمتنع عليه الزواج بأحد أصوله أو فروعه أو فروع أبويه (الاخوة وأولادهم) مطلقا ، وبالطبقة الأولى من فروع أجداده فيجوز له أن يبنى بنت عمه وبنت خاله •

وبالنسبة الى أقارب أحد الزوجين فيمتنع على كل منهما التزوج بأحد أصول الآخر أو فروعه •

وأخيرا تأتي مسألة تعدد الزوجات •• وهى مسألة متشابكة الارتباطات والاعتبارات •• وقد اتخذت فيها الشريعة الاسلامية موقفا وسطا بين الاباحة المطلقة والمنع المطلق •• وقد أبيح ذلك ضمن حدود وشروط اعتبارا للأمر الواقع والضرورات الملجئة المتوقعة •

وقد وردت رخصة التعدد ضمن الآية الثالثة من سورة النساء التى تقول :

« وان خفتم ألا تقسطوا فى البتامى فانكحوا ما طاب لكم من

ولقد جاء بعد هذه الآية آية يمكن أن تقوم قرينة على أن التأديب هو بقصد الاصلاح والابقاء على الصلات الزوجية ، وليس بقصد الأذى والانتقام ، وهى هذه الآية :

(وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا) •
(النساء ٣٥)

ومن الحق أن يكون التأديب حتى بالضرب سائغا اذا كان يتفادى به قطع رابطة الزوجية ، وانهيار الأسرة كما هو المتبادر ، على أن بعض الأئمة والعلماء ومنهم الامام الشافعى قد استحسنا ترك الضرب •

وأيا ما كان فان مسألة الضرب هذه تكون لازمة لزوما حتميا فى بعض الحالات والظروف ، من حيث الوقائع أو فئات الناس ، كوسيلة وحيدة للردع والتأديب ولتفادى كارثة الطلاق أو ما هو شر منها •

وقد منعت الشريعة الاسلامية

الملجئة للتعدد ، اذ كيف يتصرف المرء فيما لو أصيبت زوجته بمرض مزمن أو بعقم مستديم ، أو فيما لو اضطر الى سفر طويل وهو شبق نهم الشهوة الجنسية .. ففى التعدد هنا حكمة يقتضيها المنطق والحكمة ونواميس الحياة •

الطلاق والعدة والنفقة :

واذا ما انفصمت أواصر الزواج بوفاة الزوج أو بالطلاق فاذا كان هذا قبل الدخول فلا خير على المرأة من أن تبني فوراً بزواج آخر وعليها أن تعيد نصف مهرها الى زوجها السابق أو ورثته • أما اذا كان ذلك بعد الدخول فيتعين استبراء رحمها بأن تمكث المرأة بلا زواج مدة معينة فى كل من حالتى الوفاة أو الطلاق وهذه المدة تسمى بالعدة ولها أن تتزوج بآخر بعد ذلك اذا لم يظهر انها حامل فاذا ظهر فيها الحمل امتدت عدتها حتى تضع حملها • وعلى المطلق نفقة مطلقته مدة عدتها •

وقد أجازت الشريعة الاسلامية الطلاق باعتباره اجراء لا منفر منه وانهاء لنفرة وبغضاء بين زوجين

النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » • (تجوروا) •

والآية هنا تجيز التعدد الى أربع زوجات بشرط ضمان العدل وعدم الجور بينهن ، ولكن الآية التاسعة والعشرين بعد المائة قد أكدت صعوبة العدل •

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » •

وفى هذا ايحاء من الله سبحانه وتعالى لعباده بضرورة الاكتفاء بزوجة واحدة لصعوبة شرط التعدد المباح (وهو العدل) وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم حدود العدل حين نظم ليالى مبيته لدى زوجاته وساوى بينهن فيما يستطيعه من نفقات معيشتهم وقال : (اللهم هذا عدلى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك) •

وعلى أية حال فالانسان المنصف لا بد وأن يقدر الضرورات الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية

ارادته بل لا بد من موافقتها ، وفي هذه الحالة يتعين أن يعقد عليها من جديد ويؤدى لها مهرا جديدا • وكذلك بعد الطلاق الثانى - أما اذا طلقها - بعد هاتين الطلقتين - مرة ثالثة فانه يكون من الواضح أن لا فائدة من الاستمرار لعشرتهما معا فقد اتاحت لهما من قبل فرصتان لمراجعة النفس واصلاح ذات البين ••

والطلاق فى جميع صورته ليس الا نوعا من اعطاء فسحة للزوجين يتدبران فيها أمرهما لعلهما يجدان ما يدفعهما الى استئناف الحياة الزوجية •• اما بكلمة المراجعة أو باجراء عقد جديد ، بعد أن تمثل لهما شبح الافتراق الدائم المستمر ومن ثم كان الطلاق الثالث هو خاتمة المطاف فلا يجوز بعده رجعة •• وحتى فى هذه الحالة كانت الشريعة الاسلامية رحيمة بكل من الرجل والمرأة فأتاحت لهما استئناف حياة زوجية جديدة اذا ما تزوجت المرأة برجل آخر وعاشرته ثم مات عنها أو طلقت منه •• ولعل فى اشتراط هذا القيد درسا

سادت بينهما الكراهية واستحكمت •• ففى اكراههما على استمرار حياتهما الزوجية استمرار العذاب لكليهما • وهذا شئ فظيع لا مبرر له ••• على أن الشريعة الاسلامية قد جعلت الطلاق حلا أخيرا لا يجب اللجوء اليه الا اذا استفحل الشقاق وأصبح من المتعذر التوفيق بين الزوجين ، ومع هذا فقد اعتبرته اجراء كريها •

« أبغض الحلال الى الله المطلق »

(حديث شريف)

ولهذا جعلت الشريعة الاسلامية الطلاق بيد الرجل لأنه أقدر على كظم الغيظ وكبت الغضب وعلى تقدير الظروف والعواقب فلا يلقي يمين الطلاق جزافا أو بدافع من الهوى أو فى ثورة غضب •

وكذلك جعلت الطلاق على مراحل فأجازت للرجل اذا رجع الى نفسه وانشأ غضبه أن يعيد زوجته الى عصمته أثناء عدتها من الطلاق الأول حتى بغير رضاها أما اذا تلكأ حتى انقضت عدتها فلا يجوز له أن يعيدها بمحض

زوجها بمال اذا رفض طلاقها الا بمقابل وتعويض » والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ان أرادوا اصلاحا ، ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم ، الطلاق مرتان فامسأك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فان خفتن ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظننا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ، واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضارا لتعتدوا ومن

لكليهما • ففى رؤية الرجل لمن كانت زوجته تحت رجل آخر ما يجعله يعض بنان الندم ويشعر بالحسرة على تفريطه فيها اذا كان العيب من جانبه •• كما انه قد يكون فى معاشرتها لرجل آخر - وربما لم يحسن عشرتها ولم يراع اعزازها واسعادها كزوجها الأول - ما يجعلها تشعر بالحسرة والندم اذا كان العيب من جانبها •• فاذا ما ارتأى كلاهما استئناف حياة زوجية جديدة بعد خلاصهما من الزوج الثانى كان من المأمول أن يصلح المعوج منهما من نفسه •

ومع أن الشريعة الاسلامية قد قصرت حق الطلاق على الرجل فانها أباحت للمرأة - كما سبق أن أوضحنا - ان تطلب الطلاق للضرر •

وللرجل أن يطلق زوجته بنفسه أو أن يوكل غيره فى ذلك والزوجة أهل لأن يكل اليها زوجها أمر طلاق نفسها منه بصورة مطلقة أو مقيدة بشروط معينة •

وللمرأة أن تقتدى نفسها من

يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا ، واللائئ يئسن من المحيض من نسائكم ان آرتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائئ لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا •

(الطلاق ١ - ٤)

فسبحان الله الذي جلت حكمته
وصدقت كلمته •

الحضانة والولاية والوصاية :
وهذه راعت فيها الشريعة
الاسلامية في الأغلب مصلحة
الصغير فاحتفظت للأم بحق
حضاته بعد الطلاق أو وفاة الأب
ما لم تتزوج بأجنبي - وحينئذ
ينتقل حق الحضانة الى أكثر النساء
قربا الى هذا الصغير - على أنه اذا
تساوت القرابة بين امرأتين فضلت
ما كانت قرابتها تمت اليه من ناحية
الأم أما الولاية فقد عرفت في
القوانين الحديثة بأنها سلطة على

يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ،
ولا تتخذوا آيات الله هزوا ،
واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم
به ، واتقوا الله واعلموا ان الله بكل
شيء عليم ، واذا طلقتم النساء
فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن
ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم
بالمعروف ذلك يوعظ به من كان
منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ،
ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم
وأنتم لا تعلمون » •

(البقرة ٢٢٨ / ٢٣٢)

« يأيها النبی اذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة
واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من
بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين
بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ،
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ،
لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك
أمرا ، فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن
بمعروف أو فارقوهن بمعروف ،
وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا
الشهادة لله ، ذلكم يوعظ به من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن

محكمة تحققت بها العدالة التي لا مطعن فيها ولا نقص وكانت نظم التوريث قبل الاسلام مبنية على أسس لم تستطع أبدا أن تدافع عن نفسها أمام الشكوى الدائسة من عدم تحقق العدالة فيها .

وقد جعلت الشريعة الاسلامية التوريث أمرا جبريا لا ارادة للمورث فيه وليس للمورث حق التصرف بحرمان وارث من حقه ، وتشددت في ذلك حتى قصرت حقه في التصرف في ماله بالوصية على مقدار الثلث لا يجوز له أن يتعدها ، وذهبت في هذا السبيل الى أن أبطلت تصرفه في ماله بالهبة أثناء مرض موته ، وأبطلت طلاقه لزوجته في مرض الموت واعتبرت ذلك منه اساءة لاستعمال حق الطلاق ودليلا على قصد التهرب من ارثها وأثبتت لها حق الارث شرعا .

وينفذ الأثر في مال الميت الباقي بعد سداد ديونه وثقات جنازته ثم تنفذ وصيته - ان وجدت - في مقدار الثلث ، فان زاد ما أوصى به الميت على الثلث أو كانت الوصية

شخص الصغير القاصر لرعاية شئونه وتنشئته وقد قررت لها الشريعة نظاما خاصا بمقتضاه يتولاها الأقرب فالأقرب الى القاصر وبعض التشريعات الحديثة قصرت الولاية على الأب والجد وما عداهما يعامل معاملة الوصى من حيث تدخل السلطة القضائية في تنصيبه ومحاسبته على تدبير شئون الصغير وحسن رعايته له .

أما الوصاية فهي سلطة ادارية على مال القاصر لحفظه وادارته واستثماره ، وهذه يرجح فيها أولا من يختاره الأب قبل وفاته وصيا ، فاذا مات الأب دون أن يوصى عاد الى القاضي حق تنصيب وصى على القاصرين وجميع الاوصياء مسئولون أمام القضاء عن كل تقصير أو خطأ في ادارة أموال القاصرين وشئونهم .

الميراث

فرضت الشريعة الاسلامية الميراث بسبب القرابة أو الزوجية ونظمت ذلك بقواعد مضبوطة

الاسلامية حين كلفت الرجل بنفقة زوجته وجميع أفراد أسرته وحين تقتضيه واقع الحياة ان ينفق الكثير فى الواجبات الاجتماعية التى لا تتعرض لها المرأة فاذا أعطت البنت هنا نصف نصيب أخيها فى الميراث فان البنت تكون أوفر حظا منه •

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الشريعة الاسلامية فى مجال ضبط مسائل الأحوال الشخصية قد كفلت للانسانية عدالة لم تتوفر لها من قبل •• ونستطيع هنا أن نقرر جازمين انه حتى فى عصر النهضة والمدنية كانت محاولات الانسان فى الدول المتحضرة غير الاسلامية لانصاف نفسه بوضع التشريعات التى حسبها توفر له أقصى قدر من العدالة والمصلحة : كانت هذه المحاولات شيئا حقيرا لا يمكن أن ينافس الشريعة الاسلامية فى دقتها وقدرتها على تحقيق العدالة المطلقة •

زاهر عزب الزغبى

لأحد الورثة توقف ذلك على موافقة الورثة أصحاب الحقوق •

وقد وزعت الشريعة الأثر بين أصحاب الحقوق بنظام خاص روعى فيه درجة القرابة الى الميت فالأقرب يحجب الأبعد أو يقلل من نصيبه •• ولم يفصل أحد الأولاد على الآخر كما تفعل كثير من التشريعات الأوروبية الحديثة التى تعطى للولد الأكبر كل التركة وتحرم الآخرين •

وللبنت نصيب يعادل نصف نصيب أخيها الذكر - وهذه المسألة كثيرا ما كانت موضع اساءة للفهم •• ولكن الشريعة هنا لم تغبن الاثنى اطلاقا إذ أن هذا التوزيع مرتبط بنظام التكليف المالى فى الأسرة كما هو مرتبط أيضا بواقع الحياة الاجتماعية •

ومثل هذه المسائل جاءت اساءة الفهم فيها من النظر اليها نظرة جزئية سطحية •• وكثيرا ما ظلمت الشريعة الاسلامية حين النظر الى جزئياتها الفردية دون النظر اليها ككل ••• فالشريعة

من القيم الخلقية في الشعر الجاهلي

للدكتور عبد الحليم حفي

هذا الجانب من حياتهم ، فقد كانت لهم قيم خلقية يعتزون بها ويتفاخرون في أنصبتهم منها ، وهذه القيم هي موضوع الحديث

والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينفى الخير عن الجاهلية ، وإنما يثبتته ويجعله أساسا فيما يتعلق بالوراثة الخلقية ، في مثل قوله : (الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام) ففى الجاهلية اذن خير ، وهو وان لم يكن مجديا على اصحابه خيرا من الناحية الدينية التى تقطع بأنه لا ينفع مع الكفر خير ، الا أنه خير لذاته ، وبالقياس الى غيره فى الحياة الجاهلية ، ومن هذه الزاوية التى يلمح اليها الحديث الشريف ، ينبغى أن يصحح الفهم الجائر الذى ينفى عن العرب السابقين للاسلام كل خير .

يخطئ بعض الناس فيعممون وصف الجاهلية على كل جوانب حياة العرب السابقين للاسلام ، وعلى كل جوانب خلقهم وصفاتهم ، واصطدام وصف الجاهلية بالاسلام جعله غير قاصر على معنى الجهل المقابل للعلم ، وانما كساه مساوىء أخرى غير الجهل ، فاصبح لفظ الجاهلية فى هذا الفهم يعنى كثيرا من جوانب الجهل والشر والردائل ، ولا يعنى شيئا غير ذلك ، وفى هذا المفهوم الأخير يتركز خطأ الفهم لدى بعض الناس ، فاذا كانت الجاهلية تعنى حقا الكثير من جوانب الجهل والشر ، فليس من الحق أنها لم تشتمل على جوانب كثيرة من الخير ، فان الجانب الوحيد الذى كان جهلا مطبقا دامس الظلام ، هو جانب الدين ، الذى كانوا يتخبطون خلاله فى عبادة الأصنام ، أما فيما عدا

أو تتابعها ، وانما قصدوها قصدا ،
وقدروها تقديرا ، فكل ما كانوا
يشيعونه عن الرسول صلى الله عليه
وسلم ، وعن أصحابه ، وعن دينه
وعن القرآن ، انما كانوا يقصدون
به حربا نفسية تنفر الناس وتصددهم
عن هذا الدين ، ثم هذه الخطة التي
دبروها في مقاطعة قريش بنى هاشم ،
انما كانت حربا اقتصادية ضد
الاسلام ، ثم الحروب العسكرية
التي أداروها وتفننوا في بعض
خطتها ، كل ذلك ينبىء عن أنهم
كانوا على درجة عالية من الخبرة
بالحياة في مختلف شئونها ، ومن
الأمثلة التي شهد القرآن الكريم لهم
فيها صراحة وليس ضمنا بهذا الذكاء
الحضارى ، مثل قوله تعالى عن
بعض المشركين من سادة مكة :
« انه فكر وقدر فقتل كيف قدر
ثم قتل كيف قدر » فالتفكير هو
الذكاء الفطرى المصاحب للتكوين ،
ولم يعن القرآن بحديثه كثيرا ،
لأنه قدر مشترك بين كثير
من الناس ، أما التقدير : فهو الذى
يمثل الذكاء الحضارى ، فيما يعرف
اليوم بالتخطيط ، وهو الذى عنى

فالعرب الجاهليون كانوا - فيما
عدا الدين - يحملون مزايا يغبطهم
على كثير منها أشد المجتمعات
حضارة وتقدما ، ومن هذه المزايا
الذكاء الحضارى ، أعنى ليس مجرد
الذكاء الفطرى الذى يصاحب تكوين
الفرد ، وانما الذكاء النابع أيضا
من الخبرة بالحياة وشئونها في
مختلف وجوهها ، وليس من الغريب
أن يقال ان القرآن الكريم نفسه
شهد لهم بطريق غير مباشر بهذا
الذكاء الحضارى ، فان الحرب التي
أداروها ضد الاسلام ، والتي نقل
القرآن الكريم لنا كثيرا من صورها ،
لم تكن تمثل الجهل الذى يوحيه
لفظ الجاهلية ، وانما كانت تمثل
أعمق وأحدث ما توصل اليه خبراء
الحرب وعلماءها ، فاذا كان خبراء
الحرب يقولون : ان الحرب تعتمد
على ثلاث شعب ، أو أنها تتمثل في
ثلاث صور ، الحرب النفسية ،
والحرب الاقتصادية ، والحرب
العسكرية ، فان الجاهليين أداروا
كل هذه الجوانب ضد الاسلام
ببراعة ومهارة واضحين ، ولم تأت
هذه الجوانب في ادارتهم اياها عفوا

١ - العفة :

والمراد بها العفة فيما يتصل بالصلة النوعية بين الرجل والمرأة ، وقد كان الشعر الجاهلى فى هذا المجال قمة لم يبلغها الشعر الاسلامى فى عصر من عصوره ، وقد يبدو هذا غريبا فى ظاهر الأمر ، ولكن الحقيقة أن الفارق حينئذ ليس بين الجاهلية والاسلام ، وانما لأن الشعر فى الجاهلية لم يكن حرفة يتكسب بها صاحبها ، بل كان تعبيراً عما فى النفس ، وابتزازاً لمقدرة فيه يحملها صاحبها بالفطرة والتكوين ، ونتيجة لذلك كان كثير من السادة وذوى المكانة يعدون من الشعراء ، أما بعد الاسلام ، فكان الغالب على الشعراء أن يكونوا من المحترفين المتكسبين ، فكان معظمهم دون شعراء الجاهلية مكانة وخلقاً واحساساً بأهمية المروءة بين الناس ، وهذا الاحساس من شأنه أن يدفع صاحبه الى كسب الفضائل محافظة على منزلته فى مجتمعه ، وعلى تجنب ما يزرى بصاحبه تحاشياً لسوء القالة ، ودنو المنزلة ، ولذلك كان من المشهور عن كثير من سادة العرب حين يعف

القرآن بحديثه ، فساقه فى أسلوب التعجب (فقتل كيف قدر) ثم كرر هذا التعجب ، والمفسرون يصرحون بأن هذا الأسلوب تعجب من عمق تفكير هذا الزعيم وتقديره ، وليس يعنينا أن يكون شخصاً بعينه كالوليد بن المغيرة أو غيره ، وانما يعنينا أنه كان من الجاهليين ، وأنه كان نموذجاً للذين يديرون الحرب ضد الاسلام ، وليس عجيباً أن يعترف القرآن لأعدائه بمزايا ، بل هذا هو الخلق الذى يدعو اليه القرآن ، فى مثل قوله « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى .. » فالقرآن يأمر أتباعه أن يلتزموا العدل فى كل الأحوال ، ومع كل الناس ، ولا ينبغى أن تحملهم عداوتهم لأحد على أن يحددوا عن العدل معه قيد شعرة .

والشعر الجاهلى أفاض فى الفخر والتغنى بالمزايا التى تحلو بها ، ولكننا نختار من هذه المزايا ما يتعلق بالخلق والسلوك ، فمن أبرز ما تغنى به الشعر الجاهلى من جوانب الخلق والسلوك ما يأتى :

الأرض بصفة دائمة حين تمشي ،
كأنها تقص أثر شيء نسيته فسقط
منها ، فهي تبحث عنه موجهة بصرها
إلى الأرض •

وكما يقول عنها قيس بن
الحدادية ، مشهدا الله على عفتها رغم
طول جوارها إياهم :

وقد جاورتنا في شهور كثيرة
فما نولت والله راء وسامع
وكما يقول مالك بن حريم
الهمداني ، حين يعدد خصالا من
فضائله ، فيسوق لنا أربع صفات
يحملها ويعتز بها ، ومن هذه الصفات
عفته عن جاراته ، فيقول عن الثالثة
من صفاته

وثالثة ألا تقذع جارتى
إذا كان جار القوم فيهم مقذعا
ويؤكد أنه لم ينل من جارته
مأربا ، رغم هيامه بها ، ورغم طول
هذا الهيام :

أهيم بها لم أقض منها لبانة
وكنت بها في سالف الدهر موزعا
فهي اذن عاطفة ، والعواطف لا
سلطان لاحد عليها ، ولكنها عواطف

عن الكذب في موقف يمكن أن يجنى
من وراء الكذب فيه ثمرات أن
يقول معللا امتناعه عن الكذب :
خشيت أن يروى عني الكذب ، يعني
ولو بعد موته •

ولذلك كان حديث الشعر
الجاهلي عن العفة وتجنب الفحش
فيما يتعلق بالمرأة ، ولهم في ذلك
أشعار كثيرة ، كما يقول تأبط شرا
في عفته عن النظر إلى جاراته :

وأغض طرفي ان بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مثواها
وكما يقول الشنفرى عن عفة
جارته المقتنة ، التي تغض طرفها عن
الريبة ، وتحمى بيتها مما يلام عليه ،
أو يذم به :

لقد أعجبتنى لا سقوطا قناعها
إذا ما مشت ولا بذات تلفت
تحل بمنجاة من اللوم بيتهما
إذا ما ييوت بالملامة حلت

ومن أجمل ما وصف به غض
المرأة بصرها وحيائها أثناء المشي ،
قول الشنفرى : (كان لها فى الأرض
نسيا تقصه) فهي تخفض بصرها إلى

نقية طاهرة ، لم تدنسها ريبة ، ولم
يقذعها مطمع •

وكما يقول السليك بن السلكة
عن تقوره من المرأة المريية ، التى لا
تعتز بشرفها وعفتها ، ملزما نفسه
ألا يتجه الا الى المرأة النفور من
الريبة ، الممتنعة على الطامعين

يعاف وصال ذات البذل قلبى
ويتبع المنعة النوارا
ويصف لنا السليك هذه المرأة
فيقول :

من الخفريات لم تفضح أباهـا
ولم ترفع لاختوتها شنارا
ومثل هذا المنهج فى الشعر الجاهلى
كثير ، وهو ينبىء فيما ينبىء عن أنهم
رغم جاهليتهم لم يكونوا يعيشون
حياة بهيمية متحللة من القيود
والقيم ، وانما تحكم حياتهم تقاليد
وقيم ، هى بالضرورة موجودة فى
كل مجتمع مهما بلغ من التخلف
والبداءة ، وليس من اللازم أن تكون
هذه التقاليد متفقة أو موحدة بين
هذه المجتمعات ، وانما تصاغ وتتدرج
جيلا بعد جيل الى الأفضل أو الأسوأ
حسب نصيب المجتمع من التقدم

أو التخلف ، وليس من اللازم أيضا
أن تكون شاملة لحاجات المجتمع
السلوكية أو الاجتماعية ، وانما
تتفاوت أيضا أنصبة المجتمعات منها
حسبما يكون نصيب المجتمع من
عوامل التقدم ، ووسائل الحضارة ،
وفى كل الأحوال لابد أن نجد لكل
مجتمع مهما بلغ من البداءة نصيبا
من التقاليد التى تعتبر بمثابة القانون
الذى يحكم حياته ، وهذه التقاليد
وان كان ينقصها غالبا الكثير من
الدقة فى مراعاة التفاصيل ، وأيضا
فى مراعاة الشمول لجوانب الحياة ،
ولحاجات الأفراد ، الا أنها تكون
بمثابة الأسس لحماية حقوق الأفراد
والجماعات من العدوان عليها ، وهذا
المعنى هو الأساس فى نشوء التقاليد
فى المجتمعات ، ولذلك كانت التقاليد
الدينية فى المجتمعات البدائية أو
القرية من البداءة أشد تخلفا من
التقاليد المنظمة للحقوق والسلوك ،
لأن الحقوق تنال الاهتمام الأول ،
والاعتداء عليها يثير أقصى مشاعر
الفرد ، ومن هنا نبعت التقاليد
المنظمة لحياة المجتمعات ، بينما
الدين رغم أنه غريزة بشرية أساسية ،

من حيث ان التكوين الفطرى للفرد يحمل اجساسا ولو مجعلا أو غامضا بالقوة الالهية المحيطة به ، ومع ذلك فالفرد العادى يضعه فى المرتبة ، التالية بعد حقوقه الدنيوية ، بدليل أنه كثيرا ما يضحى بالدين اذا اصطدم بهذه الحقوق وتعارض معها ، ومهمة الأديان السماوية تصحيح فهم الفرد للدين ولهذا الترتيب ، وللموازنة بين الدين والحقوق أو الواجبات الدنيوية .

ومن هنا يمكن أن نفهم عدم التعارض بين البخل الدينى فى الحياة الجاهلية ، ووجوب جوانب كثيرة من الخير فى حياتهم ، تمثلها تقاليد متعارف عليها ، ويعبر عنها مثل هذا

الشعر الذى يترنم به أصحابه مادحين أو مفاخرين بقيم خلقية يعتزون بها ، ويجدون فيها مثلا سامية يتنافس فيها كثير منهم ، كما رأينا فى هذه الامثلة عن العفة فيما يتصل بالاعراض ، وانما كان تركيز حديثهم عن الجارات ، لأن المفاسد انما تنشأ فى أغلب الأحيان فى الجوار ، ولئن قيل ان الفخر أو المدح بشئ

لا يدل على أن هذا الشئ شائع أو ملتزم ، بل يدل على العكس ، يدل على أن هذا المفاخر أو الممدوح يتميز عن غيره بهذا الشئ ، ولولا تميزه عن غيره بهذا الشئ لما كان هناك داع للفخر أو المدح به ، واذن فهذا الشعر لا يدل على شيوع هذه القيم فى المجتمع الجاهلى ، فالجواب عن ذلك أن أساس الحديث ليس عن المجتمع نفسه ، وانما عن الشعر الجاهلى ، فيكفى أن هذا يتضمن اشادة بالقيم والفضائل أو دعوة اليها ، ومع ذلك فانه يدل على أن هذه الفضائل كانت موجودة فى المجتمع الجاهلى ، ولو فى نسبة محدودة منه .

٢ - التضامن الاجتماعى :

وهو أعمق وأوسع مدلولاً من السخاء والجود بمعناهما المألوف ، فان السخاء أو الجود انما يعنى عادة صورا معينة تحدث فى مواقف محددة فى أغلب الأحيان ، كإكرام الضيف ، أو اجابة السائل الى سؤاله ، أو اغاثة محتاج فى موقف معين ، أما التضامن الاجتماعى

عروة بن الورد العبسي ، الذي كان رغم احترافه السطو والغارات وقطع الطريق مثالا عجيبا في شعوره بالتضامن مع الفقراء وذوى الحاجة ، وأخباره في ذلك مستفيضة متنوعة ، فقد عرف في مجتمعه بأنه ملجأ ومأوى لكل ذي حاجة رغم أنه هو أيضا كان من الفقراء ، وانما كان يتكسب من غاراته على مختلف القبائل ، وكان من المألوف أنه كلما حدثت مجاعة ، أو أجذب الناس ، لجأ الضعفاء والعجزة والمحتاجون الى كنفه ، فيذهب في غارات خطيرة محفوفة بالمهالك لا ليدخر منها شيئا ، وانما ليعول أمثال هؤلاء ، وكثيرا ما يخرج من الغنيمة بأدنى نصيب ، أو بدون نصيب ، وكثيرا ما كانت تلومه زوجه على مخاطرته بحياته في غير هدف تقيده من ورائه نفعا أو كسبا ، وانما من أجل أناس لا ترى بينهم وبينه رباطا ، كما ينقل عنها في مثل قوله :

أرى أم حسان الغداة تلومني
تخوفني الأعداء والنفس أخوف
لعل الذي خوفتنا من أماننا
يصادفه في أهله المتخوف

فالقصد منه الى معنى شامل وعميق في النفس ، يدفع صاحبه الى الاحساس الدائم بأنه فرد من مجتمع وأن باقى أفراد المجتمع لهم عليه حقوق يؤديها اليهم كما يؤدي الواجب ، لا كما يؤدي الاحسان والتفضل في صورته الفردية المشار اليها ، وهذا المعنى الشامل هو جوهر تشريع الزكاة في الاسلام ، وشعاره « والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » فهذا التضامن التشريعي في الزكاة حق واجب وليس تفضلا أو منة ، وهو أيضا معلوم ثابت ، فليس وليد ظرف أو مناسبة أو نحو ذلك .

فهذا المعنى من الشعور الثابت بالتضامن مع افراد المجتمع هو مدار هذا الحديث ، وواضح انه اسمى من مجرد الاتصاف بالوجود ونحوه ، وبالتالي سيكون المتصفون به اقل عددا ، ومع ذلك فقد كان هذا المعنى موجودا ، وكان الشعر لا يفتأ يشيد به ، ومن امثلة هذا الاتجاه ما نجده في اخبار واشعار كثيرين من الجاهليين ، ومن هؤلاء

لذوى الحقوق ، ويعنى بهم من
لزمته ديّات ومغارم من الديون ،
فهو يحمل عنهم بغناه هذه الحقوق ،
وإذا لم يستطع أن يعينهم فالموت فى
رأيه خير من الحياة ، ولذلك اكتسب
عروة رغم جاهليته جبا وتقديرا
واضحين ، فهذا معاوية بن أبى
سفيان يقول : لو كان لعروة بن
الورد ولد لأحببت أن أتزوج اليهم ،
وعبد الملك بن مروان يعبر أيضا
عن اعجابه بعروة فيقول : ما وددت
أن أحدا من العرب كان أبأ لى الا
عروة بن الورد ، ويقول مرة أخرى
من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد
ظلم عروة بن الورد

ومن أمثلة التضامن الاجتماعى
فى الشعر الجاهلى ، قول سعد بن
ناشب عن حاله حينما يكون موسرا ،
وكيف أنه يرى يساره شركة بينه
وبين الناس ، حيث يقول

ان تعذلىنى تعذلى بى امرءا
كريم ثا الاعسار مشترك اليسر
وهذا ثابت بن جابر الفهمى
الذى غلب عليه لقب تأبط شرا ،
يتحدى لائميّه فى الاتفاق ، كما

ولكن عروة فى حوارها معها ،
ورده عليها ، يكشف عن نفسية
كبيرة ، وشعور بالمسئولية الاجتماعية
فوق الشعور المألوف فى مواقف
الخير العادية ، انه يستنكر أن يرى
ملمة تلم بالناس ، ولا يملك لهم
عونا ، ويرى الموت خيرا من حياة
لا يملك فيها مواساة لمنكوب ، أو
ردا لقسوة النوازل حين تنزل ببعض
الناس ، فيخطبها بهذا المعنى الذى
لا أعرف أسمى منه نبلا وتعبيرا عن
مشاعر الانسانية الرفيعة التى تسمو
فوق الانطواء على حاجات النفس ،
ورغبات الذات ، الى الاحساس
بالآلام الناس ، وبمدى حاجتهم الى
العون والمواساة وقت الشدة ، حيث
يقول

دعنى أطوف فى البلاد لعلنى
أفيد غنى فيه لذى الحق محمل
أليس عظيما أن تلم ملمة
وليس علينا فى الحقوق معول ؟

فان نحن لم نملك دفاعا بحادث
تلم به الأيام فالموت أجمل
فهو يطوف فى البلاد ليستفيد
الغنى ، ولكن ليس لنفسه ، وانما

ان الشعر يتجاوز هذا الى تلبية دعاء
القراة الى العون ولو دون معرفة
السبب كما يقول شاعرهم :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
فى النائبات على ما قال برهانا
ولكن السمو الحقيقى فى هذا
المعنى هو ما يتعلق بنصرة الضعيف
الذى يلتمس الحماية ، وفى هذا
المجال نجد الشعر الجاهلى يتخذ
من هذا السمو شعارا براقا بادى
الصدق والتأثير ، كما يقول مالك
ابن حريم الهمداني عن أنه يأخذ
للضعيف الذى يلجأ الى حماه من
الظالم حقه ، مهما بلغ هذا الظالم
من القوة والمنعة ، وأنه لا يتردد فى
اعلان الحرب ، وقيادة الخيل
حفاظا على حق هذا الضعيف
اللاجئ الى حمايته :

وآخذ للمولى اذا ضيم حقه
من الأعيط الآبى اذا ما تمنعا
وانى لأعدى الخيل تقدع بالقنا
حفاظا على المولى الحريد ليمنعا

٣ - صفات الخير عامة :

وقد تغنى الشعر الجاهلى وأشاد
بكثير من صفات الخير ، التى

تحداهم عروة بن الورد ، ويهددهم
تأبط شرا بأن يهجرهم الى غير
عودة ان لم يكفوا عن عدله ولومه،
فيقول :

تقول أهلكت مالا لو قنعت به
من ثوب صدق ومن بزوأعلاق
عاذلتى ان بعض اللوم معنفة
وهل متاع وان أبقيته باق ؟
انى زعيم لئن لم تتركوا عدلى
أن يسأل الحى عنى أهل آفاق
أن يسأل القوم عنى أهل معرفة
فلا يخبرهم عن ثابت لاق
سدد خلالك من مال تجمععه
حتى تلاقى الذى كل امرئ لاق
ومثل هذا المعنى كثير شائع فى
الشعر الجاهلى

على أنهم كانوا يرون التضامن
أوسع مدلولاً وتطبيقاً من مجرد
الجود والسخاء ، فكل صور العون
المادى والأدبى والنفسى تدخل فى
نطاق التضامن ، ومن الصور البارزة
للتضامن حماية الضعيف والمظلوم
الذى يلتمس النصرة ، فضلا عن
القبيلة والقراة ، فان الاسراع الى
اغاثة القريب حين يتعرض لظلم
أو عدوان أمر تحتمه التقاليد ، بل

تعارفوا على أنها من سمات السيادة
والمروءة بين الناس ، كالشجاعة
والجود وحب الخير للناس ،
والتنافس في المكارم ، وقد أقر
الاسلام معظم هذه الصفات ، ولم
يضيف اليها الا أمرين عامين من
حيث المبدأ ، أحدهما الدافع ،
حيث يشترط الاسلام أن يكون
الدافع الى أى عمل هو حب الخير
والاتجاه به الى الله ، والآخر هو
الاعتدال وعدم التطرف فى مزاوله
أى صفة من صفات الخير ، كما
يدعو القرآن الى الاعتدال فى
الانفاق بقوله تعالى : « ولا تجعل
يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط » وكالاعتدال فى مزاوله
الشجاعة بمثل قوله تعالى :
« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

وقد أفاض الشعر الجاهلى فى
هذا الميدان افاضة واسعة ، حيث
انصبت معظم مفاخرهم ومدائحهم
على هذه الصفات ، ومن أمثلتها
قول مالك بن حريم الذى جمع
أربعا من هذه الصفات يعتز بالتزامها
فيقول :

فان يك شاب الرأس منى فانى
أبيت على نفسى مناقب أربعا
فواحدة ألا أبيت بغرة
إذا ما سوام الحى حولى تضوعا
وثانية ألا أصمت كلبنا
إذا نزل الأضياف حرصا لنودعا
وثالثة ألا تقذع جارتى
إذا كان جار القوم فيهم مقذعا
ورابعة ألا أحجل قدرنا
على لحمها حين الشتاء لنشبعنا
فهو أولا شديد اليقظة لمصلحته
وحده ، وانما لحراسة سوائم الحى
كله ، وثانيا لا يستخفى من الضيف
لينصرف عنه ، وثالثا لا يكون
سببا فى المساس بعرض جارته أو
سيرتها ، ورابعا لا يخفى طعامه ،
ولا يستر قدره بما تحوى من لحم
عن جيرانه مهما اشتدت حاجته
الى الطعام ، ومن هذا نرى كيف
أن الشعر الجاهلى كان صوتا
للدعوة الى قيم خلقية سامية ، وما
أجدره أن يكون صوتا بارزا فى
وسائل الاعلام لبعث المكارم العربية
والمحافظة عليها

دكتور عبد الحليم حفنى

مع رسالة الأدب الصوفي "الحكم العطائية"

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرني

عنه ولو طلب الحجاب لم يجده •
بلغ ابن عطاء الله فى التصوف
وعلموه شأوا بعيدا ، وكان ذلك
تصديقا لفراصة شيخه المرسى فيه
حين قال له يوما - على أثر تردد
رواد قلبه - : التزم حتى تصير
مفتيا فى المذهبين •

وكان لابن عطاء الله مؤلفات كثيرة
من أبرزها كتاب الحكم ، الذى
جمع خلاصة وافية لعلوم التصوف ،
حتى قال عنه شيخه حين عرضه
عليه : ان فيه جميع مقاصد الاحياء
وزيادة •

ولقد ظفرت هذه الحكم بعناية
فائقة ، ولكن عناية الصوفية بها
كانت أجل وأعظم نظرا لما تحتوى
عليه من خصائص فنية وأدبية ، الى
جانب ما تحفل به من معارف
الصوفية التى تتنوع بين الأحكام

نشأ ابن عطاء الله السكندرى فى
ظلال القرن السابع الهجرى ، حيث
كان التصوف الاسلامى فى مصر
وغيرها له قطوف دانية ، وله رجاله
الأعلام الذين رسخت فى الطريق
الصوفى أقدامهم ، من أمثال الأئمة
الشاذلى والبدوى والدسوقى
والمرسى وابن الفارض وابن عربى
وغيرهم - رضوان الله عليهم -

والسكندرى ، هو الامام أحمد
ابن محمد أبو الفضل تاج الدين ،
من الاسكندرية مولدا ونشأة ، وقد
تعلم فى مدرستها علوم الفقه
والشريعة ، واللغة حتى بلغ مرتبة
كبيرة ، وتلمذ فى التصوف على
شيخه أبى العباس المرسى الذى
قال عنه شيخه أبو الحسن الشاذلى :
انه أعلم بطرق السماء منه بطرق
الأرض ، كما قال عنه : هذا أبو
العباس ، منذ عرف الله لم يحجب

الشرعية والمجاهدات النفسية والمعرفة وماهيتها وأدواتها ومناهجها وآداب المتحققين وما تتضمنه من آراء في تفسير الوجود وصلة الانسان بالله وما تشير اليه من آداب السلوك العامة التي ينبغى أن يراعيها السالك في مجاهداته ومقاماته وأحواله ومعرفته - على حد تعبير الدكتور أبى الوفا التفتازانى فى كتابه عن ابن عطاء الله •

عناية الصوفيين بها :

وقد عنى بشرح هذه الحكم وتدريسها كثير من العلماء والمحققين ، منهم العلامة الرندى ، والشيخ ابن عجيبة والشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ على العدوى والشيخ زروق وغيرهم من العلماء الأجلاء • ويقرر الدكتور التفتازانى أن الحكم قد شرحت شروحا كثيرة فى أزمنة مختلفة وأقطار كثيرة وبلغات أجنبية أحيانا كالتركية والمالوية ، وقد تعشقها أرباب الذوق لما رق لهم من معانيها وراق ، وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيرا ولانكون مجانبين الحق اذا قلنا : انه لا يوجد أى مصنف صوفى حظى فى شروحه

تمثل عدد شروح الحكم ، كما تقرر أيضا أن هذه الحكم كان لها تأثير بين الطوائف المسيحية التى تعنى بالتصوف مستشهدا على ذلك باهتمام المستشرق الأسباني «أسين بلاثيوس» ويقول فى ذلك : وقد شعر بأهمية الحكم وشرح الرندى عليها المستشرق الأسباني أسين بلاثيوس فترجم فقرات كثيرة منها مع شرح الرندى عليها فى بحث له عن هذا الأخير واحتمال تأثر الصوفى المسيحى الأسباني القديس جان دى لاكروا بآرائه وآراء الشاذلية • وترجم فقرات قليلة منها كذلك المستشرق الانجليزى « آرثر جون اربرى » ••

ويعرف الدكتور زكى مبارك بهذه الحكم فى كتابه « التصوف الاسلامى » قائلا فى مقدمة تعريفه « نحن مقبلون على التعرف الى سفر من أسفار الأدب العالمى ، هو مجموعة الحكم التى نظمها ابن عطاء الله السكندرى ، وكانت هذه المجموعة مما يدرسه كبار العلماء فى الأزهر الشريف وكان الشيخ محمد بخيت يدرسها للجمهور بعد

به الى الناس من مختلف المعاني
لرأينا كيف كانت قيمتها من الوجهة
الأدبية والفلسفية ، ولا يغض من
الحكم العطائية أنها ظلت مجهولة
في التاريخ الأدبي ، لأن مؤرخي
الأدب غفلوا عن أمثال هذه الفرائد
فلم يكن لها من عنايتهم نصيب .
وقد قلنا في غير موطن من هذا
الكتاب : ان رجال الأدب شغلوا
بأسرى الحواس ولم يهتموا برجال
القلوب . ولعل هذا الفصل يذكر
رجال الأدب بعظمة ذلك الأديب
المجهول فما تقل كلماته في الأدب مع
الله عن كلمات ابن المقفع في الأدب
مع السلاطين » .

والآن وبعد مضي أكثر من
أربعين عاما على تأليف كتاب
الدكتور زكي مبارك فما زالت
كلمته لمؤرخي الأدب تحاول أن تجد
صداها في أسماعهم حتى الآن .

من شرح الحكم :

والحقيقة أن الأدباء لم يشغلوا
أنفسهم بروائع فن الحكم كما شغل
بها الصوفية ، فقد تعدد العلماء
شرح الحكم ومنهم : محمد بن

العصر في رمضان في مسجد الحسين
(رضى الله عنه) وقد حضرت عليه
طائفة من تلك الدروس وأنست
بمعاني الحكم العطائية أشد الأنس .
ثم يقول : واهتمام علماء الأزهر
بدرس حكم ابن عطاء الله هو صورة
جديدة للحفاوة بتلك الحكم واللالىء
النفيسة ، فقد اهتم الناس بها من
قبل وظفرت بعدة شروح ، ولا تزال
على كثرة ما لقيت من شروح ودرس
تبعث في قلوب المريدين أنواراً لم
يتنورها الشارحون ، وانما قلنا هذا
الآن لأن الحكم العطائية نظمت نظماً
غنائياً روعى فيه أن تكون اشارات
الى أحوال النفوس ، والنفوس
تتغير وتتبدل وتعتورها ألوان
الكدورة والصفاء ، فما يفهمه هذا
قد لا يفهمه ذاك وما يرتضيه قوم
قد يرفضه آخرون » .

وبعد أن يستعرض الدكتور زكي
مبارك بعض فقرات من هذه الحكم
ويعلق عليها ، يختم ذلك بقوله مذكراً
رجال الأدب بواجبهم نحو هذه
الذخيرة الفنية الرائعة « ولو أضفنا
الى ذلك ما ظفرت به الحكم العطائية
من الشروح والتفاسير وما أوجت

الدين الهندي المتوفى سنة ٩٧٧ هـ
والشيخ عبد الرؤوف المناوى المصرى
المتوفى سنة ١٠٣١ هـ ، وشهاب
الدين أحمد بن علاء الصديقى
الشافعى المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ ،
والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن
زكرى المتوفى سنة ١١٢٤ هـ وغيرهم
وكما ظفرت هذه الحكم بشرح
الشارحين : ظفرت كذلك بنظم
الناظمين ، كما قام بترتيب أبوابها
بعض الصوفية .

وهذا كله يؤيد علو منزلة هذه
الحكم لا فى حدود مصر فحسب
ولكنها تجاوزتها الى خارج الحدود
فراجت فى بعض الأقطار الاسلامية
ووجدت من يعتنى بها فى الهند
والملايو وأسبانيا والمغرب العربى
وتركيا والجزيرة العربية وبهذا
أصبحت تراثا صوفيا حيا .

مضمون الحكم :

ويصدر ابن عجيبة الحسنى
شرحه على الحكم بقوله : فعلم
التصوف من أجل العلوم قدراً
وأعظمها محلاً وفخراً وأسناها
شمساً وبدراً، وكيف لا ؟ وهو لباب

ابراهيم عباد النفري الرندى المتوفى
سنة ٧٩٢ هـ ، وعلى بن محمد
النفري وهو ابن الرندى السابق ،
وشهاب الدين أحمد بن محمد
البرنسى المعروف بزروق المتوفى
سنة ٨٩٩ هـ ، ويقول الدكتور عبد
الحليم محمود رحمه الله عن الشيخ
أحمد زروق - وقد حقق شرحه
لهذه الحكم - : لقد افتنن الشيخ
زروق بالحكم افتتانا كبيراً واستولت
عليه جاذبيتها ولم تكن تفارقه فى
سفر ولا اقامة ، وكان يشرحها فاذا
ما انتهى من شرحها بدأ يشرحها
من جديد ، وتفاوتت شروحه بين
الايجاز والتطويل ، أما عدد هذه
الشروح فلم يتيسر احصاؤها فى
دقة دقيقة ، والمؤكد أنها وصلت الى
أكثر من ثلاثين شرحاً ، وهذا الشرح
الذى بين أيدينا هو شرحها السابع
عشر . اهـ .

ومن شراح الحكم أيضاً : صفى
الدين أبوالمواهب الشاذلى ، وأبو
الطيب ابراهيم بن محمود الأقصرائى
المواهبى الشاذلى ، ومحمد بن
ابراهيم المعروف بابن الحنبلى المتوفى
سنة ٩٧١ هـ ، وعلى بن حسام

وأحكام الأذواق والمنازلات وهو نصيب المستشرفين من المريدين والمبتدئين من العارفين ، وهذا النوع من أكثر ما وقع فيه ، ومادته من مثل كتب الحاتمي في المعاملات والبوني في المنازلات •

الرابع : العلوم والمعارف الالهامية وفيه مالا يخفى لكن كتبه ملئت بشرحها لاسيما التنوير ولطائف المنن اللذان هما كالشرح لجملته هذا الكتاب •

ويستطرد ابن عجيبة قائلا : وبالجملته فهو كتاب جامع لما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الألفاظ ، كما يقرر أن المسلك الذي سلك فيه مسلك توحيدى لا يسع أحد انكاره ولا الطعن فيه ولا يدع للمعتنى به صفة حميدة الا كساه اياها ، ولا صفة ذميمة الا أزالها عنه باذن الله •

وهذه شهادة لابن عطاء الله بسعة علمه وكثرة اطلاعه وقوة مشاهدته ، فالذى يتمكن من أن يحيط بمضمون الكتب التى ذكرها ابن عجيبة ثم يبرز فى التأليف فى معانيها لا شك

الشريعة ومنهاج الطريقة ومنه تشرق أنوار الحقيقة وكان أعظم ما صنف فيه الحكم العطائية •• ولقد سمعت شيخنا ومولانا العربى يقول : سمعت الفقيه البنانى يقول : كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحيا ، ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم •

ويبين ابن عجيبة مضمون كتاب الحكم قائلا : ومضمنه من علوم القوم أربعة ، الأول علم التذكير والوعظ وقد حاز منه أوفر نصيب وهو لمقام العوام ، وتستفاد مواده من كتب ابن الجوزى وبعض تأليف المحاسبى وصدر كتاب الاحياء والقوت وتجبير القشيري وما جرى مجراها •

والثانى : تصفية الأعمال وتصحيح الأحوال بتخلية الباطن بالأخلاق المحمودة وتطهيره من الأوصاف المذمومة ، وهذا خط المتوجهن الصادقين ، ومادة ذلك من كتب الغزالى والسهروردي ونحوهما •

الثالث : تحقيق الأحوال والمقامات

منا اساءة أدب تثول بنا والعياذ
بالله الى العطب ، وكنا قد تعرضنا
للخطر والضرر في تعاطي مالا يليق
بنا من شرح كلام السادة من أهل
الله تعالى •

أنه الى جانب قوة حجاه قد وصل
الى مدى عظيم في علوم المكاشفة
التي لا تزال سرًا مغلقا على غير
أربابها ، والتي ترمز عبارات الحكم
الى الكثير منها •

ولننظر الى هذا الكلام الرفيع
القدر من العلامة الرندى الذى يزيد
من رفعتة ، فحلية العلم التواضع
ومن تواضع لله رفعه ، وهذه كلمة
نهدىها الى كل مزهو بعلمه يحاول
أن يحطم بما وصل اليه من قشور
كل من فوقه ودونه على السواء •

وذلك أحد الأسباب الذى جعل
الكثيرين من الشراح يتهيمون
الاقدام على شرحها - كما يقرر ذلك
الدكتور زكى مبارك - بقوله :
ومن أجل هذا أضيفت حكم ابن
عطاء الله الى الرمزيات وتهيها
الشراح فصرحوا بأن كلامهم ليس
الا طوفا حول ذلك السر المكنون،
وفى ذلك يقول الرندى : ولا قدرة
لنا على استيفاء ما اشتمل عليه
الكتاب وما تضمنه من لباب اللباب
لأن كلام الأولياء والعلماء بالله
منطوق على أسرار مصونة وجواهر
مكنونة ولا يكشفها الا هم ولا تبين
حقائقها الا بالتلقى عنهم ، ونحن فى
هذه الكلمات التى نوردها والمناحى
التي نعتمدها غير مدعين لشرح كلام
القوم ، ولا أن ما نذكره فيه هو
حقيقة مذهبهم حسبما يفعله كل
مصنف ، فانا ان ادعينا ذلك كان

فالرندى رضى الله عنه فى كلامه
ذلك ملتزم جانب الحذر الذى يدعو
اليه الأدب الكامل الذى يلزم
صاحبه احترام من سبقوه ، وما زالت
حرمة المشايخ أحد الأصول التى
يعنى الصوفية باحترامها واكبارها •
يقول قائلهم فى ذلك : أصل
التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك
الأهواء والبدع وتعظيم حرمان
المشايخ ورؤية أعذار الحل وحسن
صحبة الرفقاء والقيام بخدمتهم
واستعمال الأخلاق الجميلة •

معنى الحكمة :

— وهى عبارة عن فقرات قصيرة ذات ألفاظ قليلة تتضمن المعانى الكثيرة •

— ويغلب عليها أسلوب الخطاب الذى يوجهه ابن عطاء الله الى السالكين والمريدين ، وهى لا تعنى بالترتيب المنطقى الذى يراعى وحدة الموضوع ، ولعل سبب ذلك يرجع الى أنها خطرات نفسية كانت تعرض له فيدونها دون تكلف أو تعمش •

— والحكم تعنى باختيار الكلمات وجمال الأسلوب وتنسيق العبارة بحيث تؤثر فى نفس سامعها وقارئها كما أنها تحمل صدق عاطفة وقوة روح مما يجعل لها ذلك التأثير السريع فى النفوس والقلوب •

— وهى تجمع بين الأخيلة المختلفة كما أنها تعنى بالمحسنات اللفظية غير المتكلفة ، وتعتمد أحيانا على أسلوب الاستفهام التعجيبى فى التعبير عن بعض مدلولاتها •

وبالمثال يتضح الحال كما يقولون فمصدق هذا القول السابق نلمسه من قراءة الحكم ومطالعتها ، فأسلوب

والحكمة فى اللغة قول صائب صدر عن روية وتفكير أو تجارب صحيحة فى الحياة ، يقال : حكمه : اذا منعه مما يريد ، ومنه حكمة الدابة ، لأنها تذللها لراكبها وتمنعها الجماح ، ومنه اشتقت الحكمة لأنها تمنع صاحبها من سبى الأعمال والأخلاق •

ويمكن تطبيق هذا التعريف على حكم ابن عطاء الله الى حد كبير ، على اعتبار أن الهدف منها تصفية القلوب وتزكية النفوس وتصحيح الأعمال ومنع الناس من ارتكاب الأوزار ، وحثهم على ارتياد الفضائل

الخصائص الفنية لحكم ابن عطاء الله

ولحكم ابن عطاء الله خصائصها الفنية والأدبية التى ألخصها عن الدكتور أبى الوفا التفتازانى فى كتابه عن «ابن عطاء الله وتصوفه» •

— هى من عيون النثر الصوفى ، وهى أثر فنى لم يعن أحد من قبل بدرسه دراسة فنية أدبية تحليلية تظهر أهميته فى وضوح •

رائعة لم أشهد لها مثيلا فيما قرأت
وفيها حيوية قوية ، كأن الكاتب
ألقاها في لحظة من اللحظات التي
تتجمع فيها قوى النفس ثم تقذف
بالمعنى فيخلد - لقوته - على وجه
الزمان •

ويقصد بالخمول هنا العزوف عن
الشهرة التي تودى بأصحابها الى
البوار ، والصوفية دائما يحبون
العمل في صمت وينأون بأنفسهم
عن العجب ، هم أبطال الايثار وأعداء
الأثرة • وهذا ما يشير اليه ابن
عطاء الله •

ومن أسلوب الاستفهام التعجبي
قوله : « كيف يشرق قلب صور
الأكوان منطبعة في مرآته ؟ أم كيف
يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ؟
أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار
وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟
أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار
وهو لم يتب من هفواته ؟ » •

والتعبير بالاستفهام من أدق
الأسرار البلاغية ، واللجوء اليه
ضرب من ضروب قوة التعبير التي
تثير الشوق الى معرفة المعنى المقصود

الخطاب نلمسه في قوله : « اجتهدك
فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب
منك : دليل على انطماس البصيرة
منك » وفي قوله : « أرح نفسك
من التدبير ، فما قام به غيرك لا تقم
به لنفسك » وفي هاتين الحكمتين
تظهر العناية بحسن اختيار الكلمات
وتنسيق العبارة كما يظهر ذلك في
غيرهما من بقية الحكم •

وليس أجمل من الخيال في قوله :
« الأعمال صور قائمة وأرواحها
وجود سر الاخلاص فيها » فتشبيه
العمل المخلص بالجسد الذي لا قوام
له الا بروحه من روائع التشبيهات،
وكما يموت الجسد اذا فارقت روحه
كذلك تضع قيمة العمل اذا فقَد
الاخلاص •

أما قوله « ادفن وجودك في
أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن
لا يتم نتاجه » فهو من أجمل الصور
الخيالية التي تصور أدق المعاني
وأجمل الاشارات ، الى جانب ما
تحمله من رقائق نفسية وآداب
اجتماعية، ويعلل الدكتور زكي مبارك
على هذه الحكمة بقوله : هي كلمة

وتترك لدى السامع والقارىء تطلعا الى استكناء المراد وتشوقا الى ادراك حقيقته .

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله :
« كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك ؟ »
ومن أمثلة المحسنات غير المتكلفة قوله : « ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر » ، « أشهدك من قبل أن أستشهدك فنطقت بِالْهَيْتَةِ الظواهر وتحققت بأحاديثه القلوب والسرائر » ، « رَبِّ عُمْرٍ اتسعت آماده وقلت أمداده ، وربِّ عُمْرٍ قليلة آماده كثيرة أمداده » ، « من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمن من من الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة » .

وكل عبارات الحكم منتقاة تشهد لصاحبها بعلو كعبه فى البلاغة ووصوله الى أقصى درجات الفصاحة فلا توجد فيها لفظة مستهجنة أو زائدة عن حاجتها أو نائية فى موضعها وهذا يدل - الى جانب ما أوتيه من

مقدرة - على الصفاء الروحى والالهام الذى يقوم بدور المصفاة التى تنقى الأسلوب فلا يخرج من خلالها الا الجيد المنتقى .

المفاجأة التى ذيلت بها الحكم :

وقد وصلت المناجاة التى اختتم بها ابن عطاء الله كتاب الحكم قمة البلاغة والفصاحة كما أنها تدل على أنها صادرة من روح شفاف وقلب عارف ويقين صادق ومعرفة ثابتة ، وكأنه فى هذه المناجاة يقف على أعتاب ملك الملوك المطلع على خفايا النفوس وأسرار القلوب فلا غرابة أن يحذو صاحبها الاخلاص والصدق الذى تظهر سماته على تلك الكلمات الرقاق ، والاستشهاد فى ذلك يغنى عن الوصف ، لأن الوصف يغض من قيمتها .

انظر اليه وقد وقف على باب مولاه مناجيا اياه متضرعا اليه هاتقا باسمه منشدا أعذب نعمة فى الوجود قائلا : الهى .

« الهى ما ألطفك بى مع عظيم ذنبى رقيقا ، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا »

« الهى ماذا وجد من فقدك ؟
وماذا فقد من وجدك ؟ »
جهلى ، وما أرحمك بى مع قبيح
فعلى » •

« الهى أنا الفقير فى غناى فكيف
لا أكون فقيرا فى فقرى ؟ »
« الهى ، أخرجنى من ذل نفسى
وطهرنى من شكى وشركى قبل حلول
رمى ، بك أستنصر وعليك أتوكل
فلا تكلنى ، ولجنابك أنتسب فلا
تبعدنى عنك ويابك أقف فلا
تطردنى ، وإياك أسأل فلا تخيننى »
• • هذا وأرجو الله أن يوفق الى
لقاء آخر مع هذه الدرر لعرض ما
تشير اليه من حيث الموضوع • •
رضى الله عن صاحب الحكم ،
ورزقنا حسن الفهم والعمل انه
سميع مجيب •

« الهى أنا الجهول فى علمى ،
فكيف لا أكون جهولا فى جهلى ؟ »
« الهى منى ما يليق بلؤمى ومنك
ما يليق بكرمك » •

« الهى ان ظهرت المحاسن منى
فبفضلك ولك المنة على ، وان ظهرت
المساوىء منى فبعدلك ولك الحجة
على »

« الهى ما أطفك بى مع عظيم
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

مما يستحب للصائم

- * تعجيل الفطر بعد تحقق الغروب وقبل الصلاة .
- * الدعاء عقب فطره بالمأثور وهو : « اللهم لك صمت
وعلى رزقك أفطرت ، وعليك توكلت وبك آمنت ، ذهب
الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر يا واسع الفضل
أغفرلى : والحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى
فأفطرت » •
- * كف اللسان عن فضول الكلام ، والاكثر من الصدقة
والاحسان •

نظرة متأنية في كتاب الله

لفضيلة الشيخ عزت ابراهيم الدسوقي

قال عز وجل :

« أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير » •

« قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الأخرى ان الله على كل شىء قدير »

١٩ ، ٢٠ سورة العنكبوت

« صدق الله العظيم »

لا مرأى أن أولى الآيتين الكريمتين تحمل دليلا لا ينقض على قدرة الله على احياء الناس بعد موتهم • هذا الدليل هو خلق الانسان وتكوينه وهو أمر يتكرر فى كل أسرة ، ويأشر أسبابه الذكر والانثى فى كل مجتمع ، وكان عدم الايمان بالبعث من الذين يرون كيف يبدىء الله خلقهم أمرا عجبا يشير الدهشة • لذا كانت الآية

مصدرة بالاستفهام الانكارى فكأنهم حين أنكروا البعث عموا فلم يروا كيف يتبدىء الله خلق الانسان • ولو أنهم أمعنوا النظر فى ذلك لآمنوا بالبعث فان القادر على البدء قادر على الاعادة فالله خلق الانسان ثم يعيده ان ذلك على الله يسير •

وأما الآية التالية لها وهى قوله تعالى : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » الآية • فمن اللائق أن نلقى نظرة على ما قاله السادة المفسرون فى تفسيرها ثم نناقش تفسيرهم ونعقب عليه بما يفتح الله علينا وهو خير الفاتحين •

جمهور المفسرين على أن المراد بالخلق هنا هو خلق الامم السابقة •

وفى الحق أن المتأمل فى الآية
الكريمة يرى أن ارادة خلق الأمم
السابقة منها أمر بعيد الاحتمال
لما يأتى :
أولا :

الأمم السابقة ليست بدعا من
الخلق ولا عجبا فى التكوين فهى
من ذرية آدم أبى البشر •

وخلق الفرد الواحد وهو
الدعامة فى تكوين الأمم والجماعات
لا يختلف فى أمة عن أمة ولا فى
جماعة عن جماعة ولا فى جيل عن
جيل وليس ثمة خلاف الا فى اللون
واللهجة • قال تعالى فى سورة
الروم : « ومن آياته خلق السموات
والأرض واختلاف ألسنتكم
وألوانكم ان فى ذلك لآيات
للعالين » (آية ٢٢) •

والخلق والاماتة أمران شاهدان
محسان فلا داعى للسير فى الأرض
لرؤية شىء يرى فى كل مجتمع
انسانى وتجمع بشرى •

ثانيا :

لا علاقة بين السير فى الأرض

قال الجلال فى تفسيره : « كيف
بدأ الخلق لمن كان قبلكم وأماهم » •
وقال العلامة أبو السعود :

« فانظروا كيف بدأ الخلق »
أى كيف خلقهم ابتداء على أطوار
مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى
أه •

وحتى يربط أبو السعود مناسبة
بين السير فى الأرض وبين النظر
فى بدء الخلق قال :

« فان ترتيب النظر على السير
فى الأرض مؤذن بتتبع أحوال
أصناف الخلق القاطنين فى
أقطارها » •

وقال الألوسى مثل قول أبى
السعود •

وأما الفخر الرازى فبعد أن
وافق جمهور المفسرين قال : ويمكن
أن نعتبر هذه الآية اشارة الى قوله
تعالى : « أولم ير الذين كفروا ان
السموات والأرض كانتا رتقا
ففتقناهما » •

يعنى أن المراد بالخلق هنا هو
خلق السموات والأرض •

أصناف الخلق القاطنين بها نقول :
ان أحوال الناس وتنوعهم شيء
آخر غير بدء الخلق المطلوب معرفته
فى الآية الكريمة •

ثالثا :

ان خلق الأمم السابقة الذى
يزعمونه مرارا من قوله تعالى :
« قل سيروا فى الأرض فانظروا
كيف بدأ الخلق » قد ذكر فى الآية
السابقة مباشرة دون فاصل قريب
أو بعيد فى قوله تعالى : « أو لم
يروا كيف يبدى الله الخلق » •

فالمفسرون مجمعون على أن
المراد بالخلق هنا هو خلق الانسان.
والانسان لم يتغير لا فى الأجيال
السابقة ولا فى الحاضرة فخلقه
هو هو ومعرفتنا لخلق الانسان
المعاصر وتكوينه معرفة بالضرورة
لخلق الامم السابقة وتكوينها
فتكون الآية الثانية تكرارا لمعنى
الآية السابقة عليها دون زيادة ودون
تغيير •

وقد حاول الامام الفخر أن يوجد
فرقا بين الآيتين ونوعا من التغيرات

وبين معرفة كيف بدأ الله خلق الأمم
السابقة ، لأن سنة الله فى الكون أن
الانسان اذا مات تحلل وصار رمادا
أو ترابا •

ولذا قال الكفار مستكبرين
الاعادة ومنكرين للبعث : « أئذا
ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق
جديد » (سورة السجدة ١٠)
« يقولون ائنا لمرددون فى
الحفرة » (١٠) •

« أئذا كنا عظاما نخرة » (سورة
النازعات ١١) •

ولم ينكر القرآن الكريم ضلال
الانسان فى الأرض وتحوله الى
عظام نخرة • وانما أنكر عليهم أن
لم يستدلوا بالخلق الأول على
الاعادة والحشر ، ولم يهتدوا بآثار
قدرة الله فى الكون على قدرته على
البعث والنشور ،

واذا حاول المفسران الجليلان
أبو السعود والألوسى - رحمهما
الله - الربط بين السير فى الأرض
وبين النظر فى بدء الخلق بأن
السير فى الأرض مؤذن بتتبع أحوال

بينهما فقال كما نقله عنه الجمل
فى حاشيته :

« أبرز اسم الله فى الآية الأولى
عند البدء حيث قال (كيف يبدىء
الله الخلق) وأضمره عند الاعادة .

وفى هذه الآية وهى قوله :
« فافظروا كيف بدأ الخلق » أضمره
عند البدء وأبرزه عند الاعادة حيث

قال : « ثم الله ينشئ النشأة »
لأنه فى الآية الأولى لم يسبق ذكر
الله حتى يسند اليه البدء فقال

« يبدىء الله » ثم قال « يعيده »
وفى الآية الثانية كان ذكر البدء
مسندا الى الله تعالى فاكتمى به ،

وأما اظهاره عند الانشاء ثانيا حيث
قال : « ثم الله ينشئ النشأة فليقع
فى ذهن السامع كمال قدرته وعلمه

وارادته ، ولم يقل يعيده بل قال
ينشئ للتنبيه على أن البدء يسمى
نشأة كالأعادة والتغاير بينهما

بالوصف حيث قالوا : نشأة أولى
ونشأة أخرى ، انتهى كلام
الفخر .

وهو — كما ترى — يجعل البدء
فى الآيتين واحدا ، ويجعل الاعادة

واحدة يقعان على الانسان ومقتضى
هذا انه جعل الآيتين بمعنى واحد
يحملان دليلا واحدا بيد أنه جاء
بأسلوب مختلف فالتغاير فى اللفظ
لا فى الموضوع وفى المبني لا فى
المعنى ، والهدف من التعبير ينشئ
بدل يعيد — كما يقول الفخر — هو
التنبيه على أن البدء يسمى
نشأة ! !

اذن فلا فرق الا فى الألفاظ .
وهذا أمر عجيب . فالترادف بهذا
الأسلوب غير مألوف فى كتاب الله
تبارك وتعالى . بل ليس فى كتاب
الله — فيما أعلم — ترادف مما
يقصده البلاغيون بحيث لا يزيد
أحد المترادفين عن الآخر فى شيء ما
فى موضعين منفصلين فضلا عن
أن يكون فى جملتين متصلتين
أو آيتين متصلتين .

فلا مندوحة من التماس نوع من
التمييز فى كل آية يخرج عن حد
التمييز اللفظى الى التمييز الموضوعى
ضرورة أن الآيتين متجاورتان
ولا بد أن تتميز كل آية بمعنى
خاص يؤازر معنى الآية الأخرى .

ولما كان خلق الأرض قد تم
وصار أمرا مقضيا كان التعبير في
الآية الثانية بالفعل الماضي الدال
على الانتهاء وقل سيروا في الأرض
فانظروا كيف بدأ الخلق •

وعلى هذا فكل من الآيتين
تحمل دليلا على البعث غير ما تحمله
الآية الأخرى • وليس ثمة ما يدعو
الى التماس التغاير في اللفظ
فالتغاير في المعنى والموضوع •

شرح قوله تعالى :

« قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف بدأ الخلق »

واذ فرغنا بجهد المقل من شرح
قوله تعالى :

« أو لم يروا كيف يبدىء الله
الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله
يسير » •

وكنا في هذا الشرح متفقين كل
الاتفاق مع ساداتنا المفسرين
الأوائل •

ننتقل الى شرح قوله تعالى :

« قل سيروا في الأرض فانظروا

والذى يبدو لى أن لفظ الخلق
وان ورد معرفا في كل من الآيتين
الا أنه يتغاير باعتبار متعلقه أو
باعتبار المخلوق • فال في كلمة
الخلق عوض عن المضاف اليه ،
ويؤخذ المضاف اليه من الآية
نفسها •

ففى قوله سبحانه : « أو لم
يروا كيف يبدىء الله الخلق » يعنى
خلقهم فأخذ المضاف اليه من الضمير
فى « أو لم يروا » وهذا محل
اجماع من المفسرين من أن المراد
بالمخلوق فى هذه الآية هو
الانسان •

وفى قوله سبحانه : « قل سيروا
فى الأرض فانظروا كيف بدأ
الخلق » يعنى خلق الأرض • واذا
شاء الله فسنعود الى مزيد من
الايضاح •

ولما كان خلق الانسان يتكرر
دائما وبصورة مستمرة فى كل
مجتمع كان التعبير فى هذه الآية :
« أو لم يروا كيف يبدىء الله
الخلق » بالفعل المضارع الذى يدل
على الاستمرار والتجدد •

هذا هو التفسير الاجمالى لهذه
الآية الكريمة •

ولنعد الى مناقشتها مناقشة
تفصيلية •

ما المراد بالسير فى هذه الآية ؟
لو كان المراد بقوله تعالى :
« سيروا فى الأرض » السير المعتاد
والتنقل من مكان لآخر على وجه
الأرض لما تعلق به الجار الدال على
الظرفية ومجروره • أما وقد جاء
فى هذه الآية بلفظ (فى) متعلقة
مع مجرورها بالسير فلا بد من تعلق
هذا الجار بما يتلاءم مع الظرفية ،
والمترقب به اما أن يكون حالا
مقدرة من دار الجماعة ويكون
المراد - والله أعلم - سيروا حال
كونكم باحثين فى الأرض ، واما أن
نلجأ الى تضمين لفظ سيروا معنى
ابحثوا وسواء لجأنا الى تقدير
الحال ، أو الى التضمين فان لفظ
- فى - هنا يقتضى البحث
والتنقيب والدراسة •

الهدف من السير فى الارض

يرتب النظم الكريم على الأمر

كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة ان الله على كل شئ
قدير •

وقبل البدء فى الشرح نسأل الله
العالى القدير أن يوفقنا للفهم
الصحيح لهذه الآية الكريمة
ولغيرها من كتاب الله ، وأن يجنبنا
الخطأ والزيف والاعجاب بالرأى فهو
المهادى الى الحق والى صراط
مستقيم •

ألفاظ هذه الآية الكريمة من
الوضوح والجلاء والسهولة بحيث
لا نحتاج الى كتب اللغة لفهم المراد
منها ، فالحمد لله سبحانه وتعالى يأمر نبيه
صلوات الله وسلامه عليه أن يأمر
البشر بالسير فى الأرض ويرتب
على هذا الأمر أمرا آخر وهو النظر
والإطلاع على جانب من جوانب
قدرة الله تعالى الماثلة فى الكيفية
العجيبة فى بدء الخلق وحين يفرغ
البشر من هذا النظر يعلمون يقينا
لا تشوبه شائبة من الشك أن الله
الذى خلق هذا الكون قادر على أن
يحيى الموتى ؟ ، ان الله على كل شئ
قدير •

والدلائل ما يوصل الباحثين الى
النظر والمعرفة ، والا لما كان للأمر
بالسير والنظر معنى •

وعلى هذا فاذا خرج علينا
الباحثون فى الأرض بمعلومة
لا تتعارض مع صريح القرآن
الكريم ولا مع مفهومه لا يصح أن
نسارع الى اتهامهم ولنا أن نقبل
هذا أو نرفضه بعد الدراسة الجادة
والمناقشة الهادئة الهادفة ، ولنضع
فى اعتبارنا ما تدل عليه هذه الآيات
الكريمة وغيرها من أن الله تعالى
أودع الأرض ما يستدل به العلماء
على معرفة كيفية بدء الخلق •

رابعاً :

المراد بالخلق هنا ليس خلق
الأمم السابقة ولا الأمم الحالية اذ
لا علاقة ولا ارتباط بين بدء خلق
الناس وبين البحث والنظر فى
الأرض ، بل المراد بالخلق هنا هو
خلق الكون بصفة عامة ، وخلق
الأرض بصفة خاصة ، لأنها هى
موضع البحث والنظر المرادين من
الآية •

بالسير فى الأرض أمراً آخر مرتبطاً
كل الارتباط بالأمر الأول وهو
الأمر بالنظر لمعرفة كيف بدأ الخلق •

ويترب على هذا الهدف
والغرض أمور ، منها :
أولاً :

ان المراد بالسير هنا هو البحث
والدراسة كما قدمنا اذ لا علاقة
للسير العادى بمعرفة هذه الكيفية
العجيبة •

ثانياً :

المراد بالنظر هنا هو العلم
والمعرفة لا النظر بالعين المجردة لأن
النظر المجرد فى هذا الموضع كان ولا
يزال مستحيلاً ، لعدم وجود
المأمورين بالسير والنظر عند بدء
الخلق « ما أشهدتهم خلق السموات
والأرض » وبدء الخلق بل وخلق
الكون كله كان قبل خلق الناس
المأمورين بالسير والنظر •

ثالثاً :

ترتب النظر والمعرفة على البحث
والسير فى الأرض يستلزم أن
يكون فى الأرض من العلامات

لم يروا كيف يبدىء الله الخلق
فاستحقوا بذلك اللوم والتعنيف
والانكار •

ولم تصدر الآية التالية بالاستفهام
فضلا عن أن يكون انكاريا لأن
هذا الدليل خفى الدلالة على عامة
الناس ، لا يدركه الا نوعية خاصة
من البشر ، امتازت بالبحث والعلم
فاقتصرت الآية على لفت الانظار
وتوجيه البصائر ، والأفهام الى
الاستنباط والاستدلال •

(ب) لم جاء بالفعل فى الآية
الأولى مضارعا وهو (يبدىء) •
وجاء بالفعل فى الآية الثانية
ماضيا وهو (بدأ) ؟
والجواب :

ان الآية الأولى تتعلق بخلق
الانسان وتطور هذا الخلق وهو
أمر يتكرر فى كل مجتمع وبكثرة
حتى قيل : ان مصر تزرق بمولود
فى كل ثانية فكان من المناسب أن
يأتى بالفعل الدال على التجدد
والاستمرار وهو يبدىء •

والآية الثانية تتعلق بخلق الكون

وتكون أل فى الخلق هنا عوضا
عن المضاف اليه وتقديره الأرض ،
أو الكون •

وبهذا التفسير وهذا الفهم يأتى
الرد على التساؤلات الآتية :

(أ) لم كان قوله تعالى :

« أو لم يروا كيف يبدىء الله
الخلق » مصدرا بالاستفهام
الانكارى ولم يكن هذا الانكار
موجودا فى قوله تعالى :

« قل سيروا فى الأرض
فانظروا كيف بدأ الخلق ؟ » •

والجواب ، هو أن الآية الأولى
مصدرة بالاستفهام الانكارى ،
لأنها تنعى على منكرى البعث
تجاهلهم وتعاميهم لدليل واضح
ملموس ، يقع أمام أعينهم
ويباشرون أسبابه بأنفسهم ويتحقق
وقوعه فى كل تجمع بشرى يلتقى
فيه الزوجان فاذا لم يستدلوا ببداء
خلق الانسان وتطوره فى بطن أمه ،
حتى يخرج الى الدنيا بشرا سويا •
على قدرة الله على البعث كانوا فى
غمرة من الجهالة والعمى حتى كأنهم

الاعادة الى النشأة الأخرى ليبين
أن الاعادة تسمى نشأة والمغايرة
انما هي بالوصف فيقال : نشأة
أولى ، ونشأة أخرى •

هذا • ولو جرينا على ما قاله
المفسرون من أن المراد بالخلق فى
الآية الثانية هو خلق الأمم السابقة
ومعرفة طبائعهم وعاداتهم لما كان
هناك كبير فائدة فى ذكر هذه
الآية بل كانت هى عين الآية
الأولى فى معناها ومبناها ، وليست
هناك مغايرة الا فى بعض الالفاظ .
وهو (يعيده) وينشئ النشأة
الأخرى •

ولما كان هذا أمرا لا يبرر
التكرار لمعنى واحد فى موضع
واحد كان أقرب الى الحق
والصواب أن يقول الامام الفخر
الرازى :

« ويمكن أن يقال : ان هذه
الآية من قبيل قوله تعالى :

« أو لم ير الذين كفروا أن
السماوات والأرض كانتا رتقا
ففتقناهما » •

وهو أمر قد تحقق ، وجرت به
المشيئة والقدرة قبل خلق الناس
فجاء بالفعل الماضى (بدأ) وهو
يدل على نفاذ الفعل ومضائه •

(ح) لم ذكر فى الآية الأولى
الضمير عند ذكر الاعادة فى قوله
تعالى (ثم يعيده) ولم يذكر
الضمير فى الآية الثانية بل ذكر
النشأة مجردة عن كل ضمير ؟
والجواب :

ذكر الضمير فى الآية الأولى
لأن الاعادة تقع على الخلق المذكور
فيها فوجب بلاغه الاكتفاء بذكر
الضمير لتقدم ذكر ما يعود عليه
الضمير •

وفى الآية الثانية لا تقع النشأة
الأخرى على الخلق المذكور فيها لأن
المراد به خلق الكون والنشأة
الأخرى تقع على الانسان والناس
ولم يتقدم ذكر لهم فى نفس الآية
فامتنع ذكر الضمير لأنه لا يعود
على مذكور فيها •

وليس صحيحا ما قاله الامام
الفخر الرازى من أنه عدل عن ذكر

الفائدة المترتبة على القول بالمغايرة بين تلاميذ الخلق فى كل من الآيتين

ينبنى على القول بأن الخلق المراد فى الآية الأولى غير الخلق المذكور فى الآية الثانية فائدة عظيمة ومعنى جديد فتكون كل آية تحمل دليلاً متميزاً على وقوع البعث وقدرة الله على إحياء الموتى وهو ما يبارى فيه الكفار أشد المرء وأعنفه •

فالآية الأولى تحمل دليلاً واضحاً كل الوضوح يشاهده العام والخاص وهو خلق الناس أول مرة، والقادر على الخلق أول مرة قادر بسهولة على إعادة هذا الخلق وهو أهون عليه ، والله المثل الأعلى • وجاء التنزيل فى هذه الآية مشيراً إلى هذا اليسر وهذه السهولة فقال سبحانه :

« ان ذلك على الله يسير » •

وكون خلق الانسان دليلاً على امكان البعث ووقوعه تكرر فى القرآن الكريم فى مواضع مختلفة وبأساليب غاية فى البلاغة والاقناع نقتصر هنا على موضع واحد فقد قال تعالى فى آخر سورة القيامة :

« أيعسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين • الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » •

أما الآية الثانية فتحمل دليلاً مغايراً لدليل الآية الأولى ومؤيداً له وهذا الدليل هو الاستدلال بخلق الكون على قدرة الله تعالى على البعث •

وجاء هذا الاستدلال فى مواضع كثيرة وبأساليب فى منتهى القوة والاقناع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ونجترى هنا أيضاً على دليل واحد لمجرد الاستشهاد • قال تعالى فى سورة الأحقاف فى الآية رقم ٣٣ :

« أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى ، انه على كل شئ قدير » •

ونفس التذييل الذى جاء فى آية الأحقاف جاء فى الآية التى فسرناها من سورة العنكبوت مما

وتوجيه الإنكار بهذه الصورة
يوحي بالآتي :

أولا :

انه موجه الى الذين كفروا
وعلى هذا فمن المستبعد أن يكون
سبيلهم الى هذه الرؤية الوحي
السماوى أو الكتب المنزلة لأنهم
لا يؤمنون بشئ من ذلك •

ثانيا :

ان هذه الرؤية بالقطع ليست
رؤية بصرية بل هى بالتأكيد
رؤية بصيرية عقلية ضرورة أن أحدا
من البشر كفرا أو مؤمنا لم يكن
موجودا حين كانت السموات
والأرض رتقا ففتقهما الله •

لأن الحياة الانسانية فى ذلك
الوقت لم تكن موجودة •

ثالثا :

ان العلم بأن السموات والأرض
كانتا رتقا ففتقهما الله أمر ممكن بل
كان عدم وقوعه موضع إنكار
ومؤاخذة •

رابعا : وهو كالنتيجة لما تقدم :
ما دام هذا العلم ممكنا وأن

يؤكد وحدة المعنى وأن المراد
بالخلق فيها هو خلق الكون •

اقرأ معى مرة ثانية :

« قل سيروا فى الأرض فانظروا
كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة ، ان الله على كل
شئ قدير » •

دليل آخر على صحة ماذهبنا اليه :
ومما يؤيد صحة ما ذهبنا اليه

من أن المراد بالخلق فى الآية الثانية
هو خلق الكون وليس خلق البشر
وان هذه الآية تستلزم حتما أن
يكون الله سبحانه وتعالى قد أودع
الأرض والكون يستدل بها على
كيفية الخلق • قوله تعالى :

« أو لم ير الذين كفروا أن
السموات والأرض كانتا رتقا
ففتقناهما » •

ولست الآن بصدد شرح هذه
الآية الكريمة فلذلك مقال آخر
ان شاء الله تعالى • وانما اقتصر
هنا على بيان وجه الاستدلال
باختصار •

فالآية تنكر على الكافرين أنهم
لم يروا أن السموات والأرض كانتا
رتقا ففتقهما الله •

« أمن جعل الأرض قرارا وجعل
خلالها أنهارا • وجعل لها رواسى
وجعل بين البحرين حاجزا أأله
مع الله بل أكثرهم لا يعلمون » •

فمادة جعل تقيّد التحويل
والتصيير الى شىء لم يكن من قبل
فلم تكن الأرض أولا قرارا أى
مكان استقرار للحياة فجعلها الله
قرارا ، ولم تكن بها أنهار فجعل
الله خلالها أنهارا ، ولم تكن بها
رواسى فجعل الله لها رواسى وفضل
الله بقدرته بين الماء العذب والبحر
الملح •

ويتكرر هذا المعنى بصورة
أخرى فى سورة المرسلات :
« ألم نجعل الأرض كهاता •
أحياء وأمواتا • وجعلنا فيها رواسى
شامخات وأسقيناكم ماء فراتا
ويل يومئذ للمكذبين » •

« صدق الله العظيم »

وصلى الله وسلم على أشرف
المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه
ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين
والسلام عليكم ورحمة الله •

عزت ابراهيم الدسوقي

سبيله ليس السوحى وليست
المشاهدة البصرية فما هو سبيل
هذا العلم اذن ؟

لا مفر من القول بأن سبيله هو
البحث فما ذرأ الله فى الكون من
آيات ودلائل يعلمون عن طريقها
أن السموات والأرض كانتا رتقا
ففتقهما الله •

قال تعالى :

« أو لم ينظروا فى ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله
من شىء » •

مثال يبين تفاق علماء طبقات الارض
على نتيجة أيدها القرآن الكريم :

نسوق فى ختام هذا البحث
ما يدل على أن الله أودع الأرض
دلائل وعلامات استدلل بها الباحثون
وعرفوا عن طريقها كيف بدأ الله
الخلق •

فقد أجمع الباحثون فى طبقات
الأرض على أن الأرض حينما خلقت
كانت كرة من اللهب استمرت
ملايين من السنين حتى بردت
قشرتها وجرت فيها وسائل الحياة
فتعالوا تثل آية من سورة النمل
وهى الآية رقم ٦١ :

من ذكريات رمضان المعظم

للأستاذ أحمد على منصور

امتنالا لأمر العلى القدير له ، فى
أواخر سورة النحل الكريمة :
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى
هى أحسن ، ان ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله ، وهو
أعلم بالمهتدين) ، ففى هذا النص
الكريم ، من القرآن العظيم ،
يأمر الله العزيز الحكيم ، نبينا
- عليه أفضل الصلوات وأتم
التسليم - بأن يدعو الى الاسلام ،
بالمقالة الصحيحة المحكمة ، المدعمة
بالدليل الواضح المبين للحق ،
المزيل للشبهة ، كما يدعوهم اليه
بالموعظة الحسنة ، التى لا يخفى
عليهم ، أنه يناصحهم بها ، ويقصد
نفعهم من ورائها ، وأن يجادلهم
بالطريقة القويمة ، التى هى أحسن
طرق المجادلة ، القائمة على الرفق
واللين ، ويأخذهم بما يوقظ

اذا طلع هلال رمضان المعظم فى
صفحة السماء ، من كل عام
هجرى ، حمل الى المسلمين فى
مشارك الأرض ومغاربها ، على
اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، ثلاث
ذكريات عاطرات ، كان لها أبعد
الآثار وأروعها ، فى تاريخ الاسلام
والمسلمين •

الذكرى الأولى : غزوة بدر ،
وانتصار المسلمين مع قلة عددهم
وعتادهم الحربى ، على أعدائهم
من الكفار والمشركين ، مع كثرة
عددهم ، ووفرة أسلحتهم ، وآلات
قتالهم ، فان الرسول الأعظم
- صلى الله عليه وسلم - لم يقاتل
أحدا ليقهره على الدخول فى
الاسلام ، ولكنه - صلوات الله
وسلامه عليه - كان يدعو الى
هذا الدين العظيم ، بالبراهين
الساطعة ، والحجج القوية القاطعة ،

ما بينهم وبين المسلمين من احن
وبغضاء ، ويتمكن أشرف الورى
من نشر الدين ، ويعيش الجميع فى
أمن وسلام • وكان أبو سفيان
يتسمع الأنباء ، وما أن علم بما عقد
عليه المسلمون العزم حتى أخذ
طريق الساحل ، ونجا بالعبير
والتجارة •

وكان قد أخذ للأمر عدته ،
فاستأجر ضمضم بن عمرو
الغفارى ، وأرسله الى مكة ليدعو
القرشيين لتخليص غيرهم وتجارتهم
فأقبلوا بخيلهم ورجلهم ، وفى نحو
ألف مقاتل من أبطالهم ، تحت
قيادة أبى جهل ، وخرج النبى صلى
الله عليه وسلم ، فى نحو ثلث الألف
من أصحابه ، ومعهم فرسان
وسبعون من الأبل ، يتعاقبون
عليها ، ولما فر أبو سفيان بالتجارة ،
أرسل الى القرشيين يأمرهم
بالرجوع ، فقال أبو جهل : والله
لا نرجع حتى نرد بدرا ، ونقيم به
ثلاثا ، نتحر الجزر ، ونطعم
الطعام ، ونشرب الخمر ، وتعزف
علينا القيان ، ويسمع بنا المسلمون ،
فلا يزالون يهابوننا أبدا ، وساروا

القلوب ، ويحظ النفوس ، ويجلو
العقول ، وربنا من قبل ومن بعد ،
أعلم بمن ضل عن طريق الحق
والرشاد ، وهو أعلم بالمهتدين ،
فمن كان فيه خير ، كفاه الوعظ
القليل ، ومن لا خير فيه عجزت
عنه الحيل - ولكن القرشيين كانوا
معاندين ، آذوا الرسول الكريم ،
واضطهدوا أصحابه وأخرجوهم من
ديارهم ، وقعدوا لامام الهدى ،
وللمؤمنين به كل مرصد ، فأذن
الله عز وجل للصادق الأمين
بقتالهم ، وقتال كل معتد ، وصاد
عن سبيل الله •

وذاث يوم أخبر النبى ، صلى
الله عليه وسلم ، أصحابه بأن
أبا سفيان بن حرب ، سيقدم من
الشام بغير لقريش ، فيها أموالهم
وتجارتهم ، ودعاهم للخروج اليها ،
لعلهم يصيبون منها بعض ما أخذه
الكفار منهم فى مكة ، وحتى يحس
القرشيون بقوة المسلمين ، ويخافوا
على تجارتهم أن تبور ، وعلى
قوافلهم أن تنقطع بها الطرق ،
ويعملوا من جانبهم على ازالة

حتى نزلوا بالعدوة القصوى
من بدر •

ولما علم المصطفى أن الأمر قد
تغير ، وأن أبا سفيان هرب بالعبير
من طريق الساحل ، وأنه صار أمام
أعداء جبارين ، لا بد أن يشتبك
معه في حرب ، يلتقي في قتال ،
استشار أصحابه فيما يفعل ،
فلمس منهم الصمود دفاعا عن الحق
وأهله ، وقضاء على الباطل
وأعدائه ، فتهلل وجهه الشريف ،
وقال لهم سيروا وأبشروا ، فإن
الله قد وعدني إحدى الطائفتين
العبير أو النفير ، والله لكأنى أنظر
إلى مصارع القوم في بدر ،
وساروا حتى نزلوا بالعدوة
الدنيا منه •

وفي اليوم السابع عشر من
رمضان المعظم ، دارت رحى
الحرب ، ووقف النبي - صلى الله
عليه وسلم - بين المجاهدين
المسلمين ، يقوى عزهم ، ويشد
أزرهم ، ويبشرهم بنصر الله لهم ،
ويقول ما سجلته كتب السيرة
النبوية الشريفة :

« والذي نفس محمد بيده :
لا يقاتل المشركين اليوم رجل ،
فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير
مدبر ، إلا أدخله الله الجنة »
ثم أخذ حفنة من الحصى ، ورمى
بها في وجوه الكافرين ، وقال :
« شأته الوجوه ، اللهم ان يهلك
المسلمون اليوم لا تعبد في الأرض ،
اللهم أنجز ما وعدت » واشتد
القتال ، وثار النقع والغبار ، وأمد
الله المؤمنين بخمسة آلاف من
الملائكة المكرمين ليقاتلوا في
صفوفهم ، وليزدادوا يقينا بهم
وكان يوما مشهودا نصر الله فيه
المسلمين ، وهزم الكفار والمشركين ،
وانجلت المعركة عن قتل أكثر من
سبعين من صناديدهم ، واستشهد
ثلاثة عشر من المؤمنين ، أمر النبي
- صلى الله عليه وسلم - بدفنهم ،
وبالقاء قتلى القرشيين في بدر ،
ثم وقف عليهم يخاطبهم قائلا :

« بئست العشيرة كنتم لنيكم ،
كذبتموني وصدقني الناس ،
وأخرجتموني وآواني الناس ،
وقاتلتموني ونصرني الناس ، واني

والمروءة ، وينتشر الدين الحنيف
هنا وهناك .

ثم أمرهم النبي - صلوات الله
وسلامه عليه - بالتجهز للسير
صوب البلد الحرام ، فساقوا بدنا
تسيل بأعناقها البطاح ، ولكنهم
فجأة رأوا القصواء ناقة أشرف
الورى تقف في عرض الطريق ،
وتمتنع عن السير ، ويجسها حابس
القيل عن متابعة السير نحو البلد
الأمين ، وهنا جاءت رسل
القرشيين ، يأمرؤن الرسول
وأصحابه بالرجوع في هذا العام ،
على أن يدخل مكة في العام القابل
معتبرا ، ويتركها له القرشيون
ثلاثة أيام .

فأرسل سيد الأولين والآخرين
اليهم عثمان بن عفان ، ليخبرهم
عن مقصده ، وأنه لم يجرى محاربا ،
ولكن قدم مع أصحابه معتمرين ،
ولبيت معظمين ، وبه طائفتين
وذهب اليهم عثمان فأشيع بين
المسلمين أنه قتل ، فأقسموا أنهم
لا يرحون مكانهم حتى يحاربوا
القوم ، ويأخذوا بثأرهم ، وبايعوا

وجدت ما وعدنى ربى حقا ، فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ »
فقال له فريق من أصحابه :
يا رسول الله أتنادى قوما جيئوا ؟
فقال لهم - عليه الصلاة والسلام :
« والله ما أتم بأسمع لما أقول
منهم ، ولكنهم لا يستطيعون
الجواب » وولى أهل مكة الأدبار ،
مفعمة بالأحزان قلوبهم ، خشعا من
الخزى والعار أبصارهم ، وانصرف
المسلمون الى الغنائم يجمعونها ،
وهم بنصر الله فرحون ، ولنعمته
شاكرون .

الذكرى الثانية ، من ذكريات
رمضان المعظم ، فتح مكة المكرمة ،
فقد كان يوما مشهودا ذلك اليوم
العظيم ، الذى أخبر فيه النبى
- صلى الله عليه وسلم - ،
أصحابه بأنهم سيدخلون المسجد
الحرام ، ان شاء الله آمنين ، محلقي
رءوسهم ومقصرين ، فامتلات
بالسرور أفئدتهم ، لأنهم سيصبحون
قاب قوسين أو أدنى من بلدهم
الكريم ، ويطوفون بالبيت
العتيق ، ويسعون بين الصفا

واليوم الآخر ، فليشهد رمضان
بالمدينة » .

والتأم جيش المسلمين في جمع
لم تشهد الصحراء مثله ، وأمرهم
الرسول الأعظم بحفظ أسرارهم ،
وساروا نحو البلد الحرام ،
تكلؤهم عناية الله العلى العظيم .
وطلع عليهم بالطريق العباس بن
عبد المطلب ، عم النبي - صلى الله
عليه وسلم - ، وقال يا رسول الله :
لقد أسلمت من عهد ، ولكنني لم
أجهر بالإيمان ، ولم أصبر على
الكتمان ، وقد خرجت مهاجرا الى
الله واليك بنفسى ، وهاهم أولاء
زوجى وولدى . فقال له الرسول
الكريم : « مرحبا بك يا عم ،
لينحك الاسلام ، وليبارك الله لك
في الإيمان ، أرسل الى المدينة أهلك
وولدك ، وارجع معنا الى مكة
تشهد ما يكون بيننا وبين
قريش » .

ورمى العباس ببصره في جيش
المسلمين ، فرأى قوما ملء السمع
والبصر ، والسهل والجبل ،
فقال : وارحمة الله لقريش ، ان دخل

الرسول الكريم تحت الشجرة
على ذلك ، وبعد مدة قدم عثمان
حيا مع رسل قريش ، واتفق
الجميع على أن يرجع الرسول
وأصحابه دون عمرة في هذه
السنة ، ويعود لمكة مع أصحابه
في السنة المقبلة وكتبوا صحيفة
بالصلح بينهم ، ولكن قريشا نقضت
شروطها ، وخافت العاقبة فأرسلت
أبا سفيان الى المدينة ، ليوثق
العهد مع النبي الكريم ، حتى
لا يأمر بمحاربة القرشيين في عقر
دورهم .

وقدم أبو سفيان الى بيت
الرسول ، ويتحدث الى بنته
أم حبيبة أم المؤمنين ، فتغلظ له
في القول ، ويلتقى بأشرف الخلائق
أجمعين ، بعدها فما يلمس منه
الا سخطا واعراضا ، ويرجو
الشفاعة عند كبار أصحابه ، فلا
يظفر لديهم برجاء ، فيعود الى
مكة منذرا بالويل والهلاك .
وأمر الرسول - صلى الله عليه
وسلم - ، أصحابه بالاستعداد ،
وقال لهم : « من كان يؤمن بالله

فقال له « ويحك يا أبا سفيان
أما آن لك أن تعلم أنى رسول
الله ؟ » فقال بأبى أنت وأمى ،
ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ،
أما هذه ففى النفس منها شيء .
فقال العباس يا أبا سفيان : لقد
وضح الصبح لذى عينين ، فان
كانت على عينيك غمامة فارفعها ،
وان كانت على قلبك غشاوة
فمزقها ، وأسلم ابقاء على حياتك ،
وحرصا على دنيائك وآخرتك ،
وما لبث أن قال أبو سفيان : شهدت
أن لا اله الا الله ، وأن محمدا
رسول الله .

وابتهج الرسول الأعظم ، وظهر
البشر والسرور فى وجه العباس ،
وعلمه الوضوء والصلاة ، وأحكام
الاسلام ، وصرح للنبي - صلى
الله عليه وسلم - ، بأن أبا سفيان
رجل يحب الفخر ، فاجعل له
شيئا يتمشى مع هواه ، ويصير به
فى ظلال الايمان أثبت قدما ،
وأكثر يقينا . فقال الرسول - صلى
الله عليه وسلم - : « نعم من دخل
دار أبى سفيان بسكة فهو آمن ،
ومن دخل المسجد الحرام فهو

هذا الجيش الكبير مكة عنوة ،
فانه لا يبقى من قریش طفلا
ولا كهلا ولا امرأة ولا رجلا ،
ثم تسلل من بين الصفوف ، يلتبس
انسانا يحمله رسالة للقرشيين
حتى يحضر رؤسائهم للنبي
الكریم ، ليحققوا دماءهم ،
ويعاهدوه على تسليم حرمهم .
ولمحت تحت الظلام أبا سفيان ،
فسأله : ما أتى بك ها هنا ؟

فقال هم العشيرة ، وأفداح
القبيلة ، وأرزاء الزمان ، ولأتحسس
خبر ابن أخيك ، ومن معه من
المسلمين فقد توقعت الشر ، من يوم
أن نقضنا العهد ، وفجرنا فى
اليمن . وشاهد المسلمون أبا سفيان
يركب خلف العباس على بغلته ،
ويشاهد جنود المسلمين كعدد
الحصى والرمل ، وقدم به على
امام الهدى فقال له : « ويحك
يا أبا سفيان ، أما آن لك أن تعلم
أن لا اله الا الله ؟ » فقال بأبى أنت
وأمى ، ما أحلمك وأكرمك
وأوصلك ، والله لو كان معه اله
غيره لأغنى شيئا .

ما تظنونه أنى فاعل بكم ؟ فقالوا
 خيرا يا رسول الله ، أخ كريم ،
 وابن أخ كريم . فقال « وأنا فى
 هذا اليوم لا أقول لكم الا ما قال
 يوسف لآخوته ، لا تريب عليكم
 اذهبوا فأنتم الطلقاء » وكان يوما
 عظيما ، دخل الناس فيه فى دين
 الله أفواجا . فسبحان من أدب
 نبيه فأحسن تأديبه ، وسبحان من
 طبعه على الخلق العظيم ، وسبحان
 من أرسله رحمة للعالمين .

الذكرى الثالثة ، من ذكريات
 رمضان المعظم ، ليلة القدر المباركة
 العظيمة ، التى جعلها الله تعالى خيرا
 من ألف شهر ، وينزل فيها ملائكته
 المقربين ، وأميين الوحي جبريل ،
 باذن ربهم من كل أمر ، وجعلها
 سلاما حتى مطلع الفجر . وأنزل
 فيها القرآن الحكيم جملة واحدة ،
 من اللوح المحفوظ فى السماء
 السابعة ، الى بيت العزة فى السماء
 الدنيا ، ثم نزل به رئيس الملائكة
 جبريل ، على نبينا العظيم ، مفرقا
 حسب الوقائع والمناسبات ، فى
 ثلاث وعشرين سنة ، وجعله مولانا

آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو
 آمن .

وهنا ينطلق أبو سفيان فى
 عرصات مكة ، ويقول يا معشر
 قريش : لقد جاءكم محمد بما
 لا قبل لكم به ، ومن دخل دارى
 فهو آمن ، ومن دخل المسجد
 الحرام فهو آمن ، ومن أغلق عليه
 بابه فهو آمن . وقد نصحتكم ،
 وما أردت الا حقن دماءكم ، وحفظ
 أرواحكم . وهنا ارتاع القوم ،
 وقالوا ويحك وما تغنى عنا
 دارك ؟ وهرعوا الى المسجد
 الحرام ، ودخلوا دورهم وأغلقوها
 عليهم .

وفى العشرين من شهر رمضان
 المعظم ، دخل جيش المسلمين مكة
 ظافرا منصورا ، وقدم اليها امام
 الهدى حانيا ظهره شكرا ، غاضا
 بصره حمدا ، ثم دخل المسجد
 الحرام وطاف بالبيت ، وامتلئ
 الركن وازدحم الناس فى المسجد
 وخارجه ليروا ما يفعل أشرف
 الورى . فقال « يا معشر قريش

ونضرع الى الله العلى القدير ،
 أن يوفق المسلمين بالمشارق
 والمغارب ، الى التأدب بأداب
 كتابهم ، وتطبيق نصوصه فى
 عباداتهم ومعاملاتهم ، والتمسك
 بأحكام دينهم ، والسير فى طريق
 رسولهم ، وأن ينصرهم على
 أعدائهم ، ويجعل التوفيق حليفهم ،
 وبلوغ المقصود رائدهم ، حتى
 يستردوا مجد آبائهم ، وعز
 أجدادهم ، الذى يتغنى به
 المؤرخون هنا وهناك ، كلما قلبوا
 صفحات التاريخ ، فى أيامه
 النضرات ، وعصوره الزاهرات
 (والله يقول الحق ، وهو يهدى
 السبيل) •

أحمد على منصور

المعجزة الخالدة على وجه الزمان
 لحبيبه ومصطفاه ، وضمنه من
 القواعد والأحكام ما فيه سعادة
 الناس فى الأولى والآخرة •

ولقد سلكت الإنسانية فى
 سبيل الوصول الى الحكم الصالح
 طرقا شتى ، وما زالت فى كفاحها
 عبر الدهور والعصور ، تنشد
 النظام بلا ريب ، هو ما نادى به
 النظام الذى يتحقق فيه العدل
 والانصاف بأروع صورهما وذلك
 آيات التنزيل الحكيم ، وسعد به
 المسلمون الأولون فحكموا حكم
 العادلين ، وفتحوا فتوح الجبارين ،
 وعاشوا عيشة الزاهدين ، وعملوا
 أعمال الصالحين وكانوا من قبل
 ومن بعد سادة للناس أجمعين •

« دعاء »

اللهم هب لى حقك ، وأرض عنى خلقك ، وهب لى
 الاصلاح فى الولد ، والأمن فى البلد والعافية فى الجسد انك
 سميع مجيب •

الصناعة الحربية في ضوء الإسلام

لواء محمد جمال الدين محفوظ

« وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » أى انما فعل ذلك ليراكم ناصرى دينه باستعمال السلاح لمجاهدة أعدائه وناصرى رسله وهم غائبون عنكم لا يبصرونكم .

وختم الآية الكريمة بهذين الاسمين الجليلين (قوى عزيز) اشارة الى أن الله يحب لعباده القوة والعزة ، وان كل ما يوفر ذلك نظريا وتطبيقيا هو من وسائل التقرب اليه ومن دلائل تقواه جل شأنه .

ولقد أثنى الله على عدد من أنبيائه الكرام وعباده الصالحين فذكر تفوقهم فى علوم الصناعة وجهودهم فى تطويع هذا التفوق لنصرة الحق ودعم جانبه فقال جل شأنه يصف داود : « وألنا

من العلوم التى نوه القرآن الكريم بخطرها وأشاد بقيمة المهارة فيها ، العلوم العسكرية والصناعات الحربية وجملة الفنون التى تحتاج اليها الأمة فى الدفاع عن وجودها وحقوقها .

ولقد جعل القرآن العناية بالصناعة الحربية آية على صدق الايمان وحسن الجهاد ، قال تعالى : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » (الحديد ٢٥) .

أى وخلقنا الحديد لتكون منه السيوف والرماح والدروع وغيرها من أسلحة الحرب القوية التى تردع المعتدى وتقهره ، وفيه منافع للناس فى حاجاتهم فى معاشهم وصناعاتهم ومختلف شئون حياتهم .

بأعمال رائعة تدل على علم بالحياة
وخبرة بشؤونها :

فهذا ذو القرنين يقول للذين
منوه بالمكافأة اذا بنى لهم سدا
يحميهم من أعدائهم : « ما مكنى
فيه ربى خير ، فأعينونى بقوة أجعل
بينكم وبينهم ردما » (الكهف
٩٥) •

وهنا يظهر علم الرجل ببناء القلاع
فيحول منطقة عمله الى مصانع يصهر
فيها النحاس وتغلى المواقد ويقطع
الحديد وتمهد الأرض وتسوى
جوانب الجبل ويؤدى الرجال الأتقياء
واجبهم لله على هذا النحو الذى
يحمى الضعاف ويصون الحق
ويعلو شأن الايمان •

« آتونى زبر الحديد حتى اذا
ساوى بين الصدفين قال اتفخوا حتى
اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه
قطرا ، فما استطاعوا أن يظهروه
وما استطاعوا له نقبا » (الكهف
٩٦ - ٩٧) •

وأفتى العلماء باتفاق أن اقامة
الحرف والصناعات فريضة على

له الحديد أن اعمل سابغات وقدر
فى السرد » (سبأ ١٠) •

والانة الحديد هى المهارة فى
ايجاد شتى الآلات منه والوصول
بصناعاته الى حد الاتقان دون اعياء
أو قصور ، وذلك لحسن الخبرة
وطول الدربة •

وقد أمر الله داود بتقدير السرد
أى كلفه باحكام النسيج للدروع
السوابغ التى ينتجها حتى تخرج
فى أعلى مستوى مستطاع •

وفى موضع آخر يصف الله تعالى
داود بنوعين من العبادة والعلم ،
أولهما : طول الذكر والتسبيح ،
والآخر : اجادة المعدات الحربية •

قال تعالى :

« وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير وكنا فاعلين ،
وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم
من بأسكم ، فهل أنتم شاكرون »
(الأنبياء ٧٩ - ٨٠) •

وعباد الله الصالحون أثبت
القرآن صلاحهم وهم يقومون

ابن مسعود وغيلان بن سلمة الى جرش (١) ليتعلما صنعة العرادات والمنجنيق والدبابات (٢) وكلها من أسلحة القتال التي يألّفها المسلمون من قبل .

وقد استخدم الرسول عليه السلام المنجنيق والدبابات في حصار الطائف ، كما روى أنه نصب المنجنيق في حصار خيبر للتهديد ولكنه لم يرم به فعلا ، فقد روى ابن خلدون « ان الرسول هم بنصب المنجنيق على خيبر ، فلما أيقنوا بالهلكة سألوه الصلح » .

وقد برع المسلمون بعد ذلك في استخدام هذه الأسلحة الجديدة وطوروها وأدخلوا عليها كثيرا من التحسينات والتهذيب وكثير حصارهم بها للمدن المحصنة ذات

المجتمع كله يأنثم بتركها ، وعلى الأفراد الصالحين لهذه الفنون بمواهبهم وقدراتهم أن يجودوا فيها ويخدموا أمتهم ورسالتهم بها .

وصحيح أن العرب طلعوا على العالم بالاسلام ، وكان الناس فقراء الى العلم به والدخول فيه لكن العرب ما كان عليهم من حرج أن يتعلموا من الناس أنواع الخبرة التي تنقصهم والتي لم تهدم اليها مطالب الصحراء ومجامع البادية :

* ففى عصر النبوة عنى النبى صلى الله عليه وسلم بملاحقة التطور فى أسلحة القتال ، وكان حريصا على تزويد جيش المسلمين بالأسلحة المعاصرة التى لم يألّفوها من قبل ، وعلى تدريبهم عليها والقتال بها ، فأرسل عليه الصلاة والسلام بعثة من اثنين من المسلمين هما عروة

(١) جرش مدينة تقع شرقى جبل السودان من أرض البلقاء وحوارن من أعمال دمشق ولما كانت دمشق ذلك الوقت تحت حكم البيزنطيين ، فمن الجائز أن يكون العرب هناك نقلوا هذه الأسلحة عنهم .

(٢) المنجنيق من آلات القذف الثقيلة يستخدم في الحصار وهدم الحصون والأبراج والعرادات نوع منه مصغر ، أما الدبابات فتستخدم في نقب الأسوار وفي معاونة المنجنيق في عمليات تدمير الحصون واقتحامها .

في حاجتهم البحرية كثيرا من هؤلاء، وأنشأوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأسسوا دارا لصناعة الآلات البحرية بتونس ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله ابن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا •

ومن أعظم الأمجاد التي يسجلها التاريخ الحربى للعسكرية الاسلامية أن الأساطيل الاسلامية استطاعت أن تقهر أعظم الأساطيل البحرية في زمانها (أسطول بيزنطة) وأن تزيل عن البحر الأبيض المتوسط تلك الصفة التي لصقت به طويلا وهي « بحر الروم » ، حتى أصبح حريا به أن يدعى « بحر المسلمين » ويقول ابن خلدون : ان المسلمين تغلبوا على لجة « بحر الروم » وان أساطيلهم سارت فيه خائبة وذاهبة من صقلية الى تونس ،

الأسوار العالية في حروب العراق والشام وفتح مصر (١) •

* ومن أبرز الأدلة على عناية المسلمين بالصناعة الحربية بعد عصر النبوة أنهم صنعوا السفن الحربية واتقنوا قيادة الأساطيل وحرب البحار •

فمن أين لأبناء الرمال صناعة السفن البحرية ؟ • لقد رأوا - دون انتظار لنص موجه - أن كتابهم لا يعلو في عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج • يقول ابن خلدون : - كان الروم مهرة في ركوب البحر والحرب في أساطيله ، ولم يكن العرب أول الأمر مهرة في ركوبه ، فلما استقر الملك لهم وشمخ سلطانهم ، صارت أمم العجم تحت أيديهم ، وتقرب كل ذي صنعة اليهم ببلغ صناعته • فاستخدموا

(١) ادھش المسلمون الفرس والروم بما أدخلوه على الأسلحة من تحسين وتطوير حتى اعترف بذلك الامبراطور البيزنطى « ليو » - مع ما عرف عنه من تعصب ضد العرب والمسلمين - فقد نقل عنه فون كرىمر فى كتابه « الشرق تحت حكم الخلفاء » انه قال : « ان الجندى العربى ما كان يفترق عن الجندى البيزنطى فى المون والسلاح » •

وسببا من أسباب اندلاع الحروب
والمنازعات •

والمعروف لدى رجال الاقتصاد
والصناعة أن صناعة « الأسلحة
الثقيلة » لا تتوفر الا اذا كان لدى
الدولة القدرة على « الصناعة
الثقيلة » وهذه الصناعة الثقيلة هي
الأخرى لا تقوم الا على أساس
صناعة فى غاية الأهمية هي
« صناعة الحديد والصلب » فماذا
نستخلص من ذلك ؟

ان على الامة الاسلامية لكى
يكون لديها صناعة حربية حقيقية ،
أن تعمل بالتوجيه القرآنى حول
الحديد نحو ما يلي :

أولا : اقامة البنيان الاقتصادى
أصلا على « الصناعة » أساسا ،
لأن الزراعة - كما هو معروف لدى
رجال الاقتصاد - لا تستطيع
وحدها تحقيق التنمية أو بناء قوة
الامة أو تقدمها •

ثانيا : اقامة « الصناعة الثقيلة »
أى لا تكتفى بالصناعات « الخفيفة »

والرومان والصقالية والفرنجة
جميعا تهرب أساطيلهم أمام البحرية
العربية ولا تحاول الدنو من أساطيل
المسلمين التى ضربت (١) عليهم
كضراء الأسد على فريسته •

وأسلحة القتال فى كل عصر
فيها الخفيف والثقيل ، فمن الأسلحة
الخفيفة قديما السيف والرمح
والسهم ، ومن الثقيلة المنجنيق ،
أما فى عصرنا فمن الاسلحة الخفيفة
البندقية والرشاشات ومن الثقيلة
الدبابات والمدافع والطائرات
والسفن الحربية •

والواقع أن القدرة الحقيقية
للأمة على الصناعات الحربية
لا تقاس بقدرتها على انتاج الاسلحة
الخفيفة ، وانما تقاس بقدرتها على
صناعة الأسلحة الثقيلة ، وهذه
القدرة - لو تأملنا أحوال الامم -
فى عالمنا المعاصر - لا تتوفر الا
لدى عدد محدود من الدول ،
حتى لقد أصبح السعى لبلوغ تلك
القدرة مجالا لصراعات دولية عنيفة،

(١) ضرى (بفتح الضاد وكسر الراء) عليه : أى لزمه ، و ولع به •

أولاً : التكامل الاقتصادي ..

فلا مناص من أن يقوم النظام الاقتصادي للأمة الاسلامية على أساس التكامل ، فهو مطلب حيوى لبناء القوة المنشودة ، وهو السبيل العملى لتحقيق مستوى من الاكتفاء الذاتى الذى لا يجعل الأمة فى مهب التقلبات السياسية والمصالح الاستراتيجية الدولية أو تحت رحمة الاحتكارات الدولية .

ثانياً : العناية الفائقة بالبحث**والتطوير ..**

فكما أن اعتماد الأمة على مواردها وحشدها وحسن استغلالها فى اطار التكامل يحقق قدرا من الاكتفاء الذاتى ، فان عناية الأمة بالبحث العلمى والتطوير تشخذ همة علمائها وخبرائها ، وتستخرج من قرائحهم من الاختراعات والمبتكرات ما يدعم قوة الأمة ويدفع تقدمها .

فقل رب وفق للعظام أمتى
وزين لها الأفعال والعزمات (١)

لسواء محمد جمال الدين محفوظ

بل لا بد من أن تتجه الأمة الى « الصناعة الثقيلة » أو « التصنيع الثقيل » . لأنه بدونها لا يمكن صناعة الأسلحة الثقيلة كما قدمنا .
ثالثاً : اقامة « صناعة الحديد والصلب » باعتبارها تشكّل الأساس لقيام الصناعة الثقيلة .

ذلك هو المدخل الصحيح لبناء القوة الحقيقية ونستطيع أن نستوحى معالم هذه القوة من الآلة انكريمة حول الحديد :

١ - فهو أساس القوة الحربية فى مجال الحرب « فيه بأس شديد » .

٢ - وهو أساس التنمية الاقتصادية وتقدم الأمة عامة « ومنافع للناس » .

وطريق الأمة الاسلامية نحو تحقيق هذه الغاية ليس مفروشا بالورود ، لكنه طريق صعب فى عصر التكتلات والصراعات الذى نعيش فيه كما قدمنا ، ولا سبيل - فى رأينا - لتخطى هذه الصعاب الا باتباع ما يلى :

الصيام ③ القرآن

الاستاذ عبد الحميد الفضالي

تشتد حاجة القارئ اليه ، وتزيد به فائدته ، أو افادته — فى ايجاز يحتمله المقام ، بقدر المستطاع ، وبمشيئة الله .

ان الصيام عبادة شرعها الله للمؤمنين من أمة محمد — صلوات الله وسلامه عليه — كما شرعها الله للمؤمنين من قبلهم .. وقد نصت على ذلك آية فى كتاب الله .

وكان الصيام فى الاسلام ركنا من أركانه الخمسة التى يقوم عليها بناؤه ، ويتم رواؤه ، وتلاؤه أضواؤه ، فتستتير بها ظلمات الحياة ، وتنضح معالم الطريق الى الله ، الحق الذى جاء من عند الله .. فيهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات

انها كلمة تدور حول الصيام ، كعبادة لها وزنها وخطرها بين سائر العبادات .. وفيها اشارة خفيفة لبعض آثار العبادات فى سلوك المكلفين بأدائها ، فى حياتهم ، وعاقبة أمرهم ، بعد مماتهم .. كما أن بها القاء بعض الأضواء على أن القيام بالواجبات ، فى أداء العبادات ، واجتناب المنهيات ، وطاعة الله — انما هو لمصلحة الخلق ، لا لمصلحة الخالق ... سبحانه ..

وقد يكون فى هذا الذى ذكرت .. وفى غيره مما سأذكره — استحضار لقلوب بعض القارئ لموضوع « الصيام فى القرآن » — قبل أن أتحدث لهم عما جاء فى آيات الكتاب الكريم ، عن الصيام بخاصة .. وعن بعض ما ترشد اليه هذه الآيات وتدل عليه ، مما قد

وانه لکنز ثمين وتراث عظیم ،
حرص علیه المسلمون الأوائل ،
وفهموه حق الفهم ، وطبقوه خير
تطبيق ، على ضوء ما بينه وجلاه
- کتاب الله ، وهدى رسول الله ،
فكتب الله لهم السيادة والعزة والخير
العميم فى جنات الحياة .. وكانوا
بحق خير أمة أخرجت للناس ،
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنکر ،
وتؤمن بالله .

والصيام يقصد به ، كما يقصد
بسائر العبادات - تربية المسلم ،
وتهذيب نفسه ، واصلاح شأنه ،
واصحاح بدنه ، واضاءة شأنه ،
وتطهير لسانه ، وترقيق مشاعره ،
والارتقاء بها عن الدنيا ، والارتقاء
بها الى السمو ومكارم الأخلاق ..
فبيذل المسلم - عن طيب خاطر -
من خير الله ، على من حوله من
عباد الله ، ويكف أذاه عن سواه ،
وعما سواه .. من كل ما يحيط به ،
من الناس ، والدواب ، والأنعام ،
والطير ، والشجر والزرع .. وفى
كل ما ينبغى صيائه ورعايته .. وفى

الى النور باذنه ، ويهديهم الى
صراط مستقيم .. صراط الله الذى
له ما فى السموات وما فى الارض .
ألا الى الله تصير الامور .

هذه الأركان التى قام عليها
بناء الاسلام ، هى ما نص عليه
الحديث الشريف :

« بنى الاسلام على خمس :
شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله .. واقام الصلاة ..
وايتاء الزكاة .. وصوم رمضان ..
وحج البيت من استطاع اليه
سيلا .. » . وانه لبناء شامخ
لا يطاوله بناء ، فى كماله وتمامه ،
وفى نقائه وصفائه ، وفى رسوخه
وبقائه .. حتى يرث الله الارض
ومن عليها ..

وحسبك أنك ترى فيه التوحيد
الخالص الذى لا يخالطه شرك .
والعبادات الشاملة الصادقة التى
لا يعترئها قصور ، ولا يشوبها
كذب .. والمعاملة الأمينة الكريمة
التي لا يدنسها لؤم ، ولا يشوه
جمالها غرض ، أو يقبح صورتها
تفاق .

كل أمانة توكل اليه ، أو عمل يسند اليه .. فيكون أداؤه له متقنا ، لا خلل فيه ولا نقص ، بقدر ما يتسع له الجهد .. فان الله يحب اذا عمل أحدنا عملا أن يتقنه .. كما ورد فى حديث شريف لرسول الله ..

وبهذا لا تجد فى المجتمع الاسلامى الصادق - قويا تطفيه قوته .. أو غنيا يفسده غناه .. أو محتاجا يريق ماء وجهه بالسؤال ، أو يمد الى الناس يده ، أو فقيرا يحقد على من حوله من الأغنياء ..

فالجميع فى مجتمع الاسلام الصحيح - أسرة واحدة ، متعاونة ، متكافلة .. مجتمع يؤمن بالله وباليوم الآخر وبالثواب والعقاب ، وبالجنة والنار - ايمانا لا يزغزه شك ، فلا تغره حياة الدنيا ، ولا يظلم الناس شيئا ، ولا ينسى الموت أبدا ، فقد يجيئه بغتة ، وهو على أتم ما يكون صحة وشبابا ، فلا يصدده عنه مال و ثراء ، أو جاه وسلطان ، فكل ذلك عارية مستردة ، لا دوام لها ولا أمان .. ولذا يقول الله : « وأتقوا مما جعلكم

مستخلفين فيه » .. فنحن مستخلفون فى هذه الأموال ، فهى فى أيدينا اليوم ، وغدا فى يد غيرنا .. وليس للانسان من ماله الا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأبقى .. كما يقول سيدنا رسول الله .. فالحياة فى الدنيا أيام معدودة ، وساعات محدودة ، عند انقضائها تلف أعمال الانسان ويطوى سجله ، ويحال بينه وبين هذه الدار ، ويؤخذ به الى دار القرار .. فاما دار انس وبهجة ، واما دار شقاء ووحشة .. انه قد وضع فى صحراء مقفرة لا أنيس بها ولا جليس ، بل يتركه الناس وحده ، حتى أقرب الناس اليه ، وأحبهم لديه . يتركونه وقد أظلم عليه الليل ودنت منه الوحوش ، واختلط بلمحه الديدان ..

فمن يا ترى ينجيه من بأس الله ، ويؤنسه فى دار غربته ، ويخفف من كربه ؟!

اللهم لا شئ الا عمل صالح قدمه فى دنياه ، فهو أنيسه فى قبره وأخراه ..

ولذا يقول الله : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » •

ويخوفنا رسول الله عاقبة أمرنا فى دنيانا وآخرتنا ، فيقول : « البر لا يلبى ، والذنوب لا ينسى ، والديان لا يموت ، اعمل ما شئت كما تدين تدان » •• ويقول الشاعر العربى الزاهد :

صاح شمر ولا تزل ذاكر المو

ت فنسيانه ضلال مبين ! !

ليس لله فى عبادته مصلحة :

وأحب أن يكون مفهوما ان الله سبحانه وتعالى - ليستله مصلحة فى حمل الناس على الصيام ، ولا على غيره من سائر العبادات والتشريعات التى شرعها لخلقهم •• لأنه سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة من اطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه •• وانما الخير كله يعود على عباده الذين خلقهم ، وهو أعلم بهم ، « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ، فهو سبحانه ، فى أوامره ونواهيه ، وتشريعاته

للناس ، وتكليفهم بعبادته على ضوئها ، ودعوتهم الى الالتزام بها ، فى أعمالهم ومعاملاتهم وسلوكهم - انما يضع لهم صمامات أمن لهم ، تقيهم ما يضرهم ولا ينفعهم ، وتجعلهم صالحين لخلافته فى الأرض ، يقيمون الحق والعدل ، وينشرون الخير ، ويحاربون الشر فى نفوسهم ، ومجتمعاتهم ، فى كل زمان ومكان ، ما وسعهم ذلك • حتى يرث الله الأرض ومن عليها ••

ان الخير كله فى طاعة الله فيما ارتضاه •• والشر كله فى عصيانه فيما شرع صياما ، أو غير صيام •• وان ذلك الخير وذلك الشر - من المؤكد أنه يصيبنا فى عاجلنا وآجلنا ، فى حياتنا وبعد مماتنا • أليس الله سبحانه وتعالى يقول : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » • ويقول : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم ان كيدى متين » •

ولن يخلف الله وعده • قال

ولذلك نجد فى ختام تلك الآيات
- الروائع من هذه العبارات :

- « لعلكم تتقون » .
- « لعلهم يتقون » .
- « لعلكم تشكرون » .
- « لعلكم تفلحون » .
- « وذلك هو الفوز العظيم » .
- « ان الله كان عليما حكيما » .
- « والله عليم حكيم » .
- « والله بكل شئ عليم » .
- « ان الله كان بكم رحيمًا » .
- « ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

- « لعلكم ترحمون » .
- « وما ربك بظلام للعبيد » .
- « فأولئك هم الفائزون » .
- « ان الله عنده أجر عظيم » .
- .. الخ .

كما يبين سبحانه وتعالى أنه
لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
أنفسهم يظلمون .. فيخوفنا عاقبة

تعالى : « وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفهم فى الارض كما استخلف
الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم
دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمنا .. » . فالعمل
الصالح ينفعنا فى حياتنا ، وينفعنا
بعد موتنا .. بل ينفع ذريتنا من
بعدنا .. قال تعالى : « وأما الجدار
فكان لغلामين يتييمين فى المدينة
وكان تجته كنز لهما ، وكان أبوهما
صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما
ويستخرجا كنزهما رحمة من
ربك » .

ولذا ، فإن الله سبحانه وهو
العليم الخبير - حرصا علينا ،
ورأفة بنا - يرغبنا دائما فى طاعته ،
وتنفيذ أوامره ، واجتناب نواهيه ،
والتزام شريعته ، فى كل آية يكون
فيها أمر ، أو نهى ، أو تشريع ، أو
استجابة لما تدعو اليه . لأن ذلك
يحقق لنا الخير والسعادة ، والفلاح ،
والتقوى التى هى القوة والعصمة
والأمن والوقاية من كل سوء ..

الصيام أبعد العبادات عن نفاق
الخلق :

ان الصوم هو العبادة الوحيدة
التي لا يمكن أن يتقرب بها عبد
لعبد .. وانما يتقرب بها الى الله
وحده لا شريك له .. فهي عبادة
خالصة له من دون الناس ..
عبادة لا ترضى مطامع الطامعين من
البشر ، ولا تشبع شهوات ذوى
الشهوات الدنيا من بنى الانسان .

أما غير الصيام من العبادات ..
فقد تستخدم فى غير ما خلقت له .
فى مجالات النفاق .. وفى تحقيق
مآرب دنيوية .. لا تجلب نفعا ،
ولا تطيل عمرا ، ولا تنجى من عذاب
الله .. « يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من أتى الله بقلب سليم » .
« يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه
وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه » .

فالزكاة مثلا ، وهى شرعا اخراج
المال لله وفى سبيل الله ، ابتغاء
مرضاته - قد يخرجها انسان ،
اكتسابا لشهرة ، أو طلبا لحماية ،
أو حصولا على مغنم ، أو وصولا

ظللنا لأنفسنا ، بمخالفتنا لشرعه ،
وعصياننا لأمره ونهيه ، وسيرنا
وفق أهوائنا ، واستعباد شهواتنا
لنا .. ولذلك نراه سبحانه ينذر
العاصين بقوله : « ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فيها وله عذاب مهين » .

ويقول فى ختام آيات المخالفة
والعصيان :

« نصله جهنم وساءت مصيرا » .

« وله عذاب مقيم » .

« وله عذاب أليم » .

« انه لا يفلح الظالمون » .

« أولئك هم الخاسرون » .

« انه لا يحب المعتدين » .

« فذوقوا العذاب بما كنتم

تكفرون » .

« ذلك بما قدمت أيديكم وان

الله ليس بظلام للعبيد » .

« واتقوا الله ان الله شديد

العقاب » .

ولكننا نرى بين الناس الذين
يحنون جباههم وهاماتهم فى
الصلاة - من يحنى هامته لغير الله،
من عباد الله الذين لا يملكون له
نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة -

نفاقا لهم أو خوفا منهم ، أو طمعا
فى دنيا يصيبها من ورائهم ..
وكثيرا ما نراه يركع لهم ، ويسجد
فى لقاءهم واستقبالهم .. ويلقى على
مسامعهم من الكلمات ما لا ينبغى
أن يقال الا لله .. كأن يقول
لأحدهم : أنا عبدك .. أو أنت
القاهر لغيرك .. أو أنت المعز
المذل .. أو القادر على كل شئ

فأنت الذى أغنيته بعد فقر ،
وشفيتنى بعد مرض ، وأحييتنى
بعد موت .. مع أن الذى يملك
ذلك كله ، وفوق ذلك كله - هو
الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ،
الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن
له كفوا أحد .

وكذلك الأمر فى عبادة الحج :
فكثيرا ما يكون الهدف منه ، أو
الدافع اليه - المباهاة والافتخار ..
أو المناذاة بقلب (الحاج) .. أو

الى منصب .. أو ابتغاء لثناء
الناس عليه .. وفى كل ذلك لا
ثواب له فيها ، وانما يلقى بها فى
النار ، لأنه قصد بها وجه الشيطان،
ولم يقصد بها وجه الله .

ومن ذلك الضلال المبين -
ما يخرج أصحاب الأموال من
أموالهم ، تقربا لعظيم .. أو
اعلانا لولائه لرئيس أو ملك -
انتظارا لوسام يحصل عليه ، أو
وزارة تسند اليه .

ولكننا لم نر أحدا من الناس
يصوم لأحد من الناس .

وذلك بعض مفهوم قول الله تبارك
وتعالى فى الحديث القدسى : « كل
عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى
وأنا أجزي به » .

والصلاة ، وهى الصلة بين العباد
وربهم - المفروض لقبولها أن
تكون خالصة لله وحده ، خشوعا
وخضوعا ، واحناء جباه ، وركوعا
وسجودا ، ودعاء وتسبيحا ،
وتكبرا واستغفارا ، واستغراقا
مع الله ، لا يشغل المصلى سواه ،
ولا يبعده عن الحق هوامه .

شره ، وشر نفوسنا • اللهم
آمين •

ان المؤمن الذي يروض نفسه
على الابتعاد عما أحل الله أثناء
صومه ، وتحقق له النجاح في
رياضتها وفطامها - انما يرتقى
بها الى أعلى درجات الامتثال لأمر
الله واجتناب ما حرم الله •• فيعيش
في أمن وأمان ، ما دام على قيد
الحياة •

وان الذين يسهرون ليلهم في
عبث ولهو ، ثم ينامون نهارهم ،
وهم قادرون على العمل والاتاج -
لا ثواب لهم من صيامهم ••
فالرسول وهو الاسوة الحسنة ،
وكذلك الراشدون من صحابته ••
كانوا رهبانا بالليل وفرسانا
بالنهار •• فقد غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم -
غزوة بدر الكبرى في رمضان ••
وفتح مكة كذلك في شهر رمضان •
واتتصارنا في (حطين) كان في
رمضان •• واتتصارنا على اسرائيل
كان في رمضان •

استغلال هذا اللقب في أن يكتب
قبل كتابة اسمه ، في بطاقته وعلى
لافتته فيخدع الناس بحجه •• وما
أكثر ضحاياهم من المتعاملين معه •
فهل يتقبل الله حج هؤلاء
وأمثالهم ؟ ! !



الصيام نشاط وعمل وتوبة
ومجاهدة :

ان الصيام ليس نوما وكسلا ،
ولا راحة واسترخاء ، وليس اجازة
يستريح فيها الصائمون - (سواء
أكان الصيام فريضة ، أم واجبا في
أداء كفارة ، أو تطوعا ونافلة ••) -
وانما هو عبادة ورياضة ، ومجاهدة ،
وعمل واتاج ، وتدريب سليم
محكم ، للامتناع (عما أحل الله) ،
من الطعام والشراب والنساء ،
ليكون بعد فترة ، تطول أو تقصر ،
مؤهلا للامتناع (عما حرم الله)
طوال العام - من باب أولى ••
فتقوى به ارادة المؤمن ، ويتحرر
من عبوديته لأهوائه ونزعاته ،
وللشيطان الرجيم - وقانا الله

هذا ...

مخصوص ، كما جاء فى كتب
اللغة •

وان كلمة الصيام يراد بها فى
اللغة مطلق الامساك •

وأوضح ذلك الفقهاء فقالوا :
انه امساك عن الطعام والشراب
والرغبات الجنسية •• من طلوع
الفجر الى غروب الشمس •

فالممسك عن الطعام صائم ، وعن
الماء صائم ، وعن الكلام صائم ،
وعن الكتابة صائم ، وعن القراءة
صائم ، وعن النكاح صائم ••

ثم أعود ...

ثم أعود الى عنوان المقال :
« الصيام فى القرآن » فأقول :

وجاء فى القرآن الكريم : « انى
نذرت للرحمن صوما » •

ان الصيام ورد ذكره فى القرآن
الكريم فى ست سور فقط من سور
البالغ عددها (مائة وأربع عشرة
سورة) •

قال ابن عباس : أى صمتا ••
فالصمت صيام ، لأنه امساك عن
الكلام ••

وهذه السور الست هى : سورة
البقرة ، وسورة النساء ، وسورة
المائدة ، وسورة مريم ، وسورة
الأحزاب ، وسورة المجادلة •

ومن طريف ماقرأت أن (رمضان)
اسم من أسماء الله تعالى ذكره ••
ومن هنا لا يجوز أن يقال رمضان
مجردة ، اذا اريد بها الدلالة على
الشهر ، وانما يقال : شهر رمضان،
أى شهر الله ••

أما الآيات التى ورد فيها لفظ
الصيام أو ما اشتق منه •• فعدها
احدى عشرة آية فقط ، من آيات
القرآن الكريم •• وعددها (ست
وثلاثون ومائتان وستة آلاف
آية » •

جاء ذلك فى كتاب : « مروج
الذهب للمسعودى » •

ولست أدري من أين جاء بهذا
الكلام ؟!

أما الصيام شرعا •• فهو امساك

الله - تفهم الآيات بوجه عام ، وفقه ما تدل عليه وترشد اليه •• وعرض ما تشتد الحاجة اليه ، ويسهل تقبله ، رجاء الاهتداء به ، والافادة منه • وعملا بالحكمة القائلة : « ما لا يدرك جله لا يترك كله » •

وأرجو أن يرزقنا الله جميعا اخلاص النية ، وسلامة الطوية •• واخلاص العمل ، فيما نأتى وندع وأن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم •• انه نعم المولى ونعم النصير •

نصوص الآيات :

أولا :

قال تعالى فى سورة البقرة :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » •

« أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان

وهذه الآيات الاحدى عشرة موزعة كالآتى :

خمس آيات فى سورة البقرة • وأرقامها : (١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ثم ١٨٧ ، ١٩٦) •

وآية واحدة فى سورة النساء هى الآية (رقم ٩٢) •

وآيتان فى سورة المائدة ، هما الآيتان : (رقم ٧٩ ، ٩٥) •

وآية واحدة فى سورة مريم ، هى الآية : (رقم ٢٦) •

وآية واحدة فى سورة الأحزاب ، هى الآية : (رقم ٣٥) •

وآية واحدة فى سورة المجادلة ، هى الآية : (رقم ٤) •

وأرى من الخير تدوين هذه الآيات ، بنصوصها ، كما وردت فى كتاب الله - تيسيرا على القارئ ، فى متابعة المعانى وتفهمها ، وتحقيقا للنائدة المرجوة ، بقدر المستطاع ، فى سهولة ويسر •

أما من ناحيتى فسأحاول بتوفيق

(الآية ١٨٧ » من البقرة •

ويقول سبحانه :

« وأتموا الحج والعمرة لله ،
فإن أحصرتم فما استيسر من
الهدى ، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى
يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم
مريضا أو به أذى من رأسه ففدية
من صيام أو صدقة أو نسك ،
فإذا أمتتم فمن تمتع بالعمرة إلى
الحج فما استيسر من الهدى ، فمن
لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج
وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة
كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله
حاضري المسجد الحرام ، واتقوا
الله ، واعلموا أن الله شديد
العقاب » •

(الآية ١٩٦) من البقرة •

ثانيا :

أما آية سورة النساء ، فقوله
تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا
الخطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة
إلى أهله إلا أن يصدقوا ، فإن كان
من قوم عدو لكم وهو مؤمن ،

كنتم تعلمون • شهر رمضان الذي
أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان ، فمن شهد
منكم الشهر فليصمه ، ومن كان
مريضا أو على سفر فعدة من أيام
آخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر ، ولتكمّلوا العدة ،
ولتكبروا الله على ما هداكم ،
ولعلمكم تشكرون » •

(وهى الآيات : ١٨٣ ، ١٨٤ ،
١٨٥) من سورة البقرة •

ثم يقول سبحانه :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث
إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم
لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم
تختانون أنفسكم فتاب عليكم
وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا
ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من
الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا
الصيام إلى الليل ، ولا تبashروهن
وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك
حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين
الله آياته للناس لعلهم يتقون » •

متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم،
يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ
الكعبة ، أو كفارة طعام مسكين ،
أو عدل ذلك صياما ، ليزوق وبال
أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد
ففيستقيم الله منه ، والله عزيز ذو
انتقام » •

(الآية ٩٥) من المائدة •

رابعاً :

وأما آية سورة مريم ، فهي قوله
تعالى مخاطباً مريم عليها السلام :
« فكلى واشربى وقرى عينا ،
فما ترين من البشر أحدا فقولى
انى نذرت للرحمن صوما فلن
أكلم اليوم انسيا » •

(الآية ٢٦) من سورة مريم •

خامساً :

وأما آية سورة الأحزاب ، فقوله
تعالى :

« ان المسلمين والمسلمات ،
والمؤمنين والمؤمنات ، والقائتين
والقائتات ، والصادقين والصادقات ،

فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من
قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية
مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة
مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله
عليها حكيما » •

(الآية ٩٢) من سورة النساء •

ثالثاً :

وأما آيتا سورة المائدة فهما كما
يلى :

قال تعالى :

« لا يؤاخذكم الله باللغو فى
ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان ، فكفارته اطعام عشرة
مساكين من أوسط ما تطعمون
أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير
رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة
أيام ، ذلك كفارة ايمانكم اذا حلقتم
واحفظوا ايمانكم ، كذلك يبين الله
لكم آياته لعلكم تشكرون » •

(الآية ٨٩) من سورة المائدة •

ويقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا
الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم

ما أنا شاعر بشدة الحاجة إليه ،
غذاء شافيا ، ودواء ناجعا ، لكثير
من أمراضنا وعللنا •• وبخاصة مما
توحى به الآيات فى مجالات
الصيام •• وما يتصل بها ••
ووضعها بالنسبة لما حولها •• وكل
ما أرى فيه اتماما للفائدة ،
بمشيئة الله •

صيام الفريضة :

تكلمت فى الآيات الأربع الأولى
من سورة البقرة - وفق تدوينها
السابق • وسألتزم فى الكلام عنه
بما جاء فى النص القرآنى -
احتراما لعنوان المقال •• الا فيما
يتعلق بتوضيح بعض الحقائق ••
أو تصحيح بعض المفاهيم •• كما
أشرت الى ذلك من قبل ••

والمراد بصيام الفريضة - صيام
شهر رمضان الذى أنزل فيه
القرآن •• وهو ركن من أركان
الاسلام التى قام عليها بناؤه •• كما
نص على ذلك حديث « بنى الاسلام
على خمس •• » •

والصابرين والصابرات ، والخاشعين
والخاشعات ، والمتصدقين
والمتصدقات ، والصائمين
والصائمات ، والحافظين فروجهم
والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة
وأجرا عظيما •

(الآية ٣٥) من سورة الأحزاب •

سادسا :

وأما آية سورة المجادلة ، فهى
قوله تعالى :

« فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل أن يتاسا ، فمن
لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ،
ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك
حدود الله ، وللكافرين عذاب
أليم » •

(الآية ٤) من سورة المجادلة •

العون من الله :

واستعين بالله ، فاقتطف من
ثمرات هذه الآيات •• ومن
أزهارها ذات الأريج العبق الفياح •

فدية « .. الى قوله : « وأن
تصوموا خير لكم » .

أما زمن الصيام ووقته ، فهو
من طلوع الفجر الى غروب الشمس .
جاء ذلك في قوله تعالى : « وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الأبيض من الخيط الأسود من
الفجر ، ثم أتموا الصيام الى
الليل » .

والمراد بالخيط الأبيض والخيط
الأسود ، بياض النهار وسواد
الليل ، كما قال الرسول صلى الله
عليه وسلم - لعدي بن حاتم ..
وقد عمد الى عقالين أبيض وأسود ،
وجعلهما تحت وسادته ، وكان يقوم
من الليل فينظر اليهما ، فلا يتبين
له الأبيض من الأسود .. فلما
أصبح ذهب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبره بما كان منه
... فضحك صلى الله عليه وسلم
وقال له : « انك لعريض القفا ،
انما ذلك بياض النهار وسواد
الليل » .

(وعريض القفا ، كناية عن
بلاهة الرجل وقلة فطنته » .

وقد أوضحت الآيات هذه
الفرضية ، في قوله تعالى : « كتب
عليكم الصيام » أى فرض .

وحددت مدته وزمنه ، في قوله :
« أياما معدودات » وقوله : « شهر
رمضان ... » الى قوله : « فمن
شهد منكم الشهر فليصمه » ..
فالمفروض صيام أيام شهر رمضان .
والمراد بشهود الشهر ، أن يكون
المكلف مقيما غير مسافر في
الشهر .

أما المسافر ، فقد رخص له
بالإفطار ، اذا شاء ، وعليه
القضاء .

كذلك المريض الذى يرجى برؤه ،
يفطر وعليه القضاء .. بدليل قوله
تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو
على سفر ، فعدة من أيام أخر » ..

أما الذى يطيق الصيام ، أى
يحمله بمشقة ، فله أن يفطر ، ويقدم
فدية ، اطعام مسكين عن كل يوم
يفطره .. وله أن يصوم ، وصيامه
خير له من الإفطار .. بدليل قوله
تعالى : « وعلى الذين يطيقونه

المباشرة لقضاء الشهوة وحدها هدفكم ، ولكن لابتغاء ما وضع له النكاح من التناسل .. فذلك هو الأليق بالمؤمنين ، فى رمضان وفى غير رمضان .

وقد ذكرت الآيات المفطرات الحسية التى يبطل بها الصيام فى نهار رمضان ، وهى الأكل والشرب ، ومباشرة النساء .. فقد أباحتها لنا فى الليل ، وحرمتها علينا فى النهار (من طلوع الفجر ، الى غروب الشمس) .. الا من أكل أو شرب ناسيا ، فانه لا يبطل صيامه .. لأنه رزق ساقه الله اليه ، كما أخبرنا بذلك سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

فهل هذه المفطرات الحسية هى وحدها التى يفسد بها الصيام ويبطل ؟ ! ان للصوم مفطرات معنوية يغفل عنها كثير من الناس . ومن ذلك ما جاء فى قول الرسول : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » اذن منها قول الزور ، والعمل به .. وتأكد هذا المعنى فى

فكلمة « من الفجر » تشعر بأن المراد بياض النهار وسواد الليل ، لأنهما بيان للخيط الأبيض .. واكتفى به عن بيان الخيط الأسود ، لأن بيان أحدهما بيان للثانى .. لكن طاقة عدى بن حاتم من الفهم لم تكن تحتل هذا الإدراك .. « ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » . ان الخيط الأبيض هو أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الأفق كالخيط الممدود .. والخيط الأسود ما يستد من غبش الليل .. شبها بخيطين أبيض واسود .

ثم آية : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » : أباحت مباشرة الرجال لنسائهم . فى ليالى رمضان .. وكانت المباشرة من قبل الاباحة مستقبحة حدوثها من النساء .

ومع اباحتها عبر القرآن عنها (بالرفث) وهو الفحش للاشعار بأنها عمل حيوانى لا يستأهل أن يقصده الصائون لذاته .. يؤكد هذا النهى قوله تعالى : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، أى لا تجعلوا

ان الكذب يفطر الصائم ، لأنه خلق وضيع خسيس لا يليق بانسان ، ولأنه يتعارض مع حقائق الايمان . فقد سئل رسول الله : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : قد يكون .. وسئل : أيكون جباناً ؟ قال : قد يكون .. ولكن لما سئل صلى الله عليه وسلم : أيكون كذاباً ؟ قال : لا .. ولما سئل : أيكون خائناً أو غداراً ؟ قال : لا ذلك ان الاسلام عقيدة وشريعة ، والعقيدة تتطلب الصدق .. والشريعة تتطلب أمانة التنفيذ .

فالكذب يفسد من غير شك صيام الصائمين .. وبخاصة أولئك الذين لا ينبعث صيامهم عن ايمان به ، أو رغبة صادقة فيه .. اذ لو صادقين في صيامهم ما كذبوا أو لو كانوا مؤمنين حقاً ما كذبوا ..

ولذا يقول الرسول في حديث شريف : « واياكم والكذب ، فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار .. وان الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

قوله الشريف : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » . ان هناك من المعاصي ما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من التلبس به مع الصيام ، وبالغ في شأنه . حتى عده من المفطرات ، تهويلاً لشأنه ، وإشارة الى أنه لا يناسب حال الصائم الذي يرجو رحمة ربه ، ويخشى غضبه واثقاه . وقد بينها رسول الرحمة والرفقة في حديثه الشريف حتى لا تقربها ، وأملاً في أن يتقبل الله منا صيامنا ، فلا ينقص أجرنا منه .. أو ابقاء على صيامنا سليماً مبرأ مما يسخط الرب فهو سبحانه لا يصلح عمل المتفسدين .. وهو طيب لا يقبل الا طيباً .. وانما يتقبل الله من المتقين .

ولذا فان رسول الله يقول : « خمس يفطرن الصائم : الكذب ، والغيبة ، وشهادة الزور ، واليمين الغموس ، والنظرة الفاجرة أو الآثمة » ..

ولعل من الخير الوقوف حيالها بعض الوقت :

أو تضيع ثواب الصيام .. فهي
تقلب الحق باطلا ، والباطل حقا ..
وتختل بها موازين الحق والعدل .
ان شاهد الزور مصيبيته كبرى ،
فقد بلغت به القحة والخسة
والسفاهة - أنه يكذب على
نفسه ، فيغشها ويتبع هواها ، ولا
يبالي بما يحملها من آثام .. ويكذب
على القاضى ويضلله ليحكم بغير
الحق .. ويكذب على المشهود
عليه فيظلمه ويضيع حقه .. فهل
مثل هذا يقبل الله صيامه ؟ !

ان رسول الله حين سئل عن أكبر
الكبائر قال : الاشرار بالله ،
وعقوق الوالدين ، وكان متكئا
فجلس ، وأخذ يقول : وشهادة
الزور .. ألا وقول الزور .. وأخذ
يردها حتى قالت الصحابة : ليتنا
ما سألناه .. شفقة به صلى الله
عليه وسلم .

واليمين الغموس : تضيع ثواب
الصيام .. أو هي من مفطرات
الصائم .. وسميت غموسا ، لأنها
تغمس صاحبها فى نار جهنم ..
كالذى يقسم بالله على شيء هو

والغيبة : وهى ذكر أخاك بما
يكره فى غيبته بما هو فيه - تفطر
الصائم .. فما بالك لو ذكر أخاه
المسلم بما يكره بغير ما هو فيه ..
انه من باب أولى يفطر الصائم ،
لأنه أضاف الى اغتيابه بهتاناً ..
والبهتان أشنع ألوان الكذب ..
فهو كذب يحمل فى طياته ارادة
النصيحة للمكذوب عليه .. فيكون
من يتظاهر بالصيام - قد جمع
بين ظاهرتين قبيحتين ، تبطل
كل واحدة منهما صيام الصائم
(كذب ، وغيبة) فما بالك
باجتماعهما فى انسان يتظاهر
بالصيام ، وهو كذاب ومغتتاب ..
ان بطلان صيامه من باب أولى .
ان الرسول قد سئل فى الغيبة عن
يذكر أخاه بما ليس فيه .. فكان
جوابه صلى الله عليه وسلم : ان
ذكرته بغير ما فيه فقد بهته ، أى
كذبت عليه وفضحته بما ليس فيه .
وليس هذا من خلق الاسلام
والمسلمين .. فالمسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده ..
وشهادة الزور : تفطر الصائم ،

كرامة الحسين .. وأين نحن من
هذه الكرامة ..

ان اليمين الغموس لا غرابة في
أنها تقطر الصائم ..

والنظرة الفاجرة أو الآثمة :

انها تقطر الصائم .. أو تضيع
ثواب الصوم .

وهي التي أشار الى مثلها الخليفة
عمر ، أو عثمان .. حين دخل عليه
جماعة ، وفيهم من نظر الى امرأة
بشهوة في الطريق .. فقال : يدخل
على أحدكم وأثر الزنى باد في
عينه ..

ف قيل له : أوحى بعد رسول
الله ؟ ! فقال : لا فراسة المؤمن
الذي يرى بنور الله ..

اذن هي النظرة الزانية ..
يقول الرسول : « وزنى العين
النظر » .

ويقول الرسول كرم الله وجهه :
« يا على لا تتبع النظرة النظرة ،
فالأولى لك والثانية عليك » ...
ويقول الله في الحديث القدسي :

يعلم أنه كاذب .. انه يحلف بالله
وهو متعمد الكذب .. كأنه لا يبالي
بربه ، ولا يخاف بأسه ، ولا يخشى
عذابه .. هذه اليمين يضج لها
عرش الرحمن جل جلاله .. من
هولها .. ومن جرأة الذين
لا يخشون الله فيحلفون باسمه
كذبا ..

يقولون ان الحسين رضى الله عنه
كان له درع عند رجل .. أو سيف
.. فلما راح يطلبه منه أنكره ..
فتقاضيا .. وطلب الحسين من
الرجل أن يحلف اليمين .. فأراد
الرجل أن يشنى على الله أثناء الحلف
فمنعه الحسين .. وطلب منه أن
يقسم القسم المجرد .. فما كاد
الرجل يحلف بالله وهو كاذب ، حتى
خر ميتا .. فسأله القاضى عن
السرفى هذا ..

فقال له الحسين : خفت أن يشنى
على الله فيرحمه .. وأردت أن
يقسم القسم المجرد وهو كاذب
لينتقم الله منه .. وقد كان ..
انتقم الله منه وسقط ميتا .. لكنها

صيام الفدية ، أو كفارة التحلل من
الاحرام :

أما الآية الباقية من آيات سورة
البقرة الوارد فيها الصيام ، فهي
الآية المبدوءة بقوله تعالى :
« وأتموا الحج والعمرة لله ..
البح » .

فالصيام الوارد فيها جاء مرتين :
مرة أولى ، فى قوله تعالى : « فمن
كان مريضا أو به أذى من رأسه
ففدية من صيام أو صدقة أو
نسك » .

ومرة ثانية ، فى قوله : « فمن
لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج
وسبعة إذا رجعت ، تلك عشرة
كاملة » .

فالصيام فى المرة الاولى -
هو صيام ثلاثة أيام ، كفدية يقدمها
المحرم الذى تحلل من احرامه ،
بحلق شعر رأسه ، بسبب المرض
أو الأذى الذى أصابه ، من قمل
أو جراحة .

وهو صيام على التخيير ، وليس
لازما .. فمن حقه أن يفدى

القلوب ، يعظ النفوس ، ويجلو
العقول ، وربنا من قبل ومن بعد ،
أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى
قلبه » .

فهل نحن نعى هذه الامور
المنعوية ، ونعنى بها عنايتنا
بالمفطرات الحسية ..

ألا ما أكثر المفطرين فى نهار
رمضان .. وهم لا يشعرون .

ثم ماذا ؟

ثم يختم الله هذه الآيات بقوله :
« كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم
يتقون » .. ألا ما أشد علاقة الصوم
بالتقوى للصائمين حقا .. فهو
جنة ووقاية .. وهو امتثال صادق
لأمر الله بالامتناع عما ألفتة النفس
من حياة .. فتقوى ارادتها فى
مرضاة الله .. وتعيش بالحق وللحق
قوة لا تقهر ، وعزة لا تذلل وهداية
لن تضل ، وحياة باقية لا تبلى ولا
تفنى .. وإن الدار الآخرة لهى
الحيوان لو كانوا يعلمون .

بصدقة يتصدق بها على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر ••
أو يفدى بنسك وهو شاة •

وذلك الفداء خاص بمن تحلل
من احرامه ، وكان محصرا ، أى
منعه أمر من خوف ، أو مرض ،
أو عجز •

وعن كعب بن عجرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له :
لعلك أذاك هوامك ؟ قال : نعم
يا رسول الله - قال : « احلق
رأسك ، وصم ثلاثة أيام ، أو
أطعم ستة مساكين ، أو أنسك
شاة » •• وكان كعب يقول : فى
نزلت هذه الآية •

أما الصيام فى المرة الثانية ،
وهو صيام عشرة أيام (ثلاثة فى
فى الحج ، وسبعة اذا رجع) ،
فهو فدية ، أو كفارة ، لمن كان
آمنا الاحصار •• أى كان فى حالة
أمن وسعة ، ولكنه رغب فى أن
يستمتع بالعمرة الى الحج •• أى
استمتع بالعمرة الى وقت الحج ••
وهو انتفاعه بالتقرب بها الى الله
تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج •

وقيل ان المعنى انه اذا حل من
عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما
عليه الى أن يحرم بالحج - فعليه
هدى المتعة ، وهو نسك عند أبى
حنيفة ، ويأكل منه •• وعند
الشافعى يجرى مجرى الجنايات
ولا يأكل منه ••

أما ذبح الهدى ، فوقته يوم
النحر •• ويجوز ذبحه اذا أحرم
بحجه ••

فمن لم يجد الهدى ، فعليه صيام
ثلاثة أيام فى الحج ، أى فى وقته
وأيامه ، ما بين الاحرامين :
احرام العمرة ، واحرام الحج ••
وهو مذهب أبى حنيفة •• والأفضل
أن يصوم يوم التروية ، وعرفة ،
ويوما قبلهما •• فاذا مضى الوقت
لم يجزئه الا الدم •

وعند الشافعى : لا تصام الأيام
الثلاثة المطلوب صيامها بالحج ،
الا بعد الاحرام بالحج ، تمسكا
بظاهر قوله تعالى « فى الحج » ••
وأما صيام الأيام السبعة الواردة
فى قوله تعالى : « وسبعة اذا
رجعتم » ، فالمراد بقوله « اذا

صيام التوبة ، أو القبول
والرحمة :

فى آية سورة النساء المبدوءة
بقوله تعالى : « وما كان لمؤمن
أن يقتل مؤمناً الا خطأ » -
يقرر الحق تبارك وتعالى أن من
شأن المؤمن ألا يكون منه قتل
لمؤمن أبداً ، الا اذا وجد منه خطأ
من غير قصد ، بأن يرمى كافراً
فيصيب مسلماً ، أو يرمى شخصاً
على أنه كافر فاذا هو مسلم •

والآية تبين أن كفارة هذا القتل
الخطأ ، تختلف باختلاف حال
قوم من وقع عليه القتل •

فان كان من قوم مؤمنين ،
فكفارة هذا القتل شيان لا بد
منهما :

(عتق رقبة مؤمنة • ودية
تسلم الى أهله) •

وان كان المقتول من قوم
كافرين معادين للمؤمنين ، فكفارته
شيء واحد :

(هو عتق رقبة مؤمنة) •

رجعتم » أى اذا فرغتم من أفعال
الحج ، عند أبى حنيفة •• لكن
الشافعى يرى أن المراد بالرجوع :
هو الرجوع الى الأهل •

وهذا الصيام (صيام الأيام
العشرة) ، ليس صياماً على التخيير ،
كالذى كان فى حالة الاحصار ••
لكنه صيام واجب الأداء ، على من
لم يجد الهدى ، فى مقابل تحلله
واستمتاعه بما كان محرماً عليه فى
حالة الأمن •

فالهدى هنا مقدم على الصيام
فى تقديم الفداء •• ولا يلجأ الى
الصيام الا فى حالة عجزه عن تقديم
الهدى •

هذا ، والصيامان فى كلا الحالين
(حالة الاحصار •• وحالة الامن) -
عبادة لله تعالى تحمل معنى شكره
سبحانه ، فى مقابل ما وسع الله على
المتحلل من احرامه واباحته له أن
يستمتع بما كان محرماً عليه ••
وشكر الله مطلوب دائماً من المؤمنين
الصادقين •

سورة المائدة...وهي التي مطلعها :
« لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان » ..

وفيها يقرر الحق تبارك وتعالى،
أن كفارة اليمين التي عقدها
صاحبها ، أى وثقها وأكدها
بالقصد والنية ، ونكث فيها ..
هى :

اطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم
أو تحرير رقبة - على التخيير
فيها .. فمن لم يجد احداها ..
فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

وليس لكفارة اليمين غير ما ذكر
الله تعالى فى كتابه الكريم .

ومن هنا .. يظهر خطأ الذين
يسارعون بالافتاء لمن يحنث فى
يمينه ، بأن يصوم ثلاثة أيام ..
ابتداء .. فى حين يملك الحانث
أن يطعم عشرة مساكين أو
كسوتهم .. وقد يملك عتق الرقبة
.. فصيام ثلاثة ايام - لا تكون
الا لمن لا يملك الا طعام ، ولا
يستطيع أن يكسو .. ولا يقدر
على عتق الرقبة .

أما ان كان القليل من قوم بيننا
وبينهم ميثاق ، أى كفره لهم ذمة
عندنا وعهد ، كالمشركين الذين
عاهدوا المسلمين ، وأهل الذمة
من الكتائبين .. فحكمه حكم مسلم
من مسلمين .. أى كفارته :

دية تسلم الى أهله .. وعتق
رقبة مؤمنة) .. ولكن الآية الكريمة
زادت فى هذه الحالة شيئا بديلا
لمن لا يملك تحرير الرقبة ، وهو
أن يصوم القاتل شهرين متتابعين .

وقد يبدو صيام الشهرين المتتابعين
أمرا شاقا .. لكنه أمر الله العليم
الخبير بالعلاج المناسب لقبول توبة
القاتل التائب وتربيته وإيقاظه من
غفلته ، حتى لا يقع مرة أخرى فى
مثل هذا الخطأ .. فالؤمن كيس
فطن .. أو ينبغى أن يكون كذلك
بتعهده واعداده وعلاجه .. حتى
يكون جديرا باتسابه الى الايمان،
وحسابه فى عداد المؤمنين .

صيام كفارة اليمين :

وذلك فى الآية الأولى من آتى

طاعة •• أما اذا كان العكس
فالتكفير أولى •

ولذا ورد فى الحديث الشريف
« من حلف على معصية ، فليحنت
فى يمينه وليكفر » •

وورد أن « من حلف على شىء
ورأى غيره خيرا منه ، فليكفر عن
يمينه وليأت بالذى هو خير » •

ولذا ، قال الله : « واحفظوا
إيمانكم » ، أى اذا حلفتكم بها ، فلا
تنسوها تهاونا بها • ولأن التهاون
فى الحقيقة - تهاون بالمحلف به
وهو الله سبحانه ، أو باسم من
أسمائه ، أو صفة من صفات ذاته
- وهى الأمور التى لا يصح الحلف
الا بها •• والتهاون من شأنه أن
يجر الى ما لا تحمد عقباه •

فلنتق الله القائل : « ولا تجعلوا
الله عرضة لأيمانكم أن تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس » •

واذا كان الله ينهانا عن أن نجعل
الله عرضة لأيماننا فيما هو بر ،
وتقوى ، واصلاح - ففى غيره

ان الآية أوضح من الوضوح
فى هذا الأمر ، والخير كل الخير
فى أن نلتزم بما جاءنا من عند الله •

ثم ان الكسوة المطلوبة - ثوب
يغطى العورة - أو ما يعد كسوة
فى العرف •• فمن زاد كان خيرا •
وأن تصدقوا خير لكم •

والشافعى يشترط فى الرقبة
المحررة أن تكون مؤمنة قياسا على
كفارة القتل •

وأما أبو حنيفة وأصحابه ، فقد
جوزوا تحرير الرقبة الكافرة •

وينبغى أن يكون معلوما أن
التكفير قبل الحنث ، لا يجوز عند
أبى حنيفة وأصحابه •

ويجوز عند الشافعى ، تقديم
كفارة بغير صوم •• أى يجيز أن
يقدم الكفارة اذا كانت اطعما أو
كسوة ، أو تحرير رقبة •• أما
الصيام فلا يقدم •

وانى أميل الى أن نبر بإيماننا ،
ولا نحنت فيها •• وخاصة اذا كان
فى الحنث معصية ، وفى عدمه

أولى .. صيانة لاسم الله ، وتعظيما
واجبالا لشأنه جل جلاله .

صيام الكفارة فى قتل الصيد :

وذلك فى الآية الثانية من آتى
سورة المائدة .

وهى الآية التى يقول الله فيها
« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا
الصيد وأتم حرم ، ومن قتله منكم
متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم،
يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ
الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ،
أو عدل ذلك صياما » .

والتعمد ، أن يقتل الصيد وهو
ذاكر لأحرامه ، أو عالم أن ما يقتله
مما يحرم عليه قتله .. فان قتله
وهو ناس لأحرامه ، أو رمى صيدا
وهو يظن أنه ليس بصيد ، فاذا
هو صيد ، أو قصد برميّه غير
صيد ، فعدل السهم عن رميته
فأصاب صيدا ، فهو مخطئ .

والآية فى ظاهرها تفيد أن
قتل الصيد عمدا من محرم هو الذى
يعتبر ذنبا تجب فيه الكفارة . أما

القتل الخطأ فلا شىء فيه .. أخذ
بذلك الصحابى سعيد بن جبير ..
فهو يقول : لأرى فى الخطأ شيئا ،
أخذا باشتراط العمد فى الآية .

ويقول الزهرى : نزل الكتاب
بالعمد ، ووردت السنة بالخطأ ..
فكلاهما مؤاخذ به .

وعن الحسن روايتان : رواية
تتفق مع ما ذهب اليه سعيد بن
جبير .. ورواية أخرى توافق ما
ذهب اليه الزهرى .

وأغلب الفقهاء على المؤاخذه
على قتل الصيد عمدا أو غير عمد.
أخذا بما حدث فى عهد الرسول
وصحابته .

ولأن الأصل فعل العمد ،
والخطأ لاحق به للتغليط .. ويدل
عليه قوله تعالى : « ليزوق وبال
أمره ، ومن عاد فينتقم الله منه » .

والمهم بيان الجزاء ، لنصل الى
كفارة الصيام .

فالأية جاء فيها : « فجزاء مثل
ما قتل من النعم » أى فعليه جزاء
يمثل ما قتل من الصيد ..

وفى قوله : « أو عدل ذلك صياما » ، اشارة الى الطعام ، وصياما تمييز للعدل .. والخيار فى ذلك الى قاتل الصيد عند أبى حنيفة وأبى يوسف .. وعند محمد الى الحكيمين .

هذا ، ومعرفة هذه الأحكام شىء واجب ، وتنفيذها أوجب ، على كل مؤمن حريص على العلم بأحكام الله ، والسير على هداها ، ما وسعه ذلك ، حتى لا تزل به القدم ، أو ينحرف عن سواء السبيل ، فيستفحل الخطر .. ومعظم النار من مستصغر الشرر .

صيام الصمت :

يتجلى ذلك فى الآية التى خاطب الله بها السيدة مريم فى قوله تعالى : « فكلى واشربى وقرى عينا ، فاما تزين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » .

فالله يأمر السيدة مريم اذا مارأت أحدا من البشر أن تقول : « انى

وهو عند أبى حنيفة قيمة المصيد .. يقوم حيث صيد ، فان بلغت قيمته ثمن الهدى ، يخير بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد ، وبين أن يشتري بقيمته طعاما ، فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر ، أو صاعا من غيره . وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما .. فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين ، صام عنه يوما ، أو تصدق به .

واذن فالجزاء على التخيير بين الهدى ، أو الاطعام بقيمته ، أو أن يصوم يوما عن طعام كل مسكين .

وعند الشافعى ومحمد - مثله ، أى نليره من النعم .. فان لم يكن له نظير من النعم - عدل الى قول أبى حنيفة .

وقوله : « يحكم به ذوا عدل منكم » تفيد أن الذى يحكم بمثل ما قتل - حكمان عادلان من المسلمين ..

وفيه دليل على أن المثل القيمة ، لأن التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد ، دون الأشياء المشاهدة .

قيل ان الله تعالى سوغ لها
النطق بذلك •

وقيل : انها أخبرتهم بالاشارة
بما يفيد أنها نذرت الصوم •

وهذا الصيام الذى كلفت به
مريم وامثلت له - كان فيه الخير
والبركة ، والانتصار على النفس ،
وعلى السفهاء من أعدائها •

وانه لمن الخير أن نصمت حين
يجب الكلام •

وانه لمن الخير أن نصمت حين
يحسن الصمت •• وأن تتكلم حين
يجب الكلام •

الصيام من صفات الكمال :

انه لو تمثلت معانى الصيام
وحدها فى الناس سلوكا وعملا
ومعاملة ، لكنا أن نرى أنفسنا أمام
ملائكة تمشى على الأرض ، ورسل
تنطق بالحق ، وتقيم موازين
العدل ، وتشر الخير فى كل مكان
•• فما بالناس لو تجمعت فى انسان
كل صفات الكمال التى ذكرتها الآية
الكريمة من سورة الأحزاب ؟ •

نذرت للرحمن صوما» أى صمتا ••
وفى مصحف عبد الله (صمتا) ••
وعن أنس بن مالك مثله •• وقيل :
صياما •• الا أنهم كانوا لا
يتكلمون فى صيامهم •• وقد نهى
سيدنا رسول الله عن صوم الصمت ،
لأنه نسخ فى أمته •

وأمر الله السيدة مريم بأن تنذر
الصوم ، لئلا تشرع مع البشر
المتهمين لها فى الكلام •• ولأموار
ذات معان :

أولها : أن عيسى عليه السلام
سيكفيها الكلام بما يرى
ساحتها •

وثانيها : كراهة مجادلة السفهاء
ومناقلتهم ، لأن من يجادلهم ينزل
بنفسه الى مستواهم ويكون
مثلهم •

وثالثها : أن السكوت عن
السفيه واجب يوجب احترام
الانسان لنفسه •

ورابعها : ثبت أن من أذل
الناس - سفيها لم يجد مسافها •
فكيف أخبرتهم بأنها صائمة ؟

ان الآية تقول :

« ان المسلمين والمسلمات ،
والمؤمنين والمؤمنات ، والقاتنين
والقاتنات ، والصادقين والصادقات ،
والصابرين والصابرات ،
والخاشعين والخاشعات ،
والمتصدقين والمتصدقات ،
والصائمين والصائمات ، والحافظين
فروجهم والحافظات ، والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم
مغفرة وأجرا عظيما » .

فهل مثل هذه الصفات التي هي
جماع مكام الأخلاق ، والتي هي
عنوان على خير دين جاء به من عند
الله ، الرحمة المهداة ، محمد بن
عبد الله - ندعهما بدون تعليق .

ان من الخير الذي لا شك فيه ،
اتماما للفائدة - أن نشير اليها
بشيء من البيان .. وبخاصة فان
بينها صفة الصيام .. وذلك بعد
اشارة خفيفة الى ما قيل من أسباب
نزولها .

يروى أن أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم قلن يا رسول الله :

ذكر الله الرجال في القرآن بخير ..
أفما فينا خير نذكر به ؟ .. اننا
نخاف أن لا تقبل منا طاعة .. وقيل
ان السائلة هي السيدة أم سلمة
رضي الله عنها .

وروى أنه لما نزل في نساء النبي
صلى الله عليه وسلم ما نزل في آية
« يا نساء النبي لستن كأحد من
النساء ان اتقيتن فلا تخضعن
بالقول فيطمع الذي في قلبه
مرض ، وقلن قولاً معروفاً .. »
قال نساء المسلمين : فما نزل فينا
شيء .. فنزلت « ان المسلمين
والمسلمات .. الخ » .
فمن المسلم ؟

المسلم هو المنقاد للحق الذي
لا يعاند ولا يشاغب .. والمسلم
هو المفوض أمره الى الله المتوكل
عليه ، مأخوذ من « أسلم وجهه
الى الله » .

والمسلم هو الداخل في السلم
بعد الحرب .. فالاسلام سلام ،
وليس فيه أبداً عدوان .. وان
حروبه كلها كانت لرد العدوان ،

الرسول بما أنزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد
من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير » •

ومن الصادق ؟

الصادق الذى يصدق فى نيته
قوله وعمله •• يقول الرسول :
« عليكم بالصدق فان الصدق
يهدى الى البر ، وان البر يهدى
الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق
ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقا » • والصدق من صفات
الأنبياء المكرمين ، قال تعالى :
« واذكر فى الكتاب ابراهيم انه
كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا
عليا » ، « واذكر فى الكتاب
اسماعيل انه كان صادق الوعد
وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله
بالصلاة والزكاة وكان عند ربه
مرضيا » •

ومن الصابر ؟

هو من يصبر على الطاعات ،
فلا يملها ولا يضيق بها ، مهما بذل
فى سبيلها •• ويصبر عن المعاصي ،

والدفاع عن كلمة الحق ، وحريتها ،
وصيانتها من الذين يريدون وأدها
فى مهدها ، واسكات صوتها الندى
الداعى الى البر والخير والعدالة
والمساواة ، وحرية العقيدة والرأى
« لا اكراه فى الدين » •• أذن
للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله
على نصرهم لقدير •• وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله
انه هو السميع البصير » •

ومن المؤمن ؟

والمؤمن هو المصدق بالله
ورسوله ، وبما يجب أن يصدق به ،
من رسل الله وملائكته وكتبه
واليوم الآخر ، والمؤمن بالقدر
خيره وشره ، وبالجنة والنار ،
والبعث والحساب والعقاب
والثواب « يوم لا ينفع مال ولا
بنون الا من أتى الله بقلب سليم » •
« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا
وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والأسباط ،
وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى
النبيون من ربهم لا تفرق بين أحد
منهم ونحن له مسلمون » ، « آمن

فلا يضعف أمامها ، ولا ينقاد ومن الصائم ؟

لها •

ومن الخاشع ؟

هو المتواضع لله بقلبه وجوارحه
• يعرف قدر نفسه ، وقدر ربه ،
فلا يغفل عن ذكره ، ويقر دائما
بعجزه أمام قدرة خالقه ورازقه ،
ومعينه وراحمه ، ومحبيه ومميته •
ومن المتصدق ؟

هو الذى يزكى ماله ، ويؤدى
واجباته ، ولا يخل بالنوافل • فهو
يؤدى الفريضة لا يقف عند أدائها
بل يزيد عليها ويزيد ، ويعطى
المزيد ، ويتطوع بالبذل والعطاء فى
كل مجالات الخير ، ما دام قادرا •
« وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه
وهو خير الرازقين » • والزكاة
دائما بركة ونماء ، وعلاج ودواء •
« داووا مرضاكم بالصدقة » •

وقيل : « من تصدق فى اسبوع
بدرهم فهو من المتصدقين • ومن
صام البعض من كل شهر فهو من
الصائمين » • « ولا يكلف الله
نفسا الا وسعها » •

تكلمت فيه كثيرا • • وحسبى
أن أقول هنا فى ايجاز • • انه
الذى يصوم عن جميع المفطرات
حسية ومعنوية ، ويكف عن كل
ما نهى الله عنه • • ولا يقول الزور
ولا يعمل به • • ويعطى للصيام
قداسته واحترامه • • فلا يكذب
ولا يغتاب ، ولا يشهد الزور ، ولا
يحلف بالله كذبا ، ولا يزنى بعينه
• • • ثم هو الذى راض نفسه على
الصبر والمجاهدة واحتمال المشقات
وأداء الواجبات ، وانصرف بحق عن
كل ما يغضب الله • • وهو الذى
صامت جوارحه عن الأذى • • وتنزه
سمعه عن سماع الفاحشة ، وصان
لسانه عن قالة السوء ، ويده عن
البطش بها ، ورجله عن السعى بها
الى معصية ، وقلبه عن الحسد
والحقد والضعينة • • الخ الخ •
وحفظ الفرج :

صياسته عن الحرام • • والابقاء
على طهارته رغم الشيطان • • ولذا
يقول الرسول : « من يحفظ لى
ما بين فكيه ، وما بين فخذه ،

وتحميد وتذكير وتفكير ، وخشوع
وخشوع وتسليم واستسلام لله رب
العالمين ، وعلم وتعليم ..

ثم يقول الرسول : « من استيقظ
من نومه وأيقظ امرأته ، فصليا
جميعا ركعتين ، كتبنا من الذاكرين
الله كثيرا والذاكرات .. »

ويقول : « ركعتان فى جوف
الليل خير من الدنيا وما فيها » .

هذا ، وما ينطبق على الذكور
ينطبق على الاناث فى هذه الصفات
كلها .

فالآية الكريمة سوت بينهما فى
العمل ، وفى الأجر والمثوبة التى
يمنحها الله للعاملين والعاملات على
سواء .. « أعد الله لهم مغفرة
وأجرا عظيما » .. من عمل صالحا
من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنجييه
حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون » .

وأخيرا صيام كفارة الظهار :

وقد بيته الآية الرابعة من سورة
المجادلة .

أضمن له الجنة » ، وما بين الفكين
هو اللسان .. وما بين الفخذين
هو الفرج .. ويطلق على الذكر
والأنثى فيقال للرجل فرج ، وللمرأة
فرج .

وان أمة تصان فزوج أبناؤها
وبناتها ، لهى خير أمة أخرجت
للناس .

والذاكرين الله كثيرا :

الذاكر كثيرا ، هو من لا يغفل
عن ذكر الله أبدا .. فى كل
أحواله .. فى يقظته ومنامه ..
فى شدته ورخائه .. فى أعماله
ومعاملاته .. فى عبادته وصلواته
.. بقلبه أو لسانه ، أو بهما معا ..
وقراءة القرآن ذكر .. والاشتغال
بالعلم ذكر .. والدعاء ذكر ..
والصلاة فريضة ونافلة ذكر ..
ولا شك ان خير ألوان الذكر
الصلاة وقراءة القرآن .. وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم اذا
أراد أن يناجى فزع الى الصلاة ..
واذا أراد أن يناجيه ربه تلا كلام
الله .. فقد جمع الخير كله .. من
دعاء واستغفار وتسبيح وتكبير

— جاء وسطا بين تحرير الرقبة ،
واطعام ستين مسكينا •• ولا بأس
من الكلام عن هذه الكفارة بشيء
من البيان اتماما للفائدة •

فأى رقبة تجزىء فى كفارة
الظهار ؟

ان عتق الرقبة أو تحريرها ،
جاءت فى الآية مطلقة ، فتجزىء
المسلمة والكافرة على سواء ، عملا
بظاهر النص الذى لم يقيد الرقبة
بوصف الايمان •

وان كان الشافعى (رحمه الله)
لا تجزىء عنده الا الرقبة المؤمنة ،
لقوله تعالى فى كفارة القتل :
« فتحرير رقبة مؤمنة » ، فكأنه
(رحمه الله) يحمل المطلق على
المقيد •

على أن الرقبة قل وجودها ، أو
لا وجود لها فى هذه الأيام •• بعد
أن بذل الاسلام كثيرا •• وأدى
واجبه كاملا فى تحرير الرقاب ، على
مدى أربعة عشر قرنا •• وليس
عند المسلمين الآن — والحمد
لله — أرقاء •

والظهار ، أن يحرم الرجل زوجته
على نفسه ، بقوله لها : أنت على
كظهر أُمى •• فتصير بهذه العبارة
المنكرة محرمة عليه مطلقة منه ••
وهى عادة جاهلية مستقبحة ،
أنكرها الاسلام وأبطلها ، واعتبرها
منكرا من القول وزورا •• وعملا
لا يليق بالأطهار من المسلمين
الأبرار •

والاسلام جعل كفارة الظهار
واجبة الأداء على من يريد تطهير
نفسه ، ويريد العودة الى امرأته
التي ظاهر منها •• وليكون له بعد
ذلك حق ملامستها والاستمتاع بها
كزوجة ••

والكفارة وردت فى الآية الكريمة
منسقة ومرتبة على الوجه الآتى :

— تحرير رقبة من قبل أن
يتماسا •

— فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين •

— فمن لم يستطع فاطعام ستين
مسكينا •

فترتيب صيام الشهرين المتتابعين

وهذا لا يغير من الحكم ، لأن أحكام الاسلام عامة شاملة ، وصالحة لكل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وقد تلاحظ أن كفارة الظهار بالصيام - تبدو ظاهرها قاسية ، لأنها صيام شهرين كاملين متتابعين •• لكن المشرع الحكيم العليم الخبير ، وقد حكم بها - لا بد أنها العلاج الناجع في اصلاح النفس وتطهيرها مما ترتكب من أخطاء الظهار ، وتخليصها من عيشها في جاهليتها الأولى •• على أن عندنا في جاهليتنا الحديثة - من يطلق امرأته طلاقا بدعيا ، يحتال به على اذلالها ، وتعذيبها ، واضاعة حقها ، والانتقام منها •• وهو يعلم أن لا يعلم أن أبغض الحلال الى الله الطلاق •• وعندنا من يعلق أمراته ويمسكها ضارارا ليعتدى ••

ومع ذلك ، فقد أعطى الله من لم يستطع الصيام رخصة اطعام ستين مسكينا •• بأن يعطى كل مسكين (مدا) من طعام بلده الذي يقتات منه ، عند الشافعى ••

ويعطيه عند أبى حنيفة (نصف صاع من بر ، أو صاعا من غيره) •• وفى ذلك تخفيف من الله ورحمة • وقد أعجبني رأى للأحناف ، فيه التيسير على الناس •• يحكمون فيه العرف ، فى موضوع الكسوة (اذا كان فى الكفارة كسوة ، كفارة اليمين ••) ، وفى موضوع الاطعام •• فكل ما يعتبره العرف اطعاما - سواء كان وجبة أو وجبتين مطهيتين ، فهو اطعام مسكين •

وكل ما يعتبره العرف كسوة ، فهو الكسوة المطلوبة •• والمهم أن يراعى فى الأحكام كل ما هو فى صالح المساكين ، وأتفق لهم ، بقدر الامكان ، فى شأن الكسوة والاطعام •• « وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » •

وليس من شك فى أن مراعاة العرف فيه الراحة للطرفين (المطعم والمطعم ••) ، وقد يكون فيه الحل لمشكلة (نصف الصاع والمصاع •• والمد ••) عند من لا يتعاملون بهما •• كما هو الشأن

وغفلة واشباع غريزة شهوة - ولم
يحكم كل من القاتلين عقله وأناته
وتثبته وحلمه وفطنته .. وهى
أشكل بالمؤمنين المنتسبين بحق
الى الحق والايمان .. و « المؤمن
كيس فطن » أى عاقل ذكى .

فالمظاهر من أجل شهوة طاغية
استبدت به ، لم يقيم لصاحبه وزنا ،
ولم يرحم ضعفها ، ووفاءها
واخلاصها وطول عثرتها وألقى بها
فى الطريق وهى أم لأولاده
الصغار .. وقاتل المؤمن خطأ أشبه
بالمظاهر فى اندفاعه وحماقته
وطيشه .

فكان الواجب إيقاظهما من
نومهما وغفلتيهما ، واعطائهما
دروسا فى الأناة والصبر والحلم
والتشيت ، وتريتيهما عن طريق
الصيام وفيه هذه المعانى ، فوق
ما فيه من تطهير النفوس وترقيق
القلوب ، وترقية المشاعر .

ولعل فى هذا شيئا - ولو
قليلا - عن سر صيام شهرين
كاملين متتابعين - توبة ورحمة

فى اخراج زكاة الفطر نقودا
واباحة ذلك اذا ما كانت أنفع
للفقير ..

ورحم الله من قال :

والعرف فى الشرع له اعتبار
لذا عليه الحكم قد يدار
وقد لفت نظرى شىء آخر - هو
أن كفارة الصيام فى الظهار ،
تتفق مع كفارة قتل مؤمن خطأ ،
وكان من قوم بيننا وبينهم ميثاق ،
وعجز القاتل عن تحرير رقبة -
فانه يستبدل بها أن يصوم شهرين
متتابعين .. وهو مدة الصيام فى
الظهار .. فما السر فى هذا
الاتفاق ؟ !

لعل من السر - والله أعلم -
هو تشابه الجريمتين فى العدوان .
فكلتاها جريمة قتل .. ففى
الظهار قتل رجل لامرأته قتلا نفسيا
ومعنويا ، وهى ما تزال على قيد
الحياة .. وفى قتل مؤمن لمؤمن
خطأ - قتل حسى فيه انهاء لحياة
المقتول .. ثم ان القتل فى كلتا
الحالتين - قد ارتكب عن حماقة

ان ضمنتهم اليه ضاعوا وان
صمنتهم الى جاعوا .. ثم قالت :
أشكو الى الله فاقتي ووجدى ..
حين قال لها رسول الله :
« ما عندى فى أمرى شيء ..
أو حرمت عليه وان لم يذكر
طلاقاً » ولكن الله سمع لها ، وفرج
عنها ، وغضبت السماء من أجلها ،
وأُنزل سبحانه آيات توبيخ للعرب ،
وتهجين لعاداتهم فى الظهار ، وأُنزل
الحكم بالكفارة .. والحكم
بالكفارة دليل ارتكاب الجناية .
وقانا الله شر ارتكاب الجنایات ،
وعصمنا من الزلل والانحرافات .
اللهم آمين

عبد الحميد الفضالى

من الله - فى كفارة القتل الخطأ ،
وكفارة الظهار .

رحم الله المجادلة :

رحم الله خولة بنت ثعلبة ، امرأة
أوس بن الصامت ، أخت عبادة
بن الصامت ، (وشتان ما بين
الأخوين ..) - حين قالت
لرسول الله وهى تجادله فى أمر
أوس زوجها الذى رآها تصلى
- وكانت حسنة الجسم -
فراودها ، فأبت ، فغضب ، وكان
به خفة ولم - فظاهر منها ..
رحمها الله حين قالت لرسول الله
فيما قالت : ان لى منه صبية صغاراً

سيد الشهور

قال صلى الله عليه وسلم : « رمضان سيد الشهور
تم شهر الله المحرم ، ثم رجب ، ثم ذو القعدة ، ثم شعبان
تم باقى الشهور » .

حافظ إبراهيم

شخصيته وخلقه

دكتور سعد ظلام

- ١ -

وشاعريته ملء الأفئدة والقلوب ،
الا أنه سرعان ما تبرم بحياة
الجنديّة تحت سيطرة الانجليز ،
وخصوصا بعد ما رأى من خيبة
الأمل ، وبعد ما شاهد من تأخر
المصريين واستطالة الانجليز عليهم ،
مما لا ترضاه النفوس الأبية التي
طبعت على العزة والحرية ، وأبت
الخضوع للذلة والاستكانة
والهوان .

وظلت حياته القلقة تسيطر
عليه ، فكان لا يبقى في الجيش
حتى يخرج منه محالا الى
الاستيداع لتمرده على حالة المصريين
في الجيش ، ومرة أخرى لتأليه
الانجليز في السودان الذي قضى
فيه شطرا من حياته .

كان شاعر النيل حافظ ابراهيم
مديد القامة فارع الطول ، أسمر
الوجه عريض المنكبين ، وكان
ملولا قلقا غير مستقر وغير مطمئن
ضجرا سريع الضجر ، قليل الثقة
بالناس ، وكان ذلك أثرا من آثار
الحياة السياسية ، كما كان له أثر
كبير في حياته وآرائه .

بدأ حياته ضابطا بالجيش ،
ولعله التحق بالجيش أملا في أن
تنصفه الأقدار فيكون رب السيف
والقلم كالبارودي رائد الشعر
الحديث ، وكان صيت البارودي
آنذاك يملأ الأسماع ، ودفيا النغم
والتغريد وأرجاء الوادى ثور ونداء
وهتافا بالحرية ، وقد نفى الى
سيلان ، ولكن لم تزل ثورته

الى الأحداث السياسية والاجتماعية
التي تحدث بمصر والسودان
وبتركيا وبكل أرض عربية وأن
يتأثر بها •

ويمكن أن نربط بين عثراته
السياسية وبين قلقه وعدم استقراره
فهو حين يرى « سعد زغلول »
و « عدلى يكن » يتنازعان مصر ،
ينظر الى مصر ، ولا يعطى اعتبارا
للرجلين فيقول : « مسكينة هذه
الأمة وقعت بين اثنين ، واحد
لا يسكت أبدا ، وواحد لا يتكلم
أبدا » وكان سعد كثير الخطابة ،
وكان عدلى لا يسمع خطيبا الا
قليلا (١) •

وكان لاضطرابه ، أو لاضطراب
الحياة السياسية أثر كبير فى حياته
العامة وسلوكه الاجتماعى

(٢)

كان مع قامته الفارعة المديدة
مهيبا ، ومن رآه حسب أن يسن
جنبيه نفسا شجاعة واثقة لا تهاب
ولا تخشى ، ولكنه — يرحمه

وكانت انجلترا قد افردت بحكم
مصر ، وبرغم الثورات الأهلية ضد
هذا الحكم المغتصب ، الا أنه أطبق
حكمه عليها بوسائله التي برع فيها
براعة شديدة •

وقد تكونت فى مصر ثلاثة
أحزاب ، الحزب الوطنى بزعامة
مصطفى كامل ، وهو يطالب
باستقلال مصر ولكنه لا يعادى
الدولة العثمانية ، ويعارض القصر
والسلطة الانجليزية ، وحزب
الاصلاح بزعامة الشيخ على يوسف
يؤيده الخديوى ولا يطمئن الانجليز
اليه ، وحزب الأمة وهو تابع للانجليز
ضعيف هزيل ، وبعد ثورة ١٩١٩
قامت أحزاب أخرى كحزب الوفد
بزعامة سعد زغلول ، وحزب الأحرار
الدستوريين بزعامة عدلى يكن ،
وحزب الاتحاد لمناصرة القصر
وحمايته •

وكان من الطبيعى أن يتأثر حافظ
بكل هذه الأصوات ويعمل حسابها ،
ويصغى اليها ويرسل شعره فى
الكثير منها ، وكان لا بد أن ينصت

الجالسين عليها بحسب أسبقية حضورهم ، وكأنه يحاكي عظماء القوم ، ووجهاءهم أو يتشبه بهم .

(٣)

كان حافظ يهاب الأهوال ويؤثر العافية والسلامة ، لأن الأحوال السياسية وظروفه الخاصة كانت تستدعى ذلك ، وكان يخاف الفقر لسابق عهده به وملازمته له ، وكان يخاف على منزلته الشعرية ، ويخشى النقد ، ويكره أن يفضل عليه شوقي ، أو تعقد مقارنة بينهما ، ولعل منشأ ذلك احساسه بالفارق الثقافي الهائل بينه وبين أمير الشعراء ، والفارق في الموهبة البيانية ، والقريحة الشعرية .

(٤)

وكان مع بؤسه وتعاسة أحواله يستطيع أن يملأ المجالس أنسا وبشرا ، لأن النفس المؤرقة المهمومة ، الكايبة المحزونة تلتبس في الطرفة والندرة وفي الفكاهة والتظرف مسلاة من المضايق ،

الله - كان لا يخاف الرجال وإنما يخشى الأهوال والمخبات والفواجع الداهمة ، ويعمل لها ألف حساب وحساب ، لأن الظروف السياسية غير الآمنة طبعته بطابعها غير الآمن وغير المستقر .

وكان مع فقره الشديد وشعوره بالحرمان الطويل متلافا مسرفا ، فهو حين تسمح أحواله في سخاء حتى لا يكاد يبقى لغده شيئا ، يقول عن نفسه : « أمّا أنا فلم أقتصد شيئا ، ولم أقتن شيئا ، وإنى لأقول كما قال أرسطو : القنئية مصدر الخوف والأحزان ولذلك قلت :

يقولون ما لك لا تقتنى
من المال ذخرا يفيد الغنى
فقلت وأفحمتهم في الجوا

ب لكيلا أخاف ولا أحزنا (١)
وكانه لطول عهده بالفقر والحرمان يقتص من الفقر ، أو يسخر منه أو يهزأ به فيمد مائدة عظيمة في ردهة داره لطعام الافطار في رمضان كل ليلة ، ويصف حولها أربعة عشر كرسيا ، يرتب

ويدافع عنه ، واذا أصاب حبيبا له
مكروه ، أو ألت بصديق له
ملمة ، أو اتتابه ما يؤلم ، أو
اخترمته المنية أحس بوقع ذلك كله
على نفسه وقلبه ، وأحس بأن كل
ما نال من أعباءه ينال منه ، فهو
رجل رهيف الحس ، قوى العاطفة ،
ينفعل - لأنه شاعر - لأهون
الأحداث ، وتؤثر فيه أقل
والعواطف •

(٦)

وكان لقربه من حياة العامة
وانخراطه فى غمارها أصدق
الأثر فى شعره الاجتماعى ، فكان
أصدق الشعراء تصويرا للحياة
المصرية الصميّة ، ووصف ما
ينتابها من نعيم وبؤس وسعادة
وشقاء ، واضطراب وأمن ، وما
ترجوه من آمال وأحلام ، لأنه كان
يحس بها احساسا قريبا قويا
وصادقا •

وهذا الجانب هو أغنى جوانب
حياته الشعرية وأصدقها وأحفلها
بالصدق والثراء العاطفى ، وهو فيه

وملتسا من المكاره التى تطرأ عليها
أو تنتابها ، فراح يسرى عن نفسه
بالفكاهة والتندر ، ويشيع الأنس
والمسرة ويعطر الحياة ويندى
المجالس ويجعلها تفيض بشرا
وطلاقة وانطلاقا وأئتلافا •

ومع ذلك كان لا يجب أن يؤثر
عنه شعر فكاهى ، اما لأنه يؤثر
الوقار ، ويجب أن يؤثر عنه ذلك ،
وقد كان يحاول ألا تخرجه الفكاهة
عن وقاره ، واما لأن شعر الفكاهة
عادة لا يتأنق فيه الشاعر ، وهو
يخشى سهام الناقدين ، لا سيما ،
والشعر الفكاهى تمليه طبيعة
الموقف ولا يطلب فيه الا حضور
البديهة وسرعة الخاطرة •

(٥)

كانت شخصية حافظ تحب ،
ومجالسه لا تمل ، وكان فيه ود
ووفاء ، وكان صادق الود ، وكان
صادق الوفاء ، وكانت نفسيته
الصفائية الشفافة تبلغ به من وفائه
لأصدقائه مبلغا عظيما ، فكان اذا
أحب انسانا أنزله من روحه منزلا
قريبا ، ويبذل روحه من أجله ،

جعلته طبيعته مرآة صافية صادقة
لحياة نفسه وشعبه كحافظ رحمه
الله ، فالذين يقرأون شعره الآن
يؤخذون بهاتين الصورتين
الواضحتين كل الوضوح ، صورة
الشعب وما يجد من ألم وأمل
وصورة حافظ وما يحس من بأس
أو رجاء » (١) .

(٧)

وحتى فى المديح الذى يمكن
أن تذوب فيه شخصية الشاعر المادح
نرى شخصية حافظ واثبة ثابتة
فحافظ يمثل أمته فى مديحه كما
يمثلها فى قصائده الاجتماعية ، فهو
مديح يدل على مراحل الأدب
والحرية القومية فى الأمة المصرية
مرحلة بعد مرحلة ، وبهذه الخصلة
كان حافظ منفردا من شعراء جيله
قليل النظير » (٢) .

ذلك لأن مديح حافظ كان من
ذلك الطراز الذى يضطر معه الشاعر
أحيانا فى القصيدة الواحدة الى
الخروج عن طبعه وسجيته ارضاء

يتفوق على شعراء جيله من
الشعراء .

وهو يعبر بشعره عن هموم
ذاته . يشكو ويتألم ، ويعبر عن
خلجات نفسه ، ومكنون عواطفه ،
وهو يهنئ ويمدح ، ويتقرب
ويتباعد ، ولكنه فى الوقت نفسه
يحمل شعلة قومية وشحنة وطنية
تربطه بكل أحداث الوطن العربى
وخلجاته وأحلامه ، وله قدرة
عظيمة فى هذه المزاوجة الهائلة بين
طابعه الشخصى وخلجات قومه ،
وطموح أمته وكفاحها من أجل
الحياة الكريمة ، وهو فى هذا
التزاوج مقرر افراد العلم ، متميز
تميز الجبل على الوديان .

وما أجمل قول الدكتور
طه حسين فيه : « كان حافظ شاعر
الناس ، وكانت تمتاز نفسه بحس
قوى وخلق رضى كريم ، وصلة
غريبة متينة بين هذه النفس القوية
الكريمة ، وبين نفوس الشعب
وميوله وأهوائه ومثله العليا ، ولا
أعرف بين شعراء هذه الأيام شاعرا

(١) حافظ وشوقى ص ١٥٣ ، ٢١١

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى للعقاد ، ص ١٨ - ٢٠

للممدوح ، أو استدرارا لعطفه ، ولكنه لا يثبت على هذا ، فلا يلتصق أن يحول مديحه الى مديح متمسم بالروح القومي ، ينزع فيه الشاعر الى امتداح خلال اجتماعية أو ميزات قومية ، أو أعمال وطنية ، أو آمال شعبية تتعلق بالممدوح ، أو تبرز فيه ، أو تدعو له مناسبة، وبذلك يخرج حافظ عن زمرة المادحين القدامى الذين كان أكثر همهم اذابة شخصياتهم فى مقابلة أكياس الدنانير أو التقرب من مجالس السلاطين والحظوة لديهم ، ومدح الرجل بالشجاعة والقوة وكرم

الضيافة وسعة الجود ، وقد لا يكون له فيها أقل نصيب .

ومن يقرأ شعر حافظ يقرأ فيه أمل الشعب ، وافصاحه الذكى المتبصر عن أمانيه وأحلامه وكفاحه ، وثورته ، وتربصه الواصل بالغد ، والتطلع الى حياة الحرية والكرامة، أو توجيهه ولفت نظره ، وتبصيره بمرشد الأمور .

كانت مصر لديه كل شيء ، وكان الشعب قريبا منه وكان قريبا من الشعب ، أليس هو القائل :

لعمرك ما أرقى لغير مصر ومالى دونها أمل يرام

« من تعاليم أستاذ الحياة »

عليه السلام

* ماكرهت أن يراه الناس منك فلا تفصله بنفسك اذا خلوت .

* شر ما فى الرجل : شح هالع ، وجبن خالع .

* خالفوا الناس بأخلاقهم .

* الصبر عند الصدمة الأولى .

اللغة و المجتمع

للدكتور عبد الغفار حامد هلال

وحدثنى - هنا - يتناول
منطلقين أساسيين :

الأول : يتناول بيان الصلة
بين اللغة والمجتمع ، وأهمية
ادراكها فى الكشف عن خصائص
الجماعات البشرية .

والثانى : يلقي الضوء على
العلاقة بين الفرد والمجتمع ، ومدى
ارتباطهما باللغة تأثيرا وتأثيرا .

ولبيان أهمية الصلة بين اللغة
والمجتمع نقول :

الانسان مدنى بطبعه - كما
يقول علماء الاجتماع - فهو
يميل الى الانتماء الى طائفة من بنى
جنسه ، ليجتمع لهم جملة من
الخصائص ، والسمات ، التى تميز
جماعة من غيرها ، ومبعث ذلك
الغريزة التى ركب عليها الانسان ،
والتي تدفعه الى تكوين هيئة
اجتماعية ولذا يمكن لاثنتين من
شعبين مختلفين أن يأتلفا على بعض

ليست اللغة أداة صناعية خارجة
عن علاقتها بالمجتمع الذى تعيش
فيه ، بل هى صورة له نابضة
 بالحياة ، وهى تنشأ تلبية لحاجته
الاجتماعية ، ووفقا لظروفه فهى
تمثله حضاريا ، وثقافيا ، وفكريا .

ثم ان ألفاظها المعبرة عن مقصود
المجتمع تأخذ الطابع المميز لتلك
الجماعة الانسانية ، فتتطور حسب
احتياجاتهم ، وما يعرض لهم من
ظروف ، قد تطرأ عليهم فى
انقساماتهم الاجتماعية داخل
المنطقة التى يعيشون فيها ، أو نتيجة
اتصالهم بالشعوب الأخرى ،
للتجارة ، أو الهجرة ، أو الحرب ،
أو غيرها من وسائل الاتصال
المتعددة .

ولما لكل ذلك من آثار فى اللغة
وددت أن أوضح الجوانب التى
تؤثر تأثيرا فعالا فى السلوك
اللغوى .

أو جغرافى أو جنسى ، أو لغوى
وقد تعددت المصطلحات السياسية
التي تطلق على تلك الجماعات (٢) •

يبد أننا نعنى — هنا — جماعة
خاصة ، من وجهة نظر خاصة هى
ما نسميها (الجماعة اللغوية) ،
وهى : هيئة اجتماعية ، صغر
حجمها ، أو كبر ، أو بعبارة أخرى
تتدرج من الصغر الى الكبر ، فهى
تبدأ بالأسرة ثم العائلة ، ثم
القبيلة ، ثم الأمة •

الخصائص ، ويتناسيا الفروق
الموجودة بين شعبيهما اذا عاشا
معاً مدة طويلة ، كفرنسى ، وفارسى
أو عربى وانجليزى مثلاً (١) •

وانتماء الفرد للجماعة يتحدد
بتحدد الجماعة ذاتها ، فالأسرة
جماعة ، والقرية جماعة أشمل ،
والمقاطعة ، ثم الدولة ، وأخيراً
الجنس البشرى (٢) •
وهذا الانتماء يأخذ أشكالاً
متعددة ، فهو أحياناً — سياسى ،

(١) فندريس : اللغة ص ٣٠٢

(٢) جيسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٢

(٣) من هذه المصطلحات : (الشعب) و (الدولة) و (الأمة)
فالشعب : جماعة من الناس تستقر على أرض واحدة ، أو تخضع
لسلطة واحدة ، والدولة تعبير سياسى وقانونى يشير الى الوحدة
السياسية التى تضم أركاناً ثلاثة هى : (شعب وأقليم وسلطة
سياسية) •

والأمة : جماعة من الناس يرتبطون بأهداف مشتركة ويتبادلون
الشعور بأنهم وحدة بشرية اجتماعية واحدة ، نتيجة
التقائهم فى عدد من العناصر ، كالأصل واللغة والدين ، ووحدة
التاريخ ..

وقد تسمى إحدى الجماعات (شعباً ودولة وأمة) ، وقد تسمى
(شعباً ودولة) لا (أمة) كسكان سويسرا ، وقد تمزق الأمة
بخضوعها لعدة سلطات سياسية ولا يعنى هذا فناء الأمة
البولونية بعد تمزقها على يد جاراتها بعد أواسط القرن الثامن
عشر ، وكذلك العالم العربى أمة ، وان توزعت السلطة فيه
انظر : د . أحمد كمال أبو المجد : دراسات فى المجتمع العربى
والوحدة العربية ص ٢٤ — ٢٩

واختلاف استعمالها ، وسيلة للاتفاق بين الجماعة ، وعلامة لأعضاء هذه الجماعة ، بها يعرف بعضهم بعضا ، ويهرع بعضهم الى بعض (٢) .

وبديهي أن اللغة هي الأداة التي يستعملها أفراد كل جماعة لغوية ، للتعبير عما يهمهم من شئون ، وهى قانون من قوانين هذه الجماعة ، يُعَدّ الخروج عليه أمرا صعبا ، ومحرجا ، ومؤديا الى السخرية ، ويقاوم بصرامة من بقية أفرادها (٣) .

« وان هبة الكلام واللغة من خصائص المجموعات الانسانية ، ولم يعثر قط على جماعة بلا لغة . . . وحقيقة هذه المسألة أن اللغة وسيلة تعبيرية واتصالية كاملة بالضرورة كما نلاحظ ذلك فى كل مجتمع معروف » (٤)

ولا يهمننا كثيرا الاختلاف السياسى أو الدينى اذا توفّر الاشتراك اللغوى (١) .

ويمكن أن نقسم الوحدات الكبيرة الى وحدات صغيرة ، وننظر الى كل وحدة فى اطار اللغة التى تتحدث بها ، فى القرية ، أو المدينة ، والطبقات الاجتماعية المتنوعة من المتعلمين والفلاحين ، وأصحاب المهن ، والاشقياء وغيرهم .

« وتلعب اللغة (دورا ذا أهمية عظمى فى الجماعة الاجتماعية) مهما كانت ومهما كان مقدار امتدادها ، فاللغة أوثق العرى التى تجمع بين أعضاء هذه الجماعة ، وهى - على الدوام - رمز ما بينهم من تشارك ، وحارسه الأمين ، وأية آله أفعال من اللغة فى توطيد وجود الجماعة ؟ فاللغة بمروتها ، وتنوع حياتها ، ولطف سريانها ،

(١) جيسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٥٢ .

(٢) فندريس : اللغة ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) د . تمام حسان : اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١١٢ نقلا

عن ادوارد سابير .

ولم يكن يدرك قديما ما للغة من صلات بالمجتمع الذى تعيش فيه ، لأنهم اعتبروها هبة الله الذى لا يحق لأحد أن يغير فيها ، أو يعدل من طرائقها ، ثم درست على هذا الأساس فترة من الزمان ، ولكن بعد تقدم العلوم الانسانية ، وادراك حقائق الظواهر الاجتماعية لوحظ أن اللغة ترتبط بالجماعات الناطقة بها ، ويمكن أن يهتدى على اثر هذا الادراك الى معرفة خصائص الجماعات البشرية من دراستنا للغات وتاريخها ، وتطوراتها •

وهنا نأتى الى المنطلق الثانى وهو الحديث عن علاقة الفرد والمجتمع باللغة فتقول : « اللغة هى الصورة اللغوية المثالية التى تفرض نفسها على جميع الافراد فى مجموعة واحدة » (١) •

والفرد والجماعة عنصران لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، فالفرد يرتبط بجماعته ويقدر

ما يقدرسون ، ويأتى من الأفعال التقليدية ما يأتون وهو يتبع عرف الجماعة ، وان خالف اعتقاده (٢) • واذا سلمنا « بوجود الفرد والمجتمع ، باعتبار كل منهما وحدة مستقلة ، فان من الممكن من الجانب اللغوى أيضا ، أن تتكلم عن اللغة الفردية ، واللغة الجماعية ، وكلا هذين العنصرين يؤثر ، ويتأثر بالعنصر الآخر » (٣) •

واللغة ظاهرة اجتماعية ، تنشأ عند الأفراد ، والجماعات ، ودراستها تتم بالبحث فى الجانب الفردى ، والجانب الجماعى ، وان كان علماء الاجتماع يقفون من ذلك موقفين متعارضين •

فيرى بعضهم : أن التعرف على الفرد يؤدي الى التعرف على الجماعة ، ولذا تدرس لغة الفرد ، ويتوصل من خلالها الى معرفة لغة الجماعة ، لأنها مجموع

(١) فندريس : اللغة ص ٣٠٦

(٢) جيسرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٢

(٣) نفسه ص ٥

آخر ، من أبناء الجماعة اللغوية
الواحدة •

والفرد يولد بلا لغة ، ثم يرثها
من جماعته ، ولا يملك التدخل في
اختيار مفرداتها أو تنظيم
قواعدها •

وعلى الرغم من اختلاف الكلام
واللغة فإن لكل منهما علاقة وثيقة
بالآخر ، واللغة ذاتها تتطور بتطور
الكلام •

وقد قال بالي (تلميذ دي
سوسير) : ان الكلام نشاط
لغوي فردي يعالج الحياة الواقعية
للفرد ، ومن ثم فهو وحده الذي
يعبر عن الواقعية ، والعاطفية ،
بعكس اللغة التي ليست سوى
امكانيات تعبيرية •

ومن هنا فإن دي سوسير يرى
أن اللغة من نتاج المجتمع ، والكلام
من نتاج الأفراد ، واذا صح أن
يكون هناك عقل فردي ، فهناك
كذلك عقل جمعي •

الظواهر المشتركة بين جميع
الأفراد •

ويقول أوجست كوفت « ليس
من الضروري أن نعرف ما هو
الانسان حتى نعرف ما هي الانسانية
ولكن من الضروري أن نعرف ما هي
الانسانية حتى نعرف ما هو
الانسان ؟

فالتعرف على الجماعة يؤدي الى
التعرف على الفرد ، ومن هنا تعد
دراسة اللغة العامة أساسا لمعرفة
لغة الأفراد » (١) •

وقد دار نقاش ، وجدل بين
الباحثين حول اللغة والكلام ،
وصلتهما بالعقل الفردي ، والعقل
الجمعي •

فيرى دي سوسير (٢) أن اللغة
غير الكلام ، فاللغة مجموعة
محدودة من المفردات ، والتراكيب ،
توجد في كتب القواعد والقواميس ،
وتختزن في عقل الجماعة ، والكلام
نشاط فردي ، يختلف من فرد الى

(١) جسر بين : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٢ •

(٢) عالم لغوي سويسري •

« اللغة هي مجموعة من صور
الألفاظ مختزنة في نفوس أفراد
الجماعة اللغوية » (٢) •

وينتهي جبرسن - بعد الرد
على دي سوسير - الى أن اللغة
ليست شيئا آخر غير الكلام ، بل
هي الكلام ذاته ، ولكن باعتبار
آخر •

ويبدو أن النظرتين متقاربتان ،
فالفرد جزء من الجماعة ، والجماعة
طائفة من الأفراد ، والكلام واللغة
مرتبطان أحدهما بالآخر
ولا يستطيع باحث أن يفرق بينهما
أو يعزل أحدهما عن الآخر ،

فقد اتفق الفلاسفة واللغويون على
أن الانسان لا يستطيع أن يفرق
بين فكرتين تفريقا حقيقيا بلاعلامات
لغوية ، أى كلمات ، فالتفكير بلا
كلمات عائم (٣) • « والكلمات
أهم مكونات اللغة وتسمى وحدات
لها » (٤) وما يسميه النحاة أقسام

وقد اعترض جبرسن (١) على
هذا التفريق ، وقال : ان العقل
خاصة يوجد للفرد ، لا للجماعة
والفرد له سلوك وحده ، وسلوك
مع الجماعة ، حسب الظروف
التي تمر به ، ولا يعدو الاتفاق في
العاطفة أو الرأي في جماعة من
الجماعات أن يكون مجرد اتفاق
في حكم يصدر عن عدة عقول
فردية ، فقد تأثرت بظروف ودوافع
متشابهة ، وليست أدري لماذا يقول
دي سوسير (العقل الجمعي)
ولا يقول (البطن الجمعي) والرجل
الجمعي والأنتف الجمعي ، اذن
ليست لذلك فائدة •

فاللغة ليست القاعدة ، وليست
الألفاظ ذاتها ، بل هي شيء آخر
يتمثل في الصور الذهنية الموجودة
لهذه القواعد ، والألفاظ ، في
نفوس أفراد الجماعة ، لا في العقل
الجمعي ، ويقرب من ذلك قول
دي سوسير في عبارة أخرى

(١) عالم لغوى دانيمركى •

(٢) جبرسن : اللغة بين والمجتمع ص ١٥ - ٢٣

(٣) د . تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص ٢٤٤

(٤) نفسه ص ٣٩

يستعمله الأفراد ، وللكلام علاقة باللغة المعنوية ، ولذلك يجب أن يدخل فى الدراسة لأنه الجانب العملى منها (٤) .

ومن المتعارف عليه بين دارسى العلوم الاجتماعية أن جميع الأحداث الاجتماعية تبدأ فردية ، ثم لا تلبث أن تشيع بين عدد من الأفراد ، ثم يتسع نطاقها فتتخذ صفة الجمعية (٥) .

والمدرسة اللغوية الانجليزية ، وضعت لدراسة أية لغة طريقة وصفية ، تهتم بالشخص والشخصية ، ولكن لا تنظر اليه باعتباره « مستقلا » أو تدخل فى حسابها أنه عضو فى جماعة كلامية معينة (٦) .

ولا ريب أن جوانب التأثير فى اللغة كثيرة بعضها ينشأ عن الأفراد، وبعضها يرجع الى المجتمع .

الكلام - وهم يقصدون الاسم والفعل والحرف - ليس فى الواقع الا أقسام اللغة ، فقول صاحب الألفية : الكلام وما يتألف منه ، يجب أن يصير الى : اللغة وما تتألف منه (١) . فالكلام الذى هو نشاط انسانى قطعى نتيجة لارادة المتكلم (٢) . يُعَدّ الباعث لكلمات اللغة ، بحيث يجعلها حية بعد موتها ، ووجودها فى طوايا العقل ، أو المعاجم ، فاللغة بمادتها المكونة لها توجد فى القواميس أو تختزن فى عقول الجماعة الانسانية التى تتخذها وسيلة للتفاهم ولها قواعد خاصة يفهمها أصحابها ، ويراعونها فى استعمالهم من ناحية النظام الصوتى ، والصرفى ، والنحوى ، واللغة بهذا الوصف تسمى بـ « اللغة المعنوية » (٣) التى هى نتاج جماعى

(١) نفسه ص ٤٠ .

(٢) د . تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ص ٢٤٤

(٣) فندريس : اللغة ص ٣٠٣ ، ٣٠٤

(٤) د . تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ص ٣٢ - ٣٥ .

(٥) جيسرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٢٠ ، ٢١ .

(٦) د . السمران : اللغة والمجتمع ص ٢٥ - ٣١ .

وللتأثير الفردى مظاهر عدة فهو يتناول : الاصوات ، والمفردات ، والتراكيب .

١ - أثر الفرد فى الاصوات

تبدأ الممارسة اللغوية للانسان منذ طفولته ، فالطفل يولد وعنده الاستعداد لتلقى اللغة - أية اللغة - اذ لا توجد لدى أى طفل فى أى مكان لغة فطرية (١) . وهو يتعلم لغة المجتمع الذى يعيش فيه ، فاللغة ليست وراثية ، بل انه يتلقاها ممن يخالطهم ، ولذا فان طفلا عربيا لو نشأ فى بيئة انجليزية تعلم لغة الانجليز ، والعكس صحيح أيضا (٢) « بل أكثر من هذا أن

العلم يزخر بحالات كثيرة لأطفال ترعرعوا لدى الحيوانات كالذئاب والفهود والديبة ، وحتى الخرفان ، وتعلموا أنواعا من اللغة الحيوانية ، فعووا كالذئاب ، وثغوا كالخرفان ، وأصبح من الصعب بعدئذ تعليمهم اللغة الانسانية (٣) .

فالأطفال يتعلمون لغة الجماعة التى يولدون ويعيشون فيها بنفس السرعة التى يتعلمها بها أهلها الأصليون ، ويتكلمونها كما يتكلمها أهلها الأصليون (٤) .

وقد توصلت طائفة من اللغويين الى بعض الملاحظات المهمة التى تتعلق بلغة الطفل ، وأهمها التقسيم

(١) كندراتوف : اصوات واشارات ص ١٩١ .

(٢) فندريس : اللغة ص ٢٩٨

(٣) كندراتوف : اصوات واشارات ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٤) فاللغة « مكتسبة » ولكن أثمة دخل للوراثة فى قدرة الأطفال على اكتساب اللغة ؟ وهل للوراثة شأن - اكتساب طفل لغته أسرع من اكتساب طفل غيره نفس اللغة ان الاجابة عن هذا السؤال ونظائره مرهونة بتقدم بحوث علم الوراثة ، وعلم الاعصاب وعلم الحياة العام (الاحياء : البيولوجيا) اذ البحث فيها لما يصل الى الغاية المنشودة ، وينتظر أن تؤدي البحوث المقبلة فيها الى أن يزداد فهمنا لطبيعة اللغة ووظيفتها ..

انظر : د . السعران : اللغة والمجتمع ص ٢٧ ، ٣٤ .

المرحلة الثانية (الباباة) :

وفيها يصدر الطفل مجموعات من الأصوات مثل أ أ - م م - بب - تت - دد الخ .

وتكون في أولها نشاطا عضليا خالصا ، ثم تأخذ أعضاء النطق عنده شيئا فشيئا في التدريب عليها ، والتحكم فيها فيستطيع الطفل نطق الصوت الذي يريده .

ويأخذ الطفل - بعد ذلك - في تدريب عضلاته الصوتية على النطق بهذه الأصوات التي يستمتع بها هو ومن حوله .

والشائع أن أول ما ينطقه الطفل صوائت مفردة ، أو صوائت يسبق كلا منها صوامت مثل (ل - ر - ت الخ) « وتعد الصوامت الشفوية التي يرمز إليها بـ P.B.M. (ب ، ب ، م) من الصوامت الأولى التي ينطقها الطفل ، ان لم تكن أولها على الإطلاق » وفي هذه المرحلة ربما صدرت عن الطفل أصوات ليست من مجموع

الثلاثي الذي ارتضاه جيسرسن ، وهو أن النمو اللغوي للطفل يمر بثلاث مراحل .

١ - مرحلة الصياح ..

٢ - مرحلة البأبة ..

٣ - مرحلة الكلام ..

المرحلة الأولى (الصياح) :

فالطفل يصرخ منذ يولده ، ولكن هذا الصراخ الصادر عن جهازه النطقي ليس كلاما ، ولا يتعلم الطفل به أية لغة ، لجماعته أو لغيرها من الجماعات البشرية .

وهذا الصياح مشترك بين جميع الأطفال ، ولا يؤدي - في أوله - غرضا ولكنه يتطور بعد ذلك ، فيستخدمه الطفل في التعبير العام عن كل ما يهمه وبخاصة عندما يدرك من حوله أثره فيهم .

وهذه الأصوات تدرب عضلاته ، وجهازه الصوتي على الكلام فينتقل الى المرحلة الثانية .

ويتصرف فيها حسب قوانينه الصوتية ..

فيقول مثلا (ستينة) مكان
(سكينه) و (تناب) مكان
(كتاب) ..

وقد لاحظت أن ابني في أول
هذه المرحلة - يميل الى قلب
بعض الكلمات فيقول (تعبل)
مكان (تلب) و (لاه أكلب)
مكان (الله أكبر) ..

وبعض الأصوات اللغوية قد
يخفى على الطفل ، أو يظل صعب
النطق لا يتقنه الا في مرحلة متأخرة
كصوت الراء أو السين في بعض
الأحيان ..

وكثيرا ما يكتفى الطفل ببعض
مقاطع الكلمة ، عن نطقها كاملة
فقد سمعت ابني يقول (كب)
مكان (كلب) و (بايه) مكان
(كبايه) ونحوها ..

ويستطيع الطفل في هذه المرحلة
أن يميز الكلام الذي يوجه اليه
بحب وعطف من ذلك الذي يوجه
اليه بحدة ، وغضب ، فيسر من
الأول وينفر من الثاني ..

الأبجدية التي تستعملها جماعته
مثل (P , V) عند طفل
عربي مثلا ، بيد أنه ينطق عددا
كبيرا من أصوات أبجدية
قومه .

المرحلة الثالثة (الكلام) :

تبدأ من حوالى نهاية السنة
الأولى ، وتمتد سنوات طويلة
ويمر خلالها بمرحلتين .

أ - فترة اللغة الصغيرة :

وفيها يحاول تقليد من حوله ،
ويبعد كثيرا عن الأصل الذي
يقلده ، كأن يقول الطفل
المصرى (مم) بدلا من (الأكل)
و (أمبو) بدلا من (ميه) و (ب)
بدلا من (عيش) مثلا .

وقد سمعت ابني في تلك المرحلة
يقول (مكن) بدلا من (مطبخ) .

ب - فترة اللغة المشتركة :

وفيها ينظم كلامه كثيرا ،
ويظل وقتا طويلا حتى يصير كلامه
مثل الكبار ..

ولا شك أن الطفل في تلك
المرحلة يحرف كثيرا من الكلمات

بالتاء وفق قواعد اللغة الصحيحة ،
فإذا أراد تأنيث (أخضر) مثلاً
قال : (أخضرة) و (أحمر) قال
(أحمرة) •

وأخطاء كل طفل تختلف عن
أخطاء غيره من الأطفال الذين
ينمتون الى جماعته الكلامية وان
كانت ثمة أخطاء عامة يشتركون
فيها جميعاً (١) •

وإذا كان الطفل يتلقى اللغة عن
مخالطيه فهل لأخطائه أثر في
أصوات اللغة ؟ وهل للأفراد
— بصفة عامة — صغارا أو كبارا
تأثير فيها ؟

وللاجابة على هذا السؤال
نقول :

يختلف الباحثون في نسبة
التغير الصوتي الى الأفراد •

فينفى جوشات أن يكون للطفل
أى أثر في التطور الصوتي للغة

والطفل لا يتعلم الأصوات
مفردة ، وإنما يتعلم الجانِب
الصوتي للكلمات مرتبطاً
بالمعاني ••

وعادة ما يدرك معاني الكلمات
التي تلقى عليه قبل أن يستطيع
نطقها بزمان طويل ، وهو يدرك
المحسوسات قبل المعنويات •

وأخيراً يتعلم لغة جماعته
بقدرته الفائقة على تقليد ما يلقى
عليه من قبل أمه وأبيه وأسرته
والمحيطين به ، وينفسح أمامه
المجال لتصحيح أخطائه اللغوية
شيئاً فشيئاً •

وللطفل قياسه اللغوى في
النواحي الصوتية والنحوية ،
والمعنوية ، ومن ذلك التذكير
والتأنيث ، فقد يتسرب الى ذهنه
أن المؤنث يكون بالتاء — كما
هى العادة الشائعة • فيطبق ذلك
على بعض الكلمات التي لا تؤنث

(١) د. السمران : اللغة والمجتمع ص ٣٤ — ٥٤ ، د . وافي : علم

اللغة ط ٤ ص ١١٠ — ١٥٥ ، د . تمام : اللغة بين المعيارية

والوصفية ٦٨ ، ٦٩ وكندراتوف : أصوات واشارات

ص ١٩٠ — ١٩٣

الصوتى » وقد اعتمد فى حكمه هذا على النتائج التى توصل إليها فى بحث تتبع فيه الفروق الصوتية بين أفراد الجماعة اللغوية التى تقيم فى المنطقة الفرنسية من سويسرا المجاورة لمدينة (بول) BULLE فى مقاطعة فريبورج لبيان تأثير الفرد فى اللغة ، وكانت تلك المنطقة معزولة تماما عن المناطق الأخرى المجاورة لها .

وقد اكتشف جوشات فروقا كبيرة فى طريقة النطق بين أبناء الجزء الأول من هذه المنطقة ، ولما انتقل الى جزء آخر يبعد عن الجزء الأول مسافة ثلاثة أميال وجد فروقا صوتية بين أفرادها تماثل الفروق التى وجدها بين أفراد الجزء الأول ، وكذلك كان الحال فى الجزء الذى يليه ، والذى يليه .

وقد خرج جوشات من ذلك بأن الفروق ليست فروقا مكانية بمعنى أن اللغة فى جزء ما من الأقليم تختلف عنها فى جزء آخر ،

فهو يقول : « ان كل لغة تنهيا تهيئا خاصا بين جيل وجيل يمكن للتطور فى أصواتها ، وبذلك يخضع أبناء الجيل اللاحق من الراشدين - دون الأطفال - للتطور الجديد ، وليست الطفولة سوى مرحلة تقليد لغوى ولا أكثر ، وعندما يخطئ الطفل فى نطق بعض الكلمات فليس ذلك بدء التطور فى أصوات اللغة التى يتكلمها كما يزعم بعض الباحثين ، وذلك لأن طبيعة اللغة كفيلة بتصحيح هذا الخطأ فيما بعد ، ويتم ذلك عندما يكتمل نضوج الأعضاء الصوتية لدى الطفل وتتكيف طريقة سلوكها بصفة نهائية عند نطق مختلف الأصوات وهذا لا يتم قبل بلوغ الطفل سنا مناسبة ، أى عندما يتجاوز دور الطفولة » (١) .

وينفى جوشات - كذلك - أن يكون للفرد - صغيرا أو كبيرا - أى أثر فى التطور الصوتى فيقول : « ليس للفرد أى دخل فى التطور

٢ - المتوسطون

وهم بين الثلاثين والستين ،
وهؤلاء يكثرون في نطقهم حداً
أوسط بين المعمرين والمحدثين ،
ولقد لاحظ جوشات أن هؤلاء
يستعملون الأصوات القديمة الى
جانب الأصوات الحديثة دون أن
يكون لهم في اختيار هذا أو ذاك
قاعدة خاصة ، كما لاحظ أنهم
يلتزمون في بعض الكلمات طريقة
النطق الحديث ، وفي بعضها الآخر
طريقة النطق القديم ..

أما النساء فقد كن أكثر ميلاً
لاتباع طريقة النطق الحديث ، وقد
حدا هذا بجوشات أن يقرر أن
دور المرأة في التطور الصوتي أكبر
خطراً من دور الرجل ..

وقد أثبت جوشات أن الفرد
ليس له أثر في التطور الصوتي ،
بعد دراسة ما يبلغ خمسين لغة
فردية لأبناء هذه المنطقة لم يتبين
له من خلالها مثل هذا التأثير
الفردى في تطور اللغة التي يتكلمها
أبناء هذه الجماعة اللغوية ..

بل انها كانت فروقا زمنية ، أى
فروقا بين جيل وجيل ، وأن
الاختلاف اللغوي بين أبناء جيلين
مختلفين في جزء واحد أكثر مما بين
أبناء جيل واحد ، في جزئين
مختلفين ..

وبين أن المقارنة بين لغتي اثنين
من الشيوخ - ينتمى أحدهما
لجزء من هذا الأقليم يختلف عن
الجزء الذى ينتمى اليه الآخر
- تثبت تحقق التشابه فى مخارج
الحروف لديهما أكثر مما بين
أحدهما ، وبين شباب الجزء الذى
ينتمى اليه ولهذا قسم جوشات
السكان ثلاثة أقسام ..

١ - المعمرون

وهم بين الستين والتسعين ،
وهؤلاء ينطقون الكلمات بطريقة
قديمة كثيراً ما تبدو غريبة
لسواهم ..

٢ - المحدثون

وهم دون الثلاثين ، وهؤلاء
ينطقون ألفاظهم بطريقة حديثة ..

جدير بتعميم تغير صوتي ، فلاجل أن يصير تغير ما قاعدة لمجموعة اجتماعية يجب أن يكون لدى كل أفراد هذه المجموعة ميل طبيعي لتحقيقه من تلقاء أنفسهم ، بل ان سلطان المحاكاة نفسه لا يقدر هنا على شيء ، فان النطق الشاذ لا يجلب اتباعا لصاحبه ، بل لا يجلب له بوجه عام السخرية منه « (٢) •

ويرى جيسبرسن أن نقي التأثير الصوتي للأفراد غير مسلم ، وأن البحث الذي أجراه جوشات يؤكد تدخل الفرد في التطور الصوتي ، فقد لاحظ جوشات من بحثه اختلاف النطق ، ووجود الفروق بين مختلف المناطق والأشخاص على مختلف الأعمار ، وهذا وحده كاف لاثبات أثر الفرد في الأصوات (٣) •

ولعل الدافع الى انكار أثر الفرد في التطور الصوتي هو

وينسب جوشات التغير الصوتي الى الجماعة لا الى الأفراد فيقول ان التغير أمر حتمي طبيعي وليس أمرا خاضعا لارادة فرد متميز أو غير متميز ، ومعنى أنه أمر حتمي طبيعي أن يحدث لأول مرة بصفة غير فردية وذلك بأن ينطق النطق الجديد شخص في مكان ما ثم يقلد وينطقه في نفس الوقت شخص ثان في مكان ثان ، وثالث ورابع في مكانين ثالث ورابع ، ثم يقلدون وهكذا (١) ••

ويتفق فندريس - ومثله مبيه - مع جوشات في هذه الوجهة التي تمنع أثر الفرد في الأصوات فيقول : « ساد شطرا طويلا من الزمن الاعتقاد بأن كل تغير صوتي انما يصدر عن الفرد ، وأنه لم يكن الا تغيرا فرديا ، ثم عم ، وهذا ادراك للأشياء غير صحيح ، فليس في وسع أي فرد أن يفرض على جيرانه نطقا تنبو عنه فطرتهم ، وليس هناك من قسر

(١) جيسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٣٧ ، ٣٨ •

(٢) فندريس : اللغة ص ٦٩

(٣) جيسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٣٧ - ٤٤ •

نواحيه الى الافراد ، وان لم يتعين الفرد الذى تابعه غيره ، فمن الحق الذى لا ريب فيه - كما يقول فندريس - « أن كل فرد يدخل فى اللغة جزءا من التجديد خاصا به » (٣) •

ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفرق .. واللغة محدودة بحدود الفرد عند العالم الصوتى (٤) وان الفرد كما يقول الدكتور تمام حين يفرد بنطق خاص يظل خلفه من بعده يبعد شيئا فشيئا عن نطق المجموع حتى يختلف عنه (٥) •

فلا شك أن عملية التغيير تحدث من فرد أو جملة أفراد ، ثم تنتقل منهم حتى تعمم ، فالجانب الفردى ملاحظ فيها ، ولا يمكن حتى لمن ينسب التغيير الى الجماعة أن ينفيه مطلقا •

الجهل بنشأة التطورات الصوتية ، ولذا يقول فندريس « ان العالم اللغوى لا يعرف الى أى مدى يحدد دراسته والى أنه يبقى مترددا بين الاعتبار الفردى والاعتبار الجنسى بأسره » (١) • ويقول الدكتور تمام (بالرغم من معرفة تاريخ بعض التغيرات الصوتية معرفة عامة لا يستطيع الانسان أن يقول عند أى حد معين بدأ هذا التغير ، ولا نستطيع حتى أن نطقن الى التغيرات التى تأخذ مجراها الآن على غير وعى منا ، ولا نستطيع كذلك أن نقرر ما اذا كان تغير ما قد بدأ فرديا ثم اتسع مدى تطبيقه ، أو أنه بدأ على ألسنة ناس مختلفين ، ولا يستطيع نسبته الى فرد معين منهم) (٢) •

والحقيقة التى لا يمكن انكارها أن التطور الصوتى يعود فى بعض

-
- (١) فندريس : اللغة ص ٢٩٦
 (٢) د . تمام : اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٩٤
 (٣) فندريس : اللغة ص ٢٩٥ ، ٢٩٦
 (٤) د . تمام : اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٩٢
 (٥) فى العربية الفصحى أصوات تحتاج الى دقة الأداء ويتخلص منها بعض الناطقين كصوت القاف الذى تحول على لسان غير

ولو كانوا مثله سنا - كلمات وعبارات لم يسبق له أن سمعها من أبيه وأمه أو اخوته ، وسائر من اتصل بهم من قبل (١) .

ومن الممكن أن يتكرر الفرد لفظاً من الألفاظ - كما يحدث في المجامع اللغوية أو أن يرتكب خطأ في نطق كلمة أو تركيب جملة ثم يؤخذ عنه ويشيع ، وليس اشتراط شيوع الابتكار الفردي في اللغة مغيراً للأمر الواقع الذي هو أن الفرد - وليست الجماعة - هو السبب في التغير اللغوي (٢) .

٢ - أثر الفرد في المفردات والتراكيب :

أما أثر الفرد في المفردات والتراكيب فهو واقع لغوي يعترف به الباحثون ، فالطفل يسمع مفردات جديدة ، وتعبيرات جديدة ، وطرائق من الكلام حديثة ، ان الصبي في المدرسة يتصل بزملاء له يختلفون عنه طبقة وسناً وتجربة ، فيسمع من أولاد من هم أغنى من ذويه ، كلمات وعبارات لم يكن له بها علم ، بل انه يسمع من أولاد نظراء أهله -

المثقفين بالعربية الى (كاف) والذال تحولت في العامية الى زاي او دال وهكذا ، وبعض الظواهر اللغوية تؤدي الى التطور الصوتي ، فظاهرة التفتيح أدت - مخالفة للفصحى - الى نطق كلمة (درب) : (ضرب) في العامية - بتحويل (الدال الى (ضاد) .

(١) د . السمران : اللغة والمجتمع ص ٤٧ ، وانظر : جبرسن اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٥٣ - وقد أثبتت التجارب أن الأطفال يخترعون بعض الألفاظ والصيغ ونحن نسمع كثيراً منهم يرتجلون كلمات مركبة من حروف عدة .
انظر : د . أنيس : من أسرار اللغة ط ٣ ص ٨٧ - ٨٩ واحمد الاسكندري : فقه اللغة ص ٣٠ .

(٢) وقد اعترف علماء اللغة بوقوع الارتجال في اللغة العربية ، فالعربي الفصيح كان يخترع ألفاظاً ويشق أخرى أو يقيسها متبعاً طرق التجديد في ذلك ، ويروي عن روبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها . والباحث

وهناك ألفاظ لا تكون معروفة
الا في محيط الأسرة .

ومما ينتكره الفرد في مجال
اللغة ، نقل الألفاظ الى معان
جديدة ، ويشترط علماء اللغة
وجود العلاقة المسوغة لهذا
الاتقال على ما هو معروف في
أسلوب المجاز ..

لا توجد عند غيرهم كاستعمال
(فرعون) أو (الطاغوت) اسما
لوالد مستبد ، و (القط) لطفل
مدلل في الأسرة و (شعبة) لطفل
بغية أن يعيش ، وغير ذلك مما
يستعمل في نطاق محدود . وهو
نوع من ابتكار المعاني ونقل
استعمالات الألفاظ ..

وقد ينقل الفرد أو الأسرة
بعض الألفاظ الى معان خاصة ،

والفرد - حال ابتكاره
للمفردات أو الأساليب ، مقيد

في العربية يعثر في بعض مصنفاتها على كلمات وصفت
بالاختراع فقيل عنها انها مصنوعة ، وقد أورد السيوطي في
المزهر عددا من تلك الكلمات غير منسوبة ووصفها بالاختراع
والصناعة ، وقد روى في بعض مراجع اللغة والأدب ما يدل على أن
أحد الشعراء أو الكتاب قد يرتجل كلمة أو كلمتين تفكها وتظرفا .
وفي كتب النحاة ما يرشدنا الى اعترافهم بالارتجال في اثناء حديثهم
عن العلم وتقسيمه الى منقول ومرتل .

وفي العامية كثير من الألفاظ التي لا أصل لها في اللغة الفصحى
أو اللغات الأجنبية وهي ترجع الى اختراع الأفراد والجماعات ،
وذكر الدكتور إبراهيم أنيس انهم كانوا يقولون - على سبيل
الاختراع - وهم طلبة مثل :

ومدعش بالعثلمين تفنطحت سلفا قناة كبزفرع القنظل
انظر : ابن جني : الخصائص ٢١/٢ - ٢٨ ومواضع أخرى منها
٢٩٨/٣ ، والسيوطي : المزهر ٥٢/١ - ٥٦ ، ٦٣ - ٦٧ ، ٩٠ ،
وغيرها ، والأصفهاني : الأغاني ٦٢/٣ والمسدودي : مروج الذهب
٤٣/٤ والأشمووني ١٣١/١ ، د . أنيس : من أسرار اللغة
ط ٣ ص ٩٠ - ٩٢ .

بالعرف اللغوى المتعلق بالدلالة ،
فمن المسلم به فى دراستنا للدلالة
اللغوية أن مخالفة الأساليب
العربية تزيد من صعوبة المعنى ،
ولو نطقنا - فى العامية - (قلم
أحمد على معاه) بدل (على معاه
قلم أحمد) لثار شعور السامعين
لمخالفة العرف اللغوى .

اللغوية ، اللهم الا فى لغة الطفل
أو (رغائه) فانها تفقد هذا
العنصر ، وكذلك محاولة ارسال
بعض الأصوات لمجرد اللهو
والهوى ، وفيما عدا ذلك يجب أن
يتبع الفرد فى كلامه الاصطلاحات
اللغوية العامة (١) .

ولنا لقاء قريب فى المقال القادم
ان شاء الله تعالى .

ولذا يشترط فى ابتكار الفرد
عنصر الافهام لدى الجماعة

د . عبد الغفار حامد هلال

(١) جيسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع ص ٢٣ ، ٤٣ .

« هل تعلم ؟! »

- * ان شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكر فى القرآن ذكرا صريحا ، ولم يذكر شهر سواه .
- * أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .
- * أن للصائم دعوة عند فطره لا ترد .
- * أن للصائم فرحتان يفرحهما - فرحة عند فطره - وفرحة عند لقاء ربه .
- * ان لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم .
- * ان من صام رمضان ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

رسالة من السودان إلى السيد صلاح حافظ

الشعوب ودمها بعد أن أعلن أن الله
قد مات !

والذى يعلن موت الخالق لا
يحترم كرامة المخلوق !

وبالتالى فان قوانين العصر
ليست المثل الذى يحتذى • انها
قوانين وشعارات مصنوعة لابتزاز
دم البشرية لأجل رفاهية الغرب •

ولو سارت الشريعة الاسلامية
العصر كما نردد ...

لباتت شريعة غير عادلة !
أنت يا سيدى أكثر ثقافة منى
دون شك •

وتعلم أن الامم المتحدة ••
وحقوق الانسان •• هى مجرد
شعارات •

ان مكاتب الامم المتحدة تحت
رحمة مخابرات الغرب •

أنا وأنت يا سيدى فى قفص
الاتهام ! ومعنا عبد اللطيف
غزالى • وسأروى لك أولا قصة
قاطع الطريق اليونانى بروكست :

كان بروكست يسلب المسافرين
ثم يمددهم على سرير من حديد
خمن ناف طوله هذا السرير قطع له
هذا الطول •

ومن قصر شده حتى يصير على
طول السرير •

وبالتالى فنحن نريد أن نقص
شريعة الله لتتناسب مع العصر •

لماذا لا نسأل ذواتنا أولا عن
ماهية العصر ؟

يجب أن نعترف يا سيدى أن
هذا العصر ليس من صنعنا •• انه
من صنع الغرب •• صنعه من عرق

عالم النفس الامريكى اريك
فروم فى كتابه « ثورة الأمل »
يقول :

« لو كان البشر يعرفون الطريق
المحتمل للمجتمع الامريكى اذن
لتولاهم الرعب جميعهم تقريبا !

الى حد أنهم يتخذون
الاجراءات الوافية لكى يغيروا
اتجاههم •

فان لم يع البشر الجهة التى
يمضون فيها فانهم سيستيقظون
متأخرين جدا عندما يكون مصيرهم
قد كرس نهائيا •

الا انهم للأسف فى أغليتهم
العظمى لا يعرفون الى أين هم
سائرون » •

شريعة الاسلام عدل يا سيدى •
ولا بد أن تكون فى اتجاه مضاد
لقوانين العصر •

الاسلام نزل ليقود ! لا ليقاد •
نزل ليقود البشرية الى الخير ••
ان الشعوب الاسلامية تعيش

من هو المشرف على البنك
الدولى الآن ؟

وما هى علاقته بحرب فيتنام ؟

هل ننسى أن الامم المتحدة
اشتركت فى قتل الزعيم لوممبا ••
وغيره ؟

نحن نعيش عصر ، دم الانسان
فيه مباح لمن يمتلك السلاح ! ••
عصر بدون قيم !

أهان المرأة فى أعز شئ
تملكه •••
أهانها فى أنوثتها •

وسمح للرجال بالزواج من
الرجال !

عصر الغش والخداع ••

الدكتور البريطانى جون يودكن
يقول :

ان خمسين فى المائة من ميزانيات
العلاج فى أفريقيا تدفع مقابل أدوية
أوقف استعمالها وتداولها فى
الغرب •••

نحن فى عصر لا يستحق أن
يكون مثلا يا سيدى ••

- مأساة بسبب التخلي عن شرائع
الاسلام •
- نحن نتشدد بكلمة الاسلام ••
فى حين أنه بيننا وبينه بعد
المشرقين !
- بسبب انها تردد ما يقوله
الأسياذ •
- الواقع يقول اننا نعيش مرحلة
التيه !
- حال الاسلام فى بلادنا يشبه
حال سمكة أخرجها الصياد من
الماء •••
- نشبه الملاك الذى بات يترنح
على الحلقة بعد أن فقد التحكم فى
السيطرة على ذاته من أثر الكلمات
الخطافية من اليمين ومن اليسار !
- ووضعها على الشاطئ ••
- ما لم تكن لنا أرض ياسيدى
ثبتت أقدامنا فوقها !
- ثم سأل نفسه فى غباء ••
- فلا أمل هناك !
- لماذا لا تسبح هذه السمكة فى
الهواء ؟
- ونحن وضعنا الاسلام على
هامش الحياة ونسأل فى غباء :
- لا بد أن نحاول أن نستعيد
قوانا من ذواتنا •
- لماذا بقينا على هذا الحال ؟
- الفكر الخلاق ليس حكرا على
جنس من الأجناس •••
- لا بد أن نحاول لمس الأرض
بأقدامنا •••
- فى اسطورة اتيه اليونانية :
- عندما تبين للبطل أثناء صراعه
مع الغول ،
- الاسلام لا بد وأن يكون فى
المنزل وفى الشارع وفى المدرسة ••
- انه كان يستعيد قواه كلما مس
الأرض بقدمه ، فانه رفعه ••
- يكون فى المزرعة وفى المصنع •
- عندئذ يتغير سلوك الانسان
ويتبدل فكره ••••

فتوصل هكذا الى خنقه • وسترى ماذا سيحدث بعدها !!!
 والحقيقة يا سيدى •• اذا كانت كلاب الروم داست
 ان الغرب استطاع ان يرفعنا أرض القمر !
 بعيدا عن الأرض ! فلا بد وأن تكون الشمس تحت
 وما زال يعمل جاهدا على أن قدمى !!!
 نظل هكذا !
 نحن يا سيدى بكل صراحة نجيا الشريعة ليست فى حاجة الى
 بلا عقيدة ! تطوير !
 لا نملك أرضا ! أنا وأنت فى أمس الحاجة الى
 ما نعرفه عن «بمبة كشر» خريجة التطوير !
 شارع محمد على أكثر مما نعرف
 عن محمد رسول الله •• ما زلنا قردة ••
 نردد ما يقوله الأسياد !!!
 أعطنى الأرض !
 أعطنى عقيدتى !
 قل لى من هو محمد رسول
 الله •••
 المهندس
 حسن أبو رحمة
 الرى المصرى بالرصيرص
 جمهورية السودان

هلال رمضان

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يستقبل
 رمضان يدعو الله فيقول : « اللهم أهله علينا باليمن والايمان
 •• والسلامة والاسلام ، والعافية ودفاع الأسقام ،
 والعون على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن » .

أخطاء شائعة

للدأستاذ عباس أبو السعود

ولم يجوز فيه استعمال لفظ مع ، لأن معناها المصاحبة ، وخاصيتها أن تقع فى المواطن التى يقع الفعل فيها من واحد ، والمراد من ذكرها الابانة عن المصاحبة التى لو لم تذكر لما عرفت ، كما فى قوله تعالى : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » وقوله : « وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا » •

٤٨٦ وينكرون أن يقول صاحب المنزل لمن قرع بابه : خش أى ادخل ، ويصرون على أن خش كلمة عامية والحق أنها عربية سليمة ، تقول : خش الولد فى الحجرة يخش وانخش اذا دخل ، وقال الأصمعى خششت فى الشئ دخلت ، وقال : زهير : (فخش بها خلال القدفد) أى دخل بها •

٤٨٥ ويقول العامة وكثير من الخاصة : اجتمع قائد الجيش مع جنوده ، فيوهمون فى قولهم ، والفصيح أن يقال : اجتمع قائد الجيش هو وجنوده لان لفظ اجتمع بزنة افتعل ومثله اختصم واقتتل ، وما كان كذلك على وزن تفاعل مثل تفاهم وتخاصم وتضافر يقتضى وقوع الفعل من أكثر من واحد ، فمتى أسند الى أحد الفاعلين لزم أن يعطف عليه الآخر بالواو لا غير ، وانما اختصت الواو بالدخول فى هذا الوطن ، لأن هاتين الصيغتين تقتضيان وقوع الفعل من اثنين فصاعدا ، ومعنى الواو يدل على الاشتراك فى الفعل أيضا ، فلما تجانسا فى هذا الوجه وتناسب معناهما استعملت الواو فقط فى هذا الموضع ،

وانخس الرجل فى القوم
انخشاشا دخل فيهم ، وفى
حديث عبد الله بن أنيس
« فخرج رجل يمشى حتى
خس فيهم » أى دخل ومنه
يقال لما يدخل فى أنف البعير
خشاش ، ومن المجاز : جعل
الخشاش فى أنفه وقاده الى
الطاعة بعنفه والخشخشة
الدخول فى الشيء كالانخشاش
وتخشخش فى الشجر دخل
فيه وغاب .

والمخش بكسر الميم
الجرىء على العمل فى الليل،
تقول : فلان مخش ليل اذا
كان دخالا فى ظلمته .

٤٨٧ وينكرون أن يقول القائل :
سألت صديقى بعلمه ومعروفه
بتعدية الفعل بالباء ، يعنى أنه
سأله عن علمه ومعروفه ،
ويعصرون على أن هذا الفعل
دائم التعدى بنفسه الى

مفعولين مستأنسين بقوله عز
شأنه : « قل لا أسألكم عليه
أجرا » وقوله : « لا نسألك
رزقا نحن نرزقك » وقوله :

« واذا سألتموهن متاعا » والحق
أن التعبير الذى أنكره سليم
وبيان ذلك أن الفعل المذكور
قد يتعدى بنفسه الى مفعولين
كما فى الآيات السابقة ، وقد
يتعدى بنفسه الى مفعول
واحد والى الثانى بعن كما
فى قوله تعالى « يسألك الناس
عن الساعة » وقوله : « واذا
سألك عبادى عنى فانى
قريب » وقد يتعدى الى
مفعول واحد بعن كما فى
قوله : « يأيها الذين آمنوا لا
تسألوا عن أشياء ان تبدلكم
تسؤكم » وقد يتعدى الى
مفعول واحد بالباء كما فى
قوله سبحانه : « سأل سائل (١) »

(١) قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » معناه انه سخر فطلب
وقوع العذاب متحديا ليصدق أن الله حق ، والسائل هو النضر
ابن الحارث الذى قال : ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء ، أو هو ابو جهل الذى قال : فأسقط علينا
كسفا من السماء .

بعذاب واقع» وقد يتعدى
نفسه الى مفعول واحد والى
الثانى بالباء كما فى قول
الشاعر :

فان تسألونى بالنساء فأننى
بصير بأدواء النساء طيب
أى فان تسألونى عن
النساء ، قال الاخفش : يقال
خرجنا نسأل عن فلان ،
وبفلان .

وقد يجر المفعول الثانى بمن
الزائدة كما فى قوله تعالى :
« قل ما أسألكم عليه من
أجر » أى ما أسألكم عليه
أجرا ، بدليل قوله : « قل
لا أسألكم عليه أجرا »
وقوله : « ويا قوم لا أسألكم
عليه مالا » .

يقال : سألته يسأله سؤالاً ،
ومسألة ، وتسألاً .

والسؤل والسؤلة بضمهما
هو ما يسأل ، تقول : أصبت
سؤلى أو سؤلتى أى طلبتى
فعل بمعنى مفعول كعرف وفكر ،
ومنه قوله تعالى : « قال قد

أوتيت سؤلك يا موسى » .
ومثلهما السألة بالفتح ،
تقول : هو سألتى من الدنيا .
واللهم أعطنا سألانا ، قال :
وناديت يا رباه أول سألتى

إليك سليمان ثم أنت حسيها
والأمر من سأل اسأل ، تقول
لمن أذنب اسأل الله المغفرة ،
ومنه قوله تعالى : « واسألوا
ما أنفقتم » .

ويقال سأل يسأل بدون همز
كخاف يخاف والأمر منه سل
ومنه « سل بنى اسرائيل كم
آتيناهم من آية بينة » واسم
الفاعل من الفاعلين سائل ،
وللمبالغة سأل وسئول بفتحها
وجمع السائل سألة ككتبة
وسؤال ككتاب ويقال لكثير
السؤال سؤلة كهمة .

٤٨٨ ولقد شاع على السنة كثير
من الأدباء والمثقفين وأسالات
أقلامهم قولهم لأبنائهم ينبغى
عليكم أن تتجهّدوا فى
دروسكم لتتججّوا فى
الامتحان ، يعنون وجوب
الاجتهاد .

الشيء المبتغى كالبغية بكسر
الباء وضمة ، والباغى الطالب
جمعه بغاة وبغيان بضم كل
كل منهما •

تقول : ابغنى ضالتي أى
اطلبها لى أو أعنى على طلبها،
قال رؤبة :

(واذكر بخير وابغنى ما
يبتغى) أى اصنع بى ما يجب
أن يصنع •

وقال ابو نواس فى هذا
المعنى :

قال ابغنى المصباح قلت له اتد
حسبى وحسبك ضوءها مصباحا
ويقال : بغى فلان على
الناس بغيا من باب رمى اذا
ظلمهم واعتدى عليهم وعدل
عن الحق ومن هذا قوله
تعالى : « يأيها الناس انما
بغىكم على أنفسكم »
وقوله : « وينهى عن الفحشاء
 والمنكر والبغى » •

ومن المجاز قولك : بغى
الجرح اذا ترامى الى الفساد،

وهذا خطأ وضلال بعيد ،
لأن كلمة على لا تستعمل مع
ينبغى ، وانما تستعمل مع هذا
الفعل اللام فيقال : ينبغى لكم
أن تجتهدوا ، اذ أن معنى هذا
التعبير يندب لكم ندبا مؤكدا
لا يحسن تركه أن تجتهدوا ،
ويؤيد هذا رأى قوله تعالى
« لا الشمس ينبغى لها أن
تدرك القمر » وقوله : « وما
ينبغى للرحمن أن يتخذ
ولدا » وقوله : « وما علمناه
الشعر وما ينبغى له » وقوله
« قال رب اغفر لى وهب لى
ملكا لا ينبغى لأحد من
بعدى » وقوله « قالوا
سبحانك ما كان ينبغى لنا
أن نتخذ من دونك من
أولياء » وقول اللغويين ما ينبغى
أن يكون كذا معناه ما يتيسر
وما يخسن •

ويقال : بغيت الشيء أبغيه
بغاء ، وبغى ، وبغية بضمهم ، وبغية
بكسر الباء أى طلبته ، والبغية
بتشديد الياء وزان رضية

أحدهما : كلمة جريدة ،
لأنها ليست محلا لكتابة
الأخبار وغيرها ، وإنما هي
سعة من سعة النخل جرد
عنها الخوص وقشر •

والأخرى : كلمة جرائد ،
فهى - وإن كانت جمعا قياسيا
لجريدة كسبيكة وسبائك ،
وشريكة وشرائك ولم
تستعملها العرب بهذا المعنى ،
وإنما قالت : إن الجريدة
بمعناها الحقيقى واحدة
الجريد اسم جنس جمعى
يتميز واحده بالتاء كتمر
وتمر ، وشجرة وشجر وكلمة
وكلم والجريد معناه السعف
الذى يجرد عنه الخوص ،
ولا يسمى جريدا ما دام عليه
الخوص •

والصواب أن يقال : صحيفة
الأهرام أصدق الصحف
قولا •

والصحيفة قطعة من جلد
أو قرطاس يكتب فيه ، جمعها
صحف وصحائف ، يقال

وبغت السماء إذا ألح مطرها
وبغى فلان فى مشيته إذا
اختال وأسرع فيها •
ويقال للفرس : انه لذو بغى
فى عدوه أى ذو مرح •

ويقال : بغت المرأة بغاء
بكسر الباء إذا كانت طلبوا
للرجال فاجرة ، ومن هذا قوله
تعالى : « ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء » •

والبغى بتشديد الباء وزان
غبى وصف خاص بالمرأة ولا
يقال للرجل ، ومنه قوله
سبحانه على لسان مريم عليها
السلام : « قالت أنى يكون
لى غلام ولم يمسنى بشر
ولم أك بغيا » •

وقوله على لسان قومها :
« يا أخت هارون ما كان أبوك
امرا سوء وما كانت أمك
بغيا » •

٤٨٩ ويقولون : جريدة الأهرام
أصدق الجرائد قولا ، وفى
هذا التعبير غلطتان •

صحائف الكتب خير من صحاف الذهب ، ومن المجاز قولك لغيرك : صن صحيفة وجهك أى بشرته والجرادة بضم الجيم ما قشر عن الشيء كالخوص ونحوه ، تقول : جردت الشيء جردا من باب نصر اذا أزلت ما عليه •

والتجريد التعرية ، تقول : جردت فلانا من ثيابه بالتثقيل اذا نزعته عنه وعريته فتجرد هو وانجرد ، ومن المجاز قولك : جردت السيف من غمده اذا سللته فهو سيف مجرد •

ويقال رجل أجرد اذا لم يكن على جسده شعر وفى الحديث « أهل الجنة جرد مرد مكحلون » وفرس أجرد اذا كان قصير الشعر رقيقه ، والأجرد السباق ومضى عليهم عام أجرد وجريد اذا لم يكن فيه خير ، ورجل جارود أى مشئوم يجرد الخير بشؤمه ، وما رأيت

فلانا مذ أجردان وجريدان أى منذ يومين أو شهرين • يقال : تجرد فلان لأمر كذا اذا جد فيه ، وتجرد لعبادة الله تعالى ، وتجردت السنبلة اذا خرجت من لفائفها ، وثوب جرد بفتح فسكون اذا كان خلقا باليا ، وما أنت بمنجرد السلك اذا لم يكن مشهورا ، وتنق ابلا جريدة أى خيارا ، والجراد بصيغة المبالغة هوجلاء آنية الصفر •

٤٩٠ ويقول الواحد منهم : تكبدت فى هذا الأمر كثيرا من المشاق ، وكبدتنى هذه القضية دراهم لا حصر لها وهذا خطأ ، والفصح أن يقال فى المعنى الأول : كابدت فى هذا الأمر كثيرا من المشاق مكابدة أى قاسته مقاساة ، وأصابنى منه قدر كبير من المعاناة •

وأن يقال فى المعنى الثانى : بهظتنى هذه القضية ، أو حملتنى ، أو جشمتنى ، أو

كابتد فيها باهظ النفقات
حتى أثقلت كاهلي ، وقد
قيل : المسافر يكابد الليل
إذا ركب هوله وصعوبته •

أما كبد وتكبد فهما
عريتان سليمتان ولكن في غير
هذا المعنى إذ تقول تكبدت
الشمس السماء إذا صارت
في كبيدائها وهو وسطها ،
وكبدت الشمس تكبيداً إذا
صارت في وسط السماء •

ويقال : تكبد اللبن إذا
خثر وذهب صفوه وبقيت
خثارته أي عكارتة ووسخه •

٤٩١ ويتولون في تحية الضيف :

على الرحب والسعة بفتح
الراء ، والصواب أن يقال على
الرحب بضمها وذلك لأن
مضموم الراء هو المصدر ،
تقول : رحب المكان رحبا
كحسن حسنا إذا اتسع ،
ومثله رحب رحابة بفتح
الراء كفتح فصاحة ، ففي
الأساس : ضاقت على الأرض
برحبها بضم الراء أي باتساعها

وبما رحبت ، وانزل في
الرحب والسعة ، وفي
القاموس ورحب به ترجييا
دعاه إلى الرحب ، وفي المختار
الرحب بالضم السعة ،
والرحب بالفتح الواسع وكذا
الرحيب ومنه قولك فلان
رحيب الصدر ، وفي المصباح
رحب المكان رحبا من باب
قرب فهو رحب ورحيب
بفتحهما •

ومن المجاز قولك : فلان
رحب الذراع بهذا الأمر إذا
كان مطيقا له ، ورحب الباع
والذراع ورحيهما إذا كان
سخيا •

مما عرضنا من أقوال
أصحاب المعجمات استبان أن
مضموم الراء مصدر ومعناه
الاتساع وهو المناسب للسعة ،
أما مفتوحها فهو صفة مشبهة
ومعناه واسع ، وتقول رحب
فهو رحب أي واسع كضخم
فهو ضخيم ، ومثله رحيب
كشرف فهو شريف •

وهذا الفعل يتعدى بالحرف فيقال رجب بك المكان ، ثم كثر حتى تعدى بنفسه فقالوا رجبتم الدار ورجبكم الدخول فى طاعة الأمير أى وسعكم ، وهذا شاذ فى القياس ، فانه لا يوجد فعل بضم العين الا لازما مثل شرف وكرم غير أن أبا على حكى عن هذيل تعدية هذا الفعل .

ويقال فى هذا المعنى : مرحبا وأهلا أى أتيت سعة وأهلا فاستأنس ولا تستوحش ومرحبا ومسهلا أى صادفت سعة ومكانا سهلا ، ومرحبك ومسهلك ، ومرحبا بك الله ومسهلا ، قال الجعدى :

ومستأذن يبتغى نائلا (١)
أذنت له ثم لم يحجب
فأب (٢) بصالح ما يبتغى

وقلت له ادخل ففى المرحب
٤٩٢ ويسمون ما يضرب به النجاد
القطن ليرق ويتنفش قوسا ،

والأفصح أن يسمى مندفا ، ومندفة وكربالا بكسر أوائلهن ، تقول : قطن مندوف ، ونديف ، ومندف بتشديد الدال مفتوحة .

وقيل : المندف هو الخشبة التى يطرق بها الوتر ليرق القطن ، ووتر المندف يسمى المشوار بالكسر والهبرية وزان شرذمة ما طار من زغب القطن أو من الريش .

وانما قلنا الأفصح لأننا نبيل دائما الى التخصيص ، اذ للقوس ألوان عدة ، ولا بد أن تصاف الى ما يخصها فيقال :

١ - قوس ندف وهى التى تعنينا ها هنا .

٢ - قوس نبل وهى العربية المعروفة .

٣ - قوس جلاشق بضم الجيم وهو البندق الذى يرمى به ، وأصله بالفارسية (جله) وزان صرد .

رجلة الرأى ، ولهذا لا يقال
فى لوح لوحة •

ولاصلاح عبارتهم يجب
أن يقال : كتبنا أسماء الفائزين
فى لوح وجمعه ألواح • كما
فى قوله جل شأنه : « بل هو
قرآن مجيد فى لوح محفوظ »
وقوله : « وكتبنا له فى
الألواح » وقوله : « وحملناه
على ذات ألواح ودر » •

واللوح كل صفيحة عريضة
خشبا كانت أو عظما ، وجمع
الجمع تلاويح •

ويقال : نظرت الى ألواح
فلان أى الى ظواهره ، قال
يصف امرأة :

تمسى كألواح السلاح وتض
حى كالمهات صبيحة القطر
ومن المجاز قولك للمهزول
لم يبق منك الا الألواح أى
العظام العراض •

٤٩٤ ويقولون : انفقنا فى رحلتنا
الى انجلترا خمسة آلاف جنيه

٤ - قوس النشاب وهى
الفارسية •

٥ - قوس الحساب بضم
الحاء وهى السهام الصغار ،
واحدتها حسابانه بالهاء •

وفى المثل «رموهم عن
قوس واحدة » ويضرب فى
الاتفاق •

٤٩٣ ويقولون : كتبنا أسماء
الفائزين فى لوحة علقناها على
جدار فى فناء المدرسة ،
ويجمعونها على لوحات ،
وكل من المفرد والجمع خطأ ،
لأن التاء الفارقة بين المذكر
والمؤنث لا تلحق اطرادا لا
الصفات كصائم وصائمة ،
ومحروم ومحرومة ، وجرىء
وجريئة ، ولكنها لا تلحق من
الأسماء الا عددا قليلا
مسموعا ، منه : سبع
وسبعة ، وذئب وذئبه ،
وأسد وأسدة ، ونمر ونمرة ،
ورجل ورجلة ، وقيل ان عائشة
رضى الله تعالى عنها كانت

إذا كان طعامنا يكلفنا في
اليوم خمسين جنيهاً ، وهذا
الكلام يشوبه الخطأ ، لأن
كلمة جنيه عامية •

والفصحى أن يستبدل بها
لفظ دينار فيقال : أنفقنا
خمسة آلاف دينار ، وأصل
الدينار دينار بتشديد النون،
أبدل من أحدهما ياء للتخفيف
حتى لا يلتبس بالمصادر من
نحو كذاب في قوله تعالى :
« لا يسمعون فيها لغوا ولا
كذابا » والدليل على صحة
ذلك أنها ترد في الجمع إلى
أصلها فيقال دنائير •

وبعضهم يقول : هو فيعال،
وهذا القول مردود بأنه لو كان
كذلك لوجدت الياء في الجمع
كما ثبتت في جمع ديماس
وهو الحمام على دياميس ،
وفي جمع ديباج على ديبايج
ويشبه الوجه في وضاءته
واشراقه بالدينار فيقال :
وجه فلانة كأنه الدينار
الهرقلى •

كأن دنائيرا على قسماتها
وان كان قد شف الوجوه لقاء
ويقال : ذهب مدنر إذا
كان مضروبا ، وكلمت فلانا
فدنر وجهه تدنيرا إذا تلالأ ،
ودنر الأمير بالبناء للمجهول
فهو مدنر إذا كثرت دنائيره •
ومن المجاز قولك : ثوب
مدنر أى أن وشيه كالدينار،
قال ابن المفرغ :

وبرود مدنرات وقـز
وملاء من أعتق الكتان

٤٩٥ ويجمعون أعجف بمعنى هزيل
وكذا مؤثته عجفاء على عجف
بضم فسكون ، وحجتهم
في هذا أن أفعل الذى مؤثته
فعلاء ، وفعلاء التى مذكرها
أفعل يطرد جمعها على فعل
كأحمر وحمرء وحمر ،
وأخضر وخضراء وخضر ،
وكذلك يجمع على فعل أفعل
الذى ليس له فعلاء لمانع فى
الخلقة كأكرم لعظيم الكمرة
وهى حشفة الذكر ، وآدر

ومما شذ من هذه القاعدة
أيضا فلم يجمع على فعل كلمتا
أبطح وبطحاء ، وكلتاهما
معناها مسيل واسع فيه
دقاق الحصى فقد جمعتا على
بطاح بالكسر ، وبطائح
وأباطح .

وهناك ألفاظ جمعت قياسا
على فعل ، وشذوذا على فعال
بالكسر منها :

١ - أجرب وجرباء ، فقد
جمعتا قياسا على جرب ،
وشذوذا على جراب بالكسر
وجربى بالفتح .

٢ - أعصل وهو المعوج
فى صلابة ومؤنثه عصلاء ،
فقد جمعتا قياسا على عص
تقول : سهم أعصل ، وناب
عصلاء ، وسهام وأنياب عص
وشذوذا على عصال
بالكسر .

٩٦٤ ويقولون : تواجد العلمان فى
الملعب فهم متواجدون ،
ولا بد من تواجدهم فيه كل

لعظيم الخصية ، يقال فى
جمعها كمر وأدر ، ويجمع على
هذا الوزن أيضا فعلاء التى
ليس لها أفعل لمانع خلقى
كرتقاء وهى التى ليس لها
خرق الا المبال ، وكذا عفلاء
وهى المرأة التى يخرج من
قبلها شئ كالأدره ، فيقال
فى جمعها رتق وعقل .

أما أعجف وعجفاء فكلاهما
شذ من هذه القاعدة ولا
يجمع الا على عجاف بكسر
العين ، كما فى قوله تعالى :
« انى أرى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف » وانما
جمعت عجفاء على عجاف اما
حملا لهذا الجمع على ضده
وهو سمان ، لأن العرب قد
تحمل الشئ على ضده ، كما
قالت عدوة حملا لها على
صديقة ، وفعل بمعنى فاعل
لا تدخله الهاء اذا كان
للمؤنث تقول امرأة صبور
وشكور وغفور ، واما حملا
له على نظيره وهو ضعاف .

٤٩٧ ويقولون : ألزمه القاضي بالحق فالتزم به ، وفى هذا التعبير غلطان :

أحدهما : أنهم جعلوا الفعل ألزم متعديا لمفعول به واحد ، والفصحح أنه ينصب مفعولين بدليل قوله تعالى : « وألزمهم كلمة التقوى » وقوله : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » ، وقوله : « أنلزمكموها وأتتم لها كارهون » •

فكان عليهم أن يقولوا : ألزمه القاضي الحق •

والغلطة الأخرى : أنهم جعلوا مطاوع هذا الفعل لازما ، مع أن مطاوع الفعل المتعدى لاثنين يجب أن يتعدى لواحد ، تقول : ألزمته الشيء فالتزمه •

فكان عليهم أن يقولوا : ألزمه القاضي الحق فالتزمه ، لا فالتزم به أما الفعل الثلاثى فتارة يكون قاصرا كما فى

صباح ليؤدوا ما يقويهم من التمرينات الرياضية ، ومن لم يتواجد منهم فى الموعد المحدود حرم المكافأة ، وكل هذه التعبيرات خطأ ، لأن التفاعل من الوجود لم يرد عن العرب وكذا كل ما يشتق منه والصواب أن يقال : وجد المدرب غلمانه فى الملعب فهم موجودون ، اذ أنه لا بد من وجودهم فيه كل صباح ، ليؤدوا تمريناتهم الرياضية ، ومن لم يوجد فى الموعد المحدود حرم المكافأة •

ولك أن تقول : أوجد المدرب غلمانه فى الملعب صباحا فهم موجودون ، كما يقال أوجده الله فهو موجود ، ولا يقال : فهو موجد •

ومثل ذلك قولهم أجنه الله فهو مجنون ، ولا يقال مجن ، وأسله فهو مسلول ولا يقال مسل •

فقد لقياً حتوفهما لزاما
قوله جل شأنه : « ولولا
كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما » معناه لكان العذاب
لازما لهم، ولكنه أخرهم الى
يوم القيامة •

ومن معانى الالتزام
الاعتناق ، تقول : التزم فلان
الاسلام اذا اعتنقه فالاسلام
ملتزم بصيغة اسم المفعول ،
ومنه يقال لما بين باب الكعبة
المشرقة والحجر الأسود
الملتزم ، لأن الناس يعتنقون
أى يضمونه الى صدورهم ،
ويقال للشئ الثابت : صار
هذا الشئ ضربة لازم ، كما
قالوا : ضربة لازب وضربة
اللازب أفصح من ضربة اللازم
كما رأى صاحب المختار لأن
فيها لصوقا •

وفى التنزيل : « انا خلقناهم
من طين لازب » أى لازق •
قال كثير فى محمد بن الحنفية

قولك : لزم الشئ لزوما
بالضم ولزاما بالكسر اذا ثبت
ودام ، وتارة ثانية يكون
متعديا لواحد كما فى قولك
لزم الولد أباه لزما ولزوما ،
ولزاما ، كلازمه ملازمة ولزاما،
وهو لزمة كهزمة أى اذا لزم
شيئا لا يفارقه ، وتارة ثالثة
يكون متعديا بالباء كما فى
قولك لزم الولد بأبيه أى
تعلق به •

ومن معانى اللزام بكسر
اللام العذاب ، فقوله تعالى :
« قل ما يعبا بكم ربى لولا
دعائكم فقد كذبتهم فسوف
يكون لزاما » معناه ما يصنع
بكم ربى لولا دعاؤه اياكم
الى الاسلام فقد كذبتهم فسوف
يكون لزاما ، أى عذابا لازما
لكم •

أنشد أبو عبيدة لصخر
القمى :

فاما ينجوا من حنط^(١) أرض

(١) الحنط : الموت جمعه حتوف

وهو في حبس ابن الزبير :
خما ورق (١) الدنيا بباق لأهله

وما شدة البلوى بضربة لازم
٤٩٨ ويقولون : أوقفت الحكومة

فلانا عن عمله بالفعل المزيد
بالهمزة ، يعنون أنها منعت
منه ، وهذا خطأ صراح .

والصواب أن يؤدي هذا
المعنى بالفعل الثلاثي فيقال :

وقفته عن عمله وقفا من باب
وعد ، كما يقال : وقف

الأب ابنه على ذنبه اذا أطلعه
عليه ليقطع عنه ، ووقف الرجل

داره للمساكين وقفا اذا
حبسها في سبيل الله .

ويقال : وقفت الدابة تقف
وقفا ووقفا اذا سكنت ،

ووقفتها أنا يتعدى ويلزم ،
وشئ موقوف ووقف تسمية

بالمصدر ، جمعه أوقاف كثوب
وأثواب .

أما قولهم أوقف فلان داره

بالألف فلغة رديئة ، ولذا
أنكرها الأصمعي .

وقال : اللغة الفصحى أن
يقال وقفت الشيء بغير ألف .

أما أوقف بالألف فلا
يستعمل الا في قولك أوقفت

عن الكلام اذا أقلعت عنه ،
وقولك كلمني فلان فأوقفت

أى أمسكت عن الحجة
عيا .

وعن أبي عمرو والكسائي
انه يقال للواقف : ما اوقفك

ها هنا ؟ أى أى شيء صيرك
الى الوقوف فى هذا المكان ،

وأفصح منه قولك : من وقفك
بغير ألف .

ويقال : وقفت الأمر على
حضور فلان أى علقته بالحكم

فيه بحضوره ، ووقفت
قسمة الميراث الى أن تضع

ربة البيت مولودها ، أى
أخرتها حتى تضع .

ويقال : وقمت القارىء
على الكلبة وقوفا ، ووقمته
توقيفا اذا علمته مواضع
الوقوف •

ووقمت ابنتى توقيفا اذا
جعلت فى يديها الوقف بزنة
الوعد ، وهو سوار من عاج
ونحوه •

والميقف والميقاف بكسر
ميمها عود يحرك به القدر ،
ويسكن به غليانها •

٩٩٩ : ويقولون : تنازل فلان لاختوته
عن حقه فى الميراث ، يعنون
انه تركه لهم محبة واكراما ،
وهذا التعبير يشوبه الخطأ ،
لأن التنازل لاصلة له بسعناهم
هذا ، وانما معناه النزال
والمنازلة ، تقول نازله فى
الحرب منازلة ونزالا ، وتنازل
تنازلا اذا نزل كل منهما عن
جمله وامتطى فرسه ثم أخذ
يتضاربان ويتناجزان •

والفصيح - لتأدية المعنى
المبتغى - أن يقال : نزل

لاخوته عن حقه ، كما يقال
نزل فلان لصديقه عما له عنده
من دين ، ونزل الأنصارى عن
واحدة من زوجاته لأحد من
المهاجرين ليتزوجها بعده ،
وتقول للشاعر انزل لى عن
هذه الأبيات كى أنسبها الى
نفسى •

أو يقال : هضم لاختوته
حقه فى الميراث ، كما يقال
هضمت المرأة من مهرها
لزوجها بعضه اذا وهبته له •

وتقول لأخيك : هضمت
لك من حقى كذا اذا تركته
وأسقطته •

ويقال : نزلهم ، وبهم ،
وعليهم ، اذا حل فهو نزيل
جمعه نزلاء ، قال :

نزيل القوم أعظمهم حقوقا
وحق الله فى حق النزيل
ومن المجاز قولك كنا فى
نزالة فلان بكسر النون أى
فى ضيافته فهو من الكرم
بمنزل ومن اللؤم بمعزل •

قارع أهل الفلك فكان من
المغلوبين •

والحق أن استعمال
المساهمة بمعنى المشاركة
صحيح للأدلة الآتية :

الأول : أن من يقارع
لا بد أن يكون له أسهم
يشترك بها بالقرعة •

والثاني : أن الزمخشرى
قال : تساهموا الشيء أى
تقاسموا •

وأشد الأصمعى لحكم
الخضرى :

تساهم تسويها ففى الدرع (١)

رأدة (٢)

وفى المرط (٣) لفاوان (٤)

ردفهما عبل (٥)

فالشاعر يريد أن يقول :
ان ثوبها اشتركا فى ستر

والنزل بضمين المنزل كالنزل
بسكون الزاى وما هبىء
للضيف أن ينزل عليه ، وكذلك
هو طعام النزىل ، وفى التنزيل
« هذا نزلهم يوم الدين »
ومن معانيه أيضا الفضل ،
تقول فلان ذو نزل أى ذو
فضل •

••• أنكرت مجلة المجمع اللغوى
استعمال ساهم فلان أخاه
بمعنى شاركه ، واكتفت لهذا
المعنى بأسمه وسهمه ،
وجرى وراء رأيها كثير من
رجال اللغة مستندين الى أن
المعاجم لم تذكر المساهمة الا
بمعنى المقارعة ، وأن ذلك
ورد فى قوله تعالى : « وان
يونس لمن المرسلين اذ أبى
الى الفلك المشحون فساهم
فكان من المدحضين » أى

(١) درع المرأة قميصها

(٢) الرأدة : الشابة الحسنه الناعمة

(٣) المرط : كساء من صوف أو خز يؤتزر به

(٤) اللفاوان مثنى لفاء وهى الفخذ الضخمة

(٥) عبل : ضخم

نستخلص من المعاجم أن
المساهمة معناها المشاركة :

١ - قال ابن الأثير في مادة
(أسا) والمواساة المشاركة
والمساهمة •

ب - وقال المصباح في
مادة (ناب) وناوبته مناوبة
بمعنى ساهمته مساهمة
وتناوبوا عليه تداولوه
بينهم •

ج - وقال القاموس في
هذه المادة : تناوبوا على الماء
أي تقاسموه •

فنص ابن الأثير يشير
بصراحة إلى أن المساهمة هي
المشاركة والنصان الآخران
يشيران إلى معنى المشاركة
رمزا وإيحاء ، إذ أن في
المناوبة التي هي بمعنى
المساهمة تداولوا وتقاسما
واشتركا وأن كل المتناوبين
لا بد أن يكون لهم أسهم فيما
تناوبوا عليه •

جسمها ، فقميصها غطى
نعومتها ومرطها أخفى فخذيها
وعجزتها المتسمة بالضخامة ،
ولقد عبر في هذا البيت عن
المشاركة بالتساهم ، ولا فرق
في المعنى بين ساهم وتساهم
لأن كلا من فاعل وتفاعل
موضوع لمعنى المشاركة كقاتل
وتقاتل ، ونافس وتنافس ،
وحارب وتحارب •

والثالث : أن من الآثار
الأدبية التي تؤيد صحة هذا
المعنى قول إبراهيم بن العباس
الصولي حينما قسم أخوه
عبد الله ماله ثلاثة أقسام
ووهب له ثلثا ولأخته ثلثا
وأبقى لنفسه الثلث الأخير
ليكون مساويا لهما •

ولكن عبد الله لما حوى الغنى
وصار له من دون أخوته مال
رأى خله (١) منهم تسد بمال
فساهم حتى استوت بهم الحال
والرابع : أننا نستطيع أن

(١) الخلعة : الحاجة والفقر

كلمة التجول بزنة التحول
لم ترد عن العرب ، والصواب
أن يقال : منعت التجوال أو
التطواف بفتح كل منهما ،
تقول: جول فلان في البلاد
تجولا وطوف فيها تطوفا ،
وتطوف بالبيت واطوف به
على البدل والادغام ، ومن
هذ قوله تعالى : « فمن حج
البيت أو اعتمر فلا جناح عليه
أن يطوف » ، وقوله :
« وليوفوا نذورهم وليطوفوا
بالبیت العتيق » •

ويقال : جال المقاتل في
الحرب جولا من باب قال ،
وجولا بالضم أيضا ، وجولانا
بالتحريك ، قال الفراء : اذا
كان الفعل في معنى الذهاب
والمجيء مضطربا فلا تهابن
في مصدره الفعلان كفاض
النيل فيضانا ، وخفق القلب
خفقانا ، وغلت القدر غليانا •

ويقال في قلبه جولان
الهموم وهو ما يجول فيه ،
قال :

مما عرضنا من الأدلة اتضح
أنه يجوز أن يقال : ساهمت
فلانا في انشاء هذه المدرسة
أى شاركته وقاسمته ، وأن
يقال : أسهمت أو سهمت في
بناء المدرسة بكذا ، غير أن
ساهم متعد وأسهم وسهم
لازمان ، فاذا قال قائل :
ساهمت في انشاء المدرسة كان
الفعل متعديا محذوف المفعول
أى ساهمت فلانا أو ساهمت
القوم ، كما حذف المفعول في
قوله تعالى : « فكشفت عن
ساقيا » أى فكشفت الثوب
عن ساقيا ، وكما حذف في
قوله : « وأما من أعطى
واتقى » فقد حذف من أعطى
مفعولان ، ومن اتقى مفعول ،
وكما حذف من قوله : « فساهم
فكان من المدحضين » أى
فساهم أهل الفلك •

٥٠١ ويقولون : منعت الحكومة
التجول ليلا في الشوارع ،
وهذا التعبير غير سليم ، لأن

٥٠٢ ويقولون للجذعة من الغنم
بفتح كل من الجيم والذال :
عبورة ، والفصيح أن يقال لها
عبور بغير هاء ، جمعها عبائر
كعجوز وعجائز ، وحكى عن
الليثاني قوله : لى نعجتان
وثلاث عبائر •

والجذعة من الغنم هي التي
تكون فوق الفطيم وقبل
الثنى ، جمعها جذعات كقصبة
وقصبات ، وجذاع أيضا بكسر
الجيم •

والفطيم هي التي فصلت
عن الرضاع في سنتها الأولى ،
تقول : فطمت بالبناء للمفعول
فهى فاطم ، ومفطومة ،
وفطيم ، أما الثنى وزان نبى
فهى التي صارت في السنة
الثانية تقول : أثنى البعير اذا
صار ثنيا •

والجذعة هي الصغيرة من
أولاد النعجة ، وفي الحديث :
« أسلم والله أبو بكر وأنا
جذعة » وأصلها جذعة
زيدت فيها الميم •
عباس ابو السعود

أقاذف جولان الهموم كأننى
شبوب أصابته حباله صياد
وتجاول الجيشان أى جال
بعضهما على بعض ، وبينهما
مجاولات ، قال العباس بن
مرداس :

بكل الحجاز قد ضربنا كتيبة
تجاولنا عن أرضها ونجيلها
وقال النابغة :

والخيل تعلم أنا فى تجاولنا
يوم الحفاظ أولو بؤس وانعام
ويقال : اجتالتهم الشياطين
اذا حولتهم عن قصدهم
وصرفتهم عن هداهم الى
ضلالها ، وفي الحديث :
« خلق الله عباده حنفاء
فاجتالتهم الشياطين » •

والجول بالضم العقل
والعزم ، ومن المجاز قولك :
ماله جول ولا معقول أى
ماله رأى ولا تماسك وكذلك
هو الناحية ، جمعه أجوال
كقفل وأققال ، تقول : قطع
الفرس أجوال الميدان أى
جوانبه ونواحيه •

حكم... و طرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« اللعدل فى أسمى معانيه »

« لقد كان لكم فى رسول الله
أسوة حسنة » .

« صدق الله العظيم »

الرجل : نعم قال : ايجرى فى هذا
الكون شىء لا يريد الله ؟ قال :
كلا . قال : أفينقص من رزقك
شىء قدره الله لك ؟ قال : كلا .
قال : أينقص من أجلك لحظة كتبها
الله لك فى الحياة ؟ قال : كلا .
قال ابراهيم فعلام اللهم اذن ؟ ! «

« أجير أو أمير »

دخل أبو مسلم الخولانى على
معاوية بن أبى سفيان فقال :

السلام عليك أيها الأجير فاستنكر
ذلك جلساء الخليفة ، وقالوا له :
« قل السلام عليك أيها الأمير »
فأعاد : السلام عليك أيها الأجير ،
قالوا : بل قل أيها الأمير ، فأصر
على قوله وهنا فطن معاوية الى
قصده ، وقال دعوا أبا مسلم فإنه
أعلم بما يقول ..

فقال أبو مسلم : انما أنت أجير
استأجرك رب هذه الأمة لرعايتها
فان أنت داويت مرضاها ، وجبست
أولاها على أخراها وفاك سبيدها
أجرك ، وان أنت لم تفعل عاقبك
سيدك .

سرق امرأة من بنى مخزوم
حليا ومتاعا ، ورفع أمرها الى
الرسول - صلى الله عليه وسلم
فاعترفت بالسرقة ، فخشى قومها
أن ينفذ فيها العقوبة .. فوسطوا
أسامة بن زيد وأبيه ليشفعا لها
عنده .. فغضب عليه السلام
وقال : أتشفع فى حد من حدود
الله ؟ ثم جمع الناس فخطب فيهم
فقال : « أيها الناس .. انما أهلك
من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق
فيهم الشريف تركوه .. واذا سرق
فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ،
وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد
سرق لقطع محمد يدها »

« الإيمان طمانينة »

مر ابراهيم بن أدهم على رجل
ينطق وجهه بالهم والحزن ، فقال
له : « أيها الرجل انى سائلك عن
ثلاث ، فأجبنى عنها ؟ فقال

وللخير عليك دليلا ، وجعل عندك
وفدا جزيلا ، وأبقاك طويلا وأبلاك
جميلا » .

« الله عمر يعلم »

نهى عمر بن الخطاب - رضى
الله عنه - فى خلافته عن مذاق اللبن
بالماء (١) ، فخرج ذات ليلة فى حواشى
المدينة ، فاذا بامرأة تقول لابنة
لها : الا تمذقين لبنك فقد
اصبحت ؟ فقالت الجارية : كيف
أمدق وقد نهى أمير المؤمنين عن
المذاق !

فقالت : قد مذاق الناس فامدقنى
فما يدرى أمير المؤمنين . فقالت :
ان كان عمر لا يعلم فاله عمر يعلم ،
ما كنت لافعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقاتلتها من عمر ، فلما
اصبح دعا عاصما ابنه ، فقال :
يا بنى ، اذهب الى موضع كذا
وكذا ، فاسأل عن الجارية
فذهب عاصم فاذا جارية من بنى
هلال : فقال له عمر : اذهب يا بنى
فتزوجها ، فما احراها ان تأتى
بفارس يسود العرب ، فتزوجها
عاصم بن عمر ، فولدت له أم
عاصم بنت عاصم بن عمر بن
الخطاب ، فتزوجها عبد العزيز
ابن مروان ، فأتت بعمر بن
عبد العزيز !

« دعانى من هو خير منك »

حج الحجاج ، فنزل ببعض

« فصاحة القرآن الكريم »

سمع الأصمى جارية صغيرة
السن تقول كلاما بليغا ، فقال
لها ما أفصحك ، فقالت او تعد
هذا فصاحة بعد قوله تعالى :
« وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه
فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم
ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه
اليك وجاعلوه من المرسلين » فقد
اشتملت على أمرين ونهيين وخبرين
وبشارتين .

« مداومة قراءة القرآن الكريم »

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه
قال : ان أردتم عيش السعداء ،
وموت الشهداء ، والنجاة يوم
الحشر ، والظل يوم الحر ، والهدى
من الضلالة ، فداوموا على قراءة
القرآن الكريم ، فانه كلام الرحمن
وحصن حصين من الشيطان ،
ورجحان فى الميزان .

« اتق الله يا عمر »

قال رجل لعمر بن الخطاب
- رضى الله عنه - : اتق الله يا عمر ،
واكثر عليه فقال له قائل : اسكت
فقد اكثرت على أمير المؤمنين .
فقال له عمر : دعه ، لا خير فيهم
ان لم يقولوها لنا ، ولا خير فينا ان
لم نتقبل .

« جزاء المعروف »

وهب رجل لاعرابى شيئا فقال :
« جعل الله للمعروف اليك سبيلا

(١) المذاق : الخلط .

تأمل فى نبات الأرض وأنظر
الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات
بأحداق هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

٣ - وقال ابن المعتز :

فيأعجبا كيف يعصى الاله
أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

« شروط السؤدد عند العرب »

قال الجاحظ : كانت العرب
تسود على أشياء : أما مضر فتسود
ذا رأيها ، وأما ربيعة فمن أطعم
الطعام ، وأما اليمن فعلى النسب
وكان أهل الجاهلية لا يسودون الا
من تكاملت فيه ست خصال :
السخاء والنجدة والصبر والحلم
والتواضع والبيان .

« من عيون الشعر »

دع الأيام تفعل ما تشاء
وطب نفسا اذا نزل البلاء
ولا تجزع لحادثة الليالى
فما لحوادث الدنيا بقاء
اذا ما كنت ذا قلب قنوع
فانت ومالك الدنيا سواء

« فما يدري أحدكم من أبوه ؟ »

سئل عدى بن حاتم ، مالك
لا تشرب الخمر ؟ قال : معاذ الله

المياه ، ودعا بالغداء ، فقال
لحاجبه : أنظر من يتفدى معى
واسأله عن بعض الأمر ! فنظر
الحاجب فاذا هو بأعرابى نائم بين
شملتين (١) من شعر فضربه برجله ،
وقال : انت الأمير ..

فأتاه فقال له الحاجب : اغسل
يديك وتغد معى ، قال : انه دعانى
من هو خير منك فأجبتة ، فقال
الحجاج : من الذى دعاك ؟ قال :
الله تعالى دعانى للصوم
فصمت ، قال فى هذا اليوم
الحار ! قال نعم : صمت ليوم أحر
منه ، قال : فأفطر وتصوم غدا ،
قال ان ضمنت لى البقاء الى الغد !
قال : ليس ذلك الى . قال : فكيف
تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه ؟
قال : انه طعام طيب قال : انك لم
تطيبه ولا الخباز ، ولكن طيبته
العافية .

« الله موجود »

١ - قال بعض الأعراب ، وقد
سئل عن الدليل على وجود الرب ،
فقال : « يا سبحان الله ! ان البعر
ليدل على البعير ، وان اثر الأقدام
ليدل على المسير ، فسماء ذات
أبراج وأرض ذات فجاج ، وبحار
ذات أمواج، الا يدل ذلك على وجود
اللطيف الخبير ؟!! »

٢ - وسئل أبو نواس عن ذلك
فأنشد :

(١) الشملة : كساء يشتمل به .

ولو أنى سمحت ببذل وجهي
لكننت الى الفنى سهل الطريق

وقال آخر :

ان الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهود

« سبعة لا يشاورون »

سبعة لا ينبغي لذي لب أن
يشاورهم : جاهل ، وعدو ، وحسود
ومراء ، وجبان ، وبخيل ، وذو هوى
فان الجاهل يضل ، والعدو يريد
الهلاك ، والحسود يتمنى زوال
النعمة ، والمرائي واقف على رضا
الناس ، والجبان من دأبه الهرب ،
والبخيل حريص على جمع المال فلا
رأى له في غيره ، وذو الهوى أسير
هواه لا يقدر على مخالفته .

« أبو يوسف الفقيه »

تغير الرشيد يوما على زبيدة ،
فقال لها : أنت طالقت ثلاثا ان بت
الليلة في مملكتي فاستفتوا في ذلك
القاضي أبا يوسف ، فقال : تبیت في
بعض المساجد . فان المساجد لله ،
فولاه القضاء بجميع مملكته .

« دعاء »

« اللهم اقسم لنا من خشيتك
ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن
طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن
اليقين ما تهون به علينا مصائب
الدنيا » .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أن أصبح حليم القوم وامسى
سفيهم .

وسقى قوم امرأة حتى سكرت ،
فلما افافت ، سألت أيثرب
نساؤكم الخمر هذا ؟

قالوا : نعم ، قالت فما يدري
أحدكم من أبوه .. !

« القول اللين »

قال رجل لهارون الرشيد :
« انى أريد أن اعطك بعظة فيها بعض
الغلظة فاحتملها » .

قال الرشيد : « كلا ! ان الله امر
من هو خير منك بالانة القول لمن هو
شر منى ، قال لنبيه موسى عليه
السلام اذ أرسله الى فرعون
« فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر
او يخشى » .

« انا وانت في الجنة »

نظرت امرأة عمران بن حطان في
المرأة يوما ، وكانت جميلة ، وكان
عمران دميما ، فقالت له : انا وانت
في الجنة قال : ولم ؟ قالت : لانك
رزقتني فشكرت وأنا ابتليت بك
فصبرت ، والصابر والشاكر في
الجنة .

« ان من الشعر لحكمة »

اذا اعسرت لم يعلم شقيقى
وأستغنى فيستغنى صديقى
حيائى حافظ لى ماء وجهى
ورفقى فى مطالبتى رفيقى

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

وحسن الاستماع لأوامره ، وقبول أحكامه والتأثر الكامل والانتفاع العظيم بآيات الذكر الحكيم ... وهذا هو أحكم الطرق في التشريع ، واحسن مثل يحتذى في النصح والهدى والارشاد ، أن يؤخذ الناس بالتدرج فى الموعظة ، يبدأ معهم بما يخف على نفوسهم ، وما يكونون أحسن قبولا له وطاعة فيه ، ثم يستعان بذلك على الانتقال بهم الى غيره ، مما يكون فيه نوع مجاهدة ومشقة . وهكذا تربى فيهم الفضائل والملاكات الطيبة . وبهذا تكون الأمة الصالحة ، وبه وحده يمكن أن يجتمع الناس على الخير ، وعلى التعاون فى البر والعمل النافع .

ولقد كان من التدرج فى الصيام الذى أتى به الاسلام أنه فرض على الناس - قبل أن يفرض صوم رمضان - أن يصوموا يوم

س : متى ، وكيف شرع الصيام ؟

ج : جاء فى بحث نفيس لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر - رحمه الله ما يلى .

سار الاسلام فى شريعة الصيام على طريقته فى التدرج بالأحكام ، ففرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، فى شهر شعبان منها ، قبل غزوة بدر ، واقتضت حكمة الله أن تكون فرضيته هكذا متأخرة بعض الشيء عن بدء ظهور الاسلام . وعن شرعية غيره من الصلاة وبعض الأحكام . وذلك لأن فطم النفس ، ومنعها عن مآلوفاتها ومشتهاياتها جهاد ومشقة ، لا يصبر عليه الا من تمكفت عقيدة التوحيد فى قلبه ومرن على الصلاة ، وحب طاعة الله ،

صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصام وأمر بصيامه » •

فيوم عاشوراء كان يصام فى الجاهلية ، وصامه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم فرض صيامه على الناس قبل أن ينزل القرآن بفرض الصيام ، وقد انتهت فرضيته بفرض صيام رمضان ذلك الشهر العظيم ، لكن صوم عاشوراء قد استمر شيئاً مندوباً اليه ، ويستحب أن يصام قبله يوم التاسع ، كما نبه الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لئن عشت الى قابل لأصومن التاسع » •

س : هل يجب تبين نية الصيام فى كل ليلة من ليالى رمضان أم يكفى نية صيام الشهر فى أول ليلة من لياليه ؟

ج : ذكر الشيخ سيد سابق فى رسالة الصيام : أن النية من أركان الصوم لقوله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ، وقوله صلى الله عليه

عاشوراء ، وهو يوم معظم له فضله وشرفه ، ثبت تعظيمه وصومه فى الديانات السابقة على الاسلام ، وحفظت آثار هذا التعظيم ومظاهره ، عند قريش فى الجاهلية ، فقد كانوا يحتفلون بهذا اليوم ، ويكسون فيه الكعبة • وقد وجد الرسول صلى الله عليه وسلم مظاهر هذا التعظيم باقية فى يهود المدينة بعد الهجرة •

ففى الصحيحين من حديث عروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله عنها : أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية ، ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن عاشوراء : « من شاء فليصمه ومن شاء أفطره » •

وفى الصحيحين أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال . ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم

قالت عائشة : « دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : « هل عندكم شيء ؟ » قلنا : لا . قال : « فاني صائم » رواه مسلم وأبو داود .

واشترط الأحناف أن تقع النية قبل الزوال ، وهذا هو المشهور من قول الشافعي . وظاهر قول ابن مسعود ، وأحمد : أنها تجزئ قبل الزوال وبعده على السواء .

هذا وقد تضمن شرح « سبل السلام » لحديث حفصة المذكور ولفظه فيه : « من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له » بعد أن ذكر أنه يدل على أنه لا يصح الصيام إلا بتبتيب النية وهو أن ينوي الصيام في أى جزء من الليل ، وأول وقتها الغروب ، وتشترط النية لكل يوم على انفراد ، وهذا مشهور من مذهب أحمد .

وله قول : أنه اذا نوى من أول الشهر تجزئه ، وقوى هذا القول ابن عقيل بأنه صلى الله عليه وسلم قال : « لكل امرئ ما نوى » وهذا قد نوى جميع الشهر ، ولأن

وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى » .

ولا بد أن تكون قبل الفجر من كل ليلة من ليالى شهر رمضان . لحديث حفصة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » رواه أحمد وأصحاب السنن . وصححه ابن خزيمة وابن حبان . (ويجمع من الاجماع وهو احكام النية والعزيمة) وتصح في أى جزء من أجزاء الليل ، ولا يشترط التلفظ بها ، فانها عمل قلبي لا دخل للسان فيه ، فان حقيقتها القصد الى الفعل امتثالاً لأمر الله تعالى ، وطلباً لوجهه الكريم .

فمن تسحر بالليل قاصدا الصيام تقربا الى الله بهذا الامساك ، فهو ناو . ومن عزم على الكف عن المفطرات أثناء النهار مخلصا لله ، فهو ناو كذلك وان لم يتسحر .

وقال كثير من الفقهاء : ان نية صيام التطوع تجزئ من النهار ان لم يكن قد طعم .

رمضان بمنزلة العبادة الواحدة ،
لأن الفطر فى لياليه عبادة أيضا
يستعان بها على صوم نهاره •

س : يحرص كثير من المسلمين
على صوم رمضان ، وان كانوا
يتركون الصلاة ، فما حكم الصوم
مع ترك الصلاة ؟

ج - أجب عن هذا السؤال ،
فضيلة الشيخ الامام الاكبر الشيخ
محمود شلتوت فقال :

الصوم فريضة مستقلة :

صلاة الخمس فى اليوم واللييلة ،
وصوم رمضان ، كلاهما فريضة من
فرائض الاسلام الأولى ، وكلاهما
ركن من أركانه الخمس التى بنى
عليها ، وجعلت فى حكم الله عمده
التى يقوم عليها ، وهما ركنان

بديان : فالصلاة يستحضر بها
المسلم عظمة مولاه ، عن طريق
الوقوف بين يديه ، ومناجاته ربه ،
وتعظم مراقبته اياه ، وبالصوم تطهر
نفسه من بواعث الشهوة ، وتخلص
من مكدرات الروح شهرا كاملا فى
السنة كلها ، ويتكرر درس التصفية

والرياضة كلما حل رمضان كل
عام ، وهما وان اشتركا فى الغاية
والهدف ، وكونا غذاء قويا للايمان ،
الا أن كلا منهما فريضة مستقلة
- فى الطلب والتكليف والجزاء -
عن الأخرى ، ولا يكمل الايمان
الا بهما مضموما اليهما الزكاة
والحج ، فمن صام وصلى وزكى
وحج فقد كمل ايمانه ومن تركها
فقد فقد جميع الشعائر الدالة على
صدق الايمان ، وكان ايمانه مجرد
دعوى لا يقام لها عند الله ولا عند
الناس وزن ، ومن أتى بواحدة
منها ، أو ترك واحدة منها ، كان
مقوضا من عمده الاسلام بقدر ما
ترك ، وسقط عنه التكليف الدينى
بما أتى به •

مكانة الصلاة بين الفرائض :

وللصلاة بين أركان الاسلام
خصائص : فهى أول ركن فرض بعد
الايمان ، وهى الدرس المتكرر فى
كل يوم ، وهى الشعار الخاص
الفارق بين الايمان والكفر ، وهى
لا تسقط عن المسلم الا اذا خرج
عن أهلية التكليف •

بما دونه فى الفرضية والتكليف ، وكان باقتصاره على ما فعل كالمستظهر على الله فيما فرض على عباده ، واذن لا يكون صومه الا مجبارة لعادة تقلدها من بيئته ، أو ورثها عن آبائه ، أو زعما منه - كما يظن بعض الناس - أن الصوم يكفر الذنوب كلها ، وكلا الأمرين ينافى الايمان وما يقتضيه ، وكان ايمانه محل شك وتردد .

كيف وقد وردت أحاديث كثيرة تدل بظاهرها على كفر تارك الصلاة ؟ وكان فى اقتران الصلاة بالايان - فى كثير من الآيات - مقويا لرأى الجمهور فى كفر تارك الصلاة واستحقاقه القتل ؛ ! ، وان كان بعضهم يرى أن القتل ليس كفرا ، وانما هو حد شأن الزانى والقاتل .

هذان رأيان فى حكم تارك الصلاة ، والرأى الثالث أنه لا يخرج عن الاسلام ما دام مؤمنا بفرضيتها ولا يحد بالقتل ، وانما يعزرب بالضرب والحبس حتى يصلى ، ولا نعرف فى تارك الصوم سوى التعزير

فهى تؤدى من قيام للقادر ، ومن قعود أو ايماء للعاجز ، وفى السفر وفى الحضر ، وفى الأمن وفى الخوف ، وفى الصحة وفى المرض !!! ولا كذلك الصوم الذى يسقط ببذل القضاء أو الفدية ، وقد تكرر طلب القرآن للصلاة مقترنة بالايان فى معظم موارد .

أما الصوم فلم يعرض له القرآن الا فى آياته الخاصة الواردة فى سورة البقرة ، وقد ربط بالصلاة - من الثمرات الروحية وطهر الجوارح - ما لم يصرح بمثله فى الصوم .

دل كل هذا على مكانة الصلاة عند الله من بين فرائض الاسلام ، وعليه فمن صام وترك الصلاة ، فقد ترك الأهم فى تقويم الاسلام ، فاذا لم يكن مؤمنا بما ترك كان

خارجا عن الاسلام ولا ينفعه صوم ولا زكاة ، وان كان مؤمنا بما ترك كان فاسقا عن أمر ربه ، وكان صومه مع ترك الصلاة قرينة واضحة على أنه لم يصم امتثالا لأمر الله ، والا لما ترك الواجب الأول ، مكتفيا

والتشهير به فى الأسواق
والمجتمعات •

وبعد : فهل لهؤلاء الذين
يصومون مع تركهم الصلاة أن
يفهموا وضع الصلاة فى الاسلام ،
وأن الواجبات الدينية عند الله وحدة
لا تتجزأ يشد بعضها أزر بعض ،

ولا تحوز واحدة منها درجة
القبول عند الله الا مقترنة فى سجل
صاحبها بسائر أخواتها ؟ هل لهم أن
يفهموا أن العبادة بحكم العادة
والشهوة مردودة على صاحبها ،
وأن صاحبها لا يؤدي بها حق الله ،
ولا يمثل بها أمره ، وانما يؤدي
بها حق بيئته أو أمر شهوته ؟

أرجو أن يفهموا ذلك ، ويشوبوا
الى رشدهم ، ويجمعوا بين الصلاة
والصوم ، امتثالاً لأمر الله وطلباً
لرضوانه ، وتحقيقاً لواجب
الايان •

س : أيهما أفضل صلاة العيدين
فى المسجد أم اجتماع الناس
للصلاة فى الصحراء أو أحد
الميادين ؟

ج : ذكر الامام الغزالى فى كتابه
احياء علوم الدين عند الكلام على
صلاة العيدين « المستحب الخروج
الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس ،
فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة
فى المسجد ، ويجوز فى يوم الصحو
أن يأمر الامام رجلاً يصلى بالضعفة
فى المسجد ، ويخرج بالأقوياء
مكبرين » •

وقال الشيخ سيد سابق : صلاة
العيد يجوز أن تؤدى فى المسجد ،
ولكن أدائها فى المصلى خارج البلد
أفضل - ما عدا مكة فان صلاة
العيد فى المسجد الحرام أفضل -
ما لم يكن هناك عذر ، كمطر
ونحوه ، لأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يصلى العيدين فى
المصلى (موضع بيباب المدينة
الشرقى) ولم يصل العيد بمسجده
الا مرة لعذر المطر •

فعن أبى هريرة : أنهم أصابهم
مطر فى يوم عيد فصلى بهم النبى
صلى الله عليه وسلم صلاة العيد
فى المسجد • رواه أبو داود وابن
ماجه والحاكم وفى اسناده مجهول ،

الله عنهما : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج نساءه وبناته فى العيدين » • رواه ابن ماجة والبيهقى ، وعن ابن عباس قال : « خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم (وكان يومئذ صغيرا) يوم فطر أو أضحى ، فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة » رواه البخارى •

والله أعلم •

عبد الحميد السيد شاهين

قال الحافظ فى « التلخيص » :
اسناده ضعيف ، وقال الذهبى :
هذا حديث منكر •

ويشرع خروج الصبيان والنساء فى العيدين للمصلى ، من غير فرق بين البكر والثيب ، والشابة والعجوز والحائض •

لحديث أم عطية قالت : « أمرنا أن نخرج العواتق والحيض فى العيدين ، يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى » متفق عليه ، وعن ابن عباس رضى

قال عز وجل :

أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شىء قدير •

« صدق الله العظيم »

الى السادة راغبى الاشتراكات فى مجلة الازهر
عليكم الاتصال باشتراكات أخبار اليوم (توزيع الأخبار)
٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

وفيما يلى قيمة الاشتراك للمجلة لمدة ١٠ أعداد سنويا

أولا : جمهورية مصر العربية

١٥٠٠ (جنيه وخمسمائة مليم)

ثانيا : دول اتحاد البريد العربى - الافريقى

٢٧٠٠ (جنيهان و ٧٠٠ مليم) أو أربعة دولارات

ثالثا : بقية دول العالم :

٨٧٠٠ (ثمانية جنيهات و ٧٠٠ مليم) أو ١٣ (ثلاثة عشر
دولارا) .

تسدد قيمة الاشتراك فى مصر نقدا أو بشيك لأمر اشتراكات
مؤسسة أخبار اليوم .

تسدد قيمة الاشتراك للدول العربية الأفريقية والدول الاجنبية
بشيك مصر فى مسحوب على احد البنوك العالمية لأمر اشتراكات
مؤسسة أخبار اليوم

المراسلة على هذا العنوان :

توزيع الاخبار ٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

فهرس العدد

صفحة	الموضوع
	المستشرقون وموقفهم من السنة
١٥٨٣	للدكتور رءوف شلبى
	فى مواجهة الاتحاد المعاصر
١٥٩١	للدكتور يحيى هاشم
	ذو القرنين وفتوحاته فى المشارق والمغارب
١٦١٥	فضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير
	اصول اللغة العربية
١٦٢٢	للدكتور توفيق شاهين
	الإمامة والشيعة
١٦٤١	الأستاذ السيد قرون
	حول اثبات أوائل الشهور العربية
١٦٥٣	فضيلة الشيخ عبد الله المشد
	الإسلام شريعة عالمية
١٦٦٥	الأستاذ زاهر عزب الزغبى
	من القيم الخلقية فى الشعر الجاهلى
١٦٧٨	للدكتور عبد الحليم حفنى
	مع رسالة الأدب الصوفى
١٦٨٨	الأستاذ عبد الحفيظ فرغلى
	نظرة متآبية فى كتاب الله
١٦٩٨	الشيخ عزت الدسوقى
	من ذكريات رمضان المعظم
١٧١٠	الأستاذ أحمد على منصور

الموضوع	صفحة
الصناعة الحربية في ضوء الاسلام	
لواء محمد جمال الدين محفوظ	١٧١٨
الصيام في القرآن الكريم	
الأستاذ عبد الحميد الفضالي	١٧٢٤
حافظ ابراهيم شخصيته وخلقه	
للدكتور سعد ظلام	١٧٥٨
اللغة والمجتمع	
للدكتور عبد الغفار حامد	١٧٦٤
رسالة من السودان	
للاستاذ حسن أبو رحمة	١٧٨٢
أخطاء شائعة	
للاستاذ عباس أبو السعود	١٧٨٦
حكم ... وطرائف	
اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٨٠٥
الفتاوى	
الأستاذ عبد الحميد شاهين	١٨٠٩



العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ } ت
٩٠٥٥٠٦ }

الآن
الآن
الآن

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
ورئيس التحرير
الدكتور
عبد الوود شلبي

الجزء الثامن - السنة الحادية والخمسون - شوال ١٣٩٩ هـ سبتمبر ١٩٧٩ م

١٢٥
٢٢٢٢٢٢
دوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عزة العلماء

الدكتور عبد الوود شلبي

ولقد كان للأزهر الشريف في
دنيا الاسلام مقام قلما يدانيه فيه
معهد من معاهد العلم ، وكان
لعلمائه سلطان على القلوب
والنفوس دونه سلطان الملوك
ورجال الحكم •

اذا صلح العالم •• صلح
العالم •
كلمة سمعتها من رجل بسيط من
أبناء هذا الشعب ، فالمسلم بفطرته
يحكم بميزان هذه الفطرة في شئون
القلب ، ويقيم من نفسه حاكما على
ما يقع عليه عيناه في دنيا الخلق •

فقال : أما بعد : فصبحك الله
بما صبح به أوليائه وأهل طاعته •
وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها •
فقال : يا حبيبة هلم الدواء ، ثم
قال لى : اقلب الكتاب واكتب :
أما بعد : فأنت صبحك الله بما
صبح به أوليائه وأهل طاعته ، انا
أدركنا العلماء وهم لا يأتون
أحدا ، فان وقعت لك مسألة فاتنا
وسل ما بدالك ، وان أتيتنى فلا
تأتنى بخيلك ورجلك فلا أنصحك
ولا أنصح الا نفسى والسلام •

فبينما أنا جالس اذ دق الباب •
فقال : يا حبيبة اخرجى فانظرى من
هذا ؟ قالت : محمد بن سليمان
(أى الحاكم) •

قال : قولى له : يدخل وحده ،
فدخل وجلس بين يديه •
ثم ابتدأ فقال : مالى اذا نظرت
اليك امتلأت رعبا ؟ !

قال حماد : حدثنى ثابت البنانى
قال : سمعت أنسا يقول : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « ان العالم اذا اراد بعلمه

ومن نعم الله على مصر أن قام
الأزهر الشريف فى رحابها الطاهر
يوجه ويرشد ، ويقوم ويصلح ،
ويتصدى علماءؤه العاملون لمقاومة
الطغيان والبغى ، ويقودون بتقواهم
وصلاحهم قوافل الحرية والاصلاح
دون رهبة أو خوف ، ويصححون
مسيرة الحياة العابثة حين تنحرف
وتعوج •

كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا وأفخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم
حرم الأمان وكان ظلهم الذرا
من كل بحر فى الشريعة زاخر
ويريكه الخلق العظيم غضنفر
يقول مقاتل بن سليمان :

دخلت على « حماد بن سلمة »
فاذا ليس فى البيت الا حصير وهو
جالس وفى يده مصحف يقرأ
فيه وجراب فيه علمه - أى كتبه -
ومظهرة يتوضأ منها • فبينما أنا
جالس اذ دق الباب فقال : يا حبيبة
اخرجى فانظرى من هذا ؟ فقالت
رسول محمد بن سليمان (أى
الحاكم) • فاذن له فدخل •

أيوب ، وقد انحنى له الرؤوس ،
وخشعت له الأصوات ، وجبت
الأنفاس ، وإذا بصوت جهورى
يخرج من صف المشايخ ينادى الملك
باسمه ويقول :

— يا أيوب ! يا أيوب !
ويتلفت الملك وإذا بالمتكلم
الشيخ عز الدين بن عبد السلام •
قال يا أيوب ما حجتك عند الله
ان قال لك ألم أبوى لك مصر ثم
تبيح الخمر ؟

قال : وهل جرى ذلك ؟
قال نعم : الحانة الفلانية يباع
فيها الخمر وأنت تتقلب في نعمة
هذه المملكة ؟ !
قال : هذا أنا ما عملته ، هذا
من زمان أبى !

قال : أنت ممن يقولون :
« انا وجدنا آباءنا على أمة • وانا
على آثارهم مقتدون » •
فأمر الملك برفعها •
وانقضى الموكب وما للناس
حديث الا حديث الشيخ • ولما
رجع الشيخ الى بيته قال له تلميذ
من تلامذته :

وجه الله هابه كل شيء •• وإذا أراد
أن يكثر الكنوز هاب من كل
شيء !!! « • •

فاظفر — رحمى الله وإياك —
الى هذا الميزان الدقيق الذى
أقامه المصطفى ، صلى الله عليه
وسلم ، إذا أراد العالم بعلمه وجه
الله ••• هابه كل شيء •• فإذا أراد
به دنيا فانية أو عرضا تافها من
أعراضها الزائلة كان مثالا للخوف
الذى ترتعد به مفاصله ، وكان
ترجمانا للزيف الذى ينطق به
لسانه ، وكان فتنة فى الدين تنتهى
بالناس الى ضلالة مضلة ، وفتنة فى
الدنيا تهوى بهم الى درك المهانة
والذلة •

ورحم الله العز بن عبد السلام •
خرج يوما الى الأزهر فرأى
موكبا تنخلع من جلاله القلوب
وانكفأت الخلائق كلها وراء هذا
الموكب حتى وصل الأزهر ، وملا
اناس صحنه السرحيب وساحته
الفسيحة ، والطرق من حوله ،
وانكشف الغيار عن الملك الصالح

— يا سيدى ما هذا الذى صنعت ؟

قال : رأيت السلطان فى تلك العظمة فحخت عليه الهلاك من الكبر ، فأردت أن أصغر عليه نفسه وأعينه عليها ، ولا يكون العالم عالما يا ولدى الا اذا علم أنه كالطبيب فالطبيب تزداد الحاجة اليه كلما اشتد على الناس مرض الجسم ، والعالم يحتاج اليه كلما قوى فى الملوك مرض النفس !

قال : وما مرض النفس ؟

قال : العظمة يا ولدى .. فمن لم ينصح الملك يوم يشتد سلطانه وتقوى نفسه ، ويبين له طريق الحق لئلا يجانبه ، وسبيل الخير لئلا يعدل عنه .. لا يكون عالما .. بل غاشا وخادعا ..

قال تلميذه : لكن أما خفته ؟

قال الشيخ : يا بنى استحضرت هية الله .. فصار السلطان قدامى كالقط !!!

ويرى الامام الغزالى — أن التبعة الكبرى فى هذا الفساد

الشامل ، والضعف فى الدين ، والانحلال فى الأخلاق — تقع على العلماء ورجال الدين ، وهم السبب الأول فى فساد هذه الأوضاع ، لأنهم ملح الأمة ، واذا فسد الملح فما الذى يصلحه ؟

ثم يذكر الامام الغزالى كيف مرضت القلوب ، واشتدت الغفلة عن المعاد ويذكر من أسباب ذلك مرض العلماء واعتلالهم وهم الأطباء ، فان الأطباء هم العلماء ، وقد استولى عليهم المرض ، فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاج نفسه ، فلهذا صار الداء عضالا ، والمرض مزمننا ، واندرس هذا العلم ، وأقبل الخلق على حب الدنيا ، وعلى أعمال ظاهرها عبادات ، وباطنها عادات ومراءات !!!

وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك لفساد العلماء ، فلولاً القضاة السوء ، والعلماء السوء لقل فساد الملوك !!

وعندما وقعت الحرب بين مصر والحبشة فى عهد الخديوى

فقال الشيخ :

— السبب فيك يا اسماعيل ،
فقد رأيناك تظلم وتفسد في الأرض
ولم يرتفع منا صوت يقول لك :
قف عند هذا الحد ، والرسول
صلى الله عليه وسلم يقول :

« لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم
شراركم فيسومونكم سوء العذاب
ثم يدعو خياركم فلا يستجاب
لهم !!! » *

وأما الآن — كما يقول الامام
الغزالي — فقد قيدت الأطماع
ألسن العلماء فسكتوا ، وان
تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم
فلم ينجحوا ، ولو صدقوا وقصدوا
حق العلم لأفلحوا ، ففساد الرعايا
بفساد الملوك ، وفساد العلماء بفساد
المال والجاه ، ومن استولى عليه
حب الدنيا لم يقدر على محاسبة
الارذال ، فكيف بمواجهة الملوك
والحكام ؟!

د. عبد الودود شلبي

اسماعيل أشار عليه بعض رجال
حاشيته ، أن يجمع علماء الأزهر
على قراءة البخارى طوال أيام
هذه الحرب ، حتى يضمن لجيشه
النصر .

— ورصد الخديوى لهذه المهمة
ألوف الجنيهات ينفق منها على
العلماء والقراء المتفرغين لهذا
الأمر .. وانتظر الخديوى قدوم
البشريات بالانتصار والفتح ، فجاء
الامر على عكس ما كان يأمل
ويتوقع فى هذه الحرب . فجمع
العلماء ثم صاح فيهم غاضبا :
اما انكم لستم بعلماء أو أن الذى
تقرءونه ليس هو « البخارى » *

فقام من بينهم شيخ وصاح
فى وجه الخديوى قائلا :

— يا اسماعيل .. اننا مهما
دعونا وقرأنا فلن تنتصر فى هذه
الحرب !

وفوجئ الخديوى بهذا الرد .
ثم وجه بعد ذلك سؤاله الى هذا
الشيخ :

— ولم لا أنتصر فى هذه الحرب
أيها الشيخ ؟

بشرية رسول الله هي التي جعلته أعظم العظماء وجعلت الإسلام دين الإنسانية الخالد

بقلم الأستاذ أحمد حسين

أبناء حوريس فهم سلالة الآلهة ،
أى آلهة بذواتهم •

وقد يتصور البعض ، ان اليهود
قد انفردوا من بين قدامى البشر
فى عدم تأليههم لموسى ، وحقا هم
فعلوا ذلك اكفاء منهم باعتبار
أنفسهم أبناء الله ، وجعلوا أنفسهم ،
شعب الله ، وأنهم فوق العالمين ،
فهم أبناء الله ، ولا تزال هذه عقيدة
الصهيونية ، ودين اسرائيل الرسمى
عليه يحيون ويموتون وقصة
المسيحية معروفة ومشهورة ،
فقد أصبح سيدنا عيسى الها بعد
باغتباره ابن الله « مولود غير
مخلوق » •

وبوذا وكونفشيوس ••

ومن كلمات بوذا الذائعة والتي
يحفظها كل بوذى « لست أعرف

جربى البشر قديما وحديثا
على تأليه الأبطال ، بمعنى جعلهم
آلهة أو على أقل تقدير « أنصاف
آلهة » كما كان الشأن عند
الاغريق •

وقد بدأ البشر بعبادة الآباء
والأجداد ، وعبادة الملوك
والقيصرة •

ثم تركز الأمر فى عبادة الأبطال
وعلى الجملة ، فان عبادة البشر
لأنماط من بنى الانسان ، كان
وسوف يظل أحد مظاهر الحياة
الانسانية قديما وحديثا •

وعلى سبيل المثال فثالوث مصر
القديمة « اوزوريس وايزيس
وحورس » ليسوا الا ملوك مصر
القديمة جدا ، وقد تحولوا الى
آلهة ، وكل فراعنة مصر كانوا

عن هذه القاعدة الانسانية • من تحويل الأبطال الى آلهة ، تجد استثناءها الوحيد ، وأكرر (الوحيد) بالنسبة لشخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ظل أتباعه المسلمون يعتبرونه انسانا ، حتى لتسمع عن قيام فرق اسلامية ، ألهت هذا الشخص أو ذاك ، ولكنك لن تجد في كل تاريخ الاسلام من عبد سيدنا محمدا باعتباره الها ، لأنه لو فعل ذلك ، لسقطت عنه صفة الاسلام على الفور ، وهنا تكمن عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي تجعله عظيما ، فوق من عرفت البشرية من عظماء بما فيهم رسل الله وأنبياءه ، فكلهم ألوهوا بعد موتهم ، ووصل الأمر بتأليه بعض أتباعهم ابان حياتهم ، كما هو الشأن بالنسبة ، لأجبار اليهود وباباوات كنيسة روما •

نجاح الاسلام حيث فشل الآخرون :

ذلك أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، جعل محور العقيدة

شيئا عن الله ولكنى أعرف الكثير عن بؤس الانسان » ومع ذلك فقد اعتبر بوذا بعد موته الها ، والمعابد البوذية تقوم على تمثال بوذا حيث تقدم الضحايا والقرايين ، وتقام باسمه الصلوات •

ومرة أخرى لا يتصورن متصور أن ذلك الانحراف والضلال وقف على القدامى ، ففى مجتمع عصرى ، عصرى جدا ، قامت عصريته على انكار الألوهية والتدين من أساسه ، فقد جعل هذا المجتمع من مؤسسه القريب الها معبودا يحج اليه ، ويقف المؤمنون به الساعات الطوال تحت وابل المطر والثلج لينعموا بالقاء نظرة على جسد الرجل الذى مات منذ عشرات السنين ، ويعالجونه بمختلف وسائل العلم ، ليكنوا المؤمنين به من القاء نظرة عليه •

فالأبطال قد تحولوا ، وبدون استثناء الى آلهة أو شبه آلهة ، أو يعاملون معاملة الآلهة • وانفرد سيدنا محمد وأنفرد الاسلام •

لقد كفر الشيطان ، عند ما أمره الله أن يسجد لهذا الانسان الذي شاءت ارادته ان يخلفه على الأرض ، وكانت حجة الشيطان ، كيف يسجد الشيطان المخلوق من النار للانسان المخلوق من الطين .

وهكذا غرس القرآن الكريم في نفس الانسان المسلم المؤمن ، انه عظيم ما عظم الانسان فهو من التراب والى التراب يعود ، وان ليس ثمة الا اله واحد نيس كمثلته شيء ، ويبدأ الاسلام بالنطق بالشهادتين ، الأولى بتوحيد الألوهية ، والثانية بأن سيدنا محمدا « عبده » ورسوله ، ونعى القرآن على كل من آله الرسل ، وركز على المسيحية بالذات ، وادعاء المسيحيين بالوهية المسيح ، واعتبار ذلك كفرا صراحا ، وقال على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » فلم يكتف بقوله انه بشر ، بل واضاف « مثلكم » وأصبح للفارق بينه

الاسلامية تقوم على التوحيد المطلق ، فليس ثمة الا اله واحد ، وكل ما فى الكون بعد ذلك ، مخلوق له ، وكل البشر وبدون استثناء ، عبيد له ، باعتبارهم بعض مخلوقاته ، والاسلام هنا ، يختلف عما قالت به بعض الاديان كالهندوكية ، وسرى منهم الى بعض المسيحيين وبعض من نسبوا أنفسهم للإسلام ، وهو القول بوحدة الوجود ، فليس هناك خالق ومخلوق ، وانما هو اله واحد فاض منه هذا الوجود ، فأنت ومن حولك ، وهذا الكون بكل موجوداته ، هو الله فى مجموعه . لا ، ليس هذا هو التوحيد الاسلامى فالخالق غير مخلوقاته ، أجل هو فى كل مكان ، بقدرته وعلمه .

ويبقى الانسان هو الانسان ، الانسان المخلوق ، فيه كأي شيء آخر سر من اسرار الله ، ولكنه لا يمكن بل يستحيل ، ان يكون هو الله الخالق ، أو بعض هذا الله ، فالانسان من ماء وطين ، حتى

- « عبس وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى » •
- « عفا الله عنك لم أذنت لهم » •
- « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » •

الى غير ذلك من الآيات التى أراد الله بها سبحانه وتعالى ، ان يثبت للمسلمين ان سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام خارج دائرة الوحي ، فهو بشر كبقية البشر • ولم يحاول سيدنا محمد أن يشعر من حوله بأنه غير ذلك فكان يستشير صحابته ، ويعدل عن رأيه الى آرائهم ، وكان القرآن الكريم ينزل أحيانا مؤيدا للرأى الآخر الذى عمل الرسول على خلافه • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى أمور ، فلا يقدم عليها الا أن ينزل عليه وحى السماء •

وعندما دنت نهاية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كان شديد الرغبة فى أن يكون سيدنا أبو بكر

وبين أى انسان آخر انه يوحى اليه فدل ذلك على أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ، قد انفرد عن البشر بالوحى فلم يعد لانسان كائن من أن يزعم لنفسه انه لا يخطئ ، أو انه لا ينسى ، أو يضعف ، فضلا عن أن يمرض ، ثم يموت فى خاتمة المطاف ذلك أن الانسان خلق « بنص القرآن » ضعيفا ، وهلوعا والموت نهايته فى خاتمة المطاف •

حياة سيدنا محمد :

وقد حرص القرآن الكريم ، ان يعمق هذه الحقيقة فى نفوس المسلمين ، فجعل سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ينسى (يسهو فى الصلاة) لكى يعلم البشر (وكلهم يسهون) كيف يتصرفون عند السهو ، وجعل سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام يجتهد فى بعض التصرفات (خارج دائرة الوحي) فينزل القرآن منددا ، أو مصححا ، أو معاتبا للرسول على فعل ما فعل ، من مثل قوله تعالى :

الصديق ، خليفة له ، فكان يومئذ
ويلمح حتى وصل الأمر به الى
حد أن صلى وراءه « مأموما »
ولكنه لما كان وهو الصادق الأمين ،
لم يؤذن له من السماء فلم يصرح
أبدا ، وكان من آخر ما قال :

« مروا أبا بكر فليصل بالناس »
والخلاصة انه لا القرآن الكريم ،
فضلا عن تصرفات رسول الله
الشخصية حاولا أن ينزعا عن
سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام
صفته كإنسان •

عظمة سيدنا محمد

فى صعود الى ابد الآبدين ..

وعندنا ، أن هذه الصفة ونعنى
بها « بشريته » هى السر فى جعله
أعظم عظماء بنى البشر ، وجعلت
عظمته فى صعود وعلو الى أبد
الآبدين ، حقا قد تتوقف ، كما
حدث فى القرن الماضى ومستهل
هذا القرن ، ولكنها لا تتراجع
بمعنى أن تهبط أو تنقص أبدا ،
فالذين يؤلهون ، يوجد دائما
من ينكر عليهم ذلك ، وجحدت
تعاليمهم عشرات الملايين ، وفترت

حماسة مئات الملايين ، وذلك كله
بعكس من اهتمدوا بنور سيدنا
محمد حيث يزدادون دائما أبدا ،
ويقر بعظمته من كان منكرا لها من
قبل ، فكل من يطالع سيرته ،
يبهره اتضاع سيدنا محمد كلما
زاده الله رفعة ، حتى وصل الأمر
به الى انه وهو يستعرض جيش
المسلمين قبيل غزوة بدر ، ويعد
الجيش للقتال ، حدث أن شكا
أحد الصحابة أن رسول الله أوجعه
فى بطنه (بدون وجه حق طبعا)
وطلب من رسول الله ، ان يمكنه
من نفسه ، ليوجعه فى بطنه كما
أوجعه الرسول ، فلم يتردد سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم فى أن
يكشف عن بطنه ليتمكن الصحابى
من أن يوجعه كما أوجعه ، فما
كان من الصحابى الا أن يعاقب بطن
رسول الله ، وان يقول : انما
أردت أن يلامس جلدى جلدك
بأبى وأمى أنت يا رسول الله •

وما يهمنا من القصة ، وهى
ليست الوحيدة أو الفريدة فى
سيرة الرسول ، انه عليه الصلاة

الانسان من لحم ودم وله كيان يحس ويلمس ويدرك ، فمن المستحيل أن يكون هو الله أو شبيها من الله وما جاء في كتاب اليهود « من ان الله خلق الانسان على صورته » فهو من تخرصات الوثنية ، والتي جعلت البعض يؤلهون أفرادا من البشر ، أنبياء ورسلا حيناً ، وملوكا حيناً آخر وبريء الاسلام من هذه الضلالة . ونحن الذين امتد بنا العمر فقد رأينا مصداق ذلك ، حيث يكبر أشخاص ويعظمون ، حتى ليتصوروا ان قوة الله قد حلت فيهم ، ان لم يكونوا هم الله بذاته وقد تجسد على الأرض وقد رأينا من هذا النموذج أفرادا في العالم سواء في خارج مصر أو في داخلها ، وكلهم وبدون استثناء انتهوا الى نهاية سيئة أسوأ من السوء نفسه ، ليثبت الله للبشر ، ان الانسان هو الانسان ، والله هو الله ، فرأينا هتلر يمتلك أوروبا وتصبح اشارته فضلا عن كلمته كما لو كانت قدرا ، ثم لا يبقى له من هذا الكون ،

والسلام قد أصبح في المدينة شبه حاكم ، وهو هنا في هذا الموقف في ميدان القتال فله ألف شاغل وشاغل ، ولكنه لم يتردد لحظة ، في أن يمكن انساها ، من أن يقتصر منه غير متعلل بخطورة الموقف فضلا عن مكاتته .

سيظل نجم الاسلام في علو بهذه التعاليم :

وهذا هو سر عظمة الاسلام وتمكنه في النفوس فلا يكاد يستقر فيها حتى لا يمكن نزعها أبدا ، ومن هنا ينتشر الاسلام ، قد يتوقف ولكنه لا يتراجع أبدا ، وهو دين المستقبل بلا مرء فالله واحد أحد وهو متميز عن خلقه تحل قدرته في كل شيء ، دون أن يكون هو هذا الشيء ، وقد أوجز القرآن ذلك كله بقوله : « ليس كمثله شيء » وقرر الأصوليون قوله حق بقولهم : « كل ما دار في ذهنك على انه الله ، فالله بخلاف ذلك » « كما قال الأصوليون » .

« ان الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار » ولما كان

الا الوقت الكافي كى ينتحر وتحرق جثته ، ولم يصل الى هذا المصير الا بعد أن رأى جثة استاذہ الذى حلم بدوره بسيادة الدنيا ونعنى به موسولينى سيد ايطاليا ، وهو يذبح ويلقى من قدميه كما لو كان شاة فى حانوت جزار ، وفى مصر رأينا مثل ذلك من حيث سوء النتيجة وبشاعتها لكل من تصور أن لم يعد فى الكون سواه ، وان الكلمة هى كلمته ولا معقب عليها ، وأن سائر البشر مسئولون أمامه ، حيث لا يسأل هو عن شىء ، وهى صفة الألوهية ادعاها لنفسه فريق من البشر على مر العصور ، ابتداء من فراعنة مصر ومرورا بالأكاسرة والقيصرية ، وملوك أوروبا فى العصور الوسطى ، وانهاء بالديكتاتوريين ، مهما تواضعوا وادعوا من صفات •

وهذه هى عظمة الاسلام ••
ومن هنا كان نجاح الاسلام وتقوّه وما يجعله دين المستقبل ، فقد برىء من تقديس الانسان ، أى انسان وضرب القرآن للناس مثل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أكرم خلق الله ، ومع ذلك فقد جعل الله منه نموذجا للبشر ، يأكل ويلبس ويسير فى الأسواق ويتزوج ويرزق البنين والبنات ، يموت منهم من يموت ويعيش من يعيش ، وأذاقه طعم النصر والهزيمة •••• الى آخر ما اشتملت عليه السيرة •

فالاسلام لا يعرف انسانا كائنا ما كان يفترق عن بقية الناس حتى ولو كان الحاكم نفسه ، وجعل الله سبحانه وتعالى ينفرد بكونه « لا يسأل عن شىء وهم يسألون »

أحمد حسين

الغرائق والمستشرقون

دكتور رءوف شلبى

الحق فى ذاته ، وعند الناس ..
وعند الفكر .

وقد ادعوا أنهم لهذه الغاية
السامية فى البحث العلمى يشترطون
الحيدة عند البحث : يتجرب الباحث
من كل عاطفة خاصة ، من كل
مؤثر على الفكر نفسى أو اجتماعى
أو ثقافى ليجتحر فى جو متعادل
الزوايا والاتجاهات لتسلم المقدمات
وتصح النتائج .

ادعوا هذا وخالفوه عندما بحثوا
بعضاً من مسائل الحياة الاسلامية
ومن ذلك مثلاً :

قصة الغرائق ..

نعم : أورد ابن سعد فى طبقاته
الكبرى ، والطبرى فى تاريخ
الرسل والملوك وكذلك المفسرون
حديث الغرائق .

الغريق هو الشاب الأيضى
الجميل الذى يدل بعوده الفارع
وبدنه القوى وتقاسيمه الوسيمة .

وصاحبنا السير وليم موير أحد
رجال الفكر الاستشراقى الذين
يتصدون للدراسات العليا وهو
أحد رجال الغرائق فيما مضى أيام
شبابه ، وهو من ذوى القدر والقدر
فى الجمال والافهام . وهذا
الغريق وليم موير . واحد من
المفكرين الغربيين الذين يتلمسون
الهبات للطعن فى الاسلام مستخدماً
ادعاء البحث العلمى .

ان غاية البحث العلمى فى أصل
ذاته وأسس منهجه هى الوصول
الى الحق .. مقدمات تبحث
وتناقش وتجرب وتعاد تجاربها
وتختبر من أجل أن تسلم عند
الاستنباط منها نتيجة مسلمة عند

وأوردوه ومحصوه من نواح :

١ - مستوى الرواة •

٢ - المفهوم اللغوى لمعنى
(تمنى)

٣ - المعنى فى السياق العام •

٤ - تكامل النصوص وتضافرها
فى حلقة البحث الاسلامى عن
وجوب العصمة للأنبياء جميعا •

واتتهوا الى أن الرواية ضعيفة
وأن الحادثة منكرة وأن الآيات
لها جو دينى عام بعيد عن هذه
الفرضية المدعاة ••
يقول القرطبى فى افتتاحية هذه
المسألة :

الأحاديث المروية فى نزول هذه
الآية •• ليس منها شئ يصح (١)
ثم ينقل بعد ذلك أقوال العلماء:

١ - قال النحاس ، وهذا حديث
منقطع وفيه هذا الأمر العظيم
فيصف الحديث بأنه منقطع وأنه
يحمل بهتاناً عظيماً ••

٢ - ويروى عنه كذلك :
قال النحاس ، وهذا حديث منكر
منقطع (٢) •
٣ - قال ابن عطية :

وهذا الحديث الذى فيه : هى
الغرائق العلا وقع فى كتب التفسير
ولم يخرج البخارى ولا مسلم ولا
ذكره عالم مصنف مشهور (٣) •
٤ - قال القاضى عياض :

أما المأخذ الأول : فيكفيك أن
هذا حديث لم يخرج أحد من
أهل الصحة ، ولا رواه بسند سليم
متصل ثقة وانما أولع به وبمثله
المفسرون والمؤرخون الولعون بكل
غريب المتلقفون من الصحف كل
صحيح وسقيم •

قال أبو بكر البراز : وهذا
الحديث لا نعلمه يروى عن النبى
صلى الله عليه وسلم باسناد متصل
يجوز ذكره (٤) •

٥ - وكذلك فعل ابن كثير لقد
أنكر كل رواية وردت فى مستهل

(١) ص ٤٤٧٢ ج ١ الشعب

(٢) ص ٤٤٧٣ ج ١ الشعب القرطبى

(٣) المرجع نفسه •

(٤) ص ٤٤٧٤ المرجع نفسه •

هكذا شفى سير وليم موير غيظه
بهذه الطعنة الخيالية للاسلام .
وسؤالان يوجهان اليه :

الأول : ما هو رأيكم يا جماعة
الغرائق من المستشرقين فى سنة
الرسول صلى الله عليه وسلم هل
تقبلونها بالاطلاق ؟ هل ترونها
مرفوعة الى النبى صلى الله عليه
وسلم مباشرة ؟ أو أنها من عمل
المسلمين بعد نضوجهم الفكرى ؟

لقد ادعى المستشرقون أن السنة
وضعت فى عصر النضوج الاسلامى
ويريدون بذلك أن يقطعوا سند
السنة المتصل ويوهوا عروتها
الوثيقة المرتبطة بنبيها عليه أفضل
الصلاة والسلام تلك السنة المطهرة
التي ورثها الى الأمة بألفاظها
وأحاديثها ورجالها .

وحملها من بعده العدول الثقات
المخلصون

فلم يا مستر وليم موير قبلت
حديثا لم يرتضه علماء الاسلام بل
أنكروه وضعفوه وردوه .. ؟ ألا
يجوز فى احتمالات العقل أن مثل

حديثه عن هذا الأمر العظيم الذى
افتراه السوقه فقال :

ولكنها من طرق كلها مرسله
ولم أرها مسنده من وجه صحيح
والله أعلم (١) .

ومع هذا فإن السير وليم موير
يحاول أن يضيف الى الروايات
الضعيفة الواهية السند ، حجة
يرأها فى نظره مقوية لشبهته .

تلك الحجة هى ، أن عودة
المهاجرين من الحبشة بعد ثلاثة
أشهر كانت نتيجة لما سمعوه من
خبر الصلح بين النبى صلى الله عليه
وسلم وبين قريش عندما تلا سورة
النجم وقرأ الآيات أفرايتم اللات
والعزى .. ثم ألقى الشيطان
عبارته : تلك الغرائق العلا وأن
شفاعتهم لترجى ثم سجدوا جميعا
ومعهم المشركون لانهم سمعوا ثناء
على آلهتهم بعد أن كانوا يساءون
بسبها وتسفيهاها ، فحدث اللقاء
بين الاسلام والمسلمين من جانب
وبين الشرك والمشركين من جانب
آخر .

(١) ابن كثير مجلد ٣ ص ٣٢٨ .

هذا الحديث المكذوب المردود وضع
فى عصر النضوج على حد ادعاء اتكم؟

ولم يكن احتمال عودة
المهاجرين هو هذا السبب فقط ؟

ألم يكن فى عالم الدعوة حدث
أكبر خطرا من هذا •

حادث اسلام عمر بن الخطاب
الذى حول الحياة الاسلامية فى مكة
من الاستخفاء الى التظاهر بموكب
يقوده النبى صلى الله عليه وسلم
الى ظلال الكعبة المشرفة • • وعلى
طرفيه يمينا وشمالا عمر بن الخطاب
وحزمة بن عبد المطلب • •

ألا يكون هذا الحادث كافيا فى
شعور المهاجرين بالعودة ليكثروا
سواد المسلمين فى مكة ؟.

السؤال الثانى : نسلم لك جدلا
بصحة الحادثة ؟

فلم لم ينته الخلاف بين الاسلام
والشرك فى مكة ؟

لم كانت قطيعة قريش لبنى هاشم
فى شعبهم ثلاث سنوات ؟

ثم لم كانت الهجرة من مكة الى
المدينة ؟

ثم لم كانت بدر وأحد والخندق
• • الخ • • ؟

أنى سأعلمك يا مستر وليم موير
كيف تفهم البحث فى قضايا الحياة
الاسلامية • •

أولا : تركز قصة الغرائق هذه
على تفسير كلمة (تمنى)

وعلى صحة سند الرواية لهذا
التفسير •

وعلى تعدد الروايات الواردة فى
تصوير القصة •

ثانيا : ارتباط الروايات
بالنصوص الاسلامية الأخرى
المتعلقة بهذا الجزء •

ثالثا : المستوى الذى يرضى به
الطرفان معا فيما يستقبل من العلاقات
الدينية بينهما •

اولا : أما فيما يتعلق بتفسير
كلمة تمنى فان اشكال الغرائق
يتأتى لو كان معناها قرأ فقط •

وقد قال صاحب الابرز : ان
تفسير تمنى بمعنى قرأ والأحقية
بمعنى القراءة مروى عن ابن عباس
فى نسخة عن على بن أبى طلحة عن

المحايد ويفسده ضعف الطريق
والسند ورد العلماء له •
واما عن الروايات المصورة
للحادثة فقد تعددت تعددا يردها
لقد قالوا فيها :

تلك الغرائيق العلا وان شفاعتهن
لترجى

الغرائيق العلا أن شفاعتهم
ترتجى

أن شفاعتهن ترتجى - دون ذكر
الغرائقة أو الغرائيق •

وانها لهى الغرائيق العلا
وانهن لهن الغرائيق العلا وان
شفاعتهن لهى التى ترتجى (١)

وأما الذى سجد على التراب :
فرواية تقول هو :

الوليد بن المغيرة •
واخرى تقول هو :
امية بن خلف (٢)

وعدم الاتفاق فى الرواية يردها
ذلك منهج عندنا يا مستر وليم

ابن عباس ورواها على بن صالح ،
وقد علم ما للناس فى ابن أبى صالح
وأن المحققين على تضعيفه واذن
فتفسير التمنى بالقراءة فاسد
الرواية لضعف الراوى •

ثم هناك معنى اخر لكلمة تمنى
وهو حدث نفسه

قال القرطبى :

وقد قيل : أن معنى تمنى حدث
لا تلا ، وروى عن على بن ابى طلحة
عن ابن عباس فى قوله عز وجل
« الا اذا تمنى » قال : الا اذا حدث
•• وهذا التفسير سليم السند
والرجال فهو أولى بالقبول ويكون
المعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم
يتمنى لقومه أن يشرح الله لهم
صدورهم ويود أن يجرحهم سريعا
الى رحاب الايمان ويريد الشيطان
أن يؤسسه فيطلل الله هذا
الوسواس •

واذن فاختيار تفسير تمنى بقرأ
أو تلا تمحك يخالف منهج البحث

(١) ص ١٦٥ حياة محمد هيكى باشا •

(٢) ٤٤٧٣ ج ١ الشعب القرطبى •

موير وعليك أن تقبله •• قرب
الدار ادرى بما فيها ••

ثانيا : أما فيما يتعلق بالنصوص
الآخري

فان الموقف فيما يتصل بالمساومة
من أجل الحل النصفى قد رفض منذ
اللحظة الاولى •

لقد جاء القوم الى النبى صلى
الله عليه وسلم وعرضوا عليه المال
والجاء والرياسة والعلاج فرفضها
جميعا وقال :

والله لو وضعوا الشمس فى
يمينى والقمر فى يسارى على أن
اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره
الله أو اهلك دونه •

والقرآن الكريم نفسه يسجل
هذا العرض فى سورة أطلق عليها
اسم « الكافرون » •

قل يا أيها الكافرون لا أعبد
ما تعبدون الآيات

فما قيمة حادث الغرائق لو صح
بالنسبة لهذه النصوص المتعلقة
بأسس الدعوة (توحيد الله) •

وهل بالمرسلات يا وليم موير
تقبل عندنا فى الاحكام والقوانين
حتى نسلم بها فى العقائد •••••؟

ان الباحث فى نظر الشريعة
الاسلامية لاعليه أن يرفض الأحاديث
المرسلة فى الأحكام فكيف تقبل فى
مسألة العقيدة التى تحدت بمئات
من الآيات الواضحة الصريحة •

أبعد •

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ،
لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا
أحد » تكون هناك مساومة ؟
أبعد : « فاعلم أنه لا اله الا الله
تكون هناك مصالحة ؟؟؟؟؟ »

ثالثا : أما فيما يتعلق بالمستوى
الذى يرضى به الطرفان فقد صورته
آية سورة الأنعام
قل أى شئ أكبر شهادة ؟

قل : الله شهيد بينى وبينكم ،
وأوحى الى هذا القرآن لأنذرکم به
ومن بلغ ، ائنيكم لتشهدون أن مع
الله الهة أخرى ؟

قل : لا أشهد •

قل : انما هو اله واحد •

واننى برىء مما تشركون •

وبعد :

فان العربية لم تعرف اطلاق هذا
الاسم الغرائق على الأصنام لا من

السور المدنية التي نزلت بالمدينة
وعدها ثمانية وعشرون •

فأى علاقة بين ما يدعيه الغرائق
المستشرقون في سورة النجم وحقيقة
عامة في كل الرسالات في سورة
الحج وبين نزولها سنوات طويلة؟؟؟

ب - على أنك يا غريق سير
وليم موير وأصحابك تستعملون
دائما مع المسلمين منهج المباحثه
تهاجمون أحداث الحياة الاسلاميه
بتضليل مفضوح فليس في النص
ذاته ما يشير الى وجود حادثه
فردية حتى يتمحل لها كل هذا
الافك •

فالنص يقرر أن هذه قاعدة عامة
في الرسالات كلها مع الرسل كلهم:

«وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان
في أمنيه فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته » فلا بد
أن يكون المقصود أمرا عاما يستند
الى صفة الفطرة مشتركة بين الرسل
جميعا بوصفهم من البشر مما لا
يخالف العصمة المقررة للرسل •

قبيل الاسم ولم يتداوله العرب في
شعرهم ولا في نثرهم، وكل ما يحمله
القاموس لهذه الكلمة « الغريق »
انه اسم طائر الماء الطويل العنق وقد
يطلق على الشاب الأبيض الجميل
ولذلك دعوتك به يا سير وليم موير
لأنك أبيض وجميل فهل بقى لديك
شئ عن الغرائق ؟

أ - بقى أن نقول : لهذا يرى ابن
اسحق وقد سئل عنها يقول : هي
من وضع الزنادقة ويقول الامام
أبو بكر بن العربى : أن جميع
ما ورد في هذه القصة لا أصل له
على أن آية الحج التي تعتمد عليها
في الاستدلال على قصة الغرائق
لم تسعف الباحثين لتلتقى الهنات
المتربصين بالطعنات للحياة
الاسلامية •

ان هذه الآية نزلت أيام الهجرة
بين مكة والمدينة ، وسورة النجم
من أوائل السور التي نزلت قبل
الهجرة فهي في الترتيب للسور
المكية مكانها الثالث والعشرون من
ست وثمانين سورة مكية هي
مجموع ما نزل بمكة وسورة الحج
مدنية ومكانها السابع عشر من

وحدد موازينها الدقيقة ، ثم بعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر •

فالكسب الحقيقي للدعوة في تقديرها الباني الكامل هو أن تمضى الدعوة على اصولها وفق الموازين الالهية التى قدرت لها ولو خسرت اشخاصا فى أول الطريق ففى نهاية المطاف اذا استقامت الدعوة على اصولها فسوف ينثنى هؤلاء الأشخاص أو من هم خير منهم الى أصول الدعوة •

وتبقى الدعوة سليمة لا تخدش من عوج أو انحناء •

ولكن الشيطان يريد أن يكيد للدعوة بما يجد من تلك الرغبات البشرية ومن تصرفات يترجم عنها لتحويلها عن قواعدها والقاء الشبهات حولها ولكن الله يحول دون كيد الشيطان وكيد أعوانه •

وكفى بربك هاديا ونصيرا •

فأين غرائيقك يا مستر موير من هذه القاعدة العامة ، ولو صحت

ان الرسل عندما يكلفون حمل الرسالة الى الناس يكون أحب شئ الى نفوسهم أن يجتمع الناس على الدعوة ، وأن يدركوا الخير الذى جاءوهم به عند الله فتبعوه •• ولكن العقبات فى طريق الدعوات كثير ، والرسل بشر محدودو الأجل وهم يحسون هذا ويعلمونه، فيتمنون لو ••

يجذبون الناس الى دعوتهم بأسرع طريق ••

يودون مثلا لو هاودوا الناس فيما يعز على الناس أن يتركوه من عادات وتقاليده وموروثات فيسكتوا عنها مؤقتا لعل الناس أن يفيئوا الى الهدى ، فاذا دخلوا فيه أمكن صرفهم عن تلك الموروثات العزيزة • ويودون مثلا لو جاروهم فى شئ يسير من الرغبات وجاء استدراجهم الى العقيدة على أمل أن تتم فيما بعد تربيتهم الصحيحة التى تطرد هذه الرغبات المألوفة ••

يودون •• يودون •• على حين يريد الله جل شأنه أن تمضى الدعوة على اصولها الكاملة التى قدرها

عندك فقد طعنت بها دينك وكل دين
قبل ومن بعد ..

وصدق الله العلى العظيم ..

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا
من المجرمين وكفى بربك هاديا
ونصيرا » انها ليست غرائيق
الشيطان فحسب تلك التى تشوش
على دعوة الله •

ولكنها مع ذلك غرائيق المفترين
والمستشرقين جميعا ..

ثم يحكم الله آياته والله عليم
حكيم •

وملخص الموضوع :

أن المستشرقين اعتمدوا على
حديث مردود عند علماء الاسلام ،
وهو مغالطة علمية يرفضها البحث
الاسلامى وأنهم تصوروا خيالا
واسعا فجعلوها فى مشهد عام
فتكون لها صفة التواتر عند الراوية
مع أن الأحاديث المروية ليست
كذلك •

ان معنى « تمنى » ليس قرأ
ولا تلا على القطع بأحد المعنيين

فهناك احتمال لغوى رابع بمعنى
حدث نفسه ، وهذا المعنى الأخير
يتفق مع السنة العاملة الحالة
الأنبياء وهم يدعون أقوامهم : انهم
يحاولون هداية لقوامهم ويحاول
الشيطان أن يصددهم عن تلك الهداية
والله يصور ذلك فى حياة نبيه محمد
عليه الصلاة والسلام « لعلك باخع
نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفا » •

على أن آية الحج ليست مكية
وهى الآية التى يعتمد على تأويلها
الفكر الاستشراقى بل هى مدنية
نزلت يوم الهجرة بين مكة والمدينة
والحادثة المدعاة وقعت ادعاء فى
مكة فكيف يستدل بآية نزلت بعد
الهجرة على واقعة يدعى أنها وقعت
أمام جمهرة بمكة المكرمة ؟

لعل الفكر الاسلامى المعاصر
يستيقظ ويعى ويلتزم ويستمسك
بالذى أوحى اليه من عند ربه ،
فالعاقبة للمتقين •

هذا .. وبالله التوفيق •

د. رءوف شلبى

موقف الفلسفة الإلحادية المعاصرة من غيبيات المادة

بقلم الدكتور يحيى هاشم

بين المادة والعقل

ط = (كس ٢) • ومن ثم فان
« مادة العقل » قد تعادل كيانات
أخرى في العالم الفيزيائي •

وذهب الى أكثر من ذلك حين
افترض امكان وجود جزيئات أولية
من « مادة العقل » اقترح تسميتها
ذرات عقلية ذات خصائص تشبه
الى حد ما خصائص
النيوترون • (١)

(ويقول الدكتور جون كيمنى :

(يمكن لنا أن نقسم الأجوبة
الفلسفية المعتادة عن العلاقة بين
المادة والعقل الى :

زمرتين رئيسيتين (١) الأجوبة
التي لا تقول بوجود اختلاف

أخذ العلم التجريبي أخيرا يدفع
المفكرين الى تخوم العقل والروح
•• يقول الأستاذ ارثر كومستلر :

(ان افتقار النيوترون الى
الخصائص الفزيائية العيانية فضلا
عن طبيعتها شبه الأثيرية كل هذا
شجع التفكير النظري بشأن امكان
وجود جزيئات أخرى تكشف لنا
عن الحلقة المفقودة بين المادة والعقل)

وهكذا نجد عالم الفلك المرموق
ف • أ فيرسوف يفترض أن العقل
كان كيانا شاملا كلياً أو تفاعلا من
نفس المرتبة مثل الكهرباء أو الجاذبية
وأنه لا بد من وجود معامل للتحويل
يمثل معادلة اينشتين الشهيرة

أو قد يكون الاثنان منفصلين بشكل واضح ، الا أنهما متواقتان كتواق ساعتين مختلفتين •

ويؤدي بنا كل هذا الى وجهات نظر خمس - اثنتان منهما ثنائيتان وثلاث وحدانية هي المادية والمثالية والوحدانية المحايدة •

وغنى عن القول أن كلاماً من هذه المواقف الخمسة قد وجد من يدافع عنه في حين أو في آخر • وظنى أنه بالامكان مع شيء من العناية أن يصار الى تصنيف جميع الفلاسفة في احدى هذه المدارس الخمس - وان كان أكثرهم يعترض على ذلك نظراً للاختلافات الدقيقة التي تميزهم عن جميع المفكرين الآخرين ••

واذا نحن ذهبنا الآن الى المعالجة العلمية لمشكلة العقل نلاحظ أنه يجب على الموقف المادى أن ينظر الى العقل على أنه آلة شديدة التعقيد ، ويقر أن أى آلة معقدة الى الحد المطلوب قادرة على التفكير •

أساسى بين العقل والمادة أى الأجوبة الوجدانية (٢) الأجوبة التى تؤكد وجود تمييز أساسى بينهما أى الأجوبة الازدواجية •

ولننظر بادئ الأمر فى الحلول الوجدانية ، فاذا كان العقل والمادة لا يختلفان بالفعل فان العقل عندئذ يكون أحد الأشكال الخاصة للمادة « كمادة دقيقة التنظيم مثلاً تتصرف بشكل معين » •

أو تكون المادة تتاجا ثانوياً للعقل •

أو يكون ثمة مادة أساسية يشكل العقل والمادة مظهرين مختلفين من مظاهرها ويرى برتراندراسل هذا الرأى الأخير مؤكداً أن الحوادث تبدو مادية اذا نظرنا اليها من زاوية معينة وعقلية اذا نظرنا اليها من زاوية أخرى •

أما اذا كان المرء من دعاة الفلسفة الازدواجية فانه يقول بأن العقل والمادة شيئان مختلفان تماماً •

مع العلم بأنه قد تكون ثمة علاقة بين الاثنين عن طريق روابط سببية،

فلنتحرر اذن هذه الفرضية فى الآلات المفكرة •

ربما كان أكثر العوامل مغزى فى تطورات الانسان الأخيرة ظهور أولى الآلات المفكرة الجيدة لقد صممت هذه الآلات للقيام بالعمليات الحسابية المعقدة الا أنها وصلت الى مرحلة غدت معها أكثر بكثير من مجرد آلات حاسبة •

وهذه الآلات الآن تهيأ لآلاف المهام التى تفوق أعز أمانى الذين قاموا بتصميمها • من الصعب علينا أن ننكر أن كثيرا من هذه المهام يمكن أن يسمى تفكيراً وعلى مستوى رفيع ، حين يقوم بها بنو البشر •

إذا كان لابد من أساس عقلانى لتفوقنا على الآلات فيجب أن يستند الى امكاننا القيام بتصرفات معينة ليس بمستطاع الآلات أن تقوم بها ، ولدينا فى الوقت الحاضر على الاقل ، متسع كبير لهذا الادعاء ••

وهكذا يترك لنا كلية - مجال الحدس والتبصر والتكهن الملهم ••

وللكائنات البشرية القدرة على حل المشاكل بواسطة عمليات مختصرة لا يستطيع تفسير طبيعتها ! ؟

ان امكان تعليم الآلات هذا الطراز من التكهن أمر فيه جدل ؟•

أما هل هذه المرحلة ممكنة البلوغ ، فأمر يجب ترك باب البحث مفتوحا فيه •• هذه هى الحقائق ، فما هو الاستنتاج الفلسفى الذى يمكن لنا استخلاصه منها ؟

النتيجة الأولى هى القول بأننا فى الواقع نختلف اختلافا أساسيا عن الآلات • (١)

غيبية مفهوم المادة عند الفيلسوف الملحد المعاصر : برتراند راسل :

والحقيقة بالطبع أن العقل والمادة
كليهما وهم ؟ وهو ما يكتشفه علماء
الطبيعة بدراسة المادة ويكتشفه
علماء النفس بدراسة العقل (٢) •
ثم يقرر راسل أن عالم المادة الذي
يعترف به علم الطبيعة الحديث
أصبح شيئاً آخر يختلف عن عالم
المادة كما تدركه حواسنا ! ؟

وأنة أى عالم المادة فى الفيزيكا
الحديثة يدرك بالاستنتاج •
وأنة من ثم واقع تحت الشك •
يقول راسل :

يقول الفيلسوف الملحد (١)
المعاصر برتراند راسل معبرا عن
زوال المفهوم المادى للمادة :

(أخذت المادة تشف تدريجيا
كقطعة تشيشاير حتى لم يبق منها
الا الابتسامة الناجمة فيما يبدو
من الضحك على من لا يزالون
يظنون أنها موجودة) •

ويقول :

(أصبح دارسو علم الطبيعة
مثاليين • وأصبح كثير من علماء
النفس على حافة المادية •

(١) يقول راسل فى مقدمة كتابه (فلسفتى كيف تطورت ص ٤) - :
رأما فيما يختص بالدين فقد انتهى بى الأمر الى أن كبرت أولا بحرية
الارادة ثم بخلود الروح ، وأخيرا بالله) •
وهذا الاعتراف يكفى لأن نحكم على مضمونه بأنه - على أقل تقدير -
(لا يصح الاصفاء اليه) لا لشيء الا لانه صادد عنه بغير ارادته بحكم كفره
بحرية الارادة فهو مقسور عليه ، وماهى القوة التى قسرتة ؟ ليست هى
الروح ، أو الله ، لأنهما غير واردين بحكم كفره بهما ، وما عدا ذلك ؟ نحن
لا نعلم - على أقل تقدير - شيئا عن يتحدث إلينا هذا الحديث :
انه ليس هو راسل ، وليس هو الروح ، وليس هو الشيطان • •
فمن القائل ؟

والى من نستمع ؟

والى من نصفى ؟

الى مضافة اللحم والدم والافرازات ؟ أم الى الكترولونات ونيوترونات هى
التى - فى اصطلاح العلم - تتمتع بالحرية ؟

وما القيمة الفلسفية لما يقول فى ظل هذه الاحتمالات ؟؟؟

(٢) العقل والمادة ١٩٧

(علم الطبيعة وعلم وظائف الأعضاء فيما بينها يؤكدان لى أن الكرسي القائم هناك مستقلا عن ابصارى شيء لا يشبه مطلقا ما صورته •

بل هو رقصة جنونية ترقصها بلايين الكهريبات تحت تأثير بلايين التحولات الكمية • وعلاقتى بهذا الشيء غير مباشرة ولا تتأتى معرفتها الا بالاستنتاج •

فهى توجب أن تميز بين العالم المادى لعلم الطبيعة والعالم المادى المتمثل فى خبرتنا اليومية •

فأما العالم المادى لعلم الطبيعة فهو موجود مستقل عن حياتى العقلية بفرض صحة علم الطبيعة • أما العالم المادى فى خبرتنا اليومية فهو على العكس جزء من حياتى العقلية •

ومن ناحية أخرى فإن خبرة رؤية الكرسي ليست بالخبرة التى أستطيع أن استبعداها بالتعليل فقد حدثت لى هذه الخبرة بكل تأكيد حتى ولو كنت أحلم •

أما كرسي علم الطبيعة فانه وان كان مستقلا عن حياتى العقلية الا أنه ربما كان غير موجود • اذ يكون غير موجود ان كنت أحلم ، وربما لم يكن موجودا حتى وأنا متيقظ اذ كانت هناك مهام للخطأ فى بعض أنواع الاستنتاج أنا معرض لها وان لم يكن عليها دليل) • (١)

ويأخذ راسل فى تحليله للمادة ، وقصرها على « سلسلة من الوقائع » فيقول :

(كل ما اعلمه عن المادة هو ما يمكننى استنتاجه بمساعدة بعض المسلمات المجردة من الصفات المنطقية المحضة لتحيزها الزمانى المكانى وهذه لا تدلنى لأول وهلة على أى شيء كائننا ما كان عن خصائصها الأخرى • وفوق هذا ، فإن الدواعى التى تمنعنى من الاعتراف بتصور الذات فى حالة العقل هى بعينها الدواعى التى تمنعنى من الاعتراف بتصور الجوهر فى حالة المادة • لقد أنزلنا عقل ديكارت الى سلسلة من الوقائع ،

ولكن الذرة للأسف قد شقيت
بتحطيم الذرة •

وكل ما أصبحنا نعلمه عنها حتى
على فرض أكثر الفروض تفاؤلاً هو
أنها كمٌ من الطاقة تخضع لمختلف
التقلبات المفاجئة ، ولا سبيل الى
دليل الا على هذه التقلبات) •

ويُسن راسل أنه ظل الفيزيقيا
الحديثة أصبح من المستحيل معرفة
شيء عن الذرة في حالة السكون •

وكل ما نعرفه عنها الآن انما هو
حالة القلب •
يقول :

(كنا في الأيام السعيدة التي
شهدت طفولة بوهر نفترض أننا
نعلم ما يجرى في لحظات السكون،
فقد كانت هناك كهيربات تدور حول
النواة كما تدور الكواكب حول
الشمس ، أما الآن فقد وجب علينا
أن نعترف بالجهل التام المطلق الذي
لا استئصال له أبد الدهر بما تفعله
الذرة في لحظاتها الساكنة • لكأنها
مسكونة بطائفة من المراسلين
الصحفيين الذين لا يعتقدون أن
الخبر يستحق ان يذكر الا أن يكون

وهذا ما يجب أن تفعله بجسمه
أيضا ، فان قطعة المادة سلسلة وقائع
تربط فيما بينها قوانين طبيعية
معينة •

وهي قوانين تقريبية وغير
دقيقة •

والشخصية التي تحتفظ بها
الجزئيات المادية في علم الطبيعة
العتيق تختفى في علم الطبيعة الكمية
الحديث •

ولكن حتى قبل ظهور علم
الطبيعة الكمية ، كانت الجزئيات
فكرة بالية لأنها كانت تؤدي الى
فكرة الجوهر •

وحتى من أيام ذرة « رذرفورد
بوهر » ظل من الممكن التمسك
بهذه لان ذرة رذرفورد بوهر تتكون
من عدد معين من الكهرييات
والبروتونات •

وكانت الكهرييات تتصرف
كالبراغيث تزحف حيناً ثم تقفز ،
والكهرب لا يزال يمكن التعرف
عليه بعد قفزاته على أنه الكهرب
نفسه الذي كان يزحف من قبل

فانك حين تنظر الى كرسى لا ترى التحولات الكمية بل تحصل على خبرة ذات اتصال على طول محكم بالكرسى المادى وهو اتصال ينتقل خلال الموجات الضوئية وحزم الأشعة ومخروط الضوء والعصب البصرى الى المخ •

وما يصدق هنا يصدق على المخ الذى يعتقد عالم وظائف الأعضاء أنه يراه فان لديه خبرة لها اتصال على بعيد بالمخ الذى يظن أنه يراه ولكن ما يستطيع أن يعلمه بصدد هذا المخ لا يعدو عناصر تكوينه التى ستنبع فى حسه البصرى أما عن الخصائص الأخرى غير خصائص التركيب فلا سبيل الى معرفتها •

وهنا يود راسل أن يمحو الفصل التام بين كل من المادة والعقل وأن يوحد بينهما فيما يسميه « سلسلة أحداث » • يقول :

(أحب أن أقترح نظرية : فقد اتفقنا على أن العقل والمادة كليهما سلاسل أحداث واتفقنا كذلك أننا لا نعلم شيئا عن الأحداث التى تكوّن المادة الا من كيانها الزمانى

ثورة أو انقلابا فيظل ما يحدث فى غير زمن الثورات مغلقا فى الأستار والأسرار وعلى هذا الأساس اختفت تماما فكرة « النفسية »)
يقصد الشئ نفسه ، أو الشئ فى ذاته •

ويدل على ذلك فيقول :

(الواقع أن أصغر قطعة من الكرسى تفقد شخصيتها فى ما يقرب من جزء من مائة ألف جزء من الثانية) •

واذا كان هذا هو جهلنا بالمادة فان راسل يقرر أن جهلنا بمخ الانسان أشد !؟

يقول :

(اننا لم نتعود بعد الكلام عن المخ الانسانى بدقة لغة علم الطبيعة والكيمياء وأهم ما يتعلق من أسرار هذه النظرية بمشكلاتنا هو ما تبديه لنا من قلة مانعرفه عن المادة ولاسيما مخ الانسان •

فما يزال بعض علماء وظائف الأعضاء يتخيلون أنهم قادرون على رؤية الأنسجة المخية خلال المجهر • وهذا — ولا شك — وهم متفائل

بعض التعديل المادى بما يقابل
الذاكرة ولا بد أن تتصل الحياة
العقلية بالخصائص المادية للأنسجة
المخية ، والواقع أن القضايا المادية
والنفسية سينظر إليها ، لو أن لنا
مزيذا من المعرفة ، على أنها مجرد
اختلاف فى طريقة النص على
مضمون واحد . وهكذا تنكمش
المسألة القديمة فى اعتماد العقل
على المخ أو المخ على العقل حتى
تصير مجرد راحة لغوية فيريحنا
أن نرى العقل معتمدا على المخ
حيث يزيد علمنا بالمخ ، على علمنا
بالعقل ويريحنا أن نرى المخ معتمدا
على العقل حيث يزيد علمنا بالعقل
على علمنا بالمخ .

وفى كل من الحالتين تظل الحقائق
الجوهرية هى هى ويظل الاختلاف
اختلافا فى درجة علمنا ولا زيادة .
ولا أظن ان صح ما تقدم أن
تطلق القول اطلاقا بأنه لا وجود
لعقل غير مجسد فمثلا هذا العقل
اللا متجسد قد يوجد ، اذا اجتمعت
أحداث بحسب قوانين السيكلوجيا
ولا يبدو أن ثمة سببا تلقائيا قريبا
يمنع حدوث العكس ، وكل ما
يمكننا أن نقوله هو أنه لا يوجد

المكانى ، والذي أقترحه هو أن
الأحداث التى تكوّن المخ الحى
هى نفسها التى تكوّن العقل
المناظر له) .

ثم يقول :

(فاذا صح قولى فالخلاف بين
العقل والمخ لا يكون فى المادة الخام
التي صنعا منها ولكن يكون فى
طريقة تجميعها ، فالعقل وقطعة
المادة يتشابهان فى أنهما مجموعات
أحداث أو على الأصح سلاسل
مجموعات أحداث) .

ثم يحاول أن يزيد نظريته وضوحا
فيقول :

(ان الاختلاف بين المخ والعقل
ليس اختلافا فى الكيف ولكنه
اختلاف فى التصنيف يشبه الاختلاف
بين تصنيف الناس تصنيفا جغرافيا،
وتصنيفهم حسب الحروف الأبجدية
وكلا التصنيفين معمول به فى دليل
البريد فالناس فى هذا التصنيف هم
الناس فى ذلك ولكن السياق
يختلف .

واذا صحت هذه النظرية فلامهرب
من بعض أنواع الاتصال بين العقل
والمخ فلا بد مثلا أن يحدث فى المخ

رابعا : أن هناك نوعين من المكان :

أحدهما ما يعرف بالخبرة ، والآخر مكان علم الطبيعة الذى لا يعرف الا استنتاجا وهو الذى يترابط بقوانين العلية ..

خامسا : ان قطعة من المادة هى فى حقيقتها مجموعة أحداث ترتبط بقوانين عليّة هى القوانين العلية الطبيعية .

بينما العقل مجموعة أحداث ترتبط بقوانين عليّة هى القوانين العلية النفسية . واذن فلا يصح وصف حادثة ما بأنها عقلية أو بأنها مادية لصفة فى كيانها بل توصف بهذا أو بذلك حسب سياقها العلى ، فانه من الممكن كل الامكان للحادثة أن تنسق فى كلا السياقين العليين ، السياق الذى تختص به الطبيعة ، والسياق الذى تختص به السيكولوجيا ، وفى هذه الحالة

شاهد تجربى عليه ، ولا حق لنا فى أن نزيد) . (١)

ويأخذ راسل بعد ذلك فى تلخيص نظريته هذه فى نقاط أهمها :

أولا : أن العالم مكون من أحداث لا من أشياء ذوات حالات تختلف أو على الأصح أن كل مالنا من الحق فى وصف العالم به يمكن أن ينص عليه على افتراض أن هناك أحداثا لا أشياء فالأشياء بمعزل عن الأحداث ، فرض لا ضرورة له .

وثانيا : أن موضوعات الحس كما نحسها مباشرة أجزاء من عقولنا وليس ما نراه هو العالم المادى ولا بعضه ، وهذا أيضا قال به من قبل بركلى (٢) وأيده فيه هيوم ، وان اختلفت الحجج ..

ثالثا : ينبغى أن اعترف بأنه قد لا يوجد شئ يسمى عالم المادة متميز عن خبراتى .

(١) العقل والمادة ص ٢٠٠ الى ٢٠٥ وانظر فلسفة برتراند راسل للدكتور محمد مهران ص ٩٥ ، ٩٦

(٢) بيشوب بركلى ١٦٨٥ - ١٧٥٣ فيلسوف ايرلندى يرى الوجود هو الادراك .

بأشياء ، والا وقعت كلمة ، أحداث
فى نفس الغموض الذى وقعت فيه
كلمة « عقل » وكلمة « مادة »
وتكون النتيجة هى ضم كلمة الى
قاموس الألفاظ الغامضة •

ان الأحداث لابد أنها تتعلق
بأشياء ، فما هى هذه الأشياء ؟
حاول الأقدمون تصنيفها الى عقل
ومادة ، أو روح وجسم • والآن
فى علم الطبيعة الحديث أصبحت
التفرقة بين هذين الأمرين واهية
حقا !؟

وانهيار هذه التفرقة القديمة لا
يزيل الغموض كما توهم راسل ،
وانما هو يزيد بالتأكد ، ولابد من
الرجوع الى فلسفة كانت حيث
يثبت « الشئ فى ذاته »

وليس أدل على ذلك من أن
راسل نفسه يذهب الى أنه لا يمكن
الاستدلال على الأحداث التى تقع
بشكل مستقل عن الإدراك •

تكون الحادثة عقلية ومادية فى
وقت معا ••

ويحسب راسل أن هذه النظرية
قد أزال الغموض فيقول :

(أهم ما يقال فى صالح هذه
النظرية التى أدعو إليها أنها تزيل
غموضا ، والغموض على الدوام
يضائق •• لقد ظلت علاقة العقل
بالمادة تحير الناس ردحا طويلا من
الزمن فاذا صح رأى فلا حيرة فى
أمرهما بعد الآن ••) (١) وأقول :

مع أن ما يعيننا نحن من فلسفة
راسل هذه - وهو على قمة اللاحاد
المعاصر - أنها تحطم المفهوم المادى
للمادة ، الا أننا لا نرى أن نظريته
أزالت الغموض فى العلاقة بين المادة
والعقل • وانما زادته •

ذلك لأن تفسير كل من العقل
والمادة بأنه مجموعة أحداث يدفعنا
الى التساؤل : أحداث ماذا ؟

أن اللاحداث لابد أن تتعلق

(١) العقل والمادة ص ٢٠٥ - ٢٠٩

ويرى الدكتور زكى نجيب محمود أن هذه آخر مراحل تطور

فلسفة برتراند راسل ••

انظر كتاب فلسفتى وكيف تطورت لبرتراند رسل والمقدمة •

الى « وقائع » وأن الأشياء هي المكونات المباشرة التي تتكون منها الوقائع ، (والأشياء) عند فتجنشتين :

١ - بسيطة ، لا تنقسم •

هي بسيطة في غاية البساطة وهي لا تتصف بأى صفة من الصفات التي يمكن ملاحظتها انما تتصف بهذه الصفة أو تلك أثناء وجودها في واقعة ما ، لأن الصفات المادية - تنشأ أول ما تنشأ نتيجة لتشكل الأشياء في واقعة ما •

٢ - ويترب على ذلك أن الأشياء ثابتة لا تتغير • يقول فتجنشتين :

« الشئ وهو الثابت ، وهو الموجود ، أما المتحول المتغير فهو البناء المركب من أشياء ، والتركيبية التي قوامها أشياء هي التي تشكل الواقعة الذرية »

وهذا ما جعله يقرر أن التسليم بها أمر ضروري من الناحية العلمية (اذ لو لم نسلم بهذه الأحداث لانهارت كل الأسس العلمية التي يمكن بها تبرير اعتقادنا في وجود الموضوعات الفيزيكية واستمرارها، كما تنهار أيضا امكانية تبرير الفيزيكا) •

وبذلك لا يقر راسل بالشك الكلى ويراه من الناحية العملية مجدبا (١) ولعل الحصيلة النهائية لنظرة راسل الى كل من العقل والمادة هي مالحظه في أحد كتبه بقوله :

(أن العقل والروح - شأن المادة ليست سوى رموز أشياء غير معروفة) (٢)

غيبية مفهوم المادة عند الفيلسوف
الملحد المعاصر فتجنشتين : (٣)
يرى فتجنشتين أن العالم ينحل

(١) فلسفة برتراند راسل للدكتور محمد مهران ص ٩٩ ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٣

(٢) مجموعة « عالمنا المجنون » ص ٩٧

(٣) لودفيج فيتجنشتين فيلسوف المنطقية الوضعية النمساوى
١٨٨٩ - ١٩٥١

جوهر فان القول عن قضية ما أنها ذات معنى سيتوقف عندئذ على أن قضية أخرى تكون صادقة » •

أى أن معنى قضية ما فى حالة وجود جوهر ثابت للعالم الخارجى انما يتوقف على المطابقة بين القضية من جهة ، وذلك الجوهر الثابت من جهة أخرى ، فيتحدد المعنى أما اذا لم يكن هناك جوهر « ثابت يحدد لنا معنى قضية معينة » • فلن يكون أمامنا عندئذ الا أن نشق معناها من قضية صادقة أخرى •

وهذه من ثالثة ، وتلك من رابعة و • الخ • •

وبذلك تنحصر فى دائرة من القضايا يسند بعضها بعضا • • وعلى ذلك فوجود « الجوهر » الثابت أو الأشياء الثابتة هو المطلب الذى يبرر لنا الاستخدام الصحيح للغة ، اذ أن ترابط الأشياء على نحو أو آخر فى واقعة ما هو ما يبرر لنا الحكم بصدق قضية أو كذب أخرى •

اذن ما هو هذا الشئ البسيط عند فتجنشتين وكيف يكون ؟ • ان فتجنشتين لا يعطينا أمثلة له ولا

٣ - ويترتب على ذلك أن الأشياء باقية الى الأبد ، لأنها بسيطة لا تنقسم الى أجزاء وما ينقسم الى أجزاء هو ما يمكن فساده ، أما مالا ينقسم فهو باق على حاله ثابت لا يتغير ولا يزول •

٤ - ويترتب على ذلك أن الأشياء هى الأساس الأول الذى يقوم عليه العالم أو هى كما عبر فتجنشتين تكتون « جوهر العالم » •

ولكن ما المقصود بمعنى الجوهر هنا ؟

معناه « الثابت وراء كل تغير ، والحامل الذى يحمل كل الصفات المتغيرة المتتابعة فى الوجود أو هو « الشئ الموجود بذاته ، الثابت الذى لا يتغير وبالتالي فهو الذى يعد مبدأ أو أصلا لجميع الأشياء الموجودة » •

الايمان بالشئ ضرورة منطقية : ويبرر فتجنشتين فكرته عن الجوهر ، على الرغم مما فيها من معنى ميتافيزيقى يتناقض مع اتجاهه التحليلى اللاميتافيزيقى :

بقوله « انه اذا لم يكن للعالم

تجريبية لأنه ضرورة منطقية تتطلبها النظرية مثل الإلكترون) ولو تعمقنا في ذلك لوجدنا أنها ضرورة عملية يقصد بها انقاذ هيكل القضايا من الوقوع في حلقة مفرغة ويفقد من ثم ما يبرر الحكم بصدق قضية ما أو كذبها (١) •

واذن فهذه البسائط (الأشياء) ليست هي المفردات الجزئية التي ندركها تجريبيا في الواقع الخارجي انها ليست كذلك لأن الأشياء التي تقع في خبرتنا في العالم الخارجي ليست بسيطة بل هي مما يمكن تحليله الى أجزاء أصغر منها •

وهنا يقول فتنجشتين (لا يسعني أزاء الأشياء الا أن أسميها • وبهذا لا يسعني الا أن أتحدث عنها دون أن أستطيع تقرير وجودها) •

انها كما يقول الدكتور عزمي اسلام في تلخيصه للنقد الذي وجه الى فتنجشتين (مجرد افتراضات ميتافيزيقية) (٢)

يوضح المقصود منه في هذا الصدد يقول مالكوم : « ذات مرة كنا نناقش » - « فتنجشتين وويلز دوني وانا » رسالة فتنجشتين المنطقية الفلسفية وقد سألت فتنجشتين عما اذا كان - أثناء « كتابة » الرسالة « قد فكر في وجود شيء كمثل «لشيء البسيط» وكانت اجابته بأن تفكيره في ذلك الوقت لم يكن الا تفكيراً منطقياً •

ولذا فان ذلك الأمر لم يكن يعنيه كرجل منطقي أى أن يقرر ما اذا كان هذا الشيء أو ذاك ، هو شيء بسيط أو شيء مركب - اذ أن ذلك عمل تجريبي محض وعلى ذلك فهذه الأشياء عند فتنجشتين لم تكن الا الأشياء بالمعنى المنطقي أو هي بسائط منطقية • وقد عبر راسل عن ذلك في مقدمة الرسالة لفتنجشتين بقوله :

(ان فتنجشتين لم يذهب الى أننا يمكننا أن نقول فعلاً ما هو بسيط أو أن نعرفه معرفة

(١) لودفيج فتنجشتين للدكتور عزمي اسلام ص ١٢٢ - ١٣٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٣١ •

المادة عندها نزيشبناخ :

يقول هانز ريشبناخ - وهو ملحد .. - (فالسؤال :
المادة ؟) أصبح الآن لا يمكن
الاجابة عنه بالتجارب الفيزيائية
وحدها .

وانما يحتاج الى تحليل فلسفى
لفيزياء .. ذلك لأن الاجابة عنه
تتوقف على السؤال : ما المعرفة ؟
ففى خلال القرن التاسع عشر
استعيز عن التفكير الفلسفى
الذى كان موجودا فى مهد المذهب
الذرى بالتحليل التجريبي ولكن
البحث وصل آخر الأمر الى مرحلة
من التعقيد تقتضى العودة الى
البحث الفلسفى ..) ولكن
- حسب رأيه - بمعينة البحث
الفيزيائى (١)

ويقول (لقد اتضح أن مفهوم
الجوهر الجسمى المشابه للجوهر
الملموس كما يظهر فى الأجسام التى
تتعامل معها فى بيئتنا اليومية هو
فكرة مقحمة من مجال التجربة
الحسية وأن التجارب التى
تتيحها الظواهر الذرية لتختتم
التخلى عن فكرة الجوهر الجسمى ،
وتقتضى إعادة النظر فى طريقة
الوصف التى تصور بها الواقع
الفيزيائى . وباختفاء الجوهر
الجسمى يختفى طابع اللغة المرتكز
على قيمتين (٢) ، ويتضح أن أسس
المنطق - واللغة - انما هى تتاج
للتكيف مع البيئة البسيطة التى
ولد فيها البشر . والحق أن الفلسفة
التأملية ذاتها لم تكشف أبدا عن
قدرة على التخيل مماثلة لذلك
العمق الذى أبدته الفلسفة
العلمية (٣)

(١) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٥٨ .

(٢) يعنى فى مجالنا هذا الموجات ، والجزئيات ويقترح أمرا ثالثا
« اللامحدد » الخ ، انظر نشأة الفلسفة العلمية ص ١٦٩ .

(٣) السابق ص ١٧٠

العلم التجريبي

يرغم الالحاد المعاصر
على التخلي عن « المادية » ..
لكن الى ... أين ... ؟

الالكترتون ، التي أصبحت هي
الفكرة الأساسية في الفيزياء في ذلك
العهد ، ما هي الا تركيب ذهني
يستحيل أن يكون موضوعا
مباشراً للادراك الحسى ، شأنها شأن
سائر المفاهيم التي أدخلتها الكشف
الحديثة على علم الفيزياء •

ان بيرسن ينظر الى المادة على
أنها بدورها مفهوم تصوري
أو ذهني ، يستخدم في وصف
انطباعات الحسية ، ولا يطابقه
وجود فعلى في الخارج •

أما المادة التي يشيع وصفها
بأنها علة الانطباعات الحسية فهي
في رأيه كيان ميتافيزيقي مرفوض ،
ومن الشائع أن توصف المادة بأنها
صلبة وغير قابلة للاختراق • وهاتان
بالفعل صفتان تتميز بهما مجموعة
كبيرة من الانطباعات الحسية
المسماه بالمادية ، غير أنهما لا تنتميان

يلخص كارل بيرسن رأيه في
التغير الشامل الذي طرأ على علم
الفيزياء بقوله : (على حين أنه
خلال الجزء الأكبر من القرن
التاسع عشر كان مفهوم (المادة)
هو الذي يعد أساسيا في علم
الفيزياء ، وكانت لهذه المادة
خاصية غير مألوفة تسمى بالكهرباء
فانه يبدو اليوم أن الكهرباء ينبغي
أن تعد أهم من المادة ، بمعنى أن
ما كنا نعهده مادة أساسية ينبغي أن
يتصور الآن على أنه شكل من
أشكال جواهر كهربائية عظيمة
التعقيد) •

ان بيرسن وجد في هذه
التطورات الفيزيائية الحديثة تأييدا
لرأيه القائل : ان العلم لا يهتم
الا باختراع أنموذج تصوري يصف
به مجرى انطباعات الحسية
ولا شأن له بتقديم تفسير للعالم
المدرك حسيا بالفعل • ففكرة

الحسية ، ومع ذلك يكون أساسها
أو مادتها متغيرا على الدوام •
وبعبارة أخرى فان تماثل الانطباعات
الحسية لا فى كل الأحوال تماثل
المادة الأساسية المكونة لها • ومن
العجيب أن يبرسن يحاول هنا أن
يعزل العلم التجريبي عن المذهب
المادى بعد أن تحالفا زمنا طويلا ،
لا لشيء الا لما بدا من أن هذا
التحالف لو استمر بعد ظهور
الفيزياء الحديثة فسوف يقدم دعما
علميا للنظر الى المادة على أنها
— كما يقول بيرسن — (كيان
ميتافيزيقى) وهو أمر مرفوض
عنده •

واذا كانت هذه النظرة
الميتافيزيكية لا تزعج العلماء
التجريبيين ، ولا تزعج — أو لا ينبغي
أن تزعج — الماديين الملتزمين
« بالعلم التجريبي » فهي من غير
شك تزعج أولئك الذين وجدوا فى
تحالف العلم مع المادية دعما
لنزعتهم الالحادية ، أما وقد صار
هذا التحالف خطرا على الالحاد
— بعد الفيزياء الحديثة — فان
اخلاصهم « للالحاد » — وهو

بالضرورة الى كل أفراد هذه
الفئة :

فالصلابة وعدم القابلية للاختراق
أمران نسيان ، ولا يدلان على
صفة مطلقة تنتمى الى عالم
الواقع •

أما القول بأن المادة تتميز
بالدوام والبقاء ، فهو فى رأى
بيرسن قد يكون راجعا الى
استمرار الانطباعات الحسية لا الى
استمرار شيء غير مدرك من وراء
هذه الانطباعات • وهو يضرب فى
هذا الصدد مثلا بالموجة :

فعندما نرى الموجة تتحرك فى
البحر ، تتكون لدينا عنها انطباعات
حسية متماثلة ومستمرة ، بحيث
يبدو لنا أن « نفس » الموجة هي
التي تتحرك ، وهي التي تقترب
منا ، ومع ذلك فلو ألقينا فيها قطعة
من الفلين لارتفعت وانخفضت فى
نفس الموقع عندما تمر الموجة بها ،
ولما أثقلت معها ، مما يثبت أن
الموجة ليست هي نفسها التي
تتحرك • وهكذا قد تظل الموجة
محتفظة بشكلها ، وتتكون لدينا
عنها نفس المجموعة من الانطباعات

(ان مذهبه يرتكز على المذهب
الظاهرى القائل بأن الموضوعات
الأولية المؤكدة للمعرفة هى
« الانطباعات » المباشرة فى التجربة
الحسية الخارجية ، أو فى التجربة
الاستبطانية الداخلية ، أما ما نسميه
بالأشياء أو الجواهر فما هى
الا اضافات ميتافيزيقية لا تبررها
تجاربنا ...) •

ويقول : (ولا سبيل لأصحاب
هذا المذهب - مهما بذلوا من
محاولات - الى أن يتخلصوا من
شبح الذات الوحيدة الذى يهددهم
على الدوام .. والحق أن بيرسن
- على خلاف كثير من القائلين
بهذا النوع - من المذهب الظاهرى
لم يحاول أن ينفى عن نفسه شبهة
الذاتية المطلقة) •

وهكذا وكما يقول الدكتور
فؤاد زكريا يتردى فى المثالية
الذاتية هؤلاء المفكرون ...
(الذين يتصورون فى بداية الأمر
أنهم هم القادرون على محاربة
المثالية ...) (١)

يأتى فى المقام الأول لكونه « ارادة »
محضة - يجعلهم - كما فعل
بيرسن - يفضلون « العلم » عن
« المادية » - المادية فى وضعها
الذى اضطرها العلم اليه -
فيهاجمونها لأنها فى رأى بيرسن
(تسيرفى نفس الطريق الذى تسير
فيه المذاهب الميتافيزيقية
واللاهوتية ..) مدعين أنها بذلك
تصبح (مضادة للروح العلمية
السليمة ..) (١)

وهنا نجد أنفسنا مضطرين الى
أن نقول لبيرسن وأمثاله :
انه اذاً انفصل العلم التجريبي
عن المادية •

وانفصل فى نفس الوقت عن
الروحانية ، أو عن الدين ، فماذا
يبقى له الا أن يكون هلوسة ذاتية ،
لا صلة لها بالواقع على أى وجه
يكون ؟

وهذا ما جعل الدكتور فؤاد
زكريا ، يقول فى تعليقه على
بيرسن :

ويعترف بأن هذا الالكترون
ما هو الا موجة احتمال ...

ويعترف بوجود جزيئات
كالنيوترونات ...

ويعترف بوجود الاتيترونات
التي افترض وجودها لأسباب
تساظرية رياضية بحتة .. (٢)

ويتقبل بدون تردد وجود تلك
الكيانات المتناقضة ظاهريا ...

ولكنه يرفض باصرار أن يتقبل
وجود قوة خارقة خلاقة ، بدونها
لا يمكن أن ندرك كبريات المسائل
العلمية ، لمجرد أن: القواعد التي
زودته بها خبرته محدودة ...
الا أنه في الحقيقة ليس هناك شيء
غير معقول ، أكثر من انسان
هو عقليا غير معقول (٣) .

د . يحيى هاشم حسن فرغل

وهذا بلا شك يرتكس بالعلم
وبالمادية الى نوع من اللا أدرية ..

أما عن العلم فيقول السير
شارلس شرنجتون - أعظم
فسيولوجي ظهر في القرن
العشرين :

(اننى عاجز عن فهم معنى العقل
برده الى المخ) .

ويقول : (اننى من بعض
النواحي مستبطن متصوف لأن
كل تفسير مادي للعقل يفلت منى
ويروغ) (١) .

ويقول الدكتور ليكونت
دى نوى :

(ان العقل الذى اتجه الى
الشك ... يقبل الآن بدون تردد
الانقلاب الذى حصل فى النظريات
الفيزيائية ...

فهو يعترف بوجود فراغ غير
مدرك تسمح فيه الالكترونات ...

(١) أنظر الأساس الجسماني للشخصية ص ٢١٦ ، ص ٢٣٧
للدكتور ف. ه. مترام .

(٢) ذكرنا من قبل أنه تم افتراض هذا الاتيترون لا لشيء الا لانتقاد
فرضية قانون تكافؤ الطاقة والمادة وعدم انعدامهما

(٣) مصير البشرية ص ١١٢ .

الطَّبَّ الإسلامي



الطَّبَّ النبوي

للأستاذ الدكتور علي مطاوع

على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك
الا بشيء قد كتب به الله لك ولو
اجتمعت على أن يضروك بشيء لن
يضروك الا بشيء قد كتب به الله عليك،
جفت الأقلام وطويت الصحف
وجرى القلم بما هو كائن ، تبعث
في الانسان الأمن والأمان النفسي
- هذا من الناحية النفسية • أما
من الناحية الجسدية فان العبادات
كلها وما يلزم لها من تحضير مثل
النظافة : نظافة البدن والثياب
في الصلاة وما يمارس فيها من
حركات بدنية في الركوع والسجود
والقيام وتديير الأكل والحج
والعمرة كلها تعمل في ناحية منها
على سلامة البدن ووقايته من
الأمراض •

فاذا أهمل الانسان وأصابه
المرض - فهناك وسائل الشفاء

ورد في صحيح البخاري ومسلم
حديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « شفاء أمتي في
ثلاث : شربة عسل - وشرطة
محجم - والكى •• وما أحب
أن أكتوى » •

واذا أمعنا النظر وأعملنا الفكر
في هذا الحديث نجد أن هذه
الخطوط الثلاثة فيها الشفاء لكل
ما ينتاب الانسان من أمراض •

هذا من الناحية العلاجية - أما
من الناحية الوقائية فالاسلام لم
يغفل هذه الناحية بل أولاها الكثير
من العناية والرعاية - فالصحة
النفسية اهتم بها الاسلام اهتماما
كبيرا وأوصى بكل ما يمنع القلق
النفسى فالعقائد : الايمان بالله وقدره
وأن الله وحده هو الفعال في كل
شيء وأن الجن والانس لو اجتمعت

فى شفاء أمراض الجلد وأمراض العين واستعمل للغيار على الجروح حتى السرطانية ومنها الغرغرينة التى تصيب الأقدام أو الأيدي فى مرض السكر والتى أوصى الجراحون ببتريها وكانت النتائج فوق ما كنا نتصور لأن بعض الحالات كان الالتهاب قد أصاب عظام القدم أو عظام اليد •

واستعمل العسل كغيار على التآليل المزمنة فى باطن القدم « عين السمكة » مع الأشعة فشفيت فى ثلاثة أسابيع بعد أن كانت تشفى فى ستة الى ثمانية أسابيع - وبالعلاج واحدة فقط منها يمكن علاج غيرها من التآليل مهما كان عددها • وشفاء التآليل بهذه الصورة يدل على أن بالعسل مادة مضادة للفيروسات • وبهذا يكون عسل النحل هو المادة الوحيدة للآن التى بها مضاد للفيروسات يمكن للانسان أن يتعاطاه • وهذا يفسر استعمال العسل للوقاية من مرض شلل الأطفال •

الثلاث ، ويجب على المسلمين العاملين فى الحقل الطبى بحث خطوط الشفاء الثلاثة التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه السابق وبيان الوسائل التى بها يتحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم توضيحاً لقول الله تعالى : « سربهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » • وتطبيقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى • ولقول الله عز وجل : « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » •

واذا قال الله تعالى عن عسل النحل : « فيه شفاء للناس » بدون تحديد لطريقة الاستعمال وبدون تحديد للأمراض التى يشفيها • بل أطلق ذلك • فان هذا يعنى أن فى العسل شفاء للأمراض على اطلاقها بما فى ذلك مرض السرطان •

وبالاطلاع على ماكتب عن عسل النحل فى بعض المراجع وبالبحث والتجربة وجد أنه استعمل بنجاح

وكان ابن سينا يقول اذا أردت
أن تحتفظ بشبابك فاطعم العسل •
وكان يوصي من جاوزوا الخامسة
والاربعين أن يأكلوا العسل بانتظام
وخصوصا مع عين الجمل المسحوق
لأنه غنى بالزيوت •

وجاء القرآن الكريم يقول عن
عسل النحل ان فيه شفاء للناس •
ويقول رسولنا صلى الله عليه
وسلم : شفاء أمتي في ثلاث :
أولها شربة عسل • ولفهم خصائص
العسل العلاجية يجب أولا معرفة
تتائج تحليل العسل وما به من
مواد •

ويحتوى العسل على :

١ - سكر الجليكوز ٤٠ ٪

٢ - سكر الفركتوز (الليفيلوز)

٤٠ ٪

٣ - الخمائر

دياستيز

انفرتيز

كاتاليز

بيروكسيدز

لييز

واستعمل العسل فى علاج
أمراض الجهاز التنفسى وخصوصا
الرشح والحساسية والتهاب الجيوب
الأنفية والربو وغيره من الأمراض •

واستعمل العسل فى علاج
أمراض المعدة والأمعاء وفى أوراق
البردى الخاصة بالطب وأوصى
قدماء المصريين باستعمال العسل
فى علاج الجروح وفى ادرار البول
ولراحة الأمعاء •

وفى الطب الهندى القديم كان
الدواء الذى يجلب السعادة ويحفظ
الشباب مصنوع أغلبه من العسل
وكانوا يوصون بوجبة معينة لاطالة
العمر أهم عناصرها العسل واللبن •
وكان ابقراط يأكل العسل
باستمرار ويستعمله فى طبه كعلاج
لكثير من الأمراض • وكتب
ديوسكوريدس الاغريقى : أن
العسل يستعمل بنجاح فى علاج
أمراض الامعاء والجروح المتقيحة
والبواسير •

وكان جالينوس الاغريقى يصفه
لعلاج حالات التسمم المختلفة فى
أمراض القناة الهضمية •

٤ - المواد المعدنية

الكالسيوم

الصوديوم

البوتاسيوم

المغنسيوم

الحديد

الكلور

الفسفور

الكبريت

اليود

وبعض أنواع العسل يحتوى على مواد مشعة •

وبالتحليل الطيفي وجد أنه يحتوى على :

المنجنيز - السليكون -
الالومنيوم - البورون - الكروم
- النحاس - اليثيوم - النيكل -
الرصاص - القصدير - الثيتان -
الخارصين - الآزميوم •

والاملاح المعدنية مهمة جدا للجسم • وقد عملت تجارب معملية على الحيوانات فأعطيت طعاما يحتوى على الزلاليات والشويبات والدهنيات والفيتامينات وخاليا من الاملاح المعدنية فماتت الحيوانات

بينما استمرت مثيلاتها التى أعطيت نفس الغذاء مضافا اليه الأملاح المعدنية على قيد الحياة •

ويصح أن نقف هنا وقفة تأمل • لقد خلق الله الانسان من تراب الأرض والماء • والتراب يحتوى معظم العناصر الموجودة فى الكون وبإضافة الماء يصير جسم الانسان محتويا على جميع العناصر المعروفة بنسب متفاوتة تبعا للوظيفة التى يؤديها كل عنصر فى الجسم - فالصوديوم والبوتاسيوم وائلكالسيوم والحديد والفوسفور والكبريت واليود والكربون والاكسجين والايديروجين تشكل الكميات الكبيرة من العناصر • أما باقى العناصر فهى موجودة بكميات ضئيلة • ولذلك تسمى العناصر النادرة ولكن وجودها فى الجسم ضرورى لعمل بعض الخمائر الموجودة فى الجسم •

ويحتفظ الجسم بهذه العناصر فى حدود معلومة لو زادت عنها أو نقصت عنها لأدى ذلك الى اختلال فى الجسم وظهرت العلل والأمراض

والعبرة من هذا أن تناول
الانسان لهذه النباتات يعوض
ما ينتاب الجسم من نقص فيها
فيظل سليما معافى •

ومن حكمة الله أن الانسان قد
لا يستطيع أن يأكل من كل النباتات
التي تحتوى على ما يلزمه من
العناصر النادرة التي يحتاج اليها
جسمه ، فسخر له نحل العسل
وأوحى اليها أن « كلى من كل
الثمرات واسلكى سبل ربك
ذللا • يخرج من بطونها شراب
مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » •

٥ - والعسل يحتوى على بعض
الأحماض العضوية مثل التفاحيك
والترتريك والليمونيك واللبنيك
والاوكساليك كما يحتوى على
قليل من الزلاليات والفيتامينات •

والفيتامينات الموجودة فى
العسل هى ب٢ ، ب٦ ، هـ ، ك ،
ج ، وغيرها • وقد دلت الابحاث
على أن العسل يحوى كميات كبيرة
من الريبوفلافين (ب٢) يعادل
الموجود منه فى لحم الدجاج
 وخمسة اضعاف الموجود منه فى

التي تختفى لو عادت نسبة هذه
العناصر الى مقاديرها الطبيعية التي
فطر الله الانسان عليها •

ونسبة هذه العناصر فى الجسم
فى تغير مستمر ما قامت الحياة ،
فاذا انقصت فان الجسم يعوض
النقص من الغذاء الذى يتناوله
الانسان وهو اما أن يكون من
أصل حيوانى أو نباتى • والحيوان
يتغذى على حيوان آخر أو نبات •
أى أن مصدر العناصر الموجودة
فى جسم الانسان ترجع فى النهاية
الى النباتات التي تتغذى من الأرض
والماء •

وقد وجد أن النباتات تختلف •
فيما تحتويه من عناصر كما ونوعا •
فهناك النباتات التي تحتوى على
نسبة عالية من الحديد والتي تحتوى
على نسبة عالية من الكالسيوم
والتي تحتوى على نسبة عالية من
اليود والتي تحتوى على نسبة عالية
من الكبريت وهكذا • وقد وجد
أن هناك نبات يخترن عنصر
الذهب ، والله فى خلقه شئون •

وكمية الفيتامينات الموجودة فى
كيلوجرام من العسل هى كالآتى :

فيتامين ب٢ (ريبوفلافين)

حوالى ١٥ ملليجرام

» ب٢ (انيورين)

حوالى ١١ ملليجرام

» ب٣ (حمض الباتوثينيك)

حوالى ٢ ملليجرام

» ب٥ (حمض النيكوثينيك)

حوالى ١١ ملليجرام

» ب٦ (بيريدوكسين)

حوالى ٥ ملليجرام

» ج (حمض الاسخريوط)

حوالى ٣٠ الى ٥٤

٦ - مضادات حيوية غالبا نتيجة

نشاط افرازى فى النحلة الشغالة .

وقد غسلت مزارع ميكروبية

مختلفة عمرها ٢٤ ساعة فى ١ سم ٣

محلول ملحى فسيولوجى ثم أخذت

نقطتان من المستحلب واضيفت الى

٣ سم ٣ من العسل وتم مزجها

بعناية ثم وضعت فى فرن عند

درجة ٣٧ مئوية ثم عمل مزارع

منها يوميا فكانت النتيجة كالآتى :

الجبين القليل الدسم - وفيتامين
(ب٣) حمض الباتوثينيك .

وهو عامل مهم ضد التهابات
الجلد .

وفيتامين هـ (بيوتين) وهو
يمنع انتشار الاكزيما والقوباء
والدمامل والصدفية .

وفيتامين ب٢ (حمض الفوليد)
يستعمل بنجاح فى علاج فقر الدم
(الانيميا الخبيثة) .

وفيتامين ك يستعمل فى حالات
النزيف .

وفيتامين ج يزيد مناعة الجسم
ضد العدوى ويساهم فى عمليات
التأكسد والاختزال والتكوين
العادى للدم .

ولو أن الفيتامينات الموجودة
فى العسل بكميات صغيرة ولكنها
ذات أهمية كبيرة لأنها متحدة مع
مواد أخرى من الأحماض العضوية
والكاربوهيدرات والأملاح المعدنية
•• وهى مختلطة بحبوب اللقاح .
وترشيع العسل لتخليصه من حبوب
اللقاح يفقده ما به من الفيتامينات .

يفرزها النحل الشغالة • وقد
أوضحت التجارب أن العسل كلما
خفف كان تأثيره القاتل أكبر •

٧ - يحتوى العسل على مادة
تمنع انقسام الخلايا اذ تقوم النحل
الشغالة بافراز مادة تمنع نمو
حبوب اللقاح بمنع انقسام
خلاياها •

٨ - يحتوى عسل النحل على
مادة مضادة للفيروسات • وبذلك
يكون العسل هو الدواء الوحيد
فى العالم الذى يحتوى على هذه
المادة التى يمكن للانسان أن
يتعاطاها حيث ان المادة الوحيدة
التى يعرفها العلماء المضادة
للفيروسات هى « الاتريفرون »
وهى مادة سامة للانسان لا يمكنه
تعاطيها •

ولقد قمت شخصيا بعلاج
الثآليل التى يسببها فيروس
معروف بجلسات الأشعة مع الغيار
بالعسل على واحدة فقط من الثآليل
فشفيت كل الثآليل فى أقل من
الوقت المعتاد اذا لم يستعمل العسل
بعد الأشعة •

الميكروب السبحى
(ستريتوكوكس) : ماتت
كل البكتريات بعد اليوم الثالث •

الميكروب العنقودى
(ستافيلوكوكس) : ماتت كل
البكتريات بعد اليوم الثالث •

ميكروب التيفود والباراتيڤود
وبكتيريا كولاي

وميكروب جارتنر

وميكروب شيجا

ماتت كل البكتريات بعد يومين •
وقد أثبتت التجارب أن البكتريا
تسو بعد دور الحضانة فى وسط
عالى التركيز من السكر يحتوى
على ٤٠ ٪ جليكوز ، و ٣٠ ٪
فركتوز و ٠.٠٢ ٪ حمض النخليلك •

ولا يمنع العسل نمو البكتريا
فقط ولكنه يمنع نمو الفطريات
كذلك • ويمكن حفظ قطعة من
اللحم فى العسل لمدة عام محتفظة
بكل خصائصها وطعمها • وقد
أثبتت التجارب أن قتل البكتريا
والنطريات لا يرجع الى النسبة
العالية للمواد السكرية الموجودة
بالعسل ولكن الى مضادات حيوية

وهكذا يتبين لنا قيمة العسل كغذاء وكدواء ويتبين لنا أن العسل باستعماله مفردا أو مع غيره من العناصر أو المواد يمكن أن يكون دواء شافيا لكثير من الأمراض التى تصيب الانسان •

لقد استخدمته مع فوق أكسيد الأيدروجين (يوريا بيروكسيد) كدهان لعلاج سرطان الجلد وكانت النتائج مذهلة • وطبعا ما ينطبق على الجلد ينطبق على الأماكن التى يسهل الوصول اليها مثل تجويف الفم وعنق الرحم •

ولقد قمت بالقاء محاضرة عن هذا الموضوع فى ندوة دولية لعلاج سرطان الرحم والمثانة فى مارس سنة ١٩٧٩ م • بمعهد التغذية بينت فيها أسباب التحول السرطانى للخلايا وعلى أساس هذه الفكرة استخدام العسل والاكسوجين فى العلاج • وكانت النتائج فوق ما أتصور • وفى هذه الطريقة لا نرمى الى قتل الخلايا السرطانية وانما الى اعادتها الى حالتها الطبيعية

ومن الحقائق المعروفة عن سكر الفركتوز الموجودة فى العسل أنه أدخل من سكر الجليكوز وأنه يدخل الخلايا ويتم احتراقه فيها بدون احتياج الى وجود الأنسولين، كما هو الحال فى سكر الجليكوز وهو لذلك مفيد لمرضى السكر اذ يمنع التسمم الخلونى اذا استعمله المريض بالسكر فى احتياجاته اليومية بدل السكر العادى (سكر القصب) •• كما أن الكبد يخزن من السكر الفركتوز ثلاثة أمثال ما يخزنه من سكر الجليكوز على صورة جليكوجين • ومعروف أن الكبد الذى يخزن كمية كبيرة من السكر أقدر على أداء وظائفه من الكبد الذى يخزن أقل • ومن وظائف الكبد الأساسية تخلص الجسم من السموم •

ومن هذا تتبين قيمة العسل لمرضى السكر وقيمتة فى مقاومة السموم •

٩ - هذا ولا يزال هناك ٣٧٪ من محتويات العسل لم تعرف طبيعتها بعد •

بإمدادها بما يلزمها من الأكسوجين والغذاء (الفركتوز) •

هذا بخصوص العسل وهو أحد وسائل الشفاء الثلاثة التي قال عنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم •

أما بخصوص الحجامة (أى التشريط) فلها أساس علمي معروف وهو أن الأحشاء الداخلية تشترك مع أجزاء معينة من جلد الإنسان في مكان دخول الأعصاب المغذية لها في النخاع الشوكي أو النخاع المستطيل أو قنطرة فارول أو في المخ المتوسط •

وبمقتضى هذا الاشتراك فإن أى تنبيه للجلد في منطقة ما من الجسم يؤثر على الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد •

وهي نفس النظرية التي على أساسها تستخدم الابري الصينية في علاج الأمراض وتصريف الآلام • ولقد شاهدت بنفسى تجربة على استعمال الابري الصينية في علاج المغص الكلوى وآلام البطن أثناء

نزول العادة عند بعض السيدات فكانت النتيجة زوال الآلام •

وأما بخصوص الكى فهو نوعان : كى طبى وكى جراحى •

أما الكى الطبى فهو يعمل على نفس نظرية الحجامة • ولقد شاهدت بنفسى تجربتين أحدهما فى علاج التهاب الرئوى بالكى بين الأضلاع والأخرى فى علاج الاسهال والمغص البطنى بالكى على الكعبين • وانى أشهد بأن النتائج كانت فوق ما كنت أتصور وارتاح المريض بعد الكى مباشرة وكأنه ليس به مرض •

الكى الجراحى تفنن فيه الأطباء الجراحون العرب أمثال أبو القاسم الزهراوى الذى صنف فيه أبوابا فى كتابه عن الجراحة تستحق الدراسة والتجربة •

وختاماً :

أرى لزما علينا أن نقيق من غفلتنا وان نبحث فى تراثنا وان نفيد مما لا يزال يطبق فى عالمنا من هذه الوسائل لانها أسرع فى

الشفاء وليس لها مضار أو آثار جانبية ، كما أنها أرخص فى التكلفة •

لقد صدق فينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وراءهم •

لقد آن الأوان أن نعود الى ديننا والى كتاب ربنا وقول رسولنا فنذكر قول الله تعالى :

« ما فرطنا فى الكتاب من شئء » •

ونذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا : كتاب الله وستتقوا » •

ونبحث فى قوله صلى الله عليه وسلم : « شفاء أمتى فى ثلاث :

— شربة عسل •

— وشرطة محجم •

— والكى •

••• وما أحب أن أكتوى •

أسأل الله العلى القدير أن يجعل من هذه الصيحة دافعا وحافزا الى الاخوة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها الى البحث فى الطب الاسلامى بفروعه المختلفة •

• والوقائى والعلاجى

• والنفسى والجسدى

• وأخيرا : الطب بالقرآن •

« ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا » •

وأن يقوم مجمع البحوث الاسلامية بنشر ما يرد اليه من البحوث تعميما للفائدة •

• والله المستعان •

د. على محمد مطاوع

من أعلام الدعوة الإسلامية

الشيخ صالح الجعفري داعية الجامع الأزهر الشريف

للدكتور محمد رجب البيومي

بالتى هى أحسن ، أولئك يجزون
أجرهم بغير حساب •

شهد الأزهر على مر عصوره
أعلاما من أبنائه يجوبون مشارق
الأرض ومغاربها ، رافعين راية
الاسلام وفى زماننا الأخير أنشأ
الأزهر طائفة ممتازة من رجال
الوعظ ، حملوا راية الدعوة
الاسلامية ككتابا وخطباء
ومحاضرين ، ومدرسين فى أقسام
الدعوة والوعظ ، ولا زلنا نذكر
جهود الأساتذة الكبار على محفوظ
ومحمود خليفة وعبد ربه مفتاح
ومحمد أحمد العدوى وزكى الدين
سند وعلى الجربى ، ممن سبقوا
الى رحمة الله كما نذكر اليوم الشيخ
صالح الجعفري خاتمة لهذا العهد
الحافل بالجهاد ، ولا أعنى أنه خاتمة
رجال الدعوة فلا زال لها محمد الله

انتقل الى رحمة الله داعية الجامع
الأزهر الشريف المغفور له الشيخ
صالح الجعفري ، فترك فى مجال
الدعوة الاسلامية فراغا كبيرا ،
وكنت ودعته بكلمة موجزة فى
جريدة الأخبار اليومية لم تشف
ما فى نفسى ، لأن خواطرى عنه
وعن دعاة الأزهر فى بلاد الاسلام
تزدحم وتجيش ، وتتطلب تنفيذا
فى مجال يتسع بعض الشيء للإشادة
بقوم دعوا الى الله على بصيرة ،
ورحلوا الى جوار ربهم دون أن يقوم
مؤرخ منصف بتسجيل آثارهم ،
على حين نرى مؤلفات متعددة عن
مطرب أو مطربة أفسدا الجيل
بأكثر ما خلفاه من مبتذلات ! ولكن
أجر الله أجل وأوفى فى الدار الآخرة
لمن وفى بعهدده ، ودعا الى سبيله
بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادل

أعلامها المخلصون ، وما منهم الا له
مقام معلوم •

وفد الشيخ صالح الجعفرى الى
الأزهر منذ خمسين عاما ، وقد
حكى عن نفسه فى مقدمة كتابه
(السيرة النبوية المحمدية) أنه
تأثر بالأستاذة الأعلام محمد
حبيب الله الشنقيطى ، ومحمد
بخيت المطيعى ، ومحمد ابراهيم
السمالوطنى ويوسف الدجوى
والغنيمى من كبار علماء الأزهر ،
وأبناء الجيل الحاضر لا يعرفون
أن هؤلاء الأعلام الكبار ، وفيهم
من أخذ مكانه عن جدارة فى جماعة
كبار العلماء - كانوا يلزمون
أنفسهم بدروس يومية عند جماعة
وأسموعية عند جماعة آخرين
بمساجد القاهرة الكبرى حسبة
لوجه الله ، بعيدا عن مجالهم
الوظيفى فى الفتوى والقضاء
والتدريس المنتظم بالقسم العالى
بالجامع الأزهر ، وذلك تقليد
كريم يجب أن يعاد ، فتعمر مساجد
القاهرة بكبار العلماء ، ليعطوا
العلم خالصا لمن يريد ! كان الشيخ
محمد حبيب الله الشنقيطى يقرأ

صحيح مسلم بشروحه فى الجامع
الأزهر بالقاهرة وفى مسجد
الخازندار بشبرا ، وكان الشيخ
محمد بخيت المطيعى الحنفى مفتى
الديار المصرية يشرح حكم ابن عطاء
الله السكندرى بعد صلاة العصر
بمسجد الامام الحسين فى كل
رمضان وفى أيام الجمع فى غير
رمضان ، وكان الشيخ محمد
ابراهيم السمالوطنى يقرأ صحيح
البخارى عصرا فى مسجد الحسين ،
وسحرا فى مسجد السيدة زينب ،
أما الشيخ الغنيمى الذى ذكره
الشيخ صالح فلا أدري من هو
ولعل أحد عارفيه يكتب عنه ،
وما أظنه المرحوم الأستاذ محمد
الغنيمى التفتازانى لأنه كان صغير
السن من ناحية ، ولم يكن يدرس
فى حلقة علمية جامعة من ناحية
ثانية ، وأما الشيخ يوسف الدجوى
فكان يقرأ كتاب احياء علوم الدين
للامام الغزالى بمسجدى الأزهر
والحسين ، وقد وفد الشاب صالح
الجعفرى الى القاهرة فوجد هذه
الحلقات العامة بعلمائها المخلصين
فأخذ يترصدها فى كل وقت ،

حين سيطرت عليهم غرائز السوء فقادتهم الى ضروب من الأناثية والطمع والكيد والنهم ، مع الانغماس في ملذات تتجدد وتكرر دون سأم ، ويظل صاحبها أسيرا لحاجاتها القاهرة ، وفيها ما ينهك الجسم ، ويشرد الأمن ، ويقلق البال ! نشأ الشيخ هذه النشأة التي هدته الى قراءة كتب الطبقات لأعلام النابيين من رجال الفضل في الاسلام ، ومع أنه كان مالكي المذهب ، قد عشق الامام أحمد بن حنبل عشقا بلغ به مبلغ الكلف ، ورأى في زهده وترفعه عن الرغبات أكبر مثل يحتذيه ، وصدع بالحق كما صدع ، فكم من مسائل شائكة تتعلق بالسياسة المترتبة سئل عنها الشيخ صالح في حلقات الدرس ، حين عُدَّب المجاهدون في سبيل الله وتقاذفتهم المنافى السحيقة لا شيء الا أن يقولوا ربنا الله ! كم سئل الشيخ عن هؤلاء المجاهدين وفيهم تلاميذه وأصدقائه فصدع بكلمة الحق ، وخلع عمامته وتوجه الى السماء رافعا كفيه أن ينصر حماة دينه ،

ويعد نفسه ليكون مدرس حلقة وداعية جماعة ، وقد التحق بالدروس المنتظمة في الجامع الأزهر لتكون بابه الواسع الى الهداية والارشاد ، وثابر وجالد حتى نال شهادة العالمية الأهلية ، وأخذ شهادة مماثلة من كلية الشريعة الاسلامية ، وهو لا يفكر في منصب ، حتى ساقه الله عفوا دون سعى ، وكأن الله قد حقق له رغبته حين هيا له أن يكون مدرسا بالجامع الأزهر للامة فأصبح كما يتغنى داعية هاتفا بشريعة الاسلام ، وشارحا مجيدا لأخلاق السلف وقدوة ممتازة في السلوك الاسلامي النبيل •

نشأ الشيخ في أسرة متصوفة ذات نسب شريف ، فشب كما يشب أبناء التصوف الحقيقي ممن يرون فيه جهادا داخليا للنفس حتى تطهر من شوائب الشهوات ، وحتى تستعلى على غرائزها الهابطة ، ناشدة مثلا رفيعة ذات ملذات وجدانية تقوم مقام الرغبات الدنيوية الشائعة ، كما يرون فيه جهادا خارجيا لانقاذ من تورطوا في الاستجابة الى الرغبات الوضعية

وقد انتقل بالدروس ذات عشية لهذه المناسبة من موضوعه الأصلي - وكان في الزكاة - الى تفسير قول الله عزوجل (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب) حيث أفاض الله على لسانه ساعتئذ من روائع المعاني ونفائس الحكم ما أعتقد أنه كان فوق مستواه ، وأن مددا روحيا قد تدفق على لسانه مرتفعا من زواجر قلبه المتلاطمة ، وكم للشيخ في ساحات درسه من وثبات وجدانية لا ندرى من أين جاءت ! فقد قرأنا ما يقرأ الناس من كتب التفسير ، وصحائف الحديث ، ولكننا لم نر هذا الشرح المتدفق النابض لأحد من سابقه في هذه الآية الكبرى وقد رزق الشيخ حلاوة في الصوت تجعل سامعه يتخيل أنه أمام موسيقى تصدح لا أمام انسان يتكلم ، والصوت الندى الصيح اذا استلهم القلب

العاطفى المتقد جاء بيدع من فنون البيان يبحث عن تأثيرها أساتذة فن الالتقاء فلا يهتدون الى أصولها الحقيقية ذات الولوج الناشب في مطاوى الأفئدة ولفائف الأحشاء والكبود .

والحديث عن أثر هذه النشأة في حياته الزاهدة يعرفه كل من اتصل به ، وقد عبر عنه تلميذه الأستاذ أحمد الأسوانى حين قال عنه في جريدة الأهرام يوم ٢٧/٤/١٩٧٩ .

« عاش الشيخ حياته كلها فى غرفة خشبية ضيقة برواق المغاربة بالأزهر الشريف اذ قضى به خمسين عاما من عمره الذى لم يكمل السبعين ، فكان يحرص رغم مكاتته العلمية على مشاركة خدم الجامع الشريف فى أعمال النظافة ويحيا حياة البساطة والشفط فلا يزيد طعامه المعتاد على قطعة من الجبن وكسرة من الخبز » هذا ما قاله الأستاذ الأسوانى وأزيد فأقول : كان للشيخ أتباع من كبار الموسرين يعرضون عليه الاقامة فى الشقق الفاخرة ، ويرون فى تنوع

مجرى حياته وسيلة الى استبقاء صحته ، ولكنه كان يتخذ من هذا العرض الودود سببا الى موعظة حسنة في الدرس اذ يشرح حياة الرسول وقد راودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم ، ثم ينتقل الى سير الصحابة الأعلام فيفيض في زهد عمر وعلى ويقرأ في صوت خاشع وفي تمثيل مؤثر حتى نابض قول الامام على كرم الله وجهه : « يا دنيا غُرى غبرى ! ألى تعرضت ؟ أم الى تشوقت ؟ هيهات هيهات ! قد باينتك ثلاثا ، لا رجعة فيها ، فعمرُك قصير ، وأثرُك حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق » !

وكان أتباعه من عشرات المسلمين في شتى ممالك الاسلام يرسلون اليه الهدايا الصوفية الثمينة في كل موسم ، فكان يدفع بها الى أحد معارفه من كبار التجار بالقاهرة ، ويطلب منه أن يشتريها بثمنها الحقيقي وأن يستبدل به أقمشة متواضعة متينة من الكستور أو الدبلان ويعلمه عن عدد الأمتار ،

فاذا تم ذلك أخذ الشيخ يستعرض المحتاجين من رواد درسه ، وعشاق موعظته ، ليعطى كلا منهم كوبونا ممهورا باسمه ، وبه مبلغ من الأمتار يحدده الشيخ وفق ما يتلقاه من اجابة مريده الفقير عن عدد أسرته ، وصفتهم من الأنوثة والذكورة ، ثم يبعث به الى صديقه التاجر ليأخذ ما يحتاج من الرصيد المدخر ، وقد جاءه مال وفير فدفعه الى أحد مريديه من المقاولين ليقوم بتعمير بعض المساجد المتهدمة في هذا الحى الاسلامى من القاهرة المعز ، ووجه الشيخ يفيض بالنور ، ويتلأل بالبشر حين يجيئه صديقه المقاول فيخبره أن البناء قد تم على أحسن نظام ، فيسرع مع أتباعه الى مشاهدة المسجد فرحا مستبشرا ، وكأنه يستعرض قصرا ملكيا أهدي اليه ، ثم ينهض الى أداء تحية المسجد ، وخلفه صفوف من مريديه ، فاذا تمت الصلاة بدأت الموعظة ، واذا انتهت الموعظة بدأ الذكر واذا انتهى الذكر بدأ الشيخ يقرأ السيرة النبوية بصوته الطروب ، فاذا قلت لك ان المغرب

يتصل بالعشاء وان العشاء يشارف
السحر ، والناس مع الشيخ فى
تواجد حنان ، وفى طرب مباد ، وفى
أنس لا انقطاع لبهجته ، فاعلم أن
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •

نعم كان الناس مع الشيخ فى
تواجد وانجذاب فقد أوسع لهم من
نفسه ما لم يجدوه لدى سواه !
يجيئه المصاب فى ولده باكيا متفجعا
ويظن أن السموات قد انطبقت على
الأرض لفقد حبيبه ، فيبتسم
الشيخ فى هدوء ، ويقول له : أبشر
يا بنى فان الله قد اختارك لابتلائه
والكرام مرزءون ! ان رسول الله
وهو أحب خلق الله اليه جميعا قد
ابتلى بفقد أولاده فى حياته ما عدا
فاطمة ! وما كان الله ليلتيه بذلك
الا وهو يدخر له أعظم المثوبة فى
جنات الرضوان • ويجيئه المحزون
لمعصية ارتكبها فيسر اليه بخطئه ،
فيقول له الشيخ قم واغتسل وقص
شعرك وأظافرك وعد وسأخبرك
فاذا أتم المذنب ما أشار به عليه
خف الى الشيخ فتهلل للقاءه ،
وقال له أبشر هذه توبة لن تكون
مقبولة لدى الله اذا عدت الى فعلتك

السابقة ، ها أنت ذا قد نزلت كل
أثر فى جسمك للمعصية حين تطهرت
وحلقت ونظفت ، لقد ولدت من
جديد ، وسيعفو الله عما سلف ،
واياك ثم اياك ، ثم يقرأ قول الله :
(والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا
أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله
ولم يصروا على ما فعلوا وهم
يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر
العاملين) فيستمع المذنب مستبشرا
ويخرج عازما على الطاعة نادما على
الزلة ، وخيال الشيخ الكبير فى
خاطره يراوحه ويغاديه ، فهو
يعتقد أن الشيخ موضع سره ،
وأنة سنده فى النائبات ، وحين
كنا نشيع جنازته بالأزهر وقد
ماجت الحشود المتراسة خلف
نعشه ، رأينا عشرات الباكين من
المواطنين البسطاء ، الذين قد
وسعتهم نفس الشيخ فأغدق عليهم
من مدده النفسى ما كان نعم الزاد
لهم فى رحلة الحياة ، وفيهم من
ندَّ عنه صوابه فأخذ يقول : كنت

سارقا وتبت على يد الشيخ صالح ،
ومن يقول : كنت سكيما وتبت على
يد الشيخ صالح ، ومن يقول لقد
تعرضت أسرتي للتشريد لولا عزيمة
الشيخ صالح ! وقد انتهت الجنازة ،
وخواطرى توحى الى أن من
الضرورى الحتم للناس أن يكون
لهم من العلماء الصادقين بلاسم
شفاء ، ومراوح نسيم تقيهم لفحات
الحياة عند الزل ، وقد كان الشيخ
صالح شجرة وارفة ذات ظل ،
تسقط الثمر وتحمى من القىظ
وتؤذن بالاسعاد ! فهل من بديل ؟

كان الشيخ صالح قريب الدمعة
يخيل اليك حين تسمع وعظه أن
غديرا من الدموع يحتبس وراء
حنجرته ، بل انك حين تنظر الى
عينه تجد صفاء نديا كأن خيالا
يثرى للماء يكاد يتقاطر من المحاجر،
وهذه النظرات العذبة الصافية تلهم
رائيها خشوعا لا يكاد ينجو من
تأثيره دون جهد جهيد ، ومن
مواقفه التى بلغ التأثير فيها روعته
الخالية ، موقفه فى رثاء أستاذه
الكبير الشيخ يوسف الدجوى
رضى الله عنه ، فقد كنا طلابا فى

كلية اللغة العربية ، ونادى الناعى
منذرا بوفاة الشيخ الكبير ، ومحددا
ميعاد الجنازة ، فسارعت الى
توديعه ، وكان المشهد مؤثرا
تتقدمه جماعه كبار العلماء برئاسة
أستاذهم الأكبر مصطفى
عبد الرازق ، وحين بلغ الموكب
نهايته عند القبر ، انتفض الشيخ
الصالح خطيبا يرثى أستاذه فبدأ
مرثيته مستشهدا بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم (ان الله
لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من
الناس ، ولكن يقبض العلم بقبضه
العلماء ، حتى اذا لم يبق عالما اتخذ
الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا
فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا) ،
ثم أفاض فى ايضاح منزلة العالم
الفقيد ، وأشاد ببعض مواقفه
الجريئة أمام المبتدعة والملاحدة ،
وكان جلال الموقف ، ورهبة
المناسبة ، واحتشاد الجموع مما
جعل نفس الراى ممتدا يتسع
ويتدفق ويجيش ، وكان لصوته
الحزين هزة تحرك النفوس وتعصف
بالألباب ، وما انتهى الخطيب من
مرثاته حتى سأل عنه الأستاذ الأكبر

معجبا ثم بادر بتعيينه مدرسا في الجامع الأزهر ، فأضفى عليه تعيينه الرسمي رسوخا أخرس ألسنة من كانوا يضيقون بسلفية الشيخ لحاجة في نفوسهم ، ويرونه يتجاوز الوضع المناسب لمثله حين يتصدر للوعظ يوميا دون ملال ، وهم قلة قليلة عرفت خطأها المتحامل فاستكانت الى الحق بعد جموح •

حفظ الشيخ كثيرا من أشعار المتصوفة فجري لسانه بقصائد عبد الرحيم البرعي وعبد الغنى النابلسي وعمر بن الفارض ويوسف النبهاني ، وكان للامام البوصيري لديه منزلة أى منزلة حيث عارض كثيرا من قصائده النبوية ، ولا أكتف حقيقة واضحة هي أن الشيخ قد نظم الشعر محاكيا فحسب ، فمدح الامامين الحسن والحسين بقصيدة حاكى بها قصيدة البوصيري الشهيرة ، وقد تابعه متابعة صارخة حتى ليكاد ينقل كثيرا من ألفاظ البيت الأصلي عند المحاكاة ، وكادت مدحته أن ترد الى أصلها التي صدرت عنه في كل فقرة ، والشيخ لا يعاب في ذلك لأنه لم

يدع الشاعرية المبتكرة ، ولكن حبه دفعه الى النظم على طريقة شاعر أعجب به ، وأراد أن يسير في ضوئه ، وهو بعد يكتب للعامة شعره ، ولا يهمه غير أن تجيش نفوسهم بحب الرسول وآل بيته سواء أتى ذلك الحب عن طريق شعره أو عن طريق سواه ، وتقدم للقارئ مثالا من بردة الشيخ الحاكية :

ظلمت نفسى اذا لم تأت زائرة
ضريح اهل الهدى والنور والهمم
وشد جدهمو احشاءه وطوى
على الطوى مهجة مملوءة الحكم
وراودتهم ملوك الأرض عن ذهب
كيما يكونوا لهم طوعا لأمرهم
فالصبر في حسن والحلم شيمته
يكفيك ماقد جرى من صلح جيشهم
فاق الخليقة في أيامه ففدا
كأنه حيدر في الناس كلهم
دع أنه مرسل وانسب له شرفا
وقل له يا بن خير الخلق والامم
فانه بحر علم طاب مورده
كم جاد للناس من علم ومن كرم
وأذكر أنى منذ أكثر من عشرين
عاما حاولت أن أقترح على الشيخ
قراءة دواوين الشعراء الكبار من
أمثال أبى تمام والشريف الرضى

قوله ، وهو نقد لا يصدر مثله
الا من مثله •

وقد كتب قصة للمولد النبوى
يحاكى بها الذائع من الموالد النبوية
على نحو ما قال البرعى والبرزنجى
والمناوى فلاقت رواجاً لدى
مريديه ، وان كانت لا ترتفع فى
نظرى الى ما أشهد من مثال ،
وبخاصة وقد كتبها الشيخ بعد أن
أصدر الأستاذ عبد الله عفيفى

(المولد النبوى المختار) فى عبارة
أدبية مختارة ، وفى سلاسة بيانية
ترتفع بهذا اللون الأدبى الى
مستوى الأصلاء من البلغاء ! وكل
مفسر لما خلق له ، فالشيخ قد خلق
واعظاً أداته اللسان ، وموقفه
المنبر ، والخطباء فى كل زمان
يسمعون ولا يقرءون ، وكم سمعنا
من خطبة رنانة هزت الأعطاف حين
كان للخطابة فى مصر عهد مزدهر فى
الأربعينيات وما فوقها ، ثم قرأناها
مكتوبة فى الصحف السيارة فلم
نجد بها من البريق الخاطف
ما أحسنا به لدى السماع ،
ولا يعيب الداعية ألا يكون كاتباً

والمتنبى لأرتفع بمعانيه عن المحاكاة
المحتذية حيث تمده دواوين الفحول
بروح جديدة ، ولكنى وجدت منه
اعراضاً نافراً اذ يعتقد أن شعر
المتصوفة وحده هو الشعر ، وقد
قلت له ذات مرة : ان شعر أبى تمام
يخفل بكثير مما يتغنى من روائع
الاستشهاد المنبرى فى مواقف
الوعظ ، فسألنى مستظلعاً ، مثل :
ماذا ، قلت : مثل قوله فى الحنين :
وقوله :

وانجدتمو من بعد اتهام داركم
فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجد

ومما هيج البرحاء أنى
شكوت فما شكوت الى رحيم

فصاح : أعد البيت الأول فأعدته
فأخذ يردده بصوته المغرد ويبكى ،
ويقول هذا نفس عال ، هذا نفس
عال : ألدیه كثير من مثل هذا ؟
ثم سمعته فى اليوم نفسه يردد البيت
فى عظة العشاء ، والغريب أنه رفض
البيت الثانى بحسه الدينى ، وقال
ان الرحيم جل جلاله حى موجود ،
والشكوى له وحده واجبة
ومنه وضة فكيف يزل الشاعر فى

من خلفه عيون ، وتدافعت الجموع
 مسرعة لوداعه ، وهى جموع
 متلاطمة لم يدفعها سائق ، ولم
 يغلظ عليها مناشد ، ولم تهياً لها
 أجور معلومة كى ترائى الناس
 بالتشيع فى الموقف الأخير ، وهو
 موقف الحق الذى لا باطل فيه ،
 وانا الى ربنا لمنقلبون •

د • محمد رجب البيومى

أو شاعرا ، وحسبه أن يجيد فى
 ميدانه المختار •

آثر الشيخ الخلوة فى أخريات
 أيامه فكان لا يقابل الناس الا عند
 الصلوات وفى مجالس الوعظ ،
 وقد كرمه الله بمواصلة الحج أعواما
 متتالية حيث كانت الرحلة الحجازية
 تذهب اسقامه وتجدد نشاطه ،
 ثم جاءت الرحلة الخاتمة الى رحاب
 الله، فالتاعت وراءه قلوب ، ودمعت

نعمة البلاء

يقول عمر - رضى الله عنه - : ما من بلاء يصيبنى الا وارى
 لله على فيه أربع نعم :

- النعمة الأولى : أن البلاء وقع فى دنيائى ولم يقع فى دينى .
- النعمة الثانية ان البلاء لم يقع اكبر مما وقع .
- النعمة الثالثة : ان الله تعالى صبرنى عليه فاحتملته .
- النعمة الرابعة : ان الله تعالى ادخر لى ثواب الصبر عليه .

الحج أشهر معلومات

فضيلة الشيخ أحمد على منصور

رحمة بهم ، وعظما عليهم ، حتى
يتماسك بناء المؤمنين ، ويصيروا
فى توادهم ، وتراحيمهم وتعاطفهم ،
كالجسد الواحد اذا اشتكى منه
عضو ، تداعى له سائر الأعضاء
بالحمى والسهر •

ورابعها : صوم شهر رمضان ،
الذى تفتح لقدمه الجنان ، وتغلق
النيران ، وتسلسل الشياطين ،
وتضاعف فيه الحسنات للصائمين ،
القائمين المخلصين - وخامسها :

حج بيت الله الحرام ، لمن استطاع
اليه سبيلا ، لأداء أعمال معينة ،
فى زمان ومكان معينين ، على
وجه معين ، ابتغاء مرضاة الله
تعالى ، وطلباً لثوابه عز وجل •

ويؤدى الحج فى أشهر معلومات
معروفة عند الناس ، لا يشككن
عليهم ، وقد أشار الله جلت حكمته

ان الدين الاسلامى العظيم ،
الذى جاءنا به سيد الأولين
والآخرين ، سيدنا ومولانا محمد ،
صلوات الله وسلامه عليه ، أعظم
الأديان السماوية ، وأشدّها ملاءمة
للطبائع البشرية ، وانه ليدعو الى
الحضارة والمدنية ، ويهدف الى
اسعاد الانسانية ، ولقد قام على
خمسة أركان أساسية ، بمثابة
الأساس المتين ، للبناء القوى ،
والصرح الأشم العتيد •

أولها : شهادة أن لا اله الا الله ،
وأن محمد رسول الله - وثانيها :
اقام الصلاة ، والتشرف بالوقوف
بين يدى أحكم الحاكمين ، خمس
مرات فى اليوم واللييلة ، ينادى
المصلى فيها ربه ، ويرجو رحمته ،
ويخشى عذابه - وثالثها : اعطاء
الزكاة ، واخراجها لمستحقيها ،

الحج : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة بكمالهما ، ورجح ذلك ابن حزم ، رحمه الله ، لورود الأشهر مجموعة في الآية الشريفة ، ولا يطلق على شهرين وبعض آخر أشهر ، ولأن رمى الجمار ، وهو من أعمال الحج ، يعمل بعد اليوم العاشر من ذي الحجة ، وكذلك طواف الافاضة وهو من أركان الحج ، يصح أدائه في ذي الحجة كله بلا خلاف بينهم ، فصح أن أشهر الحج ثلاثة كوامل •

وتظهر ثمرة الخلاف فيما يفعل من أعمال الحج ، بعد العيد الأكبر ويوم النحر ، فمن رأى أن ذا الحجة بتمامه من أشهر الحج ، لا يلزم فاعله بدم التأخير ، ومن رأى أن العشر الأولى من ذي الحجة فقط هي تمام أشهره المعلومات ، ألزمه بدم التأخير •

وفي هذه الآية العزيزة : يأمر الله جل جلاله ، المحرمين بالحج في هذه الأشهر ، بالابتعاد عن الرفث وهو الجماع ، أو ذكره عند النساء ، أو الكلام الفاحش ، كما أمره

اليها ، في الآية السابعة والتسعين بعد المائة ، من سورة البقرة الشريفة ، بقوله عز علاه : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » •

وقد اتفق العلماء على أن شوال وذا القعدة ، من أشهر الحج المعينات ، واختلفوا في ذي الحجة ، هل هو بتمامه من أشهر الحج ؟ أو عشر منه ؟ فذهب ابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وأبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، الى رأى الثانى ، وعلى هذا فاشهر الحج عندهم شوال ، وذو القعدة ، والعشر الأولى من ذي الحجة ، وجمعت الأشهر في الآية الكريمة ، لوجود بعض الشهر الثالث ، فقام في اللفظ مقام الكل ، أو لأن اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد ، وذهب مالك الى رأى الأول ، وأن أشهر

« وما تفعلوا من خير يعلمه الله »
فهو سبحانه عالم به ، وسيجازيكم
عليه ، لأنه عز علاه لا يخفى عليه
شئ فى الأرض ولا فى السماء •

وكان أهل اليمن لا يتزودون
للحج ، ويقولون : نحن متوكلون
على الله ، ويعيشون مدته كلاً
وعالة على الناس ، فأنزله تعالى
فيهم بختام هذه الآية الكريمة :
« وتزودوا فان خير الزاد التقوى »
أى خذوا معكم ما يكفيكم من
الزاد ، فان أحسن ما تتقون به
الاستطعام ، وتبتعدون به عن
الأبرام ، والتثقل على الناس ، أو
تتزودوا للميعاد والحساب ، باتقاء
المعاصي والسيئات والمحظورات ،
فان خير الزاد ، اتقاء هذه المهلكات ،
ثم أمر مولانا أرباب العقول
السليمة بتقواه ، فقال جل علاه :
« واتقون يا أولى الألباب » أى
خافوا عقابى ، يا ذوى العقول
المستنيرة ، فان من لم يخف عقابى
فكأنه لا لب عنده ، ولا عقل لديه ،
وأولئك كالأنعام بل هم أضل
سبيلاً •

بالابتعاد عن الفسوق ، وهو
المعاصى ، أو السباب ، لقول
الرسول صلى الله عليه وسلم :
« سباب المؤمن فسوق » أو التناذب
بالألقاب ، لقوله تعالى : « بس
الاسم الفسوق بعد الايمان »
ودعاهم سبحانه وتعالى الى ترك
الجدال فى الحج ، وهو المراء مع
الرفقاء والخدم والمكارين وغيرهم •
وانما أمر مولانا باجتنب
الرفث والفسوق والجدال فى
الحج ، وهى واجبة الاجتناب فى
كل حال ، لأنها مع الحج أشنع ،
كلبس الحرير فى الصلاة ، والتغنى
فى قراءة التنزيل الحكيم ، والمراد
بنفى هذه الأمور فى الآية الكريمة
وجوب اتقائها ، وعدم حصولها ،
وبيان أنها حقيقة وجديرة بأن
لا تكون •

ثم حث تبارك وتعالى ، على
الخير ، عقب النهى عن الشر ،
وأن يتسعملوا الحسن من الكلام ،
مكان القبيح منه ، والبر والتقوى
موضع الفسوق ، والوفاق
والأخلاق الجميلة ، بدلا من
الجدال ، فقال جل جلاله :

تأمين ، يشرائطهما وفرائضهما ،
لوجهه عز علاه بلا توان ولا
نقصان ، بأحرام المحرم بهما من دويرة
أهله ، أو بأن يفرد لكل واحد
منهما سفرا ، وبأن ينفق فيهما
حلالا ، وبأن لا يتجر معهما ، فإذا
منعتم من المضى الى اتمام المناسك
وأنتم محرمون بالحج أو العمرة ،
بمرض أو خوف ، أو عجز وأردتم
التحلل ، فيلزمكم ما تيسر من
الهدى ، من بيعر أو بقرة أو
شاة •

ولا تحلوا بحلق الرأس ، حتى
تعلموا أن الهدى الذى بعثموه الى
الحرم ، بلغ مكانه الذى يجب نحره
فيه وهو الحرم ، فمن كان منكم
به مرض يحوجه الى الحلق ، أو
به أذى من رأسه ، وهو حشرات
الشعر أو الجراحة ، فعليه فدية
من صيام ثلاثة أيام ، أو صدقة على
سنة مساكين ، لكل واحد منهم
نصف صاع من بر ، أو نسك بذبح
شاة ، فإذا لم تحصروا وكنتم فى
حال أمن وسعة ، فمن تمتع بالعمرة
الى الحج ، واتقوا بالتقرب بها الى

والصحيح عند جمهور العلماء ،
من السلف والخلف ، أن الحج
فرض على المستطيعين ، فى السنة
السادسة من هجرة النبى صلى الله
عليه وسلم ، من مكة المكرمة ، الى
المدينة المنورة ، لأنه نزلت فى
هذه السنة الآية السادسة
والتسعون بعد المائة ، من سورة
البقرة ، وفيها يقول الحق جل
علاه :

« وأتموا الحج والعمرة لله ،
فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ،
ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ
الهدى محله ، فمن كان منكم
مريضا ، أو به أذى من رأسه ،
ففدية من صيام ، أو صدقة ، أو
نسك ، فإذا أمتتم فممن تمتع
بالعمرة الى الحج فما استيسر من
الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة
أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتن ،
تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن
أهله حاضرى المسجد الحرام ،
واتقوا الله واعلموا أن الله شديد
العقاب » •

فقد أمر الله تعالى عباده
المستطيعين ، بأداء الحج والعمرة

منه وهو الذى لا يخالطه اثم ، ليس له جزاء الا الجنة • وفى السنة النبوية الشريفة :

ان جهاد الكبير ، والضعيف ، والمرأة ، الحج • وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، عن أم المؤمنين عائشة ، رضى الله تعالى عنها أنها قالت ، قلت يا رسول الله : نرى الجهاد أفضل الأعمال ، أفلا نجاهد ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لكن أفضل الجهاد ، حج مبرور » وروى عنها : رضوان الله عليها ، أنها قالت : قلت يا رسول الله ، ألا نغزو ونجاهد معكم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « لكن أحسن الجهاد وأجمله ، الحج المبرور » قالت عائشة رضى الله عنها وعن والديها ، فلا أدع الحج بعد اذ سمعت هذا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم •

والحجاج والمعتزمون وفود الله تعالى ، ان دعوه سبحانه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم ، والعمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، ومن خرج من بيته ليحج أو يعتمر ، فقد

الله تعالى ، قبل اتفاعه بالتقرب الى الحج ، أو تمتع بعد الفراغ من أعمال العمرة ، وانتفع باستباحة ما كان محرما عليه ، الى أن يحرم بالحج ، فما تيسر من الهدى للمتعة ، وهو نسك يذبح يوم النحر ، ويؤكل منه •

فمن لم يجد الهدى ، فعليه صيام ثلاثة أيام فى أشهر الحج ، ما بين الاحرامين ، احرام العمرة واحرام الحج ، وسبعة اذا رجع لأهله ، بعد فراغه من أعمال الحج ، تلك عشرة كاملة ، فى وقوعها بدلا عن الهدى ، أو فى الأجر والثواب ، وهذا بالنسبة لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ، وهم أهل المواقيت المكانية ، فمن دونها الى مكة ، لأنه لا تمتع ولا قران لهم ، واتقوا الله فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ، فى الحج وغيره ، واعلموا أنه تبارك وتعالى ، شديد العقاب لمن لم يتقّه •

والحج أفضل الأعمال ، بعد الايمان بالله ورسوله ، والجهاد لاعلاء كلمة العلى القدير ، والمبرور

من كان قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » ويرى الامام الشافعى ، والثورى ، والأوزاعى ، ومحمد بن الحسن من أصحاب أبى حنيفة ، أن وجوب الحج على التراخى ، فيؤدى عندهم فى أى وقت من العمر ، ولا يَأْتَم من وجب عليه بتأخيرهِ ، متى أداه قبل الوفاة ، لأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، آخر الحج الى السنة العاشرة من هجرته ، صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، مع أن فرض الحج كان فى السنة السادسة من الهجرة النبوية الغراء ، فلو كان الحج واجبا على الفور ، لما أخره صلى الله عليه وسلم ، من السنة السادسة ، الى السنة العاشرة .

ويرى أبو حنيفة ، ومالك ، وأحمد ، وأبو يوسف ، وبعض أصحاب الامام الشافعى ، أن وجوب الحج على الفور ، فإذا أخره من وجب عليه أثم بتأخيرهِ ، واستدلوا

ضمن العلى العظيم له ، اذا توفاه أن يدخله الجنة ، واذا رده لأهله أن يرده تبارك وتعالى بأجر وغنيمة . والنفقة فى الحج والعمرة كالنفقة فى سبيل الله تعالى : الدرهم بسبعمائة ضعف .

ولا يجب الحج فى العمر الا مرة واحدة ، فان نذرهُ البالغ العاقل المستطيع على نفسه ، وجب عليه الوفاء بنذرهِ ، وما زاد على ذلك فهو سنة وتطوع . فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة عبد الرحمن بن صخر ، رضى الله تعالى عنه ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم ، فقال :

« أيها الناس : ان الله تعالى قد كتب عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت صلى الله عليه وسلم ولم يجبه ، حتى قالها ثلاثا ، ثم قال صلوات الله وسلامه عليه : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال عليه الصلاة والسلام : « ذرونى ما تركتكم ، فانما أهلك

وكان له مال ، أناب غيره ليحج عنه ، وإن وجد ما يشتري به الزاد والراحلة وتوفرت لديه النفقة ، ولكنه كان محتاجا لذلك ، لدين عليه ، لم يلزمه الحج حالا كان الدين أو مؤجلا ، لأن الدين الحال على الفور ، والحج على التراخي ، فقدم سداد الدين عليه ، والدين المؤجل يحل عليه ، فإذا صرف ما معه في الحج ، لم يجد ما يقضى به الدين عند حلوله .

وإن احتاج لذلك ، لمسكن لا بد منه ، أو خادم يحتاج اليه ، لم يلزمه . وإن احتاج اليه لنكاح ، وهو ممن يخشى الوقوع في الزنى ، قدم النكاح ، لأن الحاجة اليه على الفور ، وإن احتاج الى ذلك ، فى شراء بضاعة يتجر فيها ، ويحصل منها على قوته ، وقوت من تلزمه نفقته ، لا يلزمه الحج . ولو أعطاه رجل راحلة من غير ثمن لم يلزمه قبولها ، إن كان المعطى أجنبيا ، لما يتبع ذلك من المنة ، وفى تحملها مشقة ، فإن أعطاه ابنه ما يتمكن به من الحج لزمه ، لأنه أمكنه أداء

على ذلك بما رواه أحمد ، والبيهقى وابن ماجة ، عن عبدالله بن عباس ، رضى الله تعالى عنهما ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « من أراد الحج فليعجل ، فإنه قد يمرض المريض ، وتفضل الراحلة ، وتكون الحاجة »

وفى رواية عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تعجلوا الحج - يعنى المفروض - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له وحمل الأولون ذلك على الندب ، وأنه يستحب تعجيله ، والمبادرة به ، متى استطاع المكلف أداءه .

ويشترط لوجوب الحج : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والاستطاعة ، فلا يفرض على الكافر والصبي غير البالغ ، والمجنون غير العاقل ، والعبد والرقيق ، وغير المستطيع ، ولا تتحقق الاستطاعة ، إلا إذا كان المكلف صحيح البدن ، مالكا للزاد والراحلة والنفقة ، آمنّا على نفسه فى ذهابه ، وإقامته ، وإيابه ، فإن كان عاجزا لمرض أو شيخوخة ،

المنذر الى أنه لا يكفيه عن الحج المفروض ، لأن احرامه بالحج وقع سنة وتطوعا ، فلا ينقلب فرضا •

واذا حج العبد قبل أن يعتق ، أثيب على فعله ، ولا يجزئه ذلك عن حجة الاسلام ، بل يجب عليه أن يحج حجة أخرى • وإذا أعتق قبل الوقوف بعرفة ، أو في أثناءه ، فهو كالصبي ، فبعض العلماء يرى أنه يتم نسكه ، ويغنيه ذلك عن حجة الاسلام ، ويرى مالك وابن المنذر ، ومن وافقهما ، أن هذا لا يجزئه عن حجة الفريضة ، وعليه أن يحج مرة أخرى ، لأن احرامه فى بدء المناسك انعقد سنة وتطوعا فلا يصير فرضا •

ويجب الحج على المرأة ، اذا تحققت فيها شروط الوجوب السابقة ، ويزاد عليها فى حقها أن أن يصحبها زوج أو محرم ، لا يحل له التزوج بها على التأييد ، أو نسوة ثقات تسافر معهن ، وتكفى واحدة ثقة ، ويرى بعض العلماء : أنه لا مانع من سفرها وحدها ، اذا كان الطريق آمنا •

الفريضة من غير منة • وان خاف المكلف على نفسه من قطاع الطريق أو وباء محقق ، أو خاف على ماله أن يسلب منه ، أو خاف بطش حاكم جائر ، يظلم الحجاج ، ويحول بينهم وبين أداء الفريضة ، لم يلزمه الحج وكان ممن لم يستطع اليه سيلا •

واذا حج الصبي قبل البلوغ ، لم يجزه ذلك عن حجة الاسلام ، بل يجب عليه أن يحج بعد البلوغ اذا كان قادرا ، ثم ان كان الصبي مميزا أحرم بنفسه ، وأدى مناسك الحج ، والمختار لدى جمهور العلماء : أن الصبي يثاب على طاعته ، وتكتب له حسناته ، ولا تدون عليه سيئات ، لأن القلم مرفوع عنه ، حتى يبلغ • وان كان الصبي غير مميز ، أحرم عنه وليه ، ولبي بدلا منه ، وطاف به وسعى ، ووقف به بعرفة ، ورمى عنه • فان بلغ الصبي قبل الوقوف بعرفة ، أو أثناءه فبرى بعض العلماء ، أنه يتم نسكه ، ويكفيه ذلك عن حجة الاسلام ، وذهب الامام مالك وابن

يا رسول الله : ان امرأتى خرجت حاجة ، وقد كتبت فى الغزو ، فقال صلى الله عليه وسلم : « انطلق فحج مع امرأتك » رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

واستدل المجيزون لسفر المرأة من غير زوج ولا محرم ، اذا وجدت رفقة مأمونة ، أو كان الطريق آمنا بما رواه الامام البخارى رضوان الله عليه ، عن عدى بن حاتم قال : بينا انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل ، فقال : « يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ » فقلت : لم أرها ولكنى أنبت عنها . فقال عليه الصلاة والسلام : « فان طالت بك حياة لترين الظعينة - المرأة فى الهودج - ترحل من الحيرة ، حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف الا الله » .

أحمد على منصور

ومن السنة فى حقها ، أن تستأذن زوجها ، فى الذهاب لحجة الفريضة فان اذن لها خرجت ، وان لم يأذن لها خرجت بغير اذنه ، وليس له أن يمنعها من ذلك ، لأن حجة الفريضة عبادة واجبة عليها ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . ولها أن تعجل بحجة الفريضة لتبرئ ذمتها ، كما يحق لها أن تصلى أول الوقت ، وليس له منعها ، وفى معنى حجة الفريضة الحج المنذور ، لأنه بالنذر وجب عليها الوفاء به ، كحجة الاسلام .

وأما حج السنة والتطوع ، فللزواج أن يمنع زوجته منه ، ولا تذهب لأدائه الا باذنه ، ودليل المشترطين وجود الزوج أو المحرم مع المرأة عند حجها : ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون رجل بامرأة الا معها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم » فقام رجل وقال

جمهورية إسلامية !! وكيف؟؟

للأستاذ محمد كمال السيد

لتكوين مجتمع قوى سليم
مترابط • نواته الجد والعمل فى
صدق وتراحم وأمانة •

وأول ما يتبادر الى الذهن من
هذا التعبير - الجمهورية
الإسلامية - هو إقامة الحدود
التي نص عليها القرآن الكريم
والسنة الشريفة • مثل قتل
القاتل • ورجم الزانية والزاني
المحصنين • وجلد غير المحصنين
منهما • وقطع يد السارق •
والجلد فى جريمتي القذف وشرب
الخمر • وما لم يرد عنه نص بحد
معين فالأمر متروك لولى الأمر
أو من ينوب عنه • • ويسمى
المحتسب - فى توقيع العقوبات
المناسبة لكل جريمة • وهو
ما يسمى بالتعزير •

واذا كانت إقامة الجمهورية

لكلمتى «الجمهورية الإسلامية»
بريق تنجذب اليه الأبصار • ورنين
تخفق له القلوب • وصور مشرقة
تداعى لها الخواطر والأفكار •
ومن الذكريات المجيدة للفتوحات
الإسلامية فى القرن الأول الهجرى •
وكيف تتابعت الحكومات فى الدول
الإسلامية المختلفة تنشر الحضارة
الإسلامية فى العلوم والفنون •
وخاصة التشريعات الفقهية بالقيم
الإنسانية الرفيعة التى تحفظ كرامة
الإنسان وترسم له ضوابط علاقته
بأخيه الإنسان وبالمجتمع الذى
يعيش فيه من سلوك ومعاملات
بما يحقق السعادة للجميع •

ولا جدال أن تشريع المولى
عز وجل هو أسمى التشريعات
- سواء فى العبادات أو المعاملات

تقريبا لم يطبق هذا الحد الا في
 ٥٧ حالة • مما يدل على أن هذه
 العقوبة أكثر ردعا من عقوبة
 الحبس • تصديقا للآية الشريفة
 (ولكم في القصاص حياة يا أولى
 الألباب) • ومع ذلك فقد أحيط
 تطبيق هذا الحد بضمانات • مثل
 متى يعتبر المال مسروقا يعاقب عليه
 بقطع اليد ؟ فمن سرق من جيب
 ظاهر غير من يسرق من جيب داخلي
 فالأول لا يُحد • ولا حد لمن
 يسرق الثمر من على الشجر • وغير
 ذلك • ومثل الحد الأدنى لنصاب
 السرقة الذى يستوجب هذه
 العقوبة • وهو ربع دينار ذهب •
 وهذا يحتاج الى ترجمة بالنسبة
 للعملة الحاضرة • وأيضا
 الاعفاءات المختلفة مثل سرقة الأب
 من ابنه • والعبد من سيده •
 وسرقة المأكل فى عام
 مجاعة ... الخ وهناك تفصيلات
 عن حالة العود • واذا كان السارق
 ذا يد واحدة أو يده الأخرى شلاء
 وغير ذلك مما يضيق عنه المقام •
 والمحاربة — أى قطع الطريق —
 أشد اجراما من السرقة • وعقوبتها

الاسلامية لا تعنى فى نظر البعض
 غير هذه النظرة الضيقة لهان الأمر •
 ففى التشريع المصرى : القاتل
 يقتل اذا توفر ركن العمد مع سبق
 الاصرار أو الترصد • كما أن
 الجرائم التى عقوبتها التعزير
 المتروكة تقديرها لولى الأمر
 أو المحتسب • فقد وضع المشرع
 المصرى العقوبات المختلفة المحددة
 لكل جريمة بعينها • مثل عدم مراعاة
 الآداب العامة ، وسلامة المكايل
 والموازين ، واشغال الطريق •
 وغيرها من كل ما فيه اضرار
 بالغير • كما وضع العقوبات
 لجرائم الخيانة العظمى والتجسس
 والرشوة واثارة الفتن وغيرها مما
 يضر بسلامة المجتمع •
 ويبقى أمامنا أربع جرائم مما نص
 عليه بحدود معينة فى الفقه
 الاسلامى • وهى السرقة •
 والقذف • والزنى • وشرب
 الخمر •

أما عن قطع يد السارق فقد
 قرأت فى احصائية من سنوات عن
 تطبيق هذا الحد فى المملكة
 السعودية أنه خلال أربعين عاما

الحق في العفو عنها حتى قبل صدور الحكم النهائي عليها • ولا تقام الدعوى ضد الزوج الزانى الا اذا وقعت منه هذه الجريمة أكثر من مرة وفى منزل الزوجية ولا جريمة زنى بين غير المتزوجين بالغى الرشد •

أما النظرة الاسلامية لهذه الجريمة فهي أنها تقع على المجتمع • وفرت في العقوبة بين الرجل المحصن • أى له زوجة أو اماء • والمرأة المحصنة أى المتزوجة • وبين غير المحصنين من الرجال والنساء • فعقوبة المحصنين أشد وهى الرجم • وعقوبة غير المحصنين الجلد •

ولكن لخطر هذه الجريمة على كيان الأسرة والأنساب والمجتمع • ولأنها تمس الأغراض مباشرة • وبفرض الستر بقدر الأمكان لحساسيتها • فقد أحاط اثباتها بعدة ضمانات تجعله أقرب للمستحيل • فهي لا تثبت الا بالاقرار أو شهادة الشهود • فمن الأقرار يجب أن يقر المجرم بجريمته أربع مرات • وله أن يعدل عن

فى الشريعة الاسلامية قطع اليد والرجل من خلاف والنفى • أو القتل أو الصلب • ولا شك أن الحد الشرعى أكثر ردعا من عقوبة السجن الحالية • ومن المحاربة السرقة بالأكره فى المواصلات العامة •

وأعتقد أن نسبة اللصوص الذين يجوز تطبيق الحد عليهم لا يمكن أن تزيد على واحد فى الألف من عدد السكان • فمصر ليس فيها أربعين ألف لص بالمعانى المذكورة •

كذلك عقوبة القذف فى الشريعة - وهى الجلد - أكثر ردعا من عقوبة الحبس الحالية •

أما جريمة الزنى فالفرق كبير بين نظرة التشريع المصرى الحالى - وهو يستمد من التشريع الفرنسى - وبين الشريعة الاسلامية فى تقييم هذه الجريمة •

فالمرجع المصرى يعتبر هذه الجريمة واقعة على الزوجية • فلا تقام الدعوى العمومية على الزوجة الزانية الا اذا طلب الزوج • وله

رجال من المسلمين يتسامرون •
ومنهم زياد بن أبيه - وهو الذى
استلحقه معاوية فى النسب الى
أبيه أبى سفيان بن حرب •

وهبت ريح • ففتحت بابى
الكوتين • فقام أحدهم وتحامل
على شئ ليوصد باب كوتهم •
فرأى المغيرة بين رجلين امرأة •
فدعا أصحابه فشاهدوا المنظر •
فقال أشهدوا • فقالوا من هذه ؟
فقال هى أم جميل • وكانت من
بنى هلال وزوجها من ثقيف •
وكانت تنش الأمراء والاشراف •
وقال الطبرى : (تاريخ الأمم
والملوك ج ٤ ص ٢٠٧) : وكان
بعض النساء يفعلن ذلك فى زمانها •
فقالوا انما رأينا أعجازا ولا ندرى
ما الوجه • ثم أنهم صمموا على
شخصها حين قامت • فأبلغوا أمير
المؤمنين عمر بالمدينة فعزل المغيرة
وولى مكانه أبا موسى الأشعري •
واستقدم عمر المغيرة ومثمهيه •

فلما قدموا سأل المغيرة • فقال
انه كان مع امرأته • وكانت تشبه
أم جميل • وشهد ثلاثة بأنهم
رأوها بالفعل نفسه وتحققوا من

اقرار • فاذا عدل فلا يطبق عليه
الحـد •

أما عن شهادة الشهود • فيجب
أن يشهد أربعة رجال بأنهم شاهدوا
الفعل نفسه • مع التحقق من
شخصية الزانية والزانى • فاذا لم
يتكامل عدد الأربعة شهود بأن
شهد ثلاثة فقط جلدوا بحـد
القذف • ولا تقبل شهادة ثمان
نساء أو ست نساء ورجل •

ولصعوبة الاثبات • وخوف
المبلغ ألا يتكامل عدد الشهود
فلم تطبق عقوبة الرجم الا فى عهد
الرسول عليه الصلاة والسلام •

ويذكر لنا التاريخ أنه فى
سنة ١٧ هـ فى عهد أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب كان المغيرة
ابن شعبة واليا على البصرة • وكان
يقيم فى دار فيها غرفة بها كوة
- أى فتحة صغيرة فى الحائط -
وكانت هناك دار تقابل دار المغيرة
فيها غرفة بها كوة أيضا • ويفصل
بين الدارين الطريق • والكوتان
مقابلتان وأعلى فى مستوى النظر •
وكان بهذه الدار المجاورة أربعة

بها • وكان راودها عن نفسها
فرفضت • فلما رأى نور الدين
داخلا عندها ذهب الى خليل في مقام
الليث وأخبره بالقصة • فحضر
الزوج وفاجأهما في الفراش
متعاقين تحت غطاء واحد •

واسترحماه ألا يفضحهما
فأبى • وأغلق عليهما الباب • وأتى
الى دار حاجب الحجاب وأبلغه •
فأرسل بالقبض عليهما • وأقر
مشالى بالزني كتابة • ووع على
الاقرار • وشاهد على الاقرار
حاجب الحجاب وأحد قضاة
الشافعية •

وأمر حاجب الحجاب بضرب
الرجل والمرأة ضربا مبرحا •
وأركبهما حمارين • وقلبوا وجهيهما
الى خلفي الحمارين • وطافوا
بهما في القاهرة الفاطمية والصلبية
وقناطر السباع (السيدة زينب)
للتشهير بهما • ثم قرروا على
المرأة مائة دينار لحاجب الحجاب •
فقالت أموالى جميعها تحت يد
زوجى • فطلبوا من الزوج المبلغ
من أموال زوجته فرفض • فقبضوا
عليه حتى يدفع !! وكان للزوج

شخصيتهما • أما زياد فقال انه رأى
المغيرة بين رجلى امرأة • ولم
يشاهد الفعل نفسه • ولم يتحقق
من المرأة وان كان يشبهها •
وبذلك لم يتحقق الاثبات • فلم
يوقع الحد على المغيرة • وجلد
الثلاثة بحد القذف •

ولم يحدثنا التاريخ بعد ذلك عن
توقيع عقوبة الرجم - وهذا على
قدر اطلاعى - حتى سنة ١٩١٩ هـ
(١٥١٣ م) في سلطنة السلطان
الثورى في مصر •

فقد ذكر ابن اياس في بدائع
الزهور أن أحد نواب القضاء
الحنفى يقال له غرس الدين خليل
كان متزوجا امرأة جميلة • وكانت
تهوى أحد نواب القضاء الشافعى
اسمه نور الدين مشالى •

وصادف أن علمت أن زوجها
سييت ذات ليلة في مقام الامام
الليث • فأرسلت لعشيقتها تخبره
أن الجو مهياً لاجتماعهما • فأرسل
لها ما يلزم من المأكول والمشروب
والمشموم • وذهب اليها في المساء •
وكان لها جار اسمه شمس معجب

ولد صغير يقرأ مع المقرئين عند
السلطان • فلما قبضوا على أبيه
أبلغ السلطان •

فطلب السلطان المحضر الذى
به اقرار مشالى • وأحضر القاضى
الشافعى الذى شهد فيه • فقال
القاضى : أنا ثبت عندى رجمهما •
وقال ابن اياس : (فانضاع السلطان
لهذا الكلام ، وقصد بذلك اظهار
العدل حتى يكتب فى تاريخه أنه
رجم من زنى فى أيامه كما وقع فى
زمن النبى صلى الله عليه وسلم لما عز
وزينب اللذين أمر النبى برجمهما)
• فقال السلطان : احكم برجمهما •
فقال : حتى ينفذ لى قاضى
القضاة الشافعى • الذى أقر
الحكم • فتقرر رجمهما • ولكن
تأخر تنفيذ الحكم حيث صادف
ذلك اليوم الاحتفال بخروج المحمل
بالحجاج الى الحجاز •

وتعصب لمشالى أحد نواب
القضاء الشافعى اسمه الزنكلونى •
فاستكتب بعض العلماء فتوى بأنه
إذا رجع المقر بالزنى عن اقراره
سقط الحد • وأرسل الى مشالى
بالعدول عن اقراره •

وأنكر السلطان هذا الموقف •
فلم يقبل عقله أن شخصا يضبط
متلبسا ويقر بجريمته كتابة •
ثم يعدل عن اقراره فتسقط عنه
العقوبة • فأمر بمجلس يضم قضاة
القضاة من المذاهب الأربعة الحاليين
والسابقين • وبعض العلماء
المشهورين وقتذاك • فأجمعوا
جميعهم على أن العدول عن
الاقرار يسقط الحد • فاغتاظ
السلطان • فأمر بفصل قضاة
القضاة الأربعة فى يوم واحد • وهى
واقعة ليس لها مثيل فى التاريخ •
وظل القضاء معطلا أياما حتى عين
غيرهم • ثم بعد أيام من هذا
المجلس أمر السلطان بشنق الرجل
والمرأة • وهذا وإن كان من حق
السلطان ولكنه غير حد الرجم •
كما أمر بضرب الزنكلونى الذى
دار على العلماء بالفتوى • وأمر
بنفيه الى الواح • وقيل انه مات من
شدة الضرب •

كما بينت المذاهب المختلفة
قواعد الاثبات والحدود فى أنواع
الشذوذ الجنسى • وهى لا تختلف

كثيرا عما ذكرنا بتفصيل ليس هنا مكانه •

أما الخمر فهي أم الكبائر • ولا نريد أن ندخل في تفاصيل كيميائية عما هو خمر محرم أو غير محرم • فالقاعدة الشرعية أن ما كثيره يسكر فقليلة حرام • وحد شارب الخمر ثمانون جلدة • ويجب على الدولة تحريمها تحريما مطلقا صناعة وتجارة واستعمالا • دون نظر للاعتبارات الاقتصادية أو السياحية • كما فعلت بالقمار بأن حرمته في أماكن وأباحته في أماكن أخرى •

هذه لمحة سريعة عن الجريمة والعقاب في الشريعة الاسلامية • وبالمقارنة نجد أن هذه الجرائم - ما عدا الزنا وشرب الخمر - معاقب عليها في التشريع الحالي ولكن بدلا من الحدود الشرعية من قطع وجلد فالعقاب الحبس أو السجن • والحدود الشرعية أكثر رذعا • كما أنه بدلا من التعزير عن الجرائم المختلفة التي لم ترد عنها حدود معينة في القرآن أو السنة • فقد وضعت عقوبات

محددة يلتزمها القاضى • وهذا أكثر ضبطا • كما وضعت عقوبات لجرائم لم تكن معروفة في المجتمع البسيط في صدر الاسلام مثل تزيف الأوراق المالية والمحركات العرفية والرسمية وغير ذلك من الجرائم •

وعلى كل حال فالمجرمون بالنسبة للمجتمع أقلية ضئيلة والشرفاء أكثرية كبيرة • ولكن ما يجب أن تقوم عليه الجمهورية الاسلامية هي المعاملات بين الناس • فكل انسان يتعامل مع الغير في المجتمع في تجارة أو صناعة أو عمل أو بيع أو شراء أو ايجار أو غيرها من صور المعاملات • وقد جدت أنواع من المعاملات نريد أن نعرف موقف الاسلام منها • لنعرف ما هو الحلال وما هو الحرام من هذه المعاملات ؟

ونذكر على سبيل المثال المصارف •• ودورها كبير ولازم في العلاقات التجارية بين الأفراد في الدول المختلفة وبين الدول وبعضها •• وتتقاضى عمولات أو فوائد عن هذه العمليات • وعما تمد به

فتعمل يا نصيب ذا جوائز كبيرة •
وأبرز هذه الصور الآن سندات
الادخار والاستثمار بأنواعها
المختلفة التي يصدرها البنك الأهلى
لصالح الدولة •

وكذلك اليانصيب التي تصدره
بعض الجمعيات الخيرية مساعدة
لها في أعمالها • فمشتري ورقة
اليانصيب يساهم بقروشه القليلة
في هذه الأعمال الخيرية • مع
أمل - ولو ضئيل - في ربح جائزة
كبيرة اذا كسبت الورقة •

وكذلك التأمين على الحياة •
وعلى عروض التجارة والعقارات
وكل ما هو قابل للتأمين عليه • وهو
نظام يجمع بشكل عام بين الفوائد
الربوية وبين المقامرة ولو في أضيق
الحدود من جهة شركات التأمين •
وما نظام التأمينات الاجتماعية
التي تقوم به الدولة الان نوع من
التأمين على الحياة للمؤمن
وأسرته •

ولا زلنا في الزكاة - وهى من
أركان الاسلام الخمسة - تتكلم
عن الناقة والجمال والبقرة والشاة •

البعض من قروض • فهل ينطبق
عملها على تحریم الربا ؟ وهل
المقترض بفائدة لضرورة حتمية
من علاج أو وفاة أو زواج الأولاد
أو غير ذلك يعتبر مخالفا للشریعة ؟
وكذلك الأسهم والسندات في
الشركات المختلفة • وأعتقد أن
هناك رأيا أن الأسهم حلال بحكم
أنها رأس مال شريك يتعرض
للربح والخسارة ويختلف ربحه
من سنة لأخرى • فكأنه من أعمال
التجارة • أما السند فحرام لأنه
رأس مال دائن بفائدة محددة
لا تختلف سواء ربحت الشركة
أو خسرت • وفي حالة خسارة
الشركة وتصفيتها يسترد صاحب
السند مبلغه بالكامل • ثم يوزع
الباقى على أصحاب الأسهم •
وهذا رأى معقول •

ومن الصور الحديثة في المعاملات
الفوائد التي تدفعها صناديق
التوفير بالبريد أو المصارف •
تشجيعا للادخار • ولتستغل أموال
المودعين في أعمال مختلفة تعود
بربح أكثر من الفائدة التي تدفعها •
ثم تزيد هذه الجهات في التشجيع

الاسلامية الماضية • ولا يبقى أمامنا
الا القياس أو الاجتهاد
أو الاجماع •
ونقرأ في الكتب والصحف •
أو نرى ونسمع في التلفزيون
والاذاعة أحيانا آراء لعلماء جليلين
واسعى الاطلاع • ولكن مع
احترامنا وتقديرنا لهم فهي آراء
فردية قابلة للمناقشة وغير ملزمة
ويجب أن تتشكل لجان في المؤتمر
الاسلامى • أو في مجمع البحوث
الاسلامية بالأزهر - وهو بتكوينه
يمثل كل الشعوب الاسلامية •
وتختص كل لجنة بدراسة احدى
أو بعض هذه الصور • وابداء
الرأى فيها • وعرضه على المؤتمر
أو المجمع لاصدار قراره • ليكون
هذا القرار شاملا وملزما لكل
الدول الاسلامية •

ويبقى بعد ذلك طلب الجواب
عن سؤال الساعة • وهو هل يجوز
لدولة اسلامية أن تتحالف أو تتعامل
مع دولة ملحدة لا تؤمن بالله
ولا بالأديان السماوية ؟؟
نسأله تعالى الهداية والتوفيق •
محمد كمال السيد

ولا نفهم لماذا يختلف نصاب
الزكاة في الذهب عنه في الفضة •
وما هو هذا النصاب بالنسبة
للعملات الحاضرة • ولماذا الذهب
والفضة دون المجوهرات
والأحجار النفيسة • ودون ما تزخر
به كثير من الدور من سجاد فاخر
ونجف كريستال ولوحات زيتية
وتحف نادرة مما تقدر قيمته
بعشرات بل مئات الآلاف من
الجنیهات • وما يملكه البعض في
أنحاء العالم من مناجم تقدر قيمتها
بالملايين • وما علاقة الزكاة بما
تتقاضاه الدولة من أموال أميرية
عن الأطيان وعوائد المبانى •
وضرائب على المهن التجارية وغير
التجارية ورعوس الاموال المنقولة
وضريبة الايراد العام وغير ذلك من
أنواع النشاط المختلفة ؟

هذه بعض الصور من المعاملات
الحديثة • وغيرها كثير • ويمارس
أكثرها جل الناس ان لم يكن كلهم
ونريد منهجا اسلاميا واضحا عنها
وعن غيرها • ولا تقيدها كتب
التراث من الفقه كثيرا • فهي صور
لم تكن معروفة في العصور

الإسلام في الفكر الأوربي

عرض وتحليل لولفات أوربية
بقلم الدكتور محمد شامه

(٢)

قسم المؤلف كتابه (١) الى أحد عشر بابا هي :

- ١ (حياة العرب قبل الاسلام
- ٢ (حياة محمد (صلى الله عليه وسلم)
- ٣ (القرآن الكريم
- ٤ (آثار محمد (صلى الله عليه وسلم)
- ٥ (الانطلاق السياسي للشعوب الاسلامية
- ٦ (اسهام الاسلام في الحضارة العالمية
- ٧ (الفن الاسلامي
- ٨ (الفلسفة والتصوف
- ٩ (مفاهيم دينية في الاسلام
وفي أديان الشرق الأقصى
- ١٠ (الاسلام والمسيحية
- ١١ (مستقبل الاسلام

وسوف نعرض ملخصا لأفكاره فيما وقع فيه من أخطاء من وجهة
في كل باب على حدة ، مع مناقشته النظر الاسلامية :

(١) وهو كتاب « الاسلام قوة عالمية متحركة » وهذا هو المقال الثاني
حول هذا الكتاب ، أما الأول فقد نشر في العدد التذكاري الذي صدر
في أبريل سنة ١٩٧٩ .

الباب الأول

حياة العرب قبل الاسلام

عليها جبل النبی شعیب حیث یبلغ
ارتفاعها ٣١٤ مترا عن سطح
البحر •

تناول فی هذا الباب بحث نقیاط
عدة :

١ - البيئة الطبيعية :

تنتشر الواحات فی صحراء شبه
الجزيرة الواسعة ، وتتركز فی المناطق
التي تتجمع فیها مياه الأمطار ،
مكونة مساحات خصبة صالحة
للزراعة • ومن أهم تلك المناطق
الخصبة : یثرب (المدينة المنورة) ،
فقد ساعد موقعها الجغرافی على
انشاء حضارة زراعية بها ، أما
منطقة اليمن - حیث تهب الرياح
الموسمية - فقد احتفظت منذ القدم
بازدهار التجارة فیها ، كما
قامت فیها دولة ، فهي تعتبر منطقة
المملكة العربية القديمة •

تعتبر شبه الجزيرة العربية
- من ناحية المساحة - أكبر شبه
جزيرة فی العالم ، اذ تبلغ مساحتها
٣١ مليون متر مربع • وتوحى
الینا تضاريس منطقة عمان بأنها
كانت متصلة بإيران ، فانفصلت
فجأة فی عصور ما قبل التاريخ
بامتداد مياه المحيط الهندی مكونة
الخليج • كذلك انفصلت هذه
المنطقة عن افريقيا ، عندما تدفقت
مياه المحيط نحو الشمال ، فتكون
الحاجز الطبیعی الذی یعرف الآن
بالبحر الأحمر ، ویمتد على شاطئه
الشرقی سلسلة جبال تعرف فی
الشمال باسم الحجاز ، أما فی
الجنوب - أى فی اليمن فیطلق

٢ - تاریخ الحياة السیاسية :

تعتبر شبه الجزيرة العربية
- بوجه عام - الوطن الأول

السومريين - وأسسوا أول مملكة
بابلية ، كذلك كان من بين
الهكسوس الذين غزوا مصر في
القرن الثامن عشر قبل الميلاد
قبائل عربية •

ألم تكن أرض الفينيقيين أيضا
عربية ؟ :

لم يكن للمنطقة العربية قبل
الاسلام شيء يذكر في سجل التاريخ
العالمى ، فلم تشغل فيه سوى حيز
بسيط على هامشه ، لأن الحياة
داخل الصحراء كانت حياة بدوية ،
متفرقة ، متناثرة ، فلم يكن بين
القبائل منافع مشتركة تقوم على
أساسها دولة ، حتى الطقوس
الدينية في مكة - حيث كانوا
يفدون اليها للحج - لم تجمعهم
على طريق واحد ، أو توجههم
نحو هدف مشترك • ولذا كانت
الحياة مضطربة وغير مستقرة ،
مظهرها العام حل وترحال ،
ونزاع وقتال •

نعم !! وجدت حياة مستقرة
نوعا ما في الواحات ، كما أقيمت
مراكز للتجارة على طول طريق

للساميين ، على الرغم من عدم قيام
دليل قاطع على ذلك حتى اليوم ،
فقد باعدت الصحراء منذ ما قبل
التاريخ بين أبنائها ، وفرقت بينهم
بمساحات صحراوية شاسعة ، ومن
هنا انتشرت بينهم عقائد أسطورية ،
منها أن أسلاف الساميين الذين
أستوطنوا بلاد ما وراء النهرين في
الألف الثانية قبل الميلاد كانوا من
العرب الرحل ، وعلى الرغم من
عدم وجود مصادر عربية تثبت هذه
العلاقة (لأن المصادر الموجودة
لا تتعدى الألف الأول قبل
الميلاد) ، فليس لدينا ما ينفي أن
الكنعانيين والآراميين رحلوا من
البلاد العربية في ذلك التاريخ ،
واستمرت هجرات مجموعات بدوية
الى منطقة الهلال الخصيب ،
حتى وصلت الى الشاطئ الشرقى
للبحر الأبيض المتوسط ، فاستقر
بعضها في فلسطين وسوريا ولبنان
•• واشتغل فريق منهم بالزراعة ،
بينما استوطن البعض الآخر
المدن •

ويقال ان البدو غزوا - بعد
الألف الثالثة قبل الميلاد - مدن

يثرّب (المدينة المنورة) - الى مراكز تجارية ، كانت المحور الحضارى للمنطقة الشمالية الغربية لشبه الجزيرة حتى القرن السابع الميلادى •

وفى منطقة جنوب شبه الجزيرة الخصبة ، نشأت حضارة فى الألف الثانى قبل الميلاد ، كانت دعائمها تركز على الزراعة والتجارة ، فقد كشفت عمليات التنقيب فى تلك المنطقة عن بقايا مدن ، وسدود على مجارى الأنهار ، ومعابد توحى بالشعور الجماعى ، والنشاط فى المجال الاقتصادى ، والغريزة الدينية لشعب هذه المنطقة •• ثم يستعرض أحوال الدولة ، التى قامت فى اليمن منذ القدم ، مينا الأسر التى تعاقبت على حكمه وعلاقتها بالجبشة ، وبالدولة البيزنطية والدولة الفارسية ، حتى وصل الى حملة « أبرهة » على مكة ، فأرجع هزيمته الى انتشار الطاعون فى جيشه •

حقيقة الأمر فى هذه المسألة ان الله أخبرنا بها فى كتابه العزيز

القوافل ، الا أنها لم تبلغ درجة تكوين دولة •••• هذا باستثناء ما قام فى الشمال والجنوب من امارات وممالك ، ففى المناطق المتاخمة للدول ذات الحضارة نشأت مراكز للتجارة ، ساعدت على قيام نوع من نظم الحكم المستقرة ، ففى جنوب فلسطين أسس النبطيون - وهم عرب - مملكة فى القرون الأخيرة قبل الميلاد ، الا أن الامبراطور « تراجان » قضى عليها فى عام ١٠٦ ق م كما ظلت مملكة « بالميرا » قائمة فى صحراء سوريا حتى عام ٢٧٢ م • وفى القرنين الخامس والسادس الميلاديين قامت مملكة صغيرة على نهر الفرات تدعى « مملكة اللخمين » فى الحيرة ، وكانت متحالفة مع فارس ، وفى منطقة الحدود بين سوريا وفلسطين أقام الغساسنة مملكة تحالفت مع البيزنطيين ، فكانت محمية رومانية •

أما فى داخل شبه الجزيرة فقد تطورت الواحات - خيبر ، فذلك ،

« حدثني يعقوب بن عتبة أنه
حدث : أن أول ما رؤيت الحصبة
والجدري بأرض العرب ذلك العام
(أى عام الفيل) » •

وعلى رواية عن ابن عباس :

« كان الحجر اذا وقع على
أحدهم نطط جلده ، فكان ذلك
أول الجدري » •

وعن عكرمة :

« كانت ترميهم بحجارة معها
كالحمصة • فاذا أصاب أحدهم
حجر منها خرج به الجدري ،
وكان أول يوم رأى فيه الجدري
بأرض العرب » •

ويفسر أصحاب هذا الرأى
— معتمدين فى ذلك على جزء من
الرواية ، وهو ظهور الجدري ،
متجاهلين الجزء الآخر ، وهو
رمى الطير الحجارة على جيش
« أبرهة » — ظاهرة الفتك بجيش
« أبرهة » •

فقال : (١) ، « ألم تر كيف فعل
ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل
كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم
طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من
سجيل فجعلهم كعصف مأكول » •

ومفهوم جمهور علماء المسلمين
لهذه الآيات : أن جيش الحبشة
قدم مكة لهدم الكعبة المشرفة
بقيادة « أبرهة » الأشرم الحبشى
أمير اليمن من قبل النجاشى ملك
الحبشة ومعه الفيل ، فسلط الله
عليهم طيرا جاءتهم من جهة السماء
جماعات متتابعة بعضها فى اثر بعض
هبت عليهم من كل اتجاه ، فرمتهم
بحجارة من سجيل فأهلكتهم •

غير أن بعض الباحثين يرى أن
الذى أصاب جيش « أبرهة » ،
انما هو وباء الجدري ، تفشى
بالجيش ، وبدأ يفتك به ، وكان
فتكه ذريعا ، لم يعهد من قبل قط •
واعتمدوا فى ذلك على رواية
لابن اسحاق :

(١) سنكتب تعليقنا على آراء المؤلف بخط مميز .

أصاب جيش « أبرهة » ولم يصب قريشا مع أنهم كانوا فى مهب الريح أيضا ؟

وما قيل من أن الأعراض التى ظهرت فى جيش « أبرهة » - من تساقط الجسم وظهور القيح والدم - هى أعراض الجدرى ، لا يصلح دليلا على أن الريح هى التى حملت الوباء ، وليس الطير . لأن مرض الجدرى - اذا سلمنا بأنه هو الذى أصاب جيش « أبرهة » - ينتقل الى الشخص بالملامسة ، فالطير رمت الأحجار التى تحمل الوباء على الجيش ، فانتقلت العدوى الى الشخص بمجرد أن مس الحجر جسمه ، ولما كانت قريش بعيدة عن مرمى أحجار الطير ، ولم تقترب من جيش « أبرهة » فقد سلمت من الوباء . وبهذا يتبين أن من يذهب الى أن سبب هزيمة جيش « أبرهة » هو الجدرى فقط ، دون أن يبين مصدره ، أو يرجع مصدره الى الريح التى حملت الوباء ، دون ذكر الطير التى تحدث عنها القرآن الكريم .

بأن جرائيم الجدرى جاءت مع الريح من ناحية البحر ، وأصاب العدوى « أبرهة » نفسه فأخلذه الروع ، وأمر قومه بالعودة الى اليمن ، وفر الذين كانوا يدلونه على الطريق ، ومات منهم من مات ، وكان الوباء يزداد كل يوم شدة ، ورجال الجيش يموت منهم من يموت كل يوم بغير حساب ، وبلغ « أبرهة » صنعا وقد تناثر جسمه من المرض ، فلم يبق الا قليلا حتى لحق بمن مات من جيشه !! .

وهذه الدعوة تشتمل على عنصرين :
١ - ما نزل بجيش « أبرهة » هو وباء الجدرى .

٢ - أن الريح حملت هذا الوباء من ناحية البحر .
والعنصر الثانى ليس مقبولا .
لا نقلا :

لأن القرآن الكريم أخبرنا بأن الطير رمتهم بحجارة من سجيل فوقهم ما وقع .
ولا واقعا :

لأن الريح اذا كانت قد هبت على المنطقة حاملة الوباء ، فلم

فان كان غير مسلم •

فمصدر ثقافته عن الاسلام
مؤسسات تربوية في مجتمع يتخذ
من الاسلام موقف المعارض
أو المناوئ أو اغفال كل ما يدل
على أن القرآن الكريم من عند
الله ، وهذا هو حال مؤلف كتاب
« الاسلام قوة عالمية متحركة » ،
كما شرحنا ذلك سابقا •

وان كان مسلما :

فهو يردد ما يقوله المستشرقون
دون بحث أو تمحيص ، وذلك
ما نقرؤه لبعض المعاصرين •

٣ - السكان :

يمثل العرب طبقا للفصيلة
الدموية - ما هية أصلية بين
الأجناس الشرقية غير أن اتصالهم
بجيرانهم الآسيويين منذ خمسة
آلاف سنة - ذلك الاتصال الذي
حدث نتيجة للهجرة بسبب الجفاف
الذي كان يصيب مناطق تجمعهم -
طبع أجسامهم وملامحهم بطابع
آسيوى ، والشئ الوحيد الذي
لم يؤثر فيه هذا الاتصال فلم
يتغير : هو اللغة •

ثم تحدث عن عادات وتقاليد
العرب في حياتهم الصحراوية -
سواء ما تعلق منها بالأسرة ،
أو العشيرة ، أو القبيلة ، والتزام
الأفراد بها ولو كلفهم ذلك
حياتهم ، وأردف ذلك بقوله : فمن
المهد الى اللحد يملئ قانون الأجداد
عليهم أسلوب حياتهم ؟ •

- كان هناك الثأر ونصرة الأخ
ولو كان ظالما ، والخضوع الكامل
لرئيس القبيلة •

- كما كان هناك الالتزام بما
يمليه حق الجوار ، والكرم ،
والشجاعة ، والفخر بالتحلى
بالفضائل التي تعارفوا عليها •

ذهب الى أن العرب لم يكن
لديهم الوعي بالشعور العام ،
الذى يربطهم جميعا برباط واحد
وما أطلقه اليونانيون عليهم بأنهم :
« الشرقيون » لا يدل على أن هناك
شعورا عاما يجمعهم نحو هدف
واحد في الحياة ، بل ربما لا يتعدى
معنى هذه الكلمة - من الناحية
العملية آنذاك - الاحساس
بالانتماء الى جنس واحد في مقابل

فذكر أن بعض الأفراد عاشت عيشة رغدة بما ملكته من مصادر الثروة المثلة في التجارة والأنعام والثمار (ثمار النخيل والتين والبرتقال والليمون) والتوابل • أما السواد الأعظم فعاش فقيرا محروما من الاستمتاع بهذه الخيرات التي كان يراها أمام عينيه •

جمعت أخلاق البدوى وصفاته بين الشيء وتقيضه :

فهو يتصف بالصبر والتحمل ، كما يتصف بالحساسية البالغة وسرعة الغضب •

كان جسمه ضئيلا ، ولكنه شديد التماسك وقوى •

يكفيه في الصحراء بضع تمرات وقليل من الماء ، بينما يتعب النبيذ الذي يصنعه بيده اذا أتيت له الفرصة •

ثم تحدث عن الحرب والاغارة والصعلكة والسلب والنهب والاغتصاب عند البدوى ، كما تحدث عن الصيد والحب ، فذكر

الاجناس المجاورة لهم • ثم ركز على أن اخلاص العربي للقبيلة - والدفاع عنها تحول فيما بعد الى الانتماء للاسلام والدفاع عنه •

يبدو من الفقرة السابقة أن المؤلف قصد بها افهام القارىء أن الاسلام لم يغرس في العرب التفانى في الدفاع عنه ، فقد كانت غريزة الدفاع عن المعتقدات - أيا كان مصدرها ودرجتها بين الأديان - موجودة عنده ، وان ما فعله الاسلام لم يخرج عن تحويل هذه الغريزة من الدفاع عن عقائد الجاهلية الى الدفاع عن الدين الجديد) •

وهذا فهم غير صحيح ، بدليل أن هناك شعوبا لم تشتهر بهذا الجانب مثل ما اشتهر العرب ، ومع ذلك عندما اعتنقت الاسلام دافعت عنه دفاعا لا يقل عن دفاع العرب ، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في أن الاسلام هو الذي غرس فيهم حب التضحية في سبيل اعلاء كلمة الله •

تناول المؤلف توزيع الثروة ،

أن جمال المرأة كان يثير العاطفة عنده ، غير أن هذه الاثارة كانت وقتية ، فلم تدم طويلا ، وذلك راجع الى طبيعة الطقس الذى يعيش فيه • ولم ينس فى هذه الفقرة أن يتحدث عن وأد البنات عند العرب صغارا واستيلاء الآباء على ما يقدمه لهن راغبو الزواج كبارا •

٤ - الدين :

كانت أهمية الدين عند العربى أقل بكثير من عادات وتقاليد القبيلة ، فطقوسه ما زالت فى دائرة الشعوذة داخل اطار تعظيم الأصنام ، صورتها البدائية : أشجار وأحجار يتوسل بها الى كائن آلهى ، أو تعبد للوقاية من ضرر الكائنات المؤذية ، ولذا قدمت لها الضحايا للوقاية من الأخطار المتوقع حدوثها •

استعرض كثرة الأصنام وتنوعها بين القبائل ، واختصاص كل قبيلة بصنم مخصوص ، ثم بين أن الطقوس الدينية كانت بسيطة بوجه عام •• تناول أهمية الكعبة ،

فذكر قصة بنائها وتعظيم العرب لها وشدهم الرجال اليها كل عام ، وتحريم القتال فى أشهر الحج مما يتيح لهم اللقاء فى جو أخوى بعيد عن المشاحنات والمناوشات • وفى هذا الصدد تحدث عن قصة التقاء آدم بحواء على جبل عرفات بعد هبوطهما من الجنة ، وعن الحجر الأسود ، وعن مكانة ابراهيم عليه السلام بين الشعوب السامية ، اذ هم يعتبرونه الأب الأكبر ، ففى كل مكان من عالم الساميين القديم توجد دلائل على تعظيمه ، ففى دمشق يعتبر أول الملوك ومؤسس المدينة ، وكان الأدوميون الوثنيون فى شمال مدينة حبرون (الخليل) يعبدونه ، والصابئون عبدوا الاله « ابو روم ABU-ROM »

وعندهم فى مدينتهم « حران » - مكان اقامة ابراهيم - معبد أسود ، مكسو بقماش أسود ، وفيه حجر أسود يتوجهون اليه فى صلاتهم •

لعل قارئ الكتاب يفهم من هذا - وهو ما قصده المؤلف

فى مكة ، فقد احتل هذه المكانة نتيجة اعتقاد العرب فى اله أكبر يلتف حوله آلهة أصغر منه ، ينفذون أوامره ، وهكذا نما عدد الآلهة المساعدين • ويرجع انتشار تأليه الأصنام بين العرب الى ما قبل ظهور محمد بزمان طويل • ذلك أنهم اعتقدوا فى وجود الله • وأنه فى مكان سام لا يمكن الوصول اليه ، ولا توجد صلة تربطهم به • ولذا فقد وجب البحث عن وسيط ، فوجدوه فى هذه الأصنام • ثم تحدث عن اعتقاد العرب فى أن الأصنام تحميهم وترشدهم وأن حمايتها تعم الجميع ، حتى الذين ينزلون ضيوفا عندهم •

كلما زادت سطحية الطقوس الدينية حول الأصنام وضوحا عند العربى ، ازداد قربا من الايمان بوحدانية الله ، ذلك الايمان الذى كان يريجه نفسيا ، نما الاعتقاد بالواحد الأحد بجانب عبادة الأصنام ، وعندما أتى محمد كان العربى على استعداد لاعتناق مبدأ التوحيد •

بالتأكيد - أن انتشار بعض معالم الكعبة بين الشعوب السامية - ومنهم وثنيون - يدل على أنها ظاهرة بشرية ، لا علاقة لها بالوحي السماوى ، •• خضعت لقانون التطور - ذلك الذى سيطر على العقلية الأوربية فى العصر الحديث ، وحاول بعض العلماء تطبيقه فى مجال الأديان أيضا •

والدليل على خطأ هذا الرأى أن الانتشار وحده ليس دليلا قاطعا على صحته ، لاحتمال أن هذه الشعوب كانت واقعة تحت التأثير الروحى للكعبة ، لمكاتها بين العرب قاطبة ، فدفعهم هذا الى محاكاتها فى أقاليمهم ، فاذا أضيف اليه ما أخبر به الوحي عن تحديد البقعة الطاهرة لابراهيم لاقامة البيت ، رجح أن الكعبة وما حولها •• وما يقام فيها من شعائر ، هو تحديد من السماء ، غير العرب فيه قبل الاسلام ثم جاء القرآن الكريم فصصح ما غير ، فاستقام الدين كله لله •

كان « الاله هبل » سيد الكعبة

الاسلام ظاهرة اجتماعية ، أكملت سلسلة من التغيرات في هذا المجال .

وغاب عنه في هذا القياس :

— أن الحنفاء كانوا أفرادا يعدون على أصابع اليد الواحدة ، فهم لم يمثلوا ظاهرة .

— أن عقيدتهم لم تكن واضحة المعالم ، والاسلام جامع شامل لكل عناصر التوحيد ، فهو ليس سلسلة لا حقة بنيت على سابقتها .

— أن الغالبية العظمى من العرب تمسكت بالأصنام ، ودافعت عنها حتى الموت ، مما يدل على أن الحنفاء لم يكن لهم أثر يذكر في المجتمع .

— أن من طبيعة الظواهر الاجتماعية التكرار على امتداد التاريخ زمنًا ، أو على اتساع رقعة البسيطة مكانًا ، وقد حدثنا التاريخ عن وجود هذا التكرار في مجال الحضارة والمدنية ، أما في مجال العقيدة

يبدو للقارىء أن المؤلف واقع تحت سيطرة مؤثرات فكرية سادت في بيئته ، فهو يحاول تطبيق مناهج البحث الحديثة في أدلته ، ولكنه لا يستطيع التخلص من رواسب الماضى الثقافية في مجتمعه تجاه الاسلام ، فيقع في الخطأ ، ذلك أنه أراد أن يشرح الظواهر العقيدية في المجتمع الجاهلى في ضوء نظريات تحول المجتمعات التى سيطرت على جميع مجالات البحث فى العصر الحديث ، اذ من المسلم به عند العلماء أن الظواهر الاجتماعية الجديدة تنمو — اذا هيئت لها الظروف — شيئًا فشيئًا ، الى أن تسود بعد أن تقضى على ما سبقها من ظواهر ، وقد ذهب المؤلف طبقا لهذه القاعدة الى أن عقيدة التوحيد نمت فى العصر الجاهلى ، وازداد نموها فى العصر السابق لمحمد — صلى الله عليه وسلم — مباشرة .• الى أن صدع بدعوته ، فوجد الجو مهيأ لفرض هذه العقيدة على الجميع .• أى أن

فلم توجد ظاهرة — بالمعنى
المفهوم عند علماء الاجتماع —
تشبه الاسلام لا في القديم ،
ولا في الحديث . وهذا يدل
على أنه وحى سماوى أنزله
الله على محمد ، كما أنزل على
موسى وعيسى والنبیین من
قبله .

كل هذه العناصر :
تنفى :

أن يكون الاسلام مرحلة في
سلسلة الظواهر الاجتماعية .
وتثبت :

أنه وحى من السماء ، اشتمل
على نظام كامل لاصلاح المجتمع
الانسانى ، نظام لم يؤسس على
ما سبقه من عادات وتقاليد المجتمع
الجاهلى ، ولم يكن تطورا لما
سبقه ، بل أنزله العليم الخبير .

تناول حديثه عن الأديان الأخرى
في الجزيرة العربية اليهودية
والنصرانية ، فذكر أن اليهود الذين
عاشوا بين العرب كانوا يتحدثون
اللغة العربية ، واستقروا في مناطق ،
فلم يكونوا رحلا مثل العرب ،

واشتغلوا بالتجارة والزراعة ،
وصناعة الحلى . هذا الاستقرار
بالاضافة الى التمسك الشديد
بالعقيدة ، جعل اليهود منغزلين
عن العرب ، فلم يفكر أحد من
البدو أن يعتنق اليهودية . وذلك
يخالف الوضع بالنسبة للنصرانية ،
فقد اعتنقها بعض العرب في
الشمال ، ولو لم يظهر الاسلام
لاتنشرت في الجزيرة العربية .
أما المبشرون فقد جابوا المنطقة
— العراق وسوريا والحبة
واليمن — يدعون الناس الى
الدخول في المسيحية ، وقد أحسن
الاستماع اليهم بعض القبائل ،
فكانوا يعطون في الأسواق دون أن
يمنعهم أحد . ثم أعطى صورة
مفصلة عن الأديرة والكنائس التي
أقيمت في الصحراء ، وذكر أن
تأثير النصرانية على الحنفاء كان
كبيرا ، غير أنه مال الى أن تأثيرها
على الاسلام لم يكن مصدره
اتصال العرب بالمناطق المسيحية
المجاورة — عن طريق التجارة —
فقط ، بل يرجع أيضا الى الحنفاء
الذين كانوا يقرأون كتبها .

وهل وصف الله في القرآن الكريم بمثل ما جاء في توراة اليهود - المتداولة بينهم - من أن الله عز وجل تصارع مع يعقوب ، ف ضرب به يعقوب الأرض (٢) • ان التوحيد الذى دعا اليه الاسلام لا نظير له ، لا بين العرب ، ولا عند اليهود والنصارى فى كتبهم المقدسة ، فكيف يعقل أن تكون المسيحية - أو اليهودية - مصدرا من مصادر الاسلام !!!!

هـ - الشعر :

كان الشعر هو القاسم المشترك بين العرب جميعا ، لأنه صيغ بلغة تفهمها كل القبائل ، مهما اختلفت لهجاتها ، ولذا كان بمثابة الرباط بينها حيث غاب الدين الذى يربط بين الناس ، كما كان سجلا لأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم ، فهو وعاء حفظ تاريخهم •

حل أخلاق الشعراء وصنف رحلاتهم بين القبائل منشدين بالمدح

يفهم المرء عندما يقرأ هذه الفقرة أن المؤلف يعتقد أن المسيحية - وكذلك اليهودية - كانت من المصادر ، التى أمدت محمدا - صلى الله عليه وسلم - بعقيدة التوحيد • ولا يخفى خطأ هذا الرأى على من عنده المام بسيط بمفهوم التوحيد فى الأديان الثلاثة ، اذ بينما يقرر الاسلام أن الله واحد فى ذاته وصفاته ، ليس كمثله شئ ، نرى المسيحية تقول : ان الله ثالث ثلاثة • واليهود يصفون الله فى الكتاب المتداول بينهم بأوصاف لا تليق به سبحانه وتعالى • فماذا أخذ الاسلام منها ؟ هل أخذ التشليث •؟ القرآن ينكره ، بل يهدد من يعتنقه بالعذاب الأليم :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسبن الذين كفروا منهم عذاب أليم » (١) •

(١) المائدة : ٧٣

(٢) سفر التكوين ٣٢ : ٢٤ - ٣٠

بالمعارك التاريخية .. و .. و .. الخ
 .. ثم بين مركز القبيلة حين يظهر
 فيها شاعر ، ومدى احتياج العرب
 الى هذا النوع من الثقافة ، نظرا
 لأن الغالبية العظمى أمية ، لا تعرف
 القراءة والكتابة ، فان أول كتاب
 ظهر بين العرب هو القرآن الكريم .

تارة وبالذم تارة أخرى ، كما
 تناول موضوعات الشعر بالتحليل
 مثل :
 الفخر الذاتي (الشجاعة ،
 الشرف ، الوفاء ، الحب) مدح
 القبائل (الاشادة بالشجاعة ،
 الثأر من الأعداء ، الكرم) والتغنى

الباب الثاني

سيرة الرسول (١)

صلى الله عليه وسلم

يشتمل هذا الباب على :

١ - مشاكل السيرة :

ذلك افهام الأوربيين أن من تكون
 حياته على هذا النحو ، لا يمكن
 أن يكون جادا في دعوته الناس
 الى دين صحيح .

ساد هذا الرأي - ولا زال -
 بين كثيرين ، بل وصل الأمر الى
 أكثر من هذا ، فقد وصفوه صراحة
 - دون تورية ولا تكتية - بأنه
 محتال وسفاح وشهواني . فالحقد
 السياسى - الذى نتج عن انتشار
 الاسلام ، وسيطرته على كثير من
 مناطق العالم - والتعصب الدينى

ان التقاليد الأوربية الضاربة
 بجذورها فى أعماق التاريخ تجعل
 من الصعب علينا أن نلتزم الحياد
 فى بحث سيرة (محمد صلى الله
 عليه وسلم) ، فتأثير المسيحية
 متغلغل فى كل جوانب مجتمعا ،
 لدرجة لا تمكننا من الفصل بين
 حياته ، وبين رسالته الدينية ، لأن
 هجوم بعض النقاد على القرآن -
 الذى هو دستور الحياة
 للمسلمين - أقل بكثير من الهجوم
 على سيرة محمد ، ومقصدهم من

(١) عنوان الباب فى الكتاب : « حياة محمد » .

دفعاً هؤلاء الكتاب الى البحث عن الجوانب المظلمة لاستخدامها في وقف المد الاسلامى ، فوجدوا نقطة بداية هذا الخط في حياة النبى - صلى الله عليه وسلم - ، فاستخدموها - كدليل على أن الاسلام لا يصلح لشيء - للتفسير منه .

ولكن : ألا يتعارض هذا الموقف تعارضاً مباشراً مع الحقائق المقررة لمفهوم الحياة المسيحية ؟ اذ يعتقد البعض - اعتقاداً جازماً مستنداً الى نصوص عقدية - في صك غفران في يده ، ويستغنى بذلك عن العقيدة الحية ، التى تبث الحياة في كل شيء !!!

فلكى نصل الى الحقيقة في حياة محمد ورسالته ، ينبغى أن نقبل على البحث بعقل منفتح ، وقلب صاف ، معرضين عن الزعم الباطل المسبق ، والوهم الذى لا أساس له ، مدققين في الروايات التى تروى عنه ، حذرين في تقييم كل ما يعرض علينا . قد يكون من غير الممكن على الغربى المسيحى تحقيق هذه المثالية ، ولكن الجهد

الصادق في هذا المجال سوف يكون خطوة أولى على الطريق ، تتلوها خطوات ، خاصة وأن جو البحث في عصرنا هذا - حيث تقاربت المسافات - أنسب وأسهل مما كان عليه الوضع في القرون الوسطى ، اذ يعيش بيننا كثير من المسلمين ، مما يجعلنا لا نعتمد على الأبحاث المسيحية فقط ، بل نتصل بالمسلمين مباشرة ، فنسألهم ونناقشهم ، فيما يتعلق بدينهم ونيهم ، وأعتقد أننا بهذا سوف نمزق أساطير ألف ليلة وليلة - التى حكى طول الاسلام - ونسلط الأضواء على الحقائق السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية . وينبغى ألا ننسى أيضاً أن كثيراً من المسلمين يبالغون في تعظيم نبيهم ، فيدفعهم ذلك الى تصوير حياته تصويراً يقرب من الخيال الموجود في قصص ألف ليلة وليلة ، على الرغم من أنه أكد أكثر من مرة أنه بشر ، لا يستطيع أن يأتى بكل ما يطلبون من معجزات .

اذا كان المؤمن بالمسيحية يهتم

يسود جبهة عريضة في مجتمعنا ،
فشاع سوء التفاهم الذي ينمي
التناقضات الظاهرية بيننا وبين
المجتمعات الاسلامية • وليس من
السهل على الباحث الذي يشعر
بالمسئولية أن يتصدى لهذا التيار
ويوقفه ، لأن المهتمين بنتائج هذه
الابحاث قلة قليلة من الناس •
ولكن ما يعزينا ويدفعنا الى
الاستمرار في هذا الطريق ، هو أن
المعرفة القائمة على أساس متين ،
سوف تنتشر بمرور السنين شيئاً
فشيئاً ، الى أن تصبح من المسلمات
التي يؤمن بها الناس •
٢ - طفولة وشباب :

تتصل حياة محمد بالمجتمع
القبلي العربي القديم ، هذه حقيقة ،
ينبغي على المرء أن يضعها نصب
عينيه ، حتى يتجنب أى خطأ في
الحكم ، فلم تكن الحياة هناك
ذاتية فردية ، بل احتل الفرد مكاناً
معيناً في الأسرة والعشيرة
والقبيلة •

ثم تناول المؤلف قريشا ومكاتها
بين القبائل ، وبنى هاشم ووضعهم
في قريش واستعرض أحداث

بالطريقة التي خرج بها الجزء
الناسوتي لعيسى من عالم الأحياء ،
لأنه يؤمن بالعهد الجديد ، ويعتقد
في مخلصه !!! فانه سوف يهتم
أكثر - اذا أتاحت له الفرصة -
بحياة محمد الخاصة •

ولما كان في هذه الحالة لا يشعر
برباط يربطه به - فربما تكون
رغبته منصبة على معرفة ما اذا كان
محمد قد عاش متديناً مثل
عيسى - فسوف تكون هذه المقابلة
خاطئة ، لأنه يؤمن بعيسى ، وينفذ
ما ورد عنه دون اعتراض ، بينما
يشك فيما يسمعه من أخبار
محمد المتعلقة بالوحي ، على
الرغم من أن الانجيل اعترف
بوجود أنبياء آخرين • وهذا هو
مصدر كثير من الأحكام الخاطئة
عن الاسلام •

هناك خطر آخر على عدم
التحيز في البحث ، ألا وهو : عدم
التعمق ، فقد شاعت أحكام كثيرة
بنيت على أدلة غير كافية - على
الرغم من سهولة الوصول الى كل
المصادر الموجودة في عصرنا
الحاضر - مما جعل الفهم الخاطئ

وانكار بعض علماء المسلمين في العصر الحديث لهذه الحادثة ، استنادا الى أن ما ورد في كتب التاريخ لا يعد من الحقائق العلمية المؤكدة - وهو ما دفع المؤلف الى اعتبارها أسطورة - لا يعد مطعنا يدخل منه أعداء الاسلام للهجوم عليه ، لأنها لا تتعلق بعقيدة ، وليس لها صلة بتعاليم الاسلام المفروضة .

أما ادعاؤه بأن الدافع الى ظهورها ، هو وجود الآيات الأربع الأولى من سورة الانشراح ، فلا يقوم على دليل مستوفى الأركان ، ذلك أن الباحث ينبغي ألا يعتمد في بحثه الا على ما يذكر في الكتب المعتمدة ، لا على ما كتب في عصور الانحطاط الفكرى في المجتمع الاسلامى ، ولا على ما كتبه غير المتخصصين ، وما أكثرهم في مجال الاديان . ولم يربط المفسرون المتخصصون بين قوله تعالى :

« ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهره ورفعننا لك ذكرك » . وبين

السيرة النبوية ، ابتداء من الحديث عن عبد المطلب وعن عبد الله وآمنة .. مارا بموتهم وكفالة أبى طالب له ، ورعى النبی الغنم لأهل مكة ، ورحلته الى الشام ، وزواجه بالسيدة خديجة رضى الله عنها وأولاده منها ، فلم يخرج في هذا عما جاء في كتب السيرة ، غير أن هناك ثلاث مسائل ينبغي الوقوف عندها لتتضح الحقيقة .

المسألة الأولى :

حادثة شق الصدر :

ذكر المؤلف هذه الحادثة كما وردت في كتب السيرة ، غير أنه ذهب الى أنها أسطورة ، والى أن الدافع الى ظهورها في المجتمع الاسلامى ، هى الآيات الأربع الأولى من سورة الانشراح .

ونحن المسلمين لا نوافقه على أنها أسطورة ، لأن كتب السيرة كلها ذكرتها ، فمن المستبعد أن يجمع كل هؤلاء على الباس أسطورة لباس الحقيقة ، وهم الذين كانوا يدققون ويحققون فيما يروون من أخبار .

في تفسيرهم لهذه الآيات على أن
حادثة شق الصدر ، بل أجمعوا
الله مَن على محمد - صلى الله
عليه وسلم - :

بأنه أزال الحقد من نفسه وأودع
فيها هدى ومعرفة وإيماناً وفضائل
وعلوها وحكما .

وبأنه خلصه من دنس الجاهلية
وفساده في نشأته .

وبأنه خفف عنه ما أثقل ظهره
من أعباء النبوة والرسالة حتى
يقوم بها ويبلغ رسالة ربه .

وبأنه رفع شأنه باختياره
لِلرسالة .

وهي نعم تدل على أن الرعاية
الالهية ستصاحبه .

ولا نجد ربطاً بين هذه الآية
وبين الحادثة الا في كتب لا وزن
لها ، ولا يعتمد عليها في بحث علمي
له قيمة ، وعليه فأى نتيجة تترتب
على الأخذ من مثل هذه الكتب
لا قيمة لها في نظر الباحث
المدقق .

المسألة الثانية :

زواجه بالسيدة خديجة

رضى الله عنها :

فقد روى المؤلف أن السيدة
خديجة سقت أباهاً خمراً حتى
أسكرته لتنتزع منه الموافقة على
زواجها بمحمد بن عبد الله .

وأمانة البحث العلمي تحتم عليه
ألا يقتصر على رواية واحدة فيما
وردت فيه عدة روايات ، فقد جاء
في كتب السيرة :

أن خويلداً (والد السيدة
خديجة) أبرم هذا الزواج وهو
سكران ، فلما أفاق أنكر ذلك ،
ثم رضيه وأمضاه ، وفي ذلك يقول
راجز من أهل مكة :

لا تزهدى خديج في محمد

نجم يضيء كاضاء الفرقد
كما ذكرت رواية أخرى أن
خويلداً كان اذ ذاك قد هلك ، وأن
الذى أنكح خديجة رضى الله عنها
هو عمها عمرو بن أسد ، كما
يقال أيضاً : أن الذى أنكحها هو
أخوها عمرو بن خويلد (١) .

(١) راجع : السيرة النبوية لابن هشام « تحقيق : مصطفى السقا

وآخرين » الطبعة الثانية ١٩٥٥ م ص ١٩٠ .

فليس في الرواية الأولى ما يفيد أن السيدة خديجة رضى الله عنها سقت والدها الخمر لتنتزع منه الموافقة كما ذهب الى ذلك المؤلف ، ومن المحتمل أنه شرب كعادة العرب آنذاك عندما يقام احتفال ، ولا شك أن خطبتها مناسبة تدعو الى الشرب ، فأكثر والدها منه ، الى أن جاءت لحظة الموافقة الروتينية بعد القاء كلمات الخطبة ، كانت الخمر قد أسكرته ، فالموافقة الضمنية سبقت سكره ، وعليه فلا مجال هنا للطعن .

هذا اذا سلمنا بصحة هذه الرواية ، ولكننا اذا التزمنا بمبادئ البحث العلمى لا نستطيع ذلك ، لأن هناك روايتين أخريين ، تدلان على أن خويلدا لم يكن على قيد الحياة ، عندما تزوجت السيدة خديجة محمداً بن عبد الله ، مما يجعلنا نشك في الرواية الأولى . برمتها ، وهذا يسد المنافذ التى يريد أعداء الاسلام المروق منها للطعن بأى كيفية . فان وجدت عندهم الرغبة الصادقة في التزام

قواعد البحث العلمى ، مهما كان نوع النتيجة التى يوصل اليها ، فيجب أن يلزموا الصمت ازاء هذه الحادثة ، فلا يتخذونها مادة للتشهير .

المسألة الثالثة :

أمية محمد صلى الله عليه وسلم : من المسلم به أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وظل كذلك حتى انتقل الى ربه ، غير أن المؤلف ذكر أن بعض المستشرقين المحدثين يرون أنه تعلم القراءة والكتابة ، وهو كبير ، عندما اشتغل بالتجارة ، الا أنه لم يعرف لغة أجنبية ، ومن هنا فقد أخطأ في النقل عن الأديان الأخرى .

هذا ادعاء لا وزن له ، ولولا الخشية من تأثيره على بعض المسلمين الذين لا صلة لهم بالدراسات الاسلامية المتخصصة لأهملناه :

فمن القواعد الأولية في البحث العلمى أن يستند الرأى الى دليل . فأين دليل هؤلاء المستشرقين ؟

حققة علمية ، بل الى تخيلات يظنها الباحث المغرض حقيقة ، بينما هى لا تخرج عن دائرة الأساطير التى سيطرت على مجال البحوث الدينية فى العصور الوسطى •

أما ادعاؤهم بأنه أخطأ فى النقل من المسيحية واليهودية ، فيكفى للرد عليه أن الانسان الذى لم ينل حظا وافرا من الثقافة يستطيع أن يتبين خطأ هذا الادعاء ذلك أن النظام المنقول - فى جميع فروع النشاط الانسانى - لابد أن يحتفظ ببعض صفات المنقول عنه ، مهما عدل فيه وغير ، فأين هى سمات المسيحية واليهودية فى الاسلام ؟ لقد أنفرد الاسلام فى العقائد والشرائع بالأصالة وخالف ما ورد فى الكتب الموجودة عند اليهود والنصارى •

ففيما يتعلق بالاله يقول أحد العلماء الأوربيين :

« الدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا ، أو ما الى ذلك من الاشكال •

ان قالوا : مصادر اسلامية •• فقد افتروا كذبا • اذ لا يوجد البتة مصدر واحد - مهما كانت قيمته ومركزه فى مجال البحث العلمى - يمكن أن نجد فيه أدنى اشارة الى أن محمدا صلى الله عليه وسلم تعلم القراءة والكتابة وهو كبير ، بل العكس هو الثابت ، اذ أجمعت المصادر كلها على أنه ظل أميا طول حياته وأكدت ذلك •

وان قالوا : مصادر غير اسلامية ، فالرد على ذلك من وجهتين :

الأولى : كيف يتيح عالم لنفسه أن يعتمد على مصادر الخصم للوصول الى نتيجة سلبية ، خاصة وأن الخصم غير حيادى ؟

الثانية : لم يذكر المؤلف تلك المصادر التى أعتمد عليها هؤلاء المستشرقون حتى قيمها ، ومن المؤكد أنه لا يوجد مصدر واحد أيد هذا الادعاء ، باستثناء بعض النتائج التى ذكرها أمثال هؤلاء المستشرقون ، اعتمادا على افتراضات ، وهى لا تؤدى الى

أما « الله » في دين الاسلام الذى حدث عنه القرآن ، فلم يجرؤ مصور أو نحاس أن تجرى به ريشته ، أو ينحته أزميله ، ذلك لأن الله لم يخلق على صورته ، وتعالى سبحانه ، فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة ، وهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد لم يكن له كفوا أحد » (١) •

وفيما يتعلق بالعبادة : فمختلفة كل الاختلاف ، فصلاتنا ليست كصلاتهم ، ومناسك حجتنا تختلف عن مناسكهم ، وقواعد زكاتنا لا تتفق مع ما يلتزمون به في هذا المجال ، وصيامنا على النقيض من صيامهم •• فكيف يعقل أن يكون محمد قد نقل عن اليهودية والنصرانية ؟

والصحيح أن يقال : انه صحيح دين الله الذى حرفوه ، وبين شريعتي التى بدلوها وغيروها (٢) •

أما المسيحية فان لفظة « الله » تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال ، فمن تجاعيد بالوجه غائرة ، الى لحية بيضاء مرسله مهملة ، تثير في النفس ذكرى الموت والفناء ، ونسمع القوم يصيحون « ليحيا الله » فلا نرى للغرابة محلا ، ولا نعجب لصيحتهم ، وهم ينظرون الى زمر الأبدية الدائمة ، وقد تمثل أمامهم شيخا هراما قد بلغ أرذل العمر ، فكيف لا يخشون عليه من الهلاك والفناء ؟ وكيف لا يطلبون له الحياة •

كذلك « يا هو » الذى يمثلون به طهارة التوحيد اليهودى ، فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهاكمة ، وكذلك تراه في متحف « الفاتيكان » وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة •

(١) أوربا والاسلام للدكتور عبد الحليم محمود - المكتبة العصرية ص ٧٧

(٢) المزيد من معرفة الأحكام ، التى خالف فيها الاسلام ما جاء في كتب اليهود والنصارى الموجودة بين أيديهم ، أقرأ كتاب : « بين الاسلام والمسيحية » . تحقيق وتعليق الدكتور محمد شامة - الناشر : مكتبة وهبة .

٣ - النبوة :

هياً قيام السيدة خديجة بأعمال التجارة الوقت لمحمد للتفكير في النواحي الدينية ، فهاهنا ما عليه القوم من عبادة الأوثان ، فاتجه الى عبادة الله وحده . وساعده على ذلك بعض العوامل التي وجدت آنذاك ، منها ما كان عليه الحنفاء من انصراف عن الأوثان ، ومحاولة البحث عن الحق ، ومنها ما سمعه من اليهود عن التوحيد عندما كان يزور أقاربه في المدينة .

لم يثبت تاريخياً أن محمداً تردد على المدينة ، بل زارها مرة واحدة وهو ابن ست سنين - في الرحلة التي ماتت فيها أمه وهي في طريق العودة - ولا يعقل أبداً أن يعي طفل في السادسة أمور الدين ،

فضلاً عن أعقد شيء فيه وهو التوحيد ، كذلك لم يثبت أن محمداً كانت له صلة بالحنفاء ، أو كان يجلس اليهم ، إنما الحادثة الوحيدة التي التقى فيها بأحدهم هي : عندما ذهبت به خديجة الى ورقة بن نوفل لتسأله عن ماهية ما حدث له في غار حراء ، ويبدو من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ورقة - عندما قال له ورقة : ليتني حيا اذ يخرجك قومك ! - : « أو مخرجي هم » (١) . أنه لم يكن يعرف شيئاً من سيرة الأنبياء السابقين ، ولم يكن له علم بما حدث لهم من قومهم حين دعوهم الى عبادة الله . وهذا دليل واضح على أنه لم يسمع شيئاً عن هذا إطلاقاً ، لا من اليهود ولا من الحنفاء .

(١) عندما نزل جبريل بالوحي لأول مرة على محمد بن عبد الله في غار حراء ، رجع الى خديجة وأخبرها الخبر ، فانطلقت به الى ورقة ابن نوفل لتسأله عما حدث لمحمد ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الأمة ... ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو مخرجي هم ؟ فأجاب ورقة : نعم لم يأت أحد بمثل ما أوتيت الا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا » .

أن المصروع لا يتذكر شيئاً مما حل به أثناء نوبة الصرع لأن - هكذا يقول المؤلف - حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل ، وقد أثبت ذلك البحث العلمى وأكدته ، ولم يكن ذلك يصيب محمداً أثناء الوحي ، بل كانت تتنبه حواسه المدركة فى تلك الأثناء تنبها لا عهد للناس به ، وكان يتذكر بدقة بالغة ما يتلقاه ، ثم يتلوه بعد ذلك لأصحابه •

وأن الذى تتنبه نوبات الصرع بهذه الكثرة ، تضعف قواه بمرور الأيام ولكن محمداً ظل محتفظاً بها حتى آخر حياته ، مما يدل على أنها لم تكن نوبات صرع •
٤ - مكة تكفر بالدعوة :

لو بدأ محمد دعوته أهل مكة باظهار معجزات حسية لهم ، لكانت معارضتهم له أخف ، ولكنه كان يكرر دائماً أنه بشر ، ويدعوهم الى الايمان بالله وباليوم الآخر ويطالبهم بتحرير العبيد ، وبأن يحسنوا معاملة النساء والأرامل واليتامى ، ثم حرم وأد البنات •

لم يكن جو مكة مساعداً على التأمل والنظر ، اذ كان يسيطر عليه النشاط التجارى الذى دفع الناس الى الجرى وراء السلطة والثروة ، فملت حياتهم بالحق والحسد والثأر ، وتعددت آلهتهم التى نصبوها حول الكعبة ، فوصلت الى أكثر من ثلاثمائة صنم •

ترك محمد هذا الجو وذهب الى غار حراء متأملاً يفكر فى أمر قومه ، ويتمنى أن ينقذهم مما هم فيه من ضلال ، ولم يكن يأمل الا فى ردهم الى دين أبيهم ابراهيم عليه السلام الى أن جاءه الوحي وهو فى الغار ... ثم يسرد تفاصيل نزول الوحي على النبى ، وذهابه الى خديجة خاتماً ، وحديثها مع ورقة بن نوفل ... الخ ... وفى معرض حديثه عن الوحي والقرآن يذكر أن بعض الغربيين يعتقد أن ما كان يصيب محمداً أثناء تلقى الوحي ، ما هو الا نوبات صرع ، ولكن هذا خطأ من الوجهة العلمية ، وذلك :

الوطأة بمحمد وصحبه ، نزل الوحي بأن الله اعترف بينوة ثلاثة من الأصنام كبنات له ، فأدخل ذلك السرور على المسلمين وهذأت ثورة المشركين ضد الدعوة ، ورجع المهاجرون من الحبشة عندما وصلهم النبأ ، ولكن الوحي عاد فصيح ذلك اللبس الذي حدث ويستدل على ذلك بنصوص اسلامية .

قد يقال : ان المؤلف لم يأت بدءا من القول ، فالقصة رويت في كتب اسلامية ، والمستشرقون يولونها اهتماما بالغا ، وعليه فمن الطبيعي أن يردد أوربي لم يدرس الاسلام في معاهد اسلامية مثل هذه القصة ، اذ ليس لديه الروح الاسلامية التي تدفعه الى محاولة تنقية التاريخ الاسلامي مما علق به ، لأن تلك الروح مصدرها المجتمع الاسلامي ، أو العقيدة ، وكلاهما غير موجود في عالم هذا المؤلف ، فهو ليس مسلما ، ولا يعيش في مجتمع اسلامي ، بل يسمع من المستشرقين دون أن

استنكر أهل مكة هذه التعاليم لأنها كانت غريبة عليهم ، فعارضوه واشتدوا في معارضته ... استعرض المؤلف أحداث مقاومة قريش للدعوة ، وتطورها من معارضة فردية الى معارضة جماعية ، تلك التي تمثلت في مقاطعة قريش لبنى هاشم وفي ثنايا سرده للأحداث تناول :

— أخبار من أسلم من وجهاء قريش مثل عمر بن الخطاب وحمزة ابن عبد المطلب .. و .. الخ .. ودفاعهم عنه بجانب الدرع ذي الجناحين الواقين له ، وهما زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها ، وعمه أبو طالب .

— وهجرة المسلمين الى الحبشة .

— وحديث الاسراء والمعراج الى أن وصل الى التجهيز للهجرة الى يثرب . وفي هذا الباب تتوقف عند نقطتين .

الأولى : قصة الغرائق .

يتذكر المؤلف أنه حين اشتدت

« ألكم الذكر وله الأثني ،
تلك اذا قسمة ضيزى » •
فكيف يستقيم المعنى ، لو
أقحم النص المقترى بين تلك
الآيات ؟

لا يستقيم ، لا فى عقل سقيم !!!
الثانية : رحلته الى الطائف :

أرجع المؤلف رفض أهل الطائف
دعوة النبى صلى الله عليه وسلم
الى خوفهم على مصالحهم التجارية ،
فقد كانت تربطهم بأهل مكة
معاملات تجارية ، كانت ستتأثر
لو اتخذت قريش منهم موقفا
عدائيا ان هم أسلموا •

هذه قضية صحيحة الى حد ما ،
وتحدث فى جميع المجتمعات البشرية
فى كل العصور والأزمان ، ولكن
ليس هذا هو السبب الوحيد
لرفضهم الاسلام ، بدليل أنهم
رفضوه بعد أن أسلمت قريش
وسلمت للنبي صلى الله عليه
وسلم ، بل هناك أسباب أخرى ،
منها أن الانسان مثل النبات ،
مربوط فى مجتمعه بعدة جذور
ثقافية واجتماعية وعقدية - وهى

يصحح له أحد ، ويقرأ كتبهم ،
وليس فى متناول يده المراجع
الأخرى التى تصحح هذه المفاهيم
البعيدة عن الصواب •

والموقف يقتضينا أن نذكر ردا
بسيطا ، يقتنع به كل قارى ،
مهما كانت درجة ثقافته ، ألا وهو :
- أن هذه الرواية التى ذكرت

تلك القصة مشكوك فى
صحتها ، واذا تطرق الشك
الى دليل فقد حجته •

زد على ذلك أن المرء اذا قرأ
الآيات التى أوحى بهذه
القصة وهى :

« أفرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الأخرى » ••

ثم أضاف اليها النص الذى
أحدث البلبلة وهو :

« تلك الغرائق العلا ، وان
شفاعتهن لترجى » ••

ما استقام المعنى اطلاقا ،
اذ عقب هذا مباشرة - على
فرض صحة النص - جاء
قوله تعالى :

٥ - الهجرة :

لما أشد ايداء قريش للنبي صلى الله عليه وسلم جاءه الفرج من ناحية المدينة ، فقد استمع اليه نفر من أهلها أثناء موسم الحج ، فآمنوا به ، وكانوا رسل الدعوة الى مدينتهم .. ثم حدثت بيعة العقبة الأولى والثانية التي اتخذ فيها قرار الهجرة ، ويمضى المؤلف في حديثه عن الهجرة ، فيذكر أن « التكتيك » السليم المحكم ، هو الذي أنقذ محمداً من أهل مكة الذين خرجوا يتعقبونه ، ومن مراحل هذا « التكتيك » لجوؤه الى غار يقع على عكس طريق المدينة ، ثم يتحدث عن لقاء أهل المدينة له ، وحرص كل واحد أن يستضيفه ، فكان قراره الحكيم ، وهو أن تترك الناقة وشأنها فحيث تبرك يحط رحاله .. وقد قرر عمر بن الخطاب بعد سبعة عشر عاماً من الهجرة اتخاذها بداية التاريخ العربي .

لم يذكر المؤلف المعجزات التي وقعت أثناء الهجرة ، من نسج

المصطلح على تسميتها بالعادات والتقاليد - وعند التحول في أي ميدان من ميادين الحياة - الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية - لا يكون الأفراد متساوين في القدرة على تقطيع هذه الجنور ليتحولوا الى الاتجاه الجديد ، فبعضهم يستطيع التخلص منها بسرعة ، والبعض الآخر يبطئ .. الى أن يصل الأمر الى اكراه بعض الأفراد على التحول (قد تكون وسيلة الاكراه معنوية ، وذلك عندما يجد المرء نفسه هو الوحيد - أو مع قلة قليلة - المتمسك بالقديم) ، وموقف العرب من الاسلام لم يخرج عن هذه القاعدة ، تباطأ أهل مكة والطائف في التخلص من العقائد البالية ، بينما أسرع أهل يثرب بالتحول الى الدين الجديد ، وهذا هو ما يعبر عنه قوله تعالى :

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء » .

العنكبوت وتعشيش اليمامة على باب الغار ، وما كان من أمر سراقه ، وخبر أم معبد ، وغير ذلك من الأخبار التي وردت في كتب السيرة ، ومن المستبعد عدم اطلاعه على هذه الأخبار ، وهو الذى سرد في كتابه أخبارا تنبىء عن المامه بما جاء في كتب السيرة كلها ، وعليه فمن المؤكد أنه أغفلها عمدا ، ولا يعد هذا نقصا أو تقليلا من قيمة البحث ، لأن العقل الأوربى فى العصر الحديث لا يتقبل بسهولة أحداثا لا يعرف أسبابها المادية ، — والمعجزات من هذا النوع — لذلك آثر المؤلف أن يتجنبها حتى يصل الى هدفه ، وهو تعريف القارئ الأوربى بالاسلام ، دون أن يفقد اهتمامه بما يعرض عليه ودون أن يفقد ثقته •

وهذا أسلوب ينبغى على الدعاة أن يلتزموا به ، اذا خاطبوا المجتمعات الواقعة تحت تأثير التيارات المادية •

كذلك ينبغى عليهم أن يثبتوا لغير المسلمين — وللمسلمين أيضا

فى بعض المواقف — أن الاسلام دين مبادئ وقيم لا ترتبط بالاشخاص ، ولو كان النبى نفسه ، وقد فهم ذلك المسلمون الأوائل ، فربطوا التاريخ بحادثة تتعلق بأمر الدعوة لا بشخص النبى ، فلم يجعلوا ميلاده بداية للتاريخ كما حدث فى الأديان الأخرى ، بل أخذوا بدايته هجرة الدعوة من المدينة ، التى اضطهدت فيها الى مدينة أخرى فتحت لها ذراعيها ، وأحاطتها بالرعاية والحنان ، ودافعت عنها بالروح والمال •

٦ — النبى فى المدينة :

وصف المؤلف موقع المدينة الجغرافى ، وطبيعة أرضها وغلاتها ، ثم تناول تركيب المجتمع ، فذكر أنه كان يتألف من قبيلتين عربيتين كبيرتين ، هما الأوس والخزرج — وكاتتا فى صراع دائم — يحوط بهما ثلاث مجموعات يهودية هى : بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع •

أراد النبى أن يجمع شتات هذه المجموعات المتنافرة ، فدعا الى

بين المسلمين والكافرين عاما بعد عام ، فنشأ في المجتمع الاسلامي مجموعة آمنت بالاسلام في الظاهر وكفرت به في الباطن ، وهم الذين أطلق عليهم « المنافقون » •• ثم حلل سلوكهم في المجتمع ودسائسهم وميلهم الى أهل مكة ، كما ذكر أن الأيام أظهرت أن طبيعة علاقة اليهود بالمسلمين لم تختلف عن طبيعة المنافقين ، اذ كانوا يتحينون الفرصة للنيل من الاسلام ، وفصل القول في الصراع الذي اندفع بينهم وبين المسلمين - ذلك الصراع الذي أدى الى قتل البعض وطرد الآخرين من الجزيرة العربية •

سرد المؤلف ما حدث بعد الهجرة من تشريعات ، وغزوات كما جاءت في كتب السيرة ، الا أنه أخطأ في بعض تحليلاته ، وسنبين رأيه فيها ثم نرد عليه :

أ - تحويل القبلة :

يرى المؤلف أن اليهود عندما قلبوا ظهر المجن لمحمد ، فاتهموه ، وأنكروا نبوته ، تحول محمد عن

عقد حلف دفاعي عن المدينة ، يدخل فيه الجميع بما في ذلك اليهود ، ولم يجبر أحدا على الدخول في الاسلام بمقتضى الدخول في هذا الحلف الدفاعي ، بل حرم على اليهود ألا يبدؤوا بشن حرب على أحد من تلقاء أنفسهم ، وانما يساعدون فقط في الدفاع عن المدينة ، ومن المسلم به أنه لم يكن يسمح لأحد بأن يعقد حلفا مع أهل مكة •

اختفت الطبقة في المجتمع الاسلامي الجديد ، لأن الاسلام آخى بينهم ومحا كل تفاضل قائم على العرق أو النسب أو الوضع الاجتماعي كما تلاشت غريزة الأخذ بالثأر من نفوس العرب في المدينة ، وحلت محلها غريزة الدفاع ضد من يحاربون الدعوة • وكان التسامح هو طابع العلاقات بين سكان المدينة ، وهو من الانجازات الضخمة التي يحق للاسلام أن يفخر بها على مر العصور •

ازدادت قوة الاسلام بعد معركة بدر ، كما اتسعت هوة الشقاق

سياسته الرامية الى التقرب منهم ،
فحول القبلة من بيت المقدس الى
الكعبة •

يخطيء من يعتقد أن الله فرض
التوجه الى بيت المقدس في الصلاة
ثم حول القبلة الى الكعبة في مكة ،
ذلك أن التوجه الى بيت المقدس
لم يكن سوى اجتهاد من النبي
صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يكن
أمامه سوى الكعبة وبيت المقدس ،
والكعبة تحيط بها الاصنام ،
ويقوم المشركون حولها طقوس
عبادتهم ، فاختر بيت المقدس
قبلة ، لأنه لا زالت له صلة - وان
كانت واهية - بمنبع التوحيد ،
ثم جاء الوحي مبلغا أن الكعبة -
رغم ما حولها - هي قبلة المسلمين ،
لأن الله علم أنها ستتطهر من هذا
الرجس عما قريب •

وعليه فلم يغير محمد القبلة ،
لأنه وقع في نزاع مع اليهود - كما
يدعى المستشرقون - ولم ينسخ
فريضة التوجه الى بيت المقدس
بتحويل القبلة الى مكة كما يفهم
ذلك بعض المسلمين •

ب - صيام رمضان :

كذلك حول الصيام من أيام
متفرقة الى فرض صيام شهر رمضان
مخالفا بذلك اليهود •

والرد عليه في هذه النقطة
لا يختلف عن جوهر الرد في النقطة
السابقة ، فالصيام كان اجتهادا ،
ثم فرض صوم رمضان ، ولا يعد
هذا مطعنا على الاسلام ، لأن
الفروض لم ينزل بها الوحي دفعة
واحدة ، فكان من عادة النبي صلى
الله عليه وسلم أن يجتهد فيما لم
ينزل فيه وحي ، فاذا جاء الوحي
جب كل اجتهاد سبقه •

ج - غزوة بنى قريظة :

زعم المؤلف أن تسامح محمد
مع اليهود تحول الى ثورة عليهم
أدت الى قتل رجالهم واتخاذ
نسائهم وأطفالهم عبيدا •

يركز المستشرقون على غزوة
بنى قريظة •• ويتخذون من
أحداثها مادة للهجوم على الاسلام ،
وأحب أن أسألهم - ومن يدور في
فلكهم - هذه الأسئلة :

لو تدبرتم الأمر فنظرتهم الى
المسألة دون تحيز ، لأدركتم أن
ما حدث في غزوة بنى قريظة ، هو
اجراء لازم تتخذه كل دولة تجد
نفسها في مثل هذه الظروف ،
ولا يوجه اليها النقد الا من
المعرضين أو الغافلين •

د - التعرض لغير أبى سفيان :

أدعى المؤلف أن المدينة أصيبت
بمجاعة نتيجة لهجرة ٢٠٠ أسرة
اليها ، فاضطر ذلك محمدا الى
اتخاذ اجراء للخروج من هذا
المأزق ، فوجه المسلمين الى التعرض
لقافلة قريش التي كان يقودها
أبو سفيان •

هذا الادعاء باطل من أساسه ،
لأن المدينة كانت غنية بخيراتها ،
فلم تحدثنا كتب السيرة بحدوث
مثل هذه المجاعة •

- فمن أين أستقى المؤلف هذه
المعلومات ••؟

لا شك أنها أستنتاج من
تصورات خيالية في ذهن
المستشرقين •• ذلك التصور خيل

- كيف يتصرف مسئول في أرقى
دولة حضارية ، لو ثبت أن
مجموعة من الطوائف التي
يتكون منها شعبه تأمرت مع
العدو للقضاء على جيش
الدولة وكيانها بأكمله ؟

- وماذا فعل الحلفاء - في العصر
الحديث ، الذى يتغنون فيه
برعاية حقوق الانسان -
بمجرمى الحرب في محاكمة
« نورنبرج » ؟

قد يقال انهم ارتكبوا جرائم
قتل جماعية •• فاقصص منهم !!
فهل اقتصص المجتمع الدولى من
قتل المسالمين - حتى الاطفال
والنساء - في دير ياسين ؟

ان ما حدث في غزوة بنى
قريظة لم يكن سوى حكم محكمة ،
اختار المتهمون فيها قاضيه ،
فحكم عليهم بما يجب أن يكون ،
ولا تختلف هذه المحاكمة عن
محاكمة « نورنبرج » بل تفضلها
في أن المتهمين هم الذين أختاروا
القاضى ، أما في « نورنبرج » فكان
الحكم فيها هو الخصم •

الا أولئك الذين تشدهم عاداتهم
وتقاليدهم الى طريق العداوة
للاسلام ، حيث يكون هدفهم
الهجوم عليه والكيد له •

ختم المؤلف هذا الباب بالحديث
عن عمرة القضاء •• فذكر أن مظاهر
التقوى التى بدت على وجوه
المسلمين ، والتزامهم النظام ، أثر
على سكان مكة تأثيرا نفسيا كبيرا ،
فأدركوا القوة الروحية والفكرية
للتعاليم الجديدة ، كما لمسوا
مدى القوة التى تنبع منها • وعلى
اثرها - أى عمرة القضاء - دخل
عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد
فى الاسلام وصارا من أكبر قواد
المسلمين •

٧ - الخاتمة :

لم تلتزم قريش بمعاهدة الصلح
التي عقدتها مع النبى ، فجهز جيشا
ضخما لفتح مكة •• ويمضى المؤلف
فى سرده لأحداث غزوة الفتح ،
ويركز على العفو العام الذى منحه
النبى لأهل مكة بعد أن أصبحوا
فى يديه يتصرف فيهم كيف يشاء ،
دون معارضة ، وهنا تغلب عليه

لهم أن التعرض للقافلة - هو
للاستيلاء عليها - والدافع اليه
هو احتياج أهل المدينة لما
تحمله ••• و ••• الخ •••
وليس هذا هو أسلوب البحث
العلمى ، الذى يجب أن يقوم على
حقائق ، وليس على افتراضات
متخيلة ، زد على ذلك أن القرآن
الكريم قد بين أن الغرض من
التعرض للغير ليس للاستيلاء
عليها ، بل الهدف منه هو احقاق
الحق ، أى كسب اعتراف « دولى »
بشرعية الدعوة ، كى لا يتعرض
لها أهل مكة ، لأن ادراكهم للخطر
الذى تتعرض له قوافلهم سوف
يدفعهم الى المصالحة والتخلى عن
الوقوف فى طريق الدعاة •• ومن
يقرأ قوله تعالى :

« واذ يעדكم الله احدى الطائفتين
أنها لكم وتودون أن غير ذات
الشوكة تكون لكم ويريد الله أن
يحق الحق بكلماته ويقطع دابر
الكافرين ، ليحق الحق ويبطل
الباطل ولو كره المجرمون » •

يدرك هذا المعنى •• اللهم

نص فى سورة الحجرات على أن
أفضل الناس عند الله أتقاهم •
« ان أكرمكم عند الله أتقاكم » •

لكن المسلمين سرعان ما نسوا
هذه الوصية بعد موت محمد
(صلى الله عليه وسلم) ، اذ
عادت العنصرية القبلية تطل
برأسها ، وكانت سببا فى انهيار
الدولة العربية •

دكتور : محمد شامه

جانب الصفع فعفا عنهم ، ثم يتحدث
عن الأحداث التى تلت غزوة الفتح
حتى جاءتة المنية ، ففارق أصحابه
دون أن يعين خليفة له •

وعن الدولة الاسلامية يقول :

« لم يعرف المسلمون فى الصدر
الأول الفصل بين الدين والدولة
وكانت المساواة بين الجميع فى
الدولة الاسلامية سدا يمنع
المشاحنات واراقة الدماء ، فقد

« كلمات لأمرء المؤمنين »

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله عدى بن أرتاه :
أما بعد : فقد أمكنتك القدرة على المخلوق ، فاذا ذكر قدرة الخالق
عليك ، وأعلم أن ما لك عند الله مثل ما للرعية عندك .
وقال المنصور لولده المهدي ، وقد تولى الخلافة بعده :
لا ترم أمرا حتى تفكر فيه ، فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته
وسيئاته ، وأعلم أن الخليفة لا يصلحه الا التقوى ، والسلطان
لا يصلحه الا الطاعة ، والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس
بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من
هو دونه .

رجولة المسلم.. والحرية

الدكتور ابراهيم أبو الخشب

من الضخامة والفخامة • والتقدير والاحترام ، والمهابة والاجلال ، اذ يكون الحديث عنه ، أو الخطاب له ، مقترنا بكلمة رجل ، يجيء بها محوطة بهالة من أوصاف الكمال الانساني الذي يتناسب مع ما تنشده الأوساط المهيبة المؤدية والجماعات التي نضج فيها الوعي الحضاري ، ونما فيها الذوق العام ، وتقدمت لديها الادراكات والأحاسيس • والشعور والوجدان ، وأصبحت تنكر ما هو خارج عن ذلك كله ، من سمات الانحدار ، وخلال الاسفاف • وأوصاف التهافت ، والنزول الى مستوى السوق من الناس ، فهو يقول مثلا « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » ،

كلمة رجل من الكلمات الضخمة التي يكون لها طينتها ورنينها حينما تجرى على الألسنة أو تدور عليها رحي الحديث ، الا أن اختلاف وجهة النظر تجعلها أشبه بما يطلق عليه عند علماء المنطق لأ من مقولة التشكيك « لأنها تختلف باختلاف الأوساط والبيئات ، فهي عند اللصوص وقطاع الطريق بمعنى غير هذا المعنى الذي يقصد اليه سواهم من الناس • وان كانت اللغة لا تعنى به الا أنه مقابل المرأة • وربما جعلت الذي يقطع المسافة في الطريق ماشيا على قدميه راجلا • وفي القرآن الكريم « فرجالا أو ركبانا » وقد رأينا الأسلوب الذي جرى عليه كتاب الله سبحانه وتعالى اذا أراد أن يخلع على الذكر من بنى آدم لباسا

ويعطى بهذا النص للرجل وساما من الكبرياء والعظمة ، والاعتزاز والفخر ، والارتفاع به الى مستوى من التعالى والخيلاء ، يجعله فى مكانة من الفضل . اذا نظرت اليها المرأة ازداد اعجابها به ، وجبها له ، واطمئنتها الى أنها قد ظفرت بانسان تطول هامتها حين تتحدث زميلاتها عن أزواجهن ، لأن الله سبحانه وتعالى الذى جملة بالعقل ، وكملة بالرأى ، وخصه بجعل الزمام فى يده ، أسعفه بالمال الذى يلبيه عند الحاجة ، والثروة التى ينفق منها عند الطلب ، فلا ينالها امتهان ، ولا يطاردها فقر ، ولا يرغم أنفها خصاصة ، والرجل هو هذا الذى يكذب ويجد . ويعمل ويسعى . ويتحمل المتاعب ، ويلقى الهوان ليوفر لامرأته السعادة كلها ، ولا يستحق شيئا من هذا العنوان اذا قصر فى وظيفته ، أو تخلى عن واجبه ، وهكذا كان قوله جل وعلا « الرجال قوامون على النساء » ، ويقول فى موضع آخر « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا

الله عليه » فيحيط هذه الرجولة بوصفين من أجل ما تكون الأوصاف ، وأحسن ما تكون النعوت ، وأنبل ما تكون الخلال أو الخصال ، الايمان وصدق العهد ، وهل يملأ انسان ثيابه اعتزازا بانسانيته ، وفخرا بأدميته ، وتعالى بنفسه ، وثقة بمكانه الذى يتحيزه فى البيئة التى يعيش فيها ، أكثر من كونه مؤمنا صادق العهد ، وهما المعنيان اللذان يجعلانه واقفا على أرض صلبة لا تهتز تحت قدميه ، ولا تدور به ، ولا تشيع فى قلبه الشك فى جدارته بالحياة ، واستحقاقه للعيش ، وكمايته للآدمية الكريمة . وفى نصاب الشهادة يجعل الدين الحنيف الواحد من الذكور عدل امرأتين اثنتين فيقول : « فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » وهو تقدير له ، واعتراف بأن خصائصه ومزاياه تسلط عليه الأضواء ، وتبرز به فى ميدان الاعتبار والاحترام ، ولا يدور بخلد أحد أن الرجولة هى الرجولة فى الدين وفى غيره لأن

اللغة لا تفرق بين الذكر من بنى آدم في حالاته المتنوعة ، أو أوقاته المتباينة ، وانما هو رجل في قواميسها ومعاجمها سواء اشرأت اليه الأعناق ، وأكبرته النفوس . ولهجت بذكره الألسنة ، أم كان من هؤلاء الذين تختنق بهم الأجواء ، وتلفظهم الأمكنة ، وتتبرأ منهم الانسانية . ولا تطمئن بهم الأرض . . . وربما كان هذا صادقا الى حد ما لو أننا كنا نبحت الكلمة أو ندور معها عند اللغويين . أما وهى « رجولة المسلم » فان لها اعتبارا آخر من غير شك ، لأن الاسلام هذب الألفاظ ، وخصص المعانى ، وجاء للناس بمفاهيم جديدة أضافها الى الحقائق ، وأدخلها على الأشياء ، وحينما كانت الجاهلية ترى الرجولة فى العضلات المفتولة ، والسواعد القوية ، واقتحام الغارات ، والانتصار فى الحروب ، والفتك كل الفتك بالأعداء ، كان لها عذرها فى ذلك ، وكان احاطتها للرجولة بتلك المواصفات مقبول على العين والرأس . لأنهم كانوا يباهون

بالشجاعة والاقدام . وسفك الدماء وازهاق الأرواح . ومناعة الكلاء ، وحماية الوحوش ، فاذا استرعى فى أرضهم دخيل ، أو اصطاد من صحرائهم غريب ، عدوا ذلك كله تطاولا عليهم ، واستباحة لذارهم ، والويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بذلك ، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم بدينه الذى جاء به ، وكتابه الذى جعله فى يمينه ، كانت الرجولة عنده طرازا آخر يتنافى مع حياة الأدغال والوحوش ، والعدوان الظالم ، والاعتصاب القبيح . والفتك المرذول ، وتجاوز الحدود تجاوزا يخرج بصاحبه عن حدود اللياقة والذوق ، ولهذا كان فى استقبالهم له مشوبا بالاحترام والاجلال ، ولم يشكو بعضا من الشك فى أنه مصلح اجتماعى من نسق لم يدر الا فى خيال الشعراء وأوهام الفلاسفة . ومن ذا الذى ينكر عليه تلك الوقفة النبيلة ، والصيحة الكريمة ، والدعوة المثلى ، وهنا ينادى هذه الأمة ذلك النداء العظيم الذى يضعها فى قمة الانسانية من الصواب

والحق ، والانصاف والعدل ،
والاعتدال فى رأى ، والتزام
الجادة الصحيحة فى المعاملة
» كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على أنفسكم أو الوالدين
والأقربين « والرجولة تعتمد على
الحق • وتقوى فى أجواء العدالة ،
وبيئات الانصاف ، والله جل جلاله
خلق السماوات والأرض بالحق ،
وجعل عمارة الدنيا بالحق ، وسمى
نفسه الحق ، وليس هنالك مكرمة
من المكارم للرجولة اليها انتساب •
الا وأنت واجد الحق عمادها
الذى تعتمد عليه • وعمر
ابن الخطاب رضى الله عنه ، وهو
أبرز مثل للرجولة فى الاسلام لم
يكن فى سلوكه اسفاف • ولا فى
تصرفه هوى • ولا فى خلقه
ضعف ، ولا فى حكومته جنف ،
ولا فى سياسته التسواء ، ولا فى
معاملته ما ينفر الناس منه •
وربما كانت اللغة تطلق كلمة
الفسولة على ما يقابل الرجولة ،
لأنها تجمع فى ثناياها اللؤم والخسة
• وخصال الشر كله ، فعادم
الشرف ، وفاقد المروءة ، وناقض

الذوق ، وبليد الحس ، وخائن
العهد ، وملوث العرض ، لا يمكن
أن يكون رجلا • الا اذا تبذلت
الأوضاع • واتكست المعايير ،
وفسد المنطق ، وخربت الذمم ،
وأصبح الناس يخافون سلطان
الباطل • وكلمة انسان تقوم
مقام كلمة رجل فى بعض الأوقات
الا أن الفرق بينهما دقيق ، لأن
الانسانية رقيقة على طول الخط •
لا تسلك سبيل الجفوة ، ولا تنحو
متحى الشدة • ولا تستعين
بموط الجلاذ أبدا ، وانما هى
رحمة كلها حتى مع الخصوم الدين
يحاربون دعوتها • أو ينقمون
عليها ، وليست كذلك الرجولة
التي قد تأخذ بالشدة ، وتلتجئ
الى العنف ، وتجعل فى احدى
يديها العصا ، لأنها قد تقف موقف
المؤدب أو المربي ، وعلى كل حال
لم تكن الرجولة فى وقت من
الأوقات ناعمة نعومة الحرير
وأصحابها قد يحملون أنفسهم على
المكروه ، ويأخذون طباعهم بالعنف ،
ويلزمون جوارحهم بالشدة ،
ويتحملون فى سبيل مبادئهم

الأذى ، وهى معاناة وجهاد على طول الخط ، ونسبها بعد هذا وهذا يلتقى مع الانسانية ويمتزج بها امتزاج الدم بهيكل الانسان ، والرجل الحق أو الرجل كل الرجل هو هذا الذى يضيف الى رجولته انسانية حلوة يحتل بها نفوس الأخيار الذين تفيض ألسنتهم بالدعاء له ، والثناء عليه ، لأن الرجولة أقصى ما تناله من المعاصرين اعجاب وتقدير ، واجلال واحترام ، لكن الانسانية معنى آخر يشبه المعانى الملائكية التى تطفئ فيها الروح على العقل ، ويسيطر فيها الوجدان على الفكر ، وقد يعجب الانسان اعجاب اكبار وتقدير لشيء يبعثه أو يكرهه ، ولكنه لا يدعو أو يتمنى التمنيات الطيبة الا للشيء الذى يطفئ فيه الجانب الانسانى على ماعداه وهذا هو فرق ما بين الرجولة والانسانية •

الحرية

الحر : هو الذى لا يكون مملوكا لأحد ، ويقابله العبد وهو الذى يكون مملوكا لسيد يتصرف فيه

بالبائع والشراء والهبة والوصية والرهن ، وما شاكل ذلك من أنواع المعاملات التى يملكها صاحب السلعة المنقولة أو غير المنقولة • ومن معانى الحر - كذلك - الخالص الذى لم يدخل فى حقيقة تكوينه • أو عناصر تركيبه ، عنصر أجنبى غير عنصره الأصلى •• ولعل كلمة حر فى الانسان - فى بادئ الأمر - كانت تعنى ما فى داخله من الطاقة الحرارية التى تحمله على أن يثور على الأوضاع الباطلة ، والأمور الشاذة ، وكل ما يتنافى مع ما تتطلبه الآدمية من الكرامة والعزة ، والاباء والشمم ، وعدم الاستجابة الى ما من شأنه أن ينزل به عن المستوى اللائق بالانسان الذى يتطلع الى أن يأخذ مكانه فى الوجود على قدم المساواة مع غيره من أبناء آدم وبنات حواء دون ما شئ من العنف أو الشدة ، وعلى هذا يظهر جليا معنى الكلمة ، وتتضح قيمتها فى موازين الألفاظ ذات الاعتبار والتقدير ، وصراع البشرية فى كثير من الأزمنة والأمكنة قديكون السبب الباعث

عليه • أو المحرك له ، هو طلب الحرية للذين يفقدونها ، أو الدفاع عنها ، والقتال دونها عند من يجدونها أو الذين حصلوا عليها ، وذاقوا حلاوتها ، وربما رأينا ذلك المعنى نفسه - معنى الطلب أو الدفاع - في الحيوانات الأخرى التى تقاوم الضغط ، وتشور لتحديد الإقامة ، ونصرخ اذا أعوزتها الحيلة فى فك قيودها ، وتحطيم أغلالها ، وتهئية الجو الطليق الذى تنشده • والانسان الأول الذى كان يعيش فى الأدغال والأحراش مع الحيوانات لم تكن تقيده قيود فى حله وترحاله ، أو صحوه ونومه • فلما تطور به العيش ، وتقدمت به الحياة • وطغى سعار الأنانية ، كان لا بد من تهذيب هذا الانطلاق الأهوج ، والتحلل الطائش ، وهنالك وقعت فى وجهه القوانين ، وحدثت من نزواته الدساتير ، وهذبت طموحه الشرائع ، وقومت عوجة النظم ، الا أنها - مع هذا كله - لم تبلغ درجة تسلب فيها اختياره ، وتقضى على ارادته ، وتجعله سلعة فى

رأس مال أجنبى ، أو تفوذ طارئ ، أو سلطان مفروض ، أو قدرة تسيطر على قدرته ، وتهدر حقوق آدميته • • • وأنت ترى اذا نظرت الى هذا النزوع فى الحيوان أو الانسان أن هذا المعنى فطرى - لا محالة - يميل اليه الطبع ، ويهفو اليه دائما أبدا الاستعداد ، ولهذا فان مهمة الشرائع أو القوانين بالنسبة اليه لم تكن أكثر من التهذيب أو التوجيه حتى لا تكون هذه الحرية مغتصبة من الغير ، أو طغيانا على حقوق الآخرين ، ولا بد أن يعلم من ينشدون الحرية ، ويقطعون من أجلها المسيرة الطويلة ، أو يتحملون الجهد الشاق ، أنها تشبه السيف فى يد الجندى فى الميدان الذى لا يحمله اعتباطا ، وانما يكون ذلك بعد أن يتعلم كيف يستطيع أن ينال به مقاتل عدوه ، ويذود عن حياض أوطانه ، ويكسب به لنفسه ثم لأمته شرف الجندية الكريمة التى تجعله لبنة طيبة فى بناء مجد شامخ لهذا الشعب العظيم الذى

ينتسب اليه ، وتعلم الأمة أبناءها
مختلف أنواع العلوم الصناعية
والزراعية والسياسية والاجتماعية
والاقتصادية لتكون تلك الحرية في
أيديهم سلاحا يذودون به شرور
الغاصب ، ومطامع المستعمر ،
وكيد الأجنبي .. ونرى الآباء
لا يمنحون هذا الحق لأبنائهم وهم
في سن الطفولة ، وغرارة الصبا ،
وطيش المراهقة ، فاذا ما شبوا عن
الطوق ، وأطمأنوا الى رشدهم .
وأنسوا الى تمام وعيهم وادراكهم
.. وحسن تصرفهم منحوم
اياها في ثقة وأمل ، وارتياح
ورغبة ، طامعين في أن يكون لهم
من نضوج العقل ، واكتمال السن ،
وكثرة التجارب ، شفيح الى هذا
الصنيع معهم ، أو باعث على المنهج
السليم ، والقصد الصحيح ، ولقد
عرف العربي دون غيره من شعوب
العالم بتطلعه للحرية ، وطلبه لها ،
ورغبته فيها ، وجهاده من أجلها ،
واراقته الدماء في سبيل الوصول
اليها .. والرق الذي جاء الاسلام
فوجده هنالك كان طارئا من البلاد
المجاورة لهم الداخلة في نفوذ

الفرس أو الرومان . ولهذا لم
يلبث أن قضى عليه ، وقاومه
بالأساليب المختلفة ، ولعل في كلمة
عمر بن الخطاب - المشهورة -
« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم
أمهاتهم أحرارا » ما يؤيد ذلك ..
واذا كان النحل ضروريا للعسل
يحرسه من العدوان ، ويذود عنه
الشر . ويدفع الواغل ، ويرد
المغير ، فان الحرية تحتاج الى من
يحرسها من قوى الشر ، وعصاة
السوء ، لأنها لا تعطى عفوا ،
أو تمنح اعتباطا ، أو تبذل بذلا
رخيصا ، وانما هي للمكافحين
المجاهدين الذين يضعون أرواحهم
على أيديهم . ولذا فقد اشتهر
على الألسنة قولهم « الحرية
الحمراء » كناية عن كونها لا تتحقق
الا للذين جاهدوا لها ، وكافحوا
من أجلها ، وكأن ذلك للدم الذي
أريق في سبيلها ، وسفك للحصول
عليها ، وأية أمة من الأمم لا تزعم
نفسها ولا للناس أنها وقد حصلت
عليها او تفيأت ظلالها ، كانت
نسبتها المئوية منها مئة في المئة ،
وانما هي الى جانب ما تنعم به منها

تعانى - كذلك - كبتا وضغطا
وتحديدا للحركة والسكون
أو القول والفعل ، ومن المسلم به
أن الاسلام الذى رفع لواءها ،
وأعلى منارتها ، وغالى بقيمتها قد
ضيق نطاقها فى بعض الأحوال ،
وجعل الأفراد مقيدى بما ألزمهم به
من التكاليف ، وربطهم به من
الأوامر والنواهي . والرجل
لا يسرف فى ماله ولا ببذره ،
ولا يوصى منه بما يزيد على
الثلث ، ثم هو ينحى عن التصرف
فيه ان كان غير رشيد ، بل ان
الأكثر من ذلك كله أن رجال
القانون يقولون : ان الملكية وظيفة
لا حق ويرتبون على ذلك أن
صاحب المال اذا لم يحركه على
وجه يفيد المجتمع ، ويعود عليه
بالمغانم ، يعزل عنه ، ومثل ذلك
الأرض الزراعية اذا تعطلت عن
الاستغلال ، ووقفت عن العطاء ،
وليس بحد هذا القول موضع
لشك فى أننا - كما يقول علماء
العقيدة - مجبورون باطنا وان
كنا مختارين ظاهرا ، وعلى ذلك
فنحن ننتهى من هذا الحديث

الذى قدمناه الى الاعتراف بأن
الانسان حر من عبوديته للناس ،
وربما كان غير حر لأنه يرسف فى
قيود وأغلال تحد من تصرفه
وسلوكه ، وقوله وفعله ، وما ينال
الفرد أو الجماعة من الضرر والأذى
الناجمين عنه أو الحاصلين منه . .
ومن هنا كان لابد من أن نقول ان
الحرية تحتاج من الذين يتطلعون
اليها ، ويحاولون الحصول عليها ،
الى تربية خاصة . تقوم على ثقافة
وعلم ، ورأى وفكر ، وأدب وذوق
. . وادراك ووعى ، يجعلهم أهلا
لها ، وهى كالسيف الذى لا يكفى
له أن يكون ماضيا صقيلا ما لم
تكن اليد التى تقبض عليه قوية ،
والعين التى ترسله ذات بصر
حصيف يصرفه فى مقاتل العدو ،
والا فهو قطعة من الحديد ،
يعلوها الصدأ ، وتقترحه الأعين ،
وتدوسه الأقدام . . . والطفل الذى
يربيه والده ، أو يرعاه أستاذه ،
لا يمكن أن تبذل له الحرية جزافا ،
أو تمنح له عن سخاء وأريحية ،
دون أن يسبق ذلك ضغط وقسر .
وحرمان ومنع . حتى اذا ما أطمأن

أهله أنه شب عن الطوق • وآنسوا
 منه الرشد ، وتجاوز سن الرعاية
 والحيطة ، أجازوا له أن يتصرف ،
 وأذنوا له في الانطلاق من القيود
 والأغلال ، وجعلوه في عداد الرجال
 الذين ارتفعت عنهم الوصاية ...
 والثورات التي تقوم على ظلم
 وطفغان • واستعمار واستغلال •
 وما يشبه ذلك من العبودية
 والعسف ، والقهر والسيطرة ،
 لا تمكن للحرية كل التمكن ،
 الا بعد أن تجتاز مرحلة من الحكم
 الاستبدادى ، تخضع به الفوضى
 وتكبح به جماح الطيش •
 وتساعدنا على أن تقلم أظافر
 العدو ، وحينئذ تبني الجيش ،
 وتصحح الأوضاع ، وتقف على

الأرض الصلبة التي لا تميد بها ،
 أو تنزل من تحت أقدامها ،
 ثم ترخى بعد ذلك كله في العنان
 بقدر ما ، من غير أن يكون في ذلك
 ضرر ولا ضرار ، وربما أعطى
 انسان نصيبه منها وحرم آخر
 اقتضت المصلحة العامة حرمانه •
 وكثيرا ما أشفق العقلاء والفلاسفة
 على هؤلاء الذين ينادون بالحرية •
 أو يتحدثون عنها أن ينسيهم
 بريق الكلمة ما وراء ذلك من خطر
 سوء الاستعمال ، أو اعطائها لغير
 أهلها ، فان الخير لا يكون خيرا
 الا اذا أعطى للذى يستحقه ،
 ويحسن التصرف فيه ،
 والانتفاع به •

د • ابراهيم على أبو الخشب

من قضاة الاسلام

أبو عبد الله بن الأزرق

الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد

وكتب التراجم التي بين أيدينا لا تعيننا على القاء الضوء على تلك الأسرة بيد أن هذه الأسرة بغير شك تغاير أسرة الأزرق التي أشتهرت في المشرق بالدراية بعلم الحديث وأخبار التاريخ فلم يثبت لدينا انتقال أى أفرادها الى الأندلس أو المغرب • ويبدو لنا أن الأزرق لصفة جسدية فيه أو في أحد أصوله •

* استظهر ابن الأزرق ، منذ الصغر القرآن الكريم ووعى تفسيره وخاصة تفسير الامام ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤ هـ) الذى يعد من أطيب التفاسير وأكثرها اشارة الى ما ينقله مؤلفه من مصادر ، واعتمادا على البيان القرآنى بالقرآن وصحيح السنة والتعويل على رأى أهل السلف ،

صنع الاسلام قضاة أضاءوا بعدلهم المشرق والمغرب بل الدنيا كلها ، واسهموا بعلم ينتفع به من بعدهم ، ومنهم من نال الذكر في حياته وبعد مماته ، ومنهم من طوى الموت ذكره الى أن شاء الله أن يظهر بعض تراثه فبان مكانه من الدين الدنيا ، من هؤلاء : الامام أبو عبد الله بن الأزرق •
معالم حياته :

* ولد أبو عبد الله بن الأزرق « وكامل اسمه محمد بن على بن محمد بن على بن قاسم بن الأزرق الأصبهى » في ٨٣٢ هـ - ١٤٢٧ م بمالقة «مدينة بالأندلس المفقود» من أسرة يبدو لنا انها لم تكن من أهل العلم ولم تحظ بالشهرة ، وشغلتها أعباء الرزق عن طلب العلم ، فمراجع المكتبة الأندلسية

وقد تلا ابن الأزرق هذا التفسير على ابن اسحاق ابراهيم بن احمد البدرى وفقا لما ذكره السخاوى فى الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع . كما حفظ ابن الأزرق كثيرا من أشعار العرب . وتفقه فى النحو والمنطق والفقه على يد معلمه الكبير الذى كان له أثره الكبير فيه ، وكثر انتفاعه من علمه وهو مفتى غرناطة أبو اسحق ابراهيم

ابن أحمد بن فتوح (المتوفى سنة ٨٦٧ هـ) وقد كان هذا الأستاذ العظيم يعود تلاميذه على الرجوع الى المصادر وان يعمل الطالب فيها عقله وفكره بالتحليل والتحقيق ليصل الى وجه الحق فى المسألة المعروضة بالدليل وليكون للباحث لديه شخصية مستقلة . يقول لنا المقرئ فى نفح الطيب عنه : « كان يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ، ويوسع المراجع له رحبا وقبولا بل يطالب بذلك ويقتضيه . ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توفيقا على ما خلص له وتحقيقه ، ووضع له فى معيار الاختيار

توفيقه ... » ، كما زاد تفقه ابن الأزرق فى الفقه المالكى على أحفظ الناس لمذهب مالك فى عصره وهو الامام محمد بن محمد السرقسطى المتوفى عام ٨٦٥ هـ ودرس الأدب على يد الامام محمد بن زكريا بن الجبير الحصبى الذى كان يعد من أهل السنة والجماعة وشديد الانتقاد للمعتزلة عامة وللزمخشري خاصة .

✽ عندما بلغ ابن الأزرق أشده واستوى على العلم بالفقه وشهد له بالورع عين قاضيا لغرب مائته . وكان عمره قرابة السابع والثلاثين هجرية ، وظل ينتقل فى عمله القضائى ويرتقى فيه حتى وصل الى قاضى القضاة بغرناطة . ومكث فى القضاء بالأندلس المفقود قرابة عشرين عاما مشتهرا عنه أنه من قضاة العدل والانصاف . وكان سلطان بنى نصر يؤثره بسره ويستشيريه فيما يلزم به من المعضلات لما تلمس فيه من فقه للواقع وذكاء وقدرة على وضع الامور فى نصابها ، وكثيرا ما بعثه رسولا عنه

ينزل الأحكام على مقتضى الشرع بعفة ونزاهة *** ثم مرض واستمر الى أن توفي في يوم الجمعة بعد فراغ الصلاة سابع عشر ذى الحجة الحرام سنة ست وتسعين وثمانمائة وصلى عليه في يومه بعد صلاة العصر بالمسجد الأقصى •

وكثر أسف الناس على فقده •

ابن الأزرق والقضاء أ

لم تقف على نماذج من أحكام ابن الأزرق القضائية لنقوم بتحليلها ولكن ما كتبه ابن الأزرق عن القضاء والعدل يعين على فهم الرجل وبيان آرائه القضائية :

❖ فهو يرى أن القضاء من أجل المناصب ، لأنه دخول بين الخالق والمخلوق ليؤدي فيهم أوامره وأحكامه بواسطة الكتاب والسنة ، وبه يقمع الظالم وينصر المظلوم ، ويحفظ النظام ويدفع الضرر العام • وأنه واجب أن يكون بين الناس قضاء وقضاة ، وإن على الامام « رئيس الدولة » اختيار القضاة من الكفاة من أهل العلم

لحل مشاكله مع الملوك النصريين بيد أن الخلاف والقتال بينهم وقد وصل مداه ، مكن لطاغية الأسبان من دخولها • وقد حدا ذلك بإبن الأزرق أن يتوجه الى المشرق ليحث ملوك الاسلام وامراءهم على نجدة صاحب غرناطة يقول لنا المقرئ عنه تلك الفترة « واستنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الأندلس فكان كمن يطلب بيض الأنوق » فقد كان السلطان مشغولا بقتال سلطان الروم فتوجه ابن الأزرق الى مكة المكرمة وجاور فيها مدة وزار النبي صلى الله عليه وسلم •

❖ رجع ابن الأزرق الى مصر في سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وأصبح في حاجة الى أن يسند اليه عمل يكتسب به رزقا وقد فقت موارد المالية ، فاسند اليه ما هو أهل له من تولى قضاء المالكية بالقدس الشريف في رابع رمضان تلك السنة فوصل القدس في سادس عشر من شوال سنة ست وتسعين ، وأقام نحو شهر

العادة واقتضاء العرف في كل
قطر .

آثار ابن الأزرق :

* لم يظهر من مصنفات ابن
الأزرق حتى الآن سوى كتابه
« بدائع السلك في طبائع الملك »

وهو كتاب في علم الاجتماع
السياسي يدل على أصالة ابن
الأزرق العلمية وسعة ثقافته ، وقد
قام بتحقيق الكتاب الأستاذ الدكتور
على سامي النشار استاذ الفلسفة
الاسلامية المصري والذي يشارك
بجهد العلمى بجامعة الرباط
بالمغرب حاليا ، ويقع الكتاب في
قراءة ألف صفحة ويحتوى على
مقدمتين وأربعة كتب على النحو
التالى :

الكتاب الأول : فى حقيقة الملك
والخلافة وسائر أنواع الرئاسة .

والكتاب الثانى : فى أركان
الملك وقواعد مبناه ضرورة
وكمالاته .

والكتاب الثالث : فيما يطالب
به السلطان تشييدا لأركان المملكة .

والورع ، وان يوسع عليهم أرزاقهم
من بيت مال المسلمين ، وأن يتفقد
أحوالهم ، ومن غلب جورهم وكان
فى بقاءه مفسدة عزله ، بيد انه
لا يعزل لمجرد الشكوى بل عليه
ان يتثبت ويستقصى حتى لا يفسد
أمر القضاء والقضاة .

* ويقول ان غاية القضاء
والحكم تحقيق العدل بين الناس ،
والعدل أساس الشريعة به يتولى
الأمناء والأكفاء فى كافة الولايات
وتحفظ الأنفس والأموال
والأعراض .

* ويحث القضاة على بذل
الجهد وتحقيق العدل وان المسابقة
فيه تقرب صاحبه من التقوى ومحبة
الله له باجابة دعائه ، ويتحقق له
الأمن والطمأنينة النفسية ويملك
به سرائر الناس ويدوم به الملك
والرخاء .

* ويؤخذ برأى ابن القيم
الجوزية الحنبلى فى شأن تحديد
اختصاصات القضاء وموضوعاته
بأنها تختلف باختلاف الأزمنة
والأمكنة وتستفاد بما جرت به

الذى عاصره راجع الى ما أصابه
من فساد خلقى ومادى وانحلال
اقتصادى لانعدام الثقة بين الحاكم
والمحكوم .

ويتميز ابن الأزرق عن ابن
خلدون بأنه قد أشار فى كتابه الى
غالب مصادر من سبقه على
عكس ابن خلدون الذى كان يخفى
جل مصادر مادته العلمية . وهو
بذلك قد ألقى الضوء على المصادر
التى استقى منها ابن خلدون مادته
العلمية . بل ان تنوع مصادر ابن
الأزرق ظاهرة جديرة بالاعجاب فقد
فاق ابن خلدون ومعظم كتاب
الفكر الاسلامى فاستند الى كتب
متنوعة : فى علم السياسة الخالص ،
والبعض فى التاريخ والآخر فى
الجغرافيا وفى كتب الرحلات ،
وكتب الأدب ، وكتب الفقه
واصوله ولم يكن يفعل هذا لبحث
الموضوعات الجزئية لهذه العلوم
المختلفة فى ذاتها بل لتدعيم نظريته
ورؤيته فى الاجتماع السياسى ويدل
هذا الكتاب بوضوح على أن ابن
الأزرق استوعب ثقافة سابقيه

والكتاب الرابع : فى عوائد
الملك وعوارضه .

ويرى المقرئ فى تفح الطيب
ان هذا الكتاب لخص فيه ابن
الأزرق كلام ابن خلدون وأضاف
اليه زيادات كثيرة . وكلمة زيادات
كثيرة تعادل فى عصرنا أنه قدم
جديدا للعلم يسند اليه ويحتج له
به . فان كان ابن الأزرق يتفق مع
ابن خلدون فى اتخاذ المنهج
الاستقرائى الاصولى فى تفسير
الظواهر الاجتماعية بتحليل الواقع
فقد كانت غاية ابن خلدون تفسير
التاريخ واستخلاص المبادئ التى
تحكمه وقد تعرض من خلاله الى
أطوار الدولة وانتهى فيها الى
حتمية اطوارها بينما غاية ابن
الأزرق بيان اخلاقية الحاكم
وأخلاقية المحكوم ويرى ابن الأزرق
أن الدولة تعيش ابدا اذا تحققت
القيم بين الحاكم والمحكوم ولم
يحدث النزاع والصراع بينهما
ولذلك يتعرض فى كتاب بدائع
السلك لمسئولية الحاكم اتجاه رعيته
واتجاه جنده وان فساد المجتمع

الى كتاب « الابريز المسبوك » فى كتابه بدائع السلك .

ومعاصريه واستطاع منها أن يقدم جديدا للعلم .

وقد أتاحت لنا فرصة الأعرارة للتدريس بالجامعات الجزائرية منذ بضع سنوات أن نقف على مخطوطة لابن الأزرق بعنوان « الابريز المسبوك فى كيفية آداب سير الملوك » بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة وقد أتيج لنا فرصة الاطلاع عليها وتصوير أجزاء منها وقد تبين لنا من الاطلاع على هذه المخطوطة انها ناقصة من البداية وكتب فى أولها « الحمد لله ، هذا أول ما وجد من هذا التأليف الجليل المسمى بالأبريز المسبوك فى كيفية آداب الملوك ، للإمام الأعلى القاضى الأكمل العلامة الأجل : أبو عبد الله ابن محمد بن على بن قاسم بن الأزرق الأصبحى . وافتتحه بالكلام عن الجباية ، وأنها حبس توزع على القبائل وذوى العصية .. ثم تكلم بعد ذلك عن الركن الخامس : وهو تكثير العمارة والسادس : اقامة العدل ، والسابع : تولية الخطط الدينية من امامة الصلاة -

✽ حقيقة كتاب الابريز المسبوك فى كيفية آداب سير الملوك :

أشار خير الدين الزركلى فى كتابه الاعلام عند ترجمة ابن الأزرق أن له كتابا باسم « الابريز المسبوك فى كيفية أدب الملوك » وان الكتاب ما زال مخطوطا ، وقد استقى ذلك من المستشرق الالماني بروكلمان فى ذيله على تاريخ الأدب العربى ، وقد تابع بروكلمان جورجى زيدان فى تاريخ الآداب العربية ، وقد كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان مقالا بعنوان : « كتب تأثرت بابن خلدون » فى مجلة العربى الكويتية فى يناير ١٩٧٤ أشار فيه الى أن كتاب « الابريز المسبوك » تأثر بابن خلدون وان ابن الأزرق ، ألف هذا الكتاب قبل كتاب « بدائع السلك » .

وأكرر الدكتور النشار وجود هذا الكتاب واستند الى أنه لم يعثر عليه وان ابن الأزرق لم يشر

والفتيا والتدريس والقضاء والعدالة والحسبة والسكة والركن الثامن : ترتيب المراتب السلطانية وهي الحجابة والكتابة وديوان العمل والحجابة والشرطة •

والركن التاسع : رعاية السياسة والعاشر : مشورة ذوى الرأى والتجربة ، والحادى عشر : بذل النصيحة ، والثانى عشر : أحكام التدبير ، والثالث عشر : تقديم الولاة والعمال ، والرابع عشر : اتخاذ البطانة أهل البساط ، والخامس عشر : تنظيم المجلس وعوائده ، السادس عشر ، تقرير الظهور والاحتجاب والركن السابع عشر : رعاية الخاصة والبطانة ، والثامن عشر : ظهور العناية بمن له حق أو فيه منفعة ، والركن التاسع عشر : مكافأة ذوى السوابق ، والعشرون : تخليد مفاخر الملك ومآثره • ثم تعرض للباب الثانى : فى الصفات التى تصدر بها تلك الأفعال على أفضل نظام وهى : العقل ، العلم ، الشجاعة ، العفة والسخاء والجود ، الحلم ، كظم الغيظ والغضب ،

العفو ، الرفق ، اللين ، الوفاء بالوعد ، الصدق ، كتم السر ، الحزم ، الدهاء والتغافل ، التواضع ، سلامة الصدر من الحقد والحسد ، الصبر ، الشكر •

ثم تعرض الكتاب الثالث لمقدمة فى التحذير من محظورات تخل بذلك المطلوب شرعيا فى بابين الأول : فى جوامع ما به السياسة المطلوبة من السلطان ومن يليه • والثانى : فى واجبات يلزم السلطان سياسة القيام بها وقاء بعهدة ما تحمله •

وتكلم فى الكتاب الرابع عن عوائق الملك وعوارضه فى بابين • الأول : فى عوائق الملك المانعة من دوامه • والثانى فى عوارضى الملك اللاحقة لطبيعة وجوده ويشير فى الباب الثانى انه أتى بها ملخصة من كلام ابن خلدون رحمه الله • وتعرض لخاتمة فى سياستى المعيشة والناس •

واتهى الكتاب بقول للامام على بن أبى طالب رضى الله عنه

الكمال وكمال المذاهب بتوفيق
يسود آراءه وينجحها •

وثابت ان ابن الأزرق انتهى من
تبييض الكتاب فى يوم الأحد
السابع لرجب عام ثلاثة وثمانين
وثمانمائة • وكان الفراغ من

تصنيفه يوم السبت الرابع عشر من
محرم العام المذكور وذلك بمدينة
واد آس المحروسة وتبين من
المقارنة بين مخطوطه لأ البريز
المسبوك فى كيفية أدب سير
الملوك » وكتاب بدائع السلك فى
طبائع الملك أن الأول هو الأصل
الذى أهده الى حاكم عصره فى
سنة ٨٨٣ هـ •

✽ كتاب روضة الأعلام بمنزلة
العربية من اعلام الاسلام :

يقول المقرئ فى هذا الكتاب
انه : « مجلد ضخمة فيه فوائد
وحكايات لم يؤلف فى فنه مثله ،
وأنه قد وقف عليه - المقرئ -
بتلمسان » وتوجد أكثر من نسخة
له مخطوطة بمكتبات المغرب •

والكتاب موسوعة أدبية كبيرة

ناعت له (أى الرسول) لم أر قبله
ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم •

ويبدو لنا ان ابن الأزرق أهدي
الكتاب لسلطان بنى نصر فالثابت
انه سماه « الأبريز المسبوك فى
كيفية أدب سير الملوك » •

واستحنته لهذا المقام العلى
نصرا بتخليد الأثر الحميد وأفيا
وللصدور على الدوام من تعاقب
الشهور والاعوام شافيا ثم يدعو
له بقوله : « اللهم افتح له فتحا
مبينا واره نور الهدايات لنهاية
البدايات مستبينا ، اللهم أصلح
برعايتك أحواله ، وسدد باهتدائه
العالم اقتدائه أفعاله وأقواله ، اللهم

حقق به صلاح العباد والبلاد ،
وأيده على طغاة الكفار بسيوفه
الماضية الشفار فى مواقف الطعن
والجهاد • اللهم كن له ناصرا
ومعينا ، وشرع به للملك الحميد
الخلال موارد عذبة الدلل معينا •
!للهم أجعل ذكره على مر الدهر
باقيا وسعده الى أرفع معارج
الظهور راقيا واللهم خص وزيره
الحميد المذاهب المخصوص بمواهب

ثانياً - يبين من الدعاء لحاكم عصره أنه في حالة حرب وجهاد مع الأعداء ، كما تتضح الظروف التي كتب فيها الكتاب والحالة التي

كانت عليها الاندلس وقتذاك .

والأمل المعقود في ذلك الحاكم فهو يقول : « واستمحتته » .

✽ كتاب شفاء الغليل شرح مختصر الخليل :

وهو في شرح الفقه المالكي يقول فيه صاحب تفح الطيب انه رأى ثلاثة أسفار منه وقد قرأ خطبة الكتاب (وقد أتى فيها ابن الأزرق بالعجاب) فيقول : « هذا الشرح لم يؤلف على مختصر الخليل مثله :

اقناعاً ونقلًا وفهماً ، وقد رأيت منه نحو الأسفار الثلاثة ، ولا أدري هل أتمه أم لا وتماه يكون في نحو العشرين سفراً . وقد كتب بتلسمان خطبة في كراسة وقد أتى فيها بالعجاب » .

تناول في هذه المقدمة أهمية مختصر الخليل في الفقه المالكي ، وتصدي لبيان أصول المذهب

تتضمن موضوعات شتى من التراث العربي الاسلامي وهو يشابه كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة والأخبار الطوال للدينوري .

ولقد تعمداً أن نعرض لرؤوس الموضوعات وعناوين الكتاب ليتسنى للمقارن بين كتاب « الابريز المسبوك » و « بدائع السلك »

ان يصل الى أنهما كتاب واحد ، ولا يعدوان أن يكون العنوان الأول هو النسخة المهداة من ابن الأزرق لحاكم عصره سلطان بنى نصر ، وتتميز هذه المخطوطة عن المخطوطات التي حقق عليها الدكتور النشار بدائع السلك بمايلي :

أولاً - كشفت عن تاريخ تصنيف الكتاب « بدائع السلك » أو « الابريز المسبوك » .

فالثابت من نهاية مخطوطة ابن الأزرق فرغ منها في ١٤ من المحرم سنة ٨٨٣ هـ بمدينة وادي آش ، أى أن سن ابن الأزرق كان قد جاوز الخمسين من عمره وهي فترة تمام النضوج وكماله .

فيه : « كان من أهل العلم والصلاح
حسن الشكل ، منور الشبهة عليه
الأبهة والوقار .. من قضاة
العدل .. باشر الحكم .. بعفة
وتقوى وسيرة محمودة ثم لحق
بالله سبحانه والناس عنه راضون » .

ولا يسعنا الا أن نقول رحم الله
ابن الأزرق بما قدم من علم
ينتفع به ووفق المهتمين بإبراز
التراث الاسلامى الى تحقيق ونشر
باقى تراثه - والله الموفق -
والحمد لله رب العالمين .

فؤاد عبد المنعم احمد

المالكي ، وبيان منهجه ومصادره
فى شرح هذا المختصر .

ويوجد مخطوطات لهذا الشرح
بالمغرب .

ونختتم مقالنا بثناء أئمة التقوا
بابن الأزرق وعاصروه فيقول
السخاوى المؤرخ الثقة فيه وقد
التقى به فى مصر (رأيته من رجال
الدهر) أى أن ابن الأزرق فى
نظره كان عبقرى .

ويقول قاضى القضاة أبو اليمن
العلمى (الحنبلى) فى الأنس
الجليل بتاريخ القدس والخليل

دعاء

يا قهار يا حكيم ... نعوذ بك من شر ما خلقت ، ونعوذ بك
من كيد النفوس فيما قدرت وارتدت ، ونعوذ بك من شر الحساد
على ما أنعمت ، ونسألك عز الدنيا والآخرة .

اللهم انا نسألك أن تعطينا خيراً ما نفذت به مشيئتك ،
وتعلقت به قدرتك ، وجري به قلمك وأحاط به علمك ، وأكمل
ديننا ، وأتمم علينا نعمتك .. وهب لنا الحكمة البالغة والحياة
الطيبة والموتة المطهرة . يا سميع يا مجيب .. يا الله .

أبو الحسن الشاذلى

الشرية و الحقيقة

لفضيلة الشيخ موسى محمد على

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا •

قال : صدقت ، قال : فمعجبنا يسأله ويصدقه •

قال : فأخبرني عن الايمان ؟
قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت •

قال : فأخبرني عن الاحسان ؟
قال : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه ، فانه يراك •
قال : فأخبرني عن الساعة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين وبعد !

فقد أخرج الامام مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، قال : يا محمد ، أخبرني عن الاسلام ؟

قال : ما المسئول عنها بأعلم من
السائل •

قال : فأخبرني عن أمارتها ؟

قال : أن تلد الأمة ربتها ،
وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة
الأنشاء يتطاولون في البنيان •

قال : ثم انطلق فلبث مليا ، ثم
قال لى : يا عمر ، أتدرى من
السائل ؟ قلت : الله ورسوله
أعلم • •

قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم
دينكم » اه •

بهذا الهدى النبوى المعصوم ،
وبهذا الحديث الرائع الشريف ،
جاء تقسيم الدين الى أركان ثلاثة ،
لذا قال سيدنا رسول الله صلوات
الله وسلامه عليه لسيدنا عمر :

« فانه جبريل أتاكم يعلمكم
دينكم » •

ركن الاسلام ، وهو الجانب
العملى ، الذى يتحقق بالعبادات ،
والمعاملات والامور التعبدية ،
على وجه التمام • •

ومحله الأعضاء الجسمانية
الظاهرة ، واصطلح العلماء على
تسميته بالشريعة ، واختص
بدراسته والقيام بتحصيله : السادة
الفقهاء • •

ركن الايمان - وهو الجانب
الاعتقاد القلبى : من ايمان بالله
تعالى ، وملائكته ، وكتبه ورسوله ،
واليوم الآخر ، والقضاء والقدر
- خيرهما وشرهما - واختص
بدراسة هذا الركن السادة علماء
التوحيد •

ركن الاحسان ، وهو الجانب
الروحى القلبى ، وهو أن تعبد الله
كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه
يراك • •

وعبادتك لله كأنك تراه ، تجعلك
لم تترك شيئا مما تقدر عليه من
الخشوع والخضوع ، وحسن
السمت واجتماعك بباطنك وظاهره
على الاعتناء بتتيممها على أحسن
وجوهها وما ينتج عن ذلك من
أحوال وأذواق وجدانية ، ومقامات
ومشاهدات عرفانية ، وعلوم
وهبية •

ولا تكون الاقامة الا بجسد وروح ، ولذا قال : أقيموا الصلاة ولم يقل سبحانه أوجدوا الصلاة ، لنذكر التلازم القائم الوثيق بين الشريعة والحقيقة ولنذكر التلازم القائم بين الروح والجسد •

والمؤمن الكامل ، هو الذى يجمع بين الشريعة والحقيقة ، وهذا هو توجيه الصوفية للناس ، مقتفين بذلك أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأثر الصحابة الأجلاء من بعده رضوان الله تعالى عليهم •

وللوصول الى هذا المقام الرفيع، مقام الايمان الكامل ، لا بد من سلوك الطريقة ، وهى مجاهدة النفس ، والأخذ بيدها من صفات التخلّى الى صفات التحلى ، حتى ترقى الى مقامات الكمال بصحبة المرشدين ••

وبذلك تكون الشريعة هى الأساس ، والطريقة هى الوسيلة ، والحقيقة هى الثمرة ، وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة ، لاتناقض بينها ولا تضاد •

وهذا الركن اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة ، واختص ببحثه السادة الصوفية •

ولكى نبين الصلة القائمة بين الحقيقة والشريعة ، نورد مثلاً ، وهو الصلاة ••

فاتيان الانسان بحركات الصلاة، وقيامه بأعمالها الظاهرة ، والزراعة بأركانها ، وشروطها يمثل ذلك كله جانب الشريعة ، وهو جسد الصلاة ••

وحضور القلب مع الله تعالى والخشوع له سبحانه فيها ، يمثل جانب الحقيقة ، الذى هو روحها • فالأعمال البدنية جسدها ، والخشوع وحضور القلب روحها ، وكيف تتأتى فائدة الجسد بلا روح ؟

وكما أن الروح تحتاج الى جسد تقوم وتحل فيه ، فكذلك الجسد يحتاج ايضا الى روح يقوم بها ، ولهذا جاء تعبير القرآن الكريم واضحا بقول الله تعالى :

« أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » •

يقول الامام مالك رضى الله تعالى عنه :

« من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق » •

تزندق الأول : لأنه نظر الى الحقيقة مجردة عن الشريعة ، ولم يعمل بأحكامها ، فكأنه قال بالجبر ، وأن الانسان لا خيار له فى أمر من الامور ، فعطل بذلك أحكام الشريعة والعمل بها ، وأبطل حكمتهما والنظر اليها •••

وتفسق الثانى : لأنه لم يدخل نور الايمان قلبه ، ولم يغرس سر الاخلاص فؤاده ، ولم ينشرح صدره لطريقة المحاسبة ، حتى يحجب نفسه ، عن المعصية ، ويتمسك بأهداب السنة •

وتحقق الثالث : لأنه جمع كل أركان الدين : الاسلام ، الايمان ، الاحسان ، التى اجتمعت فى حديث جبريل عليه السلام ، الذى بدأنا به •

فمن تمسك بالشريعة ، سلك الطريقة ، ووصل الى الحقيقة ، وليس بين الشريعة والحقيقة تعارض ولا تناقض على ضوء ما أوضحنا •

ومن هنا قال السادة الصوفية فى قواعدهم المشهورة :

« كل حقيقة خالفت الشريعة فهى زندقة » •

ويقول الشيخ أحمد زروق رضى الله عنه :

« لا تصوف الا بفقه ، اذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة الا منه ، ولا فقه الا بتصوف اذ لا عمل الا بصدق وتوجه لله تعالى ••

ولا هما : الا بايمان ، اذ لا يصح واحد منهما دونه ، فتلازم الجمع لتلازمها فى الحكم ، كتلازم الأجسام للأرواح ، ولا وجود لها الا فيها ، كما لا حياة لها الا بها» اه •

فكيف اذن تخالف ، الحقيقة الشريعة ، وهى ناتجة من تطبيقها ؟

على النحو الذى بيناه فهم يريدون بذلك لا شك أن يفصلوا روح الاسلام عن جسده ، وأن يهدموا ركنا هاما من أركان الدين الثلاثة الموضحة فى حديث جبريل عليه السلام وكبار فقهاءه •

يقول ابن عابدين - رحمه الله تعالى - فى حاشيته المشهورة برد المحتار :

« الطريقة : هى السيرة المختصة بالسالكين من قطع المنازل ، والترقى فى المقامات » •

« والحقيقة : هى مشاهدة الربوبية بالقلب ، ويقال : هى سر معنوى لا حد له ولا جهة ، وهى الطريقة والشريعة متلازمة ، لأن الطريق الى الله تعالى لها ظاهر وباطن ، فظاهرها الشريعة والطريقة ، وباطنها الحقيقة ، والمراد من الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة اقامة العبودية لله سبحانه وتعالى على الوجه المراد من العبد » •

ويقول الشيخ عبدالله الياضى - رحمه الله تعالى - :

وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة ، كذلك حفظ علماء التصوف آدابها وروحها ، وكما أتيح لعلماء الظاهر الاجتهاد فى استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع ، والحكم بالتحليل والتحرير على ما لم يرد فيه نص ، فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آدابا ومناهج لتربية المريدين ، وتهذيب أخلاق السالكين •

وسلفنا الصالح ، والصوفية الصادقون - رضى الله عنهم - تحققوا بالعبودية الحققة ، والاسلام الصحيح ، حتى جمعوا بين الشريعة والطريقة والحقيقة ، فكانوا مشرعين متحققين ، يهدون الناس الى صراط الله تعالى المستقيم ، وهديه القويم •

فالدين ان خلا من حقيقته جفت أصوله ، وذبلت أغصانه ، وفسدت ثمرته •

أما هؤلاء المعترضون على السادة الصوفية :

فان كانوا ينكرون هذا التقسيم الى : شريعة ، وطريقة ، وحقيقة ،

وسلوك المنازل ، كذلك مجرد العلم بأحكام الشريعة وآداب الطريقة لا يكفيان في الحج المعنوى ، بدون العمل بواجبيهما •

والتعبير بكلمة : الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة ، تعبير درج عليه العلماء ، وجرى عليه الفقهاء ، وهو اصطلاح من الاصطلاحات التى لا مشاحة فيها •

فمن أنكر ذلك ، فالواقع أنه ينكر الأحوال القلبية ، والأذواق الوجدانية ، والعلوم الوهية ، والله سبحانه وتعالى ، وهو الكريم الجواد ، يكرم سبحانه عباده المخلصين وأحبابه الصادقين ، ولا حرج على قدرته الالهية :

«وما كان عطاء ربك محظورا».

أخرج أبو نعيم فى الحلية عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

كيف أصبحت يا معاذ ؟

قال : أصبحت مؤمنا بالله تعالى •

« ان الحقيقة هى مشاهدة أسرار الربوبية ولها طريقة هى عزائم الشريعة ، فمن سلك الطريقة وصل الى الحقيقة •

فالحقيقة نهاية عزائم الشريعة ، ونهاية الشئ غير مخالفة له ، فالحقيقة غير مخالفة لعزائم الشريعة •

وقال صاحب كشف الظنون :

علم التصوف علم الحقيقة أيضا ، وهو علم الطريقة أى تركية النفس عن الأخلاق الردية وتصفية القلب عن الأغراض الدنية •

وعلم الشريعة بلا علم الحقيقة عاطل ، وعلم الحقيقة بلا علم الشريعة باطل •

ثم قال : وعلم الشريعة وما يتعلق باصلاح الظاهر بمنزلة العلم بلوازم الحج ، وعلم الطريقة وما يتعلق باصلاح الباطن بمنزلة العلم بالمنازل ، وعقبات الطريق ••

فكما أن مجرد اللوازم ، ومجرد علم المنازل لا يكفيان فى الحج الصورى بدون اعداد اللوازم

قال : ان لكل قول مصداقا ،
ولكل حق حقيقة ، فما مصداق
ما تقول ؟

قال : يا نبي الله : ما أصبحت
صباحا قط الا ظننت أنى لا أمسى ،
وما أمسيت مساء قط الا ظننت
أنى لا أصبح ، ولا خطوت خطوة
الا ظننت أنى لا أتبعها أخرى ،
وكأنى أنظر الى كل أمة جاثية تدعى
الى كتابها معها نبيها وأوثانها التى
كانت تعبد من دون الله وكأنى أنظر
الى عقوبة أهل النار وثواب أهل
الجنة . قال : « عرفت فالزم » .
والصالحون - رضوان الله

عليهم - لم يصلوا الى هذه
الكشوفات والمعارف الا بتمسكهم
بالكتاب الكريم والسنة الشريفة
واقتنائهم أثر الرسول الأعظم
وأصحابه الكرام ، ومجاهدتهم
لأنفسهم من صيام وقيام ، وزهدهم
فى هذه الدنيا الفانية ، كما أكرم
الله تعالى معاذاً رضى الله عنه بهذا
الكشف الذى أقره عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله : عرفت
فالزم » .

وقد كان علماء السلف الصالح

- رضى الله عنهم - يعملون على
وجه الاخلاص لله تعالى ، حتى
استنارت قلوبهم ، وخلصت
أعمالهم ، فلما ذهبوا وخلف من
بعدهم أقوام لا يعتنون بالاخلاص
فى علمهم ولا فى عملهم اظلمت
قلوبهم ، وحجبت عن أحوال القوم
فأنكروها .

وهناك مغرضون يتحاملون على
الصوفية مستشهدين بكلام ابن
تيمية وغيره ، ويتهمونهم زورا
وبهتاناً ، بأنهم يهتمون بالحقيقة
فقط ، ويهملون جانب الشريعة ،
وأنهم يعتمدون على كشفهم
ومفاهيمهم ولو خالفت الشريعة ،
فهذا كله افتراء باطل ، يشهد على
بطلانه كلام ابن تيمية نفسه ، فقد
تحدث ابن تيمية - رحمه الله
تعالى - عن تمسك السادة الصوفية
بالكتاب والسنة فى قسم علم السلوك
فتاويه فقال : « والشيخ عبد
القادر الجيلانى رحمه الله تعالى من
أعظم مشايخ زمانهم أمرا بالترام
الشرع والأمر والنهى ومن أعظم
المشايخ كذلك أمرا بترك الهوى

وقال رضى الله عنه ، منكرا على من يعتقد أن التكليف الشرعية تسقط عن السالك فى حال من الأحوال :

« ترك العبادات المفروضة زندقة ، وارتكاب المحظورات معصية ، لا تسقط الفرائض عن أحد فى حال من الأحوال » •

ولكن مع كل هذا نجد الحاقدين على التصوف اذا سمعوا بشيء من أخلاق القوم قالوا :

« هذا منزع صوفى ، لا شرعى ، فيتوهم السامع أن التصوف أمر خارج عن أصل الشريعة والحال أنه لب الشريعة كما أوضحنا • ومن يطلع على كتب القوم السليمة من الدس ، مثل كتاب الحلية لأبى نعيم ، والرسالة القشيرية ، وكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاياذى ، واللمع للطوسى ، والاحياء للغزالى ، وطبقات الصوفية للسلمى ، والرعاية لحقوق الله للمحاسبي والوصايا للشيخ محيى الدين بن عربى ، وغير ذلك من

والارادة النفسية فان الخطأ فى الارادة من حيث هى ارادة انما تقع من هذه الجهة ، فهو يأمر السالك أن لا تكون له ارادة من جهته هو أصلا ، بل يريد ما يريد الله عز وجل ، اما ارادة شرعية تبين له ذلك ، والا جرى مع الارادة القدريية ، فهو اما مع أمر الله واما مع خلقه •

وهو سبحانه له الخلق والأمر ، وهذه طريقة شرعية صحيحة ••

وهذه نبذة يسيرة من أقوال أئمة السادة الصوفية وتوجيهاتهم تشهد على تمسكهم بالكتاب والسنة •

قال الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمه الله تعالى :

« كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهى زندقة » • ثم قال أيضا :

« طُبر الى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة ، ثم ادخل عليه ويدك فى يد الرسول صلى الله عليه وسلم » •

حلاوتها ، مدركين أسرارها ، وقد
كانت لهم مجاهدات لتهديب
نفوسهم واصلاح قلوبهم •

ولما تحلوا به من صلاح وتقوى
ومعرفة نالوا هذه المراتب العلمية ،
بعلومهم على مر السنين والأيام ،
فكأنهم أحياء بآثارهم الخالدة
وجهودهم العلمية المباركة •

نفعا الله بهم وبعلمهم وجزاهم
الله عما قدموا لنا من تراث علمي
نافع خير الجزاء وبالله التوفيق •

موسى محمد على

كتب الصوفية ، لا يكاد يجد فيها
ما يخالف الشريعة أبدا ، لكثرة
محاسبة الصوفية لأنفسهم وأخذهم
بالعزائم ، فان حقيقة طريق القوم
علم وعمل ، بل شريعة وحقيقة •
وبعد :

فلقد كان علماء الشريعة
الاسلامية من الفقهاء والمحدثين
يسيرون على أثر الرسول الأعظم
صلى الله عليه وسلم ، فيجمعون
بين الشريعة والطريقة والحقيقة
ويؤدون العبادات العلمية متحققين
بسر الاخلاص فيها ، متذوقين

سئل سيدنا على بن أبى طالب - كرم الله وجهه بم عرفت ربك ؟
قال : عرفت به بما عرفنى به نفسه ، لا يدرك بالحواس ،
ولا يقاس بالناس ، قريب فى بعده ، بعيد فى قربيه ، فوق كل
شئ ، ولا يقال عنه شئ ، أمام كل شئ ، ولا يقال أمامه شئ ،
وهو فى كل شئ ، لا كشئ فى شئ ، فسبحان من هو كهذا
ولا كهذا غيره •

دفاع عن السنة

لفضيلة الشيخ عبدالمهيمن الفقى

الله ، ثم عاد الى موسى ، حتى انتهى الأمر بالصلوات الخمسين الى خمس صلوات ، وللخمس ثواب الخمسين •

ورغم ورود هذه القصة فى كتب محترمة من كتب الأقدمين ، الا انها بلا سند يشفع لتصديقها لأكثر من أمر ••

✽ الأول : ان لقاء الحق عز وجل ، والوقوف فى الحضرة الالهية له من الجلال والهيبة ما يمنع النبى اذا انصرف أن يعود •

✽ الثانى : يثير الشك فى اعتبار هذه القصة من الاسرائيليات المتحمة على الدين الاسلامى ، اختيار موسى عليه السلام من بين جميع الأنبياء ، ليكون هو النبى الذى يقترح التخفيف عن أمة محمد،

نشر الاستاذ أحمد بهجت مقالا بجريدة الأهرام يقول فيه :

من المشهور الذائع عند عامة المسلمين وبعض علمائهم ، ان الله تعالى فرض على النبى صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة فى ليلة الاسراء والمعراج ، فنزل النبى فلقى موسى فسأله عن عدد الصلوات التى فرضها الله على أمته ، فحدثه أنها خمسين ، فقال موسى : ان أمتك لن تطيق فارجع الى ربك فاسأله أن يخفف عنهم ، وعاد النبى الى ربه فخفف عن أمته عشر صلوات ، وعاد النبى الى موسى ، سأله موسى عن القدر الذى خففه الله عز وجل ، فلما أنبأه الرسول عاد يحذره أن الأمة الاسلامية لن تطيق ، وأن عليه أن يعود الى الله سائلا اياه التخفيف ، وعاد الرسول الى

وهي آيات يعجز اللسان عن التعبير عنها ، ويعجز العقل عن الاحاطة بها ، وقد تجاوز السياق القرآنى - عامدا - ما رآه النبى ، لأنه سر بين النبى وربّه ، ومعجزة خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وتكريم لشخصه ، وبيان لدرجته ، تجاوز السياق هذا ليؤكد انه رأى من آيات ربه الكبرى .. هكذا فرضت الصلوات الخمس على الرسول فى ليلة الاسراء والمعراج .

السيد الاستاذ / أحمد بهجت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد نشرتم فى صحيفة الاهرام فى ٢٨/٦/١٩٧٩ م ، فى كلمتكم « بصندوق الدنيا » تحت عنوان اسرائيليات . عن فرض الصلوات الخمس . وتعرضتم الى لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم وسيدنا موسى وطلبه من الرسول « صلى الله عليه وسلم » أن يراجع ربه فى عددها وقتلتم « ورغم ورود هذه القصة فى كتب محترمة

ويكون هو النبى الذى أدرك ما لم يدركه محمد ، وبذلك ترتب له القصة لونا من ألوان الاشراف .

* الثالث : فى القصة لون من ألوان الفصال التجارى الذى يقوى الظن فى نسبة القصة الى اليهود الذين أسلموا - دون اخلاص النية - وملأوا كتب الأحاديث بالخرافات المنسوبة الى الرسول أو الصحابة .

* الرابع : يحمل البناء الداخلى لتركيب هذه القصة وجوه شبه مع بناء قصة مفاوضة اليهود مع موسى حين أمرهم الله عز وجل أن يذبحوا بقرة ، ما يوحى أن مؤلف هذه القصة من احفاد المفاوضين ذوى اللجاجة القديمة .. أسباب كثيرة تدعونا لرفض تصديق القصة ، ومعظم ما حفلت به الكتب مما رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى رحلته - غير ما أشار اليه القرآن - مستبعد هو الآخر ، فقد كان الموقف مزيجا من الجلال والرهبة والمهابة والرحمة ، وقد شاهد الرسول من آيات ربه الكبرى ،

رحلته غير ما أشار اليه القرآن الكريم •

فنقول لسيادتك على أى أساس بنيت رفضك لهذه القصة ؟ • وعلى أى أساس أيضا بنيت رفض معظم ما جاءت به هذه الكتب فى حين أنك لم ترفض كل ما جاء بها ؟ •

ان هذا الحديث الذى تعرضت له ورميته بما رميته به هو من أحاديث الامام البخارى والامام مسلم فى صحيحهما وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم وقد أجمع علماء الاسلام فى كل العصور على صحة صحيحى البخارى ومسلم وتلقيهما بالقبول وأنه ليس فيهما مطلقا حديث ضعيف فضلا عن أن يكون موضوعا •

ومن واجبا أن نعلم أن هذا الأمر له المتخصصون أهل الذكر وقد قالوا : كلمتهم قبل أن أكتب وتكتب أنت ويكتب غيرك فالأمر ليس أمر هوى يتبع أو مزاجا شخصا أو ما يسمى بالعقل لأن العقول تتفاوت وتختلف

من كتب الأقدمين الا انها بلا سند يشفع لتصديقها لاكثر من أمر • ورجحت انها من الاسرائيليات •

وذكرت من هذه الامور أن القصة لون من ألوان الفصال التجارى وأن فيها اختيار موسى عليه السلام من بين الأنبياء وأنها أشبه فى بنائها بقصة مفاوضة اليهود مع موسى فى ذبح البقرة الى آخر ما كتب •

وفى الحق ان لك كتابات طيبة هى محل ثناء وتقدير وبودى لو سلكت نهجك وسرت على طريقتك فى التثبت فيما تكتب حتى تؤدى واجبك كاملا وتحفظ بثقة قرائك • فان لك قراء يأخذون عنك ويطمئنون اليك • وتكون فيما كتبت قد قمت بواجب الامانة العلمية •

تضع كل أمر فى موضعه أما أنك أو غيرك يرفض تصديق القصة ومعظم ما حفلت به الكتب مما رآه النبى صلى الله عليه وسلم • فى

والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته •

ثم عقب الاستاذ أحمد بهجت
قائلا :

حدود العقل

العقل هو الهبة التي منحها الله
لعباده من البشر ، والعقل أداة
الانسان للخلافة في الأرض ، وهو
مناطق التكليف فاذا ذهب العقل
بالجنون أو بالمرض سقطت التكليف
عن الانسان ، ورغم أهمية العقل
وكونه أمنا للانسان ، فاننا نراه
مطية اذا تعلق الأمر بالوحي ، اذ قال
الله تعالى : « ان البحر قد انشق
أو أن العصا تحولت الى ثعبان أو
أن عيسى أحيا الموتى » صدقنا على
الفور وقلنا لعقلنا :

— العقل في حضور الوحي طفل
يؤمر فيطيع ، لا عليه أن يفهم مشيئة
الله وكيف تجري في الكون ، وانما
عليه التصديق والطاعة .. وهذا
جوهر الايمان ، ونحن نقف بعقولنا
عند حدودها اذا تكلم الوحي ،
سواء كان ذلك قرآنا أم سنة
نبينا ، أما القرآن الكريم فقد حفظه

والوحي جاء ينظم مسارها ويهديها
الى سواء السبيل •

ان انكار السنة والنيل منها
يهدم الدين لأن الاسلام يقوم على
القرآن والسنة معا • قال تعالى :

« ونزلنا اليك الذكر لتبين للناس
ما نزل اليهم » •

ويقول تعالى :

« وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا » •

ويقول صلى الله عليه وسلم :

« الا واني اوتيت القرآن ومثله
معه » •

ويقول : « صلوا كما رأيتموني
أصلي » •

كما يقول : « خذوا عني
مناسككم » •

هذا وحديث فرض الصلاة
مذكور في صحيح البخاري في
كتاب الصلاة •

وقفنا الله وإياكم لما يحبه
ويرضاه •

أن كتاب البخارى من الكتب الستة الصحاح الا أنه قد تعرض لنقد علماء الأزهر ومجمع البحوث الاسلامية ، يقول كتاب مجمع البحوث الاسلامية لمؤلفه الشيخ الدكتور محمد محمد ابو شهبة : « انتقد بعض الحفاظ على البخارى أحاديث ذكرها فى صحيحه ، وليست على المستوى والدرجة العالية التى التزمها فى صحيحه ، وعدة الأحاديث المنتقدة على البخارى مائة وعشرة أحاديث » وفى كتاب المجلس الاعلى للشئون الاسلامية للدكتور النعمان القاضى يقول : « ورغم ما لكتاب البخارى من منزلة رفيعة بين كتب الحديث فقد تعقبه علماء الحديث فى رجاله وأحاديثه وطريقة تأليفه وأخذوا عليه بعض المآخذ ، أما الرجال فضعفوا منهم نحو ٨٠ رجلا ، أما الأحاديث فضعفوا منها نحو مائة ، عابوها بشذوذها ، وما فيها من علل وقف أو قطع » .

ويورد البخارى حديثا مفاده « أن يهوديا سحر النبى صلى الله عليه وسلم فكان الرسول يخيل اليه

الله تعالى لقوله : « انا نحن نزلنا الذكر وانا لحافظون » ، اما السنة الشريفة فقد دونت كتبها الصحاح فى القرن الهجرى الثالث ، أى بعد أكثر من مائتى سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت سنة ٤٠ من الهجرة - كما يقول المرحوم الشيخ مصطفى السباعى : هى الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوها من الكذب والوضع ، وبين التزيد فيها والاضافة اليها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية ، ويقول المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف « بقيت السنة بعد تدوينها فيها مجال للاختلاف ، واليها منفذ الوضع والافتراء . ويختلف الأئمة فى طريق الوثوق بالسنة والميزان الذى ترجح به رواية على رواية ، لأن الوثوق بالسنة مبنى على الوثوق بروايتها وكيفية روايتها وقد نشأ علم الحديث وهو العلم الذى يميز بين الجواهر الحقيقية التى قالها النبى صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأقوال التى نسبت اليه ، وهو علم قيم له أهميته البالغة . . ورغم

فرض على المسلمين ، وهناك علم كامل يبحث فى تمييز أقوال الرسول عن غيرها ، وقديما كان هذا العلم يهتم بالسند أو الراوى ، فيعرف من هو ومدى قربه من الرسول والصحابة ، وعمن سمع ، وعن أخلاقه وصفاته وسلوكه ، وهل يكذب ، وما مصلحته فى الرواية الى آخر ذلك ، ثم مرت الايام وبعد العهد بالرسول والصحابة والتابعين ، وتغير هذا العلم بعد ذهاب مصادره فتكامل بتحوله من علم للرواية الى علم للدراية ، وعلم الدراية هو الذى يبحث فى « المتن » أى مضمون الحديث ذاته ..

وللعلماء طرق فى معرفة الوضع فى المتن ، منها ركافة اللفظ ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم والحكمة والبلاغة ، ومنها فساد المعنى بحيث يكون الحديث مخالفا لبديهيات العقول ، ومنها مخالفته لصريح القرآن أو حقائق التاريخ المعروفة أو المبالغة أو اشتماله على مذهب الراوى •

انه يفعل الشيء وما فعله » وهذا حديث كذبه كثير من العلماء المعاصرين : (محمد عبده - الشيخ محمد الحديدي - مصطفى الطير - الشيخ محمد محمود حجازي صاحب كتاب التفسير الواضح) ، أى أن علماءنا الأجلاء نقدوا كثيرا من أحاديث البخارى ، وليس صحيحا هذا الاجماع عليه ، وعند المسلمين كتاب واحد مقدس هو الذى يقول وعلينا السمع والطاعة وذلك هو القرآن الكريم ، وما عداه من كتب يؤخذ منها ويرد عليها فهم رجال ونحن رجال •

هذه واحدة .. أما الثانية فهي :

نظرة جديدة

القرآن الكريم هو المصدر التشريعى الأول عند المسلمين ، والسنة الشريفة هى المصدر الثانى ، وفى السنة ما هو متفق عليه وثابت وروده عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا تجب له الطاعة ، وفيها ما هو موضوع أو منسوب بغير حق للرسول ، واستبعاد هذا

الصحاح ، وهل تحتاج لنظرة أخرى أم لا ؟

يرى الشيخ عبدالمهيمن - إيماناً منه - أن كتب السنة الصحيحة قد قامت بالمهمة ، ونرى نحن - اجتهداً منا - أنها في حاجة إلى نظرة يقوم بها علماء الحديث في مصر والعالم الإسلامي ، ولو تكونت لجنة ونظرت في هذه الكتب ودققت وبحثت بغرض تنقية هذه الكتب من أحاديث تعارض نصوص القرآن أو تعارض بديهيات العقل لاطمأن قلب المسلمين ، ورغم أن معظم كتب الصحاح صحيحة ، إلا أن فيها أحاديث عن سحر الرسول وضرب موسى عليه السلام لملك الموت على عينه فقأها ، وفيها خرافات واسرائيليات من واجب علماء المسلمين تنقيتها وتطهيرها ، وجمع السنة الصحيحة في كتاب جديد ، وهذا الواجب ، وهو النظر في تنقية السنة مما شابها هو مهمة علمية بقدر ما هو فيضة دينية ، ولا يشفع للمسلمين أن يتقاعسوا عن هذه المهمة ، لأن

وعلم الحديث اليوم لا يجد فرساناً كثيرين ، فقد تناقص عدد علمائه ، وصاروا في ندرة الجواهر واكتسبت كتب القدماء قداسة لا يعرفها الإسلام ، وصار يكفي أن يكون الحديث موصولاً بالرسول ليصدق الناس ، رغم أن اختيار مجموعة من الصحابة والتابعين ونسبة ما لم يقولوه إليهم ونسبته بعد ذلك للرسول ، وطبعه في كتاب مسألة ليست صعبة ، لقد طبع كتاب البخاري وغيره من كتب الصحاح آلاف الطباعات على امتداد القرون ، وكانت معظم هذه الكتب في أصلها أوراقاً قليلة ، فكيف صارت اليوم مجلدات ضخمة ، وأعداء الله الذين طبعوا من القرآن طباعات محرفة لا يعجزهم أن يدسوا في السنة ما ليس منها بعدسبكه ، والاسرائيليات خير شاهد ودليل . ولا خلاف بين المسلمين على أن علم الحديث هو سلاح المسلمين في تنقية السنة وحفظها ، ولكن الخلاف على كتب السنة الستة

وهذا ما نسلم به ولكن ليس معنى ذلك أنها كتبت من فراغ بل لقد بدأ تدوين السنة كتابة في عهد صلى الله عليه وسلم بأذنه الصريح لبعض الصحابة أن يكتب للصحابي اليمنى «ابى شاه» بعد أن التمس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : « اكتبوا لأبى شاه » .

وحدث أن بعض الصحابة شكوا الى رسول الله أنه يعجبه الحديث ولا يحفظه ، فقال له الرسول : « استعن بيمينك » وأوماً بيده الى الخط . هذا فضلا عما هو معروف من صحيفة سيدنا « على » كرم الله وجهه الذى كان فيها العقل وفكاك الامير . الخ . وما ثبت أيضا من أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب فى صحيفته المسماه بالصادقة وهو لا يكتب الا اذا اذن له الرسول ، بل ان بعض العلماء اعتبر اذن رسول الله بكتابة الحديث بعد نهيهِ عن ذلك اعتبره وعده نسخا اذ النهى كان فى مبدأ الأمر خشية اختلاط السنة بالقرآن .

اتمامها يعنى انجاز واجب دينى وعلمى خطير . .

ان حب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون بتقديس ما روى عنه دون تثبت أو مناقشة ، وانما يكون بفقه أحاديثه وتنقية كتب الأحاديث مما دس عليها من خرافة واسرائيليات .

أحمد بهجت

ردا على تعقيب الاستاذ أحمد
بهجت وأرسل الى جريدة الأهرام
بتاريخ ١٩٧٩/٧/١٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم
السيد المحترم الاستاذ / أحمد
بهجت
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد . . .

فلقد أطلعت على ما كتبت
بتاريخ ١٩٧٩/٧/٨ ، ١٩٧٩/٩/٩
فى صحيفة الأهرام تحت عنوان
« حدود العقل » و « نظرة جديدة »
وذكرت أمورا لى عليها تعليق هى :
ان السنة قد دونت كتبها
الصحيح فى القرن الثالث الهجرى

موضوعة فهي دعوى باطلة لا تقوم على دليل صحيح ولا سند يطمأن اليه وانما قامات على شبهة لا تلبث أن تزول أمام البحث العلمي الصحيح أما ما عزي الى المرحومين الامام محمد عبده والشيخ محمد حجازي من أنهما كذبا حديث السحر فأقول : أن كلا منهما ليس من رجال الحديث فشأنهما في ذلك شأن الزمخشري صاحب مدرسة التفسير وأستاذ كثير من المفسرين فقد قال عنه العلماء أنه ليس من رجال الحديث •

أما فضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير - أمد الله في عمره - فقد قال بصحة هذا الحديث ، ومنهجه في هذا منهج الأئمة والعلماء الذين قالوا : أن الحديث اذا صح فهو مذهبهم ويؤيد فضيلة الشيخ الطير كلامه هذا بقوله في كتابه « هادى الأرواح » ص ٧٧ ما نصه : « والشافعية اعترضوا على القتل مطلقا بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقتل اليهودى الذى سحره » •

وصار الحديث يدون ويتسمع تدوينه الى أن أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز العلماء فى مختلف الأمصار بجمع السنة وتدوينها وذلك فى نهاية المائة الأولى من الهجرة ، ومن كل هذا يتبين لنا أن تدوين السنة بدأ مبكرا فى عهده صلى الله عليه وسلم واستمر يتزايد حتى أمر به الخليفة عمر بن عبد العزيز • هذا بالإضافة الى أن حفظ السنة بالدرجة الأولى شأنها فى ذلك شأن القرآن فى العصر الاول - كان بالحفظ فى الصدور الأمر الذى امتازت به الامة الاسلامية فى حرصها على مصادر الاسلام اقامة لشريعة الله وتطبيقا لها •

أما أن السنة النبوية قد استهدفت للوضع ، فهذا ما نسلم به ولكن صحيح البخارى ومسلم ليس فيهما شئ من الأحاديث غير الصحيحة بل كل ما فيها صحيح كما حققه علماء الحديث المتخصصون • وأما ادعاء من لا يعد من رجال الحديث من أن فى الصحيحين أو أحدهما أحاديث

ونقرأ معا ما قاله الاستاذ الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - وهو علم من أعلام علم الحديث المعاصرين وذلك فى تعليقه على كتاب - الباعث الحقيقى لأبن كثير ص ٢٢ •

« الحق الذى لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها ليس فى واحد منهما مطعن أو ضعف » •

وانما انتقد الدارقطنى وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ فى الصحة الدرجة العليا التى التزمها كل واحد منهما فى كتابه • وأما صحة الحديث فى نفسه فلم يخالف أحد فيهما » •

أما قولك : « وعند المسلمين كتاب واحد مقدس هو الذى يقول وعلينا السمع والطاعة وذلك هو القرآن الكريم وما عداه من كتب يؤخذ منها ويرد عليها فهم رجال

أما من قيل عنهم أنهم علماء ونقدوا البخارى فهم ليسوا علماء درجة من العلم تؤهلهم لذلك • وقد رد عليهم العلماء المتخصصون ••• وأفحموهم ومما يؤسف له حقا أن هؤلاء يرددون أقوال المستشرقين وأعداء الاسلام •

أما ما ذكرته من نقد للإمام البخارى من فضيلة الشيخ الدكتور محمد أبى شعبة وغيره من العلماء المتخصصين فهو موجه الى أحاديث معدودة يبلغ عددها مائة حديث وعشرة أحاديث من جملة أحاديث صحيح البخارى التى تبلغ أربعة آلاف حديث والنقد الموجه الى هذه الأحاديث لم يوجه الى سندها أو متنها وانما كان النقد موجها الى أن الامام البخارى قد التزم الا يذكر فى صحيحه الا الحديث الصحيح من المرتبة الاولى فى الصحة فنزل فى هذه الأحاديث الى المرتبة الثانية فى الصحة وذلك لأمر رأى أنها تؤدى الى نفع وخير ولم يخرج فى صحيحه عن الصحة قط وكذلك شأن الامام مسلم فى صحيحه •

بالمريض العاды الذي كان يلم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يقبل أحد أن ذلك ينال من
عصمته فالله قد عصمه من الناس
في كل ما يتصل بالرسالة * وهذا
هو الذي رآه العلامة المرحوم
الشيخ محمد رشيد رضا وهو
تلميذ الامام محمد عبده وقد خالف
استاذة الامام في ذلك •

أما من يزعم أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم معصوم من الناس
بعامه فإن ما حدث له من اعتداء
المشركين في الطائف وفي مكة وفي
غزوة « أحد » وغيرها ينفي هذا
الزعم والحديث والحمد لله صحيح
لا يلحقه أى ضعف •

أما حديث الاسراء والمعراج
الذي نحن بصدده فقد رواه ما يزيد
على العشرين من الصحابة رضوان
الله عليهم ليس فيهم أحد من أهل
الكتاب الذين دخلوا في الاسلام •

أما قولك : هناك علم كامل
يبحث في تمييز أقوال الرسول عن
غيرها ، وقديما كان هذا العلم

ونحن رجال فأقول لسيادتكم من
هذا الذي يأخذ من كتب السنة
ويرد عليها ؟ أترك أمر كهذا له
منزله ومكاته لغير المتخصص ؟
ان من القواعد المسلم بها أن
لكل علم رجاله الذين تخصصوا
وبرعوا فيه وعرفوا أصيله من
زيفه وصحيحه من فاسده واليه
يرجع غير المتخصصين يأخذون
عنهم ويتعلمون منهم •

ان ترك العلوم لغير المتخصصين
وبخاصة في عصر التخصص يصيب
العلم بنكسة وردة وانامة لا يسند
فيها الامر الى ذويه توغل في
التأخر والتخلف • ان كل علم له
ضوابطه وقواعده فلا يستقيم
ولا يصح أن يدخل فيه من ليس
من أهله واننا - والله - لا نريد
من وراء هذا حجرا على أحد ولا
أن يستأثر به أحد •

وحادثة السحر الوارد فيها
الحديث الذي أورده ليس فيها
ما يطعن في عصمة الرسول صلى
الله عليه وسلم فتأثير السحر كان
في جسده الشريف ، فالسحر أشبه

يتورعون في دينهم ويتثبتون من أقوالهم وإن أردت أنها قد تضاعفت شرحا وتعليقا واستنباطا لأحكامها وبيانا لما فيها من فقه وتشريع وأخلاق ومواعظ وبلاغة وأدب رفيع وجوامع كلم فهذا صدق وحق والمكتبة الإسلامية زاخرة وغنية بالمجلدات والموسوعات والشروح لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزداد وتتسع على يد من يوفقه الله لهذا العمل الجليل .

وإن السنة الشريفة قد سخر الله لها - كما سخر لكتابه العزيز - من قام بفهرستها وهو عمل كبير استغرق وقتا طويلا وأتفق فيه مال كثير (وما يعلم جنود ربك إلا هو) .

أما ما يتصل بحديث موسى عليه السلام مع ملك الموت وأنه فقأ عينه فهو حديث صحيح ولا مطعن عليه ممن يعرف السنة فسيدها موسى لم يكن يعلم أنه ملك الموت وإنما ضربه دفاعا عن نفسه ظنا منه أنه يريد به بسوء وعندما جاءه في المرة

يهتم بالسند أو الراوى الخ ما قلت .

فأقول : إن مدرسة الحديث قد عنيت بالحديث رواية ودراية سندا ومتنا عناية تامة وأنها وفّت كلا منهما حقه ، وأن المتن قد درس دراسة فائقة فحكم رجال هذا العلم على أحاديث بالوضع والاضطراب والشذوذ ، والتعليل والنكارة من طريق النظر في المتن فحسب كما وضعوا أمارات وعلامات يستدل بها على كذب الحديث ، أبعد هذا يقال إن متن الحديث يحتاج إلى بحث وتدقيق وتنقية ؟

أما قولك بأن كتب الحديث قد طبعت آلاف الطبعات ، وكانت معظم هذه الكتب في أصلها أوراقا قليلة فكيف صارت اليوم مجلدات ضخمة .

فأقول : إن قولك هذا إن أردت به أن كتب السنة كالبخارى ومسلم وغيرها قد زيد فيها وأضيف إليها ما لم يقله رسول الله فهذا لم يقل به أحد من المسلمين الذين

الثانية وعرف أنه ملك الموت وأن الله سبحانه خير سيدنا موسى بين طول الحياة والانتقال الى جوار ربه فاختر عليه السلام - جوار ربه •

وكلمة أخيرة أقولها - ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلمت من أى دخیل بعد أن أبان رجالها كل حديث نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوه فى مكانه ومرتبته ولكن السنة دائما وفى كل عصر تنال بالطعن والغمز واللمز بالباطل من أعداء الاسلام والخارجين عليه وأظنك تذكر ما تعرضت له السنة فى مصر على يد صاحب كتاب «أضواء على السنة» وما كتب عنها بيد كاتب «كبير» فى مجلة العربى وتركيزه على التهوين من شأن «صحيح البخارى» بخاصة - غفر الله لهما - أما فى هذه الأيام فاننا نرى أن الهجوم قد جاءها من حاكم من حكام احدى الدول العربية ينكرها جملة وتفصيلا ، وما انكار السنة أو النيل منها

بالباطل الا طريق من الطرق التى يلجأ اليها أعداء الاسلام رغبة فى القضاء عليه •

« يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » •

هذا واتنا جميعا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وندعو أنفسنا وغيرنا ألا نقول فى حديثه بغير علم وأن تثبت مما نقوله فان هذا هو أمانة الحب وعلامة الصدق فى الاتباع • وقد امرنا الله تعالى الا تتبع ما ليس لنا به علم فقال جل ثناؤه :

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » •

صدق الله العظيم •
تحريرا فى ٢٢ من شعبان سنة ١٣٩٩ هـ

الموافق ١٧ من يوليو سنة ١٩٧٩ م

عبد المهيمن محمد الفقى

حكم... و طرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« لا عز الا في التقوى »

كثيرا من الناس في الخير ! عجبت
لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى
نفسه للخير أهلا ! فلو كنا لا نرجو
جنة ولا نخاف نارا ، ولا ننتظر
ثوابا ، ولا نخشى عقابا لكان ينبغي
لنا أن نطلب مكارم الأخلاق ، فانها
تدل على سبيل النجاة .

فقام اليه رجل فقال : فذاك أبي
وأمي يا أمير المؤمنين ! أسمعته من
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟
قال : نعم ، وما هو خير منه ، لما
أوتينا بسبايا طيء كانت في النساء
جارية حماء (١) ، حوراء العينين (٢)
لعساء (٣) ، لمياء (٤) ، عيطاء (٥) ،
شماة الأنف ، معتدلة القامة .

فلما رأيتها أعجبت بها ، فقلت :
لأطلبنها إلى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - ليجعلها من فيئتي (٦)
فلما تكلمت أنسيت جمالها لما سمعت
من فصاحتها ، قالت : يا محمد
هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان
رأيت أن تخلي عني ، فلا تشمت بي
أحياء العرب ! فاني بنت سيد

١ - قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - : من سره أن يكون
أعز الناس فليتق الله ، ومن سره
أن يكون أغنى الناس ، فليكن بما في
يد الله أوثق منه بما في يده ، ومن
سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل
على الله .

٢ - وفي هذا المعنى يقول على
ابن أبي طالب ، رضى الله عنه : من
سهره الغنى بلا مال ، والعز
بلا سلطان ، والكثرة بلا عشيرة ،
فليخرج من معصية الله الى طاعته ،
فانه واجد ذلك كله .

٣ - وقال المنتصر العباسي ، والله
ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من
جبينه ، ولا ذل ذو حق ولو انفق
العالم عليه .

« بنت حاتم الطائي »

قال على بن أبي طالب - رضى الله
عنه - : يا سبحان الله ! ما أزهـد

- (١) حماء : سوداء
- (٢) الحور : سواد العين كلها .
- (٣) جارية لعساء : في لونها أو في سودا ، مشربة بحمرة .
- (٤) اللمى : سمرة في الأنف .
- (٥) امرأة عيطاء : طويلة العنق .
- (٦) الفئء : الغنيمة .

وانك لشريك ، وما لله من شريك ،
وان أباك الأعور ، والصحيح خير من
الأعور . فكيف سدت قومك ؟

فقال له : انك معاوية وما معاوية ،
الا كلبة عوت ، فاستعوت الكلاب
وانك ابن صخر ، والسهل خير من
الصخر . وانك ابن حرب ، والسلم
خير من الحرب . وانك ابن أمية ،
وما أمية الا أمة صغرت فكيف
صرت أمير المؤمنين ؟

ثم خرج وهو يقول :

أيشتمنى معاوية بن حرب
وسيفى صارم ومعى لسانى ؟

وحولى من ذوى يزن ليوث
ضراغمة تهش الى الطعان

يعير بالدمامة من سفاه
وربات الحجال من الفوانى

« هجر القرآن »

هجر القرآن أنواع : أحدها
هجر سماعه والايمان به والاصفاء
اليه ، والثانى هجر العمل به
والوقوف عند حلاله وحرامه ،
وان قرأه وآمن به ، والثالث هجر
تحكيمة والتحاكم اليه فى أصول
الدين وفروعه واعتقاد انه لا يفيد
اليقين ، وأن أدلته لفظية لا تحصل
العلم والرابع هجر تدبره وتفهمه
ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .
والخامس هجر الاستشفاء والتداوى
به فى جميع أمراض القلوب وأدوائها
فيطلب شفاء دائه من غيره ، وبهجر
التداوى به وكل هذا داخل فى قوله :
« وقال الرسول يارب أن قومي
أتخذوا هذا القرآن مهجورا » وان
كان بعض الهجر أهون من بعض .

قومي ، كان أبى يفك العانى ، ويحمى
الزمار ، ويقرى الضيف ، ويشبع
الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم
الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد
طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم
طبيء ، فقال لها رسول الله - صلى
الله عليه وسلم : - يا جارية ، هذه
صفات المؤمن ، ولو كان أبوك
إسلاميا لترحمنا عليه ، خلوا عنها
فان أباهما كان يجب مكارم الأخلاق !

« سماحة الاسلام »

روى أبو هريرة - رضى الله
عنه - قال : جاء رجل الى
النبي - صلى الله عليه وسلم -
فقال : هلكت يا رسول الله ، قال
وما اهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى
فى رمضان ، فقال : هل تجد
ما تعتق به رقبة ؟ قال : لا ،
قال : فهل تستطيع أن تصوم
شهرين متتابعين ؟ قال : لا . قال :
فهل تجد ما تطعم به ستين
مسكيناً ؟ قال : لا . . . ثم جلس .

فأتى النبي - صلى الله عليه
وسلم - بتمر ، فقال : تصدق
بهذا . قال : فهل على أفقر منا ،
ليس هناك أهل بيت أحوج اليه
منا .

فضحك النبي - صلى الله عليه
وسلم - حتى بدت نواجذه ، وقال :
أذهب فاطعمه أهلك .

« اللعب بالألفاظ »

دخل شريك بن الأعور على معاوية
ابن أبى سفيان ، وكان شريك
دميماً ، فقال له معاوية : انك
لدميم ، والجميل خير من الدميم .

« المحبة مفتاح كل خير »

ومغلاق كل شر ، تستر بها عندك
عيوبه ، وتصير حسنات ذنوبه !
قال : صدقت .

« حقيقة الدنيا »

ان الانسان اذا تأمل بفكره في
الحياة الدنيا ، وتصور ما فيها من
مرض بعد صحة ، وفقر بعد غنى ،
وذل بعد عز ، وهبوط بعد صعود ،
وتأخر بعد تقدم ، وموت بعد حياة .
اذا تأمل الانسان في ذلك كله ،
لحكم على الدنيا بأنها دار جردت من
السعادة والهناء .

حقا ان الدنيا دار هم وغم وتعب
وبلاء ، وعناء ووصب فمن طلب
الراحة فيها طلب المحال .

تعب كلها الحياة فما اء
جب من راغب في ازدياد
دار حفت بالكوارث والنكبات ،
وامتلأت بالقوارع والافات ، من صح
فيها سقم ، ومن آمن فيها ندم ،
ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى
فيها افتتن ، في حلالها حساب ، وفي
حرامها عقاب . فكيف يطمئن الناس
اليها وقد علموا الا بقاء فيها .
وانما هي كما قال الشاعر :

هب الدنيا تساق اليك عفوا
ليس مصير ذاك الى انتقال

وما دنياك الا مثل فيء
أظلك ثم آذن بالزوال

دعا المنصور بالربيع (١) فقال :
سلنى ما تريد ! فقد سكت حتى
نطقت ، وخففت حتى ثقلت ، وقللت
حتى اكثرت !

فقال يا امير المؤمنين ، ما أرهب
بخلك ، ولا أستصغر فضلك ،
ولا أغتنم مالك ، وان يومى بفضلك
على احسن من أمس ، وغدك فى
تأملى احسن من يومى ! ولو جاز ان
يشركك مثلى بغير الخدمة والمناصحة
لما سبقنى لذلك أحد .

قال : صدقت ، علمى بهذا منك
احلك هذا المحل ، فسلى ماشئت .

قال : أسألك أن تقرب عبدك
الفضل (٢) ، وتؤثره وتجهه ! قال :
يا ربيع ، ان الحب ليس بمال
يوهب ، ولا رتبة تبذل ، وانما تؤكده
الاسباب .

قال : فاجعل له طريقا اليه
بالتفضل عليه !

قال : صدقت وقد وصلته بألف
درهم ! ولم اصل بها أحدا غير
عمومتى ، لتعلم ما له عندى :
فيكون منه ما يستدعى به محبتى .

ثم قال : فكيف سألت له المحبة
يا ربيع ؟ قال : لأنها مفتاح كل خير

(١) هو الربيع بن يونس ، خدم المنصور ثم تدرج فى المناصب عنده الى

ان استوزره ، وكان جليلا نبيلًا عارفا بخدمة الخلفاء ولابنه الامين .

(٢) هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وزر للرشييد بعد البرامكة .

الأذان ارتجت المدينة بالكاء ، وتذكر الناس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فما روى يوم أكثر باكيا بالمدينة من ذلك اليوم .

« من كنت أباه فهو يتيم »

كتب المنصور الى زياد بن عبد الله الحارثي أن يقسم ما لا بين القواعد والعميان والأيام . فدخل عليه أبو زياد التميمي ، فقال أصلحك الله ، أكتبني في القواعد ، فقال له : عافاك الله ، القواعد من النساء اللاتي قعدن عن أزواجهن ، فقال أكتبني في العميان . قال أكتبوه فيهم فان الله تعالى يقول : « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

قال أبو زياد : واكتب ابنتي في الأيتام .

قال : نعم من كنت أباه فهو يتيم .

« لا أبيع الدين بالتين »

كان مالك بن دينار يمشي في سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه ولم يكن معه نقود يشتري بها فخلع نعله وأعطاه لبائع التين ، فقال لا يساوي شيئاً ، فأخذ مالك نعله وانصرف فقيل للرجل : انه مالك ابن دينار ، فمأ الرجل طبقاً من التين وأعطاه لفلان ، ثم قال له : الحق بمالك بن دينار ، فان قبله منك فأنت حر فعدا الفلام وراءه فلما أدركه ، قال له : أقبل مني فأبى ، فقال : أقبل فان فيه تحريري ، فقال مالك : ان كان فيه

« الامام الشافعي في ساعته الأخيرة »

دخل رجل على الامام الشافعي - رضي الله عنه - وهو في ساعته الأخيرة ، فقال له : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولاخوتي مفارقاً ، وبكأس المنية شارباً ، ولا أدري الى الجنة تصير روحى فأهنيها ، أم الى النار فأعزيها » .

وانشأ يقول :

ولما قسى قلبى وضاعت مذاهبى
جعلت الرجا منى لعفوك سلماً
تعاطمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظماً

« بلال يؤذن »

لما تولى الخلافة أمير المؤمنين ، عمر - رضي الله عنه - ، وفتحت جيوش المسلمين أرض الشام تقدم اليه مؤذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلال بن رباح الحبشي - رضي الله عنه - يستأذنه أن يقيم بالشام ، فأذن له عمر .

وبينما هو مقيم بها ، رأى في منامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول له : « ما هذا الجفوة يا بلال ؟! أما أن لك أن تزورنى يا بلال » ؟

وانتبه بلال من نومه خائفاً وجلاً ، وركب من يومه راحلته قاصداً مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسار الى أن دخل المدينة المنورة ، واتى قبر النبى - صلى الله عليه وسلم - ، وانكب عليه يبكى ويمرغ وجهه عليه ، ثم طلب منه الناس أن يؤذن في المدينة ، ولما أخذ في

« وصية »

أوصى الامام على ولده الحسن -
رضى الله عنهما - فقال : يا بنى
احذر من الأمور ثلاثا ، ووافق ثلاثا ،
واستح من ثلاث وأفرغ الى ثلاث ،
واهرب من ثلاث ، وخالف ثلاثا ،
وخف ثلاثا ، وارج ثلاثا . فقال
الحسن : فصلها يا أبى ، فقال :

احذر من الكبر والفضب
والحرص المذموم ، ووافق كتاب
الله وسنة رسوله والصالحين من
عباده ، وليكن حياؤك من الله ومن
الملائكة ومن الصالحين ، وليكن
فزحك خوفا من المعصية وفزعك
الى التوبة وفزعك الى طلب العلم
واهرب يا بنى من الكذب والخيانة
والظلم ، واجتنب الشر وأهله
والنفاق وأهله والحمق وأهله ،
وخف الله وممن لا يخاف الله ومن
لدغات لسانك ، وارج الله فى
غفران ذنوبك وفى قبول أعمالك ،
وفى شفاعت نبيك .

« ابتهالات »

١ - حج أعرابى فقال : اللهم ان
كان رزقى فى السماء فأنزله ، وان
كان فى الارض فأخرجه ، وان كان
نائيا فقربه ، وان كان قريبا
فيسره .

٢ - ودعا آخر فقال : اللهم
لا تخيبنى وأنا أرجوك ، ولا تعذبنى
وأنا أدعوك ، فقد دعوتك كما
أمرتنى ، فأجبنى كما وعدتنى .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

تحريرك ، فان فيه تعذيبى فالح
الغلام عليه ، فقال : حلفت أن
لا أبيع الدين بالتين . ولا آكل التين
الى يوم الدين .

« الصبر جميل »

أصاب عروة بن الزبير - رضى
الله عنه - [الاكلة] (١) فى رحلة
فاشاروا عليه بقطعها .

قالوا : نسقيك المرقد .

فقال : انى لاكره أن أفارق عضوا
من أعضائى ، وأنا لا أجد الما لفراق
ذلك العضو .

ودخل عليه قوم انكرهم ، فقال :
ما هؤلاء ؟! قالوا : يمسونك .
قال : أرجو أن اكفيكم ذلك من
نفسى .

ومد رجله وجىء بالسكين ،
فقطع اللحم ، وبالمشمار فنشر به
العظم ، وأغلى الزيت فى مغارف
الحديد وحسم به الدم . كل ذلك ،
ولم يقبض وجهه ، ولم يتحرك ،
وفى أثناء ذلك دخل عليه رجل
يعزيه ، فقال : ان كنت تعزىنى فى
رجلى ، فقد احتسبتها !.

قال : بل أعزىك فى ولدك محمد !
قال : ماله ؟!

قال : سقط الساعة فى اسطبل
دواب الوليد ، فرفسته بقوائمها
حتى قتلتها .

فما زاد على أن قال : « اللهم
أخذت ابنا وأبقيت أبناء ، وأخذت
عضوا ، وأبقيت أعضاء » .

« اللهم ان كنت أخذت فقد
أبقيت ، وان كنت ابتليت فقد
عافيت » .

باب الضاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

الامام الأكبر الشيخ محمود
شلتوت فتوى فى هذا الموضوع
نوردها فيما يلى لعل فيها تذكير
وتنبيه لتلك القلوب الغافلة والله
يقول الحق وهو يهذى السبيل •

يقول رحمه الله : قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى

للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى
ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا
من فضل الله واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون » (١) •

وهكذا يجمع الله للمؤمنين بين
الدنيا والدين ، بين عبادة ربهم
والسعى على رزقهم ، ولا يتركهم
للدنيا يأخذهم من الدنيا ، ولا للدنيا

س : نرى فى المساجد يوم الجمعة
وغيرها مظاهر لتصرفات سيئة
لا تليق بجلال المسجد نرجو
الكتابة عن الآداب التى يجب أن
يرعاها المسلمون حين يدخلون
بيوت الله •

ج - لا شك أن كثيرا من
المسلمين الغيورين على دينهم
يزعجهم ويؤلمهم ما يشاهدون من
مخالفات فى مساجدهم ناشئة عن
جهل أو تعمد أو ضحها ذلك
الصخب الذى ينبعث عندما يكون
هناك قارئ يتلو القرآن أو يلقي
بعض التواشيح رغم كثرة تنبيههم
الى التزام الصمت والسكينة ،
الى غير ذلك من المخالفات التى
ترتكب فى المسجد ... ولفضيلة

(١) الآيتان ٩ و ١٠ من سورة الجمعة .

عظيما ، ولهديناهم صراطا مستقيما » (٢) .
وقد تضافرت كثرة من أحاديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعد نزول القرآن فيها والأمر بالسعى إليها ، والتخلي لأجلها عن شئون الدنيا - على التحذير من تركها والتهاون في شأنها ، وكان منها قوله عليه الصلاة والسلام - قوم يتخلفون عنها : « لقد هممت أن أمر رجلا يصلى بالناس ، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم » . وقوله فيمن يتركها بغير عذر شرعى : « من ترك الجمعة ثلاثا من غير ضرورة طبع الله على قلبه » .

شعار الرابطة الإسلامية ١

وقد اعتبر الاسلام في صحة الجمعة وحدة الزمن والمكان ، ليكون الاجتماع لها وسيلة من وسائل التعارف والتعاون والاتحاد

تأخذهم من الدين ، بل يكلفهم الأمرين معا ، ويجعلها سبيل فلاحهم وسعادتهم ويجعل دعوتهم وشعارهم « ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » (١) .

مكانة الجمعة في الاسلام :

والجمعة هي تلكم الفريضة الأسبوعية التي يجتمع لها المؤمنون بشعور واحد في زمن واحد يخلعون أنفسهم ساعة من دنياهم ، يفرغون فيها لربهم ، فيناجونه ويستحضرون عظمته ، ويلتمسون منه العفو والرضا ، ويستمتطرونه الحول والقوة ، ثم يسمعون المواعظ المرققة للقلوب المهذبة للنفوس ، المرشدة الى وجوه السعادة في الدنيا والآخرة « ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ، وإذا لا آتيناهم من لدنا أجرا

(١) الآية ٢٠١ من سورة البقرة .

(٢) الآيات ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ من سورة النساء .

وقد نوه الله بشأنها وأضافها الى نفسه ، تشريفا وتكريما ، وجعله بيته ، خاصا به ، لا يذكر فيها أحد سواه ، ورفع قدرها بما أعدت له من عبادته وتقديسه « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله » (١) •

ثم ربط القلوب بها وبآثاره الطيبة التي يجب أن يحرص عليها المسلمون ضمنا لروابطهم وحسن عباداتهم « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » (٢) • « وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا » (٣) •

وجمع الكلمة ، وهى أول عبادة وضعها الاسلام فى شعار الرابطة الاسلامية والأخوة الدينية ، وهى كذلك أول ما وضعه من الشعائر العملية لمبدأ المساواة الذى قرره بين معتنقيه ، وألغى به التفاضل بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح ، وكان من شعار الرابطة والمساواة أيضا فيما طلب من عبادات على وجه أعم ونطاق أوسع ، صلاة العيدين ، واجتماع الحجيج فى بيت الله الحرام وعرفة من كل عام •

أما المسجد فهو ذلكم المكان الذى أعد لهذا الاجتماع ، وقد كان انشاؤه أول ما اتجهت اليه عناية الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد وصوله الى المدينة ، وأنشأ مسجده الجامع ليضم شتات المسلمين ، ولتقام فيه الصلوات فى صورة جماعية رائعة ، وقد درج المسلمون بعده على سنة بناء المساجد والعناية بها •

(١) الآيتان ٣٦ و ٣٧ من سورة النور •

(٢) الآية ١٨ من سورة التوبة •

(٣) الآية ١٨ من سورة الجن •

والسكينة ، والبعد عما يكدر
صفو الروحية التي يسعون اليها ،
ويلتمسونها بالصلاة الجامعة •
مظاهر لا تليق بجلال المسجد :

وحرصا على هذا الأدب لا ينبغي
أن يتخذ منها مسرح للتسول ،
وبيع المجلات والكتب ، يخترق
بها الصفوف وتوزع على المصلين
أوراق التسول والمجلات والاعلانات
التجارية والطبية ، ثم تجمع وينتقل
بها من صف الى صف ، وهكذا
يشغل المصلون بهذه الحركات عن
حسن توجيههم الى الله حتى اقامة
الصلاة •

ولا ينبغي أن تنطلق فيها
الأصوات المزعجة المقرفة للقلب
عقب الصلاة ، بحذاء فقد ،
أو مسبحة سقطت ، أو منديل
ضائع ، أو قراءة فاتحة لصاحب
الضريح أو غير ذلك ، مما يصرف
الناس عن تنسم طمأنينة الصلاة ،
أو آداب سنتها أو ختمها كما ورد
بالتسييح والتحميد والتكبير ،
وصح عن - النبي صلى الله عليه

هذا هو المسجد ، وهذه هي
الجمعة ، واحترامها والحمد لله
لا يزال باقيا في نفوس المسلمين ،
يتوارثونه الجيل بعد الجيل ،
والأبناء بعد الآباء ، وليسوا فيما
نرى بحاجة الى ما يبعث في قلوبهم
ذلك الاحترام الذي نرى آثاره
بادية على وجوه من لا يعرفون
المسجد ، ولا يهتمون بصلاة الجمعة
الا في مناسبات خاصة !!!
أدب المسجد والجمعة :

وقد كان المسجد وصلاة
الجمعة بهذا الوضع من أقوى
ما يعد النفوس لتلقى الالهامات
الروحية ، التي تضيء للمؤمنين
سبيل الهداية والتوفيق ، غير أن
بعض المظاهر كثيرا ما نشاهدها
تحدث في المسجد ، وفي صلاة
الجمعة على وجه خاص ، وأخشى
أن يكون لها تأثير سييء فيما
يرجون من اخلاص العبادة لله ،
والتوجه اليه سبحانه وحده •

ومن هنا أوجب الاسلام أن
يسود في المساجد مظهر الخشوع

قارىء يعمد في قراءته الى تطريب النغم ، فترتفع الأصوات بكلمات الاستحسان ، الى حد يتخيل مستمعوا المذيع أنها أصوات تنبعث من أحد الملائكة ، أو إحدى حفلات السرور ، وما هي الا في بيت الله ، ومجتمع المناجاة ، وبقراءة القرآن الكريم ؟؟

ولا ينبغي أن يهرع المصلون عقب السلام مباشرة الى حمل أحذيتهم ، متزاحمين على باب المسجد ، متدافعين متسابقين الى الخروج ، شأن الفارين من سجن طالت اقامتهم فيه ، وضائق بهم سبل التخلص منه ، ثم جاءهم الفرج ، وفاجأتهم ساعة الخروج ، وهم ما كانوا الا في المناجاة ، وتطمئن القلوب بذكر الله •

وقد كان من وصايا الرسول في ذلك أن طلب من المؤمنين الاغتسال ليوم الجمعة • وجعل أكل الثوم مثلاً لكل من به رائحة كريهة مؤذية ، وحذره من قربان المسجد وشهود الجماعة ، وصح عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت :

وسلم - أنه حذر من التماس الضالة في المساجد « والضالة الشيء المفقود » وأمر بالدعاء على من يلتمسها قولوا له : « لا ردها الله عليك » فان المساجد لم تبين لهذا •

ولا ينبغي أن تتخذ منها ميداناً للجدل الصاخب ، يثيره متفيهق ثرثار في شأن لا تعرف مشروعيته أو عدم مشروعيته الا من رجال النظر والاختصاص في الفقه وشئون العبادة •

ومن أمثلة ذلك ما كتب الى بعض المقيمين في القرى ويقول : « قد أخذت الناس فيه عاصفة حادة من الجدل وصلت بهم الى المعارك المادية في بيت الله وحرمة الصلاة » وكان من تلك المسائل : « صلاة الظهر ينفرد باقامتها بعض المصلين عقب سلام الامام من صلاة الجمعة مباشرة » • ومنها : « الأذان الذى يفعل بين يدي الخطيب داخل المسجد بعد صعود المنبر » • ومنها : « قراءة سورة الكهف بصوت مرتفع قبل الصلاة » ، وخاصة اذا كانت من

الطمأنينة القلبية التي يلتبسها المسلم من صلاته ومن حضوره المسجد ، لا سبيل لها الى القلوب الا في جو الهدوء والسكينة ، وخلوص الفكر لله وانفعال النفس بجلاله وعظمته ، وليس من شك أيضا في أن كل ما يؤذى ، رائحة ، أو صوتا ، أو حركة ، أو منظرا ، مما يعوق سيرها الى القلوب ، ويجعل الصلاة وحضور المسجد مجرد شأن تقليدى ، لاحظ للروح فيه ، والمؤمن يجب أن يكون فاقها بعبادته ، جادا في عمله حريصا على خيره ، ملتصبا رضا ربه .

« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون » .
والله اعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

(كان الناس ينتابون (يأتون) يوم الجمعة من منازلهم ومن العوالي (القرى) في العباء ، فيصيبهم الغبار والعرق فتخرج منهم الرياح ، فأتى النبي انسان منهم وهو عندي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا » ؟) .

واذا كان المسجد هو مكان الاجتماع الاسلامي ، فان ما يطلب فيه من التطهر والطيب شأن كل مجتمع فاضل في نظر الاسلام .

وكان من وصاياه عليه الصلاة والسلام في الجمعة ومثلها كل جماعة . التحذير من تخطى الرقاب ومن وصاياه الخاصة بالخطباء التحذير من اطالة الخطبة .

الطمأنينة القلبية :

وبعد .. فليس من شك في أن

حوار بين السيد رئيس الجمهورية والعلماء والمفكرين المسلمين

تحدثوا من قبل في مختلف فروع التخصصات وفي الحلول والمشاكل التي نواجهها والتي نعمل جميعا من أجل أن نصل الى الحلول فيها .

ومشاكلنا معقدة لأنه مضت فترة طويلة أهملت فيها أمور كثيرة ، ثم فوجئنا وتعداد السكان يزيد بمعدل مليون كل سنة .. فوجئنا بهذه المشاكل تجتمع مرة واحدة لتواجهنا وسمعتم اخوانكم وأخواتكم في توصيفهم لهذه المشاكل وللحلول ولعلها المرة الأولى التي نجلس فيها جميعا كعائلة واحدة لا فرق بين حاكم ومحكوم . كما تقضى شريعتنا السمحة لتتذكر ولنطبق قول الله سبحانه وتعالى « وأمرهم شورى بينهم » .

في هذه المرحلة لن يصح أمرنا الا بما صح به أمر الأوائل المكافحين من آباءنا وأجدادنا . من أن تجتمع كلمتنا جميعا على كلمة سواء .. وأن نشارك جميعا في توصيفها ونواجهه وفي إيجاد العلاج والطرق لمواجهة هذه

التقى الرئيس السادات في الاسماعيلية بعلماء الدين الاسلامي .. حضر المقابلة حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية والدكتور عبد الرحمن بيسار شيخ الازهر وحسن التهامي نائب رئيس الوزراء برئاسة الجمهورية والدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب ومنصور حسن وزير الدولة لرئاسة الجمهورية وعدد كبير من علماء الازهر الشريف والكتاب والمفكرين الاسلاميين ، وفيما يلى النص الكامل لكلمة الرئيس وكلمات القيادات الدينية والمناقشات التي دارت عقب انتهاء الرئيس من كلمته :

بسم الله ..

فضيلة الامام الأكبر .. الاخوة الاجلاء وعلماءنا الفضلاء . دعوتكم هذه الليلة لى تتذكر في أمر إعادة بناء مصر بعد أن فتح الله سبحانه وتعالى علينا بلدنا .. فأصبحت لنا لا قرار فيها غير قرارنا ولا ارادة فيها غير ارادتنا وسمعتم اخوتكم وأخواتكم الذين

بعد سنة ١٩٢٢ الى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الذين جعلوا من مصر مزرعة لهم ولمصالحهم واحتكروا الحكم كأنهم هم مبعوثو العناية الالهية لحكم مصر أما نحن الفلاحين والعمال الكادحين والعاملين فليس علينا الا السمع والطاعة لهم •

خانوا عرابى قمة الماساة

لم يكن هذا وحده ما أصابنا ولكننا فى الحقبة التى تلت ثورة عرابى ثم ثورة سنة ١٩١٩ فى هذه الحقبة بدأنا نخرج على الطريق الذى كما قلت لن نصلح الا اذا سرنا فيه •• بعد ثورة عرابى كما تعلمون قام نفر من أبناء مصر بخيانة عرابى وتمكن الاستعمار البريطانى •• من هذا المكان بعد أن دحر فى كفر الدوار والاسكندرية جاء الى القناة ومن هذا المكان زحف ووجد للأسف بعض الخونة من المصريين لكى يسيروا أمام الجيش البريطانى كأوامر الخديوى لهم •

وتبلغ المأساة قمتها حينما يحتفل الخديوى فى ميدان عابدين باستعراض قوات الجيش البريطانى

المشاكل كلها • وتذكرون أننى فى بداية هذه اللقاءات تحدثت الى الشباب وكان أول لقاء لى هو مع الشباب •• لماذا ••؟

اعداد الشباب للمستقبل

لأن الشباب هو الجيل الذى لا بد أن يتسلم المسئولية منا •• الذى علينا أن نعدده ونسلحه بكل ما نستطيع من أسلحة وعدة لكى يواجه الحياة ولكى يبنى مصر •• مصرنا الخالدة ولكى نجنيه أيضا ما وقعنا فيه من أخطاء وعبر أكثر من ألقى سنة قبل ثورة ٢٣ يوليو كما سمعتمونى أقول كان الحاكم أجنبيا فى مصر •• ولم تحكم مصر بأبنائها الا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو •

سمعتمونى أيضا أقول ان ما عنيناه لم يكن فقط مصدره الاستعمار الذى كان يجثم على صدر البلاد الاستعمار البريطانى •• ولم يكن مصدره الملك المتعنت الاجنبى عن هذا الشعب والذى يريد أن ينطلق بشهواته •• ولم يكن أيضا الزعماء السياسيون فيما

ما سمي بدستور ٢٣ يوليو وبدأه بكلمة أنه منحة من الملك ووقع أيضا أولئك الذين يعملون العمل السياسى فى الخطأ الفادح حين قبلوا الاستقلال المنقوص ثم منحة الملك وانتقلت معركة الصراع بدلا من أن تكون معركة حصول الشعب على حقوقه كاملة بالتخلص من الاستعمار الأجنبى ومن العائلة المالكة الأجنبية •• حول زعمائنا سامحهم الله الأمر الى صراع سياسى داخلى شغلوا به الشعب بأشخاصهم ومضالهم ووضعوا أسوأ التقاليد لا ممارسة سياسية أو حزبية أو ديمقراطية كما كانوا يقولون عنها فى ذلك الوقت لأنه بدلا من أن يكون الهدف من أى عمل سياسى كما هو الحال فى العالم الذى بنى ويبنى الآن •• وبنى حضارات وبنى دولا •

بدلا من أن يكون الهدف كما هو عندهم رفاهية الشعب المصرى وحرته وكرامته وسيادته على قراره وعلى أرضه • استبدلوها بأشخاصهم ودفعوا الشعب الى التحزب للأشخاص حتى وصل

التي دخلت لتضرب وتستعرض مصر •• فى ثورة سنة ١٩ كان الحال أسوأ قام الشعب بثورة ١٩ لكى يقول فى وضوح وجلاء نريد الديمقراطية والدستور وحقوق الشعب •• واجتمعت كلمة الشعب كله فى هذه الثورة لدرجة أن السلطان فى ذلك الوقت كان قد سمى نفسه سلطان بدلا من خديوى •• حاول أن يجد من يشكل الحكومة فرفض كل أولئك الحكام خوفا من غضبة الشعب •• لجأت بريطانيا الى حيلة أصدرت بها فى ٢٨ فبراير ما سمي بتصريح ٢٨ فبراير يعطى مصر استقلالاً منقوصاً •

أخطاء السياسيين القدامى

وكان الأجدر بأولئك الذين تعرضوا لقيادة العمل السياسى فى ذلك الوقت أن يفرضوا أيضا هذا الأمر كما رفض الشعب فى ثورته كل ألوان الخداع •• ولكنهم قبلوا هذا التصريح وأوعز الانجليز الى الملك فى ذلك الوقت تحول السلطان الى ملك •• ليصدر

•• بحرية مصر •• ينادون جميعا
بأن تكون مصر للمصريين حقا
وقرارا واردة عبر كل تلك المعارك
مع الاستعمار سواء كان فرنسيا
أو بريطانيا •• شعبنا في هذه
المنطقة نحمد الله على أن الايمان
يجرى في دمائه •• هذا من فضل
الله علينا جميعا •

هكذا أراد الله لنا •• أن يكون
الايمان هو أول وأرسخ مقوم
لشخصية الانسان على هذه
الأرض • ما قبل ذلك •

الأزهر والاسلام

لابد لنا أن نذكر •• أن الأزهر
لألف سنة كاملة كان هو المدافع
عن الاسلام ولولاه ولولا معاركه
معارك الأزهر •• ليس في مصر
فقط وانما في جميع انحاء العالم
الاسلامى •• لولاه لما استطاع
الاسلام أن ينتصر على الهجمة
الشرسة من الاستعمار الأوربى
على منطقتنا سواء هذه الهجمة
على صورة استعمار أوربى تسلل
الى آسيا وأفريقيا ومنطقتنا العربية
محاولا ضرب الاسلام •• لأن

الأمر لذلك الشعار المؤسف الذى
أستغلوا فيه سماحة هذا الشعب
وطيبته يوم أن قالوا الاحتلال على
يد سعد أفضل من الاستقلال على
يد عدلى •

معركة الزعامة

لم يصبح الأمر حرية مصر
أو بناء مصر أو كرامة الانسان
المصرى لكى يعيش كما يعيش كل
انسان عزيز على أرضه • وانما
أصبحت المعركة والمشكلة سعد
وعدلى والنحاس وبقية الزعماء
الآخرين • فى ثورة ١٩ ومن قبلها
فى الثورة التى قامت بها مدينة
القاهرة ضد الاستعمار الفرنسى ••
كان الأزهر هو المكان الذى تنطلق
منه الدعوة السلمية •• دعوة
الكفاح والجهاد •• دعوة الحرية
•• دعوة الموت فى سبيل مصر ••
دعوة الأحرار على أن ينال الشعب
حقوقه وتآلف فى ذلك الوقت عنصرا
الأمة •

وكان فى داخل الجامع الأزهر
يقف الشيخ المعمم الى جانب
القسيس ينادون جميعا بحق مصر

وزير خارجيته مع السعودية مع
عناصر الرفض لكي يمنعوا وفد
مصر من حضور هذا المؤتمر •

خافوا من وجود وفد مصر لكي
يرد عليهم ولكي يقول لهم ان
هذا المؤتمر نحن أصحابه ونحن
الذين دعونا اليه • ليس ملك
المغرب وليست السعودية وليس
أى بلد آخر • تأمروا وانتهى
الأمر بما سمعناه عن تعليق عضوية
مصر في المؤتمر الاسلامي في غيبة
مصر • تارة بالرشوة من السعودية
لبعض الدول العربية • وتارة
أخرى باستخدام الضغط مجاملة
للسعودية ، ولكن كانت الدول
الاسلامية الأفريقية حريصة على أن
تشجب هذا الأمر ، وأثبتت في
محاضر الاجتماع شجبها لهذا الأمر
وعدم موافقتها عليه •

هل تعليق عضوية مصر • •
يجب مسؤولية مصر الاسلامية
أبدا • • هل تعليق عضوية مصر
يلغى ما قام به الأزهر حفاظا على
الاسلام من أقصى العالم الى أقصاه
لألف سنة ضد الهجمات

الاسلام كان ولا يزال وسيظل
ثورة • • ثورة بكل ما في كلمة
الثورة من أبعاد • • نحن تفخر
بهذا • • ويجب أن تفخر به •

قصة مؤتمر المغرب

يوم أن جلس المؤتمر في
المغرب منذ شهور • • في مؤتمر
اسلامي دعوت أنا له • • لعلكم
لا تعرفون هذا • • لقد كانت الدعوة
الى المؤتمر الاسلامي الذي تم منذ
شهر أو شهرين في المغرب أساسا
موجهة منى الى ملك المغرب أن
يطلب عقد مؤتمر اسلامي في المغرب
من أجل القدس ولا يستطيع
ملك المغرب أن ينكر هذا
ولا يستطيع السعوديون أن ينكروا
هذا • • الدعوة أساسا من مصر
وطلبت من ملك المغرب في
خطاب رسمي أطلب بنشرة فورا
على الملأ لكي يدعوا الى المؤتمر
الاسلامي من أجل القدس • •
ما الذي حدث • • حدث أنهم
اجتمعوا في المغرب وزراء الخارجية
وفيما نحن نعد لارسال الوفد
المصري يتآمر ملك المغرب مع

وفي آسيا وشعوب عربية كثيرة
لم ترض عن تصرف حكامها
وزعمائها • الذى حدث لا لشيء
الا حقدا على مصر وعلى مكانة مصر
وما بلغته مصر •

الاسلام الصحيح هنا

نحن فى حاجة الى أن نتذكر هذا
وأذكره فى مستهل حديثى لكم لأنه
يترتب عليه انى أطلب منكم أن
تقولوا رأيكم فى هذا وما الذى
أدخل الدور مصر الاسلامى فى مثل
هذه السخائف التى لجأت اليها
السعودية ومن جاراها أو صار من
خلفها وهى المغرب أريدكم أن
تقولوا رأيكم فى هذا •• يقولون
ان الاسلام فى مصر فى خطر وأنتم
جميعا رجال الدعوة الاسلامية •

وعلى مسمع من العالم كله أقول
أننا تفخر أن الاسلام الصحيح هنا
فى مصر •• ان مصر جزيرة الحرية
والديمقراطية وكرامة الانسان كما
أرادها الاسلام ليس فى مصر حاكم
يأخذ ٨ ملايين جنيه راتب من فلوس
المسلمين ليس فى مصر حاكم يصرف
على موائد القمار والمسلمون فى

الاستعمارية الشرسة •• هل يلغى
تعليق عضوية مصر هذا الدور
أبدا •• هل يلغى تعليق عضوية
مصر وكونها قبلة بعد مكة لكل
مسلم فى جميع أنحاء الأرض أبدا
لا يلغىها •

المسئولية

أردت أن أذكر هذا لكم لكى
نعرف أية مسئولية نواجهها اليوم
معكم أنا لا أتحدث عن الأمن
الغذائى ولا عن مشكلة الاسكان
ولا عن البنية الأساسية وما نعانيه
لأن هذا الأمر يجرى اعداد الخطط
له من المتخصصين وستعرض عليكم
وعلى الشعب كله بوصفكم لستم
مسؤولين فقط عن الاسلام ولكنكم
مسؤولون أيضا عن كل ما يخص
وطنكم وشعبكم وأجيالكم المقبلة
•• أما مسئولياتكم الأولى فى
الاسلام والدعوة ومن أجل هذا أنا
أتحدث اليكم وأبدأ بهذا •• وأذكر
هذا لكى تقول للعالم كله اننا
نعرف مسئولياتنا الاسلامية ودورنا
الاسلامى ونعبيه ويعيه معنا كل
الشعوب الاسلامية فى أفريقيا

والاسكان والبنية الأساسية ومستوى معيشة لائق لكل مواطن .. نحن نعمل على هذا .. نعمل لكى يتم هذا ، ولكن أولا وقبل كل شيء لن نستطيع أبدا .. أن نتصر فى معركة التحدى التى نواجهها اليوم الا ببناء جديد للمواطن والمواطنة على أرض مصر ..

لا .. هو ليس بناء جديد ولكن لأننا مررنا فى فترة ماضية بظروف تعرضت فيها كرامة الانسان وتعرض فيها الانسان المصرى بغير حق لأمر كان لا يجب أن يتعرض لها و انتهت بحمد الله ومن يوم أن قمت بشورة ١٥ مايو وصمت وأعددت الأوضاع كاملة أنا أقول نحن الآن فى معركة تحدى والذى سيصنع من مصر وطنا كريما عزيزا كما كان عبر كل عصور التاريخ .. والذى سيصنع هذا هو الانسان المصرى ولا أقول الجديد وإنما الانسان المصرى بالمقومات التى لفترة من الزمن اذا أهملنا فيها الآن نعود اليها *

بقاع كثيرة فى هذا العالم يعانون .. ليس فى مصر حاكم يصرف من نقود المسلمين على التآمر والرشوة والخسة لمجرد أن يبنى زعامة وهمية .. أبدا .. نحن فى مصر .. نعرف الحدود تماما .. كل الذين تحدثوا اليوم أمامى ماذا طالبوا مزيدا من التمسك بالاسلام .. مزيدا من تطبيق الشريعة .. ومزيدا من التمسك بالعقيدة .. ولكنى أسأل ما هو حال الشعوب أولئك الحكام .. ليست فقط الشعوب الاسلامية فى أقاصى الأرض التى تحتاج للمعونة بل شعوب أولئك الحكام ما هو حال شعوبهم .. هل هم يستمتعون فعلا بكرامة المواطن المسلم فى بلده .. لا أستثنى بلدا واحدا منهم أبدا .. لا يتمتع المسلم هناك كما يتمتع المسلم هنا بكل كرامة المسلم .. بكل كرامة الانسان .. بكل الديمقراطية بكل السماحة التى نادى بها الاسلام *

معركة التحدى

لدينا مشاكل كثيرة كما قلت لكم .. مشاكل مادية .. الطعام ..

كيلومترا من بورسعيد الى السويس
تهتف بنداء واحد الله أكبر .. الأمر
جد وليس رواية نرويها لكى تكون
من محسنات الكلام أو لكى ندعو
فيها لشيء لم يحدث أبدا هذا حدث
ونحن عشرين خطوة وراء اسرائيل
فى السلام سبقنا بالايمان ٢٠
خطوة .

الشباب اولا

من هنا كان كلامى للشباب وفى
أول لقاء تذكرون قبل أن ألتقى
فى رمضان بقطاعات الشباب ألتقيت
بالشباب وقلت لهم قبل كل شيء
قبل العلوم الجامعية .. قبل
الدكتوراة .. قبل التكنولوجيا ..
وقبل كل شيء فلنتسلح أولا ونسلح
شبابنا من الداخل بالايمان . بعد
ذلك العلم سهل كل شيء سيدخل
بعد ذلك .. سيستطيعون أن
يواجهوا الحياة .. وأخطر معركة
نواجهها اليوم هى أن نبني مصر
بأحدث ما فى العصر .. لن نبدأ
حيث بدأ الآخرون أبدا سنبدأ والآن
نبدأ من حيث انتهى الآخرون لأن
هذه هى مصر صاحبة سبعة آلاف

يوم أن يكون الشباب المصرى
والفتاة المصرية مملوءا بالثقة ،
قوة الايمان .. علما بالحدود التى
وضعتها لنا شريعتنا .. سنبنى
البناء الذى نريد لأننا جربنا أنفسنا
فيما قبل ونجحنا الى أبعد
ما يكون النجاح لأن أبلغ ما حصل
وأبلغ مثل تحدث به وأما بنعمة
ربك فحدث .. و معركة رمضان
سنة ١٩٧٣ .

الايمان

فى معركة رمضان ١٩٧٣ كانت
أسلحتنا متخلفة ٢٠ خطوة عن
السلاح الاسرائيلى .. ما الذى
عوض هذه العشرين خطوة وأنطلق
الى أن يكون سلاحنا متقدما أيضا
على سلاح أعدائنا فى ذلك الوقت
.. كلمة واحدة .. الايمان ، على
هذه الشواطئ من بورسعيد الى
السويس ١٨٠ كيلومترا .. على
هذه الشواطئ من بورسعيد الى
السويس شاطئ القناة وفى يوم
١٠ رمضان وفى الساعة الثانية
ظهرا حينما عبر الطيران المصرى
لم ينتظر أبنائنا الأمر بالعبور بل
أنطلقت الجحافل على مسافة ١٨٠

خاتمة القرآن

أحمد الله ختمت اليوم ..
 أحمد الله سبحانه وتعالى على أن
 يسر لى أن أقرأ القرآن وأن أختم
 القرآن وأن أبدأ ثقافتى وحياتى
 بحفظ القرآن من أجل ذلك أقول
 لكم : اخترت يوم أن عرض على
 بناتى الآيات المطلوب منهن أن
 يحفظنها .. وهى من أصعب الآيات
 التى أقرأها فى القرآن - لماذا -
 أنا أذكر وكنا فى سنة ١٩٢٧ ولن
 أنساها أبدا كنت فى عام ١٩٢٧ وفى
 مستهل التعليم الابتدائى وماكدت
 أن أتهى من الروضة ونقلت الى
 الابتدائى . كان تدريس القرآن
 لنا يبدأ بقصص الأنبياء فى يسر
 وسهولة هذا القصص من طبيعته
 مع الطفل أن يفتح أمامه آفاق
 الخيال .. الطفل كله خيال فى
 هذه المرحلة فلنضع له ما يغذى هذا
 الخيال وفى الوقت ذاته يعطيه أول
 الذاد نحو طريق التعليم الدينى
 السليم فى المستقبل لن ننسى أبدا
 الى هذه اللحظة اليوم الذى حكى
 لنا فيه مدرسا عن يوم أن شقت

سنة التى أعطت العالم أول حضارة
 يوم كان العالم يسكن الكهوف
 ويقتات ورق الشجر .. وكان
 هنا مدنية وعلوم وفلك وبناء دولة
 وحكومة . هذه هى رسالتكم ..
 أن يبدأ الشاب والشابة المصريين
 بنبيهم من الداخل ومن أجل ذلك
 طلبت أن يكون الدين مادة أساسية
 .. مادة نجاح ورسوب ابتداء من
 العام الدراسى المقبل وطلبت أيضا
 أن ندرس الدين من المرحلة
 الابتدائية الى المرحلة الجامعية
 ولا مهادنة فى ذلك كل ما أطلبه أن
 تتطور فى أساليبنا سمعت من بناتى
 وهن يدرسن آيات قرآنية طلبت من
 هن أن يحفظنها .. أقول لكم
 أحمد الله اليوم .. لست فقط
 أحتفل بالاجتماع بكم من أجل أن
 نطبق مبدأ الشورى وتبدأ مرحلة
 جديدة بدولة جديدة تماما ..
 وانما أحمد الله أننى ختمت اليوم
 القرآن .. عندنا فى الفلاحين
 تعودنا يوم خاتمة القرآن نحتفل ..
 كما نحتفل تماما بأى عيد .. بأى
 مناسبة دينية .. بل سيكون
 الاحتفال أكبر .

الملائكة صدر النبي عليه الصلاة والسلام يوم أن رعى الغنم وأخرجت منه الشيطان وغسلته .. قد يحاول بعض المتفرجين أو ممن يسمون أنفسهم بالعقلانيين أو المتفلسفين أو الملحددين أن يشككوا في هذا ولكن تبقى حقيقة هي أنه من هذه الرواية وأنا طفل في السنوات الأولى من عمرى عرفت أن هناك خيرا وشرا وأن هناك شيطانا يكمن في صدر الانسان عليه أن يتخلص منه أو أن يراعى في حياته أن لا يسيطر هذا الشيطان على تصرفاته من هنا أنا بطلب أن يكون تدريس الدين من أول المراحل من الابتدائى بقتصص الأنبياء ولدى أساتذتنا من أساتذة التربية الأفاضل ما يستطيعون أن يفعلوه في هذا الاتجاه بأحسن مما أقول به أو بأكمل ما يمكن أن يحقق هذا الغرض وقد لا أكون على بينة منه ولكن أردت أن أضرب لكم المثل فقط .

الدين مادة أساسية

ابتداء من العام الدراسى القادم سيدرس شبابنا أبناءنا الدين كمادة

أساسية .. وكما قلت يبدأ من الابتدائى الى أن يصل الى المرحلة الأخيرة في الجامعة سأطلب أيضا دراسة المقومات الأساسية في التاريخ القومى بدءا من المرحلة الابتدائية أيضا وأقصد بالمقومات الأساسية تلك العلامات التى ندرسها في هذه النفوس الغضة لكى تستطيع أن تواجه الحياة بعد ذلك كأن يعلم أن الانسان من عقل وجسم وروح ، أن العقل له غذاء والجسم له غذاء ، والروح لها غذاء وأن يعرف أن الاختلال في أى غذاء لأحد من هؤلاء يخل بتكوين الانسان في أسلوب سهل سلس بسيط .. من هذه المقومات أيضا أن نعلم أبناءنا ما هي القوة .. هل القوة هي في العضلات أو الصوت العالى أو في التنكر للقيم .. لا .. القوة شيء آخر .. القوة تأتى من أن يحس الانسان أنه على حق بينه وبين ربه .. وبين نفسه .. هذه هي القوة .. تجعله أقوى الأقوياء ويواجه كل ما تأتى به الحياة .. وقد جربتها في حياتى وأحمد الله أنه ما في مرة من المرات فشلت .

الاسلام الصحيح

• علينا أيضا في المقومات الأساسية أن نعلم أبناءنا أن الله سبحانه وتعالى حق ، الخير حق ، العدل كل ما يجعل الحياة شريفة حقا .. أن تقديس الوالدين في الأسرة حق .. لا تتصوروا كم أنزعجت بعد ١٨ ، ١٩ يناير يوم دعوت اتحاد طلبة الجامعات وكان فيهم شاب أطلق لحيته أمامنا في أن يقول أنه بلغ قمة التدين وتذكرون أنه كان فظا بذيئا - هل الاسلام هو الفظاظلة أو البذاءة اذ لم يتعلم الاسلام الحب والكلمة الحلوة والايمان الذي يجعل الانسان في كل حياته متوازنا مفتوح القلب والوجدان للناس ولكل شيء .. هذا هو الاسلام ليست البذاءة للأسف ده طالب متخرج من اللي أطلقوا لحاهم واللى كانوا من زعماء الجمعيات الدينية اللي يقولوا عليهم في الجامعات •

هل هذا هو الاسلام

تقديس الأب والأم القيم .. القيم ربنا سبحانه وتعالى في قرآنه

الكريم .. وكلكم أساتذتي وأفضل مني .. وامامنا الأكبر الى جانبى .. » وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا .. » ده يقول كده .. فى نفس الوقت اللي قال فيه الله لا يغفر أن يشرك به ده حكم قطعى .. أبدا يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .. حتى فى الاسراف لا تيأسوا .. ولكن فيه حد قطعى هو لا يغفر أن يشرك به .. ذلك .. مع الأب والام .. بيقوله لا .. ماتسمش كلامهم لكن اتكلم كويس معاهم ..

عتاب لعمر التلمسانى :

هذا هو البناء اللي احنا عاوزينه وليس البناء الذى يلجأ له البعض فى الجماعات الدينية وهنا اتقل لأعتب كان لعمر التلمسانى عتب .. ولى أيضا عتب عليه .. عمر التلمسانى لعل عتبك .. محمود عواقبه .. ضحك وتصفيق من الحاضرين • الرئيس السادات : أرسلت جماعة الاخوان المسلمين

بواسطة محاميها لرئيس الوزراء السابق ممدوح سالم انذارا أو اعلانا بأن قرار حل الجمعية بواسطة مجلس قيادة الثورة أنها لا تعترف به وأنه غير قائم .. أنا لا أعلم بهذا أبدا الا بعد أن استقال ممدوح ولو علمت لقلت آسف .. ولا .. القرار قائم وحقيقى أقولها أمامكم جميعا وأصدرت الجمعية الصحيفة التى تصدرها ويكتب افتتاحيتها الاستاذ عمر على أساس أن الجمعية المسجلة فى الشئون الاجتماعية نعم مسجلة ولكن قرار الغائها قائم ومع ذلك انى أرسلت اليكم ووضعتكم فى المعتقل من أجل هذا يزيد الامر مرارا فى نفسى يوم أن يكتب لشبابنا الذى أتحدث عن تكوينه ليقابل هذا التحدى من حولنا ليقابل تحدى أولئك الذين يظنون أن المال هو كل شيء السعوديين وغيرهم والذين يحاولون لأن يعلقوا عضوية مصر فى العالم الاسلامى بكل بذاءة وبكل وقاحة .

مصلحة من هذا ؟

يخرج عمر التلمسانى وفى صدر المجلة بالمقال من خطاب وصله أن الحكومة الامريكية أو المخابرات الامريكية أن ممدوح سالم ليقول له فيه : أوعوا .. خذوا بالكم ان الجماعات الاسلامية أن هؤلاء خطر جدا وأضربوهم واخلصوا منهم هل هذا صحيح .. حزننى أنه .. هذا الأسلوب لابد وأن ينتهى بعد كل ما جرى يا عمر فى الماضى كما تحدثت أنت تماما وفتحت السجون والمعتقلات وأعدت لكم كل اعتباركم أعطيت سيادة القانون وحرية كاملة بدليل أنه تذكر مجلة فلا يعترض اليك أحد مع أن اصدارها قائم على أساس غير قانونى ولا بد أن نوقف فى الحال أبدا لكن لمصلحة من ؟ الشباب اللى أنا بقوله لازم أقبل التحدى وندى مصر البناء الاسلامى الكبير البناء الاسلامى أوله أن الانسان لا قوة ولا سلطان عليه أبدا الا الله سبحانه وتعالى كيف أقول له ان أمريكا بعثت تخوف .. كيف أصور حكومة مصر التى

أعطت كل هذا انها حكومة تأخذ من حكومة أمريكا أو غيرها ليقول لها حشوش الجماعات الاسلامية تخريب تخريب للشباب لأن شبابنا سوف يتصور ان هذا الكلام فيه حقيقة للأسف الا تذكر يوم أن كانت هناك شبه تدخل سوفيتي وقبل أن أعمل معركتي وأنا في ميسيس الحاجة ومخنوق والاتحاد السوفيتي لكى يعطينى السلاح لأعمل معركتي وعلاقتي مع أمريكا مقطوعة وأهاجمها بكل عنف فى ذلك الوقت ما كانت هناك شبه أنهم يريدون أن يتدخلوا أمرت ١٧ ألف خبير سوفيتي أن يغادروا مصر فى اسبوع وحددت الموعد وقبل أن يحل الموعد بـ ٢٤ ساعة نفذوا الامر أريد أن بنى شبابنا على الحق وعلى القوة والأصالة ليس أبدا على الاشاعات وأريد أيضا ألا يكون سبيل جمعية الاخوان هو السبيل الماضى الذى حدث قبل ٢٣ يوليو •

لم لم يتعرض لكم أحد : أنا شاهد وأنت تعلم والجميع يعلمون والشيخ عبد الرحمن يعلم أن يدى كانت فى يد الشيخ البنا الله يرحمه والتنظيم السرى أمامى وبأشخاصه وما كان فيه من أسلحة أمامى ولكن ماذا فعلن أنا برغم كل هذا لم يتعرض لكم أحد ولم أقفل الجريدة ولكن أرسلت لوزير الداخلية لكى يقول لك عيب وقال لك بالفعل كل ما أريده هو أن تتأخى ونحن بنى أبنائنا بالذاد الذى هو فوق العلم وفوق كل شىء الايمان يأتى قبل كل شىء وفوق كل شىء بالايمان يستطيع الانسان المصرى رجل أو فتاة أن يدخل النار ويخرج سالم أريد ونحن بنى هذا أن الدين على صدق وعلى خير وأنتى لست لى اطلاقا سلطة لفرض سلطة أو فتح معتقلات أو الانتقام أو الحقن كما تحدث عمر بالذات • وفى النفس المسلمة لا يكون الحقن ولا يعيش الحقن أبد وأحمد الله لا يعيش الحقن فى صدرى أبدا وخاصة انتى أعلم حدودى أمام

ربى سبحانه وتعالى وأنتى مسئول
عن أقصى جبة رمل فى مصر من
شرقها الى غربها من شمالها والى
جنوبها وأعلم أنتى سأحاسب
عليها •

لا يتكرر ذلك :

من هنا أريد أن يكون هذا
سلوك كل واحد منا يتعرض للدين
ولدراسة الدين لأجيالنا المقبلة
نتيجة هذا نتيجة المسار القديم اللى
أنا بطلب ألا يتكرر لأنى سأوقفه
أمام الشعب وأنا لا أعمل شيئاً من
وراء الحجرات •• أنا بأعمل كل
شئ فى العلن من نتيجة هذا جماعة
الفنية العسكرية اللى أتم سمعتم
عنها أولاد صغيرين يهجموا على
الفنية اللى أتم سمعتم عليها وقاموا
بذبح الحراس كما تذبح الشاه باسم
الدين باسم الدين كانوا اخوان
المسلمين كانوا فرعا من الذين
خرجوا من الاخوان المسلمين
شكرى مصطفى الذى قتل الدكتور
الذهبي من منا لم يستنكر ما حدث
للدكتور الذهبي • عيب شكرى
مصطفى أصله اخوان مسلمين
أنا انتهز هذه الفرصة لأتكلم

أمامكم بصراحة بماذا لأنتى
كولى للأمر لست رئيس للجمهورية
الآن رئيس الجمهورية عليه أن يلغى
جماعة الإخوان وأن ألغى جريدتها
الى أن يسجلوا أنفسهم من جديد
لأنه لا وجود قانونى لهم • أنا
لست رئيس جمهورية بأعمل هذا
لا أنا كبير العائلة ومن ولانى الله
سبحانه وتعالى عليكم لا أسأل عما
أفعل مع كل واحد فيكم •

الجماعة الاسلامية

من أجل هذا أقولها بصراحة ••
واليوم بدأ البعض •• فيما يسمى
بالجماعات الاسلامية أيضا تحت
دعاوى تضليل لأبنائنا لمصلحة من
نضلل ؟ اذ كنا نريد أن تعطى
لأبنائنا دروس من التاريخ فلنعطى
لهم الدروس الكاملة •• غير
منقوصة ولا يلجأ البعض الى
الشباب الغض اللى الاثارة فيه
سهلة لأنه بطبيعته مادة ملتهبة
الشباب عشان يثيروا ضد ده أو
ده •• لقد وصل الأمر فى الجماعات
الاسلامية أن واحدا ذهب لوالده
يقول له ان الفلوس التى تأخذها

الاسلامية يطبع منشورات فى القاهرة يقبض عليه ونجد معه ٨٠٠ جنيه ومنشورات كلها ضرب فى النظام وفى الدولة .. أقولها وقد حكيت لكم ما نواجهه من تحدى .. سواء من الداخل او من الخارج .. فى الداخل علينا ان نحل مشاكلنا المستعصية وفى الخارج علينا أن نواجه - للأسف - أخوة لنا وأن نضعهم مكانهم وأن نعلمهم من هى مصر .. اذ علينا أولا أن نصلح من أمر أنفسنا من داخلنا .

لا دين فى السياسة

ومن أجل هذا انا ناديت وقلت لا دين فى السياسة .. ولا سياسة فى الدين .. لجأ البعض الى محاولة استغلال هذا الكلام أقوله وأكرره .. لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين .. الذى يريد أن يشتغل فى العمل السياسى والاحزاب موجودة .. اتفضل ويمارس حقه كاملا .. أما أن يستغل الدين للوثوب على الدولة .. أو لمهاجمة الدولة - لا -

من الدولة حرام .. مش عاوز فلوسك وبعد ذلك رست العملية انه اجرام سمعتمونى فى المنيا واسيوط باحكى انه يطلعوا يروحوا « حارقين » كشك ويروحوا داخلين طلبة ويروح داخل بعضهم على أستاذ فى المدرج ويخرج الأستاذ من غرفة المحاضرات عشان يوقفوا الدراسة .. هل هذا هو اسلام .. يخلوا راجل ماشى فى المنيا مع ابنته ويقولون لهم ازاى تمشى مع بنت ويرد هذه ابنتى ، فيطلبون منه شهادة الميلاد . ياأخى دا ربنا سبحانه وتعالى قال لمحمد عليه الصلاة والسلام : « لست عليهم بمسيطر » ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة .

أنا أتتهز الفرصة لكى أقول لكم كل ما فى قلبى علشان بعد ذلك . والله لن أرحم - أبدا - بالاسلام وبالدين .. لأن مصلحة المجموع ومصلحة مصر لا يمكن أبدا أن أضعها فى ميزان يتلاعب به أمثال هؤلاء .. الذين يدفعون دفعا - وولد من المنيا من الجماعات

المعتقلات أبدا وفى وقتى لم
استخدم الاحكام العرفية الى هذه
اللحظة مع أنها موجودة •

فى وقتى الامن والأمان ••
الحرية الكاملة ولكن - محاولة
استغلال الحرية لا •• لا الدولة
كريمة على نفسها وعزيزة على
نفسها ••• وقد آن الأوان لكى
يعلم الكل ان الدولة فوق كل هذا
الصغار ومن يقبل تحت أى شعار
والمصيبة الكبرى ان يكون الدين
هذا الشعار - لا - ••

الاخوان والشيوعية :

عندما قلت لا دين فى السياسة
ولا سياسة فى الدين كان سببها
أيه •• أنا أرسلت لك يا عمر
أيضا •• فى معركة نقيب من
النقباء المهنية تصادف شيئا غريب
جدا •• فوجئت بأن الأخوان ••
الشيوعيين •• الوفدين القداما ••
الاتهازين جميعا يتكتلوا وراء
مرشح معين لأنه يشتم فى
الدولة ••

وقد أرسلت لعمر •• وقلت
يا عمر عيب ليه هو الدين ننتخب

عيب - من نتيجة هذا •• ان هناك
بعض الائمة وبعضهم يا عمر
اخوان •• وبعضهم أنصار للاخوان
يستخدمون المساجد للهجوم على
الدولة •

الدولة لن تتسامح :

ألا فليعلموا جميعا أن الدولة
لم تتسامح مع أى انسان بعد الآن
- لكم على النصيحة وقد قلتها
ولكم على أن أعطى فرصة وقد
أعطيتها ولكم ما يجابها من
مسئوليات كما قلت لكم فى الداخل
والخارج يحتم علينا أن نصرب هذا
الانحراف •• نضربه •• وأطلب
منكم أن تضربوه •• لا بد أن
تضربوه أتم بسلوككم أولا ثم
بتعليم أبنائنا الحقائق السليمة عن
تاريخنا وعن ديننا وعن نشاطنا
وعن عملنا •

منذ ٩ سنوات •• أغلقت
المعتقلات نهائيا ولم تفتح أبدا ••
أعدكم فى وقتى لن تفتح أبدا
وعليكم أتم فى الوقت الذى يأتى
بعدى عليكم أن تقولوا هذا الامر
لكن فى وقتى لن تفتح باذن الله

ونعلمهم حجمهم ومكانهم ولكن شيئاً واحد بس... أرجو من جماعتنا الدينية ألا تقبل أموال من أولئك الأقزام لأن عندنا البيان .. وإذا كان الأمر مقصوداً به خدمة الاسلام على العين والرأس وان يكون علناً أما بالأساليب الأخرى لا ..

ان عمر يريد أن يدافع وله الحق .. لأنه أنا يمكن ركزت عليه شوية .. وهو كان طالب مقابلتى وأنا رفضت الى أن قابلته اليوم لكى تتكلم أمام الشعب .. لأن هذا هو أسلوبى .. لن أتكلم الا أمام الشعب ليعرف الشعب الحقيقة كاملة فليس لى حقد مع أحد والا كنت اتخذت اجراءات من يومها وخلصت .

الرئيس السادات - موجهها حديثه الى عمر التلمسانى اتفضل يا عمر .

لسنا مع الشيوعيين :

عمر التلمسانى .. أرسل لى زعماء الحزب الشيوعى أكثر من مرة يدعوننى لحضور ندوات

من يشتم الدولة أو ننتخب من كل مؤهلاته البذاءة كل مؤهلات ذلك الرجل كانت البذاءة على الحكم وعلى .. طيب على أنا أتم عارفين أننى أتسامح فيما يخصنى لأنى هكذا أراد لى الله أن أكون فى هذا المكان والكاطمين الغيظ - حافظ - القرآن وأقرأه - واختمه وأمرنى أن أكظم الغيظ .

وهنا قال عمر التلمسانى أليس من حقى أن أرد وقال الرئيس أكمل يا عمر وعاد الرئيس يقول هل يعقل أن يكون فى مركبنا واحد من الاخوان والشيوعيين والفد الجديد الذى حطم الفساد القديم كله الذى قبل ٢٣ يوليو على الانتهازين .. يبقى هذا كله مع بعضه أنا أضع هذه الحقائق لأول مرة أمامكم ولم أحكمها قبل الآن ولكن أحكيها الآن لأننا مقبلون فى المرحلة الجاية .. لابد أن نقف كلنا كمائلة واحدة وكرجل واحد لنقابل التحدى .. لحل مشاكل فى الداخل ومواجهة الصغار والأقزام فى الخارج

السفارة الانجليزية :

سيادة الرئيس أرسلت لى
السفارة الانجليزية بخطاب تخطرني
أن أحد رجال وزارة الخارجية
سيزور مصر وسيزورنى يوم
٢٢ / ٦ الساعة ١٢ وأرسلت
الخطاب الى وزير الداخلية وأرسلت
الخطاب بتاعى وقلت أنا لن أسمح
بزيارة الا اذا استأذنت ثم ان كانت
الزيارة الى معالم صحافية أهلا
وسهلا وان كانت سياسية أنا لن
أتحدث لأجنى فى سياسة مصر لو
أن غيرك أتهمنى لكنت أرفع الأمر
اليك انما اليوم الى من أرفعه ..
أرفع أمرى الى الله .. أنا برىء من
كل ما قلت - أنا طاهر من كل ما
قلت أنا نظيف - أنا مسلم -
أنا مخلص غاية الاخلاص ويسمعنى
الكثيرون .. اننى دعوت الله أن
يديم حكم السادات الى أطول عهد
ممكن .. اننا نستمتع فيه بحريتنا
.. وان كان هذا جزائى عند
أنور السادات . الحمد لله ..
والسلام عليكم ورحمة الله .
قمة الحوار الديمقراطي :
الرئيس السادات : أخشى أنك

عندهم فكانت أرفض فى كل مرة
لأنى أعلم ما بين الاسلام وما بين
الشيوعيين من عدااء وأن الاثنين
لا يمكن أن يجتمعا فى ركب واحد
أو يسيرا فى ركب واحد .. وأنا
أعلم تماما أنهم أرسلوا الى أن
أحضر ندوات لا لأنهم يتعاونون
ويريدون أن يشاركوا فى اتجاه
انما يريدون أن ينشروا عمر
التلمسانى جالس مع زعماء
الشيوعيين ويصدر هذا للشعب
ويقال ان الأخوان والشيوعيين مع
بعض ولا يكون الاخوان
والشيوعيون فى يوم من الايام مع
بعضهم .

وأرسل الى من الأحزاب اللى
تحدثت سيادتك عنها للزيارة ..
قلت من جهة الزيارة للسلام أو
للتحية والسؤال عن الامور
العادية أهلا وسهلا . اذا كانت
الزيارة للكلام فى السياسة فى
جبهات الاخوان المسلمين لن يسيروا
فى جبهة مع أحد أبدا لأن تاريخهم
اسلامى ومعروف .

بهذا وأخبرك وزير الداخلية أيضا
فى شأن المقال طيب اذا أنا لم أذكر
وقائع تجنيت فيها عليك لم تحدث
ولم أأخذ اجراء ولن أأخذ اجراء
والا كان ما يكنشى السبيل هو
الكلام اللى احنا بنقوله النهارده
اذن لا حق لك فى يعنى شكوتى
الى الله لأنى أنا أخافه أخافه فعلا
لقد أرسلت لك وقد حكيت
ما حدث فعلا أنا أحكى وأقول
يا عمر لو أن هناك نية مسبقه
أو رأى كوتته ما تركت مجلتك
تسير على أساس غير قانونى ولا
جمعية الاخوان تقوم على أساس
غير قانونى وهى قائمه الى اليوم
على أساس غير قانونى لو أنتى
كنت لاتخذت الاجراءات والقانون
معى لا أنا .. أكلمك اليوم كبير
العائلة الذى أراد الله له أن يجلس
فى هذا الكرسي .

ويعلم الله اننى أريد ان أستريح
ومن كل هذا .. حقيقة والله ولكنى
فضلت أن أأجل وهذا الكلام
بقاله شهور الى أن نلتقى وكان
المقاء اليوم ولعلك لا تذكر أو لا

عايز تطلعنى أنتى أستغلتي موقعى
ووجهت لك هذا الكلام يا عمر
- لا - أنت استدعاك وزير
الداخلية كم مرة يا عمر ..

عمر التلمسانى : تعلم سيادتكم
أن فترة الانتخابات كنت فى
السعودية .. وأبلغ ذلك أحد
الأخوان لأحد كبار الوزراء كنت
أصح .

الرئيس : لا .. الانتخابات
بتاعت النقابة .

عمر التلمسانى : انتخابات أحمد
الخواجه والشوربجى .. دالم فى
الجرايد أسماء اخوان محامين
وذملت وسألت أحدهم وأجيبه
لسيادتكم يزورك ويقولك قال لى
هؤلاء كتبوا أسماءنا وهؤلاء
كتبوا أسماءنا بغير اذن وهذه
شئون انتخايبية ولا دخل لنا مع
هؤلاء أو هؤلاء ، واذا قال انسان
اننى أمرت أو كلفت بأن فلان يؤيد
فلان أنا أستحق كل ما قلته
عنى .

الرئيس السادات : يا عمر
علشان نجلوا الامر وحتى لا أكون
متجنيا .. أخبرك وزير الداخلية

العربية الرجل المسلم انه لا يمكن
لعمر التلمساني لا خلقا ولا ديناً
ولا تربية ولا منشأ أن يتأمر
أن يكذب أن يشتم والله أبداً ..
ما حدث في لساني أنا كنت في
المعتقل وأوقظت الساعة ١١ قيل
لى أن فلان توفى الى رحمة الله
أول كلمة خرجت من لساني بعد
أن أمضيت ١٧ سنة في السجن
الله يرحمه .. لم يصدر من لساني
كلمة سباب لأحد بعد ١٧ سنة
سجن كانت الكلمة الأولى الله يرحمه
مش أنا اللي أتأمر أو أكذب أو
أسب لقد بلغت من العمر المدى
الذى لا يسمح لى أن أسير فى
هذا .

عفوا أنت الآن يا سيادة الرئيس
ستجعلنى ألزم فراشى أشهر ..
لأن هذا الذى وجه الى آذانى
تقسياً ومعنوياً وأسأل الله أن يلطف
بى فى هذه السن وألا ألزم
الفراش وأن أغادر الدنيا فوراً
خير من أن ألزم الفراش مريضاً .
وأنا اذ شكوت الى الله فاننى
أشكو لعادل وإن كنت انا قد

تعرف اننى كلفت منصور عاوز
عمر ييجى لأنه لم يكن فى
التخطيط أنك حاتيجى قلت له أنا
عايز عمر ييجى للمعنى الى أنا بقوله
وهو أننا كعائلة واحدة نقعد
وتناقش بمنتهى الصراحة وبعد
ذلك يبقى اللى يخطأ عليه أن يتحمل
تبعته ولو أئنى كونت رأى مسبقاً
أو ادانة مسبقة لاتخذت الاجراء
ولما كان هناك داعى أن تأتى اليوم
الى هنا .

وعليه اسحب شكواك أمام
الله .. ضحكك وتصفيق من
الحاضرين .

عمر التلمساني : المدعى
الاشتراكى أرسل لى وحقق معى
ومضى على هذا التحقيق شهر
مايو ويونيو ويوليو وأغسطس
ولا أدري ماذا تم ولو كنت أعتقد
أن هناك خطأ أو اساءة ما كان
المدعى الاشتراكى يتأخر عن اقامة
الدعوى أو اتخاذ اجراء قانونى لم
يحدث هذا .. وأنا على استعداد
كامل أن أقدم بعلم محمد انور
السادات رئيس جمهورية مصر

نكافح ضد عدو مشترك الانجليز
والملك والاحزاب .

مجلس اسلامى أعلى :

أعتقد أنه يوفر الوقت عليكم
واقترح أن فضيلة الامام الأكبر
مع اخواننا منكم ننتهز هذه الفرصة
لنشكل مجلس اسلامى أعلى يضم
جميع الجمعيات ممثلة فيه وكذلك
جميع النشاطات الاسلامية تمثل فيه
ويكون مجلس عائلة اذا استجد أى
شئ نقعد وتناقش ونضع كل شئ
وكل الصراحة والاخوة والود وكل
ما علمه الاسلام من سماحة وصدق
ويقين وادعو الله لهم جميعا
بالتوفيق أيضا فى أن يجتاز هذه
المحنة وشكرا .

وكان الرئيس السادات قد بدأ
حواره مع رجال الدين الاسلامى
فى التاسعة والنصف مساء وحضر
الحوار حسنى مبارك نائب رئيس
الجمهورية والدكتور عبد الرحمن
بيصار الامام الاكبر وشيخ الجامع
الازهر وحسن التهامى نائب رئيس
الوزراء والدكتور عبد المنعم النمر

تجنيت سيعلم الله .. ألا أشكو
الى ظالم .. أشكو الى عادل بيده
الحكم واليه المصير بدل ما اسحب
الشكوى بتاعتى .. سيادتكم اتخذ
طريق تعالج به التعب الذى نالنى
الآن .

نبدأ من جديد :

الرئيس السادات : أحسن طريق
لهذا هو انه كل ما تحدثنا عنه ..
مضى وفات وعلينا أن نبدأ جميعا
أيدينا فى أيدي بعض لنقيم البناء ..
عمر التلمسانى : أنا عاوز جلسة
خاصة من سيادتكم وأنا عندي كلام
كثير عايز أقوله لك ، ومش قادر
أقوله الآن .

الرئيس السادات : أنا آسف
عظمتكم والجلسة طالت .. همى
كله أن أضع أمامكم صورة برغم
العبلية مع عمر .. هو هدفى منها
أنى عاوز أسئ الى عمر .

أنا لا أسئ الى الاخوان ..
أو الى جماعة الاخوان .. وهم
يعلمون أنى فى يوم من الأيام كانت
يدى فى يد الشيخ البنا ونحسن

الاسلام عقيدة تقوم على اليسر والسهولة • أما من يتشددون ويتعصبون فيحرمون ما أحل الله فهذا ليس من الدين فى شىء ونحن نريد أن بنى التربية الدينية على أساس سليم ونحن نريد أن نحدثك يا سيادة الرئيس عن أثر دينكم فى نصر مصر فى سنة ١٩٧٣ لم يكن مرجعه الى البطولة وحدها أو السلاح وحده بل الى تقوى الله قبل ذلك كله وكلنا يعرف صدرك وعدلك ومسالمتك ومرحمتك على الشعب كله • ومن هنا كان الاسلام • والحرب فى الاسلام ضرورة والسلام هو الأصل « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ونحن نقول لك ان الشعب من ورائك يساندك ويعضدك فى موقفك ممن يعترضون على السلام ونحن رجال الدين وسدنة الدين معك ومن حولك نساندك ونعضدك وندعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظك لمصر لكى تحقق لنا كل منال والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

وزير الاوقاف والشيخ جاد الحق مفتى الديار المصرية وصوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب والسيد منصور حسن وزير شئون رئاسة الجمهورية ورؤساء طوائف الدين الاسلامى وجمعية تحفيظ القرآن • نص الكلمات :

وقد بدأت جلسة الحوار بكلمة الدكتور أحمد الحوفى رئيس لجنة الشئون الدينية بالحزب الوطنى قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم : سيادة الرئيس أنور السادات رب الأسرة وكبير العائلة المصرية نحن هنا لتبادل الرأى فيما ينبغى أن تصنعه الأسرة فى غدها ومستقبلها • ونحن اذا حاولنا أن نحصر محامدك وأمجادك العديدة يا سيادة الرئيس لطلال بنا الوقت وقد عرفناك منذ الشباب تكتب المقالات وتقوم الناس فى الصلوات وعرفناك رئيس للجمهورية أكثر تدبنا تتقى ربك قولاً وعملاً ونحن سدنة التربية الدينية نريد أن نغرس فى نفوس أبنائنا ذلك التدبىن السهل لأن

ثم ألقى محمد عوضين كلمة قال فيها : نحن الشباب ليس لنا مطالب الا مصر أولا وأخيرا وكبير العائلة أولا وأخيرا وكبير العائلة يجلس يجلس مع أبناء الشعب وهناك نقطة بدء هي أهم مسألة في تعديل الدستور بل في حياتنا أو استمرار بقائنا وهو الحكم بما أنزل الله وقد تحدث عنها الكثيرون حتى يمكن أو يقال انه ليس هناك من شيء اتفقت عليه جميع الاطراف الا الحكم بما أنزل الله . وكانت آخر الكلمات لمحمد عبد المقصود رئيس الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم .. سيادة رئيس الجمهورية .. الحمد لله أحكم الحاكمين الذي جمعنا هنا على الخير .. اننا في حاجة ماسة الى أمن روحى بجوار الأمن الغذائى والأمن الفكرى والاجتماعى .. يسعدنى باسم القرآن الكريم وباسم الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم أن أبسط أمامكم بعض التوصيات التى اتهمت اليها الجمعية :

ثم ألقى الشيخ محمد السطوحى شيخ مشايخ الطرق الصوفية كلمة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم : الرئيس المؤمن وكبير العائلة ان لقاء سيادتكم تأكيداً لمبدأ الشورى وان شاء الله سيتم على أيديكم بناء مصر الانفسانى والحضارى .. ان بلدا شعاره العلم والايمان وبه الأزهر سيظل رائدا للعالم الاسلامى ونحن الصوفيين فى كل مكان محصنون ضد الالحاد والشيوعية المتعصبين ونحن نطلب تعاوناً أكبر من الاوقاف والازهر لدعم رسالتنا والدين اساسا والدين محبة والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والبناء يحتاج الى عناية ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه . سيادة الرئيس ان لنا مطلباً وهو دعم جماعتنا لأنها تتكلف ما قدره ستة آلاف جنيه فى نشر مجلتها والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله .

مصر الاولى وخمسة عشر مصحفا شريفا للرئيس وأسرته • ثم ألقى عمر التلمساني رئيس تحرير مجلة الدعوة كلمة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين - سيادة الرئيس •• يتابع المواطنون هذه اللقاءات باهتمام ويسألون الله أن تنتج عنها الخير ويعود منها النفع الكبير على الوطن وهم في هذا محقون لولا عتب يسير على الذين حضروا هذه اللقاءات السابقة في أن يطلبوا طلبات خاصة بهذه اللقاءات ليست في مصلحة فئة بل انها من أجل الأمة كلها لذلك لن تسمع سيادتكم حملة الدعوة الاسلامية طلبا خاصا • سيادة الرئيس جئت الى الحكم وقد كانت السجون والمعتقلات تعج بالاغلال ففتحت أبواب السجون وأبحث أن تقام الاحفال والندوات وأن يتحدث فيها بملأ الحرية والانطلاق وأبحث للصحف أن تجترىء وتنقض •

وقد انطلق الذين خرجوا من السجون برسالة السلام الى هذه

- نقترح تشكيل لجنة عليا متخصصة تتولى تنقية مصادر الفكر الاسلامى من المفتريات التى دست على الاسلام • وتتولى ترجمة معانى القرآن الكريم الى كافة اللغات ونشرها بين المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها •

- العمل بالتدرج على توحيد النبع الثقافى فى التعليم وتوجيهه توجيهها قرآنيا •

- يجب أن تهتم الدولة بجمعيات تحفيظ القرآن الكريم وأن تيسر الدراسات القرآنية والدينية فى خط متواز مع الدراسات العلمية •

- اقامة دار طباعة على أحدث النظم لطبع المصحف الشريف برسمه المختلف • حتى نطمئن الى أن المصحف أصبح بعيدا عن كل تحريف يقع عند الطبع أو عند التجميع •

- ثم قدم عبد المقصود هدية للرئيس السادات عبارة عن درع النصر والسلام وأخرى درع القرآن الكريم لاهدائها الى سيدة

تقومون فيها شرع الله وكلمة واحدة ترى قلوب الناس تتفاني وراء محمد أنور السادات ، خذنا بكتاب الله وسترى منا ما يرضيك نحن نحب ولا نكره ونتمنى لك كل الخير ونتمنى من الله سبحانه وتعالى لك كل خير سر على بركة الله والسلام عليكم ورحمة الله .

ثم ألقى عبد الرحمن البناشقيق الشيخ حسن البنا كلمة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم .. سيادة الرئيس .. دعوتنا الى الاسلام وكان من حقه أن نجيب دعوتك وكان من حق الناس علينا أن نبينه للناس شرعا وعدلا وحكما فاصلا ففي الحديث الشريف « ان أحبكم الى أحاسنكم أخلاقا الموطأون اكنافا الذين يألفون ويألفون » . وقد كان أستاذنا الشيخ حسن البنا رحمه الله كان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فعلى الشباب أن يعلموا ذلك ، ومن كان هذا خلقه فكذاك تكون دعوته هينة لينة ، لا خوف فيها ولا ارهاب » ولا

الأمة ناشرين الحب والوئام وهما قبل كل قانون وما دامت القلوب مرتبطة فهي التي تحمى وتحرس وتؤيد وكان من فضل الله أن انطلقت الألسنة وتحدث الناس بهذا .

بقى أن نقول ان كل من يحضر يطالب باصلاح الاذاعة والشارع وكل شيء فى هذا البلد وقد كنا جميعا فى غنى عن هذه التفاصيل وأن نطبق شرع الله وينطلق الناس فى كل مكان مقيدىن بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله وفى هذا الأمان والأمن . ويوم أن تربط قلوبنا بالله وتدعو أن حى على الجهاد ستجد الكل وراءك يا من تنادى بالجهاد . وبهذا نكون جميعا قلبا واحدا ليس فينا من يحمل حقدا لأحد فى قلبه وأن المؤمن الذى يعمر قلبه بالإيمان ويسلم لله وجهه ويخلص له الاتجاه لا يحمل لأحد حقدا أبدا . أن المسلم يريد للناس الخير فكيف يكون الداعية لله بالخير يحقد على الناس وكلنا نريد لك الخير والله يراكم لهذا البلد

ولك منى دعاء : اللهم افتح قلبه
لهدى كتابك وافتح له أبواب
رحمتك واحفظه من بين يديه ومن
خلفه • السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته •

تستوى الحسنة ولا السيئة أدفع
بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك
وبينه عداوة كأنه ولى حميم » •
اننا نطلب يا سيادة الرئيس أن نلزم
كتاب الله فى كل ما نشرع ونقنن

فهرس العدد

صفحة	عزة العلماء
١٨١٩	الدكتور عبد الودود شلبى
	بشرية رسول الله هى التى جعلته اعظم العظماء وجعلت الاسلام دين الانسانية الخالد
١٨٢٤	بقلم الاستاذ احمد حسين
	الفرانيق والمستشرقون
١٨٣١	دكتور رؤوف شلبى
	موقف الفلسفة الالحادية المعاصرة من غيبيات المادة
١٨٤٠	بقلم الدكتور يحيى هاشم
	الطب الاسلامى او الطب النبوى
١٨٥٨	للاستاذ الدكتور على مطاوع
	الشيخ صالح الجعفرى (داعية الجامع الازهر الشريف)
١٨٦٨	للدكتور محمد رجب البيومى
	الحج اشهر معلومات
١٨٧٨	فضيلة الشيخ احمد على منصور
	جمهورية اسلامية ؟! وكيف ؟؟
١٨٨٧	للاستاذ محمد كمال السيد
	الاسلام فى الفكر الاوروبى
١٨٩٦	عرض وتحليل لمؤلفات أوربية بقلم الدكتور محمد شامه
	هواتف اسلامية (رجولة المسلم .. والحرية)
١٩٢٨	الدكتور ابراهيم أبو الخشب

من قضاة الاسلام (ابو عبد الله بن الازرق)

الدكتور فؤاد عبد المنعم احمد ١٩٣٧

الشريعة والحقيقة

لفضيلة الشيخ موسى محمد على ١٩٤٧

دفاع عن السنة

لفضيلة الشيخ عبد المهيمن الفتى ١٩٥٦

حكم ... وطرائف

اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٩٦٩

باب الفتاوى

للاستاذ عبد الحميد شاهين ١٩٧٤

حوار بين السيد رئيس الجمهورية والعلماء

والمفكرين المسلمين ١٩٨١

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ } ت
٩٠٥٥٠٦ }

الآن
مجلة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
ورئيس التحرير
الدكتور
عبد الوود شلبي

الجزء التاسع - السنة الحادية والخمسون - ذي القعدة ١٩٣٩ هـ - أكتوبر ١٩٧٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
العلامة الندوي يؤذن بالخطر!!

دكتور عبد الوود شلبي

تأمر وكيد تجاوزا حدود
الحكمة والعقل ، منظمات ظاهرة
وخفية تنخر عظام كيان الوجود
الاسلامى المزروع .. سلبية بلهاء
تقابل تحركات هذه الأخطار
والأهوال ببلادة أياس من اليأس ،
وأوهى من خيوط العنكبوت فى
مواجهة السيف !!

لقد عشت فى الخليج العربى ..
أو الفارسى .. أو الاسلامى ..
سمه بأى الأسماء تحب .. !
عشت سنوات فى هذه المنطقة
أرصد رياح الخطر ، وأعاصير
الدمار والموت .. وفجيح الكراهية
والحق على الاسلام وشعوبه فى
هذه الارض .

ولا يتسع المقام هنا لذكر هذه
« التيارات » ، و « المؤامرات »
التي تحقد بالخليج من أوله إلى
آخره .. فليس خفيا ما نسمعه
هذه الأيام عن الاضطرابات التي
أقلقت حكومة الكويت ، ولا
التحديات التي توجه إلى البحرين ،
ولا الانقسامات التي تغلغت في
أعماق دولة الاتحاد ، ولا المخاطر
التي تحقد بسلطنة عمان ولا
الصراعات بين « يمن » الجنوب
و « يمن » الشمال .. لقد اتسع
الخرق على الراقع كما يقول المثل
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر
في النفوس والذمم !

ومأساة المأسى في هذه المأساة
التي يعيشها العالم الاسلامي أنه
غريب بين الشرق والغرب . لم
تعد له دولة مرهوبة ، ولا علم
مرتفع يلتف حوله ومذ سقط حكم
آل عثمان ، وتوارت من الوجود
دولة الخلافة وتسلبت على المسلمين
أمثال أتاتورك ، وزيف التاريخ
لصالح الشيوعية والغرب ،
والمسلمون تتداعى عليهم الأمم كما
تتداعى الأكلة على قصعتها ..

ولن أنسى للرجل النبيل المجاهد
الشيخ عبد الله بن علي المحمود
- رجل الاسلام الأول - في دولة
الامارات - لن أنسى مواقفه في
مواجهة الخطر الذي تصدى له
بقوة وعنف ، وكشف جيوبه
وأوكاره في الامارات السبع ، فقد
وجه منذ سنوات خطابا إلى أمراء
هذه المنطقة ضمنه كل ما يعرف
عن هذه المنظمات والأشخاص
الذين بدءوا يخططون لتدمير
الوجود الاسلامي في هذه الدولة ،
وتحويلها إلى « كيونات »
حمرء في حظيرة الشيوعية ..
لقد تحمل الرجل الوقور أمانة
النصح ، وعرض نفسه للكثير من
المتاعب رغم تقدم السن والعمر ،
وحرّم نفسه من مغامرات الترف التي
يسيل لعب غيره من الأدعياء
لبريقها الزائف في ديوان الحكم .
ولقد زار العلامة « أبو الحسن
الندوي » هذه المنطقة منذ ست
سنوات ، وألقى في إمارة
« الشارقة » محاضرة ضافية حذر
فيها من الخطر الذي يهدد كل
الامارات . ***

أيتام على مآدب اللئام...وغشاء كغشاء
السيل فوق تلال الرمال !!

فى الحياة لا تعرف للمسلمين
نظاما للسلوك يتميزون به .. وفى
الحكم أمشاج قوانين وأخلاق
نظم *

وفى القوانين والتشريعات مزيج
من الايمان والكفر وفى الاقتصاد
تصطدم مشاعرك بلون أحمر فاقع
يقشعر منه البدن ، ولون قاتم يحرم
فيه الانسان من الأسودين الماء
والتمر ، وترف داعر يشرق فيه
السادرون بالغواية والخمر *

انهم لا يقرءون التاريخ .. بل
لا يستعملون حاستى السمع
والبصر ... تحسبهم أيقاظا وهم
رقود .. جميعا وقلوبهم شتى ..
تماما كما حدث فى أخريات دولة
بنى العباس فى بغداد .. وكما
حدث للأمويين فى بلاد الأندلس
.. وكما حدث للملوك المغول فى
بلاد الهند .. وكما حدث للملوك
الاسلام وسلاطينه فى هذا العصر.
انهم لا يقرءون التاريخ كما
قلت .. على قلوبهم أكنة أن

يفقهوه .. وفى أذانهم وقر ..
وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ..
حتى اذا أزفت الآزفة .. وزلزلت
الأرض من تحت أقدامهم فجأة ..
قالوا : يا ليتنا نرد .. يقولون
ذلك بعد فوات الوقت !!

ولقد طوفت فى أكثر بلاد
الاسلام .. أقمت فى بعضها
كثيرا من الوقت ، وزرت بعضها
فى مؤتمرات كثيرة العدد واختلطت
بشعوبها وزعمائها فى كثير من
المناسبات والفرص .. فرأيت
الخطر محققا بهذه الشعوب من كل
جانب ، وأيقنت بالمصير الذى لن
يفلت منه غوى ولا راشد *

وقليل هم العلماء الذين
يتصدرون لمواجهة هذا الخطر
بالتحذير والنصح ، والارشاد
والوعظ ، والمجاهرة القوية
المخلصة بكلمة الحق .. والاستاذ
العلامة أبو الحسن الندوى من
هذه القلة النادرة من العلماء
المخلصين فى هذا العصر فقد زار
مصر منذ ثلاثين عاما فقال فى
رسالة له :

وبركاته ، وبعد ..

فقد بدأت الفتن تتقدم الى الجزيرة العربية والى آخر حصن من حصون الاسلام ، والاستقرار والسلام ، فافرة أفواها مكشرة عن أنيابها ، وهى لا تعرف الرحمة ولا الهوادة ، ولا الاستثناء ، ولا التسامح ، فقد بدأ كل بلد عربى ، بل اسلامى الا النادر القليل .. يجرب الشيوعية أو الاشتراكية ، وأصبح تحت رحمة الحكام العسكريين والقادة الثوريين ، والزعماء الأنانيين ، وأصبحت الشعوب فى برائن هؤلاء الثوار كعصفور بين أنياب الصقور القاسية الضارية ، لا تملك من أمرها شيئا ، وقد بدأت الشيوعية تزحف الى هذه المملكة من أربع جهات . من الجهة الشمالية ، ومن الجهة الجنوبية ، ومن جهة الغرب ، ومن جهة الشرق . هذا ما عدا أنصارهم وروادهم الذين يعملون فى الخفاء ، ويهيئون

« اسمعى يا مصر » .. وزار المغرب وايران فقال لهما ما قال لمصر ، وزار جزيرة العرب فأمرها أن تستمع اليه كما استمعت اليه قبل ذلك شعوب الاسلام فى الشرق والغرب .

وفى هذه المرة يمسك العلامة الأمين بيده ناقوس الخطر ويتكلم بصراحة ووضوح الى ملوك وأمراء المسلمين فى جزيرة العرب . والذى يعينى كمسلم يغار على مقدسات دينه ، ويفدى الحرمين الشريفين بروحه ونفسه .. الذى يعينى من هذه الرسائل رسالة وجهها سماحة الشيخ الى المرحوم جلالة الملك فيصل ، لأن ما يصيب هذه المملكة الاسلامية يصيب الاسلام فى مقتل . ولأن صلاح الأمور واستقرارها حول الحرمين الشريفين أمنية مقدسة عند كل مسلم .

قال أبو الحسن :

حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل .. السلام عليكم ورحمة الله

العقول والنفوس لقبول هذه الفلسفات الهدامة فى مجال التربية والثقافة ، والكتابة والتأليف والاعلام والاذاعة •

وقد أخفقت كل تجربة لتلهية الشعب بالترفيه والتسلية وفيض من آلات الرخاء واطلاق العنان فى ارضاء الغرائز ، وتحقيق المطالب، وامدادها بأكبر قسط من التمتع ورفع مستوى الحياة من عهد بنى أمية •• فالعهد العباسى الى هذا العهد فى كل بلد من بلاد المملكة الاسلامية الواسعة ، وفى كل دور من أدوار التاريخ الاسلامى الطويل فلم تحمل هذه السياسة - المعتمدة على توجيه طبيعة القلق والطموح المودعة فى الانسان ، من التفكير فى القضايا العامة ، والأوضاع السياسية ، الى التفكير فى التهام الملذات ، واتتهاب المسرات ، واتتهاز فرصة الحياة - لم تحمل هذه السياسة الشعوب على الشكر والامتنان ، والتقدير والاحترام ، بل كانت هذه الشعوب التى أغدقت عليها النعم ، وعاشت بين روح وريحان ، وأطراب وألحان من

أسبق الأمم الى جحود النعمة ، ونكران الجميل ، وأكثرها كنودا وقسوة على الأسر الحاكمة الرحيمة السخية ، والحكومات المتسامحة ، فاتتهزت أول فرصة للثورة عليها ، وقلب الأوضاع فيها ، وعاملت المحسنين شر معاملة عرفها التاريخ ، وهذه طبيعة المادية الانتهازية الأبيقورية التى لا تعرف المفاهيم الدينية ، والقيم الخلقية ، ولا تعرف الميعاد والحساب ، وهى حكاية مطردة ، وتمثيلية متكررة فى جميع أدوار التاريخ • كذلك فى آخر دور الأمويين ، وفى نهاية الخلافة العباسية ، وعندما بلغت المدنية ذروتها فى حكومات الشرق والغرب ، وكذلك كان فى مصر وسوريا ، وفى العراق بالأمس ، وفى السودان قبل أيام • فلم تنفع هذه الفرصة السخية المتاحة للشعب وهذه الفيضانات من أسباب الترف والتسلى والتمتع والتلهى ، فرحبت هذه الأمم بكل ناعق واتتهزت أول فرصة للانقلاب • وقد تحقق أن الايمان العميق ، والاستقامة الخلقية والاقتصادية فى

فلا تقاوم بطرق سياسية عادية مما جربتها جميع الحكومات التي وقعت فريسة هذه الثورات ، وهي أساليب تقليدية لم يعد الله لها بالنصر ولم تمنع من حدوث أى انقلاب فى أى بلد ، وانما تنفع فى هذا الوقت الرهيب خطوات جريئة حاسمة وتغييرات جذرية . وعهود ومواثيق صادقة مع الله فليسمح لى جلالة الملك أن أقول : ان مثلنا كمثل قوم « يونس » الذين أروا الله الصدق والاخلاص ، والانابة والاخبات فى آخر ساعة ، وغبروا ما بهم فغير الله ما بهم •

وهنا أسجل بغاية الاختصار بعض النقط الرئيسية التى لا بد من الضغط عليها :

أولا - الصدق والاخلاص ، والعزم على اخضاع كل ما يجرى فى هذه البلاد ، من أمور ادارية حكومية مما يتصل بالاعلام والتربية وكل ما يؤثر فى رأى العام ، وفى عقلية الشعب وأخلاقه ، ومستقبل البلاد - للمقاصد التى بنيت لها الكعبة ، واختيرت لها هذه الأرض لتكون مركزا للاسلام ، ومصدر

الحياة ، والتشرف ، والقناعة فى المعيشة وباختصار وصراحة • ان تقوى الله ، وخشية الحساب ، والحياء والوفاء والأمانة بالمعنى الواسع ، هى الخلال التى تمنع عن الجحود والكنود ، والقلق الدائم، والغدر والخيانة وعبادة القوة أينما وجدت ، والترحيب بكل جديد وارد ، وزاحف مارد •

وأعتقد - والاشفاق والتألم يملأن جوانحي - أن فرصة العلاج الحقيقى الحاسم ، وفرصة صيانة هذه المملكة بما فيها من مقدسات وحصون للاسلام من هذه الموجة الطاغية التى بدأت تمتد اليها حائقة ثائرة ، ومن وقوع هذه الجزيرة فريسة سائغة لهؤلاء الثوريين الأنانيين • الذين يهلكون الحرث والنسل ، ويجردون البلاد من كل نعمة من نعم الدنيا والآخرة • فرصة محدودة قصيرة جدا ، وأرجو عدم المؤاخذه ، اذا قلت : انها آخر فرصة ، وعاهل هذه المملكة الذكى الألعى هو خير من يعرف قصر هذه الفرصة ، وشدة هذا الخطر، والأوضاع غير عادية ،

ثالثا - اتخاذ الحياة الاسلامية
- الحياة التى يرضاها الله وباركها
وينصر عليها - والحرص على
ازالة جميع المنكرات ، وأسباب
السخط ودواعى الخذلان ،
والفشل فى المجال الادارى ،
والأخلاق الاجتماعية والفردية ،
وتتبعها تتبعاً دقيقاً ، والحد من الثراء
الفاحش وتكده فى عدد محدود ،
وطبقة معينة وتقييد التجارة ،
وحركة الاستيراد الحرة على حساب
أخلاق الشعب وفى مصلحة عدد
محدود جداً وطبقة معينة ، خصوصا
إذا كان ذلك من طبقة الأمراء
والأثرياء ، ورجال الحكومة ، فإن
كل ذلك مما يمهّد الأرض ، ويفتح
الطريق أمام الشيوعية المتطرفة ،
والاشتراكية المقنعة ، والجيلولة
بين الحكومة والتجارة بقدر
الامكان ، والى أقصى الحدود ، فإن
ذلك مما يجحف بالشعب ، ويجنى
على الأخلاق ، ويجعل الحسبة والأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر شبه
مستحيل ، وقد نبه نابغة العرب ،
وفيلسوف المؤرخين «ابن خلدون»
على ضرره وسوء أثره فى الحياة •

اشعاع عالمى ، وللحكمة التى نبه
عليها القرآن بقوله :

« ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب أليم » •

ثانيا - ازالة التناقض بين ما
يعلنه الملك ، ويتزعمه بحق ،
ويدعو اليه ، من الدين الخالص ،
والاسلام الصريح ، وتحكيم الكتاب
والسنة ، والتمسك بالتعاليم
الاسلامية ، والقيم الخلقية ،
والتضامن الاسلامى الذى أصبح
جلالة الملك داعيه الأكبر فى هذا
العصر ، وبين كل ما ينافيه فى
مجال الاعلام والترفيه ، والمظاهر
الاجتماعية ، واتجاهات الشعب من
اندفاع متهور الى الترفيه والتسليه ،
والأغاني والملاهى ، والقصص المشيرة
والبرامج المستوردة الرقيقة التى
أفلت معها الزمام من يد المربين
والآباء والأساتذة والعلماء ، والتى
لا يحتفظ معها أى شعب بالبقية
الباقية من الشعور الدينى ،
والحصانة الخلقية ، ولا يستعد
للطوارئ والمفاجآت ، ولا يتحمل
أقل صدمة أو خطر من الخارج •

يدينون بالوفاء والولاء ، ويؤمنون بمبدأ الحب في الله والبغض في الله • تقربا الى الله ، واعزازا لدين الله من غير مقابل مادي ، أو طمع دنيوى ، أو مصلحة فردية أو سياسية فأولئك هم « الكنانة » و«الجنتّة» فى الخطوب ، وموضع الثقة والأمانة ، ولا يكون هذا الاخلاص الا عن ايمان عميق ، ودين متين ، ورابطة روحية ونزاهة لا ترتقى اليها شبهة ، ووجود أمثال هؤلاء فى الحكومة والجهاز الادارى والاعتماد عليهم فى السياسة الخارجية والداخلية اكبر حارس للحكومة والبلاد ، بخلاف الانتهازيين والعلمانيين الذين لا يدينون بدين ، ولا يزعمهم وازغ من خلق أو مبدأ ، ولا يرون لهذه البلاد قدسا ولا شرفا ، انما ينساقون وراء الرغبات والمصالح ، وينفذون أوامر قادتهم فى الخارج •

هذا ما أملاه الاخلاص والحب لهذه البلاد ، ولمن اختاره الله لحراستها وخدمتها ، والحرص على سلامة هذه البلاد من الأخطار

رابعا - عدم الثقة بقيادة العرب الأنانيين الذين لا يعرفون غير مصلحتهم ، والذين وصفهم القرآن بقوله : « لا يرقبون فى مؤمن الا ذمة » • « يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون » •

والذين ينتهزون أول فرصة فى بلاد أصدقائهم لقلب الحكومات ، واحداث الثورات ، والذين لا شيء اليهم أبغض من وجود الاستقرار والرخاء فى بلد ، وقد يكون اليهود أحب اليهم من المسلمين والعرب ، والذين ينتهزون أول فرصة لشفاء النفوس من هؤلاء الأبرياء الذين أسعفوهم بالأموال فى الساعات العvisية ، وأنقذوا الوضع ، وينتهزون أول فرصة لتوجيه اذاعاتهم وصحفهم الى نهش لحومكم والولوغ فى دمائكم « كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة » •

وبالعكس من ذلك الاعتماد على الصادقين المخلصين فى داخل البلاد وخارجها ، الذين تربطهم بكم رابطة العقيدة والعاطفة والذين

وبعده بالصدق مع الله فى القول
والفعل •

منذ عامين •• وفى ملهى
«البلاى بوى» بلندن (Play boy)
أمر رئيس الخدم الانجليزى خادما
هنديا مسلما بتقديم زجاجة من الخمر
الى مائدة يجلس حولها مجموعة
من عرب النفط •• وحين وصل
الخادم الهندى المسلم الى المائدة
سقطت من يده الزجاجة ، وهروا
عائدا الى رئيسه قائلا :

مستحيل •• مستحيل أن يشرب
هؤلاء الخمر !!! لقد أصيب
الخادم المسلم بصدمة ، وترك عمله
فى هذا النادى المشبوه الى غير
رجعة •

فعلى العرب المسلمين أن
يستقيموا ، فان لم يستقيموا قوموا
فان عجزوا عن الاستقامة ، ولم
يوجد من يقيمهم على طريق الجادة •
فليمحوا أسئاءهم من سجل العرب
وليتكلموا عن أى دين غير دين
الاسلام !!!

التي قد وصلت الى أسوارها ،
وبدأت تدق أبوابها ، وفى اطلاق
جلالة الملك الواسع ، ما يغنى عن
التطويل والتفصيل ، والشرح
والتعليل ، والله المستعان

الداعى المخلص
أبو الحسن الندوى
انتهى كلام العلامة « أبو
الحسن » • وهو كلام لا يصدر
غفوا من مثل هذا الرجل •

انه خلاصة تجربة لمسلم يدرك
بعقله حقيقة الأوضاع المتردية فى
عالم الاسلام ، ويرى بنور بصيرته
مخاطر الغد التي تتجمع غيومها فى
أوكار الظلام •

ان المسلمين مطالبون اليوم
بالوقوف جنبا الى جنب فى وجه
هذه الهجمات الشرسة التي تتهدد
ديار الاسلام فى كل قطر ،
ومطالبون بتجلية مبادئ الاسلام
وقيمه فى الحياة والواقع ، ومطالبون
بالتضحية والتجرد أمام هذا الغزو
الذى يوشك أن يقتلع جذورهم
من الأرض ، ومطالبون قبل ذلك

في مراجعة الاتحاد المعاصر :

عدم كفاية العلم في مجال المعرفة

للدكتور يحيى هاشم

(١)

عجز العلم عن ادراك حقائق
الأشياء :

يذهب كارل بيرسن - ١٨٥٧ -
• ١٩٣٦

ان العلم التجريبي في بحثه
الدعوب عن « المادة » لم يستطع
انكار الغيبيات ، كما أنه لم يستطع
ادراك حقيقتها •

- استاذ الهندسة النظرية
بالكلية الجامعية بلندن واستاذ
كرسى الرياضة التطبيقية والميكانيكا
بنفس الكلية - في تصوره للزمان
والمكان والحركة ، الى افراغها من
محتواها الخارجى ، واعتبارها
أسماء لخاصية ذهنية •

ومع ذلك فقد حاول - في جبهة
الاتحاد - التشويش على مبدأ
الغيبيات ، بوضع أسماء لها - أى
لغيبيات المادة - أسماء توهم عند
البعض أنها كافية لتفسير الأمر كله •

فهو بالنسبة للمكان يقرر أنه
« ترتيب » الظواهر الممكنة
الموجودة معا •

لقد وضعوا أسماء ، ثم ألقوا
أقلامهم ، وفروا هارين ••

ومن الواضح أن فكرة الترتيب
لا علاقة لها بوجود الظواهر
ذاتها • اذ أن من الممكن تصور هذه
الظواهر بترتيب مخالف ، وعلى ذلك
فالترتيب انما ينتمى عنده الى
طريقة الذهن في ادراك الظواهر ،

وسنعرض فيما يلى هذه الحلول
« الاسمية » في أهم المشاكل
المتعلقة بعالم الفيزياء :

الزمان ، المكان ، المادة •

حقائق الادراك الحسى وانما هو
طريقة ذهنية أو تصويرية نصف
بها التغيرات التى تطرأ على مجموعة
الانطباعات •• الحسية ••

ولكن هانز رايشنباخ يخطو
خطوة أعمق فى اظهار الدلالة
الاسمية لكل من الزمان والمكان ،
ويظهر الصعوبات التى تصل الى
درجة الاستحالة والتى تمنع من
تقديم مفهوم موضوعى لكل منهما ،
بل تمنع - وهذا هو الأخطر -
من اصطناع مقاييس من كل منهما
تتصف بالصدق الموضوعى •

يتناول رايشنباخ مشكلة المكان ،
فيقرر أن مشكلة التطابق (١) تهدد
معرفتنا الموضوعية للجسم والمكان
ذلك لأنه لا سبيل الى اختبار
التطابق والتحقق منه والمخرج
الوحيد من هذه المشكلة - فى
رأيه - هو ألا ننظر الى المشكلة
من ناحيتها الموضوعية وانما يكفينا
النظر اليها من الناحية التعريفية

فمن الواجب عنده أن تتخلى عن
النظر الى المكان على انه فراغ
هائل وضعت فيه الأشياء •

وما يقال عنده عن المكان يقال
كثير منه عن الزمان • فهما معا
طريقتان تميز بهما الملكة الادراكية
موضوعات ادراكها •

وكل ما فى الأمر ان المكان يدل
على وجود ادراكاتنا معا فى زمان
واحد •• والزمان يدل على تلاحق
ادراكاتنا فى موقع واحد من
المكان •
أما عن الحركة :

فهى عنده « التصور الجامع بين
الزمان والمكان • أى تغير المكان مع
تغير الزمان » ••

فعلم هندسة الحركة هو بدوره
وصف ذهنى أو تصورى لما يحدث
فى عالم المدركات الحسية من
تغيرات ••

واذن فان ما يطلق عليه اسم
حركة الاجسام ليس حقيقة من

(١) لنفرض أن كل الاشياء المادية ومن ضمنها أجسامنا قد تضاعف حجمها عشر مرات
أثناء نومنا فى الليل ، فعندما نستيقظ فى الصباح لا نكون فى وضع يسمح لنا باختبار
هذا الفرض ولن نتمكن أبدا من التحقق منه ، انظر نشأة الفلسفة العلمية ص ١٢٢ •

وقديبدو الى هذا الحد وكأنه
متردد في الاقرار بوجود موضوعي
للزمان ، لكنه يتراجع بعد ذلك
مبديا استحالة ادراكه واستحالة
اصطناع مقاييس موضوعية منه .
فيقرر أنه :

لكي نعرف الزمان المتجانس
المطرد (موضوعيا - المتعلق معرفته
بحركة الأفلاك .. الخ) يتعين
علينا أن نستوثق من مقاييسنا
بمعرفة قوانين الميكانيكا التي تحدد
لنا التعرف على هذه الحركة .

(ولكي نعرف قوانين الميكانيكا
يتعين علينا أن نعرف الزمان
المتجانس) .
يقول هانز رايشنباخ ..
(وليس لهذه الحلقة المفرغة الا
مخرج واحد ..

هو أن ننظر الى مسألة الزمان
المتجانس لا على انها مسألة معرفة
- أى معرفة لواقع خارج عنا - بل
على انها مسألة تعريف - أى
اصطلاح - فعليا الا تتساءل ان

أو الاصطلاحية فليس هناك سبيل
لمعرفة ما اذا كان الجسمان متساويين
بالفعل ، ولكن يكفي أن نقول :
اننا نسميهما متساويين ، ثم يتناول
مشكلة الزمان مع مشكلة المكان
فيقول :

(ليس الزمان والمكان كيانا مثاليا
أو فكريا له وجود يدرك بنوع من
التبصر كما اعتقد أفلاطون .
وليس نوعا ذاتيا من الترتيب
يفرضه الملاحظ البشرى على العالم
كما اعتقد كانت .

فالترتيب الزمني - عنده - يمثل
صفة عامة للكون الذي نعيش فيه
والزمان حقيقى بنفس المعنى الذي
يكون به المكان حقيقيا ، ومعرفتنا
للزمان ليست أولية وانما هي
تجريبية (...)

ثم يقول :

(ان ما تشعر بأنه تدفق للزمان
هو ذاته : الصيرورة السببية
أو العملية السببية التي تكون هذا
العالم) (١)

واذن فلن يساعدنا على هذا التمييز أن نقول ان السبب هو أسبق الحادثتين المرتبطتين ، : لأننا نود تعريف الترتيب الزمنى على أساس الترتيب السببى •

فلا بد اذن أن يكون لدينا معيار مستقل لتمييز السبب من النتيجة (٢) •

هنا يقدم رايشنباخ اقتراحا لحل هذه المشكلة - أعتقد أنه قائم على حكم العادة لا غير - وذلك هو (أن نحكم على الترتيب الزمنى على أساس العمليات الفيزيائية غير القابلة للانعكاس) (٣) •

مثل حالتين : بيت مبنى ، ونفس هذا البيت متهدم ، فالأولى أسبق ، لأنه فيزيائيا لا يمكن انعكاس المتهدم الى مبنى • الخ • ويعترف رايشنباخ ان هذا الحل ليس مبنيا على ضرورة منطقية اذ يقول : (ليس وجود هذا الترتيب المتسلسل ضرورة منطقية) • ويمكن أن نضيف الى ذلك انه ليس

كان من الصحيح ان زمان الفلكى متجانس وانما ينبغى ان نقول ان زمان الفلكى يُعرّف الزمان المتجانس ، فليس ثمة تجانس فعلى ، وانما نحن نصف تدفقا معيناً للزمان بأنه متجانس لكى يكون لدينا معيار نرد اليه أنواع التدفق الزمانى الأخرى (١) •

انه (لكى تحدد أن كان حادث معين أسبق من حادث آخر ؟ لا بد أن يكون الترتيب الزمنى واحدا بالنسبة لمختلف مقاييس الزمان •

ولما كان هذا غير صحيح ، فان علاقة الترتيب الزمنى ينبغى أن تكون خاضعة لتعريف مستقل عن قياس الزمان •

ويمكن أن ترد علاقة الترتيب الزمنى الى علاقة السبب والنتيجة • باعتبار أن السبب أسبق من النتيجة •

غير أن ما ينبغى علينا هنا هو معرفة كيفية التمييز بين السبب والنتيجة •

(١) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٣٤ ، يعنى بدافع الضرورة العملية •

(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٣٥

(٣) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٣٦

ذلك يستدعى معرفة الوقت
الذى استغرقه الضوء في
الانتقال •
واذن فنحن ندور في حلقة
مفرغة •

فلكى نعرف الوقت الذى
استغرقه الضوء في الانتقال يجب
أن نعرف السرعة •

ولكى نعرف السرعة يجب أن
نعرف الوقت أو بعبارة أخرى
لكى نعرف التزامن يجب أن نعرف
سرعة الضوء ، ولكى نعرف سرعة
الضوء يجب أن نعرف التزامن (١)

ومع هذا فان هناك حدوداً
تنتهى عندها مشكلة التزامن ••

ذلك انه اذا أرسلنا ضوءاً الى
المريخ مثلاً الساعة ١٢ وعاد اليها
منعكساً في الساعة ١٢ر٢٠ فان
المقارنة بين لحظة الارسل ولحظة
الوصول تتراوح بين ١٢ ، ١٢ر٢٠
ولا يمكن أن يكون في المقارنة
الزمن الذى قبل ذلك أو بعده •

وهنا نصل الى ما يسميه
اينشتين « بنسبة التزامن » •

مبنياً على ضرورة فيزيائية - اذا
تجاوزنا عالمنا الخاص - لما تم
اكتشافه من حركة بعض الصغيرات
الى عكس اتجاه حركتنا في
الزمان •• الخ •

ثم يتناول مشكلة التزامن ،
فيقول :

نحن نسمى الحادثين مترامنتين
اذا لم يكن أحدهما سابقاً أو لاحقاً
للآخر •• وتظهر المشكلة عند
المقارنة بين حادثين في مكانين
مختلفين •

ويتضح ظهورها كلما بعدت
المسافة بين المكانين •

فلكى نعرف زمن انبثاق الضوء من
كوكب أو من نجم مثلاً ومقارنته
بزمن رؤيتنا له على هذه الأرض
يجب أن نأخذ في اعتبارنا الوقت
الذى يستغرقه الشعاع الضوئى
لكى ينتقل من النجم اليها •

ولمعرفة هذا الوقت يجب أن
نعرف سرعة الضوء والمسافة التى
قطعها لكن ما هى كيفية قياس
سرعة الضوء ؟

أضعف ، يقول (هناك اختلاف ، وهو اننا نستطيع أن نرى مختلف الأجزاء التى تتكون منها مدينة لندن ، بل نحن فى الحقيقة نعرف الأجزاء بصورة أكثر مباشرة مما نعرف الكل الذى تؤلفه ، أما فى حالة الالكترتون فاننا لا ندركه ولا ندرك أى شىء مما نعرف أنه مقوم من مقوماته ، فنحن لا نعرفه الا بوضعه كائنا افتراضيا ، يحقق أغراضا نظرية بعينها ، ويقدر ما يتعلق الأمر بالفيزياء النظرية فان أى شىء يحقق هذه الأغراض يمكن أن يسمى الكترون (١) .

ويقول رسل عن العقل والمادة .
(انها ليست الا رموزا لأشياء غير معروفة) (٢) .

ويقول فتجشتين عن الأشياء
(لا يسعنى ازاء الأشياء الا أن أسميها) (٣) .

ويقول رتشارد هونجسوالد
عن الفلسفة المادية :

وهكذا يتبين لنا أن الفلسفة العالمية انتهت فى بحثها لمشكلة الزمان والمكان ، الى وضع حلول « اسمية » لا فيما يتعلق بجوهرها فحسب ، بل فيما يتعلق بالمقاييس التى تستند اليهما .

وهكذا الأمر جرى فى مشكلة المادة . .

فها هو برتراند رسل - على سبيل المثال -

يقرر أن لا علاقة بين كلمة الكترون وبين ما تدل عليه أكثر من العلاقة القائمة بين كلمة لندن ، وبين المدينة التى تدل عليها الكلمة .

ويقول (فكلمة لندن ، كلمة مريحة فى الاستعمال بيد أن كل « واقعة » نخبر عنها باستعمال هذه الكلمة يمكننا أن نخبر عنها بدونها ، وان كان هذا بطريقة أكثر التواء) .

بل ان رسل يقرر أن علاقة كلمة الكترون بما تدل عليه

(١) فلسفتى ص ١٦ : ١٧

(٢) مجموعة عالمنا المجنون ص ٩٧

(٣) لودفيج فتجشتين ص ٣٣١

ويقول الأستاذ وحيد خان :

(انه مهما كانت التجربة أو المشاهدة مباشرة الا انها لا تعدو أن تكون مظهرا خارجيا لحقيقة الواقعة ، لأن تلك التجربة ليست هي الحقيقة نفسها • ومثال ذلك أن رقم التليفون مرتبط بصاحبه ، الا أن هذا الرقم ليس هو بعينه صاحب التليفون ••• فواقع الارتباط بين ضغط الزر واضاءة اللبة يؤكد وجود علاقة خاصة مباشرة بين العمليتين ، ولكن على الرغم من هذا المظهر تبقى العلاقة الأصلية غير المرئية) (٤) •

يقول الشاعر جوته في تعليقه على الفلوجستون وغرابته :

(كم من اسماء كبيرة ضخمة يتدعها الناس ، فيسمون بها الأشياء التي لا تجوز عقلا ، ليسهل في العقل تجويزها) (٥) •

(هي في الواقع لم تقدم غير أسم « المادة » تخفى وراءه الروح) (١) •

هؤلاء فلاسفة وماذا عند علماء العلم التجريبي ؟

ما هو البروتون ؟ تسمية معناها « الأول » مشتقة من أصل لاتيني !

وما هو النيوترون ؟

تسمية معناها المحايد أو المتعادل مشتقة من كلمة لاتينية أيضا •

وهذه التسمية مأخوذة من كون النيوترون لا يحمل شحنة موجبة كالبروتون - ولا سالبة كالالكترون (٢) •

وكما يقول الدكتور جون كيمنى : (نجد كثيرين من العلماء قد أخذوا بما قد تحقق من تقدم في حين أن كل ما قد حصل لا يعدو وضع مجموعة جديدة من التعاريف) (٣) •

(١) فلسفة القرن العشرين ص ٥٦

(٢) انتصارات العلم الحديث ص ١١٩

(٣) الفيلسوف والعلم ص ٢٠٢

(٤) الدين في مواجهة العلم ص ١٤

(٥) بواتق وأنايبب ص ٥١

ان اقرار العلم التجريبي بهذه الكائنات « الغيبية » لا يختلف - من الناحية المنهجية - عن اقرار المؤمن بوجود الله

أعنى أن هذا الاقرار ليس قائما على الادراك المباشر ولكن على « الاستنتاج » المستخلص من الوقائع .

يقول الفيلسوف الملحد برتراندراسل :

(العالم الذى كنا نتحدث عنه - أى العالم الفيزيقي - حتى الآن عالم مستدل عليه بأكمله . اذ نحن لا ندرك نوع الكائنات التى نتحدث عنها الفيزياء ادراكا مباشرا) (٢) .

ويقول عن معرفته للكرسى القائم أمامه على سبيل المثال : (علاقتى بهذا الشئ غير مباشرة ولا تتأتى معرفتها الا بالاستنتاج) (٣) .

وكمثال على ما تسببه التسميات من تضليل نذكر الحكاية الطريفة الآتية :

عندما كشف الكوكب بلوتو عام ١٩٣٠ سألت سيدة أحد علماء الفلك قائلة :

« ولكن عندما أكتشفتم أتم رجال الفلك الكوكب الجديد كيف عرفتم أن هذا الكوكب هو حقيقة بلوتو وليس كوكبا آخر غيره ؟ » (١) .

وأخيرا نقول :

ليس للالحاد المادى تفوق فى ايمانه بهذه الغيبيات على ايمان المؤمن بالغيبيات الالهية ، من حيث يدعى انه يؤمن بغيبياته لما لها من آثار محسوسة أو ضرورة منطقية ، لأن ايمان المؤمن بالله قائم على نفس هذا الاساس :

أى لآثاره المحسوسة ، وضرورته المنطقية . . .

(١) فن الاقناع ص ٣٢

(٢) فلسفتى ص ١٦

(٣) العقل والمادة ص ١٩٧

مع الوقائع ، أولا وانه لا دليل
تجريبى ضده ، ثانيا وانه متحرر من
الاستحالات المنطقية ثالثا •
وهل هناك شئ من هذه الامور
يقف حائلا دون الايمان بالله ؟

ولا يقف حائلا دون الايمان
بالمادة •• ؟ كلا ••

يقول الدكتور ليكونت
دى نوى :

(ان الانسان الشريف الذى
يتمتع بغريزة حب الاستطلاع
العلمى لا يحتاج الى « رؤية » الله
بأكثر من حاجة الفيزيائى الى
« رؤية » الالكترون •

وكل محاولة فى كلتا الحالتين
باطلة ، ولا قيمة لها •

فالالكترون لا يمكن ادراكه
ماديا • ومع ذلك فهو معروف تماما
بآثاره أكثر من معرفتنا للكبرى
الذى نجلس عليه (٣) •

ويقول فى موضع آخر :
اننا نؤمن بهذه الصغيرات
لأننا نشق فى الفيزيائيين الذين

ويقول : (اننى أرى بالفعل أن
هناك صورا من الاستدلال
المحتمل (١) • لابد أن نقبلها وان لم
يكن من الممكن أن نثبتها
بالخبرة (٢) •

انه اذا كانت المادة صورة
تجريدية أو فرضية فماذا يدعو الى
« الايمان » بها عند رسل الملحد ؟
وماذا يقدمه من مبررات لذلك
ولا يمكن تقديمه للايمان :
بالميتافيزيقا أو الدين ؟

الصور التى يقدمها رسل
للعالم المادى هى - كما يقول -
صورة فرضية • الا أن هذا العالم
بهذه الصورة « يمكن » فى اعتقاده
- أن يكون هو العالم الفعلى - ،
لأن هذا العالم يتلاءم مع جميع
الوقائع ، وليس هناك دليل تجريبى
ضده ، كما أنه عالم متحرر من
الاستحالات المنطقية •

ان ما يبرر الايمان « بالعالم :
بالمادة » بالرغم من تجريدته عند
رسل هو أنه « يمكن » أن يتلاءم

(١) هناك نوعان من الاحتمال : الاحصاء والشك • انظر فلسفتى ص ٢٣٤

(٢) فلسفتى ص ١٦٠

(٣) مصير البشرية ص ١١١ ، ص ١٣٧

أن للعالم الخارجى المحيط بى
وجودا حقيقيا) •

بل انه لينبغى القول بأننا
ملزمون بالاقرار بوجود العالم
الخارجى بنفس القدر الذى يلزمنا
بالاقرار باستمرار وجودنا الشخصى

•• يقول رسل فى تحليله لهذه
النقطة (اذا أراد الفيلسوف المؤمن
بنظرية انحصار الذات فى نفسها أن

يبلغ السلامة المنطقية التى يسعى
اليها فعليه أن يحصر نفسه فيما
ادعوه » انعزال الذات للحظة

الراهنة وحدها » فليس عليه أن
يقول فقط - « لست أعرف ما اذا
كان العالم الفيزيقي موجودا ،

أم ما اذا كانت هناك عقول غير
عقلى ، لكن عليه أن يمضى الى
ما هو أبعد من ذلك فيقول لست

أعرف ما اذا كان لى ماض أو ما اذا
كان لى مستقبل ، لأن هذه الأشياء
مدعاة للشك مثلها مثل وجود

الآخرين ، أو وجود العالم
الفيزيقي •

يؤكدون وجودها كما كنا نثق
فى رجال الدين القدماء) •

(ولأن هؤلاء الفيزيائيين يؤكدون
انه بدون هذه الصغيرات تصبح
الأشياء المادية والقوى التى
نستعملها ، غير متماسكة ولا يمكن
فهمها) •

ثم يقول : (وكذلك فان الكون
الحى المنظم يغدو غير مفهوم بدون
قبول فرضية وجود الله) (١) •

وفى هذا المعنى يقول كروزيار :

(اذا كانت القواعد الأولية التى
تقوم عليها مدركاتنا ومعارفنا يجب
أن يعتقد بها ولو لم يكن فى
مستطاع العلم أن يعرفها ، فان
أقوى برهان يقيمه كونت فى وجه
الاعتقاد بوجود الله - اذ يقول بأنه
لا يمكن اثباته بالعلم - ينهار من
أساسه) •

ويقرر كروزيار أن التسليم
بوجود الله لا يقل فى نظر العقل عن
التسليم بوجود العالم يقول :

(انتى أعرف أو أعلم أن للخالق
وجودا حقيقيا بمثل ما أعلم أو أعرف

لكن فيلسوفا من أنصار انحصار الذات في نفسها لم يذهب الى هذا الحد ومن ثمة فكل فيلسوف من هذا القبيل لم يكن متسقا مع نفسه عندما قبل استدلالات عن نفسه ليس عليها ضمان أفضل مما لديه من ضمان على الاستدلالات التي تدور حول الآخرين والأشياء الفيزيقية « (١) »
نقول :

واذن فقياسا على منهج استدلاله على ذاته - في غير اللحظة الراهنة - يلزمه - منهجيا - الاستدلال على وجود الآخرين ، وقياسا على استدلاله على وجود الآخرين يلزمه - منهجيا - الاستدلال - وفقا لما ذكره كروزيار - على وجود الله •

ولنا أن نقول أيضا : ان استدلاله على ذاته - في غير اللحظة الراهنة - الذي رجعنا منه الى اثبات معرفتنا بالعالم وبالله ، انما تم على أساس ما نسميه الضرورة العملية وهذا ما نزيده توضيحا في موضع آخر •

والخلاصة : ان الاتحاد الحديث عندما يقطع علل الوجود وأسبابه عن الله •• ويسلم بغيبات أخرى ترغمه عليها الضرورات المنطقية ، أو العلمية أو العملية ••

عندما يفعل ذلك فانه انما يقع في صورة حديثه من صور الاشرار التي أشارت اليها الآية الكريمة : « ان هي الا أسماء سميتموها أتمم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » •

« صدق الله العظيم »

(٢)

عجز العلم عن ادراك « المطلق » :

لا يهدأ العقل البشري دون التطلع الى المطلق ومحاولة ادراكه واذا كان المنهج العلمى يقوم أساسا على « النسبية » فهو لا يمكنه أن يستبعد « المطلق » من مجال المعرفة ، مكتفيا باعلان عجزه عن ادراكه •

ونسبية العلم هي في حد ذاتها اعتراف « بالمطلق » •

النسبة تخرجنا من حدود معرفتنا
وتجعلنا نثبت وجود المطلق ..

(٢) ويستند « منسل » وقد
كان فيلسوفا ، و، أستاذا بأكسفورد
وكبير قساوسة كنيسة سنت بول
(١٨٢٠ - ١٨٧١) الى قول
أستاذه هاملتون ان معرفتنا العقلية
لا تبلغ الى المطلق ، ويرتب عليه
امتناع اللاهوت العقلى لكنه يذهب
فى نفس الوقت الى أن العلم
الانسانى ما دام نسبيا فهو لا يملك
الاعتراض على الوحى ، وان
الصعوبات والمتناقضات ليست
ناشئة من الوحى بل من حدود
العقل الذى يزعم الخوض فى
المطلق على حين أن حدوده تدل على
أن شيئا قد يوجد ويكون فوق
متناوله (١) •

(٣) ويقرر هربرت سبنسر
(١٨٢٠ - ١٩٠٣) فى كتابه
« المبادئ الأولى » استحالة وصول
العقل الى معرفة مطلقة • وان
كل محاولة يقوم بها العقل من أجل
تصور المطلق أو اللامتناهى لا بد

(١) يرى هاملتون (فيلسوف
انجليزى ١٧٨٨ - ١٨٥٦) ان
المعرفة نسبية وذلك من ثلاثة
وجوه • فانها تقوم فى نسبة بين
حدين يجمع بينهما فى الحكم ونسبة
بين ذات عارفة وموضوع معروف
يحد أحدهما الآخر ، ونسبة بين
جوهر وعرض فيدرك الجوهر
بالعرض ويدرك العرض بالجوهر •
هذه النسب قوام التفكير ، اذا
حاولنا رفعها محونا كل معرفة
ووقعنا فى الوحدة المطلقة فكل
ما هو مدرك مشروط أى نسبى ،
واللا مشروط أو المطلق لا مدرك
سواء أكان كلا أو جزءا ••

فان أى كل هو بالنسبة لنا
جزء لكل أكبر ، وان أى جزء يمكن
أن يتصور قابلا للقسمه فيكون
من ثمة كلا •

بيد أن هاملتون يجد بابا للولوج
منه الى الاقرار بوجود المطلق وان
كنا لا ندرى عنه شيئا وذلك لأن
أى موضوع معروف فهو جزء من
حيث انه مشروط ، ومن ثمة فهو
مردود الى لا مشروط وهذه

أن تنتهي الى تعيينه أو تحديده ،
وبالتالى فانها لا بد من أن تحوله الى
نسبى أو متناه • وذلك لأن كل
فعل من أفعال العقل لا يمكن أن
يكون واضحا الا اذا توافرت له
عناصر ثلاثة هي :

التمايز ، والعلاقة ، والتشابه ،
ومعنى هذا انه اذا أريد لأية حالة
ذهنية أن تستحيل الى فكرة
أو معرفة ، فانه ليس يكفى لهذه
الحالة الذهنية أن تصبح منفصلة
أو متميزة عن كل ما عداها من
حالات ذهنية سابقة ، وانما لا بد لها
أيضا من أن تكون شبيهة
أو مماثلة لبعض الحالات الذهنية
التي سبق لنا ادراكها من قبل •
وبعبارة أخرى يمكن القول بأننا
لا نعرف الشئ معرفة واضحة
الا اذا كان فى وسعنا أن نشبهه
(من بعض الوجوه أو كلها) بشئ
أو أشياء أخرى سبق لنا ادراكها
وأما اذا لم تكن للشئ أية صفة
مشتركة تجمع بينه وبين أى شئ
آخر سبق لنا ادراكه ، فان مثل هذا
الشئ لا بد من أن يظل لغزا
منيعا •• أو مجهولا ، يخرج تماما

عن حدود المعرفة ، كذلك فان كل
فعل من أفعال المعرفة انما هو علاقة
تنشأ فى الشعور بين بعض الحالات
الذاتية من جهة ، وبعض القوى
الموضوعية من جهة أخرى •

وقصارى القول عنده انه لما كان
الفكر يتضمن بالضرورة العلاقة ،
والتميز ، والتشابه فانه لا سبيل
لنا مطلقا الى تعقل اللا متناهى
أو المطلق أو الا مشروط •

لكن سنسر مع هذا لا يرى أن
المطلق غير موجود ، بل انه لا يرى
اننا لا يمكننا أن نعرف ما اذا كان
المطلق موجودا أو غير موجود •

وانما يرى اننا حينما نقرر أنه
ليس فى وسعنا أن نتصور المطلق
بعقولنا فاننا نحكم بعقولنا أيضا
بأنه موجود • انه يعنى أن فى صميم
انكارنا لقدرة العقل على تصور
المطلق يوجد اعتراف ضمنى
بوجوده ذلك لأن المطلق الذى
حكمتنا بعجزنا عن معرفته كان
مثالا أمام أذهاننا ، لا باعتباره
عدما ، بل باعتباره « شيئا » وذلك
لأن تفكيرنا بطبيعته يقوم على
العلاقات لذا فان « النسبى » نفسه

سرعان ما يصبح غير قابل للتصور ان لم تتصور وجود علاقة بينه وبين حد آخر غير نسبى ، أى « مطلق » •

وخلاصة القول انه لا بد من افتراض وجود شئ ثابت يكمن خلف شتى الاعراض المتغيرة دون أن يكون من الضروري لعقولنا أن تقدر على تحديده •

وهكذا يخلص سبنسر الى القول بأن قوانين الفكر التى تحظر علينا تكوين تصور عن « الموجود المطلق » هى بعينها التى توجب علينا التسليم بوجوده ••

وهنا تنحل عقدة من العقد تحول بين العلم والدين • وفى هذا يقول سبنسر (اذا كان كل من الدين والعلم يسلم بوجود « مبدأ مطلق » هيهات لنا أن نسبر غوره أو « حقيقة عليا » يستحيل علينا أن نزيح النقاب عن أسرارها ، فمن أين نشأ اذن ذلك التعارض بين الدين والعلم ••؟

الحق أن الدين قد أدى ولا زال يؤدى دورا فى حياة البشر ، لأنه

قد حال بينهم - ولا يزال يحول - وبين الاستغراق التام فى « النسبى » أو المباشر ، فالدين قد أيقظ شعور البشر ، وجعلهم يحسون بوجود شئ ، فيما وراء الادراك الحسى المباشر) •

ويقول سبنسر :

ان تطور العلم قد دنا به من فكرة « الحقيقة المطلقة » التى يقول بها الدين ومن هنا يصبح العلم نصيرا للدين ، وعاملا هاما فى المحافظة على نقاء العقيدة الدينية الكبرى من شوائب التشبيه أو التخصيص •

(٤) ويتساءل أميل بوترو عن حدود العلم قائلا :

(هل هذه الحدود تمثل سلبا خالصا ، سلبا مطلقا يمنعنا العلم حقا - فيما وراء ذلك - أن نبحث شيئا أو نتصور شيئا ؟

أو أن هذه الحدود ليست الا سلبا نسبيا أى فقدان شئ مطلوب ولا بد منه ، ويستلزمه نفس الشئ الذى نملكه ؟

كان يساورهم بعض الشك في أمر هذه المادية العلمية ، ولكن هذا الشك لم يتسرب مطلقا الى عقول الشعوب ، بل ولا الى عقول كتاب العلم العاديين والصحفيين •

وبينما المادية العلمية في موقعها الحصين ، اذ دهمتها الكشوف الثورية :

أشعة روتجن •

ونسبية المكان والزمان •

ونظرية الكم والطاقة الذرية •

ونظرية اعتبار الواقع حدثا من الأحداث المتصلة في المكان والزمان ••

ومبدأ عدم اليقين ••

ومهما يكن حظ هذه الكشوف من اقبال الناس فقد كانت ايذانا بانتهاء عصر المادية العلمية التي كان لها القدر المعلن خلال قرن ونصف قرن من الزمان دون القيم العليا •• فقد اتقلنا في خلال ثلاثين سنة تقريبا من القول بأن أشد الأمور الواقعة يقينا هو الذرة الى عكس

ويجب أميل بوترو على هذا التساؤل بأن :

(بعض العلماء يرى أن حدود العلم تمثل حقا بالنسبة للعقل البشري عدم معرفة ، ليس منها بد ، لتجعل من علمنا معرفة تامة •

والعلم يعرف من هذا انه لا يكفي نفسه ، لأن مبادئه تصورات سلبية غير محدودة فيما يختص بمضمونها ، ويستحيل على العقل البشري الا يتساءل عن الشيء ما هو ؟ اذا قيل له انه ليس هذا أو ذاك •

فالعلم نفسه ••• هو الذي يشير بإمكان المعرفة الأعلى ، المعرفة الأعلى من المعرفة العلمية) (١)

(٣)

عجز العلم عن الوصول الى اليقين :

يقول رالف • ت • فلو ولنچ في بحثه عن الفلسفة الشخصية :

(كانت المادية العلمية منذ جيل واحد في موقع حصين لا سبيل الى النيل منه • ولعل كبار العلماء

النفى ، وبذلك لم يستطع راسل أن يجد المعرفة اليقينية التى كانت مطلبه طوال حياته الفلسفية فجاء فى أعماله الأخيرة ليقيم فلسفته على « مصادرات (٢) » ويلجأ الى النتائج العملية التى لا يمكن تبريرها بأى نوع من المعايير النقدية التى قال بها فى فلسفته المتقدمة ..

ان بناء راسل للعقل والمادة لم يحقق الغرض المرجو منه . فقد كان الهدف من « البناء » - التعبير عما يمكن أن يكون موضع شك (الموضوعات المادية والعقول) بما لا يكون موضع شك (المعطيات الحسية أو الاحداث) (٣) . لكن لقد أتهى راسل الى أن كل معرفتنا الانسانية غير يقينية وغير دقيقة ولذا فان البناء قد أصبح بمثابة التعبير عما هو غير يقينى بما هو غير يقينى . وفقد بذلك المبرر للجوء اليه ، ويكون فى اعتقادنا - قد أخفق فى تحقيق الغرض الذى من أجله وضع (٤) .

هذا اذ صرنا نعد الشيء اليقينى هو مبدأ اللاتيقين (١) .

الآن يعترف أرباب المنهج العلمى التجريبي انهم لا يشترطون اليقين .. ولا يمكنهم أن يحققوه .

ويقول الدكتور محمد مهران فى بحثه عن برتراند راسل :

(ان راسل كان يهدف من اعادة بناء المادة والموضوعات المادية ردها الى مكوناتها اليقينية أو - اذا أردنا مؤقتا الابتعاد عن لفظ (الرد) - كان يهدف الى التعبير عما هو موضوع موضع الشك بما لا يكون موضع شك ، سواء كان هذا الأخير المعطيات الحسية أو الأحداث .

ان السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو هل استطاع راسل أن يحقق مثل هذا الهدف بالنسبة للموضوعات المادية ؟

لعل الاجابة الواضحة لراسل على هذا السؤال الأخير هى اجابة

(١) بحث الفلسفة الشخصية فى كتاب فلسفة القرن العشرين ص ١٠٩

(٢) أنظر ما ذكرناه من « مسلمات » راسل فى مبحث الايمان الاول فى مبحث سابق

(٣) أنظر ما ذكرناه من موقف راسل من غيبيات المادة فى مبحث سابق

(٤) فلسفة برتراند راسل للدكتور محمد مهران ص ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨

بمثل ما بدت لى به فى يوم من الأيام •

وماقوام هذه الالزاميا الا كون الرياضى لا يتحدث عن الزمان • • واليقين البديع الذى كنت آمل دائما أن أبلغه فى الرياضة قد فقدته فى متاهة محيرة •

لقد فقدت شيئا ، وان كنت قد ربحت شيئا أيضا • فاما ما فقدت فهو أن أجد الكمال والنهائية واليقين •

أما ما ربحت فهو تسليم ببعض الحقائق التى كانت تبدو لى باعثة على النفور (٢) •

ويقول هانز رايشنباخ فى « فلسفته العلمية » : « عن احتمالية الواقع » •

(اننا عندما نحلم لا نعلم اننا نحلم وانما نعرف ان حلمنا كان حلما فيما بعد ، أى عندما نستيقظ فقط • فكيف ندعى اذن ان تجاربنا الحالية يمكن الاعتماد عليها أكثر من الحلم ؟ ان كون هذه التجارب

وهل يستمد العلم الحديث يقينا من احتمائه بالرياضة ؟

يقول راسل بعد أن استغرق فى دراسته للرياضة (فيما يختص بأسس الرياضة فانى لم أهتد فيها الى شئ ، وبالرغم من ميلى الشديد الى الفلسفة التجريبية لم أستطع أن أقنع بأن القضية :

« اثنان زائد اثنان تساوى أربعة » •

ليست سوى تعميم استقرائى حصلناه بالخبرة لكننى ظللت فى شك من كل ما يتجاوز هذه النتيجة السالبة المحضة (١) •

ويقول (ان الرياضة تتألف من تحصيلات حاصل وانى لأخشى أن الرياضة بأسرها قد تبدو لعقل على قدر كاف من القوة تافه تفاهة العبارة التى تقول ان حيوانا ذا أقدام أربع حيوان •

وأعتقد أن ما تتصف به الرياضة من لا زمانية ليس له من السمو

(١) فلسفتى كيف تطورت ص ٤

(٢) فلسفتى ... ص ٢٦١ وقد ذكرنا فى مبحث « الايمان الاولى » مسلمات رسل هذه •

نهائيا ، وتطلع الى بلوغ مثل هذا الكمال فى البعض الآخر ، وكانت المدرسية مثله الأعلى •

لكن لا يوجد أى علم فى الوقت الحاضر - ولا حتى العلوم الرياضية يرضى أن يكون مدرسيا •

فالعلم مهما تكن الصورة التى يتخذها ... هو استقراء يتجه الى غير حد نحو الكمال ، وسيظل كذلك (٣) •

ويقول :

(لا ينبغي أن نخلط بين التقارب المتزايد من الحقيقة ، وبين العجز التام عن بلوغها •

فالعلم لم يعد يفكر فى منح العقل نسخة تشبه الأشياء الخارجية التى من الواضح أنها غير موجودة كما تفترضها ، ولكنه يكشف « علاقات » تتحقق التجربة من صحتها • وفى هذا القدر كفاية لأن تكون صحيحة بالمعنى الانسانى لهذه الكلمة (٤) •

مقتربة بشئ من الواقعية لا يجعلها أكثر قابلية للاعتماد عليها • اذ أن هذا الشعور ذاته يكون لدينا فى الحلم فليس فى وسعنا ان نستبعد تماما احتمال أن التجارب التالية ستثبت اننا نحلم الآن (١) •

ان هانز رايشنباخ يذهب الى أن (وجود العالم الفيزيائى أمر مرجح فحسب وأن احتمال كون الواقع حلما قائم على الدوام ، ويحول بيننا وبين تأكيد ذلك الواقع على نحو مطلق) •

يقول الدكتور فؤاد زكريا (ينطوى ذلك ضمنا على عناصر مثالية لا تقل قوة عن تلك التى كرس معظم كتابه لمحاربتها) • (٢) ويقول أميل بوترو :

(هل يمكن أن يقدم العلم - على الأقل حين يكون صالحا - للعقل يقينا صحيحا ؟

كان العلم الى أيامه الأخيرة - أو أراد أن يكون - دجماطيقيا واعتبر أن بعض أجزائه قد تكونت

(١) نشأة الفلسفة العلمية ص ٢٧ : ٢٨

(٢) الفلسفة العلمية لريشنباخ ص ٩

(٣) العلم والدين ص ١٩٢

(٤) المصدر السابق ١٩٤ •

ويقول الأستاذ ليكونت دى نوى : (ليست هناك حقيقة علمية بالمعنى المطلق والقول المعروف « السير نحو الحقيقة بواسطة العلم » قول باطل ، فهناك فقط مجموعات من الاحساسات التى وجدنا بالتجربة أنها تتبع بعضها البعض بترتيب معين ، والتى ندعى أنها ستتوالى على نفس النمط فى فترة مستقبلية محدودة تلك هى روح الحقيقة العلمية) (١)

بل ان المرء لياخذ العجب ويتساءل :

هل المنهج العلمى هو مجرد تبرير للجهل ؟

أليس هذا ما نخرج به من قول رايشنباخ - رغما عنه - :

(ان صورة المنهج العلمى كما ترسمها الفلسفة الحديثة مختلفة كل الاختلاف عن المفاهيم القديمة ..

لقد أتضح أن أحداث الطبيعة أشبه برمى الزهر منها بدوران

النجوم فى أفلاكها ، فهى خاضعة للقوانين الاحتمالية ، لا للعلية ، أما العالم فهو أشبه بالمقامر منه بالنبى ، فهو لا يستطيع أن ينبئك الا بأفضل ترجيحاته ، ولكنه لا يعرف مقدما أبدا ان كانت هذه الترجيحات. ستتحقق ، مع ذلك فهو مقامر أفضل من ذلك الذى يجلس الى المائدة الخضراء لأن مناهجه الاحصائية أفضل ، والهدف الذى يسعى اليه أسمى بكثير ، وهو التنبؤ برميات الزهر الكونية) (٢)

واذا كان العلم عاجزا عن الوصول الى اليقين فان هذا يمثل نقصا خطيرا فى امكانيات العلم بالنسبة للعقل البشرى ، الذى لا يهدأ دون الوصول الى اليقين .

ان هذا العجز المتنوع للعلم الذى نذكره فى هذا الباب ، وعلى قمته عجزه عن الوصول الى اليقين

(١) مصير البشرية ص ١٦

(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ٢١٨

له الفناء عند موت النظام الشمسى
الواسع ، وانه لا مفر للهيكل الذى
بنته مآثر الانسان من ان يدفن
تحت انقاض كون سيهدم) •

ان برتراندراسل الملحد اللادري
لم تمنعه لا ادريته من أن يقرر هذه
الأمر بصيغة الجزم ، قائلا :

(تلك أمور ان لم نقل بأنها
غير قابلة للجدل فانها تكاد تكون
أكيدة بحيث أن أية فلسفة ترفضها
لا تستطيع أن تثبت ، ولن يمكن
بعد اليوم بناء مسكن للنفس الا
ضمن هذه الحقائق فقط ، وعلى
أساس متين من اليأس الذى
لا يتراجع) (١) •

ومن العجيب أن راسل لا يمتنع
عن هذا الهراء بالرغم من أننا نجده
فى موضع آخر يرى أن حركة
الفلك ونظامه ينبىء عن غاية
يتحرك نحوها اذ يقول (فى مملكة
الكواكب عمليات تنطوى على
خصائص غائبة) (٢) •

من ناحية ، والاقتصار على هذا
العلم من ناحية أخرى ، هو الذى
أفرز طائفة من المفكرين اللادريين ،
يعكسون قلقهم وريبتهم على
المجتمع الذى يعيشون فيه ،
ويقدمون أنفسهم فى صورة من
التمزق الشعورى ، والتناقض
الفكرى فى آن واحد •

ان برتراندراسل وهو من
اللاادريين ، لا تمنعه لا ادريته من
اتخاذ القرارات الجازمة فى ما يتعلق
بالعقائد الدينية •

انه يجزم بمعتقداته الآتية :

(ان الانسان تتاج علل لم يكن
لها أى علم بالغاية التى ستدركها
وان أصله ونموه وآماله ومخاوفه
وحبه واعتقاداته نتيجة تركيبات
عرضية بين الذرات ، وانه لا يستطيع
النار ولا البطولة ولا قوة الفكر
والشعور أن تحفظ حياة فرد وراء
القبر ، وان جهاد العصور
والاخلاص والوحى واشراق نور
العبقرية البشرية كل ذلك مقدر

(١) تكوين العقل الحديث ج ٢ من ٢٨٤

(٢) برتراند رسل للدكتور محمد مهران ص ١٣٥

وها هو اللورد بلفور من زعماء اللادارية يقدم لنا في كلماته التالية نموذج اللادارى المتعجرف الذى يعترف فى سياق حديثه بجهله التام للأسباب التى أدت الى ظهور الانسان على الارض ومع ذلك يصب جام غضبه على الكون والانسان ويقرر أن نهاية الانسان هى العدم المطلق :

يقول أولا :

(ان الأسباب التى اتحدث باديء ذى بدء فحولت مركبا عضويا ميتا الى حياة تحدد منها الانسان لا يعرف العلم فى الحقيقة عنها شيئا حتى الآن) •

ومع هذا الاعتراف بالجهل ، واعلان اللاداريه يجرؤ فيقول بعد ذلك :

(يكفى القول بأنه قد نشأ على التدريب وبعد كفاح طويل من بدايات كالجوع والمرض والقتل المتقابل وهى كلها المرضعات التى نهل منها أسياذ الخليفة المقبلين - نشأ جنس له من الضمير ما يكفى لأن يجعله يحس بأنه منحط ، وذكاء يكفى لأن يجعله يعرف انه

تافه لا أهمية له . فاذا استعرضنا الماضى وجدنا أن تاريخه قد جيل بالدماء والدموع ، والأخطاء التى لا حيلة فيها ، والثورات المتوحشة والاستسلام الأبله ، والآمال القارغة ، واذا حاولنا أن نستشف المستقبل علمنا انه بعد مقدار من الزمن - طويل اذا قورن بالحياة الفردية ، ولكنه قصير بالحقيقة اذا قورن بتقسيمات الزمن الذى ندرسه فى أبحاثنا - فان قوى نظامنا ستتدهور ومجد الشمس سيخبو وتقف الأرض قائمة جامدة فلا تحتل ذلك الجنس الذى أزعج وحدتها خلال لحظة عابرة ، ولا بد للانسان من أن يوارى فى الحفرة وتمحى كل أفكاره ، والوعى القلق الذى قطع السكون السائد فوق الكون فى هذه الزاوية المظلمة سيسكن ولن تعرف المادة ذاتها بعد ذلك •

أما « الصروح الشامخة التى لا تقنى » و « الاعمال الخالدة » والموت ذاته ، والحب الذى هو أقوى من الموت فستكون كأنها لم تكن قط ، ولن يكون أى شيء

وسر ذلك فيما يقوله وليم جيمس
(لقد تجاهل كثير من الكتاب
— أو المفكرين — دوام حصول
المستقبل فى الذهن واشتغاله به ،
ولكن ذلك تجاهل للحقيقة
الواقعة ••) ويقول :

(دع الشعور بالمستقبل يفقد
أهميته وقيمته ، أو دعه يكون بلا
موضوع وستجد أن العقل قد
أصبح فى الحال غير هادىء وغير
مطمئن • ويصبح الجديد مصدرا
للمتاعب العقلية) (٢) •

واذا كان هؤلاء اللاداريون
لا يدرون — بحكم لا أدريتهم —
شيئا عن المستقبل فيوقعهم ذلك فى
الآلم الذى يدفعهم الى النظرة
التشاؤمية ، فان هذه النظرة
التشاؤمية — بما انها لا تنسجم مع
رغباتهم الطبيعية تورطهم فى
آلام مضاعفة • يقول وليم جيمس
(ان عدم انسجام المستقبل مع
رغبات الناس وميولهم الفعالة
يسبب لهم فى الحقيقة من القلق

من الوجود أفضل أو أسوأ بالرغم
من الكفاح والعبقرية والاخلاص
والآلام التى بذلها الانسان خلال
أجيال لا حصر لها •••) (١) •
فأى تناقض بعد ذلك ؟

هذا هو المصير الذى يريد هؤلاء
الملاحدة المتناقضون مع أنفسهم
المعلنون بكل صراحة جهلهم العميق
لحقائق الغيب والمادة على
السواء ••

هذا هو المصير الذى يريدون
أن يدفعوا اليه الانسان المعاصر •
ان تناقض هؤلاء الملاحدة
لا يعنى انهم يتركون لا أدريتهم
بقدر ما يعنى ان هذه اللادارية من
شأنها أن تقذف بهم الى مستنقع
الآلم ، فاذا هم يصرخون ، واذا
صرخاتهم تبدو دجماطيقية قاطعة
بالدمار والضياح ، واذا هم
— لعجرفتهم وتكبرهم —
لا يكتفون بأن تكون آلامهم لهم
•• وانما للانسانية كلها •

(١) تكوين العقل الحديث ج ٢ ص ٢٨٢ : ٢٨٤

(٢) العقل والدين ص ٤٨

والتعب ما يزيد على التعب الذى
ينشأ من عدم التيقن
بالمستقبل (١) *

وهكذا ينتقل اللاادرى من حلقة
من الألم الى حلقة أخرى ويدور
من الآلام فى سلسلة مفرغة ... ،
ان أى فلسفة - كما يقول وليم
جيمس (اذا تركت المستقبل عرضة
للاحتمالات - واللاادريه - فانها
تسبب عدم طمأنينة للعقل ، وتورثه
تعباً وألماً (٢) ومن ثم فافتنا نقول :

ان هؤلاء فى حقيقة الأمر
لا يحتاجون الى من يدرس
فلسفاتهم المتهرئة ولكن الى من
يدرس أعماق نفوسهم ليظهر فيها
آلامهم العميقة ، هذه الدوافع التى
أثرت أن تلبس مسوح الفكر
دوافعهم العدوانية النابعة من
والعلم ، وقد كان أجدر بها أن
تلبسهم أقنعة القتلة : قتلة الضمائر
والعقول *

الدكتور يحيى هاشم

ولا خير فى ود امرئ متلون
إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغفيت عن اخذ ماله
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم فى النائبات قليل
(على بن أبى طالب)

(٣) العقل والدين ص ٥٢

(١) العقل والدين ص ٥٠

دراسات قرآنية :

ذوالقرنين يفتح المشرق ويبنى سدّ يأجوج ومأجوج

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

- ٢ -

لتصل ما جاء فيه بما نذكره اليوم
عن رحلته الى المشرق والى بلاد
يأجوج ومأجوج ، والله تعالى
هو الموفق والمعين •

رحلة الى الشرق

بعد أن أتم ذو القرنين رحلته الى
ما عرف عماره من جهة المغرب ،
قل راجعا متجها بفتوحاته الى
المشرق ، وقد كان الناس وقتئذ
يعتقدون أن الأرض مسطحة ولها
مشرق واحد هو بداية الأرض من
جهة شروق الشمس عليها ، ومغرب
واحد هو نهايتها من ناحية غروب

الشمس - بحسب رأى العين -
ولم يكونوا قد عرفوا أن الأرض
كروية ، ودائرة تحت أشعة الشمس
والوقت الذى يكون مغربا لقوم

» حتى اذا بلغ مطلع الشمس
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم
من دونها سترا »

(الآيات من سورة الكهف)

ذكرنا فى المقال الأول أن
ذا القرنين عند المحققين هو
الاسكندر بن فيلقوس الرومى ،
فانه هو الذى بلغت فتوحاته
مشارك الأرض ومغاربها ، وجعلها
تستظل بملكه وسلطانه ، وقلنا انه
كان قبل ميلاد عيسى عليه السلام
بنحو ثلثمائة وثلاثين سنة ، وكان
من أهل مقدونيا •

وقد أجملنا تاريخه وبيننا سبب
تسميته بذى القرنين ، وتحدثنا
تفصيلا عن رحلته الى المغرب
وسياسته فى أهله ، فأرجع اليه

وقتما كان الزمن نهارا بدون ليل ،
والشمس طالعة فوقهم باستمرار ،
وليس لهم ليل وقتئذ يستريح منها ،
وان ذلك هو معنى أنه تعالى لم
يجعل لهم من دونها سترًا •

وقد أجمل الله استعداد ذى
القرنين لهذه الرحلة البعيدة المدى،
وعظم أمره وفخمه بقوله : « كذلك
وقد أحطنا بما لديه خبرا » أى
هذا الذى حكيناه عن ذى القرنين
كان أمره فى اليسر والسهولة ،
وقد أحطنا علما بما لديه من
الوسائل التى تحقق بها ما يريد من
بلوغ أطراف الأرض مغربا ومشرقا
مثل أدوات النقل البرى والبحرى
والجنود وآلات الحرب ، وحسن
التدبير والسياسة التى يسرت له
فتوحاته البعيدة المدى •

ياجوج وماجوج

لما أتم ذو القرنين رحلته الى
المشرق ، وأخضع أهله لحكمه ،
اتخذ طريقا ثالثا لم يكن سلكه من
قبل ، ليخضع لحكمه قوما لم
يخضعهم بعد •

قد يكون مشرقا لآخرين ، والذى
يكون مشرقا لقوم قد يكون مغربا
لآخرين •

وقد حكى القرآن فتوحات ذى
القرنين حسبما عرفه الناس ، حتى
لا يفاجئهم بمعلومات يجهلون بها ،
فيعظم انكارهم لها وللقرآن الذى
جاء بها ، فلذا قال : « حتى اذا بلغ
مطلع الشمس » أى موضع طلوعها
أولا فى رأى العين ، وهو غاية
الأرض المعمورة شرقا حسبما بلغه
علم الانسان : « وجدها تطلع على
قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا » •

وقد أجمل الله فى هذه الآية
حال سكان هذه المنطقة بأنهم
بدائيون لم يرتقوا صناعيا حتى
يصنعوا لأنفسهم ثيابا تستريحهم
وتحميهم من أشعة الشمس ، أو
مساكن تؤويهم وتقيهم حرارتها •

وجائز أن تكون هذه الجهة فى
المنطقة القطبية التى قد يمكث
النهار فيها أياما متتالية بدون ليل ،
كما قد يمكث الليل فيها فترة بدون
نهار ، وانه انتهى الى هذه الجهة

ويأجوج ومأجوج ترجمة عربية لصفتها ، مأخوذة من أج الظليم اذا أسرع ، أو من أجيج النار وهو ضوءها وشررها ، وهذا المأخذ يشير الى شرهم وضررهم فيمن عداهم ، فهم مثل النار لا جيرة لهم •

والمقصود منهما المغول والتتار على ما يظهر ، لما سنحدثك به عنهم ، وهم من ولد يافث بن نوح ، وقيل ان الترك منهم ، لما أخرجه ابن جرير وابن مردويه ، من طريق السدي من أثر قوى « الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج . خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد ، فبقوا خارجين عنه » وفي رواية لعبد الرازق أن هذه السرية كانت خارجة للغزو •

موضعهم وفسادهم

كان هؤلاء المفسدون خلف جبلين ، وكانوا ينحدرون من بينهما للافساد في الأرض ، والجبلان المذكوران بين سمرقند والهند ، وهؤلاء هم المغول والتتار كما تقدم ، وتمتد بلادهم من التبت

وفى ذلك يقول الله تعالى « ثم أتبع سببا » وأتبع هنا بمعنى اتبع ، أى اتبع سببا يوصله الى فتح جديد ، بأن سلك سبيلا آخر « حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا » والسدان هما الجبلان ، قال صاحب القاموس : السد هو الجبل وقد يطلق على الحاجز • اهـ • وسنحدث عن موضع السدين ان شاء الله تعالى •

وقد وجد ذو القرنين من دون السدين - أى قريبا منهما - وجد أمة من الناس لا يكادون يفهمون ما يقوله لهم هو أو أتباعه ، لقلة فطنتهم ، فان الذكي المخالف لك فى لغتك يستطيع أن يفهم بعض ما تقوله له بالقرائن •

وكان هو ورجاله يفهمون منهم ما يقولونه - وان لم يعرفوا لغتهم - فلهذا شكوا اليه قائلين : « يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا » •

والصين ، الى المحيط المتجمد الشمالي ، وتنتهى غربا الى ما يلى بلاد التركستان ، وحددت بلادهم فى هضبان آسيا الوسطى شمال الصين ، ما بين الدرجة السابعة والعشرين والدرجة الخمسين ، من خطوط العرض الشمالية •

وبذلك تبلغ بلادهم فى العرض ثلاثا وعشرين درجة ، كما نقله صاحب الجواهر عن فاكهة الخلفاء وابن مسكويه فى تهذيب الأخلاق ورسائل اخوان الصفا •

وهذه الامم معروفة تاريخيا أنها كانت تغير قديما على الامم المجاورة من آن لآخر ، كما عرف عنهم تجاوز افسادهم الى أطراف الأرض ، فقد انحدروا من مرتفعات آسيا الوسطى الى أوروبا وخربوها كما خربوا آسيا الغربية التى بعث فيها الأنبياء ، وكان الأنبياء يحذرون أقوامهم منهم ، وسنتحدث عن افسادهم فى عهد الاسلام •

بناء السد

لما وصل ذو القرنين الى الوادى

القريب من الجبلين اللذين يختفى وراءهما يأجوج ومأجوج ، وجد سكان هذا الوادى فى غاية الشقاء بسبب غارات يأجوج ومأجوج عليهم ، منحدرين من بين الجبلين اللذين حددنا سابقا موضعهما ، وقد طلبوا منه أن يقيم سدا بين الجبلين ، يمنعهم من غزوهم اياهم ويحميهم من شرهم ، وأظهروا استعدادهم لدفع تكاليفه بقولهم له على سبيل السؤال : « فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا » ولكن ذا القرنين « قال » معذرا عن أخذ مال منهم : « ما مكنى فيه ربى » من الملك والسلطان والمال وسائر الأسباب « خير » من المال الذى تريدون دفعه الى ، فلا حاجة لى به « فأعينونى بقوة » أى فساعدونى بما يتقوى به من أسباب البناء ، كالأحجار والعمال « أجعل بينكم وبينهم ردما » أى حاجزا حصينا وهو أقوى من السد وأوثق ، وهو مأخوذ من قولهم (سحاب مردم) أى متكاثف •

بعضه فوق بعض ، وقيل هو والسد
بمعنى واحد •

« آتونى زبر الحديد » أى
أحضروا لى قطع الحديد لأبنى بها
السد ، والزبر جمع زبرة
كغرف جمع غرفة ، والزبرة
هى القطعة ، ولا بد أنها كانت
قريبة المنال منهم ، بأن كانوا قريبين
من منجم حديد ، ويجوز أن يكون
مراده : اجمعوا لى قطع الحديد من
دوركم ، فان جمعوها أعطاهم
ثمنها ، لأنه امتنع أن يأخذ منهم مالا
فى مقابل بنائه ، وهكذا يكون
الحكام المصلحون •

ثم أمر بالحجارة فوضعت بين
الصدفين أى الجبلين ، ولعله
أذاب حجارة الحديد التى جمعوها ،
وصبها فى قوالب متساوية ، ليكون
البناء مستقيما متناسبا شديدا
التماسك « حتى اذا ساوى بين
الصدفين » بأن جعل الردم فى
ارتفاعهما « قال » للعمال بعد أن
أوقدوا النار بين قطع الحديد
« انفخوا » النار بالكيران لتزداد
اتقادا ، وتعم جميع ما بين قطع

الحديد رغبة فى انصهاره « حتى
اذا جعله » أى جعل الحديد
« نارا » أى كالنار « قال » للذين
يتولون اذابة المعادن « آتونى أفرغ
عليه قطرا » أى نحاسا أو رصاصا
مصهورا ، فأثوه به ، فأمر بإفراغه
على الحديد المصهور فى السد ،
فأفرغوه بطرق فنية تضمن لهم
السلامة ، ولحجارة السد قوة
الالتحام ، وسد ما عسى أن يكون
من فراغ بينها •

وقد أسند البناء والمساواة بين
الصدفين وإفراغ القطر الى ذى
القرنين ، مع أن العمال هم الذين
قاموا بذلك ، لأنه مشرف عليهم
وموجه لهم ، فكأنه هو الذى قام
بذلك •

فلما برد السد أصبح أملس
« فما استطاعوا أن يظهره » أى
فما قدروا أن يرتفعوا فوقه لملاسته
وارتفاعه « وما استطاعوا له نقبا »
لشدته وصلابته « قال » ذو القرنين
« هذا » السد القوى المنيع
« رحمة من ربى » على عباده ، لأنه
يحميهم من شر هؤلاء المفسدين

اسم السد ومكانه

يسمى هذا السد « سد باب الحديد » وراء جيحون فى عمالة بلخ على مقربة من مدينة ترند ، وقد أقامه ذو القرنين بين الجبلين الواقعين بين سمرقند والهند - كما قدمنا - وقد دك هذا السد كما وعد الله تعالى ، واجتازه تيمور لك بجيشه ، ومر به « شاه روح » وكان فى خدمة الألمانى (سيلد برجر) الذى جاء ذكر السد فى كتابه ، وذلك فى أوائل القرن الخامس عشر ، كما جاء ذكر هذا السد فى رحلة الأسبانى (كلافيجو) سنة ١٤٠٣ م ، وكان رسولا من ملك (قشتالة) بالأندلس الى تيمور لك .

آراء أخرى فى موطنهم

هذا وقد قيل ان يأجوج ومأجوج يسكنون قريبا من خط عرض ٩٠ (تسعين) من جهة الشمال ، وهو المراد بآخر الجرياء فى كتاب حزقيال ، وقيل ان جبلهم هما جبلا أرمينية وأذربيجان ، ومن زعم

« فاذا جاء وعد ربى » أى فاذا حضر الوقت الذى وعد ربى بخروجهم فيه « جعله دكاء » أى جعل السد أرضا مستوية « وكان وعد ربى حقا . وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض » أى جعلنا بعض الناس يوم يأتى وعدنا بخروج يأجوج ومأجوج من وراء السد يموج فى بعض ، أى يختلطون اختلاط الموج ببعضه ببعض ، فيختلط يأجوج ومأجوج بغيرهم ، كما سنحدثك .

ولعل ذا القرنين قد علم بأن السد سوف يدك ويخرج منه يأجوج ومأجوج من نبي كان يعاصره أو باجتهاد منه ، أو أنه اطلع على ذلك من كتاب نبي الله حزقيال . ففيه الاخبار بمجيئهم فى آخر الزمان وافسادهم ، وقصدهم بيت المقدس وهلاكهم عن آخرهم فى برية بأنواع من العذاب ، وكان حزقيال قبل الاسكندر غالب الشاه (دارا) فاذا كان هو ذا القرنين ، فيمكن أن يكون علم ذلك من كتابه .

تؤيد مزاعمهم ، ومن ذلك انهم
رووا عنه صلى الله عليه وسلم :
انهم امتان ، كل امة اربعمائة
ألف أمة ، لا يعلم عددها الا الله
تعالى ، ولا يموت أحدهم حتى
يعقب ألف ذكر من صلبه ، كل
واحد قد حمل السلاح وأن بعضهم
فى طول شجر الارز - أى
الصنوبر - الذى يطول الى مائة
وعشرين ذراعا ، الى غير ذلك من
الأكاذيب الموضوعة التى لا أصل
لها ولا يليق عزوها الى النبى صلى
الله عليه وسلم ، كقول بعضهم ان
طائفة منهم طول أحدهم ذراع
وعرضه كذلك ، وطائفة أخرى
يفترش أحدهم احدى أذنيه
ويلتحف بالآخرى ، وكل ذلك
وأمثاله من الضلالات المقطوع
بوضعها وكذبها .

جرائمهم فى عهد الاسلام

قلنا ان سدهم تخرب وانهم
خرجوا فى غزوات تخريبية ، وذلك
مصدق لوعده تعالى ، ومن
جرائمهم بعد ذلك السد وتخريبه ،
ما حدث منهم فى أوائل القرن

ذلك يزعم أن سد ذى القرنين هو
السد المشهور بباب الأبواب ، وهذا
يستلزم أن يكون ياجوج وماجوج
من الخزر والتزك ، وهذا خلاف
ما عليه المؤرخون ، فان باني سد
باب الأبواب هو كسرى
أنو شروان .

وحدد آخرون السد فى أماكن
أخرى ، وقال بعض أهل العلم انه
بموضع من الارض لا يعلمه الا
الله تعالى ، وكفى فيها من أمور
مجهولة ؟ ولعله قد حال بيننا وبين
ذلك السد وجبليه مياه عظيمة ،
ودعوى استقراء الأراضى والبحار
غير مسلمة - هكذا قيل . والله
أعلم .

حقيقة ياجوج وماجوج

هم ناس مثل سائر الخلق ،
ولكنهم غلب عليهم الشر ، وهم
من ذرية يافث بن نوح عليه السلام
وهذا هو الراجح ، وقد أحيطت
قصتهم وصورتهم بأكاذيب لا يصح
تصديقها ، ومن عجب أن بعض
رواتها وضعوا أحاديث كاذبة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجعلوها جسرا يمشون عليه
بخيولهم •

ولما استولت اسرة جنكيز خان
على آسيا كلها ، وأوروبا الشرقية ،
اقتسموا الفتوحات بينهم ، وكانت
القرى وبلاد الخلافة حتى الشام
من نصيب هولاء - لعنه الله -
ثم أذن الله بالنصر في عهد السلطان
الملك المظفر عز الدين قطز ملك
مصر ، فقد حاربهم وهزمهم
وأخرجهم من بلاد المسلمين ، في
معركة مرج دابق الشهيرة •

وفي شأنهم هذا روى الامام
البخاري بسنده عن زينب بنت
جش أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم دخل عليها يوما فرعا يقول :
« لا اله الا الله • ويل للعرب من شر
قد اقترب ، فتح اليوم سد يأجوج
ومأجوج مثل هذا ، وحلق بأصبعه
الابهام والتي تليها ، قالت زينب
بنت جش : أنهلك وفينا الصالحون ؟
فقال نعم اذا كثرت الخبث » •

وتحليق النبي صلى الله عليه
وسلم بأصبعه الابهام والتي تليها

السابع الهجري ، اذ أغاروا بقيادة
ملكهم جنكيز خان على بلاد
المسلمين ، فاجتاحوا مملكة السلطان
قطب الدين السلجوقي ملك
التركستان والفرس ، وملكوها بعد
حرب امتدت عشر سنين ، وقتلوا
الرجال وسبوا النساء وفعلوا كل
منكر ، ولقد أحصى من قتل في
خوارزم وحدها ، فخص كل جندي
من جنود جنكيز خان أربعة
وعشرين قتيلا من المسلمين ،
وأحرقوا المدينة بعد ما جرت الدماء
أنهارا ، وذلك غير ما فعلوه
بسمرقند وبخارى وغيرهما ،
وأفنوا أهل نيسابور عن آخرهم •

وكان قتلى مرو مليوناً وثلاثمائة
ألف ، وأخضعوا بلاد الهند ، ومات
هذا الطاغية بعد رجوعه من الهند ،
وأغار ابن أخيه هولاءكو بجنوده على
مقر الخلافة في بغداد في عهد
ال خليفة المعتصم بالله ، وذبحوا
ال خليفة ، وعلقوا جثته في ذنب
حصان ، وأباحوا المدينة سبعة
أيام سالت فيها الدماء انهارا ،
وطرحت كتب العلم في نهر دجلة ،

لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ، ويبعث الله تعالى يأجوج ومأجوج ، فيخرجون على الناس ، فينشفون الماء ، ويتحصن الناس منهم فى حصونهم ، ويضمون اليهم مواسيهم ، فيشربون مياه الأرض ، حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسا ، حتى ان من يمر من بعدهم ، ليمر من ذلك النهر فيقول : قد كان هنا ماء مرة ، ويحصر عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الحمار لأحدهم خيرا من مائة دينار » •

وفى رواية لمسلم وغيره «فيقولون لقد قتلنا من الأرض هلم نقتل من السماء ، فيرمون نشابهم الى السماء ، فيردها الله مخضوبة دما للبلاء والفتنة ، فيرغب نبي الله وأصحابه الى الله تعالى ، فيرسل عليهم النفث فى رقابهم ، فيصبحون فرسى » •

والنفث نوع من الدود ، وفرسى بمعنى قتلى ، جمع فريس بالفاء أى قتيل ، والحديث المذكور يؤذن

كناية عن بداية صغيرة لشركهم ثم اتسع هذا الشر فى أوائل القرن السابع الهجرى كما ذكرنا •

موجة عارمة من شركهم

فى آخر الزمان تكون لهم موجة أخرى يدمرون بها العالم تدميرا ، فانهم بعد اختلاطهم بالمسلمين فترة طويلة أثر استيلائهم عليهم وفتكهم بهم ، تنام فتنتهم زمنا مديدا ، ثم تستيقظ آخر الزمان بعد أن يكونوا قد فقدوا القيم الخلقية والدينية التى استفادوها من مخالطتهم من أهل الاسلام ، فيكفرون بعد ايمان ، ويعصون بعد استقامة ، ويعودون الى التدمير كما كان أسلافهم ، وفى ذلك يقول النبی صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسنده عن النواس بن سمعان ، بعد ذكر هلاك الدجال بباب لُد « ثم يأتى عيسى قوما قد عصمهم الله من الدجال ، فيمسح وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فيبينما هم كذلك اذ أوحى الله تعالى الى عيسى : انى قد خرجت عبادا لى

الاسلام كما علم من هذا الحديث الشريف ، ولعل من أشرط ذلك اعتناقهم الشيوعية المنكرة لكل دين ، وحملهم الناس على الايمان بالمادة والكفر بالله ، ومحاربتهم لكل القيم الروحية ، والفضائل الدينية وبذاتهم على الله تعالى بعبارات فاجرة ، ولقد أزالوا معالم الاسلام أو كادوا فى الأقاليم الاسلامية التى كانت تحت حكم الروس البيض ، ومنعوا تدريس الدين فى مدارسهم •

وأخر مصائبهم استيلاؤهم على افغانستان ، وحكمهم لأهلها بالحديد والنار ومحاربة الاسلام وقتل المسلمين والعلماء بأسلوب الابدادة ، نسأل الله السلامة •

الشيخ مصطفى محمد الطير

بكثرتهم وعظم فسادهم ، وتسببهم فى تعطيل مرافق الرى ، حتى يقل الماء فى الأنهار فلا يكفيهم هم وغيرهم •

ويجوز أن الله تعالى يجعل الماء وقتئذ قليلا فتنه وبلاء (١) ، فاذا نزلوا بجوار ماء شربوه ولم ييقوا لغيرهم منه شيئا لكثرتهم وقلة الماء، كما يدل الحديث أيضا على أن الله تعالى هو الذى يفيهم ، اذ لا قبل للأمم بقتالهم •

واعلم أن أولئك المغول والتتار باختلاطهم بالمسلمين بعد أن قهروهم فى معركة (مرج دابق) انتشر فيهم الاسلام ، حتى كونوا أغلب المسلمين فى الهند والصين وآسيا ، فكما ورثوا أرضهم ورثوا دينهم ، لكن هؤلاء سيرتدون عن

(١) ومثل هذا حدث فى السنين السبع العجاف فى عهد يوسف عليه السلام •

الرسم العثماني واجب شرعى طريقه الإجماع

دكتور رءوف شلبى

قصد من الصحابة رضوان الله عليهم •

ولقد قصد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يوظف العهد النبوى كله لجمع القرآن الكريم جمعا فى الصدور ، وجمعا فى السطور •

فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » •

فلم يسمح النبى صلى الله عليه وسلم للصحابة الأجلاء بكتابة شيء عنه غير القرآن وذلك حتى يتفرغ المسلمون والزمن الذى يعيش فيه النبى صلى الله عليه وسلم لجمع القرآن بالمعنيين :

النقاط التى تدرج تحت هذا الموضوع أربع :

١ - ارتباط الرسم العثماني بجمع القرآن الكريم •

٢ - مفهوم الرسم العثماني •

٣ - هل يجوز الخروج على الرسم العثماني فى طبع القرآن الكريم ؟

٤ - متى بدأ نشر القرآن وطبعه بالرسم العثماني •• وما هى جهود الأزهر فى ذلك ؟

أولا - ارتباط الرسم العثماني بجمع القرآن الكريم

عرفنا أن النبع الوحيد الذى كان يستقى منه الرعيل الأول ثقافتهم هو القرآن الكريم وكان ذلك عن قصد من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان كذلك عن

بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالليل بالقرآن ، وإن كنت لم أر منازلهم بالنهار » •

لقد اشتهر عصر النبوة بكثرة الحافظين للقرآن الكريم حفظا متينا في الصدور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكي فيهم هذه العناية وكان يبعثهم الى المدن والقرى يعلمون الناس تحفيظ القرآن الكريم ، قال عبادة بن الصامت : « كان الرجل اذا هاجر دفعه النبي - صلى الله عليه وسلم - الى رجل منا يعلمه القرآن الكريم ، وكان يسمع لمسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا » •

ومعروف في التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سيدنا مصعب بن عمير رضى الله عنه الى المدينة المنورة قبل الهجرة وبعد بيعة العقبة الأولى ليعلم الناس هناك القرآن ، كما بعث بعد الهجرة من المدينة سيدنا معاذ بن جبل

١ - جمع بالحفظ في الصدور •
٢ - وجمع بالكتابة في السطور •

أما فيما يتعلق بالفقرة الأولى لمعنى الجمع : فان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يذلون قصارى جهدهم في حفظه في صدورهم ويعلمونه لأبنائهم ونسائهم ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليهم ليلا فيسمع لهم بالقرآن دويا كدوى النحل ، وقد أخرج البخارى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لو رأيتنى البارحة وأنا أسمع لقراءتك ؟ لقد أعطيت زممارا من مزامير داود » •

وفى رواية مسلم • فقلت :

« لو علمت والله يا رسول الله انك تستمع لقراءتى لجبرته لك تحييرا » •

وفى الشيخين : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« انى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون

وحفظه فى قلبه ووعاه بوجوده
تصديقا لوعده جل شأنه (انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون) *

وأما فيما يتعلق بالفقرة الثانية
من معنى الجمع ، فقد جهز سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
سكرتارية كافية لتدوين ما يترى
به الوحي وسميت هذه السكرتارية
بالاصلاح العلمى : كتاب الوحي :
فكان كلما نزل شئ من القرآن
الكريم أمرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بكتابته وعين لهم
السورة والموضع الذى تكتب فيها
الآية الجديدة .

وكان من مشاهير الكتاب
ما رواه الشيخان عن أنس رضى الله
تعالى عنه : جمع القرآن على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم
أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن
كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن
ثابت ، وأبو زيد ، قيل لأنس :
من أبو زيد ؟ قال أحد عمومتى *

ومع هذه السكرتارية الخاصة
كان هناك كتاب للوحي لذواتهم
خاصة مثل سيدنا على بن أبى طالب

رضى الله عنه ليعلم الناس فى اليمن
القرآن الكريم .

ومن هنا فان الحفاظ فى العهد
النبوى لا يحصون فكل مسلم
يحفظ ويسارع الى الحفظ فأنوار
النبوة يشرح الله بها الصدور ويضفى
بها على الصدور بشاشة ورقة
ورأفة ويفتح الله بها المعارف فيقبل
الناس بهذه البركة العامة على
القرآن الكريم ، وقد يسره الله
للذكر وهدهم لحفظه فكثرت الحفاظ
واتشروا فى المدن والأصهار
والقرى البعيدة ، ويدلك على هذه
الكثرة أن الجيش العسكرى
المحارب فى سبيل الله قد استشهد
منه فى معركة واحدة تسمى :
(معركة اليمامة) عدد يزيد على
السبعين وكلهم من كبار الحفاظ ،
كما قتل مثل هذا العدد فى موقعة
(بئر معونة) على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال القرطبى :
قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ،
وقتل فى عهد رسول الله بئر معونة
مثل هذا العدد .

فكانت أسمى خصائص هذا
الرعىل أن جمع القرآن فى صدره

وكانوا يكتبون على الأقتاب :
الخشب الذى يوضع على ظهر
البعير •

وكذلك الكرايف : وهى أصول
السعف الغلاظ •

يقول زيد بن ثابت رضى الله
عنه : «كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم نؤلف القرآن من
الرقاع» رواه الحاكم بسنده على
شرط الشيخين •

وكانت هذه الكتابة فى صحف
مفرقة ذلك لأن القرآن ما دام
للنبي صلى الله عليه وسلم حياة فهو
يترى وكلما نزلت آية كتبت فى
الموضع الذى أشار به رسول الله
صلى الله عليه وسلم •• وقد اكتمل
فى هذه الصحف كل ما نزل فقد
كان جبريل عليه السلام يعارض
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالقرآن كل سنة فى ليالى رمضان •
وكان الصحابة رضوان الله عليهم
يعرضون على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما لديهم من القرآن
حفظا وكتابة •• حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم والقرآن

رضى الله عنه ، وعبد الله بن مسعود
رضى الله عنه ، والسيدة أم المؤمنين
عائشة رضى الله تعالى عنها •

وبهذا يتضح أن معنى جمع
القرآن فى عهد النبي صلى الله عليه
وسلم اتخذ طريقتين :

الأولى : طريق الحفظ فى
الصدور •

الثانية : طريق الكتابة فى
السطور (١) الصحف :

ولقد كان العزم مخلصا وأكددا
فى تسخير كل مادة تصلح صحيفة
يكتب عليها القرآن الكريم •

لقد كتبوا على العُسْب : جريد
النخل ، الجزء العريض من الأسفل •
وكانوا يكتبون على اللخاف :
الحجارة الرقيقة • قال الخطابى :
وتسمى صفائح الحجارة •

وكانوا يكتبون على الرقاع :
وهى قطع من جلد أو ورق •

وكذلك كانوا يكتبون على
الأديم : الجلد •

وكذلك كانوا يكتبون على
الأكثاف : وهو العظم الذى للبعير
أو الشاة •

التمرد المناق الذي يريد أن يفتح
على المسلمين بلاء بعد رحيل النبي
الكريم عليه أفضل الصلاة
والسلام • فجهز الخليفة الأول
جيشا لحروب الردة وكانت موقعة
اليمامة واستشهد فيها عدد كبير
من كبار الحفاظ للقرآن الكريم ،
والحفاظ على القرآن له طريقان :
طريق الحفاظ في الصدور ، وطريق
الحفظ في السطور • • فكان
استشهاد جمهرة من كبار الحفاظ
مثار يقظة سيدنا عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فأشار على سيدنا
أبى بكر أن يجوز جمع القرآن
الكريم فى مصحف واحد حتى
ينتقل القرآن الكريم الى الأجيال
المتعاقبة وهو محفوظ التواتر
لعدد سوره وآياته على نحو ما
حفظه المسلمون وكتبوه فى عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم •
وبعد مناقشات حول الموضوع
شرح الله صدر الخليفة الأول ووافق
على جمع القرآن فى مصحف واحد ،
روى الامام البخارى :

حدثنا موسى بن اسماعيل عن
ابراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب

كامل محفوظ فى الصدور محفوظ
فى السطور •

ويسمى هذا الجمع : الجمع
بالحفظ ، والجمع بالكتابة ،
الجمع الأول : أن جمع القرآن
فى عهد النبي صلى الله عليه
وسلم • • وحتى هذا الحين
فالقرآن وهو كامل موجود فى
اللخاف والأكتاف والرقاع فى
صحف مطهرة لا يجمعها مصحف
فهى صحف مصونة عند أهل بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
أم المؤمنين رضى الله عنها السيدة
عائشة بنت أبى بكر خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم •

الجمع الثانى : فى عهد سيدنا
أبى بكر رضى الله تعالى عنه :

واجهت الخلافة الراشدة الاولى
حركة تمرد على العدل الاجتماعى
الذى جعلت الزكاة وهى عماده
أصلا من أصول الايمان ومع
شهرة أبى بكر رضى الله تعالى عنه
بالهدوء واللين والحنان والرأفة فان
الخليفة الأول لم يجد من عقيدته
الا أن يكون جلدا مغوارا أمام هذا

أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر. أبى بكر وعمر رضى الله عنهما •

فتتبع القرآن أجمعه من العصب والخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره - « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم » - حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه •

منهج الكتابة :

١ - يروى أبو داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبابكر قال لعمر ولزيد ، اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه •

٢ - والمراد من الشاهدين الحفظ والكتابة ، قال السخاوى فى كتابه « جمال القراء » المراد انهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم •

عن عبيد بن السباق : أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أرسل الى أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : ان عمر أتانى فقال : ان القتال قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن • وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر •

قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل شاب ، عاقل ، لا تتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كانوا كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خير فلم يزل

٣ - قال أبو شامة : وكان غرضهم أن لا يكتب الا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ .
فاذا لاحظنا :

- قيمة عمر الاجتماعية ورهبته فى صدور القوم .
- وقيمة زيد الثقافية حيث هو كاتب الوحي .
- وقيمتة الرسمية عند الخليفة حيث هو لا يتهم .

- وحالته الدينية حيث هو واحد من المختارين لكتابة الوحي فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى أن الله قد رضى عنه كاتباً للوحي الكريم .

واذا لاحظنا مع ذلك شروط الشهادة من عدلين معهما قرآن محفوظ فى الصدور ومكتوب فى الصحف مثل الذى جاء به الصحابى الذى يمليه على سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه أدركنا أن القرآن الكريم قد جمع فى عهد كامل : الدولة كلها شاهدة على صدق وكمال ووحدانية ما دونه سيدنا زيد

ابن ثابت فى عهد سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وأنه هو هو القرآن الذى دونه سيدنا زيد بن ثابت فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

وجمع القرآن فى هذا العهد كذلك بنفس الوسائل التى كان يسمح بها العصر ذاته من اللخاف والأكتاف . الخ . وبقيت هذه الصحف مرتبة كمصحف عند سيدنا أبى بكر حتى وفاته ثم نقلت الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ويسمى هذا الجمع : الجمع الثانى :

الجمع الثالث :

أو الرسم العثماني :

لقد طفنا طويلا لنصل الى بيت القصيد حتى ندرك مسألتين :

الأولى - وهى الأصل ارتباط الرسم العثماني بجمع القرآن الكريم .

الثانية - وهى ثانوية ولكنها مهمة وهى : ابراز جهود المسلمين : دولة وعلماء وشعبا فى الحفاظ على القرآن الكريم بمقدار ما يملكون حسب ظروف البيئة والعصر الذى كانوا يعيشون فيه فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كان

الله جل شأنه قد فتح للمسلمين بلاداً واسعة وكان الصحابة بعد سيدنا عمر قد انتشروا في الأمصار ولكل مصحفه الخاص وقراءته الخاصة :

— أبو موسى الأشعري وله مزار من مزامير داود صوت رخيم ندى حلو النغم جيد الترتيل له قراءة •

— وسيدنا عبد الله بن مسعود فقيه عالم سابق بالاسلام مقررء للقرآن متحد به جحافل قريش منذ الفجر الاول للدعوة له مصحف وقراءة •

والصحابة كلهم كالنجوم بأيهم اقتدى الناس اهتدوا انتشروا في الأمصار كالثرثريات في جنبات السماء وكانت الرقعة للدولة الاسلامية قد اتسعت فاختلفت الألسن •

— لقد قرأ أهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود •

— وقرأ أهل الشام بقراءة أبي ابن كعب •

— وقرأ أناس كثيرون بقراءة أبي موسى الأشعري •

— فاختلف الناس في القراءة ، وكان لا بأس بهذا الاختلاف لو أنهم عرفوا أن القرآن نزل على سبعة أحرف (١) وأنه لا تضاد ولا تنافر ولكن القوم — على عادة الشعب الاسلامي في ادراكه للمشاكل — كفروا بعضهم بعضاً ، وتضاربوا وأصبحت صورة المجتمع الاسلامي صورة موحشة ليست هي أصوات دوى النحل التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا هي مزامير داود التي تحلى بها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وصادف أن سيدنا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان غازياً في موقعة أذربيجان ، وأرمينية من أرض الشام فرأى ذلك الاختلاف والتكفير والتضارب فحزن كثيراً أن يصير حال الشعب الاسلامي الى هذه الحالة ويعود القرآن وهو هدى للناس مثار فتنة بينهم ففزع الى الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فشكى له ووضح له البلاء • وكان الخليفة الورع الطيب قد علم بنبيأ ذلك

(١) راجع بحث : القرآن والاحرف السبعة مجلة الازهر في عددي رجب وشعبان سنة ١٣٩٨ هـ .

ففى المصاحف لأبى داود من طريق
أبى قلابة أنه قال :

« لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال :

« أنتم عندى تختلفون فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا » •

فالتقى بيان سيدنا حذيفة رضى الله عنه بالمعرفة التى عند الخليفة الثالث فجمع سيدنا عثمان وجهاء القوم وأهل الحل والعقد وكان على رأسهم سيدنا على رضى الله تعالى عنه وعرض عليهم حالة القوم فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسل منها الى الأمصار يعتمدون عليها فى القراءة ويحرق ما سواها حتى يرأب الصدع ويجبر الكسر وتعود الأمة الى قرآنها بأصوات كزماير داود •• والامام البخارى يؤرخ القصة حديثا فيروى: «حدثنا موسى حدثنا ابراهيم حدثنا ابن شهاب : أن أنس بن

مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلنى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » (١) •

وأخذت اللجنة الرباعية برياسة سيدنا زيد بن ثابت كاتب الوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتب القرآن على عهد سيدنا أبى بكر فهو هو الذى كتب الصحف التى جاءت من عند السيدة حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ونسخوا القرآن الذى فيها بلسان يتفق مع قراءة كل قطر، وأرسل الى كل قطر المصحف الذى يتفق مع وجوه قراءته وكان هدف نسخ القرآن من الصحف التى كانت عند أم المؤمنين السيدة حفصة رضى الله عنها محاولة توحيد الأمة الاسلامية وانهاء الخلاف بينها فيما يتعلق بالقراءة مع الحفاظ على امتياز القرآن بنزوله على الأحرف السبعة فالكلمات التى تدل على قراءات متعددة ويمكن كتابتها بطريقة تصلح لكل الأمصار كتبت بهذه الطريقة التى تؤدى الغرض وترفع الخلاف مثال ذلك : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ، فيها قراءتان :

« فتبينوا »

« فتثبتوا »

كتبت بلا نقط هكذا « فسروا »
فأمكن قراءتها على الوجهين •
وكذلك « وانظر الى العظام
كيف ننشزها » •
فيها قراءتان :
« ننشزها »
« ونشزها »
كتبت بغير نقط هكذا :
« سسرها » •

أما الكلمات التى لا تدل على أكثر من قراءة فكتبت فى مصحف المصر الخاص بهذه القراءة مثل : « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب » ، فيها قراءة أخرى لمصر آخر وأوصى فهى تكتب فى مصحف وأوصى ، وفى مصحف آخر ووصى حسب قراءة المصر التى سيرسل اليها المصحف •

وملخص الموضوع :

١ - أن اللفظ الذى لا يختلف فيه وجوه القراءات كانوا يكتبونه برسم واحد يُمكِّن من القراءات كلها •

٢ - وان كان اللفظ لا يمكن رسمه لعدم احتماله وجوه القراءات

كفرا ، قلنا فما ترى ؟ قال : أرى
أن يجمع الناس على مصحف واحد
فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا :
فنعم ما رأيت » • أخرجه أبو
داود •

وهكذا أحرق عثمان جميع
الصحف الا الصحف التى كانت
عند السيدة حفصة رضى الله عنها
لأنها المصدر العلمى الأساسى
لرسم العثماني •

وما زالت الصحف عندها حتى
توفيت فبعث مروان بن الحكم
وكان « غفيرا على المدينة المنورة »
فى طلب الصحف فأرسلها اليه
عبد الله بن عمر فأمر بها
فشققت ••• أقول يا ليته لم يفعل
فما من وراء ذلك ضير لو بقيت
حتى الآن •• فوالله لهى نور وبركة
من آثار أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم •

ولكن الحكومة الأموية كان
لها عقل مترف بالكبرياء •• ولكم
كانت تعارضه السيدة حفصة حين
حياتها أن يفعل ذلك (١) •

رسموه فى مصحف بشكل خاص
ثم رسموه فى مصحف آخر بشكل
آخر •

واذن فالرسم العثماني مرتبط
بجمع القرآن الكريم من ناحيتين :
الأولى : أنه هو نفس القرآن
الذى جمع فى عهد أبى بكر رضى
الله عنه •

الثانية : أنه رسم بطريقة خاصة
ترفع الخلاف الذى وقع فيه القراء
وأحدث بين الناس شغبا •

ولهذا أمر سيدنا عثمان رضى
الله عنه بإحراق جميع المصاحف التى
تخالف الرسم الذى كتبه سيدنا
زيد بن ثابت رضى الله عنه حسبما
وافقت اللجنة على ذلك •

عن سويد بن غفلة قال : قال
على - كرم الله وجهه ورضى الله
عنه - لا تقولوا فى عثمان الا
خيرا فوالله ما فعل الذى فعل فى
المصاحف الا عن ملأ منا ، قال
ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد
بلغنى أن بعضهم يقول : ان قراءتى
خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون

(١) راجع مناهل العرفان ج ١ ص ٢٣٢/٢٥٤ فتح البارى ج ١٠ ص ٣٩٦/٢٨٣ مباحث
فى علوم القرآن لمناع ص ١٠٣ / ١١٨ التبيان فى علوم القرآن ج ١ ص ٥٥ / ٦٨ مباحث
فى علوم القرآن دكتور الصالح ص ٦٧ / ٩٥ •

ثانيا : مفهوم الرسم العثماني :

بعد هذا العرض يفهم أن المراد من الرسم العثماني كاصطلاح علمي في علوم القرآن هو :

طريقة الكتابة التي أوصى بها سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه ونفذها سيدنا زيد بن ثابت باتفاق اللجنة القرشية والتي أجمعت عليها الأمة من أول أكابرها حتى ذاك الحين •

وان هذه الكتابة هي التي يقرأ بها المسلمون اليوم بعد ادخال تحسينات عليها « بالشكل » تسهيلا على الناس في قراءة القرآن •

لقد كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل وذلك اعتمادا على السليقة التي كان يتميز بها الناس آنذاك أو لأن العرف كان يعتاد ذلك فلما طال العهد بالناس وصعب على الناس قراءة القرآن برسمه العثماني من غير شكل اجتهد العلماء الذين لديهم غيرة على كتاب الله في تسهيل قراءة القرآن للناس بوضع

علامات مع المحافظة على الرسم الذي أجمع عليه الصحابة في عهد سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه •

وقد اختلف الكاتبون في أول من قام بهذا المجهود ولا يهمننا في هذه الدراسة أن نجهد أنفسنا لترجيح رأى لنعرف من هو أول مجاهد فلكل ثوابه والأولية ليست بذات قيمة ما دام القصد هو اخلاص النية لله ففى الحديث ما معناه : طوبى لعبد يأتى يوم القيامة أشعث الرأس مغبرة قدماء آخذ بلجام فرسه في سبيل الله ان كان في الساقة كان في الساقة وان كان في المقدمة كان في المقدمة • • • » •

فالمهم هنا معرفة جهود العلماء فى تحسين الرسم العثماني أما أيهم الأول ••• فهي عند الله وميزانها « انما الأعمال بالنيات » •

١ - الدور الأول :

١ - يروى بعض العلماء أن « أبو الأسود الدؤلى » نقط القرآن بأمر عبد الملك بن مروان ، والدكتور صبحي الصالح لا يرتاب

نقلا عن كتاب المصاحف لابن أبى داود *

وأن نصر بن عاصم الليثى لا يستبعد ان يكون عمله فى نقط القرآن مواصلة لعمل أستاذه أبو الأسود الدؤلى ويحيى بن يعمر *

وهذه مرحلة من مراحل تحسين الرسم العثماني يذكر فيها العلماء أسماء ثلاثة من العلماء :

١ - يحيى بن يعمر

٢ - أبو الأسود الدؤلى *

٣ - نصر بن عاصم الليثى
أيهم الأول ؟ ليس مهما ولكن كان لهؤلاء جميعا دور فى خدمة تيسير قراءة القرآن على الناس *

٢ - الدور الثانى :

وكلما يتقدم العهد بالاصطلاحات يحتاج الناس الى تيسير أيسر وأسهل فوضع العالم العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدي ضوابط للشكل والتشديد والروم والاشمام

قط فى أن لأبى الأسود الدؤلى دورا لا ينكر ولكنه لا يتأكد من الباعث الذى دفعه الى ذلك *

على حين ان الاستاذ مناع القطان يرى أن أبا الأسود الدؤلى سمع قارئاً يقرأ « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بجر اللام فأفزع هذا اللحن وذهب الى والى البصرة « زياد » وأجابه الى ما كان قد طلبه منه أن يضع للقرآن نقطا وشكلا *

فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف *

وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله *

وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف *

وجعل علامة السكون نقطتين *
ويميل الشيخ الزرقانى الى هذا رأى (١) *

وهناك روايات ينقلها ويضعفها الدكتور صبحى الصالح ان أول من نقط المصحف هو يحيى بن يعمر

(١) راجع مناهل العرفان ج ١ ص ٤٠١ مباحث فى علوم القرآن دكتور صبحى ص ١١٧
مناع القطان مباحث فى علوم القرآن هـ ١٣١

ثالثا - هل يجوز الخروج على الرسم العثماني؟

الحفاظ على القرآن الكريم هو مهمة الشرفاء من العلماء والممتازين من حكام المسلمين •

وقد وضح لنا في العرض السالف كيف التقت جهود العلماء والحكام في تقديم خدمة للقرآن الكريم تيسره على الناس دون مساس بما ورثه المسلمون من الجمع الاخير وهو الرسم العثماني وقد طرح العلماء في علوم القرآن مبحثا ما كان لهم الحق علميا أن يبحثوه من الزاوية التي طرحوها للبحث وهو : هل الرسم العثماني توقيفي أو توفيقى ؟

ان مجرد الاضافة : الرسم الى العثماني تمنع طرح هذا الموضوع من هذه الزاوية لأنه لو كان توقيفيا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صحت نسبته لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم •

هذا من جانب ومن جانب آخر ففي البخارى عن الزهرى قال : أخبرنى أنس بن مالك قال : فأمر

فالفتحه شكله مستطيلة فوق الحرف •

والكسرة شكله مستطيلة تحت الحرف

والضمة واو صغرى فوق الحرف •

والتنوين زيادة مثلها • الى آخر ما شرحه الامام السيوطى فى الاتقان •

والروم بتشديد الراء وسكون الواو هو :

الاتيان ببعض الحركة بصوت يسمعه القريب دون البعيد ويكون فى المرفوع والمجرور •

والاشمام : ضم الشفتين بعد الاسكان بحيث تدع بينهما انفراجا ليخرج النفس بغير صوت ولا يكون الا فى المرفوع •

وذلك هو ما ورثه المسلمون من علمائهم الأجلاء مع المحافظة على الرسم العثماني وهو الخط الذى كتبه سيدنا زيد بن ثابت ووافق عليه اجماع الصحابة وارتضاه الناس فى جميع الأمصار •

معنى هذا أنتى أميل الى رأى القائل بأنه توفيقى كلا فأنا أمنع المسألتين معا وأقول انه اصطلاح أجمع عليه كبار الصحابة وارتضته الامة الاسلامية كلها وورثته تركة عن اكابر الصحابة وهم الاعرف بكتاب الله الذين شاهدوا الوحي والنبي وعاشوا حياة النور والهدى والله يصل السماء بالأرض بحبله المقدس فهو اجماع فريد فى نوعه .
لقد أجمع عليه أهل الحل والعقد الذى جمعهم سيدنا عثمان للشورى •

— وأجمع عليه كتاب الوحي واللجنة التى نسخت الصحف •
— وأجمعت عليه السيدة أم المؤمنين عائشة وحفصة •

— وأجمع عليه المسلمون جميعا حتى صار الرسم العثماني خاصة من خصائص القرآن الكريم وأصبح مألوفاً للناس جميعا وميسرا سهلا يقرؤه الناس جميعا والمسلمون فى جنوب شرقى آسيا : فى

عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ان ينسخوها فى المصاحف وقال لهم :

« اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قریش فان القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا » (١) •

قال ابن شهاب فاختلفوا يومئذ فى التابوت والتابوه فقال القرشيون التابوت وقال زيد التابوه فرفع اختلافهم الى عثمان فقال : أكتبوه التابوت فانه نزل بلسان قریش (٢) •

فدل ذلك أن موضوع ارتباط الرسم العثماني باصطلاح التوقيف أو التوفيق ليس بذى وزن لأنه لو كان توقيفيا لما وقع خلاف ولما أشار عليهم سيدنا عثمان اكتبوه بلسان قریش فقد نزل بلغتهم •

— اذن مبحث الرسم العثماني توقيفى أو توفيقى ليس بالجيد علميا لوقوع هذا الخلاف ، وليس

(١) راجع فتح البارى ج ١٠ ص ٣٨٣ •

(٢) فتح البارى ج ١٠ ص ٣٩٤

اندونيسيا وسنغافورة والفلبين وتايلاند وماليزيا وهم لا يعرفون العربية ولكنهم يجودون القرآن ترتيبا وقراءة دون صعوبة أو تعذر .. ذلك لأنهم تمرنوا وتدربوا على الرسم العثماني كصفة خاصة للقرآن الكريم ، والمحافظة على القرآن الكريم في هذا العصر مهمة جدا حتى على كل نقطة فيه ورثها المسلمون من أسلافهم الصالحين ذلك لأن الأعداء العالميين للإسلام يريدون أن يغيروا في القرآن الكريم . فاذا ما تساهل العلماء في الرسم العثماني فقد انفتح باب للشر المستطير لن تسلم منه الأمة في الدنيا ولا في الآخرة أعود فأقول : الرسم العثماني اجماع شرعى على رسم المصحف لا يجوز الخروج عليه مطلقا ، ومهما حسنت النيات فإنه - يجب على المسلمين أن يحافظوا على الرسم العثماني لأنه ميراث من السلف الصالح وخاصة مشهورة للقرآن الكريم . ولقد أخطأ خطأ كبيرا القاضي أبو بكر

الباقلاني اذ قال في كتابه : الاتصاف .. « اذ وجوب ذلك لا يدرك الا بالسمع والتوقيف وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز الا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه ، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا في اجماع الأمة » . لقد أخطأ يوم أن قال : ولا في اجماع الأمة لأن الأمة قد أجمعت على ذلك ونقل عن الأئمة الفقهاء عدم جواز كتابة القرآن بغير الرسم العثماني .

١ - قال الامام أحمد بن حنبل - تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو باء أو غير ذلك .

٢ - قال مالك عندما سئل : رأييت من استكتب مصحفا أترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتابة الأولى (١) .

(١) راجع الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٢٨٣ راجع البرهان ج ١ ص ٣٧٦
 راجع مباحثات علوم القرآن للقطان ص ١٢٨ - ١٢٩

وكان آخر هذه الجهود فى تحسين كتابة القرآن الكريم بالرسم العثمانى المصحف الذى كتبه بخط يده خالد بن أبى الهياج الذى كان مشهورا بخطه الجميل وذلك فى خلافة الوليد بين عام ٨٦ هـ الى ٩٦ هـ .

ثم شاء الله أن ينتشر كتابه فى الآفاق بواسطة الطباعة الحديثة .

١ - ولكن هذه المرحلة مرت كذلك بدرجات ومما يؤسف المسلمين جميعا أن أول طبعة للقرآن الكريم كانت فى بيئة مسيحية عام ١٥٣٠ فى مدينة البندقية وليس من الغريب أن تصدر السلطات الكنسية أمرها باعدام طبعة القرآن حال ظهورها .

٢ - ثم قام بعد ذلك هنكلمان عام ١٦٩٤ .

(Hink clamann) طبوع القرآن فى مدينة هانبورغ (Hambourg)

٣ - ثم قام من بعده مراكى (Marracci) عام ١٦٩٨ بطبع القرآن فى مدينة بادو (Padoue)

٣ - والشافعية والحنفية يقولون بهذا كذلك .

٤ - وقد أصدر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف فى مؤتمره الرابع قرارا بعدم صحة طبع القرآن الكريم بغير الرسم العثمانى اللهم الا اذا كانت آية يستشهد بها فى التأليف والبحث العلمى الذى ليست له صفة المصحف المستقل .

وبهذا ينتهى رأى فيما يتعلق بالرسم العثمانى :

١ - ليس توقيفيا وليس توفيقيا .

٢ - ولكنه اصطلاح مجمع عليه من الصحابة فهو حكم شرعى طريق ثبوته بالاجماع .

٣ - انه لا يجوز مخالفته أبدا لأن مخالفته تؤدى الى الخروج على الاجماع .

وعلى هذا فانه لا ينبغى طبع القرآن الا برسمه المشهور به حفاظا على خاصية القرآن الكريم .

رابعا : متى بدأ نشر القرآن وطبعه كل ما سلف من جهود المسلمين فهو تدوين أو رسم للقرآن باليد ،

عام ١٨٧٧ م فتطبع القرآن الكريم
بعد أن تحرك المخلصون وطبعوا
القرآن الكريم •

٧ - ثم تستقر الجهود الاسلامية
عندما ألفت لجنة فى الأزهر
الشرىف للمحافظة على الرسم
العثمانى وظهرت أول طبعة
رسمية فى عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م
وقد كتب هذا المصحف وضبط
على ما يوافق رواية حفص لقراءة
عاصم ، وكان من كبار هذه اللجنة
فضيلة الشيخ خلف الحسينى ، ثم
كان من بعده العالم الحجة الشيخ
على عامر الذى ما زال حيا وله
تلميذ مباشر أخذ عنه فى ماليزيا
هو الشيخ توفان حسن اسماعيل
شيخ معهد القراءات بمسجد
تكارا •

جهود الأزهر الشريف :

ولقد أفنى الأزهر حياته فى الحفاظ
على الرسم العثمانى ، فألف لجنة
دائمة تابعة لمراقبة البحوث والنشر
لمراجعة جميع طبعات المصحف التى
تقوم بها جميع دور النشر فى العالم
كله •• ولقد أدت هذه اللجنة

غير أن هذه الطبعات الثلاث
لم يكن لها أثر فى العالم الاسلامى،
ولعل التفسير الواضح لذلك أن
هذه الجهود قامت اثر نهضة أوروبا
بعد الحروب الصليبية التى
اغتصبت فيها علوم الاسلام وثقائس
اتناج علمائه ثم نشرتها فى أوروبا •
بينما المسلمون كان قد أصابهم
المرض بعد الحروب الصليبية
وعمت فيهم الجهالة والضعف
وما زالوا حتى اليوم فى نوم أو
يقظة خلاف عنيد •

أول طبعة اسلامية للقرآن الكريم

٤ - ثم ظهرت فى سانت
بترسبورغ Saint Petersburg
فى روسيا سنة ١٧٨٧ م طباعة هى
الطبعة التى قام بها مولاى عثمان
وظهر مثلها فى قازان •

٥ - وطهران تقوم بطبعتين
حجريتتين فى عام ١٢٤٨ هـ ،
١٨٢٨ م والأخرى فى تبريز عام
١٢٤٨ هـ •

٦ - وفى تركيا - بلد الخلافة
الاسلامية آنذاك تعنى الآستانة

الصالح فلا تستطيع قوة بعد ذلك
أن تحرف فى الطباعة أو أن تضلل
فى الرسم •

ولقد منح الله التوفيق للأزهر
الشريف وصدرت أول طبعة من
المصحف الرسمى للأزهر فى عام
١٣٩٦ هـ الموافق ١٩٧٦ م وتوات
الطبعات حتى الطبعة الثالثة
بأحجام متعددة ، بل صار للمصحف
الشريف فى الأزهر مطبعة خاصة
تكلف شراؤها نصف مليون جنيه
استرلينى •

وهكذا يجيش الله لحماية كتابه
العزیز الجهود المخلصة حتى يستمر
السند المتصل فى الرسم العثمانى
موصولاً بالوحي الأمين •

جزى الله كل من حفظ على
المصحف الشريف رسمه العثمانى
خييراً فى الدنيا وفى الآخرة وتقبل
أعماله فى الصالحين •
والحمد لله رب العالمين •

خدمة جلية فى المحافظة على الرسم
العثمانى •

فلما كانت الامانة العامة لمجمع
البحوث الاسلامية تحت ادارة
المرحوم فضيلة الاستاذ الجليل
الدكتور عبد الحليم محمود كون
لجنة من كبار علماء القراءات وعلماء
التفسير ورجال الطباعة الذين لهم
دراسة فى الأزهر قديماً وراجعت
جميع طبعات المصحف الشريف ثم
وضعت طبعة خاصة باسم الأزهر
لتكون وحدها المرجع الرسمى
لرسم العثمانى للمصحف
الشريف •

ولما تولى المرحوم الامام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
مشيخة الأزهر فى أبريل سنة
١٩٧٣ م جاهد لاجراء عمل هذه
اللجنة وطبع مصحف الازهر حتى
يمتلك المسلمون رسميا الرسم
العثمانى الذى ورثوه عن السلف

الإسلام في الفكر الأوربي

عرض وتحليل لمؤلفات أوروبية
بقلم الدكتور محمد شامه

(٣)

عنه - وان كانت هذه الرواية
مشكوكا في نسبتها اليه - من أنه
قال - حين حرق مكتبة
الاسكندرية :

« ان كانت هذه الكتب قد
احتوت على شيء يخالف ما في
القرآن ، فهو ضار ، ويجب
اعدامها ، وان كان ما فيها مطابقا
لما ورد فيه ، فلا فائدة فيها ، ويجب
أيضا التخلص منها » •

فهذه الكلمات تبين أن القرآن
الكريم مقدم عند المسلمين على كل
ما عداه من كتب • ثم تحدث عن
أن بعض الفرق الاسلامية ترى أنه
قديم وليس حادثا ، ولذا فهو
مقدس ، الا أنهم لم يعتقدوا انه
جزء من الاله - كما هو الحال
عند المسيحيين عندما اعتقدوا أن

الباب الثالث
القرآن الكريم
ويتضمن هذا الباب :

(١) مكانته عند المسلمين

شرح المؤلف كلمة « قرآن »
وبين علاقتها بكلمة « قرأ » محاولا
ربطها بفعل الأمر « اقرأ » في أول
آية نزلت على محمد - صلى الله
عليه وسلم - وهي قوله تعالى :
« اقرأ باسم ربك الذي خلق » ،
ثم ذهب الى أن معنى كلمة
« اقرأ » في اللغة العربية هو نفس
معنى كلمة « قارا » في اللغة
العبرية •

وعن شمول موضوعاته لما
يحتاجه المجتمع ، يعبر عنه ما روى
عن عمر بن الخطاب - رضى الله

فهو كتاب عبادة ، كما هو
تشريع لما يحتاجه المجتمع من
قوانين ، وهو الكتاب الوحيد الذى
حفظ من التغير والتبدل ، اذ
الكتب السماوية الأخرى محرفة
ومتناقضة فى نظر المسلمين • ولكن
القرآن سلم من هذا كله ، ولذا
فهو الفيصل فى بيان العقيدة
الالهية والشرعية السماوية •

فهو الوحي المنزل من الله ، الذى
يهدى الى طريق الحق وسط
الضلالات البشرية • يجد المسلم
فيه ارادة الخالق ، نزلت من
السما فى صورة وحي ، فاليه
يتجه ، وفيه يبحث عما يريد ،
لأنه كلام الله نفسه • وهو الدليل
الوحيد - ولا شيء غيره - على
نبوة محمد - صلى الله عليه
وسلم - فلا يجوز لمسلم أن يشك
فى هذا لحظة •

ولا يحتوى القرآن على نصوص
العقيدة ، والتعاليم الدينية فقط

كلمة الله صارت جسدا ، فأمنوا
بنبوة عيسى - عليه السلام -
فلا ينبغى تعظيمه على أنه صورة
الله ، بل على أنه كتاب لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
وعلى أن ما فيه صالح لكل زمان •
حظى القرآن الكريم بعناية ،
لم ينلها أى كتاب على وجه
الأرض ، اذ يبذل المسلمون جهدا
كبيرا فى المحافظة على رسمه ،
فلا يجوز التهاون فى شيء مهما
بلغت ضالة هذا الشيء ، وينال
التلميذ أسمى آيات التكريم عندما
يحفظ القرآن كله • كذلك لا يقرأ
فى الصلاة - فى أى بقعة من بقاع
العالم - الا باللغة العربية (١) •
ويتلوها المسلمون تعبدا ، سواء
فهموا معناه أم لا ، فلا يجوز
ترجمته الا للعبادة فقط •

وهو جامع لكل شيء :

« ما فرطنا فى الكتاب من
شيء » (٢) •

(١) أجاز بعض الفقهاء قراءة ما عدا الفاتحة فى الصلاة بغير اللغة العربية •

(٢) سورة الانعام الآية : ٣٨

مرارا وتكرارا حول المسائل الدنيوية ، ولكنهم يلزمون الصمت أمام ما يمليه القرآن عليهم ، فهو يعتبر - على الرغم من اختلاف المفسرين في فهمه - الرباط الذى يربطهم جميعا ، والمرجع الوحيد لكل فرد فى المجتمع الاسلامى *** فالاسلام يعلن دائما على الملأ ، أن كتابه هو وثيقة الوحي السماوى المنزل على رجل واحد ، اختاره الله من بين البشر *** وفى هذا الكتاب أيضا يجد الباحث وثائق تاريخية نادرة » ••

ذكر المؤلف أن الكتب السماوية السابقة - والمقصود بها هنا : التوراة والانجيل - هى فى نظر المسلمين محرفة ومتناقضة ، ويبدو من تعبيره : « فى نظر المسلمين » •• أن غير المسلمين لا يعدونها محرفة ، وهذا حكم غير دقيق من الوجهة العلمية ، فقد بين كثير من العلماء غير المسلمين انها محرفة ومتناقضة ، ومنهم - على سبيل المثال : ابراهيم ابن عزرا (١٠٩٢ - ١١٦٧) ،

بل على كل ما هو لازم للحياة ، على ما يتعلق بالدولة من حقوق وواجبات ، وما يلزم المجتمع من سلوك وأخلاق ، ولذا يرسم المسلم حياته طبقا لتعاليمه •

مضى على القرآن اليوم أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، ولم يوجه أحد أى نقد الى نصه - وان تعددت المفاهيم فى تفسيره واختلفت الآراء فى مفهومه - لأنه بالنسبة للمسلم ليس من تأليف البشر ، بل هو وحي الله الذى فوق كل ما فى الكون من حقائق •

تحدث عن وحدة القرآن مع الكتب المقدسة الأخرى فى الطابع الدينى ، ولكنه استدرك مبينا أنه يختلف عنها فى المضمون ، فهو - على سبيل المثال - لا يحتوى على نصوص مبهمه ، كما هو الحال فى الكتب المقدسة ، وان كان بعض المفسرين مالوا فى تفسيرهم الى الابهام •

ثم ختم هذا الباب بقوله :
« تختلف الشعوب الإسلامية

من نسخ وبقيت هذه النسخة بالرسم العثمانى حتى الآن كما هى ، وان اختلف القراء فى قراءتها على سبع طرق ، متبعين فى ذلك أيضا حديثا ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبر بأن القرآن نزل على سبعة أحرف •

ولما لم يخرج فى هذا الفصل عن السرد التاريخى لجمع القرآن ونسخه فى عهدي أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما - وان تضمنت تعبيراته بعض الهنات ، التى لا تستحق التعليق - رأينا الإيجاز فيه أنسب •

(٣) المضمون :

ذكر أن زيد بن حارثة قام بعملين جليلين :

الأول : تدوين كلام الله كما نطق به محمد - صلى الله عليه وسلم - •

الثانى : كتابته على الطريقة الصحيحة للأجيال الاسلامية •

وباروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) • (١) •

(٢) جمع القرآن :

سرد المؤلف تحت هذا العنوان قصة جمع القرآن فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وبين أن المهمة التى ألقىت على كاهل زيد بن حارثة كانت شاقة ، فلم يقتصر عمله على الجمع فقط ، بل كان من واجبه تمييز القرآن عن غيره ، حتى لا يضيع شيء منه ، ولا يدخل فيه ما ليس منه • ولم يكن أحد يقدر على هذا العمل سواه ، لأنه كان كاتب الوحي ، فهو أعرف به من غيره •

ثم شرح الدوافع التى دفعت عثمان بن عفان - رضى الله عنه - الى أن يكلف زيدا بنسخ أربع نسخ من الأصل الذى جمع فى عهد أبى بكر ، وتوزيعها على أربع مدن هى : المدينة ودمشق والبصرة والكوفة ، وأمره باعدام ما عداها

(١) عن التحريف راجع : بين الاسلام والمسيحية ص ١٠٩ - ١٢٤ وعن التناقض راجع نفس المصدر ص ١٧٤ - ١٩٢

ثم تحدث عن سور القرآن الكريم المكية والمدنية ، والفرق بين المكي والمدني في الأسلوب وفي المضمون ، مبينا أن القرآن لم يتحدث عن حياة محمد الشخصية ، كما هو الحال في الكتب المقدسة السابقة ، اذ لم يذكر منها الا القليل ، مثل :

ما حدث بينه وبين زوجاته ، وتهديده لهن بالطلاق ، ان اردن متاع الحياة الدنيا •

وزواجه بزيب بنت جحش •
وحديث الافك •

وما عدا هذا فلا نجد شيئا عن حياة النبي الخاصة ، أما الحديث فقد امتلأ بهذا النوع من الأخبار • بينما يرى الغربيون أن في القرآن آيات متعارضة ، وبينون شكهم فيه على هذا التعارض ، يرى المسلمون في هذه الظاهرة دليلا على تدرج التشريع والقرآن نفسه يعلل وجود هذه الظاهرة فيه ، فيقول :

« ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » ••

يحتوى القرآن على كل ما يحتاجه الفرد في حياته من المهد الى اللحد ، سواء كان دينيا أم اخلاقيا ، ولذا فحياة المسلم كلها تخضع لتعاليم القرآن ، فالأصول الخمسة منصوص عليها فيه ، وكذلك العبادات والمعاملات بجميع أنواعها •• حتى أسماء الله الحسنى ال ٩٩ مستخلصة من آياته •

وبجانب هذا يتحدث القرآن الكريم عن أحداث تاريخية فيما يوازي رבעه تقريبا ، بعضها يتناول أحداثا ذكرت في الكتب الدينية التي بأيدي اليهود والنصارى ، والبعض الآخر يقص ما حدث في البيئة العربية •

وعلى الرغم من اضطهاد الاسلام لليهود ، فقد اشتمل القرآن على كثير مما في كتبهم ، فالله - أو كما يطلق عليه اليهود « يهوه » - رحيم جبار في كلا الديانتين ، وقضية التوحيد متشابهة عندهما • وفي القرآن كثير من العبادات والوصايا كما هي عند اليهود

له ما فى السموات وما فى الأرض ،
وكفى بالله وكىلا » (١) •

ثم ختم الباب بقوله :

« رغم كل ما يوجه الى القرآن ،
فهو دستور الاسلام فى العالم ،
فقد ضاعت المملكة العربية
الكبرى ، وبقي سلطانه على نفوس
المسلمين ، وما زال يقنع أناسا غير
مسلمين فلا يملكون الا الدخول فى
الاسلام » •

وتعليقنا على هذا الفصل يتناول
عدة نقاط :

(١) خلو القرآن الكريم من
الحديث عن حياة محمد - صلى
الله عليه وسلم - •

تعتبر هذه الظاهرة دليلا على
صدق محمد - صلى الله عليه
وسلم - فى أنه رسول من عند الله ،
وفى أنه لم يبلغ الا ما أمر بتبليغه ،
ذلك أن النفس البشرية تميل الى
الحديث عن الذات ، بل تحاول
- ان أمكنها - أن ترسم بنفسها

تقريبا ، فالوضوء والصلاة ، وتحريم
أكل الميتة والخنزير وما أهل لغير
الله به ، حتى الصوم يشبه الى حد ما
ما عند اليهود •

ولما كانت المسيحية غير معروفة
فى الجزيرة العربية الا عن طريق
المذهب النسطورى الفارسى ،
فقد وقع الخطأ فيما نقل عنها ،
فمثلا : أخبر القرآن عن مريم بأنها
أخت هارون ، أى أنها أخت
موسى ، وبينهما فاصل زمنى كبير ،
لا يتصور معه انها أخته ، كما أنكر
بنوة عيسى وصلبه ، فذهب الى أنه
نبي الله ورسوله ، وانه لم يصلب ،
بل وقع الصلب على شبيهه له ، اذ
يخاطب القرآن النصارى قائلا :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى
دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح
منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا
ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم انما الله
اله واحد سبحانه أن يكون له ولد ،

أو توحى الى من حولها من الأتباع أن ترسم صورة وردية ، يضاف اليها من الصفات الحميدة ما احتوت قواميس اللغة في هذا المجال ، ونظرة فاحصة الى تاريخ الجماعات البشرية تبئنا عن حمى مدح الزعماء والرؤساء بما لم يعرفوه ولم يباشروه من فضائل ، بل بنقيض ما يباشرونه في حياتهم الخاصة والعامة تقربا اليهم ولزنى ان صدرت من أتباعهم ، وتفاخرا وتعاطفا ، وخداعا للجماهير أن تحدثوا هم عن أنفسهم ، لأنهم يشعرون بالنقص في ذواتهم أو بتفاهة ما يدعون اليه ، وعدم تقعه لشعوبهم ، فيحاولون سد هذا النقص بالمديح الشخصى والدعاية الذاتية •

أما محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فهو الكامل لا شك فى هذا ، وسلوكه يتفق مع تعاليم السماء ، فهو لا يحتاج الى دعاية يغطى بها ما يرتكبه من أعمال ، لا يجب أن يراها أتباعه • وهو مكلف بأن يبلغ ما أمر به ، لا ما تميل اليه النفس كإنسان (لأن كل إنسان يجب الحديث

عن نفسه قل هذا أو كثر ، صدقا أو تحريفا للحقائق) والاسلام لا يتعلق بشخصه ، بل بالعليم الحكيم رب كل شئ ، ولم يكن دور محمد سوى وسيط مبلغ وسوف ينتهى هذا الدور بمجرد اتمام المهمة التى كلف بها ، أما الله فهو الباقي الحى ، الذى يتوجه اليه الخلق ويتقربون بواسطة التعاليم التى أنزلها فى كتابه الحكيم ، ولذا لم يكن من الحكمة أن يتحدث عن شخص هالك الا فى حدود التشريع فقط ، وهذا هو ما يراه القرآن الكريم • وهذا أيضا هو أسلوب الوحي فى كل زمان ومكان ، أما ما نقرؤه فى الكتب المقدسة السابقة ، فليس وحيا بل هو تاريخ دونه أتباع الأنبياء السابقين ، ولو كان وحيا ما ذكر فيه قصص الأنبياء لأن الوحي يعبر عن قيم ومبادئ ، ولا يسرد تاريخ الأشخاص الا فى حدود الموعظة •

(٢) تعارض الآيات فى القرآن الكريم :

وذكر المؤلف أن فى القرآن

الأولى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (١) •

فالنهى عن تأدية الصلاة فى حالة السكر يحد من الزمن المسموح فيه بالشرب •

اذ يحاول المسلم الامتناع عن الشرب قبل الصلاة حتى لا يؤديها وهو سكران فهذا تحريم جزئى زمنا •

الثانية : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما » (٢) •

فبينت هذه الآية أن فيها اثما ومنافع ، وان اثمها أكبر من نفعها ، والغرض من ذلك الإيعاز الى المسلم بأن يفكر فيها قبل أن يشرب ، فاذا تذكر أن اثمها أكبر من نفعها ، فينبغى عليه أن يحاول الامتناع عن الشرب مدة أكبر من المدة التى التزم بها فى الآية السابقة •

الكريم آيات متعارضة ، اتخذها الغربيون سببا فى الهجوم عليه ، بينما فسرهما المسلمون بأنها تدرج فى التشريع ، ثم ساق آية : « ما ننسخ من آية أو ننسها • الخ » • على أنها اعتراف بهذا التعارض ، مع بيان سبب وجوده بأن بعضها نسخ البعض الآخر •

ان ما يبدو للباحث الاوربى متعارضا ، لدليل على صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - ، لأنه لو طرح عند البحث تعصبه ، وتحامله على الاسلام ، وأقبل على الدراسة بروح محايدة ، لتبين له أن هذا الأسلوب فى التشريع ليس من صنع بشر ولا يمكن أن يهتدى اليه العقل البشرى من تلقاء نفسه أبدا ، ذلك أن التدرج فى التشريع بطريقة لا يلغى اللاحق فيها السابق ، من الأمور التى تعجز عنها عقول البشر ، ولناخذ - على سبيل المثال - قضية تحريم الخمر ، لقد نزلت فيها ثلاث آيات :

(١) النساء : ٤٣

(٢) البقرة : ٢١٩

(٣) مخالفة القرآن الكريم للكتب
المقدسة في رواية الأحداث التاريخية

ذهب المؤلف الى أن القرآن الكريم روى أحداثا تاريخية على نحو يخالف ما جاء في الكتب المقدسة السابقة ، وزعم -- أى المؤلف -- ان النقل فى هذا الموضوع عن هذه الكتب كان خاطئا .

ولو سار المؤلف فى بحشه على طريق مستقيم ، بعيد عن المؤثرات المعادية للإسلام ، ما وقع فى هذا الخطأ ، فهو حين تستولى عليه رغبة البحث المحايد ، يعترف بأن القرآن فى أسلوبه فوق طاقة البشر ، أى أنه ليس من تأليف انسان ، ولكنه حين تستجيب حواسه لما حوله من أصوات معادية للإسلام ، ينكص على عقبيه ، فيدعى أن محمدا قد نقل الأحداث التاريخية من الكتب المقدسة خطأ ولا شك أن هذين الحكيمين متناقضان ، اذ يلزم من الحكم على

وربما يهديه تفكيره الى الامتناع عنها كلية .

الثالثة : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (١) .

وهذا تحريم عام فى كل الأوقات . فاذا نظرنا الى الآيات الثلاث لوجدنا انه ليس بينها ناسخ ومنسوخ ، اذ العام لا ينسخ الخاص ، لأن الخاص مندرج تحت العام ، فما زال أداء الصلاة محرما على المسلم ، وما زال فى الخمر بعض المنافع لأنها تستعمل للتداوى ، اذ تدخل مشتقاتها فى تركيب بعض الأدوية .

هذا الأسلوب فى التشريع لا يرقى اليه بشر ، فهو من صنع العليم الحكيم وقس على ذلك كل الآيات التى يظن الاوربيون انها متعارضة ويرى بعض المسلمين فيها أن بينها ناسخا ومنسوخا .

•• ولحم الخنزير •• و •• الخ •
مبينا أن حكمها فى الاسلام هو
حكمها عند اليهود وعل ذلك بأن
الاسلام تأثر فيها باليهودية لقربها
منه ، حيث أن الجاليات اليهودية
كانت تقيم بالقرب من المدينة •

وأخطأ فى هذا ، لأن منبع
الدينين واحد ، وهو وحى الله
الذى أنزل على موسى ، ومحمد
عليهما السلام •• لكن اليهود
حرفوا دين الله ، فجاء القرآن
مصححاً هذا التحريف ، وعندما
نقول : حرفوا فلا ينبغى أن يفهم
من هذا أنهم حرفوا كل ما جاءهم
من ألفه الى يائه ، بل يكفى أدنى
تحريف ليصبح الحكم عليهم بأنهم
حرفوا ، فعندما نزل القرآن
الكريم ليصحح هذا التحريف ،
لم يكن من المقبول أن يبطل كل
ما عند السابقين ، ويأتى بما
يقابله ، حتى ولو لم يدخله تحريف ،
لأن ذلك هو أسلوب الثورات
البشرية ، التى تقضى على كل عمل

القرآن بأنه ليس من صنع البشر •
أى انه وحى الله - الاعتراف بأن
كل ما فيه صحيح ، وان خالف
الكتب المقدسة السابقة ، اذ المخالفة
ليست دليلاً على النقل ، فضلاً عن
تحريفه ومن الثابت علمياً وتاريخياً
ان تدوين الكتب المقدسة جاء
متأخراً بزمان طويل عن عصر الأنبياء
المنسوبة اليهم ، ولم يعرف حتى
الآن كاتبها بالضبط ، ولم يحدد
العصر الذى دوت فيه تحديداً
قاطعاً ، فكيف يعتقد - والحال
هذه - ان ما فيها من الاخبار
التاريخية صحيح ، وما عداه فهو
نقل خطأ عنها •• لا •• بل العكس
هو الصحيح ، فقد حرف كاتبها
المجهول أخبارها وجاء الكتاب
الذى اعترفت ضمناً بأنه وحى ،
فصحح هذا التحريف ، وعليه فيجب
عليك التسليم بأن القرآن الكريم
هو المرجع الصحيح لهذه
الاحداث التاريخية •

(٤) اتفاق الاسلام واليهودية فى بعض
الأحكام :

سرد المؤلف عدداً من الأحكام
الاسلامية مثل : تحريم أكل الميتة

الكريم هو المرجع المعتمد - لأنه سلم من التبديل والتغيير ، وهى قضية مسلم بها حتى عند اعداء الاسلام - لتصحيح المسيرة الدينية التى حرفها السابقون ، وصدق من قال : « شرع من قبلنا شرع لنا ، ان لم يرد فى شرعنا ما ينسخه » •• أى ان لم يرد فى شرعنا ما يصححه من التحريف الذى أصابه من البشر •

(٥) انكاره لنبوة عيسى عليه السلام :

زعم المؤلف أن بعد النصارى عن موطن الاسلام الأول جعل تأثير النصرانية عليه ضعيفا ، فهو لم يتصل الا بالنسطوريين ولذا تأثر برأيهم فى المسيح (١) فأنكر عقيدة النبوة الالهية التى يدين بها المسيحيون •

ان قضية التأثير والتأثر بين الاسلام وغيره من الأديان والعقائد

ينسب للنظام الذى ثارت عليه حتى ولو كان نافعا للمجتمع ، لأن الغرض عندها محو معالم من سبقها لينسأه الشعب ، ويتعلق بالثوار الجدد • أما وحى الله ، أما الرسالات السماوية فالهدف منها اقامة العدل بين الناس ، وتدعيم الفضيلة والقيم الاخلاقية فى نفوس الناس ، ولذا تبقى على ما يساعد لبلوغ هذا الهدف مهما كان منبعه ، وتدعو الى نبذ ما يضر الفرد فى المجتمع ، ولو زعم السابقون ان الله أوحى به الى الأنبياء السابقين ، فاذا مصادف أن حكما طابق ما عند اليهود - أو غيرهم - فلا يعتبر دليلا على انه مأخوذ منهم ، بل هو حجة واضحة على أنه وحى الله أنزله على رسوله ليصحح ما حرف ويثبت ما سلم من التحريف (اذ لو لم يكن وحيا ، لحرص على ابطال معالم السابقين عليه ، كما هو معروف فى تاريخ الثورات) ليكون القرآن

(١) كان نسطور يذهب مذهب أريوس فى انكار أن عيسى ابن الله ومسأوله ، كما أنكر ذلك أيضا بوطينوس وبولس الشمشاطى ، فكانا يقولان « ان الاله واحد ، وان المسيح ابدأ من مريم عليهما السلام وانه عبد صالح مخلوق ، الا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته ، وسماه ابنا على التبنى لا على الولادة والاتحاد » الشهرستانى ج ١ ص ٢٢٥

قومه الا الى توحيد الله ، اذ يخبرنا
الوحي الصادق بقوله :

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
أأنت قلت للناس اتخذونى وامى
الهيمن من دون الله ، قال سبحانه
ما يكون لى أن أقول ما ليس لى
بحق ، ان كنت قلت فقد علمته ،
تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى
نفسك ، انك أنت علام الغيوب
ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ، أن
اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما
توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ،
وأنت على كل شىء شهيد » (١) •

غير أن أتباعه حرفوا دعوته ،
فاعتقدوا فى ألوهيته ، ثم اضطهدوا
من آمن منهم بنبوته وبشريته حتى
قضوا عليهم ، ولم يبق سوى من
حاد عن طريق التوحيد وسلك
سبيل التثليث وورثوا هذه العقيدة
لمن جاء بعدهم جيلا بعد جيل ،
وطبيعى ألا تعرف الأجيال اللاحقة
شيئا عن هذا الصراع العقدي

السابقة التى أثارها المستشرقون
— ولا زال بعضهم يضرب على
وترها — قد ثبت بطلانها علميا ،
فالاسلام لم يأخذ شيئا من غيره ،
وان وافقت بعض تعاليمه ما عند
الآخرين ، ورسول الله — صلى الله
عليه وسلم — لم يقتبس شيئا من
العقائد الأخرى ، لأنه كان أميا
فلم يعرف ما عند الآخرين ،
بالاضافة الى ما ثبت من أن
ما أخبر به وحي ، بدليل انه خارج
عن قدرة البشر العقلية • فاذا قيل
بعد ذلك انه تأثر بهذا أو بذاك
فليس الا ادعاء يفتقر الى الدليل
العلمي •

ومن العجيب أن يدعى باحث
انه عارض عقيدة النبوة عند
المسيحيين لأنه لم يتصل الا
بالمكرين لها ، وكان الأولى به
أن يقول :

ان دين الله هو التوحيد من لدن
آدم الى محمد — صلى الله عليه
وسلم — وعيسى نفسه لم يدع

هذه الدراسات أولا ، والا فمن المحتمل أن يضل الطريق - بل الواقع يشهد بأن كثيرا منهم تخطئ في هذا البحث ، فلم يصل الى نتيجة علمية صحيحة - فى الوصول الى حقيقة ما حدث ، حين حاول اليهود قتل عيسى عليه السلام .

الباب الرابع

ما خلفه محمد صلى الله عليه وسلم :

وقد تناول فى هذا الباب النقاط التالية :

(١) تعظيم النبى وتبجيله :

لم يكن الموت عند العرب ظاهرة مفاجئة ، فنسبة الوفيات كانت عالية ، فمن كان بدنه قادرا على قسوة الطبيعة ، هو الذى امتدت حياته ، أما ضعفاء البنية فسقطوا صرعى المرض . كذلك شاعت ظاهرة وأد البنات بعد ميلادهن ، ولم يكن عدد ضحايا الحروب ضئيلا .

فتظل مؤمنة بأنها العقيدة المسيحية الموحى بها من الله ، اللهم الا من هداه الله فأنكرها لتنافرها مع الطبيعة البشرية ، أو من جد فى البحث فى تاريخ الصراع العقدي بين الطوائف المسيحية (١) .

(٦) انكاره الصلب للمسيح :

نفى القرآن الكريم ادعاء اليهود بأنهم صلبوا المسيح عليه السلام ، فقال : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (٢) .

ويتضمن هذا النفى تكذيب ما ورد فى أناجيل المسيحيين حول قصة محاكمة المسيح وصلبه . وقد أيدت الدراسات العلمية ما جاء فى القرآن الكريم ، واقتنع به أصحاب الاتجاه العقلى فى مجال البحوث الدينية المقارنة (٣) . ولذا فينبغى على من يريد المقارنة بين اخبار القرآن الكريم بنفى صلب عيسى عليه السلام وبين ما دونه كتاب الأناجيل ، فعليه أن يطالع نتائج

(١) راجع : بين الاسلام والمسيحية ص ٦٨ - ٧٢

(٢) النساء : ١٥٧

(٣) راجع بين الاسلام والمسيحية ص ١٩٢ - ٢١٥

وهكذا كان الموت عملية غير مزعجة ، اللهم الا اذا كان الميت ابنا ذكرا لأب لا عقب له •

تبدلت طبيعة العربى ازاء هذه الظاهرة رأسا على عقب ، عندما أذيع خبر وفاة النبى - صلى الله عليه وسلم - ، اذ وقع الخبر على بعض المسلمين كالصاعقة فأصيبوا بالفرع والهلع ، لدرجة انكار الخبر ، والتهديد بقتل من يقول : انه مات ، فقد روى أن عمر ابن الخطاب - وهو من أكبر عباقرة المسلمين - قال حين سمع الخبر : « ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد توفى ، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع اليهم بعد أن قيل : انه مات • ووالله ليرجعن رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مات » (٢) •

فاضطرب القوم بين مصدق ومكذب ، حتى جاء أبو بكر فقال قولته المشهورة :

« يا أيها الناس •• من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم تلا هذه الآية : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » (٣) •

فقال عمر : « والله ما هو الا ان سمعت أبا بكر تلاها فعقرت (٣) • حتى وقعت الى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد مات (٤) •

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٥

(٢) آل عمران : ١٤٤

(٣) عقرت : دهشت . يقال : عقر الرجل اذا تحير ودهش .

(٤) ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٦

تؤكد المسلمون من موته ، فهذا اضطرابهم ، ولكن الشعور بالضياح سيطر على نفوسهم ، اذ كان جل اعتمادهم عليه في شئون دينهم وديارهم ، وفجأة شعروا بأنهم أصبحوا في مهب الريح العاتية ، بلا قائد أو هكذا تخيلت أذهانهم ، فهو لم يعين خليفة له ، فكيف تستمر الأمور في سيرها نحو المستقبل ؟

اختلط الحزن بالارتباك والحيرة •• لدرجة انهم انصرفوا عن دفنه الى محاولة الخروج من هذا المأزق الذي وجدوا أنفسهم فيه ، وتركوا على بن أبى طالب مع بعض الصحابة يعدون العدة لغسله وتجهيزه للدفن ، ثم اختلفوا على المكان الذى يدفن فيه ، الى أن حسم أبو بكر الخلاف حين روى عنه - صلى الله عليه وسلم - انه قال : ما قبض نبي الا دفن حيث قبض (١) •

جالت خواطر المسلمين هنا وهناك وكان من أهم ما أزعجهم أن وحى

السماء قد انقطع عنهم ، فلن يسمعوا كلمة منه بعد اليوم ، ودارت بخلداهم هذه الأسئلة :

« هل انقطع وحى السماء حقيقة ، فلم يعد ينزل بعد اليوم ؟ هل من الممكن أن يموت نبي الله كما يموت بقية البشر ؟ أليس من المحتمل أن تقوم الساعة الآن ••؟ أيقظ الخوف في نفوس من تركهم محمد - صلى الله عليه وسلم - الأمل في حدوث معجزة ، فالله قادر على كل شيء ، وهنا ينفصل طريق التعاليم الدينية عن اعتقادات العامة ، فالقرآن والأحاديث النبوية الصحيحة تؤكد أن محمدا بشر ، يموت كما يموت غيره من الناس ، بينما يميل عامة الشعب الى رفع محمد عن درجة الانسان العادى وانزاله مكانا خاصا قريبا من الله • صال الخيال وجال في هذا المجال ، فنسبوا اليه أشياء نسبتها الاساطير الى الأنبياء السابقين ، ففى حياته لم يترك العنان لخيال المؤمنين ، ولكن بعد موته بدأت الأخبار

حياته ، لكن أحداث الوحي
وانشغالهم بتربى ما ينزل من
السماء لم يترك لهم مجالاً للحديث
عن حياة محمد أثناء وجوده بينهم •
فقد نصب اهتمامهم على معرفة
التعاليم الدينية ، التى تنظم حياتهم ،
وتضمن لهم الجنة •• لأنها الهدف
الذى تكرر كل الجهود للوصول
إليه وإن كان المسلم يعتقد أنه لن
يصله إلا برحمة من الله ورضوان ،
فاذا قورن هذا الشعور بالمغفرة
المسيحية ، لرجح - كما يعتقد
المسلمون - اطمئنان المسلم فى
هذا المجال ، إلا أنهم يؤمنون بأن
القلم قد حدد فى اللوح المحفوظ ،
من سيدخل الجنة •• ومن سيحرم
من دخولها •• ولكن من يعلم
هذا ؟ لا أحد •• دام النقاش بين
العلماء حول هذا الموضوع مئات
السنين ، فصنفوا الناس حسب
أعمالهم وإيمانهم ولم يقتصر هذا
التصنيف على المسلمين فقط ،
بل تعداه إلى وضع غير المسلمين
بالنسبة للمسلمين فى الحياة
الآخرة •

هذه هى بعض ملامح التيارات

تترى عن نواح ، لم يتحدث عنها
القرآن الكريم ولم تنقلها الأحاديث
الصحيحة ، ألم يسطع نور النبى
من بدء الخلق حتى الآن ؟ لقد
ظل النور ينتقل من جيل إلى جيل
- هكذا اعتقد العامة - حتى
استقر فى قبيلة محمد ، ثم ظهر
فيه ، فأثار جميع العالم ، لقد
طهره هذا النور من كل الذنوب ،
وجعله معصوماً حتى فى فترة ما قبل
البعثة •• و •• و •• الخ ••
وهكذا لم تتوقف القصص الشعبية
فى هذا المجال ، وظلت تنسب إلى
النبى كل ما من شأنه أن يرفعه عن
عالم البشر ، ونسبت إليه كثيراً من
المعجزات الحسية ، فقد شفى المرضى
وكلمته الحيوانات ، وتحركت
لنظراته الأحجار ، وبكى الجماد
لفراقه •• الخ • ثم سرد المؤلف
حديث الأسراء والمعراج ، وبين أن
ما علق بها من المعجزات ، لم يرد
له ذكر فى القرآن الكريم •

ذكر المؤلف أن الذين عاصروا
النبى - صلى الله عليه وسلم -
كانوا يعرفون كل كبيرة وصغيرة فى

الفكرية ، التي شاعت في المجتمع الاسلامي بعد موت محمد - صلى الله عليه وسلم - والتي أدت الى اختلاف الآراء داخل الأوس التي شهدت عصر الخليفة الأول .

(٢) الجهاد :

ينبغي التأكيد مرارا وتكرارا على أن ظهور محمد بدعوته في أوائل القرن السابع الميلادي كان حيرا وبركة للشعب العربي ، فقد منح الاسلام العرب شيئا لم يملكوه حتى ذلك التاريخ : منحهم دستورا ربطهم جميعا برباط واحد ، لأن تأثيره عليهم تغلب على جميع المنازعات السياسية والقبلية ، فانهى عهدا لم يعرف له دستور ، وقضى على غريزة الثأر ، التي كانت تجري في دماء العرب . لكن هذا التماسك لم يلبث أن تفكك بعد موت محمد - صلى الله عليه وسلم - فهبطت هذه المثالية - التي دعا محمد قومه الى التحلي بها - من عليائها الى حضيض العالم الدنيوي حين تنازعوا على السلطة ، فشنوا الحروب للوصول اليها ، تلك

الحروب التي مزقت الوحدة الدينية فانشغل الكبار بالسلطة والصغار بالمسائل الدينية ، ان فريق الكبار حصر جهده في السياسة ، وانصرف اهتمام الصغار الى المسائل الدينية ، ومن الطبيعي أن هذا التقسيم لم يكن عاما ، فقد كان هناك خلفاء لم تشغلهم المسائل السياسية عن الاهتمام بالاحكام الفقهية ، فضلا عن انهم كانوا على درجة كبيرة من الورع والتقوى .

ارتبطت السلطة بالعقيدة في بداية الدولة الاسلامية في المدينة ، وتدل هذه الظاهرة على ان الاسلام يرى انه : دين السياسة ، أو بتعبير آخر : عقيدة السياسة الدينية ، اذ أخذت المسائل الدينية طابعا سياسيا ، فقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - نبيا ورسولا ، وفي الوقت نفسه كان سياسيا ، فلم تعرف الدولة فصلا بين الدين والسياسة .

شرح المؤلف علاقة الدين بالسياسة في جميع المجالات ، وجهود الفقهاء في استنباط القواعد الفقهية ، وارتباط النشاط

الدولة الاسلامية وعلى رأسها
الخلافة •

الثانى : الكفار الذين يجب عليهم
الدخول فى الاسلام •

وهؤلاء ينقسمون بدورهم الى
قسمين :

الأول : المشركون ويجب على
المسلمين قتالهم حتى يسلموا •
الثانى : أهل الكتاب ، وهؤلاء
ينبغى قتالهم حتى يسلموا ،
أو يخضعوا للدولة الاسلامية
فيعطوا الجزية • وفى مقابل هذا
تحميهم الدولة ، ويندرج تحت
هذه الحماية : المحافظة على
أموالهم وضمان حرية اقامة
شعائرهم الدينية ولكن لا تدق
أجراس كنائسهم ، ولا يشيدون
كنائس جديدة •

يشترط فى الخلافة أن يكون
قادرا على قيادة الدولة سياسيا
وعسكريا ، وأن يكون تقيا ورعا ،
اذ من واجبه حفظ الدين ، والجهاد
ضد أعداء الله وأن يسود الدولة
طبقا للكتاب والسنة ، فان وقع
خلاف فى التفسير فان الكلمة

السياسى بقواعد الدين ، متخذين
السنة النبوية وما كان عليه الخلفاء
الراشدون مثالا لهم • ثم بين أن
نظرية المسلمين فى دعوتهم الشعوب
الأخرى الى الدخول فى الاسلام
تتلخص فى أن الانسان مفطور على
العقيدة التى ربطت بينه وبين أخيه
الانسان ، ولكن بارتكابه المعصية
تقطعت وشائج الاتصال بين البشر
فانقسم الناس الى فريقين : فريق
تمسك بالتعاليم الدينية التى نزلت
على رسلهم ، وآخر تنكر لها ، غير
أن الفريق الأول عجز - بمرور
السنين - عن فهم الوحي لبعده عن
زمن الرسل الذين بلغوا هذا
الوحي ، فحرف فيه بالتغيير
والتبديل والمحو والزيادة • الخ •
ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم
ليدعو الفريقين الى الاعتراف
بوحداية الله ، لتكوين الجماعة
المؤمنة ، التى تؤسس الدولة ذات
الطابع السياسى والدينى • ولهذا
فرض على أتباعه الجهاد لتحقيق
هذه الغاية ، ومن هنا انقسم العالم
فى نظر المسلمين الى قسمين :

الأول : المسلمون حيث تقوم

الظواهر الدائمة ، فهي مترتبة على نتائج الحروب ، فاذا مادخلت المجتمعات يوما ما في الاسلام ، فسوف تختفى هذه الظاهرة من تلقاء نفسها ، ثم عاد الى الحديث عن علاقة الأمور الدنيوية بالتعاليم الدينية ، وختمها بقوله :

« فلم يفرق محمد صلى الله عليه وسلم بين قانون مدنى وآخر دينى ، فبلغ كل ما أوحى اليه على انه وحى الله دون تمييز بين دينى دنيوى وبهذا يختلف القانون الاسلامى - حتى اليوم - فى جملته وتفصيله عما عندنا نحن المسيحيين من متراكمات تركزت فى جانب واحد » •

أخذت فريضة الجهاد فى الاسلام حيزا كبيرا فى مؤلفات الغربيين التى كتبوها عن الاسلام ، ولم يكونوا موضوعين فى كتابتهم عن هذه الفريضة ، اذ أجمعوا - كلهم تقريبا - على أن الاسلام انتشر بالسيف ، بينما دعت المسيحية الى المحبة ، ونبتد البغضاء والقتال وقد رد عليهم المسلمون مبينين أن الغزوات الاسلامية لم تكن هجوما

الأخيرة له ، لأنه المسئول وحده عن رعاية الدولة ، وييده مقاليد الأمور فى جميع نواحيها • غير أن سلطانه ليس مطلقا - كما هو الحال فى بعض النظم الحديثة - فوضعه لا يختلف عن وضع أى مسلم عادى فى الدولة ، بالنسبة للالتزام بما هو مقرر فى القرآن الكريم ، ويزيد عليه من ناحية الواجبات الملقة على عاتقه كخليفة للمسلمين ، ومن أول واجباته - كخليفة - دعوة الناس الى الدخول فى الاسلام ، فان أبوا ، فشن حرب مقدسة ضدهم يديرها بنفسه • تجاوز النبى صلى الله عليه وسلم مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم ، لأن الدعوة بالكلمة لم يعد لها تأثير فى اقناع الناس ، وعلى خلفائه أن يتخذوه أسوة فيستعملوا القوة لحمل الناس على الدخول فى الاسلام ، وسوف يظل الجهاد طابع الدولة الاسلامية ، مادام هناك مجتمعات لا تدين بالاسلام •

فصل المؤلف القول فى توزيع الفى والغنائم ، وأكد على أن ظاهرة الرق فى الاسلام لم تكن من

مواضع عدة على أنه لا اكراه فى الدين ••

يقول الله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (٢) •

ويقول : « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (٣) •

ويقول : « فمن شاء فليؤمن •• ومن شاء فليكفر » (٤) •

ويقول : « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » (٥)

فلاسلام لا يجيز لأحد - ولو كان النبى نفسه - أن يجبر انسانا على الدخول فى الاسلام •

ثانيا : يمتاز الانسان عن الحيوان بالقدرة على التفكير ومن خصائص هذا التفكير ميل الانسان الى الحرية فى التعبير عن آرائه وفى

بل ردا لاعتداء وقع على المسلمين ، أى أنهم كانوا فى موقف دفاع ، وأود أن أنقل هنا كلمة كتبها فى تحقيق لكتاب « بين الاسلام والمسيحية » (١) حول المقارنة بين الدينين فى مسألة قتال المعارضين :

يردد أعداء الاسلام منذ بدء فترة الدفاع المسلح عن العقيدة الى اليوم ، أن الاسلام اتشر بالسيف ، اذ ما زلنا نسمع من المستشرقين ومن يدور فى فلكهم من ضعاف النفوس ، أن المسيحية تنكر القتال ، بينما دعا الاسلام الى الحرب ، والى الجهاد فى سبيل الله ، أى الى اكراه الناس بالسيف على الدخول فى الاسلام ••• وهذا هو التعصب بعينه ، وغاب عن هؤلاء الحقائق التالية :

أولا : نص القرآن الكريم فى

(١) ص : ١٤١ - ١٤٣ •

(٢) البقرة : ٢٥٦ •

(٣) يونس : ٩٩ •

(٤) الكهف : ٢٩ •

(٥) الفاشية : ٢٢/٢١ •

وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم
الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره
ان الله لقوى عزيز » (٢) •

ولو لم يقاتل المسلمون لحكم
عليهم التاريخ بأنهم : اذلوا ،
وأهينوا فرضوا بالذل ، والهوان ،
وتلك سبة تأباها الطبيعة الانسانية ،
ولما كان الاسلام موافقا - في
تعاليمه وشرائعه - لهذه الطبيعة ،
لم يرض لأتباعه أن يتصفوا بهذه
النقيصة •• وعليه ، فلم يحمل
المسلمون السلاح لاجبار أحد على
الدخول في دينهم بل كان للدفاع
عن أئمن شيء لديهم ، الا وهى
ممارسة ما تمليه عليهم عقيدتهم •

ثالثا : يعقد أعداء الاسلام
مقارنة بين محمد وعيسى عليهما
السلام ، مدعين أن عيسى لم يقاتل
أحدا ، بينما قاد محمد معارك
كثيرة ، ضد من وقفوا في سبيل
دعوته ، وينسى هؤلاء أن عيسى
استمر ثلاث سنوات فقط ، يدعو
الى دينه بدون قتال ومكث محمد
ثلاث عشرة سنة يتلقى أذى قريش ،

اعتناق ما يراه موافقا لطبيعته فاذا
ما منع من هذا بقوة السلاح ، فان
من الطبيعى أن يدافع عن رأيه
بالوسائل التى يقاتله بها من يريدون
كبت حريته ، فان أراد أحد أن
يفتن آخر عن عقيدته مستعملا
الدعاية والمنطق ، دون اللجوء الى
حملة على ترك عقيدته بالقوة ،
لم يكن للمؤمن أن يدافع عن عقيدته
الا بالحق والمنطق ، أما اذا أجبر
بقوة السلاح ، لم يكن من سبيل
الا حمل السلاح أيضا ، للدفاع
عن عقيدته ، لأنها أثمن شيء عند من
يفهمون معنى الانسانية ، فهى أئمن
من المال والجاه ، بل أغلى من الحياة
نفسها وقد أدرك هذا المسلمون
الأولون ، فدفعوا حياتهم ثمنا
للدفاع عن عقيدتهم ، وتلك سنة
الله فى خلقه •

: « ولولا دفع الناس بعضهم
ببعض لفسدت الأرض » (١) •

« ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لهدمت صوامع ويبع

(١) البقرة : ٢٥١

(٢) الحج : ٤٠

اكراه الناس على الدخول فيها ، ومن يقرأ التاريخ يجد أن المسيحيين لم يعتنقوا مبدأ السلام فى واقعهم العملى حتى اليوم ، الا خوفا من الدمار الشامل ، الذى يتوقع أن يحل بهم ان هم استمروا فى هذا الطريق الوعر •

(٣) معالم الدعوة :

اعتبر اختيار محمد للرسالة ، ليبلغ مالم يبعث فيهم رسول من قبل فضلا من الله ورضوانا على العرب ، وفهمت دعوته فى أول الأمر على انها دعوة خاصة لقومه قياسا على الأنبياء السابقين ، فقد بعث كل نبي الى قومه خاصة ، غير ان جوهر الاسلام يتضمن طابعا عالميا ، ويكمن ذلك فى الاعتقاد بأن محمدا هو آخر الأنبياء ، والقرآن هو آخر وحى ينزل من السماء لاصلاح ما فى البشرية من فساد ، فلن يأتى كتاب بعده أبدا ، ولن يرسل رسول بعد محمد ، على الاطلاق ، وبناء عليه يكون الاسلام دينا عالميا لجميع البشر •

دون أن يحمل السلاح ، فأى المدين أطول ؟

أضف الى ذلك أن عيسى قال أثناء هذه المدة القصيرة :

« ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » (١) :

بينما لم يذكر محمد فى العهد المكي - وهو ثلاث عشرة سنة - شيئا عن القتال • فأيهما كان - بصرف النظر عن كون ما يتلقيانه وحيا - أشد ميلا الى السلم •

كان يمكن أن تكون المقارنة صحيحة ، لو أن عيسى استمر فى دعوته مدة أطول من المدة التى مكثها محمد فى مكة داعيا الى الله ، ولم يقاتل ، بينما قاتل محمد ••

فاذا تركنا العهد النبوى لكل منهما ، وتصفحنا تاريخ كلتا الديانتين لرأينا أن المسيحية لم تعرف سلاما قط ، فقد حمل المسيحيون الناس حملا على اعتناقها واجروا الدماء انهارا فى سبيل

المرء أو يعاقب يوم القيامة ، وعلاقة ذلك بما يصيب الانسان في الدنيا من كوارث وبما يناله من خيرات ، فى ضوء العدالة الالهية فقاده هذا الى تناول مسألة الجبر والاختيار وآراء المدارس الكلامية فيها . ثم تناول الاخلاق فى الاسلام ، فذكر الاحسان الى الوالدين والوصية بذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ولكن بدون اسراف . . ففى القرآن : « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (١) . كما حرم وأد البنات وارتكاب الفواحش من زنا وغيره ، وحرم قتل الأتفس الا فى حالتين : فى حالة الدفاع عن النفس ، وفى الحرب ضد أعداء الله ، كما حرم أيضا أكل أموال اليتامى والضعفاء ، وفى مجال الأسرة أباح الزواج بأربعة الا ان عجز الرجل عن الوفاء بحقوقهن فيجب الاقتصار على واحدة . ثم ذكر المؤلف حقوق الأيامى ووضعهن عندما يصبحن

يتفق الاسلام مع الأديان الأخرى ذات الطابع العالمى فى نقطة الانطلاق فقد ساد فى زمن ظهوره حالة من اليأس والفراغ الروحى ، من جراء الفساد ، الذى ساد فى المجتمع وحاول كثير من الراغبين فى الإصلاح محاربته ، ولكنهم لم يتمكنوا من عمل شئ ، اذ عجزوا عن اصلاح ما بين القبائل من نزاعات ومشاجرات سالت فيها الدماء انهارا ، ولم يقدرُوا على تنقية الحياة مما أصابها من الانهيار الاخلاقى ، فسيطرت غريزة اللامبالاة على النفوس ، وتمكنت الرذيلة . فى هذا الوقت دعا محمد قومه الى الخروج من هذا الوضع المؤلم ، وبين لهم طريق الخلاص مما هم فيه فكان أول شئ دعاهم اليه هو الاعتراف بوحدانية الله ، ونبذ ما هم عليه من عبادة الأوثان والاصنام فلا يجوز أن يتخذ معه اله غيره ، والا فالعقاب الصارم يوم القيامة .

تحدث المؤلف عما يثاب عليه

طاقة هائلة دفعت عجلة التاريخ الى الامام ، فقد تطور التمرد ضد البربرية التى كانت فى عصره الى نصر للأفكار الدينية والروحانية والى قوة أخلاقية بناءة ، ومن الافتراء على الله الادعاء بأن الدين كان بالنسبة لمحمد وسيلة لغاية ، فعلى الرغم من هذا ومن ادعاءات أخرى فقد كان محمد مفظورا على الدين ، ووجد شعبا كانت أوصاله متقطعة فى صحراء جرداء قاحلة •

فاذا ما انتقص أعداؤه من قيمة عمله فى جانب من الجوانب ، ارتفعت قيمته عالية فى دعوته - الصارمة والمستمرة - الى وحدانية خالصة ، وفى عمله الدءوب فى خدمة دعوته ، فهو لم يخلص شعبه فقط من الظلمات الحالكة التى كان فيها ، بل حدد فى موكب التاريخ مصير الانسانية جمعاء تحديدا فاصلا •

وأخيرا انتشر نور عقيدته ••
فعطى جوانب الطبيعة الانسانية •

(للحديث بقية)

دكتور محمد شامة

« أم ولد » ووضع أبنائهن فى الحرية وعدمها ، وأكد أن محمدا حث المسلمين فى أكثر من مناسبة على تحرير العبيد ومكاتبهم ، غير أن هذه الظاهرة لم تختف لأن كثيرا من المسلمين لم ينفذوا وصية نبيهم نصا وروحا ، فبقيت تردد فى المجالس العلمية دون أن تحقق الغرض الذى أراده محمد - صلى الله عليه وسلم - فى الواقع الاجتماعى •

بين فى مجال العبادة كيفية فرض الصلاة وشروطها ، واركائها وعدد ركعاتها وتحويل القبلة ، ثم عقب على ذلك بقوله : « ان المسلمين أكثر حرصا على تأدية الصلاة من التزامهم بالمبادئ الأخلاقية ، التى دعا اليها الاسلام » •

ومما قاله المؤلف فى ختام هذا الباب قوله :

« ان الناقد الأجنبى (عن الاسلام) لا يملك الا أن يصف محمدا - صلى الله عليه وسلم - عندما يتطرق الحديث الى تقييم ما دعا اليه ، وما انجزه - بأنه كان

دراسات لغوية :

نظرة إلى الجديد في علوم اللغة

للدكتور توفيق محمد شاهين

(١)

موضوع علم اللغة

يدرس علم اللغة (Linguistics) اللغة بصورة عامة لأنها أساس لجميع العلوم الانسانية ، وظاهرة اجتماعية لها أوثق العلاقات بما في الكون ، ومع امتداد تاريخ البحث فيه من لدن البراهمة ، والاغريق ، والعرب وغيرهم ، لبراغتهم في علوم اللغة ، الا أن أمره ظل حينا في دائرة ضيقة ومحدودة ، لأن بعض العلماء نظر اليه كشيء كمالى ، لا علاقة له بالحياة ، كما نظر الى اللغة كوسيلة لا غاية .

وكان من نتائج تطبيق الأسلوب العلمى فى الطبيعة ، الذى أدى الى اكتشافات هائلة . أثر كبير فى ترقية الأبحاث اللغوية والعناية بها ، وتطبيق الاسلوب العلمى عليها ، باعتبارها كأي شيء يوصف ويحد

ويقيد ويخضع للتجربة . ففتحت آفاقه الواسعة ، ونال العناية الكافية ، وعسى أن تلحق نحن بها .

يحدث التاريخ أن الاشوريين ، وكذلك الأمة الصينية واليابانية والبراهمة ابان نهضتهم - قد اهتموا بلغاتهم من قديم : فقد عنى البراهمة باللغة السنسكريتية نحوا ، وصرفا ، واشتقاقا وتدوينا قبل الميلاد .

كما يذكر المؤرخون أن معجم (شوفان) لمؤلفه (هو شن) طبع سنة ١٥٠ ق م . ومعجم (يويان) لمؤلفه (كوبي وانج) طبع سنة ٥٣٠ م ، وهما يعدان أساسا للمعجم الصينية اليابانية .

وجاء فى مقدمة معجم (فيشر) أننا : « اذا استثنينا الصين

الجوانب في كتابه ، ومن الغريب أن دراسة العلوم اللغوية الحديثة بوسائلها التقنية وامكانياتها المعينة ، لم تناقض ما قرره أسلافنا ، ولكن اختلفت معهم قليلا في بعض

الجزئيات •

ولذا يعتبر القدامى من علمائنا - بحق - أساتذة لعلماء الغرب - ابان نهضتهم - في هذا الجانب اللغوي ، كما هم أساتذتهم في الجوانب الحضارية والثقافية الأخرى •

ومن المستشرقين من أهدانا الرائع من ثمار أبحاثهم الحديثة ، في ضوء مناهج البحث العلمي ، وامكانياته المتاحة •

وعسى أن تنفتح عيوننا في صحتنا على ثورة ثقافية ونهضة علمية ، تعيد الينا ماضينا المشرف ، ومستقبلنا الوضئ الذي نرنو اليه •

ولم تبرز عناية العرب بفروع الدراسات اللغوية التي بحثوها بصورة شاملة ، ومنهج أدق وأوفى ، وأدخل في علوم اللغة الا ابان القرن الرابع الهجري ، حين ظهرت

لا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته ، وبشعوره المبكر بحاجته الى تنسيق مفرداتها ، حسب أصول وقواعد غير العرب » •

ويحكي السيوطي في المزهرة ٢/١ أن بعض الملوك في المغرب سأل صاحب بن عباد أن يقدم عليه ، فقال له : « أحتاج الى ستين جملا أنقل عليها كتب اللغة التي عندي » •

وبداية الدرس اللغوي عند العرب ، كانت نحوية ، ثم صرفية ، وجمالية في علوم البلاغة ، وأدبية نقدية في علوم الأدب ونقده ، والعروض والقافية ، كما اهتموا بعلوم القرآن وقراءاته وتفسيره لغويا ومعنويا ، ونشطوا في جمع الألفاظ وتدوينها لصنع المعاجم الدقيقة حتى تحفظ اللغة من الضياع •

وعنى الخليل بن أحمد بدراسة الناحية الصوتية والحروف معتمدا على الناحية الذوقية عنده والجهد الشخصي ، كما أبرز سيبويه هذه

آراء الفارسي ، وابن جني ، وابن فارس وغيرهم ..

وقام الدرس اللغوي في الغرب على غرار صنع العرب ، فاحتذوا حذوهم ، وساروا على نمطهم زمنا كما سمنذكر ذلك . الا أن علماء الغرب - في نهضتهم الحديثة - خطوا خطوات أوسع ، وفتحوا ميادين جديدة ، وطرقوا أبوابا لم يطرقتها العرب .

فاعتنوا بعلم اللغة التاريخي ، والجغرافي ، وألموا بالحقل النظري والتطبيقي واعتنوا بعلم اللغة المقارن ، وعلاقة اللغة بغيرها من العلوم ، وبيان المؤثرات التي يخضع لها التفكير اللغوي ... واهتمت جامعاتهم الكبرى بإنشاء دوائر خاصة لعلم (الفوتيك) وحشدوا الأساتذة واهتموا بالمختبرات ، والمسجلات والمصورات ، والأشعة الخاصة كمختبرات الفيزياء وغيرها من العلوم .. فتوصلت الى نتائج باهرة ، فأمرها الطلاب ، وأرسلت اليها البحوث ، واهتمت جامعاتهم

بنشر أبحاثهم ... وفي ايجاز يحدثنا الدكتور محمد اسماعيل صيني - في مجلة الفيصل - عن النظرة الجديدة في علوم اللغة ، يقول :

يدرس علم اللغة بفروعه كل ما يتعلق باللغة من أصوات منطوقة أو مسموعة ، أو ألفاظ أو تراكيب أو دلالة ، والعوامل المؤثرة في هذه الظواهر اللغوية : فسيولوجية كانت أو نفسية أو بيولوجية أو اجتماعية ، ويتبع في ذلك الأساليب العلمية المعروفة من جمع وملاحظة واستقراء واستنتاج القواعد ، ثم النظريات العامة من الحالات المختلفة . ويستعين في سبيل تحقيق ذلك بالعلوم الأخرى ، مثل : الرياضيات والمنطق (لتقديم النتائج والوصول اليها أحيانا) ، وعلم وظائف الأعضاء والطبيعة (في دراسة نطق الأصوات وسماعها) وعلم النفس والاجتماع والتربية (في دراسة تعلم اللغة واستيعابها وآثارها على الفرد والمجتمع ، كما يحدث في علم اللغة التطبيقي مثلا) ويستعين علماء

وكثيرا ما تتشابه دراسة الأصوات بالدراسات الصرفية والنحوية ، خصوصا في المدارس الحديثة مثل المدرسة التوليدية (Generative Grammar)

على الرغم من هذا الاتفاق العام على التقسيم ، فانه ليس من السهولة بمكان تحديد معالم أى من الشعبتين تحديدا دقيقا ، لأن ما يعتبره البعض نظريا يراه آخرون تطبيقيا والعكس بالعكس . ولذلك فان ما سنذكره في السطور التالية هو مفهوم شخصى : قد يتفق مع آراء الدارسين لعلم اللغة في أجزاء منه ويختلف معهم في أجزاء أخرى ، حيث أن الظاهرة اللغوية الواحدة قد تتم دراستها بأسلوبين مختلفين : أحدهما نظرى ، والآخر تطبيقى ، بل وربما بأسلوب ثالث « بين بين » فدراسة الألفاظ مثلا قد تكون موضوع دراسة الصرف : (Morphology) أو المعانى : (Semantics) وهما دراستان نظريتان فتسمى علم الألفاظ : (Lexicology) وقد تكون موضوع دراسة المعاجم

اللغة ببعض الآلات ، ووسائل التقنية المختلفة أمثال الأشعة السينية والمطاييف (Spectograph) والحاسب (الالكترونى) الى جانب أجهزة تسجيل الصوت المعروفة .

من كل هذا يتضح لنا أن ما يعرف بعلم اللغة (Linguistics) هو في واقع الأمر مجموعة من العلوم يجمعها هدف واحد هو دراسة الظواهر اللغوية لدى « الانسان » .

الفروع الرئيسية لعلم اللغة :

اتفق علماء اللغة على تقسيم علم اللغة الى شعبتين رئيسيتين هما :

١ - علم اللغة النظرى أو العام .

٢ - علم اللغة التطبيقى .

وهناك من يرى اضافة شعبة ثالثة هي :

٣ - علم الأصوات .

لكننا نرى أن علم الأصوات بهذا المفهوم يمكن ادراجه تحت مفهوم علم اللغة النظرى أو العام ، حيث أن الأصوات جزء من الظواهر والنشاط اللغوى لدى الانسان ،

٢ - علم القواعد

(Grammar) ويدخل

تحت هذا المسمى :

(أ) علم الصرف :

(Morphology) الذى يعنى

بدراسة بنية الكلمة أو بتعبير أدق

دراسة الوحدات الناقلة للمعنى :

(Morphemes) مثل

الكلمة وأجزائها وتصريفها •

(ب) علم النحو : (Synitax)

وهو الفرع الذى يدرس بنية

الجملة وشبه الجملة وأنواعها ، أى

انه يدرس نظم الكلام •

٣ - علم اللغة التاريخى :

(Historical Linguistics)

ويدرس هذا الفرع من علم

اللغة تطور اللغات والأسر اللغوية ،

وارتباط اللغات المتقاربة النسب

بعضها ببعض ، وأوجه الشبه

والاختلاف بينها •

٤ - علم الدلالة :

(Semantics) •

وهو يدرس العلاقة بين الرمز

اللغوى ودلالاته أو دلالاته ، كما

يدرس تطور معانى الألفاظ من

الناحية التاريخية بما فى ذلك تأثير

وصناعتها ، وهى دراسة تطبيقية

تسمى صناعة المعاجم :

(Lexicography) وفى أغلب

الحالات تتداخل الدراستان فتكمل

أحدهما الأخرى ، وخصوصا اذا

علمنا أن الدراسة التطبيقية لا بد

وأن تعتمد على أساس نظرى

سليم •

علم اللغة النظرى :

(Theoretical Linguistics)

يدخل تحت هذه التسمية

مجموعة من المعارف المتعلقة

باللغة أهمها مايلي :

١ - علم الأصوات بفروعه مثل

(علم الأصوات النطقى) :

(Articulatory Phonetics)

الذى يدرس مخارج الحروف

وأعضاء النطق (وعلم الأصوات

السمعى) : (Acoustic Phonetics)

الذى يعنى بدراسة موجات الصوت

وكيفية انتقاله فى الهواء ، ووصوله

الى السمع والعوامل المؤثرة فى

كل ذلك ، وعلم وظائف الأصوات

فى اللغات : (Phonology)

وغيرها •

مجالات هذا العلم التخطيط
اللغوى الذى يعالج قضايا كثيرة ،
مثل : تقرير نظام الكتابة واختيار
اللغات الرسمية وأساليب المحافظة
عليها وتطويرها •

٣ - علم اللغة الآلى :

(Computational
Linguistics)

وهو الفرع الذى يعنى بدراسة
اللغة لتطويع المادة اللغوية للحاسب
الالكترونى والاستفادة من الحاسب
الالكترونى فى الدراسات اللغوية
ومن أبرز مواضيع هذه الدراسات
هو الترجمة الآلية :

(Machine Translation)

وتخزين المعلومات واستعادتها
من ذاكرة الدماغ الالكترونى :

(Information retrieves)

٤ - صناعة المعاجم :

• (Lexicography)

ويدرس هذا الفرع من علم اللغة
التطبيقات : الأمور المتعلقة بأعداد
المعاجم أحادية اللغة • (مثل لسان
العرب والمعجم الوسيط) ، وثنائية
اللغة (عربى - انجليزى مثلا) ،
أو متعددة اللغات (مثل عربى -
انكليزى - ألمانى) بما فى ذلك

المجاز اللغوى ، من كناية
واستعارة ... الخ ••

علم اللغة التطبيقي :

(Applied Linguistics)

يدخل تحت هذه التسمية مجموعة
أخرى من علوم اللغة أهمها :

١ - علم اللغة النفسى :

(Physico Linguistics)

ومن أهم مواضيع دراسته
بالنسبة لعالم اللغة هو اكتساب
اللغة الأصلية (عند الأطفال بوجه
خاص والبالغين بشكل عام) ،
والعوامل المؤثرة فى ذلك بيولوجية
كانت أو نفسية أو اجتماعية، ثم تعلم
اللغات الأجنبية ، والعوامل المؤثرة
فى ذلك داخلية كانت أو خارجية ،
مساعدة كانت أو مثبطة ، كما يعنى
بدراسة عيوب النطق والكلام •

٣ - علم اللغة الاجتماعى :

(Socio linguistics)

ويعنى هذا الفرع بتأثير المجتمع
على اللغة ، واللغة على المجتمع ،
كما يدرس مشكلة اللهجات
الجغرافية (فى مناطق مختلفة)
والطبقية (أفراد المجتمع فى طبقاته
الثقافية أو الاقتصادية) ، والازدواج
اللغوى وما شابه ذلك ، ومن أهم

جمع المواد اللغوية وتنسيقها
وأساليب عرضها •• الخ ••

٥ - تعليم اللغات :

(Language Teaching)

يعتبر هذا الفرع من أهم فروع علم اللغة التطبيقي ، ان لم يكن هو أهمها على الاطلاق ، مما حدا بكثير من علماء اللغة الى استعمال اصطلاح علم اللغة التطبيقي مرادفا لتعليم اللغات (الاجنبية على وجه الخصوص) • وهذا الفرع يعنى بكل ما له صلة بتعليم اللغات من أمور نفسية واجتماعية وتربوية بما فى ذلك الاتجاهات والطرائق المختلفة والوسائل المعينة ، من اعداد للمدارس والمناهج والمواد التعليمية والاشراف عليها •

هذا وتوجد الى جانب تعليم اللغات دراسات أخرى وثيقة الصلة بها ، مثل :

(أ) التقابل اللغوى وتحليل الأخطاء :

(Contrastive and Error Analysis)

الذى يقوم بمقارنة اللغات المختلفة ، ودراسة نقاط الاختلاف بينها ، للتعرف على النقاط التى قد

تكون عقبة فى طريق دارسى تلك اللغات من الأجانب ، كما يدرس هذا الفرع بأسلوب علمى الأخطاء التى يتركبها دارسو اللغة ، ومحاولة التعرف على أسباب تلك الأخطاء لمعالجتها •

(ب) - تصميم اختبارات اللغة :
(Language Testing)

وموضوع هذا الفرع من الدراسة هو تصميم اختبارات اللغة أصلية كانت أم أجنبية ، وتطوير الوسائل اللازمة لتحسين هذه الاختبارات من ناحية المحتوى والناحية الفنية والعملية ، للوصول بها الى أعلى درجة ممكنة من الصدق :

والثبات : (Reliability)
والتمييز : (discrimination)

وسهولة التطبيق : (Practically)

(ج) - بالاضافة الى ما سبق ذكره نجد بعضا من الجامعات الغربية التى تقوم بتدريس طرائق محو الأمية : (Literary)

بوصفه فرعاً من فروع علم اللغة التطبيقى •

« للحديث بقية »

الدكتور توفيق شاهين

ابن خلدون

بين اللغة .. وعلم الاجتماع

الأستاذ محمد عادل سليمان

الكتاب وأصبحت مجالا خصيا
للدراست والبحوث •

وكانت المقارنات بين « ابن
خلدون » رائد علم الاجتماع ، وبين
من جاء بعده من علماء الاجتماع في
أوروبا أمثال « دوركهيم » •

— وان يكن بعض المتربين
بتجربة الدراسات الاجتماعية يعزو
قهر المواكب الغازية لتراب الامة
العربية الى علماء الاجتماع وعلم
الاجتماع ، ورأوا انه علم « ابتدع
في بيئة الحقد الصليبي للتعرف على
مواطن الوهن العربي حتى يمكن
لأعداء الاسلام الانتفاض على
المسلمين ، فانه — بلا شك — لم
يكن وسيلة ابن خلدون لهذه الغاية
الصليبية •• بل كان لديه وسيلة
لدراسة التاريخ وأحوال الامم
والعمران ، ومحاولة تقييد هذه

لن أكتب تاريخا حتى أفرد
للتعريف بالرجل فصلا أو سطورا
أفرغ فيها وقتا مضيعا وجهدا
مبعثرا ، فأنا أحرص على الوقت
المخصب حتى أفرغ الجهد في
الصميم •

وابن خلدون — ذلك الاسم
الممتد في ضمير التاريخ فكرا
موسوعيا ، والموصول في كيان
علوم الانسان مادة دفوقة العطاء —
عرفه الناس من خلال كتابه الرائد
« العبر ، وديوان المبتدأ
والخبر » وهو اشارة الدخول في
ثبت التاريخ ذي المنهج الاجتماعي •

ومقدمة هذا الكتاب استقلت
عنه في وحدة ذاتية حتى صارت
— وحدها — علم ابن خلدون ،
وهجر الناس — الى المقدمة —

الدراسة على أسس اجتماعية ، وهذا منهجه •
العربي فى سياق الجانب الاجتماعى لهذا اللسان •

وليس من اهتماماتنا المنهج الاجتماعى فى التاريخ عند « ابن خلدون » ، فلهذا المجال متخصصون فوق كل منهم بسهمه فى اتجاه ولكن اهتمام البحث « البلاغة العربية » • فى تصور ابن خلدون •

ومن هنا •• فان حديث « ابن خلدون » عن « اللغة » فى مقدمته لا ينقله من ريادة « علم الاجتماع » الى مجال الريادة فى « علم اللغة » وأقرر - كذلك - أن اخضاعه جميع العناصر الفكرية فى مؤلفاته للمنهج الاجتماعى كان سبب ذىوع شهرته وريادته فى « علم الاجتماع » ومصدريته لمن جاء بعده أو نهل من نبعه وعطائه •

ومن خلال استقطاب المتناثرات عن هذا التصور - فى المقدمة - حول قطب دائرة هذا التصور يمكن أن أقرر فى البداية : أن « ابن خلدون » لم يستطع أن يخرج من التركيبة الحاصرة له فى المساحة الاجتماعية حتى وهو يكتب عن علوم اللسان •

اذن •• فحديث « ابن خلدون » فى « علم الاجتماع » حديث تأصيل التاريخ على منهج غير سردى أو تسجيلى ، ولكن •• على منهج العلل الاجتماعية والطبائع العمرانية فى التزام دقيق وحاذق عند كتابته للتاريخ ، وهذا مجال « ابن خلدون » ، وأسلوبه فى بناء فكره •

ثم ان كتاباته عن « البلاغة » ما كانت عن رؤية مستقلة مستوعبة ذات تخصص أفرغ له الوقت والجهد ، بقدر ما كانت ثارا بديدا نئى صفحات مقدمته ، مما يوحى أنه لم يقصد الى البلاغة لذاتها ، بل جاء حديثه عنها عرضا ألجأته اليه ضرورة الحديث عن اللسان

الاصطلاحى فى « البلاغة » ..
 لكن بمعناه اللغوى العام « الظهور
 والايضاح » ، ووضعه « البيان »
 عنوانا وركنا فى علوم اللسان يعبر
 به عن « البلاغة » يحتل المعنيين
 معا : أنه الأهم ، وأنه الأعم *

وحين تحدث « ابن خلدون »
 عن « أركان اللسان » لم يضعها
 بترتيب الأهم ذلك لأنه جعل علم
 « النحو » أهم هذه الأركان الأربعة
 « والذى يتحصل أن الأهم المقدم
 منها هو النحو ، اذ به يتبين أصول
 المقاصد بالدلالة ، فيعرف الفاعل
 من المفعول ، والمبتدأ من الخبر ،
 ولولاه لجهل أخلل الافادة » (٢) .
 ولهذا .. تحدث عنه أولا برغم أنه
 ذكره بعد « علم اللغة » عندما
 حدد أركان اللسان العربى الأربعة .
 ولم يترك الرجل مجالا لمعتراض
 بعلم اللغة كيف لا يتقدم وهو
 الأصل لأن علم النحو يبحث فى
 الكلمات ، والكلمات موضوعة قبل

وحديثه عن « اللغة » حديث
 تتبع لعلوم اللسان فى البيئة
 العربية باعتبارها حاضنة المجتمع
 العربى *

ولم يحاول « ابن خلدون » عند
 حديثه عن « علوم اللسان » أو
 عن « اللغة » - باعتبارها أحد
 علوم اللسان - أن يخوض فى
 تفرعاتها الجزئية ، بل أشار إليها
 فى المامة كلية مضغوطة *

فاللسان العربى - لديه -
 « أركانه أربعة : اللغة ، والنحو ،
 والبيان ، والأدب » (١) . ولعلنا
 نرى من هذا التقسيم لعلوم اللسان
 العربى - عند ابن خلدون - انه
 يدرج « علوم البلاغة » فى
 « البيان » .. ربما لأنه المقصود
 الأهم والأشرف من جهة التصوير
 فى التشبيه والاستعارة ، وربما
 لأنه يرى أن « البلاغة » بجميع
 فروعها وجزئياتها تهدف الى
 « البيان » ، لا بمعنى البيان

(١) مقدمة ابن خلدون .. الجزء الرابع - تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي ،
 نشر لجنة البيان العربى ، مطبعة الرسالة ١٩٦٨ ص ١٣٧٤ السطر ١

(٢) المصدر نفسه .. ص ١٣٧٤ السطران ٥ ، ٦

النحو ، وهى موضوع علم اللغة ، ولولا كلمات اللثة ما وجد علم النحو أصلاً •

ولهذا •• تفطن الى امكان ورود هذا الاعتراض « وكان من حق علم اللغة أن يتقدم ، لولا أن أكثر الأوضاع باقية فى موضوعاتها لم تتغير ، بخلاف الاعراب الدال على الاسناد والمسند والمسند اليه (١) ، فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر ، فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة ، اذ فى جهله الاخلال بالتفاهم جملة ، وليست كذلك اللغة ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق » (٢) •

وقد بدأ الكلام عن «علم اللغة» بتعريف موجز « هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية » (٣) ، وهو تعريف تحدث بعده عن « الملكة » وأنها حين فسدت فى

ضبط الكلمات ، ثم استمر هذا الفساد وسرى الى موضوعات الالفاظ كان لا بد من حفظ الموضوعات اللغوية بالتدوين « لما فسدت ملكة اللسان العربى فى الحركات المسماة عند أهل النحو بالاعراب ، واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ، ثم استمر ذلك الفساد بملاسة العجم ومخالطتهم ، حتى تأدى الفساد الى موضوعات الإلفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب (٤) ، والتدوين خشية الدروس (٥) ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، شمر كثير من أئمة اللسان لذلك ، وأملوا فيه الدواوين » (٦) •

(١) يقصد بالاسناد والمسند والمسند اليه منزلتها فى علم النحو لا فى علم البلاغة -

(٢) مقدمة ابن خلدون - الجزء الرابع ص ١٣٧٤ الاسطر ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ -

(٣) المصدر السابق •• ص ١٣٧٨ السطر ٥

(٤) يقصد بالكتاب : الكتابة -

(٥) يقصد بالدروس : طول العهد والاندثار بالتقدم -

(٦) المقدمة - الجزء الرابع ص ١٣٧٨ الاسطر من ٥ -

فهو - فى المقدمة - لا يخرج عن اطار علم الاجتماع ، بل يحاول أن يدخل جميع ما يتناوله فى دوائر هذا العلم الذى يعتبر « ابن خلدون » رائده فى جدارة وشموخ .

ذلك انه كثيرا ما يقول : « ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه » (١) .

وكذلك : « ينبغي لك ألا تطول على المتعلم فى الفن الواحد » (٢) ثم يتابع حديثه بعد : « واعلم أيها المتعلم أنى اتحفك بفائدة .. » (٣) ولا يقتصر على ذلك .. بل يفتح لنا منهجه فى وضوح مبين : « وهكذا وقع لكل أمة حصلت فى قبضة القهر ، ونال منها العسف ، واعتبره فى كل ما يملك أمره عليه ، ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به ، وتجد ذلك فيهم استقرار ، وانظره فى اليهود وما حصل بذلك من خلق السوء حتى

وهنا .. تتبين أنه بنى حديثه فى علم اللغة على أساس عمرانى وفكر اجتماعى .. اذ تناول جانب اختلاط المجتمع العربى ذى الملكة الاصلية بالمجتمع العجمى ، وجعل هذا الاختلاط أساس فساد ملكة اللسان العربى فى اللغة العربية .

وهذا حق .. غير اننا لا نستطيع - برغم حديثه عن اللغة هذا الحديث الهام الموجز - أن نعد ابن خلدون من رواد علم اللغة .

ابن خلدون

ومنهجه فى المقدمة

ومن هذه الرؤية لمنهج ابن خلدون نقرر أن المعاش - من أول الطريق - لابن خلدون فى كتابه « العبر .. وديوان المبتدأ والخبر » وفى « المقدمة » يرى انه جعلهم الانسان ، وهو - حين جعلهم الانسان - فليس للجوانب الانسانية فى الانسان ، بل لأنه حركة الفكر ونبض المجتمع .

(١) المقدمة - الجزء الرابع ص ١٣٥٤ السطر ٧

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٥٤ السطر ١٥

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٥٥ السطر ٦

ذلك .. لأنه يلاحظ ، ويرصد ، ويتتبع حركات المجتمعات فى دقة بالغة وذكاء لمارح ، ثم يعطى النتيجة من هذا الرصد المفتوح - بعد تجاربه السياحة ، وخبرته الطويلة - للانسان .

منزلة علوم اللسان عند ابن خلدون

وحين تحدث عن منزلة علوم اللسان تحدث عنها باعتبارها الوسيلة الوحيدة لمعرفة القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والقرآن والسنة هما الغاية العليا للانسان المسلم ، ذلك أنهما مصدر دينه ، ومناطق عقيدته ، منهما تنبع الشريعة ، وتمتد أحكامها ، والدين - عقيدة وتطبيقا - فى أوامره ونواهيه تكاليف الهية تعبد الله بها الناس ، فهى رباط الأرض بالسماء ، وهى نور الله للانسان ، ومن هنا كان الكتاب والسنة هما الغاية العليا للانسان المسلم .

والقرآن والسنة - وهما مصدر الأحكام الشرعية - بلغة العرب ، ولهذا .. يرى « ابن خلدون »

أنهم يوصفون به فى كل أفق وعصر بالخرج ، ومعناه فى الاصطلاح المشهور التخابث والكيد » (٤) .

ومن هنا .. نرى : أنه اتخذ الانسان محورا يدور فى دائرته على نظام اجتماعى وسلوكى ، واذا كانت الدائرة أوسع من المحور ، فإن « ابن خلدون » جال فى هذا المجال الاجتماعى « الدائرة الكبرى » فى تتبع وملاحظة ، وكان فى رصده للحركات الاجتماعية فى حالة حضور ذكى .

ومن ذلك نقرر : أنه اخضع كل شىء فى كتبه لفكره الاجتماعى . حتى حديثه عن علوم اللسان العربى تناوله باعتباره جزءا من الانسان الذى هو جزء من المجتمع وحركة العمران .

لكنى لا أظلم الرجل ، ولا أغمطه شيئا من حقه .. فقد جعل الدائرة الكبرى « المجال الاجتماعى » فى كتاباته فى خدمة المحور « الانسان »

والمفعول ، والمبتدأ والخبر بالاعراب وما يدل عليه من حركات الاعراب، ومن معرفة الاسناد والمسند والمسند اليه ، ولولا ذلك العلم « النحو » لجهل أصل الافادة ، وفي الجهل اخلال بالتفاهم - كما يرى ابن خلدون -

ثم هو يرى أن « علم اللغة » يأتي في المنزلة الثانية بعد « علم النحو » ، وان كانت علة تدوينهما واحدة ، وهى الاختلاطين العرب والعجم ، وطغيان عجمة الموالي ، مما أخل بالضبط فى الاعراب ، فدعا ذلك الى تدوين « علم النحو » واخل بموضوعات الألفاظ بسبب هجنة المتعربين المخالفة لصريح العربية فألح على كتابة المعاجم اللغوية .

وان كان « علم البيان » أداة لمعرفة اعجاز القرآن ووجوه الاعجاز - فهو لهذا جليل الخطر والفائدة - الا ان « ابن خلدون » اعتبره بعد « علم اللغة » فى

أن منزلة علوم اللسان تأتى من منزلة القرآن والسنة فى المجتمع الاسلامى كله من جهة كونهما أصل العقيدة الايمانية .

فبعد أن جعل أركان اللسان العربى أربعة قال عن هذه الأركان « ومعرفتها ضرورة على أهل الشريعة ، اذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة » (١) .

هذا .. عن علوم اللسان - جملة - ومنزلتها عند « ابن خلدون » وهو حق على الحقيقة ، ثم هو يتناول منزلة كل علم من سائر العلوم - على حدة -

فالنحو - لديه - الأهم المقدم ، وقد تقدم ذلك (٢) ، اذ النحو تأتى منزلته من معرفة الفاعل

لا موضوع له فانما يقصد أنه بلا قواعد ولا قوانين ، ولهذا •• عرف الأدب بشمرته ومقصوده « وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهى الاجادة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم » (٤) •

ثم أراد أن يشير الى طريق الاجادة فى الشعر والنثر ، فذكر أن الطريق هو حفظ الكثير من أشعار العرب وكلامهم ، ومن هذا الاستظهار تحصل الملكة « فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر على الطبقة ، وسجع متساو فى الاجادة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة » (٥) • واذا كانت علوم اللسان قد دونت فانها دونت لحفظ التراث ،

المنزلة •• لأنه « علم حادث فى الملة بعد علم العربية (١) واللغة » (٢)، والرأى ما أرى ، لأن « البيان » لا يكون الا بعد معرفة « النحو » لتصحيح الضبط ، ومعرفة « علم اللغة » لسلامة اللفظ وبراءة الكلمة فى النطق •

ثم الأدب - عنده - علم ، ويبدو أنه لا يحاول أن يدخل فى حوار صميمى بين العلم والفن فتجوز فى كلمة « علم » وأطلقها على الفن مثلما يطلقها على العلم ذى الضوابط والقوانين ، فأعطاها - بذلك - صفة الشمول •

ولذلك •• فالأدب - عنده - « علم لا موضوع له ينظر فى اثبات عوارضه أو نفيها » (٣) •

والمعروف •• أن العلم ذو موضوع دائما •• لكنه حين جعل الأدب علما بلا موضوع أو

(١) يقصد : علم النحو

(٢) المقدمة : الجزء الرابع ص ١٣٨٣ السفر الاول

(٣) مقدمة ابن خلدون : الجزء الرابع ص ١٣٨٧ السفر ٣

(٤) المصدر السابق ص ١٣٨٧ الاسطر ٤ ، ٥

(٥) المصدر السابق ص ١٣٨٧ الاسطر ٥ - ٧

وأنة ليس من وضعه وحده ، ولم يكن بدعا منه أنه جعل البيان عنوانا لعلوم البلاغة ، ولكنه مسبوق بمن قبله الذين أطلقوا اسم « البيان » على فنون البلاغة الثلاثة ، وأشار هو الى سبب اطلاقهم اسم « البيان » على هذه الفنون بأن الأقدمين أول ما تكلموا في « البيان » *

« وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان ، وهو اسم الصنف الثاني لأن الأقدمين أول ما تكلموا فيه » (١) *

وعد « ابن خلدون » علم البيان من علوم اللسان ، وجعل تعلقه بالألفاظ « علم البيان » هذا العلم حادث في الملة بعد علم العريية واللغة ، وهو من العلوم « اللسانية » لأنه متعلق بالألفاظ وما تقيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني » (٢) *

ودقة الضبط ، وذلك لخدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة *

واذا عرفنا أن علوم اللسان العربى من نحو ولغة وبلاغة وأدب انما هى فروع لعلوم القرآن والسنة .. عرفنا منزلة علوم اللسان ، وقيمة الضغط الشديد الملح على ضرورة « علوم اللسان » عند « ابن خلدون » *

البلاغة العربية فى تصور ابن خلدون

واذا كانت علوم اللسان كلها مجالها البحث فى اللفظ وما يفيد من حقيقة لغوية ، أو يضبط به من حركة اعراب ، فان « ابن خلدون » جعل « علم البيان » أصلا ذا ثلاثة أصناف : ما يبحث عن المطابقة لمقتضى الحال ، وما يبحث عن اللازم اللفظى وملزومه ، وما يبحث عن تزيين الكلام *

ونجد أنه جعل « البيان » رأسا ورمزا لعلوم البلاغة الثلاثة ، وقد بين هو ذلك ، ووضح سببه ،

(١) مقدمة ابن خلدون : الجزء الرابع ص ١٣٨٥ السطر ١ ، ٢

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨٣ السطر ١ ، ٢

« جاءنى زيد » وهذا مدخل التقديم والتأخير بين المسند والمسند اليه ، وإن التقديم هنا للاهتمام •

ويرى « ابن خلدون » أن الكلام العارى عن التأكيد إنما يفيد خالى الذهن وأن المؤكد يفيد المتردد ، وزيادة التأكيد إنما تكون للمكرر •

ويدخل مجال الخبر والانشاء فى الجملة الاسنادية « ثم الجملة الاسنادية تكون خبرية ، وهى التى لها خارج تطابقه أولاً ، وهى التى لا خارج لها كالطلب وأنواعه » (٢) •

وفى تتابع وانسياب يتحدث عن الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، ولكنه حين يتحدث عن التشبيه الذى تعارف أهل البلاغة على أنه « تشبيه بليغ » يعده من فن « الاستعارة » كما تقول : « زيد

أسد » فلا تريد حقيقة الأسد لمنطوقه ، وإنما تريد شجاعته اللازمة ، وتسندها الى « زيد » وتسمى هذه « استعارة » (٣) •

وأخذ بعد ذلك يبدأ فى التقسيم « الامور التى يقصد بها افادة السامع مع كلامه هى : اما تصور مفردات تسند ويسند اليها ، ويفضى بعضها الى بعض ، والدالة على هذه المفردات من الأسماء والأفعال والحروف ، واما تمييز المسندات من المسند اليها ، والأزمة ويدل عليها بتغيير الحركات وهو الاعراب وأبنية الكلمات ، وهذه كلها صناعة النحو •

ويبقى من الأمور المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين ، وما يقتضيه حال الفعل ، وهو محتاج الى الدلالة عليه لأنه من تمام الافادة واذا حصلت للتمكلم فقد بلغ غاية الافادة فى كلامه » (١) •

ويستطرد « ابن خلدون » فى بيان هذا المعنى ، وإن لكل مقام مقالا يختص به ، وأن قولهم « زيد جاءنى » مغاير لقولهم

(١) المصدر السابق ص ١٣٨٣ الاسطر من ٣ - ١٠
(٢) مقدمة ابن خلدون : الجزء الرابع ص ١٣٨٣ السطر الاخير ، ص ١٣٨٤ السطر الاول
(٣) نفس المصدر ص ١٣٨٤ السطر ٦ ، ٧

آخر الاسم دلالة زائدة على دلالة اللفظ ذاته ، وينسحب هذا على « علم النحو » •

وكذلك .. يجعل الكلام فى « علم اللغة » - معرفة نطق الكلمات وضبط اللفظ - دلالة زائدة عن دلالة اللفظ ، لكنه يجعل الكلام فى « زيد أسد » دلالة استعارية وهى زائدة كذلك عن دلالة اللفظ بمعنى أن كلمة « أسد » حين أستعيرت « لزيد » أعارته صفة زائدة عليه هو جاءته من اضافة صفة الأسدية عليه وهى دلالة زائدة على ذات اللفظ المعار - باعتباره أعير لما ليس له - لا على حقيقة ما وضع له اللفظ أصلا •

وفى « السكناية » دلالة زائدة عن دلالة اللفظ لأنها دلالة اللازم اللفظى لا دلالة الوضع اللغوى •

وكذلك « البديع » دلالة زائدة عن دلالة اللفظ لأنه من ترف الزينة وبهرجة الترصيع والتجنيس •

ثم انتقل من ذلك الى « الكناية » وبين أن « هذه كلها دلالة زائدة على دلالة الألفاظ من المفرد والمركب ، وانما هى هيئات وأحوال الواقعات جعلت للدلالة عليها أحوال وهيآت فى الألفاظ ، كل بحسب ما يقتضيه مقاومة ، فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التى للهيآت » (١) •

ومن هذه المقولة نرى أن «ابن خلدون » يجعل الكلام فى « علم النحو » من الاعراب والبناء ، وبيان الفاعل والمفعول وغير ذلك - مما هو مجال علم « النحو » - دلالات زائدة على دلالة الألفاظ •

فقولنا « محمد كريم » مثلا لها دلالة لفظية ودلالة اعرابية ، فدلالة اللفظ فى « محمد » ذات انسانية مسماة بهذا الاسم ، مخبر عنها بصفة معينة هى الكرم ، ودلالة الاعراب حركة الضم على الحرف الأخير من الاسم ، ونرى - مع ابن خلدون - أن حركة الضم على

وايجاز واطناب ومساواة ، وفصل ووصل ، وخبر وانشاء ، وتعريف وتنكير ، وتأکید وعطف الى غير ذلك ، انما يدخل — عند المتأخرين والمحدثين — تحت اسم « المعاني » .

ومعنى هذا .. أن « ابن خلدون » جعل « علم البلاغة » هو مباحث « علم المعاني » ، فالعلم — لديه — فى هذا المجال — بيان وبلاغة وبديع ، وهو ما صنف عند المتأخرين والمحدثين « البيان ، والمعاني ، والبديع » .

لكن .. هل يقصد « ابن خلدون » بعلم البلاغة هنا الاقتصار على مباحث المعاني ؟ أم هو يقصد المعنى العام ؟

لا شك فى أنه .. لو كان يقصد المعنى الأول من مطابقة الكلام لمقتضى الحال فقط لاكتفى من الموضوع كله بما يدور حول هذا المعنى وحده ، ولما تحدث عن البيان وجعله رأس الباب ، ولما تحدث عن البديع وموضوعاته ولكنه اذ تحدث عن البيان ومباحثه ، والبديع

اذن .. لم يبق لديه مما تتطابق فيه الداللتان « اللفظية والمعنوية » أو « اللفظية وحال المخاطب » غير « البلاغة » — علم المعاني — .

فهو يجعل الكلام فى علم « البيان » « البلاغة » البحث فى دلالة التراكيب دلالة مطابقة غير زائدة ، ويقصد بالمطابقة هنا .. مطابقة الكلام والتراكيب لمقتضى الحال ، وليس كذلك علم النحو ، فلا يشترط فيه المطابقة لمقتضى الحال ولا علم اللغة لأنه يبحث فى الألفاظ المجردة لا فى التراكيب ، ودلالة التراكيب هى — وحدها — التى يمكن فيها التطابق وعدمه ، وليست كذلك الألفاظ المجردة ، وليس كذلك « التشبيه والاستعارة والكناية » كما سبق .

ونظرة خاطفة على هذا التقسيم عند « ابن خلدون » تبين أنه جعل « علم البيان » مبحثه الاستعارة والكنائية ، ولكن « علم البلاغة » عنده بهذه الصورة وباعتباره يبحث فى مطابقة الكلام لمقتضى الحال من تقديم وتأخير ، واسناد ،

يمكن أن يمتزج بالأول ، فيشكللا
- معا - سببا واحدا •

« أو نقول .. لعناية العجم وهم
معظم أهل المشرق كتفسير
« الزمخشري » وهو كله مبني على
هذا الفن ، وهو أصله ، وانما
اختص بأهل المغرب من أصنافه
« علم البديع » خاصة ، وجعلوه
من جملة علوم الأدب الشعرية ،
وفرعوا له ألقابا ، وعددوا أبوابا ،
ونوعوا أنواعا ، وزعموا انهم
أحصوها من لسان العرب ، وانما
حملهم على ذلك الولوع بتزيين
الألفاظ ، وأن علم البديع سهل
المأخذ ، وصعبت عليهم مأخذ
البلاغة والبيان لدقة أنظاريهما ،
وغموض معانيهما ، فتجافوا
عنها » (٢) •

بعد هذا .. يوضح الغاية من
هذا الفن ، وأنه ليس قوانين
تحفظ ، ولا ضوابط تلمم أطراف
هذا الفن ، ولا قواعد تجمع
شتاته •

وما فيه من سجع وتجنيس وترصيع
وتورية ، فانما يقصد المدلول
الشمولي لما نقصده - الآن -
بكلمة « البلاغة » ، وهو ما كان
يقصده الأقدمون بكلمة « البيان » •

بعد هذا التقسيم .. بدأ ينشد
الى مجاله الفريد « علم الاجتماع
العمراني » وعناية أهل المشرق
بالبیان ، وانهم أقدر عليه من أهل
المغرب ، وارجع سبب ذلك الى أن
« علم البيان » كمالى فى العلوم
اللسانية « والعناية به لهذا العهد
عند أهل المشرق فى الشرح والتعليم
منه أكثر من غيره ، وبالجمله ..
فالشاركة على هذا الفن أقوم من
المغاربة ، وسببه - والله أعلم -
أنه كمالى فى العلوم اللسانية ،
والصنائع ، الكمالية توجد فى
العمران ، والمشرق أوفر عمرا من
المغرب كما ذكرناه » (١) •

غير أنه عاد فذكر سببا آخر ،
قد يظنه الباحث مغايرا مغايرة تامة
للأول ، لكنه - مع بعدا الرؤية -

(١) مقدمة ابن خلدون : الجزء الرابع ص ١٣٨٥ الاسطر من ١١ - ١٣

(٢) المصدر ذاته : ذيل ص ١٣٨٥ ، وأوائل ص ١٣٨٦

« البلاغة » فى دائرة مفهومها الضيق - حدود علم المعانى - مثلما يبدو من تقسيمه ، بل يقصد المفهوم الأرحب لجميع فنون البلاغة بالمعنى الاصطلاحي الحديث « البيان والمعانى والبديع » ، اذ بهذه الفنون - جميعا - يمكن التعرف على سر اعجاز القرآن الكريم فى المنهج البلاغى •

الاستاذ محمد عادل سليمان

بل الغاية منه ما كان - فى البداية - سبب تعلمه ، وسر تدوينه ، وذلك هو « القرآن الكريم والسنة المطهرة » ، اذ فن « البلاغة » لمسة الدخول الى معرفة سر الاعجاز - فى دلالة التراكيب القرآنية - « ثمرة هذا الفن انما هى فهم الاعجاز من القرآن » (١) • ولعلنا نستطيع أن نقرر هنا - ما سبق أن قررناه - أن « ابن خلدون » لا يقصد انحصار كلمة

((من برىء من ثلاث نال ثلاثا))

من برىء من الشر نال العز ، ومن برىء من البخل نال الشرف ، ومن برىء من الكبر نال الكرامة •

الأزهر جامعاً وجامعة أومصر في ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

(٩)

الأزهر بعد خروج الفرنسيين :

لم يكن خروج الفرنسيين من مصر نهاية لآلام الشعب المصرى • بل شهدت مصر بعدهم أربع سنوات من الفتن والاضطرابات والظلم أكثر مما شهدته في عهد الفرنسيين •

وقامت القاهرة خلالها بثلاث ثورات •

فقد كانت عناصر السلطة التى ملأت الفراغ بعد الفرنسيين ثلاثة عناصر متضاربة الأهواء والأغراض هى : الانجليز والعثمانيون والمماليك •

وكان الانجليز يقصدون الاستيلاء على مصر • ولكن لم تكن قد تهيأت لهم الأسباب بعد بالكامل • وقد اتفق فى المعاهدة المعروفة بمعاهدة اميان فى ٢٧/٣/١٨٠٢

على جلاء الفرنسيين والانجليز معاً عن مصر • وكانت أسس هذه المعاهدة قد تم الاتفاق عليها فى أكتوبر سنة ١٨٠١ قبل أن تصل لأوروبا أخبار اتفاقى جلاء الفرنسيين عن مصر •

وفعلا فى المحرم سنة ١٢١٧ هـ (مايو سنة ١٨٠٢) جلا الانجليز — بعد مطاطلة وتلكؤ — عن الجيزة حيث كان معسكرهم • ولكنهم بقوا فى الاسكندرية حتى ٢٢ ذى القعدة سنة ١٢١٧ هـ (١٦/٣/١٨٠٣) أى مكثوا فى مصر بعد خروج الفرنسيين أكثر من سنة ونصف •

أما العثمانيون فقد كانت قيادتهم فى مصر بيد يوسف باشا ضيا الصدر الأعظم وييد حسين باشا قبطان فى ناحية « أبو قير » والاسكندرية •

فتظاهر الزعيمان التركيان
— يوسف ضيا والقبطان — بالتودد
الى المماليك والتقرب اليهم • فعين
يوسف ضيا الصدر الأعظم محمد
بك الألفى أميرا على الصعيد كما
كان مراد بك فى عهد الفرنسيين •
وعين ابراهيم بك شيخا للبلد وهو
المنصب الذى كان يشغله زعيم
المماليك قبل الفرنسيين •

واطمان المماليك واعتقدوا بعودة
نفوذهم • وأنه عما قريب يخرج
العثمانيون وينفردون بالأمر •

ولكن دبر الزعيمان التركيان
بينهما مؤامرة فى جمادى الآخرة
سنة ١٢١٦ (اكتوبر سنة ١٨٠١) —
أى بعد خروج الفرنسيين بأقل من
شهرين • فدعا حسين باشا قبطان
« فى أبو قير » من فى جهته من
المماليك الى وليمة • وغدر بهم •
فقتل بعضهم وأسر الباقين •

وللاستطراد نذكر أنه كان من
ضمن القتلى ابراهيم كتحدا
السنارى • نذكره لأن بيته فى جهة
السيدة زينب أصبح الآن متحف
السنارى المعروف بمتحف نابليون

وكان المماليك — كما كانوا قبل
الحملة الفرنسية — فرقتين : الأولى
الابراهيمية بقيادة ابراهيم بك •
والثانية المرادية أتباع مراد بك •
وقد آلت زعامة المرادية بعد وفاة
مراد بك الى محمد بك الألفى •
وينافسه فى هذه الزعامة عثمان بك
البرديسى • وكان جانب المرادية
هو الأقوى • ولكن نظرا لكبر سن
ابراهيم بك فقد كان محل احترام
الجميع وكانت له الرياسة بينهم •
وكان الألفى شخصية ممتازة
بالدهاء والذكاء والجرأة والاقدام •
وكانت قواته وأتباعه يقدررون
بنصف قوات المماليك مجتمعة • وله
تأثير غريب على العربان فيأتمرون
بأمره • ولذلك كان محل غيرة
وحسد من زملائه خاصة عثمان بك
البرديسى •

ورأى العثمانيون الفرصة
سائحة لاسترجاع نفوذ تركيا كاملا
على مصر • وللقضاء على المماليك
الذين بقوتهم كانوا قد جعلوا
السيادة التركية على مصر كأنها
سيادة اسمية •

العثمانيين • فانحازوا الى الأقاليم •
وخاصة الى الصعيد كعادتهم فى
الأزمان السابقة • وخرج حسين
باشا قبطان من « أبو قير » فى
ديسمبر سنة ١٨٠١ • وحضر محمد
باشا خسرو الوالى العثمانى الجديد
فى يناير سنة ١٨٠٢ • وخرج
يوسف باشا ضيا فى فبراير سنة
١٨٠٢ •

وكان الجيش العثمانى فى مصر
مكونا من أخلاط الجنود من أنحاء
الامبراطورية العثمانية • وأهم
الفرق فيه اثنتان : الأولى
الانكشارية أو الينكجرية • وهى
عدة السلطنة التى تعتمد عليها فى
المهمات • والثانية الأرئود أو
الألبان • ويرأس الأخيرة طاهر
باشا ومحمد على •

وهذا التقسيم بوجه عام • •
ولكن ليس معناه أن كل فرقة
تتماسك مع بعضها • فكثيرا ما انضم
بعض الانكشارية الى الأرئود •
أو العكس وكثيرا أيضا ما انضم
بعض المماليك الى العثمانيين
مفارقين اخوانهم • أو انضم بعض

بحارة مونج خلف المدرسة السنية
للبنات • ومونج كان أحد علماء
الحملة الفرنسية • وكان ابراهيم
السنارى أصلا من برابرة دنقلة •
وكان بوابا بمدينة المنصورة • •
فتداخل مع الأمراء بما يدعيه من
كتابة الأحجة وضرب الرمل • وتقرب
الى مراد بك فأحبه • فعينه وكيله •
ونما أمره وعظم ثراؤه • وبنى
داره المذكورة •

وفى نفس الوقت دعا يوسف
باشا ضيا ابراهيم بك ومن كان
بالقاهرة من أمراء المماليك الى
وليمة • ولكنه اكتفى بالقبض
عليهم • وأمر بالقبض على باقى
المماليك الذين لم يحضروا الوليمة •
فهرب الكثيرون والتجأوا الى
الانجليز بالجيزة • فحموهم •
وطلب هتشنسون القائد الانجليزى
من يوسف باشا الافراج عن
الأسرى • وهدده بالحرب • فاضطر
يوسف باشا الى الافراج عن ابراهيم
بك والآخرين •

وهكذا أصبح المماليك محسوبى
الانجليز • وانكشفت لهم نوايا

رجال الجيش العثماني الى المماليك وحاربوا معهم وذلك تبعا للأهواء والمصالح الخاصة •

وأصل الانكشارية نظام أنشاء السلطان مراد الأول (٧٦١ - ٧٩١ هـ = ١٣٥٩ - ١٣٨٨ م) بأن يأخذ كل عام عددا من صبيان أسرى النصرى فى الحروب • فيلقنهم الاسلام • ويعلمهم الفنون العسكرية وأساليب القتال • ويصبجون قوة خاصة للسلطان • وكانوا بحكم تدريبهم وعناية السلاطين بهم متفوقين عسكريا • ولكن اختل نظامهم فيما بعد • فأصبحوا منبع الفتن والمشاغبات فى الدولة حتى قضى عليهم سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٦ م) السلطان محمود الثانى المعاصر لمحمد على • وقيل أصل الكلمة ينى تشرى أى العسكر الجديد • فحرفت الى الينكجيرية ثم الى الانكشارية •

ولما دخل الجنود العثمانيون مصر أخرجوا الناس من مساكنهم • وحلوا محلهم • واستباحوا الحرمات • ونهبوا الأموال •

وقتلوا الأنفس • وخطفوا النساء والغلمان من الطرقات • وسلبوا ملابس ونقود من ينفردون به • وكأنهم اعتبروا مصر دار فتح أموالها وأهلها غنيمة لهم • وإذا شكا الأهالى قيل لهم : ألا تتحملونهم وقد جاهدوا من أجلكم لاجراج الكفار !!

وخرب الجند المنازل التى ينزلونها • فيحرقون أخشابها ونجارتها للوقيد • ويملاؤها بقاذوراتهم • فإذا تم خرابها انتقلوا منها الى مساكن أخرى • فزادت المدينة خرابا فوق حرائق وتخريب الفرنسيين لها •

وتوالى فرض الضرائب على الأهالى والتجار بحجة تكاليف الجيش ومحاربة المماليك • وكان المعتاد عند الجنود اذا تأخرت مرتباتهم أو نفقاتهم « وكانوا يسمون الأولى الجامكية والثانية العلوفة » عاثوا فى المدينة نهبا وفسادا •

وتفنن الجنود فى استلاب الأهالى • فيقصون من العملة

مرارا • وكان المماليك دائما ينتصرون • فانتصروا على العثمانيين عند نجع حمادى فى سبتمبر سنة ١٨٠٢ • وهزمهم الألقى هزيمة كبرى عند دمنهور فى نوفمبر سنة ١٨٠٢ • كما انهزم العثمانيون أيضا عند المنيا فى أبريل سنة ١٨٠٣ • وغير هذا من التفاصيل التى تبعدنا عن موضوعنا الأصلي •

وكان الحال بالريف لا يقل سوءا عنه فى العاصمة • فالمماليك عصابات • اذا نزلت عصاة منهم قرية رعت زراعتها بخيولها • ونهبت ما فى أجرانها من المحاصيل ، وما فى مراعيها من أغنام ومواشى • وفرضوا على القرية الغرامات والتكاليف • وتأتى عصاة أخرى فيتكرر نفس الشيء •

ويأتى العثمانيون فى محاربتهم للمماليك فيزداد الأمر شناعة بالنهب والتعدي على الأعراض • حتى ترك الأهالى قراهم وخربت القرى والبلاد • وزاد الأمر فسادا بالعربان الذين انضموا الى المماليك فقطعوا الطرق برا وبحرا • واختلت

الفضية أو الذهبية جانبا ويطلبون من الصيارف صرفها بالكامل • فلا يستطيعون الامتناع • ويفرض بعضهم الاتاوات على المقاهى والمحلات التجارية بحجة حمايتها • فاذا دفعت الاتاوة وضع الجندى شارته على المحل وقاسم فى ايراده وأرباحه • ويركبون حمير المكارية « الحمارة » ويخرجون بها الى الخلاء • فيقتلون المكارى ويبيعون الحمار فى سوق الحمير • • وغير ذلك من ضروب النهب والايذاء •

وتعدوا الى القرى المجاورة للقاهرة • فهرب أكثر أهلها ولجأوا للقاهرة فازدادت تعاسة وازدحاما • ووقفوا فى مداخل المدينة يخطفون ما يحضره الفلاحون من سمن وجبن وبيض وخضروات وغيرها • فلا يصل للأهالى منها شئ • ثم يبيعونها لهم بأغلى الأسعار •

واستولى المماليك على أغلب الصعيد والبحيرة • يعيشون فيها وفسادا • ويصادرون المراكب بما عليها من غلال وبضائع فلا تصل الى القاهرة • وحاربهم العثمانيون

بالمدافع وأدوات الحرب • وأنشأ
فيها المقاهي والمحلات التجارية •
واستنفدت مباشرة هذه العمارة
جل وقته وكل اهتمامه •

وكان الجنود يطالبون الباشا
بمرتباتهم وثققاتهم فيقول : انكم
لا تستحقون شيئا فقد توالى
هزائكم • وكان هذا التعنت من
الباشا ضد الأرثوود خاصة •

وفى أوائل المحرم سنة ١٢١٨
(أواخر ابريل سنة ١٨٠٣) شدد
الأرثوود في الطلب فأحالهم على
الدفتردار • وكان يقيم في جهة
الازبكية أيضا • وليس في خزنته
مال • فأرسل للباشا أن الجنود
مجتمعون عنده يهددون بالثورة ،
فما كان من الباشا الا أن أطلق
مدافعه على منزل الدفتردار •
وبدأت الحرب بين الفريقين •

واتنصر جنود الباشا أولا • ثم
شغلوا بالسلب والنهب • فكسر
عليهم الأرثوود فغلبوهم • واستولى
طاهر باشا على القلعة • واطلق منها
المدافع على منزل الباشا • وزحفوا
جهة الازبكية • واستولوا على

المواصلات • واضطرب الأمن •
وانقطعت موارد المؤونة من الغلال
وغيرها عن العاصمة •

وكان الوالى محمد باشا خسرو
سخيى رأى فاسد التدبير • بدأ
أولا بداية حسنة بالتشديد فى
مراقبة الأسعار والمكايل والموازين •
ولكنه أكثر من فرض الضرائب •
وعجز عن كبح جماح الجنود •
أو كان هذا على هواه • ثم انهزمك
أخيرا فى عمارة أجراها فى سكنه
بالأزبكية • وهو قصر الألفى الذى
نزاه القواد الفرنسيون أثناء
وجودهم • وكانت الفتن قد خربت
أجزاء منه • كما تخربت مجاوراته •
فأخذ فى تجديده • وأنشأ بجواره
مبانى عديدة سموها بالقشلة
« جمعها قشلات • بكسر القاف •
وهى محل إقامة العسكر • وقال
الجبرتى فى تاريخه طبعة الشعب
ص ٩٥١ ان معناها المكان الشتوى
لأن الشتاء بالتركية معناها قش »
لتكون لحرس خاص به أنشأه من
العبيد السود على النظام الجديد
مثل الفرنسيين • وزود هذه القشلة

أمراء المماليك لا يكفون يرسلون
في طلب الصلح باعطائهم مساحات
معينة يعيشون فيها ويدفعون
ضرائبها وخراجها ويخضعون لأوامر
الدولة • ويوسطون في هذا
العلماء • ولكنهم كانوا يبالغون
في طلباتهم فلم يتم أى اتفاق •

العلماء يعينون طاهر باشا قائمقاماً

وبعد ستة أيام من بدء هذه
الفتنة التى انتهت بهرب خسرو باشا
اجتمع العلماء فى بيت القاضى فى
١٤ المحرم سنة ١٢١٨ (٥/٦ /
١٨٠٣) وذهبوا الى منزل طاهر
باشا بغيظ العدة (بالقرب من باب
الخلق) وعينوه قائمقاما لحين
ورود الأوامر من استانبول •
وأرسلوا للدولة هناك بذلك •

وفى تعيين العلماء لطاهر باشا
مظهر من مظاهر المركز القوى الذى
كان يتمتع به علماء الأزهر وان كان
هذا شكليا أو ظاهريا • فطاهر
باشا وصل الى مركزه بحد
السيف •

بولاق وجهة القصر العينى • وكان
بالقصر طائفة من عبيد الباشا
فأخذوهم أسرى • ونهبوا بيت
السيد أحمد المحرقى وهو بيت
البكرى القديم • وبجواره المنزل
الذى به حريم الباشا فنهبوه أيضا •
وكان الباشا قد أرسل فأخرج
الحريم بما عليهن من ثياب فقط •
واخترق بيت الباشا وما أنشأه حوله
من المباني • واضطر للفرار الى
جزيرة بدران ومنها الى القليوبية
ثم الى دمياط •

وأصبح طاهر باشا سيد
الموقف •

وكان طاهر باشا قد أرسل الى
أمراء المماليك أن يحضروا قريبا من
القاهرة ليستعين بهم اذا تطور
الموقف مع خسرو باشا • وكان
محمد بك الألفى قد خرج مع
الانجليز فى مارس سنة ١٨٠٣
ليسعى فى لندن أن يحكم المماليك
مصر تحت الحماية البريطانية •
وأناوب عنه فى رئاسة مماليكه أحد
صناجقه المسمى بشتك • وكان
يطلق عليه الألفى الصغير • وكان

وحضرت طائفة منهم فى
(١٨٠٣/٥/٢٦) الى منزل طاهر
باشا مطالبين . فلما اشتد الجدل
بينهم أخرج أحدهم سيفه وطوح به
رأس طاهر باشا ورماها من الشباك .
ونهبوا الدار وما حولها من الدور
بغيط العدة والجبانة حتى درب
الجماميز . وازدادت الفتنة بين
الأرتوود والانكشارية .

ولم يمكث طاهر باشا فى حكمه
غير عشرين يوما .

وكان بالقاهرة أحد الباشوات
اسمه أحمد باشا معينا لولاية المدينة
المنورة . ورغب الانكشارية فى
تعيينه واليا على مصر . فاستدعى
الشايف وطلب منهم مخاطبة
محمد على فى ذلك . وكانت
لمحمد على زعامة الأرتوود بعدمقتل
طاهر باشا . فرفض محمد على
بحجة أن أحمد باشا والى المدينة
ولا علاقة له بمصر . وراسل
محمد على أمراء المماليك وكانوا
قد وصلوا الى الجيزة . فأرسل
ابراهيم بك الى أحمد باشا يطلب
منه تسليم قاتلى طاهر باشا . وحدد
له مهلة ساعات . فاضمحل أمر

وفى أثناء المعركة كان طاهر باشا
يمر فى المدينة يطمئن الأهالى أن
هذه معركة بين الجنود ولا دخل
للرعية فيها .

وشمخت أنوف الأرتوود بعد
فرار خسرو . وتعالى طاهر باشا
وأخذ فى الانتقام من الانكشارية
ومن المواليين لخسرو فصادر
الكثيرين وفرض الغرامات الكبيرة
على آخرين . وأرسل حملة وراء
خسرو باشا بقيادة أخيه حسن
بك .

مقتل طاهر باشا :

وكانت هناك طائفة من
الانكشارية معدة للسفر للحجاز
لجرب الوهابيين . وكانوا معسكرين
بجامع الظاهر بجهة الحسينية بأول
العباسية . وكان الفرنسيون قد
حولوه الى قلعة باسم سلكوسكى
Sulkouski أحد قوادهم الذين
قتلوا فى ثورة القاهرة (الأولى) .
وكان الانكشارية عندما يطالبون
بمرتباتهم المتأخرة يقول لهم طاهر
باشا : ليس لكم عندى الا من تاريخ
ولايتى . وما قبل ذلك اذهبوا
وطالبوا خسرو .

وخرجت حملة وراء خسرو باشا
يرأسها محمد على وعثمان البرديسى
وأمكنها هزيمته عند دمياط •
وأرسلوه أسيرا الى القاهرة فأنزلوه
بدار البرديسى التى محلها الآن
المدرسة السنية بالسيدة زينب ••
أما محمد على والبرديسى فقد اتجها
بعد ذلك الى جهة رشيد •

وارتكب الجنود والمماليك فى
هذه المطاردة الكثير من الشناعات •
سواء جنود خسرو باشا الذى كان
فى طريقه الى دمياط يفرض على
القرى والبلاد الضرائب والغرامات،
أو جنود حسن بك أخى طاهر باشا
فقد ارتكبوا فى فارسكور الكثير
من النهب والحريق والفسق
بالنساء • أو جنود محمد على
والبرديسى فقد قال عنهم الجبرتى :
« ونهبوا دمياط • وأسروا النساء •
وافترضوا الأبيكار • وأخذوهن
أسرى • صاروا يبيعوهن لبعضهم •
وأخذوا مما على أجساد الناس من
الثياب • ونهبوا الخانات والبيوت
والوكائل وجميع أسباب التجار •
وما فى المراكب • الخ • والأمر
لله وحده » اهـ •

أحمد باشا • وخرج من القاهرة •
والتجأ الى قلعة الظاهر مع
الانكشارية •

وركب المشايخ والأعيان الى
الجيزة • فسلموا على ابراهيم بك
وامراء المماليك • ودخل الأمراء
القاهرة ولم يدم حكم أحمد باشا
غير يوم وليلة •

ونزل الأرثوود من القلعة •
واستلمها المماليك • وأخرجوا
الانكشارية من المدينة ثم أخرجوا
من كان منهم بقلعة الظاهر مع
أحمد باشا وكان عددهم ٢٥٠٠ •

وكتب العلماء للدولة فى
استانبول بملخص ما حصل فى
القاهرة بين طاهر باشا وخسرو
باشا • ثم قتل الانكشارية لطاهر
باشا • ونهبهم للمدينة ولولا
وجود المماليك بقربها ودخولهم فيها
لتم خرابها • وعندما نقول العلماء
أو المشايخ نعنى الظاهرين منهم
المشتغلين بالنواحي السياسية •
وغالبا كان باقى العلماء يوافقون
على قرارهم •

العلماء يعينون

ابراهيم بك قائم مقام

واجتمع العلماء والقاضى ببيت
 بنت ابراهيم بك بدرب الجماميز
 فى ١٨ ربيع الأول سنة ١٢١٨
 (١٨٠٣/٧/٧) وعينوا ابراهيم
 بك قائم مقاماً . وهكذا نرى العلماء
 يقررون ثانية مركز السيادة فى
 مصر .

ولم تكن الدولة فى استانبول
 قد علمت بمقتل طاهر باشا . فوصل
 منها خطاب (أخفاه الأمراء ولم
 يعلنوه) فيه تعيين خسرو باشا
 واليا على سلا نيك . واستقرار
 طاهر باشا محافظا حتى يصل من
 تعيينه واليا على مصر . ولم تعين
 طاهر باشا لأن سياسة الدولة كانت
 عدم تعيين الأرثوود ولاية .

وعينت الدولة من يدعى على
 باشا الطرابلسى . فوصل
 الاسكندرية فى ١٠/٧/١٨٠٣
 فأرسل الى أمراء الممالك يستميلهم
 الى جانبه بمعسول الألفاظ . وأنه
 لا يليق دخولهم القاهرة بدون اذن
 الدولة ويطلب خروجهم منها فأجابوه

بمثل قوله . وأنه لولا وجودهم
 لخربت المدينة . وأنهم أرسلوا
 للسلطان يطلبون العفو وينتظرون
 الجواب .

ونادى والى القاهرة (وهى
 وظيفة غير والى مصر العثمانى)
 بخروج الأتراك والأغراب من
 الشوام وغيرهم فى ظرف ثلاثة أيام .
 فخرجوا . فى أسوأ حال بعد أن باعوا
 ثيابهم ومتاعهم .

وفى رشيد انتصر البرديسى
 ومحمد على ، على السيد على باشا
 قبطان المتولى عليها من قبل أخيه
 على باشا الطرابلسى . وأرسله
 أسيرا الى القاهرة فأنزله فى
 احدى الدور وأعطوه سرية بيضاء ،
 وجارية حبشية وجاريتين سوداوين
 للخدمة ورتبوا له ما يليق !!
 وظل أسيرا حتى خرج من مصر فى
 أبريل سنة ١٨٠٤ بعد التغلب على
 أخيه .

وذهب محمد على والبرديسى
 الى دمنهور ليذهبا منها للاسكندرية
 لقتال على باشا الطرابلسى . وفرضا
 على رشيد ودمنهور ومجاوراتهما من

رفع المظالم ورددها والتوبة عنها •
فقال : ان هذا لا يمكن • ولا
يتصور • ولا أقدر عليه ولا أحكم
الا على نفسى • فقالوا : اذن نهاجر
من مصر • قال : وأنا معكم •
وانصرفوا بدون نتيجة •

ووصل البرديسى ومحمد على
الى القاهرة فى أواخر سبتمبر
سنة ١٨٠٣ • ودخل البرديسى الى
منزله بعد أن نقلوا منه خسرو باشا
الى منزل صغير آخر بجواره •

وتشاور الامراء فى مرتبات
الجند فقرروا مبلغا اختصاصوا
أنفسهم بجانب يسير منه • ووزعوا
الباقى على أصحاب العقارات
والتجار والحرفيين وغيرهم حتى
ضج الناس •

وكان على باشا الطرابلسى فى
الاسكندرية قد جمع علماء المدينة
هناك • وأراد أن يستكتبهم تقريرا
للدولة يذكر فيه الأحوال على غير
حقيقتها • فلم يوافقوه • وكان
المتصدر لهذا الامتناع الشيخ محمد
المسيرى •

والمذكور كان أحد علماء
الاسكندرية • وكان نابليون عينه

البلاد المبالغ الكبيرة حتى
خرب اقليم البحيرة عن آخره كما
ذكر الجبرتى • ولكن لم يذهبوا
للاسكندرية لما تبين لهما من
صعوبة الاستيلاء عليها • ولألحاح
الجنود فى مرتباتهم المتأخرة • أما
ما حصلوا عليه من النهب والسلب
فلا يدخل فى الحساب •

ومما يروى فى هذا الصدد بما
يدل على نفسية الحاكمين وقتذاك •
أنه قد انحطت مياه النيل فى
سبتمبر سنة ١٨٠٣ فاخفت الغلال •
وأخذ الأمراء يستولون على ما يرد
منها فى المراكب لأنفسهم فلا يصل
منها الى الأسواق الا القليل •
ويعرض لمدة ساعتين تقريبا يوميا •
ولا يستطيع الغنى أن يشتري أكثر
من أردب والفقير أكثر من وية
(الوية كيلتان) •

واجتمع العلماء وتشاوروا فى
الاستسقاء بالخروج الى الخلاء
والدعاء لله تعالى بنزول المطر
أو زيادة ماء النيل • فذهبوا الى
ابراهيم بك فقال : وأنا أحب هذا •
قالوا : ولكن من شروط الاستسقاء

والعثمانيون • • وأتم عثمان بك
البرديسى عمارة منزله المذكور بأول
الناصرية • وعمل فيه أبراجا نصب
فيها المدافع حتى أصبح قلعة
حصينة • كما حصن القلعة التى
كانت للفرنسيين فوق تل العقارب
(بحى المنيرة حوالى كلية دار
العلوم) •

وكان محمد على حضيف
الرأى • يمهّد لنفسه فى بطن
وأناة • فاتحد مع المماليك •
وخاصة مع عثمان بك البرديسى
فهو أقواهم لغياب محمد بك الألفى
فى انجلترا • وهذا ليتحمل المماليك
وزر الضرائب المتكررة على الأهالى
وفى نفس الوقت كان محمد على
يتقرب للعلماء وللشعب متظاهرا
بالعدل والاعتدال والتعفف عن
الرياسة •

وحضر خطاب من على باشا
الطرابلسى بأن الدولة أرسلت له
بالعفو عن أمراء بشفاعته وشفاعة
الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا •
وبترتيب مقررات لكل أمير منهم •
فابتهج الأمراء وأطلقوا المدافع •
وأرسلوا للباشا بطلب حضوره •

ضمن الديوان الذى شكله هناك
بمجرد وصوله من سبعة أعضاء
برئاسة السيد محمد كريم •
والمسيرى نسبة الى مسير من بلاد
كفر الشيخ • وذكر على باشا مبارك
فى ترجمته (ج ١٥ ص ٤٤) أنه
أرسل فى أكتوبر ١٨٠٢ تقريراً
الى نابليون عن الحالة فى مصر
ويافا وعكا ودمشق والحجاز
وغيرها • مما يدل على ولائه
للفرنسيين ، وأن هذا الولاء استمر
بعد خروجهم من مصر • ولعل هذا
كراهة فى العثمانيين •

وفى القاهرة استكتب الأمراء
العلماء مكتوباً لعلى باشا الطرابلسى
أن يحضر للقاهرة لتبطل الحروب
وتمتنع الغرامات التى تفرض
بسببها • وأن تأخير حضوره يضر
بالأمن • وربما أدى الى تعطيل
الحج •

وبدا على المدينة نوع من
الاطمئنان • فقد خرج منها أغلب
الجند ولم يبق الا الأرثوود وبعض
الانكشارية ، فأخذ الناس يعمرن
الدور التى خربها الفرنسيون

البرديسى فعسكر بجوار الألفى •
ولا نطيل فقد تغلبوا عليه • وسلم
نفسه للأمراء • فأمرؤا جنده
بالخروج من مصر من الجهة
الشرقية • فلما وصلوا الى الصالحية
بالقرب من بلبس انقطع خبرهم •
والأرجح أنهم أبادوهم • وكان
عددهم ٢٥٠٠ جندى •

وبعد ثلاثة أيام أمرؤه بالخروج •
وأرسلوا معه قوة من المماليك •
وعند القرين قتلوه • ووصل الخبر
بذلك للقاهرة فى ٢/٢/١٨٠٤ من
المماليك المرافقين له وبأنه أراد
مباغتتهم ليلا فحاربوه • وقتل أثناء
المعركة عفوا بدون قصد (والليل
ليس له صاحب ، وكان ذلك
مقدورا • وفى الكتاب مسطورا)!!
واستقر الأمر للمماليك ثانية
فى مصر • واعتقدوا أن الحال
يدوم • ولكن لله فى تديره
شؤون •

عودة الألفى والمؤامرة عليه

وتدهور حال الممالك :

وعاد محمد بك الألفى من
انجلترا ووصل رشيد فى فبراير

وحمل هذه الرسالة ثلاثة يمثلون
الواقع فى القاهرة • كتخدا - أى
وكيل - ابراهيم بك كأنه عن
الممالك • وباشجاویش الانكشارية
كأنه عن الجنود • والسيد محمد
الدواخلى عن الشيخ الشرقاوى
شيخ الأزهر كأنه عن العلماء •
والدواخلى أحد أعضاء الديوان
الخصوصى الأول والديوان
العمومى الثانى فى عهد الفرنسيين •
وسنجد له دورا فى عزل السيد
عسر مكرم من نقابة الاشراف كما
سنذكر باذن الله •

واشترط الأمراء على الباشا أن
يحضر عن طريق البر • وكانوا قد
ضبطوا مراسلات منه الى محمد
على الأرثوود يستميلهم اليه
ويطلب تأييدهم فى القضاء على
الممالك • كما ضبطوا مراسلة الى
الجند بالصعيد • وأطلعهم محمد
على ، على خطاب على باشا •
واتفق معهم على مسيرته حتى يتم
الايقاع به فقرروا الغدر به •

ولما وصل الباشا الى شلقان
(فى محافظة القليوبية) عسكر
أمامه الألفى الصغير • وخرج

وخرجت قوات المماليك بالقاهرة
يبحثون عن الألفى الكبير فى
القليوبية والشرقية • وأرسلوا الى
أعوانهم فى الصعيد بمحاربة الألفى
الصغير •

وطالب الجند بمرتباتهم •
 واجتمعوا بمنزل محمد على •
 وهددوا بنهب المدينة • فقرروا
مبالغ على كتبة الأقباط • ولم يكتف
الجند بهذا • وأرادوا الاستيلاء
على القلعة وبها المماليك فلم يتمكنوا
ونزلوا المدينة فأغلقت الحوانيت
وتعطلت الأسواق • فاضطروا الى
فرض ضرائب جديدة • وكانت هذه
هى القشة التى قصمت ظهر الجمل
كما يقولون • فلم يقبلها الأهالى
الذين وصلوا الى حالة بالغة من
الضنك •

ثورة القاهرة الأولى :

وقامت القاهرة بشورتها الأولى
ضد المماليك فى ٢٥ ذى القعدة سنة
١٢١٨ هـ (١٨٠٤/٣/٧ م) ومشى
الناس فى مظاهرات • وخرجت
النساء وقد صبغن أيديهن بالنيلة
وبها الدفوف يندبن بالدعاء على

سنة ١٨٠٤ • فتحركت عوامل الغيرة
والحسد فى نفوس الأمراء بالقاهرة •
وأزكى محمد على هذا الشعور
بأيحائه • فاستقر رأيهم على اغتياله
فى طريقه الى القاهرة • وخرج
البرديسى وطائفة من الأمراء لعمل
كمين له • ولكن أحس الألفى
أخيرا بالمؤامرة • فأمكنه الهرب
والاختفاء فى أحد نجوع العرب
فى الشرقية • بعد أن نهبوا قافلته
وما فيها من التحف والذخائر التى
عاد بها من انجلترا • وأخذوا
يقتلون من يستطيعون قتله من
أنصاره ومماليكه • وهرب الباقون
وعلى رأسهم الألفى الصغير الى
الصعيد • وكالمعتاد فرضوا فى
طريقهم الغرامات على القرى •
والقرية التى تعصى أو تتوانى
تنهب وتحرق •

وكان هذا الانقسام بين المماليك
يبدء تدهورهم • وموافقا لأغراض
محمد على • فقد كان يحسب
حساب الألفى من دونهم جميعا •
لما له من الشخصية والدهاء والذكاء
فضلا عن كثرة مماليكه وأتباعه •

حسبما « رسم » محمد باشا
« خسرو » ومحمد على . وذهب
المشايع الى محمد باشا خسرو
يهنئون بالسلامة وبالولاية !!

وكان خروج الأمراء فجائيا . فلم
يستطيعوا أخذ شيء يذكر من
أموالهم . . ونهب الجند بيوتهم .
وسبوا حريمهم وجواريتهم . وخربوا
الدور . واستولوا على ما كان
بحواصلهم من الغلال وأنواع
المؤونة . وقال الجبرتي : ولولا
انشغال الجند بالنهب لما نجا أحد
من الأمراء . وكما كان خروجهم
فجائيا . فقد كان هذه المرة نهائيا .
فلم يعودوا ثانية الى القاهرة الا
تابعين أذلاء . وأخذ شأنهم في
الاضمحلال .

ورأى محمد على أن وقته لم
يكن قد آن أوانه بعد . كما رأى
أن في ولاية خسرو باشا خطر
انقسام الجند . فأخوه طاهر باشا
لا يرضون عنه لما سبق من الحوادث
التي أدت لقتل أخيه . فأخرجه
الى استانبول بعد اسبوع .

وأرسل محمد على والعلماء الى
أحمد باشا خورشيد والى

المماليك ويصرخن : « ايش تأخذ
من تفليسى يا برديسى » . وأغلقت
الحوانيت . وذهب الناس الى
العلماء بالجامع الأزهر .

وخاف الجند من الأهالى
فأخذوا يذكرون لهم أنهم فقط
يطالبون بمرتباتهم وهى على الأمراء
وليست على الشعب . وغضب
البرديسى لعدم تنفيذ أوامره
بالنسبة للضرائب . ولتحدى
الأهالى وشغب الجند ، فأرسل الى
أمراء المماليك بالأرياف بالحضور
لمساندته مقاومة الجند وشعر
الأرتوود بذلك فاجتمعوا بالأزبكية
. . وزحفوا على منزل البرديسى
بالناصرية . فخاف وهرب . فنهبوا
داره وتتبعوا دور الأمراء بالنهب
والحريق . وهرب ابراهيم بك
وباقى الأمراء . واستلم الجند
القلعة . وطلع محمد على اليها .

ومر محمد على بالأسواق ومعه
الوالى السابق محمد باشا خسرو ،
— بعد أن ظل معتقلا ثمانية
شهور — وأمامهما المنادى ينادى
بالأمان . وبالنساء التقليدى :

الباشا فى جمع المال • حتى انه قبض على الست نقيسة أرملة مراد بك • وكانت ذات مقام معتبر احترامها الفرنسيون ومن تبعهم من الولاة • وتعد السيدة الاولى فى القاهرة • وادعى أن جارتها اتصلت بالمماليك • وكانت تهمة باطلة المقصود منها تقرير مبلغ عليها •

وشاع الخبر فذهب القاضى والشيخ السادات والسيد عمر مكرم نقيب الاشراف والشيخ محمد الأمير أحد كبار العلماء • وكلموا الباشا فى أمرها فقال : انها اتصلت ببعض الجند وعرضت عليهم القيام بدفع علوفاتهم (نفقاتهم) نظير مساعدتهم للمماليك ومادامت تستطيع ذلك فيجب عليها دفع العلوفات • فعارضوه ببطلان التهمة فلا مصلحة خاصة لها مع المماليك • فليس لها فيهم زوج أو أخ أو قريب • وأن مالها قد نضب معينه بما توالى عليها من الغرامات • وقال الشيخ الأمير للترجمان - وكان الوالى لا يتكلم العربية كأغلب الولاة - ان هذا التصرف يترتب عليه فساد الأمور • وأن

الاسكندرية (كان العثمانيون بعد خروج الفرنسيين قد خصصوا الاسكندرية بوال خاص غير والى مصر » ليتولى ولاية مصر حتى يرد تقرير الدولة بما تراه • ووصل خورشيد باشا الى بولاق فى ٢٦ مارس ووصل التقرير بولايته فى ٣/٥/١٨٠٤ •

وبدا عهد جديد :

وخرج محمد على لمحاربة المماليك • وكان الألقى الكبير قد ظهر • ولكن لم يستطع المماليك توحيد صفوفهم • بل ظل الشقاق والتناحر بينهم لما أراده الله من القضاء عليهم • وطالت الحروب بين عسكر الباشا والمماليك • ذقت البلاد فى هذه الحروب الأمرين • من النهب والسلب والحريق والتعدى على الأعراض • وكان المماليك يتقدمون تارة حتى يصلوا الى مشارف القاهرة • ثم ينسحبون ثانية أمام الجند • وفى كل خطوة من الفريقين الدمار والخراب •

وفى القاهرة استمر فرض الضرائب والمصادرات • وشهر

الضريبة بعد يومين • ونادى المنادى
بذلك • ونجحت الثورة •

وهى لم تكن ثورة بقدر ما هى
مظاهرة • ولكن أمثال هذه
الحركات أكسبت الشعب ثقة فى
نفسه وفيما يستطيع أن يفعله •

وفكر الباشا فى الخروج بنفسه
ومعه العلماء لحرب المماليك •
فاعترضوا بأنه لو هزم وهم معه
فمن يسوس الشعب ؟ وربما كان
هذا السبب صحيحا • أو حجة
لاقتناعهم أنه لا معنى لاشتراكهم
فى هذه الحروب •

ولا نطيل فى وصف ما جرى •
فالأرياف خراب بما تعانيه من
حروب وسلب ونهب • فقد ذكر
الجبرتى عن اقليم القليوبية مثلا
(لم تبق به الا خمس وعشرون
قرية بها بعض السكان والباقي
خراب ليس بها ديار ولا نافخ
نار) أما العاصمة فمهتدة بالمجاعة
لنقص ما يردها من الأقوات •
وانعدم فيها الاطمئنان والاستقرار
بكثرة الضرائب وتعدى الجند •
فلم يترك الباشا طائفة دون أن

المشايع يتحملون اللوم أمام الله
والشعب • فان كان كذلك فنحن
لا علاقة لنا بأى شئ ونخرج من
هذه البلدة • وقام غاضبا •
فاستمهلوه • وتقرر أخيرا نزولها
فى بيت السادات • وهذا التهديد
من الشيخ الأمير فى مواجهة الوالى
يدل أيضا على مكانة العلماء •

ثورة القاهرة الثانية :

وفرضت الضرائب فى أواخر
مايو سنة ١٨٠٤ على أرباب
الحرف والصنائع • فثار الناس فى
٢٧ منه • وأغلقوا الحوانيت •
وذهبوا بجمعهم الى الجامع
الأزهر • وصعدوا الى مناراته يدعون
ويصرخون • وأرسل خورشيد باشا
الى السيد عمر مكرم بطلب تهدئة
الحال • وقال الرسول انهم رفعوا
الضرائب عن الفقراء • فقال النقيب
ان أصحاب الحرف أيضا فقراء بعد
ما قاسوه من القحط والكساد
واضطراب الأحوال •

ومر والى القاهرة بالمدينة يطلب
فتح الدكاكين • فلم يستجب له
أحد • فاضطروا أخيرا الى الغاء

يفرض عليها الضرائب • ففضلا عن أصحاب العقارات والحرفيين والتجار • فقد فرض الضرائب على اليهود وكتبة الأقباط وتجار البن وكل من تتوسم فيه القدرة على الدفع •

وجرت مراسلات بين الباشا والممالك دون نتيجة • ووعده الباشا الألفى بولاية خراجا والجهات القبلية فلم يقبل بحجة انهم تعرضوا لحريم الممالك بالقاهرة وتوالت الرسائل من الممالك الى المشايخ يوسطونهم فى الصلح •

وعين الباشا محمد على لولاية جرجا • ووقعت عدة حروب بينه وبين الممالك • تارة له وتارة عليه • وكان كثير منها بمشارف القاهرة عند شبرا وأبى زعبل والخانكة وطرا • واستقدم خورشيد باشا عساكر جدد يتقوى بهم ضد الممالك من ناحية • وضد محمد على الذى كان يتخوف منه من ناحية أخرى • وكان من ضمن العسكر الجدد طائفة تسمى الدلاة • قيل عددهم ١٢٠٠٠ جندى وهم من المتطوعين — أى فرق غير نظامية — وأصلهم

غالبا من أكراد سوريا • وعرفوا بالشجاعة والتهور • فالمعنى اللفظى لكلمة ديلى (مفرد دلاة) هو المجنون • فلما وصل الدلاة الى الصالحية طالبوا بالنفقات والذخيرة، ففرضت الضرائب لذلك • ثم لما نزلوا بالقاهرة أخرجوا الناس من مساكنهم بمصر القديمة وبولاق وبركة الفيل • وسكنوا فى الدور يخربونها كما سبق ذكره عن العثمانيين • وانبثوا فى الأسواق ينهبون ويسلبون ويفسقون •

الثورة الثالثة للقاهرة ومقدماتها

وأنزل الباشا قوة منهم جنوبى البساتين قرب المعادى لتسد الطريق على محمد على فى عودته • وعلم محمد على بما يدبره الباشا له فعاد من الصعيد ومعه حسن باشا أخو طاهر باشا • وأمكنه اختراق هذا الحصار • فقد لاطف العسكر بأنه وجنوده حضروا للمطالبة بعلوفاتهم المتأخرة • فأفسحوا لهم الطريق • فهم يقتنعون بحق هذه المطالبة • ولو منعوهم هذا الحق لجاء دور غيرهم فى منعهم أيضا •

وكان خورشيد باشا قد سعى لتعيين محمد على واليا على جدة ليتخلص منه، ووصل القرار بذلك. وطلب حضوره للقعة ليخلع عليه خلعة الولاية. ولكن محمد على بحرصه رفض ذلك. وأخيرا اتفقوا أن يلبسه الخلعة فى بيت أحد كبراء العسكر بالمدينة.

وازدادت حركة التذمر اتساعا. وظهرت كراهية الشعب لحكم خورشيد باشا. واجتمع المشايخ ونقيب الأشراف وذهبوا الى بيت القاضى (المحكمة العليا تقريبا) وطلبوا حضور رجال الدولة الى مجلس الشرع - أى لمحاكمتهم. وحددوا شكواهم بتعدى العسكر على الناس. وايدأئهم واخراجهم من بيوتهم. وازدياد الضرائب. ومصادرة الاموال. وغيرها من الأسباب. فطلب الباشا مشن القاضى والمشايخ حضورهم عنده. ولكنهم رفضوا.

العلماء يعينون محمد على واليا

وفى عصر اليوم التالى. أى فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٢٢٠هـ

وعقد الباشا اجتماعا من العلماء ونقيب الاشراف ورؤساء الجند وكبار الموظفين. وقال لهم ان محمد على وحسن باشا رجعا من الصعيد بغير اذن. فاما أن يعودا اليه أو يخرجوا بقواتهما من مصر. وأن عنده التفويض من الدولة أن يعطيها المناصب والولايات خارج مصر. وقال للمشايخ: أتمم تكونون معى وتقيمون عندى. فقال النقيب ان المشايخ الشرفاوى والمهدى والبكرى غائبون. فقال نرسل باحضارهم. وتقرر أن يبيت عنده بالقعة كل ليلة اثنان من المشايخ.

وحضر أهالى مصر القديمة يشكون للمشايخ أفعال الدلاة بدورهم وأموالهم ونسائهم. فكلموا الباشا فأمرهم بالكف وترك المنازل لأربابها. فلم يمتثلوا فكرر المشايخ عليه الموضوع. فقال هم خارجون بعد ثلاثة أيام. فأضرب العلماء عن اعطاء الدروس. وأغلقت الحوانيت. وزاد الضجيج بالشوارع والطرق.

ونادى المنادى فى المدينة بعزل
أحمد باشا خورشيد وولاية
محمد على .

ورفض خورشيد هذا القرار
لأنه معين من السلطان فلا يعزل
من الفلاحين .

وسنرى فى المقال التالى باذن
الله كيف تطورت الامور حتى
استقرت أخيرا لمحمد على بدون
منازع .

محمد كمال السيد

(١٣/٥/١٠٥ م) ذهب المشايخ
الى بيت محمد على وأبلغوه قرارهم
بعزل خورشيد باشا . فسألهم :
ومن ترغبون أن يكون واليا مكانه .
فقالوا : « لا نرضى الا بك
- بشروطنا - لما تتوسمه فيك من
العدالة والخير - الجبرتى ص
٦٢٨ - من طبعة الشعب » .
فقبل بعد تمنع .

وقام الشيخ الشرقاوى والسيد
عمر مكرم فألبساه كركا وققطانا

افضل الاصحاب

- قيل للنبي عليه السلام : أى العمل افضل ؟
قال : اجتناب المحارم ، ولا يزال فوق رطباً بذكر الله .
قيل : أى الاصحاب افضل ؟
قال : الذى اذا ذكرت اعانك واذا نسيت ذكرك .
قيل : أى الناس شر ؟
قال : العلماء اذا فسدوا .

بردة جديدة

للأستاذ السيد حسن قرون

من تشريع وما رسمه من مكارم الأخلاق ، ولكن البردة بقيت لها اشراقاتها وعطاؤها حتى جاء العصر الحديث فعاد بها الى نهجها الأول وهو مدح الرسول ، وذكر مولده وصباه وتحشه وبعثته ودعوته ، وجهاده فى مكة والمدينة حيث الغزوات والتشريع لكل مناحى الحياة وشئون الحكم ، ولم ينس أحد منهم معجزته الكبرى « القرآن الكريم » .

تجد ذلك عند البارودى كما تجده عند شوقى ، والتاريخ يذكر أن مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نوعان : نوع قيل فى حياته من شعرائه وعلى رأسهم حسان بن ثابت ، ومنهم كعب بن زهير صاحب قصيدة « بانث سعاد » ونوع جاء بعد دهر

طلعت علينا الأهرام فى « الفكر الدينى » فى صبيحة الجمعة ١٩٧٩/٦/٢٢ بقصيدة « محمد رسول الله » للدكتور حسن ابراهيم أستاذ الجراحة بكلية الطب ، وعضو المجمع اللغوى . وهى قصيدة تضاف الى المدائح النبوية و « بردة جديدة » تنتهج الصورة التى اتخذها الشاعر الصوفى (البوصيرى ٦٠٨ - ٦٩٥ هـ) من وزن وقافية ، وبردة البوصيرى حالفها التوفيق فجاءت حبيرة الى النفوس ، قريبة من القلوب ، والذين جاءوا بعده حاكوه وجعلوها مأمهم ، وبعضهم اتخذ منها سبيله الى نظم البديع ، كل بيت يحمل نوعا منه وصفة من صفات الرسول وتسمى تلك القصائد « البديعيات » تشتمل على حياة الرسول وما أداه للبشرية

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم ؟
أم هبت الريح من تلقاء كاطمة
وأومض البرق في الظلماء من اضم ؟

فدو سلم ، وهبوب الريح ،
وايماض البرق مما اشترك فيه
الشاعران مع وحدة الوزن والقافية ،
فليس عجيباً أن يجيء شعراؤنا
في العصر الحديث ، ويسيروا على
هذا النهج من اتخاذ الشكل
والمضمون ، ورائد الشعر الحديث
(البارودي) لم يفته أن ينظم بردة
واذ سماها « كشف الغمة في مدح
سيد الأمة » وجعلها بمطلع فيه
العلم وذو سلم ورائد البرق
قال :

يا رائد البرق يمم دارة العلم
واحسد الغمام الى حي بذي سلم

وعلى هذا الدرب قال أحمد
شوقي في « نهج البردة »
مبتدئاً :

ريم على القاع بين البان والعلم
احل سفك دمي في الاشهر الحرم

ولكن صاحب البردة الجديدة
الدكتور حسن ابراهيم نزع منزعا
آخر تجلّى فيه التخلي عن الغزل

طويل حين نشأ التصوف ، وغلبت
على النفوس الناحية الروحية ،
بالتقرب الى الله والتشفع برسوله .
أما ما قيل بعد وفاته مباشرة فهو
من باب الرثاء .

وبعض النقاد يرى أن هذا النوع
من الشعر أساسه « بانت سعاد »
لكعب بن زهير ، وهو رأى لا
يدفع ولكن ما روى من شعر على
الصورة التي نعهدها في البردة من
الاتفاق في الوزن والقافية الميمية
المكسورة يدعونا الى أن نقول :
إن شعراء كثيرين سبقوا
البوصيري الى تلك الصورة .
يقول الدكتور زكي مبارك - رحمه
الله - « أغلب الظن عندي أن
البوصيري استأنس في نظمها
بميمية ابن الفارض ، ودليل ذلك
تشابه المطلعين ، فإن مطلع قصيدة
ابن الفارض :

هل نار ليلى بدت ليلاً بذي سلم
أم بارق لاح في الزوراء فالعلم
أرواح نعمان هلا نسمة سحرا
وماء وجرة هلا نهلة بغم
ومطلع قصيدة البوصيري :

بالأماكن التي جاءت في قصائد من سبقوه ، وهذه الأماكن حبيبة الى النفس يتشوف اليها المسلم وعلى ذكرها يشواق ، وكم كنت أود لو أن باحثا - ولو من سكان الحجاز - يرسم لنا «خريطة» يبين لنا فيها تلك الأماكن التي ذكرت حبا في الرسول وكلنا بيتته التي نعمت به ظاعنا ومقيما • فحين نقرأ شعر الشعراء الذين تغنوا بها ووصلوها بقلوبهم وآدائهم يجذبنا الشوق لرؤيتها والتعرف عليها • ألم يهيم الشعراء بها ؟ ألم يفتنوا في عرضها ؟

وأكبر ظنى أن ابن الفارض والبوصيرى يعرفانها أو يعرفان معظمها ، فقد جاور ابن الفارض في مكة سنين ، وحج البوصيرى وزار تلك الأماكن ، وقد تحدث عن ذلك في قصائد شتى ، وعزوف الدكتور حسن ابراهيم عن الحديث عنها والشوق اليها لا يخلية من حبه اياها ، والحين الى رؤياها ،

ولواعج الحب ، ونفى عنه هذا الاتجاه ، ومع نفيه للغزل الذي نعدّه مصنوعا الا أن العلم وذا سلم وما يتصل بهما جاء في مطلع مدحته أو بردته • قال :

ماذبت شوقا لجيران بدى سلم
ولا رقت للذكر البان والعلم
وما بحت لريم القاع سففك دمي
في الأشهر الحل او في الأشهر الحرم

وزاد على ذلك فأوماً الى مطلع « بانث سعاد » لكعب بن زهير ، وان اتفقت في الوزن واختلفت في القافية

وماسعاد اذا بانث بمثابة
منى الفؤاد فان القلب فى شجب

لأن كعب بن زهير يقول في مطلع « بانث سعاد » وهى فى مدح الرسول مباشرة أنشدها بين يديه فى مسجد المدينة سنة ثمان من الهجرة بعد فتح مكة • قال :

بانث سعاد فقلبى اليوم متبول
متم ائرها لم يفد مكبول

وصاحب البردة الجديدة جمع كل المطالع ، وان نفى الغزل والتغنى

وأعماله فى شبابه ، ثم بعثته
ومعجزته وجهاده ، وفضله على
البشرية من حيث العقيدة والشريعة .
ونقص عنهم ما قالوه فى الغزل
وحديث النفس والهوى ، وإن ألمع
الى خطته بترك ذلك المنزع .

ولئن قلت هذا فله فيها اجادات
لا بد من التنويه بها والكشف عن
مزاياها ، لأن الشاعر حالقه التوفيق
فجاء ما صاغه كأنه جديد . أجاد
فى حديثه عن العقيدة وموقف
الرسول منها وأثر الاسلام فيها ،
ففى حديثه عن محمد وموقفه
وتحنته فى غار حراء يقول :

فما تمبذ فى يوم الى وثن
ولم يشارك بقربان ولم يهم
بل راح للفار يصفو فى تامله
وكم تغيب نجم وهو لم ينم
تامل الفجر يبدو والحياة مما
وكيف تحيا موات الارض بالديم ؟
وتشرق الشمس للاحياء جالبة
دفع الحياة ويسرى البدر فى الفهم
وهذه الشم من أرسى دعائمها
فزاحمت شهب الافلاك من شمم ؟
من خالق الروح والانسان هل خلقا
سدى ؟ وماذا وراء الموت من حكم ؟
(جاء الجواب) بجنت الليل فاخترت
له المروش وكان الفجر للامم

لقد ذكرها وإن نفى شوقه اليها ،
ولذا جاء فيه داعيا الى الابتسام ،
مشيرا الى طبيعة المصرى من خفة
الظل ، ولطف الظرف وحلو التناول .
فأين اتجه اذن ؟ صرح وأعلن :

انى اتجهت بقلبي نحو بداره
من مطلع الفجر حتى غيب الظلم
وسيدى المصطفى ارجو شفاعة
وهو الشفيع لنا من زلة القدم
ان المشيب علانى فاتظت به
وكم ارقى لوزدى عبرة الندم
محمد عرك الدنيا بما حفلت
من الصقاوة والنعمى ومن فعم

وكنت أود لو استغنى عن بيت
الشب ، لأنه أقحم فى حديثه عن
محمد صلى الله عليه سلم حتى
تتلاحم المعانى وتتعاقد الأفكار ،
والشب كان واعظا لجميع من
صنعوا المدائح النبوية . وبعد فما
عناصر تلك البردة الجديدة ؟ وماذا
فيها من جديد يشير الى قائلها
ويضعه فى هالة بين هؤلاء الذين
يقولون زلفى الى الله وجبا فى
رسوله ؟ ان العناصر التى حفلت
بها لم تخرج عما قاله من سبقوه ،
ففيها مولد الرسول وطفولته

رقة وحنانا ، واشفاقا وارتعاشا أن
يصاب النبي بسوء ؟ ان الشعر
جمع لك كل ما يملأ قلب الانسان
أسى وتفجعا ، ماتت الزوجة
والأعمام ، وارتحل الأحباب
والأصحاب وبقي وحده يقاوم
أئمة الكفر وطغيان الظلم ، هنا
شاعرية لا تنكر ، ونبضات
لا تغيض ، وصدق يحسن ويلمس
ويرى •

ومما أجاد فيه أيضا موقف
الرسول ممن عادوه وأخرجوه
وحاربوه وضربوه وصدوه عن أداء
رسالته ، وقد فتح الله عليه مكة ،
ونصره نصرا عزيزا ، ووقفت قريش
أمامه في الأسر تنتظر كلمة منه ،
وكان المنتظر أن ينتقم ويمزقهم
كل ممزق جزاء وفاقا على تنكرهم
لقرابته وحربهم له داخل مكة
وخارجها ولكنه •

ما جاء مكة تنكيلا بمن كفروا
بل جاء بالهدى والفجران والحرم
مقتال حمزة غدرا نال مفخرة
وهند أكلتة الإكباء لم تسم
حتى الفريم ابو سفيان كرمه
وصار منزله في الأمن كالحرم

فهذا العرض للكائنات ومحمد
يتأملها وحده في غار حراء ساهدا
ساهرا ثم المفاجأة الباهرة « جاء
الجواب » أعطى للمنظر مذاقا
سائغا يفتح الذهن للتفكير في
ملكوت الله ، واستحضار شخصية
الرسول الذي غادر داره ليعيش في
وحشة رغبة في الوصول الى
البينة ، والبينة هي الرسالة بها
يستريح فؤاده وتقر عينه ويدفعك
هذا المنظر الفريد الى التأمل
والاستغراق ومتابعة الشاعر في
ترفقه أو انطلاقه وتدفعه •

ومن الاجادة حديثه عن محمد
وقد مات عمه وزوجه ، وهجر
أصحابه مكة ليحلوا باذن الله على
الأنصار في المدينة وتعرضه للأذى
والتآمر عليه ، تجد فيه قلب شاعر
يسيل شعورا لا شعرا • يقول :

فهاجر القوم ترى من ديارهم
يفنون يشرب في ماوى ومعتصم
ماتت خديجة والأعمام وارتططوا
واوحشت مكة من بعد فقدم
ولم يعد لرسول الله من احد
يجيره من عتاة الكفر والنقم

ألست معى أن هذا الشعر يقطر

وبجانب هذه الاجادات وقرات
 خانه الأداء فيها ، وقد عالج النظم
 منذ الصغر ، ولكن القافية أحيانا
 تكدر الشاعر وتوقعه فى المخاطر ،
 وقد يفعل الوزن ما تفعله القافية
 فسيضطّر الشاعر الى مخالفة النحو
 والصرف وللنحويين كلام جميل فى
 تساهلهم مع الشعراء ، فيقولون
 يباح للشاعر ما لا يباح للنائر ،
 ولكن للإباحة حدودا ، فليس
 المباح مباحا فى كل تعبير ، فاذا
 أخذت الإباحة بالمعنى كانت رزية
 على فن القول ، وناظم البردة
 الجديدة ألجأته القافية أن يقول
 عن طفولة محمد صلوات الله عليه :

جاء الحياة يتيما قبل مولده
 وفى الطفولة عانى شقوة اللطم

الشرط الأول معنى صحيح
 يؤيده التاريخ ، أما الشرط الثانى
 فهو يبين ما جاء فى كتب السيرة
 والتاريخ ، فقد كان مولده مصحوبا
 بالبشرى والبهجة فى البيت
 الهاشمى ، وكيف لا يكون كذلك
 وقد كان جده يتحرق شوقا الى

انها أحاسيس شاعر راعه الموقف
 النبيل ، فرأى الرسول ارتفع عن
 مغريات النفس وعما ألفه الناس
 قديما وحديثا من حب الفتك
 والبطش بالأعداء ، وهل هناك أشد
 عداوة من وحشى (١) يغتال أسد
 الله حمزة عم الرسول وهل
 هناك وحشية تماثل وحشية هند
 بنت عتبة وزوج أبى سفيان تلوك
 كبد حمزة بعد أن بقرت بطنه
 وشوهت جسمه ؟ وهل ينسى ما قام
 به أبو سفيان من شن الغارات فى
 غزوة أحد وغزوة الأحزاب ؟ لكن
 الرسول عفا عن كل هؤلاء ، بل
 جعل دار أبى سفيان مأمنا لمن دخلها
 فسوى بينها وبين المسجد الحرام ،
 نهاية فى العمل الجميل ، لقد قال
 لقريش : اذهبوا فأنتم الطلقاء ،
 وهنا يحسن الاقتداء فكانت من
 الشاعر دفقة شعورية لها أثرها فى
 القلوب كما كان لفعل الرسول أثره
 فى اسلام هؤلاء وقيامهم بعده على
 نشر الرسالة وافتدائها بالمال
 والأرواح .

(١) وحشى بن حرب مولى جبير بن مطعم

الحقيقة ومسالك الواقع ، فاذا
أضفنا الى كل أولئك عناية قريش
باليتمى فى الجاهلية والاسلام
وقفنا على الحقيقة من أقصر طريق .
فلم يلطم محمد ولم ينله الحرمان .
وكنتم أود أن ينافس شوقى فى
قوله :

ونودى (اقرا) تعالى الله فاعلمها
لم تتصل قبل من قبلت له بفهم

فاذا به يقول ويقصر عن
المأمول :

جبريل فى الغار قال (اقرا) مدوية
فقال : كيف وما علمت بالقلم ؟

ففى بيت شوقى نداء وأمر ،
وأمر من الله تعالى ، والأمر بكلمة
« اقرا » التى لم تتصل الا بفهم
محمد موكب من الجمال والجلال ،
والبردة الجديدة ، تقول : جبريل
فى الغار دوى آمرا بالقراءة . وهو
معنى تاريخى مقبول وكان المنتظر
أن يأتى الشاعر بشيء جديد فى
الشطر الثانى لكنه حكى ما قاله
التاريخ بنصه ، شوقى لم يخالفه

وليد لابنه عبد الله الذى مات
شابا ودفن فى يثرب ؟ وأنت
تعلم أنه كان موضع العناية من
عبد المطلب جده الذى لا يدنو من
مجلسه فى ظل الكعبة غير حفيده
محمد ، وأنت تعلم حب أبى طالب
له وعنايته به حتى أنه كان يفضل
على أولاده ، وعمه الزبير بن عبد
المطلب كان يضعه فى حجره ويغنى
له شعرا فيه اسمه والتفاؤل
بمستقبله يقول :

محمد بن عبد
عشت بعيش انعم
ودولة ومفهم
فى فرع عز اسنم
مكرم معظم
دام سجيى الازل

والقرآن يقول : « ألم يجدك
يتيما فآوى . ووجدك ضالا
فهدى . ووجدك عائلا فأغنى »
فمتى لطم ذلك الوليد ؟ أحين
يطلب له المراضع أم عندما أخذته
أمه الى يثرب ؟ أم حين شب
وصحب عمه الى الشام ؟ لقد فعلت
القافية فعلتها فحادث بالشاعر عن

للبوصيرى أو نهج البردة لشوقي ،
 فيستلهم معانى آخر تناسب عصره ،
 أو يكشف أمرا لم يتناوله من سبقه
 حتى الحكمة عنده جاءت قديمة ،
 فمن حكمه :

ان الافاعي قد تنسوس قائله
 طى الجحود اذا لم تؤذ بالثرم (١)

على أنه معنى لا يؤدي الى
 استئصال الشرك أو توهين حديثه ،
 وكان له من ابتكارات العصر مطارح
 لاقتناص الحكم .

ومع كل ما قلناه فهذه المدحة
 الجديدة أو البردة الجديدة اضافة
 مجيدة تدل على ايمان قائلها وحب
 لسيد الخلق ، وتصوفه فى اتباعه
 وطرائق تعبدية ، وتدفع الشعراء
 الى أن يقبلوا على السيرة النبوية
 ويستوحوا منها ما يزكى شاعريتهم
 ويعطونها منها صورا روحية تعمق
 الايمان ، وترقق الوجدان ، وتضع
 القدوة نصب العيون منظورة ،
 ومن ناحية أخرى تعيد للعمود

التاريخ ولكنه اتفعل به وصوره
 من خلال وجدانه فجاء رائعا بارعا
 تقرأه أو تغنيه أو تصغى اليه .

والوزن أوقعه فى فك ادغام
 مؤتم فجعله « مؤتم » وجعله
 يضم ما قبل واو الجماعة فى
 الفعل المعتل الآخر بالألف مثل
 « رأوا » ومثل « ألقوا » فقد
 ضم ما قبل الواو ، وكانت له
 مندوحة فى أفعال أخرى ، وأنا
 لا أقسو على الشاعر حين آخذ
 عليه تلك الهفوات ، وانما انظر
 الى عمله نظرة الاكبار ولأن تلك
 القصيدة ستأخذ مكانها بين المدائح
 النبوية ولا بد للنقد أن يقول
 كلمته ، وقد يعاود الشاعر اصلاحها
 بعد أن يقرأ نقدها ، فقديما أصلح
 الثرييون الأقوياء للناطقة الديباني ،
 فلم يغض هذا من مكاتته وزعامته ،
 وما خلق النقد الا للبناء والتقويم .

وقد جاءت تلك البردة فى
 (١٢٤ بيتا) وقد كان فى مكتبته
 أن يمد فى معانيها لتبلغ مبلغ البردة

ان الشاعر نظمها ابتغاء رضوان
الله وحبا في رسوله ، ورجاء
لشفاعته ، فلتكن في ميزانه يوم
تبلى السرائر ، ونقول معه في
خطاب ربه :

سألتك العفو ربى اننى بشر
جم الذنوب وأنت الواسع الكرم
الاستاذ السيد حسن قرون

الشعرى مكاتته ، فقد كدنا نناى
عنه ، ونقر منه ، ونجعل الشعر
مقطوعات أو سطورا مقفيات ،
أو غير مقفيات بل يعود الى
القصائد الطويلة التى تتخذ الوزن
الموحد والقافية الموحدة ، والفن
أساسه القيد فاذا تحلل طلبا
للحرية كانت الفوضى والانحراف .

والسنن الاسلامية التى ربت عائشة واسماء وسكينة
ونفيسة ، لاتزال قادرة على ان تربي مثلهن اذا اقيم على
قواعدها السماوية نظام البيت ومنهاج المدرسة وشريعة
الوطن . ان المسلم الحق قد ينزل عن طبقته فيشكر ، وقد
يخرج من جنسيته فيعذر ، ولكنه ابدى لايفسق عن امر ربه ،
وفى قلبه نور وفى ضميره حياة .

من كتاب وحى الرسالة للمرحوم احمد حسن الزيات

بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري :

ماذا قدم الأزهر والأزهريون للعلم والدين؟

بقلم: الدكتور محيى الدين الألوائى

وضاح الجبين مشرق الغرة في
نشر أشعة العلم والعرفان في
أقطار العالم ، وحفظ اللغة العربية
والثقافة الاسلامية في عصر
التدهور والانحطاط وسيادة
الاستعمار الغربى على الأقطار
الاسلامية ، وفي مقاومة شتى
تيارات الالحاد والانحرافات
والمذاهب الهدامة ودعاة الفوضى
وانحلال .

وهى الجامعة التى عالجت علوم
الدين والآداب العربية عبر
القرون ، ويسرت سبلها وأكثرت
كتبها وخرجت فطاحل علماء
الاسلام والأدب العربى ، وبقيت
على مدى الأجيال والقرون قائمة
بعملها وفيئة بأمانتها ، وأمدت
العالم الاسلامى فى الشرق والغرب
بما هو فى حاجة اليه ، فاتجهت

... ماذا قدم الأزهر
والأزهريون للعلم والدين ؟
... وما هى مكاتته فى العالم
الاسلامى ؟

... وماذا كانت غايته فى
تاريخه المديد ؟

... وما هى الخطوات التى
اتخذها فى سبيل خدمة الدعوة
الاسلامية ؟

هذه أسئلة تشغل اليوم ذهن
كل مسلم فى مشارق الأرض
ومغاربها ، وان المسلمين جميعا
- على اختلاف أجناسهم ولغاتهم
وعاداتهم وثقافتهم - يتطلعون
الى هذه الجامعة التى هى أكبر
وأقدم جامعة اسلامية على وجه
الأرض ، ولها سجل تاريخى

والارتفاع بشمراته ، وتلخص هذه الرسالة في أمور ثلاثة :

الأمر الأول : مطاردة الشك والحيرة والزعزعة في المجتمع الانساني ، فمهد الأزهر للناس طريق الطمأنينة النفسية والاستقرار .. وأزاح عن كواهلهم أعباء الحيرة والقلق بطريق نشر عقيدة الاسلام الفطرية في سماحتها وبساطتها ويسرها .

الأمر الثاني : الدعوة للناس الى أن يتحرروا من أثرتهم ونزواتهم ليكون لهم أن يتحرروا من قاهريهم ومستعبيهم ، فحمل الأزهر راية الحرية الحقيقية والكرامة الانسانية ، حتى كان ملاذا لعامة الشعب يهرعون اليه في الأزمات ، ملتجئين من علمائه الارشادية والتوجيه ، وكثير ما كان علماء الأزهر يقفون في وجه الطغاة والمستبدين من الحكام الأجانب الباطشين ، وكان دافعا قويا في المجتمع الانساني الى أن يتحرر المستعبدون وأن يستردوا كرامتهم الانسانية في جميع المجالات .

اليها أنظار المسلمين جميعا ، خصوصا بعد سقوط بغداد واتلاف كتبها وذخائر مكاتبها العلمية ، فبدأ طلاب النور والعرفان يفدون الى حظيرة الأزهر من كل فج عميق . وهو الآن ملتقى آلاف الطلاب من أنحاء العالم ، كما أنه مصدر آلاف العلماء الى مختلف القارات ، ومركز الدعوة الاسلامية الى شتى الأمم والشعوب .

واذا زرت كليات جامعة الأزهر ومعاهده وأروقته تجد هناك مظهرا عاما لثقافات عديدة ولغات مختلفة وأجناس شتى ، وترى فيها مظهرا عاما أيضا للعالم الاسلامي كله . فانه لمصادق بين للمبدأ الذي يتخذه الأزهر رمزا لرسالته هو :

« العلم رحم بين أهله »

وما كانت غاية الأزهر في تاريخه الطويل الا أن يكون دائرة في مجال تبليغ رسالة الاسلام ، وهذه الرسالة هي أجل ما تتطلع الانسانية في كل مكان الى بلوغه

والثورة المصرية ، قد امتدت
يدها الى الأزهر ، فأزالت من
طريقه العقبات ، ومهدت أمامه
السبل ومنحته الامكانيات بفضل
القانون الثورى الصادر برقم ١٠٣
لعام ١٩٦١ الذى فتح أمامه أبواب
المستقبل المجيد الجدير بهذه
الجامعة العريقة ورسالتها العالمية
الخالدة •

ولهذا سأقوم بتطواف سريع
حول هذه الجامعة الاسلامية
الكبرى ومكاتها فى العالم
الاسلامى ورسالتها وخدماتها
وموقف علمائها من القضايا التى
تهم الاسلام والمسلمين ، بل
والمجتمع الانسانى كله فى كل زمان
ومكان ، ليكون نبأها لكل من
يريد الوقوف على الغاية الشريفة
التي تسعى الى تحقيقها هذه
الجامعة • ودحضاً وتفنيداً
لأباطيل وأهواء جاحدى الحق
ومنكرى الفضل ، والحاقدى على
جلائل الخدم التى بها أخرجت
هذه الجامعة بشراً كثيراً من ظلمة
الى نور ، واستنقذتهم من شر الى
خير • وبعثت الموتى أحياء وردت

الأمر الثالث : دعوة الناس
لأن يحتقروا عصبيات اللون
والجنس ، فان الناس جميعاً لآدم
وآدم من تراب • واذا كان لا بد
للناس أن يتفاضلوا ، فعليهم أن
يتفاضلوا بما يقومون به من جليل
العمل ، وما يقدمونه للانسانية من
الخدم ، وان الأزهر كان دائماً
التهافت بالناس أن يستمعوا الى
قوله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتعارفوا ان أكرمكم عند الله
أتقاكم » •

ولهذا كان الأزهر موطن
الأمل ومعقد الرجاء للشعوب
الاسلامية فى مختلف الأقطار ،
وان جميع المخلصين يتطلعون فى
ثقة وإيمان الى هذه الجامعة
الخالدة ، لأن تقدر على خدمة
الاسلام والمسلمين ، بل والانسانية
جمعاء ، وأن تعد المسلمين لاسترداد
أمجادهم العظيمة والاستعداد للدور
القيادى الكبير الذى أعدهم له ،
محمد بن عبد الله - صلى الله عليه
وسلم - •

العبيد أحرارا • فما أكرم ثمرها
وأتم نعمها ! وأبين ثفعها !

ان تاريخ الأزهر هو تاريخ
الثقافة الاسلامية منذ القرن الرابع
الهجرى الى اليوم • واذا كانت
مصر قد وضعتها الأقدار فى هذا
الموقع الخطير على خريطة العالم ،
حيث تقع مركز اتصال بين
القارات ، ترسل أشعتها الثقافية
والحضارية الى شتى أنحاء العالم ،
شرقيه وغريبه ، فان الأزهر قد لعب
فى هذا المكان - ولا يزال يلعب -
دورا رائعا عظيم الأثر فى الفكر
الاسلامى ، بل والفكر الانسانى ،
يرسل دعائه وأفكاره فى كل اتجاه
ينشر العلم والمعرفة • وقد وقف
الأزهر ألف سنة أو تزيد ، يصارع
الحوادث ويناضل الأحداث ،
وقد أصبح الأزهر بحق ممثلا
للفكر الاسلامى ولتاريخ المسلمين •
واتسع نشاطه فشمّل السياسة
ووقف حارسا أميناً يدافع عن
استقلال الشعوب ويصرخ فى
وجوه المعتدين على حرّيات
الانسانية •

وضع أساس الجامع الأزهر
فى ١٤ من رمضان سنة ٣٥٩ هـ
(٩٧١ م) تحت إشراف جوهـر
الصقلى قائد المعز لدين الله
الفاطمى ، وتم بناؤه فى سنتين •
وفتح الجامع الأزهر للصلاة لأول
مرة فى رمضان سنة ٣٦١ هـ • فلم
يلبث أن تحول الأزهر الى جامعة
تدرس فيها العلوم الدينية
والعصرية ، ويجتمع فيها طلاب
العلوم من كافة الأقطار • وكان
الخلفاء الفاطميون حريصين على
الاهتمام بهذا المعهد الكبير
وتزويده بكثير من الكتب ،
وتخصيص موارد باهظة للاتفاق
على طلابه والوافدين عليه ، وبقي
الأزهر منذ انشائه مسجد الدولة
الفاطمية الرسمى وكان الخليفة
بنفسه يؤم الناس فى صلاة الجمعة ،
وعيدى الفطر والأضحى ، التى
تقام فيه • وقام الأزهر بدور كبير
فى اذكاء الحركات القومية فى مصر
فى العصور القديمة والحديثة •
وقد تجلّت زعامته الشعبية بأروع
مظاهرها أيام الاحتلال الفرنسى
لمصر (١٧٩٨ م - ١٨٠١ م) حيث

تولى شيوخه وطلابه قيادة المقاومة الشعبية وتنظيمها • وقد احتل الأزهر خلال تلك الحوادث العvisية أعظم التضحيات •

وكان الأزهر ورجاله يغذون كل الثورات الوطنية بخطبهم وكتاباتهم • ويتركون أثرا فعالا في تكوين شخصيات ثورية ، مثل « أحمد عرابي » قائد الثورة العرابية الذي تلقى علومه في الجامع الأزهر أربع سنين ، والسيد « عمر مكرم » ، والشيخ « محمد عبده » وغيرهم من الذين مهدوا للثورة في نفوس الناس ، وأثاروا العقول لمحاربة الجهل والظلم والعدوان •

وجدير بالذكر أن الزعيم الشهير « سعد زغلول » قائد ثورة ١٩١٩ المصرية كان من رجال الأزهر ، وقد تخرج من الأزهر قبل دراسته الحقوق ، ويعتبر « سعد زغلول » من المكافحين الذين حاولوا إعادة العزة والكرامة لطبقات عامة الشعب •

ومنذ عام ١٩٦١ دخل الأزهر في دور فعال جبار في المجال العلمي

والعملي ، حيث جرى تطوير الأزهر تطورا يتهيأ به لأبناء المسلمين جميعا من العلم والمعرفة ، ويضيف الى الخير التالد في رسالة الأزهر العلمية خيرا جديدا في رسالته العملية ، لكى يعالج شئون الدين والدنيا ، ويخدم الانسان بمعنييه جميعا ، روحه وجسده • لأن الاسلام له جانبان جانب روحى وجانب مادى ، فالأول يخدم الناحية الروحية في الانسان ، والثانى يخدم الجانب المادى فيه ، من النواحي الاجتماعية والصحية والزراعية والهندسية والاقتصادية وغيرها •

ومن أكبر ما اهتم به هذا التطوير انشاء « جامعة الأزهر الحديثة » وفتح الكليات العملية بها وكلية خاصة للبنات بشعبها المختلفة من علوم اسلامية وطب وأدب وفلسفة وعلوم • وجامعة الأزهر لن تختلف غايتها عن غاية الأزهر الشريف في تاريخه المديد الا من تغيير الخطط وتعديل الوسائل بقدر ما تتطلبه الحياة المتطورة ، ولن ينحرف طريقها عن

والأزهر جزء بارز في كيان المجتمع الاسلامى ، وهو تراث مجيد يعتز به كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يجاهد في ميادين العلم والدين والاصلاح الاجتماعى والخلقى ، والسياسة في العالم العربى والاسلامى ، ولولاه لجف الأمل وانطفأ النور في ميدان العلم والمعرفة في هذا العالم ، في عصر الظلمات والركود ، وأما جمهورية مصر العربية ، فمدينة للأزهر ، فأصبحت بفضل منبرها تفيض منه أسمى الأبحاث الاسلامية والفكرية ، وقاعدة للإشعاع الثقافى الاسلامى ، وقد أسرع مصر الفتية التى اعترفت بمكانة الأزهر في العالم الاسلامى وجهوده في سبيل العلم والأدب ، فمدت يدها بالعون له بكل الوسائل الممكنة ليقوم برسائله على أحسن وجه حتى يتبوأ مكاتته اللائقة به كمنبع حضارة روحية ومادية ، وقلعة حصينة للعروبة والاسلام ، ومصدر رجال الفكر وزعماء الاصلاح يحملون أمانة

طريق أئبيها الجليل « الجامع الأزهر » . فان التاريخ الصحيح يقول : ان الأزهر كانت تدرس فيه ، في أبعائه وصحونه ، الى جانب التفسير والحديث والفقه والأدب ، علوم الفلك والهيئة والميقات والطب والرياضة والحساب . وكانت تعقد فيه حلقات العلم للنساء . ويذكر التاريخ أن سيدة فضلى تقدمت فعلا لنيل شهادة « العالمية » الأزهرية .

وأما تطوير الأزهر فخطوة جديدة تنهيا له بها دراسة الطب والهندسة والزراعة والتجارة ، وغيرها من العلوم الكونية والفنون العملية ، كما أنه يهيئ الفرصة للبنات من العلم والمعرفة ما قد تهيأ للبنين . كلية البنات الأزهرية ، نواة لجامعة اسلامية للبنات ، لكى يقدر الأزهر بمختلف هيئاته ومعاهده وكلياته على اسداء الخير النافع العام الى العالم الاسلامى كله ، والى الانسانية جمعاء .

الرسالة الاسلامية ، ويكونون ورثة الأنبياء .

وأما دور الأزهر القيادي في عشرة قرون ، فقد حمى العالم الاسلامى من الانهيار أمام جحافل الصليبيين وأمام طغاة الحكام وعدوان المستعمرين ، كما انفرد به عن جامعات العالم الأخرى بخصائص لم تتيسر لغيره من ميزات تربوية وثروات فكرية عالمية وأساليب علمية لغرس حب البحث والدرس للطلاب وتوعيدهم على الجهد في طلب الكمال . هذا بالإضافة الى ما بذل علماءؤه وطلابه من جهود في سبيل اعلاء منار الاسلام والمحافظة على تراثه المجيد . وقد ظل الأزهر - وسيظل - يؤدي رسالته على أكمل وجه ، ويقوم بأجل الخدمات للعالم الاسلامى في جميع العصور ، ويرسل أشعة العلم والعرفان في أقطار العالم ، ويبقى مقصد طلاب العلوم العربية والثقافات الاسلامية من مختلف الأمم والشعوب .

ان الأزهر هو الهيئة الاسلامية العامة الكبرى في العالم ، تقوم على

حفظ التراث الاسلامى ودراسته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الاسلامية الى مختلف الأمم والشعوب في وجه الأرض ، وتعمل على بعث الحضارة العربية وتقدم الآداب والعلوم والفنون المختلفة ، وكذلك تزود العالم بعلماء الشريعة الاسلامية واللغة العربية الذين يعملون في سبيل نشر القيم الروحية والأهداف الانسانية القويمة في الجنس البشرى . وفي عام ١٩٦١ صدر قانون تطوير الأزهر المعروف بقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، وقد مكن هذا القانون الأزهر من القيام بدور عظيم في تاريخ الاسلام ، وفي تاريخ العلم وفي تاريخ الجهاد ضد الاستعباد والاستغلال والاستعمار . وقد أصبح الأزهر بفضل هذا القانون مشعل نور الاسلام في بلاد كثيرة من أفريقيا ومن آسيا ومن أوروبا ومن أمريكا . وقد انفسح مداه واتسع نطاقه .

ويبدو مدى الاصلاح الجذرى الشامل الذى ناله الأزهر بفضل هذا القانون الاصلاحى من المبادئ

٥ - أن يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين في جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية وبين سائر المتعلمين في الجامعات والمدارس الأخرى - مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يمتاز بها الأزهر منذ كان - لتحقيق لخريجى الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية بين أبناء العالم العربى والإسلامى ، ويتحقق بهم نوع من الخريجين مؤهل للقيادة في كل مجال من المجالات الروحية والعلمية •

وعلى أساس هذه المبادئ احتفظ قانون التطوير الجديد لهذا المعهد العظيم بكيانه وصنفته وخصائصه العلمية ، وقد قام الأزهر بدور عظيم قرونا طويلة في مكافحة كل المحاولات الاستعمارية لتلوين أفكار المسلمين وعقائدهم ، ووضع موازين جديدة وقيما جديدة في نفوسهم ، يمكن أن تباعد بينهم وبين الإسلام ، ولكن طبيعة المقاومة في نفوس المسلمين ، والتزام الأزهر الوقوف في وجه كل محاولات العدوان ، قد رد

التي يقوم عليها هذا القانون ، وهذه هى المبادئ الرئيسية :

١ - أن يبقى الأزهر وأن يدعم ، ليظل أكبر جامعة اسلامية ، وأقدم جامعة في الشرق والغرب •

٢ - أن يظل كما كان منذ ألف سنة حصنا للدين والعروبة يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتجلى في جوهره الأصيل ، ويتصل نطق العلم به في كل مستوى وفي كل بيئة ويزداد عنه كل ما يشوبه وكل ما يرمى به •

٣ - أن يخرج علماء قد حصلوا كل ما يمكن تحصيله من علوم الدين وتهيئوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والانتاج في كل مجال من مجالات العمل والانتاج •

٤ - أن تتحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم الأخرى وتزول الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين في كل مستوى وتكافأ فئرتهم جميعا في مجالات العلم ومجالات العمل •

كيد الكائدين ، وحفظ التراث الاسلامى والعربى ، وشع من الأزهر ثورة فى بلاد كثيرة ، وقد اكتسب المتسبون اليه احتراماً ، واتجهت قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغربها الى هذه الجامعة الاسلامية الكبرى للتزود من أسباب المعرفة .

ولم يكن دور الأزهر مقصوراً على العلوم الدينية واللغوية كما يظن البعض ، فان الاسلام لا يفرق بين المعارف والعلوم ، بل هو يجمع بين الدنيا والدين ، وبين الأرض والسماء ، وبين المطالب المادية والسبحات الروحية ، ويقرر أن طلب العلم على اطلاقه فريضة على كل مسلم ومسلمة . ولهذا كان علماء المسلمين فى عصر ازدهار الاسلام يدرسون جميع أنواع العلوم والفنون ، فكان منهم الفقيه والطبيب والفلكى والمهندس ، والعالم الطبيعى والكيمائى والجغرافى ، والمؤرخ والرحالة ، والرياضى ، وكان هذا يتجلى فى علماء الأزهر على نطاق يختلف قلة أو كثرة بحسب اختلاف العصور ،

وكانوا يسمون علم الفلك ، بعلم الهيئة ، ويسمون علوم الأحياء « بعلم المواليد » والكيمياء « بعلم التركيب » . وظل علماء الأزهر يحرصون على دراسة هذه العلوم حتى فى أشد عهود التدهور والجمود .

ولا يخفى على من تتبع تاريخ الأزهر ، أن علماءه قد اسهموا فى جميع المعارف والعلوم بالدرس والبحث والتأليف ، سواء فى العلوم الدينية واللغوية ، وكذلك فى المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك . ولما بدأت النهضة العلمية فى مستهل العصر الحديث لم تجد لها منبعاً الا فى رحاب الأزهر ، فقد كان معظم المبعوثين من مصر - مثلاً - الى أوروبا من رجال الأزهر ، وقد عادوا بعد أن تخصصوا فى مختلف العلوم والفنون ، فوضعت أسس النهضة العلمية والفنية والثقافية فى هذه البلاد ، وكان البارزون من أبناء الأزهر هم الذين وضعوا أساس النهضة الحديثة فى مصر ، وأساتذة جامعة القاهرة وبقية الجامعات

بها أن يبقى مسيطرا على تاريخ العرب والمسلمين أكثر من ألف سنة ، ولكن هذه المحاولات المبذولة منذ أكثر من نصف قرن لم تنفذ الى صميم المشكلة ، ولم تحاول علاجها جذريا . وأما القانون الخاص باصلاح الأزهر فوضع على أساس تقرير المبادئ اللازمة لكل اصلاح جذرى شامل . . . وبناء على هذا القانون ظهرت الهيئات الخمس الأزهرية للنور ، وهى :

- ١ - المجلس الأعلى للأزهر .
- ٢ - مجمع البحوث الاسلامية
- ٣ - جامعة الأزهر .
- ٤ - ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية .
- ٥ - المعاهد الأزهرية .

وجدير بنا أن نورد بعض المعلومات عن كل من هذه الهيئات الأزهرية المتفرعة من الجامع الأزهر الشريف ، الذى له يد طولى فى خدمة الاسلام والمسلمين ، واحتضان العلوم الاسلامية واللغة

ومدرسة الألسن ومدرسة القضاء الشرعى وكلية دار العلوم وغيرها من مراكز الثقافات ودور العلم التى تفرعت من دوحة الأزهر الشريف .

وان الاستعمار - بأساليبه العديدة ووسائله المختلفة - قد نجح الى حد كبير - فى أن يفوق حركة الأزهر المطردة واستطاع أن يحدث فجوة بين العلوم الدينية واللغوية ، وبين العلوم الأخرى ، وكاد الانعزال يتم بين علماء الأزهر ، وعلماء الجامعات الأخرى ، فنادى زعماء الاصلاح فى العصر الحديث بعلاج هذه الحال ، فان الغرب يعرف ، كما يعرف أبنائه ، أن العلوم الحديثة العصرية اسلامية فى نشأتها وتقدمها ، وأن الغرب استعارها من المسلمين ، وتقدم كثير من المصلحين فى هذا الميدان ، وتوالت الصيحات فى كل مكان ، وقد تكررت محاولات لتجديد الأزهر وتطويره بحيث يتفق ومكائنه وأثره فى العالم العربى والاسلامى ، مع الاحتفاظ بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق

العربية ، منذ أكثر من ألف سنة .

فأما المجلس الأعلى للأزهر - فهو الهيئة التي تقوم بتخطيط سياسة شئون الأزهر في هيئاته المختلفة ويشترك في عضويتها الى جانب شيخ الأزهر ، كبار العلماء المتخصصين في التعليم وفي الإدارة .

وأما مجمع البحوث الاسلامية ، فهو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية . . . ويقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث ، ويعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات فقهية ، كما يقوم المجمع بنشر التراث الاسلامي ، وايفاد المبعوثين الى مختلف أنحاء العالم للمحاولة في توجيه الدراسات الاسلامية والعربية فيها .

وأما ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية ، فهي تحمل مسئوليات البعثات الاسلامية الوافدة من الخارج ، كما تقوم بتهيئة أسباب البحث والدراسة في الموضوعات

التي تتصل باختصاصات مجمع البحوث الاسلامية ، ثم تضع نتائج هذه البحوث والدراسات موضع الانتفاع العام .

وأما المعاهد الأزهرية ، فهي المعاهد الابتدائية والثانوية التي تسير على نظام دراسات أزهرية يتهى فيها الطلاب الى جانب دراساتهم الدينية والعربية للحصول على الشهادات الاعدادية والثانوية بأنواعها المختلفة . وهذه المعاهد منتشرة في جميع محافظات جمهورية مصر العربية ، كما تجرى الآن الاجراءات اللازمة لفتح مثيلاتها في أنحاء العالم العربي والاسلامي ، لكي يعد لكليات جامعة الأزهر - على اختلافها - طلاب مزودون بحظ من الثقافة الاسلامية والعربية الى جانب المعارف والخبرات التي تتيح لهم الاستمرار في الدراسات الجامعية . ومن هنا نستطيع أن نقول ان نظام المعاهد الأزهرية ، أو ما يعادلها هو نواة لجامعة الأزهر الكبرى .

وأبرز هيئات أزهرية ظهرت الى حيز الوجود بفضل هذا القانون

الكليات الأزهرية القديمة ، كلية أصول الدين ، وكلية الدراسات العربية ، وكلية الشريعة ، - كليات الطب والزراعة والهندسة ، والأدارة والمعاملات ، وكلية البنات الاسلامية .

وجدير بالذكر أن كليات جامعة الأزهر تمتاز عن مثيلاتها في الجامعات الأخرى ، بميزات عديدة لا تتحقق الا فيها ، لأن كليات الجامعة الأزهرية تحقق للطلاب الى جانب الثقافة المهنية والدراسة الفنية التي يحصلها نظراؤه في الكليات المماثلة في الجامعات الأخرى ، ثقافة دينية عميقة والمأما بمواد الدراسات الاسلامية واللغة العربية ، فاذن تحقق للطلاب الأزهرى مع الصفة الجامعية العامة ، صفة خاصة بجامعة الأزهر . وليس هذا النظام مستحدثا في تاريخ الأزهر والجامعات الاسلامية ، فان أعظم علماء الطب والكيمياء والرياضة في الماضى . كانوا علماء في الدين ، ومنهم ابن سينا والفارابى وابن الهيثم وآخرون .

« جامعة الأزهر » الحديثة مع كلياتها الجديدة ومعاهدها العديدة ومبانيها وتجهيزاتها الضخمة ، فقد وضع مشروع جامعة الأزهر على أساس تحقيق المبادئ الآتية :

١ - الاهتمام ببعث التراث العلمى والفكرى والروحى للشعوب الاسلامية والعربية .

٢ - العمل على تزويد العالم بالعلماء الذين يجمعون الى التفقه فى الشريعة الاسلامية ولغة القرآن كفاية علمية وعملية ومهنية تؤهلهم للمشاركة فى كل أنواع النشاط والاتاج والزيادة والدعوة الى سبيل الله .

٣ - الاعتناء بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية والاسلامية والعربية والأجنبية .

وبغية تحقيق هذه الغايات المنشودة قد نص قانون تطوير الأزهر على ضرورة انشاء الكليات التالية فورا ، مع جواز انشاء كليات أخرى كلما دعت الحاجة ، وقد فتحت فعلا - الى جانب

وتقول مادة ٣٧ من القانون :
« اللغة العربية هي لغة التعليم
في جامعة الأزهر ، ما لم يقرر
مجلس الجامعة في أحوال خاصة
استعمال لغة أخرى ، وتساوى
فرص القبول للتعليم بالمجان في
كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة
للطلاب المسلمين من كل جنس
وكل بلد . »

وتنظم الدراسات الخاصة لطلاب
البعوث من غير مواطني جمهورية
مصر العربية ، ليتأهلوا لمتابعة
الدراسة في الكليات والمعاهد مع
نظرائهم من الطلاب العرب .

وبموجب هذا القانون خُطت
جامعة الأزهر خطوات جلية تنهياً
لها بها دراسات الطب والهندسة
والزراعة والتجارة والمعاملات
وغيرها من العلوم العملية التي كان
الأزهر يهتم بها حين انتقلت الى
أروقه وصحونه حلقات الفقه
والأدب الى جانب علوم الفلك
والهيئة والميقات والطب والمواليد
 والرياضة والحساب . وكانت
التقاليد العلمية^(١) في بلاد الدنيا كلها

ونظرا لمكانة جامعة الأزهر
كجامعة للمسلمين جميعا ، ورعاية
للميزة الخاصة التي تمتاز بها عن
الجامعات الأخرى في العالم ،
أصبحت تابعة لرياسة الجمهورية
مباشرة ، مستقلة عن الجامعات
الأخرى .

ان قانون تطوير الأزهر ومذكرته
الايضاحية هما وثيقتان هامتان في
تاريخ جامعة الأزهر ، وقد ورد في
مادة ٣٣ من القانون : تختص
جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم
العالي في الأزهر وبالبحوث التي
تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه
أو تقوم على حفظ التراث الاسلامي
ودراسته وتجليته ونشره . وتؤدي
رسالة الاسلام الى الناس وتعمل
على اظهار حقيقته وأثره في تقدم
البشر وكفالة السعادة له في الدنيا
والآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة
العربية والتراث العلمي والفكري
والروحي للأمة العربية ، كما تعنى
بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية
مع الجامعات والهيئات العلمية
الاسلامية والعربية والأجنبية .

(١) في الأزهر أساسا للنظام الجامعي والتقاليد الجامعية ..

والزراعية والصحية والهندسية وغيرها •

وعلى هذا فالاسلام فى حقيقته الأصلية لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا ، لأنه دين اجتماعى ينظم سلوك الناس فى جميع مرافق الحياة البشرية ، وهو يفرض على كل مسلم أن يكون رجل دين ورجل دنيا فى وقت معا ، ولكن المتأمرين على الاسلام والمسلمين أرادوا للعالم الاسلامى رجال دين ، لا يكادون يتصلون بعلوم الدنيا اتصال النفع والانتفاع ، وكانوا يستهدفون من وراء ذلك ايجاد الفرقة بين صفوف المسلمين ، وخلق صورة الانعزال بين رجال الدين وبين المجتمع الذى يعيشون فيه ، فنشأت مشكلات كبيرة وعديدة فى نفوس خريجي المعاهد الدينية - على حد تعبيرهم - وبين خريجي المعاهد العلمية العصرية ، وكانت لها آثار كبيرة فى نفوس هؤلاء وأولئك ، فمثلا ان خريج الأزهر حين لم يتهيا لعمل من أعمال الخبرة والاتاج والصناعة والتجارة يوهم

- ولكن الثقافة الاستعمارية التى حاولت أن تباعد بين المسلمين وبين تعاليم الاسلام الحققة ، وأن تضع فى نفوسهم موازين جديدة تخرجهم عن دينهم الحنيف ، فأوقعت تلك الثقافة الاستعمارية الماكرة فى أذهان كثير منهم ، أن الاسلام عبادة وقربى الى الله وفناء فى الله ، وأن العمل للحياة شئ آخر يختلف عن الدين أو يتعارض معه ، فلم يكن الأزهر فى منجاة تامة من هذه الجبائل الاستعمارية ، فأريد له - أيضا - أن ينصرف عن العناية بالجانب المادى للانسان ، لكى ينصرف الى العناية بالجانب الروحى فقط ، مع أن الأزهر اذ يبلغ رسالة الاسلام ، كان دائم الهتاف بالناس أن الله تعالى خلق الانسان لحما ودما ، ثم نفسا وروحا ، لكل منهما خصائص ومطالب ، فالاسلام له جانبان : جانب روحى وجانب مادى ، والأول يخدم الناحية الروحية فى الانسان ، والثانى يخدم الجانب المادى للانسان من النواحي الاجتماعية

وهكذا صدر قانون انشاء جامعة الأزهر في عام ١٩٦١ محققا لكل ما يرجوه المجتمع الاسلامى المتطور من احتياجات ومطالب النهضة العلمية والفنية والمعملية .. الخ .. وبعد أن ظهرت جامعة الأزهر للنور مع كلياتها الجديدة ارتفع شأنها وعم تقهها وزادت ميزانيتها زيادة مستمرة سنة بعد أخرى نظرا للتوسعات الكبيرة فى انشاءات الجامعة استكمالا لمبانيها ولجهازها العلمى والادارى والفنى .. وقد وضع حجر الاساس لمبنى الجامعة الجديدة ، فى أرض الجامعة بمدينة نصر بالعباسية ، على بعد خمسة أميال من مقر الجامع الأزهر الشريف التليد فى مارس ١٩٦٤ بحضور كبار العلماء والزعماء المسلمين يمثلون العالم الاسلامى فى أنحاء الدنيا الذين حضروا الى مصر للاشتراك فى المؤتمر الأول العام لمجمع البحوث الاسلامية للأزهر .

ويقوم الأزهر اليوم بتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أسباب النشاط والانتاج والزيادة والقدرة

المستعمر المجتمع ، أن عالم الدين مآله التعطل والانعزال عن الدولة والمجتمع ، فيكون سوء ظن بعض المسلمين ببعض ، ويتكون بعض صور الانقسام بين المجتمع الاسلامى .

وقد تضاعف هذا الضرر بانصراف الأزهر نفسه عن العناية بالعلوم الكونية والفنون المعملية ، فانه وجد نفسه معزولا - أو شبه معزول - عن المجتمع ، أو منعزلا عنه ، لا يشارك من قريب أو بعيد فى زراعة أو صناعة أو تجارة أو شىء مما يتصل بتصرف الانسان على هذه الأرض من أجل معاشه ، واذن فلم يكن بد من تطوير الأزهر تطورا يتهيا به للمسلمين جميعا من العلم والمعرفة فى المجالات النظرية والمعملية ، وبذلك يكون له أن يؤدى رسالته فى المجال المادى وفى المجال الروحى ، كما يكون له أن يعالج شئون الدين بروح الدنيا ، وشئون الدنيا بروح الدين ، وأن يقوم بخدمة الانسان بروحه وجسده .

وتاريخه ، وأصول الفقه والاستنباط
الفقهى ، وأصول الشريعة
الاسلامية ، كما تهتم بدراسة
القوانين الوضعية والمقارنة بينها
وبين الشريعة الاسلامية •

كلية الدراسات العربية : وتضم
هذه الكلية أكبر نسبة من الطلاب
المصريين الوافدين في كليات الجامع
الأزهر وتدرس فيها قواعد اللغة
العربية ، ونحوها وصرفها وفقهاها
وبلاغتها ، كما تدرس فيها آداب
اللغة العربية قديمها وحديثها
والأدب المقارن ، هذا الى جانب
اللغات الشرقية والغربية •

كلية الطب : ان الغرض من
انشاء هذه الكلية تخريج أطباء
يهتمون بالنواحي النفسية
والانسانية والروحية بالاضافة الى
اهتمامهم بالعلاج البدنى ، فان
رسالة طبيب الأزهر ، رسالة
مزدوجة - كما قال أول عييد
لكلية طب الأزهر ، الدكتور على
مطاوع ، مفتتحا الدراسة لأول مرة
في هذه الكلية - لأنه بجانب
رسالته الانسانية في تخفيف آلام
المرضى ومكافحة الأمراض والعمل

الطبية ، وعالم الدنيا للمشاركة في
الدعوة الى سبيل الله بالحكمة
والموعظة الحسنة •••

وفي ضوء هذه الغاية المنشودة
ظهرت جامعة الأزهر للنور مع
كلياتها الجديدة للطب والهندسة
والادارة والمعاملات والتجارة
- وكلية خاصة للبنات الى جانب
كليات أصول الدين والشريعة
والقانون والدراسات العربية •
وستفرد لكل من هذه الكليات
كلمة خاصة :

كلية أصول الدين : تهدف
هذه الكلية الى تخريج علماء
متمكنين في العقيدة الاسلامية
وأصولها والقرآن الكريم وعلومه
وتفسير القرآن وطرائقه ، ويدرس
فيها أيضا الحديث وعلومه وعلم
الكلام والفلسفة ، وعلوم الدعوة
والارشاد وطرقها ، وما يتصل بها
من علوم الاجتماع والأخلاق
والنفس والخطابة العلمية
والعملية •

كلية الشريعة والقانون : وتهتم
هذه الكلية بدراسة الفقه الاسلامى

الانجليزية - ولتسلح المبعوث
الأزهري بثقافة اسلامية ، وبالتمكن
من شرحها باللغة الانجليزية •

كلية الهندسة : والغرض من
انشائها تخريج مهندسين يجمعون
الى ثقافتهم الاسلامية ، ثقافة
هندسية تتمشى مع أحدث النظم
الهندسية فى العالم ، ويكون فيها
علاوة على الأقسام الموجودة حالياً
بكليات الهندسة الأخرى ، أقسام
لهندسة الغزل والنسيج وهندسة
التعدين والبتروكيمياة والألوان
والصباغة •

كلية الزراعة : تدرس فى هذه
الكلية العلوم الزراعية الانسانية
والتكنولوجية • وتقوم بتخريج
زراعيين خبراء يجمعون بين
الثقافتين الزراعية الهندسية وبين
الثقافة الروحية التى تحتاج البلاد
الى فئة من هؤلاء الفنيين لىخدموا
الأمة والوطن فى ميادين الثقافات
الهندسية الصناعية والزراعية
والدينية •

كلية المعاملات والادارة : وتهتم
بدراسة العلوم الاقتصادية

على زيادة الانتاج بتوفير الأيدى
العاملة وتقليل عدد الغائبين عن
العمل لأسباب مرضية وتقصير مدة
غيابهم ما أمكن ، واعطاء العاملين
الراحة النفسية والاطمئنان ، كما أن
له رسالة أخرى هى الدعوة الى الله
والى الخلق الكريم ، والتمسك
بأهداف الفضيلة ، وسلوك الطريق
المستقيم ، وهو بذلك يساعد فى
بناء الأمة ونهضتها على أساس
متين من الدين والخلق والجسم
السليم •

وتجمع هذه الكلية بين الدراسات
الطبية من الكيمياء والفيزياء
والنبات والحيوان والطبيعة
والتشريح وغيرها الى جانب اللغة
الانجليزية ، والمجتمع العربى
والدراسات الاسلامية وهى أول
كلية بدأ فيها - لأول مرة فى تاريخ
الأزهر - تدريس العلوم
الاسلامية باللغة الانجليزية ، وان
الهدف من هذا تمكين الطالب من
الدراسات الاسلامية واللغة
الانجليزية فى وقت واحد ليتمكن
من أداء رسالة الاسلام - أى رسالة
الأزهر - فى البلاد الناطقة باللغة

أكانت من جمهورية مصر العربية أو من البلدان الأخرى. وإن الكلية على الرغم من حداثة عهدها تضم عددا كبيرا من الفتيات الوافدات ، وقد هيأت الكلية للمغتربات المسكن والمأكل ، كما أعدت سيارات خاصة لنقل الطالبات من بين مختلف المناطق الى مقر الكلية . وتهتم الكلية بأن ترتدى الطالبات زيا خاصا يراعى فيه الحشمة والوقار ، فإن الأزهر يهدف الى أن تتجاوب الفتاة المسلمة مع تيارات العلم واللغة والتوعية والتوجيه في اطار العقيدة الاسلامية ، وتقاليده المجتمع الاسلامى الصحيحة المجردة عن الخرافات والبدع والتميزة بروح الاسلام والعلم والفكر السليم .

وتهتم الكلية بالنشاط الرياضى والاجتماعى والفنى والثقافى ، كما تقوم برحلات مختلفة ، وجميع ألوان الهوايات النافعة ، وهى بمثابة نواة لجامعة اسلامية كبرى للفتيات .

ومن روافد الجامعة الأزهرية : معهد الاعداد والتوجيه والمعهد العالى للتربية ، والقسم العالى

المعاصرة ، مقارنة بالاقتصاد الاسلامى ، وبالعلوم الدينية التى تتصل بالمعاملات الى جانب المواد الثقافية التجارية ومواد الاعلام والمحاسبة والمراجعة .

كلية البنات الاسلامية : أنشئت هذه الكلية فى سنة ١٩٦٢ بمنطقة المعادى فى ضواحي القاهرة ، وقد روعى فى انشاء هذه الكلية أن تنهض الفتاة المسلمة برسالة الدين ، واللغة بجانب نهضتها بالعلوم الأخرى . وهى تهدف الى تخريج عالمات متفقهات فى الدين الى جانب الثقافات المختلفة من شتى فنون المعرفة . وقد بدأت الكلية على أربع شعب وهى :

١ - شعبة الدراسات الاسلامية

٢ - شعبة الدراسات العربية

٣ - شعبة الدراسات الاجتماعية

٤ - شعبة المعاملات والادارة

ثم فتحت فيها شعب معملية مختلفة مثل الطب والهندسة والزراعة لتتاح الفرصة أمام العالمة الأزهرية فى الجمع بين هذه الدراسات والثقافة الدينية ، سواء

يتقنون تلاوة القرآن الكريم وترتيله ، طبقا للقراءات الصحيحة المتواترة •

ومعهد البحوث الاسلامية ، لاستقبال الطلاب الوافدين من الأقطار الاسلامية وغيرها ، ويضم المعهد بين جدرانه مختلف الجنسيات التى تبلغ زهاء ٤٥ دولة معظمها من أفريقيا وآسيا ، وتليها الدول الأوروبية وأمريكا اللاتينية •

وان الأزهر أول جامعة فى العالم تتبنى أكثر من خمسة آلاف طالب وافد من البلدان الأخرى ، وتوفر لهم المسكن والمأكل وسائر المصاريف اللازمة مجاناً الى جانب الرعاية الطبية والسكنية والصحية والتربية الكاملة •

الدكتور محيى الدين الالوانى

الأستاذ بالجامعة الاسلامية

بالمدينة المنورة

وبجامعة الأزهر سابقا

للدراستات الاسلامية والعربية •
ومنها معهد الفتيات الذى أنشئ سنة ١٩٦٢ وتشتمل خطط الدراسة فيه على أقسام تمثل مراحل التعليم الثلاث بالمعاهد الأزهرية ويعد الناجحات من تلميذاته لمثل الأغراض التى تعد لها المعاهد الأزهرية تلاميذها ، والهدف من انشائه هو تخريج فتيات مؤمنات صالحات للمجتمع ، لتربية جيل جديد ويجوز لهن دخول كلية البنات الاسلامية على اختلاف شعبها ، ويعتبر معهد الفتيات من أهم روافد الجامعة الأزهرية ، الذى يعد طالبات يحملن المؤهلات اللازمة للالتحاق بكلية البنات الأزهرية ، ويعقد للوافدات من الأقطار الأخرى حلقات خاصة لدراسة اللغة العربية والعلوم الاسلامية •

ومنها معهد القراءات الذى يحرص على تخريج طائفة ممن

تربية الطفل المسلم

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي

ومن أجل ذلك تعنى الدول المتحضرة بالطفل وتربيته عناية كبيرة ، تفوق كل عناية ، وتحشد له كل الخبراء والمتخصصين في مجالات التربية والتعليم ، سواء لوضع المناهج الملائمة له ، أو الكتب الصالحة لأن تكون بين يديه ، أو الثقافة التي يمكن أن تقدم له زادا قويا يبنى عقله وفكره وروحه .

والاسلام الكريم يولى الطفل عناية كبيرة ويخصه بالرعاية والحنان والعطف والايثار ، ويعمل من أجل تهذيبه وتنقيفه وتوجيهه كل ما يستطيع وبكل ما يكون في يدى المربي من قوة وامكان . وفى تنشئة الله عز وجل لنبيه يوسف يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم : « وكذلك يجتبيك

إذا صنعنا الطفل ، صنعنا الانسان ، وصنعنا المجتمع وصنعنا الأمة ، وصنعنا الحضارة .

أعنى أننا إذا ربينا الطفل على المبادئ الفاضلة فقد ربينا الشاب والرجل ، وربينا الفتاة ، والمرأة ، وربينا الجيل الصالح ، والمجتمع السليم ، والأمة العاملة من أجل الطموح والعزة والسيادة ، ونكون بذلك قد أسهمنا اسهاما حقيقيا فى بناء الحضارة ، وبناء السلام والرفاهية والأمان والايمان فى الأرض .

الطفل فى الأمة هو الهدف الذى يتجه اليه العلماء والمفكرون والمربون ، لاجراج جيل جديد صالح لقيادة الأمة والوطن ، فى مجال الخير والشرف والعزة والكرامة الانسانية .

ربك ، ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك » ، ويقول تعالى : « وكذلك مكننا ليوسف في الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث » . وحينما استحصدت ثقافة يوسف وعلمه ، قال لفرعون مصر : « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » . وهنا تظهر التربية الاسلامية فى تعليم الطفل وتقوية شخصيته على أساس قوى من الايمان والعقيدة ، وفى ذلك يقول يوسف عليه السلام لصاحبى السجن : « ذلكما مما علمنى ربى ، انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة هم كافرون » .

وفى تربية المسلم الصغير والكبير على الأخلاق الفاضلة يقول الله عز وجل لرسوله الكريم : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وفى تربية الله عز وجل لنبيه عيسى يقول الله تعالى : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » .

واحاطة الطفل بالحنان والحب والعطف والرعاية فى الاسلام أمر

واضح ، حتى ان الخضر عليه السلام هو وموسى سلام الله عليه ليجدان - فى أثناء تطوافهما - جدارا مههما فينيانه ، ولا يعلم موسى الحكمة من بنائه ، فيسأل الخضر ، فيقول له : « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ، ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمرى » . وفى تربية الله لنبيه موسى عليه السلام وهو فى مرحلة طفولته وشبابه يقول الله عز وجل : « ولما بلغ أشده واستوى ، آتيناه حكما وعلما » .

ولا تقتصر عناية الاسلام بالطفولة على ذلك فحسب ، بل لقد أمر ديننا الآباء والأمهات بتعويدهم على الطاعة والأخلاق الفاضلة والصدق وأداء شعائر الدين منذ بلوغهم سن التمييز والادراك الصحيح ، حتى يشب على حب دينه وآدابه وشرائعه .

يبدأ المنهج الاسلامى للطفل المسلم ، عندما يبلغ هذا الطفل

وكان (الكتاب) فى حياة الطفل المسلم ، هو المدرسة الأولى التى يربى فيها ، ويتلقى منها التوجيه والتهذيب والتربية والتعليم . فلما استبدل الكتاب بالمدرسة ، خرج الطفل منها أميا جاهلا لحثانة ، لا يستطيع أن ينطق بكلمة صحيحة .

كان الكتاب يربى الطفل على البلاغة وتذوق الأدب ، وعلى الفصاحة والبيان ، وسلامة الملكة ، وصحة اللهجة ، ونصاعة الأسلوب وبلاغة الأداء .. أما اليوم ، وبعد أن هجرنا الكتاب ومحونا تعاليمه من نفوسنا ، واقتصرننا على « طريقة شرشر » فقد خرج الطفل المسلم ألكن ، وجاهلا ، وبعيدا عن تذوق اللغة وبلاغتها ، والأساليب وفصاحتها .. فلنعد الى الكتاب والى القرآن العظيم ، الذى أنزله الله رحمة للعالمين .

وليس (الكتاب) بضرورى أن يكون بناء مستقلا بنفسه ، بل ان الكتاب فى الامكان أن يكون فى بيوت الله ، حيث يعلم فيها الطفل المسلم القراءة والكتابة ،

السابعة من عمره ، فيأخذه أبوه الى المعلم ليحفظ القرآن الكريم ، ويأخذه بشرائع الدين ، فيجيب اليه الذهاب الى المسجد وأداء الصلاة ، والتحلى بالصدق والشرف ، وتجنب الرذائل والموبقات والمعاصى ، ما ظهر منها وما بطن ، وبأداء الطاعات ، والحرص على التحلى بأحسن الأخلاق والآداب والفضائل ، ويحاط بالقدوة الصالحة ، لتكون هى النموذج الأمثل فى الأرض .

ولقد كان أساس التربية الاسلامية هو كتاب الله عز وجل حفظا وقراءة ، والقرآن الكريم ، هو الذى طبع الألسنة العربية على سلامة النطق ، وصحة اللهجة ، وفصاحة اللغة ، وبلاغة الكلمة ، وهو الذى ربى الشباب المسلم على الايمان والأخلاق الفاضلة ، وعلى الطاعات والامثال لأمر الله .. وعلى الشعور بالواجب ، وتحمل المسؤولية ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، والصدق فى القول ، وحسن المعاملة للناس ، وعلى الرحمة والاحسان والبر والايثار .

المسلم نفسه الروحية والخلقية
والتربوية ، استقامة كاملة •

ان الخطر الدائم والداهم هو في
بعد الأطفال والشباب عن القرآن
الكريم ، فعندئذ لا تؤمن العاقبة ،
ولا تحمد الغاية •

واتصال أطفالنا وشبابنا بكتاب
الله هو العروة الوثقى التى يؤمن
معهما على الطفولة والشباب ،
بل على الجيل كله ، وبدون ذلك
ستعم اللكنة والعى والعجز
والحصر ، وستشيع الفهاهة بين
الشباب ، وتنعدم روح البلاغة
في قلوبهم ، ويفقدون كل شخصية
مستقلة في الحياة ••

ان تربية الطفل المسلم ، في
أساسها الأول ، لا يصح أن تعتمد
الا على القرآن الكريم ، فهو
الزاد العظيم ، والذخر الكبير ،
وهو سعادة الدنيا والآخرة ، وهو
الذى يسأل القلوب أدبا وحكمة ،
وبلاغة ، ويملأ الألسنة فصاحة
وبيانا واجادة للتعبير ، وفهما
للنصوص وتذوقا للأساليب ،
وادراكا لخصائص الأداء ، ولمرامى
الكلام •

وحيث يحفظ القرآن الكريم ، ففى
الصباح أو بعد العصر يجتمع
الأطفال فى مسجد الحى ، ويحفظهم
المعلم كتاب الله •• وفى ذلك الخير
كل الخير للأمة والوطن •

ان أساس تربية الطفل المسلم
هو حفظه لكتاب الله ، وتلاوته
اياه تلاوة جيدة ، وفى أثناء ذلك
يتلقى عن المعلم مبادئ القراءة
والكتابة والحساب والاملاء ••

وذلك المنهج هو أصلح المناهج
لتعليم أبنائنا منذ صغرهم ••

فمتى يقوم الموجهون للشباب
وللطفولة ، والمخططون للتربية ،
والجماعات الاسلامية ، والأغنياء
ببناء الكتاتيب واقامتها ، من أجل
هذه الغاية الشريفة النبيلة ، التى
يقصد بها وجه الله عز وجل ،
والتي تعود على الأمة والوطن ،
وعلى الأطفال والشباب والجيل
كله بالخير العميم ، والنفع
الجزيل ، والفائدة المرجوة •

لعلنا نعود الى الكتاب والى
الكتاب من جديد ، حتى تستقيم
حياتنا الثقافية ، وحياة الطفل

ما يجب أن نعمل على تلافيه ؛
لكبح جماح الألسنة البذيئة ،
والتوجيه الفاسد ، والتربية
المشوهة المقلوبة الأوضاع •

اقتلنا اذا أردنا أن نعلم حالة
الأمة ومدى رقيها ، فلننظر الى
الطفولة وما فيها ، فحيث نراها
سعيدة ومهذبة وموجهة توجيهها
صالحا ، نرى من ذلك نهضة
للأمة ، ومجدا للوطن ، وحسن
تربية وتهذيب وتوجيه للطفولة
والشباب •

وللقدوة الصالحة أثرها في
قلوب الأطفال ، فلنكن قدوة
صالحة لهم في حياتهم ، ونماذج
طيبة طاهرة كريمة يقتدون بها ،
ولنكن لأطفالنا النور الهادي ،
والقلب الرؤوم ، والصدر الحنون ،
واللسان العف العذب الذي لا ينطق
بالفحش ، ولا يتقوه الا بالصواب
والحكمة والحسنى من الكلام •
ويهلونا اليوم أن تنقلب لغة
الأطفال والشباب الى شتائم للآباء
والأمهات ، وسباب لكل شيء ،
وعدم مبالاة بأي شيء •• وهذا

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

(رعوس النعم)

قبل رعوس النعم ثلاثة :

- اولها - نعمة الاسلام التي لاتتم النعم الا بها •
- ثانيها - نعمة العافية التي لاتطيب الحياة الا بها •
- ثالثها - نعمة الفنى التي لا يتم العيش الا بها •

مع رسالة الأدب الصوفي "الحكم العطائية"

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

- ٢ -

اليانعة ودانت له قطوفه الدانية ،
مبتدئا فى ذلك بمعرفة شيخه المرسى
الذى تحدث عنه قائلا : « كنت
لأمره أولا من المنكرين ، لا لشيء
سمعته منه ولا لشيء صح نقله ،
ولكن جرت المخاصمة بينى وبين
أصحابه ، فقلت فيهم قولا عظيما ،
ثم قلت فى نفسى : دعنى أذهب
أنظر هذا الرجل فصاحب الحق له
أمارات لا يخفى شأنه فأتيت
مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس
ومسألة درجات السالكين الى الله
ومدى معرفتهم به وقربهم منه ،
فقال : الأول اسلام وهو درجة
الانقياد والطاعة والقيام بمراسيم
الشريعة ، وثانيها الايمان وهو مقام
حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية ،
وثالثها الاحسان وهو مقام شهود
الحق تعالى فى القلب • وإن شئت

تعرضت فى المقال السابق -
على ضوء نماذج من حكم ابن عطاء
الله السكندرى رحمه الله -
للخصائص الفنية والأدبية لهذه
الحكم •

ونحن الآن على موعد مع التحدث
عن موضوعاتها التى تشير اليها •
وابن عطاء الله صوفى ذائق عارف ،
جاءت حكمه خلاصة تجربة صادقة
وترجمة امينة للمعارف الصوفية
الخالصة من شوائب الفلسفة التى
اصطبغت بها بعض المفاهيم
الصوفية •

انه تصوف مبنى على قواعد
متينة من الكتاب والسنة ، فاض
على قلب مشرق مستجيب لله
ورسوله ، عرف الحب الخالص ،
وعبد الله على ضوئه فأثمر ثماره

عطاء الله بعد تعرفه على الشيخ واختلاطه به أن تيقن أن ظاهرة كباطنه وليس هناك شئ ينكره عليه ، ويقول فى ذلك : « ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره ظاهر الشرع من الذى كان ينقله عنه من يقصد الأذى » •

وأخذ أبو العباس بيد تلميذه النجيب ، وأثمر لقاؤه الأول معه عن توجيه نظره الى التفكير وهو أول درجات اليقين ، فهو يقول : « لقد وجدت - بعد لقائى معه - معنى غريبا ما أدري ما هو ، فانفردت فى مكان أنظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته ، فحملنى ذلك الى العود اليه مرة أخرى ، فأتيت فاستؤذن لى ، فلما دخلت عليه قام وتلقانى ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسى أن أكون أهلا لذلك ، فكان أول ما قلت له : يا سيدى ، أنا والله أحبك ، فقال أحبك الله كما أحببتنى ، ثم شكوت اليه ما أجد من هموم وأحزان ، فقال : أحوال

قلت الأول عبادة والثانى عبودية والثالث عبودية وان شئت قلت الأول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق • فما زال يقول وان شئت قلت وان شئت قلت الى أن بهر عقلى وسلب لى ، فعلمت أن الرجل انما يغترف من فيض بحر الهى ومدد ربانى فاذهب الله ما كان عندي » •

والشيخ عند الصوفية عليه مدار كبير فى الوصول الى حضرة الحق ، فهو الطبيب الذى يداوى النفوس لأنه أدري بعلمها وأمراضها ، ومتى كان الشيخ عارفا بصيرا استطاع أن يأخذ بيد تلميذه النابه الى غايات الكمال •

ولم يكن ابن عطاء الله سهلا فى انقياده لشيخه ، ولكنه كان صعب المراس ، فقد أقبل عليه بعد معارضة ومشاكسة ، يدل على ذلك العبارة المتقدمة ثم قوله : « جرت بينى وبين بعض أصحابه مقالة - قبل صحبتى اياه - وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظيمة وظاهر الشرع يأبأها » ولكن لم يلبث ابن

العبد أربعة لا خامس لها : النعمة والبلية والطاعة والمعصية ، فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار . قال : فقامت من عنده وكأنما كانت الهوم والأحزان ثوبا نزعته . قال : ثم سألتني بعد ذلك بمدة كيف حالك ؟ فقال : أفتش عن الهوم فلا أجده . فقال :

ليلى بوجهك مشرق

وظلامه فى الناس سارى

والناس فى سدف الظلا

م ونحن فى ضوء النهار

وكما استطاع أبو العباس أن

ينزع عن ابن عطاء الله أحزانه

وهمومه بحسن توجيهه إياه

استطاع كذلك أن يجعله يتغلب

على وسواس كان يراوده فى طهارته

عن طريق تقوية الثقة فى نفسه فقد

قال له : ان هذه الطائفة تلعب

بالشيطان لا الشيطان يلعب بها .

وكان أبو العباس يلحق للوسواس :

سبحان الملك القدوس الخلاق
الفعال ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد وما ذلك على الله بعزيز .

وهكذا سلح المرسى تلميذه بالثقة
فى الله والقدرة على مغالبة هواجس
النفس ووساوس الشيطان ، واذا
استعان العالم بذلك انفتحت امامه
مغاليق الحكمة وتفجرت من قلبه
ينابيع المعرفة ودانت له قطوف
العلم يانعة شهية ، وهذا ما نجده
فى حكم ابن عطاء الله .

معارف الحكم : سبق الاشارة
الى أن الحكم تدور حول
الموضوعات الآتية كما فصلها الامام
ابن عجيبة فى شرحه على الحكم :

التذكير والوعظ ، وتصفيية
الأعمال وتصحيح الأحوال ، وتحقيق
الأحوال والمقامات وأحكام الذوق
والمنازلات ، والعلوم والمعارف
الالهامية .

أما التذكير والوعظ ، فهو
جانب مهم يلائم أحوال المسلمين
بعمامة والصوفية بخاصة ، وهو
يجعل الانسان فى حالة يقظة دائمة
ومراعاة مستمرة ، والمولى جل

الشيخ عبد الله الشرقاوى فى تعليقه على هذه الحكمة : « والاخلاص يختلف باختلاف الناس ، فاخلاص العباد سلامة أعمالهم من الرياء الجلى والخفى وكل ما فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل الا لله تعالى طلبا للثواب وهربا من العقاب مع نسبة العمل اليهم والاعتماد عليه فى تحصيل ما ذكر ، واخلاص المحبين هو العمل لله اجلالا وتعظيما لأنه تعالى أهل لذلك لا لقصد ثواب ولا هرب من عقاب .

ولذلك قالت رابعة العدوية : ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ، فنسبت العبادة اليها ، واخلاص العارفين شهودهم ائفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم من غير أن يروا لأنفسهم فى ذلك حولا ولا قوة ، فلا يعملون العمل الا بالله لا بحولهم ولا قوتهم وهذا أرفع مما قبله .

أما الذى يعين على الاخلاص فهو قوله : « ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه » وفى هذا تذكير للناس بوجوب العزوف عن الشهرة

وعلا يقول : وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين . وهذا الموضوع طالما طرقه الصوفية وتحدثوا فيه ، بل ان بعضهم وقف نفسه على الكتابة فيه ، وكتاب احياء علوم الدين للغزالي يدور أغلبه حول ذلك وكتاب قوت القلوب للمكى والرسالة القشيرية فيها موارد كثيرة لذلك .

ومن أمثلة الوعظ والتذكير الواردة فى الحكم قوله منها على وجوب الاخلاص فى العبادات والأعمال : « الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها » . وقد أمرنا الله بالأخلاص فى العبادة فقال جل من قائل : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

وهذه الحكمة تناسب كل انسان فى موقعه وفى عمله الذى يقوم به دينيا كان أو دنيويا وهى تنبه على أن الاخلاص هو الذى يحيى العمل ويتمه بدونه يصبح العمل عبثا لا قيمة له ولا أثر له . قال

بالمحاربة ، وان الله يحب الأتقياء
الاخفياء الذين اذا عابوا لم يفتقدوا
واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ،
قلوبهم مصاييح الهدى يخرجون
من كل غبراء مظلمة » •

وفى وجوب أداء الأعمال فى
وقتها يذكر ابن عطاء الله الناس
بقوله : « احالتك الأعمال على
وجود الفراغ من رعونات النفس »
ويلق الرندى على هذه الحكمة
قائلا : « اذا كان العبد متلبسا
بحال من أحوال دنياء وكان له فيها
شغل يمنعه من العمل بالأعمال
الصالحة وأحال ذلك العمل الى
فراغه من تلك الأشغال وقال : اذا
تفرغت عملت فذلك من رعونة
نفسه وحماقة من وجوه : الأول
ايشار الدنيا على الآخرة وليس هذا
من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف
ما طلب الله منه قال تعالى : « بل
تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير
وأبقى » والثانى تسويفه بالعمل
الى أوان فراغه وقد لا يجد مهلة
بل يخطئه الموت قبل ذلك أو يزداد
شغله لأن أشغال الدنيا يتداعى
بعضها بعضا كما قيل :

النزائفة والبعد عن الرياء وطلب
السمعة ووجوب التحلى بالايثار
والرغبة الخالصة فى أن يكون
العمل مقصودا به وجه الله فقط
لا طمعا فى ثناء أحد من الناس
عليه أو رغبة فى مدح أو عطاء
أو مكافأة • وقد انتفع ابن عطاء الله
فى هذه الحكمة بتوجيه شيخه أبى
العباس المرسى رضى الله عنه الذى
يقول : « من أحب الظهور فهو
عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو
عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء
عليه أظهره أو أخفاه » •

وفى الواقع ان كثيرا من الأمراض
الاجتماعية مردها الى هذه الصفات
المذمومة : الرياء وطلب السمعة
والأثرة والأنانية - ولذلك كان
الصوفية واقعيين فى علاجهم
النفسى عن طريق تحطيم هذه الأدواء
فيها ، وهم فى ذلك مستنيرون
بأدب النبى صلى الله عليه وسلم
الذى كان دأبه التواضع والزهد
روى معاذ بن جبل رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله
« ان يسيرا من الرياء شرك ، وان
من عادى أولياء الله فقد بارز الله

الأحوال ، ما تدعو اليه من وجوب
تحلية الباطن بالأخلاق المحمودة
وتطهيره من الأوصاف المذمومة -
وهذا النوع كما يقول ابن عجيبة
يناسب حال المؤمنين الصادقين الذين
يقبلون على الله بهمة وعزم - من
أمثلة ذلك قوله : « لا تطلب من
الله أن يخرجك من حالة ليستعملك
فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك
من غير اخراج » •

ويشرح الشيخ زروق هذه
الحكمة بقوله ملخصا : قم فيما
أقامك الله فيه طالبا الاستقامة من
غير زائد على ذلك ، وانما أمرت
بذلك لثلاثة أوجه • أحدها القيام
بحق العبودية فيما أنت فيه بالرضا
- الثانى لتجد الراحة بالاستسلام
فتسلم من نكد التدبير وأكدار
التغيير - الثالث لئلا تعطى ما طلبت
وتمنع الراحة فيه ، فقد حكى أن
رجلا كان يسأل الله تعالى كل يوم
رغيفين ويتفرغ للعبادة فسجن وكان
يؤتى كل يوم برغيفين ، ففكر فى
أمره فقيل له : انك سألت الرغيفين
والعبادة ولم تسأل العافية ،
فاستغفر واخرج لوقته • اه •

فما قضى أحد منها لباتته
ولا انتهى أرب الا الى أرب

والثالث : أن يفرغ منها الى
الذى لا يرضيه من تبدل عزمه
وضعف نيته •

وهذه الحكمة الى جانب ما فيها
من الأدب الصوفى العالى فيها
أدب اجتماعى رفيع ، فهى تنظم
للإنسان وقته وتجعله يحسن
الاستفاد من به ، وكم أضاع الإنسان
أوقاته سدى فى الوقت الذى يقول
فيه الحكماء الوقت كالسيف ان لم
تقطعه قطعك ، وقد تنبه الأدباء الى
قيمة الوقت وضرورة انجاز الأعمال
فى أوقاتها فقال ابن المقفع فى ذلك
إذا تراكت عليك الأعمال فلا
تلتمس الروغ منها فانه لا راحة
لك الا فى انجازها - أما أديب
عصرنا شوقى فيقول فى بيت سار
مسير الحكمة :

دقات قلب المرء قائمة له

ان الحياة دقائق وثوان

ومن أمثلة ما تتضمنه الحكم من

وجوب تصفية الأعمال وتصحيح

الذى تطلب أمامك ، ولا تبرجت
ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها
انما نحن فتنة فلا تكفر » •

وأجمل ما يتفق مع مضمون هذه
الحكمة النيرة قول الشيخ أبى
الحسن التستري فيما يرويهِ
الرندي :

ولا تلتفت فى السير غيراً فكل ما
سوى الله غير فاتخذ ذكره حصناً
وكل مقام لا تقم فيه انه
حجاب فجد السير واستنجد العون
ومهما ترى كل المراتب تجتلى
عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

ويتعرض ابن عطاء الله فى هذا
اللون من الحكم لآداب الطريق
وما ينبغى للمريد عمله وسلوكه من
التزام بالصدق ولجوء الى التوبة
وقيام بحق الشكر وتخلق بمداومة
الذكر الى غير ذلك مما يجب على
السالك القيام به حتى يحقق أمله
ويصل الى غايته •

ومن أمثلة الحكم التى تدور
حول المضمون الثالث وهو تحقيق
الأحوال والمقامات وأحكام الأذواق
والمنازلات قوله : « كفى العاملين
جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم فى

وقد علق ابن عطاء نفسه على
هذه الحكمة بقوله فى التنوير :
فتأذب يأبها المؤمن ولا تطلب من
الله أن يخرجك من أمر ويستعملك
فيما سواه اذا كان ما أقمت فيه
مما يوافق أبواب العلم ، فان ذلك
من سوء الأدب مع الله تعالى
فاصبر لثلاث تطلب الخروج بنفسك
فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه
فرب تارك شيئاً وداخل فى غيره
ليجد الراحة فتعب وقوبل بوجود
التعسير عقوبة لوجود الاختيار •

فهو فى هذه الحكمة يطالب
المريدين بالتحلى بفضيلة الرضا بما
قسم الله والصبر على ما قضاه
والانتظار لفرج الله والتبرى من
الحول والقوة فلا حول ولا قوة
الا بالله وهذه فضائل لا يصبر عليها
الا الفحول من الرجال •

ثم هو يحارب الركون الى
ما يجده المريد فى طريقه من ألوان
الفيوضات التى تحول بينه وبين
الوصول الى أعظم الغايات فيقول
فى حكمة أخرى : « ما أرادت
همة سالك أن تقف عندما كشف
لها الا نادته هواتف الحقيقة ،

بمنازلته من الآداب ويتوصل اليه
بنوع تصرف ومقاسات وتكلف •

والأحوال والمقامات يتداخل
بعضها فى بعض ، فالمتحقق بمقام
من المقامات لا يخلو من ورود
الأحوال عليه ، وكذلك صاحب
الحال قد يرسخ فيه بمجاهداته
فيصير الحال مقاما له • واذن
فالحال يغلب عليه أصلا عدم
الثبوت أما المقام كما يدل عليه
اسمه فيغلب عليه الرسوخ
والثبوت •

وتختلف الأحوال والمقامات على
حسب الذوق والشهود فبعض
المقامات أحوال عند بعض الصوفية
وبعض الأحوال مقامات عند
بعضهم ، مما هو مفصل فى
كتبهم •

ولكن ابن عطاء الله لم يعن فى
كتابه بتقنين قواعد ولكنه أشار
إشارات تنم عن ذوقه وشهوده كما
يظهر فى الحكمة السابقة ، وكما
يظهر أيضا فى قوله : « متى أعطاك
أشهدك بره ومتى منعك أشهدك
قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك
ومقبل بوجود لطفه عليك » •

طاعته وما هو مورده عليهم من
وجود مؤانسته •

هذا هو حال الأنس يشير اليه
ابن عطاء الله فى حكمته ، والأنس
مصطلح صوفى معناه غلبة الرجاء
على الخوف ، أو فرح القلب
بالمحسوب ، أو الاستئناس بالذكر
فيغيب به عن رؤية الاغيار • يقول
« رويم » البغدادي فى ذلك فيما
يرويه عنه كتاب التعرف على مذهب
أهل التصوف :

شغلت قلبى بما لديك فما
ينفك طول الحياة عن فكرى
آنستنى منك بالوداد وقد
أوحشتنى من جميع ذا البشر
ذكرك لى مؤنس يعارضنى
يوعدنى عنك منك بالظفر
وحيث ما كنت ياملى همى
فأنت منى بموضع النظر
ومما سمعته من شيخنا الأقدمى
رضى الله عنه فى ذلك :

وقمت من حضرتى والأنس يجمعنا
وقد تولى رسول الله تأديبى
والحال كما يعرفه المعنيون بعلوم
التصوف يطلق على المعنى الذى
يرد على القلب بلا تصنع ولا
اكتساب •

والمقام ما يتحقق به العبد

بوجدانها عرفها بوجود فقدائها ،
وقوله : « لا تدهشك واردات النعم
عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك
مما يحط من وجود قدرك » •

ومما يشير الى مقام الصبر قوله
« لا تستغرب وقوع الأكدار مادمت
فى هذه الدار فانها ما أبرزت الا
ما هو مستحق وصفها وواجب
نعتها » وقد استجاب الشاعر
الحكيم لهذه الحكمة بقوله :

ان الأمور اذا انسدت مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما ارتجى
لا تياسن وان طالت مطالبة

اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
خلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومد من القرع للأبواب أن يلجأ
وبقى القسم الرابع الذى تناولته

الحكم وهو قسم العلوم والمعارف
الالهامية وفى الحكم ما لا يحصى
منه ، وقد جاء ذلك نتيجة للمجاهدة
والعمل • وثمرة للتفكر والتأمل ،
وفى الأثر الشريف من عمل بما

علم ورثه الله علم ما لم يعلم •
ويدخل فى نطاق ذلك ألوان
المناجاة التى تناثرت فى فصول
الحكم وما اختتمت بها ، وهى تدل
على صدق فى الشهود ورسوخ فى
المعرفة واليقين ، وكلامه فى ذلك

فهو يشير فى ذلك الى الأحوال
التي تنتاب العبد بين القبض
والبسط والحزن والفرح •

ومن الحكم التى تشير الى
المقامات قوله عن مقام الزهد
« ما قل عمل برز من قلب زاهد
ولا كثر عمل برز من قلب راغب »
ويعمل الرندى لذلك بقوله :
« وذلك لأن الزاهدين سلموا
من الآفات التى تقدح فى اخلاصهم
من مراءات الناس والتصنع لهم
وطلب الأعواض الدنيوية عليها منهم
لأنهم زهدوا فيها فيتحصل لهم قبول
أعمالهم فيتوفر لهم قليلها بحسب
ذلك ويكثر ، والراغبون تعثر بهم
الآفات المبطة لأعمالهم الفادحة
فى اخلاصهم بسبب رغبتهم فى
الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير
من أعمالهم لوجود النقصان
فيها » •

ومما يشير الى مقام التفويض
قوله « ما ترك من الجهل شيئا من
أراد أن يحدث فى الوقت غير
ما أظهره الله فيه » •

ومما يشير الى مقام الشكر
قوله : « من لم يعرف قدر النعم

— شعاع البصيرة يشهدك
قربه منك وعين البصيرة يشهدك
عدمك لوجوده وحق البصيرة
يشهدك وجوده لا عدمك
ولا وجودك •

— الهى ان رجائى لا ينقطع
عنك وان عصيتك ، كما ان خوفى
لا يزائلنى وان اطعتك •

— الهى اطلبنى برحمتك حتى
أصل اليك واجذبنى بمنتك حتى
أقبل عليك •

— أنت الذاكر من قبل الذاكرين
وأنت البادى بالاحسان من قبل
توجه العابدين وأنت الجواد
بالعطاء من قبل طلب الطالبين
وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا
من المستقرضين •

هذه لمحات من نور هذا السفر
الجليل الذى يجل شرحه ويعلو
قدره • نرجو الله سبحانه أن ينفعنا
به وأن يفتح أمامنا مغاليق فهمه
لنستضيء بنوره ، ونعرف قدر
صاحبه رضى الله عنه وأرضاه •

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

يدل على توحيد خالص وتنزيه كامل
لحضرة الحق جل وعلا وهو يسير
على غطاء مولانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم صاحب الشريعة
الغراء الكاملة • وهذه النماذج
القليلة القادمة كافية لاثبات ما
وصل اليه هذا الرجل العظيم من
معرفة والهام :

— من أشرقت بدايته أشرقت
نهايته •

— ما استودع فى غيب السرائر
ظهر فى شهادة الظواهر •

— شتان بين من يستدل به أو
يستدل عليه • المستدل به عرف
الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود
أصله ، والاستدلال عليه من عدم
الوصول اليه ، والا فمتى غاب حتى
يستدل عليه ؟ ومتى بعد حتى تكون
الآثار هى التى توصل اليه •

— تشوفك الى ما بطن فيك من
العيوب خير من تشوفك الى ما
حجب عنك من الغيوب •

— اخرج من أوصاف بشريتك
عن كل وصف مناقض لعبوديتك
لتكون لنداء الحق مجيبا ومن
حضرتة قريبا •

قضايا قرآنية

للدكتور عبد الغنى الراجحي

والقرآن كما وصف نفسه في أكثر من موضع عربى مبين وبلسان عربى مبين • والقرآن في هذا الصنيع لا يكون كاذبا ولا متقولا على من حكى عنهم أقوالهم غير العربية بلغة عربية ولسان عربى مبين لأن المقصود حكاية المعانى ولأن القرآن قد كسا هذه المعانى وهذه الحكايات أثوابا براقية من الاعجاز والبلاغة والفصاحة لا يستطيع التأتى لها من حكايت عنهم هذه المحكيات من الأقوال • ضرورة أنهم كانوا عن مستوى الاعجاز القرآنى والبلاغة القرآنية بمعزل حتى ولو كانوا قد نطقوا بالعربية فما بالنا وهم لم يعرفوا أصل العربية والله تعالى يقول في محكم كتابه « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » سورة ابراهيم • فاذا ما قال القرآن أن

أحب أن أقرر قاعدة قرآنية تفسيرية أجمع على صحتها كل الدارسين والمفسرين والمشتغلين بالقضايا القرآنية • تتلخص هذه القاعدة في أن الأقوال التى حكاها القرآن عن السابقين من الأنبياء والمرسلين وغيرهم لم تكن حين صدورها منهم باللغة العربية والألفاظ العربية ، وانما كانت بلغات أخرى تختلف من عهد آدم الى نوح الى ابراهيم الى موسى الى عيسى • فالقرآن حين يقص قصص هؤلاء ويحكى عنهم أقوالهم انما يحكيها بالمعنى كترجمة معنوية الى اللغة العربية ضرورة أنها كانت بالألفاظ غير العربية فحكاها القرآن بالألفاظ العربية والأساليب العربية لأن المقصود هو ذكر المعانى دون التقييد بخصوص الألفاظ •

عيسى في المهد قال لليهود كما حكى قصته في سورة مريم « انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام علىَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » فانه يكون لم ينطق بحرف واحد من هذه الحروف ولا بفعل من هذه الأفعال ماضيا كان أو مضارعا أو أمرا وانما ذلك كله عمل الأساليب العربية والبلاغة العربية التى تقرر هى الأخرى قواعد يتفق عليها جميع علماء الملة والدين من البلاغيين والمفسرين وغيرهم ، ومن هذه القواعد أن الشيء المستقبل قد يعبر عنه بالفعل الماضى الدال على الحصول بالفعل . لأن المضارع المستقبل اذا كان متحقق الوقوع لا سيما اذا كان من أفعال الله كان كأنه قد وقع بالفعل وصار أمرا حاصلا فيسوغ التعبير عنه بالفعل الماضى نظرا لتحقيق وقوعه ، فينزل تحقق وقوعه فى المستقبل منزلة وقوعه فعلا .

كما كان الأمر عليه فى قوله تعالى « أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون » أول سورة النحل ، وأمر الله هو البعث والقيامة وهو عند نزول هذه الآية لم يكن قد حصل . لكنه عبر عنه بالماضى نظرا لتحقيق وقوعه . كما أنه قد يعبر عن الماضى بالمضارع استحضرارا للحال الماضية وعلماء البلاغة يذكرون لذلك أمثلة وشواهد تستعصى على الحصر (١) . وهكذا ساغ للقرآن أن يحكى عن عيسى أنه قال بصيغة الماضى عن ربه أنه آتاه الكتاب وجعله نبيا وجعله مباركا وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حيا والبر بوالدته ثم ان عيسى قبل أن يولد برسالاته وآياته وبركاته وكل ما يتعلق به كان أمرا مقضيا فى علم الغيب فيما قضاه الله وكتبه كما قالت الملائكة لمريم لما تعجبت مريم وقالت « انى يكون لى غلام ولم يمسننى بشر ولم ألك بغيا » فردت عليها الملائكة قائلة لها : « كذلك قال ربك هو علىَّ هين »

(١) لايجوز ان يفسر القرآن من لم يتبحر فى علوم البلاغة الثلاثة (المعانى والبيان والبدیع)

ولنجعله آية للناس ورحمة منا
وكان أمرا مقضيا « سورة مريم ،
فيجوز أن يكون الايتاء والجعل
والوصية بالصلاة والزكاة كل ذلك
ماضيا باعتبار انه المكتوب المقدر
لعيسى والذي سيكون مستقبلا
عندما يكون نبيا رسولا في عمر
الثلاثين ، وكان ذلك ايذانا واعلاما
وانذارا لليهود من عيسى في مهده
بأن الأمر سوف يكون كذلك وأنه
تم قضاؤه فكأنما تم هو نفسه
لا سيما وأن هذا الاشعار لليهود
من عيسى يعتبر كالقضية التي
تحمل معها دليل صدقها فهو كلام
من وليد في مهده بالرسالات
والنبوات لا يكون الا من جهة
الله تعالى •

هكذا يستقيم المعنى ويتبين
المراد دون اللجوء الى ما قاله
الأستاذ مصطفى محمود من أن
الآية تدل على أن عيسى كان له
وجود قبل هذا الوجود آتاه الله
فيه الكتاب وجعله نبيا وأوصاه
بالصلاة والزكاة ما دام حيا •
كأنما كان اليهود على علم سابق
ومعرفة بهذا الوجود والالتقاء

بعيسى فيه حتى يحدثهم عما عرفوه
واعترفوا به • نعم ما الفائدة في
تحديثهم عن شيء لم يعرفوه ولم
يكلفوه ولم يشعروا به اطلاقا ••؟
ثم كيف كان هذا الوجود السابق
مشحونا بكل هذه الأمور : الكتاب
والنبوة والصلاة والزكاة والبر
بالوالدة؟! هل كان الوجود
السابق على نمط هذا الوجود
حتى في الكفر والايان والكتب
السماوية والصلاة والزكاة والوالدة
وبرها وجميع ما جاءت به الشرائع
السماوية؟ ولم اذن لا يكون هذا
الوجود السابق هو الآخر مسبوqa
بوجود سابق عليه حتى يتسلسل
الأمر أو يدور وتصير قصة الوجود
حلقة مفرغة لا يدرى لها أول من

آخر؟ ثم ما الفائدة من هذا الوجود
السابق اذا كان التكليف والحساب
والتقييم والديانات والرسل والكتب
السماوية وعلاقة الانسانية بخالقها
انما هو كله في هذا الوجود الذي
نعيشه ونعاينه ونعانيه • هذا
الوجود الذي هو الوجود على
الحقيقة وهو بيت القصيد ومربط
الفرس ودار التكليف وأرض

يجب أن يفهم منه أنه أوصاه في الماضي قبل مولده وآتاه الكتاب في الماضي قبل مولده ثم يختم كلامه بقوله هذا هو مدلول اللفظ العربي ونحن لا نتجنى على الألفاظ ولا نلويها عن مدلولاتها كما يقول الدكتور النمر، ونسى الدكتور مصطفى أو تناسى أن مدلولات الألفاظ ووجوه الدلالة تتعدد وتختلف بين الحقيقة والمجاز وبين مقتضى الظاهر والخروج عن مقتضى الظاهر وبين المعنى المقبول الذي تقره الشواهد والقواعد الدينية واللغوية والمعنى الغريب الشاذ الذي لا تعززه الشواهد . وهذه أمور تلتبس على كثير من الناس في تفسير آيات القرآن الكريم فيخطئون مدعين أنهم على حق وأنهم أحرار في فهم القرآن ما داموا متمسكين بمدلولات الألفاظ . وإن النظر في القرآن وتدبره على أى شكل كان عبادة مأمور بها ، والباطنية وبعض الصوفية والاشاريون والمغالطون في فهم نصوص القرآن أكثر بضاعتهم من هذا القبيل ويؤكدون أنهم يتدبرون القرآن وأنهم خضع

الخلافة الانسانية ومناط الثواب والعقاب ومقدمة الدار الآخرة والدنيا مزرعة الآخرة والآخرة حصاد الدنيا ولا تعرف الانسانية حتى اليوم وجودا قبل هذا الوجود أو تسمع عنه الا من شطحات فلسفية كشطحة أفلاطون في قوله بنظرية المثل التي لم يستطع أحد أن يقنع بها أحدا .

لقد كان غريبا وعجيبا من الدكتور مصطفى محمود وهو يرد على الدكتور النمر فيقول له في أهرام ٢١/٨/٧٩ « ألم يقل عيسى وهو في المهد انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » سورة مريم متى آتاه الله الكتاب وجعله نبيا مباركا ومتى أوصاه وهو يتكلم في المهد لم يكده يلقمه الثدي بعد . ثم يقول هذا كلام صريح ومباشر عن أمر سبق في مستوى من الخلق سبق ، والمتكلم هو عيسى من البشر فاذا قال بالماضى فهو ماض لا شك فيه ، واذا قال ان الله أوصانى فان المعنى المباشر والبسيط

ركوع حول نصوصه • كما يقول الدكتور مصطفى محمود تماما •
ومما يدل دلالة واضحة على أن الماضي في قول عيسى آتاني الكتاب وجعلني نبيا لا يراد به الماضي في وجود قبل هذا الوجود بل يراد به الماضي في سابق علم الله وتقديره أو يراد به المضارع المستقبل ، المؤكد حصوله أن هذا المعنى نفسه جاء في سورة آل عمران بصريح المضارع المستقبل ، والقرآن يفسر بعضه بعضا ويحمل بعضه على بعض وذلك حينما تحدثت السورة عن أن مريم لما بشرتها الملائكة بعيسى تعجبت وقالت « أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر » فردت الملائكة قائلة لها « كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » ثم قالت لها : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » هكذا بصيغة المضارع المستقبل ، ثم تمت الملائكة حديثها فقالت « ورسولا الى بنى اسرائيل » والتقدير ويرسله أو يجعله رسولا الى بنى اسرائيل ، يقول لهم : « انى جئتكم بآية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير

فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الأكمه والأبرص وأحى الموتى باذن الله » • الى أن قال : « ومصدقا لما بين يديّ من التوراة » الى أن يقول لهم : « ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » الى أن ذكرت الآيات أنهم كفروا فقالت « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله • • » الآيات • فلما كان هذا كله في هذا الوجود لا يختلف في ذلك اثنان وجب حمل ما في سورة مريم على ما في سورة آل عمران بجعل اتياء الكتاب والنبوة والرسالة وسائر مقولاتها وأحوالها كلها كائنة في هذا الوجود عند بعثه الى بنى اسرائيل •

ويتكرر المعنى نفسه مرة ثالثة في سورة المائدة بأسلوب قوله تعالى : « واذا قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا • واذا علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل • واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذن فتنفخ

يجمع فيها نصوص القصة من مواطنها الثلاثة في سورة مريم وآل عمران ، والمائدة يقارن الآيات بعضها ببعض ويفسر بعضها ببعض ويحمل بعضها على بعض لما تنسئ له أن يقول ما قال لأنه سيكون مضطراً الى حمل ما في سورة مريم على ما في سورتي آل عمران والمائدة ، لأن ما فيه خفاء ولو عند بعض الناس يحمل على ما فيه وضوح وجلاء عند كل الناس •

ان ايتاء الكتاب وتعليمه والنبوة والرسالة لعيسى ورد ذكره في ثلاثة مواطن من كتاب الله وسوره في كلام عيسى في مهده كبشارة وارهاص وانذار وتبرئة لأمه من تهمة اليهود لها بالفاحشة • والثاني في كلام الملائكة لأم عيسى وتبشيرها بأنه سيعطى الكتاب والحكمة والنبوة والتوراة والانجيل ، والثالث من كلامه تعالى في مقام تذكير عيسى بنعمه تعالى عليه وعلى رأسها تعليم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل والآيات البينات حين أرسله الى بنى اسرائيل ، ولا شك أن هذا كله انما كان في

فيها فيكون طيرا باذنى • وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى • واذ تخرج الموتى باذنى • واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبین » فتعليم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل جاء في ركب ورتل طويل من الأمور التي وقعت في هذا الوجود بين عيسى وأمه وقومه ومعجزاته المسرودة المعددة من المهد والطين والطير والأكمه والأبرص واحياء الموتى وكف الله لبنى اسرائيل عنه لما كفروا فكذلك تعليم الكتاب وايتاء الكتاب يجب أن يكون منظوما في خيط واحد مع هذه الأمور وواحدا في ركبها وكلها في هذا الوجود ، لا في وجود قبل هذا الوجود هل من المعقول أن يذكر الله رسوله بشيء في وجود لا يعرفه ويستحيل أن يتذكر شيئا فيه ؟ انه يكون هو التكليف بالمحال وبما لا يطاق وهو لا يقع من الحكيم العليم ، كما أجمع على ذلك علماء الأصول تنزيها لله عن السفه والعبث •

ولو أن الدكتور مصطفى درس القصة والقضية دراسة موضوعية

وجودنا هذا لا في وجود سابق عليه . والا . فهل جعل لوجودنا هذا وجود سابق عليه كأنه بروفة أو نموذج له فكان فيه الأنبياء والمرسلون والكتب السماوية والمعجزات والكفرة والمسلمون والصراعات وسائر مظاهر العمران البشرى؟! لقد قال الدكتور النمر انه ترف عقلى لا تؤيده الشواهد ولا تعززه الأدلة ، فقال له الدكتور مصطفى ليس ترفا يا سيادة الوزير . . والجواب نعم ليس ترفا ، ولكنه شطح وهوس .

ومن منطلق التفسير الموضوعى . . وجمع الآيات الواردة فى المعنى الواحد والموضوع الواحد لتلقى الأضواء بعضها على بعض نقول لو أن الدكتور مصطفى فعل ذلك فى تفسير قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين » لما تسنى له أن يقول ان هذا الخلق كان فى وجود قبل هذا الوجود ، فان الآيات الأخرى الواردة فى القرآن فى نفس هذا الموضوع تبين أجلى بيان أن المراد هو هذا الخلق فى هذا الوجود ، فان الله تعالى يخاطب

انسان هذا الوجود فيقول له : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك . كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » سورة الانقطار . فالشق الأول من الآيات هو الخلق فى أحسن تقويم ، والشق الثانى بعد كلمة « كلا » هو الرد أسفل سافلين ، ثم يقول الله فى موضع ثالث مخاطبا أهل هذا الوجود « الله الذى جعل الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات » سورة غافر . فأحسن التصوير وأى صورة ما شاء ركبك وأحسن تقويم كله بمعنى واحد وفى وجود واحد . الهيئة الجميلة والحالة اللطيفة معنوية وحسية التى خلق عليها انسان هذا الوجود من الفطرة البريئة الطاهرة ، وكل مولود يولد على الفطرة والصورة الخلقية الجميلة التى خلق الله عليها الانسان وقال فيها : « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهدينا النجدين . . الى أن قال : « ثم كان من الذين

آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة » ، سورة البلد • جمال التقويم والصورة والهيئة معنوية وحسية • وفي حالة الرد أسفل سافلين تقول الآيات في نفس هذه السورة وهذا السياق « الذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب المشئمة عليهم نار مؤصدة » ان الله استثنى في سورة التين من الرد أسفل سافلين الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون • وقضية هذا الاستثناء انهم من المخلوقين في أحسن تقويم غير المردودين الى أسفل سافلين وكل ذلك في هذا الوجود ، فان الله خلق الانسان في هذا الوجود معززا مكرما وجعل فيه من الطاقات والكمالات والخصائص ما لأجله أسجد له ملائكته وجعله خليفة في أرضه » ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » سورة الاسراء •• وان الله خلق آدم يوم خلقه على هيئته بأن أودع فيه من الكمالات الربانية الشيء الكثير ، وفلاسفة الاسلام يعرفون الحكمة

بأنها التشبه بالكمالات الربانية على قدر الطاقة البشرية ، وفي الحديث القدسي جعلت عبادى حنفاء ، ولكن الشياطين اجتالتهم ، فالشق الأول من الحديث هو أحسن تقويم • والشق الثانى هو أسفل سافلين ، أحسن التقويم وأحسن التصوير والفطرة السليمة السوية ، ثم الرد أسفل سافلين لمن فسدت فيهم الفطرة وتخطفتهم الشياطين فارتدوا من ملائكة الطاعة الى بهيمة المعصية • كل ذلك في هذا الوجود •

وأخشى بالنسبة للدكتور مصطفى محمود أن يضمه رأى العام الى خبراء ماسيرو الذين يفسرون القرآن بالعلمانية فيدخلون في معانيه ما ليس منها ويحملون الألفاظ ما لا تطبيقه ولا تتحملة ويجرجرون كتاب الله الى مجالات لم ينزل من أجلها ولا يثبت النظر فيها على رأى واحد ، مدعين انه الاعجاز العلمى للقرآن ، أو التفسير العلمى للقرآن ، أو الدلالات العلمية فى آيات القرآن • والله يعلم أنها فوضى التفسير للقرآن •
دكتور عبد الغنى الراجحي

مع آيات من سورة النساء في ليلة من رمضان

بقلم الأستاذ عبد الحميد الفضالى

أجلى .. وما فاتنى من الخير كثير
.. وما بقى من عمرى قليل ..
لكن الرجاء فى الله كبير .. والطمع
فى غفرانه وفير .. فلمحة من
رضاه تملأ القلب ريا .. وثفحة من
ضياه تجعل الفاسق تقياً .. بل
تحيل الكافر ولياً ..!!!

واذن فلا يأس عندى من روح
الله أو رحمته .. ولا قنوط من
أفضاله ورأفته .. انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الخاسرون ..
ونعوذ بالله أن نكون من الخاسرين
.. اللهم آمين .

ومن هنا رغبت فى قيام ليلة مع
القرآن الكريم .. فى قراءة آيات
من سورة النساء .. قصدت بها
أن أعيش فيها ، كما يعيش
المتعبدون ناسكاً متعبداً ، مستلهما
هديها ، مستقرئاً وحياً ، مستعينا

رغبت فى شهر رمضان ، فى
أن أخطو الى الأمام خطوة أعمق ،
فى مرضاة الحق تبارك وتعالى ..
فاجتهدت ، فى حدود طاقتى
- فى توثيق صلتى بربى ..
وبالمسلمين من حولى .. فيما يتعلق
بالعبادة ، والقراءة والصلاة ..
وفيما يتصل بالمعاملات ، والسلوك
والأخلاق !!..

فالإنسان صالح للتغيير
والتبديل ، ومستعد للخير والشر
- ما دام على قيد الحياة ، ومادام
فيه قلب ينبض ، ونفس يتردد ،
وتميز وشعور ، ونزوع وإرادة ،
واحساس ووجدان .. وقلت فى
نفسى : عسى الله أن يغفر لى ذنبى ،
ويستر عيبى ويفرج كربى ، وأن
يعوضنى بعض ما فاتنى من الخير
فى سالف عمرى ، وفيما بقى من

كاملين يليقان بمقامه الكريم ،
 فى قوله تعالى : « ان تعذبهم فانهم
 عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت
 العزيز الحكيم » .. وقلت فى
 نفسى : ان ذلك فوق طاقتى ، وفوق
 احتمالى .. فأين انا من هؤلاء
 الأبطال الكرام الأوفياء !!؟ ..

ان أفقى لأضيق من آفاقهم ..
 وان ايمانى لا يقاس بايمانهم ..
 وان استعدادى لدون استعدادهم !!
 انهم - رضى الله عنهم - فى
 السماء كانوا يعيشون .. فتنزل
 عليهم فى سمائم الرحمات ..
 وتنهل عليهم فى سموهم -
 الفيوضات .. وتستغرقهم وتتسع
 لهم الآية الواحدة من الآيات ..
 تملأ فراغهم ، وتحيط بهم ، وتحبى
 ليلهم .. أما أنا ، فما ازال على
 الأرض أعيش .. أرجو من الله
 غفران ذنوبى .. وستر عيوبى ..
 وأن يمنحنى رضاه .. وعساه
 يرضى عنى ، وقد وقتت ببابه ،
 محبا لكتابه ، متمسحا فى ركابه
 - فيجعل كل ما يصدر منى ابتغاء
 مرضاته ، وخالصا لوجهه
 الكريم .. !!

بموجبها ، حاضر القلب والذهن فى
 شتى نواحيها ، ما استطعت الى
 ذلك سبيلا .. طامعا فى كرم الله
 وعونه ، وفى عطاء قرآنه الذى
 لا ينفد له عطاء ، ولا يحرم من
 خيره راغب فيه .. « انه لقرآن
 كريم » .. !!

وقد عشت ليلتى فى الربع الأول
 من السورة .. وفى بضع آيات
 من الربع الثانى .. أى عشت
 موضوعا كبيرا رحبا ، واسعا
 ضخما .. متنقلا بين أجزائه
 وعناصره .. مستروحا فى أجوائه
 وذخائره .. بالوقوف بعض الوقت
 حيال كلماته ودلالاتها وإيحائها ..
 فقد رأيت أن ذلك أليق باحتمالى ،
 وأيسر لى ، من أن أعيش الليل كله
 فى آية واحدة ، أقف حيا لها مستغرقا
 خاشعا ، سابحا فى جنباتها ،
 غواصا فى أعماقها - كما كان
 يعيش الرجال الكبار الاطهار ،
 من الصحابة والتابعين وتابعيهم
 باحسان .. اقتداء برسول الله صلى
 الله عليه وسلم .. فلقد قام الرسول
 - عليه الصلاة والسلام - ليلة مع
 الله ، فى خشوع واستغراق تامين

الموضوع .. يدل عليه المشار إليه ، فى قوله تعالى فى الختام :
« تلك حدود الله .. الخ » ..

فباستعراض هذه الحدود والتشريعات ، التى احتوتها الآيات - ظهر أنه وضعت لاحقاق الحق وابطال الباطل .. وضعت لانصاف اليتامى « ذكورا واناثا » ، بحفظ الأموال ، وصيانة الأعراض ، ورفع الجور ، فى نكاح اليتيمات ، بالزواج من غيرهن .. فى حدود العدد الذى أباحه الله فى شرعه الحكيم . مع مراعاة العدل بين الأزواج .. والا فواحدة .. وضعت لتعديل نظام الميراث ، واقامته على أساس القرابة التى بينهم ، واعالة أغنيائهم لفقرائهم .. وذلك لتوريث المحرومين من الصغار والنساء .. وضعت لانصاف المرأة بوجه عام ، ورد اعتبارها - بنتا ، وأختا ، وزوجة ، وأما ..!!

واذن فالموضوع - موضوع واحد متكامل مترابط ، لرفع الظلم والجور عن هؤلاء المستضعفين فى الأرض بغير الحق ، واتقاء الله

ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .. والاعتراف بالحق فضيلة .. فما أضربنا ، وأذلنا ، وأتعبنا - الا عدم وقوفنا عند حدودنا ..!!!

ألا فليقف كل منا عند حده لا يتجاوز ولا يعدوه ..!!

ان عبادة الله فى قرآنه ، لأعظم بكثير مما يظن الظانون ، أو يتوهم الواهمون ..!

انها ليست من السهولة بمكان .. انها لتتمايز فيها المقامات .. وتتفاوت فيها الطاقات والاحتمالات وتختلف فيها العلاوات والدرجات .. وكل ميسر لما خلق له .. والله فوق الكل فى عليائه .. ولا حول ولا قوة الا به ..!!

فالى مكانى من آيات سورة النساء :

استعرضتها أول الأمر استعراضا عاما ، فى تلاوة خاشعة متأنية متفهمة .. فبدت الآيات كأنها فى موضوعات متباينة .. ولكن بمعاودة النظر اليها والاستماع اليها - مرات ، ومرات - ظهر أن فيها رابطا جامعا ، ينادى بوحدة

والنداء من شأنه أن يوقظ
النائمين ، وينبه الغافلين ..
فاذا كان من الرب ، فهو نداء
من أجل تربيتهم ، وتحقيق الخير
والسعادة لهم ، في دنياهم وآخرتهم
لأنهم عباده .. وأنه بعباده لرءوف
رحيم !!

ثم انه سبحانه يناديهم بوصفهم
ناسا ، وذلك ليشعرهم بالوصف
الجامع لهم ، ويذكرهم بأنهم جنس
واحد ، لا فرق بينهم ، ولا تمييز
لأحد من بينهم .. فكلهم ناس ،
من الانس المكلفين من خلقه ..
وهو خطاب كذلك للمعنى الانساني
الذي ينتظمهم جميعا ويؤلف بينهم،
ويميز جنسهم عن سائر الكائنات
الحية ..!

ثم هو سبحانه يأمر بالتقوى ،
التي هي اتخاذ الوقاية التي تقى
الناس من عذاب الله وتحفظهم من
غضبه وسخطه .. والتي أساسها :
الخوف من الجليل .. والعمل
بالتنزيل .. والاستعداد ليوم
الرحيل .. !!!

ويصف معمولها بالرب « اتقوا
ربكم » ، لينبههم الى أنه سبحانه

فيهم ، برد حقوقهم كاملة اليهم ،
على ضوء ما حدد « الشارع »
من حدود ، وبين من تشريع ، ليسعد
الجميع أقوياء وضعفاء ..

والا ، فمن يعص الله ورسوله ،
ويتعد حدوده ، يدخله نارا خالدا
فيها ، وله عذاب مهين !!

ثم رآيت الله في الآية الأولى :

رأيت الله تبارك وتعالى ، وهو
الرب المربي لعباده سبحانه ..
يهيئهم لقبول توجيهه وارشاده ،
تفضلا منه ورحمة - في الآية
الأولى من السورة .. حيث يناديهم
في اشفاق عليهم وعناية بهم ، في
قوله : « يا أيها الناس اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة ..
الخ الآية » .. وهو سلوك تربوي
قويم اختاره رب العالمين - يجب
أن يحتذى من المربين .. في تربية
الأولاد وفلذات الأكباد ، لا يقاطهم
وترقيق قلوبهم ، وتحقيق الخير
والفلاح لهم !!

ان الله تبارك وتعالى بنادى
عباده ..

وحده - هو ربهم الذئى خلقهم
بقدرته ، فليس لهم رب سواه !!

وهو بذلك يدعوهم لخشية
المستحق للخشية القادر على كل
شئ .. ومن قدرته أنه خلقهم من
نفس واحدة ، هى آدم ، خلقها من
الطين .. وخلق منها زوجها حواء ..
ثم كان خلقهم منهما بالتناسل ،
« وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »
.. وفى ذلك اشعار لهم بوحدة
الأصل ، بعد أن أشعرهم بوحدة
الرب الخالق القادر على خلقهم من
نفس واحدة !!

.. وفى قوله « من نفس واحدة »
اشعار لهم أيضا بأن النفس الانسانية
هى أعمق ما فى هذا الكيان
البشرى .. فهى مكنى المشاعر
والصلات والروابط التى لا تنقطع
وشائجها ولا تبلى روابطها .. انها
وشائج اللحم والدم والروح فى
كيان الانسان !! وذلك مما
يقوى عمق الصلة ويوثقها بين
الزوجين - آدم وحواء - وكل
زوجين من ذريتهما .. فبين الجميع
آصرة واحدة ورابطة متجانسة ،

تجمعهم رحم واحدة .. وذلك من
شأنه أن يستوجب تألفهم وتفاهمهم
وتعاونهم .. ويستنكر تناكرهم
وتباغضهم وتنافرهم .. فهل من
مذكر !!

... ان القلوب حين تتقى الله
ترق وتلين ، وتستيقظ فيها أنبل
المشاعر ، فتسارع الى طاعة الله ،
وتلبية ندائه فى الخيرات بأذنه ،
عن حب لها ورغبة فيها واقبال
عليها !!

ولذا يكرر الله الأمر بالتقوى
التى هى دائما صمام الأمن للمتقين
.. ويجمع فى الأمر بها للمرة
الثانية - بين دعوتهم لتقوى الله ،
ودعوتهم لتقوى الأرحام .. ولكن
بأسلوب يحى موات القلوب ..
حيث يذكرهم بواقعهم ، اذا ما
اشتدت بهم الكروب .. فيقول
سبحانه : « اتقوا الله الذى تساءلون
به .. والأرحام » التى تساءلون
بها .. انه سبحانه يذكرهم
بلجوتهم اليه ، واستعانتهم به ،
حين تتأزم أمورهم ، وتشتد
احتياجاتهم : « واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه ، أو قاعدا ،

والرقابة : هى أقصى درجات الملاحظة .. والله هنا هو الذى يراقب ، فلن يفلت من رقابته أحد ، لأنه يعلم السر وأخفى .. فكأنه يقول : أنا فى انتظار ما تفعلون ، وأنا العليم بكل ما يصدر عنكم أو يكون منكم .. وسأجازى بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا .. جزاء وفاقا ، لأننى أنا الله الذى لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون .. فهى عبارة تحمل فى طياتها أعماق دلالات الترغيب والترهيب .. الترغيب فى طاعة الله ، وامثال أوامره .. والترهيب من عصيانه ، وارتكاب ما نهى عنه .. سبحانه ، سبحانه .. !!

وهكذا تكون التربية السليمة المثمرة : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .. »

فمن الخير اذن ، للمصلحين والدعاة الى الخير ، أن يتخذوا من أسلوب القرآن منهجا فى التربية النفسية والروحية والسلوكية والأخلاقية .. وأساسا فى تهيئة الناس لتلقى ما ينفعهم بقبول

أو قائما .. » .. كما يذكرهم بسؤال بعضهم بعضا بالله ، وبالرحم حين يقول بعضهم لبعض : أسألك بالله الا أغثتنى ، أو عاوتتنى .. وأسألك بالرحم التى تجمعنا وتربطنا ، الا رحمتنى ، والا فعلت كذا وكذا .. !!

فكان الله يقول لعباده : اننى أنا الله الذى تذكرونه حين يشتد الكرب ، وتستغيثون به أن يغيثكم ولا مغيث سواه .. فاتقوا الله .. اتقون يا أولى الألباب لعلمكم تفعلون .. واتقوا هذه الرحم التى تذكرونها ، وتستدرون العطف بها فيما بينكم ، فى شدائدكم ومتاعبكم .. فلا تأكلوا حقها ، ولا تمسوها بسوء .. وتوقوا ايذاءها ، أو تجريحها أو اغضاها .. فهى أولى منكم بالتوقير والاحترام والعيش بها ، ومعها فى سلام .. !! ثم يختم الله الآية الكريمة بقوله : « ان الله كان عليكم رقيبا » ، ليشعرهم بأنهم جميعا تحت رقابته القادرة ، التى لا تخفى عليها خافية ، والمحيط بكل شيء علما .. !!

جاء ذلك في قوله تعالى :
« وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم
فليتقوا الله ، وليقولوا قولا
سديدا » .

ولذلك نرى الله تبارك وتعالى
بعد أن هيا النفوس لخشيتيه
وتقواه في الآية الأولى - يلقي
تعليماته في الآية الثانية ، للأوصياء
على اليتامى .. فيأمرهم بأن يردوا
الى اليتامى أموالهم كاملة غير
منقوصة ، فهي أمانة تحت أيديهم -
وذلك اذا ما بلغوا رشدهم ،
وصاروا قادرين على رعاية أموالهم
... وحذرهم من ظلم اليتامى ،
فنهاهم عن أخذ أموالهم الجيدة ،
وأعطائهم بدلا منها أموالا رديئة ..
كأخذهم ابلا صحيحة ، أو ماشية
مليمة ، واعطائهم بدلا منها ابلا
مريضة ، وماشية هزيلة علية .. أو
أخذهم الجيد من الأرض ، واعطائهم
الرديء منها .. أو أخذهم من
المحصول جيده واعطائهم رديئه ..
وهكذا في أى نوع من أنواع المال
يكون فيه الجيد وفيه الرديء ..
كما نهاهم عن أكل أموال اليتامى

حسن .. والا فقد أعذر من أنذر
.. وما كنا معذيين حتى نبعث
رسولا ...!!!

ورایت عناية الاسلام باليتامى

في الآية الثانية ١

واليتامى جمع يشمل الذكور
والاناث ..

وليس أقسى من اليتيم ، ولا
أشد من وقعه على النفوس ..
ففقد الآباء غالبا ما يكون كارثة
على أبنائهم وبناتهم ، وبخاصة
اذا كانوا صغارا ضعافا ، ولم
يجدوا منصفا .. !

والآباء بطبيعتهم يحبون أولادهم
ويرجون الخير والأمان لهم ..
ولذلك نجد الله بعد ذلك في آية
أخرى ، يستغل هذا الحب الطبيعي
الطبرى في الآباء جميعا ، فيدلهم
على صمام الامان لأولادهم اذا
ما خافوا عليهم بعد موتهم - وهو
أمر ميسور لهم وسهل عليهم : ان
يتقوا الله في أولاد الغير ، فيعدلوا
معهم ، ويحسنوا اليهم ، وأن يقولوا
بشأنهم كلمة الحق والعدل والخير،
وأن لا يسيئوا اليهم حتى بالكلمة ..

ولم يعتبر الظلم نوعاً من الشرك ..
قال تعالى : « ان الشرك لظلم
عظيم » ..

وما جلب على البيوت خرابها
الا ظلم أصحابها للناس ، قال تعالى :
« فتلک بيوتهم خاوية بما ظلموا » ..
وكذلك ما يصيب الدول من
تفكك وانهايار ودمار ، انما هو من
جاء انتشار الظلم فيها : « وتلك
القرى أهلكتهم بما ظلموا » ..

والكلام فى الظلم يطول ..
وحسبنا أن نعلم أنه سبحانه
لا يتسامح فى حق عبد من عباده ،
وان تسامح فى حق نفسه ،
سبحانه جل شأنه .. ولن يفلت من
عقابه ظالم أبداً ، فقد قال الرسول
— صلى الله عليه وسلم : « ان الله
ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم
يفلته » •

وقال تعالى : « سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم
ان كيدى متين » ..

بضمها الى اموالهم كلها أو بعضها
.. وبين لهم أن ذلك الأكل لمال
اليتيم — ذنب كبير وظلم خطير ،
حيث قال : « انه كان حوفاً كبيراً »
أى ذنباً عظيماً !! ..

هذا ، وليس أبغض الى الله من
الظلم فى جميع صوره وأشكاله !!
ولذا فقد حرم الله الظلم على
نفسه ، حيث قال : « يا عبادى
انى حرمت الظلم على نفسى ،
وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا »
.. ومن شدة بغض الله للظلم أنه
سبحانه ينصر الدولة الكافرة اذا
كانت عادلة ، ولا ينصر الدولة
المؤمنة اذا كانت ظالمة : « وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها
مصلحون » ..

ومن شدة بغض الله للظلم أنه
لا يرد دعوة المظلوم ، ولو كان
كافراً ، حين يدعو على ظالمه وإن
كان مؤمناً : « اتقوا دعوة المظلوم ،
فانه ليس بينها وبين الله حجاب » •

ومن بشاعة الظلم أن الله قد
اعتبر الشرك به نوعاً من الظلم ..

عناية أخرى باليتيمات اللاتي تحت الوصاية :

فى قوله تعالى : « وان خفتم
ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا
فواحدة .. » ..

وتلك ظاهرة خاصة باليتيمات
عن طريق الزواج .. وفيها قد فتح
الله باب الزواج واسعا ، تحاشيا
لظلم اليتيمات .. مع مراعاة
العدل فى الزواج بغيرهن .. والا
فواحدة .. !

وذلك اجمال يحتاج الى بيان

*** فبعد أن طالب الله
الأوصياء بأن يعدلوا مع اليتامى
يرد أموالهم اليهم سالمة كاملة متى
بلغوا رشدهم — طالب الأوصياء
مرة أخرى ، لشدة عنايته باليتيمات
— بالابتعاد عن زواج اليتيمات
القاصرات ، ان كان الزواج بهن
مظنة ظلم لهن ، أو خوف عدم
العدل معهن .. ومن باب أولى
إذا كان الدافع على الزواج منهن
— الطمع فى أموالهن ، أو هضم
حقوقهن ، فى مهر أمثالهن ، أو

انقاص حقوقهم المادية والأدبية
كأترابهن .

فالآية تقول :

ان خفتم ألا تقسطوا فى يتامى
النساء ، أى ألا تعدلوا معهن ،
فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم
من غيرهن ، تحاشيا لظلم اليتيمات،
وبعدا عن الجور معهن .. لأن من
يستغل ضعف الضعيف فيظلمه هو
انسان خسيس .. فما بالك بمن
يظلم يتيمة ضعيفة !!؟

*** وليس معنى هذا اباحة
ظلم غيرهن من الأزواج ، كما
سيأتى بيانه

*** ان القوة ليست بدائمة ،
بل هى عارية مستردة .. وسرعان
ما يصاب الأقوياء بالأمراض والعلل
التى لا علاج لها ، حتى يدركهم
الموت ، وهم نادمون — بعد فوات
الأوان — على ما ارتكبوا من ظلم
وبغى ، وفساد وافساد .. فهل من
معتبر !!؟

*** وانما يحدث الطغيان
عادة ، فى غياب الايمان ..!!

بين النساء، فقللوا عدد المنكوحات،
لأن من تخرج من ذنب أو تاب عنه
وهو مرتكب مثله ، فهو غير
متخرج ، ولا تائب ، لأنه انما وجب
أن يتخرج من الذنب ويتاب عنه
نقبحه ، والقبح قائم فى كل
ذنب .. !!!

*** وقيل : كانوا لايتخرجون
من الزنا ، وهم يتخرجون من ولاية
اليتامى .. فقيل : ان خستم الجور
فى حق اليتامى ، فخافوا الزنا ،
فانكحوا ما حل لكم من النساء ،
ولا تحوموا حول المحرمات ..
فتكون الآية معه لبيان حكم
اليتيمات ، وتحذيرا من التورط فى
الجور عليهن ، وأمر بالاحتياط ،
وفى غيرهن متسع الى الأربع ..
بشرط مراعاة العدل واعطاء كل
ذات حق حقها ..

*** وقيل أيضا : كان الرجل
يجد اليتيمة لها مال وجمال ،
ويكون وليها ، فيتزوجها ، ضنا
بها عن غيره .. فربما اجتمعت عنده
عشر منهن ، فيخاف لضعفهن ،
وفقد من يعصبهن أن يظلمهن
حقوقهن ، ويفرط فيما يجب لهن

فلو آمن هؤلاء الطغاة ، فخافوا
الله ، أو فتذكروا أن قوة الله فوق
قوتهم ، وأنه للباغين بالمرصاد -
لما كانوا حيوانات مفترسة ، ولا
حشرات مؤذية !! ..

وما أحسن القول المشهور : اذا
دعك قدرتك الى ظلم الناس ،
فتذكر قدرة الله عليك !! ..

ثم أعود الى الآية مرة أخرى :

*** جاء فى تفسير الكشاف
للزمخشري :

- لما نزلت آية اليتامى وما فى
أكل أموالهم من الحوب الكبير ،
أى الذنب العظيم ، خاف الأولياء ،
أو خاف الأوصياء أن يلحقهم
الحوب بترك الاقساط والعدل
فى حقوق اليتامى ، .. وأخذوا
يتخرجون من ولايتهم ، وكان
الرجل منهم ربما كان تحته العشر
من الأزواج ، والثمان ، والست
- قبل أن يتحدد العدد بأربع -
فلا يقوم بحقوقهن ، ولا بالعدل
بينهن .. فقيل لهن : ان خستم ترك
العدل فى حقوق اليتامى ، فتخرجتم
منها ، فخافوا ، أيضا ترك العدل

•• ف قيل لهم : ان خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طالب لكم ، بشرط اعطاء كل ذات حق حقها في المعاملة وفي الحقوق الظاهرة •

ويؤيد هذا قوله تعالى : « فان خفتهم ألا تعدلوا » بين هذه الأعداد « ثنتين ، أو ثلاثة ، أو أربعة » في المعاملة والحقوق الظاهرة ، كما خفتهم ترك العدل فيما فوقها - قبل تحديد العدد بأربع - «فواحدة» أى فالزموا ، أو فاختراروا واحدة وذروا الجمع رأسا •• فان الأمر كله يدور مع العدل •• فأينما وجدتم العدل فعليكم به •

وليس من شك في أن التحديد بواحدة أقرب الى اجتناب الظلم والجور - وبخاصة اذا لم تكن هناك ضرورة موجبة للزواج بأخرى - بدليل قوله تعالى بعد ذلك : « ذلك أدنى ألا تعولوا » أى أقرب الى عدم الجور ••

ان الظلم حرام ، فالوسيلة اليه حرام •• وان اجتناب الظلم واجب ، فالوسيلة الى اجتنابه

واجبة •• واذا كانت الوسيلة الى الظلم هي التعدد ، فالوسيلة الى اجتنابه هي التوحد •

تعدد الزوجات :

في قوله تعالى : « مثنى ، وثلاث ، ورباع » •

بيان لما أباحه الله تبارك وتعالى للراغب في الزواج - بعد تحديد العدد بأربع - من الجمع بين ثنتين ، أو ثلاث ، أو أربع •

وانه ليدور لفظ حاقد على الاسلام ، من أولئك المتعصبين ضده تعصبا أعمى - حول اباحة الاسلام للزواج بأربع نساء •

ولو أنصف هؤلاء ، وأحبوا الطهر والنقاء ، لحمدوا للاسلام هذا الصنيع ••!!

- ان عليهم أن يعلموا ، ان كانوا لا يعلمون ، أن التعدد كان موجودا قبل الاسلام في الجاهلية ، بدون قيود ولا حدود •• حتى ان الرجل منهم يكون تحتته من النساء العشرات •• وكذلك كان تحت بعضهم العديد من النساء بعد

وانها لتؤيد الزيادة المضاعفة للنساء على الرجال ، بما هو أكثر من ثلاثة الأمثال .. !

— ومنها ما يكون فى حالات مرض الزوجة أو عقمها ، ورغبة الزوج فى الابقاء عليها ، أو حاجتها هى إليه ، مع شدة حاجته الى زوجه أخرى يضمها الى عصمته ، ويحافظ على طهارته ..

— ويجب أن يكون معلوما أيضا ، أن الاسلام لا يعرف الخيليات للرجال ، ولا يقر الخيانات الزوجية المنتشرة بين الأزواج والزوجات فى أوروبا ، ولا يستبيحها لمسلم يؤمن بالله ، ولا لمسلمة تؤمن بالله ..!!! بل يحاسب عليها اذا ثبتت بالقتل رجما ..

— ان الرجل هناك (عند من ينتقدون شريعة الاسلام فى تعدد الزوجات) فى أوروبا — مطلق الحرية فى أن يخالل من النساء المتزوجات من غيره ما يشاء .. وللمرأة كذلك أن تخالل من الرجال من تشاء .. وذلك ليس بعيب

الاسلام — قبل أن تنزل آية تحديد العدد بأربع — فكان التحديد من الله العليم الخبير هو التشريع الأمثل والاصلاح الأكمل ، لأنه سبحانه هو وحده العليم بما يصلح وما لا يصلح ، وما يضرهم وما ينفعهم ، وما كان وما سيكون منهم .. « ألا يعلم من خلق » ؟!!

— وقد ثبت من واقع الحياة وواقع الأمم أن ما شرعه الله هو الخير للبشرية ، ما دامت حريصة على طهارتها ونقاها ..

— فقد ثبت أن تعدد الزوجات قد يكون ضرورة لحياة الجماعة وأمنها ووقاية لها فى حالات كثيرة ..

— منها ما يكون فى أعقاب الحروب والأوبئة التى تجعل عدد الاناث فى الأمة أحيانا ثلاثة أمثال عدد الذكور ..

وما أخبار الحرب العالمية الثانية ببعيدة .. وان ما حدث فى ألمانيا ، وفى غير ألمانيا من زيادة أعداد النساء على أعداد الرجال لا يخفى .. !!!

في عصمته بين تسع من النساء ..
في حين لم يبح لأحد من أمته أن
يزيد على أربع !!!

وهؤلاء جميعا ، قد غاب عنهم
أن الاسلام حين جاء ، كان اطلاق
العدد في الزواج مباحا عند العرب
في جاهليتهم .. يتزوج الواحد
منهم من النساء ما يشاء غير مقيد
بعدد .. وقد كان فيهم من تحته
عشرات النساء .. وظل الأمر
كذلك فترة في الاسلام .. قبل
تحديد العدد بأربع .. لقد كان في
المسلمين من في عصمته الثمانية
والعشرة وأكثر ، من النساء !! ..
فلما جاء أمر الله بتحديد العدد
بأربع ، صادف أن كان من عصمة
الرسول تسع .. فاذا سرح الرسول
منهن خمسا ، لكان في تسريحهن
جناية عليهن ، بحرمانهن من حق
الزواج ، لأنهن من امهات المؤمنين
.. وامهات المؤمنين يحرم الزواج
منهن ، فلا يحل لمسلم أن يتزوج
بأمه ، باعتبارها كانت زوجة لرسول
الله .. ولذا فرحمة بهن - جاء
أمر الله بالابقاء عليهن زوجات في
بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ..

عندهم في أغلب الأسر .. وقل أن
تجد فيهم من يغار على عرضه ..

وهل بعد التصاق الأجسام
بالأجسام في رقصهم المشترك ،
بين النساء والرجال - ما يشجع
على صيانة العرض .. أو يرغب
في نقاء النسل ، أو يحقق صدق
اتسابهم الى آبائهم وأمهاتهم !!!؟

ولذلك ، فإن الغيورين على
شرفهم - في تلك البلاد ، وقليل
ما هم يشيدون بنظام الاسلام ،
ويشهدون بعظمته ، في شريعته ،
التي تكفل للمسلمين الخير والأمن
والسعادة والعزة والشرف ، وكل
أسباب الهناء والبقاء - لو عملوا
بمقتضاها ، وساروا على هداها ..

فهل يعمل بشريعتهم -
المسلمون !!! نرجو من الله أن يكون
العمل قريبا !!!

شبهة اخرى يجب ان تزول :

يظن الجاهلون ، كما يظن
الحاقدون على الاسلام ورسوله ،
أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - قد أباح لنفسه أن يجمع

منهن وطرا » .. وقد يكون منها تحقيق سياسات انسانية واسلامية رشيدة ، فى سائر من أراد الله أن يكن زوجات لرسول الله

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن الدافع الى زواجه ، شهوة جنسية هابطة ، كتلك التى قد تكون عند غيره من الناس .. فهو وان كان من البشر لكنه بشر رسول !! ..

وقد يقوم دليلا على ذلك ، أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يتزوج على خديجة رضى الله عنها ، طوال حياتها ، وكانت تكبره فى السن بخمسة عشر عاما .. وظلت مع رسول الله حتى جاوزت الخامسة والستين من عمرها !! ..

وفى ذلك الدليل على أن قناعة الرسول ، وعفته ، ووفائه ، وانسانيته ، ومروءته ، وترفعه عن الدنيا ، ورحمته .. كان فيها الرسول ، وفى غيرها من الفضائل والمكارم - المثل الأعلى ، فى هذا الوجود .. !!! صلى الله عليك وسلم يا سيدى يا رسول الله ..

كما حرم الله على رسوله الزواج بعد هذا التحديد العام .. جاء جاء ذلك فى قوله تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسنهن » .. !

أما المسلمون ، فقد استجابوا لأمر الله بتحديد العدد بأربع ، وسرحوا ما زاد عليه ، لأن فى تسريحهن عدم الاضرار بهن ، فمن حقهن الزواج بعد ذلك من غير أزواجهن السابقين ..

ثم انه يجب أن يكون معلوما أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه - لم يكن فى زواجه يختار لنفسه ، وانما كان الله هو الذى يختار له . لحكم يعلمها الله .. قد يكون منها - التشريع ، كما حدث فى زواج الرسول (بزینب بنت جحش) التى كانت زوجة لابنه بالتبنى (زيد بن حارثة) .. وكان هذا محرما من قبل ، فأباحه الاسلام .. قال تعالى : « وامرأة زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا

واخيرا ، وليس آخرا ..

ان تعدد الزوجات - فى حدود ما أباحه الاسلام - فى أصله رخصة .. وهى غير ملزمة لأحد. ولكنها رخصة ، قد تكون ضرورة لحياة الجماعة وأمنها وأمانها ، ووقاية لها من التخبط والزلل والانحرافات .. فى حالات كثيرة .. سبقت الإشارة الى بعضها .

والذى لا شك فيه أن البشرية لم تجد حتى الآن ، ولن تجد بعد الآن - تنظيمًا أفضل ولا أكمل من تنظيم الاسلام ، فى كل ما جاء به من حدود وتشريعات .. ومنها : الزواج ، وبناء الأسرة ، وصيانة الأمة أفرادا وجماعات ، وكرامة المرأة ، بنتا ، وأختا ، وزوجة ، وأما .. كما أقر بذلك المصلحون من غير أبناء الاسلام - والفضل ما شهدت به الأعداء .. انهم قالوا

لقومهم : اذا لم تتخذوا الاسلام ديناً ، فاتخذوا شرعه القويم دستوراً ، فهو كفيلاً بسعادة الناس فى كل مكان ، وفى كل زمان !!

لكن أهله للأسف لا يعملون به ، ولا يحيون فى نوره .. انهم فى غفلاتهم ساهون ، وفى شهواتهم غارقون ، وفى ملذاتهم سادرون .. ألم يكفهم ما كان منهم .. ومما حل بهم ، من تخلف وتمزق ومذلة وهوان ؟!! فمتى يستيقظون ، ويعودون الى الحق بعد ما تبين ، قبل فوات الأوان ؟ !!

ان شاعرا قال ، وكأنه فيما قال يصور أحوال المسلمين الغافلين :

والناس فى غفلاتهم

ورحى المنية تطحن

والحديث موصول

عبد الحميد الفضالى

قبل مجيئه تحدث عنه أسفار الأنبياء

المستشار محمد عزت الطهطاوى

ثالثا : وفى روح النبوة تكلم الله عن (شيلون) الذى سيظهر فى آخر الأيام من سبط (يهوذا) وهو السبط الملكى وليس سبط (لاوى) - فانه واضح أن السيد المسيح قد خرج من سبط يهوذا .

وفى ردنا على ما أورده ذلك القس نسجل بداءة احترامنا وتقديرنا وإيماننا برسالة ونبوة السيد المسيح عليه السلام وكذلك احترامنا لأمة السيدة مريم بنت عمران لأن إيماننا نحن المسلمين قد وسع كل من أرسله الله من الأنبياء والمرسلين - قال تعالى « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » سورة البقرة ٢٨٥ .

نشرت احدى الصحف الأسبوعية والتى تصدر فى مدينة القاهرة مقالا للقس برسوم شحاته أورد فيه بعضا من البشارات التى وردت بأسفار الأنبياء من بعد موسى عليه السلام وانتهى فى مقاله الى انها تتعلق بالمسيح عليه السلام .

وهذه البشارات التى أوردها ذلك القس هى :

أولا : ما عبر عنه حجبى النبى بقوله (مشتهى كل الأمم) وذلك فى الاصحاح الثانى عدد ٧ من السفر المسمى باسمه وهو سفر حجبى والمذكور ضمن أسفار العهد القديم فى الكتاب المقدس .

ثانيا : قوله (ولقد عرف الأقدمون أن مسيا - الملك المخلص العظيم هو وحده الذى سيخلص الانسان من كبوته وعثرته .

فأملا هذا البيت مجدا قال رب الجنود «...» ثم يستكمل باقى النص فى قوله التالى فى عدد ٩ « مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود وفى هذا المكان أعطى السلام بقول رب الجنود » •

ولفظ « مشتهى كل الأمم » لا تعنى الا رسولا يأتى وتنتظره كل الأمم وعبر عن ذلك الانتظار بلفظ مشتهى كل الأمم بمعنى أنه يخرج من غير العبرانيين أو الاسرائيليين والذين يطلقون على أنفسهم حتى وقتنا هذا لقب شعب الله المختار والخاص • كما لا يكون مرسل اليهم خاصة بل الى جميع أمم الأرض لأن هؤلاء العبرانيين أو الاسرائيليين يذكرون من عداهم من الناس بتعبير الأمم •

فكيف اذن تنطبق هذه البشارة عن « منتهى كل الأمم » كما يدعى القس برسوم شحاته على المسيح عليه السلام وقد خرج هو ووالدته من شعب الاسرائيليين أو العبرانيين هذا من ناحية •

ولقد رسم القرآن الكريم صورة كريمة نقية للسيدة مريم والدة السيد المسيح عليه السلام اذ وصفها بأنها كانت صديقة وفى زمانها فضلها على نساء العالمين •

قال تعالى « ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة » • سورة المائدة ٧٥ ، كما قال جلت كلماته فيما تحدثت به الملائكة الكرام الى السيدة مريم « واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » • سورة آل عمران ٤٢ •

لكن مع ذلك وخدمة للحقيقة والبحث لا نوافق القس المذكور على تلك التفسيرات التى حررها وعلى تلك التأويلات التى فرضها على تلك النصوص طبقا لمايلى :

أولا : اذا رجعنا الى النص الذى عبر عنه حجبى النبى فى سفره والوارد بالاصحاح الثانى عدد ٧ المتضمن لعبارة « مشتهى كل الأمم » نجده بنصه هو « وازلزل كل الأمم ويأتى مشتهى كل الأمم

والبنت على الأم – والحمة على
كنتها ولكنه على حماتها » •

وشبيه بهذا أيضا ما ورد بذلك
الانجيل في الاصحاح الرابع عشر
عدد ٢٥ ، ٢٦ قوله على لسان
المسيح « وكان جموع كثيرة سائرين
معه فالتفت وقال لهم ان كان أحد
يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه
وامراته وأولاده وأخوته وأخواته
حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن
يكون لى تلميذا » •

فكيف يستقيم القول بالنصوص
السابقة المنسوبة الى السيد
المسيح وهى كلها ضد السلام على
الأرض مع النص الوارد فى سفر
حجى النبى والذى يبشر بكلامه عن
أن « مشتهى كل الأمم » يعطى
السلام على الأرض خصوصا فى هذا
المكان وهى الأرض المقدسة أرض
فلسطين التى كانت موطن السيد
المسيح ودائرة دعوته منذ ظهوره
وحتى ذهابه عن العالم •

أما عن رسالة السيد المسيح
عليه السلام فان المتتبع للانجيل
المتداولة حاليا بين النصارى يجد

ومن ناحية أخرى فان ما هو
وارد بالانجيل المتداولة على لسان
السيد المسيح يفيد أنه لم يأت لالقاء
السلام أو اعطاء السلام على الأرض
بل أتى لالقاء السيف والنار
على الأرض •

فقد ورد بانجيل متى بالاصحاح
العاشر عدد ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ قوله على
لسان السيد المسيح « لا تظنوا انى
جئت لألقى سلاما على الأرض
– ما جئت لألقى سلاما بل سيفا
فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه
والأبنة ضد أمها ولكنه ضد
حماتها – وأعداء الانسان أهل
بيته » •

كما ورد بانجيل لوقا بالاصحاح
الثانى عشر عدد ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣
قوله على لسان المسيح « جئت
لألقى نارا على الأرض فماذا أريد
لو اضطربت » ، « أظنون أنى جئت
لاعطى سلاما على الأرض كلا أقول
لكم بل انقساما لأنه يكون من الآن
خمسمة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة
على اثنين واثنان على ثلاثة
– ينقسم الأب على الابن والابن
على الأب – والأم على البنت

« فأجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » ولقد نبه السيد المسيح الى مقدار احترامه لشريعة التوراة وانه ما جاء الا ليكملها لا لازالتها فتراه كما يحكى عنه انجيل لوقا في الاصحاح السادس عشر عدد ١٧ يقول « ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » ويقصد به شريعة التوراة •

وقد اختار السيد المسيح اثني عشر تلميذا ليكونوا تلاميذه وأحباءه ، ومساعديه في نشر دعوته وكان اختياره لهم من بين الاسرائيليين أنفسهم وينقل ذلك انجيل متى في محاوراة بين المسيح وبين أحد تلاميذه وهو بطرس ، وذلك في الاصحاح ١٩ عدد ٢٧ ، ٢٨ فيقول « فأجاب بطرس حينئذ وقال له ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع الحق أقول لكم انكم انتم الذين تبعتموني في التجديد - متى جلس ابن الانسان (ويقصد المسيح نفسه بذلك) ، على كرسى مجده تجلسون أتمم

أنها كانت دعوة خاصة وقاصرة على شعب بنى اسرائيل فقط فهذا انجيل متى في اصحاحه الثاني عدد ٦ يذكر القول المنسوب الى الله فيقول « وانت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل » كما ورد بانجيل لوقا في اصحاحه الأول عدد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ قوله عن السيدة مريم بنت عمران والدة - المسيح وبشارة الملاك لها بحمل السيد المسيح - « فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله - وها أنت ستحملين وتلدن ابنا وتسميه يسوع - هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد » •

ولما بدأ المسيح عليه السلام في الدعوة الى الايمان برسائله أعلن على الملأ انها قاصرة على شعب بنى اسرائيل ولا تمتد الى غيرهم لذلك نراه بانجيل متى في اصحاحه الخامس عشر عدد ٢٤ يقول

من الأمم بأنهم الكلاب وكل ذلك
وارد في الاصحاح الخامس عشر من
انجيل متى - عدد ٢٦ في قوله
« وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز
البنين ويطرح للكلاب » •

وقد كرر انجيل يوحنا بأن
المسيح ما جاء الا الى خاصته
وما خاصته الا شعب بنى اسرائيل
« الى خاصته جاء وخاصته لم
تقبله » انظر انجيل يوحنا في
الاصحاح الأول عدد ١١ وبعد
ذهاب المسيح عن العالم يؤكد
خليفته بطرس أن يسوع المسيح
ما جاء الا لخلص الاسرائيليين
وغفران خطاياهم وذلك كما هو
مذكور في سفر أعمال الرسل
بالاصحاح ١٠ عدد ٢٨ ، عدد ٣٦
« الكلمة التي أرسلها الى بنى
اسرائيل يبشر بالسلام يسوع
المسيح » •

ويقول دين انج أحد كتاب
النصرانية في بلاد الغرب « أن
المسيح كان نبيا لمعاصريه من
اليهود - الاسرائيليين - ولم
يحاول قط أن ينشئ فرعا خاصا به
من بين هؤلاء المعاصرين أو ينشئ

أيضا على اثني عشر كرسيًا تدينون
أسباط اسرائيل الاثني عشر » فهنا
قال لهم السيد المسيح انهم يدينون
أسباط اسرائيل فقط - ولم يقل
لهم انهم يدينون أهل الدنيا
أو شعوب العالم وفي هذا إشارة
الى أن رسالته - وهم من بعده
على نهجه - قاصرة على شعب
اسرائيل المتفرع من أسباط اسرائيل
الاثني عشر - بل ان المسيح عليه
السلام عندما أرسل تلاميذه
المذكورين لينشروا دعوته ويثبوا
تعاليمه بين الاسرائيليين كرر لهم
الوصية بأن يقصروا الدعوة عليهم
وحذرهم من دخول مدن الأمم
والشعوب الأخرى ولو كانوا
جيرانا للاسرائيليين ووارد كل ذلك
بانجيل متى في الاصحاح العاشر
عدد ٥ ، ٦ فيقول : « هؤلاء الاثنا
عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا
الى طريق أمم لا تمضوا الى مدينة
للسامريين لا تدخلوا - بل اذهبوا
بالحرى الى خراف بيت اسرائيل
الضالة » ، بل ان انجيل متى ينسب
الى المسيح عليه السلام انه قال عن
الاسرائيليين انهم البنون وغيرهم

قوله « وأعرفكم أيها الاخوة أن الانجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب انسان لأننى لم أقبله من عند انسان ولا علتة - بل باعلان يسوع » - ويسوع تعنى اسم المسيح •

وكلامه يشهد عليه بالكذب لأنه لم يجتمع بالسيد المسيح حتى يتلقى عنه بل ولم يجتمع بالحواريين تلاميذ وأصحاب المسيح الا بعد ثلاث سنين ليتعرف بهم ومكث خمسة عشر يوما اتصل فيها بطرس والحوارى يعقوب فقط - وبعد أربعة عشر سنة لما ذاعت تعاليمه المغايرة لتعاليم السيد المسيح عليه السلام دعوه ليحاجوه ليقضوا على الفتنة فى مهدها فحضر مع الحواري برنابا ثم تشاجر معه وندد بجميع الحواريين وكذبهم ووارد كل ذلك فى رسالته الى غلاطيه بالاصحاح الثانى عدد ٥ فى قوله « الذين لم تدعن لهم بالخضوع ولا ساعة » ثم تابع تهجمه على الحواريين فى عدد ٦ - ٨ من تلك الرسالة فقال « وأما المعتبرون انهم شئ أى أنهم تلاميذ المسيح - مهما كانوا لا فرق

له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم » كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية (أن أسبق حوارى المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم الى جعل المسيحية ديناً لليهود وجعل المسيح أحد أنبياء بنى اسرائيل الى بنى اسرائيل) •

ويؤكد هذا المعنى الكاتب المسيحى وليم ياثون فيقول : « ان الذى يقرأ رسائل بولس يرى انه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب الى المسيح عن عالمية المسيحية وانما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره لأن بولس هذا هو أول من قال بعالمية المسيحية رغم انه لم ير المسيح عليه السلام ولم يتلمذ على يديه بل انه كان حرباً على تلاميذ المسيح وعلى تعاليمه ثم زعم أنه دخل فى دعوة النصرانية بعد ذهاب المسيح عن العالم بحيلة زعم فيها أنه رأى المسيح وعندما قبله حوارىو المسيح واطمأنوا اليه خرج عليهم بتعاليم مضادة لما تعلموه من المسيح وذكر ذلك فى رسالته الى غلاطيه بالاصحاح الأول عدد ١ فى

وقال جلت كلماته « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » سورة الأعراف ١٨٥ واذا رجعنا الى الأصل العبرانى لكلمة (مشتهى) كل الأمم نجد أنها (حمدوت) الأمم أى محمود الأمم واسم محمود هو ضمن أسماء النبي (١) محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن ذلك فانه صلى الله عليه وسلم أسرى به الى بيت المقدس قبل الهجرة فزاد ذلك شرف بيت المقدس مما يوافق عبارة املاء هذا البيت مجدا أعظم من مجده الأول أى من قبل تمام اسراء النبي اليه - وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم قام المسلمون بفتح بيت المقدس وحرروه من الرومان - فنعمت المدينة المقدسة بالسلام لأن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعطى السلام والامان لسكان بيت المقدس وذلك بعقد المعاهدة وتوثيق شروط الصلح مع أهل تلك المدينة ولم تنعم المدينة منذ تلك البشارة بهذا السلام الحقيقى

عندى فان الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فى أيضا للأمم » فزعم بولس هنا أنه يقوم بتبليغ رسالة المسيح الى الأمم رغم اقراره بأن تعاليم بطرس تلميذ المسيح هى الى أهل الختان فقط أى الى الاسرائيليين فقط .

اذن على من تصدق البشارة السابقة « مشتهى كل الأمم » :

ان هذه البشارة لا تنطبق الا على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد أرسله الله من غير الاسرائيليين أى من الأميين وبتعبير أولئك الاسرائيليين كان من الأميين أى من غير الاسرائيليين وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم الى العالم أجمع والى الناس جميعا الأبيض والأسود والأحمر والأصفر .

قال تعالى مخاطبا رسوله - صلى الله عليه وسلم - « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » سورة سبأ ٢٨ .

(١) وهذا ما حققه الاب عبد الاحد داود الاشورى العراقى مطران مدينتى الموصل وديار بكر فى القرن الماضى وذلك فى إبحائه التى ضمنها كتابه (الانجيل والعليق) فى الباب الثالث والمحفوظ حاليا بدار الكتب المصرية .

تهل يسوع وقال يلوح لى أيتها
المرأة انك مؤمنة فاعلمى اذن أنه
بالايمان بمسيا سيخلص كل
مختارى الله - اذن وجب أن تعرفى
مجيء مسيا - قالت المرأة لعلك
أنت مسيا أيها السيد أجاب يسوع
انى حقا أرسلت الى بيت اسرائيل
نبي خلاص لكن سيأتى بعدى
مسيا المرسل من الله لكل العالم) •

من هذا النص ومن النص
السابق عليه فى سفر حجى النبي
يتضح أن المسيح عليه السلام لم
يكن هو المسيا كما يدعى النصارى
خصوصا وأن النصارى تفالوا فى
المسيح فرفعوه من مرتبة النبوة
والرسالة الى مرتبة الألوهية وجعلوه
أحد الاقانيم الثلاثة المقدسة المكونة
للالوهية على حد اعتقادهم
رغم أنه كثيرا ما كان يعبر عن
نفسه كما سبق أن قلنا بأنه ابن
الانسان طبقا لما هو مذكور فى
الأنجيل المتداولة ورغم أن تلميذه
بطرس يقرر فى الاصحاح الثانى
من سفر أعمال الرسل عدد ٢٢
بنفس هذا المعنى بقوله (يسوع

الأعلى يد ذلك الخليفة المسلم العادل
وهذا يوائم عجز النص المشار اليه
فى قوله « وفى هذا المكان أعطى
السلام يقول رب الجنود » •

ثانيا : ان لفظ (مسيا) كان يعنى
عند الاسرائيليين معنى (رسول يأتى
من عند الله) وهذا ما وضحه
الأستاذ عوض سمعان الباحث
النصرانى القبطى فى كتابه (الله طرق
اعلانه عن ذاته) وفيه يقرر أن
اليهود ومنهم تلاميذ المسيح كانوا
ينتظرون (المسيا) وان هذا
(المسيا) بالنسبة الى أفكارهم التى
توارثوها عن أجدادهم لم يكن
سوى رسول ممتاز يأتهم من عند
الله - وليس هو ذات الله •

ونفس هذا المعنى أشار اليه
برنابا فى انجيله عن مناقشة بين
امراة سامرية وبين المسيح عليه
السلام اذ يقول فى الفصل الثانى
والثمانين أجابت المرأة انا ننتظر
(مسيا) فمتى جاء يعلمنا أجاب
يسوع (وتعنى هذه الكلمة اسم
المسيح كما ذكرنا سابقا) -
أعلمين أيتها المرأة أن مسيا لا بد
أن يأتى أجابت نعم يا سيد حينئذ

المسيح » ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب فيعطىكم مميزا آخر ليملك معكم الى الأبد روح الحق » كما ورد فى الاصحاح السادس عشر من نفس الانجيل عدد ١٣ قوله (وامامتى جاء روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية) ويعلق العالم الفرنسى الدكتور موريس بوكاي فى كتابه (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة) عن النصوص السابق الاشارة اليها والواردة فى انجيل يوحنا بقوله ان المسيح يبشر بأن الله سيرسل الى البشر وسيطا آخر كما كان هو وسيطا لدى الله وفى صالح البشر فى أثناء حياته على الأرض وأن هذا الوسيط هو الـ (Paraclet) مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام فهو نبي من البشر يسمع كلام الله ويكرر على مسامع البشر رسالته فهو اعلان بمجيء نبي بعد المسيح وقد بينا فى أحد مقالاتنا الماضية والسابق نشره بمجلة الأزهر (فى الجزء الرابع

الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون) •

ويذكر برنابا فى انجيله ان الاسرائيليين طلبوا من المسيح عليه السلام أن يبين لهم اسم هذا النبي الذى لقبوه بمسيا أى (برسول الله) فيقول فى الباب السابع والتسعين (فقال حينئذ الكاهن ماذا يسمى مسيا وما هى العلاقة التى تعلن مجيئه أجاب يسوع أن اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه ٠٠٠ ٠) ثم يقول : (ان من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً ومتى أرسلتك الى العالم أجعلك رسولاً للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى أن السماء والأرض تهان ولكن ايمانك لا يهن أبدا ان اسمه المبارك محمد حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين يا الله أرسل لنا رسولك يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم) وشبيه بذلك ما ورد بانجيل يوحنا فى اصحاحه الرابع عدد ١٥ ، ١٦ ، ١٧ فى قوله عن

عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى
رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى
من التوراة ومبشرا برسول يأتى من
بعدى اسمه أحمد « سورة
الصف آية ٦ •

أما القول بأن المسيح عليه السلام
كان ملكا فلا أساس له من الحقيقة
ولا ظل له من التاريخ والمتبع لحال
الاسرائيليين خلال قراءة الأناجيل
المتداولة والمعترف بها بين النصارى
يرى أن الاسرائيليين فرحوا أولا
بالمسيح لأنه كان فى اعتقادهم آتيا
ليخلصهم من عبودية الرومان
وليخضع الأمم والشعوب
لسلطانهم فأخذوا يعدون العدة
للمناداة به قائدا لهم وزعيما
ثم تنصيه ملكا عليهم ليقوم بتنظيم
صفوفهم وقيادتهم فى حربهم
التحريرية ضد الرومان - وكانوا
يناودنه كثيرا ملك اليهود حتى أنه
عند دخوله فى مدينة القدس والتي
كانت تدعى سابقا (أورشليم)
واستقبالهم له قبل عيد الفصح
اليهودى فرشوا له ملابسهم فى
طريق موكبهم وأخذوا يلوحون له

من السنة الخمسين والذي صدر فى
شعبان ١٣٩٨ هـ ان ما تعنيه عبارة
المعزى باللغة اليونانية وهى أساس
ترجمة انجيل يوحنا الى كل لغات
العالم هو لفظ (Hepikhatoz)
وقد ترجمت الى باقى اللغات
الأوربية (Pericletos)
ورسمت باللغة العربية (البارقليط)
وذلك فى طبعات الكتاب المقدس
القديمة - وتعنى هذه العبارة فى
معناها الحرفى (أحمد) الذى هو
من أسماء رسول الله محمد صلى
الله عليه وسلم •

كما ذكرنا ما يؤيد ذلك بشهادة
بعض علماء النصرانية المحققين
خصوصا المستشرق الايطالى
الدكتور (كارلونيلى) عندما
سأله المرحوم الشيخ عبد الوهاب
النجار عن العبارة المذكورة فقال
ان معناها (الذى له حمد كثير)
وهو ما يوافق أفعال التفضيل فى
اسم أحمد ويتفق مع ما ذكره القرآن
الكريم على لسان المسيح عليه
السلام فى البشارة به الى قومه من
الاسرائيليين فى قوله « واذ قال

أو مشترع من بين رجليه حتى يأتى
شيلون وله يكون خضوع
شعوب» •

والشعوب المختلفة لم تخضع الا
لشريعة الاسلام مما يشير بأن شيلون
هذا مقصود به النبى محمد
- صلى الله عليه وسلم - ومما
يؤيد هذا المعنى أن النص المذكور
عن نسخة لندن فى ترجمته هو
(حتى يجىء الذى له الكل وإياه
تنتظر الأمم) مما يتفق مع النص
الوارد بسفر حجى النبى السابق
مناقشته والمتضمن البشارة بمشتهى
كل الأمم •

وفى زمن السلطان بايزيد
العثمانى سلطان تركيا اعتنق حبر
من أجمار الاسرائيليين الدين
الاسلامى وسمى نفسه عبد السلام
وكان ماهرا فى اللغة العبرانية
مجيذا لدراسة التوراة خيرا
بتفسيرات نصوصها وتوضيح
ماخفى منها من كلام الأنبياء الذى
كان أكثره رموزا انطوت على
مقاصد خفية لا يمكن ادراكها
الا عند حدوث ما تشير اليه -

بالرياحين والأغصان مرددين قولهم
(السلام يا ملك اليهود تبارك
الآتى باسم الرب) ولما عزم اليهود
على تنصيب المسيح رسميا ملكا
عليهم رفض العرض وفر الى
الجبل هاربا منهم ومن احتفالهم ،
وقد صرح بذلك انجيل يوحنا فى
الاصحاح السادس عدد ١٤ ، ١٥ فى
قوله « فلما رأى الناس الآية التى
صنعها يسوع قالوا ان هذا هو
بالحقيقة النبى الآتى الى العالم ••
وأما يسوع فاذا علم أنهم مزعمون
أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا
انصرف الى الجبل وحده » وعندئذ
تحطمت آمال اليهود فى المسيح
وتبخرت أحلامهم فى الخلاص على
يديه وفى استعادة مجدهم الضائع
وكانت هذه الصدمة الكبيرة فيه
كافية لتحويل حبههم له الى كراهية
طاغية فكان ما كان من أمر تفكيرهم
فى قتله والتخلص منه •

ثالثا : أما عن شيلون فان النص
كما هو مذكور بسفر التكوين فى
الاصحاح التاسع والأربعين عدد ١٠
قوله « لا يزول قضيب من يهوذا

ولذلك ألف كتابا أسماه بالرسالة الهادية يوضح فيها ما غمض على بنى قومه السابقين من الاسرائيليين وقد أورد في تلك الرسالة كلام جد بنى اسرائيل الذى سلفت الاشارة اليه وترجمها من لغة التوراة العبرانية الى اللغة العربية كالآتى : (لا يزول الحكم من يهوذا - ولا راسم من بين رجليه حتى يجيء الذى له واليه تجتمع الشعوب) ، وقال عنها المراد من الحاكم من يهوذا هو موسى عليه السلام لأنه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة الاموسى وأن المراد من الراسم هو المسيح عليه السلام لأنه بعد موسى ما جاء صاحب شريعة الا المسيح (وان كانت شريعته مكمله لشريعة التوراة) وبعدهما ما جاء صاحب شريعة الا النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - لذلك كان هو المراده ن كلام يعقوب فى آخر الأيام ويؤكد به بقوله (حتى يجيء الذى له) أى الذى له الحكم - وأما قوته واليه تجتمع الشعوب

فهى دلالة واضحة وعلامة صريحة على نبي الاسلام لأن الشعوب ما اجتمعت الا اليه وكان دينا عالميا الى الناس والشعوب جميعا بوصفه رسولا بشيرا ونذيرا للعالم أجمع . ولا يفوتنا أن نشير الى أن ما ذكره القس برسوم شحاته من أن المسيح عليه السلام كان من سبط يهوذا هو قول غير سليم لأنه طبقا لما ذكره انجيل متى فى اصحاحه الاول وما ذكره انجيل لوقا فى آخر الاصحاح الثالث فان يوسف النجار هو الذى كان من سبط يهوذا ولا يوجد أى ارتباط نسبى بين المسيح وبين يوسف النجار هذا اللهم الا اذا طعن فى شرف أمه بأنه جاء نتيجة اتصال غير شرعى قبل الزواج من خطيبها يوسف النجار كما يزعم الاسرائيليون ذلك (معاذ الله) لذلك كان نسب السيد المسيح من جهة أمه السيدة مريم حيث كانت من نسل هارون عليه السلام أى أنه كان من سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وهو

جد النبي هارون وليس من سبط
يهودا كما ذكر ذلك القس .
والخلاصة التي تنتهي اليها مما
ذكرناه آنفا أن بشارات الأنبياء
السابق الالماع اليها عن (مشتهى
كل الأمم) وعن (المسيا) وعن
(شيلون) انما تشير الى النبي
محمد - صلى الله عليه وسلم -
وليس الى أحد سواه . هذا هو
الحق ولا داعي لانكاره أو اخفائه
أو تليسه بالباطل ، وصدق الله
العظيم اذ يقول « يا أهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون
الحق وأنتم تعلمون » . سورة
آل عمران ٧١ .

المستشار محمد عزت الطهطاوى

« القوى والضعيف »

« قال على - كرم الله وجهه : من قوى فليقو على طاعة

الله ، ومن ضعف فليضعف عن محارم الله » .

أخطاء شائعة

للدأستاذ عباس أبو السعود

٥٠٣ قالت الالهرام : الصين
تهاجم موسكو وواشنطن
لموقيهما من الشرق الأوسط ،
وهذا خطأ لأن كلمة تهاجم
لم ترد عن العرب ، وانما
الذي ورد عنها من هذه
المادة الفعل الثلاثي المجرد ،
والثلاثي المزيد بالهمز ، فمن
الأولى تقول : هجمت على
الأعداء هجوما اذا أقيتهم
بغته ، وهجمننا عليهم الخيل ،
والريح تهجم التراب على
الدار أى تلقيه عليها ، يتعدى
ويلزم ، ومن الثانى تقول :
أهجم القوم ابلهم اذا
أراحوها • وأهجم الله المرض
عن فلان اذا جعله يقلع ويفتر
وقد يجتمع الثلاثى والمزيد كما
فى قولك • اهجم ابلك
واهجمها أى احلبها وأر حها •

٥٠٤ ينكر كثير من الأدباء جمع
باسل على بواسل استنادا
منهم الى القاعدة المعروفة ،
والى أن معاجم اللغة قصرت
جمعه على بسل بضم فسكون
وبسلاء ، قال ابن مالك فى
ألفيته :

فواعل لفوعل وفاعل

وفاعلاء مع نحو كاهل
وحائض وصاهل وفاعله
وشذ فى الفارس مع مائله
أى أن فاعلاء وصفا لمذكر
عاقل لا يجمع على كواعل الا
اذا سمع عن العرب ، وقد مثل
النحويون للمسموع بفوارس
وسوابق ، ودواجن بمعنى
مقيمين ، وهوالك ، ونواكس
بمعنى مطأطئ رءوسهم ،
وخوالف بمعنى قاعدين

والحمالون والأعوان من دج
دجيجا اذا دب ديبيا ، وحكى
المفضل : رافد وروافد
بمعنى باذلى العطاء •

ولكنهم لم يذكروا بواصل
لعدم وقوعهم عليه •
والواقع أن هذا الجمع نقل عن
العرب وورد فى شعر عربى
قديم ، قال باعث بن حريم
ابن أسد الشكرى فى ديوان
الحماسة جزء ٢ ص ٨٠١ فى
مناسبة انتقامية من بنى أسيد
لأنهم قتلوا أخاه وائل بن
ضريم :

سائل أسيد (١) هل تأرت (٢) بوائل
أم هل شفيت النفس من بلبالها (٣)
وكتيبة سفع (٤) الوجوه بواصل
كالأسد حين تذب عن أشبالها (٥)
وقد قال التبريزى شارح
الديوان عند الكلام على
بواصل : وفواعل فى صفة

متخلفين ، ونواكص عن الأمر
بمعنى محجمين عنه ، وزاد
البغدادى فى خزانة الادب
جزء ١ ص ١٤١ عند التكلم
على قول الفرزدق :

واذا الرجال رأوا يزيد رأيته
خضع الرقاب نواكص الأبصار
جمسوعا هى : غائب
وغوايب عن عتبة بن الحارث ،
وشاهد وشواهد عن جزء بن
سعد •

وفى شرح أدب الكاتب
للجواليقى حارس وحوارس،
وحاجب وحواجب من
الحجاجة عن ابن الأعرابى •
ومن ذلك ما جاء فى المثل
«مع الخواطىء سهم صائب»
جمع خاطيء ، وقولهم : أنا
وحواج بيت الله ودواجه
بتشديد الجيم جمع حاج ،
وداج ، والدواج هم الأجراء

(١) أسيد بضم الهمزة وتشديد الياء اسم قبيلته

(٢) تأرت : أدركت تأرك وهو المطالبة بالدم

(٣) البلبال : الهم والوسواس فى الصدور لاهتمامهم بطلب الثأر

(٤) سفع الوجوه : أى أن وجوههم تغيرت فاسودت من لفتح الشمس

(٥) تذب عن أشبالها : تمنع وتدفع عنها الضرر •

والآخر الحب بضم الحاء وهو
الجرة العظيمة كبر وأبرار
وهو القمح •

وقد قالوا فى التحية :
حبة وكرامة ، والحبة بالضم
معناها الحب ، كما قالوا :
حبا وكرامة ، يعنون بالحب
الجرة ، وبالكسامة غطاء
الجرة •

ويجمع الحب أيضا بمعنى
الجرة على حبة كذب
ودبية ودرج ودرجة ، وعلى
جباب بكسر الحاء كجب
وجباب بمعنى الآبار •
وأما جباب فعامى صوابه
جباب بالهمز جمع حبيبة
ككرامة وكرائم •

٥٠٦ ويقولون : ضحك البائع على
المشتري ، يعنون أنه سخر
منه وغبنه ، وهذا التعبير
يشوبه الفساد ، لأن الحرف
على لا يستعمل مع هذا
الفعل : وانما يستعمل معه (١)
من أو الباء فيقال : ضحك

الرجال قليل ، يقال : فارس
وفارس ، وهالك وهوالك ،
وخارج وخارج •

وقد ذكر الشيخ محمدعلى
الفيومى شارح شواهد
شذور الذهب عند شرح بيت
الفرزدق السابق (بواسل) •
مما تقدم استبان أن هذا
الجمع سليم ولا حرج على من
يستعمله •

٥٠٥ ويقولون فى جمع حبيب :
أحباب ، وجباب ، وكلا
هذين الجمعين خطأ فى هذا
المعنى ، والصواب أن يجمع
الحبيب قياسا على أحبة ،
كطبيب وأطبة وعلى أحباء
كطبيب وأطباء ، وخلييل
وأخلاء : ومنه قوله تعالى :
« وقالت اليهود والنصارى
نحن أبناء الله وأحباؤه » •
أما أحباب فجمع لفردين :
أحدهما الحب بكسر الحاء
بمعنى المحب كزر وأزرار ،

(١) ومن ذلك قوله تعالى « فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون » •

منه أو ضحكك به يضحك
ضحكا بزنة لعب ، وضحكا
بزنة علم ، وضحكا بزنة فهم،
وضحكا بكسرتين ، فهو
ضاحك ، وضحاك مبالغة ،
ويقال رجل ضحكة وزان
رطبة اذا كان يكثر الضحك
من الناس ، وضحكه وزان
غرفة اذا كان الناس يكثر
الضحك منه .

والضاحك والضاحكة
ما تقدم من الأسنان ،
والجمع ضواحك ، تقول افتر
فلان عن ضاحكة وضواحك،
ومن المجاز قولك ، ضحكت
الأرض عن النبات اذا
أظهرته ، وكذا ضحكت
الرياض عن الزهر ، وتبسم
الطلع وضحك اذا تفلق ،
وضحك السحاب اذا برق ،
والغدير يضحك فى الروضة
أى يتلألأ ، والنور يضحك
الشمس ، قال الأعشى :

يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعيمم النبت مكتهل
ويقال : ضحكت الأرب
اذا حاضت ، قيل ومنه قوله
تعالى : « وامراته قائمة
فضحكت فبشرناها باسحاق
ومن وراء اسحاق يعقوب » .

٥٠٧ وينكرون أن يقول القائل :
قبلت عن صديقى سديد
رأيه ، ويصرون على أنه يجب
أن يستبدل بعن الحرف من
فيقال : قبلت من صديقى كذا
محتجين بقوله تعالى : « فلن
يقبل من أحدهم ملء الأرض
ذهبا » .

وقوله : « ولا يقبل منها
شفاعة » . والحق أن التعبير
الذى أنكروه سليم لا غبار
عليه ، وبيان ذلك أن عن تأتى
مرادفة (١) لمن بدليل قوله
تعالى : « وهو الذى يقبل
التوبة عن عباده » وقوله ،

(١) وتأتى أيضا مرادفة للباء كما فى قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى »
ومرادفة لبعء كما فى قوله « عما قليل ليصبحن نادمين » .

« أولئك الذين تتقبل عنهم
أحسن ما عملوا » •

٥٠٨ وينكرون أن يقال : أوجبت
الحكومة غلق باب المتجر اذا
لم يراع صاحبه التسعير ،
معتمدين على أن معاجم اللغة
تقول : غلق الباب يغلقه غلقا
من باب ضرب لغة رديئة
متروكة ، حكاه ابن دريد
عن أبي زيد ، ويصرون على
أن اللغة الفصيحة توجب أن
يقال : أوجبت الحكومة
اغلاق باب المتجر •

والحق أن التعبير الذى
أنكروه سليم ، لأن الغلق
فيه ليس مصدرا للفعل
الثلاثى ، وانما هو اسم
مصدر من الاغلاق ناب عن
المصدر ، كما أن الطاعة اسم
من الاطاعة نابت عنه فى قوله
تعالى : «طاعة وقول معروف»
وكما أن الطاقة اسم من
الاطاقة نابت عنه فى قوله

سبحانه : « لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده » •

ويؤيد ما ذهبنا اليه قول
صاحب القاموس : الاغلاق
ضد الفتح والاسم الغلق وفى
الوصف يقال : باب غلق
بضمين أى مغلق : كما يقال
باب فتح أى مفتوح •

أما قولهم : اهاب مغلق
فمعناه أنه دبغ بالغلقة وهى
شجرة مرة بالحجاز وتهامة
يدبغ بها ، وقولهم رجل
غلق ، أو جمل غلق معناه
انه كبير أعجف أى هزيل
وأما الغلق بالتحريك فهو
المغلاق الذى يغلق به الباب
 ويفتح بالمفتاح كالمغلاق
بالكسر ومن المجاز قولهم :
كان فلان مفتاحا للخير مغلاقا
للشر ، وأغلق القاتل فى يد
الوالى أى أسلم يصنع به
ما يشاء ، وتقول : أمر الوالى
بالقاتل أن يغلق ، وبالأسير
أن يطلق •

٥٠٩ ولقد فشأ على السنة عدد

وافر من الخاصة قولهم :

السفر فى الصحراء ليلا شديد

الخطورة ، يعنون أنه يسبب

للمسافرين فيها أخطاراً جمة

ويوقعهم فى المهالك ، وهذا

التعبير يشوبه خطأ ،

لأن للخطورة معنى لا يمت

بأى صلة للمهالك وخوف

التلف ، وانما معناها ارتفاع

القدر وعلو المنزلة ، تقول :

فلان خطير اذا كان ذا قدر

ومكانة مرموقة ، وقد خطر

خطورة من باب سهل سهولة

أى ارتفعت منزلته وصار

عظيما •

ولاصلاح تعبيرهم لىؤدى

المعنى الذى ينتغونه يجب أن

يقال : السفر فى الصحراء

ليلا شديد الخطر بالتحريك

أى شديد الهلك والهلكة ،

أو يقال شديد الأخطار أى

المهالك •

وللخطر المحرك عدة معان

زيادة على المعنى السابق •

١ - فهو سبق يتراهن

عليه ، تقول : وضع القوم

للمتراهنين خطرا أى غرضا

يوضع فى النضال فمن سبق

أخذه ، ولذا يقال : أحرز

فلان الخطر •

٢ - وهو أيضا الحظ

والنصيب ، ومنه حديث

عمر رضى الله عنه فى قسمة

وادى القرى قال : وكان

لعثمان فيه خطر ، ولعبد

الرحمن خطر أى نصيب •

ومنه أيضا قول الشاعر :

فى ظل عيش هنى ما له خطر ،

أى ما له نصيب •

٣ - وكذلك هو المثل

والعدل ، تقول لصديقك :

لا تجعل نفسك خطرا لفلان

وأنت أوزن منه ، أى لاتجعل

نفسك مثله وأنت خير منه

وزنا •

٥١٠ وينكرون أن يقال : أريد

لأعدل بين المتقاضين ، • وأن

يقال : أمرت لأحسن معاملة

هؤلاء ، ف قيل المفعول
محذوف ، والتقدير ، يريد
الله التبيين لبيان لكم
ويهديكم أى ليجمع لكم بين
الأمرين ، وأمرنا بما أمرنا
به لنسلم وفى البيت أريد
السلو لأنسى ذكرها .

وقال الخليل وسيبويه
ومن تابعهما : الفعل فى ذلك
كله مقدر بمصدر مرفوع
بالابتداء ، واللام وما بعدها
خبر .

أى ارادة الله للتبيين ، وأمرنا
للاسلام ، وعلى هذا فلا
مفعول للفعل .

٥١١ حينما سقى المرحوم محمد
حافظ ابراهيم كتابه بالبؤساء
شن كثير من علماء النحو
ضده غارة شعواء ، محرمين
استعمال هذا الجمع ، ورأوا
أن يستبدلوا به الجمع السالم ،
لأن معاجم اللغة لم تذكر جمع
التكسير ، والواقع انها لم
تعرض له لأنه قياس مطرد
لبأس وبئس ، فقد جاء فى

الناس ، ويصفون القائل بأنه
مخطىء ، ويرغمونه على أن
يقول : أريد أن أعدل بين
المتقاضين ، وأمرت أن أحسن
معاملة الناس بدون لام فيهما
والحق أن التعبيرين اللذين
أنكروهما فصيحان ولا فساد
فيهما بدليل قوله تعالى :
« يريد الله ليبين لكم
ويهديكم سنن الذين من
قبلكم » وقوله : « انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت » وقوله : « يريدون
ليطفنوا نور الله بأفواههم »
وقول كثير :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما
تمثل لى ليلى بكل سبيل
وقوله جل شأنه : « وأمرنا
لنسلم لسرب العالمين »
وقوله : « وأمرت لأعدل
بينكم » وقوله : « وأمرت
لأن أكون أول المسلمين » .
اللام فى هذه التعابير
كلها قيل انها زائدة ،
وقيل انها للتعليل . ثم اختلف

الصحيح : بئس الرجل
بؤسا إذا افتقر واشتدت
حاجته فهو بائس وبئس .
ومما يطرد فيه جمع فعلاء .
١ - فعيل بمعنى فاعل
وصف لمذكر عاقل غير مضعف
ولا معتل اللام - ككريم ،
وبخيل ، وحليم ، ورحيم ،
ولئيم وخبيث ، ومثلها بئس
قال ابن مالك فى ألفيته :

ولكريم وبخيل فعلا
كذا لما ضاهاهما قد جعل

٢ - فاعل إذا كان وصفا
دالا على غريزة وسجية وأمر
فطرى غير مكتسب غالبا
كعاقل وعقلاء ونابه ونباه ،
وشاعر وشعراء ، وجاهل
وجهلاء ، أو كان وصفا دالا
على ما يشبه الغريزة فى الدوام
وطول البقاء كصالح
وصلحاء ، وفاسق وفسقاء ،
ولاعب ولعباء (١) ، وبائس

وبؤساء ، وقد جاء فى
التصريح ما نصه : أكثر
فعلاء على فاعل إذا كان دالا
على معنى غير مكتسب
كالغريزة وهى الطبيعة التى
طبع الانسان عليها كعاقل
وعقلاء ، وصالح وصلحاء ،
وشاعر وشعراء ، فان العقل
والصلاح والشعر من
الأوصاف الشبيهة بالأوصاف
الغريزية كالكرم والبخل ،
ومثل هذا ورد فى الجمع
ص ١٧٨ من الجزء الثانى

٥١٢ ويقولون : تخرج من الكليات
والمعاهد فى هذا العام عدد
وافر من الطلاب .

وهذا القول يشوبه
الخطأ ، لأن التخرج ليس
معناه الخروج المعروف حتى
تستعمل معه من وإنما معناه
التعلم والتأدب ، ولا تستعمل
معه الا فى ، تقول : تخرج

(١) من هذا قول ابن الرومى يمدح أبا القاسم التوزى الشطرنجى .
غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بانفس اللعباء

«وزير الاسكان والتعمير،
ومحافظ الاسكندرية
يفتتحان محطة مياه المنشية»
وهذا العنوان يشوبه الخطأ ،
لأن كلمة التعمير لا تمت بأى
صلة الى الاسكان والبناء ،
وانما معناها اطالة العمر .

تقول : عمر الله نوحا عليه
السلام تعميرا ، أى طول
عمره فالله معمّر بصيغة اسم
الفاعل ، ونوح معمّر بصيغة
اسم المفعول .

ويؤيد ما ذهبنا اليه قوله
تعالى : «وما يعمر من معمر»
وقوله : « يود أحدهم لو
يعمر ألف سنة » .

وكما يقال : رجل معمّر
يقال : رجل عامر من قولهم :
عمر الرجل يعمر من باب فهم
عمر بالفتح وعمر بالضم اذا
عاش زمانا طويلا .

الطالب فى المعهد وتأدب فيه ،
كما تقول : تعلم فى المعهد
وتأدب فيه .

ومن هذا يقال : خرج الأستاذ
تلميذه اذا علمه وأدبه فصار
خريجه وزان سكين ، قال
زهير يصف خيلا :

وخرجها صوارخ (١) كل يوم
فقد جعلت عرائكها تلين (٢)

أما الخروج فله معنيان :
أحدهما الخروج من الباب
ومن البيت ونحوهما وهو
ضد الدخول وهذا هو الذى
تستعمل معه من ، والآخر
معناه النبوغ وحسن
التصرف ، تقول : خرج
فلان فى العلم أو الأدب
أو الصناعة اذا نبغ وأحسن
التصرف فى كل منها .

٥٢٣ كتبت صحيفة الأهرام عنوانا
قالت فيه :

(١) الصوارخ : جمع صارخ وهو المغيث

(٢) العرائك : جمع عريكة وهى الطبيعة أى انها سلسلة محنكة .

ولتأدية المعنى المبتغى
ينبغي أن يقال : وزير
الاسكان والعمارة من قولهم
عمر المنزل أصحابه عمارة من
باب كتب اذا سكنوه فهو
معمور ، ومن هذا قوله عز
وجل : « والبيت المعمور
والسقف المرفوع » • ومما
يدل على أن العمارة اسم
مصدر قوله سبحانه :
« أجعلتم سقاية الحاج
وعمرارة المسجد الحرام » •
أو يقال : وزير الاسكان
والاعمار ، ففي القاموس :
وعمر الله منزلك عمارة
وأعمره أعمارا ، أى جعله
أهلا بسكانه •

أو يقال : وزير الاسكان
والعمر بفتح فسكون ، ففي
المصباح وعمرت الدار عمرا
بنيتها والاسم العمارة • مما
عرضنا استبان أن التعمير
هو اطالة العمر لا عمارة
الصحراء والمنازل والخراب
وغيرها ، وأن هذه الأشياء

اذا عمرت كان مصدرها هذا
الفعل العمر وزان العدل
واسم المصدر عمارة بالكسر،
والعمارة أيضا أصغر من
القبيلة •

٥١٤ ويقولون : قلمنا أظافر
الأعداء ، يعنون أنهم غلبوهم،
واتصروا عليهم ، وهذا خطأ،
لأن كلمة أظافر لا وجود
لها في العربية •

والصواب أن يقال : قلمنا
أظفار الأعداء ، الواحد ظفر
بالضم وبضمتين ، وهو
بضمتين أفصح ، وبه قرأ
السبعة قوله تعالى : « وحرمنا
كل ذى ظفر » •

أو يقال : قلمنا أظافير
الأعداء ، واحدها أظفور
بضم الهمزة كأسبوع
وأسابيع قال :

ما بين لقمتها الأولى اذا انحدرت
وبين أخرى تليها قيس أظفور
وقد يجمع الظفر بالضم
على أظفر كركن وأركان •

هو الظفر الميمون ان راح أو غدا
به الركب والتلعابة المتجب
٥١٥ ويصفون من استدفا
فيقولون : رجل دفيء ،
وامرأة دفيئة وزان كريم
وكريمة .

والصواب أن يكون
وصفها بالدفء من باب فرح
فيقال : رجل دفيء ، وامرأة
دفيئة كفرح وفرحة أو يقال :
رجل دفئان ، وامرأة دفأي
كغضبان وغضبى وعطشان
وعطشى .

أما الدفء والدفيئة فلا
يوصف بهما (١) الأناسي ،
وانما يقال من باب ظرف دفؤ
يومنا فهو دفيء ، ودفؤت
ليتنا فهي دفيئة .

والدفء معان عدة :

١ - فهو تتاج الابل والبانها
وما ينتفع به منها كما في

والأظفر الطويل الأظفار
العريضا ، كما يقال رجل
أشعر اذا كان طويل الشعر .
ويقال فلان مقلوم الظفر
اذا كان قليل الأذى ، وفلان
كليل الظفر اذا كان مهينا
والظفر بالتحريك معناه الفوز
بالمطلوب ، تقول : ظفر فلان
بعده ، وظفر عليه ،
وظفره ، كما تقول لحقه
ولحق به .

ويقال : رجل مظفر وزان
معظم ، وظفر وزان طرب ،
وظفير وزان كريم ، وظفير
وزان سكيك لمن كان
لا يحاول أمرا الا ظفر به
وفاز .

ومن المجاز قولك : أردت
كذا فظفرته وأصبتـه ولم
يفتنى ، وقولك لمن لا يطلب
شيئا الا أصابه وفاز به :
فلان ظفر وزان فرح ، قال :

(١) معا يدل على ذلك قول صاحب المصباح : دفيء البيت يدفا من
باب تعب قالوا ولا يقال في اسم الفاعل دفيء وزان كريم بل دفيء
وزان تعب .

٥١٦ قوله تعالى : « ولكم فيها دفء » . وفي الحديث : « لنا من دفئهم ما سلموا بالميثاق » .
٢ - وهو السخونة اسم من دفئ الرجل من بابي سلم وطرب دفءة ودفاً .
٣ - وهو ما يستدفاً به من الوبر والصوف والشعر لأنه يتخذ منها الأكسية والأخبية ، تقول :
ما على فلان دفء أى ثوب يدفئه .
٤ - وهو العطية على سبيل المجاز كما فى قولك : أدفأت فلانا ودفأته اذا أجزلت عطاءه قال : وأعطيته دفءا كثيرا .
قال :
ودفء مروان ودفء ابن أمه يعيش به شرق البلاد وغربها

٥١٦ وهم يخطئون حين يقولون : صام الولد شهر رمضان بينا أو بينما أفطر أبوه ، وكان ينبغى لهم أن يقولوا : بينا أو بينما صام الولد شهر رمضان أفطر أبوه ، والمعنى أفطر الأب بين أوقات صوم الولد ، وذلك لأن بينا وبينما ظرفان تجب لهما الصدارة ، وهذا هو الفرق بينهما وبين (بين) ويمكن اصلاح عبارتهم بأن يقال : صام الولد على حين أو فى حين أفطر أبوه . وكثيرا ما يأتى بعدهما اذ أو اذا الفجائيتان ، فمن الاولى قول بعض بنى عذرة :

استقدر (١) الله خيراً وارضين به
فبينما العسر اذ دارت مياسير (٢)
وبينما المرء فى الأحياء مغتبط (٣)
اذ صار فى الرمس (٤) تعفوه
الاعاصير (٥)

- (١) استقدر الله خيراً : سله أن يقدره لك
- (٢) المياسير : جمع ميسر وهو ضد المعسر .
- (٣) مغتبط : حسن الحال مسرور .
- (٤) الرمس : القبر .
- (٥) تعفوا الاعاصير : تذهيه الرياح الشديدة .

وفى الحديث : « بينما
نحن جلوس عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ جاءه
رجل شديد بياض الثياب »
ومن الثانية قول الحرقة
بنت النعمان :

بيننا نسوس الناس والامر امرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

ويرى الأصمعى أن يجر
الاسم الذى يأتى بعد بينا
اذا صلح موضعه بين كما
فى قول الشاعر :

بيننا تعنته الكماة وروفة

يوما أتيح له جرىء سلفعه

ويرى غيره رفع ما بعدها
على الابتداء والخبر كما فى
قول بعض بنى عذرة
السابق •

وبين قد يجر وهو ظرف
على سبيل الاتساع كما فى
قوله تعالى : « وان خفتم
شقاق بينهما » أصله وان
خفتم شقاقا بينهما •

وذلك شبهه بقوله تعالى :
« بل مكر الليل والنهار »
اذ أصله بل مكر فى الليل
والنهار •

ومن هذا أيضا قوله تعالى :
« لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه » أى لا يأتيه
الباطل بين يديه ولا من
خلفه •

وقوله سبحانه : « فاتقوا
الله وأصلحوا ذات بينكم »
أى وأصلحوا ما بينكم من
الأحوال •

(١) نسوس الناس : نرعى شئونهم فنأمرهم وننهاهم •

(٢) السوقة : الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقد يجمع
على سوق كصرد •

(٣) التعنق : الاعتناق •

(٤) نتنصف : نخدم •

(٥) الكماة : جمع كمي وهو الشجاع المدجج بالسلاح

(٦) الروغ : الذهاب يمنا ويسرة فى سرعة خادعة

(٧) أتيح له : هبىء له •

(٨) السلفع بفتححتين بينهما سكون : الشجاع الواسع الصدر •

وقول صخر أخى الخنساء :

وذى أخوة قطعت أقوان بينهم

كما تركونى واحدا لا أخا ليا

٥١٧ ويقولون : هذه امرأة غيورة

على شرفها ، شكورة لمن قدم

لها العطاء ، فخورة بالآباء

والأبناء ، صبورة على ما نزل

بها من البلاء .

واختيار هذه الصفات

وأمثالها مختومة بالتاء خطأ

صراح ، قال ابن مالك :

ولا تلى فارقة فعولا أصلا

أى أن التاء التى تفرق

بين المذكر والمؤنث لا تلى

صفة بزنة فعول بمعنى فاعل

والصواب أن توصف المرأة

بأنها غيور ، وشكور ،

وفخور ، وصبور ، بغير تاء

كما يوصف المذكر .

كما أنهم يجمعون هذه

الصفات وما يشبهها جمع

تصحيح ، فيقولون فى جمعها

للمذكر هم غيورون ،

وشكورون ، وفخورون ،

وصبورون .

ويقولون فى جمعها

للمؤنث : هن غيورات ،

وشكورات ، وفخورات ،

وصبورات ، وهذا خطأ

أيضا .

والفصيح أن تجمع

للمذكر والمؤنث جمع تكسير

على فعل بضم كل من الفاء

والعين فيقال : هم وهن غير

على الشرف ، شكر لمن قدم

العطاء ، فخر بالآباء والأبناء ،

صبر على اللأواء .

٥١٨ ويقولون : لقد آخذ الرجل

ابنه على كثرة لعبه وعدم

اهتمامه بدروسه ، وهذا

خطأ ، لأن على لا تستعمل

مع هذا الفعل ، وانما تستعمل

معه الباء ، فيقال آخذ الرجل

ابنه بكثرة لعبه مؤاخذه

ويؤيد هذا قوله تعالى :

« لا يؤاخذكم الله باللغو فى

إيمانكم ولكن يؤاخذكم

بما عقدتم الإيمان » وقوله :

« ولو يؤاخذ الله الناس

(١) الأقران : الجبال واحدها قرن بفتحيتين . يقال اعطاه بعيرين

فى قرن أو فى قران أى فى جبل يقرنان به .

نبهت باسم أستاذي تنبيهها اذا
نوهت به ورفعت ذكره •

أما الثلاثي فتستعمل معه
اللام ، تقول : سمعت كلاما
فما نبهت له أى ما فطنت له
ويقال : نبه فلان من باب
ظرف نباهة اذا شرف واشتهر
فهو نبه ، ونابه ، ونبهه
بفتحتين وقوم نبه أيضا •

٥٢٠ ويقول الواحد منهم : أحب
أستاذي وأحترمه ، لأنه بمثابة
أبى ، يعنى أن أستاذاه فى
منزلة أبيه ومكاته •

وهذا التعبير يشوبه الخطأ ،
لأن للمثابة معنيين لا يمت
كل منهما بأية صلة الى المنزلة
والمكانة •

أحدهما : الموضع الذى
يثاب اليه ويرجع مرة بعد
أخرى ، ومنه قوله تعالى :
« واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وأمنا » ولهذا سمي
البيت مثابة ، تقول : ثاب
الرجل الى بيته يثوب ثوبا من
باب قال وثوبانا أيضا اذا رجع

بظلمهم ما ترك عليها من دابة »
وقوله : « لو يؤاخذهم بما
كسبوا لعجل لهم العذاب »
وقوله : « قال لا تؤاخذنى
بما نسيت ولا ترهقنى من
أمرى عسرا » وقوله : « ولو
يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهورها من
دابة » •

وكما تستعمل الباء مع
الرباعى تستعمل أيضا مع
الثلاثى فيقول القائل لمن
أراد أن ينصح له : لو
كنت منا لأخذت باخذنا
بكسر الهمزة ، أى لأخذت
بطريقتنا وشكلنا •

٥١٩ ويقولون : نبه الأستاذ
تلاميذه تنبيهها الى الاهتمام
بكثرة الاطلاع ، وهذا الفعل
لا تستعمل معه الى ، وانما له
استعمالان : أحدهما : أن
تستعمل معه على ، فيقال :
نبه الأستاذ تلاميذه على
الاطلاع اذا وقهم عليه توقيفا
تستعمل معه الباء ، تقول :
فتنبهوا هم عليه ، والآخر أن

قال سييوية : المظلمة
اسم ما أخذ منك وتطلبه عند
الظالم كالظلامه بضم الظاء
والظلمة بفتحها وفي
التهذيب المظلمة بكسر اللام
كالظلامه بضم الظاء ، وهى
التي تطلبها عند الظالم .
جمعها مظالم ، أنشد ابن
برى :

متى تجمع القلب الذكى وصارما
وأنا حميا تجتنبك المظالم
تقول : عند فلان ظلامتى،
ومظلمتى بكسر اللام ، أى
حقى الذى ظلمته .

وأصل المظلمة والظلامه
من الظلم ، وهو وضع الشيء
فى غير موضعه ، ومن أمثال
العربية فى الشبه : « من أشبه
أباه فما ظلم » قال الأصمعى :
ما ظلم أى ما وضع الشبه
فى غير موضعه ، وفى المثل
« من استرعى الذئب فقد
ظلم » أى ظلم نفسه ، لأنه
وضع الرعاية فى غير
موضعها .

د. عباس أبو السعود

اليه ، وثاب اليه جسمه اذا
سمن بعد الهزال ، وثاب اليه
ماله اذا كثر واجتمع .

ومثاب الحوض وسطه
الذى يثوب اليه الماء
ويرجع .

والآخر : الثواب وجزاء
الطاعة كالمثوبة ، تقول :
أثابك الله مثابة جزاك المثوبة
الحسنى .

ومن هذا قوله سبحانه :
« ولو أنهم آمنوا واتقوا
لمثوبة من عند الله خير » .

ولتأدية المعنى الذى يريده
القائل ينبغى أن يقال : أحب
استاذى وأحترمه كما أحب
أبى وأحترمه لأنهما يتفقان
فى كريم الخلال ، فكل منهما
أريب ، حصيف ، أريحى ،
بصير بكل شيء صادق الظن ،
جيد الحدس .

٥٢١ ويقولون : لفلان عند جاره
مظلمته وزان مرحمته ،
والصواب أن يقال مظلمة
بفتح الميم وكسر اللام .

حكيم... و طرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« ما عند الله خير وأبقى »

هذا المال ، فقال أبو حازم : مالى خير من مالك ، قال سليمان . وما مالك ؟ قال : الثقة بالله ، والاعتماد على الله ، والرضا بما عند الله .

« خير الأمور الوسط »

سأل اعرابي ابن عباس فقال : ان العرب تقول : حب التناهى شطط ، خير الأمور الوسط . هل هذا موجود فى القرآن ؟ قال ابن عباس : نعم . فى أربعة مواضع ، فى قوله تعالى فى وصف بقرة قوم موسى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » أى وسط بين الكبر والصغر ، وفى قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » أى فتوسط بين الأمرين ، وفى قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا » هذا السبيل ، هو الوسط ، وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » .

قال سليمان بن عبد الملك ، لأبى حازم وكان من العلماء العاملين ، ما بالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم ، وخربتم آخرتكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب ، قال : فما قدمونا على الدار الآخرة ؟ قال : يختلف باختلاف العبيد ، فالعارف بالله ، المخلص لمولاه ، يكون قدمه على الدار الآخرة ، كقدم الطفل الوحيد على أمه ، يعود اليها بعد طول غياب ، وأما المفرط فى جنب الله فيكون قدمه على الآخرة ، كما يقدم العبد الأبق من سيده ، يجىء اليه وهو موثق بالأغلال . قال سليمان : فما لنا عند الله ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله ، قال : فى أى موضع أصيب ذلك ؟ قال : اقرأ قوله تعالى : « ان الأبرار لفى نعيم ، وأن الفجار لفى جحيم » قال سليمان : يا أبا حازم أقم عندنا فنصيب منك ، قال : أخاف ان أركن الى الذين ظلموا فتمسنى النار ، قال سليمان : خذ

« البادى اظلم »

برونزية ، فسأل عمر ابنه من أين لك هذا ؟ وليس في جيب أبك ولا في بيته مثله ، فقال : عبد الله : هـى من أبى موسى الأشعرى ، وكان أبو موسى فى ذلك الحين ، عاملا على بيت مال المسلمين ، فأخذ عمر بيد ابنه ، وقصد أبأ موسى ، وصاح قائلا : أحقأ أبأ موسى أنت أعطيت ابنى هذه القطعة ، فقال أبو موسى : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال عمارغاضبا : ولماذا ؟ قال أبو موسى : أحصيت مال المسلمين ، فوجدته ذهبا وفضة ، وليس فيه من البرونز سوى هذه القطعة ، فلم أشأ أن أحرر بها قائمة منفردة ، فأعطيتها عبد الله ، فغضب عمر وصاح يا أبأ موسى : أبحت فى أولاد المسلمين ، فما وجد غلاما أفقر من ابن عمر ؟ أظفت فى بيوت المدينة بيتا بيتا ، فما وجدت بيتا يقبل الحرام ويتعامل به الا بيت عمر ؟ أما وجدت فى أبناء المسلمين من يستحق الصدقة الا ابن عمر ؟

ثم أخذ عمر القطعة من يد ابنه ، ورمى بها الى أبى موسى ، وهو يقول : ان الجندى فى الميدان يقاتل الرومان لأحق بها يا أبأ موسى .

« هب لى »

أغار قوم على طى ، فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ، ونادى فى عشيرته ، ولقى القوم فهزمهم وتبعهم .

فقال له كبيرهم : يا حاتم هبنى رمحك .

فرمى به اليه .

التقى شداد الحارثى بأسود فقال له : « لمن أنت يا أسود ؟ » قال : « لسيد الحى يا أصلع ! » ، قال : « ما أغضبك من الحق الست أسود ؟ قال : « وما أغضبك أنت الست أصلع ؟ » !

« اعيانا فرارا »

لقى أبو جعفر المنصور سفيان الثورى فى الطواف ، وسفيان لا يعرفه ، ف ضرب بيده على عاتقه وقال : « أتعرفنى ؟ »

قال سفيان : « لا ، ولكنك قبضت على قبضة جبار » .

قال أبو جعفر : « عظى أبأ عبد الله »

قال سفيان : « وماذا عملت بما علمت ، فأعظك فيما جهلت ؟ ! »

قال أبو جعفر : « فما يمنعك أن تأتينا ؟ »

قال سفيان : ان الله نهى عنكم ، فقال تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار »

فمسح أبو جعفر يده به ، ثم التفت الى أصحابه ، وقال : « ألقينا الحب الى العلماء فلقطوا ، الا ما كان من سفيان ، فقد اعيانا فرارا » .

« من أين لك هذا ؟ »

خرج عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يوما من بيته - فقابله ابنه عبد الله ، وكان فى يده قطعة نقد

« المزاح »

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية : ما زالت الحكماء تكره المزاح ، وتنتهى عنه ، فقال : المزاح من أدنى منزلته الى أقصاها عشرة أبواب : المزاح أوله فرح ، وآخره ترح ، المزاح نقائص السفهاء كالشعر نقائص الشعراء ، والمزاح يوغر صدر الصديق وينفر الرفيق ، والمزاح يبدي السرائر ، لانه يظهر المعابر ، والمزاح يسقط المروءة ، ويبدي الخنى ، لم يجر المزح خيرا ، وكثيرا ماجر شرا ، الغالب بالمزاح واطر ، والمغلوب به ثائر ، والمزاح يجلب الشتم صغيره والحرب كبيرة ، وليس بعد الحرب إلا عفو بعد قدرة .

فقال الحجاج : حسبك ، الموت خير من عفو معه قدرة .

وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال : ينشق أحدكم أخاه مثل الخردل ، ويفرغ عليه مثل الرجل ، ويرميه بمثل الجنادل ، ثم يقول : انما كنت أمزح !

وفى هذا المعنى يقول الشاعر محمود بن الحسين الوراق :

نلقى الفتى يلقي أخاه وخدنه
في لحن منطقته بما لا يفكر
ويقول : كنت مهازجا وملاعبا

هيهات نارك في الحشى تتسعر !
أو ما علمت وكان جهلك غالبا

ان المزاح هو السباب الأصغر المازحة تذهب بالمهابة ، وتورث الضغينة ، الافراط في المزاح مجون ، والاقتصاد فيه ظرف ، والتقصير عنه ندامة ، أوكد أسباب القطيعة المرء والمزاح .

فقل لحاتم : عرضت نفسك للهلاك ، ولو مطف عليك لقتلك ،

فقال : قد علمت ذلك ، ولكن ما جواب من يقول هب لى ؟

« العجلة أم الندامة »

قال بعض الحكماء : اياك والعجلة فان العرب كانت تكنيها أم الندامة ، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد الا صاحب الندامة ، واعتزل السلامة .

« الناس ثلاثة »

قال أيوب بن القرية : الناس ثلاثة : عاقه ، واحمق ، وفاجر : فالعاقل الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأى الحسن سجيته ، أن سئل أجاب ، وأن نطق أصاب ، وأن سمع العلم وعى ، وأن حدث روى ، وأما الاحمق فان تكلم عجل ، وأن حدث وهل (١) ، وأن استنزل عن رأيه نزل ، فان حمل على القبيح حمل ، وأما الفاجر فان اتهمته خانك ، وأن وثقت به لم يرعك ، وأن استكنتم لم يكتم ، وأن علم لم يعلم ، وأن حدث لم يفهم ، وأن فقه لم يفقه .

من شرفك ، ان رجلا أتاه الله مالا
وجمالا وحسبا ، فواسى فى ماله
وعف فى جماله ، وتواضع فى
شرفه ، كتب فى ديوان الله عز
وجل .

« ثلاثة عيوب »

ثلاث من كن فيه كن عليه :
البغى ، قال تعالى : « يأبىها الناس
انما بغيتكم على أنفسكم » .

والكر قال سبحانه : « ولا يحق
المكر السئ الا بأهله » .

والنكت قال عز من قائل : « فمن
نكت فانما ينكت على نفسه » .

« طلب الحوائج »

قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا
الحوائج فى غير حينها ، ولا تطلبوها
من غير أهلها ، فان الحوائج تطلب
بالرجاء ، وتترك بالقضاء .

وقال : مفتاح نجاح الحاجة الصبر
على طول المدة ، ومفلاقتها اعتراض
الكسل دونها ، وقد جاء ذلك فى
الشعر فقال شاعر :

انى رأيت وفى الايام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يحاوله
فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وقال حكيم : لا تطلب حاجتك
من كذاب ، فانه يقربها بالقول
ويبعدها بالفعل ، ولا من أحق ،
فانه يريد نفعك فيضرك .

وقال ابن المغتر : من كثر مزاحه
لم يخل من استخفاف به او حقد
عليه .

وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا
المزاح فانه حمقة تورث ضغينة ،
وقال بعض البلغاء : من قل عقله
كثر هزله .. وقال سعيد بن العاص
لابنه : اقتصد فى مزاحك ، فان
الافراط فيه يذهب البهاء ، ويجرى
عليك السفهاء ، وان التقصير فيه
يفض عنك المؤانسين ويوحش منك
المصاحبين .

« أربع كلمات طيبات »

خرج الزهرى يوما من عند هشام
ابن عبد الملك فقال : مارأيت كالיום ،
ولا سمعت كأربع تكلم بهن رجل عند
هشام ، دخل عليه فقال : يا أمير
المؤمنين ، أحفظ عنى أربع كلمات ،
فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك
.. قال : هاتهن ! قال : لاتعدن عدة
لا تثق من نفسك بانجازها ،
ولا يفرنك المرتقى وان كان سهلا اذا
كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال
جزاء فاتق العواقب ، وان للأمور
بفتات فكن على حذر .

قال عيسى بن دأب : فحدثت
بهذا الحديث الهادى وفى يده لقمة
قد رفعها الى فيه فامسكها ، وقال :
ويحك أعد على ! فقلت : يا أمير
المؤمنين ، أسغ لقمتهك ، فقال :
حديثك أحب الى .

« من تواضع الرشيد »

قال ابن السماك للرشيد : يا أمير
المؤمنين ، تواضعك فى شرفك أفضل

يقولون الزمان به فساد
وهم فسدوا وما فسد الزمان

« عز التقوى »

لما قدم الامام الشافعى مصر ،
قال له عبد الله بن الحكم : اذا
أردت أن تسكن البلد ، فليكن لك
قوت سنة ، ومجلس من السلطان
تتعزز به .

فقال له الامام الشافعى ،
- رضى الله عنه - : يا أبا محمد
من لم تعزه التقوى فلا عز له . .
ولقد ولدت بفزة ، وريت
بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ،
وما بتنا جياعا قط .

« دعاء »

اللهم أجزنى على حسن عبادتك ،
ووفقنى لاستفتاح أبواب رحمتك .

اللهم سلمنا ولا تسلمنا ،
وأمنحنا ولا تمتحننا .

اللهم اجعلنا فى ضمانك وأمانك
واحسانك .

اللهم وفر حظى من صنعك
ولطفك الخفى .

اللهم حسبى من سؤالى علمك
بحالى .

اللهم اغفر لى كل ذنب ،
واحفظنى من كل جنب ، وفرج
عنى كل كرب .

اللهم أعنى على الموت وكربته ،
والقبر وغمته والصرات وزلته ،
ويوم القيامة وروعته .

عبد الحفيظ محمد عبد العظيم
الخطيب

« لا تصنع المعروف فى غير أهله »

قال بعض الحكماء : المعروف الى
الكرام يعقب خيرا ، والى اللئام
يعقب شرا ، ومثل ذلك مثل المطر
يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا ،
وتشرب منه الأفاعى فيعقب سما .

وقال سفيان : وجدنا أصل كل
عداوة أصطناع المعروف الى اللئام
وقال أثار جماعة من الأعراب ضبعا
فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا :
أخرجها ، فقال : ما كنت لأفعل وقد
استجارت بى فانصرفوا ، وقد كانت
هزيلا ، فجعل يرعاها حتى عاشت
فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه
فقتلته ، فقال شاعرهم فى ذلك :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله
يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

أقام لها لما أناخت ببابه
لتسمن البان اللقاح الدرائر

فأسمنها حتى اذا ما تمكنت
فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوى المعروف هذا جزاء من
يجود باحسان الى غير شاكر

« الزمان »

قال الشيبانى : اتانا أبو مياس
الشاعر ونحن فى جماعة ، فقال :
ما أنتم فيه ؟ قلنا : نذكر الزمان
وفساده قال : كلا ، الزمان وعاء
ومالقى فيه من خير أو شر كان على
حاله ، ثم أنشأ يقول :

أرى حلالا تصان على رجال
وأخلاقا تزال ولا تصان

باب الضتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

« صيام عاشوراء والعشر (١) وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغداة » رواه أحمد والنسائي .

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام هي أيام أكل وشرب » رواه الخمسة الا ابن ماجة وصححه الترمذى .

وعن أبى هريرة قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفات » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة .

قال الترمذى : قد استحباب أهل العلم صيام يوم عرفة الا بعرفة .

س : ما حكم الصوم يوم عرفة والأيام العشر من ذى الحجة ؟

ج : ذكر الشيخ سيد سابق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى صوم عشر ذى الحجة وأكد على صوم يوم عرفة لغير الحجاج .

فعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ، ماضية ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » رواه الجماعة الا البخارى والترمذى .

وعن حفصة قالت : « أربع لم يكن يدعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

القيامة ومنه ما له قسط معقول
من الذكاء ؟

ج : اتفقت الرسالات السماوية
على أن بعث الانسان يوم القيامة
حق ، وان محاسبته على أعماله فى
الدنيا حق ، ولا خلاف فيه لأحد
من المؤمنين •

أما بعث الحيوانات من البهائم
والطيور ، ومحاسبتها على ما
ارتكبت فى دنياها فقد ذهب اليه
جماعة من العلماء قرروا بعثها من
قبورها يوم القيامة كالانسان ،
وقرروا سؤالها عما فعلت كالانسان،
واستندوا فى بعثها الى مثل قوله
تعالى فى سورة التكويد : « واذا
الوحوش حشرت » (٢) وقوله
تعالى فى سورة الانعام : « وما من
دابة فى الأرض ولا طائر يطير
بجناحيه الا امم أمثالكم
ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم
الى ربهم يحشرون » (٣) •

وعن أم الفضل : « انهم شكوا
فى صوم رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم عرفة فأرسلت اليه بلبن
فشرب وهو يخطب الناس بعرفة »
متفق عليه : اه •

وجاء فى زاد المعاد : وقد ذكر
لفطره بعرفة عدة حكم منها أنه
أقوى على الدعاء ، ومنها أن الفطر
فى السفر أفضل من فرض الصوم
فكيف ينقله ، ومنها أن ذلك اليوم
كان يوم جمعة •

وقد نهى عن افراذه بالصوم
فأحب أن يرى الناس فطره فيه
تأكيدا لنهيه عن تخصيصه بالصوم
وان كان صومه لكونه يوم عرفة
لا يوم جمعة • وكان شيخنا رضى
الله عنه يسلك مسلكا آخر وهو أنه
يوم عيد لأهل عرفة لاجتماعهم فيه
كاجتماع الناس يوم العيد ، وهذا
الاجتماع يختص بمن فى عرفة دون
أهل الآفاق • اه •

س : هل يحاسب الحيوان يوم

(٢) الآية ٥ من سورة التكويد •

(٣) الآية ٣٨ من سورة الانعام

وانحلال النواميس الكونية ، وقد ذكر هذا الحشر فى حوادث الاضطراب التى تحدث قبل البعث • بدليل ما قبلها « اذا الشمس كور ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت » ، وما جاء بعدها : « واذا البحار سجرت » وكل هذه من حوادث الاضطراب العام الذى يقع قبل يوم القيامة •

أما البعث فقد ذكر بعد ذلك فى السورة نفسها بقوله تعالى : « واذا النفوس زوجت ، واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » الى قوله : « علمت نفس ما أحضرت » •

أما الحشر فى آية الأنعام فهو يرجع الى المكذبين لرسالة الرسول المذكورين قبل الآية وبعدها ، أو أن معناه : الهلاك والموت - وهو عام لكل المخلوقات ، ومن ذلك قول العرب فى السنة المجذبة : « حشرت الناس • يريدون : أهلكتهم » •

ويستندون فى محاسبتها الى ما فهموه من قوله عليه الصلاة والسلام : « لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء » والجماء : التى لا قرن لها تدفع به اعتداء ذات القرن عليها • ويقول هؤلاء : ان الله بعد أن يحقق هذه العدالة العامة فى خلقه على هذا النحو يقول لها : موتى فتموت ، وليس لها جنة ولا نار •

المحاسبة والمسئولية للإنسان المكلف

وترى طائفة أخرى - ذات نظر أعمق - أن البعث خاص بالانسان المكلف • وأن المحاسبة والمسئولية خاصان به ، والآخرة دار جزاء ، ولا محاسبة الا حيث التكليف ، ولا تكليف لغير الثقلين : الانس والجن ، واذن فلا محاسبة للحيوانات ولا بعث •

أما قوله : « واذا الوحوش حشرت » فالحشر ليس هو حشر الآخرة ، وانما هو جمعها لاستيلاء الرعب عليها وقت الاضطراب العام

ما يرى من ذكاء بعض الحيوانات فهو ذكاء لا ارادة معه • ولا يعدو نواحي خاصة لا تتصل بفهم الخطاب ولا مقتضيات التكليف الالهى •

س : هل لمس المرأة ينقض الوضوء ؟

ج : يقول الله تعالى فى بيان الطهارة التى تجب على المؤمن اذا أراد القيام الى الصلاة : « يأياها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين • وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الفائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » (١) •

هذا وقد قال الألوسى فى تفسيره : « وليس فى الباب » يريد مسألة بعث الحيوانات « نص من كتاب أو سنة يعول عليه ، يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطيور • ثم قال : « ومن القريب جدا أن يكون الحديث الذى ذكره كناية عن تمام العدل ، بدليل ما جاء فى بعض الروايات من الاقتصاص من الحجر اذا وقع على الحجر » •

ذكاء بعض الحيوانات لا ارادة معه :

هذا ما قاله العلماء فى هذه المسألة ، ونحن مع أرباب رأى الثانى ، وهو أنه لا بعث ولا محاسبة الا على من ثبت تكليفه لا لمن لا يفهم الشرائع والخطاب بخاصة نفسه وطبيعته ، كيف وقد خلقها الله مسخرة للانسان فيما تنفعه من أكل وحمل وحرث وسائر ما يحتاج منها ؟ أما

(١) الآية ٦ من سورة المائدة •

وجوهكم الخ » وبينت طهارة
الغسل بقوله : « وان كنتم جنبا
فاطهروا » •

ثم بينت الطهارة بالتيمم حين
الغذر عن استعمال الماء : بدلا
عن الوضوء بقوله : « أو جاء
أحد منكم من الغائط » وبدلا من
الغسل بقوله « أو لامستم
النساء » •

ثالثا : قد صحت الأحاديث الدالة
على بقاء الوضوء بعد المس باليد
ونحوها •

رابعا : أن عدم نقض الوضوء
بالمصافحة هو ما يقضى به اليسر
الذى بنيت عليه الشريعة وختمت
به آية الطهارة « ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ، ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم
تشكرون » (٣) •

والله أعلم

الاستاذ عبد الحميد شاهين

وفى معنى قوله تعالى : « أو
لامستم النساء » فسر بعض الأئمة
الملاسة فى الآية بمس اليد أو
نحوها ، وعليه يكون مس المرأة
ناقضا للوضوء ، وفسرها آخرون
بالمخالطة الخاصة ، وعليه لا يكون
المس باليد ومنه المصافحة ناقضا
للوضوء هذا الذى نختاره •

أولا : لأن القرآن استعمل المس
فى المخالطة « ولم يمسنى
بشر » (١) ، « ثم طلقتموهن من
قبل أن تمسوهن » (٢) • كما
استعمل فيها المباشرة « ولا
تباشروهن وأنتم عاكفون فى
المساجد » •

والملاسة كالمباشرة والمس •

ثانيا : أنه بتفسير الملاسة
بالمخالطة الخاصة تكون الآية
استوعبت جميع أنواع الطهارة
الواجبة بالنسبة لأسبابها : فبينت
طهارة الوضوء بقوله : « فاغسلوا

(١) الآيتان ٤٧ من سورة آل عمران ، ٢٠ من سورة مريم •

(٢) الآية ٤٩ من سورة الاحزاب •

(٣) الاجابة عن السؤالين الاخيرين من فتاوى الشيخ محمود شلتوت رحمه الله .

فهرس السند

صفحة	الموضوع
	العلامة الندوى يؤذن بالخطر !!
٢٠٠٩	دكتور عبد الودود شلبى
	فى مواجهة الالحاد المعاصر : عدم كفاية العلم فى مجال المعرفة
٢٠١٨	للدكتور يحيى هاشم
	ذو القرنين يفتح المشرق ويبنى سد ياجوج وماجوج
٢٠٤١	فضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير
	الرسم العثمانى واجب شرعى طريقه الاجماع
٢٠٥١	دكتور رءوف شلبى
	الاسلام فى الفكر الاوروبى
٢٠٧٠	عرض وتحليل لمؤلفات أوربية بقلم الدكتور محمد شامه
	نظرة الى الجديد فى علوم اللغة
٢٠٩٤	للدكتور توفيق محمد شاهين
	ابن خلدون بين اللغة ٠٠ وعلم الاجتماع
٢١٠١	الاستاذ محمد عادل سليمان
	الازهر جامعا وجامعة (او مصر فى الف عام)
٢١١٥	للاستاذ محمد كمال السيد
	بردة جديدة
٢١٣٥	للاستاذ السيد حسن قرون
	ماذا قدم الازهر والازهريون للعلم والدين ؟
٢١٤٤	بقلم : الدكتور محبى الدين الالوائى
	تربية الطفل المسلم
٢١٦٣	دكتور محمد عبد المنعم خفاجى
	مع رسالة الادب الصوفى « الحكم العطائية »
٢١٦٨	للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى
	قضايا قرآنية
٢١٧٨	للدكتور عبد الفنى الراجحى
	مع آيات من سورة النساء فى ليلة قدر رمضان
٢١٨٦	بقلم الاستاذ عبد الرحمن الفضالى
	قبل مجيئه تحدثت عنه اسفار الانبياء
٢٢٠١	المستشار محمد عزت الطهطاوى
	أخطاء شائعة
٢٢١٤	للاستاذ عباس أبو السعود
٢٢٣٠	حكم ... وطرائف
	باب الفتاوى
٢٢٣٥	الاستاذ عبد الحميد شاهين



العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ } ت
٩٠٥٥٠٦ }

الآن
مجلة
بمجة
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
ورئيس التحرير
الدكتور
عبدود شلبى

الجزء العاشر - السنة الحادية والخمسون - ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - نوفمبر ١٩٧٩ م

١٢
٢٢٢٢٢
دوريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلامة المودودى في ذمة الله!!

دكتور عبدود شلبى

سبيل الله ، وعن منهج الانقلاب أو
التغيير الذى يجب أن يتم فى دنيا
الاسلام .

كان منهجه فى هذه الرسالة
الأخيرة « منهاج الانقلاب » . ان
ذلك لا يتم الا من خلال التربية
الاسلامية الصحيحة .. وان
الانقلاب أو التغيير بالاسلوب
العسكرى المعروف فى أكثر دول
العالم الثالث لا يمكن أن يبنى

تعرفت على المرحوم العلامة
« أبو الأعلى المودودى » من خلال
مؤلفاته التى ظهرت فى مصر مترجمة
الى العربية ضمن سلسلة لجنة
« الشباب المسلم » فى أواخر
الأربعينيات .. كانت أول حلقة فى
هذه السلسلة باسم « الدين القيم »
ثم تلتها عدة رسائل أخرى عن
الاسلام والاقتصاد ، والجهاد فى

جو من الأمان والحرية يختلف عما كنا عليه بالأمس .

كان هذا هو رأى «المودودى» فى مناهج الانقلاب والتغيير ، ولا زلت عند رأيه الذى يجب أن يتدبره كل مصلح أو مسلم غيور . . صياغة البناء من الداخل . . صياغة الانسان المسلم صياغة تتفق ومبادئ الاسلام فى الحياة والواقع .

وفى أوائل الستينيات . . حضر العلامة « المودودى » الى القاهرة فى رحلة استكشاف لمواقع الأحداث والقصص التى وردت فى القرآن الكريم . وقد التقيت به عرضا فى مكتبة « دار العروبة » وسلمت عليه سلاما عابرا على أمل اللقاء فى أقرب فرصة . ثم شاء الله أن يحتفل به شيخ الاسلام الأكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت ، وأن أكون ضمن من حضروا هذا اللقاء الممتع الوقور واستمتع بما دار فيه من مناقشات دينية تتسم بسعة الأفق والشمول .

وأيقنت منذ ذلك الوقت . ان العلامة « المودودى » نمط فريد

أمة أو يقيم على سطح هذه الأرض بناء يتحمل أول صدمة .

فالتغيير أو الانقلاب الحقيقى يجب أن يأتى من داخل النفس . . ذلك لأن مفهوم الأمانة بمعناها الاسلامى الحقيقى ليست ألا تسرق خوفا من الشرطة . بل لا تسرق خوفا من الله .

ان القوة الغاشمة لا يمكن أن تشكل فكرا يصلح للبناء . . القوة تحيل اكثر الناس الى منافقين جبناء أو تحيلهم الى يائسين يتمنون الخلاص ولو عن طريق الدماء . . وحين تصبح القوة الغاشمة أو السلطة الحاكمة سيفا مصلتا على الرقاب ويشعر المواطنون أنهم فى بلدهم غرباء . . يتحول كيان الدولة الى نسج من خيوط العنكبوت ، والى بيت من الشعر تمزقه مخالب الاخطبوط ! ! . .

ولقد عاينا الكثير من أهوال هذه السلطة الغاشمة فى سنوات الهوان واليأس . وكانت تجربتنا فى حرب الأيام الستة دليلا على صدق هذا المقال الذى يكتب فى

في السلوك والفهم ، ونموذج نادر في الثقافة وغزارة العلم .
وتعاقبت السنون سراحا بعد هذا اللقاء .. كانت سنوات كسنى « يوسف » عاشها العالم الاسلامي في جفاف روحي وقحط فكري .
فقد استحال الحكم في أكثر بلاد الاسلام الى اداة من ادوات الشيوعية التي لا ترقب في مؤمن الا « ولا ذمة » ، وعلقت المشاقق للمجاهدين والشهداء الذين تساقطوا شهيدا بعد شهيد في حركة رفض للالحاد والهمجية ، ولم يتوقف طوفان الدماء الا بعد أن غرق « فرعون » في حميم الهزيمة .
وانكشاف الغطاء عن « المسيح الدجال » في دنيا الاسلام والعروبة .

ولقد التقيت بالعلامة « المودودي » بعد ذلك أكثر من مرة .. ففي باكستان أقمت مدة طويلة .. وفي اول زيارة لهذه الدولة الاسلامية الغالية . حرصت على ركوب القطار من « كراتشي » عاصمة ولاية « السند » الى « لاهور » عاصمة ولاية

« البنجاب » . كنت تواقا الى رؤية باكستان من خلال هذه الرحلة التي استغرقت ثلاثا وعشرين ساعة .. وقيل أذان فجر اليوم التالي من هذه الرحلة توقف القطار في مدينة « حيدر آباد السند » .. وفوجئت برجل يشاركني الحجرة الخاصة في عربة القطار .. ألقى التحية .. ثم جلس صامتا لا ينطق بينت شفة .. وحين سمعت صوت الأذان يشق أجواء الفضاء والسكون في هذه المنطقة قمت لأتوضأ ، فاذا بالرجل الصامت تنفج أساريه ، وتعلو وجهه ابتسامة عريضة تنطق بفرحه وسروره .. اذن فانت مسلم ! قالها الرجل معتذرا عن الصمت الذي عقل لسانه عن الحديث ، وجعله يتحفظ معي في الكلام خشية التورط فيما لا يليق بأحد قواد الجيش !

كان الرجل جنرالاً كبيراً .. وكأنا رأيت في الصلاة ضمنا لسره .. ومفتاحا سحريا لأساريه قلبه فصليت .. ثم صلى . وبدأ الحديث عن الوطن واللغة وماكاد

الأقل .. ولكن الرجل «القدوة»
الذى قضى الكثير من عمره فى
غيابة السجن ، وحكم عليه بالاعدام
دفاعا على العقيدة والرأى .. هذا
الرجل العظيم كان متقشفا فى كل
مظاهر الحياة المادية زهدا .. مقلا
من رغبات النفس وتطلعاتها ورعا ..
مكتفيا بالقليل من الطعام والزاد
عن قناعة ورضا .. وكأنى به يتمثل
بقول « اقبال » حين يصف علماء
هذا الزمان :

ما أكثرهم عند الطمع ...
قلوب خاوية من صدفة الايمان
.. وعقول فارغة من العقل
والحكمة .

وبطون تمتلئ بملذات العيش ،
وأطايب الطعام حرصا على غريزة
البقاء فى دنيا الهوان والطمع .

لم تعد لهم تلك الأيادى البيضاء
التي تنير للمسلمين طريق الحياة .
اسماك بركة .. وضفادع
بئر ..

فمن لى بهذا العالم الذى يشرى
نفسه ابتغاء مرضاة ربه ..

يعرف اننى « أزهرى » من مصر
ومسلم تجيش حساياه بالعاطفة
الصادقة لكل المسلمين فى أى قطر .
حتى زال التحفظ والصمت .
وانطلق الرجل يحدثنى عن رجالات
باكستان من العلماء وأئمة الفكر .

قلت له : وما رأيك فى مولانا
مودودى .. ؟ قلتها ببساطة ..
فاذا بالرجل يتحرك من مقعده ،
ويقبل على بروحه وعقله وقلبه ..
مولانا مودودى .. مولانا
مودودى .. كم أتمنى أن أكون
خادما له .. ولولا الجيش وقوانينه
الصارمة .. لجعلت من نفسى
حارسا كظله .. وتابعاً يسير خلفه
ولا يفارقه !! ..

وهأنذا فى لاهور .. المدينة
التي اختارها « المودودى » لتكون
مركز حركته ودعوته .. فى حي
اچهره ICHERA وفى شارع
زيلدار بارك Zaildar Park
كان يقيم العالم المجاهد فى بيت
متواضع لا ترى فيه أية مسحة
للرخاء والترف .. كان يمكن أن
يعيش كملك من دخل مؤلفاته على

ويخرج من بيته بعد أن يكتب وصيته لأهله وولده ..

وفي شهر رمضان الماضي . فوجئت بزيارة مفاجئة من صفيه وتلميذه الاستاذ خليل الحامدي ، مدير دار العروة للدعوة الاسلامية . كان قادمًا من الولايات المتحدة بعد أن أدخل الشيخ الامام احدى المستشفيات لعلاج . وقد حضر الاستاذ خليل الحامدي من أمريكا في جولة قصيرة الى العالم العربي .. لم أكن أعرف سر هذه الزيارة .. ولم أفهم لماذا ترك التلميذ الحوارى شيخه ، حتى علمت أن العلامة المرحوم « أبو الاعلى المودودي » رفض أن يعالج على حساب الدولة أو على حساب أية هيئة .. حتى « الجماعة الاسلامية » التي وهبها حياته وماله ، وتبرع لها بقيمة جائزة الملك فيصل التي منحت له . رفض أى

مليم ينفق منها على علاجه ، وأصر على أن يكون هذا العلاج من دخل مؤلفاته .. ولكن ممن .. ؟ ان أكثر الناشرين فى العالم العربى أثروا على حسابه . ولم يتقدم غير اثنين من هؤلاء لدفع عشر معشار ما يستحق من كتبه ومؤلفاته .. ! لقد مات الرجل .. أستغفر الله .. بل انتقل الى مقعد صدق .. هناك فى جنة عرضها السموات والأرض .. واذا كان لـ «باكستان» مؤسسان هما محمد اقبال ، ومحمد على جناح .. فان العلامة المودودي هو المؤسس الثالث الذى اكتملت بجهوده وجهاده حركة التأسيس والاصلاح ..

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه خيرا بما قدم لدينه وأمتة .

عبد الودود شلبى

أبو الأعلى المودودي

في سطور

— ولد في مدينة أورنج اباد
في جنوبى الهند في ٢٥ ديسمبر
(كانون الأول ١٩٠٣) •

— في ١٩٢٠ م توفي والده
فاغتمد على نفسه • التحق
بجريدة « المدينة » الاسبوعية التي
كانت تصدر من مدينة « بجنور »
وبعد ذلك تولى مهام ادارة تحرير
جريدة « تاج » اليومية في
مدينة « جبلبور » •

— في ١٩٢١ م أصبح رئيس
تحرير جريدة « مسلم » الاسبوعية
التي كانت تصدر من العاصمة •
— في ١٩٢٤ م التحق بجريدة
« الجمعية » اليومية رئيسا
لتحريرها •

— في ديسمبر (كانون الأول)
١٩٢٦ م ، قتل مؤسس حركة اكرام
المسلمين على اعتناق الديانة
الهندوسية على يد شاب مسلم ،
وأدى هذا الحادث الى سوء التفاهم
تجاه الاسلام والمسلمين • فكتب
المودودي مقالات في موضوع

« الجهاد فى الاسلام » كان لها
أثرها فى تكوين أوضاع المسلمين
فيما بعد •

— فى ١٩٣٠ م ألف كتابه
المعروف « مبادئ الاسلام » •

— فى ١٩٣٢ م بدأ اصدار مجلة
« ترجمان القرآن » الشهرية التي
أصبحت الوسيلة الرئيسية لهداية
وتوجيه مسلمى شبه القارة الهندية
وكانت بمثابة رمز ليقظة المسلمين
ومصدرا لهداية وارشاد البشرية
على نطاق واسع •

— فى ١٩٣٨ م استجابة للدعوة
الموجهة اليه من الشاعر الفيلسوف
(محمد اقبال) انتقل المودودي
من (حيدر آباد) الى (البنجاب)
ليجعل منها منطلق رسالته فى
الحياة •

— فى مارس (آذار) ١٩٤٠ م
اتخذ حزب (الرابطة الاسلامية)
قرارا باقامة دولة باكستان وشكلت
لجنة لاعداد خطة للحكم الاسلامى
وتم اختيار المودودي لعضوية
اللجنة •

في مجلة « ترجمان القرآن » تحت عنوان « تفهم القرآن » .

— في ١٩٤٧ بعد تقسيم الهند هاجر الى باكستان وتولى مهام رئاسة الجماعة الاسلامية في البلد الجديد .

— في يناير (كانون الثاني) ١٩٤٨ م بدأ مساعيه لتنفيذ النظام الاسلامي في باكستان وقد طالب بذلك من خلال خطبه الاذاعي وكتاباته .

— في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٨ م نتيجة لمطالباته ولمعارضته ضد الحكومة ألقى القبض عليه وعلى زملائه وزج بهم في السجن .

— في ١٢ مارس (آذار) ١٩٤٩ م استسلما لضغط الشعب وخوفا من المظاهرات أعلنت الحكومة عن (قرار الأهداف) الذي مهد الطريق لتنفيذ الحكم الاسلامي في البلد .

— في يونيو (حزيران) ١٩٥٠، أطلق سراحه وزملاؤه بعد حبس دام عشرين شهرا .

— في ١٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٠ م كان المودودي دائم الكتابة والتعريف بنظام الاسلام ، وقد حاول أن يجعل من أى تجمع أو حزب قائم داعية الى الاسلام على نمط عهود الخلفاء الراشدين ، وقد دعا المثقفين المسلمين على صفحات مجلته للتفكير في حقيقة الدعوة الاسلامية ، وتكريس جهودهم وطاقتهم لتنفيذ نظام الحياة في الاسلام ليس فقط في حياتهم الخاصة وانما في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري ، فلقى استجابة من كل أرجاء الهند وأعلن عن موعد لعقد مؤتمر واخراج برنامجه الى حيز الوجود ومن ثم نشأت (الجماعة الاسلامية) في مدينة لاهور عام ١٩٤١ ، ووضع لها قانونا وانتخب المودودي أول رئيس للجماعة . وقد تعرضت الجماعة الاسلامية للهجوم من القوى البريطانية المسيطرة منذ أول ظهورها .

— في ١٩٤٣ م بدأ العمل في تفسير القرآن الكريم وأخذ ينشره

— فى ١٩٥٢ م قدم المودودى المطالبة المشهورة المحتوية على تسعة بنود لنفاذ الدستور الاسلامى •

فى ١٩٥٣ م تأمرت الحكومة ضد هذه المساعى واستغلت خصوصا مساعيه المبذولة ضد القاديانية لتحقيق أهدافها فشجعت بعض عملائها على اثارة موجات العنف وخلق جو الفوضى واعتقلت المودودى وزملاءه بتهمة اثارة العنف •

— ١١ مايو (أيار) ١٩٥٣ صدر الحكم باعدام المودودى فأثار هذا الحكم موجة من الاحتجاجات فى جميع أنحاء العالم الاسلامى اضطرت معه الحكومة الى تغيير حكمها الى الحبس مدى الحياة •

— فى ٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٥٤ أطلق سراحه نتيجة حكم صدر من المحكمة العليا •

— فى مارس (آذار) ١٩٥٦ م لقيت مساعيه نجاحا جزئيا وأعلنت الحكومة دستورا شبه اسلامى وفى هذا العام سافر الى البلاد

الاسلامية وناشد المسلمين من خلال خطبه الى توحيد صفوفهم والجمع بين كلمتهم — وبعد عودته من سفره الى الخارج وجه مطالبه الى الحكومة بأن تسعى لانشاء كتلة اسلامية •

— فى ٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٤ م فرض الحظر على الجماعة الاسلامية وزج بالمودودى وأعضاء مجلس الشورى للجماعة فى السجن •

— فى ٢٥ سبتمبر (أيلول) أصدرت المحكمة العليا حكما باطلاق سراح المودودى وزملائه وسحب الحظر على الجماعة الاسلامية •

— فى ابريل (نيسان) ١٩٦٦ م سافر المودودى لأداء فريضة الحج والمشاركة فى جلسات رابطة العالم الاسلامى وخلال وجوده فى مكة المكرمة وزع كتيبا حول مشكلة كشمير (باللغات العربية والانجليزية والفرنسية) •

— فى ١٥ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٦٦ م ألقى محاضرة حول حركة

الاسلامية في المغرب وأسهم في
انشاء جمعية الجماعات الاسلامية
كمنظمة دائمة •

— في ١٩٧٢ م استقال من
رياسة الجماعة الاسلامية نظرا
لسوء حالته الصحية وكرس وقته
في التأليف واستمر في تأليف
تفسيره الذي استكمله في ٧ يونيو
(حزيران) من نفس العام —
١٩٧٢ — ١٩٧٨ م بعد انتهاء
التفسير بدا العمل في تأليف
السيرة النبوية ، واستكمل
المجلدين الأولين اللذين تضمنتا
حياة النبي صلى الله عليه وسلم في
مكة •

— في العام الماضي منح جائزة
الملك فيصل العالمية تقديرا لجهوده
وتضحياته في خدمة الاسلام •

الاتحاد بين الحكومة الاسلامية
في اجتماع عقده مؤتمر العالم
الاسلامى في مدينة لاهور •

— في ١٥ ديسمبر (كانون
الاول) ١٩٦٨ م أقام المسلمون
البريطانيون حفلا تكريما
للمودودي ألقى فيه محاضرة في
موضوع الاسلام في مواجهة
تحدي العصر الحاضر •

— في ٤ مارس (آذار)
١٩٦٩ م أجرى التلفزيون الايطالى
الحكومى مقابلة شخصية مع
المودودي حول موضوع «الاسلام
في العالم » •

— في ١٣ — ٢٦ سبتمبر
(ايلول) ١٩٦٩ م شارك في
جلسات المجلس التأسيسى للجماعة

أبو الأعلى المودودي

ومكانته في الدعوة الإسلامية

دكتور عرف شلبي

بالقرآن وبالحديث وبالسلوك
القيم والقنوة الحسنة .

* ومن البلايا الشاقة ثانيا :
انحراف الملوك الاسلاميين الى درجة
تعطيل المبادئ الاسلامية ارضاء
للوثنين ، وارضاء لشهواتهم
ومحاولة خلق دين جديد يواجه
الاسلام ذاته ، وقد كانت هذه
الحقبة المظلمة في عهد الملك
(الكبر) من ٩٦٢ هـ الى ١٠١٤ هـ .

* هذه الأحوال جعلت سير
الدعوة الاسلامية مضطربا مقلقا
وعلى سنة الله دائما في الحفاظ على
دينه فقد هيا جل جلاله الثقات من
العلماء للدفاع عنه وكان في مقدمة
هذه المعركة « الشيخ احمد بن
عبد الأحد الفاروقي السرهندي
الملقب بمجدد الألف الثاني للهجرة
وأخذ الشيخ طريق الجهاد وكان

منيت الدعوة الاسلامية في
القارة الهندية بعدة بلايا شاقة من
أولها :

* ان الملوك الذين استقر بهم
المقام في بعض مقاطعات القارة
الهندية استراحوا لما وصلوا اليه
من عز وجاه فوجهوا الحكم الى
صالحهم وحدهم وتركوا نشر
الاسلام وسط القارة الفسيحة ،

* وأن العلماء الذين اشتغلوا
بنشر الدعوة قد تركوا تعليم
القرآن الكريم وتحفيظه ،
وتدريس السنة وحفظ الحديث ،
واشتغلوا بعلم الكلام وفلسفة
اليونان ، وارتبكوا في الخلافات
والخلافيات التي ازدحمت بها كتب
المتأخرين من بعد السلف الصالح
الرضي الذي انطلق ينشر الدعوة

* لكن بعد وفاته ضعفت الحالة الدينية وتذبذبت الأمور وحاول الهنادكة السيطرة على بلاد المسلمين فقيض الله الامام ولى الله الدهلوى ١١١٤ - ١١٧٦ هـ الذى حمل لواء الاصلاح ووقفه الله لوضع تصور كامل للبيئة الهندية عن الاسلام بعد اللجاج الذى أصيبت به الدعوة الاسلامية من جراء ما حدث من خرافات وخزعبلات . أدخلها المعجبون بالتصوف البراهمانى وبدع الملوك فتوجه الدهلوى الى تربية قيادة فكرية تفهم الاسلام أولا وتطبيقه ثانيا ، ثم تدعو اليه ثالثا وكان من آثاره :

أ - أن منبع الشريعة فى علم الحديث والفقه لا فى علم الكلام .

ب - أن القرآن الكريم هو الأصل الذى يعتمد عليه فى فهم الاسلام ولذا فقد وضع لهم ترجمة تقرب لهم ادراك المعانى عند تلاوته بالفاظه العربية .

له أثره المحمود فى ابطال القوانين المعارضة للشريعة الاسلامية ، وعودة الملك الى حظيرة السلوك الاسلامى .

* ثم خلفه من بعده الشيخ عبد الحق الدهلوى ٩٥٨ - ١٠٥٢ هـ ولطف الله وقدر وهياً الملك زيب ١٠٦٨ - ١١١٨ هـ الى أن يأخذ بيد الدعوة الى الامام فسار شوطاً طويلاً فحارب كل ما فعله جده الملك « أكبر » ولهذا فان المستشرقين عندما يكتبون عن الدعوة فى الهند يمتدحون الملك « أكبر الضاللى » الضليل الزنديق ويعرضون بالملك زيب حفيده لأنه أنهى كل خرافة ضالة ابتدعها جده الماكن .

* لقد ألغى الملك زيب المسلم العادل ما فعله جده فى البلاط الملكى من التقويم الالهى ، والرقص والاحتفال بالسنة الشمسية ، ووزن الأجساد بالذهب للأسرة المالكة . الخ ، ومنع القمار والبغاء وحرم التنجيم والخمر . الخ .

ح - جدد لهم أسلوب الفقه الحنفى بما وضعه من كتاب : حجة الله البالغة ، وكتاب الانصاف فى بيان سبب الاختلاف .. الخ .
د - بذل أقصى الجهد فى تعميم علوم السنة فى الهند .

هـ - تخريج جيل من العلماء الأفذاذ مثل الشاه عبدالعزيز ورفيع الدين ، والشاه عبد القادر والشاه محمد اسحق ، وحفيده اسماعيل .
وقد استمرت مدرسة الدهلوى تؤدى رسالتها عن طريق حفيديه : السيد احمد ولد عرفان بن ولى الله الدهلوى .

والسيد اسماعيل عبد الغنى ابن ولى الله الدهلوى .

لقد قام السيد أحمد بالدعوة داخل الهند للعودة الى كنف الشريعة واجتثاث البدع والمنكرات ، والانسلاخ من عادات الوثنية ومراسم الشرك والجاهلية وكان ذلك خلال الفترة من ١٢٣١ / ١٢٣٦ هـ . ثم توجه الى مقاومة السيک تلك الطائفة التى انحرفت

عن طريق التصوف المسالم الى الوحشية الكاسرة فقتلوا أطفال المسلمين وشيوخهم وأغلقوا المساجد فى اقليم البنجاب فدعا الشيخ احمد الى الجهاد المقدس ودارت معركة حامية فى جمادى الآخرة ١٢٤٢ هـ الموافق يناير ١٨٢٧ م ، واستمرت هذه الحرب زهاء أربع سنوات استولوا فيها على مدينة ييشاور وأقاموا فيها حدود الشريعة الاسلامية ، ثم فعلت الفتنة أفاعيلها ولعبت الخيانة دورا انقلب ظهر المجن واستشهد الامامان ، الجليلان : السيد احمد بن عرفان ، والسيد اسماعيل بن عبد الغنى وذلك فى يوم الجمعة ٢٤ من ذى القعدة ١٢٤٦ هـ .

* ولم تكن الثورة على الانجليز عام ١٨٥٧ م الا نكبة على الاهالى ولا سيما المسلمون لأنهم طليعة الثوار ضد الاستعمار فى كل مكان فتحولت سياسة الانجليز الى ملاحقة الحركة الاسلامية فوضعوا الفتنة بين المسلمين باشاعة ادعاءات كاذبة

ومن ثمار جهاده كلية عليكرة
التي تأسست عام ١٢٩٣ هـ ،
وصارت الآن جامعة مشهورة فى
الهند •

✽ وفى المواجهة حيث لم يقبل
العلماء أسلوب أحمد خان فقد
قامت مدارس اسلامية ترفض
الحضارة الاوربية ولا تثق فيها
وفى مقدمة هذه الحركة حركة
السيد أكبر حسين ذلك العابد
الورع ١٢٦٢ / ١٣٤٠ هـ ،
وكذلك كان فى المواجهة تأسيس
مدارس « ديونيد » التي حافظت
على التعليم الاسلامى بصورته
الأثرية القديمة فحدث بين
الفكرتين الاسلاميتين فى النزعة
جدل وخصام وافتراق فأثر ذلك
فى حياة الدعوة الاسلامية من
جديد • فكان لا بد لها من قائد
وخطة وتفكير جديد فتكونت ندوة
العلماء لمحاولة التخلص من الصراع
بين التعصب للحضارة الأوربية
المحضنة ، والتعصب للأسلوب
الأثرى فى التعليم الاسلامى ،
فأخذت بكل النظامين ورفعت

وفرضوا نظاما من التعليم يختلف
مع مبادئ الاسلام فوق المسلمون
بين مخالب الاستعمار الانجليزى
من ناحية والجبروت الهندوكى
والسيخ أو السيک من ناحية
أخرى •

وفى الأفق البعيد وفى ظلال
التثقيف الاستعماري وضعف
المسلمين وقلة حيلتهم ظهر السيد
أحمد خان وكانت مهمته ترقية
الثقوب والتقريب بين الحكومة
والمسلمين وركز فى أسلوبه على
التربية والتعليم غير أنه أخطأ فى
تعصبه للحضارة الغربية ومحاولته
تفسير الاسلام وقضاياها على
نحو يرضى عنه أصحاب العلوم
الحديثة فى أوروبا بينما كانت هذه
العلوم فى دور النشور والارتقاء •
ولذا فقد أصاب هذه الحركة
ضعف •

وضعف حركة السيد أحمد خان
يرجع الى افتتانها بأوروبا فلم
يستطع أن يملأ الفراغ الهائل فى
قيادة الدعوة الاسلامية • ولكن
كان له ثمار على كل حال •

فدوة العلماء راية الوثام يبين الطوائف الاسلامية ودعت الى الاستمسك بتوجيه الله ورسالة خاتم الأنبياء ومضاعفة الجهود لاصلاح ذات يبين المسلمين ، واستمرت الحال هكذا الى العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجرى ذلك القرن الذى شهد انفجارات عديدة فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وبخاصة فى شمال أفريقيا الاسلامى فقامت فى الهند عدة مظاهرات اسلامية تساند الاخوة المسلمين فى العالم العربى ولكن بعد الحرب العالمية الأولى تجزأت البلاد الاسلامية بعد الغاء الخلافة الاسلامية ونقضت بريطانيا عهودها فقامت فى الهند حركة اسلامية عنيفة قادها المفكر الاسلامى محمد اقبال وملخص الحركة : الاعتزاز بالاسلام دينا ، والاستمسك بالتراث الاسلامى حضارة ومقاومة القاديانية الضالة وكان مع هذا الرائد المخلص رواد

آخرون منهم مولانا محمد على .. وظلت الحركة الاسلامية السياسية تعمل لمساندة مسلمى طرابلس الغرب ومواساة منكوبى البلقان ومؤازرة بقاء الخلافة الاسلامية ولكن بالغاء الخلافة الاسلامية تبدلت الأحوال وصارت الأحوال تهدد الحياة الاسلامية فتحول ملك الافغان الى مراقص أوروبا ، كما تحول أتا تورك كذلك الى باراتها وقبعاتها وظهر فى الهند نغم منكرى الحديث الشريف .. فأدى ذلك الى استعارة المعركة حتى ظهرت دعوة اسلامية خالصة عام ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م قام بها رجل مؤمن عالم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مطلع على ملابس عصره عارف بنزعات قومه بصير بأساليب عمل الدعوة ذلكم هو الامام العارف بالله الزاهد المجاهد التقى الطاهر النقى مولانا أبو الأعلى المودودى رحمه الله رحمة واسعة وقد أخذت دعوته هذه عدة مراحل :

أ - تاريخ المسلمين في القارة الهندية ، وبين مواطن الضعف فيما سلف من العمر والسياسة التي أدت إلى الانحطاط ثم حمل في نهاية هذا الشوط على لادينية حزب المؤتمر الوطني الهندي •

ب - فضيحة القومية الهندية والجمهورية اللادينية وخطورتها على الحركة الإسلامية وعلى وجود المسلمين في القارة الهندية ، وإن المسلمين إذا وافقوا على هذا سيكونون كمن حكم على نفسه بالاعدام ، وأبان عن دور الاستعمار الانجليزى في هذا المخطط .. وبهذا اتضحت شخصية الرابطة الإسلامية لمسلمى الهند وارتفع شأنها واشتد ساعدها •

ج - أدان الفهم العنصرى في الرابطة الإسلامية لأنه كان يعلم أن أصحاب هذا الصوت يختفون وراء الإسلام ليبرروا مخططهم العلماني الغربى فشرح للأمة المسلمة في الهند في سيل من مقالاته أن نكرة القومية الاقليمية منهج غربى وأن المستترين وراء الإسلام يفضحهم

المرحلة الأولى : ١٣٥٢ هـ / ١٣٦٠ هـ - ١٩٣٣ م / ١٩٤١ م •
توضيح الحقيقة الإسلامية
في هذه المرحلة عنى الاستاذ الامام أبو الأعلى المودودي بتكوين الفكرة الصادقة السليمة للإسلام وظمه ، واهتم في السنى الأولى من بدء مهمته بتنقية الفكرة الإسلامية من شوائب الآراء الزائفة والنزعات الجائحة ، وكشف عن مواطن الضعف وسوء القصد في التصورات المنحرفة التي تدعى نسبتها إلى الفكرة الإسلامية •

وفي هذه الفترة انقطع فيها للتحصيل والمطالعة والكتابة وثار الليل والنهار على اعتكافه وهو يجهد نفسه للقيام بحركة شاملة لاهياء الروح الاسلامى فى أرض وطنه ، وأسس لهذا الغرض مجلة « ترجمان القرآن » وفي هذه المجلة كشف للمسلمين الدور الخطير الذى يقوم به حزب المؤتمر الوطنى الهندى للقضاء على الاسلام والمسلمين • واستمر عرضه للموضوع زهاء ثلاثة أعوام استعرض فيها :

والحجج القوية ، ووضحت فكرة المودودى : أن المسلمين ليسوا أمة فحسب مثل سائر الأمم مثل ألمانيا ، وانجلترا ، والهند ، بل هم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله فهم بهذا لهم صلة بالله ورسوله وبالقرآن ، لا بالقومية ولا بالوطنية ولا بالعربية والاقليمية لأن العدل لا يعرف نزعة معينة ولا أرضا معينة ولا نسبا معينة وانما العدل الذى ينشده الاسلام يعرف المصدر الأعلى والوحى المعصوم ، والبنوة الخاتمة •

وانتهى دور هذا البيان للفكرة الاسلامية التى قام بالدعوة اليها الامام الراحل المودودى فى عام ١٩٣٩ م •

✽ وكان الشيخ أبو الأعلى المودودى يهدف الى استمرار كفاح المسلمين فى الهند كلها دون فصل جزء منها لبناء دولة مستقلة •• وقد بينت الأحداث صدق رأيه •• ولكن المغالين فى فهم القوميات وصفوا الاسلام بأنه قومية فى

التبرج الذى يرى فى مجالسهم والاباحية التى تنقش فى صفوفهم، أما الدولة الاسلامية التى يراد بناؤها فليس سبيلها الدعوة الى العنصرية لأن الاسلام لا يعرف مثل هذا المبدأ أو مثل هذه الروح •

ولأن قيام دولة عنصرية سوف تقضى عليه الهندوكية التى تناصف المسلمين فى عدد السكان فى الاقاليم المزمع جعلها دولة اسلامية عنصرية ومنذ نشأتها سوف تتلاطمها أمواج الفتن ويعود المسلمون الى المسكنة والضعف والغربة داخل دولة تحمل اسم الاسلام وهى ليست من الاسلام فى شىء •

ولهذا الدور أهمية فى ابراز فكرة الامام الشيخ أبو الأعلى المودودى فى دعوته العامة الى التحرر من قيود القومية ، والعنصرية فان الاسلام لم ينتشر بقوم ولا بأهل وطن وانما نشر بالعلم والتقوى والقُدوة الصالحة والعلم النافع والبراهين الساطعة

ومن هنا برزت فكرة الجماعة الاسلامية وفى شهر شعبان ١٣٦٠هـ أغسطس ١٩٤١ م اجتمع خمسة وسبعون رجلا من مختلف أنحاء الأمة واتفقت كلمتهم على تأسيس الجماعة الاسلامية للنهوض بدعوة الاسلام واعلاء كلمة الله فى أرضه ، وانتخب السيد الامام أبو الأعلى المودودي أميرا لهذه الجماعة .

المرحلة الثانية : ١٣٦٠هـ / ١٣٦٦هـ - ١٩٤١ م / ١٩٤٧ م .

بناء الجماعة الاسلامية :

يعتبر قيام الجماعة الاسلامية أول طريق المرحلة الثانية من كفاح الشيخ المودودي فقد شرعت الجماعة فى أداء مهمتها نحو تربية جيل من الشبان والأساتذة فى الجامعات تتعلق بمحاسن الاسلام وامتيازاته بأسلوب عصرى يتلاءم مع الذوق العام لهذه الطائفة من الناس كما عנית الجماعة بتربية أعضائها الذين ينضمون اليها وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة الفاضلة والسجايا الكريمة والطباع النبيلة ، وكان الاتباع لهذه الجماعة ينقسمون الى قسمين :

مواجهة الهندية واتخذوا من باكستان مقرا للقومية الاسلامية وكان ذلك شعورا فياضا فى نفوس الأغلبية الساحقة للمسلمين .. فوجد المودودي نفسه أمام أمرين كلاهما أمر من الآخر :

الأول : اذا خسر المسلمون دعاة القومية ولم يحصلوا على دولة اسلامية مستقلة فقد خسرت الامة الاسلامية كلها وضاع الكفاح هباء وتعمدت الامور واندرحت الامة الاسلامية لأنها ستكون قومية منهزمة أمام قومية منتصرة ؟ .

الثانى : اذا نجح المسلمون فى اقامة دولة وانقسمت البلاد فماذا يبقى لنا من وسع وأسلوب لنشر تعاليم الاسلام وسط القارة الهندية والتي سوف تتميز فيها القوميتان : كل قومية فى دولة فما سبيلنا الى نشر الاسلام داخل دولة الهند ؟

بل اذا تأسست باكستان كدولة اسلامية تحت زعامة ذلك الصنف العلماني فما هو السبيل يومئذ لتحويلها الى دولة اسلامية حقيقية ؟

نفسه على الاستمساك بها في
المنشط والمكره •

د - المحافظة على نظام الجماعة
وادراك أنها قامت من أجل احياء
الدين نظاما كاملا شاملا •

المرحلة الثالثة : ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م

في لحظة بناء الجماعة الاسلامية
لجيل من الشباب الاسلامي فوجئت
بالحدث الخطير وهو فصل باكستان
واعلان أنها دولة للمسلمين
ولسوف يكون المسلمون آنذاك في
العالم كله قد هلكوا وكبروا لهذا
الحدث ولكن الآلام التي صاحبته
وقتل آلاف المسلمين وسوقهم
سوقا الى الدمار ليخرجوا من
الهند لا الى باكستان بل الى
الموت والتشرد والجوع كانت
صورة رهيبة قابلها زعماء تلك
السياسة بالبرود الانجليزي الذي
مهد لكل هذه الاحداث ليخرج
الاسلام من القارة الهندية ، وليسام
المسلمون الخسف في دولة
باكستان تحت زعامة علمانية لا تقبل
في كراهيتها للاسلام عن زعماء
الهندوكية والاستعمار أنفسهم ••

- عضو ركن : وهو من يقبل
تعاليم الجماعة نظريا وعمليا •

- عضو متفق أو أنصار :
وهو من يقبل تعاليم الجماعة
ويساعدها نظريا ولا يطبقها
عمليا •

وقد اتخذت الجماعة لهذه
التربية أماكن خاصة سمحت لهم
بحرية النقد من أجل البناء الوجداني
لل فرد المسلم وعوّدتهم على تطبيق
النظام الاسلامي من الآداب الفاضلة
والأخلاق الحميدة ، وعلمتهم
أسلوب تبليغ الدعوة •

فكان على كل عضو :

أ - أن يعرض تفاصيل الدعوة
الى الله على كل من يلوذ به من
المسلمين وغير المسلمين •

ب - وان يواظب على نشر
تعاليم الاسلام بواسطة الدراسة
والمطالعة والاخلاق وحسن المنطق
وتحمل الأذى ودعوة الناس كافة
الى خيرها والرشاد اليها •

ح - أن يتحلى كل عضو
بصفات المسلم الصادق ويروض

وهذا هو الذى حذر منه الامام الراحل أبو الاعلى المودودى فى المرحلة الأولى من كفاحه وهو يوضح للمسلمين الحقيقة الاسلامية .

فوجئت الجماعة الاسلامية بهذا الحدث وهى بعد لما تستكمل برامج تربيتها .. وكانت تتمنى أن لو تأخر هذا الحدث بضع سنوات . لتستطيع الجماعة مواجهته وتحويل الزعامة فى الدولة الجديدة الى حقيقة الاسلام .

فوجئت الجماعة الاسلامية بهذا الحدث الذى فصلها الى شطرين بعد قيام دولة باكستان فلم تعد الجماعة واحدة لكل القارة الهندية بل صار شطرها فى الهند لمن بقى من المستضعفين من مسلمى الهند ، وشطرها الآخر فى باكستان يواجه جحافل الظلم وعقاييل المشكلات . وكان امتحانا قاسيا للجماعة الاسلامية فى كلا الشطرين :

* أما فى هندوستان فقد نظمت الجماعة نفسها بسرعة وأسسوا مراكزهم فى مدينة

(رامبور) وانتخبوا الاستاذ أبا الليث الندوى أميرا لهم ، وقدموا خدمات للمنكوبين من الامة الاسلامية حتى أرهقوا ماليا وصحيا ، وحتى ان تاريخ الجماعة الحديث ليشهد لأمير الجماعة أبا الليث الندوى وأصحابه انهم كانوا السلوى الوحيدة للشعب المسلم فى الهند المضطهد من بنى جنسه وجيش الاستعمار على السواء .. وكان عدد الجماعة الاسلامية فى الهند آنذاك ٢٤٠ شخصا رجلا وامرأة .

* وأما الجماعة فى باكستان فقد شمرت عن سواعد الجهد وأعلنت الكفاح وعممت الدعوة الى الامة كلها ودعت الى احياء النظام الاسلامى واقامة الدين بالكامل ووضحت للأمة عدة امور :

الأول : أن المجتمع الباكستانى على قدر ما به من شوق لحياء النظام الاسلامى فان زعماء هذه الحركة لم يعرفوا عن حقيقة الاسلام شيئا لأن زعماء الحركة انشغلوا فى المناوشات السياسية

بعواقب الأمور ، وراحت تجوب البلاد فى باكستان شرقا وغربا تحمل دعوة الله الى الناس وتبصرهم بشئون دينهم وديارهم عن طريق النشر والمحاضرة والدرس والندوة والزيارة وكان ذلك فى عام ١٩٤٨ م وكان عدد أعضاء الجماعة ٣٣٥ شخصا ثم نشرت الجماعة بيانها الذى طالبت فيه الحكومة باقامة النظام الاسلامى، وقد أعلن هذه المطالب الامام الراحل الشيخ المودودى فى كلية الحقوق بلاهور فى ١٩ فبراير سنة ١٩٤٨ وهى عبارة عن أربع نقاط :

١ - أن الحاكمة فى باكستان لله العلى الأحد .

٢ - أن الشريعة الاسلامية هى القانون الأساسى لباكستان .

٣ - يلغى كل ما يعارض الشريعة الاسلامية من قوانين .

٤ - لا تتصرف حكومة باكستان فى شئون الدولة الا فى اطار الحدود التى رسمتها الشريعة الاسلامية .

مع الهنادك لفصل باكستان ولم يشغلوا أنفسهم بمعرفة حقيقة النظام الاسلامى ، وكذلك أبناء الشعب نفسه انشغلوا بالحياة وبالعمل السياسى ولم يفتنوا الى معنى اقامة دولة اسلامية .

الثانى : ان سلوك قادة الدولة الجديدة لا يتفق مع الاسلام لأنهم أوريون فى النزعة والأخلاق والسلوك .

الثالث : ان تصرفات القادة مع اللاجئين المسلمين كانت خارجة على المشاعر الكريمة فقد فشلت فيهم الرشوة لحظة الجفاء والقسوة التى كان يعيشها المهاجرون وفى مواجهة البنادق والسيوف المصلته عليهم من قبل الهنادك والسيك .

الرابع : أن نهب الأموال وهتك الأعراض من ساعة الهجرة من الهند الى باكستان قد خلف شعبا فقيرا معدما بأئسا حزينا .

أخذت الجماعة تعمل على معالجة كل هذه الامور ، وتخفف مسن ويلات العوز والفاقة وتبصر الناس

فى مارس ١٩٤٩ الى اعلان قرار تاريخى عرف بقرار المبادئ •

وقد أعلن فى هذا القرار :
أن الحكم فى هذا الكون لله وحده
وأن الدولة مسئولة عن وضع
دستور يؤهل به المسلمون لأن
ينظموا حياتهم الفردية والجماعية
حسب تعاليم الاسلام •

وقد أقر المودودى وهو فى
السجن هذا البيان غير أن
العلمانيين فى السياسة يأخذون
الاسلام كمهدىء للأعصاب
ومسكن للفورات فاذا ما سكن
الشعب وهداً نام كل شئ فلقد نام
ذلك القرار •• وراحت الحكومة
فى باكستان تستخدم قانون ١٩٣٥
الهندي الانجليزى النزعة والنظام •
فبدأت المعركة من جديد واستمرت
المعركة من حالة الى حالة الى أن
جاء الحاكم المعاصر القائم على
شأن باكستان ضياء الحق وأعلن
أنه يريد اقامة الحكم الاسلامى
فى باكستان •

ونعود فنقول ان حركة الجماعة
الاسلامية تسعى الى :

وتلقت الامة الاسلامية هذه
المطالب بالقبول والترحاب
وتناولوها بالمحاضرات والندوات
والحفلات والمقالات •

وأحس العلمانيون تلاميذ
الاستعمار الانجليزى بخطورة
المطالب فعمدوا الى الأسلوب
الانجليزى فى مواجهة الأمور وذلك
بدس اشاعات كاذبة فأشاعوا أن
المودودى يقول بعدم مشروعية
الجهاد فى كشمير •• ليحولوا
حماس الجماهير نحو مسألة خارجة
عن المطالب الأربعة •• واعتقلت
السلطات العلمانية الامام الراحل
الشيخ أبو الأعلى المودودى وبعض
أفراد الجماعة وذلك فى شهر
أكتوبر سنة ١٩٤٨ م وعظمت
صحف الجماعة بل والمجلات
الأخرى التى تساعد وتسير فى
خطها الاسلامى •• ولم يفت ذلك
فى عضد الجماعة ولا الشعب
المسلم فى باكستان فارتجت المدن
ارتجاجا لهذا الصنيع وقامت
المظاهرات فى شتى انحاء البلاد
حتى اضطرت الجمعية التأسيسية

الفكر الحديثة والثقة بفضل التعاليم الإسلامية ، وجدارتها للبقاء والانتشار ، والاعتداد بالنفس ومواجهة الحضارة الغربية وفظمها بشجاعة والقلم البليغ السيل والأسلوب القوى الدافق وقد كان لبحوثه العلمية الأولى التى كتبها فى الهند التى كان يتكلم فيها عن مستوى عال وقوة وثقة ، ولمقالاته ورسائله ذوى عظيم فى الأوساط الإسلامية التى كانت تعاني قللاً فكرياً وجلبت إليه عدداً وجيهاً من عشاق الفكرة الإسلامية وهواة المجد الإسلامى » .

هذا رأى عالم فذ من الأفاضل فى الدين والعلم والدعوة هو الشيخ أبو الحسن على الحسينى الندوى وهى شهادة يعتز بها العاملون فى حقل الدعوة الإسلامية لأنها تبرز مكان الامام الراحل الشيخ المودودى انه قائد فكرى اسلامى ، ورائد اجتماعى مسلم ومصلح اسلامى كبير ، وسياسى بارع فى ادراك الاحداث وعواقب الامور .

١ - أن تقوم الدولة على أسس اسلامية وأن تحمى من هجمات التيارات المعادية للإسلام .

٢ - أن تبذل الجهود لاصلاح شأن المجتمع ورفقه الخلقى والعقلى والاجتماعى .

٣ - ألا يعود نظام جاهلى الى الدولة بأسلوب أو بآخر .

٤ - أن تستبدل زعامة راشدة بالزعامة الحاضرة الفاسدة .

لقد كان المودودى رحمه الله أمة فى التفكير ، والعمل ، والدعوة ، والجهاد وقد لقي من خالص عمله ما يلقاه المجاهدون من صبر على البلاء وشكر يربط اللسان ، وعلم ينفع العباد ، وقلب مطمئن سليم يلقى به ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

قيمة المودودى فى نظر العلماء :

قال الشيخ الندوى :

« للأستاذ أبو الأعلى المودودى صفات عديدة ترشحه للزعامة الفكرية فى شبه قارة الهند منها : صفاء الفكر ، والاطلاع على مناهج

الانتاج العلمي للمودودي :

١٤ - المصطلحات الأربعة في

• القرآن الكريم

١٥ - نظرية الاسلام الخلقية •

١٦ - نظام الحياة في الاسلام •

١٧ - الأسس الأخلاقية للحركة

الإسلامية •

١٨ - واقع المسلمين وسييل

النهوض بهم •

١٩ - مسألة ملكية الأرض في

الاسلام •

٢٠ - المسلمون ومعضلات

السياسة الحاضرة •

٢١ - التفهيمات •

٢٢ - التنقيحات •

٢٣ - الخطب •

٢٤ - القانون الاسلامي •

٢٥ - شهادة حق •

٢٦ - الحضارة الإسلامية

ومبادئها •

٢٧ - تحديد النسل •

لقد كان المودودي رحمه الله

ورضى الله عنه ثالث ثلاثة هم غرة

القرن الرابع عشر الهجري جعلهم

الله فيه حماية للفكرة الإسلامية من

تكاد البلاد الإسلامية كلها تكون
قد عرفت الثروة الحية الممتعة التي
خلفها الامام الراحل فهي تعطر
مكتبة كثير من شبان العالم
الاسلامي التي حرص على طباعتها
ونشرها وقراءتها ومن انتاجه
العلمي :

١ - تفسير سورة النور •

٢ - الحجاب •

٣ - الربا •

٤ - الجهاد •

٥ - الاسلام والجاهلية •

٦ - مبادئ الاسلام •

٧ - الدين القيم •

٨ - نظرية الاسلام السياسية •

٩ - معضلات الاقتصاد وحلها •

١٠ - المسألة القاديانية •

١١ - نحو دستور اسلامي •

١٢ - دور الطلبة في مستقبل

العالم الاسلامي •

١٣ - منهج الانقلاب

الاسلامي •

بالحقيقة الاسلامية ، وبناء الدولة
الاسلامية • وراد الشباب الى
طريق قويم •

* ان هؤلاء الثلاثة هم أعلام
على طريق الكفاح للدعاة من علمهم
الذى اتفقوا عليه يستقى المخلصون
شرابا طهورا للفهم والورع
والتقوى ومن كفاحهم المستقيم
يرسمون خطى الجهاد للصحيح ،
ومن سيرتهم العطرة يستنشقون
عطر الصلاح ورائحة الجنة •

ألا ففى ذمة الله يا شيخنا وعند
ملك مقدر مقعدك الى يوم أن
تبعث مرضيا عنك مع النيين
والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك لك ولأمثالك رفيقا •

دكتور رؤوف شلبى

الضياع ، وغوثا للأمة الاسلامية
عندما يتكأ الظلم عليها ، ونبراسا
للشباب عندما يكون الليل حالكا ••
وهؤلاء الثلاثة هم :

* الشيخ حسن البنا : الذى
بدأ فى ايقاظ الأمة الاسلامية نحو
الوحدة وفض الخلافات ، ومجاربة
الاستعمار ، وعمل على اعادة
الخلافة الاسلامية •

* الشيخ عبد الحليم محمود :
الذى وضع الأزهر على طريق
الرسالة فنشر المعاهد ، ووسع
جامعة الأزهر ، ووجه السلوك
والأخلاق فى لحظة النكسة الى
الطريق المستقيم •

* الشيخ أبو الأعلى المودودى :
الذى عمر ديار ما وراء النهر

« الدنيا دار بلاء ، ومنزل قلعة وعناء ، أسعد الناس
فيها أرغبهم عنها وأشقاهم بها أرغبهم فيها ، فهى الفاشة
لمن انتصحها ، المهلكة لمن اطمأن اليها ، طوبى لعبد أطاع فيها
ربه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وأخر شهوته » :
(على بن أبى طالب)

في مواجهة الإلحاد المعاصر:
عدم كفاية العلم في مجال المعرفة
للدكتور يحيى هاشم

(٤)

عجز العلم عن ادراك أصل
الوجود وغايته ..

يرى هربرت سبنسر اننا نعجز
عن تصور ارتقاء المادة التطور
العام لو اننا ذهبنا الى أنها وجدت
ابتداء في حالة الانتشار العام •
(فاذا وجهنا أبصارنا نحو
المستقبل فلن نعرف كيف نعين
تتابع الظواهر التي تجرى
أمامنا ..

ومن جهة أخرى :

إذا نظر الانسان في نفسه وجد
أن طرفي الشعور - بدايته ونهايته -
يخرجان عن امكان ادراكه لهما ..
فهو لا يستطيع أن يدرك بداية

حالة من حالات الشعور الا بعد

• حرياتنا •

وكذلك يفوته ادراك تلاشى
الشعور ..

فجوهر الأشياء وتكونها ونهايتها
خافية علينا ، وينتهي سائر علمنا
الى الغيب (١) •

ويقول أميل بوترو :

(مهما فترض امتداد التجربة
فانها لا يمكن أن تبلغ الأصول
الأولى ولا الغايات الأخيرة •

فهى لا تستطيع قط ولن
تستطيع أبدا أن تبلغ في الزمان
ظاهرة أولى أو أخيرة •

وبهذا ينهدم تماما كل سند
علمي للمادية فى ادعائها بأن المادة
أصل الوجود •

ويقول الأستاذ ليكونت
دى نوى - رئيس قسم الفلسفة
بالسوربون ، ورئيس قسم الفيزياء
فى معهد باستور - فى تحليله لفكرة
السبب من وجهة نظر العلم -
وضرورة رجوعهما الى السبب
الأول :

(لئأخذ رصاصة البندقية مثالا
على ذلك :

فهل نقول : ان انطلاقة
الرصاصة قد تسبب عن الكبسولة ؟
أو عن حركة يد الجندى التى
ضغطت على الزناد ، أو عن شحنة
البارود التى تحملها الرصاصة ؟
أو عن العمال الذين صنعوا
المسحوق ، أو المهندسين الكيميائيين
الذين اخترعوه ، أو البنائين الذين
شيدوا المصنع ؟ أو أصحاب
رءوس الأموال الذين مولوا بناءه ،
أو آبائهم أو أجدادهم ؟

والمسألة هى معرفة الى أى حد
يكفى التتابع الدائم الداخلى فى
مدى التجربة فى تفسير ظهور
الظواهر •

فالكائن لا يجرى تبعا لقوانين
الا لوجود طبيعة معينة فيه •
فما هى هذه الطبيعة ؟
أهى ثابتة ... ؟

ولم كانت محددة على هذا
النحو أو ذاك ؟

وبأى شىء سابق نصلها لنعطى
عنها تفسيراً تجريبياً ؟

هذه الأسئلة تنطوى بالنسبة
للعلم على حلقة مفرغة •

ولذلك كانت - بالضرورة -
مما يتجاوز العلم •

فالتجربة تقرر القوانين
أو العلاقات الدائمة بين الظواهر •

ولكن ليس للتجربة سبيل الى
معرفة : أهذه القوانين مجرد
وقائع ، أم انها ترتبط بطبيعة
ما ثابتته تهيمن على الوقائع) • (١)

فمن الوجهة المادية البحتة نجد أنفسنا مضطرين الى أن نرجع السببية الى مجرد الوجود - فكل حادثة تحدث أو يجرى التفكير فيها وتجرى قبل حادثة أخرى يمكن أن تكون سببا وليس فى المسألة أكثر من تتابع فى الزمن •
اننا لا نستطيع عندئذ أن نبث عن سبب ابتدائى ما لم تترك مجال العلم وندخل فى عالم العقائد (١) •

ووجود السبب الكافى - أو العلة التامة - هو وحده الذى يجوز - بل ينبغى - التوقف عنده ، لأنه هو الضرورة المطلقة لوجود الأشياء ، وهو « علة كونها ما هى وأساسه - كما نجد ذلك فى الأشكال الهندسية - فينبغى ضرورة - اذن - أن نتوقف عند هذا الأساس وهذه العلة ، أما السؤال عما هى علة العلة التى هى أقصى العلل جميعا فمتناقض » (٢) •
لكن البحث فى ذلك - أى فى العلة التامة - يخرج عن نطاق

ان كلا من هؤلاء وجميع من ساهم فى بناء المدفع يتحمل جزءا من المسؤولية تقل بالتدريج دون أن تتلاشى كلية الى أن نصل الى ...

بداية العالم

وهكذا نصل بصورة آلية الى السبب الأول •

وتنتقل المسألة فجأة - ولا بد من أن تنتقل - من العالم المادى الى العالم العقائدى الفلسفى •

وليس من الممكن تجنب الانتقال من العالم المادى الى العالم غير المادى عند بحث « الأسباب » لأنه يجب أن نشير الى : الأسباب النفسية التى قادت الى صنع البندقية ، والبارود الى اطلاق النار ، فلولاً هذه الأسباب لما كانت هناك قذائف ولا مدافع ولا شحنات ولا كبسول ، ولا مطلقون ، ولا مجهود يتواصل ويترابط بقصد اطلاق الرصاص •

(١) مصير البشرية - ليكون دى نوى

(٢) نظر سلسلة الوجود لارثر لفجوى مقتبسا ذلك من احد كتاب

ان الصدفة لا محل لها فى
التفكير العلمى أساسا :
يقول الدكتور ايزتك :

(ان العالم - سواء كان
فيزيائيا ، أو بيولوجيا
أو سيكولوجيا - يجب أن ينطلق
فى دراساته من افتراض أن
ما يدرسه محتوم وخاضع للقانون
العلمى • وان افتراضاته الأساسية
تهزم بقدر ما يفشل فى اقامة هذه
القوانين) • (١)

ومع ذلك فان الالحاد المتشع
برداء العلم اذا اضطر الى القول
بالارادة الالهية لا يجد مهربا الا فى
القول بالصدفة •

يقول الأستاذ اسماعيل مظهر :

(اذا سألتهم أو تساءلت كيف
وجد ذلك السيد أصلا ؟
وأية قوة حركته ؟••

وما الذى أحكم تلك التغيرات
بحيث انتهت بذلك النظام
البديع ؟••

العلم كما قلنا ، ونظرا لأن
سماسة الالحاد العلمى سجنوا
أنفسهم فى هذا النطاق ، فقد
وجدوا أنفسهم أمام أمرين فى
كليهما خروج عن نطاق العلم ،
القول بوجود هذه العلة ،
أو القاء الأمر على عاتق الصدفة ،
فاختاروا الأمر الذى يتفق مع
« ارادة الالحاد » وان رغم أنف
العلم : اختاروا القول
« بالصدفة » •

(٥)

عجز العلم الالحادى عن تجنب
القول بالمصادفة :

من المحتم أن يلجأ الملحدون
العلميون - نتيجة لعجزهم •••
الى القول بالصدفة رغم مناقضتها
لأسسهم العلمية •

وما ذلك الا لكراحتهم للقول
بالارادة الالهية ••

وهى كراهة لا ترجع الى منطق
أو علم ، وانما هى تقوم بالرغم
من المنطق وبالرغم من العلم •

لم يجدوا مخرجاً إلا بالركون الى القول (بالمصادفة) (١) .

ان العلم الحديث يضطر الى القول بالمصادفة فى أخطر المسائل ، ومن أخطرها ظهور الحياة .

وظهور الانسان .

وسناقش القول بالمصادفة فى هذين الأمرين ، وفقاً للمقررات العلمية ، آخذين فى الاعتبار ما يقولونه من أن للمصادفة قانوناً علمياً .

يقولون :

« ان المصادفة تخضع للتحليل الرياضى وعلى سبيل المثال والتوضيح فان فرصة ظهور وجه الستة عند طرحك لزهر النرد هى ١ : ٦ أى واحد الى ستة أما مصادفتك وجه الستة مرتين متواليين فهى ١ : ٣٦ ، أى واحد الى ستة وثلاثين ، أما مصادفتك وجه الستة ست مرات متوالية فهى ١ : ٦٦ أى واحد الى سبعة

(١) ملقى السبيل ص ١٦٦ .

(٢) يستعمل الاحتمال بمعنيين : الشك ، والاحصاء

(٣) فلسفتى ص ٢٣٥ : ٢٣٦ .

(٤) الفيلسوف والعلم ص ١١٨ .

وأربعين ألفاً ، وهكذا ، على أنه يجب أن نوضح هنا - وكما يقرر برتراند رسل نفسه - ان حساب الاحتمالات (٢) هذا الذى يتمسح به قانون المصادفة انما هو تصور رياضى (يتصف بما تتصف به الرياضة من ضبط و يقين طالما لم يطبق ، وينشأ عدم اليقين عند التطبيق ...)

ويقول رسل (لقد انتهت الى نتيجة ... هى أن الجوانب الرياضية من الاحتمال ذات شأن فى الاستدلال العلمى أقل مما نعتقد) (٣) .

ويقول الدكتور جون كيمنى (ان القوانين الاحتمالية تدخل الى العلم بسبب ؟

١ - اخفاق جميع الوسائل الأخرى .

٢ - وعندما نضطر الى الاعتراف بجهلنا الكامل » (٤) .

وهذا ان يكن تبريرا للحكم
الاحتمالى لكنه يجعله غير صالح
لأن يكون مرشدا عن السلوك ،
أو عما يقع فى المستقبل ويكذب
هانزريشباخ عندما يدعى أن
هذه الاحتمالات محسوبة لا طبقا
لتحليلات تأملية ، ولكن طبقا
(لترددات لوحظت بالفعل فى
الماضى وتنطوى على افتراض أن
نفس الترددات سوف تسرى تقريبا
الى المستقبل) (١) • لاجئا بذلك
الى الاستشهاد بما يسميه « قواعد
المراهنة » قائلا (ان نسبة خمسين
فى المائة - بالنسبة لوجهى
العملة - تعنى ان استخدام هذه
القاعدة سيؤدى فى المدى الطويل
الى أن يتساوى الطرفان المتراهنان
فى الفوز ••) • (ويوغل
ريشباخ فى تمويهه وكذبه فى هذه
النقطة عندما يقول : (لو لم تكن
قد لاحظنا اننا نصل بمضى الوقت
عند رمى قطعة العملة الى تردد

وما يؤكد القول بأن درجة
الاحتمال انما هى نتاج للعقل فى
حالة جهله بالأسباب انى اذا
القيت قطعة نقود فهل ستظهر
الصورة أو الكتابة ؟ هذا أمر
لا أعلم عنه أى شئ ، وليس لدى
من الأسباب ما يجعلنى أو من
باحدى النتيجةين دون الأخرى ،
لذلك أنظر الى الامكانين على انهما
متساويان فى درجة احتمالهما
واعزو الى كل منهما احتمالا
مقداره نصف •

وهكذا فان الجهل بالأسباب
هو السبب فى افتراض تساوى
الاحتمالات أو فيما يعرف بمبدأ
السوية •

فالقول بأن درجة الاحتمال
نصف ، لا يعنى أى شئ عن
المستقبل ، وانما يعبر فقط عن أن
معرفتنا عن وقوع هذا الحادث
لا تزيد عن معرفتنا عن وقوع
الحادث المضاد •

(١) نشأة الفلسفة والعمية ص ٢٠٨ •

المصادفة لعناصر الكربون والهيدروجين والنيتروجين والاكسوجين والفوسفور والكبريت • ولا بد لهذه العناصر من أن تتركب فى جزئيات صغيرة تسمى الاحماض الأمينية ، ولا بد لهذه الجزئيات من أن تترتب على وجه معين ترتيبا دقيقا ، وان أدنى انحراف عن هذا الترتيب يجعل البروتينات اما غير صالحة كأساس لظهور الحياة ، واما أن تصبح سما زعافا ، والمعروف من هذه الأحماض اثنان وعشرون حامضا ، ومن البروتينات ما يحتوى على مائه حامض أمينى أو ما يزيد على ذلك كثيرا •

والسؤال الآن هو : كم من الزمان يحتاج تركيب البروتين على الوجه المذكور ، وفقا لقانون المصادفة ذلك ؟

أو بعبارة أخرى : ما هى الاحتمالات اللازمة - وفقا لقانون المصادفة - لكى تتحقق فرصة تركيب البروتين ؟

متساو للوجهين لما تحدثنا عن احتمالات متساوية (٣) •

لأن حقيقة الأمر وواقعه ان هذه ليست قواعد تجريبية للمراهنة ويعرف كل مراهن انها عند التجربة ليست الا مغالطات يغالط بها المراهن نفسه أو يغالط بها غريمه ليستمر فى مراهنات لا جدوى من ورائها • (٣)

ومع أن هذا كاف فى ابطال الاحتجاج بهذه القوانين ضد القول بعلّة أولى أو ارادة الهية • فان البحث يثبت أن قوانين المصادفة هذه غير صالحة للتطبيق فى ظهور الحياة والانسان وفقا لمقررات هذه القوانين نفسها •

فلنطبق هذا القانون « قانون المصادفة » :

على ظهور البروتين - الذى هو الأساس الطبيعى المادى للحياة من المادة الميتة •

يقولون : ان البروتين تكون من الاجتماع العرضى بفعل

(١) السابق ص ٢٠٨ (٢) انظر شرحا وافيا لما يسمى مغالطة المقامر فى فن الاقتناع لليونيل روى ص ٢٥٦.

هذا كله لكى يتكون جزىء
بروتينى واحد ، وهو مادة
ميتة (١) •

أما لكى يتكون البروتوبلازم
الذى يعتبر أدنى صورة من صور
الحياة ؟

أما لكى تظهر الصور المعقدة
للحياة من النبات ؟

أما لكى تظهر الصور الأكثر
تعقيدا من الحيوان ؟

أما لكى يطر الانسان ؟

ويقول الدكتور ليكون
دى نوى :

(يجب ألا ننسى انه مهما كانت
الفرصة ضئيلة فانه لا يمكننا أن
نثبت بأن الفرص الضئيلة سوف
تتحقق حتى فى نهاية بليون بليون
قرن • فقد تتحقق ذرة واحدة منذ
البداية ثم لا تعود ثانية على
الاطلاق • وذرة واحدة لا تفيد بل
مئات الملايين من الذرات •••
وتزداد استحالة حدوث ذلك مع

يوضح الدكتور ف• ه• مترام
أنه وفقا للدراسة التى أجراها
العلماء تحتاج هذه الاحتمالات
من ناحية الزمن الى ٢٤٣١٠ من
السنين وبما أن المدة التى انقضت
منذ أصبحت الأرض صالحة
لظهور الحياة فيها الى العصر
الذى تثبت الحفريات وجود الحياة
فيه لا تعدو ألف مليون سنة ،
والمدة التى انقضت من عمر كوكبنا
- على أقصى التقديرات التى
وضعت - لا تزيد على ستة آلاف
مليون سنة •••

وبما أن هذه الاحتمالات من
ناحية المكان تحتاج الى حجم
كرة يحتاج الضوء لكى يقطع
نصف قطرها الى ٨٢١٠ سنة أى
يفوق حجم الكون المعروف
بأجمعه ••

فان ظهور البروتين فى المدة
التي ظهر فيها بالفعل وفى حجم
هذه الأرض فحسب ، يصبح عملا
مستحيلا (لا تستطيعه الا قدرة
الخالق) •

الأسلوب ليس الا وظيفة أو صفة للحياة ، لا تلقى أى ضوء على ماهية الحياة ، ولا على تفسير ظهورها (٢)

هذا ما نقوله عن المصادفة بالنسبة لظهور الحياة •

أما عن ظهور الانسان باسم قانون المصادفة •••

فأصحاب هذا الرأى - من العلماء - يقولون :

ان الكائنات الحية من خصائصها أن تنسخ صوراً من نفسها (ولكنها - كما يقول دكتور جوليآن هكسلى عام ١٩٥١ - تتعرض فى بعض الأحيان لشيء من عدم الدقة أو الخطأ فى النسخ ، وقد يعرض هذا الخطأ لأجزاء مختلفة من الكيان الوراثى يتعمق حتى يصل الى مانسميه « الجينات » وهنا تأتى الطفرات ، فالطفرات اذن هى عجز هذه الجينات عن أن تحتفظ ببعض

كل ذرة جديدة ••• وتزداد مع كل مجموعة متشابهة •

فاذا وصلنا الى الخلية وأردنا التعبير رياضياً عن ظهورها تصبح الأرقام السابقة غير ذات قيمة) •

ثم يقول : (اننا نصل الى نتيجة هامة ، وهى أنه من المستحيل تماماً تفسير جميع الحوادث التى تتعلق بالحياة وتطورها وتقدمها بواسطة العلم) •

ويقول : (انه لا يمكن تفسيرها الا بكونها معجزة أو بتدخل قوة تفوق العلم) • (١)

وهكذا قد يستطيع الماركسى أن يقول كما يقول أنجلز :

« الحياة هى أسلوب العمل والتفاعل فى المواد الزلائية أو البروتينات » •

بيد أنه مما لا شك فيه أن عالم الأحياء سوف يسخر من هذا القول كثيراً ، لما تقدم من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن هذا

(١) مصير البشرية ص ٣٣ : ٣٤

(٢) الأساس الجسمانى للشخصية للدكتور ف. هـ. مترام ص ٢٠٥ •

وعند أخف لمسة لهذه اللوامس تنطلق تلك الخلايا في قوة وسرعة فتعتمد في جسم الحيوان المتحرش بها .

ومن الغريب أن بعض الحيوانات البحرية الرخوة المعروفة « بالبزاقات » مسلحة بمثل هذه الخلايا اللاسعة مع أن هذا النوع من حيوانات البحر لا يمت بأية صلة من صلات القرابة الى الأنيמוنيات .

لكن الحقيقة هي أن البزاقات تستولى على الخلايا اللاسعة التي تتميز بها الأنيمونيات وتتغذى . دون أن تنفجر هذه الخلايا فيها عند التهامها للأنيمونى ... فاذا التهمت تنحدر الخلايا اللاسعة من معدة البزاقة سالكة قنوات مبطنة بأغشية ذوات أهذاب ، أو تحملها بعض الخلايا المتجولة في جسمها حتى تأوى الى جيوب خاصة موجودة مباشرة تحت غطاء زوائد زاهية الألوان فى الوجه العلوى للحيوان .

وهناك تترتب ترتيبا دقيقا متخذة أوضاعا صحيحة تعدها لأن

الدقائق والتفاصيل ... وهكذا يصبح ما كان طفرات فى الأصل سلالة من الجينات الطافرة ، وهى المصدر الذى يمد الأحياء بكل ما يحدث فيها من تنوعات) ، وهكذا تظهر الأنواع الجديدة ، أى يظهر الانسان ، نتيجة طفرة أى نتيجة خطأ ...

هكذا ترتكب هذه المفارقات ، لكى تتفادى القول بالارادة ، ولنقول بالمصادفة .

وبالرغم مما فى هذا القول من مناقضة لفكرة التطور التقدّمى ، اذ لا يتصور أن يكون نتيجة طفرات هى أخطاء ، الا أننا تقتصر هنا على مناقشة تطبيق قانون المصادفة ، على هذه الطفرات ..

هنا يلتفت الدكتور ف. هـ. مترام النظر الى مثالين يقدمهما لنا التاريخ الطبيعى لا يمكن تصورهما مع القول بهذه الطفرات المصادفية .

الحيوانات البحرية المسماة « شقائق النعمان » أو انيمونيات البحر لها خلايا لاسعة فى أذرعها ،

للنظرية الداروينية الحديثة - الى
طفرة خاصة على الأقل ، ان لم
تكن تحتاج الى أكثر من واحدة
منها • ويجب أن تبقى هذه الطفرة
أو الطفرات ويحتفظ بها وفقا
لقانون الانتخاب الطبيعى •
يقول الدكتور مترام :

(ان تصور حدوث مثل هذه
الطفرات على هذا النحو فوق
ما يستطيع العقل التسليم به •
وان من يسلم بمثل هذا جدير
بأن يسلم بكل ما يقال) •

أما المثال الثانى الذى يتعذر
فهمه على ضوء أية نظرية من
نظريات الطفرات فهو تعاون
نبات اليوكا Yucca

« ابرة آدم » وفراشة اليوكا
Pronuba ، وتبادلها
العمل على تكاثر كل منهما تكاثرا
ناجحا •

فان نبات اليوكا وان كان ينمو
جيذا ويزهر فى أوربا لكنه لا ينتج
بذورا قط كما ينتجها فى موطنه
الأصلى - أمريكا •

تنفجر فى وجه العدو الذى يهاجم
البزاقة •

فاذا لم تتمكن البزاقة من التهام
بعض الأنيمونيات فلن تحصل على
ذخيرتها من الخلايا اللاسعة ، واذا
اقتصرت على نوع واحد من
الأنيمونيات فانها تحصل على نوع
معين من هذه الخلايا ، واذا أكلت
نوعا غيره أحرزت أيضا نوعا آخر
من الخلايا اللاسعة ، واذا حصلت
على كفايتها من الخلايا اللاسعة
كفت عن التهام - الأنيمونيات
حتى لو كانت جائعة •

وهنا نستخلص ثلاث ظواهر :
١ - ان الزاقة تجرد الأنيمونى
من سلاحه •

٢ - انها تستولى على خلاياه
« أسلحته » وتستخدمها فى الدفاع
عن نفسها •

٣ - انها مزودة بجهاز خاص
لنقل الخلايا من معدتها الى
« أبراج ضرب النار » فى
جسمها •

وكل واحدة من هذه الظواهر
الثلاث تحتاج فى تكوينها - وفقا

ثقوب تحدثها به ثم تهبط الى الأرض متدلية على خيط من الحرير تصنعه هي لهذه الغاية أيضا ، ثم تصنع لنفسها شرنقة تظل عذراء في داخلها الى أن يحل فصل الصيف ، وهناك تأخذ الدورة في التكرار مرة أخرى وهكذا . أما اذا اتفق أن نبات اليوكا لم يزهر في أحد المواسم السنوية ، فان العذارى تستمر كامنة في انتظار حلول الموسم التالي .

ولهذه العملية المذهلة من التعاون بين نبات اليوكا وفراشة اليوكا أشباه في التاريخ الطبيعي لا تعد ولا تحصى ، لا يمكن تفسيرها مطلقا على ضوء مبدأ الطفرات القائم على الصدفة .

يقول الدكتور مترام (على من يريد أن يكون داروينيا حديثا أن يحل لنا أسرار هذه التعاونات بافتراض أنها من آثار طفرات حدثت ثم أبقاها قانون الانتخاب الطبيعي وأقل ما يقال هو أن ضبط التوقيت وتنسيق الخطى بين

ذلك لأنه في أوربا يفتقد فراشة اليوكا ، ولا تتفتح زهرة اليوكا سوى ليلة واحدة تأتي في أثنائها الفراشة وتجرف منها جميع مادة اللقاح اللزجة ، وتشكلها في صورة كرة صغيرة مستخدمة في حملها والامساك بها زائدة معدة اعدادا خاصا لهذه العملية . ثم هي بعد ذلك تضع ثلاث أو أربع بيضات في مبيض الزهرة ، ثم تطير الى ميسم الزهرة وتدفع بكرة اللقاح داخل كأس صغير معد لذلك وما تلبث أن تنبت أنابيب من خصوب اللقاح ، ثم تنمو الى أسفل مارة خلال الميسم لكي تصل الى المبيض وتخصب البذور الموجودة فيه .

وكذلك تفقس بيضات الفراش ، وتعيش اليرقات الناشئة على البذور النامية ، ولكنها لا تستنفذ منها الا ما يقرب من نصفها فقط بينما البقية الباقية من البذور تأخذ في نموها الطبيعي ، وتكفل بقاء نوع نبات اليوكا .

أما يرقات الفراشة فانه اذا ماتم نموها تغادر مبيض النبات خلال

هذه الطفرات أمر لا يتصوره العقل (١) •

وهكذا يتبين لنا نحن أن الهرب من القول بالارادة الالهية الى القول بالمصادفة فى تفسير هذه الظواهر لا يمكن أن يكون نتيجة نظر عقلى أو علمى ، وانما هو كما يقول بسكال نتيجة ارادة ، ارادة مصممة على الالحاد مهما يكن من أمر •

ويقول الدكتور ليكونت دى نوى :

(نكرر القول بأنه لا توجد حقيقة واحدة أو نظرية واحدة فى يومنا هذا تقدم تفسيراً قاطعاً لمولد الحياة وتطور الطبيعة •

ولقد درسنا مسألة أصل الحياة ، فوجدنا أننا مضطرون الى أن تقبل فكرة تدخل قوة سامية يدعوها العلماء أيضاً « الله » وهى عكس الصدفة (٢) •

ومن العجيب المدهش كما يذكر الدكتور ليكونت دى نوى أن بعض الملحدين ، يجيز استعمال كلمة « ضد الصدفة » بدلا من كلمة « الله » ويقترح حذف هذه من المعاجم ووضع تلك مكانها (٣)

جاهلا أنه بذلك يهدد صرح العلم كله بالانهيار لارتكازه على « حساب الاحتمالات » (٤)

ويستطرد دى نوى مستثيا قائلاً : (الا اذا قلنا فكرة ان الحياة تتبع فى بعض نواحيها قوانين غريبة عن عالمنا الفيزيائى ، تخضع فيها لقبول تأثير غير عقلى ، - ما ورائى - وهنا يصبح الاسم الذى نعطيه لهذا التأثير ليس هو جوهر الموضوع) •

وهكذا يتبين لنا حيرة العلم الالحادى أو الالحاد العلمى ،

(١) الاساس الجسمانى للشخصية ص ٢٠٧ : ٢١٣

(٢) مصير البشرية ١١٠

(٣) المصدر السابق ص ١٣٨ •

(٤) مصير البشرية ١٣٨ •

وتخبطه اللانهاى ، كلما أشاح
بوجهه عن طريق الله •

ويتحدث السير آرثر طومسون
عن مظاهر الروعة فى العالم كما
يكشف عنها العلم الحديث فى
صورة لا تتفق مع القول
بالمصادفة •• بادئا بما يسميه
« الروعة فى وفرة القوة فى
العالم » فيقول :

(تلك القوة التى تبقى أرضنا
الدوارة متماسكة فى دورانها حول
الشمس والتى تبقى مجموعتنا
الشمسية بعضها مع بعض فى
رحلاتها خلال الفضاء بسرعة ١٢
ميلا فى الثانية فى اتجاه نقطة فى
السماء - قريبة من النجم البراق
فيجا - تسمى (منتهى طريق
الشمس) كما أنه توجد على
النقيض الآخر قوة فى دنيا شرسة
فى داخل الذرة المعقدة تنطلق
طاقاتها الجبسة تعمل على استمرار
الطاقات التى تشعها الشمس
والنجوم • ومن هذين الطرفين من
الضخامة اللانهائية والدقة اللانهائية
توجد قوى الحياة - القوة التى
تعمل على تشغيل الساعد ، وقوة

السكة بما لها من محركات
أحسن من محركات البخرة
موريتانيا ، وقوة الحياة فى تكرار
نفسها بحيث أنه فى ساعات قليلة
قد يصبح ميكروب غير مرئى
ملايين الميكروبات الفتاكة) •

ثم يتحدث عن الروعة التى
يمكن أن نجدها فيما فى الكون
من ضخامة •

فيقول :

يستغرق الضوء ٨ دقائق ليصل
إلينا من الشمس على الرغم من أنه
ينتقل بسرعة قصوى تبلغ حوالى
١٨٦٣٠٠ ميل فى الثانية • ونحن
نرى أقرب نجم إلينا من خلال
الضوء الذى يشع منه منذ أربع
سنوات ، وضوء فيجا فى الصورة
التي كان عليها منذ سبعة وعشرين
عاما مضت • كما أن معظم النجوم
التي نراها دون تلسكوب تبدو لنا
كما كانت عندما درسها جاليليو
فى أوائل القرن السابع عشر •

ثم يتحدث عن : (الروعة فى
تعقيد الأشياء وتشابكها) •

فيقول :

(هناك ما يدل على مصادر لا نهائية فى نشوء الاختلافات الفردية) •

فقد على أرسطو - منذ أكثر من ألفى سنة مضت - بوجود حوالى خمسمائة نوع من الحيوانات المختلفة • ولكن تبلغ الآن قائمة الحيوانات المسماة والمعروفة خمسة وعشرين ألف نوع مختلف من الحيوانات الفقارية ، كما يصير البعض على حد أدنى يبلغ نصف مليون نوع مختلف من الحيوانات اللافقارية • كما أن أنواع اللحم ليست متشابهة ، ولكن هناك نوعا واحدا من اللحم فى الانسان ، وآخر للوحوش ، وآخر للأسماك ، ثم آخر للطيور • ويختلف دم الحصان عن دم الحمار • كما أنه يمكننا معرفة الطائر من ريشة واحدة والسمكة من بضع قشور • وربما لا يسر الفرد كثيرا للحقيقة التى تقول أن الشخص العادى عنده خمسة وعشرون بليون كرة

دموية حمراء تنقل الاكسجين والتى اذا مارست فانها تغطى مساحة قدرها ٣٣٠٠ ياردة مربعة • الا أن هناك دلالة للارقام التى توضح انه يوجد فى قشرة المخ - وهى المسئولة عن كل العمليات العقلية العليا - ما يقرب من تسعة آلاف مليون خلية عصبية • بمعنى أن هذا الرقم يزيد على عدد سكان العالم حاليا خمس مرات ، وبكل تأكيد أكثر مما يستطيع المخ حاليا الاستفادة منه •

ولا بد أن نسلم بأننا نتاج خلق رائع ، فأجسامنا تتكون من ملايين الخلايا ، الا أن هناك البساطة بين طيات تلك الضخامة ، اذ أن لكل خلية نفس الأساس التركيبى • وبين ثنايا محتوى الخلية الغرورى تطفو النواة التى تحتوى على ٤٧ كروموسوما (وفى المرأة ٤٨) كل واحد منها فى شكل عقد من الكيرموسومات الأصغر ، وهكذا ، وهكذا ••

لنا أعلام الفيزياء انه لا يمكن التفكير في أن هذه الدقة وليدة المصادفة •

ثم يتحدث عن الروعة الجمالية :

(وهى الأساس الخامس الذى يتعلق بالناحية العاطفية من شخصياتنا) •

فيقول :

(لقد كان لوتز على حق عندما نادى بأنه من الأشياء العظيمة القيمة أن ننظر الى الجمال لا على انه شئ غريب عن الدنيا التى نعيش فيها أو انه شئ عفى لظاهرة معينة ، ولكن على أنه كشف لذلك الأساس الذى يتخلل الواقع بكل ظواهره الحية) •

ثم يتحدث عن الروعة (فى الخصائص الأساسية للكائنات الحية) •

فيقول :

(فيجب علينا أن نتفهم بعمق ما يكشفه لنا علم الكيمياء الحيوية والفيزياء الحيوية • ويجب علينا أن نحاول فهم كل ما يمكن أن

وكذلك المحتمل وجودها ، فاننا نعلم أن العناصر تختلف بعضها عن بعض فقط فى عدد وتوزيع الالكترونات والبروتونات التى تشكل تركيبات ذرية • فأى قدرة خالقة تلك التى شكلت نسيج هذا الكون العظيم التنوع من نوعين اثنين من الخيوط الفيزيائية ، هذا بالإضافة بطبيعة الحال الى العقل الذى يقوم دائما بالبحث فى أسرار النول الذى يقوم بهذا النسيج) •

(ثم يتحدث عن الروعة فى نظام ودقة الطبيعة) فيقول :

اننا نعيش فى عالم غاية فى الدقة يخضع لجميع أسس التعليل • وكلما تقدم العلم زادت قدرة الانسان على التنبؤ بما قد يحدث من أحداث • فقد تنبأ عالمان من علماء الفلك بوجود نبتون قبل اكتشافه كما تنبأ الكيميائيون باكتشاف عناصر جديدة ويستطيع عالم الأحياء ليس فقط احصاء الدجاج قبل فقسه ، ولكن التنبؤ بصفاته فنظام الكون أعظم دقة ، ويوضح

يشكل فى شكل غروى وهكذا
وعندما يتكشف كل هذا فانه
تبقى ظاهرة تتكشف فى الكائنات
الحية وتوضح اعماقا جديدة
للطبيعة . فالحياة مستمرة نامية
متكاثرة متنوعة وفوق كل هذا
متطورة) * .

ثم يتحدث عن الروعة فى
« التطور » فيقول :

(ليس الأمر مقصورا على
مجرد انسياب « الأشياء » الى
أعلى بل « الحياة » نفسها هى
التي تنساب الى أعلى . ففى خضم
هذا الفيضان الذى لا يتوقف
لا يقتصر الأمر على الابقاء عليها
وانما يتعداه الى تحسينها) .
والتغيرات ليست مشاهد متغيرة
ومختلفة الالوان ولكن عبارة عن
« لحن دائم التقدم » . فخلال
الاجيال الطويلة الغابرة أصبحت
الأرض مهدا للحياة ، وظهرت
كائنات أكثر نبلا ورقيا وازداد
تفوق الحياة على الأشياء والعقل
على الجسم الى أن ظهر الانسان

فى النهاية ، الذى توج أروع شىء
فى الحياة ، اذ أنه أعطى لكل
شىء آخر قيمة عظيمة وعميقة * .
وبينما يجب أن نعتبر الانسان فى
ضوء التطور كقمة للطاقة
الفكرية ، فانه يواجهنا أمر أكثر
تعقيدا وهو التفكير فى التطور فى
ضوء الانسان . انها حقيقة
بديهية فلسفية ، ولكن لابد للعلماء
أن يتساءلوا (من الذى يستطيع
أن يقول هذه هى نهايتك أيها
التطور) (١) * .

وهكذا يقدم لنا نماذج الروعة
التي نتحدث عن القصد والتدبير
فى نظام العالم * .

بل ان العناية الالهية تبدو
باهرة الضوء فى لمساتها الحانية
على حالات الضعف والنقصان ،
يقول الاستاذ آشلى موتاجيو :

(ان العته الطفولى المصحوب
بالعمى من الحالات التى تستأصل
نفسها من الجماعات الكبيرة عن
طريق موت ضحاياها فى سن
مبكرة) (٢) * .

(١) العلم اسراره وخفائيه ج ١

(٢) الوراثة البشرية ٤٣٥ - ٤٣٩ .

ويقول :

(وناقصو العقول لا يتكاثرون
بطريقة فعالة •

فمعدل الوفاة بين المعتوهين
الذين ينتمون الى أدنى مرتبة
من مراتب ضعف العقل
ولا يستطيعون عمل أى شئ
لأنفسهم •• يزيد أكثر من خمسة
أضعاف عنه بين السكان عامة •

أما معدل الوفاة بين المعتوهين
الذين يستطيعون تعلم الاعمال
اليدوية البسيطة فيزيد حوالى
الضعف عنه فى السكان عامة •

وكلما ازدادت درجة ضعف
العقل بين ناقصى العقول انخفضت
قدرتهم على التكاثر وبذلك يعمل
مؤثر ••• على الحد من
تضاعفهم) • (١)

(أما الأشخاص الذين هم عند
حافة النقص العقلى فان قدرة
الاخصاب لديهم أكبر من القدرة
المتوسطة ، ولكن هذه القدرة
الأكبر نفسها مفيدة للجنس

البشرى • فهؤلاء الأشخاص
يحملون من الجينات ما يؤدى الى
انتاج قدرة عقلية أكبر ولذلك
فان أطفالهم يعملون على تعويض
النقص الناتج عن القدرة الاخصائية
المنخفضة فى ذوى العقول فوق
المتوسطة (٢) •

فما أعجب أن يقول داروين
بعد ذلك ، متجاهلا كل هذه
الدلائل على العناية والقصد
والتدبير وذلك فى كتابه أصل
الأنواع :

(تنشأ التغيرات بتأثير الطبيعة
المطلقة •

وغالبا مانسبنا حدوثها للمصادفة
العمياء ، على أن كلمة مصادفة
هنا اصطلاح خطأ محض يدل على
اعترافنا بالجهل وقصورنا عن
معرفة السبب فى حدوث كل تغير
معين يطرأ على الأحياء) (٣) •

وهنا يدافع اسماعيل مظهر عن
داروين حيث يعلن أنه ليس كل
القائلين بالمصادفة ملاحدة (٤) •

(١) الوراثة البشرية ٤٣٥ : ٤٣٩ •

(٢) الوراثة البشرية ص ٤٣٥

(٣) ملقى السبيل ص ١٦٥

(٤) ملقى السبيل ص ١٦٥ - ١٦٧ •

حمر الوحش فاخرين من أنوفهم
قولتهم الوبيئة « المصادفة » •

يقول رسل - وهو ملحد :
(اننا نجد حتى فى مملكة
الكواكب عمليات تنطوى على
خصائص غائبة لا تختلف اختلافا
جوهريا عن ملامح السلوك
الغرضى فى الحيوانات العليا) (١)
فكيف يتأتى القول بالمصادفة
اذن ..

انه اذا كان الماديون يقولون
بالصدفة « كتنسیر لوجود المادة
وحركتها ونظامها » فهم يلتزمون
أيضا بالتدبير والقصد (لاعتراهم
بالوعى والعقل كحالة راقية من
أحوال المادة) وهنا نسألهم عن
وجود العالم وتقدمه أهو أجدر
أن يعزى الى الصدفة أو أجدر أن
يعزى الى التدبير والقصد ؟

وكما يقول سقراط (أرأيت
لو عرضت عليك مصنوعات مختلفة
منها ما هو خفى المنفعة ومنها ما له
منفعة ظاهرة وحكمة فى الوجود

وهذا دفاع غريب حين يكون
القائلون بالمصادفة يودون بها منبع
القول بالارادة الالهية انه عندما
تنتهى الأسباب الطبيعية الى حالة
لا تظهر علتها فى الطبيعة تكون فى
موقف اما أن نقول فيه بالارادة
الالهية ، واما أن نقول بالمصادفة ،
ولا يمكن الجمع بينهما ، ومن
هنا يتبين أن القول بالمصادفة
مجرد رفض للقول بالارادة
الالهية ، فكيف لا يكون هذا
الحادا •

ومن العجيب أن الماديين يبدأون
السير فى بحثهم منطلقين من القول
بأن القول بالارادة الالهية انما
هو محض عجز من الانسان عن
معرفة الأسباب وأن معرفة
الأسباب تلغى القول بالارادة
الالهية •

وها هم فى نهاية الشوط اذ
يعلنون العجز عن معرفة السبب
تسود وجوههم فى متجه القول
بالارادة الالهية ، ويقفون وقفة

باهرة ، فأيهما أولى بأن تظنه من نتائج الصدفة والاتفاق ، أو من نتائج العقل والحكمة (١) •

ان الاتجاه الالحادى فى العلم نظرا لأنه يمتنع - مبدئيا واعتقاديا عن القول بالارادة الالهية يعجز عن تجنب القول بالمصادفة ، التى يقوم كيانه أساسا على انكارها ••

فيا للتناقض ، والعجب ••• يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

(ان فى خلق السموات والأرض

واختلاف الليل والنهار

والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس •

وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها •

وبث فيها من كل دابة •

وتصريف الرياح •

والسحاب المسخر بين السماء والأرض •

لآيات لقوم يعقلون) •
١٦٤ البقرة

ويقول تعالى :

(والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين ، وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ، وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أأنتم له بخازنين ، وانا لنحن نحيى ونميت ، ونحن الوارثون) •

١٩ - ٢٣ الحجر

ويقول تعالى : (خلق السماوات والأرض بالحق ، تعالى عما يشركون • خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين • والانعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون • ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق

(١) انظر بقية الحوار بين سقراط وتلميذه المنكر لوجود الله « الاسلام فى عصر العلم » لمحمد فريد وجدى ص ١٦٣

بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون .
وعلامات وبالنجم هم يهتدون .
أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا
تذكرون . (٣ : ١٨ النحل)

ويقول تعالى :

(والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا تستخفونها يوم
ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها
وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا
الى حين . والله جعل لكم مما
خلق ظللا ، وجعل لكم من
الجبال أكنا وجعل لكم سرايل
تقيكم الحر وسرايل تقيكم بأسكم
كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم
تسلمون . فان تولوا فانما عليك
البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها وأكثرهم الكافرون) .

٨٠ - ٨٣ النحل

دكتور يحيى هاشم

الانفس ان ربكم لرءوف رحيم .
والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى
الله قصد السبيل ومنها جائر
ولو شاء لهداكم أجمعين . هو
الذى أنزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر فيه
تسيمون . ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم
يتفكرون . وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات
لقوم يعقلون . وما ذرا لكم فى
الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية
لقوم يذكرون . وهو الذى سخر
البحر لتأكلوا منه لحما طريا ،
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون .
وألقي فى الأرض رواسى أن تميد

مناقشة هادئة :

دفع افتراء صارخ حول شيخ الإسلام سليم البشري للدكتور محمد رجب البيومي

انسانا عاقلا أحس بالحسرة على
امام من أئمة الحديث فهرع الى
صحيح البخارى يبادلُه العزاء ؛
أما كتاب الله فلن يوفى بعزائه غير
من أنزله على رسوله هداية للناس ،
اذ ليس فى الناطقين بالضاد من
يقدر على القيام بهذا العزاء ، ولئن
جهل قارئ مكانة الاستاذ الأكبر ،
وتاريخه الحافل فى ساحة العلم
وميدان الدعوة والارشاد ، ثم قرأ
قصيدة حافظ وحدها لكانت تاريخا
حيا يضع العلامة الكبير موضعه
الكريم ، فقد كان الشيخ سليم
بقية من بقايا السلف العالم ، الذين
لزموا التدريس السدينى طلابا
وأساتذة ملازمة استغرقت مدى
الحياة ، وقد قطع الرجل فى ساحة
الزمن تسعين عاما ، فاذا كان قد
التحق بالأزهر فى سن الخامسة

أول ما عرفت الأستاذ الأكبر
الشيخ سليم البشري شيخ الجامع
الأزهر الأسبق رحمه الله ، كان عن
طريق شاعر النيل حافظ ابراهيم
اذ قرأت ديوانه فى سن مبكرة ،
ووقفت كثيرا عند مراثيه الصادقة
فى الشيخ الأكبر ، وقد أحسن
تصوير اللوعة على العلامة الراحل
حين قال فى مطلع القصيدة :

أبدرى المسلمون بمن أصيبوا
وقد واروا سليما فى التراب
هوى ركن الحديث فإى ركن
لطلاب الحقيقة والصواب ؟
موطأ مالك عز البخارى !
ودع لله تغزبة الكتاب !
فما فى الناطقين فم يوفى
عزاء الدين فى هذا المصعب !

والرثاء حار تسوقه عاطفة صادقة
مخلصة ، واشادة الشاعر بمكان
الراحل فى علوم القرآن والحديث
قد جاءت فى صورة مجسمة حية ،
اذ تصور شاعر النيل موطأ مالك

بعد نظره ، وشدة غيرته على المسلمين جميعا أن يصبح بأسهم بينهم شديدا ، وكان في تضافر الجهود ما يعلو كلمة الاسلام ، بعيدا عما اصطنعه المفرضون من بواعث الخلاف .

فوق هذا كله ، لند على فرية ظالمة ردها الدكتور زكى مبارك فى كتبه أكثر من مرة ، اذ تحدث عنها فى كتاب « الموازنة بين الشعراء » ثم فى كتاب « الأسمار والأحاديث » كما أعلنها على صفحات البلاغ فهاجت نائرة أفعال الشيخ ، وهم علماء بارزون ، وكنا ظننا أن شطط الدكتور مبارك سيصادف اغضاء من الذين يزنون القول وزنا دقيقا ليذهب الزبد جفاء ، ولا يبقى غير ما ينفع الناس ، ولكن أحد الذين كتبوا دراسة علمية نال بها درجة الماجستير فى أدب الاستاذ عبد العزيز البشري فجل الشيخ الأكبر ، قد صدق هذه الفرية دون نقاش ، واعتمد كلام الدكتور زكى مبارك اعتمادا تاما ، وكأنه حق لا مرية فيه ، وكان عليه

عشرة بعد أن حفظ كتاب الله ، فقد خلص للعلم هذا المدى الطويل حتى بلغ من ثماره المشتهاة ما هياه لمشيخة الأزهر أكثر من مرة ، وقد كان طلابه يكتبون عنه تقريراته العلمية حين كان يشرح لهم الكتب العالية فى الأصول والفقه والحديث والمنطق والبلاغة ، اذ كانت العادة المتبعة حينئذ أن يختار عالم الأزهر حاشية من الحواشى العلمية ليقراها على الطلاب ، فاذا كان هذا العالم رأسا من رؤوس العلماء ، فدرسه أوسع مدى ، وحاشيته أعوص تفكيرا ، وطلابه أرقى مستوى ، وهم ناقلون عنه خير ما ينتظرون ؛ على أن الشيخ رحمه الله قد اشترك فى مناظرات علمية مع الامام الشنقيطى على صفحات المؤيد ، كما قام بمناظرات جدلية مع الامام الخالصى رأس الشيعة فى عصره ، محاولا أن يمحو أوجه الخلاف بين طائفتين كبيرتين من طوائف المسلمين وقد جمعت هذه المناظرات فى كتاب حافل ، وهى ان دلت على علم الاستاذ وفضله ، فقد دلت على

وهو فى مجال التمحيص العلمى أن يناقش الأحكام الأدبية مناقشة دقيقة ، فلا يأخذ أحاديث المتسرعين مأخذ التسليم ، وإذا أعوزه أن يفعل ذلك ، فلا بد أن يكشف النقاب عن خطأ هذا الاقتراء الصريح كيلا يأتى باحث آخر فيحذو حذو سابقه دون تنقيب .

لقد نظم أمير الشعراء أحمد شوقى قصيدة نهج البردة ، وعرض على الاستاذ الأكبر سليم البشرى أن يقوم بشرحها للناس ، ليعرف المسلمون تفصيل ما تضمنته من شمائل الرسول ومواقفه الشجاعة فى سبيل الله ، ولكبار العلماء سوابق فى ذلك ، حيث شرح ابن هشام الانصارى قصيدة كعب بن زهير رضى الله عنه .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متميم أثرها لم يفد مكبول

شرحها فى كتاب خاص نال سيرورة وشهرة ، كما شرح شيخ الاسلام ابراهيم الباجورى قصيدة البوصيرى .

امن تذكر جيران بلدى سلم
مزجت دمعاً جرى من مقله بدم

وهو الأصل الذى احتذاه شوقى ، وفى هامش شرح الباجورى شرح آخر مختصر للبردة كتبه الشيخ خالد الأزهرى فجاء موجزا مفيدا ، لقد رأى شوقى اذن أن ينهج شيخ الاسلام فى عصره نهج سابقه فيكشف معانى قصيدته لملا يعرف مكانه الاستاذ الأكبر ،

ويتلهم على قراءة ما يبدع من تفسير ، ولم يشأ العالم الكبير رحمه الله أن يحرم عارفه من فضل يشتهونه متعجلين ، فنهض بكتابه شرح النهج ، وقابله القراء بالابتهاج ، وأفاض نثر من الكتاب فى تقيظه ، وقدمه أكبر كتاب عصره السيد محمد المويلحى بك بمقدمة رائعة قال فى ختامها : « وان قصيدة تقال فى مدح الرسول ، وتوضع تذكارا لحج المليك ، ويكون شيخ الاسلام شارحها ، وشاعر الأمير قائلها .

من اللاتى أمسد بهن طبع
وهذهن فكر وانتقاد

لهى جديرة بأن تستضىء بنورها البصائر ، وتعقد على نقاستها الخناصر ، وتشغف بها

هو تتاج أديب ذاتى ذى عذوبة
وتألق واستشفاف ؛ وحينذ نضع
الفرية موضعها الصحيح ، كان على
الباحث الجامعى أن يفعل ذلك ،
فليست رسائل الدراسات العليا
فى الجامعة حشدا للأقوال دون
فحص ، ولكنها سببر وتمحيص
ومناقشة ودفاع ، ومن يتجرأ على
اتهام شيخ الاسلام فى خلقه وعلمه
لا بد أن يجد من يحقق هذا
الاتهام ؛

كان الشيخ سليم محدثا يحفظ
الموطأ وصحيح البخارى بالأسانيد،
وكانت دروسه فى التفسير
والحديث تحمل الطابع العلمى
للأزهر اذ يتعرض الاستاذ لمسائل
النحو والبلاغة واللغة بافاضة ،
تاركا ما يتعلق بالأسلوب الأدبى ،
والنسيج الشعرى الى غيره من
متذوقى النقاد ، ومن يقرأ شرح
شيخ الاسلام الباجورى للبردة ،
وشرح الشيخ سليم البشرى لنهج
البردة يجد الطابع العلمى لدروس
الأزهر القديم واضحا متماثلا ،

القلوب فتضمهما فى الشغاف
وتنطوى الصدور على حفظها طي
الغلاف » .

وشاع الشرح (١) وذاع ، ولكن
الدكتور زكى مبارك جاء بعد
عشرين عاما من طبعه وذيوعه ، ينشر
فى الناس أن الذى كتب الشرح
هو الأديب الأزهرى الناشئ عبد
العزیز البشرى نجل الشيخ الأكبر ،
اذ كان حينئذ يكتب فى الصحف
ويسير الخطوات الاولى فى ميدان
مجده الأدبى الذى تم له فيما بعد
عن موهبة واستحقاق ، وقد ثار
الشيخ عبد العزيز ورد على
الدكتور مكذبا فى جريدة البلاغ،
ولكن زكى مبارك أعاد القول فى
كتابه « الموازنة بين الشعراء »
وفى كتابه « الأسمار والأحاديث »
وكان على الذين يصدقون الدكتور
مبارك أن يرجعوا الى الشرح
المتهم ، فيعرفوا من منهجه العلمى
من الذى قام به ؛ أهو تتاج
شيخ أزهرى موضوعى ذى فقه
ونحو ولغة وبلاغة وحديث ، أم

(١) سمى شوقى قصيدته نهج البردة ، وسمى شرح الشيخ سليم
(وضع النهج) وهو ذائع متداول .

فلم يجدوه فأتى النبي بماء ووضع فيه يده ، وأمر الناس أن يتوضأوا فنبع الماء من بين أصابعه ، ثم ما رواه عبد الله بن مسعود فى مقام آخر حين أعوز الماء أصحاب رسول الله فأتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فتدفق الماء ، ثم ما رواه جابر بن عبد الله عن عطش الناس يوم الحديبية حين توضأ الرسول من ركوته فقال المسلمون ليس عندنا ماء غير ما فى ركوتك فوضع الرسول كفه بها وتدفق الماء وينتقل الشيخ الى كلام القاضى عياض بشأن تأكيد هذه الأحاديث فينقله بنصه على عادة العلماء من كتاب الشفاء دون تعليق ، لأن النقل عنده وثيق مضبوط ، وفيه ما يكفى .

ثانياً - نجد الاستطراد الطويل فى مناسبات كثيرة ، وهو ما لا يقره الشارح الأدبى ، ويرتضيه المفسر العلمى ، فإذا قال شوقي رحمه الله - مثلاً - :

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته
من سؤدد ياذخ فى مظهر سنم (٢)

(٢) وضح النهج ص ٢٨

فيجزم جزماً أكيدا أن شرح النهج قد كتبه شيخ عالم لا شاب أديب كتبه فقيه عالم محدث ذو حذر و يقين ، ومن دلائل ذلك ما فوجزه فى هذه النقاط :

أولاً - نجد أول ما نجد من خصائص شرح النهج ، هذا الاعتماد الكثير على الأحاديث النبوية ، وروايتها باسنادها ، فقد يذكر الشيخ سليم البشرى فى الحادثة الواحدة عدة أحاديث ينقلها فى سهولة يسيرة ، وما فطن الأديب الشاب عبد العزيز يهتم فى الشرح الأدبى بتسجيل عدة أحاديث فى موضوع واحد ، اذ ليست لديه روح المحدث المستقصى فاذا تعرض الى شرح قول شوقي مثلاً :

لماذا الصبح يستيقظون من ظمأ
فاضت يدال من التسليم بالسقم (١)

قال الشيخ الأكبر : ان الأحاديث الواردة فى نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كثيرة ، وأخذ يسرد ما رواه أنس بن مالك عن رسول الله حين حانت ساعة صلاة العصر ، والتمس الناس الوضوء

(١) وضح النهج ص ٤٢

فيأتى الشيخ الى ما رواه ابن هشام عن الغزوة المباركة فيلخصه فى عشر صفحات ! وما كان لغزوة بدر أن تفصل هكذا لدى شارح أدبى ، ولكن الأساتذة من طراز الشيخ سليم البشرى يحبون أن يفيدوا القارىء لأدنى مناسبة وكلمة أدنى مناسبة تتردد كثيرا فى حواشى العلماء ! فأين ذلك كله مما يرتضى ولده عبد العزيز ؟

ثالثا - نجد الاستعانة بقواعد النحو والصرف والبلاغة فى ايضاح المعانى واضحة دائمة وكأنها الأصل وهذا ديدن ابن هشام والباجورى والأزهري من مفسرى المدائح النبوية ، كما هو ديدن القدماء من شارحى دواوين الشعراء أمثال العكبرى والواحدى والمرزوقى والتبريزى وأبى العلاء ، ولكن الشيخ عبد العزيز البشرى بمنأى عن هذا كله ، فانه لا يصبر على مثل قول والده عقب هذين البيتين :

فاننا نجد الشيخ سليم البشرى يفرد عدة صفحات لايضاح سلسلة النسب الشريف الى معد بن عدنان، فيبدأ بذكر عبد الله والد الرسول ويتحدث عن شمائله كما رواها الزهرى فاذا بلغ من ذلك ما أراد، تحدث عن شعبة الحمد عبد المطلب فعرض لأوصافه الجسمية والنفسية ، ووضح سيادته فى قومه ، ومقابلته لأبرهة الأشرم وما تم فيها بشأن البيت والابل وعلا الى هاشم فذكر اسمه ووازن بينه وبين أخيه عبد شمس ، وتحدث عن كرمه الزائد ، وهشمه الثريد لقومه وقيامه على السقاية بعد أبيه عبد مناف ، وهكذا يتسلسل الحديث عن عبد مناف وقصى وحكيم ومرة وكعب ولؤى وغالب وفهر حتى يصل الى عدنان فى صفحات تتجاوز العشر ابتداء من ٢٦ الى ص ٣٧ ، ويتكرر هذا الاستطراد فى مناسبات أخرى كأن يقول شوقى فى غزوة بدر :

بدر تطلع فى بدر ففرته
كفرة النمر بجلو داجى الظلم^(١)

بكل قول كريم أنت قائله
تحيى القلوب وتحى ميت الهمم (١)
سرت بشائر بالهادى ومولده
فى الشرق والغرب سرى النور فى الظلم

حيث قال الاستاذ الأكبر : معنى
احياء القلوب تأثرها بمواعظه صلى
الله عليه وسلم ، واحياؤه الهمم
ايجادها وابتغائها لعظائم الامور ،
وكريم « فى قوله بكل قول كريم »
بمعنى الثمين النافع ، وهو صفة
أولى لازمة لقول ، وجملة « أنت
قائله » صفة ثانية من الوصف
بالجملة بعد الوصف بالمفرد ، وهو
جائز كعكسه فى قوله تعالى :
« وهذا كتاب أنزلناه مبارك » واحياء
القلوب مجاز عن تأثرها ، وموت
الهمم مجاز عن فقدانها ، وأقواله
المأثورة فى هذا الباب لا يكاد
يأخذها العد ، ويبلغها الاحصاء ،
وفى الشطر الثانى من البيت الأول
الطباق ، ونسبة السريان للبشائر
مجاز عقلى ، أو فى الكلام استعارة
مكنية ، بتشبيه البشائر بالسارى ،
وابتات السرى لها تخيل ، وقد
روى فى غير موطن أن البشرى
بمولده صلى الله عليه وسلم شاعت

بين الأرض والسماء ، واتصلت
بجميع الكائنات وفى الشطر
الثانى « من البيت الثانى » ..
الطباق بين قوله فى الشرق وفى
الغرب وقوله النور والظلم .

كما نجد الطريقة الأزهرية
للشرح العلمى عند قوله الشيخ
رحمه الله تعليقاً على قول
شوقى (٢) .

العائثرات بالباب الرجال وما
أقلن من عثرات الدل فى الرسم

حيث يقول بعد شرح للمفردات
تركه اختصاراً : شبه وقوع
هواهن فى كل قلب صادفته
بالعائر الذى تزل به قدمه فى
الطريق الحزن ، وجعل القلوب
مجازاً لهن واعتراضها موطىء
أقدامهن يخضن فيها ويسلكنها
سلوك المتعثر ، فيقعن فى القلب
بعد القلب ، كما يقع العائر فى
الحفرة بعد الحفرة من المعانى
البيدة .

وفى الشطر الثانى جعل لهن من
جمال المنظر ، وحسن المشية عثرات
ولعله سماها « عثرات » مشاكلة

لما فى صدر البيت ، أو أنه شبه
تثنيهن وتبخترهن فى مشيتهن
بالعائر أيضا ، اذ كان لهن ما له من
الميل والاهتزاز ، أو أنه أراد التعثر
الحقيقى اذ أنهن يتعثرن فى ثيابهن
لطولها وتثنيهن ، ويريد بقوله
« وما أقلن » أن ذلك شئ ملازم
لهن ، وان عثرات الدل مقصودة
بالطبع لا اقالة منها بخلاف سائر
العثرات ، وقوله « فى الرسم
احتراس لطيف » .

والأمثلة كثيرة جدا لهذا النوع
من الشرح العلمى المحتفل بقواعد
البلاغة والنحو والتصريف .

رابعا - أما النقدرات فكلها
دينية شرعية ، ولن تصدر الا من
متخصص شرعى ضليع ، فالشيخ
يذكر قول شوقى مثلا :

ان جل ذنبى عن الغفران لى امل
فى الله يجعلنى فى خير معتصم (١)
ويتبعه بقوله : غفران الذنب
مهما كان قدره ممكن فى ذاته ،
والله تعالى لا يخرج عن قدرته
شئ من الممكنات ، ما يقع منها ،
وما لا يقع أصلا ، وقد جاء الشارع

الحكيم ببيان ما يحتمل الوقوع
بالفعل فى هذه المسألة بعينها فقال
عز من قائل : « ان الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء » ولعله - الشاعر - قد
استولت عليه الدهشة والهيبة من
الله تعالى لما أسلف من الذنب
العظيم حتى قد وقع فى مخيلته
أن مثل هذا الذنب لا يغفر ، فليس
مراده ما يتبادر من ظاهر قوله من
أن مغفرة الله تضيق عن مثل هذا .

كما يقف الشيخ عند قول
شوقى :

ونودى اقرا تعالى الله قائلها
لم تتصل قبل من قيلت له بغم (٢)

لينفى اعتراضا يتضح من
قوله : ان خطاب الله تعالى لنبيه عليه
السلام بقوله : « اقرأ باسم ربك »
لم ينتزل على بشر قبله ، ولم يجربه
فم انسان قبل أن يوحى اليه ، وان
خوطف الأنبياء قبله بغير هذا
الخطاب ، كخطاب الله تعالى لموسى
عليه السلام : « خذ ما آتيتك وكن
من الشاكرين » وليحى عليه
السلام « يا يحيى خذ الكتاب

الشيخ سليم البشري ، وكان يعلم تمام العلم أن كبار الشيوخ حينئذ لم يكونوا يتباهون بالتأليف المطبوع بل كانوا يقررون القاعدة العلمية في الدروس ويعقبون عليها بالاعتراضات ويتركون للطلاب أن ينقلوا ما يقررون دون أن يهتموا بطبع ما يقال ، وكل كتاب شرحه هؤلاء الكبار كان مصدر تعليقات علمية قيلت في الدرس ، ودونها نبغاء الطلاب ممن يستطيعون مسابقة الاستاذ ، وما جال في ذهن أحد من هؤلاء الأعلام أن يتباهى بعرض اعتراضاته العلمية في مؤلفات ! فلم يقبل الاستاذ الأكبر أن يضع اسمه على شرح كتبه ولده الناشئ ؟ وهو من هو في عين نفسه وفي عيون الناس ؟ وهل يضيف ذلك قليلا أو كثيرا الى مجده العلمي ، وهو محدث أصولي فقيه ! !

لشد ما يحضرني قول أبي العلاء في ختام هذا المقال :

لا تظلموا المولى وان ظال المولى
انى اخاف عليكم ان تلتقوا
دكتور محمد رجب البيومي

بقوة » وغير ذلك مما وقع به الخطاب للأنبياء صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين •

واذ قال شوقي عن البراق :

جبت السموات أو ما فوقهن بهم
على منورة درية اللجم (١)

إذا قال شوقي ذلك استدرك الشيخ فقال : يريد بقوله « منورة درية اللجم » البراق ، والوارد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب البراق الى بيت المقدس ، أما عروجه الى السماء فلم يكن على البراق على الصحيح كما يقول عند قول شوقي :

وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة
متى الورود وجبريل الأمين ظمى (٢)

يقول : ان الملائكة لا تظما ، فلعل مراده بالظما هنا لازمه ، وهو الطلب للناس بمعنى أن حاله تقتضى اشفاقا على حالهم لما يرهقهم من شدة الظما • وخرج الموقف •

فليت شعري أين الأديب الناشئ عبد العزيز البشري من هذا كله ؟

لقد كان الدكتور زكى مبارك طالبا بالأزهر لعهد الاستاذ الأكبر

من أسرار الفريضة الخاتمة

لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

روى المرء لعقله فى ذلك مرة
أخرى تبين له وجهه من وجوه
الاعجاز فى كتاب الله ، فان للكلمة
فى كل مرة تكررت فيها معنى
يتضح ، وتقدم به وبأخويه حجة
الرءوف الرحيم بعباده •

فالكلمة فى أول الآية تحديد
لزمان الحج - على أشهر ما قيل -
مما كان معروفا عند العرب الذين
نزل بلغتهم القرآن ، وكان الخطاب
بذلك اليهم أو الأمر وهم أصحاب
لسانه وقد عينه الفقهاء استخلاصا
مما صح لديهم نقله عن صاحب
الشرع صلوات الله عليه ، وعمن
أخذوا عنه ، ومن بلغوهم ذلك ••
عينه الخاصة بشوال ، وذى القعدة
وذى الحجة كله أو أيام منه تنتهى
بأيام التشريق •

فى آيات من القرآن الكريم ،
وفى أحاديث النبى صلى الله وسلم
وأقواله ما يكشف النقاب عن
جوانب ذوات عدد من أسرار الله
تعالى وحكمه فى مشروعية الفريضة
الخاتمة لتكاليف الله للأمة
الوارثة •

ولا يكاد المرء يملأ لعقله قليلا
فى قوله تعالى :

« الحج أشهر معلومات فمن
فرض فيهن الحج فلا رفث ولا
فسوق ولا جدال فى الحج ، وما
تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى واتقون
يا أولى الألباب » • البقرة •

حتى تظالعه لأول وهلة كلمة
« الحج » وقد تكررت ثلاث مرات
فى جمل قليلة الكلمات ، فاذا

والأخذ والرد فيما تبين فيه وجه الحق ، كما قال ربنا جل شأنه :
« ولا جدال فى الحج » •

وكم تضيق صدور أقوام فى الأسفار ، وتضعف قوة احتمالهم للظروف التى تلازم الاغتراب ، من اختلاف مألوف طعامهم وشرابهم ، ومعتاد ثيابهم ، وان كانت الأسفار بطبيعتها أكبر معلم ، وأقوى ملهم ، حين تصحبها خشية الله ، لكثير من الفضائل ، وخصال الخير ، والعلم بما يقوم بين الجماعات من فوارق ، والحج فى قمة تلكم الأسفار •• ألسنا نستجيب فيه لحق الله على المكلفين الا تتلاحم فيه واخواننا الذين أرادوا من الحج مرادنا ، واجتهدوا فيه اجتهدانا ، وتركوا له أوطانهم وأولادهم كما تركنا أوطاننا وأولادنا؟! ألم تجمعنا الأعمال والأحوال ، وبخاصة الثياب ، على صدره لا يبقى معها - ولو الى حين - سلطان لذى سلطان ، ولا لقب لذى لقب ، ولا نسب لذى نسب؟! فقد ارتفع على كل ذلك سلطان الايمان

وتذكر كلمة « الحج » مرة ثانية مقرونة بطائفة من الآيات ، التى هى فضائل فى كل زمان ومكان ، ولكنها تكون أوجب على من يفد على بيت الله ، وليغشى على مولاه رحماه ، وهل تصدق « لبيك اللهم لبيك » ممن لم يتأدب بآداب ربه ، وهو - فى أقل القليل - يستظل بظلاله ، ويطمع فى رحمته وكرمه ونواله •

واذا كان الانسان السوى يحترز من اقتراف ما لا يليق بمجالس الآباء ، من أقوال وافعال ، ويدير الكلمة فى فيه مستثيرا لها مرات ومرات قلبه وعقله قبل أن تنفجر لها شفتاه ، وينطلق بها لسانه ، وتتكشف عنه - والمرء مخبوء تحت لسانه - كما يقولون •

فان بيت الله وما حوله من مشاعر الحج أحق بأضعاف هذا التحرز والتصوف والاحتشام من الفحش ودواعيه ، ومن الخروج على حدود الشرع ، وما تستلزمه من تقوى الله ومراقبته ومن المراء

ولقب العبودية للواحد الديان ،
ونسب « ان أكرمكم عند الله
أتقاكم » .

فكيف يجنّو فؤاد حاج أو
يعنف فعله ، أو يذهب غافلا عما
استهدفه من رضوان الله ، الى
معصيته والخلاف عن أمره تبارك
وتعالى .

ان الارتحال والانتقال خلال
الديار نافعان في وصل الحاضر ،
بالماضى ، واستلهام العظات التى
هى قبس من سير الأولين ، برهم
وفاجرهم ، ومؤمنهم وكافرهم ،
على ضوئه نسير ، ويسير الأخلاف
.. وتلك أمور يحرص المؤمنون
عليها فى اسفارهم ، بذواتهم ،
واتصالهم بخواطيرهم وأفكارهم
بأول بيت وضع للناس فى مكة
مباركا ، وجعله الله مثابة للناس
وأمانا ، وتتابع فيه ومن حوله
رعاية الله ، فقد هاجر ابراهيم
باسماعيل وأمه هاجر - عليهم
السلام - الى واد غير ذى زرع ،
وجعل الله أفئدة الناس فى أى
جانب على ظهر هذا الكوكب تهوى
اليه حتى جاء الدنيا نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم بخير ما جاء
به نبى قومه من لدن ربه ، وترك
رحمة الله المهداة الدين الخاتم الى
البشرية بأسرها ، أجمع شريعة ،
وأرفع نظام ، وأمثل أسوة فى أعماله
وأعمال الذين آمنوا معه ، وهذا
عبد الله بن عمر بن الخطاب
رضى الله عنهما ، واحد من
طلاب مدرسة الوحي ، يتمثل
القرآن بكل مكان وعلى كل حال
ويزداد له تمثلا وهو يرعى البلد
الحرام والبيت العتيق فيضرب
خيامه خارج حدود الحرم ، ويطوف
كل يوم ويصلى ثم يرجع الى خيامه
ويبيت فيها ، خشية ان يهين أحد
غلمانة فيه أحدا فيكون بذلك
واقعا فى قوله تعالى : « ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
أليم » . سورة الحج .

وانه لورع من عبد الله رضى الله
عنه ، لا تخفى معه ان استباحة
محارم الله فى البيت الحرام الحاد
بظلم ، والالحاد فى الآية فى أصح
معانيه هو الانخلاع عن دين الله ،
والمعنى اللغوى للالحاد هو الملاحظ
فى المعنى الشرعى ، وهو الكفر

وابن الجوزى رحمه الله فى تفسيره أن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، سئل : هل تكتب السيئة أكثر من واحدة ؟ !

فقال لا ، الا بمكة ، لتعظيم البلد ! !

قال ابن الجوزى - وأحمد رحمه الله يرى فضيلة المجاورة بها - وقد حرص على ذلك نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، كجابر ابن عبد الله ، وابن عمر ، وانها الأمل يستحوذ على النفوس .. فאלلهم عونك !

لكن - المجاورة - ياقومنا - لها آدابها وحقوقها بعامة ، وهى أوفر حقاً لبيت الله الحرام » فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم « . الفرقان .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » . الأتقال .

أو الشرك وفعل شيء مما حرمه الله ، وترك شيء مما أوجبه سبحانه . ولقد أدخل بعض الفقهاء فى الاحاد احتكار الطعام بمكة ، فان احتكار الطعام بمكة الحاد بظلم ، وقد أخرج البخارى فى تاريخه وأورده السيوطى فى الدر بسنديهما عن عمر بن الخطاب موقوفا قوله :

« احتكار الطعام بمكة الحاد بظلم » .

ويا ويح الناس ، كم يظلمون فى غير مكان ، ويشتطون فى معاملة ضيوف الرحمن ، وفى مداخلتهم على غير أساس من العدل والاحسان ، واذا كان تاريخ الرفادة والسقاية قد غاب عن الناس ، ولم تفعل اصداء هذا التاريخ من القرآن والسنة فعلها فى القلوب والأفئدة ، فانهم يرون - لا ريب - السهر الموصول ، والجهد المبذول من ولاية الامور فى المملكة لا بلاغ وقد الله امنه وسعته بكل منزل وجانب فى المشاعر المقدسة والسبل الموصلة اليها .

وهى حين لا تنتهز للخير تخلف
وراءها الغصص والحشرات
لا ريب .

وان فى ختام قوله تعالى :
« الحج أشهر معلومات » دعوة
الى التزود بالتقوى ، خير زاد ،
وتذويلا بايجاب تقوى الله التى ان
صد عن سبيلها الفارغون ، كما
ينبغى أن يهملها العقلاء الألباء
فان الى ربنا الرجعى ، حيث تجزى
كل نفس بما كسبت ، فلا تظلم
مثقال ذرة .

أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد ؟ !

قال الزبير بن العوام : لقد
قرأناها « آية الأتقال » وما نرى
انا من أهلها ، فاذا نحن من
أهلها .

ويقول ابن الجوزى فى تفسيره
لهذه الآية « أمر الله المؤمنين أن
لا يقروا المنكر بين أيديهم أو
بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب » .

وبعد ، فان من حماقة بمكان
أن يجهل المرء مكانه وزمانه
واحوانه ، وأن لا ينفق فى
الصالحات امكانه فى أول فرصة
تواتى ، فالفرص لا تواتى دائما ،

معوض عوض ابراهيم

« من أقوال الحكماء »

اذا سالت كريما حاجة فدعه يفكر ، فانه لا يفكر الا
فى خير ، واذا سالت لثيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه
طبعه أن لا يفعل .

الوليد بن يزيد وتبعات الحكم

الأستاذ السيد حسن قرون

ووجدانه ، وأن يبصر بسيرة
السلف تبصرة تملك عليه حواسه ،
وتجعله يراهم أمامه فى كل أمر
يقدم عليه ، فلا تغيب عنه سيرة
النبي صلى الله عليه وسلم ولا سيرة
خلفائه الراشدين ، وسيرة أقرب
الناس إليه عمر بن عبد العزيز ،
ولكنه نشأ فى بيت يتسم بالتدليل
والتهاون فى شئون الدين ، فأبوه
يزيد بن عبد الملك كان صاحب
خلاعة ومجون ، واهتمام بالغوانى
والغناء ، وكم رام بنو عبد الملك
حرمانه من الخلافة فكانوا يذكرون
وصية أبيهم ، لأنه ابن عاتكة
بنت يزيد بن معاوية ، ولولا مسلمة
أخوه كان بجواره أثناء حكمه
لفسدت الدولة ودب فيها الوهن ،
وفيه يقول أبو حمزة الخارجى من
خطبة له مشهورة تحدث فيها عن
عهد الحكم منذ رسول الله يقول

فى سنة خمس وعشرين ومائة
من الهجرة وفى يوم الأربعاء لست
خلون من ربيع الآخر ببيع الوليد
ابن يزيد بالخلافة بعد وفاة عمه
هشام بن عبد الملك ودعى أمير
المؤمنين ، وخطب بالامام فى
الشعر ، ولو نظر الذين بايعوه
نظرة اسلامية لامتنعوا عن تلك
البيعة ، ولأراحوا أنفسهم من
العبث واللهو والمجون ، وإشاعة
المظالم بين أمة فتية لها مكاتنها
فى عالمها وقتئذ ، إذ أن الخلافة
الاسلامية توجب على متقلدها أن
يكون غفيف اليد واللسان وجميع
الجوارح ، وأن تكون التقوى
حليته ، وحمل الأمانة مطلبه ، وأن
يكون الايمان بالله ورسوله مظهره
فى كل ما يأتى وما يذر من الأمور ،
وأن يعد لذلك من صغره اعدادا
سليما ، يشمل جسمه وعقله

عنه : « ثم ولي يزيد بن عبد الملك الفاسق فى بطنه ، المأبون فى فرجه الذى لم يؤنس منه رشد ، وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى : » فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » فأمر أمة محمد أعظم ، يأكل الحرام ، ويشرب الخمر ، ويلبس الحلة قومت بألف دينار ، وقد ضربت فيها الأبشار (ظهور الرعية) وهتكت فيها الأستار ، وأخذت من غير حلها ، (حباية) عن يمينه ، و (سلامة) عن يساره تغنيانه حتى اذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه ، ثم التفت الى احدهما ، فقال : ألا أظير ؟ نعم « فطر الى لعنة الله وحريق ناره ، وأليم عذابه » هذا الرجل هو الذى تربى فى حجره الوليد ، وقد كان الوليد فى الحادية عشرة من عمره حين ولي أبوه الخلافة ، ولا شك أنه رأى منه ما تحدث عنه أبو حمزة الخارجى ، بل رأى أباه حين ماتت حباية يمنع دفنها ، وينكب عليها يتشممها أياما حتى أتتت ، وأجبر على دفنها ، فخرج بين يدي

نعشها حتى اذا بلغ القبر نزل فيه ، ورجع الى قصره مريضا ولم تمض سبع عشرة ليلة حتى لحقها . فنشأ ابنه على غراره كلفا بالنساء ، مدمنا للخمر ، متهتكا فى رحلاته لا يصحب الا الماچنين ، وزاد الطين بلة عمه هشام ، اذ كان يكرهه وهو ولي عهده ، ويريد أن يجعلها فى ولده ، فأهمله اهمالا تاما كأن الأمر لا يعنيه ، وكأن أمة محمد بلغ بها الهوان أن يكون على رأسها الفاسقون ، وقد أراد شيئا وأراد الله غيره ، فلم يتهيا له على مدى عشرين عاما من حكمه أن يتخذ قرارا بخلعه من ولاية عهده ، شغل نفسه ومستشاريه وولاته بشأن الوليد واقصائه عن مجالسه ، وتشويه سمعته ، ومحاربة من يتصل به ، أو من يعارض أن ينقل العهد من شخص الى آخر حتى استهلك عقله وهو حصيف وجهده وهو جليل الى درجة أن هزيمة بلاط الشهداء شمال الأندلس لم تهزه ، فيرسل من عنده جيشا كثيفا يعيد الهبة للمسلمين فى الأندلس بعد تلك الهزيمة التى صارت

فليت شعري : ما دينك ؟ فما أدري
على الاسلام أنت أم لا ؟ فكتب اليه
الوليد ، وكان شاعرا مجيدا :

يا بها السائل عن ديننا
نحن على دين أبي شاعر
نشرهبا صرفا ومزوجة
بالسغن احبانا وبالفان

وينبغي أن نذكر أن أبا شاعر
المنوه به هو مسلمة بن هشام
المرشح لولاية العهد بدل الوليد ،
وكان يكنى أبا شاعر لرجل بهذا
الاسم مولى لبنى أمية كان يتصف
بالجد والرزانة والعمل الحميد ،
ولذا غضب هشام على ابنه وابنه
غير مسئول عن شعر الوليد وقال
له : يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك
للخلافة فالزم الأدب ، واحضر
الصلوات .. وولاه موسم الحج
سنة ١١٧ هـ فأظهر مسلمة النسك
وقسم بمكة والمدينة أموالا ،
فقال رجل من أهل المدينة :

يا بها السائل عن ديننا
نحن على دين أبي شاعر
الواهب البزل (١) بارسانها
ليس بزنديق ولا كافر

يعرض بالوليد • ولكن قولة
الوليد مضت فغضت من مركز

حاسمة سنة ١١٤ هـ ، ولو وقعت
الواقعة في غير عهده لقلنا : ان
الخليفة ضعيف الهمة واهن العزيمة
أما أن تقع في عهد هشام ثم
لا يتحرك فتلك هي الطامة الكبرى ،
وأساسها في نظري شغله بأمر ولاية
العهد •• نظر الوليد حوله فوجد
قسوة بالغة بعد تدليل ، وجفاء
غليظا بعد تقريب لطيف فترك نفسه
على سجيته ، وهو مهيا لما انغمس
فيه ، وانجرف اليه ، بل كان دائم
التبدي ، يتخذ من الصحراء مثابة
وأما معه خلطاؤه من مغنين وطلاب
متع ، يسمعون الأغاني ويشربون
ويعربدون ، ويتحدثون عن الأحوال
الخليفة هشام بما يرضى هوى ولى
العهد ، وأخباره وآثاره تعمّر
مجالس هشام ، وينعتونه بأحط
الألقاظ ، وأحوال هشام : محمد
وابراهيم من بنى مخزوم يزينون
خلعه ، وابن شهاب الزهري يفتي
بخلعه ، وعيون الوليد تبلغه
ما يحدث في غيبته •

كتب هشام الى الوليد : ما تدع
شيئا من المنكر الا ارتكبتة ،

(١) الأبل استكملت الثامنة وطعنت في السنة التاسعة الواحد بازل .

به عارف. قال : سعيد : ابن أمير المؤمنين . قال مرحبا بك . ثم أقبل على أبي الزبير فقال : من أنت ؟ فقال أبو الزبير : مولاك أيها الأمير . فقال : مرحبا بك . ثم أقبل على خال الخليفة وهو يكنى له العداة فقال : من أنت ؟ قال : ابراهيم بن هشام بن اسماعيل ، فقال : من اسماعيل ؟ فقال : اسماعيل بن هشام بن الوليد ابن المغيرة . فقال : من الوليد بن المغيرة ؟ والوليد بن المغيرة رجل عظيم عند بني مخزوم وعند قريش فقال : الذي لم يكن جدك يرى أنه في شيء حتى زوجه أبي ، والخليفة بعض ولد ابنته . فقال الوليد : يا بن اللخاء ثم تصارعا وأقبل هشام فقبل لهما : قد جاء أمير المؤمنين ، فجلسا وكفا . قال الرواة ، فما كاد الوليد يتنحى عن صدر مجلسه إلا أنه زحل له قليلا . فجلس هشام وقال : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالح . قال : ما فعلت برابطك ؟ قال : معملة . قال : فما فعل ندمائك ؟ قال صالحون ، ولعنهم الله ان كانوا شرا ممن

مسلمة ، بل ان خالد بن عبد الله القسري أعلن في فكاهة : لا يكون خليفة يكنى « أبا شاعر » فجلب عليه هذا القول العزل من ولاية العراق والتنكيل به ، مما أثار اليمانية على الخلافة ، ويذكر صاحب الأغاني أن خالدا القسري قال : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاعر .

ولم يكن الوليد ليحبس في موقف من المواقف ، بل كان جريئا يطالب بحقه ، ويدحض مقالة من يتصدى له ، وكم له من صولات مع مناوييه ولو وجد من يقومه ويهديه ويزين له العمل الشريف لرجع الى الحسنى ، فقد كان يحسن الرد ، والهزء بمن يسخر منه ، وفي أخباره كثير مما جبه به خصمه لو كان الخليفة نفسه ، من ذلك أنه دخل يوما مجلس هشام وفيه سعيد بن هشام ، وابراهيم ابن هشام المخزومي خال الخليفة وأبو الزبير مولى مروان وليس هشام حاضرا ، فجلس الوليد مجلس الخليفة ، ثم أقبل على سعيد ابن هشام فقال له : من أنت ؟ وهو

(أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي) وهى بنت أخى الحجاج والى العراقيين وينتهى نسبه من جهة أمه الى عروة بن مسعود الثقفي ، وهو عظيم القريتين •

وفى القرآن الكريم : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » والقريتان مكة والطائف ، وعظيم مكة (الوليد بن المغيرة) وعظيم الطائف (عروة) وكان المنتظر ممن يحمل على كتفه هذا النسب العريق والحسب الحسيب أن يكون على مستوى المسئولية العظمى ، وأن يكون له ممن ذكرهم نصيب ولكنه تركهم وما أتوا به من أعمال كبار الى مذهب أبيه ، وديدنه فى حب الغانيات وما يلزمهن من غناء وطرب ، وصحاب ليس لهم من الدنيا أدب الا معايرة الصهباء ، والتغنى بها فى البدو والحضر •

ومن محاورة هشام وولى عهده يتبين لك أن بطانة الخليفة موضع للطمع كما أن بطانة ولى العهد مظنة اللوم والمواخذة

يحضرك • فقال هشام : يا بن اللئناء ، جئوا عنقه أى اضربوه ، فلم يفعلوا ودفعوه رويدا • فقال الوليد :

انا ابن أبى العاصى وعثمان والدى ومروان جدى ذو الفحال وعامر انا ابن عظيم القريتين مرها ثقيف ، وقهر والمصاة الاكابر نبى الهدى خالى ومن يك خاله نبى الهدى يفخر به ويكابر

واذا نظرت الى فخره وجدته صادقا كل الصدق ، فقد حوى نسبه المجد من جميع أطرافه ، فأبو العاصى جده فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومروان جده وهو خليفة وعامر من بنى عبد شمس وقرابته ترجع الى أمهات عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، ومن هذه الامهات من تصل به الى أروى أم عثمان بن عفان ، وأروى بنت البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، ولهذا عد النبى صلى الله عليه وسلم من أخواله وعثمان من آبائه ، وفهر هو قريش • أما صلته بعظيم القريتين فيرجع الى أمه فهى

عبد الرحمن ، لا أن يحرم حقه فيما اقتضته سياسة الدولة ، ولو أحصيت أصحاب الوليد لوجدتهم يعدون على أصابع اليد الواحدة ، ولكنهم مع تبذلهم يملكون عقولا راجحة ، وثقافة واسعة ، وعيهم الوحيد وهو جماع المنكرات اتباع الوليد فيما يهتف به ، ويعيش له ، منهم عبد الصمد مؤدبه ، وابن سهيل كاتبه ، وعمر الوادى مغنيه ، وقد ينضم الى من ذكرت ابن عائشة ومعهده وهؤلاء المذكورون يصلحون للحياة العامة ولا يصلحون جلساء لخليفة أو ولي عهد .

ولم يسكت الوليد فكتب الى عمه يذكره بحقه ، وينذره بعقاب الله له ، ويدعوه الى النظر فيما قضى به ليراجعه ودعا له بالتوفيق وكعهده ختم الكتاب بشعر من نظمته منه :

اليس عظيما أن أرى كل وارد
حياتك يوما صادرا بالنوافل ؟
وأرجع معهود الرجاد مصرا
بتحللة (١) عن ورد تلك المناهل

فكل بطانة همها دوام ما فيه من عيش ، ومن ثم كان الرياء من شيم البطاتين ، أحدهما تزين للخليفة موقعه من ولاية العهد والحكم والأخرى تدفع بالوليد الى المزيد من الفسوق والخلاعة ، وكلتاها دون قصد تضرب ملك بنى مروان فى صميم المقاتل ، فالناس قريبو عهد بالحكم الجاد والانطلاق نحو الشعوب لنشر راية الاسلام ، وبث العدالة فى جميع الآفاق ، وأول نذر الظلم من هشام لابن أخيه أنه حرمه مخصصاته المالية ، اذ كان لكل أمير عطاؤه كما أن لجميع أبناء القبائل حقا فى الأموال تصل اليهم فى المدائن والقرى ، بل ان الموالى جعلوا كالعرب فكان لهم اعطياتهم ، فأفرد الوليد بالحرمان ، والحجة أن له أصدقاء سوء ينفق عليهم فيما حرمه الدين ، وكان الواجب الدينى حسب ما كان على عهد عمر أن يقدموا للمحاكمة ومن ثبت عليه شرب الخمر أقيم عليه الحد كما فعل عمر بن الخطاب مع ابنه

فكان الرد من هشام انه قطع عنه
أرزاقه تقربا الى الله تعالى ، ونوه
بابن سهيل قائلا : « وهل زاد ابن
سهيل لله أبوك » على أن كان زفانا (٢)
معنيا قد بلغ من السفه غايته «
ونصحه بالكف عما هو فيه ، وكتب
في أسفل الكتاب :

إذا أنت سامحت الهوى فادك الهوى

الى كل ما فيه عليك مقال
وقد كان يحسن أن يضم اليه
ابن أخيه ويجعل نصيحته سرا
ويدفعه الى الجد دفعا ، ولا يترك
لهؤلاء الملتفين حوله مجالا ، وإذا كان
الوليد قد ابتلى بجفاء عمه ، ورفقة
السوء التي لا تفارقه ، فقد كان
سيئ الحظ في زواجه ، أو قل
هو سبب نكبته في زواجه وكيف
كان ذلك ؟ قال السرواة : تزوج
الوليد وهو في شرخ الشباب
« سعدة بنت سعيد » حفيدة
عثمان بن عفان ، وكانت جميلة .
ومرض أبوها سعيد فأتاه الوليد
عائدا فدخل فلمح « سلمى بنت
سعيد » أخت زوجته ، وكانت
فارعة فوقعت في قلبه . كان ذلك
في عهد أبيه فلما مات طلق زوجته

سعدة ، وخطب سلمى الى أبيها ،
وتدخلت أخت لهما ثالثدكانت زوج
هشام فبعثت الى أبيها : أتريد
أن تستفحل الوليد لبناتك ؟ يطلق
هذه وينكح هذه ، فلم يزوجه
سعيد ، وردة أقبح رد .

ولكنه ندم ، وتبين له أنه يجب
زوجته المطلقة ، وراسلها وقد
تزوجت غيره ، وهذا يدلك على
هوجه وهوسه وجنون شبابه .
بل لجأ الى حيلة للتأثير عليها ،
ولا بأس من ذكرها . بعث الى
أشعب المضروب به المثل في الطمع
فقال : يا أشعب ، لك عندى عشرة
آلاف درهم على أن تبلغ رسالتى
سعدة . فقال : أحضر عشرة الآلاف
درهم حتى أنظر اليها ، فأحضرها
الوليد ، فوضعها أشعب على
عنقه ، وقال : هات رسالتك .
فقال : قل لها :

اسعدة هل اليك لنا سبيل

وهل حتى القيسامة من ثلاث

فاصبح شامتا ، وتقر ميني

ويجمع شملنا بعد افتراق ؟

فأتى أشعب الباب ، فأخبرت
بمكانه ، فأمرت بفرش لها ففرشت

يرى سلمى أخت سعدة فلقية زيات
 معه حمار عليه زيت فقال : هل
 لك أن تأخذ فرسى هذا وتعطيني
 حمارك وما عليه وتأخذ ثيابي
 وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات
 ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب
 وبين يديه الحمار يسوقه متنكرا
 حتى دخل قصر سعيد ، فنادى :
 من يشتري الزيت ؟ فاطلع بعض
 الجوارى فرأينه ، فدخلن الى سلمى
 فقلن لها : ان بالباب زياتا أشبه
 الناس بالوليد ، فأخرجى فانظرى
 اليه ، فخرجت فرأته ورآها ،
 فرجعت القهقري وقالت : هو والله
 الفاسق الوليد وقد رآنى . فقلن
 له : لا حاجة بنا الى زيتك ،
 فانصرف وهو يقول شعرا .
 وسيكون له معها شأن بعد أن
 يتولى الخلافة .. كل هذا كان
 يفعل ، وهو ضيق الصدر ، تأته
 العقل ، ضيئل الصبر ، قد حاصره
 الخليفة وضيق عليه وحرمه المال
 والراحة والسكينة وجعل حرمانه
 قربانا لربه ، ثم هو لا يأوى الى
 بيت مستقر يجد فيه زوجا تنتظره ،
 أو رفيقة تعينه وتفسح له الأمل

وجلست فأذنت له ، فلما دخل
 أنشدها الرسالة . فقالت لخدمها :
 خذوا الفاسق . فقال : ياسيدتى ،
 انها عشرة آلاف درهم ، فقالت
 والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني .
 قال : وما تهين لى ؟ قالت : بساطى
 الذى تحتى ، قال : قومى عنه
 فقامت وطواه . ثم قال : هاتى
 رسالتك . قالت : قل له :

أتبى علىبنى وانت تركتها
 فقد ذهبت لبنى فما انت صانع ؟

ووصل الى الوليد برسالتها ،
 فأنشده البيت . فقال : أوه قتلتنى
 يا بن ... ، اختر اما أن أدليك على
 رأسك منكسا فى بئر أو أرمى بك
 من فوق القصر ، أو أضرب رأسك
 بعمودى هذا ضربة ، هذا الذى
 أنا صانع . فقال : ما كنت لتفعل
 شيئا من ذلك ، قال : ولم ؟ قال
 أشعب : ما كنت لتعذب عينيّن نظرتا
 الى سعدة . قال : صدقت والله ،
 أفلت والله . اخرج عنى .

وقد فعل ما هو أخزى مع
 سلمى التى رد عن خطبتها يقول
 أبو الفرج فى الأغاني : ذكر أن
 الوليد بن يزيد خرج يوما يتوقع أن

لم يزل محبوسا حتى نزل بهشام
أمر الله • وتقول الرواية ان عياضا
حين علم بما نزل بهشام أمر الخزان
ألا يتصرفوا فى أى درهم أو
دينار ، وخرج من السجن فختم
الأبواب والخزائن ، وأمر بهشام
فأنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفنوه
من الخزائن ، فكفنه غالب مولى
هشام ، ولم يجدوا له اناء من
نحاس حتى استعاروه •

وقد عبر عما جرى هشام فى
آخر لحظة فى حياته اذ قال : « أرانا
كنا خزانا للوليد » ويعقب صاحب
الأغانى على هذا بقوله : « ذكر
أن هشام بن عبد الملك كانت تحمل
ثيابه على اربعمائة ظهر ، وأفضى
الحال عند موته الى أن لم يوجد
له كفن حتى كفنه « غالب » هذا .
فسبحان من لا يزول ملكه •

تولى الوليد بن يزيد الخلافة
وعيون الناس ناظرة اليه ، متوجسة
منه خيفة ، لا يرونه أهلا للحكم ،
وقد نجحت فيه دعاية عمه فجعلته
موضع الطعن والزراية عليه ، ولو
كان موفقا لأقطع عما رمى به ، وذاع

فعل على أن يهرب ، أن يهرب الى
الصحراء فاستدعى كاتبه أبا الزبير
المنذر بن عمرو فلباه فقال له يا أبا
الزبير ، ما أتت على ليلة أطول من
هذه الليلة ، عرضت لى أمور ،
وحدثت فيها نفسى بأمور ، وهذا
الرجل - يعنى الخليفة - قد أولع
بى فاركب بنا تنفس ، قال أبو
الزبير : فركب وركبت معه ، وسرنا
مليين ، ووقف على تل ، وجعل
يشكو هشاما اذ نظر الى رهج قد
أقبل وسمع قعقة البريد ، فتعوز
بالله من شر هشام ، وقال : ان هذا
البريد قد أقبل بموت وحى ، أو
بملك عاجل • فقلت : لا يسوءك
الله أيها الامير بل يسرك وييقئك
أبدا ، اذ بدا رجلان أحدهما مولى
لآل أبى سفیان بن حرب فلما قربا
رأيا الوليد ، فنزلا يعدوان حتى
دنوا فسلما عليه بالخلافة ، فوجم ،
وجعلا يكرران عليه التسليم
بالخلافة • فقال : ويحكما ! أمت
هشام ؟ قالوا : نعم • قال : فمرحبا
بكما ما معكما ؟ قالوا : كتاب مولانا
سالم بن عبد الرحمن وسأل عن
عياض بن مسلم كاتبه • فقالوا :

وجل لك من نعمه واحسانه .
فقال : نعم ولكن :

أشهد الله والملائكة الأبرار
والمأبددين أهل الضلال

أننى اشتهى السماع وشرب
الكاس والمعنى للخبود الملاح

والنديم الكريم والخادم الفاره
يسمى الى بالإقصاد

قوموا اذا شئتم ، ولا شك انهم
قاموا يحملون حزنا وألما ،
وينظرون الى مستقبل خيف لدولتهم
ومكائتهم ، فان أعداءهم فى ذلك
الحين يتربصون بهم الدوائر ،
ويشيرون الشعوب ضدهم ،
ويشبهون فسقهم وجورهم ،
وليس هناك أشنع مما يصنع الوليد
ومن الغريب أنه يذكر المجنون
مقرونا بالامامة . يقول والشعر
يروى :

اشرب الراح وأهوى
كل مضيقون اللؤبابه

انا للناس امام
غير ائى ذو صبابه

ويخرج على المألوف من أمثاله ،
فيمستخدم تقوده فى زواجه بسلمى
بنت سعيد ، وقد رد عنها حين
كان ولى العهد فلما صار أمير

عنه ، فأظهر العدل والصفح وسلك
سبيل من افتخر بهم ممن انتسب
اليهم من السادة الججاجح ، والولاة
الأمائل ولا سيما رسول الله سيد
الخلق صلوات الله عليه . ولكنه
كان يحمل قلبا مفعما بالحق ، تواقا
الى سفك الدماء ، نظارا الى شئ
غيره ، متجها الى ارضاء نفسه ،
والنفس أمارة بالسوء ، فكان أول
أمر أصدره الفتك بخالى الخليفة :
محمد و ابراهيم ابني هشام
المخزومي ، أمر بتعذيبهما وقتلهما
واستقبل خلافته بشكر النعمة
وشكرها سكرة قبل الظهر على
آيات له تغنى هي :

طلب يومى ولذا شرب السلافه
اذ اتانا نعى من بالرصاصه

واتانا البرية نعى هشاما
واتانا بخاتم للخلافه

فاصطبحننا من خمر عانة (١) صرفا
ولهونا بقينة مزافه

وبعث الى جماعة من أهله فلما
حضرُوا قال : أتدرون لم دعوتكم ؟
قالوا : لا . قال : ليقل قائلكم ،
فقال رجل منهم : أردت يا أمير
المؤمنين أن ترينا ما جدد الله عز

(١) بلد على الفرات مشهورة بالخمير .

فقال : أسجما علقوه : ثم أخذ
القوس والنبل فرماه حتى مزقه •
ثم قال :

اتومد كل جبار عنيد
نهانكا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل ياربى : مؤقنى الوليد
ويروون عن تهتكه فى خلافته
أنه واقع جارية من جواريه وهو
سكران فلما قرغ منها آذنه المؤذن
بالصلاة فحلف ألا يصلى بالناس
غيرها ، فخرجت وهى متلثمة
فصلت بالناس •

وبعث الى « شراعة بن
الزندبوذ » وهو من المجان الندماء
فلما قدم عليه : قال ياشراعة ، انى
لم أحضرك لأسألك عن العلم ولا
لاستفتيك فى الفقه ، ولا لتحدثنى
ولا لتقرئنى القرآن • فقال له
شراعة : لو سألتنى عن هذا لوجدتنى
فيه حمارا • قال الوليد : كيف
علمك بالفتوة ؟ قال : ابن بجدتها ،
وعلى الخير بها سقطت ، فسل عما
شئت • قال : كيف علمك
بالأشربة ؟ قال : يسألنى أمير
المؤمنين عما أحب • قال : ما قولك
فى الماء ؟ قال هو الحياة ويشركنى

المؤمنين أجبر أباهما على قبوله
زوجا لها ، وزفت اليه ، ولكن الله
حرمه إياها فلم تلبث معه الا مدة
يسيرة حتى ماتت

وكل أفعاله وأقواله تدنيه سريعا
من الهاوية ، بنو أبيه ينكرون
ما يأتیه ، وخصوم بنى أمية
يحصون ما يقوله وما يفعله وهو
لا يكف عن العبث ، وكأنه موكل
بالإساءة الى نفسه ، وما تزال
الدولة الإسلامية فى غضاضة
البدواة لم تصبها عقايل الحضارة
وكانه وجد فى زمن غير زمانه ،
ويروى عنه أشياء لو صحت لكان
من أكبر العصاة وفى مقدمة أئمة
الكفر فحادثة تمزيق المصحف لو
صحت هى وحدها كفيلا باهدار
دمه ، فكل الكتب التى أرخت
لخلافته القصيرة ، وكتب الأدب
ذكرت أن الوليد دعا ذات ليلة
بمصحف فلما فتحه صادف ورقة
فيها :

« واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيد • من ورائه جهنم ويسقى من
ماء صديد » •

السعى الى الوثوب عليه وقتله
ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد
الملك ، فانه كان متعبدا ينكر
الفسوق والانحراف عن السلوك
الحميد ، فدعا الى البيعة لنفسه ،
فمشى الى أخيه « العباس بن
الوليد » وكان امراً صدق ، وكان
أحرص بنى أمية على الاتفاق
والنفور من الشقاق ، والعمل على
وحدة البيت المالك ، ولذا لم يقبل
ما دعاه أخوه اليه من الخروج على
الوليد وقتله ليكون غيره خليفة
بعده ، وكم حذر من الخلاف ،
وأنه سبيل الادالة من بنى مروان .
ولكن يزيد جد فى أمره وجمع
الأعوان حوله ، وأخذ يتنقل فى
المدن والبوادي ليضمن النصر
لنفسه عند الوثوب . جاء من
جرود الى دمشق فنزل ومن معه
على مولى لعباد بن زياد ثم تناولوا
الطعام عنده ، ومضوا مشاة الى
المزة الى معاوية بن مصاد ، ثم
خرج الى دمشق ، وصلى العشاء
هو وأصحابه ، وناموا بالمسجد
وراسلوا أصحابه فى جميع الأنحاء
فلما طلع الصباح وأقبل الناس على

فيه الحمار . قال فاللين ؟ قال :
ما رأيته قط الا ذكرت أمي
فاستحييت . قال : فالخمر ؟ قال :
تلك السارة البارة وشراب أهل
الجنة . قال : لله درك . قال :
فأى شئ أحسن ما يشرب عليه ؟
قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على
وجه السماء فى كن من الحر
والقر كيف يختار عليها شيئاً ؟

وزاد على ذلك أنه عربد ليلة
على منادمه فقتله ، واسم منادمه
القتيل : القاسم بن الطويل العبادي
وكان أديبا ظريفا شاعرا ، وقد ندم
حين صحا من سكره وأخذ فى
رثائه ، ويكرر بين جواريه ما أبالى
متى جاءنى الموت بعد ابن الطويل
.. والموت يتربص به ولا يتركه
لفساده .

اجتمع على عداوة الوليد من
يعملون للدنيا ومن يعملون للأخرة
كما شارك فى قتله بنو أبيه وبنو
خصومه وطلاب الثأر منه ، وكان
أحفاد عبد الملك جلهم ضده وفى
مقدمتهم أبناء هشام ، وكان أشد
الناس عداوة له ، وأقواهم فى

فتفرق الناس عن الوليد وأتوا
العباس ، وأراد الوليد القتال
فلبس الدروع ولكنه لم يجد
حوله من يقف بجانبه ، وتنادى
الناس بقتله ورموه بالحجارة ،
فدخل القصر وأغلق بابه ، وأخذ
ينشد شعرا منه :

خذوا ملكهم لانبت الله ملكهم
ثباتا يساوى ما حييت عقلا
وأغرب ما يروى عنه أنه حين
أغلق بابه قال لعمر الوادى يا جامع
لذتى غننى بهذا الشعر فغناه به ،
والجنود تحيط بقصره وأراد أن
يخاطب من تجمعوا من وراء الباب
فقال : أما منكم رجل شريف له
حسب وحياء أكلمه ؟ فقال له يزيد
بن عتبة السكسكى : كلمنى ،
فقال الوليد : يا أخا السكاسك ،
ما تنقمون منى ، ألم أزد فى
أعطياتكم وأعطية فقرائكم ؟
وأخدمت مزناكم ، ورفعت عنكم
المؤن ؟ قال : ما تنقم عليك فى
أنفسنا شيئا ، ولكن ننقم عليك
اتتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ،
ونكاح أمهات أولاد أبيك ،
واستخفافك بأمر الله عز وجل .

بيعته واستمرت الوفود الى الظهر ،
تمثل بقول النابغة مشييرا الى
جنده :

إذا استنزلوا عنهن للظن ارفلوا
الى الموت ارقال الجمال الصامب

فجعل أصحابه يتعجبون
ويقولون : انظروا الى هذا كان
قبيل الصبح يسبح وهو الآن
ينشد الشعر ، ثم أمر ابن عمه عبد
العزيز بن الحجاج بن عبد الملك
فوقف بباب الجاية فنادى : من
كان له عطاء فليأت الى عطاءه ،
ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم
معوثة ، فبايع له الناس وأمر
بالعطاء وتجمع له جيش كبير سار
به الى الخليفة الوليد وهو بقصره
بموضع يقال له البخراء بالبرية
وكان العباس بن الوليد غير راض
عن تلك الثورة ولكن عبد العزيز
ابن الحجاج أمسك به وقال له
بايع ليزيد ، فبايع مكرها ووقف
ونصبت راية • وقالوا : هذا
العباس قد بايع ، وفادى المنادى :
من لحق بالعباس بن الوليد فهو
آمن • فقال العباس : خدعة شيطان
انا لله هلك والله بنو مروان •

وضربه السرى على وجهه
ضربة ، وجروه ليخرجوه فصاحت
امراة بالدار فكفوا عنه ، واحتز
رأسه أبو ثلاثة القضاعي ، وقدم
بالرأس على يزيد بن الوليد بن
عبد الملك وهو بدمشق روح بن
مقبل فقال : أبشر يا أمير المؤمنين
بقتل الفاسق فأحسن صلته •

قال ابن عبد ربه فى العقد
الفريد : قتل بالبخرى من تدمر
على ثلاثة أميال يوم الخميس
لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة
سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن
خمس وثلاثين سنة وكانت ولايته
سنة وشهرين واثنين وعشرين
يوما •

وكان مقتله ايذانا بمقتل بنى
أمية ، وما ربك بظلام للعبيد •

السيد حسن قرون

فقال : حسبك يا أبا السكاسك ،
فلعمري لقد أغرقت وأكثر ،
وان فيما أحل الله سبحانه لسعة
عما ذكرت •• ورجع الى داخل
قصره يائسا فجلس وأخذ المصحف
وقال : « يوم كيوم عثمان » ونشر
المصحف يقرأ ولم يصبر عليه
الثوار ، فتسلقوا الحائط ، وكان
أول المتسلقين يزيد بن عنبسة فنزل
وسيف الوليد الى جنبه ، فقال له
يزيد : نح سيفك • قال الوليد :
لو أردت السيف لكافيت لى ولك
حال غير هذه فأخذ بيده وهو يريد
أن يدخل به بيتا ويؤامر فيه ،
فنزل من الحائط عشرة منهم
منصور بن جمهور وعبد الرحمن
ابن رواحة مولى يزيد بن عبد الملك
والسرى بن زياد بن أبى كبشة ،
فضربه ابن رواحة على رأسه

مبادئ الاستطلاع في المدرسة العسكرية الإسلامية

للواء محمد جمال الدين محفوظ

والغزوات التي جرت في عصر النبوة ، وقد اخترنا منها بعض الأمثلة التي برزت فيها هذه المبادئ بوضوح وجلاء .

سرية عبد الله بن جحش :

في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الأسدي ومعه ثمانية من المهاجرين ، وكتب له كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحدا .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين ، فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فاذا فيه :

... إذا نظرت في كتابي هذا ، فامض حتى تنزل « نخلة »

يقرر العلم العسكري مبدأ يقول : « يؤسس القائد خطته في الميدان على ما لديه من معلومات ، وكلما كانت المعلومات وافية ودقيقة ، كان الأمل في نجاح الخطة كبيرا . » لذلك فمن الواجبات الضرورية لجميع القادة اتخاذ كل ما من شأنه أن يزودهم بالمعلومات عن العدو ونواياه وحركاته الى غير ذلك من المعلومات .. » .

ولقد غنيت المدرسة العسكرية الإسلامية بالاستطلاع وقررت له عدة مبادئ تقترب منها المبادئ المعمول بها في الاستطلاع في الحرب الحديثة .

ونستطيع أن نستخلص مبادئ الاستطلاع في المدرسة العسكرية الإسلامية من تحليل السرايا

الامر الأول : ان الظروف والأحوال الاستراتيجية التى سادت شبه الجزيرة قبل تنفيذها تكشف عن أفق مشحون بالتربص ونذر الخطر وبالنوايا العدوانية ضد المسلمين سواء من ناحية قريش أو المشركين من الأعراب المجاورين للمدينة أو مشركى ومنافقى المدينة أو من ناحية اليهود .

والامر الثانى : ان هذه السرية تعد - من وجهة نظر العلم العسكرى - عملا من أعمال الاستطلاع الحربى ، يكشف لأول مرة عن كثير من مبادئ الاستطلاع فى المدرسة العسكرية الاسلامية ، ويبرز الدور الخطير الذى يؤديه الاستطلاع فى تحقيق الأمن للأمة الاسلامية .

مبادئ الاستطلاع :

أولا : الاستطلاع ضرورة حيوية :

وأول هذه المبادئ هو أن الاستطلاع ضرورة حيوية سواء للتخطيط الاستراتيجى أو لإدارة المعركة ، وأنه لا بد أن يسعى القائد الى معرفة أكبر قدر من المعلومات

(بين مكة والطائف) فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من اخبارهم» .

فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : « سمعا وطاعة » ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى الى نخلة أرصد بها قريشا ، حتى آتية منها بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد .

سيرة ابن هشام :

ولعل أهم ما نلاحظه أن بعث هذه السرية جاء على رأس سبعة عشر شهرا من مقام المسلمين فى المدينة بعد الهجرة وقبل غزوة بدر الكبرى بشهرين ، تلك الغزوة التى تعد أول صدام مسلح له أبعاده وآثاره الاستراتيجية فى الصراع الطويل بين الاسلام وأعدائه ، من أجل ذلك فان هذه السرية ذات أهمية ترجع الى أمرين :

« فى الحرب العالمية الثانية » .
 فمن أسباب هزيمة نابليون اهماله
 النصائح التى سمعها فى مجلس
 الحرب من بعض الثقات قبل
 التوغل فى الحرب الروسية ،
 لاعتقاده خطأ أن القيصر سيطلب
 صلحه بعد أسابيع . ومن أسباب
 تلك الهزيمة أن الروس كانوا
 يتراجعون أمامه تحت جنح الظلام
 ويخلون المدن والطرق حتى
 لا يرى فيها ديارا يسأله عن مكان
 الجيش المتراجع أو يلتقط من
 خلال أجوبته ما يعينه على
 الاستطلاع الذى كان شديد
 التعويل عليه . . أما هتلر فقد أتى
 من قبل هذين النقصين كما أتى من
 قبله من هو أعظم منه وأولى
 بالتحرز والأناة . فقد اشتهر أنه
 كان فى مجلس الحرب على خلاف
 مع قواده الثقات الذين علموا من
 شأن الروس ما ليس له به علم . .
 واشتهر أنه أخطأ فى استطلاع
 أخبار القوم اذ خيل اليه أن الشعب
 الروسى يتحفز للثورة ويتربق

عن عدوه من حيث كفاءته القتالية
 وأسلحته ، وأساليه فى القتال ،
 وعن مصادر قوته من الناحية
 الاقتصادية والسياسية والاجتماعية
 وعن أهدافه ونواياه . . الى غير
 ذلك من المعلومات .

يقول الاستاذ عباس العقاد (١):
 « أما غرض البعثة كلها (أى سرية
 عبد الله بن جحش) وهو
 الاستطلاع ، فقد كان النبى عليه
 السلام عليما بمزاياه معنيا به غاية
 العناية ، يحسب العدو المجهول ،
 كالعدو المستتر بأسوار الحصون ،
 فى حى من الجهل به ، قد يحول
 دون الاستعداد له بالعدة الضرورية
 فى الوقت الضرورى ، ويحول من
 ثم دون الانتصار عليه .

والحرب الروسية تذكرنا كيف
 أصيب نابليون فى هذا الميدان
 حيث أصيب فى وسائل الاستطلاع،
 ثم تذكرنا كيف تكررت هذه
 الغلطة بعينها على نوع من المشابهة
 بين غزوة نابليون فى روسيا
 أمس، وغزوة هتلر لتلك البلاد اليوم

٣ - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخفى عن أهل المدينة مسلمين وغيرهم ، أمر هذه السرية حتى لا يتسرب أى خبر الى الأعداء فتفسد الخطة المترتبة على ذلك .

ولرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حكمة فى كتمان أمر تلك السرية عن محيطون به ، فليس يبعد أن يكون منهم جاسوس من قبل قريش ، ولا أن يكون منهم من يبوح بالخبر عن سذاجة ، لا يريد به السوء ، أو لا يدرك ما فى البوح به من الخطر المنظور ، ولا يبعد أن يكون فيهم ضعيف النفس يفشى السر بتأثير مال أو ضغط ، وفى هذا تحقيق كامل لسنته صلوات الله وسلامه عليه : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » .

وهكذا يقرر الرسول أن استطلاع أحوال العدو يجب أن يحاط بالسرية التامة ، وهذا حق ، لأن العدو اذا أحيط علما بذلك فسوف يستعد استعدادا تاما لحرمان من يقومون بالاستطلاع من الحصول على

اللاغارة عليه لنصرة المغير كائنا من كان ، ولو جاءت الغارة من عنصر معاد للعنصر الملافى ، وهو عنصر الجرمان .. ومحمد عليه السلام لم يتعلم ما تعلمه هتلر ونابليون ، ولكنه لم يخطئ قط مثل هذا الخطأ فى جميع غزواته وكشوفه ، ولعلنا نفهم - كلما درسنا زمانه الحافل بالعبر والأمثال الباقية - ان دراسته ضرب من دراسة العصر الحديث والقادة المحدثين » .

ثانيا - الكتمان والسرية فى الاستطلاع

وهذا هو المبدأ الثانى من مبادئ الاستطلاع الذى نستخلصه من تأملنا لتعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن جحش حيث نلاحظ ما يلى :

١ - ان عبد الله بن جحش وأصحابه كانوا لا يعلمون عن أمر مهمتهم شيئا حتى ولا الدور الذى سيقومون به .

٢ - أن أحدا منهم بما فيهم الأمير ، لم يسأل أى سؤال عن ذلك ، وانما كانت طاعة مطلقة من الجنود نحو الأمير .

المعلومات التى يريدونها ، وبذلك لا يتحقق الغرض من الاستطلاع ، فضلا عما ينتظر حدوثه من خسائر مؤكدة فى أرواح رجال الاستطلاع أو من وقوعهم فى الأسر ، فيكشف العدو الخطط والنوايا .

وفى الحرب الحديثة يحاط الاستطلاع بكل أسباب الكتمان والسرية ، فمفارز (دوريات) الاستطلاع مثلا تقوم بعملها فى الليل غالبا تحت ستر الظلام ، فاذا اضطرت الى العمل نهارا نراها ترعى كل أساليب الاختفاء والحذر والتسويه .

الرسائل المكتومة لأول مرة :

وقد انتهج الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة بارعة للمحافظة على السرية وهى أمره لعبد الله ابن جحش ألا يفض الرسالة وينظر فيها الا بعد أن يسير يومين أى حين يكون قد بعد عن المدينة وعن أهلها . وأمثلة ذلك فى التاريخ الحربى كثيرة ، فان كثيرا من قواد الجيوش والحملات المرسله للغزو كانوا يخفون أسرار حملتهم عن جميع مرءوسيههم الا عن هيأتهم

الخاصة القليلة العدد وهى « هيئة أركان الحرب » التى تقتضى ضرورة وضع الخطط وترتيب العمليات أن يكونوا على علم بها . وقد تصدر الى قواد الجيوش والأساطيل أوامر مختومة ليفتحوها فى مكان معين بعيد عن القاعدة سواء على الأرض أو فى عرض البحر ، ويتفق من أمثال هذه البعث أن يكون القائد وحده مطلعاً على السر فى حين يجهله جميع رجاله حتى اذا بقى على الحركة المقصودة ساعات معدودات تصدر الأوامر صريحة تحمل المفاجأة وتدعو الى الاسراع فى العمل المقرر .

ومن أمثلة ذلك ما حدث فى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ م من أن الحملة الحربية التى أرسلت بحرا من الهند لغزو العراق ، لم يعرف رجالها وجهتهم الا فى عرض البحر ، وكان ذلك بقصد اخفاء نبأ هذه الحملة عن الاعداء ، وقد حدث مثل هذا فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م وبخاصة فى عمليات الغزو البحرى .

وقد انتهج الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة بارعة للمحافظة على السرية وهى أمره لعبد الله ابن جحش ألا يفض الرسالة وينظر فيها الا بعد أن يسير يومين أى حين يكون قد بعد عن المدينة وعن أهلها . وأمثلة ذلك فى التاريخ الحربى كثيرة ، فان كثيرا من قواد الجيوش والحملات المرسله للغزو كانوا يخفون أسرار حملتهم عن جميع مرءوسيههم الا عن هيأتهم

ثالثا : صفر حجم مفرزة الاستطلاع :

لم يزد عدد أفراد سرية عبد الله ابن جحش عن ثمانية (أو اثني عشر رجلا في مصدر آخر) • وقلة عدد أفراد المفرزة التي تكلف مهمة استطلاعية مطلب ضروري يتفق مع دواعي الكتمان والسرية ، ويقلل من فرص اكتشاف العدو لها. وهذا هو ما تنص عليه النظريات المعاصرة اذ تقضى بأن « تكون مفرزة الاستطلاع صغيرة ما أمكن » •

أي أن يكون مبدأ التطوع أساسا لتشكيل مفرزة الاستطلاع ، وهو مبدأ ينطوي على عمق في التفكير وبعد في النظر كما يلي :

* فالواقع أن هناك فرقا كبيرا بين الخروج « للقتال » والخروج « للاستطلاع » • فالرجل اذا خرج مكرها على القتال فقد يقاتل لأنه مهدد بالموت المؤكد سواء في القتال أو اذا حاول الفرار •

رابعا : ان يكون مبدأ التطوع

أساسا لتشكيل مفرزة الاستطلاع :

فقد أوصى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش ألا يكره أحدا من المسلمين على المسير معه ، فامثل للأمر وعرض على اصحابه وهو يقول : « وقد نهاني أن أستهكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ومن كره ذلك فليرجع » •

* ولكن اذا خرج الرجل للاستطلاع مكرها ، فلا يمكن أن يفيد وسوف يكون خروجه بلا جدوى ، بل ربما يحرف الأخبار عمدا أو يتلقاها بغير عناية ، أو يطلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم عنه غافلون •

* هذا المبدأ المعمول به في الحرب الحديثة ، فاذا أرادت قيادة الجيش بعث مفرزة للاستطلاع فانها تختار القائد الذي ستناط به المهمة ثم تترك له الحرية المطلقة في اختيار مرافقيه ، فتراه يختار من يرغب في الخروج معه ، ومن يثق

ومعنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقرر مبدأ هاما هو أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه ،

بهم ٠٠ وكذلك الحال فى كل عمل من الأعمال القتالية التى تنفرد بطابع خاص ومن ذلك أعمال الفدائيين الذين يكلفون مهام خطيرة وشاقة تتعرض فيها حياتهم لموت أكيد وهلاك محقق ، فيتطلب القيام بها قدرا كبيرا من الجرأة والشجاعة والاقدام والغيرة، فهل يمكن لمن يخرج لمثل تلك الأعمال « مكرها » أن يحقق شيئا من الأهداف المرجوة ؟ ٠٠ وهكذا تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك •

خامسا : ضرورة تجنب القتال :

واضح من تعليمات الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قد حدد مهمة عبد الله بن جحش فى « استطلاع » أخبار قريش : (فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم) •

أى أن الرسول لم يكن يريد « قتالا » بل كان يريد « استطلاعا » •

والذى حدث أنه بعد أن قرأ عبد الله بن جحش رسالة النبى عليه الصلاة والسلام مضى ومضى معه أصحابه خلا سعد بن أبى وقاص الزهرى وعقبة بن غزوان ، اللذين ذهبا يطلبان بعيرا لهما ضل ، فأسرتهما قريش ، وسار عبد الله ومن معه حتى نزلوا « نخلة » • هناك مرت بهم عير لقريش تحمل تجارة عليها عمرو بن الحضرمى ، وكان يومئذ آخر رجب ٠٠ وذكر عبد الله بن جحش ومن معه ما صنعت قريش بهم ، وما حجرت من أموالهم ، وتشاوروا وقال بعضهم لبعض :

« والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ، ليدخلن الحرم ، فليمتعن منكم به ، ولئن قتلتموهم ، لتقتلنهم فى الشهر الحرام » •

وترددوا وهابوا الاقدام ، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ، ورمى أحدهم عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، وأسر المسلمون رجلين (١) من قريش •

(١) هما عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان

الغير والأسيرين ، فافتدتها منه
قريش فقال : « لا تفديكموهما حتى
يقدم صاحبانا فانا نخشاكم عليهما ،
فان تقتلوهما نقتل صاحبكم » ••
وقدم سعد وعتبة وأفداهما النبى
من الأسيرين •

ويقضى العلم العسكرى بأن
المفرزة التى ترسل للاستطلاع يجب
أن تتجنب القتال بقدر ما يمكن ،
ويقضى أيضا بأن الحصول على
المعلومات لو تطلب قتالا بالضرورة
(أى أنه لا سبيل لتحقيق مهمة
الاستطلاع الا بالقتال للحصول
على المعلومات غنة) فان ذلك
يقتضى اتخاذ ترتيبات معينة فى
تركيب المفرزة الاستطلاعية وفى
عدد أفرادها وفى تسليحها ، وذلك
حتى تكون قادرة على القتال
باعتباره الوسيلة التى تمكنها من
هدفها •

والحكمة فى أن تتجنب مفارز
الاستطلاع التورط فى القتال
— الا فى حالة الدفاع عن النفس
طبعاً — هو أن القتال سوف يهدم
جانب السرية والكتمان ويعيق
المفرزة عن أداء مهمتها •

وأقبل عبد الله بن جحش بالغير
والأسيرين حتى قدموا المدينة على
الرسول ، فلما رآهم قال لهم :
« ما أمرتكم بقتال فى الشهر
الحرام » ، ووقف العير
والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من
ذلك شيئا ، وأسقط فى يد عبدالله
ابن جحش وأصحابه وغنهم
أخوانهم من المسلمين بما صنعوا ،
وانتهزت قريش الفرصة فأثارت
ثائرة الدعاية بأن محمدا وأصحابه
استحلوا الشهر الحرام ، وسفكوا
فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال
وأسروا الرجال ، ودخلت اليهود
تريد اشعال نار الفتنة •

اذ ذاك نزل قوله تعالى :
« يسألونك عن الشهر الحرام
قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد
عن سبيل الله وكفر به والمسجد
الحرام واخراج أهله منه أكبر
عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا
يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم ان استطاعوا »
(البقرة ٢١٧) •

وسرى عن المسلمين بنزول
القرآن بهذا الأمر ، وقبض النبى

الشروط التى يجب توفرها فيمن يختارون لمهام الاستطلاع قادة أو جندا ، وذلك بالطبع بالإضافة الى شرط الرغبة الذى سبق ذكره .

سابعا : تكريم رجال الاستطلاع :

كذلك ينطوى اطلاق اسم أمير المؤمنين على عبد الله بن جحش على تكريم وتشريف لرجال الاستطلاع بالنظر الى خطورة مهمة الاستطلاع والى صلتها المباشرة بأمن المسلمين وسلامتهم .

ونرى هذا المبدأ أيضا من حديث حذيفة بن اليمان حين كلفه الرسول صلى الله عليه وسلم باستطلاع أخبار العدو ، يقول : لقد رأيتنى ليلة الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من يذهب الى هؤلاء انقوم فيأتينا بخبرهم ، أدخله الله الجنة » . وفى نفس الحديث ورد أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : « هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ » .

هذه المبادئ التى ذكرناها أمكن استخلاصها من تحليل سرية

وهنا تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقرر هذا المبدأ فى سرية عبد الله بن جحش :

* فى وضوح وجلاء عند تحديد المهمة « فتعلم لنا من أخبارهم » .

* وفى أنه بعث السرية فى شهر رجب وهو من الأشهر الحرم التى حرم القتال فيها .

* ثم فى استنكاره لما حدث من قتال حين قال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » .

سادسا : قوة التحمل لدى رجال الاستطلاع :

روى أبو القاسم البغوى عن سعد بن أبى وقاص قال : بعثنا صلى الله عليه وسلم فى سرية قال : لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش ، فبعث علينا عبد الله بن جحش رضى الله عنه . وسماه صلى الله عليه وسلم « أمير المؤمنين » فهو أول من تسمى فى الاسلام به .

ويكشف ذلك عن مبدأ جديد هو أن قوة التحمل شرط من

مكة مكثا هناك ، فلما مرت بهما القافلة أسرعَا يخبران النبى صلى الله عليه وسلم بأمرها ، فقرر عليه السلام الخروج وقال للمسلمين : « هذه غير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .

٢ - مفرزة تتكون من رجلين الى « بدر » للحصول على معلومات عن قريش وعن قافلتها ، فلما وصل المسلمون « وادى ذفران » جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلته . . . وبناء على هذا الاستطلاع طلب الرسول صلى الله عليه وسلم مشورة أصحابه فى هذا الموقف الجديد (وهو خروج قريش) فاتفقت كلمتهم جميعا مهاجرين وأنصارا على قرار مواجهة قريش .

٣ - مفرزة تتكون من على بن أبى طالب والزيير بن العوام وسعد ابن أبى وقاص فى نفر من أصحابه ، وقد استطاعت الوصول الى ماء بدر ، وعادت ومعها غلامان لقريش ، فاستنطقهما الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم منهما أن قريشا وراء الكثيب « بالعدوة القصوة » .

عبد الله بن جحش ، على أن هناك مبادئ أخرى يمكن استخلاصها من غزوة بدر الكبرى .

ثامنا : قيام القائد بالاستطلاع الشخصى :

ويقضى هذا المبدأ بأن يقوم القائد بنفسه بالاستطلاع سواء فى مرحلة التحضير للمعركة أو فى مرحلة ادارتها ، أى أنه لا يكتفى بإرسال مفارز استطلاع أو المراقبين ، بل يجب أن يحرص على أن يشاهد بعينه ما يهيمه مشاهدته مما يزيد من وضوح الرؤية لديه لكى يأتى التخطيط والقرار بعد ذلك سليما الى أقصى حد ممكن . وهذا ما حدث فى غزوة بدر الكبرى .

فقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم قبل المعركة عدة مفارز للاستطلاع كما يلى :

١ - مفرزة تتكون من طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد لاستطلاع أخبار قافلة قريش عند عودتها من الشام ، حتى اذا وصلا « الحوراء » على طريق الشام -

قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« اذا أخبرتنا أخبرناك » •

علم الرسول من شيخ العرب
أن غير قريش قرية منه ، فقال له :
« نحن من ماء » ثم انصرف
وصاحبه عنه والشيخ يقول :
« ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ »
هذا هو ما يسمونه فى العلم
العسكرى « الاستطلاع الشخصى
للقائد » ، وهو عمل يحرص عليه
القائد دائما وبخاصة قبل المعركة
وفى لحظاتها الحرجة •

ونلاحظ أيضا فى هذه الواقعة
حرص الرسول صلى الله عليه وسلم
على مبدأ الكتمان والسرية ، فرأينا
كيف أخفى هويته عن شيخ العرب
حتى لا تعلم قريش بمواضع
المسلمين ، ويبدو ذلك واضحا
جليا فى رده الذكى « نحن من
ماء » •

**تاسعا : ضرورة اعلام القسوات
بالمعلومات عن العدو :**

وهذا المبدأ تقرره المدرسة
العسكرية الاسلامية فى مجال
الاستطلاع ، فتطلب من القائد أن
يشتر على قواته من المعلومات عن

ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد
رجال قريش ، سألهما النبي :
« كم ينحرون يوميا ؟ » فأجابا :
« يوما تسعا ويوما عشرا »
فاستنبط الرسول صلى الله عليه
وسلم من ذلك أنهم بين التسعمائة
والألف ، وعرف من الغلامين
كذلك أن أشرف قريش جميعا
خرجوا مع الجيش •

٤ - مفرزة من رجلين من
المسلمين ، وصلا ماء بدر فسمعا
جارية تطالب صاحبها بدين عليها
والثانية تجيبها : « انما تأتى العير
غدا أو بعد ، فأعمل لهم ثم أقضيك
الذى لك » فعاد الرجلان فأخبرا
الرسول بما سمعا •

وقد قام الرسول القائد صلى
الله عليه وسلم بالاستطلاع بنفسه
حين انطلق أمام الجيش وبصحبه
أبو بكر عندما اقترب المسلمون
من بدر ، حتى وقف على شيخ من
العرب • فسأله عن قريش وعن
محمد وأصحابه وما بلغه عنهم •

قال الشيخ : لا أخبركما حتى
تخبرانى ممن أتما ؟

يمشى سويا على صراط مستقيم
(الملك) •

فالرسول القائد صلى الله عليه
وسلم حرص على اعلام رجاله بما
يهمهم معرفته عن عدوهم الذى
سيواجهونه ، وظهر ذلك بكل جلاء
فى اعلامهم بادية الامر بأن قريشا
قد خرجت للقتال وطلب مشورتهم،
ثم فى اعلامهم بما حصل عليه من
معلومات عن قوة جيش العدو وعن
قيادته متمثلا فى قوله صلى الله
عليه وسلم : « هذه مكة قد ألتقت
اليكم أفلاذ كبدها » •

العدو بالقدر الذى يراه ضروريا
بحسب ظروف المعركة ومتطلباتها •
والحكمة فى ذلك تبدو فى الفائدة
الكبرى التى تتحقق لصالح
المعركة ، لأنه كلما زادت معرفة
الرجال بالموقف وبأوضاع العدو
وقوته وحركاته وأهدافه ، زادت
قدرتهم على العمل الايجابى وعلى
حسن التصرف والابتكار فضلا عن
ارتفاع روحهم المعنوية لأنهم
يعرفون مواقع أقدامهم ولا
يضربون فى المجهول •• « أضمن
يمشى مكبا على وجهه أهدي أمن

((ما يصفوا به الود))

قال على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - لا يكون
الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى تكبته ،
وغيبته ، ووفاته •

رأى فى التفسير العلمى

فضيلة الشيخ عزت الدسوقى

فى كتاب الله فهما مطابقا لجديد
من العلم فلا نأمن أن يحدث تغيير
وتبديل نتيجة للبحوث المتكررة
والاكتشافات المستمرة ، وحينئذ
يحدث ما لا تحمد عقباه •

وحين أشارك بقلمى المتواضع
فى هذا المعترك فلأنى عاصرت
أحداثا عرضت أثناء تجوالى فى
البلاد العربية والاسلامية مبعوثا
للأزهر أجد من واجبى أن أضعها
أمام المهتمين بهذا الامر ، ليتخذ
كل منهم الموقف المناسب على ضوء
هذه الأحداث •

نظرة عامة

لا يختلف اثنان فى أن المسلمين
فى هذا العصر ليسوا على المستوى
المطلوب منهم كأصحاب رسالة
هى خاتم الرسالات وأتباع كتاب
مهيمن على الكتاب كله •

يثور جدل هذه الأيام حول
تفسير بعض الآيات الكريمة المتعلقة
بالكون فمن قائل بوجوب
تفسيرها بما يتفق وما يجد من
العلوم والنظريات والاكتشافات
وأصحاب هذا رأى يرون أن
القرآن الكريم - وإن لم يأت
بالتفاصيل الدقيقة التى تتميز بها
كتب العلوم - إلا أنه أتى بحقائق
من العلم بصورة كلية ، تاركا
التفاصيل للباحثين والمتخصصين
فهو كتاب علم كما هو كتاب
تشريع ووعظ وتنظيم لشئون
الحياة كلها بجميع نواحيها • قال
تعالى فى سورة الأعراف : « ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه على علم
هدى ورحمة لقوم يؤمنون » •
وبعض الآخر يرى أن نأى
بكتاب الله تعالى عن هذا المنزل لأن
العلوم تتطور وتتغير ، فاذا فهمنا

فوضعهم الاجتماعى والثقافى
والحضارى والعسكرى
والاقتصادى متخلف بمراحل كثيرة
عن غيرهم من سكان المعمورة ،
ما جعل المبشرين ينشطون وسط
التجمعات الاسلامية والشبابية
بوع خاص مشككين فى الاسلام
كدين وأسلوب حياة •

مسئولية القيادة الاسلامية :

فالمسلمون أينما كانوا عربا أو
عجما يسلمون قيادهم عن اقتناع
كامل لرجل الدين والسمة الغالبة
- للأسف - لرجل الدين فى
أفريقيا وآسيا هى العداة الشديد
لكل ما هو جديد من العلم ،
ولا زال كثيرون منهم حتى هذه
اللحظة ينكرون وصول الانسان
الى القمر • ولقد كنت ببلد افريقى
حين أذيع وصول الانسان الى
القمر فما كان من أئمة المساجد فى
هذا البلد الا أن خرجوا فى
مظاهرة صاخبة وذهبوا الى
السفارة الامريكية ورجموها
بالحجارة ، وأخذتهم حمى المعارضة
لمدة اسبوعين فمكبرات الصوت
فى كل مسجد تحذر الناس من

تصديق هذا الخبر ، وتخبرهم بأن
القرآن الكريم يكذبهم • ويمنع
خروج الانسان من أقطار الأرض،
ونشط المبشرون وسط الشباب
المثقف يلقون ظللا كثيفة من
الشك على صدق القرآن الكريم
الى حد أن ذهب أحد طلاب
المدرسة الثانوية المصرية فى هذا
البلد الى مدير المدرسة وطلب
ملفه ليعدل فيه نوع الديانة من
الاسلام الى المسيحية •

ولا زال على قمة رجال الدين
فى بلد عربى كبير مفت يحكم
بكفر من يقول بدوران الأرض
حول نفسها أمام الشمس وحولها
وتظهر له بين الحين والحين
مؤلفات تحمل هذا المعنى وتدلل
على ذلك بآيات من كتاب الله تبارك
وتعالى •

قد يكون هذا القول غريبا فى
مصر ، ولكن اذا سنحت لك فرصة
التجوال فى العالم الاسلامى
وتخالطت القائمين بقيادة المسلمين من
العلماء هالك ما هم عليه من ترمت
جعل الكثير منهم يقف حائلا بين
أبناء هذا البلد وبين الالتحاق

فأجبت الفتى الذى كان يطيل
النظر الى متعجلا الاجابة ، قائلا :
« الحق يابنى أن الأرض كرة ،
وأنها تدور ، والقرآن الكريم
لا ينفى هذا لا صراحة ولا
ضمنا » .

لم أكد أنطق بهذه الكلمات حتى
شده الفتى ، وفغرفاه واستدارت
عيناه وأخذ يتراجع الى الوراء مما
جعلنى أشفق عليه وأشفق على كثير
من أمثاله الذين حيل بينهم
وبين العلم باسم الدين الذى يدعو
الى التعلم ويقدر العلماء .

ليس الذهول الذى أصاب
الفتى هو كل ما حدث بل ان
الجمع الغفير من أهل الحى الذى
خرج يودعنى كعادته بعد كل
محاضرة انقض من حولى دون تحية
أو استئذان والله وحده يعلم ما كان
يجول فى خاطرهم وما يعمل فى
صدورهم .

عدت الى بيتى مهموما ، كيف
السييل الى قلوب هؤلاء الاخوة
لافهامهم أن الاسلام يدعو الى
العلم ولا يعاديه وأن ما فهموه فى

بالمعاهد الأزهرية فى افريقيا
محتجين بأنهم يدرسون الجغرافيا
وهى كهر . .

وحدث مرة عند انصرافى من
محاضرة فى أحد المساجد ببلد عربى
شقيق أن تقدم الى شاب بدوى
قائلا : « يا شيخ ! ! يقولون فى
المدارس للصبية كما يقول الكفار
« ان الأرض تدور ، وأنها كرة ،
مع أن القرآن الكريم يقول :
« والأرض فرسناها » ، « ألم
نجعل الأرض مهادا ؟ » فما
رأيك ؟ » .

ترى قليلا قبل أن أجيب ،
فقد كان فى هذا البلد ضجة ضد
دراسة الجغرافيا ، وكان المتزعمون
لها والمثيرون أوارها هم رجال
الدين ولهم فى نفوس الشعب
قداستهم ، ومكاثتهم ، وكنت
أحظى فى هذا البلد بتقديرهم
واحترامهم ، فماذا يكون الموقف
اذا خرجت على رأيهم ؟ لقد كان
الموقف حرجا ومحيرا ، ولم تطل
حيرتى وأثرت أن أقول ما أعتقد
فى هذا الموضوع .

التاسع والعشرين لطلاب احدى المدارس الثانوية ، وكان الكتاب المقرر مؤلفا حديثا ، ولازال مؤلفه حيا يرزق الى الآن وهو أحد أئمة الحرم الشريف •

وبينما أتأهب لدخول الفصل اذا بمدرس علم الهيئة (الجغرافيا) يغادر الفصل • وييده نموذج للكرة الأرضية ، وكان يشرح للطلبة كيف يحدث الليل والنهار ، وكان موضوع درسى أنا هو تفسير قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا » الآية • وكان فضيلة المؤلف قد ذكر فى تفسير كلمة (ذلولا) ان معناها قارة ساكنة ، وهنا سألت نفسى ماذا يكون موقف هؤلاء الطلاب ، وهم يتلقون معلومات متضاربة متعارضة ، فبينما مدرس (الجغرافيا) يقول لهم : ان الأرض متحركة ، ويقيم الأدلة على ذلك مؤكدا أن سبب حدوث الليل والنهار هو دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، اذا بمدرس الدين يقول لهم ان الأرض قارة ساكنة لا تدور ولا تتحرك ولا يملك دليلا على

هذا الموضوع وغيره هو من أقوال المفسرين وبالتدقيق قول بعض المفسرين لا قول القرآن نفسه وأن المفسرين بشر يؤخذ من كلامهم ويرد •

ورأيت أنه لا بد للأزهر من أن يقول للمسلمين كلمته فى هذا الموضوع حتى ينفى عن الاسلام ما هو منه براء •

مضى على هذا الحادث بضع سنين ، ولا زلت أتصور هذا الشاب فى زيه البدوى وقد حز فى نفسى هلع وفجور ، ورأيت أننا فى أمس الحاجة الى التأمل العميق فى كتاب الله ودراسة هذه الآيات الكريمة التى يتخذ منها العلماء فى البلاد الاسلامية سلاحا لمحاربة العلم ، ولنرى موقف الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من هذه الحقائق العلمية التى أصبح التسليم بها ضرورة لا محيص عنها •

وبعثت الى بلد عربى آخر أسند الى فيه دراسة تفسير الجزء

والأقمار الصناعية وضعوا في
اعتبارهم دورة الأرض !!

وهنا تذكرت كلمة لحجة الاسلام
الامام الغزالي في كتابه تهافت
الفلاسفة في مثل هذا الموقف حين
ادعى علماء المسلمين ان الفلكيين
خرجوا على الاسلام في تنبئهم
بالخسوف والكسوف . قال حجة
الاسلام :

« ان من ظن أن المناظرة في
ابطال هذا الفن من الدين فقد جنى
على الدين نفسه وضعف أمره ،
فان هذه الامور تقوم عليها براهين
هندسية وحسابية لا يخفى معها
ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها
حتى يخبر بسببها عن وقت
الكسوفين وقدرهما ، ومدة بقائهما
الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا
على خلاف الشرع لم يسترب فيه ،
وانما يستريب في الشرع نفسه
اه .

من الطبيعي أننى لم أتقيد بما
قاله المفسر وانما فسرت كلمة
« ذلولا » بأنها مهياة لما يريد منها
الانسان فهو يستزرعها فتزرع

ذلك الا كلمة (ذلولا) في القرآن
الكريم ، حسب تفسير المفسر في
الكتاب المقرر عليهم دراسته .
وليست هذه المعلومات نافلة على
الطلبة بل مفروضة عليهم فرضا ،
وسيؤدون فيها امتحانا آخر العام
فهو يقول في ورقة السدين ان
الارض قارة وساكنة ، فاذا قال
انها تدور وانها متحركة رسب في
مادة الدين . واذا قال انها قارة
وساكنة في ورقة الجغرافيا رسب
في مادة الجغرافيا !!

لا ريب أن هؤلاء الطلبة
سيقفون حيارى بين العلم وبين
الدين ، وأنهم ولا شك سيتهمون
رجل الدين بالجهل والقصور
- ان تورعوا عن اتهام الدين
نفسه - لأنهم الآن يقرءون
ويسمعون ويشاهدون في برامج
الاذاعة المرئية الصواريخ ، والأقمار
الصناعية ، وهبوط الانسان على
القمر وتنقله فوق سطحه ، ويرون
صورة الأرض المأخوذة من أجهزة
الهبوط على القمر ، يرون صورة
الأرض كرة هائلة ويدرسون في
حصة العلوم أن مضمي الصواريخ

ويستخرج منها ما يحتاجه من غذاء وكساء وعلاج ويستمتع بما أودع الله فيها من خيرات •

وخرجت من الدرس وقد عاودنى العزم على التأمل بعمق فى كتاب الله عز وجل ، وخاصة الآيات التى تشير الى الكون وما فيه ، الا اننى ما لبثت أن درت فى دوامة الحياة وقد رسبت كلتا الحادثتين فى نفسى ، تطفوان فى هدأة من الحادثات تطلباننى بعنف أن أؤدى واجبى وأتى بما اعتزمت عليه ، ثم تعودان الى الأعماق مرة أخرى أمام زحمة الحياة وضجيجها •

ولكم تمنيت أن تتاح لى فرصة أخلو فيها الى كتاب الله تبارك وتعالى ، لا ينازعنى فيه منازع ، ولا يصرفنى عنه ما يصرف سائر الناس من هموم الدنيا ومطالب الحياة التى لا تنتهى الا باتتهائها ، الى أن وائتنى لحظة كريمة لفظنى فيها تيار الحياة على الشاطئ ، ومضت الحياة فى سبيلها عجاجة صاخبة وعادت الى نفسى مكدودة لاغبة مما عانت فى موكب الحياة •

وتحسست ثيابى - وقد عيت مما لقيت - فأخرجت منها مصحفًا كان ذخرى الوحيد الذى احتفظت به بعد أن تخففت من كل ما يتصل بالدنيا بسبب ، وكان كتاب الله الكريم فى هذه الحقبة من العمر الروح والريحان ، عشت فى رحابه الواسعة صباح مساء لا ينازعنى فيه هم العيش ، ولا يزعنى من رياضة الغناء الفينانة مطلب من مطالب الحياة ، وكانت حياة روحية ، أكرم بها من حياة ! !

وبدأت صور الماضى تتلاحق وتتوارد ، وكان أبرزها صورة الفتى العربى وهو يرتدالى الوراى مذعورا ، وصورة الطلبة الذين ألزموا باسم الدين أن يعتقدوا أن الأرض قارة ساكنة ، وأيقنوا عن طريق العلم أنها متحركة دائبة الدوران والحركة ، فقلت : لقد جاءت اللحظة التى طالما تمنيتها ، فما أنذا وكتاب الله ، وعلينا باب أحكم رتاجه ، لا ينقص علينا هذه الخلوة الحبيبة أهد •

وعدت الى كتاب الله الكريم أنعم باستعادة حفظه ، وبالتأمل

أن يجادلوا فيما قاله المفسرون كما
ليس لهم أن يجادلوا في كتاب
الله الكريم ذاته ! !

وسترى معي حين نستعرض هذه
الآيات الكريمة - في مقالات
لاحقة - ان أذن الله - أنها
لا تتعارض مع العلم ، بل ان العلم
وما يتجدد من اكتشافات يزيدنا
فهما لكتاب الله تعالى ، ويكشف
لنا عن معان جديدة لم يكن السبيل
الى ادراكها ميسرا قبل هذه
الاكتشافات .

ومن هذه النظريات التي يؤيدها
كتاب الله تعالى دوران الأرض
وكرويتها . لو أننا فسرنا هذه
الآيات بمدلولها اللفظي وحده .
والتفسير بما وضعه العرب
لمدلول اللفظ مسلم به ومعترف
به ما لم يتعارض مع نص صريح
صحيح .

روى البخارى في صحيحه في
كتاب العلم فقال :

« حدثنا محمد بن سلام قال
أخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف
عن الشعبي عن أبي جحيفة قال :

في آياته والتدبر في أسلوبه
وعباراته ، ولم العجلة وفيم ؟ وقد
كفيت مشاغل الحياة .

ولقد وجدت كثيرا من آيات
الله البينات التي تشير الى التأمل
فيما خلق الله في الكون ، وفيما
بث في الآفاق من دلائل قدرته وآيات
وجوده ووحدانيته وجدتها كلها
تؤيد بأسلوبها المجرد عن تفسير
المفسرين وبلغتها الصريح الواضح
النظريات العلمية الحديثة التي وقف
علماء الاسلام منها موقف الحرب
والعداء .

وكان حريا بالمسلمين أن
يكونوا أسبق الناس الى القول بها
فقد تنزل الكتاب بها عليهم . ولم يحل
بين المسلمين وبين فهمها على
وجهها الواضح الا ما تطوع به
بعض المفسرين ، فوضعوا لها
تفسيرا صرف الآيات الكريمة عن
ظاهرها ومدلولها .

والمسلمون كانوا ولا يزالون
ينزلون التفسير نفس المنزلة
المقدسة التي ينزلها من قوسهم
كتاب الله عز وجل . فليمن لهم

وأن الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى لأن الوقت الذى نزل فيه القرآن الكريم وبعث فيه أفضل الخلق رسولا كانت الجهالة فيه مطبقة على العالم ، آخذة بتلاييه ، ولم تكن ثمة أثارة من علم أو مرصد ، أو آلات دقيقة ولا وسائل بحث حديثة .

فاذا تقدمت وسائل العلم ، وخرج العلماء على الناس بجديد فوصلوا اليه بالبحث العلمى المجرد ، بل كان من وصل الى هذا المعلوم الجديد بعيدا كل البعد عن الاسلام ، وما قاله القرآن الكريم ، ثم يستبين لهم أن القرآن الكريم المعجز سبقهم الى ما قالوا وما علموا بمئات السنين ، وأن ما أتوا به يتفق مع منظوق الكتاب الكريم ومدلوله كان ذلك آية لا ريب فيها بأن هذا الكتاب هو الحق وأن رسوله حق : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ويجب أن أقرر هنا قبل أن أنتقل الى بحث تفسير هذه الآيات أن القرآن المجيد لا يتعارض أبدا

قلت لعل : هل عندكم كتاب ؟ قال : « لا » الا كتاب الله وفهم أعطيه رجل مسلم . الحديث . قال الكرمانى فى شرحه هذا الحديث ص ١٢٠ فى بيان ما يؤخذ منه : « وفيه ارشاد للعالم الى أن للعالم الفهم أن يستخرج من القرآن بفهمه ما لم يكن منقولاً عن المفسرين لكن بشرط موافقته الاصول الشرعية : اهـ .

واذن فلا تريب على من فهم من كلام الله تعالى ما يؤيد ما أجمع عليه العلماء الكونيون وان لم يقل به أحد من المفسرين خاصة اذا كان هذا الفهم هو المطابق للمدلول الوضعى للفظ فى لغة العرب ، ولا يصادم قاعدة لغوية ولا أصلا شرعيا .

وحين يخبر القرآن الكريم بأحدث النظريات العلمية ، أو يكون أوضح دلالة وأجلى بيانا حين يتكشف العلم عن جديد ، لم يكن معلوما عند وضع المفسرين تفسيرهم . انما يحمل أنصح الأدلة على أنه وحى من الله تعالى على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ،

ولا يمكن لدين هذا شأنه أن يتعارض أبداً مع ما يأتي به العلم من حقائق فلم هذا العداء للعلم الذي يفخر به - للأسف - كثير ممن تصدوا لامامة المسلمين ولبسوا زى العلماء ؟

ومما يزيد الأمر بلاء وخطورة أن يدعى هؤلاء أن ما أتى به العلماء الكونيون من العلم يتنافى مع القرآن العظيم ! ! سبحانه هذا بهتان عظيم .

لما تقدم ولغيره يجب أن يعاد النظر فى تفسير الآيات الكريمة المتعلقة بالكون ، وألا نلقى بالا لما قاله بعض المفسرين فى تفسيرها ما لم يستند الى نص صريح ونقل صحيح فلقد كان لتفسير هذا البعض أثره البالغ فى تخلف المسلمين عن غيرهم فى مضمار العلوم الكونية مما أدى الى تأخرهم فى استغلال العلم والاستفادة به فى تقدمهم اقتصاديا وعسكريا . وعلى من يتصدى لهذا التفسير أن يتقيد بمدلول الآيات القرآنية وما تتسع له ألفاظها الشريفة من معان .

مع العلم الصحيح بل يؤيد العلم ويشجع البحث الحر الطليق .
ويأخذ بيد من يريد الوصول الى جديد من العلم فيشير له الى وسائله ومظانه قال تعالى فى سورة يونس :

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » .

وفى سورة الذاريات :

« وفى الأرض آيات للموقنين، وفى أنفسكم . أفلا تبصرون » .

وقد بلغ علماء المسلمين الأوائل الحد الأقصى فى حث المسلمين على البحث والتفكر حيث حكموا بأن ايمان المقلد غير معتبر ، وأنه لا ينبغى أن يكون حظ المسلم من الايمان أن ورثه عن آبائه دون اعمال فكر أو بحث بل لا بد ليكون ايمان المسلم معتبرا من أن يبحث ويفكر حتى يصل عن طريق البحث الى ايمان مرتكز على دليل، وهذا غاية ما يمكن من الدعوة الى البحث والتشجيع على العلم والتعلم .

عجائب تخدع الأبصار وتزيغ بها
البصائر .

فانه مادام مخالفا لصريح الكتاب
ومحكمه لا يلبث أن ينكشف
زيفه ويتبين ضلاله ، ويزغ الحق
فى غير جانبه ، لأنه جاء بما
يتعارض مع القرآن الكريم
ويخالفه ، واليك هذا المثل :

« نظرية النشوء والارتقاء التى
أتى بها داروين لاقت قبولا ورواجا
ولمعا نا قل أن تلاقيها نظرية أخرى
ولقد طبقها داروين على جميع
الكائنات الحية من حيوان ونبات،
وبالنسبة للانسان ادعى داروين أن
الانسان أول ما وجد على الأرض
لم يكن بهذه الكيفية وانما كان
كائنا آخر أقل وأدنى حتى صار
قردا ثم تطور الى صورته الحالية .

ونحن كمسلمين لا يمكن أن
نقبل ما تقوله هذه النظرية أو ما
يقوله داروين بالنسبة للانسان
ونشأته وتطوره لأنه يخالف صريح
القرآن الكريم فى خلق الانسان
وفى أصل خلقته ، يقول الله تعالى
فى سورة التين :

وسأسير ان شاء الله فى فهمى
لهذه الآيات وفى كتابتى عنها على
التقيد بالنص القرآنى وما يتسع
له من معان صريحة أو مجازية
ذلك أننى مؤمن بأن القول الفصل
فيما خلق الله فى السموات والأرض
انما هو الله خالقه وبارئه ومبدعه
وهو بحكم خلقه له يعلمه جملة
وتفصيلا .

« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير » . فاذا قال الله فى ذلك
شيئا فقله الحق « والله يقول
الحق وهو يهدى السبيل » .

فالأصل عندنا كتاب الله تعالى
فليس لنا أن ندع صريح القرآن
ومحكمه لقول قائل مهما كان .

فما أتى به العلم من جديد
بما لم يتعرض له القرآن الكريم
بإثبات أو نفي علينا قبوله متى
توفرت له الوسائل الصحيحة
وقامت عليه الأدلة القاطعة .

وماتعرض له المفسرون تأخذ منه
ما يتفق ومدلول القرآن وندع
ما يخالف صريحه ومحكمه
مهما كان القائل ومهما أتى به من

« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » •

ولقد أتى على الناس الثلاثينات كانوا يعتقدون هذه النظرية كأنهم يعتقدون ديناً • ولقد كان المعارض لها محل سخرية وتجهل ممن لا حظ لهم من العلم الا الاعجاب بما يقوله داروين •

وها نحن الآن والحمد لله نجد معارضة جدية لمقالة داروين لا من أنصاف المتعلمين والعلماء ولكن معارضة من علماء توفروا على البحث بوسائل علمية جادة واصبح من يقول بنظرية داروين بالنسبة للانسان والحيوان محل استهزاء وسخرية بعد ما كان محل تقدير واعجاب •

ومما يؤسف له - مع ما ثبت من كذب القول بتطور الانسان والحيوان - أننا لازلنا نرى الكتب المدرسية وخاصة في رياض الأطفال للبراعم الصغيرة في المدارس الابتدائية تصور الانسان في أول عهده بالحياة قردا كبيرا يتسلق الأشجار ويمسك بعصا غليظة وجسمه مغطى بشعر كثيف مما يؤثر تأثيرا ضارا في تصور الطفل للانسان ويؤثر بالتالى على عقيدته وإيمانه بقول الله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »

فهل يتنبه المسئولون عن التعليم في بلدنا الى هذه الظاهرة ؟
والى لقاء ان شاء الله • •
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين •

عزت الدسوقي

الأزهر جامعاً وجامعة أومصر في ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

— ١٠ —

وحاصروا القلعة • ومنعوا عنها
المؤونة والمياه • وكان قرار عزل
خورشيد قد أثر في بعض أتباعه •
فتزل الكثيرون من القلعة • وانقض
عنه فريق الانكشارية • وبقيت معه
طائفة من الأرثوود لأغراضهم
الشخصية •

وفي المدينة طالب الجند محمد
على بنفقاتهم ومرتباتهم • فقال :
عندما ينزل أحمد باشا خورشيد
من القلعة • فتركوه وتخلوا عن
مواقفهم • فلم يفت هذا في عضد
السيد عمر مكرم • وأوقف مكانهم
بعض الأهالي •

وأصبح السيد عمر مكرم هو
المحرك للثورة • بادی النشاط •
كثير الحركات • يلهب حماسه
الشعب • ويرتب الأوقات والمؤونة
للمحاربين •

ذكرنا في المقال السابق كيف أن
العلماء — وعلى رأسهم الشيخ
عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع
الأزهر والسيد عمر مكرم نقيب
الأشراف — اجتمعوا بمنزل محمد
على باشا في ١٣/٥/١٨٠٥ م (١٣
صفر سنة ١٢٢٠ هـ) وقرروا عزل
أحمد باشا خورشيد والى
العثماني • وتعيين محمد على باشا
واليا على مصر • وأن خورشيد
رفض هذا القرار قائلاً انه معين
من السلطان فلا يعزل من
الفلاحين •

وتحصن خورشيد في القلعة •
ونادى السيد عمر مكرم في الناس
بالجهاد وحمل السلاح •
والاستعداد للمفاجآت بأقامة
المتاريس والسهر ليلاً •

تقرير الدولة لولاية محمد على

واستمر الحال كذلك ما يقرب من شهرين • استمرار حصار القلعة وتبادل النار بين الفريقين • حتى ورد في ٩/٧/١٨٠٥ (١١ ربيع الآخر سنة ١٢٢٠ هـ) رسول من الدولة يحمل قرارا بتعيين محمد على باشا والى جدة سابقا واليا على مصر • ابتداء من ١٨/٦/١٨٠٥ (٢٠ ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ) • وعزل خورشيد باشا وأمره بالسفر للاسكندرية والاستقرار هناك لحين صدور أوامر أخرى •

وحصلت مناوشات في المدينة بين العسكر والأهالي بسبب تعدى العسكر •

وأصبح اسم السيد عمر مكرم ملء الأفواه والأسماع • ورياسته واضحة ظاهرة • فدبت في نفوس بعض العلماء روح الغيرة • أو روح التعقل • واجتمعوا في الأزهر • وقرروا فتح الجامع ومعاودة الدروس • وأن يكف الشعب عن الحرب ويتفرغ لأعماله • وأن يترك معالجة الموقف

وضربوا من القلعة مدافعهم على المدينة • مركزين على بيت محمد على بالأزبكية • وعلى جهة الأزهر • فازداد الشعب اصرارا • وأمكن نقل مدفع كبير كان قد تركه الفرنسيون بقلعة قنطرة الليمون (قرب ميدان رمسيس) وطلعوا به الى أعلى الجبل • وأخذوا يطلقون منه القنابل على القلعة •

ونود أن نذكر هنا مناقشة حصلت بعد قرار عزل خورشيد بين السيد عمر مكرم وبين من يدعى عمر بك الأرتوودي من أنصار خورشيد • فقد قال عمر بك : كيف تعزلون من ولاء السلطان عليكم وقد قال تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » • فأجاب السيد عمر مكرم : أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل • وهذا رجل ظالم • وجرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة • وهذا شيء من زمان • حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونه ويخلعونه •

وكانت هذه الحركة هي القمة
فيما وصل اليه علماء الأزهر من
النفوذ السياسي والأدبي • وبعد
ذلك أخذ شأنهم في التناقص •

ولاية محمد علي

ونمر سريعا على السنوات الأربع
التالية •

لم تهدأ القاهرة بعد سفر
خورشيد باشا • فقد زاد تعدى
العسكر على الأهالي بحجة ثقتهم
ومرتباتهم المتأخرة • وكانت طائفة
الدلاة بما كانوا عليه من ضعف
الوازع الديني والأخلاقي من
أشد الطوائف إيذاء للناس •
واضطر محمد علي لفرض ضرائب
جديدة •

وكان الأمراء المماليك قد
وصلوا بقواتهم خارج القاهرة
يرقبون قلب الموقف • وأمكن لفريق
منهم كسر باب الفتوح ودخلوا المدينة
بمواكبهم • وذهبوا الى بيت السيد
عمر مكرم فامتنع عن مقابلتهم •
فذهبوا الى بيت الشيخ الشرفاوى
ولحق بهم السيد عمر مكرم هناك •
فطلب العلماء من امراء المماليك

لمحمد علي ما دام قد أتاحه قرار
الولاية • وأبلغوا محمد علي
بذلك •

ولم يرتح الشعب لهذا القرار •
فهم اذا تركوا السلاح أصبحوا
تحت رحمة العسكر • وراجعوا
السيد عمر مكرم فاعتذر بأنه لم
تكن له يد في القرار •

ورفض خورشيد باشا قرار
العزل • وأرسلت الدولة قبطانا
على رأس قوة بحرية الى
الاسكندرية • فاضطر خورشيد
للخضوع • وسلم القلعة في
١٨٠٥/٨/٥ (٩ جمادى الأولى
سنة ١٢٢٠ هـ) وسافر من بولاق
في ١١ أغسطس بحرا الى
الاسكندرية •

قمة النفوذ للعلماء :

وهكذا أمكن للعلماء فرض
ارادتهم على الدولة • بعزل الوالى
المعين منها • وتعيين وال آخر
باختيارهم • وكان آخر ما وصلوا
اليه من النفوذ قبل ذلك هو عزل
الوالى وتعيين قائمقام لحين
وصول قرار من الدولة بتعيين
غيره •

الاسكندرية قبطان مبعوثا من الدولة
على رأس قوة بحرية • ومعه قرار
بعزل محمد على • وتعيين وال
خلافه اسمه موسى باشا • وبالعفو
عن الامراء المماليك بشرط قيامهم
بالخراج والضرائب وممرتبات
الحرمين بالحجاز من عوايد نقدية
وغلل ومهمات • وبشرط ضمان
العلماء لهم • وكان هذا التحول في
سياسة تركيا نتيجة لمساعي الانجليز
تنفيذا للاتفاق السابق بينهم وبين
محمد بك الألفى •

وقرر محمد على عدم الخضوع
لهذا القرار • وأخذ يزود القلعة
بالمؤونة والذخيرة •

واستكتب محمد على العلماء
مكتوبا للدولة يذكر فيه تطور
الأحوال التي أدت أخيرا الى قرار
ولاية محمد على • وأنهم خاضعون
لأوامر الدولة • ولكنهم يرجون
اغفاءهم من ضمان المماليك فلا
سلطة لهم عليهم • ولما تكرر من
خياتهم بقتل على باشا الطرابلسي
وسلب الأموال والهجوم على
القاهرة لولا وجود محمد على •

خروجهم بجندهم من المدينة •
فخرجوا من باب البرقية •
اذلم يجدوا الترحيب الذي كانوا
يتوقعونه أو يأملون فيه •

وكافت طائفة أخرى منهم قد
واصلوا سيرهم حتى قرب باب
زويلة (بوابة المتولى) فحاصروهم
العسكر والأهالي هناك وقضوا
عليهم •

وعين محمد على الكشاف
(المحافظين تقريبا) للقاليم •
وخرج كل كاشف لجهته يحارب
من فيها من المماليك • وخرج
الجند من القاهرة لمحاربة المماليك
في المديرية القريبة منها • مثل
الجيزة والقليوبية والمنوفية •
وفرضوا الضرائب على البلاد •
وفعلوا ما اعتادوا عليه من نهب
وسلب وخطف وهتك أعراض •
وتكررت الصورة في هذه المحاربات
مما لا داعي للإطالة فيه حتى
لا نخرج عن الموضوع الأصلي •
قرار من الدولة بعزل محمد على
وتمسك العلماء بولايته :

وفي يونية سنة ١٨٠٦ م (ربيع
الآخر سنة ١٢٢١ هـ) وصل الى

وأن جميع البلاد فى عهده فى غاية من الراحة والاطمئنان والأمن برا وبحرا بحسن سياسته وامتناله للأحكام الشرعية ومحبة للعلماء وأهل الفضائل .. الخ .

ووقع العلماء على الطلب دون مناقشة . ولم يطلع أكثرهم على تفصيل ما ورد فيه (الجبرتى)

وسافر بالطلب ابراهيم بك بن محمد على (ابراهيم باشا فيما بعد) ليقوم مع القبطان الى استانبول . وزوده أبوه بهدايا كثيرة للسلطان ورؤساء الدولة هناك . وسافر معهما موسى باشا الذى كان مرشحا للولاية .

ووصل من القبطان قبل سفره استجابته لطلب العلماء واستمرار محمد على فى ولايته على مصر مادام حائزا على ثقة الخاصة والعامة بشهادة العلماء واشراف الناس .

خصوصية بين العلماء :

وأوغر بعض العلماء - منهم السيد محمد الدواخلى والسيد عمر مكرم - صدر محمد على ضد

وأثنوا فى هذا المكتوب على محمد على وكفاءته . وان ما فرضه من الضرائب كان ضرورة لحرب المماليك المخلين بالأمن والنظام .

وأرسلوا من هذا المكتوب صورتين احدهما للسلطان والثانية للقبطان .

وكان القبطان من جهة أخرى قد راسل أمراء المماليك . وقرر عليهم مبلغا من المال نظير تمكينهم من العودة للحكم . ولكن أمراء المماليك - كعادتهم قد اختلفوا فى توزيع هذا المبلغ بينهم . وحاول كل منهم أن يخفض نصيبه ويؤجله حتى يدفع الباقيون .

وفى الوقت نفسه أمكن لمحمد على الاتصال بالقبطان . وأعطاه أكثر مما طلبه من الأمراء وماطلوه فيه . واتفق معه أن يكتب العلماء والأعيان ورؤساء العسكر طلبا للدولة يعلنون فيه تأييدهم لمحمد على واطمئنائهم لحكمه . لما توسموا فيه من العدل والانصاف . ومحاربة العربان المعتدين على الأهالى بكل أنواع الاعتداءات .

محمد بشتك الملقب بالألفى الصغير •

استيلاء الانجليز على الاسكندرية

وكان الاتفاق بين الألفى والانجليز أن يحضروا الى مصر لمساعدته • وفعلوا وصلوا الاسكندرية واستولوا عليها فى ٢٠/٣/١٨٠٧ (١٠ من المحرم سنة ١٢٢٢ هـ) • ولكنهم وجدوا الألفى قد مات • فراسلوا المماليك بالصعيد أنهم حضروا لنصرتهم • ولكن تفرق رأى المماليك • وتسجل لأحدهم وهو عثمان بك حسن - وكان من أكبرهم قوة - أنه رفض أن يختم حياته بعجهاده للفرنسيين بالاستعانة بالأفرنج لينتصر بهم على المسلمين •

وأظهر العسكر الجبن • فقد هربوا من الاسكندرية الى دمنهور • فلما رأوهم عسكر دمنهور هاربين خرجوا أيضا وعلى رأسهم الكاشف الى قوة • وتركوا الأهالى يواجهون الخطر وحدهم •

وحاول الانجليز بعد نزولهم الاسكندرية بأسبوعين الاستيلاء

الشيخ الشرقاوى • فأمره بملازمة داره وألا يخرج منها الا لصلاة الجمعة • وظل هكذا شهرا حتى توسط له القاضى • فقال محمد على : أنا لا ذنب لى ولكن الخلاف بينه وبين زملائه فاستأذنه فى فى مصالحتهم • وأولم لهم وليمة • وتصالحوها ولكن على ضغن •

واستمرت المحاربات بين محمد على المماليك • وركز محمد بك الألفى قواته فى الجيزة والبحيرة • وسيطر عليهما بقواته وعربانه • ونهب قراهما • ولكن استعصت عليه دمنهور بفضل ما كان يرسله لها السيد عمر مكرم من الامدادات والتشجيع لأنها كانت فى التزامه •

وفاة الألفى

وتوفى محمد بك الألفى فجأة فى ٢٩/١/١٨٠٧ (٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٢١ هـ) • ففقد المماليك ركنا هاما • ولما بلغ محمد على خبر وفاته قال : « الآن ملكت مصر » •

ومات أيضا بمنفلوط عثمان بك البرديسى • وقبلهما كان توفى

ذكرنا فى مقال سابق أن التمثال المذكور ليس لشخصه بل لسقاء كان يشبهه • فانهم لما أرادوا عمل تمثال له فى عهد اسماعيل لم تكن للاظأوغلى صورة • فوجدوا هذا السقاء شبيهه • فألبسوه وعملوا على رسمه التمثال الموجود الآن (أسماء ومسميات من تاريخ القاهرة لكاتب المقال تحت الطبع) •

ولما حضر محمد على رفض خروج الأهالى • وقال ان القتال واجب العسكر • وعلى الأهالى فقط المساعدة بالنال • وقرر مبلغا ألزم السيد عمر مكرم بتحصيله •

واستعد محمد على للسفر • ولكن وصلت الأخبار بتغلب الأهالى على الانجليز • وأنهم طردوهم من الأماكن والقرى التى احتلوها بين رشيد والاسكندرية • ووصل الأسرى منهم مئات • والقضى مئات • فقطعوا آذان القتلى ومأجوها وحسبوها لارسالها بأخبار النصر الى استانبول •

على رشيد فى ٣/٤/١٨٠٧ ولكن الأهالى كانوا مستعدين • فما أن توسط الانجليز المدينة حتى أطلقوا عليهم النيران من النوافذ وأعلى المنازل والأزقة والحارات • فحصدوهم • وقتلوا الكثيرين • وأرسلوا الباقين أسرى الى القاهرة •

ولما سمع كاشف دمنهور الخبر تشجع وعاد الى المدينة • وبلغ خبر نزول الانجليز محمد على وهو بالصعيد يحارب المماليك فأسرع بالعودة الى القاهرة •

وأرسل السيد حسن كريت نقيب الأشراف برشيد والمتزعم حركة المقاومة بها يطلب النجدة • لأن الانجليز سيعاودون محاولة الاستيلاء على المدينة • فقراً السيد عمر مكرم الخطاب على الناس وحثهم على الجهاد • ولكن منعهم الكتخدا حتى يحضر محمد على •

والكتخدا أى الوكيل كان وقتذاك محمد بك لآظ أوغلى المنسوب له الميدان والتمثال بجهة الوزارات بحى الناصرية • وقد

على يقرر الضرائب للنفقات المتزايدة للعسكر • ويترك للسيد عمر مكرم توزيعها على الأهالي وتحصيلها منهم فكان السيد عمر مكرم فى نظر الناس هو المتسبب فيها مما أخرج مركزه •

وكان الاتفاق بين محمد على والعلماء عندما أقاموه واليا فى مايو سنة ١٨٠٥ ألا بيت فى شأن من الشئون • أو يفرض ضريبة • الا بعد رأيهم وموافقتهم •

ولكن محمد على استبد بالأمر • ولم يراع هذا الاتفاق • مما جعل السيد عمر مكرم يطلق لسانه بانتقاد محمد على وتصرفاته • وكان السيد عمر صريحا كطيعة الأحرار • فدار ما فى نفسه على لسانه فى مجالسه • ونقل أصحاب الأغراض هذه الأقوال الى محمد على ومبالغا فيها •

وكان الساعون فى هذه الواقعة الشيخ محمد السادات والشيخ محمد المهدي والسيد محمد الدواخلى •

وكان جزاء أهل رشيد من العسكر عقب هذا الانتصار أن نزل العسكر المدينة ونهبوها • فتعرض لهم السيد حسن كريت • ورحل الكثيرون من أهل رشيد الى القاهرة بعائلاتهم •

وتأخر سفر محمد على الى الاسكندرية بسبب مناوشات بينه وبين المماليك حول القاهرة • فقد كان لما علم بقدوم الانجليز قد لاينهم وأوعدهم الوعود • واسترضى بعضهم • واستعصى عليه البعض الآخر •

وأخيرا سافر محمد على الى الاسكندرية • واتفق على جلاء الانجليز عنها فى سبتمبر سنة ١٨٠٧ • وعاد الى القاهرة فى أوائل أكتوبر •

وقد ذكرت نزول الانجليز ثم جلاءهم بفضل الشعب وقياداته فى رشيد والقاهرة لاستكمال تسلسل الحوادث •

**الجفاء بين محمد على
والسيد عمر مكرم
ونفيه الى دمياط**

استمر فرض الضرائب • واستمر ايداء العسكر للناس • وكان محمد

من سلاح • المنحطى الترية
والأخلاق • فضلا عن حاجته لهم
فى حروبه ضد الممالك •

وبلغ محمد على اجتماع العلماء •
فطلب اجتماعهم به • ولكنهم
رفضوا • وأمكن لمحمد على
استجلاب المهدي والدواخلى
لجانبه • ولوح لهما بالوعود •
وكلفهما بملاينة السيد عمر مكرم
حتى يحضر عنده • وأنه مستعد
لاجابة مطالب العلماء • ولكن
السيد عمر مكرم أصر على موقفه
وصرح بأن محمد على رجل ظالم
لا عهد له • وطلبه ثانية فقال السيد
عمر لا أجتمع به عنده بل أقبل
الاجتماع به فى منزل الشيخ
السادات •

وغضب محمد على فهو الوالى
الحاكم ولا يفرض عليه النزول
الى بيت أحد من الناس • وأخيرا
طلبه رسميا أمام القاضى للفصل
فيما بينهما • فاعتذر السيد عمر
بأنه شرب دواء ذلك اليوم ولا
يستطيع الحضور •

وكثرت الضرائب • وضع
الناس • وذهبوا يشكون الى
شيوخ الأزهر • فاجتمعوا بقبلة
الجامع • وحضر معهم السيد
عمر مكرم • وكتبوا شكوى الى
محمد على يطلبون رفع المظالم
والضرائب المستجدة • ومال
الأوسى والرزق • وختم الأمتعة •
وغير ذلك من الأنواع التى ابتدئها
محمد على لزيادة موارده •
وتعاهدوا على الاتحاد •

والأوسى جمع أوسية وهى
المساحة التى كانت تخصص أصلا
لصاحب الالتزام يزرعها لنفسه •
والرزق جمع رزقة • وهى مساحات
كانت تخصص إيراداتها للمساجد
والأعمال الخيرية • وكان الأصل
ألا تدفع الأوسى والرزق ضرائب •
فقرض عليها محمد على الضرائب •

وكان محمد على يشتد فى منع
العسكر أحيانا • فيخرج بعضهم
خارج القاهرة فيعيشون فسادا فى
القرى • ولكن كان ضبط جماهم
من أصعب الامور • فهم أخلاط
من الجاهلين المغرورين بما يحملون

أحكام القضاء • فغضب عليه محمد على وعزله من نقابة الاشراف سنة ١٨١٦ م • وثناه الى دسوق ثم الى المحلة الكبرى وظل بها حتى توفي سنة ١٨١٨ م ودفن بها • وقال أيضا الجبرتي : ان الذى وقع لهذا الدواخلى انما هو قصاص وجزاء فعله فى السيد عمر مكرم • فانه كان من أكبر الساعين عليه الى أن عزلوه وأخرجوه من مصر • اهـ •

وكفر الطماعين شرقى مسجد الامام الحسين • ويوجد للآن شارع اسمه شارع السيد الدواخلى أمام كلية الشريعة بجامعة الأزهر • وبه المسجد المذكور أولا • وقد تعدل تخطيط هذه الجهة أخيرا • وظهر الحقد الكامن فى النفوس على السيد عمر مكرم • فكتب الشيوخ للدولة فى حقه • واتهموه بشتى الاتهامات منها انه كاتب امراء المماليك وقت الفتنة • وأنه سعى للإيقاع بين الباشا والعسكر • وأنه أخذ من الأتلى مبلغا من المال ليملكه مصر أثناء

وأخيرا قرر محمد على أمره • وحزم رأيه • وأمر بخروج السيد عمر مكرم منفيًا الى دمياط • وتعيين الشيخ السادات بدله نقييا للأشراف • وخرج السيد عمر من القاهرة تنفيذا للأمر فى ١٢/٨/ ١٨٠٩ م (أول رجب سنة ١٢٢٤ هـ) •

وكافأ محمد على الشيخ محمد المهدي بنظر أوقاف الامام الشافعى وسنان باشا كما ذكرنا فى ترجمة المهدي فى مقال سابق • أما السيد محمد الدواخلى فلم يستفد شيئا غير شفاء ما فى نفسه من الحسد • ولكن لما توفي السادات سنة ١٨١٣ م (١٢٢٨ هـ) عينه محمد على نقييا للأشراف •

وقال الجبرتي : فركبه الغرور وعمر دارهم القديمة بكفر الطماعين وأنشأ تجاهها مسجدا • ولما مات ابنه دفنه بهذا المسجد • وتعاضم الدواخلى فركب الخيول ولبس التاج الكبير • ومشت أمامه جاوِشية النقابة • وتناول على الموظفين والكتبة • وتداخل فى

فلما قضى محمد على ، على
المماليك فى مذبحة القلعة المشهورة
فى ١٨١١/٢/٢٨ (٤ صفر
سنة ١٢٢٦ هـ) لجأ اثنان من
الكشاف المماليك الى الشيخ
الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر
يطلبان حمايته ووساطته فى العفو .
فطلب الأمان لهما من محمد على .
فوعده على أن يحضرا عنده . فلما
أرسلهما قتلها وذبحها مع الباقيين .
ولما توفى الشيخ الشرقاوى
سنة ١٨١٢ (١٢٢٧ هـ) اجتمع
العلماء واتفقوا على تعيين الشيخ
محمد المهدي شيخا للأزهر .
وصافحوه وهنأوه . ولكن محمد
على ضرب باتفاقهم عرض الحائط
وعين الشيخ محمد الشنواني شيخا
للأزهر كما سنذكر باذن الله فى
المقال الخاص بشيوخ الأزهر .

واقصر محمد على ، على
الوهابيين فى الحجاز . وعينت
الدولة ابنه ابراهيم باشا واليا على
الحجاز . وأصبح محمد على رجل
الدولة المشار له بالبنان .

فتنة أحمد خورشيد . وأنه أدخل
فى دفتر الاشراف بعض من أسلموا
من اليهود والنصارى . وغير ذلك
من الاتهامات الباطلة .

ولكن لا يعدم الحق انصارا .
فامتنع بعض العلماء عن التوقيع .
وكان على رأس الممتنعين السيد
أحمد الطحطاوى الحنفى فقالوا
للممتنعين : أتمم لستم بأروع ولا
أورع منا . واضطهدوهم . وكان
الطحطاوى شيخا للحنفية بعد وفاة
الشيخ ابراهيم الحريرى بن الشيخ
محمد الحريرى نسيب المهدي
السابق ذكره فى ترجمة المهدي فى
مقال سابق . فعزلوا الطحطاوى من
مشيخة الحنفية . وظل معزولا
حتى أعيد لها سنة ١٢٣٠ هـ
(١٨١٥ م) فى مشيخة الشيخ
محمد الشنواني للجامع الأزهر .

مذبحة المماليك فى القلعة وهوان شأن العلماء :

وبعد نفى السيد عمر مكرم هان
شأن العلماء فى نظر محمد على .
فقد أمكنه تفريق وحدتهم .
واستغلال ما فى الطبائع البشرية
من المطامع الدنيوية .

واستقرت له الامور فى الداخل • فلم يعد فى حاجة الى تعضيد العلماء • وانطلق فى تنفيذ مشروعاته واصلاحاته التى ليس هنا مكان ذكرها • ولكن نذكر أن من ضمن هذه الاصلاحات نشر التعليم فى مصر على الطريقة الحديثة • وبدأ بارسال البعثات الى أوروبا • فأرسل ٢٨ طالبا فى المدة من سنة ١٨١٧ - ١٨٢٥ م • وأرسل ٢٩١ طالبا فى المدة من سنة ١٨٢٦ - ١٨٣١ م • وكان الكثيرون من هذه البعثات من طلبة الأزهر • وسنذكر بعض النابهين البارزين منهم فى المقال التالى باذن الله •

محمد كمال السيد

« شكر وتصحيح »

نشكر الأخوة الذين كتبوا الينا لتصحيح ما ورد فى مقال « ذو القرنين يفتح المشرف » •
 بخصوص ما ورد فى هذا المقال عن موقعة «مرج دابق»
 والتصحيح ان الموقعة التى هزم فيها التتار هى موقعة « عين جالوت » •

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

جرائم القصاص وجرائم التهزير

المستشار حسن حسب الله

حكم الاعدام في ذو الفقار على
بوتو رئيس الوزراء السابق
للباكستان حينما ادين في جريمة
قتل أحد خصومه السياسيين •

ولذلك كان حرص الشريعة
الاسلامية على فرض القصاص
وعدم تركه لهوى الحكام يفرضونه
أو لا يفرضونه ذلك لأن الناس
جميعا أمام الله سواء فلا فرق بين
غنى وفقير و لا بين قوى وضعيف
ولا حاكم محكوم فلا طبقية في
الاسلام فقد خلق الله الناس جميعا
من طينة واحدة « يا أيها الناس
اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء -
أول النساء » كما ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم « الناس
سواسية كأسنان المشط » •

اتهمنا في عدد سابق من الكلام
عن جرائم الحدود وتكلم في هذا
العدد عن جرائم القصاص وجرائم
التهزير •

جرائم القصاص :

جرائم القصاص هي جرائم
الاعتداء على جسم الانسان سواء
بالقتل أو الجرح أو الضرب ويعبر
عنها في الاصطلاح الشرعى بجرائم
الاعتداء على النفس وقد كان الناس
قديما وحديثا لا يرون أنهم
متساوون فحينما يقتل ملك
أو أمير أو رئيس أحد عامة الناس
فانه لا يصح أن يقتل به وحينما
يقتل أحد العظماء فانه لا يصح
الاكتفاء بقتل قاتله ولا ادل على
بقاء هذا الاختلال حتى الآن من
النداءات والوساطات التى بذلها
رؤساء بعض الدول لعدم تنفيذ

وقد أجمع الفقهاء على أن الحاكم أو السلطان اذا اعتدى على أحد من الرعية وجب عليه أن يقدم نفسه ليقترض منه اذ هو واحد منهم وان كان له مزية النظر في شئونهم كالوصى والوكيل ، وذلك لا يمنع القصاص وليس بين الحكام وبين العامة فرق في أحكام الله تعالى فالاعتداء على جسم الانسان اعتداء على امر لا تختلف فيه مراتب الناس ولا أقدارهم بل هم فيه سواء فلا توجد دماء زرقاء ودماء حمراء ولذلك فرض الله القصاص حتى لا يستكين الضعيف ونفسه تغلى بالحقد والمرارة ولا يستهتر القوى بدماء الضعفاء أو يسرف في الانتقام ان أصابه أى اعتداء •

والقصاص هو المساواة بين الجريمة والعقوبة عليها فيعاقب الجاني بأن يفعل به نفس ما فعله بالمجنى عليه كلما أمكن ذلك فان كان قتلا قتل وان كان جرحا جرح وان كان قطعاً لأحد الاطراف قطع منه الطرف المماثل وهكذا •

والقصاص عقوبة مقدرة ثبت أصلها بالكتاب وثبت تفصيلها بالسنة •

والاعتداء على النفس قد يكون بالقتل وقد يكون بما دونه من قطع أو جرح أو ضرب • وقد نزلت في جريمة القتل آيتان •

الأولى آية مكية وهى قوله تعالى « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا - الاسراء ٣٣ » وهذه الآية هى أول ما نزل فى القتل على الاطلاق •

والآية الثانية مدنية وهى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والأثنى بالأثنى فمن غفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم - البقرة ١٧٨ » •

ويشترط في القتل الموجب للقصاص أن يكون ظلماً أى بغير حق كما ذكرنا أى عدواناً وأن يكون عمداً ذلك أن للقتل الخطأ حكماً آخر نص عليه الكتاب صراحة فى قوله تعالى : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة - النساء ٩٢ » •

فقد صرحت هذه الآية على أنه لا قصاص على الاطلاق فى جميع صور القتل الخطأ •

والقتل هو ازهاق روح انسان متحقق الحياة بفعل من شأنه عادة أن يزهق الروح يقوم به انسان مؤاخذ بعمله أى شخص بالغ وعاقل •

فمتى قتل انسان عمداً وبغير حق أى ظلماً وعدواناً فقد جعل

ومقتضى الآية الأولى النهى عن القتل وتحريمه وشأن الاسلام فى ذلك شأن الشرائع السابقة ، كما أخبر الله تعالى عن التوراة « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص - المائدة ٤٥ » ، فالنفس البشرية أيا كانت معصومة الدم ولا يباح قتلها الا بذنب تأتية يبيح قتلها فلا يكون قتلها فى تلك الحالة جريمة منهاها عنها •

وقد أورد الكتاب والسنة الحالات التى يباح فيها قتل النفس وهى حدود البغى والجرابة وزنى المحصن والردة ومرتكب الفاحشة مع الرجال أو البهائم والقاتل عمداً دون عذر شرعى وحالات الدفاع الشرعى عن النفس أو المال أو العرض فقد وردت السنة باباحة القتل دفاعاً عن هذه الأقسام الثلاثة من الحق بشرط ألا تكون هناك وسيلة للدفاع عنها الا القتل وهذه مسألة تقديرية تترك لقاضى الموضوع يفصل فيها حسب الظروف المحيطة بالزمان والمكان •

فلا يتجاوز عن الحد المطلوب فلا يقتل غير القاتل ولا بكيفية غير التى قتل بها المقتول فلا يمثل بالقاتل صلبا أو تقطيعا أو غير ذلك .

والآية الكريمة لم تعرض لبيان صاحب الاختصاص فى القضاء بهذا الحق أو تنفيذه اذا ما طلبه صاحبه وهو ولى المقتول وانما تركتهم وشأنهم الذى كانوا يألفونه فى الجاهلية حيث لم يكن بمكة حكومة اسلامية يمكن أن يعهد اليها بشئ من ذلك .

فلما نشأت الحكومة الاسلامية فى المدينة وأصبح للمسلمين حاكم يقضى وينفذ فيما يقع بين المسلمين من خصومات . نزلت الآية الثانية وبينت أن القصاص قد أصبح « فرضا » فى شأن من قتل عمدا بغير حق وذلك باستعمالها لفظ « كتب » وأن مسؤولية تنفيذ القصاص قد أسندت الى الحاكم فلم تترك لصاحب الحق وذلك بتوجيه الخطاب الى « الذين آمنوا » فالله سبحانه وتعالى قد خاطب جميع المؤمنين بالقصاص

الله لوليه سلطانا بعد القتل فى التصرف مع القاتل بقتله .

وقد اختلف الفقهاء فى معنى الولى الذى له هذا السلطان .

فذهب البعض الى أنه الوارث مطلقا نسبيا كان أو سببيا ذكرا كان أو اثنى . وذهب البعض الى أنه هو الوارث النسبى فقط فلا يعتبر أحد الزوجين وليا لدم الآخر وذهب البعض الى أن الولى لا يكون الا من الذكور العصابة فقط دون غيرهم من الأقارب ونرى الأخذ بالتعميم فى معنى الولى وأن يقصد به جميع الورثة من الرجال والنساء لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه قال : « وعلى المقتلين أن ينحجزوا الأول - فالأول وان كانت امرأة » ويقصد بالمقتلين أولياء المقتول الطالبين للقصاص ويقصد بينحجزوا الكف عن طلب القصاص متى عفا أحدهم ولو كان صاحب العفو امرأة .

والسلطان الذى جعله الله للولى هو حق طلب القصاص دون اسراف « فلا يسرف فى القتل »

ولكن تدفع الدية ويعزر أشد تعزير واحتجوا في ذلك بأن آية القصاص كان الخطاب فيها للمؤمنين فيكون موضوع القصاص اذا كان القتل مسلمين كما احتجوا بحديثه صلى الله عليه وسلم : « لا يقتل مسلم بكافر » كذلك ذهبوا الى أن الرجل لا يقتل بالمرأة لأن المرأة بشكل عام لا تساوى الرجل .

وذهب البعض ومنهم الامام أبو حنيفة والنووي وابن أبي ليلى الى أن المسلم يقتل بغير المسلم والرجل يقتل بالمرأة لأن الأساس في القصاص في الأتس هو المساواة في النفس الانسانية وأن ما احتج به أصحاب الرأي الأول من أن الخطاب في آية القصاص كان للمؤمنين انما كان لهم باعتبارهم أهل التكليف وأصحاب الحكم سواء كانت الأحكام الشرعية تطبق على المسلمين وحدهم أم تطبق على المسلمين وغير المسلمين وأما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقتل مسلم بكافر » فقد ورد في الحربى

وهو أمر لا يتهماً لهم جميعاً أن يجتمعوا لتنفيذه ولذلك يقوم السلطان مقامهم في اقامته واقامة غيره من الحدود فمتى تحققت شروط اقامة القصاص فانه لا يحل للحاكم عدم تنفيذه أو العفو عن الجانى لأى سبب من الأسباب فولى الدم في هذه الآية لا يملك الا أن يطالب بحقه فى اقامة القصاص وليس له أن يستوفى القصاص بنفسه حتى ولو قضى به القاضى ومتى طلب ولى الدم هذا الحق فليس للحاكم الا أن ينفذ القصاص وليس له حق العفو أو التخفيف لأن هذا الحق فى العفو أو التخفيف قصرته الآية على ولى الدم وحده كما سيجىء .

وقد أثار التنويع والتقسيم الوارد بالآية « الحر بالحر والعبد بالعبد والأثى بالأثى » الخلاف بين الفقهاء فى حالة اختلاف القاتل والمقتول فى النوع كما اذا قتل رجل امرأة أو قتل مسلم غير مسلم فذهب كثير من الفقهاء الى أن المسلم لا يقتل بغير المسلم

فاذا قتل من فريق منهم امرأة انتقموا لأنفسهم بقتل رجل من الفريق الآخر واذا قتل من فريق منهم أحد العبيد انتقموا له بقتل أحد الأحرار من الفريق الآخر . ومن المسائل التي ثار عليها الخلاف أيضا قتل الوالد لولده فذهب البعض الى عدم القصاص من الوالد في هذه الحالة واستندوا في ذلك الى حديث « لا يقاد والد بولده » كما أحتجوا في ذلك بأن الوالد هو سبب وجود الولد فكيف يصبح الولد سببا في عدم الوالد ويرد على هذا الرأي بأن الحديث الذي استند اليه حديث باطل أما سبب الوجود وسبب عدمه فانه يرد عليه بأن الوالد اذا زنا بابنته فانه يرحم رغم أنه سبب وجودها .

وعلى ذلك فان الرأي الأرجح والأصوب والذي يتفق مع مبادئ الاسلام باعتباره دين المساواة وشريعة الله في كل أرضه ولكل خلقه هو الرأي القائل بأن لا اعتبار لشيء من الأوصاف في القصاص وعليه يقتل الحر بالعبد

الذي يقاتل المسلمين وهو أمر طبعى فالحرى الذي يشن الحرب على المسلمين يباح لذلك دمه وهو أمر يختلف عن غير المسلم الذي يعيش مع المسلمين وتحت الحكم الاسلامى .

والواقع أننا لو ذهبنا الى تحكيم الأوصاف والتماثل بين القاتل والقتيل لأقامة القصاص لاضطربت قاعدته وفاتت حكمته فلا يقتل الصحيح بالمريض ولا يقتل العاقل بالمجنون ، وهكذا كما أنه لا يوجد ضابط محدد يمكن أن يتفق عليه لبحث التساوى بين القاتل والمقتول وأن الضابط الوحيد الذى يمكن الاتفاق عليه والوثوق به هو مجرد « النفس المحرمة » وأن سياق الآية « كتب عليكم القصاص فى القتل » كلام مستقل بنفسه واضح فى دلالاته وليس محتاجا الى البيان أو الايضاح بما بعده وأما ماورد بها « الحر بالحر والعبد بالعبد والأثى بالأثى » انما كان ردا على تلك العادة الجاهلية التى كانت تسرف فى الانتقام بقتل غير القاتل

من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » •

لأن العفو هنا لا يصدر إلا عن نفس قادرة على طلب القصاص وغير مكرهة إطلاقاً على العفو ولا يستطيع الحاكم تجاهل طلب القصاص ولا إيقاف تنفيذه ولذلك فإن عفو ولي الدم في الإسلام ليس عن ضعف ولا مهانة ولذلك متى عفا لم يقبل منه بعد ذلك الرجوع عن العفو وطلب القصاص •

وعقوبة القصاص من القاتل عمداً وظلماً وعدواناً بقتله من العقوبات التي حرص عليها التشريع الإسلامي لقوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون - البقرة ١٧٩ » لما فيها من حفظ الحياة للناس بعدم تجاوز القاتل والانتقام ممن عداه وأخذ عدة أفراد لم يشتركوا في القتل بجريرة غيرهم مما يشيع الاضطراب في الحياة وعدم الأمان ولأن القاتل متى علم بأنه لن يستطيع الإفلات من القتل بعد

والعبد بالحر والذكر بالأثني والأثني بالذكر والمسلم بغير المسلم وغير المسلم بالمسلم والولد بالوالد والوالد بالولد فالكل نفس محرمة ولوليتها بنص القرآن حق طلب القصاص فالقصاص في النفس تلاحظ فيه النفس فقط والفوس متساوية •

وقد فتحت الآية الثانية من آيات القصاص باباً للتخفيف عن القاتل بقوله تعالى : « فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » فقد صرحت الآية بأن يفتدى القاتل نفسه بعرض « الدية » على ورثة المقتول (ولي الدم) فإن عفا ولي الدم عنه مقابل الدية أو بدون مقابل امتنع على الحاكم تنفيذ القصاص في القاتل •

وحق العفو لا يشترط فيه أن يكون صادراً عن جميع الورثة فيكفى أن يعفو أحدهم ليسقط القصاص •

وحق العفو لا يجوز الرجوع عنه لنص الآية : « ذلك تخفيف

على أحكام القصاص فيما دون النفس وعلى أنه مشروع في الاسلام شرعا عاما وأنه فقه اسلامي ، ولكن ليس من فقه الكتاب والسنة ذلك أن الآية التي وردت بسورة المائدة .. « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأف بالأف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص - المائدة ٤٥ » مما كتبه الله في التوراة ولا يلتزم المسلمون بشرائع من قبلهم لقوله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا - المائدة ٤٨ » وإلى هذا القول ذهب الشافعية وابن حزم والشوكاني وغيرهم .

كذلك لا يصح الاحتجاج بالآيات « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم - البقرة ١٩٤ » ، « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به - النحل ١٢٦ » ، « وجزاء سيئة سيئة مثلها - الشورى ٤٠ » فكل هذه الآيات نزلت في تحديد العلاقة بين المؤمنين والكافرين في حالة الاعتداء فهي تشريع بين

ارتكابه جريمته وأن ماله ومكاته لن يدرأ عنه القتل مهما كانت ضالة من قتله فانه سيفكر بدل المرة مرات وسيعدل عن ارتكاب جريمته مهما كانت الدوافع قوية على ارتكابها ولهذا كان القصاص احياء للنفوس وحفظا لها ولم تستطع التشريعات الوضعية بعد الغاء عقوبة الاعدام الوصول الى هذا الغرض فان القاتل متى أيقن أنه لن يقتل فانه لا يتوقف عن ارتكاب جريمته وأهل القتل لن يقبلوا بغير قتله بديلا مهما طال سجنه فهم يتربصون به لقتله أو قتل أحد من ذويه وبذلك عدنا الى الجاهلية .

هذا عن جريمة الاعتداء على النفس بالقتل .
القصاص فيما دون النفس

أما اذا كان الاعتداء لا يصل الى درجة القتل فان عقوبته يعبر عنها في الاصطلاح الشرعي باسم (القصاص فيما دون النفس) .

وقد ثبت القصاص فيما دون النفس بالاجماع وكل كتب الفقه الاسلامي ومذاهبه المتعددة مجمعة

والشلل والكمال والنقصان وجميع
الأوصاف والمنافع فلا قصاص بين
عضو صحيح وعضو أشل ولا بين
يد كاملة الأصابع وأخرى ناقصتها
ولا بين يد اليمنى ويد يسرى *

وقد اختلف الفقهاء فى القصاص
فى الأطراف بين المرأة والرجل
فذهب الحنفية الى عدم القصاص
فى هذه الحالة نتيجة قياسهم
الأطراف على حكم الأموال وانه
لا قصاص فى الأموال بل تعويض
ولذلك لا يحق للمرأة عندهم
المطالبة بالقصاص وانما تطالب
بالتعويض *

أما جمهور الفقهاء فيرون أن
أطراف المرأة وجروحها كأطراف
الرجل وجروحها على سواء يجرى
فيها القصاص بشرط امكان التماثل
وهذا هو رأى الأصح والاولى
بالاتباع *

واذا تعذر اقامة القصاص
سواء فى النفس أو ما دونها لغفو
ولى الدم أو المجنى عليه أو لعدم
توافر شروط اقامة القصاص التى
ذكرناها سواء فى القتل أو مادونه

الامة الإسلامية وغيرها من الامم
وليست تشريعا داخليا ينظم
العلاقة بين أفراد الامة الإسلامية *
هذا الى جانب أن من يقولون
بالنسخ فى أحكام القرآن يرون
أن هذه الآيات قد نسختها الآيات
الموجبة للقتال فلا تصلح
للاستدلال على فرض القصاص
فيما دون النفس بالكتاب ولا
تصلح أن تكون أصلا لتشريع
القصاص فيما دون النفس بين
المسلمين بعضهم مع بعض *
أما حديث « كتاب الله
القصاص » فهو على فرض صحته
حديث آحاد وقد أنكر كثير من
الاصوليين صحة الاستدلال به فى
فرض القصاص *

وجرائم الاعتداء فيما دون
النفس قد تكوفى بقطع عضو من
الأعضاء أو جرحه وكذلك باللطم
والضرب *

ويشترط لاقامة القصاص أن
تكون الجناية متعمدة وأن يكون
الاستيفاء ممكنا من غير تجاوز
وأن تتساوى الأعضاء التى يكون
القصاص بينها من جهة السلامة

فان حق المجنى عليه يتحول من القصاص المادى الى قصاص معنوى وهو ما يعبر عنه بالدية •

الدية

ظهر نظام الدية منذ وصلت الجماعة الانسانية الى درجة من التقدم وأصبحت تعتمد على الزراعة وتوافرت لديها الاموال فيقوم الجانى وأهله بتسليم عدد من رؤوس الماشية لأهل المجنى عليه ليفتدى الجانى نفسه ولتعويض الضرر الذى حل بالمجنى عليه وبأهله وتهدة لخواطهم •

وقد كان مقدار الدية متروكا لتقدير الطرفين يختلف تبعا لمركز الجانى والمجنى عليه كما كان قبولها أيضا متروكا لتقديرهما ان شاء قبلها وان شاء رفضا ولجآ الى الانتقام والثأر ثم تطور هذا النظام فى بدء ظهور نظام الدولة وأصبحت الدية اجبارية تحددها السلطة وتلزم الطرفين بقبولها •

وقد أخذت كل الشرائع القديمة بنظام الدية فى جرائم الاعتداء على النفس من قتل

وجرح وضرب غير أن بعضها كان يسوى بين الافراد وبعضها الآخر كان يحدد مقدارها تبعا للطبقة التى ينتمى اليها الشخص • وبعض الشرائع كان يعمم تطبيقها فى حالة العمد وغير العمد وبعضها الآخر يقصر تطبيقها على حالات غير العمد •

ثم جاء الاسلام فوضع نظاما مرنا وشاملا للدية • فالأصل أولا اقامة القصاص فى كل جرائم الاعتداء على النفس متى كانت عمدية والدية اذا كانت هذه الجرائم غير عمدية • واذا توافرت شروط اقامة القصاص فللمجنى عليه أو ورثته اما طلب القصاص واما العفو التام واما العفو عن القصاص وقبول الدية فاذا ما طلبوا القصاص فليس للحاكم الحق فى عدم اقامته أو أن يأمرهم بقبول الدية واذا طلبوا الدية فليس لهم الرجوع عنها وطلب اقامة القصاص واذا لم تتوافر شروط اقامة القصاص فليس لهم الا قبول الدية •

الواحدة تجب نصف الدية أى
خمسون من الابل ، وهكذا •

وقد ذهب الشافعى الى أن
« الاروش » واحدة ولا تتفاوت
بين الرجل والمرأة على عكس ما هو
وارد فى جريمة القتل من استحقاقها
نصف الدية •

واذا كانت الجريمة على عضو
لم تمكن فيه المماثلة سواء كانت
الجريمة قد وقعت عمداً أو عن غير
عمد فان التعويض يترك تقديره
للقاضى وهو ما يعبر عنه فى
الاصطلاح الشرعى « بحكومة
العدل » ويسرى ذلك على أغلب
الجروح وسائر صور الاعتداء
على جسم الانسان فيما دون
القتل •

والذى نراه بالنسبة لتقدير
« الدية » و « الأرش » أنه
لا يمكن التمسك بما جرى عليه
العمل فى حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تحديد
بعدد معين من الابل •

وقد ثبت أن خليفة رسول الله
قد خرج على هذا التقدير بسبب

والدية متساوية بالنسبة لجميع
الاشخاص فلا يتأثر قدرها بمركز
الجانى أو مركز المجنى عليه
أو أوصافه على الإطلاق •

وقد حددت السنة النبوية
الدية فى حالة القتل بمائة من الابل
وحدها عمر بن الخطاب رضى الله
عنه بألف دينار من الذهب
أو اثنى عشر ألف درهم من الفضة
أو مائتى بقرة أو الفى شاه وذلك
بسبب ارتفاع قيمة الابل •

وقد أجمع الصحابة على أن دية
المرأة على النصف من دية الرجل
فى حالة قتلها ، وذلك قياساً على أن
ميراثها على النصف من الرجل
فكذلك يكون فى ديتها • أما قطع
الأطراف والجروح وغيرها فهى
تنسب الى الدية فمثلاً اذا قطع
أصبع واحد وجب على قاطعه عشر
الدية واذا قطع أصبعين وجب
الخمس واذا قطع ثلاثة أصابع
وجب عليه ثلاثة أعشار وتسمى
الدية فى حالة القطع أو الجرح
« أرشاً » وقد عدد الفقهاء قيمة
الارش فى كل حالة فبالنسبة لليد

التام أو العفو عن القصاص وقبول الدية وانما يعاقب رغم ذلك على أساس أن ما ارتكبه يشكل جريمة من جرائم التعزير ولا يملك المجنى عليه أو ورثته اعفائه من هذه العقوبة كما لا يملك الجاني رفعها عن نفسه مهما قدم من أموال .

جرائم التعزير

التعزير معناه التأديب .. وقد اكتفى كل من الكتاب والسنة بالنص على أمهات الجرائم التي لا يجب ترك العقاب عليها لتقدير الحكام حتى يستقيم أمر الناس ولذلك فرضت الحدود والقصاص بالكتاب والسنة ، أما باقى الجرائم فقد ترك أمرها للمسلمين يقدرون عقابها بقدر ضررها وبقدر انتشارها حتى لا يقدم المسلمون على حرام ولا يسمحون بظلم أو عدوان أو فساد فى الارض .

وعلى ذلك فان جرائم التعزير لا يمكن أن تكون أمرا ثابتا كالحدود والقصاص وانما تختلف من مكان لآخر وتختلف فى نفس المكان من زمن لآخر كما أن هذه

ارتفاع أسعار الابل وفرض تقديرات أخرى .

ولذلك لا نرى ما يمنع من تقدير الدية بمبلغ من المال بالعملة السائدة فى بلد المجنى عليه وأنه لا يوجد ما يمنع من أن يختلف هذا المبلغ من بلد لآخر وفى نفس البلد لا يوجد ما يمنع من تعديله من وقت لآخر وأن القيد الوحيد فى تقدير الدية هى أن تكون مبلغا واحدا لا يتفاوت بأوصاف الجاني أو المجنى عليه أخذا بالاصل القائم عليه التشريع الاسلامى وهو المساواة وأن هذا رأى هو الذى يتفق مع النظرة الى التشريع الاسلامى كتشريع شامل موجه الى كل بنى الانسان فى كل زمان ومكان .

أما التعويض عن القطع والجرح والضرب فيجب أن يترك تقديره للقضاء يفصل فيه بالتعاون مع أهل الخبرة .

والجاني فى جرائم الاعتداء على النفس فى جميع صور هذا الاعتداء لا يفلت من العقاب بمجرد العفو

الاسعار المحددة قانونا والاقرض
بالربا الفاحش وممارسة العاب
القمار وغيرها •

وقد اختلف الفقهاء فيما اذا
كان للتعزير حد أقصى لا يجب أن
يتجاوزه فذهب كثير من الشافعية
والحنابلة وأبو حنيفة الى أنه لا يجب
أن يتجاوز التعزير أدنى الحدود
أى أربعين جلدة وذهب الامام
مالك الى أن التعزير يقدر بحسب
المصلحة وعلى قدر الجريمة
فيجتهد فيه ولى الأمر ولا حد
لأكثره فقد يزيد الامام فيه عن
الحد اذا رأى المصلحة العامة في
ذلك ونرى الأخذ برأى الامام
مالك ويؤيد هذا رأى أن حد
شرب الخمر هو الجلد ثمانون جلدة
ومع ذلك فقد ثبت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل
شارب الخمر متى عاد لشربها
للمرة الرابعة « من شرب الخمر
فاجلدوه وان عاد فى الرابعة
فاقتلوه » كما روى عن عطاء -
وعمر بن العاص وعبد الله بن عمر
أن السارق يقتل فى السرقة
الخامسة كما ثبت أن رسول الله

الجرائم حينما تحدد يمكن أن
تختلف عقوباتها من وقت لآخر
وأىضا من شخص لآخر •

فالعبرة فيها هى تحقيق مصلحة
المسلمين فى الحياة فى المجتمع
النظيف •

كذلك يعاقب الجانى تعزيرا اذا
كان قد ارتكب حدا من الحدود
أو جريمة من جرائم الاعتداء على
النفس ولم تتوافر شروط اقامة
الحد أو اقامة القصاص عليه •

والتعزير قد يكون بالضرب
أو الحبس أو الابعاد •

وقد اختلف الفقهاء فيما اذا
كان يمكن التعزير بالعقوبات
المالية فذهب ابن قيم الجوزيه الى
أن التعزير بالعقوبات المالية
مشروع وذهب البعض ومنهم
الأئمة أبو حنيفة ومالك والشافعى
وأحمد أنه لا يجوز التعزير بأخذ
المال ونرى الأخذ بهذا رأى
حيث ثبت عملا أن التعزير
بالعقوبات المالية لم ينفع اطلاقا فى
الحد من الجرائم المعاقب عليها
بذلك كجرائم التهرب من الضرائب
وتهريب النقد والبيع بما يزيد على

وتحديد جرائم التعزير والعقوبات المقدرة لها أمر متروك للحاكم ولا يوجد ما يمنع من الجمع بين عقوبتي الحد ، والقصاص والتعزير ، فتقطع يد السارق ويحبس مع ذلك اذا كان فى اضافة عقوبة التعزير لعقوبة الحد أو القصاص مصلحة للمسلمين •

وتعتبر قوانين العقوبات الوضعية من قبيل التعزير وان كانت لا تصل الى الهدف السامى الذى فرض من أجله العقاب بالتعزير •

بهذا نكون قد اقنينا من تعداد الجرائم والعقوبات من حدود وقصاص وتعزير وتكلم فى العدد القادم ان شاء الله عن الاحكام العامة فى التشريع الجنائى الاسلامى •

صلى الله عليه وسلم أمر بقتل رجل تزوج امرأة أبيه وكل هذه العقوبات فرضت تعزيرا وليس حدا من الحدود •

ولذلك نستطيع أن نطمئن لسلامة رأى القائل بأنه لا يوجد حد أقصى للعقوبة المفروضة بالتعزير ولا يوجد من القيود المفروضة على التعزير الا الملاءمة بين الجريمة والعقوبة الى المدى الذى تتحقق به مصلحة المجتمع وأن لا يكون فى التجريم بالتعزير تحريم لما أحله الله •

وعليه فان جميع المعاصى التى يمكن تحقيقها والكشف عنها دون تعنت أو تجسس يمكن العقاب عليها تعزيرا وذلك مثل ممارسة ألعاب القمار والربا وشهادة الزور والغش والتلاعب فى المكييل والموازين والرشوة والسب والقتل بغير الزنى وغير ذلك •

حسن حسب الله

الإسلام في الفكر الأوربي

عرض وتحليل لمؤلفات أدريه
بقلم الدكتور محمد شامه

- ٤ -

التوسع السياسى وفى هذا الباب :

١ - الخلفاء الراشدون :

سرد المؤلف فى هذا الباب أحداث تولى الخلفاء الراشدين ، وجهودهم فى التوسع السياسى ، وأثرهم فى تثبيت اركان الدولة داخليا ، وعلاقة الدولة بأهل الكتاب الذين يقيمون فى المجتمع الاسلامى الجديد ، فبدأ بما حدث بعد موت محمد (صلى الله عليه وسلم) من مشاورات لتعيين خليفة له ، فذهب الى أن المجتمع الاسلامى فى المدينة لم يتحد اتحادا كليا على الرغم من الجهود التى بذلها محمد (صلى الله عليه وسلم) فى دعوته لهم الى نبذ العصبية القبلية ، عن طريق ما نزل عليه من الوحي ، وما ضربه لهم من (أمثال - قولا وفعلا - فى مقت

هذه العصبية وترغيبه اياهم فى أن يكون الرباط بينهم هو الاسلام ، اذ ظهرت معالم الانقسام الى مهاجرين وأنصار بعد موته مباشرة ، فى محاولة كل فريق اختيار الخليفة منه ، ولكن سرعان ما تداركوا الأمن واتفقوا على أن يكون أبو بكر الصديق هو خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

كانت مهمة أبى بكر صعبة جدا ، لأنه سيسوس شعبا دون أن تكون له صفة النبوة ، التى لها تأثير كبير فى نفوس الرعية مما يساعد فى سياستها ، فقد كان محمد آخر الأنبياء . ولم تكن مهمته قيادة دينية فقط ، بل كان أمثال - قولا وفعلا - فى مقت

دينية كانت ، أو سياسية أو عسكرية ، أو اقتصادية ، أو قضائية . فاختار لنفسه لقب « خليفة » ولا يقصد به خليفة الله ، كما كان معروفا لدى بعض الشعوب آنذاك ، بل خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

رأت القبائل في شمال وشرق وجنوب الجزيرة العربية ان الفرصة قد سحت - بعد موت محمد (صلى الله عليه وسلم) - للتخلص من التبعية للمدينة ، فأعلنت عصيانها ، ورفعت شعارا سياسيا أكثر منه دينيا ، وكان هذا التمرد أحد خطرين واجها أبا بكر في بداية ولايته ، أما الخطر الآخر ، فهو كثرة ظهور ادعاء النبوة في الجزيرة العربية ، الأمر الذي هدد الوحدة الاسلامية ، لكن أبا بكر تغلب على كليهما ، فأرسى قواعد الدولة .

يرى المحللون أن الاسباب التي دفعت الشعب العربي الى القتال خارج الجزيرة العربية ، يمكن أن تنحصر بعد تولى أبى بكر الخلافة في سببين :

الأول : التزامهم بتنفيذ ما عزم عليه محمد (صلى الله عليه وسلم) من تجريد حملة ضد الدولة البيزنطية ، وهى الحملة التى كانت بقيادة أسامة بن زيد .

الثانى : رغبة الجماهير الفقيرة في اجتياح منطقة البحر الأبيض المتوسط الغنية بثرواتها ، وكان هذا الغرض كامنا في نفوس العرب من قبل الاسلام ، وقد حيل بينهم وبين تحقيقه بقيام امارتين عازلتين هما الغساسنة في سوريا ، واللخمين في الحيرة .

ولكن عندما عبرت الجيوش الاسلامية حدود الجزيرة العربية لفتح ما وراءها من أقطار الأرض لم يكن السبب الرئيسى لها اقتصاديا ، بل كان دينيا فى المقام الأول ، فقد كانت الرغبة المسيطرة على نفوس المسلمين في تحركهم للقتال خارج الجزيرة العربية رغبة دينية ، اذ كان هدفهم تكوين دولة اسلامية ، تدين بالقرآن وتتبع سنة رسول الله ، ولهذا لزم - فى نظرهم - القضاء على

مملكتى كسرى ، وقصر لتحقيق
هذا الهدف .

كانت الظروف مهيأة للقضاء
على هاتين المملكتين ، فقد خرجت
مملكة كسرى من حربها مع الدولة
البيزنطية منهكة القوى ، مفككة
الأوصال ، فسقط جنوب منطقة
دجلة والفرات فى يد العرب فى أول
هجوم شنوه على دولة كسرى ،
واستمر الفتح فى عهد الخليفة
الثانى ، عمر بن الخطاب - وقد
كان رجلا قويا ، وحاكما حازما -
الذى وجه حملات الفتح الى
الشمال والشرق ، فخضعت المنطقة
كلها للمسلمين ، من منطقة دجلة
والفرات حتى شواطئ البحر
الأبيض المتوسط . ومن العوامل
التي ساعدت على سرعة اجتياز
الجيش الاسلامى لهذه المناطق
ترحيب السكان بالعرب لأنهم رأوا
أنهم سيخلصونهم من حكم
البيزنطيين الذى انهك قواهم
بفرض الضرائب الفادحة
وبالتعصب الدينى الذى مارسه
الكنيسة معهم .

دخل عمر بن الخطاب مدينة
القدس فى عام ٦٣٨ م ووضع حجر
الأساس لأول مسجد فى المنطقة ،
وواصلت الجيوش زحفها نحو
الشرق فى عهده ، فضربت الجيش
الفارسى ضربة قاضية فى معركة
القادسية ، وتوغلت فى البلاد حيث
استقبلهم الارمنيون بالترحيب
لأنهم كانوا ناكمين على سياسة
كسرى .

كان الاستيلاء على منطقتى
سوريا وبلاد ما وراء النهرين
بمثابة سهمين اعدا للانطلاق لتنفيذ
خطة مرسومة لفتح ما وراءهما ،
فقد توغلت الجيوش فى ايران ،
كما فتحت مصر فخلصها الجيش
الاسلامى من وطأة تحصيل
الضرائب الفادحة ، التى فرضها
عليهم القيصرون لسد نفقات الحرب ،
التي دارت بينه وبين الفرس .
ومما يجدر ذكره هنا أن المؤلف
وصف الدعوى التى تنسب حرق
مكتبة الاسكندرية الى العرب بأن
لها طابعا أسطوريا ، أى انها
لا تقوم على أدلة كافية .

فالفتح الاسلامى لم يعد الغرض منه حمل الناس على الدخول فى الاسلام ، بل كان الهدف منه اخضاع غير المسلمين للحكم الاسلامى . ولكن هناك سبب واقعى جدا ، وهو أن فتح أقطار العالم يحتاج الى أموال طائلة ، لا يمكن الحصول عليها الا اذا دفع هؤلاء الذين لم يدخلوا الاسلام من أهل الكتاب فى الأرض المفتوحة ما فرض عليهم من جزية .

تولى الخلافة بعد عمر : عثمان بن عفان ، فلم يبذل نشاطا فى الفتح مثل ما فعل عمر بن الخطاب ، اذ كرس جهده على تثبيت سلطان الدولة فى الداخل ، فولى أقرباءه المناصب المهمة ، الأمر الذى أثار حفيظة فريق من المسلمين فقتلوه وهو يقرأ القرآن ، فأرسلت أرملته قميصه الملطخ بالدماء الى قريه معاوية بن أبى سفيان ، الذى كان واليا على الشام فى ذلك الوقت ، فعادت غريزة الأخذ بالتأثر القديمة تطل برأسها فى المجتمع الاسلامى ،

يصف المؤلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأنه « لم يكن قائدا عسكريا ماهرا فقط ، بل كان سياسيا مخنكا ، فاليه يرجع الفضل فى قيام دولة اسلامية - سياسيا وعسكريا واداريا - على انقاض الدولتين ، البيزنطية والفارسية ، اذ أصبح النظام الادارى .. الذى وضعه للدولة أساسا لكل ما فتح من امصار فيما بعد ، ومثالا يحتذى كل من جاء بعده ، فقد سن - على سبيل المثال - قاعدة فى الأرض المستولى عليها صلحا ، لم تكن معروفة من قبل ، كما نظم العلاقة بين الدولة وبين سكان الأرض المفتوحة ، فتركهم يزرعون أرضهم فى مقابل حصة يؤدونها للدولة ، وتركهم يديرون شئونهم بأنفسهم وكفل لهم حرية كاملة فى ممارسة طقوسهم الدينية ، لدرجة أن القسس كانوا يمثلون مصالح أبناء عقيدتهم لدى الدولة ... و ... و ... الخ »

قد يبدو التناقض الظاهرى واضحا فى هذه الاجراءات ،

النزاع بين على ومعاوية • وبين على والخوارج ، وقتل على ، وتنازل الحسن ابنه عن الخلافة لمعاوية •• الخ •• ثم يقول : « وأخيرا أخضع معاوية جميع أقطار الدولة الاسلامية لحكمه ، واختار دمشق عاصمة له ، لأن المدينة كانت بعيدة عن مسرح الأحداث ، ولأن دمشق كانت أكثر أمنا بالنسبة له ، فقد عضدت سلطانه •• وهكذا : أصبحت الخلافة الاسلامية ملكا عضودا يرثه الأبناء عن الآباء » ••

تخبطت آراء الباحثين الأوربيين فى تعليل الفتح الاسلامى ، فبينما يقول فريق ٤

••• انه كان اعتداء وغزوا للسيطرة على الموارد المالية • للاقطار المفتوحة •• يرى آخر : انه كان نشرا للاسلام بالقوة •

أما مؤلف كتاب « الاسلام قوة عالمية متحركة » •• فيذهب الى أنه لم يكن لحمل الناس على الدخول فى الاسلام ، بل كان

اذ لم يستطع بنو أمية ضبط أعصابهم فطالبوا بالأخذ بالثأر من قتلة عثمان بن عفان •

تولى على بن أبى طالب الخلافة بعد عثمان ، وكان سنه آنذاك خمسا وخمسين سنة ، فجاءت توليته متأخرة فى نظر بعض المسلمين ، لأنهم كانوا يرون أنه كان أحق بالخلافة من أبى بكر وعمر وعثمان • فوضع شيعة كثيرا من الاحاديث التى تبين فضله عليهم ، ولكن الجماعة لم تجمع على ولايته حتى قتل عثمان ، فبويع بالخلافة وظل فيها من ٦٥٦ حتى ٦٦١ م حتى قتله أحد الخوارج الذين انشقوا على طاعته •

ترك على قتلة عثمان دون محاكمة ، فثار عليه بنو أمية بقيادة معاوية ، كما كان هناك فريق آخر خرج عن طاعته وأعلن الحرب عليه ، وكان هذا الفريق بقيادة عائشة الا أنه تخلص منه فى معركة الجمل ، أما فريق معاوية فقد التقى به فى معركة صفين ••• ويمضى المؤلف فى سرد أحداث

ولهذا فهم ينظرون - عند تحليلهم للاحداث الاسلامية - الى الموضوع من زاوية العداوة ، فيدفعهم هذا الموقف الى تصعيد كل ما من شأنه تصوير المسلمين على انهم جفاة ، غلاظ ، لا يعرفون الا السيطرة وحب المال والجاه . ونسى هؤلاء - أو أغضوا أعينهم عنه عمدا ، وأخفوه عن قرائهم - ان المسلمين لم يفتحوا لأجل الغزو والسيطرة - وان ظهر من المسلمين أحيانا خلاف ذلك ، فهو مخالف لروح الاسلام ، وبعيد أيضا عن الطابع الاسلامي العام الذي تحلى به المسلمون في جهادهم - بدليل أن أهل الكتاب عاشوا في الدولة الاسلامية احرارا في عبادتهم مستقلين في ادارة شئونهم الخاصة ، لم يعتد عليهم أحد في مال ولا عرض ، ولم تقيد الدولة حريتهم في اقامة شعائهم الدينية ، فنعموا بحياة لم يروها أثناء خضوعهم لاخوانهم في العقيدة .

كيف يكون الفتح وسيلة للسيطرة على الموارد المالية وقد

الهدف منه سيطرة الاسلام على العالم ولما كانت الجيوش الاسلامية في حاجة الى أموال طائلة ، رأى المسلمون عدم اجبار أهل الكتاب على اعتناق الاسلام ، والاكتفاء بتحصيل الجزية منهم ، ليضمنوا عائدا يساعد الجيوش على مواصلة فتحها لمناطق العالم . والسبب الرئيسي في هذا التخط هو الجو الذي نشأوا فيه ، ونوع الثقافة التي تربوا عليها ، ذلك أن الجو الأوربي العام ينظر الى الاسلام نظرة عداوة وتربص ؟

من جراء الاحداث التي وقعت بين المسلمين في الأندلس ، وبين الامارات المسيحية المجاورة لهم منذ الفتح الاسلامي لهذه المنطقة الاوربية من عام ٧١١ م حتى خروجهم منها في عام ١٤٩٢ م .

وتيجة لما ترسب في نفوس الأوربيين عامة من حقد وكرهية للاسلام والمسلمين ذلك الحقد الذي غرسه وقائع الحروب الصليبية فيهم ، فلقد بنواهم جيلا بعد جيل .

لم تكن الدولة الاسلامية فى
أزمة مالية ، بل كانت فى رخاء
ليس له حدود ، لأن الأموال
فاضت على المسلمين فى هذا العهد
من كل صوب ، فتحت لهم كنوز
كسرى وتدفت عليهم الأموال من
خراج وفىء وغنينة .. و .. الخ
لدرجة أن المؤرخين يجمعون على
أن خزائن الدولة كانت مليئة
بالخيرات فرتبت للجند رواتب
سخية ، ومنحت كثيرا من
المسلمين عطاءات ثابتة من بيت
المال ، ومع ذلك لم ينضب ماعندها
من « أرصدة » بل بقى فى بيت
المال فائضا ، فكيف يقال :

ان المسلمين احتاجوا الى أموال
الجزية للصرف على جيوش
الفتح ؟

هل كانت المبالغ التى حصلت
من الجزية كافية لتغطية بند
الخدمات العامة ؟

لا لم تكن كافية .. اذا ،
فالمحصل منها كان يصرف أكثر منه
على خدمات كان يتمتع بها أهل
الكتاب ، فكيف يقال : انها كانت

حرم الاسلام أكل أموال الناس
بالباطل ، والتزم المسلمون بهذا
التحريم ، فلم ينهبوا ولم يقتصبوا
سكان الأرض المفتوحة ، مثل
ما تفعل الجيوش فى عصر الحضارة
الاوربية والمدنية .

أما دعوى أن الفتح كان وسيلة
لنشر الاسلام بالقوة ، فقد رددنا
عليها فيما سبق من هذا البحث ،
وتبقى دعوى مؤلف كتاب
« الاسلام قوة عالمية متحركة »
وهى : أن المسلمين تركوا أهل
الكتاب ، فلم يجبروهم على
الدخول فى الاسلام ، ليضمنوا
موردا ماليا من فرض الجزية عليهم
يساعد فى تفقات الجيوش
الاسلامية ، لتواصل فتح أقطار
أخرى .

والرد على هذه الدهوى يكمن
فى الاجابة على سؤالين هما :

هل كانت الدولة الاسلامية
تعانى آنذاك من نقص فى
الأموال ؟

وهل كانت الأموال التى تحصل
من الجزية تكفى للخدمات العامة
التي تقوم بها الدولة للسكان ؟

تصرف الأمويون في الحكم
بالأسلوب العربي القديم ،
فأحاطوا الخلفاء بهالة من العظمة
والتقديس ، كما انفرد الخليفة
باتخاذ القرارات ، وإن خالفت رأى
مستشاريه ، أو أنكرها من خول
لهم وضعهم الاجتماعي القدرة على
نصيحة الخليفة . وكانت القرارات
التي تصدر من الخليفة تعلن في
المساجد على أنها أوامر لا تعارض ،
ويجب تنفيذها فور سماعها .

كذلك أهملت الدعوة في مجال
اقناع أهل الكتاب باعتراف
الاسلام ، فتركوهم على دينهم
واكتفوا منهم بدفع الجزية .
وفي سوريا توقفت الاعمال في اقامة
مستوطنات عسكرية تكون عازلة
بين المسلمين وأهل البلاد ،
وترك العرب المسيحيون يمارسون
طقوسهم الدينية حيث شاءوا ،
الى أن وصل الأمر الى أن
المسيحيين والمسلمين كانوا يتناوبون
- في بعض الانحاء - اقامة
شعائرهم في مكان واحد . وكان
باب الخليفة مفتوحا للمسيحيين
يقصدونه للتشاور في جميع

موردا يساعد على تفقات الجيش
ليواصل الفتح ؟ !!!

لم يكن الغرض من الفتح
الاسلامى سوى تمكين الدعاة من
توصيل كلمة الاسلام الى هذه
الشعوب ، فتختار بنفسها - دون
ضغط عليها من حكام لا يؤمنون
بالله - طريق الحق ، فان هداها
الله الى الاسلام ، اعتنقته دون
خوف من أحد ، وإن اختارت البقاء
على ما هي عليه لن يجبرها أحد
لأن واجب المسلمين تبليغ الدعوة
فقط :

« فان تولوا فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب » . .

٢ - العصر الأموى (٦٦١ - ٧٥٠ م)

تبوأ أقوى قبيلة في قريش
مقعد الخلافة ، وأخذ معاوية
البيعة لانه يزيد في حياته ، فبدأ
الوضع كما لو كان الزمن قد عاد
ادراجه ، حيث خول الانتساب
لقبيلة ذات سطوة وسطان ، الحق
في تصريف مقاليد شئون الحكم ،
والتحكم في مصائر الناس .

ضد الحكم الأموى والمعارك التى دارت بين المعارضين وقوات الخليفة • حتى نجح العباسيون فى القضاء على الدولة الأموية فى عام ٧٥٠ م •

٣ - الفتوحات الاسلامية فى الشرق والمغرب :

ذكر المؤلف فى تناوله لأحداث الفتح الاسلامى لشمال أفريقيا أن المسلمين أتموا فتح المنطقة فى عام ٦٩٧ م ، ثم عبروا البحر الى أسبانيا فى عام ٧١١ م بقيادة طارق ابن زياد ، فقصوا على مملكة القوطيين ، وبقضاء المسلمين على هذه المملكة تخلص السكان من نيرهم واستعبادهم وتنفس اليهود - المقيمون هناك - الصعداء ، لأنهم تخلصوا من الاضطهاد الدينى • فتحرروا من الضغط الذى مارسه القوطيون عليهم ليخرجوهم من اليهودية الى النصرانية •

ولم يتوقف الجيش الاسلامى عن التوغل فى أوربا ، فواصل زحفه نحو الشمال ، ولا يعلم

المجالات وخاصة فى النواحي المالية • وظلت الادارة فى أيدي أهل البلاد ، كما كانت فى أيام حكم الدولة البيزنطية ، واكتفى المسلمون بتولى المناصب القيادية •

ظلت ادارة الدولة تستعمل اللغة اليونانية حتى عهد عبد الملك ابن مروان (٦٨٥ - ٧٥٠ م) ، فأمر بتعريبها كما صك النقود باللغة العربية • وأدخل تعديلات فى نظام الضرائب •

اندلعت معارضة الأمويين والثورة عليهم فى بادئ الأمر من المدينة ، وكانت انتفاضتهم تقوم على أسس دينية ، لأن تحول الدولة الى طابع دنيوى أثار حفيظة أهل المدينة ، الذين رأوا فى سلوك الخلفاء تعارضا واضحا لما كان عليه النبى (صلى الله عليه وسلم) ، ومناقضا لما أمر به ، فثاروا على الخليفة ، ولكن الأمويين أخمدوا الثورة بالقوة ••• ثم يمضى المؤلف فى حديثه عن الانتفاضات والثورات

أحد شيئا عن هدف المسلمين بهذا التوغل : هل كان هدفهم الاستيلاء على كنوز الكنيسة ؟

أم انهم أرادوا اختراق أوروبا ليصلوا الى الشام عن طريق القسطنطينية ؟

لكنهم لم يحسنوا تقدير قوة الاوربيين ، فانهزموا في معركة « بواتيه » أمام « كارل مارتن » الذى أنقذ أوروبا من الخطر الاسلامى .. ثم فصل القول في الخلاف الذى وقع بين المسلمين في البلاد المفتوحة ، واعلان بعض الأمراء الاستقلال في مقاطعاتهم ومحاربة بعضهم البعض الآخر .

وفي الجانب الآخر واصلت الجيوش الاسلامية زحفها نحو الشرق ، فاستولوا على البنجاب في عام ٧١١ م ثم اتجهت فيما بعد صوب الصين ، وتوغلت في داخل آسيا غير أن الدعاة سبقوا الجيش الى تلك المناطق .

ومن المدهش حقا انه بينما كانت الجيوش الاسلامية توالى فتحها لمناطق العالم قامت نهضة

حضارية في المناطق العربية ، وتعتبر الانجازات الحضارية في العهد الأموى منارات وضاءة في التاريخ الاسلامى ، سواء في مجال الاقتصاد الزراعى حيث شقت القنوات وأقيمت الجسور .. و .. الخ .. أو فى الفن المعمارى ، حيث شيدت المساجد وزينت بالفسيفساء الذى يعتبر آية فى الفن المعمارى ، وأنشئت الحمامات العامة على أحدث طراز .. الخ .

وفي عرضه لأسباب انهيار الدولة الأموية يقول :

انفس الخلفاء فى الترف والحياة المدنية ، فصاروا ينهمون فى الخمر والنساء والفن أكثر من فهمهم لواجباتهم كخلفاء ، فلم يبق لديهم أى صفة من صفات خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التى يدعونها ، فحفروا قبورهم بأنفسهم .

ثم تناول أحداث تصاعد المعارضة ضد الدولة الأموية .. والتفاف الشعوب غير العربية

— وعلى الأخص الشعب
الفارسى — حول المطالبين بالخلافة
من آل البيت الى أن سقطت دولة
بنى أمية فى عام ٧٥٠ م •

أوقعت معركة « بواتيه » فى
سهول فرنسا زحف المسلمين على
أوربا ، وردتهم عن مواصلة فتح
أقطارها • ويختلف الباحثون فى
تصوير أحداث هذه المعركة ،
وتقييم نتائجها بالنسبة لأوربا ،
فبينما نجد المستشرقين يشيدون
بـ « كارل مارتن » فى قتاله وبسالته
ضد المسلمين ، ويرجعون انتصاره
عليهم الى طبيعة عقليته العسكرية ،
والى تفوق قدرة جنوده على جنود
المسلمين فى ميدان القتال ، يجد
الباحث المدقق أن فوز « كارل
مارتن » يرجع الى الداء الذى
أصيب به المسلمون بعد فتحهم
للاندلس مباشرة ألا وهو :

تكالبهم على الغنائم •
والنزعة العصبية التى شاعت
بينهم • ففرقتهم الى عرب وبربر •
كذلك انه عندما التقى
الجيشان استمرت المعارك بينهما
سبعة أيام أو ثمانية ، احتفظ كل

جيش فيها بمركزه ، وفى اليوم
التاسع نشبت بينهما معارك عامة ،
فافتتلا بشدة وتعادلا حتى دخول
الليل ، واستأنفا القتال فى اليوم
التالى وأبدى كلاهما منتهى
الشجاعة والجلد ، حتى بدا الاعياء
على الفرنج ، ولاح النصر فى جانب
المسلمين • ولكن حدث حينئذ أن
افتتح الفرنج ثغرة الى معسكر
الغنائم الاسلامى فارتفعت صيحة
مجهول فى المراكز الاسلامية بأن
معسكر الغنائم سوف يقع فى أيدي
العدو ، فارتدت قوة كبيرة من
الفرسان من قلب المعركة الى ماوراء
الصفوف لحماية الغنائم • وتواثب
كثير من الجند للدفاع عن
غنائمهم ، فدب الخل الى صفوف
المسلمين ، وعبثا حاول عبد الرحمن
الفافقى — قائد المسلمين — أن
يعيد النظام وأن يهدى روع
الجند وبينما هو يتنقل أمام
لصفوف يقودها ويجمع شتاتها اذ
أصابه من جانب الاعداء سهم أودى
بحياته فسقط قتيلًا من فوق
جواده ، فعم الذعر والاضطراب
فى الجيش الاسلامى واشتدت

وطأة الفرنج على المسلمين ، وكثر القتل في صفوفهم ، ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل •

وهنا اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الاسلامي ، واختلف الرأي .. وهاجت الخواطر ، وسرى التوجس والفرع ، ورأى الزعماء ان كل أمل في النصر قد غاض فقرروا الانسحاب ، وفي الحال غادر المسلمون مراكزهم وارتدوا في جوف الليل ، وتحت جنح الظلام ، تاركين أثقالهم ، ومعظم اسلابهم غنما للعدو •

ومن الاسباب التي عاقت الجيش الاسلامي عن احراز نصر حاسم في تلك الموقعة حالة القلق التي أصابته ، بسبب الشقاق الذي كان يضطرم بين قبائل البربر التي يتألف منها معظم الجيش ، وكان الكثير منهم يتوق الى الانسحاب مؤثرا النجاة بغنائمه الكثيرة ، ذلك أن المسلمين قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم

المظفر ، ونهبوا جميع كنائسها ، وأديارها الغنية • وأثقلوا بما لا يقدر ولا يحصى من الذخائر والغنائم والسبي •

فكانت هذه الأثقال النفيسة تحدث الخلل في صفوفهم ، وتثير بينهم ضروب الخلاف والنزاع ، وكانت من الأسباب الرئيسية في تغيير سير المعركة •

أما حديث المؤرخين الأوربيين عن نتائج هذه المعركة ، فتظهر روح الصليبية واضحة في كل سطر كتبوه فيها ، فعلى سبيل المثال يقول : « السير ادوارد كرينزي » :

« ان النصر العظيم الذي ناله « كارل مارتن » على العرب سنة ٧٣٢ م وضع حدا حاسما لفتوح العرب في غرب أوروبا ، وانقذ النصرانية من الاسلام » • ويقول : « ادوارد جيون » متصورا النتائج ، لو اقتصر العرب في معركة « بواتيه » :

•• بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن في معاهد « اكسفورد »

فى ذلك التاريخ لمنحها الحرية
الكاملة فى البحث فى كل مجالات
الحياة •

وما استعبدت المادية الوثنية
الانسان اليوم ، لأن أوربا حين
تخلصت من الكنيسة ، خلعت عن
نفسها كل الاردية الروحية ،
وانطلقت فى مجال المادية ،
فانغمست فيها دون ضوابط ،
وغاصت فى أعماقها دون حدود ،
فتحكمت فى القوة المادية •
واستخدمتها لتحصل على المزيد
فاخضعت العالم لها ، وسيطرت
على مجرى الأمور فى جميع مناطقه
فخضعت لها المجتمعات كرها ،
أو قلدها فى حياتها جريا وراء
دعاوى التقدم والمدنية فصار العالم
كله منغمسا فى مادية جاهلية ،
تاركا وراءه المبادئ الروحية التى
جاء بها الوحي ، أو مرددا لها
باللسان دون أن يكون لها أثر فى
واقع المجتمع •

هذه هى احدى نتائج معركة
« بواتيه » فلو أنصف الباحثون

•• وربما كانت منابرهما تؤيد لمحمد
صدق الوحي والرسالة •••
ويقول :

« ان هذه المعركة أنقذت آباءنا
البريطانيين ، وجيراننا الغالين
(الفرنسيين) من نير القرآن
المدنى والدينى ، وحفظت جلال
روما ، وأخرت استعباد
« قسطنطينية » وشدت بأزر
النصرانية ، وأوقعت باعدائها بذور
التفرقة والفشل » (١) •

ونسى هؤلاء - أو تناسوا -
أن أوربا - والعالم كله - خسرت
كثيرا من جراء هذه المعركة ، فلو
واصل المسلمون فتح أقطارها :

ما نصبت فيها محاكم التفتيش
التى راح ضحيتها ألوف الأبرياء •

وما تأخرت نهضتها العلمية قرونا
بسبب تحكم الكنيسة ، وتحريمها
الاشتغال بعلوم الطبيعة - لم
يتقدم الاوربيون فى هذا المجال
الا بعد أن تخلصوا من سيطرة
الكنيسة - لأن الاسلام لو دخلها

وانتشرت في جميع أجهزة الدولة .
ومما يجدر ذكره هنا أن هذه
الدولة بهرت العالم بقوتها ونهضتها
.. كما فرضت سيطرتها على جميع
المناطق ، فكانت تخمد ثورات
العلويين بتوجيه الضربات
القاضية لها .

تحدث المؤلف عن أحداث قيام
الدولة العباسية ، وجهود العباس
وأخيه المنصور من بعده في بناء
الدولة ، وتشيد المباني والمساجد
في بغداد ، كما تناول النهضة
التشريعية مبينا جهود المدارس
الفقهية الأربع في هذا المجال ،
وذكر أن عهد المهدي تميز بتعقب
المذاهب الفارسية القديمة ،
التي كانت تستهدف القضاء على
الاسلام ، ولم تشفع عنده أي
علاقة في انزال العقاب بمن يدين
بهذه المذاهب فعلى الرغم من انه
كان يحب الشعر والغناء ، فقد
راح ضحية هذه الحملة شاعران
فارسيان كانا من أقرب المقربين اليه .
أخذ حديثه عن هارون
الرشيد مساحة كبيرة من هذا

في تقييم هذه المعركة لرأوها
واضحة أمام أعينهم ، أما عندما
يلقى التعصب الغشاة على
أبصارهم ويخيم الحقد على قلوبهم
وسمعهم ، رأيهم يتخبطون في
الحديث عنها وعن نتائجها متوهمين
ان « كارل مارتن » قد أنقذهم ،
بينما الواقع يؤكد انه منع عنهم
خيرا كبيرا وكان سببا - وان كان
غير مباشر - في بعض ما تعاني
منه البشرية اليوم .

٤ - الدولة العباسية (٧٥٠ - ١٢٥٨)

بدأت الدولة العباسية حقبة
جديدة في التاريخ الاسلامي ، فقد
ذابت الدولة ذات الطابع العربي ،
وتحولت الى مملكة ذات طابع
عالمي ، حيث اندمجت فيها تدريجيا
كل الأجناس ، وتساوى في الحقوق
كل المواطنين على اختلاف أديانهم
ومذاهبهم ، كما أصبحت السلطة
في يد الفارسيين ، فحلوا محل
القبائل المكية في جميع المجالات
سواء كانت دينية أو دنيوية .
وعن طريقهم دخل كثير من التقاليد
الفارسية القديمة الى بلاط الخلفاء ،

الباب ، حيث ذكر أن شهرته طبقت الآفاق - فعرفه الصغير والكبير عن طريق ما ورد عنه فى قصص ألف ليلة وليلة - لأن قوة الدولة وصلت ذروتها فى عصره ، وتبادل السفارة والهدايا مع كارل الأكبر ، رجل أوربا الأول فى ذلك الوقت •

عرف هارون الرشيد بحبه للعدل والرحمة • كما اشتهر عنه تذوقه للأدب والشعر والغناء ، ولهذا جمع بلاطه كثيرا من العلماء والشعراء والمغنين ، ولذا وجب على المؤرخين حين يتعرضون لسيرته - أن يتناولوا ناحيتين فى شخصيته : احدهما : حبه للهو والغناء والشعر •

والأخرى : ميله للتدين والصلاح والتقوى ، فقد كان يحج كل عامين ، ويؤدى الصلاة فى خشوع تام ، ويعطف على الفقراء والمساكين •

امتاز هارون الرشيد بفكر ثاقب وعقلية جبارة ، ولذا فقد كان قاضيا منصفا وذا دراية واسعة بشئون الدولة ، بالاضافة الى

ما كان يتميز به من هبة وسلطان ، وضح أثرهما عندما كان يقود الجيوش بنفسه ، الا انه ترك الأمر فى الشئون السياسية والإدارية للبرامكة ، فصالوا فيهما وجالوا ، ووصلوا الى حد أثار عليهم حفيظة الخليفة ، فتكفل بهم ، ويمضى المؤلف فى حديثه عن نكبة البرامكة ، محللا الاسباب التى يمكن أن تكون السبب فى غدر الخليفة بهم ، ولكنه لم يرجح واحدا منها ، ثم يذهب الى أن فجم الخليفة قد أفل بعد نكبة البرامكة ، واختتم حياته بالحملة التى وجهها الى الدولة البيزنطية لاجبار قيصرها على مواصلة دفع ما التزم بتأديته الى الدولة الاسلامية وكانت آخر حملاته تلك التى وجهها ضد الثوار فى خراسان ، وأشرك فيها ابنه : الأمين والمأمون ، الا أنه مات قبل الانتهاء من اخمادها • وكانت وفاته فى

عام ٨٠٩ م

كانت الدولة مهددة بالانهيار أثناء النزاع بين الأمين والمأمون ، ولكن انتصار المأمون أنقذها ، اذ

كما فصل القول في وضع الدولة بعد المأمون وسيرة الخلفاء بعده ، وتسلسل الأتراك على مقاليد الأمور في بلاط الخلفاء ، مما أضعف هيئة الدولة ، وشجع الولاة على اعلان استقلالهم ، فتكونت دويلات كان لبعضها دور في تسيير مجرى الاحداث في المنطقة الاسلامية فقد قامت دولة الحمدانيين وفرضوا سيطرتهم على بلاد ما وراء النهرين •• كما فتحوا حلب ، ودخلوا في معارك ضد الدولة البيزنطية ، واستمر في سرده لمعاركهم حتى وصل الى نهاية دولتهم على أيدي الفاطميين •

ودولة البويهيين التي أسسها أبو شجاع بويه في فارس وحكمت من ٩٣٢ حتى ١٠٥٥ م فقد استولى أبناؤه على والحسن واحمد على أصفهان وشيراز وكرمان وبغداد ولقبوا بلقب معز الدولة وعماد الدولة وركن الدولة وأصبح أمير المؤمنين على عهدهم ألعوبة

سار على طريق والده ، فقاد نهضة كبرى في جميع المجالات •• فازدهرت العلوم والمعارف ، وخاصة في مجالس الطب والرياضة •• حيث ترجمت أمهات الكتب الى اللغة العربية ، وأنشئ بيت الحكمة ، وأقيم مرصدان فلكيان ، أحدهما في بغداد ، والآخر في دمشق ، وظلت نظريات الفضاء التي توصل اليها العلماء في عصره أساسا يعتمد عليها الباحثون في أوربا حتى عصر « كوبرنيك » (١) •• ثم تحدث المؤلف عن :

نشاط المأمون ضد العلويين ، ومحاولة التصالح معهم بتعيين على ابن موسى وليا للعهد •

ومحاولة قائده طاهر الاستقلال بحكم خراسان بعد نجاحه في اخماد ثورة الخوارج بها •

واخماد ثورة الاقباط في مصر • ومعاركه مع الدولة البيزنطية من عام ٨٣٠ حتى ٨٣٣ م •

(١) «كوبرنيك» (١٤٧٣ - ١٥٤٣) فلكي بولوني برهن على دوران الكرة الارضية حول نفسها وحول الشمس •

بدأ نجم الدولة السلجوقية يلمع فى عهده ، اذ لم تركز الدولة على النواحي العسكرية والسياسية فقط ، بل اهتمت أيضا بالعلم والفن ، فبلغت ذروتها فى عهد « ملكشاه » (١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) حيث اعتنى وزيره نظام الملك بالمؤسسات الثقافية فأسس « نظامية » نيسابور وبغداد ، فازدهرت العلوم الرياضية والفلسفية والشعر ، كما اهتم بالنواحي المعمارية فى المدن وخاصة بغداد .. ثم يمضى المؤلف فى سرد أحداث الدولة السلجوقية ونشاطها الحربى :

ضد الثائرين ، وضد بعضهم البعض فى ميدان الصراع على السلطة ، وضد الصليبيين .. الخ .. الى أن انتهت شهرتهم بظهور المنغوليين ، ففى القرن الثالث عشر ظهر جنكيزخان ، فهدد أركان

فى أيديهم ، ويستمر حديثه عنهم حتى نهايتهم على يد طغرل السلطان السلجوقى فى عام ١٠٥٥ م ثم يعقب على ذلك فيقول :

« لم يكن البويهيون أبطالاً فى ميدان القتال فقط ، بل كان عندهم أيضا اهتمام بالحضارة ، فقد جمل عضد الدولة أثناء حكمه ٩٤٩ - ٩٩٣ م - مدينة شيراز بحيث صارت أجمل مدينة فى المملكة الاسلامية وأثقف كثيرا من الأموال لتحسين مدن أخرى وعلى رأسها بغداد » .

٥ - الدولة السلجوقية :

أقامها أمراء تركمان نشأوا فى بخارى ، وبدأ نفوذهم يزداد تدريجيا فغزوا ايران فى عام ١٠٣٩ م والعراق فى عام ١٠٤٣ م وقضى « طغرل » (١) على البويهيين فى بغداد عام ١٠٥٥ م فسمى نفسه « سلطان وملك الشرق والغرب »

(١) « طغرل بك » (ركن الدولة ابو طالب) قائد سلجوقى مؤسس السلالة السلجوقية قضى على البويهيين ودخل بغداد (١٠٥٥ م) فخلع عليه الخليفة القائم العباسى (١٠٣١ - ١٠٧٥ م) لقب السلطان وملك الشرق والغرب قهر البساسيرى الذى احتل بغداد وخطب للخليفة الفاطمى المستنصر ، وأعاد الخليفة العباسى (١٠٦٠) .

كما لو كانت مؤيدة بمعجزة ساعدتها على البقاء طويلا ، رغم الضغوط الداخلية ، والتهديدات الخارجية ، ومن المعجزات التي صاحبت هذه الدولة أيضا أنه على الرغم من انهيار نظامها السياسى، فقد انتصرت العقيدة الاسلامية فى كل الميادين انتصارا لا نظير له مع الأديان الأخرى .

وصل الاسلام الى الاندلس بعد موت محمد (صلى الله عليه وسلم) بثمانين عاما ، أى فى عام ٧١١ م . ذلك التاريخ الذى لم ينسه الاوربيون . فالفتح الاسلامى لاندلس تم فى عهد الأمويين ، وعندما قضى العباسيون عليهم هرب أحد أفراد الأسرة الى الأندلس وأسس دولة مستقلة عن مركز الخلافة فى الشرق .. ثم يمضى المؤلف فى سرد أحداث الدولة الأموية فى الأندلس وصراعها مع الامارات المسيحية التى تكونت فى الشمال ، واستمرار نشاط الامويين الحربى ثلاثة قرون ضد النصارى على الدولة من مسيحيين ويهود وامراء طمعوا فى اغتصاب السلطة ، كما

الدولة جميعها فيما بين الصين والبحر الاسود ، اذ زحف نحو الغرب مييدا كل المدن فى طريقه ، مخربا كل ما قابله من مظاهر الحضارة والمدنية ، ففى كل مكان تقريبا أكلت النيران كل ما كانت تملكه الدولة الاسلامية من كنوز علمية وحضارية . ولما مات « جنكيزخان » واصل حفيده « هولاكو » زحفه نحو بغداد فاستولى عليها فى عام ١٢٥٨ م ، واعدم آخر خليفة عباسى ، كما أعدم كل أفراد أسرته وبذلك انتهت الدولة العباسية .

٦ - الاسلام فى اسبانيا :

اذا تأمل المرء الرقعة الواسعة للدولة الاسلامية فى القرون الوسطى ، فان أول ما يبدو له فى كثرة شعوبها المتعددة الأجناس والالوان وفى تغلبها على الدسائس السياسية المتنوعة الاتجاهات ، وفى سيطرتها على مجرى الأمور التى تتنازعها المصالح الشخصية ، ان بقاءها لم يكن أمرا عاديا ، بل يبدو

كل شمال افريقيا ، وجزيرة صقلية ،
وفى بعض الاحيان على سوريا ،
كما هدد اتباعهم بغداد لمدة عام ،
فاعتقدوا انهم وصلوا الى هدفهم ،
وهو السيطرة على جميع العالم
الاسلامى ، لكن سرعان ما انهار
سلطانهم بعد ازدياد نفوذ
العسكريين فى دولتهم - بالضبط
كما حدث فى الدولة العباسية -
حتى أصبح الخلفاء العوبة فى
أيديهم •

كانت نهايتهم على يد صلاح
الدين الأيوبي ، الذى اشتهر
بمعاركه ضد الصليبيين ، فقد قضى
على دولتهم فى مصر فى عام ١١٧١م
•• كما حقق نصرا ساحقا على
الصليبيين فى عام ١١٨٧ م وعقد
معاهدة صلح مع شارل قلب الاسد
فى عام ١١٩٢ ثم لم يلبث أن مات
بعدها بعام واحد ••• ويمضى
المؤلف فى حديثه عن الدولة
الايوبية وصراع المماليك على
السلطة ، وجهودهم فى قتال
الصليبيين ، واثتصارهم عليهم فى
موقعة عين جالوت ، ونسير معه فى
سرده لأحداث المماليك حتى الغزو

تصدوا للفاطميين الذين أقاموا دولة
فى شمال أفريقيا ، وهددوا اماره
قرطبة •• لكنهم ما لبثوا أن اتجهوا
الى مصر ••• ثم يتحدث عن دول
الطوائف ، ومعركة الزلافة ،
ونجدة المرابطين للمسلمين فى هذه
المعركة ، وعن الصراع الذى قام
بين المسيحيين والأمراء ، وامتداده
بفضل مساعدة بنى مرين لهم ،
لكنهم حين ضعفوا عن تقديم هذه
المساعدة انتهى الصراع باستيلاء
« فرديناند » ملك « ارجوان »
و « ايزابيلا » ملكة « قشتالة »
على غرناطة آخر معقل اسلامى فى
الاندلس •

٧ - شمال افريقيا ومصر :

أسس الفاطميون دولة فى شمال
افريقيا فى عام ٩٠٨ م ، والمعروف
انهم كانوا يرفضون سلطة
العباسيين ويدعون انهم أحق
بالخلافة على جميع أقطار العالم
الاسلامى منهم • استطاع
الفاطيون فى عصر ازدهار دولتهم
أن يسيطروا سلطانهم من مصر على

التركي في عام ١٥١٧ م ثم يختم الباب بقوله :

أصبحت الدولة المملوكية ، بعد سقوط بغداد مركزا للحضارة العربية الاسلامية فساعد هذا - بالاضافة الى وضع الخليفة العباسي سوريا على رأسها - على تمكين سلطان المماليك وازدياد نفوذهم وهيبته . وظل تأثيرهم واضحا في السياسة والادارة في أيام الصولجان العثماني على مصر ، ولم تنته مشاركتهم في تسيير أمور الدولة الا في بداية القرن التاسع عشر .

٨ - الوضع الجديد بعد الغارة المغولية :

دمرت الغارة المغولية كل ما اجتاحت من بلاد العالم الاسلامي تدميرا شاملا وخاصة بخارى وسمرقند وبغداد ، كما تسبب الاهمال الاداري في انهيار نظام الري البديع في العراق ، فتكبدت الدولة خسائر فادحة ، وعانت سوريا كثيرا من جراء ما ارتكبه المغوليون من سلب ونهب لثرواتها ،

كذلك الاناضول - مركز المنطقة التركية - وقع تحت سيطرة الدولة المغولية ما يقرب من سبعين عاما . ثم يمضى المؤلف في سرد الاحداث التي وقعت في العالم الاسلامي بعد الغارة المغولية - بما فيها دخول المغوليين الاسلام - مينا الجهود التي بذلها الحكام لاستعادة مجدهم وسلطانهم .

انقسم العالم الاسلامي بعد الغارة المغولية الى منطقتين :

الأولى : تركزت في ايران ، وامتد سلطانها نحو الغرب عبر الاناضول حتى حدود المناطق الاوربية ، ونحو الشرق حتى الهند ، واقتصر استعمال اللغة العربية في هذه المنطقة على الدين وعلومه ، أما في المجالات الاخرى فقد حلت اللغة الفارسية محلها .

الثانية : المنطقة العربية ، وتوزع النفوذ فيها بين العراق ومصر ، التي امتد تأثيرها الثقافي فشمّل شمال ووسط أفريقيا .

وقعت المنطقتان سياسيا تحت تسلط الاتراك والمغوليين ، وكان

اذ انتشرت افكارهم فى المجتمع فى عهد الضعف والانحلال ، ثم صيغت رسميا فى أول عمل سياسى للدولة العثمانية •

٩ - العثمانيون :

حول السلجوقيون شرق ووسط الاناضول الى الاسلام ، وعندما شن المغوليون غارتهم كانت هذه المنطقة فى عصرها الذهبى ، فاستمر السلجوقيون - كولاة خاضعين للسلطة المغولية - فى الاحتفاظ بوضعهم حتى بداية القرن الرابع عشر الميلادى • ثم استولى الدراويش والمغامرون على السلطة السياسية والدينية • وساعدهم فى ذلك الاتراك الرحل الذين فروا من امام الغزو المغولى •

استطاع أحد هؤلاء المغامرين - ويدعى عثمان - أن يشن حربا على المناطق المسيحية المجاورة ، استمرت من ١٢٩٩ - ١٣٢٦ م ، ••• ويمضى المؤلف فى سرد أخبار خلفائه وحروبهم فى أوروبا من عام ١٣٥٤ م حينما عبروا مضيق

الدين هو الرباط الوحيد بينهما ، لكن فى صورته الصوفية ، التى ظهرت فى أول الأمر فى عام ٧٠٠ م لكن تعقبها كل من السنيين والشييعين واتهم بعض رجالها بالزندقة •• ثم ذكر المؤلف فى معرض حديثه عن الافكار الصوفية ان الغزالى (١٠٥٨ - ١١١١) - وهو من أشهر علماء السنة - هو الذى مزجها بالمذهب السلفى ، مما جعل الصوفيين يتبوؤن فيما بعد مكانا مرموقا عند المسلمين • ثم يختم الباب بقوله : « اقترب المذهب السننى من الصوفية بعد الغارة المغولية كثيرا لدرجة أن الصوفيين كانوا فى كثير من الاحوال يمثلون الاتجاه الدينى الرسمى ، على الرغم من أنهم لم يغيروا أساليب طقوسهم الصوفية • فمنذ القرن الثالث عشر الميلادى والناس ينظرون الى الدراويش على انه نموذج للحياة الدينية فى الاسلام • ومما يحمى للصوفية أن الوحدة الدينية ظلت متماسكة بفضل جهودهم كما كان لهم تأثير فى بقاء المسلم متمسكا بعقيدته ،

الدردنيل حتى عهد مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١ م) الذى قاد حروباً مظفّرة ضد المجر وبولاندا والصرب واليونان ، ثم تناول الوضع الداخلى للدولة وظهور الاقطاع ، وفساد الحياة السياسية ، واضطرار السلاطين - عندما تبين لهم عدم قدرة السلطة المركزية على حكم البلاد لاتساعها - الى الاستعانة بالمرتزقة ففشّت الرشوة بين رجال الدولة فقد كان الولاة يشترون مناصبهم ، ثم يحصلون ما دفعوه من سكان ولاياتهم عن طريق فرض الضرائب الفادحة ، فاشتدت الوطأة على الشعب ، كما أهملت المشروعات الاصلاحية ، والخدمات ، فلم تشق قناة ، ولم يعبد طريق ، مما جعل الفلاحين لا يزرعون من الأرض الا ما يسد رمقهم وعائلاتهم ، فانهار الوضع الداخلى ، ومن أشهر الامثلة على ذلك ما أصاب مصر بعد الغزو التركى فى عام ١٥١٧ م فقد كان يتولى امارتها أحد الباشوات ، فكان المماليك الذين تولوا الادارة فى الاقاليم

يتمردون عليه ويشقون عصا الطاعة لدرجة انهكت قوى الدولة فى الصراع الذى اندلع بين المجموعات المتصارعة على السلطة ، وكان من نتيجة ذلك انتشار الأمراض والفقر ، وانهيار الاقتصاد فنقص عدد السكان ، وأصبحت البلد التى كانت تتمتع بخيرات أرضها الوفيرة تعاني من فقر مدقع .

بدأ الوضع كما لو كان الخلفاء قد أغمضوا أعينهم عن الحالة الداخلية المتهورة لكنهم استطاعوا الصمود طويلاً بفضل حملاتهم الحربية ضد أوروبا المسيحية ، ففضوا على الدولة البيزنطية قضاء تاماً عندما استولوا على القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ ، ثم يبنى المؤلف فى سرد أحداث المعارك التى خاضها العثمانيون فى دول البلقان .

١٠ - فتوس بين الانحطاط والازدهار :

اتجه العثمانيون نحو الشرق ، ففرضوا سلطانهم على الامارات

المتبقية فى الاناضول ، ومن بينها المملكة البيزنطية طرابزون ، التى ضمت فيما بعد الى الدولة التركية بعد زواج « أصون حسن » من أميرتها . كذلك وقعت بينهم وبين القبائل التركستانية - الذين حطوا رحالهم فى المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات - معارك هزمت فيها تلك القبائل على يد محمد الثانى فى عام ١٤٧٣ ، فمد العثمانيون سلطانهم على الاراضى الفارسية ، لكن الصفويين استطاعوا فى عام ١٥٠٢ اغتصاب الحكم فى ايران وتكوين دولة شيعية .

أرجع مؤسس الدولة الصفوية نسبه الى على بن أبى طالب ، وأعلن مذهب الشيعة مذهباً رسمياً للدولة ، فقامت بين الشيعة الايرانيين وبين العثمانيين السنيين عداوة مذهبية ، ظلت نارها متأججة حتى نهاية الدولة الصفوية ، وكانت لها آثار سيئة على السنيين المقيمين فى ايران ، اذ اضطهدتهم الدولة ، وتعقبتهم فى كل المجالات .

أحرز سليمان الأول نصراً محلياً على الصفويين ، فغزا المدينة الايرانية تبريز ، لكن سرعان ما استعادت الدولة سلطانها ، ووصلت الى ذروة مجدها فى عهد عباس الأكبر (١٥٨٧ - ١٦٢٩ م) الذى نقل مقر الحكم الى أصفهان ، وكوف أول جيش نظامى فى دولته ، وصرف لأفراده رواتب منتظمة ، فانتزع به بغداد من الاتراك ، كما استولى على المدينتين المقدستين عند الشيعة ، وهما : مشهد وكربلاء . لكن الدولة انهارت تدريجياً بعد موته ، بسبب النفوذ المتزايد لرجال الدين الشيعيين وبسبب غارات الافغانين الذين استطاعوا فرض سلطانهم على مناطق ايرانية فشاعت الفوضى فى الدولة ، وأدت الى قيام دولة القارجاريين - ويجرى فى عروقتها دم تركى - الذين حكموا اسماً فقط حتى عام ١٩٢٥ م .

كان المنتصر فى هذا التحول هم الروسيون والاتراك ، فقد ضم الروسيون فى عهد بطرس الأكبر مناطق جديدة على البحر

السلطة • وصفه الاوريون
بـ « العظيم » بسبب ما شاع بينهم
عن بلاطه من أحداث وقصص
خيالية ، أشبه ما تكون بقصص
ألف ليلة وليلة ، أما المسلمون
فيلقبونه بـ « القانونى » لأنه أعاد
تنظيم الجيش وأدخل تعديلات فى
قوانين الملكية ، وفى أنظمة الدولة •
أدخل سليمان تعديلات فى
العلاقات السياسية بالمناطق
الشمالية فور توليه الحكم ، اذ
استغل النزاع الداخلى فيها ،
فغزا بلجراد فى عام ١٥٢١ م ،
كما نفذ خطط أييه ، فاستولى
على جزيرة رودس ، ففضى بذلك
على قراصنة البحر المسيحيين الذين
كانوا يهددون حركة التجارة التركية •
كذلك استفاد من النزاع الذى كان
قائما بين القيصر الالماني وملك
فرنسا ، الذى أيد سليمان فى
سياسته فى أوروبا ، فظل الفرنسيون
بفضل هذه السياسة مفضلين فى
بلاط السلطان العثماني لعدة
قرون •

الكارىبى الى دولتهم ، واحتل
العثمانيون غرب فارس •

١١ - سليمان العظيم :

كان عام ١٥١٧ م بداية حقبة
زاهرة فى تاريخ الدولة العثمانية ،
وذلك بعد غزو مصر ، فعندما قضى
السلطان سليم على آخر سلطان
مملوكى فى مصر ، ومحا واجهة
الخلافة العباسية فيها ، أصبح
الطريق الى مكة مفتوحا أمامه ،
فوحّد السلطة الدينية والسياسية •
كما سهل له استيلاؤه على مصر
والمناطق الخاضعة لها اخضاع
شمال أفريقيا له ، وفتح باب
التحكم فى تجارة حوض البحر
الأبيض المتوسط ، فأقام أسطولا
بحريا ليفرض سيطرته على هذه
المنطقة فى مواجهة القوى
المسيحية •

لم تظهر فعالية هذا الاسطول
الا فى عهد ابنه سليمان العظيم ،
الذى انتقل اليه الحكم بعد أبيه ،
دون أن يظهر الصراع المألوف
- فى مثل هذه الاحوال - على

« قويت الدولة فى عهد سليمان - الذى امتد ٤٩ عاما - الى درجة ، لم تبلغها أى دولة فى آسيا وأوربا فى ذلك التاريخ ، فقد ارتفع الهلال التركى فوق الاناضول وشمال أفريقيا ، ومصر ، وفلسطين ، وسوريا ، والبلقان ، والمجر . وفى المجال السياسى والعسكرى استطاعت الدولة العثمانية أن تثبت قدرتها بتفوق على العمل فى عدة جبهات فى وقت واحد ، فلمع نجمها وتألأ مجد سلطانها بين الدول . ويرى المؤرخون أن الدولة بلغت ذروة مجدها فى عهد سليمان العظيم ، ثم بدأت طريقها الى الضعف بعد موته ، وأخذت تترنح فى طريق منحدر ، ولم يستطع خلفاؤه انقاذها لأنهم كانوا ضعافا عاجزين .

هزم سليمان المجر فى موقعة « موهاكس » فأجبر « فرديناند » قيصر النمسا على تتويج « يوحنا زابوليا » ملكا على المجر . ثم يمضى المؤلف فى سرد أحداث معاركه فى أوربا - وشمال افريقيا حين طرد كارل الخامس من الجزائر - وسياسته مع حكامها ، واقامته المساجد فى المناطق التى استولى عليها ، ثم فترة الهدوء النسبى التى سادت الجبهة الأوربية بسبب انشغاله بحروب ضد ايران لتخليص بغداد من الشيعيين وتعقبهم حتى احتل تبريز . ثم بعد الانتهاء من الجبهة الايرانية . استأنف نشاطه فى أوربا حتى أجبر « فرديناند » على دفع الجزية للدولة العثمانية . ثم ختم الحديث عن سليمان بقوله :

دكتور محمد شامة



دراسات لغوية :

نظرة إلى الجديد في علوم اللغة

للدكتور توفيق محمد شاهين

— ٢ —

فروع علم اللغة :

فروع علم اللغة للدراسة فيما يلي :

أولا : دراسة علم الأصوات أو

(الفوناتيک) : Phonetics

كما يسميه الغربيون ، وهو يتناول عنصر الصوت من اللغة لتحديد مخارج الأصوات ، وطرق أحداثها وتصنيفها ، وما يعرض لها من تبدلات على مر الزمان وأسباب ذلك ، ودراسة أعضاء النطق التي تتصل بالصوت ، وأثر بعضها على بعض ..

أو بمعنى آخر : (الفوناتيک) هو علم الأصوات المجردة الذي يدرس الأصوات في ذاتها ولذاتها ، دون الاهتمام بالوظائف التي تقوم بها هذه الأصوات في اللغة ، وإنما يتناول دراسة مكونات الصوت ، وعناصره الأساسية ، وعدد ذبذباته وطبيعتها

اللغة ظاهرة متشابكة ، وتتألف من عناصر كثيرة ، وتختلف طرق تناول كل عنصر منها باعتبار النظرة من الدارسين للغة ، وباعتبار تنوع اغراض الدراسة وتنوع التناول والمنهج .

وكثرة فروع اللغة وتنوعها وتدرجها جعل تحديد المعالم بين الاقسام والفروع يتفق أحيانا ويختلف أحيانا أخرى : فهو نظري مرة ، وهو تطبيقي مرة أخرى ، وهو نفسه بين بين — بمنظارين — مرة ثالثة .

لذا كان الاتفاق العام ، أو شبهه ضروريا في تحديد التقسيم في مثل هذه الدراسة الموجزة تبيانا للدارسين ، وتحديد المصطلحات ، وتنميها للفائدة . ويمكن تحديد

اللغوية للغات ، والكشف عن القوانين العامة التى تحكم تطورها •

ثانيا : علم الأصوات التشكيلى ،
او التنظيمى : (الفونولوجيا) :
Phonology

وهو دراسة تنظيمية تتناول عناصر الصوت من اللغة مثل سابقه ، لبيان وظيفة الصوت فيها : أى انه يدرس النظم الصوتية للغة معينة ، كما ينطقها أصحابها ، وذلك كمعرفة الفرق بين نطق الوسيلة بالترقيق ، والوصيلة - بالتفخيم فى العربية ، فالفونولوجيا يكشف عن التقابلات فيما بين نطق الحرفين • وكقولهم : التاء اذا وقعت بعد حرف مطبق فى صيغة افتعل قلبت ظاء : كاصطبر فى اصتبر •

فالصوت فى سياقه يختلف عن الصوت المجرد من حيث كمية الجهد اللازمة لانتاجه ، ومن حيث تأثيره بالأصوات السابقة عليه أو اللاحقة به •

ولهذا التأثير قوانين عامة فى جميع اللغات ، بحيث نجد صو

ويتفرع علم الأصوات الى :
أ - علم الأصوات الوصفى :
(Descriptive - •••)

ويطلق على دراسة أية لغة دراسة صوتية على نحو ما سبق ، لكن فى فترة معينة من الزمان •

ب - وعلم الأصوات التاريخى :
(Historical - •••)

ويعنى بدراسة لغة ما ، دراسة صوتية ، خلال فترة طويلة من الزمان ، بغرض الوقوف على ما أصاب هذه الأصوات من تطور وتبدل ، والبحث عن المؤثرات التى خضع لها هذا التطور •

ج - وعلم الأصوات المقارن :
(Comparative - •••)

ويعنى دراسة لغتين أو أكثر ، دراسة صوتية ، لبيان أوجه الشبه والاتفاق ، وإظهار صلات القربى التى بينها •

د - وعلم الأصوات العام :
(Phonetics -)

حين يكون الغرض من الدراسة ، الوقوف على حقائق الأصوات

ثالثا : علم المفردات ، او المعجمية
.. او متن اللغة :

(اللسيكوجرافيا :)

Lexicographia

وهو يعنى بالمفردات ،
وتصنيفها الى (اسم وفعل وحرف
وظرف وصفة) وينقسم الى
علمين : علم (المورفولوجيا) اذا
اهتم بشكل الكلمة وصيغتها :
وعلم السيماتيك (اذا اهتم
بمعناها .

رابعا : - علم الصرف ، الصيغة او
البنية : (المورفولوجيا) :

Morphology

ويبحث فى أحوال الكلمة من :
الجمود ، والاشتقاق وأصله ،
والمجرد والمزيد ، وحروف الزيادة .
وما يحدث من تغييرات عند التثنية
والجمع ، والتذكير والتأنيث ،
وما يحدث للفعل عند اتصاله
بالضمائر . والطرق القياسية التى
تنمى اللغة .

وينقسم علم (المورفولوجيا)
الى أربعة أقسام هى : الوصفية ،
والتاريخية ، والمقارنة ، والعامة ،
بحسب اعتبارات التقسيم السابقة
فى (الفوناتييك) .

كالنون مثلا فى العربية ، قد ينطق
على سبع صور بحسب الصوت
التالى له ، وكل هذه الصور أعضاء
لفونيم واحد ، هو (النون) ، وكلمة
(فونيم) معناها : - مبدئيا
(الوحدة الصوتية) التى تأخذ
عدة صور باختلاف المواقع
المؤثرة فيها .

علما بأن مباحث (الفونتييك
والفونولوجيا) شديدة التداخل
بحيث يعسر أحيانا فصلها ، ولذا
فإن بعض العلماء يدرجها مع
بعضها .

ويتفرع علم (الفونولوجيا)
الى : « الفونولوجيا الوصفية » ،
والتاريخية والمقارنة ، والعامة ،
كتفرع (الفوناتييك) بحسب
الاعتبارات التى ذكرت هناك .

وعرف علماؤنا العرب دراسة
الأصوات فى (الفوناتييك
والفونولوجيا) تحت اسم (علم
التجويد) ، الذى بهر العلماء
الفريين بدقته وتنظيمه .

هذا العلم الى الأقسام الأربعة المعروفة .

ثامنا : - علم اللغة الوصفى :
Descriptive

وهو مجموع ما مر معنا من فروع علم اللغة الوصفية : فدراسة اللغة فى الأصوات والمفردات والتراكيب دراسة وصفية ، هدفها الكشف عن الحقائق اللغوية فى لغة ما ، وبيان خصائصها فى (فترة محددة) من الزمان ، يسمى : (علم اللغة الوصفى) .
تاسعا : علم اللغة التاريخى :
Historical

هو دراسة ما سبق فى (ثامنا فى فترة طويلة من الزمان ، لبيان التبدلات والتغيرات وأسبابها . وبعض المحدثين يسمى دراسة المفردات وحدها ، دون الأصوات والتراكيب باسم : (الايتمولوجيا) ،
• لبيان تاريخ الكلمات أساسا .

عاشرا : علم اللغة المقارن :
Comparative

هو دراسة ما سبق لكن بين لغتين أو أكثر ، دراسة مقارنة بين عناصر اللغة لبيان أوجه الشبه والصلات . كما قارن العلماء بين

خامسا : علم الدلالة أو
(السيماتيك) :
Semantic

وهو يحدد معنى الكلمة أو معانيها المتعددة (كالمشترك والمتضاد والمترادف) والعلاقة بين الكلمة والمعنى ، وتبدل المعنى وأسبابه ، وحياة الكلمة من نشأتها حتى موتها .

سادسا : - علم النظم :
Syntax : **السنطيكس**

ومعظم مباحثه تشبه علم النحو عندنا ، مثل بناء الجملة ، وحروف المعانى التى تربط بين اجزاء الكلام ، وفى شكل الجملة (ابتدائية ، أو استفهامية ، أو اخبارية ، أو منفية ، أو تعجبية ...)

وينقسم هذا العلم الى أربعة أقسام : وصفى ، وتاريخى ، ومقارن ، وعام ، كما سلف .

سابعا - علم الأساليب :
Stylistic (**الستيلستيك**)

وهو يبحث فى أساليب اللغة ، واختلافها باختلاف فنونها من : (شعر وثر وخطابة ومحادثة ، وكتابة ، ومسرح ...) وينقسم

العيوب العائقة عن الكلام ، وعلم النفس اللغوى ، والبيئة اللغوية ، وتحقيق التراث ، ولكن هذه كلها - فى الواقع - فروع ومباحث لغوية ، تجب العناية بدراستها لاتصالها الوثيق باللغة وعلومها .

من تاريخ البحث فى علوم اللغة :
اللغة خاصة الانسان وميزته ، ومبعث فخره واعتزازه ، ولذا ما فتى منذ القدم يحاول كشف سرها ، ويوليها البحث والتفسير ، عله يهتدى الى كنهها ، وكيفية اصدارها ، وديناميكيته .

ويمكن حصر تاريخ الدراسات اللغوية فى ثلاث حلقات ، هى دراسة العصور القديمة والدراسة العربية ، ودراسة المحدثين فى الغرب ، وبذلك نعرف شيئا من تاريخ هذا العلم ، ولا يخلو أحيانا من طرافة أو خرافة :

ففى العصور القديمة :

نجد أن الدراسات اللغوية تركزت حول محورين أساسيين هما :

الساميات : (العربية ، والآرامية ، والأكدية ... الخ) • وبين الآريات : (السنسكريتية ، والفارسية ، والأرمنية ، والسلافية ، والايغريقية ... الخ) •

عاشى عشر : علم اللغة العام :
General linguistics

هو دراسة مجموع الفروع السابقة فى علم اللغة العام ، بين مجموعة من اللغات للكشف عن وجوه الاتفاق بينها ، والقوانين العامة التى تحكمها •

كما أنه يتناول المشكلات الآتية :

صراع اللغات ، وانشعابها الى لهجات ، وعوامل انحطاطها ورفقها ...

ملاحظة :

هناك علوم لغوية أخرى ، تحسب ضمن هذه الفروع ، لكن بعض الباحثين يعدها علوما مساعدة لا أصلية ، مثل : نشأة اللغة ، والاملاء والرسم ، والترجمة ، ومحاكمتها وتعليم اللغات المحلية والاجنبية ، وعلاج

وأما الهندو فيرون ان الاله
(براهما) ، هو الذى منحهم
قوة الكتابة ، ولذا اهتموا بلغتهم
الفيدو - سنسكريتية
(V. Sankrit) ،

وحافظوا على نطقها ، ووضعوا
نحوها في القرن الرابع قبل
الميلاد .

يحكون أن الشعب الشومرى
- (٣٥٠٠ سنة ق.م) جنوبى
العراق - ترك لغة عرفناها من
نصوصها بالخط المسمارى ،
ووضع لها (الاكديون) من
الشعوب السامية بعدئذ قواعد
لتسهيل استعمالها واتخاذها لغة
دين ودنيا .

وهكذا خلط الانسان أمر
اللغة - في أول الأمر -
بالاسطورة ، وحاول تلمس نص
يرتكز عليه .

وهذه وغيرها نظريات أدت
الى اتساع نطاق البحث اللغوى
- بعدئذ على أسس علمية الا انها
لم تؤد الى يقين قاطع فى أصل
وماهية اللغات ، لأن مئات الآلاف

البحث عن أصل نشأة اللغة ،
وعن العلاقة بين اللفظ والمعنى .
وتبع هذين المحورين البحث فى
قواعد اللغة ، وتصنيف
مفرداتها ..

فالله تعالى هو الذى علم آدم
الاسماء كلها ، أو منحه القدرة
على التسمية كما جاء فى التوراة ،
والقرآن الكريم ، لأن اللغة شىء
عظيم ، ولا يمكن أن تكون الا
من عظيم قادر مبدع .

والاله (ذوس) عند قدماء
المصريين هو أصل (اللغة
والكتابة) .

وحاول فرعون مصر
(ايسماتيك) فى القرن السابع
قبل الميلاد ، معرفة نشأة اللغة
الانسانية الأولى .

والبابليون (٣٠٠٠ سنة ق.م)
نسبوا اللغة الى الههم
(نابو Nabu) .

بينما يعتقد الصينيون : أن
السماء أرسلت ماء وسبغت فيها
التماسيح ، وفى ظهرها علامات
الكتابة .

على نحو ما حكى ابن حزم عنهم في
أصول الأحكام .

وشرحت مدرسة الاسكندرية في
القرن الثالث ق.م. ، ما غمض من
أشعار (هوميروس) الذي عاش
في القرن التاسع ق.م. ، فنشطت
الحركة (الفيلولوجية) .

كما أسهمت روما في الدراسات
اللغوية في القرن الثاني ق.م. .

ويذكر المؤرخون أن معجم
(شوفان) لمؤلفه (هوشن) ،
المطبوع سنة ١٥٠ ق.م وكذلك
معجم « يويان » لمؤلفه
(كوبى وانج) ، والمطبوع
سنة ٥٣٠ م من أقدم المعاجم التى
عرفها الباحثون اللغويون عن الأمة
الصينية واليابانية .

وعند علمائنا العرب :

أدت الدراسات القرآنية والعربية
الى تطور كبير فى الدراسات
اللغوية والأدبية والنحوية :

فقد كان فى الجاهلية منازرات
ومفاضلات أدبية ، على نحو
ماروى عن امرئ القيس واضرا به ،

من السنين مرت قبل أن تتبلور أى
لغة ، ولذلك ينفى (ارواد ساير)
أن تكون هناك لغات بدائية لأننا
لا نعرف أى جماعة بشرية
الا وتكلم لغة كاملة التطور .

واشتغل فلاسفة اليونان
(بميتافيزيقا) اللغة وأصل
الكلمة .. فى القرن الخامس ق.م.
كما اشتغل الرواقيون بفقهاء اللغة
الفلسفى .

وعرف التاريخ من المعاجم
اليونانية معجم (يوليوس بوليكنس)
فى المعانى والموضوعات وكذلك
معجم (فاليرموس فيليكس) ،
الذى ألف فى عهد الامبراطور
(أغسطس) فى معانى الألفاظ .

كما اعتبر اليونانيون أن
أفلاطون أول من اكتشف الأسس
النحوية .

ويلاحظ المؤرخون أن الأغريق
تباطؤوا فى دراساتهم اللغوية ، مع
أنهم أمة لهم تبكيرهم فى التفكير
والنضج العلمى ، لأنهم اعتقدوا أن
لغاتهم أفضل لغات العالم ، وأن
ما عداها يشبه تقيق الضفادع ،

الاندلسيين والمصريين الى تلك الدراسات بعدئذ سوى التفضيل والاختيار والتفصيل ، أو الاجمال والاختصار .

وأقدم مدرسة لغوية هى ما حكى عنها السيوطى - فى الاتقان - مدرسة (ابن عباس ٦٨ هـ)

رضى الله عنه فى سؤالات نافع ابن الأزرق ، وتفسيره القرآن الكريم .

كما يعزى اليه كتاب : « غريب القرآن » وهناك نسخة منه فى برلين .

وسيدكر التاريخ عبقرية الخليل ابن أحمد (١٠٠ - ١٧٥ هـ) فى كتبه : (معجم العين ، والايقاع والنغم ، والنقط والشكل ، والعروض ، والشواهد ، والجمل ، ومعانى الحروف) .

وتبعه على الضرب تلاميذه الرواد : صاحب الكتب « سيويه ١٨٠ هـ ، وأبو فيسد السدوسى (٩٨ هـ) والاصمعى (٢١٦) وغيرهم .

والأسواق الأدبية ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم - لجيد الشعر ورائع النثر ، واهتزاز عمر - رضى الله عنه - للشعر ، وسجدة الفرزدق لبيت عبيد بن الابرس ، لأن المسلمين يعرفون سجدة القرآن . . . وهو يعرف سجدة الشعر ، كما قال .

وكان الحافظ الدينى هو دافع علماء المسلمين للحفاظ على لغة الضاد ، التى هى وعاء مقدسات الاسلام ، فكان النهوض المبكر من أبى الأسود الدؤلى لوضع الضوابط النحوية ، بدافع منه ، أو اشارة من الامام على - رضى الله عنه - . ثم اتسع نطاق البحث النحوى عند العرب ، أو (علم التنظيم التعليمى) كما تسميه الفرنجة . واشتد التنافس بين مدرستى البصرة والكوفة ، فنشأت المدرسة البغدادية التى تؤازر السماع ، وتأخذ بوجهة القياس ، وكان من أبرز علمائها : الفارسى وابن جنى ، واستقرت قواعد النحو والصرف فى ذاك العهد ، ولم تضاف مدرسة

فكثير منهم : نحوى ، لغوى ، صوتى راوية ، أديب ، قارىء ، وبعضهم صوتى ، موسيقى ، رياضى كالخليل بن أحمد . حتى جاء كتاب ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) غريب القرآن ، خليطا بين منهجى كتب اللغة وكتب التفسير ، وكتاب سيبويه جامعاً لقواعد العربية ، والأصوات واللهجات . وكان قصد العرب الأول هو المحافظة على ضبط القرآن الكريم وقراءته وتجويده ، فعرفوا الوجوه التى نطقت بها العرب ، وطريقة أداء القرآن ، بالتلقى والمشاهدة ، ودرست اللهجات العربية فى ظل القراءات القرآنية ، ولو دونها العلماء عند جمع اللغة ، لأسدوا الى لغتهم الجميل الوافر ولأراحونا . على كل تعرفنا على مخارج الحروف وموسيقاها ، وصفاتها ، وحتى نظم ذلك فى الشاطبية وغيرها .

فبداية الدرس اللغوى وان كانت نحوية لغوية ، الا أن لغوى ذلك العهد كانوا من القراء وعلماء القراءات والتجويد الذى بهر علماء العرب .

وعاصر هؤلاء الاعلام أو جاء قبلهم من ألف مبدعا ، أو أضاف جديدا ، أو وضح فكرة فى الدراسات اللغوية ، مثل : أبو عمر ابن العلاء (١٤٥ هـ) ، والمفضل الضبى (١٧٠ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٢ هـ) ، وأبو زيد الانصارى (١٥٢ هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام الهروى (٢٢٣ هـ) . وابن الاعرابى (٢٣١ هـ) ، وابن السكيت (٢٤٣ هـ) وغيرهم . وشغل العرب باعجاز القرآن وتحديه ، وبلاغته وروعته فدرسوا ذلك وانتظم لهم ما يعرف (بعلوم البلاغة) ودرست أول أمرها فى داخل الرائع من النصوص على يدى أمثال ابن المعتز ، وأبى هلال العسكري ، وعبد القاهر الجرجانى . . . ثم خلطت بالمنطق والفلسفة ، كما صنع السكاكى فى كتابه : (مفتاح العلوم) ، والخطيب القزوينى فى (تلخيص المفتاح) . ونلاحظ أن علوم البلاغة كعلوم جمالية ، تأخرت عن النحو والصرف كعلوم كمالية . مع أن العلماء العرب كانوا موسوعة فى ثقافتهم ،

غريبة • هادفة فهم كتاب الله : فقد روى أن عمر - رضى الله عنه - استفسر عن معنى « تخوف » فى قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » وهو على المنبر ، فقال له اعرابى تلك لغتنا يا عمر ، ومعناها « تنقص » وروى له قول شاعرهم ذى الرمة :

تخوف الرجل منها تامكا قرداء
ومن ثم عظمت الدراسات الأدبية ، والعناية بتاريخ الأدب ونقده ، ودرست التراجم والمؤثرات فى الأدب ، والعروض والقوافى ...

ولخوف العرب على لغتهم ، انطلق العلماء الى البوادرى لجمع اللغة من أصحابها الخلف الموثوق بعريتهم ، وألفوا فى ذلك رسائل خاصة فى الألفاظ أو المعانى مثل : كتاب اللغات فى القرآن لابن عباس • ولغات القبائل ليونس بن حبيب (١٧٢ هـ) ، وكتاب الحشرات لأبى خيرة الاعرابى ، استاذ الخليل ابن أحمد • وغريب الحديث ، لأبى عبيدة معمر بن المثنى

وهذا اللون من البحث هو ما عرف أخيرا عند علماء الغرب بالأصوات الذى يضم (الفونتكس Phonology) ، أى الوصف • و(الفونولوجى Phonetics) أى التنظيمى •

وهذا الجيل على الرغم من أنه كان حافلا بالكثير من الموالى غير العرب - كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين قد حمل أمانة القرآن والعربية حملا عريبا خالصا ، اذ أن العربية كانت تيارا استوعب كل الموجات الداخلة فى المجتمع •

ويروى عن ابن عباس - رضى الله عنه - قوله : « الشعر ديوان العرب فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله ، رجعنا الى الشعر ، فالتمسنا معرفة ذلك منه » •

ويقول : « اذا تعاجم شئ من القرآن فانظروا فى الشعر ، فان الشعر عربى » • • • وكانت لذلك انطلاقة علماء العرب فى جمع الشعر وتدوينه ، والتنقيب عن معان

المعجمية العربية المختلفة ، التي
نفخر بها الآن .

✽ أما عناية العرب بالمباحث
اللغوية في تخصصها واحتصاصها ،
فيمكن التاريخ لها في منتصف
القرن الرابع الهجري ، على يد
أبي علي الفاسي ، وتلميذه ابن
جنى وابن فارس ، والثعالبي .

فمن مباحث علم اللغة ما عرفته
العرب كالاشتقاق للاصمعي
(٢١٦ هـ) ومباحث التعريف
والاشتراك والترادف ، لابن سيده
الاندلسي (٣٩٧ - ٤٥٨ هـ) في
(المخصص) .

ويعتد كتابي ابن جنى :
الخصائص ، وسر صناعة الأعراب
.. من أحفل الكتب بمباحث علم
اللغة التي يصح أن تفاخر بها
العرب ، ففي سر صناعة الأعراب
أحكام .

حروف المعجم ، ومخارجها
وصفاتها ، وتصريفها واشتقاقها ،
ونظمها مع غيرها .. و .. في :
« الخصائص » منهج جديد
لدراسة النحو والصرف ، وتناوب

(٢١٠ هـ) . وكتاب الأنواء ، لأبي
حنيفة . واسماء الوحوش
والغابات للاصمعي . والزاهر في
غرائب ألفاظ الامام الشافعي ،
لأبي منصور محمد بن أحمد
الأزهري (٨٢ - ٣٧٠ هـ) ،
وكتاب النحل والعسل لأبي عمرو
الشيبياني (٢٠٦ هـ) والحيات
والعقارب لأبي عبيدة (٢١٠ هـ)
وكتاب الذباب لأبن الأعرابي
(٢٣١ هـ) وكتب الحشرات
والجراد ، والنحل والعسل ،
لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥)
.. وكتاب الخيل وكتاب حلق
الانسان ، لابن كركرة والنضر
ابن شميل (٢٠٤ هـ) . ونوادر
ابن الأعرابي ، وأبي زيد بن
الانصار وجمال العرب ، لخلف
الأحمر (١٨ هـ) ومنازل
العرب ، وحدودها ، لأبي الوزير
عمر بن مطرف (١٨٦ هـ) ومياه
العرب وجزيرة العرب ، والدارات
للاصمعي (٢١٦ هـ) .

فكانت هذه الرسائل وغيرها مما
بقي منها ، خير حافظ للغة العرب
من الضياع ، وأساس المدارس

بجمع اللغة ، أو القواعد الصرفية ،
أو تقوم على الحدس والتخمين ،
كنشأة اللغة التى تقوم على أمور
ظنية ، فليست كلها من مباحث علم
اللغة .

وهذا رأى مبالغ فيه ، لأنها
كلها داخلة فى المباحث اللغوية ،
كما حددتها مجالات علم اللغة .

فانفصال العلوم النحوية
والصرفية والبلاغية فى الدراسة
اللغوية ، لا يعنى أنها خارجة عن
نطاق الدراسة اللغوية ، والتجديد
فى القواميس ما زال يطالعنا كل
يوم بجديد نحن بحاجة أكيدة
إليه اليوم .

وقد اسعفت الامكانيات
المتواضعة المتاحة وقتها علماءنا
بهذا الاداء الجيد ، والضبط
الواعى ، ولم تنقضى الدراسات
الحديثة الا لماما .

وكذلك عرف العرب التبعية
التاريخية للالفاظ العربية فى العصور
المختلفة .

الحروف عن بعضها ، والاطراد
والشدوذ ، ونشأة اللغة ،
وخصائصها . . وجاء كتاب
« المزهرفى علوم اللغة »
للسيوطى (٨٤٩ - ٩١١ هـ)
حافلة بمباحث الاقدمين فحفظها
من الضياع كما أن له مباحث
جديدة : كالاقتراح فى أصول
النحو ، وحسن المحاضرة ،
والشبه والنظائر .

وكذلك كتب التعريب ،
والدخيل وضبطهما .

هذا غيض من فيض من عناية
العرب بلغتها ، أطلنا فيها ، لأن كثرة
من المستشرقين ، بل ومن أبناء
العرب ، من ظلموا العرب أجدادهم
فى عبقريتهم وسبقهم العلمى .

لكن بعض المحدثين لا يرى ذلك
من فروع الدراسات اللغوية
الا اذا قصد من دراستها التعرف
على الاطوار التاريخية للالفاظ
والقواعد والأساليب ، والعوامل
التي أثرت فى تطورها . وكذلك
الدراسات المقارنة بين هذه
الفروع . أما الدراسات المتعلقة

وعند علماء الغرب :

ظلت أوروبا حتى نهاية القرن الثامن عشر بعيدة عن جو النهوض العلمى • وما سبق لعلمائهم من دروس وبحوث لغوية قبل ذلك كانت توصف بأنها مباحث لا تدخل فى نطاق علم اللغة :

مثل : بحوث : نشأة اللغة ، وبحوث بنية الكلمة ومادتها ، وطريقة استعمالها تماما كما وصفت أبحاث العرب الأقدمين فى هذا الجانب •

فلما تهيأ لأوروبا فى نهاية القرن الثامن عشر أسباب النهوض العلمى ، أطلعوا على ترجمة العلوم العربية ، واستفادوا منها ، بينما غفا أهلها العرب غفوة طويلة ، لأسباب ليس هنا مجال سردها •

ويرى فرديناند روسور (١٨٥٧ - ١٩١٢ م) على نحو ما يروى كتاب : « فى علم اللغة العام » ان العلم الذى يدرس الأحداث اللغوية فى الغرب مر بثلاث مراحل ، قبل أن يعرف وجهته الصحيحة :

١ - مرحلة دراسة « النحو » وتنظيم القواعد ، ووصف الواقع ، دون اهتمام باللغة فى ذاتها • على نحو ما كان يصنع الاغريق ، والفرنسيون من بعدهم ••

٢ - ثم عرفوا (الفيلولوجيا أوفقه اللغة) ، فى عهد (فردريك أوجست وولف) ابتداء من عام ١٧٧٧ م ، على غرار مدرسة الاسكندرية : (الفيلولوجية) التى كانت تهتم باللغة وتوثيق النصوص ودراستها ، والتاريخ الأدبى ، والنقد واحياء المخطوطات ، فكان ذلك تمهيدا لعلم اللغة التاريخى •

٣ - وجاءت مرحلة الفيلولوجيا المقارنة ، أو النحو المقارن ، لاكتشاف العلاقات بين اللغات ، على يد المستشرق الانجليزى (وليم جونز W. Jones)

(١٧٩٤ م) الذى اكتشف قرب (السنسكريتية) لبعض لغات أوروبا وآسيا ، بعد المقارنات أثبت حكمه بأن (السنسكريتية) أو فى من الاغريقية ، وأجمل من الافريقية واللاتينية ، من جهة أصول

و (أوجست شليشر
Aug. Schiecher

وعلى يد هؤلاء وتلاميذهم
ارتقى البحث اللغوى .

ولكنه بلغ شأوا بعيدا ، وعرف
مكانه الصحيح على يد
عالم اللغات الرومانية

(ديزر Dies) مؤلف

كتاب (نحو اللغات الرومانية)
المنشور سنة ١٨٣٦ م وعلى يد
العالم الأمريكى (وايتنى
Whitney) الذى ألف

كتاب (حياة اللغة) عام ١٩٧٥ م
وتوالى على أثرها العلماء :

(برجمان Brugmann

و (استوف Ostoff

و (براون Braune

و (سفيرس Sivars

وعالم السلافية (ليسكيان

Leskien) .

وبخاصة وعلى يد الرائد

« فرديناند دوسور » فى كتابه :

(محاضرات فى علم اللغة العام)

وتلميذه (انطوان ميه » فى كتابه

علم اللغة التاريخى ، وعلم اللغة

العام ») .

الكلمات وصيغ النحو ، وان جميعها
متفرعة من أصل واحد . . كما
أثبت العلماء - بعدئذ - ان
الساميات من (صل واحد . كما
ذكر د . ابراهيم نجا ، وأدت
هذه الدراسات فى القرن التاسع
عشر الى ظهور :

أ - علم القواعد المقارن : الذى
يدرس القواعد دراسة تاريخية
تفصيلية تحليلية فى فصيلة من
اللغات الانسانية ، أو فى جميع
الفصائل ، كما يقوم على الموازنة ،
وعلى الأمور الدالية للانفاظ
والقواعد وتطورها .

ب - وعلم القواعد التاريخى :
الذى يبحث لغة واحدة ، ويعتمد
على التحليل بلا موازنة ويعنى
بالعناصر الخارجية التى تؤثر فى
القواعد ، وتنقلها من حال الى حال
عبر الأزمنة .

وتتابع البحث فى علم
(الفيلولوجيا المقارنة) على يد
« فرانز بوب » وماكس مولر

Max Millar Franz Bob

و (ج . كيرتيوس G. Curtius

بالاطالس اللغوية : تهذيباً
أو وضعاً .

والثاني : يهتم بدراسة ماضى
اللغة ، للاستفادة منها فى حال
اللغة أو مستقبلها .

والثالث : يهتم بدراسة تنوع
اللغات ، وأماكنها ، وتعقد التنوع
الجغرافى ، وتعيش اللغات فى مكان
واحد (كما فى سويسرا ، التى
تعيش فيها الانجليزية والفرنسية
والألمانية جنباً الى جنب) ، وعن
اللغات الأدبية ، وانتشار اللهجات
وتوزعها مكانياً وزمانياً ، وانتشار
اللغات ، وأسباب انتشارها .

فالبحوث اللغوية تنوعت عند
علماء الغرب ، الى : الصوتية ،
واللهجات الشعبية والعامية ، وعلم
النفس اللغوى ، للارتباط الوثيق
بين الدراسة اللغوية والنفسية ،
ودراسة اللغة من ناحية الدلالة ،
وعلم الاجتماع اللغوى ، لبيان
العلاقة بين الظواهر اللغوية
والظواهر الاجتماعية : من ثقافة ،
وعادات ، وتقاليده ، وحضارة .

ونحن نقدر للغرب جهوده
العلمية ، المبينة على أسس منهجية ،

ويصف « ماريو باى » مؤلف
أسس علم اللغة ، كتاب
(دورسوسور) « بأنه أول كتاب
رسم الأسس الدقيقة لعلم اللغة
الوصفى باعتباره فرعاً من فروع علم
اللغة » ويقول الدكتور عبد الصبور
شاهين عن أعمال « دورسوسور »
العلمية : بأنها كانت تدور حول
الدراسات المقارنة ومنها استطاع
أن يقدم أفكاراً عن علم اللغة العام ،
أى : انه بدأ تاريخياً ، وانتهى
وصفياً فأضفى على علم اللغة
الموضوعية » .

ويتفق رأى ماريو باى ،
ودورسوسور ، على أن لعلم اللغة
فروعاً ثلاثة هى :

١ - علم اللغة الوصفى
أو التركيبى Descriptive (

٢ - وعلم اللغة التاريخى :
Historical) .

٣ - وعلم اللغة الجغرافى :
(Geography) .

والأول : أساس الدراسات
اللغوية ، لعنايته بالصوتيات
والفونيمات ، التى هى أكثر فروع
اللغة موضوعية ، ولعنايته كذلك

(أ. شاده) اعترف بجهود العلماء
واسهامهم فى الحضارة الانسانية
بما قدموا من دراسات لغوية لم
يسبقوا اليها فى ميدان : النحو ،
والصرف ، والأصوات ،
والمعاجم ...

وقد خص (أ. شاده) بالدراسة
جانب الأصوات فى بحث بعنوان
(علم الأصوات عند سيوية
وعندنا) - انتهى فيه الى أن من
الصعب اضافة أى تعديل على
ما قدم سيوية من تحديدات
علمية .. لكل ما تعرض لدراسته
من الظواهر الصوتية ، اللهم
فيما عدا موضوع الحجرة التى لم
يعرف العرب لها وظيفة صوتية ،
فجعلوها جزءا من الحلق .

وليس فى هذه الشهادة مجاملة
من (أ. شاده) :

فقد وضع العرب أبجدية صوتية
للغة العربية ، بحسب المخرج ،
مرتبة من أقصى الحلق حتى
الشفتين ، كما تحدثوا عن مخرجها
وتصنيفها ، وأنواعها ، وحددوا
الأصوات المميزة لبعضها عن

ولا نكر اضافاته البناءة . ولكن
نأخذ عليهم اغفالهم جهود علمائنا ،
وسبقهم فى هذا المضمار ، فهم قد
تبعوا مناهجنا ابان نهضتهم ، فكانت
الحضارة الأوربية تتاج العقل
الاسلامى والعقل الأوربى .

يذكر كتاب « فى علم اللغة
العام » أنه يأخذ على الأوربيين فى
تاريخهم للدراسات اللغوية : انهم
يقتصرون فى سرد التاريخ على
جهودهم ، بدءاً من أقدم العصور
حتى عصرنا الحاضر ، دون أن يعرج
أحدهم على ما قدم العلماء العرب
من جهود فذة فى هذا الميدان .

وأنا معه فى تلك اللفتة الذكية ،
والغمزة اللاذعة لقوم لا يعترفون
بالجميل ، ولا ينسبون الفضل
للسابق اليه .

ولو كانوا يؤرخون لعلم اللغة
التاريخى ، المرتبط بالمقارنات
اللغوية بين اللغات المختلفة باعتباره
أوربى النشأة .. لعذرناهم فى
مسلكتهم .

ولكن علماء أوروبا لم يخلوا من
منصفين : فالمستشرق الالمانى

- بعض .. كل ذلك بالاجتهاد والذوق والعقل ، كما صنع الخليل ابن أحمد ، وكما كتب ابن جنى وغيرهم رحمهم الله •
- ٥ - في علم اللغة العام للدكتور عبد الصبور شاهين •
- ٦ - الوجيز في فقه اللغة للدكتور محمد الأنطاكي

« للحديث بقية »

من المراجع :

- رجعت في هذا الفصل الى عدة مراجع ، وجدتها متشابهة ومتحدة أحيانا ، ولذا أغفلت ذكر المرجع والصفحة لكل اقتباس ، لأنها كثيرة أولا ، ومتفقة أحيانا ثانيا ، وخشية تضخم الحاشية وكثرة الأرقام والأقواس ثالثا • فليرجع اليها من شاء مزيدا من الفائدة ، وهى :

- ١ - مقدمة : للعلايلي •
- ٢ - اللغة : لفندريس •
- ٣ - فقه اللغة والأصوات للدكتور : ابراهيم نجا •
- ٤ - اللغة والفكر للدكتور عثمان أمين •
- ١١ - أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، للدكتور : نايف خرما •
- ١٢ - مجلة الفيصل السعودية عدد ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٩٨ هـ مقال للدكتور محمود اسماعيل صينى ص ٦٨ •

دكتور توفيق محمد شاهين

اللغة الأردية :

نشأتها وتطورها

للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

عن طريق تشجيع الكتب المطبوعة بالحروف الهندية ، ولقد أحسست بهذا أثناء تجوالى بمدن الهند التى كانت فيما مضى مراكز للغة الأردية مثل : دهلى ، على كره ولكهنو ... فاللغة الأردية أصبحت غريبة فى بيتها اذ ألبسوها ثوبا عجيبا حاكوه بخيوط قديمة من حروف اللغة السنسكريتية (ويدناكرى) الا أن حديثها لا يزال كما هو عذبا شفافا رغم اللسعات التى تقوم بها الحكومة على أجبالها الصوتية لتجهدا وتجعلها تنطق نغمات متحشجة يطلقون عليها اللغة الهندية .. ولكن هيهات هيهات فاللغة التى ترعرعت فى ظل القرآن الكريم وفى ظل اللغة العربية ، لا يمكن أن تتأثر ولو دقوا أوتارها بأظفار من حديد .

تعتبر اللغة الأردية ، أو كما يطلق عليها البعض اللغة الاردوية أو لغة الأردو اللغة الرسمية لجمهورية باكستان الاسلامية كما أنها لغة التخاطب بين سكان الهند جميعا .

واللغة الأردية ، التى هى احدى لغات المجموعة الهندو أوروبية ، ظهرت فى شبه القارة نتيجة لدخول المسلمين هذه المنطقة ، وهناك اليوم بالهند حركة ترمى الى التخلص من اللغة الأردية والقضاء عليها فهى اللغة التى تربط مسلمى الهند (١٢٠ مليون) باخوانهم فى باكستان والبلاد العربية فالأردية تكتب بالحروف العربية والفارسية وتحتوى على كثير من الكلمات العربية والفارسية وفى الهند تجرى محاولات للقضاء على الخط العربى

لأنهم سلبوا هذه الأجيال
اغتها الأم » •

وهذا يكفي لبيان ما يعانيه
الهنادكة من حساسية تجاه لفظة
(اردو) فالأردية تنتشر في ربوع
الهند رغم محاولتهم التخلص منها
والباسها ثوبا آخر يرتضونه
ويطلقون عليه (الهندية) الا أن
الحقيقة تظل واضحة وتعلن عن
نفسها يوما بعد يوم • وخلاصة
القول أن اللغة الاردية التي
سنستعرض هنا تاريخها وتطورها
لغة يتحدث بها ويفهمها جميع سكان
باكستان وشمال الهند وقطاع ضخم
من جنوبها بالإضافة الى عدد كبير
من سكان المناطق الجنوبية بأفريقيا
وعدة ملايين في لندن وكندا ، كما
أنها تدرس كلغة أدبية حضارية في
معظم جامعات أوروبا وأمريكا
واليابان •

وأهمية اللغة الأردية لنا نحن
العرب والمسلمين لا يمكن انكارها
فاللغة الأردية خلفت خلال عمرها
القصير (٣٥٠ سنة) أدبا رفيعا
 وثقافة عالية تمثلت في مؤلفات

وللحق أقول أن مسلمي الهند
يحاولون بكل ما يملكون - رغم
قلته - الابقاء على اللغة الاردية
بحروفها العربية وقد لمحت في عيون
المثقفين المسلمين دموع الأسى
والحزن الا أنها مزوجة بالأمل
والايمان بحتمية النصر • ومن هنا
يفرض علينا الواجب أن نساعد
هؤلاء ويفرض على الحكومة
الباكستانية الواجب أن تتبنى طبع
كتب مفكرى شبه القارة ممن
يكتبون بالأردية ، وقد أبكتنى
كلمات قرأتها في كتاب صدر لأحد
الكتاب المسلمين بالهند تحت
عنوان (اردو كا الميه) أى
« مأساة الأردية » أبكتنى كلمات
تحت عنوان « الجيل الأصم
الأبكم » يقول المؤلف الذى أهدي
كتابها الى بناته والى بنات الأردية
اللاتى سلبن لغتهن الأم :

« ... الأجيال القادمة لا تحمل
بين جنباتها الأسى فقط بل هى
أيضا خرساء صماء ... فى فمها
لسان الا أنها لا تقدر على الكلام
لها آذان الا أنها لا تسمع وذلك

وتوطد أواصر الصداقة والأخوة
بينهم •

وقد أشار على الدكتور
عبد الودود شلبي بكتابة عدة
مقالات أشرح فيها شرحا موجزا
عن نشأة اللغة الأردنية وتطورها
في ظل الاسلام والثقافة الاسلامية
وكانت لمشورته الطيبة وقعا حسنا
لدى فعكفت على مكتبتي أستخرج
منها ما يتعلق بالموضوع من مراجع
محاولا أن أقدم لقراء مجلة الأزهر
مادة طيبة على قدر امكانياتي
المتواضعة وتجربتي عبر سنوات
عشر مضت •

وسوف أعرض في المقال الأول
نبذة مختصرة عن تاريخ شبه القارة
لتلك المناطق التي نشأت فيها اللغة
الاردية مع بيان أثر الاسلام
والعوامل المؤثرة في نشأة اللغة
وتطورها •

نظرة تاريخية :

— ١ —

لم يكن فتح العرب للسند ،
أواخر القرن الأول الهجري
الا احتلالا لولاية واحدة في أقصى

قيمة في مجالات الدراسات
الاسلامية : القرآن والحديث ،
والتاريخ الاسلامي بالاضافة الى
المؤلفات النثرية والشعرية • وأرى
من واجبا هنا الاهتمام بهذه
المؤلفات التي انتجها اخواننا من
مسلمى شبه القارة الهندية
الباكستانية تلك المؤلفات التي
تتعلق بديننا وعقيدتنا ، ويجب أن
نحرص على تعلم هذه اللغة حتى
يمكننا فهم المتكلمين بها ومساعدتهم
بقدر ما نستطيع •

والأزهر الشريف ايماننا منه
بدوره التاريخي العظيم وافق على
افتتاح قسم للغة الاردية وآدابها
تبدأ الدراسة به هذا العام
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م وهو بهذا
يسبق جامعة القاهرة في افتتاح هذا
القسم فالأردية تدرس بجامعة
القاهرة قسم اللغات الشرقية كلغة
ثانية وكذلك في جامعة عين شمس
التي وافقت على ادخال الأردنية
كلغة ثانية منذ العام الماضي فقط ،
واننى أرى أن جامعة الأزهر بهذا
تؤدي خدمة جليلة للمسلمين جميعا

وعهد محمد الغورى بإدارة أملاكه الى قائده قطب الدين أيبك الذى وصل بفتوح سيده الى دهلئ فاتخذها قاعدة لحكومته واستمر فى فتوحاته ، بينما استمر قائد الغوريين الثانى محمد بن بختيار الخلجى صوب الشرق ففتح بهار ونفذ الى البنغال •

وباختصار خضع شمال الهند كله لسلطان الغوريين وعلى يد جمال الغورى بدأ الحكم الحقيقى للمسلمين بالهند فقد تحول الفاتحون الى الاستقرار والاقامة الدائمة بالبلاد التى فتحوها •

وبعد وفاة محمد الغورى نصب قطب الدين أيبك نفسه سلطانا على الهند (٦٠٢ هـ - ١٢٠٦ م) وبهذا بدأ عهد دولة المماليك أو (خاندان غلامان) وقد أطلق عليها هذا الاسم لأن ثلاثة من ملوكها كانوا من المماليك ، وهم قطب الدين أيبك (١٢٠٦ - ١٢١٠ م) والتوتمش (١٢١٠ - ١٢٣٦ م) وغيث الدين بلبن (١٢٦٦ - ١٢٨٧) وازدهرت العلوم والآداب والفنون فى عهد هذه

الغرب ، مساحتها ضيقة ، ومواردها قليلة ، بينما تعد فتوح الغزنوى للهند بداية غزو المسلمين الحقيقى لشبه القارة ، ذلك الغزو الذى سرعان ما انتهى بالفاتحين الى اتخاذ البلاد المفتوحة مقاما دائما لهم • وقد مهدت الدولة الغزنوية التى استمرت قرابة قرنين من الزمان - لتوطيد أقدام المسلمين بالهند ، وذلك بفضل فتوحاتها العظيمة • وفى هذه الفترة بدأ علماء المسلمين وشيوخهم فى نشر الاسلام وبدأت لاهور تدريجيا تتحول الى مركز للثقافة الاسلامية وانهارت الدولة الغزنوية على أيدي السلاجقة والغز • وأخذت الاضطرابات والفتن تجتاح غزنة وكابل وكافة البلاد المفتوحة بالهند حتى ظهر الأمراء الغوريون ، وعلى رأسهم محمد الغورى الذى جاب الهند غازيا من البنجاب الى البنغال فى فتوحات متواصلة خلال ثلاثين عاما بدأها باستخلاص « ملتان » من أيدي القرامطة ، ثم أستولى على « بشاور » وأخضع السند جميعه وأخيرا لاهور •

وارتقى غازى ملك تغلق عرش دهلى فى عام ٧٢٠ هـ - ١٣٢١ م باسم السلطان غياث الدين تغلق . ونجح السلطان فى استرداد الأقاليم الدكنية والشرقية التى كانت قد ضاعت من حوزة دهلى ، ونظم ادارة البلاد وشجع الناس على تعمير الأرض وفلاحتها وأصلح طرق الرى وشق العديد من الترع والقنوات ، وخلفه ابنه فخر الدين الذى قام برعاية العلوم والفنون ، وكان السلطان نفسه من المشتغلين بالأدب بمنشوراته ومنظوماته الفارسية والعربية وتفوقه على الشعراء يشهد له بالذوق الأدبى الرفيع ، واشتهر برعاية وتجويد فن الخط والنقش وقد تحدث عنه ابن بطوطة حديثا مشوقا .

وفى عهد فيروز تغلق نشطت الدراسات الهندية القديمة فقد شجع فيروز نفسه البراهمة على حل نقوش أعمدة آشوكا القديمة ، كما أمر بترجمة جملة من أمهات الكتب السنسكريتية الى الفارسية ، وأنشأ السلطان مئات المدارس

الدولة التى لم تلبث أن ضعفت وانتقل الملك الى أيدي الخليجين عام ٦٨٩ - ١٢٩٠ م حين تولى جلال الدين الخليجى السلطة وأذن لأبن أخيه علاء الدين بغزو الدكن عام ١٢٩٤ - ٦٩٤ هـ ولم يلبث أن عاد واستولى على الحكم بعد قتل جلال الدين غدرا .

وأمتدت مملكة علاء الدين خليجى من البنجاب الى البنغال ، ومن جبال الهمالايا الى تلال الوندهايا وبعدها بدأ علاء الدين يثبت أقدامه فى منطقة الدكن واستولى قائده كافور على مالوه والكجرات والدكن جميعها ولم يبدأ عام ٢١٢ هـ - ١٣١٢ هـ حتى كان الخليجون يسيطرون على شبه القارة الهندية بأكملها .

وهكذا ... بدأت الثقافة الاسلامية ، وبدأ المجتمع الاسلامى ونظام الحكومة الاسلامى فى بسط ظلاله على هذه المنطقة بأكملها ، وقد عنى سلاطين الدولة بالعلماء والشعراء ونذكر منهم الشيخ نظام الدين أوليا والعالم الفقيه ركن الدين والشاعر خسرو الدهلوى .

وهكذا نشاهد الهند موزعة بين ملوك الطوائف وبالإضافة الى اماره دهلى ، وجدت اماره الكجرات وامارة مالوه التي تقع الى الشرق من كجرات وامارة خاندش التي انسلخت عن دهلى ، وامارة جانپور جنوب شرق دهلى بالإضافة الى البنغال ثم الدكن •

ويهنا هنا الاشارة قليلا الى الدكن لأهميتها بالنسبة للدراسة التى تقدمها الآن عن اللغة الاردية ونشأتها وقد قام أمير يدعى علاء الدين ظفر خان بإعلان خروجه على سلطان دهلى عام ٧٤٣ هـ ، وبسط نفوذه على كافة الاقاليم الدكنية التى كانت فى يد علاء الدين الخلجى ، ومحمد تغلق وصارت بلاده تعرف باسم الدولة البهمنية أو « بهمنى سلطنت » وموقعها اليوم هو اقليم بمباى وولاية حيدر آباد الدكن •

وانتهت تلك الدولة فى أوائل عام ٩٣٢ هـ - ١٥٢٥ م بعد أن عمرت حوالى قرنين من الزمان ، وقسمت أراضيها الى خمس ممالك اسلامية مستقلة هى برار وبيجاپور

والمساجد ودور الشفاء الى جانب ثلاث مدن كبيرة بالقرب من دهلى هى فيروز آباد ، وفتح آباد وجونپور •

وبعد وفاة فيروز تغلق انتشرت الفوضى فى البلاد وأقبل تيمور لئلك بنفسه على الهند فغزا الهند فى عام ٨٠١ هـ - ١٣٩٧ م وهو ينوى السيطرة على الهند كلها • وكان للغزو المغولى التيمورى للهند العامل الأكبر الذى أدى الى تفكك الدولة الاسلامية التى أحكمت قبضتها على الهند زمان محمد تغلق وفيروز تغلق ، فقد بدأت معظم ولايات الهند الكبرى : مالوه والكجرات وجونپور - البنغال والدكن فى الانفصال • وأعلن أصحابها استقلالهم بها ولم يفلح سلاطين دهلى فى بسط نفوذهم على هذه الولايات من جديد الا فى عهد الدولة المغولية التى أسسها أحفاد تيمورلئلك بالهند فى القرن العاشر الهجرى وعمرت قرون ثلاثة شهدت فيها الهند على أيديهم حضارة رائعة فاقت مثيلاتها فى أرقى الدول آنذاك •

بالهند حكومة الدولة المغولية على يد زهير الدين بابر الذى دخل آكرا وجلس على عرش اللودهيين فى ٢٩ رجب ٩٣٢ هـ وخلفه ابنه همايون الذى اشتهر فى تاريخ الهند ونال اعجاب الهنادكة فضلا عن المسلمين ويعتبره الجميع أعظم عاهل عرفته الهند منذ أيام أشوكا حامى البوذية قديما ، وأكبر هو مؤسس الدين الالهى ويحاول البعض التعظيم من شأن هذا الأمر الا أنه لم يتعدى كونه منتدى يتجمع فيه أصحاب الديانات المختلفة فى دار العبادة التى أسسها أكبر لهذا الغرض . ولم يحاول أكبر اجبار أحد على دخول هذا الدين أو الانضمام الى هذا النادى الذى أسسه للتقريب بين الديانات المختلفة بالهند .

ونحن نشاهد محاولات عجبية تحدث فى أيامنا هذه قرية جدا من محاولة أكبر التى فشلت تماما . وترك أكبر من بعده لابنه جهانكير دولة موطدة الأركان تتألف من الشمال الهندى بأكمله مع كابل وكشمير والبنغال وجزء كبير من الدكن وفى عهد جهانكير

وأحمد نكر وجولكنده وييدر ، ومايهنا هنا هو التركيز على سلطنة أو مملكة بيجابور التى أسسها يوسف عادل شاه وهو أحد أبناء السلطان العثمانى مراد الثانى وكانت امه قد فرت به من وجه أخيه محمد الفاتح : الى ايران ومنها الى الدكن فالتحق بالبلاط البهنى وآخر سلاطين بيجايور هو ابراهيم عادل شاه الثانى الذى ضم الى مملكته سلطنة أحمد نكر .

وكان لسلطنة جولكنده وبيجاور دور كبير فى رقى الأدب الأردى كما سيأتى ذكر هذا فيما بعد أما سلطنة دهلى فكانت تحت حكم أسرة السادات التى كانت تأمل فى استعادة وحدة الهند تحت راية الاسلام ، هذا فى الوقت الذى خضعت فيه أغلب منطقة البنجاب للقائد الأفغانى الشائر بهلول اللودهى الذى استولى على دهلى وقام بعدة اصلاحات الا أن حكمه لم يستمر وانتهت سلطنة اللودهى عام ٩٣٢ هـ - ١٥٢٦ م . لتبدأ

وخلف اورنكزيب سلاطين لم يتمكنوا من المحافظة على الدولة الشاسعة وانتهى حكمهم بسيطرة الانجليز على البلاد وأصبح منصب السلطان منصبا تقليديا اسما *

وثار أهل الهند ضد بريطانيا ثورة عرفت بالثورة الشعبية واشتهرت بعام الغدر وقضى الانجليز بمحاكمة صورية عام ١٨٥٨ م على آخر سلاطين الدولة المغولية بهادرشاه بنفيه من البلاد وانطلقوا يمتصون دماء أهل الهند وخيراتا *

وانطلق المسلمون يجاهدون من أجل الحصول على الحرية ووالى الهنادكة الانجليز وأعملوا القتل والسلب فى المسلمين مما اضطر القائد المسلم محمد على جناح الى الموافقة على رأى الشاعر محمد اقبال بضرورة اقامة وطن منفصل للمسلمين وحصلت الهند على استقلالها وحصل المسلمون على وطن لهم عام ١٩٤٧ م *

الاسلام واثره فى نشأة اللغة الاردية *

يتضح من هذا العرض السريع جدا لمنطقة شبه القارة الهندية

بدأ التغلغل الأوربي فى شئون الهند وبدأت شركة الهند الشرقية البريطانية فى تثبيت أقدامها فى مناطق كثيرة بالهند ، وذلك ابتداء من عام ١٦١٥ م وولى الحكم شاهجهان الذى ضاق ذرعا بالتدخل البرتغالى فى شئون بلاده فهجم على البرتغاليين الذين شاعوا فى الأرض فسادا باسم التبشير وحاول البريطانيون الاستفادة من هذا والتقرب الى السلطان واعتلى اورنكزيب عالمكير عرش الهند عام ١٠٦٩ هـ وحاول ان يصبغ

البلاد بصبغة اسلامية خالصة فحرم شرب الخمر واهتم بتعمير المساجد ونشر التعليم وعين حارسا لمراقبة سلوك الناس وحملهم على التمسك بتعاليم الشرع والابتعاد عن نواهيهِ .. ولم يشغل اورنكزيب فى حياته بغير علوم القرآن والسنة ، وكان متمكنا من الآداب الفارسية وقد أشرف على تأليف الموسوعة الفقهية (الحنفى) الشهيرة والمعروفة باسم الفتاوى الهندية أو العالمكيرية التى طبعت بمصر عام ١١٨٢ هـ *

١٣ م دفعت بالعديد من المسلمين الأتراك والایرانیين والأفغان الى اللجوء للهند وخاصة المناطق الشمالية ، وحين أسلم المغول قدموا للهند وقدم معهم العديد من المسلمين ، ولا يفوتنا أن نذكر أن المسلمين كانوا يتزوجون بأكثر من واحدة مما زاد عدد المسلمين عن الهنادكة •

وكان لامتزاج المسلمين مع الهنادكة آثار كثيرة ليس هذا مجال ذكرها الا أننا نقول باختصار أن أفكار « أكبر » الدينية لم تكن الا نتيجة سيئة لهذا الامتزاج الفكري ، وقد دفع هذا عددا من المسلمين الى محاولة الحفاظ على الاسلام بالهند من شوائب الهندوكية وفلسفتها •

وقد شهدت الهند أيام الحكم الاسلامي عصرا ذهبيا في جميع الميادين في التصوير وفي فن العمارة وفن الموسيقى وبرع المسلمون في فن كتابة التاريخ وكتب التذاكر •

ولكن بأية لغة كانت كل هذه الجيوش تحدث ؟ وكيف كان

الباكستانية كيف انتشر الاسلام في المنطقة وكيف حدث الامتزاج بين الفاتحين وأهل البلاد ، ولكن كيف جاءت كل هذه الأعداد الكبيرة من المسلمين ؟

نقول ان سماحة الحكام وعدلهم وقواعد وقوانين الاسلام فيما يتعلق بالمساواة والعدل حدث بالكثير من أهل البلاد ممن طحتهم قوانين الهندوكية التي تقسم المجتمع على أساس غير انساني الى الدخول في الاسلام طوعية ولما كان جيش محمد بن القاسم قد قدم الى السند دون أن ترافق الزوجات أزواجهن من الجنود ، فقد بدأ الجند في الزواج من الهنادكة بعد قبولهن الاسلام وتنج عن هذا آلاف من الأسر المسلمة التي ظلت تتزوج فيما بينها وكان هذا هو حال القادة المسلمين من الأتراك والایرانیين والبطهان وكانت النساء بعد الزواج يتطبعن بطباع الاسلام التي أعجبت العديد من الهنادكة فدخلوا الاسلام •

هذا بالاضافة الى أن غزوات المغول في آسيا الوسطى في القرن

هذا المزيج الاجتماعي يتفاهم ؟

يحدثنا الرحالة العرب أن اللغات التي كانت مستعملة بالسند وقت دخول المسلمين كانت العربية والسندية ، فقد تعلم المسلمون اللغة السندية وتداخلت الكلمات العربية بالطبع في اللغة السندية التي بدأوا يتحدثونها وحين امتدت حكومة المسلمين الترك الى شمال غرب البنجاب اختلطت لغة البلاد المفتوحة ، ومن هنا شاهدنا بعض شعراء بلاط محمود الغزنوي (مثل منوچهرى) يستخدمون الألفاظ الهندية في أشعارهم ، كما بدأ بعض شعراء الهنادكة يستخدمون الألفاظ العربية والفارسية في أشعارهم وهكذا بدأت اللغات العربية والفارسية والتركية تترك آثارها على اللغات الاقليمية بالهند .

وتصدرت الفاظ اللغة العربية الدينية لغات المناطق المسلمة بالهند بينما انحصرت ألفاظ اللغة التركية على المأكولات والملبوسات وما شابهها أما اللغة الفارسية فقد

ظلت لقرون اللغة الرسمية لتلك المناطق التي حكمها المسلمون وتتمثل تقريبا في شمال الهند كله وجزء كبير من الدكن ومن هنا كان لها نصيب كبير في التأثير على لغات شبه القارة الهندية فكان السكان يستخدمون بعض ألفاظ لغاتهم المحلية مضافا اليها ما يعرفونه من ألفاظ اللغة الفارسية ليعبروا بذلك عن أنفسهم ، أما العلماء فكان لا بد لهم من معرفة العربية معرفة تامة حتى يفهموا القرآن والحديث والفقه .

وكان لكل سوق من الأسواق لغة خاصة به أما السوق السلطاني فكان له تجار معينون وبضائع معينة وتقاليدها خاصة ولغة خاصة وكان الموسيقيون المشهورون والفنانون والراقصون يجتمعون في هذا السوق يتعلمون أسلوب الحديث وطريقة البيان ، ومن هنا كان هذا السوق السلطاني مدرسة لتعليم أسلوب الحديث وطريقة الكلام .

والمدرسة الثانية التي أدت خدمة جليلة في سبيل تعليم الناس اللغة

جنباً الى جنب مع لغاتهم الأخرى ،
وكان الهنادكة والمسلمون
يتحدثون أيضاً الأردية •

ولم تكن اللغة التي يتحدثها
سكان منطقة دهلي وميرته
وما حولها مختلفة كثيراً عن اللغة
الأردية الحالية ، وقد أسماها
أمير خسرو اللغة الدهلوية ثم
سميت اردوئي معلى ، فقد كانت
لغة البلاط ورجال البلاط ، وكان
من تأثير الاسلام أن دخلت الألفاظ
العربية والقواعد العربية والفارسية
في هذه اللغة بكثرة (ياء النسبة ،
الاضافة ، قواعد الجمع ، بناء
المركبات البيانية وغير ذلك)
وسارت اللغة حيث سارت خطوط
الفتوحات الاسلامية وانتشرت
بالتدريج وارتقت تحت ظل
السلطان الاسلامي في الهند ، وفي
ظل نشاط أهل التصوف الذين
ساعدت كتاباتهم في تدوين اللغة
ووصول بعض نماذجها الأولى
إلى اليوم ، ولا أريد أن أخطئ
هنا بين اللغة وكتابة اللغة لأن
اللغة رموز صوتية منظوقة ومسموعة
أما الكتابة فهي في أفضل صورها

المختلطة هي تكايا الصوفية ،
حيث كان المتصوفة يقومون بنشر
أفكارهم الاسلامية والصوفية ،
وكانت لغة المتصوفة خالية من
التعقيد والتكلف فقد كان هدفهم
الرئيسي هو افهام العامة مبادئ
الاسلام وأفكار المتصوفة وهي لغة
تعلموها من بلاط الملوك والأمراء
في فترة حياتهم الأولى • ومرة
ثانية تتساءل ما هي اللغة التي
ظهرت نتيجة الامتزاج بين هذه
الشعوب المختلفة التي تحدث
لغات ولهجات متنوعة ؟ هل هي
اللغة التي نطلق عليها اليوم اللغة
الأردية أم هي لغة أخرى ؟

والاجابة على هذا السؤال
تحتاج الى مئات من الصفحات
ولكننا هنا سنوجز بقدر ما هو
متاح من صفحات •

فاللغة التي نطلق عليها اليوم
« اردو » هي اللغة التي كان
الناس يتخاطبون بها حول دهلي
وميرته ، وكان الناس في البنجاب ،
واوده والدكن وبهار والكجرات
وبمباي ووسط الهند يتحدثونها

لا تعدو أن تكون محاولة للتعبير عن الواقع الصوتي •

وإذا كنا سندرس اللغة فأننا سندرس التاريخ اللغوي بشقيه ، أولهما التطور في بنية اللغة ومعجمها ، والثاني مجالات الانتشار والاستخدام اللغوي وهذان الشقان نابعان من الطبيعة الرمزية الصوتية للبنية اللغوية ومن الوظيفة الاجتماعية لها - وبنية اللغة تتغير وهذا التغير مصدره الفرد ، وهذا يفسر لنا التطور في بنية اللغة الاردية ، فإذا ما حدث واستمر فرد ذو مكانة مرموقة في النطق على نحو جديد بصوت من الأصوات أو في استخدام كلمة ابتكرها هو أو بعثها هو من سبات معجمي عميق أو استخدم أسلوبا جديدا ، فسمعه الناس وأعجبوا به عن وعي أو دون وعي فالنتيجة حدوث تغير لغوي • فالتغير اللغوي أساسه الاستخدام الفردي للغة • فإذا كان هذا المستخدم ذا مكانة اجتماعية أو وظيفية أو ثقافية مرموقة وقلده

المقربون منه أو من أرادوا التقرب منه ثم اتسعت دائرة المقلدين شيئا فشيئا ، أصبح هذا التجديد اللغوي خطأ سائرا وعرفا ملزما وأصبحت الصورة الناتجة هي اللغة المتعارف عليها وانقرضت الصورة القديمة أو توارت •

وفي السطور السابقة شرحنا كيف أن لغة السوق السلطاني أو « شاهی بازار » كانت مختلفة تماما عن اللغة في الأسواق الصغيرة لأن هذا السوق يضم نوعية خاصة من الناس وتعاملا خاصا يفرض لغة خاصة ، وذكرنا أيضا تلك اللغة التي أطلق عليها اردوى معلى أى « الاردية الراقية » وهى اشارة الى تلك اللغة التي كانت سائدة في بلاط ملوك المغول ، أما رجال التصوف الذين كانوا يحتلون مكانة عالية داخل المجتمع الاسلامى وبين صفوف من أسلم على أيديهم •• ومن هنا كان لهم دور عظيم في نشر تلك اللغة الخاصة التي تعلموها - كما ذكرنا - في بلاط الملوك في أيامهم الأولى •

حياة اللغة فانتقال مجموعة بشرية معينة من مكان الى آخر واختلاط المجموعة الوافدة مع السكان القدامى كقيل بخلق علاقات لغوية جديدة ومن المعروف أن فتح العرب لاقليم السند وحدوث التزاوج الاجتماعي بين العرب وأهل السند الأصليين كان له أعظم الأثر في دخول العديد من الألفاظ العربية في اللغة السندية وتقبل أهل البلاد المفتوحة لهذه الألفاظ وبالتدريج وجنبا الى جنب مع الفتوحات الاسلامية في الشمال والجنوب وامتزاج المسلمين مع أهل البلاد الأصليين ظهرت الأردية خليطا من لغة أهل البلاد الأصليين واللغة التركية والفارسية والعربية ولما كانت هذه اللغة الجديدة « اردو » ومعناها بالتركية المعسكر ، هي لغة الطبقة الحاكمة ولغة المثقفين ، أصبحت فيما بعد لغة الأدب والثقافة ولغة الشعب أيضا الذي بدأ في محاكاة الطبقة العليا وهذا أمر معروف في المجتمعات ذات الطبقات المتعددة

ويتأثر انتشار الصبغة اللغوية بعوامل كثيرة منها التعليم ، وقد تحدثنا عنه ومنها العامل الديني وهو واضح تماما في تشكيل اللغة الأردية وتطورها ووجود عدد ضخم من الكلمات العربية .. وخاصة المصطلحات الدينية وتنتج عن هذا ارتباط الخط العربي بهذه اللغة رغم المحاولات العديدة انتى جرت لتغيير كتابة اللغة من الخط العربي الى الخط الديوكرى التى تكتب به اللغة الهندية •

والعامل السياسى ذو أثر لا يستهان به في نشأة اللغات أو انتشارها ، واللغة الأردية كما ذكرنا نشأت وانتشرت فى ظل سلطان المسلمين وواكبتهم حيثما انطلقوا فى شمال الهند أو جنوبها ، شرقها أو غربها ، واختلف مدى هذا الأثر السياسى من منطقة لأخرى فى شبه القارة الهندية ، وهذا يمثل تركز اللغة الأردية فى الدكن وشمال الهند •

أما العامل الاجتماعى فهو من أهم العوامل وأبعدها أثرا فى

واللغة الأردنية لغة حديثة لم
يتعد تاريخها مئات قليلة من
السنوات ودراسة نشأتها وتطورها ،
ودراسة آدابها وتراثها ، دراسة
تهم كل مسلم يشعر بأن من واجبه
معرفة وطنه الاسلامي ، فقد
تركت الأردنية آثارا أدبية عظيمة
وثقافة لا تزال شعوب شبه القارة
الهندية الباكستانية تجتر خيراتها
حتى اليوم •

— وللحديث بقية —

دكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

وملاحظ في كل مظاهر الحياة
الاجتماعية ، والعامل الحضارى
عامل فعال أيضا في حياة اللغة
واتشارها فتعلم اللغة الاردية
أمر فرضته الثقافة الاسلامية
ومؤلفات علماء الدين ورجال
التصوف المسلمين ، فقد دفع
هذا القوم الى تعلم اللغة للوقوف
على أمور دينهم وشئون شريعتهم
وما تحمله هذه اللغة من حضارة
وعلم يفيدهم •

((اذا استطعت))

كتب رجل الى ابن عمر رضى الله عنهما يسأله عن العلم !
فأجابه : ان العلم أكثر من أكتب به اليك ، ولكن اذا
استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين ،
خفيف الظهر من دمائهم • خميص البطن من أموالهم لازما
لجماعتهم فافعل •

التصوف ومقام الإحسان

الأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

هو سلطان كل فرد على ذاته وطبيعته ، ومتى قوى هذا السلطان في شعب كان حمية أييا لا ترغمه قوة ولا يعنو للقهر » •

هذا هو الدين في مظهره اذا ساد في شعب فما بالك اذا كانت حقائق هذا الدين ومثله القويمة هي التي تسود ؟ وكيف بك اذا أدركت أن وراء هذا الدين أسراراً تعطيك من روحها كلما تعمقت فيه وتشربت بمبادئه وتحققت بتعاليمه ؟ حين ذاك تصبح انساناً له سلطانه الروحي الذي تخضع الماديات لسلطانه وتضمحل الظواهر أمام قوته •

وقد اعتمد سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في تمسكهم بدينهم على تفهم أسرارهم وتشرب مبادئه ، ولم يقفوا عند حدود أداء

حين تضيق بنا الحياة وتتفرق بنا السبل وتتوزعنا الهموم والآلام نجد أنه لا منجاة لنا من كل ذلك الا اذا عدنا الى مثل ديننا القديم فاستنشقنا عبيرها وتمسكنا بأسبابها واعتصمنا بجبلها » ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » •

أجل فما عز انسان الا بعز دينه وما ذل الا بتفريطه فيه ، وقد اعتمد المفكرون الأصلاء على الدين في تقوية الروابط الاجتماعية وبعث العزة القومية في الأمة واحياء فضائلها ، ولذلك يقول الرافعي رحمه الله : « الدين من أقوى الوسائل التي يعول عليها في ايقاظ ضمير الأمة وتنبيه روحها اذ فيه أعظم السلطة التي لها وحدها قوة الغلبة على الماديات ، فسلطان الدين

قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الاحسان ، قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » *

ويوقفنا هذا الحديث الشريف على أن هذا الدين الحنيف الذي تتشرف بالالتساب إليه له مراتب ثلاث : أولاها الاسلام وأوسطها الايمان وأعلاها الاحسان ، وقد علق الامام النووي شارح صحيح مسلم على مرتبة الاحسان بقوله : « هذا من جوامع الكلم التي أوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن لو قدرنا ان أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوها الا أتى به ، فقال صلى الله عليه وسلم : اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان ، فإن التتميم المذكور في حال العيان انما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال

الشعائر على ظواهرها ولكنهم فهموا معنى الاسلام على حقيقته والايمان على حقيقته والاحسان على حقيقته في ضوء هذا الحديث الشريف الذي ورد في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر لا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، فقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الاسلام أن تشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدق ، قال : فأخبرني عن الايمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ،

من قائل : « وما أمروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين حنفاء » .

والاخلاص يستدعى المراقبة
والمحاسبة ومتى راقب العبد ربه
وحاسب نفسه على التقصير فى
جنبه سلمت عبادته من الخلل ،
وخلت أعماله من العلل ، وبعدت
خطواته من الزلل .

والاخلاص هو الذى يعطى
للعمل قيمته ويحقق له حيويته .
قال ابن عطاء الله السكندرى
رضى الله عنه : الأعمال صور قائمة
وأرواحها وجود سر الاخلاص
فيها ، ويلقى الشيخ زروق على
هذه الحكمة فى شرحه قائلا :
ولا عبرة بصورة لا روح فيها كما
أنه لا قيام لروح دون صورتها ،
وقال الشيخ أبو طالب المكي رضى
الله عنه : الاخلاص عند المحققين
اخراج الخلق من معاملة الحق ،
وأول الخلق النفس ، والاخلاص
عند المحبين ألا يعمل عملا لأجل
النفس والا دخل عليه مطالعة
عوض أو ميل الى حظ النفس ،
والاخلاص عند الموحدين خروج

للاطلاع عليه ، وهذا المعنى الموجود
مع عدم رؤية العبد فينبغى أن يعمل
بمقتضاه ، فمقصود الكلام الحث
على الاخلاص فى العبادة ومراقبة
العبد ربه تبارك وتعالى فى اتمام
الخشوع والخضوع .. وقد ندب
أهل الحقائق الى مجالسة الصالحين
ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء
من النقائص احتراماً لهم واستحياء
منهم فكيف بمن لا يزال الله مطلقاً
عليه فى سره وعلايته ؟ قال
القاضى عياض رحمه الله : وهذا
الحديث قد اشتمل على جميع
وظائف العبادات الظاهرة والباطنة
من عقود الايمان وأعمال الجوارح
واخلاص السرائر والتحفظ من
آفات الأعمال حتى ان علوم
الشريعة راجعة اليه ومتشعبة
منه .

الصوفية ارباب هذا المقام :

وقد وقف أهل الصديق من
الصوفية أنفسهم على تحقيق هذا
المقام وحشوا تلاميذهم عليه لأنه
أقرب الطرق للوصول الى حضرة
الحق والتعرف عليه ، وقد ندبنا
الله الى مراعاة الاخلاص فقال جل

قال تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه » (البقرة ١١٢) ، « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » (النساء ١٢٥) ، « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » (لقمان ٢٢) فلاحسان هنا هو تمام مشاهدة الحق الذى يصحب اسلام الوجه لله والتفويض الكامل له لأنه لا موجود بحق الا هو .

الاحسان أعلى مراتب العبادة :

والاحسان هو أعلى المراتب فى العبادة فقد سبقته المرتبة الأولى وهى مرتبة الاسلام وهو المدخل الصحيح الى التعرف الى الله ولذلك اختاره الله ديناً للبشر جميعاً منذ خلق آدم عليه السلام وحتى يطوى الأرض ومن عليها . والاسلام كما يدل عليه لفظه يعنى الاستسلام لله ، كما يعنى حسن العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان استشهاداً بالحديث الشريف : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

الخلق من معاملة الحق من النظر اليهم فى الأفعال وعدم السكون اليهم فى الأحوال .

والاحسان كما يهذى اليه لفظه يقتضى الأفضلية ، قال تعالى : « أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً » (مريم ٧٣) ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (المؤمنون ١٤) ، « ادفع بالتي هى أحسن السيئة » (المؤمنون ٩٦) « ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون » (العنكبوت ٧) .

كما يتطلب الاتقان فى العمل ، ومن تمام الاتقان خلوه من الشرك الخفى بمعنى ألا يشهد الانسان مع الله خالقاً سواه ولا قادراً غيره . فكل ما سواه نجم آفل . بل فى شهود العارفين باطل . أو كما يقول الآخر :

الله قل وذر الوجود وما حوى
ان كنت مرتاداً لنيل كمال
فالكمل دون الله ان حقت له
عدم على التفصيل والاجمال

ومن تمام الاتقان أيضاً رؤية الله عند كل شئ كما يشير ذلك الحديث الشريف الذى تقدم .

لأحدهم مثل أحد ذهاباً فأنقذه ما
قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ،
ثم قال حسدثنى أبى عمر بن
الخطاب • وساق الحديث •

فاذا ما أسلم وجهه لله وفوض
أمره اليه وتوكل عليه وآمن
بقضائه وقدره استطاع أن يشاهد
آثار القدرة الالهية المحيطة به من
كل جانب ويرى الله في آياته
الظاهرة والباطنة وذلك كقيل بأن
يعبد الله حق عبادته • وهذا هو
مقام الاحسان الذي اعتنى الصوفية
بتحقيقه والتخلق به وجاهدوا
أنفسهم للوصول اليه ووضعوا
مناهجهم لمريديهم على هذا
الأساس •

وأول خطوة يخطوها الصوفي
في طريقه هي التوبة • وتعنى
الرجوع عن أمر مذموم في الشرع
الى كل أمر محمود فيه مع الندم
على ما حدث من المخالفات ،
والتوبة مقام خطير من مقامات
الصوفية يبدأ بالتوبة من المعاصي
وينتهى بالتوبة من الخواطر ، حتى
قال ذو النون المصري وقد سئل عن

ويليه مرتبة الايمان الذي يعنى
الثقة المطلقة في الله والايمان بقضاء
الله وقدره ، ويظهر ذلك من
مناسبة الحديث الذي قدمته
بين يدي هذا الكلام فقد روى
الامام المسلم في صحيحه عن يحيى
ابن يعمر قال : كان أول من قال
في القدر بالبصرة معبد الجهني ،
فانطلقت أنا وحميد بن عبد
الرحمن الحميري حاجين أو
معتزين فقلنا : لو لقينا أحدا من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسألنا عما يقول هؤلاء في
القدر • فوقف لنا عبد الله بن عمر
ابن الخطاب داخلا المسجد
فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن
يمينه والآخر عن شماله ، فظننت
أن صاحبي سيكل الكلام الى
فقلت : يا أبا عبد الرحمن انه قد
ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن
ويتقفرون (يطلبون) العلم
وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن
لا قدر وأن الأمر أنف • قال فاذا
لقيت أولئك فأخبرهم اني برىء
منهم وأنهم براء مني ، والذي
يحلف به عبد الله بن عمر لو أن

محسنون » (النحل ١٢٨) ،
 « انه من يتق ويصبر فان الله
 لا يضيع أجر المحسنين »
 (يوسف ٩٠) •

وتعنى التقوى عند الصوفية
 مدلولاً خطيراً يفتح الباب الى مقام
 الاحسان ، فالجريى فيما يرويه
 القشيري فى رسالته يقول : « من
 لم يحكم بينه وبين الله بالتقوى
 والمراقبة لم يصل الى الكشف
 والمشاهدة » وقال النصراباذى :
 « التقوى أن يتقى العبد ما سواه
 تعالى وهذا هو المعنى الذى يقصده
 الروذبارى من قوله « التقوى
 مجانبة ما يبعدك عن الله » وما
 أجمل قول ابن عطاء : للتقوى
 ظاهر وباطن فظاهره محافظة
 الحدود وباطنه النية والاخلاص •
 ويترتب على كل ذلك صفات مثلى
 كثيرة هى لدى الصوفية مقامات
 رائعة تظهر فى الورع والزهد
 والتوكل والخوف والرجاء
 والخشوع والتواضع وغير ذلك
 مما يتخلقون به ويحكمون أمرهم
 عليه حتى يصلوا الى أعلى درجات
 اليقين ، وحسبك باليقين من خلق

التوبة : توبة العوام من الذنوب
 وتوبة الخواص من الغفلة ، وقال
 الثورى : التوبة أن تتوب من كل
 شئ سوى الله عز وجل ، وشتان
 - كما يقول عبد الله بن على
 التميمى - ما بين تائب يتوب عن
 الزلات وتائب يتوب من الغفلات ،
 وتائب يتوب من رؤية الحسنات •
 واذا تحقق المرید بالتوبة على
 هذه الصورة فقد وضع قدمه
 الصحيح على طريق الاحسان الذى
 يشاهد فيه حقائق الانعام
 والاحسان ، ولن تتم هذه التوبة
 الا بالمجاهدة الصادقة لدواعى
 النفس وكبحها بلجام التقوى •

الاحسان والتقوى :

وقد ورد لفظ الاحسان فى
 القرآن الكريم مقرونا بكلمة
 التقوى فى مواضع كثيرة « للذين
 أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم »
 (آل عمران ١٧٢) ، « ثم اتقوا
 وأحسنوا والله يحب المحسنين »
 (المائدة ٩٣) ، « وان تحسنوا
 وتتقوا فان الله كان بما تعملون
 خبيراً » (النساء ١٢٨) ، « ان
 الله مع الذين اتقوا والذين هم

إذا تخلق به الانسان بلغ نهاية الكمال ، قال أبو عبدالله الانطاكي فى ذلك : ان أقل اليقين اذا وصل الى القلب يملأ القلب نورا وينفى عنه كل ريب ويمتلىء به القلب شكرا ومن الله خوفا •

وهكذا نجد الصوفية يعنون تمام العناية بالجوهر واصلاح الباطن ، وهذا هو الأساس الذى يرسون عليه قواعد طريقهم ، ومراقبتهم لأحوال نفوسهم هو الذى يجعلهم فى يقظة كاملة لما يحدث فى بواطنهم وما يدور فى خواطرهم ويحاسبون أنفسهم على كل تصرف يصدر عنهم ، وهذا كما يقول القشيري فى رسالته أصل كل خير ، ولا يكاد المريد يصل الى هذه الرتبة الا بعد فراغه من المحاسبة ، فاذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق واحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة الوقت وحفظ مع الله الأنفاس راقب الله تعالى فى عموم أحواله ومن راقب الله فى خواطره عصمه الله فى جوارحه • ومن قصصهم الطريفة فى ذلك

أن أحد الشيوخ كان يخص تلميذا له بالرعاية والاقبال أكثر من غيره فسأله فى ذلك فقال : ايئن لكم ، ودفع الى كل واحد من تلامذته طائرا وقال له : اذبحه بحيث لا يراك أحد ، ودفع الى هذا التلميذ طائرا مثلهم ، فمضوا ورجع كل منهم وقد ذبح طائره ولكن هذا التلميذ جاء ولم يذبح طائره ، فقال له الشيخ : هلا ذبحته ؟ فقال : أمرتنى بأن أذبحه بحيث لا يرانى أحد ولم أجد موضعا لا يرانى فيه الله جل وعز • فقال الشيخ : لهذا خصصته بالرعاية والاقبال •

قال الصوفية : ومن علامة المراقبة ايثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله ، ويشتر ذلك الرضا الكامل بالقضاء والقدر ، يقول أحدهم : أصبحت ومالى سرور الا فى مواقع القدر ، وقال آخر : أحبيت الله حبا هون على كل مصيبة ورضائى بكل بلية •

وهذه هى الحياة الطيبة التى فهمها بعض المتذوقين من قوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكروا

ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين
آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم «
(الحشر ١٠) •

ليس الدين مظهرا فحسب ،
ولكنه روح يعمل عمله فى نفس
المسلم فاذا به يصبح مثلا أعلى
يتحرك ونموذجا سويا للكمال
الخلقى لا ينطوى قلبه على دخل
أو رياء أو ضغينة ولا يسارع الى
كلمة الكفر يدمغ بها أخا مسلما
يشهد « أن لا اله الا الله وأن
محمدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم » •

عبد الحفيظ فرغلى القرشى

أو أنشى وهو مؤمن فلنعيينه حياة
طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون « (النحل ٩٧) •
وللصوفية فى ذلك أحوال نادرة
هى من سوابق الهمم وكبريات
العزائم • أليس الصوفية على هذا
الأساس هم الناس ؟

انهم عباد الله حقا الذين أفنوا
ذواتهم فى حب الله وآثروا رضاه
على رضا الناس ولم يفتنهم حب
المظهر عن تطهير المخبر ، لقد سلمت
نفوسهم من كل غل وحقد وحققوا
قول الله : « والذين جاءوا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان

الصلاة :

ان الصلاة بها الصلوات عميقة	وبها يكون من الصلاء نجاكا
واذا بليت من الزمان بشدة	فافزع لها تفزع بها بلواكا
هى قرة للعين ، جالبة الرضا	هى فى الخطوب الحالكاك ضياكا
وعماد دين الله باب فتوحه	وطريق جنته وسر هناكا

لَذَّةُ الْحَقِّ

فضيلة الدكتور إبراهيم أبو الخشب

للحق ، ودافع عنه ، ووقف الى جانبه .

وربما كانت هذه اللذة التي يجدها ، والسعادة التي يشعر بها . سببها المباشر أن نفس المؤمن هكذا يجب أن يكون موقفها من كل سلوك تسلكه . أو عمل تقدم عليه ، أو نية تضرها ، أو خاطر يدور بأمانيتها وأحلامها . لأن الله سبحانه وتعالى وهو يعلم - فى داخل المرء - ما توسوس به نفسه يحاسبه على هواجسه ووساوسه ، ويقول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » . وربما كانت - كذلك - لأن رجولة الرجل واكتمال خلال الخير له . وتوفر العظمة فيه . منطلقها الأول فى كل زمان ومكان ، وفى

الأعمال التى يمارسها الانسان فى حياته تنتهى الى حالة من السرور والارتياح ، أو السخط والغضب ، أو القبول والرضا ، أو الكراهية والنفور . فان وصلت به الى الغاية التى كان متطلعا اليها . طامعا فيها . حمد الله سبحانه وتعالى أن كتب له السداد والرشاد والهداية ، والتوفيق ، وجعله من هؤلاء الذين ظفروا بما كانوا يحلمون به ، ويودون أن تساعدهم الظروف المتاحة على تحقيقه ، ولا يجد أحد من الناس لذة تسوقها اليه المقادير . ويطيب له العيش فى جوارها . تساوى تلك اللذة التى يحس بها حينما يطمئن قلبه . وتمتلىء لديه خواطره ، ويشعر شعورا لا شك فيه ، أنه قد انتصر

نظر الدساتير والقوانين • والأعراف والاصطلاحات ، أن يكون الحق مظهره ومخبره ، وقوله وفعله ، وهواه وميله ، وأمره ونهيه ، وأقباله على الشيء أو انصرافه عنه • الا أن هذه اللذة التي تتحدث عنها لا يجدها أو يدركها من كان الحق في جانبه رغم أفقه - أو خبط عشواء - أو بحكم المصادفة والاتفاق ، انما يجدها ويشعر وهو ينعم بها أن الله جل وعلا قد غمره بالرضا ، وشمله باللطف ، وخصه بالزلفى ، ورفعته الى السماوات السبع ، فشاهد ملكوته ، ورأى مظاهر سلطانه ، وامتداد نفوذه ، هذا الذى كان يعمل له عمل الجاد ، ويقبل عليه اقبال المحب ، ويدافع عنه دفاع الأبطال ، ويعتقد اعتقادا جازما أنه عرضه الذى يغار عليه ، ويفضبه له ، أو دينه الذى يستشهد فى سبيله ، ويحارب من أجله • هؤلاء الذين تتوفر لهم تلك الشخصية ، وتتاح لهم هذه الحقيقة قلة نادرة فى هذه الأمة آثروا ما يبقى على مايفنى ، واشتروا الآخرة

بالدنيا ، وأنحازوا الى جانب الرحمن • لا الى جانب الشيطان ، وقد يلقي أحدهم الهوان والعذاب ، والايلام والأذى ، والارهاق والعنف ، والتشريد والنفى ، والسجن والتعذيب ، لأنه أريد على أن يتحول عنه فأبى • وطلب منه أن ينافق فيه فامتنع • وحُمل على الباطل فلم يستطع عليه صبرا • • ومحنة الامام أحمد بن حنبل - فى مسألة القول بخلق القرآن - التى ظل يقاسى منها على مدى طويل من خلافة بنى العباس بتدبير أحمد بن دؤاد المعتزلى أكبر دليل على الاعتزاز بالحق ، والصمود له ، والوقوف بجانبه • وعدم التخلي عنه • • • وقد وشى الى الخليفة المنصور برجل من ذبول الأمويين كانت عنده ذخائر وأعلاق وأموال ، قيل : انها مما ترك خلفاء هذه الدولة بعد ذهاب سلطانها ، وغروب شمس خلافتها ، وكان هذا الرجل من هؤلاء الذين يبالغون فى السمو بنفوسهم ، والتعالى بكرامتهم ، والاعتزاز بأخلاقهم ، وكان الى جانب هذا كله يتيه على

بصبيه فى التركة ، ولا دائنا يقتضى دينه مما أعقبوه ، ولا وصيا على ذريتهم يريد أن يصون لهم تراث الآباء والأجداد ، والشأن فيمن يحاسبنى هذا الحساب ، أو يسوقنى الى مثل هذا الموقف أن يكون واحدا من هؤلاء وأنا لا أعدو أن أكون أحد رعايا أمير المؤمنين ، أدين له بالولاء ، وله منى السمع والطاعة فى حدود ما أملكه وأستطيع بذله •

وهناك أخذت الدعوة رأس أبى جعفر ، وودَّ لو أنه لم يكن فى هذا الوضع الحرج الذى ساق نفسه اليه ، وهو هذا الحصيف اللبيب ، ولم يجد قولاً يخرج به من تلك الورطة الا أن يقول للمتهم — من جديد — ان بنى أمية ظلموا الشعب ظلم المستبد ، واغتصبوا حقوقه اغتصاب الشره ، ونكلوا به تنكيل المستخف ، ونحن حينما نأخذ منك هذا المال انما نأخذ للأمة حقاً كان مضيعاً ، ونزد اليها شيئاً كان مسلوباً ، فقال الرجل : ولكنه يا أمير المؤمنين لم تقم على بينة ، والقاعدة الشرعية

الناس بأنه أقوم من السيف • يغار على الحق غيرته على حرمانه ، ويهاب الباطل هيئته للموت • فلما قادوه الى الخليفة ، ووقفوا به بين يديه ، وواجهوه بالجريمة التى اتهموه بها ، وألزموه بتسليم ما عنده ، لم ترتعد فرائصه ، أو تتغير ملامحه ، أو يتلجلج منطقه • وقابل الأسئلة التى طلب اليه أن يجيب عليها ، والانتهاكات التى لصقت به ، باغضاء الغافل ، وزارية الساخر ، وعدم المبالاة التى تدل على أن ذلك كله لم ينل من اطمئنان قلبه ، وهدوء أعصابه ، وسكون جوارحه • ولم يشأ أن يرد بادئ ذى بدء بما يشعر أنه فى موقف المتورط الذى يعنيه أن يسلم سلامة الذى لا عليه ولا له • وظل ساكتاً سكوت الأخرس حتى ليخيل لمن يراه هكذا أنه يزور اجابة يتلمس بها الخلاص من الذنب ، ثم انطلق انطلاق السهم من الرميّة يقول : يا أمير المؤمنين ، وبأى وجه أرد اليك ما معى من أموال ، قد زعموا أنها مما خلف بنو أمية ، ولست وارثاً لهم يطالب

لا نحمل لك الا الاكبار والاعجاب .
 والمودة والتقدير ، وقلوبنا قد
 تفتحت لك ، ونفوسنا قد هفت
 اليك ، وسوف تجد حاجتك
 مقضية ، ورجاءك قريبا ، ورجبتك
 حاضرة .. وهناك قال الرجل لأمير
 المؤمنين : حسبي من هذه المسيرة
 كلها أن الحق في جانبي ، وأن
 الواشي لم يبلغ منى مأربه . فان
 ذلك وحده مغنم لا يسعني معه
 الا أن أقول « ذلك الفضل من
 الله » وحسبي به جزاء يملأني
 غبطة ، ويرفع رأسي زهوا وخيلاء ،
 وان كان بعد ذلك رجاء أطلبه وأمل
 أطمع فيه . فذلك أن تجمع بيني
 وبين هذا الذي سعى بي هذه
 السعاية . لأحذر بعد ذلك اختلاقه
 علي ، وضرره بي ؟ فلما فاجأه
 به ، ووقع بصره عليه ، رأى أنه
 غلامه الذي أبق منه منذ أيام وقد
 اختلس منه ثلاثة آلاف درهم ،
 وكأنما صنع ما صنع لينجو بما
 أخذه ، ويهرب بخيائته .. ثم لم
 يلبث هذا المتهم أن عفا عن الغلام
 وأعتقه لوجه الله ، وكان هذا مثار
 الاعجاب به ، والثناء عليه .. وكان

أن البينة على من ادعى واليمين على
 من أنكر ، ويمنعني حيائي أن
 أذكرك بقول الله سبحانه :
 « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم
 فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما
 بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
 نادمين » ومثلك لا يأخذ بالظننة ،
 ولا يعاقب على غير جريمة ، ولا
 يصغى الى الباطل ، أو يتأثر بقول
 واش .. وكان المنصور لا يخفى
 اعجابه بالرجل ، وارتياحه لحسن
 منطقته ، فابتسم له ، وأراه من
 ملامح وجهه أنه راض كل الرضا
 لهذا الجدل الحلو ، والبيان
 الخصب ، والحجة القوية ، والدفاع
 الذي أعانه عليه حقه الذي لم
 يظلمه الريبة ، ولم تبطله الوشاية ،
 ولم تسكتة المؤامرة المكذوبة ..
 ثم أعلن اليه : أن موقف حسابه
 له ، واتهامه اياه ، قد انتهى الى
 تغير رجعة ، وأنه ابتداء معه حديث
 الرجل للرجل ، أو الصديق للصديق
 وأفهمه : انه على استعداد لأن يزيل
 عن نفسه ما عسى أن يكون قد علق
 بها من غضاضة أو غضب ؟ فقال
 له : اقترح علينا ما شئت فاننا

وقد ضحى بعلامه الآبق ، وماله الضائع ، وهو لم يكن من الأثرياء الذين لا يرهقهم هذا البذل ، وخيل إليه أن الغبطة لا تصل بمخلوق ظفر بضالته ، ولا بانسان حصل على غايته . أكثر مما وصلت به ... وهذا هو الحق الذى جعله سبحانه من أسمائه ، وأقام الكون على دعائمه ، وجعل السعادة نفحة منه ، ورغبنا فيه ، وطلب اليها أن تتعاون عليه ، ونذود عنه ، ونحرص دائما أبدا على أن نكون من جنوده المتفانين فى الوقوف الى جانبه « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ٤ : ٣٣ » .

دكتور ابراهيم ابو خشب

أبو جعفر كلما جلس الى أحد من معارفه وأصحابه قص عليهم هذه القصة . لا على أنها مثال من العفو عند المقدرة ، أو الصفح الجميل ، والحلم الواسع ، والتسامح الكريم ، والأدب العالى ، والخلق العظيم ، فربما كان على ظهر الأرض - أو فى بطنها - من لا يقل عن هذا الرجل فى تلك السجايا النبيلة ، والمزايا الجليلة ، ولكن الذى لفت نظره ، واسترعى انتباهه ، أن نشوة الاحساس بالحق ، ولذة الظفر به ، هى التى ألهمته أن ينطق بهذا الكلام ، وحملته على أن يقف هذا الموقف الذى كان كله شجاعة فادرة . وصرامة بالغة ، وصراحة قوية ،

« ثلاث خلال »

روى .. ان الرشيد : احضر رجلا ليوليه القضاء ، فقال له : انى لا احسن القضاء ولا انا فقيه ، فقال له الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ، وانت رجل تشاور فى أمرك ، ومن شاور كثر صوابه ، واما الفقه فنضم اليك من تتفقه به . فولى فما وجبوا مطعنا ؟؟ .

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

ومن معاني الحس بالكسر
الوجع ، تقول : النفساء
تشتكى حسا في رحمها أى
وجعا •

ويقال : أحس فلان الشيء
إذا علم به يتعدى بنفسه مع
الألف ، وربما زيدت الباء
فقليل أحس به على معنى شعر
به ، كما تقول : أحسست منه
مكرا وأحسست منه بمكر
وأصل الاحساس الابصار ،
ومنه قوله تعالى : « هل
تحس منهم من أحد » أى هل
ترى منهم أحدا ، ثم استعمل
في الوجدان والعلم والظن ،
ومن هذا قوله تعالى : « فلما
أحس عيسى منهم الكفر »
والتحسس التطلب ، تقول :
أخرج فتحسس • ومن هذا

٥٢٢ ويقولون : فلان حسيس :
يعنون أنه ذو احساس رقيق
وبصر بالأمور ، وهذا فاسد ،
لأن الحسيس له معنيان
لا صلة لكل منهما بمعناهم
هذا •

أحدهما الصوت الخفى كالحس
بكسر الحاء ، ومنه قوله تعالى
« لا يسمعون حسيها »
ومثله فى المعنى الركنز بكسر
الراء ، ومنه قوله سبحانه :
« أو تسمع لهم ركزا » أى
صوتا خفيا •

والمعنى الآخر من يقتل سريعا ،
تقول : حسه يحسه حسا فهو
حسيس مثل قتله يقتله قتلا
فهو قتيل ، ومنه قوله تعالى :
« اذ تحسونهم باذنه » •

يقال : جاءت جبهة الخيل
لخيارها ، قال بعض بنى
فزارة :

وليت جبهة خيلى شطر خيلهم
وواجهونا باسد قابلوا اسدا

وجبه فلان فلانا كمنعه
اذا ضرب جبهته ورده أو لقيه
بما يكره .

والتجبية أن يحمر وجهها
الزائنين ، ويحملا على بعير
أو حمار ويخالف يمين
وجهيها .

ومن المجاز قولك فلان جبهة
قومه . كما يقال هو وجههم .

وجمع الجبهة جباه بالكسر
كما فى قوله تعالى : « يوم
يحمى عليها فى نار جهنم
فتكوى بها جباههم » .

٥٢٤ ويقولون : فلان لا يحتكم
على أى مقدار من المال
يعنون أنه فى فقر مدقع ،
وهذا التعبير يشوبه الضلال
البعيد ، لأن الاحتكام لا يمت
بأى صلة الى الفقر ، وانما
له معنى آخر : تقول : حكم

قوله سبحانه : « يا بنى
اذهبوا فتحسسوا من يوسف
وأخيه » .

والحواس المشاعر الخمسة
السمع والبصر والشم والذوق
واللمس الواحدة حاسة كدابة
ودواب .

والصواب أن يقال : فلان
حمساس أو ذو احساس .

٥٢٣ ويطلقون على موضع
السجود من الوجه كلمة قورة
بضم القاف ، فيقولون :
لهذا الرجل قورة عريضة ،
وقال أحد شعرائهم :
أنا أبو قورة فى البرج عاصى
وفى محافظة الدقهلية أسرة
وافرة العدد سميت بأسرة أبى
قورة ، وهذا خطأ ، والصواب
أن يقال : لهذا الرجل جبهة
عريضة ، وهو أجبه اذا كان
واسع الجبهة حسنهما ، والمرأة
جبهاء ، وجبهتها جلواء أى
حسنة واسعة .

ومن معانى الجبهة الخيل
وفى الحديث « ليس فى
الجبهة صدقة » .

الرجل أخاه فى ماله تحكيما
إذا جعل اليه الحكم فيه
فاحكم عليه فى ذلك
احتكاما بالفعل المطاوع ،
أى قبل أن يحتكم فيه
احتكاما .

وتقول : لمن لا تأمن شره
وخياته : لا تحتكم على
فى مالى ، أى ليس لك حكم
فى هذا المال .

كما تقول : احتكم
الخصمان الى القاضى
احتكاما ، وتحاكما اليه
تحاكما اذا فوضا اليه أن
يقضى فيما بينهما من خصومة ،
ليحق الحق ويبطل الباطل ،
وهذان الفعلان بمعنى واحد
ويقال : حكم الحاكم على
المتهم بكذا حكما وحكومة
بضمهما ، وهو يتولى
الحكومات ، ويفصل فى
الخصومات ، والحاكم ينفذ
الحكم كالحكم بالتحريك ،
جمعه حكام بتشديد الكاف
والحكمة بثلاث فتحات ما

أحاط بخنكى الفرس من
لجامه ، وسميت بذلك لأنها
تذلل لراكبه حتى تمنعه
الجماح ، ومنها اشتقت
الحكمة بكسر الحاء ، لأنها
تقى صاحبها أخلاق الأراذل ،
ومن المجاز قولك ، هذه
قصيدة حكيمة اذا كانت ذات
حكمة ، قال :

وقصيدة تاتى الملوك حكيمة

قد قتلها ليقال من قالها ؟

ويقال : أحكمته التجارب
إذا جعلته حكيمًا ، وأحكم
فلان الشيء إذا جعله محكمًا
فاستحكم .

ولاصلاح تعبيرهم ليوذى
المعنى الذى يتغونه يجب أن
يقال : فلان لا يملك شروى
نقىر ، والشروى المثل ،
والنقىر النكتة أو النقرة فى
ظهر النواة .

أو يقال : هو نقىر
بالكسر ، أو أنقور بالضم ،
أى فقير جدا .

أو يقال : هو نقىر فقير
إذا أصابته النواق وهو

السهام التي تصيب أهدافها ،
وكذا إذا عملت به الفواقر
جمع فاقرة وهي الداهية التي
كسرت فقار ظهره ، والنقر
بالتحريك ذهاب المال ، يقال :
أعوذ بالله من النقر أى من فقد
المال وسوء الحال •

ويقال فى ضد من تقدم :
فلان ليس بفقير ، ولكنه
يتفاقر أى يدعى الفقر برغم
غناه •

٥٢٥ ويقولون : داخ فلان فى
عمله دوخانا ، يعنون انه قد
أغمى عليه أو أخذه دوار فى
رأسه فهم بالسقوط ،
وهذا خطأ من ناحيتين
أحدهما : أن فعلانا بالتحريك
لا يكون الا مصدرا
لفعل يدل على الاضطراب
والثقل ، كجال جولانا
وخلق خفقانا وليس الدوخان
كذلك ، والأخرى أن داخ
لا تحمل الا معنى ذل واستكان ،
تقول داخ الرجل يدوخ دوخا
من باب قال اذا ذل ، وداخ

القائد البلد اذا قهرها واستولى
على أهلها لدوخها وديخها •
ويقال : ليل دائخ اذا كان
مظلماً ، وداخ لنا العدو اذا
ذل وخضع ، ودوخناه فداخ
أى أذلناه قتل قال
حتى يدوخ لنا من كان عادانا
ومن المجاز قولك : دوخ
السائح الأرض اذا أكثر
وطأها ، ودوخنى الحر اذا
أضعفنى •

٥٢٦ ويقولون : خسر التاجر فى
تجارته فهو خسران بالفتح
وزان ندمان ، وهذا التعبير
مشوب بالخطأ لأن كلمة خسران
ليست عربية ، وانما هى
عامية •

والصواب أن يقال : فهو
خاسر ، ومنه قيل لسلم بن
عمرو : الخاسر لأنه باع
مصحفا ورثه واشترى بثمانه
عودا يضرب به ، وقيل اشترى
بثمانه ديوان شعر •

تقول : خسر كفرح وضرب
خسرا بالفتح ، وخسرا
وخسرانا بضمهما ، وخسارة

وخسارا بفتحهما اذا ضل
فهو خاسر ، وخسر التاجر اذا
وضع فى تجارته أو غبن ،
ومن الخسار بالفتح قوله
تعالى :

« ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا » وقوله « واتبعوا
من لم يزد ماله وولده الا
خسارا » ومن الخسر بالضم
قوله سبحانه « والعصر ان
الانسان لفى خسر » وقوله
« وكان عاقبة أمرها خسرا »
ومن الخسران بالضم قوله
عز وجل « ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله فقد خسر
خسرانا مينا » *

تقول : من لم يطع الله فهو
خاسر ، وهم خاسرون ،
ومن هذا قوله تعالى « لا جرم
أنهم فى الآخرة هم
الخاسرون » وقوله « ألا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون »
ويقال : أخسر البائع الميزان
اذا نقصه فهو مخسر ، ومنه
قوله تعالى : « أوفوا الكيل

ولا تكونوا من المخسرين »
وأخسر وأكسد اذا وقع فى
الخسران والكساد *

وخسرت فلانا تخسيرا اذا
أبعده ومنه قوله سبحانه
« فمن ينصرنى من الله ان
عصيته فما تزيدوننى غير
تخسير » ، وخسرته تخسيرا
أيضا اذا نسبته الى الخسران
ككذبه تكذيبا اذا نسبته الى
الكذب ، وفسقته تفسيقا اذا
نسبته الى الفسق *

ويقال : خسر فلان الشئ
اذا نقصه وبابه ضرب ، وأخسره
مثله ، والخسار ، والخسارة ،
والخسرى بفتحهم الهلاك
والضلال ، والأخسر الضال
كما قال الأخفش ، جمعه
الأخسرون ومنه قوله تعالى
« قل هل أنبئكم بالأخسرين
أعمالا الذين ضل سعيهم فى
الحياة الدنيا » وقوله « وأرادوا
به كيدا فجعلناهم الأخسرين »

٥٢٧ ولقد شاع على ألسنتهم
وأسنه أقلامهم قولهم : من هذا

تقول : أصبت من مال أخى
طلقا بالتحريك أى نصيبا ،
قال المسيب :

قبل امرئ ترجى فوافقه
قد نالنى من بائه طلق

ولاصلاح تعبيرهم يقال :
من هذا المكان ، أو من هذا
الموقف ونحو ذلك نعمل كذا

٥٢٨ وهم يسمون العقب بزنة
كتف كعبا ، ويقولون ان لكل
انسان كعبين ، حتى لقد
يقولون ان للحذاء كعبين ،
وهذه التسمية خطأ صراح
وضلال بعيد .

والحق أن للانسان أربعة
كعوب ، لكل قدم كعبان ، قال
الأزهري : الكعبان هما الناتان
فى منتهى الساق مع القدم عن
يمنة القدم ويسرتها ، وقال
أبو عمرو بن العلاء والأصمعى :
الكعب هو العظم الناشئ فى
جانب القدم عند ملتقى الساق
والقدم ، فيكون لكل قدم
كعبان عن يمتتها ويسرتها ،
وفى التنزيل : « وامسحوا
برءوسكم وأرجلكم الى

المنطلق نسبح فى الماء ، ومن
هذا المنطلق يجرى السباق
وكل من هذين التعبيرين
وأمثالهما خطأ يئىن ، لأن كلمة
منطلق بفتح الطاء اسم مفعول
من انطلق على رأيهم وهذا
الفعل لازم لا يصاغ منه اسم
مفعول على هذه الصورة ،
اذ أنه مطاوع فعل لا يتعدى
بنفسه الا الى مفعول به
واحد ، تقول : أطلقت الأسير
اذا حلت اساره وخليت عنه
فانطلق هو أى ذهب فى سبيله ،
ومن هذا يقال : أطلقت القول
اذا أرسلته من غير قيد ولا
شرط .

وتقول : فلان منطلق
اللسان وطلقه وطليقه
بفتحهما اذا كان فصيحاً عذب
المنطق ، وهو طلق الوجه
وطليقه ومنطلقه اذا كان ضاحكاً
ظاهر البشر ، وطلق اليدين اذا
كان سمحاً كريماً .

ويقال : عدا الفرس طلقاً
أو طلقين بالتحريك فيهما أى
شوطاً أو شوطين ، ومن هذا

« ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » •

والعقب بضم العين وسكون القاف أو ضمها العاقبة ، ومن هذا قوله تعالى : « هو خير ثوابا - وخير عقبا » •

وتقول : جئت فى عقب شهر رمضان وفى عقبائه بضم العين وسكون القاف فيها اذا جئت بعد ما مضى كله ، وجئت فى عقبه بفتح العين وكسر القاف اذا جئت وقد بقى منه بقية وعقب الرجل بكسر القاف وسكونها ولده وولد ولده ، وهى مؤنثة أيضا ، ومنها قوله سبحانه : « وجعلها باقية فى عقبه » •

وتقول : هل أعقب فلان ؟ أى هل ترك عقبا ؟ وما لفلان عاقبة أى عقب ، وأعقب فلان اذا مات وخلف عقبا أى ولدا وأكل الرجل أكلة أعقبته سقما أى أورثته علة ، ومن هذا قوله تعالى : « فأعقبهم نفاقا » أى أورثهم بخلفهم نفاقا •

الكعين » ، جمعه كعوب وأكعب ، وكعاب بالكسر •

ومن معانى الكعب المجد والشرف ، تقول أعلى الله كعب فلان أى شرفه ، وذهب كعب القوم ، أى ذهب جدهم وشرفهم ، والكعب من القصب الأنبوبة بين العقدنين •

ويقال : كعبت الجارية تكعب من باب قتل كعابة اذا تتأ ثديها للنهود فهى كاعب وكعاب بفتحها وهن كواعب ، قال تعالى « وكواعب أترابا » وكعبت البناء تكعيبا ربعته تريعا ، ومن هذا سمي البيت الحرام كعبة لتربيعة •

أما العقب فهى مؤخر القدم ، جمعها أعقاب ، وفى الحديث « ويل للأعقاب من النار » أى لتارك غسلها فى الوضوء ، ولكل انسان عقبان ، واحدة فى كل قدم ، قال تعالى : « الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » ، وقوله تعالى :

ويوصف الرجل بأنه عمل وزان طرب ، وعمول وزان صبور اذا كان ذا عمل ، أو كان مطبوعا عليه كما توصف الناقة بأنها عملة وزان فرحة ، وعمالة بتشديد الميم ، ويعملة بفتح كل من الياء والميم اذا كانت فارحة نجية ، وتجمع على تعاملات ، ومن هذا قول جرير : يا زيد زيد اليعملات الذبل •

والعملة بالتحريك العاملون بأيديهم فى طين البناء •

والتعميل تولية العمل يقال : من الذى عمل عليكم ؟ أى نصب عاملا ، وهو يتعمل فى حاجات المسلمين ، أن يتعنّى ويجهد فيها وينصب ، وأنشد سيويه

ان الكريم وابيك يقتمل
ان لم يجسد على من يتعمل

يعنى ان لم يعلم
وأنشد الجاحظ لبسامة بن
الغدير :

وجدت أبى فيهم وجدى كلامها
يطاع ويوتى امره وهو محتبه
فلم اتعمل للسيادة فيهم
ولكن اتنى طائعا غير متمبه

والعاقب من يخلف السيد ، وفى الحديث « أنا السيد والعاقب » يعنى آخر الأنبياء والعقبى بضم العين وسكون القاف جزاء الأمر ومنها قوله سبحانه « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » •

ويقال : عقب الحاكم على حكم من كان قبله تعقيا اذا حكم بغير حكمه ، ومنه قوله سبحانه « لا معقب لحكمه » أى لا أحد يتعقب حكم الله بنقص ولا تغيير •

٥٢٩ ويسمون : أجر العامل على ما يقوم به من عمل : عمولة بضم العين ، فيقول العامل : كم عمولتى على هذا العمل ؟ وهذا فاسد ، لأن جزاء العامل يسمى عمالة مثلثة العين ، وعملة بضمها ، وعملة بكسرهما ، أما العملة بفتحها فهي السرقة والخيانة والعملة بالكسر أيضا هيئة العمل ، تقول : فلان حسن العملة •

٥ - التبيين ، كما فى
قوله سبحانه : « انا جعلناه
قرآنا عربيا » •

٦ - الخلق كما فى قوله :
« وجعل الظلمات والنور » •

٧ - التشرىف كما فى
قوله : « جعلناكم أمة وسطا »
وقوله : « جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياما للناس » •
٨ - التبديل ، كما فى قوله
« فجعلنا عاليها سافلها » •

٩ - الحكم الشرعى كما
فى قوله : « جعل الله الصلوات
المفروضة خمسا »

١٠ - التحكم البدعى كما
فى قوله : « الذين جعلوا
القرآن عضين » •

١١ - النسب كما فى
قولك : جعلت زيدا أخاك :
أى نسبته اليك •

وقد يكون الفعل لازما
وهو الداخل فى أفعال المقاربة
كما فى قول الشاعر :

وقد جعلت اذا ما قمت يثقلنى
توبى فانهض نهض الشارب الثمل

ويؤدى معنى أجر العامل :
جعله وزان فعل ، وجعلته مثلثة
الجيم ، وجعلته وزان سفينة
والجعالة مثلثة أيضا الرشوة
وما تجعله للغازى اذا غزا
عنك بجعل •

وهى بالكسر والضم خرقة
ينزل بها القدر كالجعل ،
تقول : أجعل الطاهى القدر
اذا أنزلها بهذه الأشياء •

وللفعل جعل المعتدى عدة
معان :

١ - التصيير كما فى
قولك : جعل فلان القبيح
حسنا •

٢ - الظن ، كما فى قولك :
جعل السائح البصرة بغداد
اذا ظنها اياها •

٣ - الاقبال والأخذ ، كما
فى قولك : جعل الطفل يصوم
ويصلى •

٤ - التسمية كما فى قوله
تعالى : « وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا »
أى سموهم •

الخشبـة التى تحيط بعنق
الثور من النير وهما
سميقان •

والمقوم بزنة المنبر هو
الخشبـة التى يمسكها الحراث
فى أثناء الحرث •

وقيل ان الفدان هما الثوران
اللذان يفدن عليهما ، ولا يقال
للو احد فدان •

أما الفدن بالتحريك فهو
القصر ، جمعه أفدان ، تقول :
جاءوا بجمال كأنها الأفدان
أى القصور ، قال القطامى :

فلما أن جرى سمن عليها
كما طينت بالفدن السباع
وهذا على القلب ، أى كما
طينت الفدان بالسباع ، وهو
الطين بالتبن ، ومن المجاز
قولك : هذا جمل مفدن ،
وقد فدنه الراعى تفدينا أى
سمنه وصيره كالفدن ، وقد
قالوا لولا الفدان لم تبـن
الأفران •

٥٣١ ويزعمون أن كلمة تترى فعل
مضارع فى قولنا : عاد

والجعل وزان صرد الرجل
الأسود الدميم تقول مررت
بجعل يرمى بشعل أى يأتى
بحجج زهر ، جمعه جعلان
بالكسر كصرد وصردان ،
ويقال أرض مجعلة كمحسنة
إذا كانت كثيرة الجعلان •

٥٣٠ ويقولون : يملك فلان عشرين
فدانا ، يعنون بهذا مساحة
خاصة ، وهذا التعبير غير
سليم لأن العرب تقول : ان
الفدان هو آلة الثورين يشق
بها الأرض للزراعة كالمحراث
جمعه فدادين ، والفدادون
هم أصحاب الفدادين ، كما
يقال لأصحاب الجمال جمالون
والفدان مكون من أجزاء هى
العظم ، وهو اللوح العريض
الذى فى رأسه الحديدـة التى
تشق بها الأرض ، وهذه
الحديدة تسمى بالسكة •

والنير بكسر النون هو
الخشبـة المعرضة فى عنق
الثورين ، جمعه أنيار ونيران
والسميق وزان قضيب هو

شربتم فأوتروا وهم على وتيرة واحدة ، أى على طريقة وسجية ، وفى الحديث « وما زال على وتيرة واحدة حتى مات » وما فى عمله وتيرة أى فتور ، وطلب فلان وتره وترته قال أبو زيد :

لا ترة عندهم فتطلبها
ولا هم نهزة لمختاس

والموتور من قتل له قتييل
فلم يدرك بدمه •

٥٣٢ ويقولون : سرج الخياط الثوب تسريحا واسراجة بالكسر ، وهذا فاسد ، ووجه الكلام أن يقال شرجه تسريجا بالشين لا بالسين ، والتشريح هو الخياطة الأولى المتباعدة كالمسل بتشديد اللام ، أو يقال شله شلا من باب رد ، كل هذا معناه الخياطة الخفيفة أما الخياطة الأخرى فهى الكف بشد الفاء ، تقول : كف الخياط الثوب كما اذا خاط حاشيته ، وهى الخياطة الثانية بعد الشل ، وقد قالوا : عيبة مكفوفة مشرجة مشدودة ،

الحجاج تترى ، والفصيح أنها اسم وانها قد تنون فيقال : جاءوا تترى وتترى ، وأنها هى كلتا الحالين تعرب حالا أى جاءوا متواترين متتابعين ، والتواتر معناه التتابع أو مع فترات كما فى قوله تعالى « ثم أرسلنا رسلنا تترى » أى واحدا بعد واحد •

وأصل تترى وترى من الوتر بكسر الواو وفتحها ، ومعناه الفرد ، يقال : واطر فلان بين أخباره مواترة وتارا اذا تابع ، أو لا تكون المواترة بين الأشياء الا اذا وقعت بينها فترة كما فى الآية السابقة •

ومواترة الصوم أن تصوم يوما وتقطر يوما أو يومين ، وتأتى به وترا وترا •

قال أبو هريرة : لا بأس بقضاء رمضان تترى أى متقطعا •

ويقال : تواترت كتب فلان اذا تابعت وبينها فترة ، واذا

وحسنه ، ووجه مسرج أى
مزين محسن •

٥٣٣ ويقولون : هذا كلب مسعور
يعنون أنه مصاب بداء يعدى
من يعضه والصواب أن
يقال : هذا كلب كلب وزان
كتف ، أى به كلب
بالتحريك ، وهو داء يشبه
الجنون يعترى الكلب من
أكل لحم الانسان غالبا ، فاذا عقر
الكلب الكلب انسانا أعداه
بهذا الداء ، ويسمى المعقور
كلبا أيضا •

تقول كلب كلب ، وكلاب
كلبى ، ورجل كلب ،
ورجال كلبى ، ومن المجاز
قولك شتاء كلب ، ودهر
كلب أى شديد الأذى •

أما المسعور فهو الرجل
الحريص على الأكل وان
كان بطنه مملوءا ، تقول :
سعر فلان بالبناء للمجهول
إذا اشتد جوعه وعطشه •

وفى الحديث « وان بينهم
عيبة مكفوفة » مثل بها الذمة
المحفوظة التى لا تنكث ،
أو معناه أن الشر يكون
مكفوفاً بينهم كما تكف
العباب إذا اشرجت على
ما فيها من المتاع •

ومما يؤدي معنى الخياطة
الحوص بفتح فسكون ،
فتقول : حاص الخياط
الثوب حوصا وحياصة من
بابى قال وكتب إذا خاطه ،
ومنه المثل « ان دواء الشق
أن تحوصه » ويضرب فى
رتق الفتق واطفاء العداوة •

أما التسريح بالسين فله
معان لا صلة لها بالخياطة ،
تقول : سرجت الفتاة شعرها
تسريجا إذا ضفرته ، والسراج
هو الكذاب يزيه فى حديثه ،

تقول : ان فلانا ليسرج
الأحاديث تسريجا ، ولقد
تسرج على أى تكذب •

ومن المجاز قولك : سرج
فلان كذا تسريجا إذا بهجه

ولد فلان فى سباط أى فى
شهر كثير الرياح وهو آخر
شهور الشتاء •

٥٣٥ ويقول لما يهدى السفن
فى البحار (فنار) وهذه كلمة
أعجمية لا تعرفها العرب
والصواب منارة ، وأصلها
علم الطريق ، تقول ، اهتدى
المسافرون بمنار الأرض أى
بأعلامها ، والمنارة أيضا هى
التي يؤذن عليها للصلاة تقول :
بنيت منارة المسجد أى
مئذنته ، وكذلك هى ما يوضع
عليه السراج ، ووزنها مفعلة
من الاستنارة أى منورة بفتح
فسكون ، وجمعها مناور ،
والأكثر الا تهمز الواو لأنها
أصلية من النور ، كما لا تهمز
الياء فى معايش لاصالتها •

ومن قالوا منائر وهم قليل
فقد شبهوا الأصل بالزائد
كما قالوا فى جمع مصيبة
مصائب وأصله مصابوب •

وأما المنار فهو اسم جنس
جمعى يفرق بينه وبين واحد
بالهاء فيقال منارة •

ومن المجاز قولك ضربه
السعار بضم السين وهو حر
الليل ، وبه سعار وهو توهج
العطش •

٥٣٤ ويقولون لعنقود التمر :
سباطة بضم السين ، والصواب
أن يقال كباسة بالكسر ،
جمعها كبائس •

أو يقال له عذق بكسر
العين أما العذق بفتحها فهو
النخلة بحملها •

أو يقال له قنوب بكسر القاف
فى لغة الحجاز ، وبضمها فى
لغة قيس ، جمعه أقنأ وقنوان
بالكسر •

ومن هذا قوله تعالى «ومن
النخل من طلعتها قنوان دانية
وجنات من أعناب » •

أما السباطة فهى الكناسة ،
تقول ، بال الرجل فى سباطة
القوم أى فى كناستهم ،
والسباطة سقيفة بين حائطين
تحتها طريق جمعه سوابيط
وسابطات ، وسباط بالضم
اسم شهر بالرومية ، تقول :

وفي الحديث : « ان
للاسلام صوى ومنارا كمنار
الطريق » •

والصوى هى الاعلام من
الحجارة ، الواحدة صوة
بضم الصاد وتشديد الواو •

٥٣٦ ويقولون : رمح الفرس أو
الحمار رمحا ، يعنون أنه جرى
مسرعا فهو رامج ، ورماح
والصواب أن يقال : هو
سبوح ، وسابح بفتحهما ،
وخيل سبح بضمين وسوابح
وذلك لأنها تسبح بيديها ، أو
يقال : فرس مطار بضم الميم
أى حديد الفؤاد طيار من
شدة عدوه •

أما الرمح فله معان لا تمت
بصلة الى معناهم هذا ، تقول
رمحه الفرس اذا ضربه برجله
ورفسه ، ورمحه أيضا اذا
عضه ، ودابة رماحة أى عضادة
ورموح أى عضود ، وتقول
رمحت فلانا رمحا اذا طعنته
بالرمح ، ورجل رماح اذا كان
حاذقا فى الرماحة ، والرماحة

بالكسر صناعة ، ورجل رماح
أى ذو رمح •

ورمح الجندب اذا ضرب
الحصى برجليه ، ورمح البرق
اذا لمع ، وقوس رماحة اذا
كانت شديدة الدفع •

ومن المجاز قولك : أصابته
رماح الجن أى الطاعون ،
قال زيد بن جندب الايادى :

لمعرك ما خشيت على أبى
رماح بنى مقيدة الحمصار
ولكنى خشيت على أبى
رماح الجن أو اياك حاد

ويقال : كسروا بينهم رمحا
اذا وقع بينهم شر ، ومنينا
يوم كطل الرمح اذا كان طويلا
وضيقا •

قال ابن الطبرية :
ويوم كطل الرمح قصر طوله
دم الرق عنا واصطفاك الزاهير

٥٣٧ ويقولون : فلان يحب رجال
الأدب سيما الشعراء ، وهذا
غير سليم ، والفصيح أن
يقال : ولا سيما الشعراء ،
أى أن نصيب الشعراء من
محبه يفوق نصيب غيرهم ،
وذلك لان كلمة سى معناها
مثل ، فكأن من يقول ذلك

سيما بغير كلمة لا النافية
لاقتضى ذلك التسوية ، وبقي
المعنى على التشبيه ، ويكون
التقدير تستحب الصدقة فى
شهر رمضان استحبابها فى
العشر الأواخر •

وتقدير قول امرئ القيس
مضى لنا أيام طيبة ليس فيها
يوم مثل يوم دارة جلجل فانه
أطيب من غيره وأفضل من
سائر الأيام ، ولو حذفت
كلمة لا لصار المعنى مضت لنا
أيام طيبة مثل يوم دارة
جلجل ، وحينئذ لا يكون
فى الكلام مدح ولا تعظيم •
أما اعراب هذا المثال
ونحوه ، فان لا نافية للجنس ،
واسمها سى وخبرها محذوف
دائما تقديره موجود أو
حاصل ، وكلمة ما المتصلة بسى
أما زائدة وأما اسم موصول
وأما نكرة موصوفة بمعنى
شئ ، وهى فى الحالتين
الأخيرتين مضاف إليه •
والاسم الذى بعد لا سيما
قد يكون معرفة كما فى المثال

يقصد أن الشعراء لا يماثلهم
أحد من رجال الأدب فى ولوعه
بهم ومحبة اياهم ، فالتعبير
بلا سيما اذن يفيد تفضيل
ما بعدها على ما قبلها فى
الحكم •

قال ابن يعيش : ولا يستثنى
بسيما الا ومعها جحد أى
قهى ، ونقل السخاوى عن
ثعلب قوله ومن قالها بغير
اللفظ الذى جاء به امرؤ
القيس فقد أخطأ ، يعنى كلمة
لا ، وهو :

الأدب يوم كان منهم صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل
ووجه ذلك أن لا وسيما تركبا
وصارا كالكلمة الواحدة التى
تساق لترجيح ما بعدها على
ما قبلها ، قال ابن الحاجب :
ولا يستثنى بلا سيما الا ما يراد
تعظيمه ، فقولهم تستحب
الصدقة فى شهر رمضان
ولا سيما فى العشر الأواخر
منه معناه واستحبابها فى
العشر الأواخر • أكد
وأفضل ، ولكن لو قيل

أيضا عار ، وهم عراة كقاض
وقضاة .

ويقال : هي عارية وعريانة
بالضم ، لأن ما كان من الصفات
على فعلا كان مؤنثه بالهاء
كخمصان (١) وخمصانة .

ويقال : فرس عرى اذا
كان بلا سرج ، وصف
بالمصدر ثم جعل اسما وجمع
فقليل خيل أعراء مثل قفل
وأققال ، قالوا ولا يقال فرس

عريان كما لا يقال رجل عرى
ويقال : اعروى الرجل
الدابة اذا ركبها عريا ، وعرى
فلان من العيب يعرى من باب
تعب فهو عر اذا سلم منه ،
ويعدى الفعل بالهمزة
والتضعيف فيقال أعريته من
ثيابه ، وعريته منها تعرية .

أما العراء (٢) فهو الفضاء
لا يستتر فيه بشيء ، جمعه
اعراء ، وأعرى الرجل اذا سار
فيه وأقام ، ونحن نعارى
أى نركب الخيل أعراء

الذى نحن بصدده ، وقد
يكون نكرة كما فى قول
امرى القيس ، وقولك أحب
سكنى القرى ولا سيما قرية
على النيل فان جاء معرفة كان
مرفوعا أو مجرورا .

أما الرفع فعلى أنه خبر
لمبتدأ محذوف تقديره
الشعراء ، وتكون هذه الجملة
صلة لما على أنها اسم موصول ،
أو صفة لها على أنها نكرة
موصوفة .

وأما الجر فعلى تقدير
إضافة سى اليه وزيادة ما .
فاذا كان الاسم نكرة
جاز رفعه وجره على نحو ما
تقدم ، وجاز أيضا نصبه على
أنه تمييز لما .

٥٣٨ ويزعمون أن العراء بالفتح
والمد مصدر لعرى ، فيقولون
خطأ : عرى فلان عراء .
والصواب أن يقال : عرى
فلان من ثيابه يعرى من باب
تعب عريا وعرية بضمها فهو
عريان ، وهم عريانون ، وهو

(١) الخمصان : من كان ضامر البطن .

(٢) من العراء قوله تعالى : «فنبذناه بالعراء وهو سقيم» .

«فجعلناهن أبكارا عربا»
ويقال لها أيضا عربة وزان
فرهة وجمعها عربات
كفرحات ، والعروبة بالفتح
وباللام يوم الجمعة •

٥٤٠ ويقولون : هذه المدينة
مملوءة بالعمار بفتح العين ،
والصواب أن يقال مملوءة
بالعمران بضم العين ، وهو
اسم للبنيان • أما العمار
فهو الريحان يزين به مجلس
الشراب ، وهو أيضا جمع
عمارة بالفتح وهى كلمة كان
الرجل يحيى بها الملك مع
قوله : عمرك الله ، قال
الأعشى :

فلما اتانا بغير الكرى
سجدنا له ورفعنا العمارا

والعمارة بالكسر ما يعمر
به المكان ، وكذلك هى جماعة
أصغر من القبيلة •

والعمارة بالضم أجر العمارة
بالكسر ، وعمارة بالضم علم
لرجل ومنه عمارة اليمنى
الشاعر المعروف •

عباس أبو السعود

والمعرى من الأسماء ما لم
يدخل عليه عامل كالمبتدأ •

٥٣٩ وهم يخطئون حين يجمعون
كلمة عرب على عربان بالضم ، لأن
العربان هو ما يقدمه المشتري
من ثمن السلعة التى يريد أن
يبتاعها ، ثم يقول لصاحبها
ان تم العقد احتسبناه والا
فهو لك ومثله العربون بالضم
والعربون بالتحريك والعرب
أهل الأمصار ، والأعراب
سكان البادية لا واحد له جمعه
أعاريب ، والنسبة اليهم
أعرابى والعرب العاربة
والعرباء هم الصرماء الخالص،
أما العرب المتعربة وكذا
المستعربة فهم الذين ليسوا
بخلص ، وجمع العرب أعرب
كزمن و أزمن ، والنسبة عربى •
والعروب بالفتح هى المرأة
المتحبة الى زوجها أو الضحاكة
وقد قالوا : خير النساء
لكعوب العروب وقد
تعربت لزوجها اذا تحببت
اليه جمعها عرب بضميتين ،
ومن هذا قوله تعالى :

قلعة الموت وفردوسها المزعوم

بقلم

عقيد شرطة محمد فتحى عيد

مادة خصبة للرواة فى الماضى
وانحاضر وقد جمع الخيال بكثير
من هؤلاء الرواة وتحدثوا عن شيخ
الجبل وحرسه الخاص وجناته التى
تجرى فيها أنهار من ماء سلسبيل
وخمر معتق ولبن صاف وعسل
طيب وللأسف الشديد فان هذا
الخيال استقر فى أذهان الكثير من
أبناء جيلنا والأجيال التى سبقتهم
على أنه حقيقة واقعة لا يتطرق اليها
الشك من قريب أن بعيد *

البندقى ماركو بولو

وكان أول من كتب عن هذه القلعة
ماركو بولو الرحالة البندقى وذلك
فى كتابه *Devisement du Monde*

• ١٢٩٨

قال عنها القزوينى أنها قلعة حصينة
فى ناحية روزبار بين قزوين وبحر
الخرز بولاية جيلان من بلاد فارس
وكانت على قمة جبل وحولها وهاد
لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا
يلفها النشاب (كناية عن ارتفاعها
الشاهق) وقيل أن أحد ملوك الديلم
أرسل عقابا للصيد وتبعه فرآه قد
وقع على قمة جبل وجدها الملك
موقعا حصينا فبنى عليها قلعة
وسماها قلعة الموت أى عش
العقبان •

وقد جاءت شهرة قلعة الموت
بعد استيلاء الحسن بن الصباح عليها
سنة ٤٩٣ هـ ١٠٩٠ م واتخاذها
مقرا لطائفة الاسماعيلية الشرقية
التي يتزعمها - وقد كانت هذه
القلعة وشيخها حسن بن الصباح

الطريق • وكان شيخ الجبل يزود بلاطه الملكى بشبان من أبناء أتباعه يتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين ويعدهم لكى يكونوا جنوده • وكان الشيخ يحضر هؤلاء الشبان فى مجموعات صغيرة يتراوح عددها من أربعة الى عشرة أفراد ثم يسقيهم شرابا مسكرا فكانوا ينامون بعد تناوله مباشرة وينقلهم وهم نيام الى الحديقة وبعد فترة يستيقظون على ألحان شجية تطربهم ويفتحون أعينهم على حوريات يرقصن لهم وتسير الحياة بهم رغبة فى الوادى حيث ترضى لهم الفتيات جميع رغباتهم - ثم يسقون شرابا مسكرا وينقلهم الشيخ وهم نيام من الحديقة الى قصره وبذا يصبحون طوع بنانه أملا فى الجنة التى ذاقوا بعض طيباتها • لذا كانوا يقومون بتلبية أوامره دون خشية من المخاطر • وبهذه الطريقة كان يتسنى للشيخ القضاء على كل من يقف فى طريقه • وبسبب خوف الأمراء من بطشه كانوا يدفعون له الفدية رغبة فى صداقته وارضائه •

» وكان شيخ الجبل يقطن فى قديم الزمان منطقة ملقط Mulect وهذه الكلمة الفرنسية تعنى اله الأرض ، سأقص عليكم أنا السيد / ماركوبولو قصة هذا الشيخ كما رواها لى كثير من الناس فى المنطقة •

أقام هذا الشيخ فى واد يمين جليين أكبر وأجمل حديقة رأتها العين مملوءة بشتى أنواع الفاكهة - كما شيد فى الوادى منازل جميلة وقصورا فخمة موشاة بالزخارف والرسومات ويجرى من تحتها أنهار مملوءة بالنبيذ واللبن والعسل والماء وفيها غيد حسان يعزفن على جميع الآلات الموسيقية ويعنين أعذب الألحان ويرقصن أجمل الرقصات وكان الشيخ يصور لأتباعه هذا المكان بأنه الجنة التى وعد بها المتقون • ولا يسمح بدخول هذه الحديقة الا لأفراد طائفة الحشاشين وعند مدخل هذه الحديقة كان يوجد قصر حصين لا يستطيع أحد يستولى عليه كما لا يتيسر لأحد الوصول الى الحديقة الا عن هذا

لقد رويت لكم قصة شيخ الجبل واتباعه الحشاشين وسأقص عليكم الآن كيف قضى عليه • وفى عام ١٢٤٢ علم هولاء زعيم التتار بخبث هذا الشيخ وقرر قتله فأرسل اليه جيشا كبيرا بقيادة أحد أعوانه فحاصر القصر لمدة ثلاث سنوات ولم يكن من الممكن الاستيلاء على القصر بسبب قوة تحصينه - ولكن أمكن الاستيلاء على القصر بعد نقاد المئونة منه وقتل الشيخ وجميع أتباعه من الحشاشين •

هذه الرواية التى ذكرها ماركوبولو فى كتابه الذى أعيد نشره فى باريس عام ١٩٥٥ ليس لها سند تاريخى •

رأية المعلم البستاني

بطرس البستاني

تحدث المعلم البستاني عن الحسن بن الصباح وعلى قلعة الموت والحشاشين فى موسوعته دائرة المعارف فقال « عندما استولى الحسن بن الصباح على قلعة الموت وجعلها مقرا له ولأتباعه من طائفة الاسماعيلية حصنها بأسوار

منيعه وحفر فى الصخر منازل ومخازن واحتفر قناة يجرى فيها الماء أسفل الحوائط ثم زاد فى تحصينها شيئا فشيئا حتى أصبحت أمنع قلعة فى آسيا كلها ولقد استولى الحسن بن الصباح على هوى أتباعه حتى أن السلطان ملك شاه السلجوقى لما أرسل اليه يطلب منه الطاعة دعا ابن الصباح بعض تبعته وقال لأحدهما اقتل نفسك فقتل نفسه وقال للآخر ارم نفسك من الحصن فألقى بنفسه من شاهق فسقط من الهوة قتيلًا وعاد الرسول الى السلطان يخبره بما رآه فسكت عن ابن الصباح وخشى بأسه • وكان لشيخ الجبل حرس خاص ينفذون تعاليمه هم الفداوية أى الفدائيين وقد بث فى روعهم أن سلامتهم متوقفة على فداء أنفسهم وأن أقل مخالفة لتعاليم الشيخ تكون سببا لوقوعهم تحت المسؤولية والعقوبة الى الأبد وان لم يبد منهم أى مخالفة وتفانوا فى تنفيذ أوامره وتعليماته فان مآلهم الجنة ولكى يثبت لهم ذلك أنشأ حقائق مسورة قد جمعت فيها

الحشيش اعتقد كل منهم أنه ذاق لذة النعيم وشاهد الفردوس الموعود فيخبر بما حدث له كأنه في حلم أو في يقظة - ومن ثم كان انقياد الفدائيين أو الحشاشين لشيخ الجبل انقياد أعمى ، ويذل الواحد منهم قصارى جهده في تنفيذ ما يطلب منه أملا في الحصول على فرصة يضحى بها من أجل شيخ الجبل حتى يحظى بالسعادة الأبدية والنعيم الذي لا يزول .

وعلى هذا النهج سار جورجى زيدان فى روايته صلاح الدين الأيوبي والحشاشين كما سار كثير من كتاب الشرق والغرب . وقد أخرجت السينما الأمريكية كثيرا من الروايات عن شيخ الجبل وجنته المزعومة سواء عند تناولها لسيرة الحسن بن الصباح أو لسيرة صديقه الشاعر المتصوف عمر بن الخيام . ولكى نوضح مدى ما فى هذه الروايات من زيف واختلاق لا بد وأن نضع اجابة علمية لأسئلة ثلاث :

١ - ما هى الاسماعيلية ؟

الصناعة كل ما يمكن العقل أن يتصوره من الأشياء البديعة التى تأخذ بمجامع القلوب من أنواع الزهور وشجر الفاكهة والينابيع والنوافر والشلالات ، والقاعات الفاخرة ذات الشرفات المصنوعة من الخزف والصينى والمفروشة بالسجاجيد العجمية والأثاث اليونانى والمزينة بالآنية الذهبية والفضية والبلورية وجعل فيها أجمل العذارى وأظرف الغلمان الذين كانوا يتمشون فى تلك الحدائق بالابهة والجلال فيفتنون الأنظار ويشنفون الأذان بأعذب الأغاني وأحلى الألحان . وكان يختار الصبية والشباب على أساس القوة الجسمانية والمقدرة العقلية ثم يدعوهم الى الأكل معه وأثناء تناول الطعام يستقيهم الحشيشة فيغيبون عن الوعي فيأمر بنقلهم الى تلك الحدائق فاذا صحوا وجدوا أنفسهم فى أجمل جنان وأبهج مكان ورأى كل منهم كل الأسباب التى بها يتمتع بأنواع لذاته وشهواته ثم يستقيهم مرة أخرى الحشيشة ويعود بهم الى مجلس شيخ الجبل فاذا زال تأثير

الاصول الشيعية التي وجدت قبل ظهور الاسماعيلية - تلك الاصول التي لم تكن فى أول الأمر تختلف

عما ذهب اليه غيرهم من المسلمين فى شىء وكان الخلاف ينحصر فى نقطة واحدة ليست من صميم الدين فى شىء انما كان الخلاف حول الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الشيعة جعلت الامامة حقا شرعيا لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ولأبنائه من بعده . والاسماعيلية فرقة قالت بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق فنسبوا اليه . وقد قال العالم الجليل أن العقائد الاسماعيلية قد أصبحت الآن مجموعة آراء مختلفة تطورت من بلد الى آخر ومن زمن الى زمن بحيث يصعب دراستها ومعرفتها .

وقد اعتنقت طائفة الاسماعيلية العمل بالتأويل بالباطن دون الظاهر وقد تركوا الظاهر جملة وتفصيلا والذي يظهر من تأويل الباطن أنه وضع لخدمة غرض واحد هو اغداق صفات التمجيد والتفخيم على الأئمة وعلى الدعوة الاسماعيلية

٢ - من هو الحسن بن الصباح ؟

٣ - من هم الفداوية ؟

الاسماعيلية

قال عنهم المعلم بطرس البستاني أنهم فرقة من غلاة الشيعة أصلهم من بلاد فارس ظهوروا عام ٨٤٠ م ثم انتشروا فى بلاد العرب وسوريا وأفريقيا ديارتهم مؤلفة من الوثنية واليهودية والمسيحية والاسلامية وينتسبون الى اسماعيل بن جعفر الصادق لأنهم قالوا بامامته .

ولكن استاذنا الفاضل الدكتور محمد كامل حسين الذى أصدر كتابا عن طائفة الاسماعيلية رجع فيه الى وثائق الاسماعيلية والى الكثير من الثقة منهم وخاصة الأغاخان زعيمهم الدينى الذى كان أنبأه يزوره سنويا بالبلاطين وكان مجبا لمصر ودفن فى مقبرة أقيمت له فى أجمل مكان على ضفاف النيل باسوان .

علمنا الفاضل الجليل وضع الاجابة العلمية الدقيقة فقال عن الاسماعيلية أنها فرقة من فرق الشيعة أخذت أصولها المذهبية عن

من قسوة السلاجقة الأتراك وبث فيهم تعاليم الاسماعيلية فنادوا به اماما لهم • وبعد ان استولى الحسن بن الصباح على قلعة الموت جعلها مقرا لأتباعه • وكان الحسن بن الصباح عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر - ذلق اللسان رائع البيان قوى الحجة وقد اشتهر ذكر ابن الصباح وسمى بشيخ الجبل • وقد اتخذ ابن الصباح القتل وسيلة لتحقيق أهدافه وكان يأمر أتباعه باغتيال من يقف في طريقه - وبجوار سياسته الدموية لتصفية أعدائه كان ابن الصباح يتبع ما يسمى بالحرب الباردة فيبعث بدعائه لمناظرة ومجادلة أصحاب المذاهب الأخرى ودعوتهم الى الدخول فى مذهب الاسماعيلية •

وقد عاش ابن الصباح زاهدا متعبدا متصوفا فكان مثالا للرجل المنصرف الى العبادة على ما كان عليه من سفك الدماء وقتل كل من يخالفه وامتدت به الحياة ملوثة بدماء من اغتالهم من أتباعه - وقد بلغ من أمر شرايته للدماء فى

ولا يوجد الآن فى مصر من يدين بالمذهب الاسماعيلي •

الحسن بن الصباح :

ولد فى مدينة الرى وفى قول آخر فى مدينة قم من أعمال فارس حوالى سنة ٤٣٠ هـ فى أسرة اتخذت من التشيع مذهبها - تلقى تعليمه فى نياسابور حيث التقى بصديقه نظام الملك والشاعر المتصوف عمر بن الخيام • وصل الى مصر عام ٤٧١ هـ كى يتلقى تعليمه الدينى على يد المستنصر بالله امام الاسماعيلية فى القطر المصرى فأكرم المستنصر بالله وفادته وبعد أن تلقى العلم على يديه زوده بالمال الوفير وجنده للدعوة له فى أنحاء البلاد • ولما مات المستنصر بالله ولى الوزير الأفضل بن بدر الدين الجمالى ابن اخته المستعلى امامة الاسماعيلية فثار صاحب الحق الشرعى فى الامامة نزار بن المستنصر بالله ولكن فشلت ثورته وقبض عليه وقتل • ولما أحس الحسن بن الصباح بأن الوزير الجمالى يعد العدة لقتله هرب وعاد الى بلاد فارس حيث جمع حوله الفقراء والمضطهدين والهاربين

الفئة الثالثة :

الفداوية أو الفدائيين وهم الذين ينفذون تعاليم شيخ الجبل وكانوا بمثابة حرس خاص له . وقد أخذ الحسن بن الصباح نظام الفدائيين عن القاطمين ففى زيارته لمصر شاهد فى القصر الصغير الفاطمى عدة حجرات كان يقيم فيها شبان صغار السن هم أبناء الأمراء وكبار رجال الدولة الفاطمية جمعهم الامام الفاطمى فى قصره لتربيتهم تربية خاصة حتى يصطنعهم فى حكم دولته بعد أن يبلغوا مبلغ الرجال . وكان اعتماد الامام الفاطمى فى انحكم على هؤلاء الشبان الذين نشأوا فى قصره تحت رعايته وتعلموا فنون الفروسية والسياسة على أيدي اخصائيين مهرة فلما تملك الحسن بن الصباح قلعة الموت جمع اليه طائفة صالحة من الأطفال من أبناء الدعاة المعروفين بغيرتهم للاسماعيلية واستعدادهم للتضحية فى سبيل مذهبهم وأخذ فى تدريبهم على الطاعة العمياء والايمان بكل ما يقوله لهم .

أخريات أيامه أن قتل ولديه وادعى أمام أتباعه انه قتلها غيرة على الدين والعقيدة وذهب الى أنه قتل ابنه الأكبر لاشتراكه فى قتل شيخ مشايخ قوهستان وقتل ابنه الثانى لأنه تعاطى الخمر وهكذا شاء الله أن يشرب الحسن بن الصباح من ذات السكاس التى أذاق منها معارضيه . وبعد أن قتل ولديه هجر زوجته وانقطع الى وحدته الى أن مات سنة ٥١٨ هـ فى قلعة ولم تسقط قلعة الموت فى يد التتار الا بعد وفاة شيخ الجبل بسنين طويلة .

الفداوية :

قسم الحسن بن الصباح طائفته ثلاث فئات :

الفئة الاولى :

الدعاة وهم الثقة من أهل الطائفة وكان عملهم أن يدعوا الناس الى الاسماعيليه وان يرشدوهم الى تعاليمها .

الفئة الثانية :

الرفاق وهم الذين دخلوا المذهب وخضعوا لسلطان شيخ الجبل الدينى والديوى .

الحرص على الكتمان مما جعل الكتاب لا يصدقون قصة الحشيشة كما لا يصدقون قصة الجنة •

لقد حاول بعض أعداء الاسلام استغلال قصة شيخ الجبل وجنته المزعومة فى محاولة للنيل من عظمة الاسلام ولكن خاب سعيهم وباء بالخسران • ومن يبين ما ذكره البستانى فى دائرة معارفه فرية عن فرقة من فرق الاسماعيلية وقال ان هذه الفرقة كانت تقيم فى أول كل عام عيدا لها فى كل قرية وفى هذا العيد يدخل الرجال الى منزل مظلم ثم تلحق بهم النساء ويضاجع الرجل من تقع تحت يده من النساء حتى لو كانت أمه أو أخته أو ابنته أو زوجة شخص غيره • ولكن هذه الفرية التى لا سند لها من التاريخ قد حدثت فى زمننا المعاصر •

لقد نشرت الصحف أن بعض الأزواج فى إحدى الولايات المتحدة الامريكية قد اتفقوا سويا على تبادل زوجاتهم - وحتى لا يحدث بينهم أى خلاف كانت

وكان ابن الصباح صارما فى تنشئة هؤلاء الأطفال قاسيا عليهم أشد القسوة حتى استطاع أن ينجح فى اعداد طائفة من الفدائيين أفزعوا العالم الاسلامى وجماعة الصليبيين حتى أن الكتاب الغربيين أطلقوا عليهم اسم السفاكين •

أما بالنسبة للحشيشة التى نسب البعض للحسن بن الصباح استمعناها فى التأثير على اتباعه من الفدائيين لايهامهم بالجنة المزعومة فقد تولى العالم الكبير الدكتور محمد كامل حسين الرد على هذه الأكاذيب وقال ان هذه الأقوال خرافية والحقيقة تخالف ذلك تماما فمن المعروف أن مدمن الحشيش جبان لا يستطيع القيام بالأعمال التى كان يقوم بها الفدائيون من قتل الأعداء أو قتل النفس اذا فشلت المهمة والحشيشة تشل التفكير وتخدر العقل وتجعل المدمن يهذى ويوح بأشياء وأسرار ربما حاول كتمها بينما الفدائي الاسماعيلي كان يمتاز بالفتنة والكياسة والدقة التامة فى كل أعماله وتصرفاته وتقدير موقعه تقديرا يحقق له النجاح مع شدة

بهم الى عصر البدائية الحيوانية
ليس لها وجود فى مجتمعنا الاسلامى
بفضل ايماننا بالله ورسله وكتبه
واليوم الآخره . ولم يكن لها وجود
حتى فى قلعة الموت زغم شهوة
شيخ الجبل العارمة لسفك الدماء .

وسوف تظل الأمة الاسلامية
بفضل من عند الله خير أمة أخرجت
للناس وصدق قوله تعالى جل شأنه
« كتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله » .

عقيد شرطة / محمد فتحى عيد

كل زوجة تضع قطعة من ملابسها
الداخلية فى مكان خفى فى المنزل
الذى يجتمعون فيه - ومن يعثر
على هذه القطعة من الرجال تكون
صاحبها من نصيبه .

وفى اسرائيل نشرت الصحف
اعلانا هو الأول من نوعه صاحب
الاعلان زوج وزوجته وهما يعلنان
عن رغبتهما فى عملية تبادل الزوجات
بدعوى أن ذلك يجدد الجنس ويطيل
العمر .

ان مثل هذه الامور التى تنزع
عن البشر صفتهم الانسانية وتعود

« ورع عمر بن الخطاب رضى الله عنه »

ارسل عمر الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه (٤٠٠)
درهم فقال عبد الرحمن : أتستسلفنى وعندك بيت المال ؟
الا تأخذ منه ثم ترده ؟ فقال عمر : اتخوف ان يصيبنى
قدرى (أموت) فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا
لأمير المؤمنين حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ولكنى
استسلفها منك لما أعلم من شحك فاذا مت جئت فاستوفيتها
من ميراثى .

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

رُبَّ حاج ليس له من حجه الا
السفر والنصب .. « الحج أشهر
معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا
رفث ولا فسوق ولا جدال في
الحج وما تفعلوا من خير يعلمه
الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى
واتقون يا اولى الالباب » (١) •

« لن ينال الله لحومها و لادماؤها
ولكن يناله التقوى منكم » (٢) •

يقول أبو حامد الغزالي رضى
الله عنه فى كتاب « أسرار الحج »
وهو يتحدث عن عودة الحاج الى
بيته : « فاذا دخل بيته قال توبا
توبا لربنا أو لا يغادر علينا
حوبا ، فاذا استقر فى منزله فلا
ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه
من زيارة بيته وحرمة وقبر نبيه

س : يذهب بعض المسلمين
الى الحج ويعود كما ذهب ،
لا يكتسب خلقا كريما ولا يغير
من عادة مذمومة ، ولا يزداد
حرصا على طاعة الله ومَرْضاته ،
والبعد عن عصيانه فما مدى قبول
هذا الحج ؟

ج - الغاية من خلق الانسان
هى عبادة الله « وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون » (١) •

والغاية من العبادة هى تطهير
النفوس وتزكيتها وخضوعها لرب
العالمين فلا يرى المسلم حيث نهاه الله
ولا يفتقد حيث أمره وهى بمعنى
أوضح تحصيل التقوى ، وكما
أنه رُبَّ صائم ليس له من صيامه
الا الجوع والعطش » فكذلك

(٢) الآية ١٩٧ من سورة البقرة

(١) الآية ٥٦ من سورة الداريات

(٣) الآية ٣٠٧ من سورة الحج

محافظة تامة .. ان الانسان فى مفتتح أعمال الحج يتوب الى الله توبة نصوحا ويعاهده عهدا يعزم على ألا ينقضه على أن يسير فى حياته متبعا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين •

وهو بهذه التوبة يتطهر باطنيا ، ويشفع التطهير الباطنى بتطهير ظاهرى وهو غسل الاحرام ، ويعلن عن اخلاصه فى الطهر الظاهر ، والطهر الباطن بالصورة الجميلة صورة ملابس الاحرام نقية طاهرة ، بيضاء صافية خلت خلوا تاما من الدنس والخبائث .. ويثبت كل ذلك بالشعار القوى الدائم فى الحج : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » •

وهو اذن منذ البدء يتطهر باطنا ، ويتطهر ظاهرا ، ويتطهر بالقول ، ويتطهر بالسلوك •

هذا الصفاء وهذا الطهر يجب أن يستمرا ويجب أن يدوما مدى الحياة • والعهد الذى عاهد الله

صلى الله عليه وسلم ، فيكفر تلك النعمة ، بأن يعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى ، فما ذلك علامة الحج المبرور ، بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ، متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت » •

ويقول فضيلة الامام الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله (١) : « ... انه من فضل الله على الأمة الاسلامية ، أن جعل لها منافذ لتطهير النفس وتزكيتها حتى تنال رضا الله وتنعم بشوابه ... ومن النوافذ الكبرى : الحج المبرور • وليس من العسير على الانسان أن يخلص وجهه لله فى أيام معدودات ، يصبح الانسان بعدها من البراءة والطهر كيوم ولدته أمه خالصا من الدنس ، مبرءا من الآثام .. هذه التزكية ، وهذا الطهر ، يجب أن يستمرا فيما يستقبله الحاج من عمره .. واذا كان الله قد هيا للمسلم هذه الفرصة الكبرى ، ليصل بسببها الى المستوى الملائكى فى الطهر ، فانه على المسلم أن يحافظ عليها (١) فى كتابه « الحج المبرور » . احكام واسرار » •

وقد هدد الله من يفعل ذلك وتوعده ومقته « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٢) •
 أما إذا تزكى المسلم بالحج ، ثم حافظ على هذه التزكية بعد الحج ، فإنه ينال السعادة الحققة « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٣) •

س : هل تقاليد الاسلام تمنع من التطور ؟

ج : الأصل في التقاليد وضع القلادة في العنق ، وهى ما تزين به المرأة أو يعرف بها البعير ومنه قلد البعير وقلدت المرأة ••
 ثم قيل : قلده العمل إذا أضافه اليه وطلبه منه ، وقيل : قلد في رأى إذا اخذ بقول غيره دون حجة ، ويقال : تقلدت المرأة وتقلد فلان العمل • وتقلد مذهب فلان ، والمعنى فى كل ذلك التزم ما تقلده من عمل أو رأى أو قلادة ، ومن هذا

عليه من الاخلاص والتقوى يجب أن يلتزمه طول حياته بقول الله تعالى موجها المسلمين الى التزام عهودهم : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » (١) •

أما هذه المرأة التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، فانها كل امرأة خرقاء ناقصة العقل ، تغزل طول يومها مثابرة دائمة وتحكم غزلها ، ثم تنقضه آخر النهار •

ومثل كل من يعاهد الله ثم لا يوفى بعهده مثل هؤلاء النسوة الحمقاوات اللواتى ينقضن آخر اليوم ما غزلن فى أوله ••

على أن الاخلال بالعهد مع الناس يعتبر عند الله من علامات النفاق ، فما بالك بالاخلال بالعهد الذى بين الانسان وربه ؟

على أن هذا الذى يعاهد الله ثم ينقض عهده يقول ما لا يفعل

(١) الآيتان ٩١ ، ٩٢ من سورة النحل

(٢) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة الصف

(٣) الآية ٩٧ من سورة النحل

كان الدين ديناً •• ذلك أن الدين وضع الهى ، يبين حدود ما يسير عليه الناس ويلتزمونه فى عقائدهم وعباداتهم ، وما يحل لهم أن يفعلوه ، وما يحرم عليهم أن يفعلوه ولا سلطان عليه لعرف أو توارث أو نقل • حتى لو اتخذت أحكام الدين باعتبارها عرفاً أو توارثاً لما كانت ديناً ، وانما تكون ديناً اذا أخذت مضافة الى مصدرها وهو رب العالمين •

والدين هو الحاكم على التقاليد فما كان منها لا يخل بشىء من أحكامه ، ولا يترتب عليه ضرراً بآباه الدين ، فان الدين يقره ويسمح به •

وما كان منها يخل بشىء من أحكامه أو يستبيح ضرراً أو فساداً يآباه الدين فان الدين ينكره ويحاربه •

ولقد جاء الاسلام - وفى جميع البلاد التى دخلها تقاليد وصور عملية فى نواحى الاجتماع - فأقر الصالح منها وحارب الفاسد ، وحقق تلاؤماً بين أهدافه وآثار التقاليد ، وكان الدين قوة للتقاليد الطيبة الصالحة ، ومطهراً من

قيل : تقلدت الأمة كذا ، أى اتخذته كالقلادة اذا التزمته وسارت عليه ، وأطلق (التقليد) على نفس الشىء الذى تقلدته ، وبذلك انتقلت الكلمة الى الصورة العملية التى تتقلدها وتتمسك بها الأمم فى نواحى حياتها الاجتماعية •

ومنشأ التقاليد فى الأمة : اما عرف ثبت فيها عم وانتشر • واما مجازة غيرها وأخذها عنه ، وعلى كل حال لم تعهد الكلمة الا فى العادات التى مصدرها العرف أو التوارث أو النقل من جماعة أخرى مجاورة •

ومن هنا اختلفت تقاليد الأمم فى النواحى الاجتماعية باختلاف العرف أو التوارث أو النقل ، وكان لكل جماعة تقليد يغير تقليد الجماعة الأخرى ، فللعرب فى زيههم تقليد ، وفى مواعدهم تقليد ، وفى أفراحهم ومآتمهم تقليد ، وللعرب فى كل ذلك تقليد •

وكثيراً ما تختلف التقاليد مع اتحاد الدين ووحدة أحكامه ، ودل ذلك على أن التقاليد شىء والدين شىء آخر • ولو وضع الدين موضع التقاليد أو أطلقت على الدين لما

الى دائرة العقيدة والعبادة والحلال والحرام ، واذن فلا بد من تشخيص هذه التقاليد والنظر اليها من جهة موافقتها للدين أو مخالفتها ، ومن جهة ما تغرسه فى الأمة من خير أو شر ، ثم تعمل على أخذ الأمة الى السبيل الذى يحفظ لها شخصيتها الاسلامية أولا ، والذى ينهض بمستواها الاجتماعى نهوضا يحفظ عليها كرامتها وأخلاقيها ويمهد لها سبيل السير فى الكمال .

فان كان هذا هو القصد من التطور فالدين لا يقف عند حد اباحته بل يوجهه ويحتمه ، وان كان القصد من التطور أن يدخل التغيير فى الدوائر الدينية التى رسمها الاسلام وبين أحكامها فهذا ليس تطورا فى التقاليد ، وانما هو من تغليب التقاليد على الدين ، وليس سيرا بالتقاليد فى جو الدين (١) .

والله أعلم .

عبد الحميد شاهين

التقاليد الخبيثة الفاسدة .
ومما يجب أن نعرفه هنا ، أن الاسلام أطلق لأتباعه حق اختيار ما يرونه محققا لنهوضهم العلمى والاقتصادى والخلقى والاجتماعى ، ولم يقيدهم فيما وراء العقائد والعبادات والحلال والحرام بشئ يمنعهم من التقدم والنهوض ، وهو يبيح لهم بل يحتم عليهم أن يسلكوا فى هذا الجانب أحدث ما ينتجه العقل البشرى من صور المجتمعات الفاضلة .

وليس من شك فى أن جماعتنا - وهى اسلامية قبل كل شئ - نزعت فى كثير من عصورها الماضية الى كثير من التقاليد التى أنشأها العرف أو التى جرها عليهم تقليد الامم المختلفة التى حكمتها واستغلت عقليتها وحياتها .

وليس من شك أن كثيرا من هذه التقاليد لا يتفق وأحكام الاسلام : فتقاليد الأفراح والمآتم والأعياد ، وتقاليد بعض طرق التصوف ، وزيارة الأضرحة تقاليد ياباها الدين ، وقد امتدت التقاليد

(١) من فتاوى الامام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله .

حكم... و طرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

((امرأة تتكلم بالقرآن))

قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله - خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ، فبينما أنا في بعض الطريق إذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف ، فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقالت: ((سلام قولا من رب رحيم)) قال : فقلت لها - يرحمك الله : ما تصنعين في هذا المكان ؟ قالت : ((من يضل الله فلا هادي له)) فعلمت أنها ضالة عن الطريق ، فقلت لها : أين تريدان ؟ قالت : ((سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)) فعلمت أنها قضت حجها وهي تريد بيت المقدس ، فقلت لها : أنت منذ كم في هذا الموضع ؟ قالت : ((ثلاث ليالٍ سوياً)) فقلت : ما أرى معك طعاماً تاكلين ؟ قالت : ((هو يطعمني ويسقين)) فقلت : من أي شيء تتوضئين ، قالت : ((فإن لم تجدوا ماء فتييموا صعيداً طيباً)) فقلت لها : إن معي طعاماً فهل لك في الأكل ؟ قالت : ((ثم أتموا الصيام إلى الليل)) فقلت ليس هذا شهر

رمضان قالت : ((ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم)) فقلت قد أبيع لنا الإفطار في السفر ، قالت : ((وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون)) فقلت : لم لا يكلميني مثل ما أكلهم ؟ قالت : ((ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)) فقلت فمن أي الناس أنت ؟ قالت : ((ولا تقف ما ليس لك به علم)) فقلت قد أخطأت ؟! فأجبتني في حل قالت : ((لا تثرِبْ عليكم اليوم يغفر الله لكم)) فقلت : فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة ، قالت : ((وما تفعلوا من خير يعلمه الله)) قال : فأنخت ناقتي قالت : ((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)) فغضت بصرى عنها ، وقلت لها : أركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها ، فقالت : ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)) فقلت لها أصبري حتى أعقلها قالت : ((ففهمناها سليمان)) ففعلت الناقة وقلت لها : أركبي ، فلما ركبت قالت : ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)) فلما مشيت بها قليلاً سالتها ألك زوج ؟ قالت : ((يابها الذين آمنوا لا تسالوا عن

قيل : وما شر المكاسب ؟ قال :
أما شر مكاسب الدنيا فحرام
جمعه ، وفي المعاصي أنفقته ، ولن
لا يطيع ربه خلفته .
وأما شر مكاسب الآخرة : فحق
أنكرته حسدا ، ومعصية قدمتها
أصرارا ، وسنة سيئة أحيتها
عدوانا .

« بياك أنزلت حاجتي »

قصده أعرابي مالك بن طوق
التغلبى (١) صاحب الرجة (٢) ،
وكان رث الهيئة ، زرى الحال ،
فمنع من الدخول عليه مدة ، إلى
أن خرج مالك ذات يوم يريد
النزهة حول مدينته ، فاعترض له
الأعرابي ، فردده رجاله ازدراء به ،
فلم يثن ، بل اقترب منه حتى أخذ
بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ،
أنا عائد بك (٣) من شر حرسك !
فنههم عنه (٤) ، وقال له :
ما حاجتك ؟ قال : ان تصفى إلى
كلامي بسمعك ، وتنظر إلى بطرك
.. وتقبل على بوجهك ، ثم أنشد :
بياك دون الناس أنزلت حاجتي
وأقبلت أسعى نحوه وأطوف
ويمعنى الحجاب والليل مسبل
وأنت بعيد والرجال صفوف
يطوفون حولي عابسين كأنهم
ذئاب جيعاء بينهن خروف
فكيف وقد أبصرت وجهك مقبلا
ترد امرا وأفاك وهو لهيف

أشياء ان تبد لكم تؤكم « فسكت
حتى أدركت بها القافلة فقلت هذه
القافلة فمن لك فيها ؟ قالت :
« واتخذ الله إبراهيم خيلا » ،
« وكلم الله موسى تكليما » ،
« يا يحيى خذ الكتاب بقوة »
فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى
فاذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد
أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس
قالت : « فابعثوا أحداكم يورثكم
هذه إلى المدينة فينظر أيها أركى
طعاما فليأتكم برزق منه » فمضى
أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين
يدين ، فقالت : « كلوا واشربوا
هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية »
فقلت : الآن طعامكم حرام حتى
تخبروني بأمرها ، فقالوا : هذه
أما لها منذ أربعين سنة لم تتكلم
إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط
عليها الرحمن فسبحان القادر على
من يشاء . فقلت : « ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم » .

« خير المكاسب وشرها »

قيل لبعض الحكماء : ما خير
المكسب ؟ قال : خير مكاسب الدنيا
طلب الحلال لزوال الحاجة ،
والأخذ منه للقوة على العبادة ،
وتقديم فضله لزداد يوم القيامة .
وأما خير مكاسب الآخرة : فعلم
معمول به نشرته ، وعمل صالح
قدمته وسنة حسنة أحيتها .

(١) مالك بن طوق : أحد ندماء الرشيد ، أقطعه أرضا بناها ونسبت

إليه ، ثم خرج على الرشيد فأنفذ إليه الجيوش حتى ظفروا به ،
وحبس ثم عفا عنه .

(٢) مدينة جميلة بين بغداد والرقعة . (٣) عاذبه : لجأ إليه .

(٤) نههم : زجرهم وكفهم .

« الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم »

روى أن رجلا كان يطوف حول الكعبة ، وهو يكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ، فقال له شخص يا هذا ، لم تركت الذكر المسنون ، واشتغلت بالصلاة والسلام على رسول الله ؟ فقال له : خرجت أنا ووالدي لتأدية فريضة الحج ، وفي الطريق مرض والدي ، فجلست بجواره أعلاه ، وما هي الا لحظات حتى رايت وجه أبى قد أسود ثم مات ، فحزنت على ما حل بأبى ، وخصوصا لسواد وجهه ، فغطيت وجهه أبى بمنديل ، ثم أخذتني سنة من النوم ، فرايت في منامي رجلا لم أر أجمل منه وجها ، ولا أطيب رائحة ، يتقدم نحو أبى ويرفع المنديل عن وجهه ، ثم يمسح الوجه الذى اسود ، فيعود أبيض ناصعا ، فتعلقت به وقلت له : من أنت الذى من الله بك على أبى ونحن فى أرض الغربة ؟ فقال : أو ما تعرفنى ؟ أنا محمد بن عبد الله رسول الله : لقد كان أبوك يكثر من الصلاة والسلام على ، فلما حل به ما حل استغاث بى ، وأنا غيبات لكل من يصلى على ، لذلك أكثر من الصلاة والسلام على هذا النبي الكريم ، فعلى المسلمين أن يكثر من الصلاة والسلام على رسول الله فأنها نور فى القبر ، وثقل فى الميزان ، قال تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

ومالى فى الدنيا سواك وما لمن
تركت ورأى مربع ومصيف (١)

فجئتك أبغى الخير منك فراعنى
ببابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن لى نحو بابك عودة
فقلبى من صنع القساة مخوف
فضحك مالك ، ثم قال لحرسه ، من يعطيه درهما بدرهمين ؟ فما أتم كلمته حتى نثرت الدراهم على الاعرابى من كل جانب حتى تحير ، واختلط لديه الحابل بالنابل ، لكثرة ما أعطى .

فعند ذلك التفت إليه مالك ، وقال له : هل بقيت لك حاجة يا أخا العرب ؟ قال : اما اليك فلا . فقال : والى من ؟ قال : الى الله ان يبيحك للعرب ، فانهم لن يزالوا بخير ما بقيت لهم !

« دواء هاضم »

أهدى يوما صديق لعبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - وعاء مملوءا ،

فقال ابن عمر : « ما هذا ؟ ! »
قال الصديق : « دواء عظيم
جئتكم به من العراق » .

قال ابن عمر : « وما يطيب هذا
الدواء ؟ » .

قال الصديق : « يهضم الطعام »
وابتسم عبد الله وقال لصاحبه :
« يهضم الطعام ؟ ! انى لم أشبع
من طعام قط منذ أربعين عاما » .

(١) المربع : منزل القوم فى الربيع خاصة .

« حيا وميتا »

ذكر بعض المؤرخين ، ان أبا جعفر المنصور ناظر الامام مالك بن أنس - رضى الله عنه - فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى :

ادب قوما فقال : « لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى .. »

ومدح قوما فقال : « ان الذين يفضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » .

وذم قوما فقال : « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » ، وان حرمة ميتا كحرمة حيا ... فاستكان لها المنصور .

« فصاحة صبى »

دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم ، فاحب الحسن أن يتكلم فزجره ، وقال : يا صبى تتكلم فى هذا المقام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين

ان كنت صبيا فليست بأصفر من همد سليمان ، ولا أنت أكبر من سليمان - عليه السلام - حين قال : « أحطت بمالم تحط به » ثم قال : « ألم تر أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى » .

ولما افضت الخلافة الى عمر ابن عبد العزيز أتته الوفود ، فاذا فيهم وفد الحجاز ، فنظر الى صبى صغير السن ، وقد أراد أن يتكلم ، فقال : ليتكلم من هو أسن منك ، فانه أحق بالكلام منك ، فقال الصبى : يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان فى مجلسك هذا من هو أحق به منك ، قال : صدقت فتكلم ، فقال يا أمير المؤمنين : انا قدعنا عليك من بلد نحمد الله الذى من علينا بك ، ما قدعنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك ، اما عدم الرغبة فقد أمانا بك فى منازلنا ، واما عدم الرهبة فقد أمانا جورك بعدلك ، فنحن وفد الشكر والسلام .

فقال له عمر - رضى الله عنه - عظى يا غلام ، فقال يا أمير المؤمنين : ان أناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » فنظر عمر فى سن القلام فاذا هى اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر - رضى الله تعالى عنه - :

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده
صغير اذا التفت عليه المحافل

عبد الحفيظ محمد عبد العظيم

فهرس السد

صفحة

الموضوع

- العلامة المودودى فى ذمة الله !!
٢٢٤١ ... دكتور عبد الودود شلبى
- أبو الأعلى المودودى ومكانته فى الدعوى الاسلامىة
٢٢٥٠ ... دكتور رؤوف شلبى
- مواجهة الاتحاد المعاصر : عدم كفاىة العلم فى مجال المعرفة
٢٢٦٥ ... للدكتور يحى هاشم
- مناقشة هادئة :
دفع افتراء صارخ حول شىخ الاسلام سليم البشرى
٢٢٨٦ ... للدكتور محمد رجب البىومى
- من اسرار الفريضة الخاتمة
٢٢٩٥ ... لفضيلة الشىخ معوض عوض ابراهيم
- الوليد بن يزيد وتبعات الحكم
٢٣٠٠ ... للاستاذ السيد حسن قرون
- مبادئ الاستطلاع فى المدرسة العسكرية الاسلامىة
٢٣١٤ ... للواء محمد جمال الدين محفوظ
- رأى فى التفسير العلمى
٢٣٢٦ ... لفضيلة الشىخ عزت الدسوقى
- الازهر جامعا وجامعة (أو مصر فى ألف عام)
٢٣٣٧ ... للاستاذ محمد كمال السيد
- جرائم القصاص وجرائم التعزير
٢٣٤٩ ... للمستشار حسن حسب الله
- الاسلام فى الفكر الاوروبى
٢٣٦٣ ... عرض وتحليل لمؤلفات أوروبىة بقلم الدكتور محمد شامه
- دراسات لغوىة : نظرة الى الجديد فى علوم اللغة
٢٣٨٨ ... للدكتور توفىق محمد شاهين
- اللغة الاردىة : نشأتها وتطورها
٢٤٠٥ ... للدكتور سمير عبد الحمىد ابراهيم

الموضوع

صفحة

التصوف ومقام الاحسان	
للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٢٤١٩
لذة الحق	
فضيلة الدكتور ابراهيم ابو الخشب	٢٤٢٧
اخطاء شائعة	
للاستاذ عباس ابو السعود	٢٤٣٢
قلعة الموت وفردوسها المزعوم	
بقلم عقيد شرطة محمد فتحى عيد	٢٤٤٩
باب الفتاوى	
للاستاذ عبد الحميد شاهين	٢٤٥٨
حكم .. وطرائف	
اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٤٦٣
